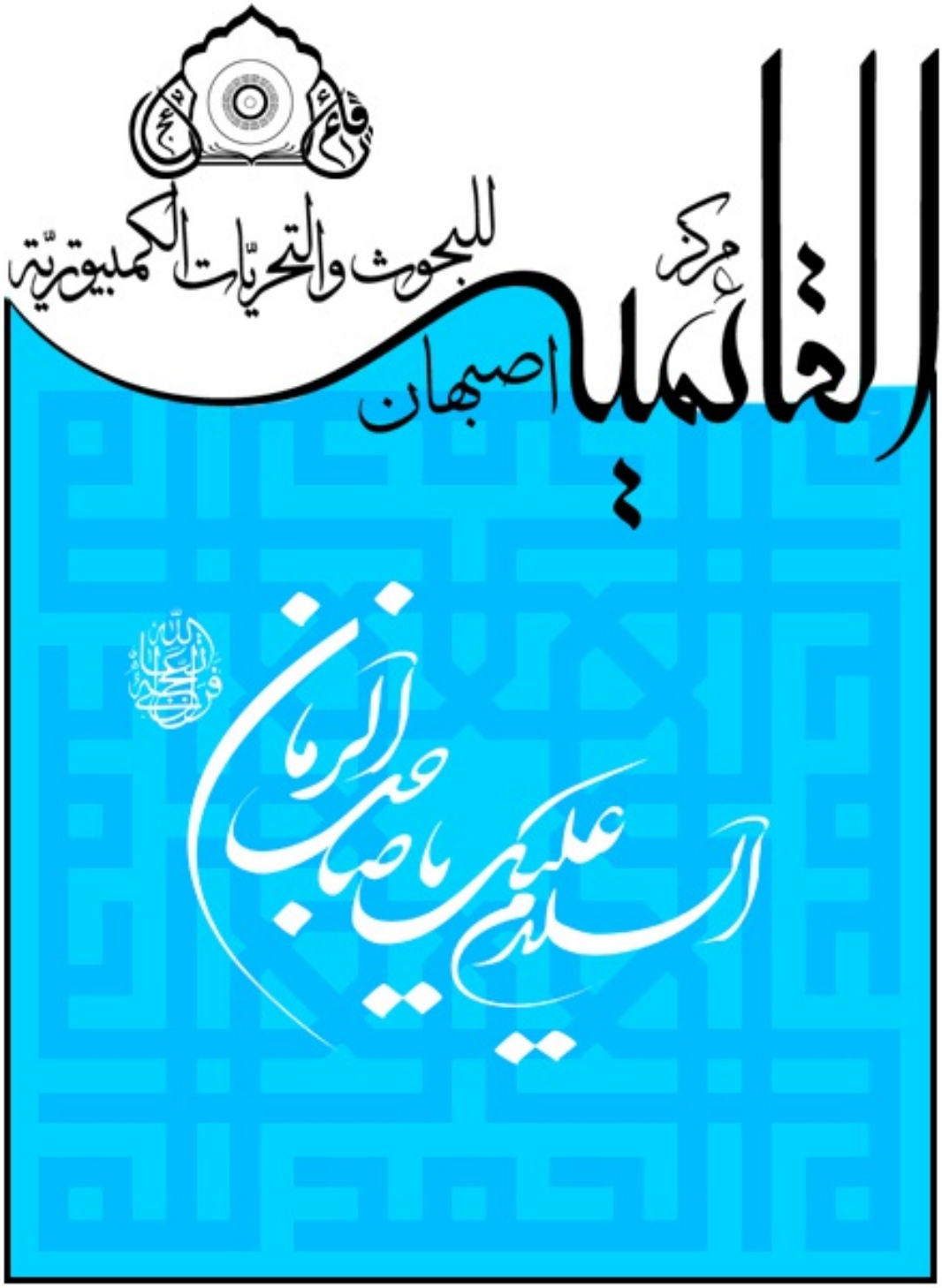

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

وفاء الوفا
بأخبار دار المصطفى ﷺ

تأليف
الشيخ العلامة نور الدين علي بن أحمد السمهودي
المتوفى سنة ٩١١هـ

تحقيق وتعليق
خالد عبد الغني محفوظ

المجلد ١-٢

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى

كاتب:

سمهودی، علی بن احمد

نشرت فی الطباعة:

دارالکتب العلمیة

رقمی الناشر:

مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

الفهرس

الفهرس ----- ۵
وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفی ----- ۸۸
اشارة ----- ۸۸
الجزء الأول ----- ۸۸
اشارة ----- ۸۸
تقدیم ----- ۸۸
ترجمة المصنّف ----- ۸۹
خطبة المؤلف ----- ۸۹
اشارة ----- ۸۹
أبواب الکتاب ----- ۹۰
الباب الأول فی أسماء هذه البلدة الشریفة ----- ۹۲
اشارة ----- ۹۳
أثرب ----- ۹۳
أرض الله ----- ۹۴
الهجرة ----- ۹۴
أکالة البلدان ----- ۹۴
أکالة القری ----- ۹۴
الإیمان ----- ۹۴
البارة و البرة ----- ۹۴
البحرة و البحیرة ----- ۹۴
البلد ----- ۹۵
بیت الرسول ----- ۹۵
ندد و تندر ----- ۹۵

الجابرة ----- ۹۵
جبار ----- ۹۵
الجبارة ----- ۹۵
جزیرة العرب ----- ۹۶
الجنة الحصینة ----- ۹۶
الحبیبة ----- ۹۶
الحرم ----- ۹۶
حرم رسول اللّه ----- ۹۶
حسنة ----- ۹۶
الخیرة ----- ۹۶
الدار ----- ۹۷
دار الأبرار ----- ۹۷
دار الإیمان ----- ۹۷
دار السنة و نحوها ----- ۹۷
ذات الحجر ----- ۹۷
ذات الحرار ----- ۹۷
ذات النخل ----- ۹۸
السلقة ----- ۹۸
سیدة البلدان ----- ۹۸
الشافیة ----- ۹۸
طابة و طیبة ----- ۹۸
ظباب ----- ۹۹
العاصمة ----- ۹۹
العذراء ----- ۹۹

العزّاء ----- ۹۹
العروض ----- ۹۹
الغزّاء ----- ۹۹
غلبة ----- ۱۰۰
الفاضحة ----- ۱۰۰
القاصمة ----- ۱۰۰
قبة الإسلام ----- ۱۰۰
قرية الأنصار ----- ۱۰۰
قرية رسول الله ----- ۱۰۱
قلب الإيمان ----- ۱۰۱
المؤمنة ----- ۱۰۱
المباركة ----- ۱۰۱
مبوأ الحلال و الحرام ----- ۱۰۱
مبين الحلال و الحرام ----- ۱۰۱
المجبورة ----- ۱۰۱
المحبة ----- ۱۰۲
المحبّبة ----- ۱۰۲
المحبوبة ----- ۱۰۲
المحبورة ----- ۱۰۲
المحرمة ----- ۱۰۲
المحفوفة ----- ۱۰۲
المحفوظة ----- ۱۰۲
المختارة ----- ۱۰۲
مدخل صدق ----- ۱۰۳

المدینة ----- ۱۰۳
المرحومة ----- ۱۰۳
المرزوقة ----- ۱۰۳
مسجد الأقصی ----- ۱۰۳
المسکینة ----- ۱۰۳
المسلمة ----- ۱۰۳
مضجع الرسول ----- ۱۰۴
المطیبة ----- ۱۰۴
المقدسة ----- ۱۰۴
المقر ----- ۱۰۴
المکتان ----- ۱۰۴
المکینة ----- ۱۰۴
مهاجر الرسول ----- ۱۰۵
الموفیة ----- ۱۰۵
الناجیة ----- ۱۰۵
نبلاء ----- ۱۰۵
النحر ----- ۱۰۵
الهذراء ----- ۱۰۵
یثرب ----- ۱۰۵
یندد ----- ۱۰۶
یندر ----- ۱۰۶
الباب الثانی ----- ۱۰۶
اشارة ----- ۱۰۶
الفصل الأول فی تفضیلها علی غیرها من البلاد ----- ۱۰۶

مکة أفضل أم المدینة ----- ۱۰۶
الأرض أفضل أم السماء؟ ----- ۱۰۷
عود لتفضیل مکة أو المدینة ----- ۱۰۷
اشارة ----- ۱۰۷
کلام للعز بن عبد السلام ----- ۱۰۸
کلام للتقی السبکی ----- ۱۰۸
یخلق الإنسان من تربة الأرض التی یدفن فیها ----- ۱۰۹
الفصل الثانی وعد من صبر علی شدها ----- ۱۱۲
اشارة ----- ۱۱۲
المدینة تنفی الخبث ----- ۱۱۳
وعید من أراد أهلها بسوء ----- ۱۱۴
بسر بن أرطاة یغزو المدینة ----- ۱۱۵
وعید من أحدث بها حدثا ----- ۱۱۵
الفصل الثالث فی الحث علی حفظ أهلها، و إکرامهم ----- ۱۱۶
اشارة ----- ۱۱۶
الوصیة بحفظ أهلها ----- ۱۱۶
الفصل الرابع فی بعض دعائه صلّی اللّه علیه و سلّم لها و لأهلها ----- ۱۱۸
اشارة ----- ۱۱۸
حب النبی صلّی اللّه علیه و سلّم للمدینة ----- ۱۱۸
دعاؤه صلّی اللّه علیه و سلّم للمدینة بالبرکة ----- ۱۱۹
الدعاء بنقل و بائها ----- ۱۲۰
الوباء بالمدینة جاهلی قدیم ----- ۱۲۲
ثنیة الوداع ----- ۱۲۲
تحویل الوباء من دلائل النبوة ----- ۱۲۲

الفصل الخامس فی عصمتها من الدجال و الطاعون ---- ۱۲۳
حراسة المدینة من الدجال و الطاعون ---- ۱۲۳
الفصل السادس فی الاستشفاء بترابها، و بتمرها ---- ۱۲۶
اشارة ---- ۱۲۶
ما جاء فی أن ترابه شفاء ---- ۱۲۶
الاستشفاء بتراب صعیب ---- ۱۲۶
ما جاء فی أن تمرها شفاء ---- ۱۲۷
الفصل السابع فی سرد خصائصها ---- ۱۲۹
اشارة ---- ۱۲۹
الخاصة الأولی: ما تقدمت الإشارة إلیه من کونه صلّی اللّه علیه و سلّم خلق من طینتها، ---- ۱۲۹
الثانیة: اشتمالها علی البقعة التی انعقد الإجماع علی تفضیلها علی سائر البقاع، ---- ۱۳۰
الثالثة: دفن أفضل الأمة بها ---- ۱۳۰
الرابعة: أنها محفوفة بأفضل الشهداء ---- ۱۳۰
الخامسة: أن اللّه تعالی اختارها دارا و قرارا لأفضل خلقه ---- ۱۳۰
السادسة: أن اللّه تعالی اختار أهلها للنصرة و الإیواء ---- ۱۳۰
السابعة: أن سائر البلاد افتتحت بالسیف، و افتتحت هی بالقرآن، ---- ۱۳۰
الثامنة: أن اللّه تعالی افتتح منها سائر بلاد الإسلام، ---- ۱۳۰
التاسعة: ما ذکره عیاض من الاتفاق علی وجوب الهجرة إلیها قبل فتح مکة، ---- ۱۳۰
العاشرة: أنه یبعث أشراف هذه الأمة یوم القیامة منها، ---- ۱۳۰
الحادیة عشرة: ما تقدم فی الأسماء من تسمیتها بالمؤمنة و المسلمة، ---- ۱۳۱
الثانیة عشرة: إضافتها إلی اللّه تعالی ---- ۱۳۱
الثالثة عشرة: إضافة اللّه إیاها إلی رسوله بلفظ البیت ---- ۱۳۱
الرابعة عشرة: إقسام اللّه تعالی بها ---- ۱۳۱
الخامسة عشرة: أن اللّه بدأ بها ---- ۱۳۱

السادسة عشرة: تسميتها فی التوراة بالمرحومة و نحوه، ---- ۱۳۱
الثامنة عشرة: تحريكه صلّى اللّه عليه و سلّم دابته أو إيضاعها إذا أبصر جدرانها عند قدومها، ---- ۱۳۱
التاسعة عشرة: اهتمامه صلّى اللّه عليه و سلّم بأمر الدعاء لها ---- ۱۳۱
العشرون: تحريمها على لسان أفضل الأنبياء صلوات الله و سلامه عليه إكراما له، ---- ۱۳۲
الحادية و العشرون تأسيس مسجدها الشريف على يده صلّى اللّه عليه و سلّم و عمله فيه بنفسه، ---- ۱۳۲
الثانية و العشرون: اختصاصها بالمسجد ---- ۱۳۲
الثالثة و العشرون: كون ما بين بيته و منبره روضة من رياض الجنة، ---- ۱۳۲
الرابعة و العشرون: كون منبره الشريف على ترعة من ترع الجنة، ---- ۱۳۲
الخامسة و العشرون: ما ورد فی مسجده الشريف من المضاعفة الآتی بيانها. ---- ۱۳۲
السادسة و العشرون: حديث «من صلّى فی مسجدی هذا أربعين صلاة كتب له براءة من النار، و براءة من العذاب، و برئ من النفاق» ---- ۱۳۲
السابعة و العشرون: ما سيأتی أن من خرج على طهر لا يريد إلا الصلاة فيه كان بمنزلة حجة، ---- ۱۳۲
الثامنة و العشرون: أن إتيان مسجد قباء يعدل عمرة ---- ۱۳۲
التاسعة و العشرون: حديث «صيام شهر رمضان فی المدينة كصيام ألف شهر فيما سواها، و صلاة الجمعة فی المدينة كألف صلاة فيما سواها» ۳۲
الثلاثون: حديث «لا يسمع النداء فی مسجدی هذا ثم يخرج منه إلا لحاجة ثم لا يرجع إليه إلا منافق». ---- ۱۳۳
الحادية و الثلاثون: تأكد التعلم و التعليم بمسجدها ---- ۱۳۳
الثانية و الثلاثون: اختصاصه بمزيد الأدب و خفض الصوت؛ ---- ۱۳۳
الثالثة و الثلاثون: أنه لا يجتهد فی محرابه؛ لأنه صواب قطعا؛ ---- ۱۳۳
الرابعة و الثلاثون: أن ما بين منبره صلّى اللّه عليه و سلّم و مسجد المصلى روضة من رياض الجنة، ---- ۱۳۳
الخامسة و الثلاثون: حديث «أحد على ترعة من ترع الجنة» ---- ۱۳۳
السادسة و الثلاثون: حديث «إن بطحان على ترعة من ترع الجنة». ---- ۱۳۳
السابعة و الثلاثون: وصف العقيق بالوادی المبارک، ---- ۱۳۳
الثامنة و الثلاثون: حثه صلّى اللّه عليه و سلّم على الإقامة بها. ---- ۱۳۳
التاسعة و الثلاثون: حثه على اتخاذ الأصل بها. ---- ۱۳۴
الأربعون: حثه على الموت بها، ---- ۱۳۴

الحادیة و الأربعون: حرصه صلّی اللّه علیه و سلّم علی موته بها. ۱۳۴
الثانیة و الأربعون: کون أهلها أول من یشفع لهم، ۱۳۴
الثالثة و الأربعون: بعث المیت بها من الآمنین ۱۳۴
الرابعة و الأربعون: أنه یبعث من بقیعها سبعون ألفا علی صورة القمر یدخلون الجنة بغیر حساب، ۱۳۴
الخامسة و الأربعون: بعث أهلها من قبورهم قبل سائر الناس. ۱۳۴
السادسة و الأربعون: شهادته- أو شفاعته- صلّی اللّه علیه و سلّم لمن صبر علی لأوائها و شدتها. ۱۳۴
السابعة و الأربعون: وجوب شفاعته صلّی اللّه علیه و سلّم لمن زاره بها. ۱۳۴
الثامنة و الأربعون: استجابة الدعاء بها عند القبر الشریف، ۱۳۴
التاسعة و الأربعون: کونها تنفی خبثها. ۱۳۴
الخمسون: کونها تنفی الذنوب کما تنفی النار خبث الفضة. ۱۳۴
الحادیة و الخمسون: الوعید الشدید لمن ظلم أهلها أو أخافهم. ۱۳۴
الثانیة و الخمسون: من أرادها و أهلها بسوء أذابه الله کما یذوب الملح فی الماء، ۱۳۵
الثالثة و الخمسون: الوعید الشدید لمن أحدث بها حدثا أو آوی محدثا، ۱۳۵
الرابعة و الخمسون: الوعید لمن لم یکرم أهلها و أن إکرامهم و حفظهم حق علی الأمة، ۱۳۵
الخامسة و الخمسون: حدیث «من أخاف أهل المدینة فقد أخاف ما بین جنبیّ». ۱۳۵
السادسة و الخمسون: حدیث «من غاب عن المدینة ثلاثة أیام جاءها و قلبه مشرب جفوة» ۱۳۵
السابعة و الخمسون: إکرام الله لها بنقل وبائها و تحویل حماها. ۱۳۵
الثامنة و الخمسون: الاستشفاء بترابها، ۱۳۵
التاسعة و الخمسون: عصمتها من الطاعون. ۱۳۶
الستون: عصمتها من الدجال، ۱۳۶
الحادیة و الستون: ما فی حدیث الطبرانی من قوله صلّی اللّه علیه و سلّم «و حق علی کل مسلم زیارتها». ۱۳۶
الثانیة و الستون: سماعه صلّی اللّه علیه و سلّم سلام من سلّم و صلاة من صلّی علیه عند قبره الشریف، ۱۳۶
الثالثة و الستون: اختصاصها بملک الإیمان و الحیاء، ۱۳۶
الرابعة و الستون: کون الإیمان یأزر إلیها. ۱۳۶

الخامسة و الستون: اشتباکها بالملائکة و حراستهم لها. ---- ۱۳۶
السادسة و الستون: کونها أول أرض اتخذ بها مسجد لعامة المسلمین فی هذه الأمة. ---- ۱۳۶
السابعة و الستون: کون مسجدها آخر مساجد الأنبیاء، ---- ۱۳۶
الثامنة و الستون: کثرة المساجد و المشاهد و الآثار بها، ---- ۱۳۶
التاسعة و الستون: ما یوجد بها من رائحة الطیب الزکیة، ---- ۱۳۶
السبعون: طیب العیش بها، ---- ۱۳۷
الحادیة و السبعون: استحقاق من عاب تربتها للتعزیر؛ ---- ۱۳۷
الثانیة و السبعون: الوعید الشدید لمن حلف یمینا فاجرة عند منبرها. ---- ۱۳۷
الثالثة و السبعون: استحباب الدخول لها من طریق و الرجوع فی أخری، ---- ۱۳۷
الرابعة و السبعون: استحباب الاغتسال لدخولها. ---- ۱۳۷
الخامسة و السبعون: استحباب الدعاء و الطلب من الله الموت بها. ---- ۱۳۷
السادسة و السبعون: أنها دار إسلام أبدا؛ ---- ۱۳۷
السابعة و السبعون: أنها آخر قری الإسلام خرابا، ---- ۱۳۷
الثامنة و السبعون: تخصیص أهلها بأبعد المواقیت و أفضلها؛ ---- ۱۳۷
التاسعة و السبعون: ذهب بعض السلف إلی تفضیل البداءة بالمدینة قبل مکة، ---- ۱۳۷
الثمانون: اختصاص أهلها فی قیام رمضان بستّ و ثلاثین رکعة، ---- ۱۳۸
الحادیة و الثمانون: زیادة البرکة بها، علی مکة المشرفة، ---- ۱۳۸
الثانیة و الثمانون: نقل عن مالک أن خبر الواحد إذا عارضه إجماع أهل المدینة قدم إجماعهم، ---- ۱۳۹
الثالثة و الثمانون: حدیث النسائی و البزار و الحاکم و اللفظ له «یوشک الناس أن یضربوا أکباد الإبل فلا یجدوا عالما أعلم من عالم المدینة» ۱۳۹
الرابعة و الثمانون: تحریم نقل أحجار حرمها و ترابه ---- ۱۳۹
الخامسة و الثمانون: لو نذر تطییب مسجد المدینة و کذا الأقصی ففیه تردد لإمام الحرمین؛ ---- ۱۳۹
السادسة و الثمانون: إذا نذر زیارة قبر النبی صلّی اللّه علیه و سلّم لزمه الوفاء بذلک وجها واحدا، ---- ۱۳۹
السابعة و الثمانون: قیام مسجدها مقام المسجد الأقصی کالمسجد الحرام ---- ۱۴۰
الثامنة و الثمانون: الاکتفاء بزیارة قبر رسول الله صلّی اللّه علیه و سلّم لمن نذر إتیان مسجد المدینة، ---- ۱۴۰

التاسعة و الثمانون: قال ابن المنذر: إذا نذر أن يمشي إلى مسجد الرسول و المسجد الحرام لزمه الوفاء به لأنه طاعة؛ ----- ۱۴۰
التسعون: قوله صلّى اللّه عليه و سلّم في أحاديث تحريمها «و لا يحمل فيها سلاح لقتال». ----- ۱۴۰
الحادية و التسعون: قوله فيها أيضا: «و لا تلتقط لقطته إلا لمن أشاد بها». ----- ۱۴۰
الثانية و التسعون: إذا قلنا بضمان صيدها و قطع شجرها فالصحيح أنه يسلب الصائد كما يسلب قتيل الكفار، ----- ۱۴۰
الثالثة و التسعون: جواز نقل ترابها للتداوي. ----- ۱۴۰
الرابعة و التسعون: ظهور نار الحجاز التي أخبر بها صلّى اللّه عليه و سلّم مما حولها؛ ----- ۱۴۰
الخامسة و التسعون: دعاؤه صلّى اللّه عليه و سلّم بالبركة في سوقها. ----- ۱۴۱
السادسة و التسعون: ما سيأتي في سوقها من أن الجالب إليه كالمجاهد في سبيل الله. ----- ۱۴۱
السابعة و التسعون: أن المحتكر فيه كالملحد في كتاب الله. ----- ۱۴۱
الثامنة و التسعون: ما سيأتي في بئر غرس من أنه صلّى اللّه عليه و سلّم «رأى أنه أصبح على بئر من آبار الجنة، فأصبح على بئر غرس» -- ۱۴۱
التاسعة و التسعون: ما سبق في ثمارها من أن العجوة من الجنة؛ ----- ۱۴۱
الفصل الثامن في الأحاديث الواردة في تحريمها، و هي كثيرة ----- ۱۴۱
الفصل التاسع في بيان عير و ثور ----- ۱۴۲
اشارة ----- ۱۴۲
موقع جبل عير ----- ۱۴۲
موقع جبل ثور ----- ۱۴۳
الاختلاف في وجود جبل ثور بالمدينة ----- ۱۴۳
الفصل العاشر في أحاديث تقتضي زيادة الحرم على ذلك التحديد، و أنه مقدر ببريد ----- ۱۴۴
الفصل الحادي عشر في بيان ما في هذه الأحاديث من الألفاظ المتعلقة بالتحديد ----- ۱۴۶
اشارة ----- ۱۴۶
ذات الجيش ----- ۱۴۶
شريب ----- ۱۴۶
أشراف مخيض ----- ۱۴۶
أشراف المجتهر ----- ۱۴۷

الحفياء ----- ۱۴۷
ذو العشيرة ----- ۱۴۷
ثيب ----- ۱۴۷
وعيرة ----- ۱۴۷
ثنية المحدث ----- ۱۴۷
مضرب القبة ----- ۱۴۸
ثرير ----- ۱۴۸
غزوة ذى قرد ----- ۱۴۸
مقدار البريد و الفرسخ و الميل ----- ۱۴۹
الفصل الثانى عشر فى حكمة تخصيص هذا المقدار المعين بالتحريم ----- ۱۴۹
حكمة التخصيص ----- ۱۴۹
وجوه تذكر فى حكمة التحديد ----- ۱۴۹
الفصل الثالث عشر فى أحكام هذا الحرم الشريف، و فيه مسائل ----- ۱۵۰
الأولى: القول فى تحريم الصيد و قطع الشجر ----- ۱۵۰
الثانية: ما يستثنى مما يحرم ----- ۱۵۲
الثالثة: ما ذكروه فى الأخذ للدواء و نحوه ----- ۱۵۳
الرابعة: دية القتل الخطأ فى المدينة مغلظة ----- ۱۵۳
الخامسة: حكم لقطة حرم المدينة ----- ۱۵۴
السادسة: حكم المقاتلة فى حرم المدينة ----- ۱۵۴
السابعة: حكم الاستنجاء بحجارة الحرم ----- ۱۵۴
الثامنة: حكم نقل تراب الحرم المدنى ----- ۱۵۴
الفصل الرابع عشر فى ذكر بدء شأنها، و ما يؤول إليه أمرها ----- ۱۵۶
الفصل الخامس عشر فيما ذكر من وقوع ما أخبر به صلّى اللّه عليه و سلّم من خروج أهلها و تركها، و ذكر كائنة الحرة المقتضية لذلك ----- ۱۵۸
اشارة ----- ۱۵۸

وقعة الحرة ----- ۱۶۰
سبب نقمة يزيد بن معاوية على أهل المدينة ----- ۱۶۰
عدد القتلى فى وقعة الحرة ----- ۱۶۳
من قتل من الصحابة يوم الحرة ----- ۱۶۳
حرق مسلم بن عقبة و الخلاف فيه ----- ۱۶۴
مسير أبى حمزة إلى المدينة ----- ۱۶۶
الفصل السادس عشر فى ظهور نار الحجاز التى أنذر بها النبى صلّى اللّه عليه و سلّم ----- ۱۶۷
اشارة ----- ۱۶۷
الأحاديث الواردة فى هذه النار ----- ۱۶۷
بيان أن المدينة يمانية كما أنها حجازية ----- ۱۶۸
ابتداء الزلزلة التى حدثت بالمدينة ----- ۱۶۸
مدة النار ----- ۱۶۹
قوة النار ----- ۱۷۰
ضوء النار ----- ۱۷۰
هل رؤيت النار ببصرى ----- ۱۷۱
مبدأ ظهور النار ----- ۱۷۲
من فوائد هذه النار ----- ۱۷۲
النذر الحادثة فى عام النار و الذى يليه ----- ۱۷۳
بعض ما يناسب هذه النار ----- ۱۷۳
شأن خالد بن سنان العبسى ----- ۱۷۳
قف على كرامة لتميم الدارى ----- ۱۷۴
الباب الثالث فى أخبار سكانها فى سالف الزمان، و مقدمه صلّى اللّه عليه و سلّم إليها، ----- ۱۷۵
اشارة ----- ۱۷۵
الفصل الأول فى سكانها بعد الطوفان، و ما ذكر فى سبب نزول اليهود بها، و بيان منازلهم ----- ۱۷۵

نزول عبیل بیثرب ----- ۱۷۵
أول من سکن یثرب ----- ۱۷۵
سکنی العمالیق المدینة ----- ۱۷۵
قوم من الیهود ینزلون المدینة ----- ۱۷۶
داود النبی یغزو سکان المدینة ----- ۱۷۶
مهلک العمالیق بالحجاز ----- ۱۷۶
سبب نزول الیهود المدینة ----- ۱۷۷
بقایا الیهود بالمدینة ----- ۱۷۸
الفصل الثانی فی سبب سکنی الأنصار بها ----- ۱۸۰
قصة مأرب و سیل العرم غسان ----- ۱۸۰
غسان ----- ۱۸۱
أول خبر سیل العرم ----- ۱۸۱
عمرو بن عامر یصف البلاد لقومه ----- ۱۸۲
نزول خزاعة فی مکة ----- ۱۸۳
نزول ثعلبة بن عمرو فی المدینة ----- ۱۸۳
الفصل الثالث فی نسبهم ----- ۱۸۳
اشارة ----- ۱۸۳
نسب قحطان ----- ۱۸۴
أول من تکلم بالعربیة ----- ۱۸۵
أم الأنصار و نسبها ----- ۱۸۵
الفصل الرابع فی تمکنهم بالمدینة، و ظهورهم علی یهود، و ما اتفق لهم مع تبع ----- ۱۸۶
اشارة ----- ۱۸۶
إقامة الأوس و الخزرج مع الیهود ----- ۱۸۶
قصة الفطیون ملک الیهود الطاغیة ----- ۱۸۶

قصة زرقاء اليمامة ----- ۱۹۰
الفصل الخامس فی منازل قبائل الأنصار بعد إذلال اليهود، ----- ۱۹۲
الفصل السادس فيما كان بينهم من حرب بعاث ----- ۲۰۴
اشارة ----- ۲۰۴
الحروب قبل بعاث ----- ۲۰۴
سبب حرب بعاث ----- ۲۰۴
الفصل السابع فی مبدأ إكرام الله لهم بهذا النبی صلّی اللّه عليه و سلّم و ذكر العقبة الصغری ----- ۲۰۷
الفصل الثامن فی العقبة الكبری ----- ۲۱۰
اشارة ----- ۲۱۰
أول من بايع ----- ۲۱۲
عدة أهل البيعة ----- ۲۱۲
إسلام عمرو بن الجموح ----- ۲۱۳
الفصل التاسع فی هجرة النبی صلّی اللّه عليه و سلّم إليها ----- ۲۱۴
رؤيا النبی صلّی اللّه عليه و سلّم دار هجرته ----- ۲۱۴
إذن النبی صلّی اللّه عليه و سلّم لأصحابه فی الهجرة ----- ۲۱۴
قصة أم معبد ----- ۲۱۷
خروج أبی بريدة لاستقبال الرسول صلّی اللّه عليه و سلّم ----- ۲۱۸
الفصل العاشر فی دخوله صلّی اللّه عليه و سلّم أرض المدينة، و تأسيس مسجد قباء ----- ۲۱۸
اشارة ----- ۲۱۸
اختلاف العلماء فی تاريخ مقدمة المدينة ----- ۲۱۹
ابتداء التأريخ من الهجرة ----- ۲۲۰
متی بنی مسجد قباء ----- ۲۲۲
الفصل الحادی عشر فی قدومه صلّی اللّه عليه و سلّم باطن المدينة ----- ۲۲۳
اشارة ----- ۲۲۳

المؤاخاة بين الأنصار و المهاجرين ----- ۲۲۹
اليهود تحاول الإفساد بين الأوس و الخزرج ----- ۲۳۰
الفصل الثانى عشر فيما كان من أمره صلّى اللّه عليه و سلّم بها فى سنى الهجرة إلى أن توفاه الله عز و جل مختصرا ----- ۲۳۰
اشارة ----- ۲۳۱
السنة الأولى من الهجرة: ----- ۲۳۱
اشارة ----- ۲۳۱
أول راية عقدت فى الإسلام ----- ۲۳۱
زواج عائشة ----- ۲۳۲
زواج سودة بنت زمعة ----- ۲۳۲
إسلام عبد الله بن سلام ----- ۲۳۲
السنة الثانية من الهجرة ----- ۲۳۳
اشارة ----- ۲۳۳
التوجه إلى الكعبة ----- ۲۳۴
غزوة السويق ----- ۲۳۵
السنة الثالثة من الهجرة ----- ۲۳۵
اشارة ----- ۲۳۵
غزوة الكدر ----- ۲۳۶
غزوة أنمار ----- ۲۳۶
غزوة ذى أمر ----- ۲۳۶
سرية القردة ----- ۲۳۶
غزوة أحد ----- ۲۳۷
اشارة ----- ۲۳۷
الرسول يقتل أبى بن خلف ----- ۲۴۰
الحكم التى فى قصة أحد ----- ۲۴۳

أبو عزة الجمحی و مقتله ---- ۲۴۴
تحریم الخمر ---- ۲۴۴
السنة الرابعة من الهجرة ---- ۲۴۴
اشارة ---- ۲۴۴
غزوة الرجیع ---- ۲۴۵
غزوة بنی النضیر ---- ۲۴۵
زواج أم سلمة هند بنت أبی أمیة ---- ۲۴۶
غزوة ذات الرقاع ---- ۲۴۶
السنة الخامسة من الهجرة ---- ۲۴۶
اشارة ---- ۲۴۶
غزوة الخندق ---- ۲۴۷
إسلام نعیم بن مسعود الأشجعی ---- ۲۴۹
غزوة بنی قریظة ---- ۲۴۹
السنة السادسة من الهجرة ---- ۲۵۲
اشارة ---- ۲۵۲
قصة العرنیین ---- ۲۵۳
غزوة بنی المصطلق (المریسیع) ---- ۲۵۳
السنة السابعة من الهجرة ---- ۲۵۴
السنة الثامنة من الهجرة ---- ۲۵۵
السنة التاسعة من الهجرة ---- ۲۵۵
السنة العاشرة من الهجرة ---- ۲۵۵
الباب الرابع فیما یتعلق بأمور مسجدها الأعظم النبوی ---- ۲۵۸
اشارة ---- ۲۵۸
الفصل الأول فی أخذه صلّی اللّه علیه و سلّم لموضع مسجده الشریف، و کیفیة بنائه ---- ۲۵۸

اشارة ----- ۲۵۸
زیادة النبی فی مسجده ----- ۲۶۵
الفصل الثانی فی ذرعه و حدوده التی یتمیز بها عن سائر المسجد الیوم ----- ۲۶۶
اشارة ----- ۲۶۶
فأحد الأقوال: ----- ۲۷۳
و الثانی: ----- ۲۷۳
و الثالث: ----- ۲۷۳
و الرابع: ----- ۲۷۳
و الخامس: ----- ۲۷۳
الفصل الثالث فی مقامه الذی کان یقوم به صلّی اللّه علیه و سلّم فی الصلاة قبل تحویل القبلة، و بعد ما جاء فی تحویلها ----- ۲۷۶
اشارة ----- ۲۷۶
تاریخ تحویل القبلة ----- ۲۷۷
مدة الصلاة إلی بیت المقدس ----- ۲۷۷
أول صلاة إلی الکعبة ----- ۲۷۸
إلی أیّ جهة کانت الصلاة بمکة قبل الهجرة؟ ----- ۲۷۸
کیف حرّرت قبلة مسجد النبی صلّی اللّه علیه و سلّم؟ ----- ۲۷۹
محراب المسجد النبوی، و متی صنع؟ ----- ۲۸۱
هل مصلاه صلّی اللّه علیه و سلّم علی عین القبلة أو جهتها؟ ----- ۲۸۷
فهرس الجزء الأول ----- ۲۸۸
الجزء الثانی ----- ۲۸۹
اشارة ----- ۲۸۹
[تتمة الباب الرابع: فیما یتعلق بأمور مسجدها الأعظم النبوی] ----- ۲۸۹
الفصل الرابع: الروایات فی حنین الجذع ----- ۲۸۹
اشارة ----- ۲۹۰

صانع المنبر ----- ۲۹۱
موضع الجذع ----- ۲۹۲
شهرة حديث حنين الجذع ----- ۲۹۲
الموضع الذی دفن فيه الجذع ----- ۲۹۳
بدعة اصطنعها الناس بسبب الجذع ----- ۲۹۳
عود إلی الاختلاف فی صانع المنبر ----- ۲۹۳
أراد معاوية أن ينقل المنبر إلی الشام ----- ۲۹۵
رفع المنبر ست درجات ----- ۲۹۵
عدد درجات المنبر ----- ۲۹۶
مساحة المنبر ----- ۲۹۶
کسوة المنبر ----- ۳۰۲
ستور الأبواب کسوة الحجارة ----- ۳۰۲
الفصل الخامس فی فضائل المسجد الشريف ----- ۳۰۲
اشارة ----- ۳۰۲
المسجد الذی أسس علی التقوی ----- ۳۰۲
فضل مسجد رسول الله صلّی اللّه عليه و سلّم ----- ۳۰۳
هل فضل الصلاة فی المساجد الثلاثة يختص بالفرض؟ ----- ۳۰۶
مرجع مضاعفة فضل الصلاة ----- ۳۰۷
هل يختص التضعيف بالصلاة؟ ----- ۳۰۷
الفصل السادس فی فضل المنبر المنيف، و الروضة الشريفة ----- ۳۰۸
اشارة ----- ۳۰۸
معنی کون المنبر علی الحوض ----- ۳۱۰
معنی أن الروضة من رياض الجنة ----- ۳۱۰
الفصل السابع فی الأساطين المنيفة الأسطوان المخلق ----- ۳۱۵

اشارة ----- ۳۱۵
أسطوان القرعة ----- ۳۱۵
أسطوان التوبة ----- ۳۱۶
أسطوان السرير ----- ۳۱۹
أسطوان المحرس ----- ۳۱۹
أسطوان الوفود ----- ۳۲۰
أسطوان مربعة القبر ----- ۳۲۰
أسطوان التهجد ----- ۳۲۰
الفصل الثامن فی الصّفة و أهلها، و تعلیق الأقناء لهم بالمسجد ----- ۳۲۲
وصف الصفة و موضعها ----- ۳۲۲
أهل الصفة ----- ۳۲۲
مبدأ تعلیق الأقناء ----- ۳۲۴
الفصل التاسع فی الحجرة الشریفة، و بیان إحاطتها بالمسجد الشریف إلا من جهة المغرب ----- ۳۲۴
اشارة ----- ۳۲۴
المشربة ----- ۳۲۶
الفصل العاشر فی حجرة فاطمة بنت النبی صلّی اللّه علیه و سلّم و رضی الله عنها ----- ۳۲۸
الفصل الحادی عشر فی الأمر بسدّ الأبواب الشارعة فی المسجد الشریف ----- ۳۳۰
الفصل الثانی عشر فی زیادة عمر بن الخطاب رضی الله عنه فی المسجد ----- ۳۳۵
اشارة ----- ۳۳۵
بین عمر و العباس ----- ۳۳۶
الفصل الثالث عشر فی البطیحاء التی بناها عمر رضی اللّه عنه بناحیة المسجد، و منعه من إنشاد الشعر و رفع الصوت فیه، و ما جاء فی ذلک ۳۴۲
الفصل الرابع عشر فی زیادة عثمان بن عفان رضی اللّه عنه ----- ۳۴۴
الفصل الخامس عشر فی المقصورة التی اتخذها عثمان رضی اللّه عنه فی المسجد و ما کان من أمرها بعده ----- ۳۴۸
الفصل السادس عشر فی زیادة الولید بن عبد الملک علی ید عمر بن عبد العزیز ----- ۳۴۹

الفصل السابع عشر فيما اتخذه عمر فى المسجد فى زيادة الوليد من المحراب و الشّرفات و المنائر، و اتخاذ الحرس، و منعهم من الصلاة على الجنائز

أول من أحدث المحراب و الشرفات ----- ۳۵۵

عثمان أول من خلق المسجد و رزق المؤذنين ----- ۳۵۸

اتخاذ حرس للمسجد ----- ۳۵۸

الصلاة على الجنائز فى المساجد ----- ۳۵۸

الشيعة غير الأشراف ----- ۳۵۹

الفصل الثامن عشر فى زيادة المهدى ----- ۳۶۰

الفصل التاسع عشر فيما كانت عليه الحجرة الشريفة الحاوية للقبور المنيفة فى مبدأ الأمر ----- ۳۶۲

اشارة ----- ۳۶۲

أول من بنى جدارا على بيت عائشة ----- ۳۶۳

الفصل العشرون فيما حدث من عمارة الحجرة بعد ذلک، و الحائز الذى أدير عليها ----- ۳۶۴

الفصل الحادى و العشرون فيما روى من الاختلاف فى صفة القبور الشريفة، بالحجرة المنيفة ----- ۳۶۷

اشارة ----- ۳۶۷

رواية نافع فى وضع القبور ----- ۳۶۷

رواية القاسم بن محمد ----- ۳۶۸

رواية عثمان بن نسطاس ----- ۳۶۸

رواية المنكدر بن محمد ----- ۳۶۸

رواية عمرة عن عائشة ----- ۳۶۹

رواية أخرى عن القاسم بن محمد ----- ۳۶۹

رواية عبد اللّه بن محمد بن عقيل ----- ۳۶۹

بقى بعدها موضع قبر ----- ۳۷۰

الملائكة يحفون بالقبر ----- ۳۷۱

لا ينبغى رفع الصوت فى المسجد ----- ۳۷۲

سنة أهل المدينة فى أعوام الجدب ----- ۳۷۲

الفصل الثانی و العشرون فیما ذکروه من صفة الحجرة الشریفة، و الحائز المخمس الدائر علیها، و بیان ما شاهدناه مما یخالف ذلک ---------- ۳۷۲

الفصل الثالث و العشرون فی عمارة اتفقت بالحجرة الشریفة علی ما نقله الأقشهری عن ابن عاث، و ما وقع من الدخول إلیها عند الحاجة له و تأزیرها

الفصل الرابع و العشرون فی الصندوق الذی فی جهة الرأس الشریف، و المسماة الفضة المواجه للوجه الشریف، و مقام جبریل من الحجرة الشریفة، و

اشارة ---------- ۳۷۸

کسوة الحجرة النبویة ---------- ۳۸۱

الفصل الخامس و العشرون فی قنادیل الذهب و الفضة التی تعلق حول الحجرة الشریفة، و غیرها من معالیقها ---------- ۳۸۳

القنادیل ---------- ۳۸۳

حکم معالیق المسجد النبوی ---------- ۳۸۶

الفصل السادس و العشرون فی الحریق الأول القدیم المستولی علی تلک الزخارف المحدثة بالحجرة الشریفة و المسجد و سقفهما، و ما أعید من ذلک

سبب الحریق و تاریخه ---------- ۳۸۹

حکمة اللّه فی الحریق ---------- ۳۹۰

الشروع فی العمارة بعد الحریق ---------- ۳۹۱

الفصل السابع و العشرون فی اتخاذ القبة الزرقاء التی جعلت علی ما یحاذی سقف الحجرة الشریفة بأعلی سقف المسجد، تمییزا لها، و إبدالها بالقبة ا

القبة الزرقاء ---------- ۳۹۵

المقصورة الدائرة علی الحجرة ---------- ۳۹۶

الفصل الثامن و العشرون فیما تجدد من عمارة الحجرة الشریفة فی زماننا علی وجه لم یخطر قط بأذهاننا، و ما حصل بسببه من إزالة هدم الحریق ا

الفصل التاسع و العشرون فی الحریق الحادث فی زماننا بعد العمارة السابقة و ما ترتب علیه ---------- ۴۰۶

اشارة ---------- ۴۰۶

خاتمة فیما نقل من عمل نور الدین الشهید لخندق حول الحجرة الشریفة مملوء بالرصاص، و ذکر السبب فی ذلک، و ما ناسبه ---------- ۴۱۳

الفصل الثلاثون فی تحصیب المسجد الشریف و ذکر البزاق فیه، و تخلیقه، و إجماره، و ذکر شیء من أحکامه ---------- ۴۱۶

أول تحصیب المسجد النبوی ---------- ۴۱۶

حکم البزاق فی المسجد ---------- ۴۱۷

مبدأ تخلیق المسجد ---------- ۴۱۸

تخلیق القبر ---------- ۴۲۰

تجمیر المساجد ---- ۴۲۰
فرش المساجد ---- ۴۲۰
الحدث فی المسجد ---- ۴۲۲
القراءة فی المصحف بالمسجد ---- ۴۲۲
بعث المصاحف إلی المساجد ---- ۴۲۳
مصاحف عثمان التی أرسلها إلی الآفاق ---- ۴۲۴
تعلیق المصابیح فی المسجد وصف عام ---- ۴۲۴
الفصل الحادی و الثلاثون فیما احتوی علیه المسجد من الأروقة و الأساطین و البالوعات و السقایات و الدروع، و غیر ذلک مما یتعلق به من الرسوم
وصف عام ---- ۴۲۵
جدران المسجد ---- ۴۲۵
عدد أساطین المسجد ---- ۴۲۶
عدد بالوعات المسجد ---- ۴۲۸
سقایات المسجد ---- ۴۲۸
حواصل المسجد ---- ۴۲۹
قنادیل المسجد ---- ۴۳۰
فی صحن المسجد نخیل مغروسة ---- ۴۳۰
أئمة المسجد ---- ۴۳۱
عرض جدار المسجد ---- ۴۳۱
الفصل الثانی و الثلاثون فی أبواب المسجد و ما سد منها، و ما بقی، و ما یحاذیها من الدور قدیما و حدیثا ---- ۴۳۲
أبواب المسجد ---- ۴۳۲
باب النبی صلّی اللّه علیه و سلّم ---- ۴۳۳
باب علی ---- ۴۳۴
باب عثمان باب جبریل ---- ۴۳۴
باب ریطة (باب النساء) ---- ۴۳۵

باب سادس ---- ۴۳۶
باب سابع ---- ۴۳۶
باب ثامن ---- ۴۳۷
أبواب المسجد الشامیة ---- ۴۳۷
باب تاسع ---- ۴۳۷
باب عاشر ---- ۴۳۸
الباب الحادی عشر ---- ۴۳۸
الباب الثانی عشر ---- ۴۳۸
الباب الثالث عشر ---- ۴۳۸
الباب الرابع عشر ---- ۴۳۸
الباب الخامس عشر ---- ۴۳۸
الباب السادس عشر ---- ۴۳۹
باب عاتکة (باب السوق) (و باب الرحمة) ---- ۴۳۹
باب زیاد (باب القضاء) ---- ۴۴۰
خوخة تجاه خوخة أبی بکر ---- ۴۴۲
الفصل الثالث و الثلاثون فی خوخة آل عمر رضی اللّه تعالی عنه المتقدم ذکرها، و ما یتعین من سدّها فی زماننا ---- ۴۴۳
تحدید موضع خوخة آل عمر ---- ۴۴۳
اتخاذ بعض الناس بابا وسیلة للتدجیل ---- ۴۴۴
حج السلطان قایتبای ---- ۴۴۵
وقف السلطان قایتبای لأهل المدینة المنورة ---- ۴۴۷
من آثار قایتبای بالحرمین الشریفین ---- ۴۴۸
الفصل الرابع و الثلاثون فیما کان مطیفا بالمسجد الشریف من الدور، و ما کان من خبرها، و جلّ ذلک من منازل المهاجرین رضی اللّه تعالی عنهم ا
رسول اللّه یخط دور المدینة ---- ۴۴۹
دار آل عمر بن الخطاب ---- ۴۴۹

بیت لأبی بکر الصدیق صار لآل عمر ---- ۴۵۰
دار مروان بن الحکم ---- ۴۵۰
دار رباح و دار المقداد ---- ۴۵۱
دار مطیع بن الأسود ---- ۴۵۲
دار حکیم بن حزام ---- ۴۵۲
دار عبد اللّه بن مکمل ---- ۴۵۲
دار النحام ---- ۴۵۳
دار جعفر بن یحیی ---- ۴۵۳
دار نصیر ---- ۴۵۳
دار منیرة مولاة أم موسی ---- ۴۵۴
حش طلحة ---- ۴۵۴
أبیات خالصة ---- ۴۵۵
دار حمید بن عبد الرحمن بن عوف ---- ۴۵۵
دار موسی المخزومی ---- ۴۵۵
أبیات الصوافی ---- ۴۵۶
دار خالد بن الولید ---- ۴۵۶
دار أسماء بنت حسین ---- ۴۵۶
دار ریطة ---- ۴۵۷
دار عثمان بن عفان ---- ۴۵۷
دار أبی أیوب الأنصاری ---- ۴۵۷
دار جعفر الصادق ---- ۴۵۸
دار حسن بن زید ---- ۴۵۸
دار فرج الخصی ---- ۴۵۸
دار عامر بن الزبیر بن العوام ---- ۴۵۸

الفصل الخامس و الثلاثون فی البلاط، و بیان ما ظهر لنا مما کان حوله من منازل المهاجرین ---- ۴۵۹
تحدید مکان البلاط ---- ۴۵۹
حدود البلاط ---- ۴۵۹
بیان الدور المطیفة بالبلاط ---- ۴۶۲
الفصل السادس و الثلاثون فیما جاء فی سوق المدینة التی تصدق به النبی صلّی اللّه علیه و سلّم علی المسلمین، و ذکر دار هشام بن عبد الملک الت
الرسول ینشئ السوق ---- ۴۶۵
أسواق المدینة فی الجاهلیة ---- ۴۶۵
هدم الدار التی وضعت مکان السوق ---- ۴۶۸
بیت أم کلاب ---- ۴۶۸
البطحاء ---- ۴۶۹
بقیع الخیل ---- ۴۶۹
برکة السوق ---- ۴۷۰
الفصل السابع و الثلاثون فی منازل القبائل من المهاجرین، ثم اتخاذ السور علی المدینة ---- ۴۷۰
منازل بنی غفار ---- ۴۷۱
منازل بنی لیث بن بکر ---- ۴۷۱
منازل بنی ضمرة بن بکر ---- ۴۷۲
منازل بنی الدیل ---- ۴۷۲
منازل ابنی أفصی ---- ۴۷۲
منازل مزینة و من حل معها ---- ۴۷۳
منازل بنی جشم ---- ۴۷۴
منازل بنی کعب بن عمرو، و إخوتهم من بنی المصطلق ---- ۴۷۵
سعة المدینة فی عهد النبی ---- ۴۷۵
اتخاذ سور المدینة ---- ۴۷۵
سور آل زنکی ---- ۴۷۶

من مآثر الجواد الأصفهانی ---- ۴۷۶
أبواب السور ---- ۴۷۷
اشارة ---- ۴۷۷
فأحدها: [یعرف بدرب المصلی] ---- ۴۷۷
ثانیها: [یعرف بالدرب الصغیر] ---- ۴۷۸
ثالثها: [یعرف بالدرب الکبیر] ---- ۴۷۸
رابعها: [یعرف بدرب البقیع] ---- ۴۷۸
فهرس الجزء الثانی ---- ۴۷۸
الجزء الثالث ---- ۴۸۵
اشارة ---- ۴۸۵
الباب الخامس فی مصلّی النبی ص فی الأعیاد، و غیر ذلک من المساجد ---- ۴۸۵
اشارة ---- ۴۸۵
الفصل الأول فی المصلّی فی الأعیاد، و فیه أطراف ---- ۴۸۵
[الطرف] الأول: فی الأماکن التی صلّی فیها النبی ص العید. ---- ۴۸۵
أول عید صلاه النبی بالمصلی ---- ۴۸۵
مکان مصلی العید ---- ۴۸۵
تعدد موضع صلاة العید ---- ۴۸۶
بین مصلی العید و باب السلام ألف ذراع ---- ۴۸۶
تحدید المواضع التی صلی فیها العید ---- ۴۸۷
مصلی العید بالصحراء ---- ۴۸۸
الطرف الثانی: فیما جاء من أن النبی صلی اللّه علیه و سلم قام بالمصلی علی غیر منبر مستقبلا للناس. ---- ۴۸۹
کیف صلی الرسول العید؟ ---- ۴۸۹
من أحدث منبر المصلی العید ---- ۴۹۰
أول من خطب قبل صلاة العید ---- ۴۹۱

الطرف الثالث: ۴۹۱
[الطرف الرابع:] بیان طریقی ذهاب النبی للمصلی و رجوعه ۴۹۲
الفصل الثانی فی مسجد قباء، و فضله، و خبر مسجد الضّرار ۴۹۵
[مسجد قباء، و فضله] ۴۹۵
تأسیس مسجد قباء ۴۹۵
ما جاء فی أن الصلاة فیه تعدل عمرة ۴۹۶
تفضیل الصلاة فی مسجد قباء علی بیت المقدس ۴۹۷
إتیان الرسول صلی اللّه علیه و سلم مسجد قباء ۴۹۷
المکان الذی کان الرسول یصلی فیه بمسجد قباء ۴۹۹
تجدید مسجد قباء ۵۰۱
بیان ما ینبغی أن یزار بقباء من الآثار تتمیما للفائدة دار سعد بن خیثمة ۵۰۲
دار کلثوم بن الهدم ۵۰۲
بئر أریس ۵۰۳
ما جاء فی بیان طریقه صلی اللّه علیه و سلم إلی قباء ذاهبا و راجعا طریق النبی صلی اللّه علیه و سلم إلی قباء ذاهبا و راجعا ۵۰۳
ذرع الطریق ۵۰۳
[مسجد الضّرار] ۵۰۳
ما جاء فی مسجد الضّرار مما ینوّه بقدر مسجد قباء بناة مسجد الضرار ۵۰۳
حرق مسجد الضرار ۵۰۴
أسماء بناة مسجد الضرار ۵۰۵
الخلاف فی موضع مسجد الضرار ۵۰۶
الفصل الثالث فی بقیة المساجد المعلومة العین فی زماننا بالمدینة الشریفة و ما حولها ۵۰۶
اشارة ۵۰۶
مسجد الفضیخ ۵۰۷
مسجد بنی قریظة ۵۰۸

مشربة أم إبراهيم ----- ۵۰۹
مسجد بنى ظفر ----- ۵۱۰
مسجد الإجابة ----- ۵۱۱
مسجد الفتح ----- ۵۱۲
المساجد التى حول مسجد الفتح ----- ۵۱۵
مسجد بنى حرام الكبير ----- ۵۱۶
كهف بنى حرام ----- ۵۱۶
مسجد القبلتين ----- ۵۱۷
مسجد السقيا ----- ۵۱۸
مسجد ذباب (الراية) ----- ۵۱۹
مسجد القبيح ----- ۵۲۰
مسجد فى ركن جبل عينين ----- ۵۲۱
مسجد العسكر ----- ۵۲۱
مسجد أبى ذر الغفارى ----- ۵۲۲
مسجد أبىّ بن كعب (بنى جديلة) (البقيع) ----- ۵۲۳
مساجد المصلى ----- ۵۲۴
مسجد ذى الحليفة ----- ۵۲۴
مسجد مقمل ----- ۵۲۴
الفصل الرابع فى المساجد التى علمت جهتها، و لم تعلم عينها بالمدينة الشريفة ----- ۵۲۴
مسجد أبىّ بن كعب ----- ۵۲۴
مسجد بنى حرام ----- ۵۲۴
مسجد الخربة ----- ۵۲۵
مسجد جهينة ----- ۵۲۵
مسجد بنى غفار ----- ۵۲۶

مسجد بنی زریق ----- ۵۲۶
مسجدان لبنی ساعدة ----- ۵۲۷
سقیفة بنی ساعدة ----- ۵۲۷
مسجد بنی خدارة ----- ۵۲۸
مسجد راتج ----- ۵۲۸
مسجد واقم ----- ۵۲۹
مسجد القرصة ----- ۵۳۰
مسجد بنی حارثة ----- ۵۳۰
مسجد الشیخین (البدائع) ----- ۵۳۰
مسجد بنی دینار ----- ۵۳۱
مسجد بنی عدی، و مسجد دار النابغة ----- ۵۳۲
مسجد بنی مازن ----- ۵۳۲
مسجد بنی عمرو ----- ۵۳۲
مسجد بقیع الزبیر ----- ۵۳۳
مسجد صدقة الزبیر ----- ۵۳۳
مسجد بنی خدرة ----- ۵۳۳
مسجد بنی الحارث ----- ۵۳۴
مسجد بنی الحبلی ----- ۵۳۴
مسجد بنی بیاضة ----- ۵۳۴
مسجد بنی خطمة ----- ۵۳۵
مسجد بنی أمیة الأوسی ----- ۵۳۵
مسجد بنی وائل الأوسی ----- ۵۳۶
مسجد بنی واقف ----- ۵۳۶
مسجد بنی أنیف ----- ۵۳۷

مسجد دار سعد بن خیثمة ----- ۵۳۷
مسجد التوبة ----- ۵۳۷
مسجد النور ----- ۵۳۸
مسجد عتبان بن مالک ----- ۵۳۸
مسجد میثب (صدقة النبی صلی اللّه علیه و سلم) ----- ۵۳۸
مسجد المنارتین ----- ۵۳۹
مسجد فیفاء الخبار ----- ۵۳۹
مسجد بین الجثجاثة و بئر شداد ----- ۵۳۹
الدور التی صلی بها الرسول صلی اللّه علیه و سلم ----- ۵۴۰
اشارة ----- ۵۴۰
دار الشفاء ----- ۵۴۰
دار الضمری ----- ۵۴۰
دار بسرة ----- ۵۴۰
دار أم سلیم ----- ۵۴۱
دار أم حرام ----- ۵۴۱
الفصل الخامس: خروج النبی ص لیلا إلی البقیع ----- ۵۴۱
اشارة ----- ۵۴۱
من فضل البقیع ----- ۵۴۳
الفصل السادس فی تعیین قبور بعض من دفن بالبقیع من الصحابة و أهل البیت، و المشاهد المعروفة بالمدینة. ----- ۵۴۵
قبر إبراهیم ابن رسول الله صلی اللّه علیه و سلم ----- ۵۴۶
قبر عثمان بن مظعون ----- ۵۴۷
قبر رقیة بنت رسول الله صلی اللّه علیه و سلم ----- ۵۴۷
قبر فاطمة بنت أسد رضی الله تعالی عنها أم علی بن أبی طالب رضی الله تعالی عنه ----- ۵۴۸
القبور التی نزلها الرسول صلی اللّه علیه و سلم ----- ۵۴۹

قبر عبد الرحمن بن عوف ----- ۵۵۰
قبر سعد بن أبی وقّاص ----- ۵۵۰
قبر عبد الله بن مسعود ----- ۵۵۰
قبر خنیس بن حذاقة السهمی ----- ۵۵۰
قبر أسعد بن زرارة أحد بنی غنم بن مالک بن النجار ----- ۵۵۱
قبر فاطمة بنت الرسول صلی اللّه علیه و سلم ----- ۵۵۱
قبر بعض أبناء الإمام علی بن أبی طالب ----- ۵۵۳
المتوکل یأمر بهدم قبر الحسین بن علی ----- ۵۵۳
قبر ابنها الحسن بن علی، و من معه ----- ۵۵۴
تسمیة من دفن مع الحسن ----- ۵۵۵
دفن علی بالبقیع ----- ۵۵۵
دفن رأس الحسین بن علی ----- ۵۵۵
قبر العباس بن عبد المطلب رضی الله تعالی عنه ----- ۵۵۵
قبر صفیة بنت عبد المطلب رضی الله تعالی عنها ----- ۵۵۶
قبر أبی سفیان بن عبد المطلب ----- ۵۵۶
قبر عبد اللّه بن جعفر الطیار ----- ۵۵۶
قبور أزواج النبی صلی اللّه علیه و سلم، و رضی الله تعالی عنهن ----- ۵۵۷
قبر أمیر المؤمنین عثمان بن عفان رضی الله تعالی عنه ----- ۵۵۷
قبر سعد بن معاذ الأشهلی رضی الله تعالی عنه ----- ۵۵۸
قبر أبی سعید الخدری رضی الله تعالی عنه ----- ۵۵۸
بیان المشاهد المعروفة الیوم بالبقیع و غیره من المدینة الشریفة ----- ۵۵۹
اشارة ----- ۵۵۹
مشهد مالک بن أنس الأصبحی ----- ۵۶۱
مشهد إسماعیل بن جعفر الصادق ----- ۵۶۱

مشهد حمزة ----- ۵۶۲
مشهد مالک بن سنان الخدری ----- ۵۶۳
مشهد النفس الزکیة ----- ۵۶۳
الفصل السابع فی فضل أحد و الشّهداء به ----- ۵۶۳
الأحادیث الواردة فی فضل أحد ----- ۵۶۳
موقع أحد من المدینة المنورة ----- ۵۶۵
وجه تسمیة أحد و حبه ----- ۵۶۵
زعموا أن هارون مدفون بأحد ----- ۵۶۶
مزاعم فی مواضع من جبل أحد ----- ۵۶۶
شهادة الرسول صلی اللّه علیه و سلم لشهداء أحد ----- ۵۶۷
زیارة النبی صلی اللّه علیه و سلم و خلفائه قبور الشهداء علی رأس کل حول ----- ۵۶۷
تسمیة شهداء أحد ----- ۵۶۸
سید الشهداء حمزة بن عبد المطلب و مصرعه ----- ۵۶۹
عمرو بن الجموح و عبد اللّه بن عمرو بن حرام ----- ۵۷۰
من دفن بالمدینة من قتلی أحد ----- ۵۷۲
الباب السادس فی آبارها المبارکات، و العین، و الغراس، و الصّدقات ----- ۵۷۲
اشارة ----- ۵۷۲
الفصل الأول فی آبارها المبارکات ----- ۵۷۲
اشارة ----- ۵۷۳
من فضل بئر أریس ----- ۵۷۵
ذرع بئر أریس ----- ۵۷۶
بئر الأعواف، أحد صدقات النبی صلی اللّه علیه و سلم الآتیة ----- ۵۷۶
ضبط بیرحاء ----- ۵۸۳
تتمة فی العین المنسوبة للنبی ص ----- ۵۹۲

اشارة ----- ۵۹۲
عین کهف بنی حرام ----- ۵۹۳
الفصل الثانی فی صدقاته صلی اللّه علیه و سلم، و ما غرسه بیده الشریفة ----- ۵۹۵
أصل صدقات الرسول صلی اللّه علیه و سلم ----- ۵۹۵
أسماء صدقات الرسول صلی اللّه علیه و سلم و مواضعها ----- ۵۹۵
وقف الرسول صلی اللّه علیه و سلم أمواله ----- ۵۹۶
تحدید مواضع الصدقات و المعروف منها ----- ۵۹۷
طلب فاطمة من أبی بکر صدقات أبیها ----- ۵۹۸
الفصل الثالث فیما ینسب إلیه ص من المساجد التی بین مکة و المدینة، ----- ۶۰۱
اشارة ----- ۶۰۱
مسجد الشجرة (ذی الحلیفة) ----- ۶۰۱
مسجد آخر بذی الحلیفة ----- ۶۰۳
مسجد المعرس ----- ۶۰۳
مسجد شرف الروحاء ----- ۶۰۴
مسجد عرق الظبیة ----- ۶۰۵
مسجد آخر بالروحاء ----- ۶۰۶
مسجد المنصرف (الغزالة) ----- ۶۰۶
مسجد الرویثة ----- ۶۰۷
مسجد ثنیة رکوبة ----- ۶۰۷
مسجد الأثایة ----- ۶۰۷
مسجد العرج ----- ۶۰۸
مسجد المنبجس ----- ۶۰۸
مسجد لحی جمل ----- ۶۰۸
مسجد السقیا ----- ۶۰۹

مسجد مدلجة تعهن ----- ۶۰۹
مسجد الرمادة ----- ۶۰۹
مسجد الأبواء ----- ۶۱۰
مسجد البيضة ----- ۶۱۰
مسجد عقبة هرشى ----- ۶۱۰
مسجد الجحفة ----- ۶۱۰
مسجد غدير خم ----- ۶۱۰
مسجد طرف قديد ----- ۶۱۱
مسجد عند حرة خليص ----- ۶۱۱
مسجد خليص ----- ۶۱۱
مسجد بطن مر الظهران ----- ۶۱۱
مسجد سرف ----- ۶۱۲
مسجد التنعيم ----- ۶۱۲
عمرات الرسول صلى اللّه عليه و سلم ----- ۶۱۳
مسجد ذى طوى ----- ۶۱۳
الفصل الرابع فى بقية المساجد التى بين مكة و المدينة ----- ۶۱۳
اشارة ----- ۶۱۳
دبّة المستعجلة ----- ۶۱۳
شعب سير ----- ۶۱۴
ذكر عدة مساجد ----- ۶۱۴
مسجد ذفران ----- ۶۱۴
مسجد الصفراء ----- ۶۱۵
مسجد ثنية مبرک ----- ۶۱۵
مسجد بدر ----- ۶۱۵

مسجد العشیرة ----- ۶۱۵
مساجد الفرع ----- ۶۱۶
مسجد الضیقة ----- ۶۱۶
مسجد مقمل ----- ۶۱۶
الفصل الخامس فی بقیة المساجد و المواضع المتعلقة به ص ----- ۶۱۶
مسجد العصر ----- ۶۱۶
مسجد الصهباء ----- ۶۱۷
مسجدان قرب خیبر ----- ۶۱۷
مسجد بین الشق و نطاة ----- ۶۱۷
مسجد شمران ----- ۶۱۷
مساجد تبوک ----- ۶۱۷
مسجد الکدید ----- ۶۱۹
مسجد الشجرة بالحدیبیة ----- ۶۱۹
مسجد ذات عرق ----- ۶۱۹
مسجد الجعرانة ----- ۶۲۰
مسجد لیة ----- ۶۲۰
مسجد الطائف ----- ۶۲۰
الباب السابع فی أودیتها، و أحمائها، و بقاعها، و جبالها، و أعمالها، و مضافاتها، ----- ۶۲۲
اشارة ----- ۶۲۲
الفصل الأول فی فضل وادی العقیق، و عرصته، و حدوده ----- ۶۲۲
اشارة ----- ۶۲۲
حد العقیق ----- ۶۲۳
الفصل الثانی فی أقطاعه، و ابتناء القصور به، و طریف أخبارها ----- ۶۲۴
رسول الله ص یقطع بلالا العقیق ----- ۶۲۴

خبر قصر عروة، و بئره ---- ۶۲۵
قصر المغیرة ---- ۶۲۹
قصر عنبسة بن عثمان بن عفان ---- ۶۲۹
قصر عنبسة بن سعید بن العاص ---- ۶۲۹
قصر أبی بکر الزبیری المعروف بالمستقر ---- ۶۳۰
قصر عبد الله بن أبی بکر العثمانی ---- ۶۳۱
جملة من القصور و الآبار ---- ۶۳۱
الفصل الثالث فی العرصة و قصورها، و شیء مما قیل فیها و فی العقیق من الشعر ---- ۶۳۱
الفصل الرابع فی جماواته، و أرض الشجرة، و ثنیة الشرید و غیرها من جهاته ---- ۶۳۶
اشارة ---- ۶۳۷
جماء أم خالد ---- ۶۳۷
جماء العاقر (العاقل) ---- ۶۳۷
ثنیة الشرید ---- ۶۳۸
خاتمة فی سرد ما یدفع فی العقیق من الأودیة، و ما به من الغدران ---- ۶۳۹
الفصل الخامس فی بقیة أودیة المدینة، و صدورها، و مجتمعها، و مغایضها ---- ۶۴۱
وادی بطحاء ---- ۶۴۱
وادی رانونا ---- ۶۴۱
وادی قناة ---- ۶۴۲
وادی مذینب ---- ۶۴۳
وادی مهزور ---- ۶۴۳
تتمة فیما قضی به النبی صلی اللّه علیه و سلم فی هذه الأودیة ---- ۶۴۵
قضاؤه بین رجل من الأنصار و الزبیر ---- ۶۴۵
خاتمة فی مجتمع الأودیة و مغائضها ---- ۶۴۶
مجتمع سیول العالیة ---- ۶۴۶

اشارة ----- ۶۴۶
[الأمر] الأول: ----- ۶۴۶
الثانی: ----- ۶۴۷
الثالث: ----- ۶۴۷
الرابع: ----- ۶۴۷
الخامس: ----- ۶۴۷
الفصل السادس فیما سمی من الأحماء، و من حماها، و شرح حال حمی النبی ص ----- ۶۴۷
معنی الحمی ----- ۶۴۷
حمی النقیع ----- ۶۴۷
حکم الحمی ----- ۶۴۹
حمی أبی بکر و عمر ----- ۶۵۰
الفصل السابع فی شرح حال بقیة الأحماء، و أخبارها ----- ۶۵۱
حمی الشرف ----- ۶۵۱
حمی الربذة ----- ۶۵۲
حمی ضریة ----- ۶۵۲
حمی فید ----- ۶۵۷
کبد منی ----- ۶۵۸
فهرس الجزء الثالث ----- ۶۵۹
الجزء الرابع ----- ۶۶۷
اشارة ----- ۶۶۷
[تتمة الباب السابع فی أودیة المدینة و أحمائها و بقاعها] ----- ۶۶۸
الفصل الثامن فی بقاع المدینة، و أعراضها، و أعمالها ----- ۶۶۸
اشارة ----- ۶۶۸
حرف الألف ----- ۶۶۸

آرام: ۶۶۸
آرة: ۶۶۸
آنقة: ۶۶۹
أبار، و أبير: ۶۶۹
أبرق خترب: ۶۶۹
أبرق الداث: ۶۶۹
أبرق العزّاف: ۶۶۹
أبلى: ۶۷۰
الأبواء: ۶۷۰
الأتمة: ۶۷۰
أثال: ۶۷۰
الأثاية: ۶۷۱
الأثبة: ۶۷۱
الأثيفية: ۶۷۱
الأثيل: ۶۷۱
و الأثيل: ۶۷۲
ذات أجدال: ۶۷۲
الأجرد: ۶۷۲
أجش: ۶۷۲
الأجفر: ۶۷۲
أجم بنى ساعدة ۶۷۲
أحامر: ۶۷۲
أحباب: ۶۷۳
أحجار الزيت: ۶۷۳

أحجار المراء: ۶۷۳
أحد: ۶۷۴
الأحياء: ۶۷۴
الأخارج: ۶۷۴
أخزم: ۶۷۴
الأخضر: ۶۷۴
أديئ ۶۷۴
أذاخر: ۶۷۴
أذبل: ۶۷۴
أرابن: ۶۷۵
أراک: ۶۷۵
أرثد: ۶۷۵
أرجام: ۶۷۵
الأرحضيئ: ۶۷۵
أرض جابر: ۶۷۶
أروى: ۶۷۶
أروم: ۶۷۶
أريكئ: ۶۷۶
أسقف: ۶۷۶
الأسواف: ۶۷۶
أشاقر: ۶۷۷
الأشعر: ۶۷۷
الأشنف: ۶۷۷
الأشيق: ۶۷۷

أضاءة بنى غفار: ۶۷۸
أضاخ: ۶۷۸
أضافر: ۶۷۸
إضم: ۶۷۸
إضم: ۶۷۸
الأطول: ۶۷۹
أعشار: ۶۷۹
أعظم: ۶۷۹
أعماد: ۶۷۹
الأعواف: ۶۷۹
الأعوص: ۶۷۹
الأغلب: ۶۸۰
أفاعية: ۶۸۰
الأفراق: ۶۸۰
الأفلس: ۶۸۰
الأقعس: ۶۸۰
الأكحل: ۶۸۰
ألاب: ۶۸۰
ألبن: ۶۸۱
ألهان: ۶۸۱
أم العيال: ۶۸۱
أمج: ۶۸۱
ذو أمر: ۶۸۲
إمّرة: ۶۸۲

إنسان: ---- ۶۸۲
الأنعام: ---- ۶۸۲
إهاب: ---- ۶۸۳
ذو أوان: ---- ۶۸۳
الأوساط: ---- ۶۸۳
أيد: ---- ۶۸۳
حرف الباء ---- ۶۸۳
بئر أرمى: ---- ۶۸۴
بئر ألية: ---- ۶۸۴
بئر جشم: ---- ۶۸۴
بئر الحرة: ---- ۶۸۴
بئر خارجة: ---- ۶۸۴
بئر خريف: ---- ۶۸۵
بئر الخصى: ---- ۶۸۵
بئر خطمة: ---- ۶۸۵
بئر الدّريک: ---- ۶۸۵
بئر ذروان: ---- ۶۸۵
بئر رئاب: ---- ۶۸۷
بئر ركانة: ---- ۶۸۷
بئر زمزم: ---- ۶۸۷
بئر زياد: ---- ۶۸۷
بئر السائب: ---- ۶۸۷
بئر سميحة: ---- ۶۸۷
بئر شداد: ---- ۶۸۷

بئر عائشة: ۶۸۸
بئر عذق: ۶۸۸
بئر عروة بن الزبير: ۶۸۸
بئر ذات العلم: ۶۸۸
بئر غامر: ۶۸۸
بئر غدق: ۶۸۸
بئر فاطمة: ۶۸۸
بئر فجّار: ۶۸۹
بئر مدرى: ۶۸۹
بئر مرق: ۶۸۹
بئر مطلب: ۶۹۰
بئر معرونة: ۶۹۰
بئر الملک: ۶۹۱
بئر الهجيم: ۶۹۱
البتراء: ۶۹۱
البجرات: ۶۹۱
بجدان: ۶۹۲
بحران: ۶۹۲
بدا: ۶۹۲
البدائع: ۶۹۲
بدر: ۶۹۲
براق: ۶۹۳
براق حورة: ۶۹۳
براق خبت: ۶۹۳

برام: ۶۹۳
برثان: ۶۹۳
برج: ۶۹۴
البرریان: ۶۹۴
برق: ۶۹۴
برقة: ۶۹۴
برک: ۶۹۴
البرکة: ۶۹۴
برمة: ۶۹۴
البرود: ۶۹۴
بزرة: ۶۹۵
البزواء: ۶۹۵
بصة: ۶۹۵
البضیع: ۶۹۵
البطحاء: ۶۹۵
بطحان: ۶۹۵
بطن إضم: ۶۹۶
بطن ذی صلب: ۶۹۶
بطن نخل: ۶۹۶
البطیحان: ۶۹۶
بعاث: ۶۹۷
و میثب: ۶۹۷
بعبع: ۶۹۷
بغیبغة: ۶۹۷

البقال: ۶۹۸
بقعاء: ۶۹۸
بقع: ۶۹۹
بقیع بطحان: ۶۹۹
بقیع الخبجبة: ۶۹۹
بقیع الخیل: ۶۹۹
بقیع الزبیر: ۷۰۰
بقیع الغرقد: ۷۰۰
البکرات: ۷۰۰
البلاط: ۷۰۱
بلاکث: ۷۰۱
بلحان: ۷۰۱
بلدود: ۷۰۱
البلدة و البلیدة: ۷۰۱
بواطان: ۷۰۲
البویرمة: ۷۰۲
بویرة: ۷۰۲
البیداء: ۷۰۳
بیسان: ۷۰۳
حرف التاء ۷۰۴
تاراء: ۷۰۴
تبوک: ۷۰۴
تختم: ۷۰۴
تربان: ۷۰۵

ترعة: ۷۰۵
ترن: ۷۰۵
تریم: ۷۰۵
تسریر: ۷۰۵
تضارع: ۷۰۵
تعار: ۷۰۶
التعانیق: ۷۰۶
تعهن: ۷۰۶
تمنی: ۷۰۷
تناضب: ۷۰۷
تهمل: ۷۰۷
تیدد: ۷۰۷
تیس: ۷۰۷
تیم: ۷۰۸
تیماء: ۷۰۸
حرف الثاء ۷۰۸
الثاجة: ۷۰۸
ثافل: ۷۰۸
ثبار: ۷۰۸
ثجل: ۷۰۸
ثرا: ۷۰۸
ثریا: ۷۰۹
ثعال: ۷۰۹
ثغرة: ۷۰۹

الثمام: ۷۰۹
ثمغ: ۷۰۹
ثنیة البول: ۷۱۰
ثنیة الحوض: ۷۱۰
ثنیة الشرید: ۷۱۰
ثنیة العائر: ۷۱۰
ثنیة عثعث: ۷۱۰
ثنیة مدران: ۷۱۱
ثنیة المرّة: ۷۱۱
و أما ثنیة المرار: ۷۱۱
ثنیة الوداع: ۷۱۱
ثور: ۷۱۳
ثیب: ۷۱۴
حرف الجیم ۷۱۴
الجار: ۷۱۴
جاعس: ۷۱۴
جبار: ۷۱۴
الجبّانة: ۷۱۴
جبل بنی عبید: ۷۱۴
جبل جهینة: ۷۱۵
الجبوب: ۷۱۵
الجثا: ۷۱۵
الجثجاثة: ۷۱۵
جحاف: ۷۱۵

الجحفة: ۷۱۵
الجداجد: ۷۱۵
جد الأثافي: ۷۱۶
جد الموالي: ۷۱۶
ذو الجدر: ۷۱۶
جذمان: ۷۱۶
الجراديح: ۷۱۶
الجرف: ۷۱۶
جرّ هشام: ۷۱۷
الجزل: ۷۱۷
جزيرة العرب: ۷۱۷
جسر بطحان: ۷۱۷
جفاف: ۷۱۸
الجفر: ۷۱۸
الجلسي: ۷۱۸
جلية: ۷۱۸
جماوات: ۷۱۸
جمدان: ۷۱۸
الجموح: ۷۱۹
الجمة: ۷۱۹
الجناب: ۷۱۹
جنفاء: ۷۲۰
الجنينة: ۷۲۰
الجواء: ۷۲۰

الجوانية: ۷۲۰
الجبار: ۷۲۰
ذات الجيش: ۷۲۱
ذو الجيفة: ۷۲۱
الجى: ۷۲۱
حرف الحاء ۷۲۱
حاجر: ۷۲۱
حاطب: ۷۲۱
حائط بنى المداش: ۷۲۲
حبرة: ۷۲۲
حبس: ۷۲۲
الحبيش: ۷۲۲
الحت: ۷۲۲
حثاث: ۷۲۲
الحجاز: ۷۲۲
حجر: ۷۲۴
حديلة: ۷۲۴
حراض: ۷۲۴
حربى: ۷۲۴
حرض: ۷۲۴
حرة أشجع: ۷۲۵
حرة حقل: ۷۲۵
حرة الحوض: ۷۲۵
حرة راجل: ۷۲۵

حرة الرّجلی: ۷۲۵
حرة رماح: ۷۲۶
حرة زهرة: ۷۲۶
حرة بنی سلیم: ۷۲۶
حرة شوران: ۷۲۶
حرة عباد: ۷۲۶
حرة بنی العضیدة: ۷۲۶
حرة قباء: ۷۲۶
حرة لیلی: ۷۲۷
حرة معصم: ۷۲۷
حرة میطان: ۷۲۷
حرة النار: ۷۲۷
حرة واقم: ۷۲۸
حرة بنی بیاضة: ۷۲۸
حرة الوبرة: ۷۲۸
حزرة: ۷۲۹
حزم بنی عوال: ۷۲۹
حزن: ۷۲۹
حسنی: ۷۲۹
حسیکة: ۷۲۹
الحشا: ۷۳۰
حشان: ۷۳۰
حش طلحة: ۷۳۰
حصن: ۷۳۰

حضوة: ۷۳۰
حضیر: ۷۳۱
حفیاء: ۷۳۱
حفیر: ۷۳۱
حقل: ۷۳۱
الحلاءة: ۷۳۱
حلائی صعب: ۷۳۲
الحلائق: ۷۳۲
حلّیت: ۷۳۲
الحلیف: ۷۳۲
الحلیفة: ۷۳۲
الحماتان: ۷۳۳
حمام: ۷۳۳
ذات الحمّاط: ۷۳۴
حمت: ۷۳۴
حمراء الأسد: ۷۳۴
الحمیراء: ۷۳۴
الحمی: ۷۳۴
الحمیة: ۷۳۵
الحنان: ۷۳۵
حنذ: ۷۳۵
حورتان: ۷۳۵
حوضی: ۷۳۶
حوض عمرو: ۷۳۶

حوض مروان: ۷۳۶
حوض ابن هاشم: ۷۳۶
حیفاء: ۷۳۶
حرف الخاء ۷۳۶
خاخ: ۷۳۶
خاص: ۷۳۷
خبء: ۷۳۷
الخبار: ۷۳۷
خبان: ۷۳۸
خبراء العذق: ۷۳۸
خبراء صائف: ۷۳۸
خبزة: ۷۳۸
الخرّار: ۷۳۸
خربی: ۷۳۸
الخرماء: ۷۳۸
خریق: ۷۳۹
خریم: ۷۳۹
الخزیمیة: ۷۳۹
خشاش: ۷۳۹
خشب: ۷۳۹
خشین: ۷۳۹
الخصی: ۷۴۰
خضرة: ۷۴۰
الخطمی: ۷۴۰

خفینن: ۷۴۰
خفیّة: ۷۴۰
الخلائق: ۷۴۰
خلائق: ۷۴۱
خلائل: ۷۴۱
خلص: ۷۴۱
خل: ۷۴۱
خلیقة ۷۴۲
خم ۷۴۲
الخندق: ۷۴۲
خویفة: ۷۴۴
خیبر: ۷۴۵
خیط: ۷۴۵
الخیل: ۷۴۶
حرف الدال ۷۴۶
دار القضاء: ۷۴۶
دار ابن مکمل: ۷۴۶
دار النابغة: ۷۴۶
دار نخلة: ۷۴۶
الدبة: ۷۴۶
در: ۷۴۶
درک: ۷۴۷
دعان: ۷۴۷
الدف: ۷۴۷

الدماخ: ۷۴۷
دهماء مرضوض: ۷۴۷
الدهناء: ۷۴۷
الدوداء: ۷۴۷
دوران: ۷۴۸
الدومة: ۷۴۸
دومة الجندل: ۷۴۸
الدويخل: ۷۴۹
حرف الذال ۷۴۹
ذات أجدال: ۷۴۹
ذات القطب: ۷۴۹
ذات النّصب: ۷۴۹
ذباب: ۷۴۹
ذرع: ۷۴۹
ذروان: ۷۴۹
ذفران: ۷۵۰
ذو حده: ۷۵۰
ذهبان: ۷۵۰
حرف الراء ۷۵۰
رائع: ۷۵۰
رابغ: ۷۵۰
راتج: ۷۵۱
راذان: ۷۵۱
رامة: ۷۵۱

رانوناء: ۷۵۱
رایة الأعمی: ۷۵۱
رایة الغراب: ۷۵۱
رباب: ۷۵۲
الربا: ۷۵۲
الربذة: ۷۵۲
الربیع: ۷۵۲
الرجام: ۷۵۲
الرجلاء: ۷۵۲
الرجیع: ۷۵۲
الرحابة: ۷۵۳
الرحبة: ۷۵۳
رححان: ۷۵۳
الرحضیة: ۷۵۳
رحقان: ۷۵۳
الردیهة: ۷۵۳
رحیب: ۷۵۳
رحیة: ۷۵۴
الرس: ۷۵۴
رشاد: ۷۵۴
ذات الرّضم: ۷۵۴
الرضمة: ۷۵۴
رضوی: ۷۵۴
الرّعل: ۷۵۵

ذات الرقاع: ----- ۷۵۵
الرقعة: ----- ۷۵۵
الرقمتان: ----- ۷۵۵
رقم: ----- ۷۵۶
الرقيبة: ----- ۷۵۶
الركابية: ----- ۷۵۶
رکنان: ----- ۷۵۶
رکوبة: ----- ۷۵۶
الرمة: ----- ۷۵۷
رواوة: ----- ۷۵۷
الروحاء: ----- ۷۵۷
روضة الأجاول: ----- ۷۵۸
روضة الأجداد: ----- ۷۵۸
روضة ألجام: ----- ۷۵۸
روضة خاخ: ----- ۷۵۸
روضة الخرج: ----- ۷۵۹
روضة الخرجين: ----- ۷۵۹
روضة الخزرج: ----- ۷۵۹
روضة الحماط: ----- ۷۵۹
روضة ذی الغصن: ----- ۷۵۹
روضة الصهبا: ----- ۷۵۹
روضة عرينة: ----- ۷۵۹
روضة العقيق: ----- ۷۶۰
روضة الفلاج: ----- ۷۶۰

روضة مرخ: ۷۶۰
روض نسر: ۷۶۰
ذو رولان: ۷۶۰
الرويثة: ۷۶۰
رهاط: ۷۶۰
الرّيّان: ۷۶۱
ريدان: ۷۶۱
ريم: ۷۶۱
ريمة: ۷۶۲
ذو ريش: ۷۶۲
حرف الزاى ۷۶۲
زبالة الزج: ۷۶۲
الزج: ۷۶۲
الزراب: ۷۶۲
زرود: ۷۶۲
زريق: ۷۶۳
زغابة: ۷۶۳
زمزم: ۷۶۳
زور: ۷۶۳
الزوراء: ۷۶۳
زهرة: ۷۶۴
الزين: ۷۶۴
حرف السين ۷۶۵
سائر: ۷۶۵

السافلة: ۷۶۵
الساهية: ۷۶۵
سايئة: ۷۶۵
سبر: ۷۶۵
السّتار: ۷۶۶
سجاسج: ۷۶۶
السد: ۷۶۶
السراة: ۷۶۶
ذو السرح: ۷۶۶
السر: ۷۶۷
السّرّارة: ۷۶۷
سرع: ۷۶۷
السّرير: ۷۶۷
السعد: ۷۶۷
سفا: ۷۶۷
سفان: ۷۶۸
سفوان: ۷۶۸
سقاية سليمان: ۷۶۸
السقيا: ۷۶۸
سقيفة بنى ساعدة: ۷۶۸
سكاب: ۷۶۹
سلاح: ۷۶۹
السلاسل: ۷۶۹
السلالم: ۷۶۹

ذو السلائل: ۷۶۹
سلع: ۷۶۹
ذو سلم: ۷۷۰
سليع: ۷۷۰
السليل: ۷۷۰
السليلة: ۷۷۰
السليم: ۷۷۰
سمران: ۷۷۰
ذو سمر: ۷۷۱
سميحة: ۷۷۱
سنام: ۷۷۱
السنح: ۷۷۱
سنحة: ۷۷۱
سن: ۷۷۱
سواج: ۷۷۲
سوارق: ۷۷۲
السوارقية: ۷۷۲
سوق أهوى: ۷۷۲
سوق بنى قينقاع: ۷۷۲
السويداء: ۷۷۳
سويد: ۷۷۳
سويقة: ۷۷۳
و سويقة أيضا: ۷۷۳
السّيّ: ۷۷۴

السیالة: ۷۷۴
السیح: ۷۷۴
سیر: ۷۷۴
حرف الشین ۷۷۵
شابة: ۷۷۵
شاس: ۷۷۵
الشبا: ۷۷۵
شباع: ۷۷۵
الشباک: ۷۷۵
الشبعان: ۷۷۵
الشبکة: ۷۷۵
الشجرة: ۷۷۵
شدخ: ۷۷۶
الشراة: ۷۷۶
الشربة: ۷۷۶
شرج: ۷۷۶
الشرعبی: ۷۷۶
الشرف: ۷۷۶
شریق: ۷۷۷
الشطان: ۷۷۷
شطمان: ۷۷۷
الشطون: ۷۷۷
الشطیبة: ۷۷۷
الشظاة: ۷۷۷

شعب: ۷۷۸
شعبى: ۷۷۸
شعب المشاش: ۷۷۸
شعب شوكة: ۷۷۸
شعبة: ۷۷۸
شعث: ۷۷۸
شعر: ۷۷۸
شغبى: ۷۷۹
شقة بنى عذرة ۷۷۹
شلول: ۷۷۹
الشماء: ۷۸۰
الشماخ: ۷۸۰
شمنصير: ۷۸۰
شناصير: ۷۸۰
شنوكة: ۷۸۰
الشنيف: ۷۸۰
شواحط: ۷۸۱
شوران: ۷۸۱
شوط: ۷۸۱
شوطى: ۷۸۲
شيخان: ۷۸۲
حرف الصاد ۷۸۳
صاحة: ۷۸۳
صارة: ۷۸۳

صاری: ۷۸۳
صائف: ۷۸۳
صبح: ۷۸۳
الصحرة: ۷۸۴
صحن: ۷۸۴
صخیرات الثمام: ۷۸۴
صدار: ۷۸۴
صرار: ۷۸۴
الصعبیة: ۷۸۵
صعیب: ۷۸۵
الصّفاح: ۷۸۵
صفاصف: ۷۸۵
الصفراء: ۷۸۶
صفر: ۷۸۶
الصفة: ۷۸۶
صفنة: ۷۸۶
صفینة: ۷۸۶
ذو صلب: ۷۸۶
صلحة: ۷۸۷
صلصل: ۷۸۷
صلاصل: ۷۸۷
الصمد: ۷۸۷
الصمغة: ۷۸۷
الصمان: ۷۸۸

صوار: ----- ۷۸۸
صوری: ----- ۷۸۸
الصّوران: ----- ۷۸۸
ذو صویر: ----- ۷۸۸
صهیّ: ----- ۷۸۸
الصهباء: ----- ۷۸۹
الصهوة: ----- ۷۸۹
الصیاصی: ----- ۷۸۹
حرف الضاد ----- ۷۸۹
ضاحک: ----- ۷۸۹
ضاف: ----- ۷۸۹
ضبع: ----- ۷۸۹
ضبوعة: ----- ۷۹۰
ضجنان: ----- ۷۹۰
ضحیان: ----- ۷۹۰
ضرعاء: ----- ۷۹۰
ضریة: ----- ۷۹۰
ضری: ----- ۷۹۰
ضع ذرع: ----- ۷۹۱
ضغاضغ: ----- ۷۹۱
ضغن: ----- ۷۹۱
ضفیرة: ----- ۷۹۱
ضلع: ----- ۷۹۱
ضویحک: ----- ۷۹۱

الضيقة: ۷۹۲
حرف الطاء ۷۹۲
طاشا: ۷۹۲
طخفه: ۷۹۲
الطرف: ۷۹۲
ذو الطّفيتين: ۷۹۲
طفيل: ۷۹۲
طويلع: ۷۹۲
طيخة: ۷۹۳
حرف الظاء ۷۹۳
الظاهرة: ۷۹۳
ظبية: ۷۹۳
ظبية: ۷۹۳
ظلم: ۷۹۳
الظهار: ۷۹۴
حرف العين ۷۹۴
عابد: ۷۹۴
عارمة: ۷۹۴
عاص و عويص: ۷۹۴
عاصم: ۷۹۴
عاقل: ۷۹۴
العالية: ۷۹۴
عائذ: ۷۹۵
عاير: ۷۹۵

عبابید: ۷۹۵
عباثر: ۷۹۶
العبلاء: ۷۹۶
عبود: ۷۹۶
العتر: ۷۹۶
عثاعث: ۷۹۶
عثعث: ۷۹۶
العجمتان: ۷۹۶
عدنة: ۷۹۷
عدینة: ۷۹۷
عذق: ۷۹۷
عذیبة: ۷۹۷
عراقیب: ۷۹۷
عرّی: ۷۹۷
عرب: ۷۹۷
العرج: ۷۹۸
العرصة: ۷۹۸
العرض: ۷۹۸
عرفات: ۷۹۸
عرفجاء: ۷۹۸
عرفة: ۷۹۸
عرق الظبیة: ۷۹۹
عریان: ۷۹۹
عریض: ۷۹۹

عریفطان: ۷۹۹
عرینة: ۷۹۹
العزاف: ۷۹۹
العزاف: ۸۰۰
عزوزی: ۸۰۰
عسعس: ۸۰۰
عسفان: ۸۰۰
عسیب: ۸۰۰
عسیة: ۸۰۰
العش: ۸۰۱
العشیرة: ۸۰۱
العصبة: ۸۰۱
عصر: ۸۰۱
عظم: ۸۰۲
عقرب: ۸۰۲
العقیان: ۸۰۲
عقیربا: ۸۰۲
العقیق: ۸۰۲
العلاء: ۸۰۲
العلم: ۸۰۲
العمق: ۸۰۳
العمیس: ۸۰۳
عتاب: ۸۰۳
العنابس: ۸۰۳

العنابة: ۸۰۳
العناقة: ۸۰۳
العواقر: ۸۰۴
عوال: ۸۰۴
العوالی: ۸۰۴
عوسا: ۸۰۴
العویقل: ۸۰۴
عیر: ۸۰۴
العیص: ۸۰۵
عینان: ۸۰۵
عین إبراهیم: ۸۰۵
عین أبی زیاد: ۸۰۵
عین أبی نیزر: ۸۰۵
عین الأزرق: ۸۰۶
عین تحنّس: ۸۰۶
عین الحدید: ۸۰۶
عیون الحسین: ۸۰۷
عین الخیف: ۸۰۷
عین رسول الله صلی اللّه علیه و سلم: ۸۰۷
عین الشهداء: ۸۰۸
عین الغوار: ۸۰۸
عین فاطمة: ۸۰۸
عین القشیری: ۸۰۸
عین مروان: ۸۰۸

عينين: ۸۰۸
حرف الغين ۸۰۸
الغابة: ۸۰۹
ذات الغار: ۸۰۹
الغبيب: ۸۰۹
ذو غشث: ۸۱۰
غدير الأشطاط: ۸۱۰
غدير خم: ۸۱۰
غراب: ۸۱۰
غران: ۸۱۰
ذو الغراء: ۸۱۱
غرة: ۸۱۱
غزة: ۸۱۱
غزال: ۸۱۱
ذو الغصن: ۸۱۱
غضور: ۸۱۱
ذو الغضوين: ۸۱۱
غمرة: ۸۱۲
الغموض: ۸۱۲
غميس: ۸۱۲
الغميم: ۸۱۲
الغور: ۸۱۲
غول: ۸۱۲
غيقة: ۸۱۲

حرف الفاء ---- ۸۱۳
فارع: ---- ۸۱۳
فاضجة: ---- ۸۱۳
فاضح: ---- ۸۱۳
فج الروحاء: ---- ۸۱۳
الفحلتان: ---- ۸۱۳
فدک: ---- ۸۱۳
الفراء: ---- ۸۱۴
فرش ملل: ---- ۸۱۴
الفرع: ---- ۸۱۴
فريقات: ---- ۸۱۵
الفضاء: ---- ۸۱۵
فعرى: ---- ۸۱۵
الفغوة: ---- ۸۱۵
الفقار: ---- ۸۱۵
الفقير: ---- ۸۱۵
الفلجان: ---- ۸۱۶
فلجة: ---- ۸۱۶
فليج: ---- ۸۱۶
فنيق: ---- ۸۱۶
فويرع: ---- ۸۱۶
فيفاء الخبار: ---- ۸۱۷
حرف القاف ---- ۸۱۷
القائم: ---- ۸۱۷

القار: ۸۱۷
القاحة: ۸۱۷
القاع: ۸۱۷
قباء: ۸۱۷
و قباء أيضا: ۸۱۸
قباب: ۸۱۸
القبلية: ۸۱۸
قدس: ۸۱۹
القدوم: ۸۱۹
قديد: ۸۱۹
قديمة: ۸۲۰
قراضم: ۸۲۰
قراقر: ۸۲۰
القرائن: ۸۲۰
قران: ۸۲۰
قرح: ۸۲۰
قرد: ۸۲۰
قردة: ۸۲۱
القرصة: ۸۲۱
قرقرة الكديد: ۸۲۱
القرية: ۸۲۱
القرى: ۸۲۱
قسيان: ۸۲۱
قشام: ۸۲۱

قصر إسماعيل بن الوليد: ۸۲۲
قصر إبراهيم بن هشام: ۸۲۲
قصر بنی حديلة: ۸۲۲
قصر خارجة: ۸۲۲
قصر خل: ۸۲۲
قصر ابن عراک: ۸۲۲
قصر ابن عوان: ۸۲۳
قصر ابن ماه: ۸۲۳
قصر مروان: ۸۲۳
قصر نفيس: ۸۲۳
قصر بنی يوسف: ۸۲۳
ذو القصة: ۸۲۳
القصيبة: ۸۲۳
ذو القطب: ۸۲۴
القف: ۸۲۴
القلادة: ۸۲۴
قلهتی: ۸۲۴
قلهی: ۸۲۵
القموص: ۸۲۵
قناة: ۸۲۵
قنيع: ۸۲۵
القواقل: ۸۲۵
القوبع: ۸۲۵
قوران: ۸۲۶

قوری: ۸۲۶
قینقاع: ۸۲۶
حرف الکاف ۸۲۶
کاظمة: ۸۲۶
کبا: ۸۲۶
کنانة: ۸۲۶
کتیبة: ۸۲۷
کدر: ۸۲۷
الکدید: ۸۲۷
کراع الغمیم: ۸۲۷
الکر: ۸۲۸
کشب: ۸۲۸
الکفاف: ۸۲۸
کفت: ۸۲۸
کفتة: ۸۲۸
الکلاب: ۸۲۸
کلاف: ۸۲۸
کلب: ۸۲۸
کلیة: ۸۲۹
کملی: ۸۲۹
کنس حصین: ۸۲۹
کواکب: ۸۲۹
کوث: ۸۲۹
کومة: ۸۲۹

کویر: ۸۲۹
الکویرة: ۸۳۰
کیدمة: ۸۳۰
حرف اللام ۸۳۰
لأی: ۸۳۰
اللابتان ۸۳۰
لأی: ۸۳۰
لحیا جمل: ۸۳۰
لظی: ۸۳۱
اللعباء: ۸۳۱
لعلع: ۸۳۱
لفت: ۸۳۱
لقف: ۸۳۱
اللوی: ۸۳۱
حرف المیم ۸۳۱
المابة: ۸۳۲
الماجشونیة: ۸۳۲
المئثب: ۸۳۲
المأثول: ۸۳۲
مبرک: ۸۳۲
مبضعة: ۸۳۳
متابع: ۸۳۳
مثعر: ۸۳۳
مثقب: ۸۳۳

المجتهر: ۸۳۳
المجدل: ۸۳۳
مجر: ۸۳۳
المحضة: ۸۳۴
محنب: ۸۳۴
المحیصر: ۸۳۴
محیص: ۸۳۴
المخاضة: ۸۳۴
مخایل: ۸۳۴
المختبی: ۸۳۵
مخری: ۸۳۵
مخیض: ۸۳۵
المدارج: ۸۳۵
مدجج: ۸۳۵
مدران: ۸۳۵
المدرج: ۸۳۶
مدعی: ۸۳۶
مدین: ۸۳۶
المذاد: ۸۳۶
مذینب: ۸۳۶
المرابد: ۸۳۶
مراخ: ۸۳۷
المراض: ۸۳۷
مران: ۸۳۷

المرواح: ۸۳۷
المربد: ۸۳۷
مربد النعم: ۸۳۸
مربع: ۸۳۸
مرتج: ۸۳۸
مرجح: ۸۳۸
مرحب: ۸۳۸
ذو المرخ: ۸۳۹
ذو مرخ: ۸۳۹
مروان: ۸۳۹
ذو المروة: ۸۳۹
مریح: ۸۴۰
مریخ: ۸۴۰
مریسیع: ۸۴۰
مزاحم: ۸۴۰
مزج: ۸۴۰
المزدلف: ۸۴۰
المستظل: ۸۴۰
المستعجلة: ۸۴۱
المستنذر: ۸۴۱
المسیر: ۸۴۱
المسکبة: ۸۴۱
المسلح: ۸۴۱
مسلح: ۸۴۱

المشاش: ۸۴۱
مسروح: ۸۴۱
مشعط: ۸۴۲
مشعل: ۸۴۲
المشفق: ۸۴۲
المشیرب: ۸۴۲
مصرّ: ۸۴۲
مصلوق: ۸۴۳
المصلّی: ۸۴۳
المضیح: ۸۴۳
المضیق: ۸۴۳
مطلوب: ۸۴۳
مظعن: ۸۴۳
معجب: ۸۴۳
معدن الأحسن: ۸۴۴
معدن بنی سلیم: ۸۴۴
معدن المأمون: ۸۴۴
معدن النقرة: ۸۴۴
المعرس: ۸۴۴
المعرض: ۸۴۴
المعرقة: ۸۴۴
المعصب: ۸۴۵
المغسلة: ۸۴۵
مغلاوان: ۸۴۵

و الحرومة: ۸۴۵
مغیث: ۸۴۵
مغوثة: ۸۴۵
مفحل: ۸۴۵
مقاریب: ۸۴۶
المقاعد: ۸۴۶
المقشعر: ۸۴۶
مقمل: ۸۴۶
المکرعة: ۸۴۶
المکسر: ۸۴۶
مکیمن: ۸۴۷
ملتذ: ۸۴۷
الملحاء: ۸۴۷
الملحة: ۸۴۷
ملحتان: ۸۴۷
ملل: ۸۴۷
المناصع: ۸۴۸
المناقب: ۸۴۸
المنبجس: ۸۴۸
منتخر: ۸۴۸
المنحنی: ۸۴۹
منشد: ۸۴۹
منعج: ۸۴۹
المنقی: ۸۴۹

منكثة: ۸۴۹
منور: ۸۵۰
منيع: ۸۵۰
منيف: ۸۵۰
مهايع: ۸۵۰
مهجور: ۸۵۰
مهراس: ۸۵۰
مهروز: ۸۵۱
مهزور: ۸۵۱
مهزول: ۸۵۱
مهيعة: ۸۵۱
الموجا: ۸۵۱
مياسر: ۸۵۱
ذو الميثب: ۸۵۱
ميطان: ۸۵۲
المنفعة: ۸۵۲
حرف النون ۸۵۲
نابع: ۸۵۲
ناجية: ۸۵۲
النازية: ۸۵۲
النازيين: ۸۵۳
الناصفة: ۸۵۳
ناعم: ۸۵۳
الناعمة: ۸۵۳

النباع: ----- ۸۵۳
نبیع: ----- ۸۵۳
النبی: ----- ۸۵۳
نجد: ----- ۸۵۴
النجیر: ----- ۸۵۴
النجیل: ----- ۸۵۴
نخال: ----- ۸۵۴
نخل: ----- ۸۵۴
نخلی: ----- ۸۵۴
نخیل: ----- ۸۵۵
النسار: ----- ۸۵۵
نسر: ----- ۸۵۵
نسع: ----- ۸۵۵
النصب: ----- ۸۵۵
النصع: ----- ۸۵۵
نضاد: ----- ۸۵۶
النضیر: ----- ۸۵۶
نطاة: ----- ۸۵۶
نعمان: ----- ۸۵۶
نعیم: ----- ۸۵۶
نعف مناسیر: ----- ۸۵۶
النفاع: ----- ۸۵۷
ذو نفر: ----- ۸۵۷
نفیس: ----- ۸۵۷

النقاب: ۸۵۷
النقا: ۸۵۷
نقب بنی دینار: ۸۵۷
نقعاء: ۸۵۸
نقمی: ۸۵۸
النقیع: ۸۵۸
نقیع الخضمات: ۸۵۸
نمرة: ۸۵۹
نملی: ۸۵۹
نهبان: ۸۵۹
النواحان: ۸۵۹
النواعم: ۸۶۰
نوبة: ۸۶۰
نیار: ۸۶۰
النیر: ۸۶۰
نیق العقاب: ۸۶۰
حرف الهاء ۸۶۰
الهدبیة: ۸۶۰
هجر: ۸۶۰
الهجیم: ۸۶۱
الهدار: ۸۶۱
الهدن: ۸۶۱
هرشی: ۸۶۱
هکر: ۸۶۲

هکران: ۸۶۲
همج: ۸۶۲
هیفاء: ۸۶۲
حرف الواو ۸۶۲
وابل: ۸۶۲
الواتدة: ۸۶۲
وادی: ۸۶۲
وادی أبی کبیر: ۸۶۳
وادی أحیلیین: ۸۶۳
وادی الأزرق: ۸۶۳
وادی بطحان: ۸۶۳
وادی الجزل: ۸۶۳
وادی دحیل: ۸۶۳
وادی الدوم: ۸۶۳
وادی السّمک: ۸۶۳
وادی القری: ۸۶۴
واردات: ۸۶۴
واسط: ۸۶۴
واقم: ۸۶۵
و واقم أیضا: ۸۶۵
الوالج: ۸۶۵
الوبرة: ۸۶۵
و بعان: ۸۶۵
وجمة: ۸۶۵

الوحیدة: ۸۶۶
ودّان: ۸۶۶
ودعان: ۸۶۶
هضب الوراق ۸۶۶
ورقان: ۸۶۶
الوسباء: ۸۶۷
وسط: ۸۶۷
وسوس: ۸۶۷
الوشیجة: ۸۶۷
الوطیح: ۸۶۷
وظیف الحمار: ۸۶۷
وعیرة: ۸۶۸
و لعان: ۸۶۸
حرف الیاء ۸۶۸
یتیب: ۸۶۸
یثرب: ۸۶۸
ذو یدوم: ۸۶۸
یدیع: ۸۶۸
یراجم: ۸۶۸
یرعة: ۸۶۹
یلبن: ۸۶۹
الیسیرة: ۸۶۹
یلیل: ۸۶۹
ینبع: ۸۶۹

یهیق: ۸۷۰
یین: ۸۷۰
الباب الثامن فی زیارة النبی ص ۸۷۱
اشارة ۸۷۱
الفصل الأول فی الأحادیث الواردة فی الزیارة نصّا ۸۷۱
الحدیث الأول ۸۷۱
الحدیث الثانی ۸۷۲
الحدیث الثالث ۸۷۳
الحدیث الرابع ۸۷۳
الحدیث الخامس ۸۷۴
الحدیث السادس ۸۷۴
الحدیث السابع ۸۷۴
الحدیث الثامن ۸۷۵
الحدیث التاسع ۸۷۵
الحدیث العاشر ۸۷۵
الحدیث الحادی عشر ۸۷۵
الحدیث الثانی عشر ۸۷۶
الحدیث الثالث عشر ۸۷۶
الحدیث الرابع عشر ۸۷۶
الحدیث الخامس عشر ۸۷۷
الحدیث السادس عشر ۸۷۷
الحدیث السابع عشر ۸۷۷
الفصل الثانی فی بقیة أدلة الزیارة، و إن لم تتضمّن لفظ الزیارة نصّا ۸۷۸
الفصل الثالث فی توسّل الزائر، ۸۸۸

اشارة ----- ۸۸۸
الحال الأول: ----- ۸۸۸
الحال الثانی: ----- ۸۸۹
الحال الثالث: ----- ۸۸۹
الحال الرابع: ----- ۸۹۰
خاتمة: فی نبذ مما وقع لمن استغاث بالنبی ص أو طلب منه شیئا عند قبره، ----- ۸۹۲
الفصل الرابع فی آداب الزیارة و المجاورة، و هی کثیرة ----- ۸۹۶
فهرس الجزء الرابع ----- ۹۱۴
تعریف مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة ----- ۹۱۶

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى

اشارة

نام کتاب: وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى

نویسنده: سمهودی، علی بن احمد

تاریخ وفات مؤلف: ۹۱۱ ه. ق

سمهودی، علی بن احمد، ۸۴۴ - ق۹۱۱

محقق / مصحح: محفوظ، خالد عبدالغنی

موضوع: شرح حال

زبان: عربی

تعداد جلد: ۴

ناشر: دار الکتب العلمیة

مکان چاپ: بیروت

سال چاپ: ۲۰۰۶ م

=

موضوع: سرگذشتنامه = محمد (ص)، پیامبر اسلام، ۵۳ قبل از هجرت - ق۱۱

مابقی پدیدآورندگان: مصحح = عبدالحمید، محمد محی الدین

شرح پدیدآور: تالیف نورالدین علی بن احمد المصری السمهودی؛ حققه و فصله و علق حواشیه محمد محی الدین عبدالحمید

ناشر: داراحیاء التراث العربی

محل نشر: بیروت

رده کنگره: BP۲۲/۶۵/س۸/و۷

زبان: عربی

مشخصات ظاهری: ۴ج. (در دو مجلد)

جلد: ۱-۲ = ۳-۴

ISBN: م۱۹۸۴. = ق۱۴۰۴. = ۱۳۶۳

الجزء الأول

اشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

تقديم

الحمد للّه ربّ العالمين، و الصلاة و السلام على سيّد ولد آدم محمد بن عبد اللّه و على آله و أصحابه أجمعين.

أمّا بعد.

فهذا كتاب فی تاریخ المدینة المنوّرة مدینة الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم، و هو كتاب اختصره مؤلّفه من كتاب آخر له بعنوان «اقتفاء الوفا بأخبار دار المصطفی صلّی اللّه علیه و سلّم».

اختصره مع توسّط غیر مفرط كما یقول فی مقدمة الكتاب.

و قد رتّبه علی ثمانیة أبواب مفصّلة فی المقدمة.

و إذ نعید- فی دار الكتب العلمیة- نشر هذا الكتاب، نشیر إلی أنّنا لم نثقل حواشیه إلا بما دعت الضرورة إلیه، كضبط الغریب و شرحه، و تخریج الآیات الكریمة، و بعض التعالیق الموجزة، و وضع بعض العناوین الفرعیة.

راجین من اللّه سبحانه و تعالی أن یجعل عملنا هذا فی سجلّ حسناتنا، و أن ینفع به القرّاء الكرام، إنه علی كل شیء قدیر.

و الحمد للّه أولا و آخرا.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفی، ج۱، ص: ۵

ترجمة المصنّف

هو الإمام الحجّة نور الدین أبو الحسن علی بن عبد اللّه بن أحمد الحسنی الشافعی السمهودی. مؤرخ المدینة المنوّرة و مفتیها.

ولد فی سمهود (بصعید مصر) سنة ۸۴۴ ه (۱۴۴۰ م) و نشأ فی القاهرة، و استوطن المدینة سنة ۸۷۳ ه.

من مؤلفاته:

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفی صلّی اللّه علیه و سلّم: و هو الكتاب الذی بین أیدینا.

خلاصة الوفاء: اختصر به الأول.

جواهر العقدین: فی فضل العلم و النسب.

الفتاوی: و هی مجموع فتاواه.

الغماز علی اللماز: رسالة فی الحدیث.

درّ السموط: رسالة فی شروط الوضوء.

الأنوار السنیة فی أجوبة الأسئلة الیمنیة.

العقد الفرید فی أحكام التقلید.

و غیرها.

توفی السمهودی فی المدینة المنورة سنة ۹۱۱ ه (۱۵۰۶ م).

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفی، ج۱، ص: ۷

بسم اللّه الرّحمن الرّحیم و به نستعین، و صلّی الله علی سیدنا محمد و علی آله و أصحابه.

خطبة المؤلف

اشارة

أما بعد: حمد الله علی آلائه، و الصلاة و السلام علی سیدنا محمد أشرف أنبیائه، و علی آله و أصحابه و أصفیائه؛ فقد سألنی من طاعته غنم، و مخالفته غرم، أن أختصر تألیفی المسمی ب «اقتفاء الوفا، بأخبار دار المصطفی» - صلّی اللّه علیه و سلّم! و زاده شرفا و فضلا

لديه!- اختصارا مع توسط غير مفرط، هذا مع كونه بعد لم يقدّر إتمامه بتكامل أقسامه؛ لسلوكى فيه طريقة الاستيعاب، و جمع ما افترق من معانى تلك الأبواب، و تلخيص مقاصد جميع تواريخ المدينة التى وقفت عليها، و إضافة ما اقتضى الحال أن يضاف إليها، مع عروض الموانع، و ترادف الشواغل و القواطع، فأجبته إلى سؤاله؛ لما رأيت من شغفه بذلك و إقباله، مع ما رأيت فى ذلك من الإتحاف بأمور لا توجد فى غيره من المختصرات بل و لا المبسوطات، سيما فيما يتعلق بأخبار الحجرة الشريفة، و معالمها المنيفة، فإنى قد استفدته عيانا، و علمت أخبارها إيقانا، بسبب ما حدث فى زماننا من العمارة التى سنشير إليها، و نقف فى محلها عليها؛ لاشتمالها على تجديد ما كاد أن يهى فى الحجرة الشريفة من الأركان، و إحكام ما أحاط بها من البنيان. و تشرفت بالخدمة فى إعادة بنيانها، و تجنبت شهود نقض أركانها، و حظيت بالوقوف على عرصتها، و تمتعت بانتشاق تربتها، و نعمت العين بالاكتحال بأرضها الشريفة، و محال الأجساد المنيفة، فامتلأ القلب حياء و مهابة، و اكتسى من ثياب الذال أثوابه، هذا و قد جبلت القلوب على الشغف بأخبار هذا المحل و أحواله، كما هو دأب كل محب مغرم واله، و لله درّ القائل:

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۸

أمليانى حديث من سكن الجزع و لا تكتباه إلا بدمعى

فاتنى أن أرى الدّيار بطرفى فلعلّى أرى الديار بسمعى

و لعمرى إن الاعتناء بذاك و ضبطه و إفادته من مهمّات الدين، و إن النظر فيه مما يزيد فى الإيمان و اليقين؛ لما فيه من معرفة معاهد دار الإيمان، و نشر أعلامها المرغمة للشيطان، و تذكر آياتها الواضحة التبيان، و المرجو من الله تعالى أن يكون كتابنا هذا تحفة لمحبّى دار الأبرار، و من سكن بها من الأخيار، و وفد عليها من الوفّاد، و قد بذلت الجهد فى تهذيبه و تقريبه، رجاء دعوة تمحو الأوزار، و تقيل العثار، و نظرة قبول من المصطفى المختار، صلى الله عليه و سلّم و على آله الأطهار، و صحابته الأخيار!

و سميته «وفاء الوفا، بأخبار دار المصطفى» صلى الله عليه و سلم، و شرف و عظم!

و رتّبته على أبواب:

أبواب الكتاب

الباب الأول: فى أسماء هذه البلدة الشريفة.

الباب الثانى: فى فضائلها، و بدء شأنها، و ما يؤول إليه أمرها، و ما يتعلق بذلك، و فيه ستة عشر فصلا: الأول: فى تفضيلها على غيرها من البلاد، الثانى: فى الحث على الإقامة بها، و الصبر على لأوائها و شدتها، و كونها تنفى الخبث و الذنوب، و وعيد من أرادها و أهلها بسوء أو أحدث بها حدثا أو آوى محدثا، الثالث: فى الحديث على حفظ أهلها و إكرامهم، و التحريض على الموت بها، و اتخاذ الأصل، الرابع: فى بعض دعائه صلّى اللّه عليه و سلّم لها و لأهلها، و ما كان بها من الوباء، و دعائه بنقله، الخامس: فى عصمتها من الدجال و الطاعون، السادس: فى الاستشفاء بترابها و تمرها، السابع: فى سرد خصائصها، الثامن:

فى صحيح ما ورد فى تحريمها، التاسع: فى بيان عير و ثور اللذين وقع تحديد الحرم بهما، العاشر: فى أحاديث أخر تقتضى زيادة الحرم على ذلك التحديد و أنه مقدر ببريد، الحادى عشر: فى بيان ما فى هذه الأحاديث من الألفاظ المتعلقة بالتحديد، و من ذهب إلى مقتضاها، الثانى عشر: فى حكمة تخصيص هذا المقدار المعين بالتحريم، الثالث عشر: فى أحكام هذا الحرم الكريم، الرابع عشر: فى بدء شأنها، و ما يؤول إليه أمرها، الخامس عشر: فيما ذكر من وقوع ما ورد من خروج أهلها و تركهم لها، السادس عشر:

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۹

فى ظهور نار الحجاز التى أنذر بها النبى صلّى اللّه عليه و سلّم فظهرت من أرضها، و انطفائها عند وصولها إلى حرمها.

الباب الثالث: فى أخبار سكانها فى سالف الزمان، و مقدمه صلّى اللّه عليه و سلّم إليها، و ما كان من أمره بها فى سنى الهجرة، و فيه اثنا

عشر فصلا. الأول: فى سكانها بعد الطوفان، و ما ذكر فى سبب سكنى اليهود بها، و بيان منازلهم، الثانى: فى سبب سكنى الأنصار بها، الثالث:

فى نسبهم، الرابع: فى ظهورهم على اليهود، و ما اتفق لهم مع تبّع، الخامس: فى منازلهم بعد إذلال اليهود، و شىء من آطامهم و حروبهم، السادس: فى ما كان بينهم من حرب بغاث، السابع: فى مبدأ إكرام الله لهم بهذا النبى الكريم، و ذكر العقبة الصغرى، الثامن: فى العقبة الكبرى و ما أفضت إليه، التاسع: فى مبدأ هجرته صلّى الله عليه و سلم، العاشر: فى دخوله صلّى الله عليه و سلّم أرض المدينة و تأسيس مسجد قباء، الحادى عشر: فى قدومه باطن المدينة المنيفة، و سكناه بدار أبى أيوب الأنصارى، و خبر هذه الدار، و مؤاخاته بين المهاجرين و الأنصار، الثانى عشر: فى ما كان من أمره صلّى الله عليه و سلّم فى سنين الهجرة.

الباب الرابع: فيما يتعلق بأمور مسجدها الأعظم، و الحجرات المنيفات، و ما كان مطيفا بها من الدور و البلاط، و سوق المدينة، و منازل المهاجرين، و اتخاذ السور، و فيه سبعة و ثلاثون فصلا: الأول: فى أخذه صلّى الله عليه و سلّم لموضع مسجده الشريف، و كيفية بنائه، الثانى: فى ذرعه و حدوده التى يتميز بها عن سائر مسجده اليوم، الثالث: فى مقامه الذى كان يقوم به قبل تحويل القبلة و بعده، و ما جاء فى تحويلها، الرابع: فى خبر الجذع، و اتخاذ المنبر، و ما اتفق فيه، الخامس: فى فضل المسجد الشريف، السادس:

فى فضل المنبر المنيف و الروضة الشريفة، السابع: فى الأساطين المنيفة، الثامن: فى الصِّفّة و أهلها، و تعليق الأقناء لهم بالمسجد، التاسع: فى حجره صلّى الله عليه و سلم، و بيان إحاطتها بمسجده إلا من جهة المغرب، العاشر: فى حجرة ابنته فاطمة رضى الله عنها، الحادى عشر: فى الأمر بسد الأبواب، و بيان ما استثنى من ذلك، الثانى عشر: فى زيادة عمر رضى الله عنه فى المسجد، الثالث عشر: فى البطيحاء التى بناها بناحيته، و منعه من إنشاد الشعر و رفع الصوت فيه، الرابع عشر: فى زيادة عثمان رضى الله عنه،

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۱، ص: ۱۰

الخامس عشر: فى المقصودة التى اتخذها به، السادس عشر: فى زيادة الوليد على يد عمر بن عبد العزيز، السابع عشر: فيما اتخذه عمر فيها من المحراب و الشرفات و المنارات و الحرس، و منعهم من الصلاة على الجنائز فيه، الثامن عشر: فى زيادة المهدى، التاسع عشر: فيما كانت عليه الحجرة المنيفة الحاوية للقبور الشريفة فى مبدأ الأمر، العشرون:

فى عمارتها بعد ذلك، و الحائز الذى أدير عليها، الحادى و العشرون: فيما روى فى صفة القبور الشريفة بها، و أنه بقى هناك موضع قبر لعيسى عليه الصلاة و السلام، و تنزل الملائكة حافين بالقبر الشريف، و تعظيمه، و الاستسقاء به، الثانى و العشرون: فيما ذكر من صفتها و صفة الحائز الدائر عليها، و ما شاهدناه مما يخالف ذلك، الثالث و العشرون: فى عمارة اتفقت بها بعد ما تقدم، على ما نقله بعضهم، و ما نقل من الدخول إليها و تأزيرها بالرخام، الرابع و العشرون: فى الصندوق الذى فى جهة الرأس الكريم و المسمار الفضة المواجه للوجه الشريف، و مقام جبريل عليه السلام، و كسوة الحجرة و تحليتها، الخامس و العشرون: فى قناديلها و معاليقها، السادس و العشرون: فى الحريق الأول القديم المستولى على تلك الزخارف المحدثة بها و بالمسجد و سقفها و ما أعيد من ذلك، السابع و العشرون: فى اتخاذ القبة الزرقاء تمييزا للحجرة الشريفة و المقصورة الدائرة عليها، الثامن و العشرون: فى عمارتها المتجدّدة فى زماننا، على وجه لم يخطر قط بأذهاننا، و ما حصل من إزالة هدم الحريق من ذلك و المحل الشريف، و مشاهد وضعه المنيف، و تصوير ما استقر عليه أمر الحجرة، التاسع و العشرون: فى الحريق الحادث فى زماننا بعد العمارة السابقة، و ما ترتب عليه ألحقته هنا مع إلحاق ما تقدمت الإشارة إليه فى الفصول؛ لحدوثه بعد الفراغ من مسوّدة كتابنا هذا، و فى آخره خاتمة فيما نقل من عمل نور الدين الشهيد لخندق مملوء من الرصاص حول الحجرة، الثلاثون: فى تحصيب المسجد، و أمر البزاق فيه، و تخليقه، و إجماره، و شىء من أحكامه، الحادى و الثلاثون: فيما احتوى عليه من الأروقة و الأساطين و البلوعات و السقايات و الحواصل، و غير ذلك، الثانى و الثلاثون: فى أبوابه و خوخاته، و ما يميّزها من الدور المحاذية لها، الثالث و الثلاثون: فى خوخة آل عمر رضى الله عنه، الرابع و الثلاثون: فيما كان مطيفا به من الدور، الخامس و الثلاثون: فى البلاط و ما حوله من منازل المهاجرين، السادس و الثلاثون: فى سوق المدينة، السابع و

الثلاثون: فی منازل القبائل من المهاجرین، و ما حدث من اتخاذ السور.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفی، ج ۱، ص: ۱۱

الباب الخامس: فی مصلّی النبی صلّی اللّه علیه و سلّم فی الأعیاد، و غیر ذلک من مساجد المدینة التی صلی فیها النبی صلّی اللّه علیه و سلّم أو جلس مما علمت عینه أو جهته، و فضل مقابرها، و من سمی ممن دفن بها، و فضل أحد و الشهداء به، و فیه سبعة فصول: الأول: فی مصلّی الأعیاد، الثانی:

فی مسجد قباء، و خبر مسجد الضرار، الثالث: فی بقیة المساجد المعلومة العین فی زماننا، الرابع: فیما علمت جهته من ذلک، و لم یعلم عینه، الخامس: فی فضل مقابرها، السادس: فی تعیین بعض من دفن بالبقیع من الصحابة و أهل البیت رضوان اللّه علیهم، و المشاهد المعروفة بها، السابع: فی فضل أحد و الشهداء به.

الباب السادس: فی آبارها المبارکات، و العین و الغراس و الصدقات، التی هی للنبی صلّی اللّه علیه و سلّم منسوبات، و ما یعزی إلیه من المساجد التی صلّی فیها فی الأسفار و الغزوات، و فیه خمسة فصول: الأول: فی الآبار المبارکات، و فیه تتمة فی العین المنسوبة للنبی صلّی اللّه علیه و سلّم و العین الموجودة فی زماننا، الثانی: فی صدقاته صلّی اللّه علیه و سلّم و ما غرسه بیده الشریفة، الثالث: فیما ینسب إلیه من المساجد التی بین مکة و المدینة بالطریق التی کان یسلکها صلّی اللّه علیه و سلّم الرابع: فی بقیة المساجد التی بینهما بطریق رکب الحاج فی زماننا، و طریق المشیان، و ما قرب من ذلک، الخامس: فی بقیة المساجد المتعلقة بغزواته و عمره صلّی اللّه علیه و سلّم.

الباب السابع: فی أودیتها و أحمائها و بقاعها و جبالها و أعمالها و مضافاتها، و مشهور ما فی ذلک من المیاه و الأودیة، و ضبط أسماء الأماکن المتعلقة بذلک، و فیه ثمانیة فصول: الأول: فی فضل وادی العقیق و عرصته و حدوده، الثانی: فیما جاء فی إقطاعه و ابتناء القصور به و طریق أخبارها، الثالث: فی العرصة و قصورها، و شیء مما قیل فیها و فی العقیق من الشعر، الرابع: فی جماواته، و أرض الشجرة، و ثنیة الشرید، و غیرها من جهاته، و فیه خاتمة فی سرد ما یدفع فیه من الأودیة و ما به من الغدران، الخامس: فی بقیة أودیة المدینة، السادس: فیما سمی من الأحماء و من حماها و شرح حال حمی النبی صلّی اللّه علیه و سلّم بالنقیع، السابع: فی شرح بقیة الأحماء، و أخبارها، الثامن: فی بقاع المدینة و أعراضها و أعمالها و مضافاتها و أندیتها و جبالها و تلاعها، و مشهور ما فی ذلک من الآبار و المیاه و الأودیة، و ضبط أسماء الأماکن المتعلقة بذلک و بالمساجد و الآطام و الغزوات، و شرح حال ما یتعلق بجهات المدینة و أعمالها من ذلک، علی ترتیب حروف الهجاء.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفی، ج ۱، ص: ۱۲

الباب الثامن: فی زیارته صلّی اللّه علیه و سلّم، و فیه أربعة فصول: الأول: فی الأحادیث الواردة فی الزیارة نصّا، الثانی: فی بقیة أدلتها، و بیان تأکد مشروعیتها، و قربها من درجة الوجوب، حتی أطلقه بعضهم علیها، و بیان حیاة النبی صلّی اللّه علیه و سلّم فی قبره، و شدّ الرحال إلیه، و صحة نذر زیارته، و الاستئجار للسلام علیه، الثالث: فی توسّل الزائر، و تشفّعه به صلّی اللّه علیه و سلّم إلی ربه تعالی، و استقباله له صلّی اللّه علیه و سلّم فی سلامه و توسّله و دعائه، الرابع: فی آداب الزیارة و المجاورة، و التبرک بتلک المساجد و الآثار، و هذا الباب و إن کان من حقه التقدیم، لکنه لما کان کنتیجة الکتاب، و مقدماته ما تقدمه من الأبواب، ختمت به أقسامه؛ لیکون المسک ختامه، و سر الوجود تمامه، و تفاؤلا بأن یفتح لی به ثمانیة أبواب الجنة، و یعظم لی بسببه سوابغ المنة، و باللّه لا سواه أعتصم، و أسأله العصمة مما یصم، فهو حسبی و نعم الوکیل.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفی، ج ۱، ص: ۱۳

الباب الأول فی أسماء هذه البلدة الشریفة

اشارة

أعلم أن كثرة الأسماء تدل على شرف المسمى، و لم أجد أكثر من أسماء هذه البلدة الشريفة، و قد استقصيتها بحسب القدرة حتى إنى زدت على شيخ مشايخنا المجد الشيرازى اللغوى- و هو أعظم الناس فى هذا الباب- نحو ثلاثين اسما، فرقمت على ذلك صورة ليتميزوها، و أنا أوردها مرتّبة على حروف المعجم.

أثرب

الأول: أثرب- كمسجد، بفتح الهمزة و سكون المثلاثة و كسر الراء و باء موحدة- لغة فى «يثرب» الآتى، و أحد الأسماء كألملم و يلملم، قيل: سميت بذلك لأنه اسم من سكنها عند تفرّق ذرية نوح عليه السلام فى البلاد، و هل هو اسم للناحية التى منها مدينة الرسول صلّى اللّه عليه و سلّم أو للمدينة نفسها، أو لموضع مخصوص من أرضها؟ أقوال، الأول لأبى عبيدة، و الثانى عن ابن عباس رضى الله عنهما، و مشى عليه الزمخشرى، و الثالث هو المعنى بقول محمد بن الحسن أحد أصحاب مالك و يعرف بابن زبالة: و كانت يثرب أم قرى المدينة، و هى ما بين طرف قناة إلى طرف الجرف، و ما بين المال الذى يقال له البرنى إلى زبالة، و قد نقل ذلك الجمال المطرى عنه، و زاد فى النقل أنه كان بها ثلاثمائة صائغ من اليهود، و ابن زبالة إنما ذكر أن ذلك كان بزهوة، و قد غاير بينها و بين يثرب، و كأن الجمال فهم اتحادهما، و قد قال عقب نقله لذلك عنه: و هو يعنى يثرب معروفة اليوم بهذا الاسم، و فيها نخيل كثيرة ملك لأهل المدينة و أوقاف للفقراء و غيرهم، و هى غربى مشهد سيدنا حمزة، و شرقى الموضع المعروف بالبركة مصرف عين الأزرق، ينزلها الحاج الشامى فى وروده و صدوره، و تسميها الحجاج عيون حمزة، و هى إلى اليوم معروفة بهذا الاسم، أعنى يثرب، و ربما قالوا فيها «أثارب» بصيغة الجمع، و به عبر البرهان ابن فرحون فى مناسكه، فلك أن تعده اسما آخر، و هذا الموضع يثرب قال المطرى: كان به منازل بنى حارثة بطن ضخم من الأوس، قال: و فيهم نزل قوله تعالى فى يوم الأحزاب: وَ إِذْ قالَتْ طائِفَةٌ مِنْهُمْ يا أَهْلَ يَثْرِبَ لا مُقامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا [الأحزاب: ۱۳] و رجح به القول الثالث، و ذلك أن قريشا

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۱، ص: ۱۴

و من معهم نزلوا يوم الأحزاب و يوم أحد أيضا على ما ذكره المطرى برومة و ما والاها بالقرب من منازل بنى حارثة من الأوس و منازل بنى سلمة من الخزرج، و كان الفريقان مع رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم فى مركز الحرب، و لذلك خافوا على ذراريهم و ديارهم العدو يوم أحد؛ فنزل فيها: إِذْ هَمَّتْ طائِفَتانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلا وَ اللَّهُ وَلِيُّهُما [آل عمران: ۱۲۲] قال عقلاؤهم: ما كرهنا نزولها لتولى الله إيانا، و دفع الله عنهم ببركة النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و صدق نياتهم، و قيل: إن القائل لبنى حارثة: «يا أهل يثرب لا مقام لكم» هو أوس بن قيظى و من معه، و قيل: غير ذلك.

قلت: و يرجح القول الثالث أيضا قول الحافظ عمر بن شبّة النميرى: قال أبو غسان: و كان بالمدينة فى الجاهلية سوق بزبالة فى الناحية التى تدعى يثرب، انتهى. و لا شك فى إطلاق يثرب على المدينة نفسها، كما ثبت فى الصحيح، و شواهده أشهر من أن تذكر، و سيأتى فى الفصل الرابع عشر من الباب الثانى ما يقتضى أن الله تعالى سماها قبل أن تعمر و تسكن، فإما أن يكون موضوعا لها، أو هو من باب إطلاق اسم البعض على الكل، أو من باب عكسه على الخلاف المتقدم.

و روى ابن زبالة و ابن شبة نهيه صلّى اللّه عليه و سلّم عن تسمية المدينة يثرب، و فى تاريخ البخارى حديث: من قال يثرب مرة فليقل المدينة عشر مرات»، و روى أحمد و أبو يعلى حديثا:

«من سمى المدينة يثرب فليستغفر الله، و هى طابة» و رجاله ثقات، و فى رواية «فليستغفر الله ثلاثا» و لهذا قال عيسى بن دينار: من سمى المدينة يثرب كتبت عليه خطيئة، و كره بعض العلماء تسميتها بذلك، و ما وقع فى القرآن من تسميتها به إنما هو حكاية عن قول المنافقين، و وجه كراهة ذلك إما لأنه مأخوذ من الثّرب- بالتحريك- و هو الفساد، أو لكراهة التثريب و هو المؤاخذة بالذنب، أو

لتسميتها باسم كافر، و قد ينازع فى الكراهة بما فى حديث الهجرة فى الصحيحين من قوله صلّى اللّه عليه و سلّم: «فذهب وهلى إلى اليمامة أو هجر، فإذا هى المدينة يثرب» و حديث مسلم: «إنه وجهت إلى أرض ذات نخل لا أراها إلا يثرب» و كذا جاء فى غيرهما من الأحاديث، و قد يجاب بأن ذلك كان قبل النبى.

أرض اللّه

الثانى: «أرض اللّه» قال اللّه تعالى: أَ لَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ واسِعَةً فَتُهاجِرُوا فِيها [النساء:

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۱۵

۹۷] ذكر مقاتل و الثعلبى و غيرهما أن المراد به المدينة، و فى هذه الإضافة من مزيد التعظيم ما لا يخفى.

الهجرة

الثالث: «أرض الهجرة» كما فى حديث «المدينة قبة الإسلام».

أكالة البلدان

الرابع: «أكالة البلدان» لتسلطها على جميع الأمصار، و ارتفاعها على سائر بلدان الأقطار، و افتتاحها منها على أيدى أهلها فغنموها و أكلوها.

أكالة القرى

الخامس: «أكالة القرى» لحديث الصحيحين «أمرت بقرية تأكل القرى» و قد استدل به مثبتو الاسم قبله، و هو أصرح فى هذا؛ للفرق بين البلدة و القرية.

الإيمان

السادس: «الإيمان» قال اللّه تعالى مثنيا على الأنصار وَ الَّذِينَ تَبَوَّؤُا الدَّارَ وَ الْإِيمانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هاجَرَ إِلَيْهِمْ [الحشر: ۹] و أسند ابن زبالة عن عثمان بن عبد الرحمن و عبد اللّه بن جعفر قالا: سمّى اللّه المدينة الدار و الإيمان، و أسند ابن شبة عن الثانى فقط. و قال البيضاوى فى تفسيره، قيل سمى اللّه المدينة بالإيمان لأنها مظهره و مصيره.

و روى أحمد الدينورى فى كتابه المجالسة فى قصة طويلة عن أنس بن مالك «أن ملك الإيمان قال: أنا أسكن المدينة، فقال ملك الحياء: و أنا معك» فأجمعت الأمة على أن الإيمان و الحياء ببلد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم و سيأتى فى حديث «الإيمان يأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها».

البارة و البرة

السابع: «البارة»، الثامن «البرة» هما من قولك: امرأة بارة و برة، أى: كثيرة البر، سميت بذلك لكثرة برها إلى أهلها خصوصا و إلى جميع العالم عموما؛ إذ هى منبع الأسرار و إشراق الأنوار، و بها العيشة الهنية، و البركات النبوية.

البحرة و البحيرة

التاسع: «البحرة» بفتح أوله و سكون المهملة. العاشر: «البحيرة» تصغير ما قبله.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۱، ص: ۱۶

الحادى عشر: «البحيرة» بفتح أوله- نقلت ثلاثتها عن منتخب كراع، و الأولان عن معظم ياقوت، و الاستبحار: السعة، و يقال: هذه بحرتنا، أى: أرضنا أو بلدتنا، سميت بذلك لكونها فى متسع من الأرض، و فى الصحيح قول سعد فى قصة ابن أبىّ «و لقد اصطلح أهل هذه البحيرة على أن يتوجوه» رواه ابن شبة بلفظ «أهل هذه البحيرة» و قال عياض فى المشارق: البحرة مدينة النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و يروى البحرة، و البحيرة: بضم الباء مصغرا و بفتحها على غير التصغير، و هى الرواية هنا، و يقال «البحر» أيضا بغير تاء ساكن الحاء، و أصله القرآن و كل قرية بحرة. انتهى.

الثانى عشر: «البلاط» بالفتح- نقل عن كتاب ليس لابن خالويه، و هو لغة الحجارة التى تفرش على الأرض، و الأرض المفروش بها و المستوية الملساء، فكأنها سميت به لكثرته فيها، أو لاشتمالها على مواضع تعرف به كما سيأتى فى الباب الرابع إن شاء الله تعالى.

البلد

الثالث عشر: «البلد» قال تعالى: لا أُقْسِمُ بِهذَا الْبَلَدِ [البلد: ۱] قال الواسطى فيما نقله عن عياض: أى: يحلف لك بهذا البلد الذى شرفته بمكانك فيه حيا و ببركتك ميتا، يعنى المدينة، و قيل: المراد مكة، و نقل عن ابن عباس، و به استدل من ذكره فى أسمائها، و رجّحه عياض لكون السورة مكية، و البلد لغة صدر القرى.

بيت الرسول

الرابع عشر: «بيت الرسول» صلّى اللّه عليه و سلّم قال تعالى: كَما أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِ [الأنفال: ۵]، قال المفسرون: أى: من المدينة لأنها مهاجره و مسكنه فهى فى اختصاصها به كاختصاص البيت بساكنه، أو المراد بيته بها.

ندد و تندر

الخامس عشر: «تندد» بالمثناة الفوقية و النون و إهمال الدالين.

السادس عشر: «تندر» براء بدل الدال الأخيرة مما قبله، و سيأتى دليلهما فى يندد و يندر بالمثناة التحتية، و أن المجد صوّب حذف ما عدا يندر بالتحتية.

الجابرة

السابع عشر: «الجابرة» لعده فى حديث «للمدينة عشرة أسماء» سميت به لأنها تجبر

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۱، ص: ۱۷

الكسير، و تغنى الفقير، و تجبر على الإذعان لمطالعة بركاتها، و شهود آياتها: و جبرت البلاد على الإسلام.

جبار

الثامن عشر: «جبار» كحذام، رواه ابن شبة بدل الجابرة فى الحديث المذكور.

الجبارة

التاسع عشر: «الجبارة» نقله صاحب كتاب أخبار النواحى مع الجابرة و المجبورة عن التوراة.

جزيرة العرب

العشرون: «جزيرة العرب» قال ابن زبالة: كان ابن شهاب يقول: جزيرة العرب المدينة، و سيأتى فى حديث ابن عباس: «خرجت مع رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم من المدينة، فالتفت إليها و قال: إن الله برّأ هذه الجزيرة من الشرك» و نقل الهروى عن مالك أن المراد من حديث «أخرجوا المشركين من جزيرة العرب» المدينة خاصة، و الصحيح عن مالك كقولنا أن المراد الحجاز.

الجنة الحصينة

الحادى و العشرون: «الجنة الحصينة» بضم الجيم، و هى الوقاية؛ لما حكاه بعضهم من قوله صلّى اللّه عليه و سلّم فى غزوة أحد «أنا فى جنة حصينة- يعنى المدينة- دعوهم يدخلون نقاتلهم» و روى أحمد برجال الصحيح حديث: «رأيت كأنى فى درع حصينة، و رأيت بقرا تنحر، فأولت الدرع الحصينة المدينة» و هذا هو المذكور فى كتب السير.

الحبيبة

الثانى و العشرون: «الحبيبة» لحبه لها صلّى اللّه عليه و سلّم و قال: «اللهم حبّب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد» و سيأتى مزيد بيان لذلك فى اسمها المحبوبة.

الحرم

الثالث و العشرون: «الحرم» بالفتح بمعنى الحرام؛ لتحريمها، و فى حديث مسلم «المدينة حرم» و فى رواية «إنها حرم آمن».

حرم رسول اللّه

الرابع و العشرون: «حرم رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم» لأنه الذى حرمها، و فى الحديث: «من

أخاف أهل حرمى أخافه الله»، و روى ابن زبالة حديث: «حرم إبراهيم مكة و حرمى المدينة».

حسنة

الخامس و العشرون: «حسنة» بلفظ مقابل السيئة، قال تعالى: لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيا حَسَنَةً [النحل: ۴۱] قال المفسرون: مباءة حسنة، و هى المدينة، و قيل: حسنة اسم المدينة، و قد اشتملت على الحسن الحسى و المعنوى.

الخيرة

السادس و العشرون: «الخيّرة» بتشديد المثناة التحتية كالنيرة.

السابع و العشرون: «الخيرة» كالذى قبله إلا أن الياء مخففة، تقول: رجل خيّر و خير، و امرأة خيّرة و خيرة، بالتشديد و التخفيف، بمعنى، و هو الكثير الخير، و إذا أردت التفضيل قلت: فلان خير الناس، و فى الحديث: «و المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون» و سيأتى حديث

«المدينة خير من مكة».

الدار

الثامن و العشرون: «الدار» لقوله تعالى: وَ الَّذِينَ تَبَوَّؤُا الدَّارَ وَ الْإِيمانَ [الحشر: ۹] على ما سبق فى الإيمان، سميت به لأمنها و الاستقرار بها و جمعها البناء و العرصة.

دار الأبرار

التاسع و العشرون: «دار الأبرار». الثلاثون «دار الأخيار» لأنها دار المصطفى المختار، و المهاجرين و الأنصار، و لأنها تنفى شرارها و من أقام بها منهم فليست فى الحقيقة له بدار، و ربما نقل منها بعد الدفن على ما جاء فى بعض الأخبار.

دار الإيمان

الحادى و الثلاثون: «دار الإيمان» كما فى حديث «المدينة قبة الإسلام و دار الإيمان» إذ منها ظهوره و انتشاره، و سيأتى فى حديث «الإيمان يأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها».

دار السنة و نحوها

الثانى و الثلاثون: «دار السنة». الثالث و الثلاثون: «دار السلامة». الرابع و الثلاثون:
«دار الفتح». الخامس و الثلاثون: «دار الهجرة»؛ ففى صحيح البخارى قول عبد الرحمن لعمر رضى الله عنهما «حتى تقدم المدينة فإنها دار الهجرة و السنة» و فى رواية الكشميهنى
وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۱۹
«و السلامة» و قد فتحت منها مكة و سائر الأمصار، و كانت بها عصابة الأنصار، و مهاجرة النبى المختار صلّى اللّه عليه و سلّم و المهاجرين الأبرار، و منها انتشرت السنة فى الأقطار.

ذات الحجر

السادس و الثلاثون: «ذات الحجر» لاشتمالها عليها، قال أبو بكر رضى الله عنه مثنيا على الأنصار: ما وجدت لنا و لهذا الحىّ من الأنصار مثلا إلا ما قال طفيل الغنوى:
أبوا أن يملّونا و لو أنّ أمّنا تلاقى الّذى يلقون منّا لملّت
هم خلطونا بالنّفوس و أولجوا إلى حجرات أدفأت و أظلّت

ذات الحرار

السابع و الثلاثون: «ذات الحرار» لكثرة الحرار بها، و فى قصة خنافر بن التوأم الحميرى الكاهن عن رئيه من الجن و قد وصف له دين الإسلام، فقال له خنافر: من أين أبغى هذا الدين؟ قال: من ذات الأحرين، و النفر الميامين، أهل الماء و الطين، قلت: أوضح، قال: الحق بيثرب ذات النخل و الحرة ذات النعل، قال الأصمعى: أحرون و حرار جمع حرة.

ذات النخل

الثامن و الثلاثون: «ذات النخل» و هو و ذات الحجر مما استعمله المتأخرون فى أشعارهم، و قد نسجت على منوالهم حيث قلت فى مطلع قصيدة:

أشجان قلبى بذات النّخل و الحجر و أختها تلك ذات الحجر و الحجر

تقسّم القلب بين البلدتين؛ فلا أنفك من لهب الأشواق فى سعر

و فى أحاديث الهجرة «أريت دار هجرتى ذات نخل و حرة»، و قال عمران بن عامر الكاهن يصف البلاد لقومه: و من كان منكم يريد الراسخات فى الوحل، المطعمات فى المحل، فليلحق بالحرة ذات النخل. و روى كما سيأتى بيثرب ذات النخل

السلقة

التاسع و الثلاثون: «السلقة» ذكره أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أمين الأقشهرى فى أسمائها المنقولة عن التوراة، و لم نضبطه، و هو محتمل لفتح اللام و كسرها، و السّلق بالتحريك: القاع الصفصف، و سلقت البيض: أغليته بالنار، و المسلاق: الخطيب البليغ،

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۱، ص: ۲۰

و ربما قيل للمرأة السليطة: سلقة- بكسر اللام- فتسميتها بذلك لاتساعها و بعدها عن جبالها، أو للأوائها، أو لشدة حرها و ما كان بها من الحمى الشديدة، أو لأن الله تعالى سلط أهلها على سائر البلاد فافتتحوها.

سيدة البلدان

الأربعون: «سيدة البلدان» لما أسنده الديلمى من الحلية لأبى نعيم عن ابن عمر مرفوعا «يا طيبة يا سيدة البلدان».

الشافية

الحادى و الأربعون: «الشافية» لحديث «ترابها شفاء من كل داء» و ذكر الجذام و البرص، و لقد شاهدنا من استشفى بترابها من الجذام فنفعه الله به، و الاستشفاء بتربة صعيب من الحمى مشهور، كما سيأتى، و لما صح فى الاستشفاء بتمرها، و ذكر ابن مسدى الاستشفاء من الحمى بكتابة أسمائها و تعليقها على المحموم، و سيأتى أنها تنفى الذنوب فتشفى من دائها.

طابة و طيبة

الثانى و الأربعون: «طابة» بتخفيف الموحدة. الثالث و الأربعون: «طيبة» بسكون المثناة التحتية.

الرابع و الأربعون: «طيّبة» بتشديدها. الخامس و الأربعون: «طائب» ككاتب، و هذه الأربعة مع اسمها المطيبة أخوات لفظا و معنى، مختلفات صيغة و مبنى، و قد صح حديث «إن الله سمى المدينة طابة» و فى رواية «إن الله أمرنى أن أسمى المدينة طابة» و روى ابن شبة و غيره: كانوا يسمون يثرب، فسماها رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم طيبة، و فى حديث «للمدينة عشرة أسماء هى المدينة و طيبة و طابة» و رواه صاحب النواحى بلفظ طابت بدل طيبة، و عن وهب بن منبه: و الله إن اسمها فى كتاب الله- يعنى التوراة- طيبة و طابة، و نقل عن التوراة تسميتها بالمطيبة أيضا، و كذا بطابة و الطيبة، و تسميتها بهذه الأسماء إما من الطيب بتشديد المثناة، و هو الطاهر؛ لطهارتها من أدناس الشرك، أو لموافقتها من قوله تعالى: بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ [يونس: ۲۲] أو لحلول الطيب بها صلّى اللّه عليه و سلّم أو لكونها كالكير تنفى خبثها و ينصع طيبها، و إما من الطيب- بسكون المثناة- لطيب أمورها كلها، و طيب رائحتها، و وجود ريح الطيب بها، قال

ابن بطّال: من سكنها يجد من ترتبها و حيطانها رائحة حسنة، و قال الإشبيلى: لتربة المدينة نفحة، ليس طيبها كما عهد من الطيب، بل هو عجب من الأعاجيب، و قال ياقوت:

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۱، ص: ۲۱

من خصائصها طيب ريحها، و للمطر فيها رائحة لا توجد فى غيرها، و ما أحسن قول أبى عبد الله العطار:

بطيب رسول الله طاب نسيمها فما المسك ما الكافور ما المندل الرّطب

ظباب

السادس و الأربعون: «ظباب» ذكره ياقوت، و لم يضبطه، و هو إما بكسر المهملة أو بفتح المعجمة؛ فالأول بمعنى القطعة المستطيلة من الأرض، و الثانى من ظبب و ظبظب إذا حمّ؛ لأنها كانت لا يدخلها أحد إلا حمّ، قاله المجد.

العاصمة

السابع و الأربعون: «العاصمة» لأنها عصمت المهاجرين و وقتهم أذى المشركين، و لما تقدم فى «الجنة الحصينة» و يحتمل: أن يكون بمعنى المعصومة لعصمتها قديما بجيوش موسى و داود عليهما السلام المبعوث إلى من كان بها من الجبابرة، و حفظها حديثا نبى الرحمة صلّى اللّه عليه و سلّم حتى صارت حرما آمنا، لا يدخلها الدجال و لا الطاعون، و من أرادها بسوء أذابه الله.

العذراء

الثامن و الأربعون: «العذراء» بإهمال أوله و إعجام ثانيه، منقول عن التوراة، سميت به لحفظها من وطء العدو القاهر فى سالف الزمان، إلى أن تسلمها مالكها الحقيقى سيد الأنام، مع صعوبتها و امتناعها على الأعداء، و لذلك سميت البكر بالعذراء.

العزّاء

التاسع و الأربعون: «العزّاء» بإهمال أوله و ثانيه و تشديده، بمعنى الذى قبله، قال أئمة اللغة: العراء الجارية العذراء، كأنها شبهت بالناقة العراء التى لا سنام لها و صغر سنامها كصغر نهد العذراء أو عدمه؛ فيجوز أن يكون تسمية المدينة بذلك لعدم ارتفاع أبنيتها فى السماء.

العروض

الخمسون: «العروض» كصبور، و قيل: هو اسم لها و لما حولها؛ لانخفاض مواضع منها و مسائل أودية فيها، و قال الخليل: العروض: طريق فى عرض الجبل، و عرض الرجل إذا أتى المدينة؛ فإن المدينة سميت عروضا لأنها من بلاد نجد، و نجد كلها على خط مستقيم طولانى و المدينة معترضة عنها ناحية على أنها نجدية.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۱، ص: ۲۲

الغرّاء

الحادى و الخمسون: «الغرّاء» بالغين المعجمة- تأنيث الأغر، و هو ذو الغرة من الخيل:

أى: البياض فى مقدم وجهه، و الغرة أيضا: خيار كل شىء، و غرة الإنسان: وجهه، و الأغر: الأبيض من كل شىء، و الذى أخذت

اللحیـة جمیع وجهه إلاـ القلیـل، و من الأیـام الشدیـد الحر، و الرجل الکریم، و الغراء: نبت طیب الرائحـة، و السـیدة الکبیرة فی قبیلتها؛ فسمیت المدینة بذلک لشرف معالمها، و وضوح مکارمها، و اشتهارها، و سطوع نورها، و بیاض نورها، و طیب رائحتها، و کثرة نخلها، و سیادتها علی القری، و کرم أهلها، و رفعة محلها.

غلبة

الثانی و الخمسون: «غلبـة» محرکـة بمعنی الغلب؛ لظهورها و استیلائها علی سائر البلاد، و هو اسم قـدیم جاهلی، قال ابن زبالة: حدثنی داود بن مسـکین الأنصاری عن مشـیخته قالوا: کانت یثرب فی الجاهلیـة تـدعی غلبة، نزلت الیهود علی العمالیق فغلبتهم علیها، و نزلت الأـوس و الخزرج علی الیهود فغلبوهم علیهـا، و نزل الأعـاجم علی المهـاجرین فغلبوهم علیهـا، کـذا فی النسـخة التی وقفت علیهـا من کتـاب ابن زبالـة، و نقله المجـد عن الزبیر بن بکـار راوی کتاب ابن زبالـة، و قال فیه بـدل قوله و نزل الأعاجم: و نزل المهاجرون علی الأوس و الخزرج فغلبوهم علیها.

الفاضحة

الثالث و الخمسون: «الفاضـحة» بالفاء و الضاد المعجمـة و الحاء المهملة- نقله بعضـهم عن کراع، و مأخذها ما سـیأتی فی معنی کونها تنفی خبثها من أنها تمیزه و تظهره فلا یبطن بها أحد عقیدة فاسدة أو یضمر أمرا إلا ظهر علیه، و افتضح به، بخلاف غیرها من البلاد، و قد شاهدنا ذلک کثیرا بها.

القاصمة

الرابع و الخمسون: «القاصـمة» بالقاف و الصاد المهملة- نقل عن التوراة سـمیت به لقصمها کل جبار عناها، و کسر کل متمرد أتاها، و من أرادها بسوء أذابه الله.

قبة الإسلام

الخامس و الخمسون: «قبة الإسلام» لحدیث «المدینة قبة الإسلام».

قریة الأنصار

السادس و الخمسون: «قریة الأنصار» قال ابن سیدة: القریة- بفتح القاف و کسرها-

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفی، ج ۱، ص: ۲۳

المصر الجامع، من قریت الماء فی الحوض، إذا جمعته، و قال أبو هلال العسکری:

العرب تسمی کل مدینة صغرت أو کبرت قریة، قلت: و سیأتی فی معنی «المدینة» ما یقتضی أنه یعتبر فی مسماها زیادتها علی القریة و نقصـها علی المصـر، و قیل: یطلق علیه، و الأنصار: واحدهم ناصر، سموا بذلک لنصرهم رسول الله صلّی اللّه علیه و سلّم و إیوائهم له و للمهاجرین، فمدحهم الله بقوله: وَ الَّذِینَ آوَوْا وَ نَصَرُوا [الأنفال: ۷۲] فسماهم رسول الله صلّی اللّه علیه و سلّم الأنصار، و کان یقال لهم قبـل ذلـک الأوس و الخزرج، و فی الحـدیث عن غیلان بن جریر قال: قلت لأنس بن مالک: أ رأیتم اسم الأنصار، کنتم تسـمون به أم سماکم الله؟ قال: بل سمانا الله. و سیأتی فی حدیث «إن الله قد طهر هذه القریة من الشرک» فلک أن تعده اسما آخر.

قرية رسول الله

السابع و الخمسون: «قرية رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم» لما سيأتى فى عصمتها من الدجال من قوله صلّى اللّه عليه و سلّم: «ثم يسير حتى يأتى المدينة، و لا يأذن له فيها؛ فيقول: هذه قرية ذاك الرجل» يعنى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم.

قلب الإيمان

الثامن و الخمسون: «قلب الإيمان» أورده ابن الجوزى فى الوفاء فى حديث «المدينة قبة الإسلام».

المؤمنة

التاسع و الخمسون: «المؤمنة» إما لتصديقها بالله حقيقة كذوى العقول؛ إذ لا بعد فى خلق الله تعالى قوة فى الجماد قابلة للتصديق و التكذيب، و قد سمع تسبيح الحصى فى كفه صلّى اللّه عليه و سلّم أو مجازا لاتصاف أهلها بذلك، و لانتشار الإيمان منها، و اشتمالها على أوصاف المؤمن من النفع و البركة و عدم الضرر و المسكنة، و إما لإدخالها أهلها فى الأمان من الأعداء، و أمنهم من الدجال و الطاعون، و روى ابن زبالة فى حديث «و الذى نفسى بيده إن ترتبها لمؤمنة» و روى «أنها مكتوبة فى التوراة مؤمنة».

المباركة

الستون: «المباركة»؛ لأن الله تعالى بارك فيها بدعائه صلّى اللّه عليه و سلّم لحديث «اللهم اجعل

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۲۴

بالمدينة ضعفى ما جعلت بمكة من البركة» و غيره من الأحاديث الصحيحة الكثيرة، و آثار تلك الدعوات من الأمور الظاهرات.

مبوأ الحلال و الحرام

الحادى و الستون: «مبوّأ الحلال و الحرام» رواه الطبرانى فى حديث «المدينة قبة الإسلام» و التبوؤ: التمكن و الاستقرار، سميت به لأنها محل تمكن هذين الحكمين و استقرارهما، و فى بعض النسخ «مثوى» بالمثلاثة الساكنة بدل الموحدة، و الأول هو الذى رأيته بخط الحافظ أبى الفتح المراغى.

مبين الحلال و الحرام

الثانى و الستون: «مبين الحلال و الحرام» رواه ابن الجوزى و السيد أبو العباس القرافى فى حديث «المدينة قبة الإسلام» بدل الذى قبله، سميت به لأنها المحل الذى ابتدأ فيه ببيان الحلال و الحرام.

المجبورة

الثالث و الستون: «المجبورة» بالجيم- ذكره فى حديث «للمدينة عشرة أسماء» و نقل عن الكتب المتقدمة، و سميت به لأن الله تعالى جبرها بسكنى نبيه و صفيه صلّى اللّه عليه و سلّم حيا و ضمها لأعضائه الشريفة ميتا بعد نقل حمّاها، و تطييب مغناها، و الحث على سكناها، و تنزل البركات بمدها و صاعها؛ فهى بهذا السر الشريف مسرورة، و بهذه المنح العظيمة محبورة، تسحب ذيل الفخار، على سائر الأقطار.

المحبة

الرابع و الستون: «المحبة» بضم الميم و بالحاء المهملة و تشديد الموحدة- نقل عن الكتب المتقدمة.

المحبّبة

الخامس و الستون: «المحببة» بزيادة موحدة على ما قبله.

المحبوبة

السادس و الستون: «المحبوبة» نقل عن الكتب المتقدمة أيضا، و هذه ثلاثة مع ما تقدم من اسمها الحبيبة من مادة واحدة، سميت بذلك لما تقدم من حبه صلّى اللّه عليه و سلّم لها و دعائه بذلك، و جاء ما يقتضى أنها أحب البقاع إلى الله تعالى، و يؤيده أنه تعالى اختارها لحبيبه صلّى اللّه عليه و سلّم حيّا و ميتا؛ فهى محبوبة إلى الله تعالى و رسوله و سائر المؤمنين، و لهذا ترتاح النفوس لذكرها، و تهيم القلوب لشهود سرها.
وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۲۵

المحبورة

السابع و الستون: «المحبورة» من الحبر، و هو السرور، و كذلك الحبر و الحبور و الحبرة، لما تقدم فى الحبورة، أو هو من الحبرة بمعنى النعمة، و الحبرة أيضا المبالغة فيما وصف بجميل، و المحبار من الأرض: السريعة النبات الكثيرة الخيرات.

المحرمة

الثامن و الستون: «المحرمة» لما سيأتى فى تحريمها.

المحفوفة

التاسع و الستون: «المحفوفة» لأنها محفوفة بالبركات، و ملائكة السموات، محفوظة من المخاوف و الأوجال، و على أبوابها و أنقابها الملائكة يحرسونها من الطاعون و الدجال، و سيأتى حديث «المدينة و مكة محفوفتان بالملائكة، على كل نقب منها ملك، لا يدخلها الدجال و لا الطاعون».

المحفوظة

السبعون: «المحفوظة» لأن الله تعالى حفظها من الدجال و الطاعون و غيرهما، و فى حديث «القرى المحفوظة أربع» و ذكر المدينة منها، و فى حديث آخر رويناه فى فضائل المدينة للمفضل الجندى «المدينة مشتبكة بالملائكة، على كل نقب منها ملك يحرسها» فلك أن تسميها المحروسة أيضا.

المختارة

الحادى و السبعون: «المختارة» لأن الله تعالى اختارها للمختار من خلقه فى حياته و مماته.

مدخل صدق

الثانى و السبعون: «مدخل صدق» قال الله تعالى: وَ قُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِی مُدْخَلَ صِدْقٍ [الإسراء: ۸۰]، قال بعض المفسرين: مدخل صدق: المدينة، و مخرج صدق: مكة،

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۲۶

و سلطانا نصيرا: الأنصار، و روى ذلك عن زيد بن أسلم، و يدل له ما رواه الترمذى و صححه فى سبب نزول الآية.

المدينة

الثالث و السبعون: «المدينة». الرابع و السبعون: «مدينة الرسول صلّى اللّه عليه و سلّم» من مدن بالمكان إذا أقام، أو من دان إذا أطاع، فالميم زائدة؛ لأن السلطان يسكن المدن فتقام له طاعة فيها، أو لأن الله تعالى يطاع فيها، و المدينة: أبيات مجتمعة كثيرة تجاوز حد القرى كثرة و عمارة، و لم تبلغ حد الأمصار، و قيل: يقال لكل مصر. و المدينة و إن أطلق على أماكن كثيرة فهو علم مدينة الرسول صلّى اللّه عليه و سلّم و هجر كونه علما فى غيرها، بحيث إذا أطلق لا- يتبادر إلى الفهم غيرها؛ و لا يستعمل فيها إلا معرفة، قيل: لأنه صلّى اللّه عليه و سلّم سكنها، و له دانت الأمم و لأمته، و النكرة اسم لكل مدينة، و قد نسبوا للكل مدينى، و إلى مدينة الرسول صلّى اللّه عليه و سلّم مدنى، للفرق، و تسميتها بذلك متكررة فى القرآن العظيم، و نقل عن التوراة.

المرحومة

الخامس و السبعون: «المرحومة» نقل عن التوراة، سميت به لأنها دار المبعوث رحمة للعالمين، و محل تنزيل الرحمة من أرحم الراحمين، و أول بلد رحمت بسيد المرسلين صلّى اللّه عليه و سلّم.

المرزوقة

السادس و السبعون: «المرزوقة» لأن الله تعالى رزقها أفضل الخلق فسكنها، أو المرزوق أهلها أرزاقا حسية و معنوية و من فوقهم و من تحت أرجلهم، و لا يخرج أحد منها رغبة عنها إلا أبدلها الله خيرا منه كما جاء فى الحديث.

مسجد الأقصى

السابع و السبعون: «مسجد الأقصى» نقله التادلى فى منسكه عن صاحب المطالع.

المسكينة

الثامن و السبعون: «المسكينة» نقل عن التوراة، و ذكر فى حديث «للمدينة عشرة أسماء» و روى عن على يرفعه «إن الله تعالى قال للمدينة: يا طيبة، يا طابة، يا مسكينة، لا تقبلى الكنوز، أرفع أجاجيرك على أجاجير القرى» عن كعب أنه وجد ذلك فى التوراة،

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۲۷

و الأجاجير: السطوح، و أصل المسكنة الخضوع، فسميت بذلك إما لأن الله تعالى خلق فيها الخضوع و الخشوع له، و إما لأنها مسكن المساكين، سكنها كل خاضع و خاشع، و فى الحديث «اللهم أحينى مسكينا، و أمتنى مسكينا، و احشرنى فى زمرة المساكين».

المسلمة

التاسع و السبعون: «المسلمة» كالمؤمنة، و قد قدمناه، و الإسلام يطلق على الانقياد و الانقطاع إلى الله تعالى، فسميت بذلك إما لأن الله تعالى خلق فيها الانقياد و الانقطاع إليه، و إما لانقياد أهلها بالطاعة و الاستسلام، و فتح بلدهم بالقرآن، لا بالسيف و السهام، و انقطاعهم إلى الله و رسوله، و تبتلهم لنصره و تحصيل سوله.

مضجع الرسول

الثمانون: «مضجع رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم» لما سيأتى فى حفظ أهلها و إكرامهم من قوله صلّى اللّه عليه و سلّم «المدينة مهاجرى و مضجعى فى الأرض».

المطيبة

الحادى و الثمانون: «المطيّبة» بضم أوله و فتح ثانيه- تقدم مع أخواته فى الطيبة.

المقدسة

الثانى و الثمانون: «المقدسة» لتنزّهها و لطهارتها من الشرك و الخبائث، و لأنها يتبرك بها و يتطهر عن أرجاس الذنوب و الآثام.

المقر

الثالث و الثمانون: «المقرّ» بالقاف: من القرار كما رأيته فى بعض كتب اللغة و سيأتى فى دعائه صلّى اللّه عليه و سلّم لها قوله: «اللهم اجعل لنا بها قرارا و رزقا حسنا».

المكتان

الرابع و الثمانون: «المكّتان» قال سعد بن أبى سرح فى حصار عثمان:

أرى الأمر لا يزداد إلّا تفاقما و أنصارنا بالمكّتين قليل

و قال نصر بن حجاج فيما كتب به إلى عمر رضى الله عنه بعد نفيه إياه من المدينة لما سمع امرأة تترنم به فى شعرها لجماله:

حقّقت بى الظّنّ الذى ليس بعده مقام؛ فما لى بالنّدىّ كلام

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۲۸

فأصبحت منفيّا على غير ريبة و قد كان لى بالمكّتين مقام

و الظاهر: أن المراد المدينة؛ لأن قصة عثمان و نصر بن حجاج كانتا بها، و أطلق ذلك لانتقال أهل مكة أو غالبهم إليها و انضمامهم إلى أهلها، و قد ذكر البرهان القيراطى المكتين فى أسماء مكة، قال التقى الفاسى: و لعله أخذه من قول ورقة بن نوفل:

ببطن المكتين على رجائى

قال السهيلى: ثنّى مكة- و هى واحدة- لأن لها بطاحا و ظواهر، و إنما مقصد العرب فى هذه الإشارة إلى جانبى كل بلدة، أو أعلى البلد و أسفلها، فيجعلونها اثنين على هذا المعنى، انتهى. و يحتمل أن تكون التثنية فيما استشهدنا به من قبيل التغليب و أن المراد مكة و المدينة، فيسقط الاستشهاد به.

المكينة

الخامس و الثمانون: «المكينة» لتمكنها فى المكانة و المنزلة عند الله تعالى.

مهاجر الرسول

السادس و الثمانون: «مهاجر رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم»؛ لقوله: «المدينة مهاجرى».

الموفية

السابع و الثمانون: «الموفّية» بتشديد الفاء- من التوفية، و يجوز تخفيفها، إذ التوفية و الإيفاء بمعنى؛ سميت به لتوفيتها حق الواردين، و إحسانها نزل الوافدين حسّا و معنى، أو لأن سكانها من الصحابة الموفون بما عاهدوا الله عليه.

الناجية

الثامن و الثمانون: «الناجية» بالجيم من نجا إذا خلص أو أسرع، أو من نجاه و ناجاه سارّه، أو من النّجوة للأرض العالية، سميت بذلك لنجاتها من العتاة و الطاعون و الدجال، و لإسراعها فى الخيرات، و سبقها إلى حيازة السبق بأشرف المخلوقات، و لارتفاع شأنها بين الورى، و رفع أجاجيرها على أجاجير القرى.

نبلاء

التاسع و الثمانون: «نبلاء» نقل من كراع، و أظنه بفتح النون و سكون الموحدة ممدودا، من النبل- بالضم و السكون- و هو الفضل و النجابة، و يقال: امرأة نبيلة فى الحسن، بينة النبالة، و أنبل النخل: أرطب، و النّبلة- بالضم- الثواب و الجزاء و العطية.
وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۱، ص: ۲۹

النحر

التسعون: «النحر» بفتح النون و سكون الحاء المهملة- سميت به إما لشدة حرها، كما يقال: نحر الظهيرة، و لذا شاركتها مكة فيه، و إما لإطلاق النحر على الأصل، و هما أساس بلاد الإسلام و أصلها.

الهذراء

الحادى و التسعون: «الهذراء» ذكره ابن النجار بدل العذراء نقلا عن التوراة، و تبعه جماعة كالمطرى؛ فلذلك أثبتناه، و إن كان الصواب إسقاطه كما بيناه فى الأصل، و قد رويناه فى كلام من أثبته بالذال المعجمة، فالتسمية به لشدة حرها، يقال: يوم هاذر شديد الحر، أو لكثرة مياهها و سوانيها المصوّتة عند سوقها، يقال: هذر فى كلامه، إذا أكثره، و الهذر- محركا- الكثير الردىء، و يحتمل أن يكون بالمهملة من «هدر الحمام» إذا صوّت، و الماء انصب و انهمر، و العشب طال، و أرض هادرة: كثيرة النبات.

يثرب

الثانى و التسعون: «يثرب» لغة فى أثرب، و قد تقدم الكلام عليه فيه، و ليست المذكورة فى قول الشاعر:
و عدت و كان الخلف منك سجيّة مواعيد عرقوب أخاه بيترب

لأن المجد قال: أجمعوا فيه على تثنية التاء و فتح الراء، و قال: هى مدينة بحضرموت، قيل: كان بها عرقوب صاحب المواعيد، مع أن المجد صحّح أنه من قدماء يهود مدينة النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و فى مشارق عياض قيل: إن يثرب المذكورة فى البيت مثل يثرب المدينة النبوية، و قيل: قرية باليمامة، و قيل: إنما هى يترب بمثناة فوقية وراء مفتوحة اسم تلك القرية، و قيل: اسم قرية من بلاد بنى سعد من تميم، كما اختلف فى عرقوب هذا؛ فقيل: رجل من الأوس من أهل المدينة، و قيل: من العماليق أهل اليمامة، و قيل: من بنى سعد المذكورين اه. و أما قول هند بنت عتبة:

لنهبطنّ يثربه بغارة منشعبه

فالظاهر أن الهاء فيه للسكت، فلس اسما آخر.

يندد

الثالث و التسعون: «يندد» ذكره كراع هكذا بالمثناة التحتية و دالين، و هو إما من النّدّ

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۳۰

و هو الطيب المعروف، و قيل: العنبر، أو من النّد للتل المرتفع، أو من الناد و هو الرزق.

يندر

الرابع و التسعون: «يندر» بإبدال الدال الأخيرة من الاسم قبله راء، ذكره المجد عند سرد الأسماء، و لم يتكلم عليه بعد، لما سنذكره، و إنباته لوقوعه كذلك فى حديث «للمدينة عشرة أسماء» فى بعض الكتب، و فى بعضها بمثناة فوقية و دالين، و فى بعضها كذلك مع إبدال الدال الأخيرة راء؛ فتحرر من مجموع ذلك أربعة أسماء: اثنان بالمثناة التحتية، و اثنان بالفوقية، و ذلك المستند فى تقديمها فى محلها، و قال المجد: إن ذلك كله تصحيف، و إن الصواب يندد بالمثناة التحتية و دالين، و فيه نظر؛ لأن الزركشى عند ذكر أسماء المدينة جمع بين اثنين من هذه الأربعة و قال: ذكرهما البكرى؛ فيحتمل ثبوت الأخيرين، و حديث «للمدينة عشرة أسماء» رواه ابن شبة من طريق عبد العزيز بن عمران، و سردها فيه ثمانية فقط، ثم روى من طريقه أيضا عن عبد اللّه بن جعفر بن أبى طالب سمى اللّه المدينة الدار و الإيمان، قال: و جاء فى الحديث الأول ثمانية أسماء، و جاء فى هذا اسمان، فاللّه أعلم أ هما تمام العشرة أم لا اه. و رواه ابن زبالة كذلك إلا أنه سرد تسعة فزاد اسم الدار، و أسقط العاشر، و نقل ابن زبالة أن عبد العزيز بن محمد الدراوردى قال: بلغنى أن للمدينة فى التوراة أربعين اسما، و اللّه أعلم.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۳۱

الباب الثانى

اشارة

فى فضائلها، و بدء شأنها و ما يؤول إليه أمرها، و ظهور النار المنذر بها من أرضها، و انطفائها عند الوصول إلى حرمها، و فيه ستة عشر فصلا.

الفصل الأول فى تفضيلها على غيرها من البلاد

مكة أفضل أم المدينة

قد انعقد الإجماع على تفضيل ما ضم الأعضاء الشريفة، حتى على الكعبة المنيفة، و أجمعوا بعد على تفضيل مكة و المدينة على سائر البلاد، و اختلفوا أيهما أفضل؛ فذهب عمر بن الخطاب و ابنه عبد الله و مالك بن أنس و أكثر المدنيين إلى تفضيل المدينة، و أحسن بعضهم فقال: محل الخلاف فى غير الكعبة الشريفة، فهى أفضل من المدينة ما عدا ما ضم الأعضاء الشريفة إجماعا، و حكاية الإجماع على تفضيل ما ضم الأعضاء الشريفة نقله القاضى عياض، و كذا القاضى أبو الوليد الباجى قبله كما قال الخطيب ابن جملة، و كذا نقله أبو اليمن ابن عساكر و غيرهم، مع التصريح بالتفضيل على الكعبة الشريفة، بل نقل التاج السبكى عن ابن عقيل الحنبلى أن تلك البقعة أفضل من العرش.

و قال التاج الفاكهى: قالوا: لا خلاف أن البقعة التى ضمت الأعضاء الشريفة أفضل بقاع الأرض على الإطلاق حتى موضع الكعبة، ثم قال: و أقول أنا: أفضل بقاع السموات أيضا، و لم أر من تعرض لذلك، و الذى أعتقده أن ذلك لو عرض على علماء الأمة لم يختلفوا فيه، و قد جاء أن السموات تشرفت بمواطئ قدميه صلّى اللّه عليه و سلّم بل لو قال قائل: إن جميع بقاع الأرض أفضل من جميع بقاع السماء شرفها لكون النبى صلّى اللّه عليه و سلّم حالّا فيها لم يبعد، بل هو عندى الظاهر المتعين.

الأرض أفضل أم السماء؟

قلت: و قد صرح بما بحثه من تفضيل الأرض على السماء ابن العماد نقلا عن الشيخ تاج الدين إمام الفاضلية.

قال: و قالوا: إن الأكثرين عليه؛ لأن الأنبياء خلقوا من الأرض و عبدوا الله فيها، و دفنوا بها اه.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۳۲

و قال النووى: المختار الذى عليه الجمهور أن السموات أفضل من الأرض، و قيل:

إن الأرض أشرف؛ لأنها مستقر الأنبياء و مدفنهم، و هو ضعيف.

قلت: و كأن وجه تضعيفه للثانى أن الكلام عن مطلق الأرض، و لا يلزم من تفضيل بعضها لكونها مدفن الأنبياء تفضيل كلها، و ضعف أيضا بأن أرواح الأنبياء فى السموات و الأرواح أفضل من الأجساد، و جوابه ما سنحققه إن شاء الله تعالى من حياة الأنبياء فى قبورهم، صلوات الله و سلامه عليهم.

و قال شيخنا المحقق ابن إمام الكاملية فى تفسير سورة الصف: و الحق أن مواضع الأنبياء و أرواحهم أشرف من كل ما سواها من الأرض و السماء، و محل الخلاف فى غير ذلك كما كان يقرره شيخ الإسلام البلقينى.

قال الزركشى: و تفضيل ما ضم الأعضاء الشريفة للمجاورة، و لهذا يحرم للمحدث مس جلد المصحف.

عود لتفضيل مكة أو المدينة

اشارة

قال القرافى: و لما خفى هذا المعنى على بعض الفضلاء أنكر حكاية الإجماع على تفضيل ما ضم الأعضاء الشريفة، و قال: التفضيل إنما هو بكثرة الثواب على الأعمال، و العمل على قبر رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم محرم، قال: و لم يعلم أن أسباب التفضيل أعم من الثواب، و الإجماع منعقد على التفضيل بهذا الوجه لا بكثرة الثواب، و يلزمه أن لا يكون جلد المصحف- بل و لا المصحف نفسه- أفضل من غيره لتعذر العمل فيه، و هو خرق للإجماع.

قلت: و ما ذكره من التفضيل بالمجاورة مسلّم، لكن ما اقتضاه من عدم التفضيل لكثرة الثواب فى ذلك ممنوع لما سنحققه.

كلام للعز بن عبد السلام

و أصل الإشكال لابن عبد السلام فإنه قال فى أماليه: تفضيل مكة على المدينة أو عكسه معناه أن الله يرتب على العمل فى إحداهما من الثواب أكثر مما يرتبه على العمل فى الأخرى؛ فيشكل قول القاضى عياض: أجمعت الأمة على أن موضع القبر الشريف أفضل؛ إذ لا يمكن أحد أن يعبد الله فيه.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۳۳

كلام للتقى السبكى

قال التقى السبكى: و قد رأيت جماعة يستشكلون نقل هذا الإجماع، و قال لى قاضى القضاة السروجى الحنفى: طالعت فى مذهبنا خمسين تصنيفا فلم أجد فيها تعرضا لذلك، قال السبكى: و قد وقفت على ما ذكره ابن عبد السلام من أن الأزمان و الأماكن كلها متساوية، و يفضلان بما يقع فيهما، لا بصفات قائمة بها، و يرجع تفضيلها إلى ما ينيل الله العباد فيهما، و أن التفضيل الذى فيهما أن الله يجود على عباده بتفضيل أجر العاملين فيهما، قال السبكى: و أنا أقول: قد يكون التفضيل لذلك، و قد يكون لأمر آخر فيهما، و إن لم يكن عمل؛ فإن القبر الشريف ينزل عليه من الرحمة و الرضوان و الملائكة، و له عند الله من المحبة، و لساكنه ما تقصر العقول عن إدراكه، و ليس ذلك لمكان غيره، فكيف لا يكون أفضل الأماكن؟ و ليس محل عمل لنا، فهذا معنى غير تضعيف الأعمال فيه، و أيضا فباعتبار ما قيل: إن كل أحد يدفن بالموضع الذى خلق منه، و أيضا فقد تكون الأعمال مضاعفة فيها باعتبار أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم حى، و أن أعماله مضاعفة أكثر من كل أحد؛ فلا يختص التضعيف بأعمالنا نحن.

قلت: و هذا من النفاسة بمكان، على أنى أقول: الرحمات و البركات النازلة بذلك المحل يعم فيضها الأمة، و هى غير متناهية؛ لدوام ترقياته عليه الصلاة و السلام، و ما تناله الأمة بسبب نبيها هو الغاية فى الفضل، و لذا كانت خير أمة بسبب كون نبيها خير الأنبياء، فكيف لا يكون القبر الشريف أفضل البقاع مع كونه منبع فيض الخيرات؟ أ لا ترى أن الكعبة على رأى من منع الصلاة فيها ليست محل عملنا، أ فيقول عاقل بتفضيل المسجد حولها عليها لأنه محل العمل مع أن الكعبة هى السبب فى إنالة تلك الخيرات؟ و أيضا فاهتمامه صلّى اللّه عليه و سلّم بأمر أمته معلوم، و إقبال الله عليه دائم، و هو بهذا المحل الشريف، فتكثر شفاعته فيه لأمته و أمداده إياهم، و قد ورد فى حديث «وفاتى خير لكم» و جاء بيان ذلك بأن «أعمالكم تعرض علىّ؛ فإن رأيت خيرا حمدت الله، و إن رأيت غير ذلك استغفرت لكم» و فى رواية «استوهبت الله ذنوبكم» و له شواهد تقويه، و سيأتى فى الباب الثامن أن المجىء المذكور فى قوله تعالى: وَ لَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُكَ [النساء: ۶۴] الآية حاصل بالمجىء إلى قبره الشريف أيضا، فزيارته و المجاورة عنده من أفضل القربات، و عنده تجاب الدعوات، و تحصل الطلبات، فقد جعله الله تعالى سببا فى ذلك أيضا، فهو روضة من رياض الجنة، بل أفضل رياضها، و قد قال صلّى اللّه عليه و سلّم: «لقاب قوس

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۳۴

أحدكم فى الجنة خير من الدنيا و ما فيها» بل لو تعلق متعلق بما قررناه من كون القبر الشريف منبع جميع الخيرات و هو بالمدينة فتكون هى أفضل لكان له وجه.

و قد قال الحكيم الترمذى فى نوادره: سمعت الزبير بن بكار يقول: صنّف بعض أهل المدينة فى المدينة كتابا، و صنف بعض أهل مكة فى مكة كتابا، فلم يزل كل واحد منهما يذكر بقعته بفضيلة، يريد كل واحد منهما أن يبرز على صاحبه بها، حتى برز المدنى على

المكى فى خلّة واحدة عجز عنها المكى، و أن المدنى قال: إذ كل نفس إنما خلقت من تربته التى يدفن فيها بعد الموت، و كان نفس الرسول إنما خلقت من تربة المدينة؛ فحينئذ تلك التربة لها فضيلة بارزة على سائر الأرض.

يخلق الإنسان من تربة الأرض التى يدفن فيها

قلت: و يدل لما ذكر من أن النفس تخلق من تربة الدفن ما رواه الحاكم فى مستدركه و قال صحيح و له شواهد صحيحة عن أبى سعيد، قال: «مرّ النبى صلّى اللّه عليه و سلّم عند قبر، فقال: قبر من هذا؟ فقالوا: فلان الحبشى يا رسول الله، فقال: لا إله إلا الله، سيق من أرضه و سمائه إلى التربة التى منها خلق» و رواه الحكيم الترمذى بنحوه عن أبى هريرة، و رواه البزار عن أبى سعيد بنحوه، و فيه عبد الله والد ابن المدينى و هو ضعيف، و روى الطبرانى فى الأوسط نحوه عن أبى الدرداء، و فيه الأحوص بن حكيم، وثّقه العجلى، و ضعفه الجمهور، و روى فى الكبير أيضا نحوه عن ابن عمر، و قال الذهبى فى بعض رواته:

ضعفوه، و أسند ابن الجوزى فى الوفاء عن كعب الأحبار: لما أراد الله عز و جل أن يخلق محمدا صلّى اللّه عليه و سلّم أمر جبريل فأتاه بالقبضة البيضاء التى هى موضع قبره صلّى اللّه عليه و سلّم فعجنت بماء التسنيم، ثم غمست فى أنهار الجنة، و طيف بها فى السموات و الأرض، فعرفت الملائكة محمدا و فضله قبل أن تعرف آدم عليه السلام، و سيأتى لهذا مزيد بيان فى سرد خصائصها.

و قال الحكيم الترمذى فى حديث: «إذا قضى الله لعبد أن يموت بأرض جعل له إليها حاجة: "إنما صار أجله هناك لأنه خلق من تلك البقعة، و قد قال الله تعالى: مِنْها خَلَقْناكُمْ وَ فِيها نُعِيدُكُمْ [طه: ۵۵] الآية، قال: فإنما يعاد المرء من حيث بدئ منه، قال: و روى أن الأرض عجّت إلى ربها لما أخذت تربة آدم عليه السلام، فقال لها: سأردها إليك، فإذا مات دفن فى البقعة التى منها تربته.

و عن يزيد الجريرى قال: سمعت ابن سيرين يقول: لو حلفت حلفت صادقا بارّا غير شاك و لا مستثن أن الله تعالى ما خلق نبيه صلّى اللّه عليه و سلّم و لا أبا بكر و لا عمر إلا من طينة واحدة ثم ردهم إلى تلك الطينة.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۳۵

و روى ابن الجوزى فى الوفاء عن عائشة قالت: لما قبض النبى صلّى اللّه عليه و سلّم اختلفوا فى دفنه؛ فقالوا: أين يدفن رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم؟ فقال على: إنه ليس فى الأرض بقعة أكرم على الله من بقعة قبض فيها نفس نبيه صلّى اللّه عليه و سلّم و روى يحيى أن عليا قال لما اختلفوا: لا يدفن إلا حيث توفاه الله عز و جل، و أنهم رضوا بذلك.

قلت: و يؤخذ مما قاله على مستند نقل الإجماع السابق على تفضيل القبر الشريف؛ لسكوتهم عليه، و رجوعهم إلى الدفن به.

و لما قال الناس لأبى بكر رضى الله عنه: يا صاحب رسول الله، أين يدفن رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم؟ قال: فى المكان الذى قبض الله تعالى روحه فيه؛ فإن الله لم يقبض روحه إلا فى مكان طيب، رواه الترمذى فى شمائله، و النسائى فى الكبرى، و إسناده صحيح، و رواه أبو يعلى الموصلى، و لفظه: سمعت رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم يقول: «لا يقبض النبى إلا فى أحب الأمكنة إليه».

قلت: و أحبها إليه أحبها إلى ربه؛ لأن حبه تابع لحب ربه إلا أن يكون حبه عن هوى نفس، و ما كان أحب إلى الله و رسوله كيف لا يكون أفضل، و لهذا أخذت تفضيل المدينة على مكة من قوله صلّى اللّه عليه و سلّم كما فى الصحيح: «اللهم حبّب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد» أى بل أشد، أو و أشد، كما روى به، و من إجابة دعوته صلّى اللّه عليه و سلّم كان يحرك دابته إذا رآها من حبها.

و قد روى الحاكم فى مستدركه حديث: «اللهم إنك أخرجتنى من أحب البقاع إلى، فأسكنّى فى أحب البقاع إليك» و فى بعض طرقه أنه صلّى اللّه عليه و سلّم قاله حين خرج من مكة، و فى بعضها أنه وقف بالحزورة، و فى بعضها بالحجون فقاله، و قد ضعفه ابن عبد البر.

قيل: و لو سلمت صحته فالمراد أحب البقاع إليك بعد مكة؛ لحديث: «إن مكة خير بلاد الله» و فى رواية: «أحب أرض الله إلى الله» و

لأنه قد صح لمسجد مكة من المضاعفة زيادة على ما صح لمسجد المدينة كما سيأتى.

قلت: فيما قدمناه من دعائه صلّى اللّه عليه و سلّم بحبها أشد من حب مكة مع ما أشرنا إليه من إجابة دعائه صلّى اللّه عليه و سلّم و من أنه تعالى لا يجعلها أحب إلى نبيه إلا بعد جعلها أحب إليه تعالى غنية عن صحة هذا الحديث، و كون المراد منه ما ذكر خلاف الظاهر، و ما ذكر لا يصلح مستندا فى

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۳۶

الصرف عن الظاهر؛ لأنه صلّى اللّه عليه و سلّم قصد به الدعاء للدار التى تكون هجرته إليها، فطلب من الله أن يصيرها أحب البقاع إليه تعالى، و الحب من الله تعالى إنالة الخير و التعظيم للمحبوب، و هذا يمكن تجدده بعد أن لم يكن، و قوله: «إن مكة خير بلاد الله و أحبها إليه» محمول على أنه صلّى اللّه عليه و سلّم قاله فى بدء الأمر قبل ثبوت الفضل للمدينة، فلما طالت إقامته صلّى اللّه عليه و سلّم بالمدينة و أظهر الله دينه، و تجدد لها ما سيأتى من الفضائل حتى عاد نفعها على مكة، فافتتحها الله و سائر بلاد الإسلام منها؛ فقد أنالها الله تعالى و أنال بها من الخير ما لم ينله غيرها من البلاد، و ظهر إجابة الدعوة الكريمة، و أنها صارت خير أرض الله و أحبها إليه بعد ذلك، و لهذا لم يعد النبى صلّى اللّه عليه و سلّم إلى مكة بعد فتحها.

فإن قيل: إنما لم يعد إليها لأن الله افترض عليه المقام بدار هجرته.

قلنا: لم يكن الله ليفترض عليه المقام بها إلا و هى أفضل؛ لكرامته عنده، و قد حثّ صلّى اللّه عليه و سلّم على الاقتداء به فى سكناها و الإقامة بها، و قال: «و المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون».

فإن قيل: قال التقى الفاسى: ظن بعض أهل عصرنا أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم قال: «إن مكة خير بلاد الله» حين خرج من مكة للهجرة، و ليس كذلك؛ لأن فى بعض طرق الحديث أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم قال ذلك و هو على راحلته بالحزورة، و هو لم يكن بهذه الصفة حين هاجر؛ لأن الأخبار تقتضى أنه خرج من مكة مستخفيا، و لو ركب بالموضع المشار إليه- و هو الذى يقول له عوام مكة عزوة- لأشعر ذلك بسفره.

قلنا: جاء فى رواية لابن زبالة أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم حين أمره الله بالخروج قال: «اللهم إنك أخرجتنى» الحديث، و قد وقع فى رواية لابن حبان فى حديث الهجرة «فركبا- يعنى هو و أبو بكر- حتى أتيا الغار- و هو ثور- فتواريا فيه» و سيأتى فى أحاديث الهجرة ما يقتضى أنهما توجها إلى الغار ليلا بعد أن ذرّ صلّى اللّه عليه و سلّم ترابا على رءوس جماعة من الكفار كانوا يرصدونه، و قرأ أوائل يس يستتر بها منهم، فلم يروه، فلا يمتنع أن يكون راكبا فى هذا الموضع.

و أما أمر مزيد المضاعفة لمسجد مكة، فجوابه أن أسباب التفضيل لا تنحصر فى المضاعفة، أ لا ترى أن فعل الصلوات الخمسة للمتوجه إلى عرفات و ظهر يوم النحر بمنى أفضل من فعلها بمسجد مكة، و إن اشتمل فعلها بالمسجد على المضاعفة إذ فى الاتّباع ما يربو عليها، و لهذا قال عمر رضى الله عنه بمزيد المضاعفة لمسجد مكة كما سيأتى مع قوله بتفضيل المدينة، و غايته أن للمفضول مزية ليست للفاضل، و يؤيد ذلك ما سيأتى مع أن المضاعفة تعم الفرض و النفل، و أن النفل بالبيت أفضل، على أنه إن أريد بالمسجد الحرام فى حديث المضاعفة الكعبة فقط كما ستأتى الإشارة إليه، فالجواب أن الكلام فيما

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۳۷

عداها، مع أن دعاءه صلّى اللّه عليه و سلّم للمدينة بضعفى ما بمكة من البركة، و مع البركة بركتين شامل للأمور الدينية و الدنيوية، و قد يبارك فى العدد القليل فيربو نفعه على الكثير، و لهذا استدل به على تفضيل المدينة لأكثرية المدعو به لها من البركة الشاملة.

و لا يرد على ما قررناه ما جاء فى فضل الكعبة الشريفة؛ إذ الكلام فيما عداها، و لهذا روى مالك فى الموطأ أن عمر رضى الله عنه قال لعبد الله بن عياش المخزومى: أنت القائل لمكة خير من المدينة؟ فقال عبد الله: هى حرم الله و أمنه، و فيها بيته، فقال عمر:

لا أقول فى حرم الله و لا فى بيت الله شيئا، ثم قال عمر: أنت القائل لمكة خير من المدينة؟ فقال عبد الله: هى حرم الله و أمنه، و فيها

بيته، فقال عمر: لا أقول فى حرم الله و لا فى بيت الله شيئا، ثم انصرف، و فى رواية لرزين: فاشتد على ابن عياش، فانصرف.

و لا يرد أيضا ما بمكة من مواضع النسك؛ لتعلق النسك بالكعبة، و أيضا فقد عوّض الله المدينة عن العمرة ما سيأتى فى مسجد قباء، و عن الحج ما سيأتى مرفوعا:

«من خرج لا يريد إلا الصلاة فى مسجدى حتى يصلى فيه كان بمنزلة حجة»، و هذا أعظم؛ لكونه أيسر، و يتكرر فى اليوم و الليلة مرارا، و الحج لا يتكرر، و يؤخذ منه أنه يضاف إلى ما جاء فى المضاعفة بمسجدها الحجة لمن أخلص قصده للصلاة.

و لا يرد أيضا كونه صلّى اللّه عليه و سلّم أقام بمكة بعد النبوة أكثر من إقامته بالمدينة، على الخلاف فيه؛ لأن إقامته بالمدينة كان سببا فى إعزاز دين الله و إظهاره، و بها تقررت الشرائع، و فرضت غالب الفرائض، و أكمل الله الدين، و استقر بها صلّى اللّه عليه و سلّم إلى قيام الساعة.

و قد ثبت فى محبته صلّى اللّه عليه و سلّم للمدينة ما لم يثبت مثله لمكة، و حثّ على الإقامة و الموت بها، و الصبر على لأوائها و شدتها، كما ستقف عليه، و سيأتى حديث: «اللهم لا تجعل منايانا بمكة» و حديث: «ما على الأرض بقعة أحب إلى من أن يكون قبرى بها منها» يعنى المدينة، قالها ثلاث مرات.

و قد شرع الله لنا أن نحب ما كان رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم يحبه، و أن نعظم ما كان يعظمه، و إذا ثبت تفضيل الموت بالمدينة ثبت تفضيل سكناها، لأنه طريقه هذا، و قد روى الطبرانى فى الكبير و المفضل الجندى فى فضائل المدينة و غيرهما عن رافع بن خديج رضى الله عنه قال: أشهد سمعت- و فى رواية «لسمعت» - رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم يقول: «المدينة خير من مكة»، و فى إسناده محمد بن عبد الرحمن الرداد، و قد ذكره ابن حبان فى الثقات، و قال:

كان يخطئ، و قال أبو حاتم: ليس بقوى، و قال أبو زرعة: ليّن، و قال الأزدى: لا يكتب حديثه، و قال ابن عدى: روايته ليست محفوظة، و لهذا قال ابن عبد البر: هو حديث ضعيف، و فيما قدمناه غنية عنه.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۳۸

و فى الصحيحين حديث: «إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها» و يأرز كمسجد أى: ينقبض و يجتمع و ينضم و يلتجئ، و قد رأينا كل مؤمن له من نفسه سائق إلى المدينة لحبه فى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم فيشمل ذلك جميع الأزمنة؛ لأنه فى زمنه صلّى اللّه عليه و سلّم للتعلم منه، و فى زمن الصحابة و التابعين للاقتداء بهم، و من بعد ذلك لزيارته، و فضل بلده، و التبرك بمشاهدة آثاره، و الاتباع له فى سكناها.

و روينا فى فضائل المدينة للجندى حديث: «يوشك الإيمان أن يأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها» يعنى: يرجع إليها الإيمان.

و أسند ابن زبالة حديث: «لا تقوم الساعة حتى يحاز الإيمان إلى المدينة كما يحوز السيل الدّمن».

و قد تقدم فى الأسماء حديث الصحيحين: «أمرت بقرية تأكل القرى، يقولون يثرب و هى المدينة» قال ابن المنذر: يحتمل أن يكون المراد بأكلها القرى غلبة فضلها على فضل غيرها؛ فمعناه أن الفضائل تضمحل فى جنب عظيم فضلها حتى تكاد تكون عدما، و هذا أبلغ من تسمية مكة «أم القرى»؛ لأن الأمومة لا تنمحى معها ما هى له أم، لكن يكون لها حق الأمومة، انتهى.

و جزم القاضى عبد الوهاب بهذا الاحتمال.

و روى البزار عن على رضى الله عنه حديث: «إن الشياطين قد يئست أن تعبد ببلدى هذا» يعنى: المدينة «و بجزيرة العرب، و لكن التحريش بينهم» و له أصل فى صحيح مسلم من حديث جابر.

و روى أبو يعلى بسند فيه من اختلف فى توثيقه و بقية رجاله ثقات عن العباس رضى الله عنه قال: خرجت مع رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم من المدينة فالتفت إليها و قال: «إن الله قد برأ هذه الجزيرة من الشرك» و فى رواية: «إن الله قد طهّر هذه القرية من الشرك، إن

لم تضلّهم النجوم، قال: ينزل الله الغيث، فيقولون: مطرنا بنوء كذا و كذا» و قد تقدم فى الأسماء تسميتها بالمؤمنة و المسلمة، و أنه لا مانع من إجرائه على ظاهره فهو مقتض للتفضيل، سيما و سببه ما سبق من كونه صلّى اللّه عليه و سلّم خلق من تربتها.

و قد استدل أبو بكر الأبهرى من المالكية على تفضيلها على مكة بما سبقت الإشارة إليه من أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم مخلوق من تراب المدينة، و هو أفضل البشر، فكانت تربته أفضل الترب. قال الحافظ ابن حجر: و كون تربته أفضل الترب لا نزاع فيه، و إنما النزاع هل يلزم من ذلك أن تكون المدينة أفضل من مكة؟ لأن المجاور للشىء لو ثبت له جميع مزاياه

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۳۹

لكان لجار ذلك المجاور نحو ذلك؛ فيلزم أن يكون ما جاور المدينة أفضل من مكة، و ليس كذلك اتفاقا، كذا أجاب به بعض المتقدمين، و فيه نظر، انتهى.

قلت: لم يبين وجه النظر، و لعل وجهه أن الأفضل لقوة أصالته فى الفضل يفيد مجاوره الأفضلية لمزية هذه المجاورة الخاصة، و هى منتفية عن مجاور المجاور، أ لا ترى أن جلد المصحف قد ثبت له مزية التعظيم للمجاورة، و لم يلزم من ذلك ثبوت نحوها لمجاوره، و أيضا فالمقتضى لتفضيل المدينة خلقه صلّى اللّه عليه و سلّم من تربتها، و هذا لا يوجد لمجاورها، و الله أعلم.

الفصل الثانى وعد من صبر على شدها

اشارة

فى الحث على الإقامة بها، و الصبر على لأوائها و شدتها، و كونها تنفى الخبث و الذنوب، و وعيد من أرادها و أهلها بسوء أو أحدث بها حدثا أو آوى محدثا.

روينا فى الصحيحين حديث «من صبر على لأوائها و شدتها كنت له شهيدا أو شفيعا يوم القيامة».

و فى صحيح مسلم عن سعيد مولى المهرى أنه جاء إلى أبى سعيد الخدرى ليالى الحرة، فاستشاره فى الجلاء من المدينة، و شكا إليه أسعارها و كثرة عياله، و أخبره أن لا صبر له على جهد المدينة و لأوائها، فقال: و يحك! لا آمرك بذلك، إنى سمعت رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم يقول: «لا يصبر» و فى رواية «لا يثبت أحد على لأوائها و جهدها إلا كنت له شفيعا أو شهيدا يوم القيامة» و فى رواية «فقال أبو سعيد: لا تفعل، الزم المدينة» و ذكر الحديث بزيادة قصة.

و فى مسلم و فى الموطأ و الترمذى عن يحنّس مولى مصعب بن الزبير أنه كان جالسا عند ابن عمر فى الفتنة، فأتته مولاة له تسلم عليه، فقالت: إنى أردت الخروج يا أبا عبد الرحمن، اشتد علينا الزمان، فقال لها عبد الله: اقعدى لكاع، و لفظ الترمذى: اصبرى لكاع. فإنى سمعت رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم يقول: «لا يصبر على لأوائها و شدتها أحد إلا كنت له شهيدا أو شفيعا يوم القيامة».

فإن قيل: ما معنى التردد فى قوله: «شفيعا أو شهيدا»؟ و ما معنى هذه الشفاعة مع عموم شفاعته صلّى اللّه عليه و سلّم؟

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۴۰

قلنا: ذكر عياض ما ملخصه أن بعض مشايخه جعل «أو» للشك من الراوى، و أن الظاهر خلافه لكثرة رواته بذلك، بل الظاهر أنه من لفظه صلّى اللّه عليه و سلّم فإما أن يكون أعلم بهذه الجملة هكذا، و إما أن تكون «أو» للتقسيم، و يكون شفيعا للعاصين و شهيدا للمطيعين، أو شهيدا لمن مات فى حياته و شفيعا لمن مات بعده، قال: و هذه الشفاعة أو الشهادة زائدة على الشفاعة للمذنبين أو للعاملين فى القيامة و على شهادته على جميع الأمم، فيكون لتخصيصهم بذلك مزية و زيادة منزلة و حظوة قال: و يحتمل أن يكون «أو» بمعنى الواو.

قلت: و يدل له ما رواه البزار برجال الصحيح عن عمر رضى الله عنه بلفظ: «فمن صبر على لأوائها و شدتها كنت له شفيعا و شهيدا يوم

القيامة» و أسنده ابن النجار بلفظ: «كنت له شفيعا و كنت له شهيدا يوم القيامة» و أسنده المفضل الجندى فى فضائل المدينة عن أبى هريرة أيضا بلفظ: «لا يصبر أحد على لأواء المدينة» و فى نسخة: «و حرها إلا كنت له شفيعا و شهيدا» قال القاضى: و إذا جعلنا «أو» للشك فإن كانت اللفظة شهيدا فالشهادة أمر زائد على الشفاعة المجردة المدخرة لغيرهم من الأمة، و إن كانت اللفظة شفيعا فهذه شفاعة غير العامة تكون لأهل المدينة بزيادة الدرجات أو تخفيف الحساب أو بإكرامهم يوم القيامة بأنواع من الكرامات كإيوائهم فى ظل العرش أو كونهم فى روح و على منابر أو الإسراع بهم إلى الجنة أو غير ذلك من خصوص الكرامات. قلت: و يحتمل: أن يجمع لهم ببركة شفاعته صلّى اللّه عليه و سلّم أو شهادته الخاصة بين ذلك كله؛ فالجاه عظيم، و الكرم واسع، و تأيد الوصية بالجار يؤيد ذلك، و يحتمل أيضا: أن يكون المراد مع ذلك البشرى بموتهم على الإسلام؛ لأن شفاعته و شهادته صلّى اللّه عليه و سلّم المذكورة خاصة بالمسلمين، و كفى بذلك نعمة و مزية، و سيأتى الإشارة إلى نحو ذلك فى أول الباب الثامن.

و فى الموطأ و الصحيحين حديث: «تفتح اليمن فيأتى قوم يبسّون فيتحملون بأهليهم و من أطاعهم، و المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون» الحديث.

و قوله «يبسون» بفتح المثناة التحتية أوله و ضم الباء الموحدة و كسرها، و يقال أيضا بضم المثناة و كسر الموحدة- يسوقون بهائمهم سوقا شديدا، و قيل: البسّ: سرعة الذهاب.

المدينة تنفى الخبث

و فى مسلم حديث «يأتى على الناس زمان يدعو الرجل ابن عمه أو قريبه: هلم إلى الرخاء، هلم إلى الرخاء، و المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، و الذى نفسى بيده لا يخرج

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۱، ص: ۴۱

أحد رغبة عنها إلا أخلف الله فيها خيرا منه، ألا إن المدينة كالكير تخرج الخبث، لا تقوم الساعة حتى تنفى المدينة شرارها كما ينفى الكير خبث الحديد».

و فى الصحيحين: «أمرت بقرية تأكل القرى، يقولون يثرب و هى المدينة تنفى الناس كما ينفى الكير خبث الحديد» و فى رواية لابن زبالة: «إن المدينة تنفى خبث الرجال» و فى رواية: «خبث أهلها كما ينفى الكير خبث الحديد». و فى صحيح البخارى حديث: «إنها طيبة تنفى الذنوب كما ينفى الكير خبث الفضة».

و فى الصحيحين قصة الأعرابى الذى جاء من الغد محموما فقال: أقلنى بيعتى، فأبى صلّى اللّه عليه و سلّم فخرج الأعرابى، فقال صلّى اللّه عليه و سلّم: «إنما المدينة كالكير تنفى خبثها و تنصع طيّبها».

قوله: «أقلنى بيعتى» أى: انقض العهد حتى أرجع إلى وطنى، و كأنه كان قد بايع على هجرة الإقامة. و قوله: «تنفى خبثها» يحتمل أن يكون بمعنى الطرد و الإبعاد لأهل الخبث، و قصة الأعرابى المذكور ظاهرة فيه، و خصه ابن عبد البر بزمنه صلّى اللّه عليه و سلّم و الظاهر كما قال النووى عدم التخصيص؛ ففى الصحيح: «لا تقوم الساعة حتى تنفى المدينة شرارها» يعنى عند ظهور الدجال، و سيأتى فى الفصل الخامس فى حديث أحمد و غيره برجال الصحيح قصة خروج من بالمدينة من المنافقين إلى الدجال، ثم قال: «و ذلك يوم التخليص، ذلك يوم تنفى المدينة الخبث» و قال عمر بن عبد العزيز مشفقا إذ خرج منها لمن معه: أ تخشى أن نكون ممن نفت المدينة؟ و قد طهرها الله تعالى ممن كان بها من أرباب الأديان المخالفين لدين الإسلام، و أهلك من كان بها من المنافقين، و هؤلاء هم أهل الخبث الكامل، و من عداهم من أهل الخبث و الذنوب قد يكون طرده و إبعاده إن استمر على ذلك بآخرة الأمر بنقل الملائكة له إلى غيرها من الأرض كما أشار إليه الأقشهرى قال: و يكون قوله: «تنفى خبثها، و تنفى الذنوب» أى أهل ذلك، على طريقة حذف المضاف، و يحتمل أن يكون بمعنى طرد أهل الخبث الكامل، و هم أهل الشقاء و الكفر، لا أهل السعادة و الإسلام؛ لأن

القسم الأول ليس قابلا للشفاعة و لا للمغفرة، و قد وعد صلّى اللّه عليه و سلّم من يموت بها بالشفاعة لهذا وجب انتفاء القسم الأول منها، و يحتمل أن يكون بمعنى تخليص النفوس من شرهها و ميلها إلى اللذات بما فيها من اللأواء و الشدة، و يؤيده رواية «إنها طيبة تنفى الذنوب» الحديث، و يكون نفيها للذنوب على ظاهره، سيما و قد اشتملت على عظيم المضاعفات، و تنوع المثوبات، و توالى الرحمات، و قد قال تعالى:

إِنَّ الْحَسَناتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ [هود: ۱۱۴] مع ما لأهلها من الشفاعة و الشهادة الخاصة، و ما بها من تضاعف البركات، و يحتمل أن يكون بمعنى أنه لا يخفى حال من انطوى فيها على خبث، بل تظهر طويته كما هو مشاهد بها، و لم أر الآن من نصّ على هذا الاحتمال،

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۴۲

و هو فى حفظى قديما، و يؤيده ما فى غزوة أحد فى الصحيح من أنه صلّى اللّه عليه و سلّم لما خرج إلى أحد رجع ناس من أصحابه- أى و هم المنافقون- فقال صلّى اللّه عليه و سلّم: «المدينة كالكير» الحديث، و لهذا سميت بالفاضحة كما قدمته، مع أن الذى ظهر لى من مجموع الأحاديث و استقراء أحوال هذه البلدة الشريفة أنها تنفى خبثها بالمعانى الأربعة.

و قوله: «و تنصع» بالفوقانية المفتوحة و النون و المهملتين كتمنع- أى: تخلص، و الناصع: الخالص الصافى، و «طيبها» بفتح الطاء و التشديد منصوبا على أنه مفعول هذا هو المشهور فيه، و اللّه أعلم.

وعيد من أراد أهلها بسوء

و فى صحيح مسلم من حديث جابر فى تحريم المدينة مرفوعا: «و لا يريد أحد أهل المدينة بسوء إلا أذابه اللّه فى النار ذوب الرصاص، أو ذوب الملح فى الماء».

قال عياض: قوله «فى النار» يدفع إشكال الأحاديث التى لم تذكر فيها هذه الزيادة، و يبين أن هذا حكمه فى الآخرة. قال: و قد يكون المراد به أن من أرادها فى حياة النبى صلّى اللّه عليه و سلّم كفى المسلمون أمره، و اضمحل كيده كما يضمحل الرصاص فى النار. قال:

و يحتمل أن يكون المراد من كادها اغتيالا- و طلبا لغرتها فلا- يتم له أمر، بخلاف من أتى ذلك جهارا. قال: و قد يكون فى اللفظ تقديم و تأخير: أى أذابه اللّه كذوب الرصاص فى النار، و يكون ذلك لمن أرادها فى الدنيا فلا يمهله اللّه و لا يمكن له سلطانا، بل يذهبه عن قرب، كما انقضى شأن من حاربها أيام بنى أمية مثل مسلم بن عقبة، فأهلك فى منصرفه منها. ثم هلك يزيد بن معاوية مرسله على أثر ذلك، و غيرهما ممن صنع صنيعهما، انتهى.

و هذا الاحتمال الأخير هو الأرجح، و ليس فى الحديث ما يقتضى أنه لا يتم له ما أراد منهم، بل الوعد بإهلاكه، و لم يزل شأن المدينة على هذا حتى فى زماننا هذا لما تظاهرت طائفة العياشى بإرادة السوء بالمدينة الشريفة لأمر اقتضى خروجهم منها حتى أهلك اللّه تعالى عتاتهم مع كثرتهم فى مدة يسيرة.

و قد يقال: المراد من الأحاديث الجمع بين إذابته بالإهلاك فى الدنيا و بين إذابته فى النار فى الأخرى، و المذكور فى هذا الحديث هو الثانى، و فى غيره الأول؛ ففى رواية لأحمد برجال الصحيح من جملة حديث: «من أرادها بسوء» يعنى المدينة «أذابه اللّه كما

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۴۳

يذوب الملح فى الماء» و كذا فى مسلم أيضا، و فى فضائل المدينة للجندى حديث «أيما جبّار أراد المدينة بسوء أذابه اللّه تعالى كما يذوب الملح فى الماء» و فى رواية لمسلم «من أراد أهل هذه البلدة بسوء- يعنى المدينة- أذابه اللّه تعالى كما يذوب الملح فى الماء» فى رواية له أيضا «من أراد أهل هذه البلدة بدهم أو بسوء»، و روى البزار بإسناد حسن حديث: «اللهم اكفهم من دهمهم ببأس» يعنى

أهل المدينة «و لا يريدها أحد بسوء إلا أذابه الله كما يذوب الملح فى الماء».

و قوله: «دهمهم» محركا أى: غشيهم بسرعة، و قوله فى الحديث قبله «بدهم» بفتح أوله و إسكان ثانيه- أى بغائلة و أمر عظيم، و لذا قيل: المراد غازيا مغيرا عليها.

و فى البخارى حديث «لا يكيد أهل المدينة أحد إلا انماع كما ينماع الملح فى الماء» و أسند ابن زبالة عن سعيد بن المسيب أن رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم أشرف على المدينة فرفع يديه حتى رؤى عفرة إبطيه ثم قال: «اللهم من أرادنى و أهل بلدى بسوء فعجّل هلاكه» و روى الطبرانى فى الأوسط برجال الصحيح حديث: «اللهم من ظلم أهل المدينة و أخافهم فأخفه و عليه لعنة الله و الملائكة و الناس أجمعين، لا يقبل منه صرف و لا عدل» و فى رواية لغيره:

«من أخاف أهل المدينة أخافه الله يوم القيامة، و غضب عليه، و لم يقبل منه صرفا و لا عدلا» و روى النسائى حديث: «من أخاف أهل المدينة ظالما لهم أخافه الله، و كانت عليه لعنة الله» الحديث، و لابن حبان نحوه، و روى أحمد برجال الصحيح عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما أن أميرا من أمراء الفتنة قدم المدينة، و كان قد ذهب بصر جابر، فيل لجابر: لو تنحيت عنه، فخرج يمشى بين ابنيه، فنكب، فقال: تعس من أخاف رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم! فقال ابناه، أو أحدهما: يا أبت، فكيف أخاف رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم و قد مات؟ فقال:

سمعت رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم يقول: «من أخاف أهل المدينة فقد أخاف ما بين جنبى».

بسر بن أرطاة يغزو المدينة

قلت: و الظاهر أن الأمير المشار إليه هو بسر بن أرطاة.

قال القرطبى: ذكر فى رواية ابن عبد البر أن معاوية رضى الله عنه بعد تحكيم الحكمين أرسل بسر بن أرطأة فى جيش، فقدموا المدينة، و عاملها يومئذ لعلى رضى الله عنه أبو أيوب الأنصارى- رضى الله عنه!- ففر أبو أيوب و لحق بعلى، و دخل بسر المدينة، و قال لأهلها: و الله لو لا ما عهد إلى أمير المؤمنين ما تركت فيها محتلما إلا قتلته، ثم أمر أهل المدينة بالبيعة لمعاوية، و أرسل إلى بنى سلمة فقال: ما لكم عندى أمان و لا مبايعة حتى تأتونى بجابر بن عبد الله، فأخبر جابر، فانطلق حتى جاء أم سلمة زوج النبى صلّى اللّه عليه و سلّم فقال لها: ما ذا ترين فإنى أخشى أن أقتل، و هذه بيعة ضلال، فقالت: أرى أن

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۴۴

تبايع، و قد أمرت ابنى عمر بن أبى سلمة أن يبايع، فأتى جابر بسرا فبايعه، و هدم بسر دورا بالمدينة، ثم انطلق.

و فى رواية ستأتى فى الفصل الخامس عشر أن أهل المدينة فرّوا يومئذ حتى دخلوا الحرة حرة بنى سليم، و الله أعلم.

و فى الكبير للطبرانى حديث: «من آذى أهل المدينة آذاه الله، و عليه لعنة الله و الملائكة و الناس أجمعين، و لا يقبل منه صرف و لا عدل».

و روى ابن النجار حديث: «من أخاف أهل المدينة ظلما أخافه الله، و عليه لعنة الله و الملائكة و الناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفا و لا عدلا» و الأحاديث فى هذا الباب كثيرة.

وعيد من أحدث بها حدثا

و فى الصحيحين فى أحاديث تحريم المدينة: «فمن أحدث فيها حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله و الملائكة و الناس أجمعين لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفا و لا عدلا» و لفظ البخارى: «لا يقبل منه صرف و لا عدل» قيل: الصرف الفريضة، و العدل التطوع، و نقل عن

الجمهور، و قيل: عكسه، و قيل: الصرف التوبة، و العدل الفدية، قيل: و المعنى لا يقبل الله فريضته و نافلته أو توبته قبول رضا، و لا يجد فى القيامة فداء يفتدى به من يهودى أو نصرانى، بخلاف سائر المذنبين، و قيل غير ذلك، و معنى هذا اللعن المبالغة فى الإبعاد عن رحمة الله تعالى و الطرد عن الجنة أول الأمر لأنه كلعن الكفار.

قال القاضى: و معنى قوله: «من أحدث فيها حدثا إلى آخره» من أتى فيها إثما أو آوى من أتاه و ضمه إليه و حماه، و آوى بالمد و القصر، قال: و استدلوا به على أن ذلك من الكبائر؛ لأن اللعنة لا تكون إلا فى كبيرة.

قلت: فيستفاد منه أن إثم الصغيرة بها كإثم الكبيرة بغيرها؛ لصدق الإثم بها، بل نقل الزركشى عن مالك رحمه الله ما يقتضى شمول الحديث المذكور للمكروه كما بيناه فى الأصل، و ذلك لأن الإساءة بحضور الملك ليست كالإساءة فى أطراف المملكة، وفقنا الله تعالى لحسن الأدب فى هذه الحضرة الشريفة بمنّه و كرمه!!

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۴۵

الفصل الثالث فى الحث على حفظ أهلها، و إكرامهم

اشارة

، و التحريض على الموت بها و اتخاذ الأصل.

الوصية بحفظ أهلها

روينا فى كتاب ابن النجار عن معقل بن يسار قال: قال رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم: «المدينة مهاجرى، فيها مضجعى، و منها مبعثى، حقيق على أمتى حفظ جيرانى ما اجتنبوا الكبائر، من حفظهم كنت له شهيدا أو شفيعا يوم القيامة، و من لم يحفظهم سقى من طينة الخبال» قيل للمزنى: ما طينة الخبال؟ قال: عصارة أهل النار. قلت: قال بعضهم: المراد بالمزنى معقل بن يسار، و تفسير طينة الخبال بذلك رفعه مسلم، و الحديث فى الكبير للطبرانى بسند فيه متروك، و لفظه «المدينة مهاجرى و مضجعى فى الأرض، حق على أمتى أن يكرموا جيرانى ما اجتنبوا الكبائر، فمن لم يفعل ذلك سقاه الله من طينة الخبال» قلنا: يا أبا يسار، و ما طينة الخبال؟ قال: عصارة أهل النار.

و روى القاضى أبو الحسن على الهاشمى فى فوائده عن خارجة بن زيد عن أبيه قال:

قال رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم: «المدينة مهاجرى و فيها مضجعى، و منها مخرجى، حق على أمتى حفظ جيرانى فيها، من حفظ وصيتى كنت له شهيدا يوم القيامة، و من ضيّعها أورده الله حوض الخبال، قيل: و ما حوض الخبال يا رسول الله؟ قال: حوض من صديد أهل النار».

و روى ابن زبالة عن عطاء بن يسار و غيره حديث: «إن الله جعل المدينة مهاجرى، و بها مضجعى، و منها مبعثى، فحق على أمتى حفظ جيرانى ما اجتنبوا الكبائر، فمن حفظ فيهم حرمتى كنت له شفيعا يوم القيامة، و من ضيع فيهم حرمتى أورده الله حوض الخبال». و فى رواية له: «المدينة مهاجرى، و بها وفاتى، و منها محشرى، و حقيق على أمتى أن يحافظوا جيرانى ما اجتنبوا الكبيرة، من حفظ فيهم حرمتى كنت له شهيدا أو شفيعا يوم القيامة».

و فى مدارك عياض قال محمد بن مسلمة: سمعت مالكا يقول: دخلت على المهدى فقال: أوصنى، فقلت: أوصيك بتقوى الله وحده، و العطف على أهل بلد رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم و جيرانه؛ فإنه بلغنا أن رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم قال: «المدينة مهاجرى، و منها مبعثى، و بها قبرى، و أهلها جيرانى، و حقيق على أمتى حفظ جيرانى؛ فمن حفظهم فىّ كنت له شفيعا أو شهيدا يوم القيامة، و

من لم يحفظ وصيتى فى جيرانى سقاه الله من طينة الخبال».

و روى مالك فى الموطأ أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم كان جالسا و قبر يحفر بالمدينة، فاطّلع رجل فى القبر فقال: بئس مضجع المؤمن! فقال رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم: «بئس ما قلت» قال الرجل: إنى

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۴۶

لم أرد هذا، إنما أردت القتل فى سبيل الله، فقال رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم: «لا مثل للقتل فى سبيل الله، ما على الأرض بقعة أحب إلى من أن يكون قبرى بها منها» يعنى المدينة، ثلاث مرات.

و روى ابن شبة فى أخبار مكة عن سعيد بن أبى هند قال: سمعت أبى يذكر أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم «كان إذا دخل مكة قال: اللهم لا تجعل منايانا بمكة حتى نخرج منها» و رواه أحمد فى مسنده برجال الصحيح عن ابن عمر مرفوعا، إلا أنه قال: «حتى تخرجنا منها».

و روى مالك و البخارى و رزين العبدرى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال:

اللهم ارزقنى شهادة فى سبيلك، و اجعل موتى فى بلد رسولك، زاد رزين أن ذلك كان من أجلّ دعاء عمر.

و سبق ما جاء فى أن الإنسان يدفن فى التربة التى خلق منها؛ فالنبى صلّى اللّه عليه و سلّم و أكثر أصحابه و أفضلهم خلقوا من تربة المدينة، و قد ثبت حديث: «من مات بالمدينة كنت له شفيعا يوم القيامة» و رواه البيهقى بلفظ: «من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت، فمن مات بالمدينة كنت له شفيعا و شهيدا» و فى رواية له: «فإنه من يمت بها أشفع له، أو أشهد له» و قد ذكر هذه الرواية ابن حبان فى صحيحه.

و روى الترمذى و ابن حبان فى صحيحه و ابن ماجه و البيهقى و عبد الحق و صححه حديث «من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها، فإنى أشفع لمن يموت بها» و لفظ ابن ماجه «فإنى أشهد» بدل «فإنى أشفع» و رواه الطبرانى فى الكبير بسند حسن، و لفظه «من استطاع منكم أن يموت بالمدينة فليمت؛ فإنه من مات بها كنت له شهيدا- أو شفيعا- يوم القيامة» و رواه ابن رزين بنحوه، و زاد «و إنى أول من تنشق عنه الأرض، ثم أبو بكر، ثم عمر، ثم آتى أهل البقيع فيحشرون، ثم أنتظر أهل مكة فأحشر بين أهل الحرمين» و فى رواية لابن النجار «فأخرج أنا و أبو بكر و عمر إلى البقيع فيبعثون، ثم يبعث أهل مكة».

و روى الطبرانى حديث «أول من أشفع له من أمتى أهل المدينة، ثم أهل مكة، ثم أهل الطائف» و أخرجه الترمذى بالواو بدل ثم، و سيأتى فى فضل البقيع زيادة تتعلق بذلك.

و بالجملة: فالترغيب فى الموت فى المدينة لم يثبت مثله لغيرها، و السكنى بها وصلة إليه؛ فيكون ترغيبا فى سكناها، و تفضيلا لها على غيرها، و اختيار سكناها هو المعروف من حال السلف، و لا شك أن الإقامة بالمدينة فى حياته صلّى اللّه عليه و سلّم أفضل إجماعا، فنستصحب ذلك بعد وفاته حتى يثبت إجماع مثله برفعه.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۴۷

و أسند ابن شبة فى أخبار مكة عن إسماعيل بن سالم قال: سألت عامرا عن فتيا أفتى بها حبيب بن أبى ثابت، فقال: أ لا يفتى حبيب نفسه حيث نزل مكة و هى قرية أعرابية، و لأن أنزل دوران أحب إلى من أن أنزل مكة، و هى قرية هاجر منها النبى صلّى اللّه عليه و سلّم.

و عن الشعبى أنه كان يكره المقام بمكة، و يقول: هى دار أعرابية، هاجر منها رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم و قال: أ لا يفتى حبيب نفسه حيث يجاور بمكة و هى دار أعرابية، و قال عبد الرزاق فى مصنفه: كان أصحاب رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم يحجون ثم يرجعون، و يعتمرون ثم يرجعون، و لا يجاورون.

قلت: و لم أظفر عن السلف بنقل فى كراهة المجاورة بالمدينة الشريفة، بخلاف مكة، لكن اقتضى كلام النووى فى شرح مسلم حكاية

الخلاف فيها، و كأنه قاس المدينة على مكة من حيث إن علة الكراهة و هى خوف الملل و قلة الحرمة للأنس و خوف ملابسة الذنوب لأن الذنب بها أقبح، و نحوه موجود بالمدينة، و لهذا قال: و المختار أن المجاورة بهما جميعا مستحبة إلا أن يغلب على ظنه الوقوع فى المحذورات المذكورة.

و قال الزركشى عقب نقل كلام النووى: إن الظاهر ضعف الخلاف فى المدينة أى:

لما قدمناه من الترغيب فيها، و لأن كل من كره المجاورة بمكة استدل بترك الصحابة الجوار بها، بخلاف المدينة فكانوا يحرصون على الإقامة بها، و قد روى الطبرانى فى الأوسط حديث «من غاب عن المدينة ثلاثة أيام جاءها و قلبه مشرب جفوة» و أسند ابن أبى حثمة حديث «من كان له بالمدينة أصل فليتمسك به، و من لم يكن له بها أصل فليجعل له بها أصلا و لو قصرة» قال ابن الأثير: القصرة محركة أصل الشجرة، أى و لو نخلة واحدة، و القصرة أيضا: العنق، و قال الخطابى: القصرة النخلة، و قرأ الحسن إِنَّها تَرْمِى بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ [المرسلات: ۳۲] و فسروه بأعناق النخل، و رواه الطبرانى فى الكبير بلفظه إلى قوله «فليجعل له بها أصلا» و قال عقبه: «فليأتين على الناس زمان يكون الذى ليس له بها أصل كالخارج منها المجتاز إلى غيرها» و رواه ابن شبة أيضا بنحوه، ثم أسند عن الزهرى أن رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم قال: «لا تتخذوا الأموال بمكة، و اتخذوها الأموال فى دار هجرتكم؛ فإن المرء مع ماله» و أسند أيضا عن ابن عمر حديث «لا تتخذوا من وراء الروحاء مالا، و لا تردوا على أعقابكم بعد الهجرة و لا تنكحوا بناتكم طلقاء أهل مكة، و أنكحوهن بأترابهن فأترابهن» أى: مستويات فى السن فى ثلاث و ثلاثين سنة.

و هذا كله متضمّن للحث على سكنى المدينة و تفضيله على سكنى مكة، و هى جديرة بذلك؛ لأن الله تعالى اختارها لنبيه صلّى اللّه عليه و سلّم قرارا، و جعل أهلها شيعة له و أنصارا، و كانت لهم

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۴۸

أوطانا، و لو لم يكن إلا جواره صلّى اللّه عليه و سلّم بها و قد قال صلّى اللّه عليه و سلّم «ما زال جبريل يوصينى بالجار» الحديث، و لم يخص جارا دون جار، و لا يخرج أحد عن حكم الجار و إن جار، و لهذا اخترت تفضيل سكناها على مكة، مع تسليم مزيد المضاعفة لمكة؛ إذ جهة الفضل غير منحصرة فى ذلك؛ فتلك لها مزيد العدد، و لهذه تضاعف البركة و المدد، و لتلك جوار بيت الله، و لهذه جوار حبيب الله و أكرم الخلق على الله، سر الوجود، و البركة الشاملة لكل موجود.

قال عياض فى المدارك: قال مصعب: لما قدم المهدى المدينة استقبله مالك و غيره من أشرافها على أميال، فلما بصر بمالك انحرف المهدى إليه فعانقه و سلّم عليه و سايره، فالتفت مالك إلى المهدى فقال: يا أمير المؤمنين، إنك تدخل الآن المدينة فتمر بقوم عن يمينك و يسارك، و هم أولاد المهاجرين و الأنصار، فسلم عليهم؛ فإنه ما على وجه الأرض قوم خير من أهل المدينة، و لا خير من المدينة، قال: و من أين قلت ذلك يا أبا عبد الله؟

فقال: إنه لا يعرف قبر محمد صلّى اللّه عليه و سلّم عندهم فينبغى أن يعرف فضلهم على غيرهم، ففعل المهدى ما أمره به، فأشار مالك- رحمه الله!- إلى أن المقتضى للتفضيل هو وجود قبر النبى صلّى اللّه عليه و سلّم بها، و مجاورة أهلها له.

الفصل الرابع فى بعض دعائه صلّى اللّه عليه و سلّم لها و لأهلها

اشارة

، و ما كان بها من الوباء، و نقله

حب النبى صلّى اللّه عليه و سلّم للمدينة

روينا فى الصحيحين حديث «اللهم حبّب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد» و رواه رزين العبدرى و الجندى بالواو بدل «أو» مع أن أوفى تلك الرواية بمعنى بل، و قد صح عنه صلّى اللّه عليه و سلّم فى محبة المدينة ما لم يرد مثله لمكة؛ ففى صحيح البخارى و جامع الترمذى حديث «كان رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم إذا قدم من سفر فنظر إلى جدران المدينة أوضع راحلته، و إن كان على دابة حركها من حبها» و فى رواية لابن زبالة «تباشرا بالمدينة»، و فى رواية له «كان إذا أقبل من مكة فكان بالأثاية طرح رداءه عن منكبيه و قال: هذه أرواح طيبة» و قد تكرر دعاؤه صلّى اللّه عليه و سلّم بتحبيب المدينة إليه كما سيأتى، و الظاهر أن الإجابة حصلت بالأول، و التكرير لطلب الزيادة، و فى كتاب الدعاء للمحاملى و غيره عن أنس رضى الله عنه عن رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم أنه «كان إذا قدم من سفر من أسفاره فأقبل على المدينة يسير أتم السير، و يقول: اللهم اجعل لنا بها قرارا، و رزقا حسنا».

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۴۹

دعاؤه صلّى اللّه عليه و سلّم للمدينة بالبركة

و فى الصحيحين حديث «اللهم اجعل بالمدينة ضعفى ما جعلت بمكة من البركة».

و فى مسلم «اللهم بارك لنا فى تمرنا، و بارك لنا فى مدينتنا، و بارك لنا فى صاعنا، و بارك لنا فى مدّنا، اللهم إن إبراهيم عبدك و خليلك و نبيك، و إنى عبدك و نبيك، و إنه دعاك لمكة، و أنا أدعوك للمدينة بمثل ما دعاك لمكة و مثله معه» و فيه أيضا «اللهم بارك لنا فى مدينتنا، اللهم بارك لنا فى صاعنا، اللهم بارك لنا فى مدنا، اللهم بارك لنا فى مدينتنا، اللهم اجعل مع البركة بركتين» و فيه أيضا و فى الترمذى حديث «كان الناس إذا رأوا أول الثمرة جاءوا به إلى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم فإذا أخذه قال: اللهم بارك لنا فى تمرنا، و بارك لنا فى مدينتنا، و بارك لنا فى صاعنا، و بارك لنا فى مدنا» الحديث، و هو يقتضى تكرر هذا الدعاء بتكرر ظهور الثمرة و الإتيان بأولها، و فى الترمذى- و قال: حسن صحيح- عن على رضى الله عنه «خرجنا مع رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم حتى إذا كنا بحرة السقيا التى كانت لسعد بن أبى وقاص، فقال رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم: ائتونى بوضوء، فتوضأ ثم قال فاستقبل القبلة فقال: اللهم إن إبراهيم كان عبدك و خليلك، و دعاك لأهل مكة بالبركة، و أنا عبدك و رسولك أدعوك لأهل المدينة أن تبارك لهم فى مدهم و صاعهم مثلى ما باركت لأهل مكة، مع البركة بركتين». و رواه ابن شبة فى أخبار مكة بنحوه، إلا أنه قال: «حتى إذا كنا بالحرة بالسقيا التى كانت لسعد بن أبى وقاص قال رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم: ائتونى بوضوء، فلما توضأ قام فاستقبل القبلة ثم قال» الحديث بنحوه، و رواه الطبرانى فى الأوسط بإسناد جيد، و لفظه:

«خرجنا مع رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم حتى إذا كنا عند السقيا التى كانت لسعد قال رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم:

اللهم إن إبراهيم عبدك و خليلك دعاك لأهل مكة بالبركة، و أنا محمد عبدك و رسولك و إنى أدعوك لأهل المدينة أن تبارك لهم فى صاعهم و مدهم مثل ما باركت لأهل مكة، و اجعل مع البركة بركتين» هكذا فى النسخة التى وقعت لنا، و لعله «مثلى» كما فى الرواية السابقة، و يؤخذ منه الإشارة إلى أن المدعو به ستة أضعاف ما بمكة من البركة، و فى حديث رواه ابن زبالة عن أبى هريرة أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم «خرج إلى ناحية من المدينة، و خرجت معه، فاستقبل القبلة و رفع يديه حتى إنى لأرى بياض ما تحت منكبيه، ثم قال: اللهم إن إبراهيم نبيك و خليلك دعاك لأهل مكة، و أنا نبيك و رسولك أدعوك لأهل المدينة، اللهم بارك لهم فى مدهم و صاعهم، و قليلهم و كثيرهم، ضعفى ما باركت لأهل مكة، اللهم من هاهنا و هاهنا و هاهنا، حتى أشار إلى نواحى الأرض كلها، اللهم من أرادهم بسوء فأذبه كما يذوب الملح فى الماء» و فى الأوسط للطبرانى و رجاله ثقات عن ابن عمر قال: «صلى رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم الفجر، ثم أقبل على القوم فقال: اللهم بارك لنا فى مدينتنا، و بارك لنا فى مدنا

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۵۰

و صاعنا» الحديث، و فى الكبير له و رجاله ثقات عن ابن عباس نحوه، و روى أحمد و البزار و إسناده حسن عن جابر قال: سمعت

رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم نظر يوما إلى الشام فقال: اللهم أقبل بقلوبهم، و نظر إلى العراق فقال: اللهم مثل ذلك، و نظر قبل كل أفق ففعل ذلك، و قال:

اللهم ارزقنا من ثمرات الأرض، و بارك لنا فى مدنا و صاعنا» و فى الصحيحين حديث «اللهم بارك لهم فى مكيالهم، و بارك لهم فى صاعهم، و بارك لهم فى مدهم» قال القاضى فى الكلام عليه: البركة هنا بمعنى النمو و الزيادة، و تكون بمعنى الثبات، فقيل: يحتمل أن تكون هذه البركة دينية، و هى ما تتعلق بهذه المقادير فى الزكاة و الكفارات؛ فتكون بمعنى الثبات لثبات الحكم بها و بقائه ببقاء الشريعة، و يحتمل أن تكون دنيوية من تكثير الكيل و القدر بهذه الأكيال حتى يكفى منه ما لا يكفى من غيره فى غير المدينة، أو ترجع البركة إلى كثرة ما يكلأ بها من غلاتها و ثمراتها، و فى هذا كله ظهر إجابة دعوته صلّى اللّه عليه و سلّم و قال النووى: الظاهر أن المراد البركة فى نفس المكيل فى المدينة، بحيث يكفى المد فيها لمن لا يكفيه فى غيرها. قلت: هذا هو الظاهر فيما يتعلق بأحاديث الكيل، و أما غيرها فعلى عمومه فى سائر الأمور الدينية و الدنيوية. و روينا فى فضائل المدينة للجندى حديث:

«اللهم حبّب إلينا المدينة، كحبنا مكة و أشد، و صححها لنا، و بارك لنا فى مدها و صاعها، و انقل حماها، و اجعلها بالجحفة» و روى أحمد برجال الصحيح عن أبى قتادة أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم «صلى بأرض سعد بأصل الحرة عند بيوت السقيا، ثم قال: اللهم إن إبراهيم خليلك و عبدك و نبيك دعاك لأهل مكة، و أنا محمد عبدك و رسولك أدعوك لأهل المدينة مثلى ما دعاك به إبراهيم لمكة، أدعوك أن تبارك لهم فى صاعهم و مدهم و ثمارهم، اللهم حبب إلينا المدينة كما حببت إلينا مكة، و اجعل ما بها من وباء بخم» الحديث، و قوله «بخم» بضم الخاء المعجمة و تشديد الميم- مكان قرب الجحفة كما سيأتى فى موضعه، و روى ابن زبالة حديث «لما قدم رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم المدينة وعك فيها أصحابه» و فيه «فجلس رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم على المنبر، ثم رفع يده، ثم قال: اللهم انقل عنا الوباء» فلما أصبح قال: أتيت هذه الليلة بالحمى، فإذا بعجوز سوداء ملبّبة فى يدى الذى جاء بها، فقال: هذه الحمى، فما ترى فيها؟ فقلت: اجعلوها بخمّ».

الدعاء بنقل و بائها

و فى مسلم حديث عن عائشة رضى الله عنها: «قدمنا إلى المدينة و هى وبية فاشتكى أبو بكر، و اشتكى بلال، فلما رأى رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم شكوى أصحابه قال: «اللهم حبّب إلينا

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۱، ص: ۵۱

المدينة كما حببت مكة أو أشد، و صححها، و بارك لنا فى صاعها و مدها، و حوّل حمّاها إلى الجحفة».

و هو فى البخارى بلفظ: «لما قدم رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم المدينة وعك أبو بكر و بلال- رضى الله عنهما!- و كان أبو بكر إذا أخذته الحمى يقول:

كلّ امرئ مصبّح فى أهله و الموت أدنى من شراك نعله

و كان بلال إذا قلع عنه يرفع عقيرته و يقول:

ألا ليت شعرى هل أبيتنّ ليلة بواد و حولى إذخر و جليل

و هل أردن يوما مياه مجنّة و هل يبدون لى شامة و طفيل

اللهم العن شيبة بن ربيعة و عتبة بن ربيعة و أمية بن خلف كما أخرجونا من أرضنا إلى أرض الوباء، ثم قال رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم: «اللهم حبّب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد، اللهم بارك لنا فى صاعنا و فى مدنا، و صححها لنا، و انقل حمّاها إلى الجحفة» قالت: و قدمنا المدينة و هى أوبأ أرض الله، و كان بطحان يجرى نجلا، تعنى ماء آجنا.

و رواه فى الموطأ بزيادة: «و كان عامر بن فهيرة يقول:

قد ذقت طعم الموت قبل ذوقه إن الجبان حتفه من فوقه»

و رواه ابن إسحاق بزيادة أخرى، و لفظه: «لما قدم رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم المدينة قدمها و هى أوبأ أرض الله من الحمى، فأصاب أصحابه منها بلاء و سقم، و صرفه الله عن نبيه صلّى اللّه عليه و سلّم قالت: فكان أبو بكر و عامر بن فهيرة و بلال مولى أبى بكر مع أبى بكر فى بيت واحد، فأصابتهم الحمى، فدخلت عليهم أعودهم، و ذلك قبل أن يضرب الحجاب، و لهم ما لا يعلمه إلا الله من شدة الوعك، فدنوت من أبى بكر، فقلت: كيف تجدك يا أبت؟ أى كيف تجد نفسك، فقال:

كل امرئ

البيت المتقدم، فقلت: و الله ما يدرى أبى ما يقول، ثم دنوت إلى عامر بن فهيرة، فقلت: كيف تجدك يا عامر؟ فقال:

لقد وجدت الموت قبل ذوقه إن الجبان حتفه من فوقه

كل امرئ مجاهد بطوقه كالثور يحمى جلده بروقه

قالت: فقلت ما يدرى عامر ما يقول، و قالت: و كان بلال إذا تركته الحمى اضطجع بفناء البيت ثم رفع عقيرته و قال:

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۱، ص: ۵۲

ألا ليت شعرى

البيتين.

و رواه ابن زبالة بلفظ: «لما قدم رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم المدينة وعك أصحابه، فخرج يعود أبا بكر، فوجده يهجر، فقال: يا رسول الله:

لقد لقيت الموت قبل ذوقه

البيت المتقدم، فخرج من عنده، فدخل على بلال فوجده يهجر و هو يقول:

ألا ليت شعرى

البيتين المتقدمين، و دخل على أبى أحمد بن جحش فوجده موعوكا، فلما جلس إليه قال:

وا حبذا مكّة من وادى أرض بها تكثر عوّادى

أرض بها تضرب أوتادى أرض بها أهلى و أولادى

أرض بها أمشى بلا هادى

فخرج رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم فدعا أن ينقل الوباء من المدينة فيجعله بخم.

و فى رواية له أنه «أمر عائشة بالذهاب إلى أبى بكر و مولييه، و أنها رجعت و أخبرته بحالهم، فكره ذلك، ثم عمد إلى بقيع الخيل- و هو سوق المدينة - فقام فيه و وجهه إلى القبلة، فرفع يديه إلى الله فقال: «اللهم حبّب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد، اللهم بارك لأهل المدينة فى سوقهم، و بارك لهم فى صاعهم، و بارك لهم فى مدهم، اللهم انقل ما كان بالمدينة من وباء إلى مهيعة».

قوله «رفع عقيرته» أى صوته، و قوله «بواد» روى «بفخ» و هو وادى الزاهر، و الجليل- بالجيم- الثمام، و مجنة- بكسر الميم و فتحها- سوق بأسفل مكة، و قال الأصمعى: بمر الظهران، و شامة و طفيل: جبلان يشرفان على مجنة، قاله ابن الأثير، قال: و يقال «شابة» بالباء الموحدة، و هو جبل حجازى، قال المحب الطبرى: و روايته بالباء الموحدة بخط شيخنا الصاغانى، و كتب عليها صح، و قال الطبرى: و الأشهر أنهما جبلان على مراحل من مكة من جهة اليمن، و قال الخطابى: عينان. و قوله «بطوقه» أى بطاقته، و قوله «بروقه» أى بقرنه، و «مهيعة» هى الجحفة أحد المواقيت المشهورة، و خم: بقربها، و إنما دعا صلّى اللّه عليه و سلّم بنقل الحمى إليها لأنها كانت دار شرك، و لم تزل من يومئذ أكثر بلاد الله حمى، قال بعضهم:

و إنه ليتقى شرب الماء من عينها التى يقال لها عين خم، فقلّ من شرب منها إلا حم.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۵۳

و روى البيهقى حديث عائشة من طريق هشام بن عروة عن أبيه، و فيه «قال هشام:

فكان المولود يولد بالجحفة فلا يبلغ الحلم حتى تضرعه الحمى».

و قال الخطابى: كان أهل الجحفة إذ ذاك يهودا، و قيل: إنه لم يبق أحد من أهلها إلا أخذته الحمى.

قال النووى: و هذا علم من أعلام نبوته صلّى اللّه عليه و سلّم فإن الجحفة من يومئذ وبية، و لا يشرب أحد من مائها إلا حم.

و بطحان: من أودية المدينة كما سيأتى، و الماء الآجن: المتغير الطعم و اللون.

الوباء بالمدينة جاهلى قديم

و اتفق أهل الأخبار أن الوباء بالمدينة كان شديدا، حتى روى ابن إسحاق عن هشام بن عروة قال: كان وباؤها معروفا فى الجاهلية، و كان الإنسان إذا دخلها و أراد أن يسلم من وبائها قيل له: انهق، فينهق كما ينهق الحمار.

و فى دلائل النبوة من طريق هشام عن أبيه عن عائشة قالت: «قدم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم المدينة و هى أوبأ أرض اللّه، و واديها بطحان نجل يجرى عليه الأثل» قال هشام: و كان وباؤها معروفا فى الجاهلية، و كان إذا كان الوادى وبيا فأشرف عليه الإنسان قيل له: انهق نهيق الحمار، فإذا فعل ذلك لم يضره وباء ذلك الوادى، قال الشاعر حين أشرف على المدينة:

لعمرى لئن عشّرت من خيفة الرّدى نهيق الحمار إننى لجزوع

قالت عائشة: فاشتكى أبو بكر، الحديث.

ثنية الوداع

و روى ابن شبة عن عامر بن جابر قال: كان لا يدخل المدينة أحد إلا من طريق واحد، من ثنية الوداع، فإن لم يعشّر بها- أى: ينهق كالحمار عشرة أصوات فى طلق واحد- مات قبل أن يخرج منها، فإذا وقف على الثنية قيل: قد ودع، فسميت ثنية الوداع، حتى قدم عروة بن الورد العبسى، فقيل له: عشر بها، فلم يعشر، و أنشأ يقول:

لعمرى لئن عشّرت من خشية الردى نهاق الحمار إننى لجزوع

ثم دخل فقال: يا معشر يهود، ما لكم و للتعشير؟ قالوا: إنه لا يدخلها أحد من غير أهلها فلم يعشّر بها إلا مات، و لا يدخلها أحد من غير ثنية الوداع إلا قتله الهزال، فلما ترك عروة التعشير تركه الناس و دخلوا من كل ناحية.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۵۴

تحويل الوباء من دلائل النبوة

و تحويل الوباء من أعظم المعجزات؛ إذ لا يقدر عليه جميع الأطباء، و فى البخارى حديث «رأيت امرأة سوداء ثائرة الرأس خرجت من المدينة حتى نزلت مهيعة، فتأولتها أن وباء المدينة نقل إلى مهيعة» و فى الأوسط للطبرانى نحوه، و فى كتاب ابن زبالة «أصبح رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم يوما، فجاءه إنسان كأنه قدم من ناحية طريق مكة، فقال له النبى صلّى اللّه عليه و سلّم: هل لقيت أحدا؟ قال: لا- إلا- امرأة سوداء عريانة ثائرة الشعر، فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم: تلك الحمى، و لن تعود بعد اليوم أبدا» و فيه أيضا حديث: «اللهم حبّب إلينا المدينة، و انقل وباءها إلى مهيعة، و ما بقى منه فاجعله تحت ذنب مشعط» و حديث: «إن كان الوباء فى شىء من المدينة فهو فى ظل مشعط». قال المجد: هو جبل أو موضع بالمدينة. قلت:

سيأتى عن ابن زبالة فى المنازل أن بنى حديلة ابتنوا أطمين أحدهما يقال له «مشعط» كان موضعه فى غربى مسجد بنى حديلة، و فى موضعه بيت يقال له بيت أتى نبيه، ثم أورد عقبه الحديث المذكور، فأفاد أنه هو المراد، و فيه أيضا حديث: «أصح المدينة من الحمى ما بين حرّة بنى قريظة و العريض» و هو يؤذن ببقاء شىء من الحمى بالمدينة، و أن الذى نقل عنها أصلا و رأسا سلطانها و شدتها و وباؤها و كثرتها بحيث لا يعد ما بقى بالنسبة إليه شيئا، و يحتمل أنها رفعت أولا بالكلية، ثم أعيدت خفيفة لئلا يفوت ثوابها كما أشار إليه الحافظ بن حجر، و يدل له ما روى أحمد برجال الصحيح و أبو يعلى و ابن حبان فى صحيحه عن جابر: استأذنت الحمى على رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم فقال: من هذه؟ فقالت: أم ملدم، فأمر بها إلى أهل قباء، فلقوا ما لا يعلمه إلا الله تعالى، فأتوه فشكوا ذلك إليه، فقال: ما شئتم، إن شئتم دعوت الله ليكشفها عنكم، و إن شئتم تكون لكم طهورا، قالوا:

أو تفعل؟ قال: نعم، قالوا: فدعها» و رواه الطبرانى بنحوه، و قال فيه: «إن شئتم تركتموها و أسقطت بقية ذنوبكم، قالوا: فدعها يا رسول الله» و روى أحمد و رجاله ثقات حديث:

أتانى جبريل بالحمى و الطاعون فأمسكت الحمى بالمدينة، و أرسلت الطاعون بالشام، فالطاعون شهادة لأمتى و رحمة لهم و رجز على الكفار» و الأقرب أن هذا كان فى آخر الأمر بعد نقل الحمى بالكلية، لكن قال الحافظ ابن حجر: لما دخل صلّى اللّه عليه و سلّم المدينة كان فى قلة من أصحابه، فاختار الحمى لقلة الموت بها على الطاعون لما فيها من الأجر الجزيل، و قضيتها إضعاف الأجساد، فلما أمر بالجهاد دعا بنقل الحمى إلى الجحفة، ثم كانوا من حينئذ من فاتته الشهادة بالطاعون ربما حصلت له بالقتل فى سبيل الله، و من فاته ذلك حصلت له

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۵۵

الحمى التى هى حظ المؤمن من النار، ثم استمر ذلك بالمدينة، يعنى بعد كثرة المسلمين تمييزا لها على غيرها، انتهى، و هو يقتضى عود شىء من الحمى إليها بآخرة الأمر، و المشاهد فى زماننا عدم خلوها عنها أصلا، لكنه كما وصف أولا، بخلاف الطاعون، فإنها محفوظة عنه بالكلية كما سيأتى، و الأقرب أنه صلّى اللّه عليه و سلّم لما سأل ربه تعالى لأمته أن لا يلبسهم شيعا و لا يذيق بعضهم بأس بعض فمنعه ذلك فقال فى دعائه: «فحمى إذا أو طاعونا» أراد بالدعاء بالحمى للموضع الذى لا يدخله طاعون كما سنشير إليه فى الفصل الآتى؛ فيكون ما بالمدينة اليوم ليس هو حمى الوباء، بل حمى رحمة بدعائه صلّى اللّه عليه و سلّم كما سنوضحه، و الله أعلم.

الفصل الخامس فى عصمتها من الدجال و الطاعون

حراسة المدينة من الدجال و الطاعون

روينا فى الصحيحين و غيرهما حديث «على أنقاب المدينة ملائكة يحرسونها، لا يدخلها الطاعون و لا الدجال» و فيهما أيضا حديث «ليس من بلد إلا سيطؤها الدجال، إلا مكة و المدينة، ليس نقب من أنقابها إلا عليه ملائكة صافين يحرسونها، فينزل السبخة، ثم ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات، فيخرج إليه كل كافر و منافق» و فى رواية «فيأتى سبخة الجرف، فيخرج إليه كل منافق و منافقة» و فى البخارى حديث «لا يدخل المدينة رعب المسيح، لها يومئذ سبعة أبواب على كل باب ملكان» و فى مسلم حديث «يأتى المسيح من قبل المشرق و همته المدينة حتى ينزل دبر أحد، ثم تصرف الملائكة وجهه قبل الشام، و هناك يهلك» و فى الصحيحين «قصة خروج الرجل الذى هو خير الناس، أو من خير الناس، من المدينة إلى الدجال إذا نزل بعض سباخها فيقول له: أشهد أنك الدجال الذى حدثنا رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم» الحديث بطوله.

قال معمر فيما رواه أبو حاتم: يرون هذا الرجل هو الخضر عليه السلام.

و روى أحمد و الطبرانى فى الأوسط و رجال أحمد رجال الصحيح عن جابر بن عبد الله قال: «أشرف رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم

على فلق من أفلاق الحرة و نحن معه، فقال: نعم الأرض المدينة، إذا خرج الدجال، على كل نقب من أنقابها ملك لا يدخلها، فإذا كان ذلك رجفت المدينة بأهلها ثلاث رجفات لا يبقى منافق و لا منافقة إلا خرج إليه، و أكثرهم- يعنى من يخرج إليه- النساء، و ذلك يوم التخليص، ذلك يوم تنفى المدينة الخبث كما ينفى

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۵۶

الكير خبث الحديد، يكون معه سبعون ألفا من اليهود، على كل رجل منهم ساج و سيف محلى؛ فيضرب قبته بهذا المضرب الذى بمجتمع السيول» الحديث بطوله، و لفظ الطبرانى «يا أهل المدينة، اذكروا يوم الخلاص، قالوا: و ما يوم الخلاص؟ قال: يقبل الدجال حتى ينزل بذباب، فلا يبقى فى المدينة مشرك و لا مشركة، و لا كافر و لا كافرة، و لا منافق و لا منافقة، و لا فاسق و لا فاسقة إلا خرج إليه، و يخلص المؤمنون، فذلك يوم الخلاص» و روى أحمد برجال الصحيح أن رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم قال: «يوم الخلاص، و ما يوم الخلاص؟

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى؛ ج ۱؛ ص۵۶

ثا، فقيل له: و ما يوم الخلاص؟ قال: يجىء الدجال فيصعد أحدا فيقول لأصحابه:

أ ترون هذا القصر الأبيض؟ هذا مسجد أحمد، ثم يأتى المدينة فيجد بكل نقب منها ملكا مصلتا، فيأتى سبخة الجرف، فيضرب رواقه، ثم ترجف المدينة ثلاث رجفات، فلا يبقى منافق و لا منافقة و لا فاسق و لا فاسقة إلا خرج إليه، فذلك يوم الخلاص» و قال الحافظ ابن حجر: إن أحمد و الحاكم أخرجا من رواية محجن بن الأدرع رفعه «يجىء الدجال فيصعد أحدا فيطلع فينظر إلى المدينة فيقول لأصحابه: أ لا ترون إلى هذا القصر الأبيض؟ هذا مسجد أحمد، ثم يأتى المدينة فيجد فى كل نقب من أنقابها ملكا مصلتا سيفه» و بقيته بلفظ الحديث المذكور، إلا أنه قال فى آخره: «فتخلص المدينة، فذلك يوم الخلاص» و المراد بالرواق الفسطاط، و لابن ماجه من حديث أبى أمامة «ينزل عند الطريق الأحمر عند منقطع السبخة» و لأحمد من حديث ابن عمر «ينزل الدجال فى هذه السبخة بمرقناة» أى: ممرها، و فى عقيق المدينة للزبير بن بكار عن أبى هريرة «ركب رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم إلى مجتمع السيول، فقال: أ لا أخبركم بمنزل الدجال من المدينة؟ ثم قال: هذا منزله، يريد المدينة، لا يستطيعها، يجدها متمنطقة بالملائكة، على كل نقب من أنقابها ملك شاهر سلاحه، لا يدخلها الدجال و لا الطاعون، فيزلزل بالمدينة و بأصحاب الدجال زلزلة، لا يبقى منافق و لا منافقة إلا خرج إليه، و أكثر من يتبعه النساء، فلا يعجز الرجل أن يمسك سفيهته».

قلت: يستفاد منه أن المراد من قوله فى الأحاديث المتقدمة: فترجف المدينة يعنى بسبب الزلزلة، فلا يشكل بما تقدم من أنه لا يدخل المدينة رعب المسيخ الدجال فيستغنى عما جمع به بعضهم من أن الرعب المنفى هو أن لا يحصل لمن بها بسبب قربه منها خوف، أو هو عبارة عن غايته، و هو غلبته عليها، و المراد بالرجفة إشاعة مجيئه و أن لا طاقة لأحد به؛ فيتسارع حينئذ عليه من كان يتصف بالنفاق أو الفسق، قاله الحافظ ابن حجر، و ما قدمناه أولى.

و فى الأوسط للطبرانى حديث «ينزل الدجال حذو المدينة، فأول من يتبعه النساء و الإماء» و فى حديث رواه أحمد و الطبرانى و اللفظ له و رجاله ثقات فى وصف الدجال «ثم

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۵۷

يسير حتى يأتى المدينة، و لا يؤذن له فيها، فيقول: هذه قرية ذاك الرجل، ثم يسير حتى يأتى الشام فيهلكه الله عز و جل عند عقبة أفيق» و روى أبو يعلى حديث الجساسة المشهور فى الصحيح بإسنادين أحدهما رجاله رجال الصحيح و زاد فيه «هو المسيح تطوى له الأرض فى أربعين يوما، إلا ما كان من طيبة، قال رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم: و طيبة المدينة، ما باب من أبوابها إلا و ملك مصلت سيفه يمنعه، و بمكة مثل ذلك» و فى البخارى و الترمذى حديث «المدينة يأتيها الدجال فيجد الملائكة يحرسونها فلا يقربها الدجال و لا الطاعون إن شاء الله تعالى».

و روى أحمد و رجاله ثقات و ابن شبة برجال الصحيح حديث «المدينة و مكة محفوفتان بالملائكة، على كل نقب منها ملك لا يدخلها الدجال و لا الطاعون»، و روى أحمد مرسلا و ابنه متصلا و كذا الطبرانى و رجاله ثقات حديث «ذكر لرسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم رجل خرج من بعض الأرياف، حتى إذا كان قريبا من المدينة ببعض الطريق أصابه الوباء؛ ففزع الناس؛ فقال رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم: إنى لأرجو أن لا يطلع علينا نقابها» يعنى: المدينة؛ و نقابها و أنقابها:

طرقها و فجاجها؛ واحدها نقب، بكسر النون.

و قوله فى الرواية المتقدمة «فلا يقربها الدجال و لا الطاعون» فيقتضى جواز دخول الطاعون المدينة، و يرده الجزم فى سائر الأحاديث، و الصواب حفظها منه كما هو المشاهد.

و قد استشكل قرن الدجال بالطاعون مع أن الطاعون شهادة و رحمة فكيف يتمدح بعدمه؟

و الجواب من وجوه: أحدها: أن كونه كذلك ليس لذاته، و إنما المراد ترتب ذلك عليه، و قد ثبت تفسيره من رواية أحمد «بوخز أعدائكم من الجن»؛ فيكون الإشارة بذلك إلى أن كفار الجن و شياطينهم ممنوعون من الطعن، كما أن الدجال ممنوع منها، أ لا ترى أن قتل الكافر المسلم شهادة، و لو ثبت لمحل أن الكفار لا تسلط عليه لحاز بذلك غاية الشرف، ثانيها: أن أسباب الرحمة لم تنحصر فى الطاعون، و قد عوضهم صلّى اللّه عليه و سلّم عنه الحمى حيث اختارها عند ما عرضا عليه كما تقدم، و هى مطهرة للمؤمن و حظه من النار، و الطاعون يأتى فى بعض الأعوام، و الحمى تتكرر فى كل حين، فيتعادلان، و فيه نظر؛ لأن تكثير أسباب الرحمة مطلوب، و لأنه لا يدفع إشكال التمدح بعدمه، ثالثها: أنه و إن اشتمل

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۵۸

على الرحمة و الشهادة فقد ورد أن سببه أشياء تقع من الأمة كظهور بعض المعاصى، و قد روى أحمد بأسانيد حسان و صحاح عن شرحبيل بن حسنة و غيره «أنه- يعنى الطاعون- رحمة ربكم، و دعوة نبيكم، و موت الصالحين قبلكم» و روى أحمد أيضا تفسير كونه دعوة نبيكم عن أبى قلابة بأنه صلّى اللّه عليه و سلّم سأل ربه عز و جل أ لا يهلك أمته بسنة، فأعطيها، و سأله أ لا يسلط عليهم عدوّا من غيرهم، فأعطيها، و سأله أ لا يلبسهم شيعا و يذيق بعضهم بأس بعض، فمنعه، فقال صلّى اللّه عليه و سلّم فى دعائه: فحمى إذا أو طاعونا» كرره ثلاثا؛ فقد تضمن الطاعون نوعا من المؤاخذة؛ لأنه صلّى اللّه عليه و سلّم دعا به ليحصل كفاية إذاقة بعضهم بأس بعض، و يكون هلاكهم حينئذ بسبب لا يعصون به، بل يثابون؛ فحفظ الله تعالى بلد نبيه صلّى اللّه عليه و سلّم من الطاعون المشتمل على الانتقام إكراما لنبيه صلّى اللّه عليه و سلّم و جعل لهم الحمى المضعفة للأبدان عن إذاقة بعضهم بأس بعض و المطهرة لهم؛ فقوله صلّى اللّه عليه و سلم «فحمى إذا» أى: للموضع الذى لا يدخله الطاعون، بل عصم منه و هو جواره الشريف، و قوله «أو طاعونا» أى للموضع الذى لم يعصم منه، و هو سائر البلاد، هذا ما ظهر لى فى فهم هذه الأحاديث، و هو يقتضى شرف الحمى الواقعة بالمدينة و فضلها؛ لأنها دعوة نبينا محمد صلّى اللّه عليه و سلّم و رحمة ربنا أيضا؛ لأنها من لازم دعوة النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و لأنها جعلت فى مقابلة الطاعون الذى هو رحمة لغيرهم؛ فتكون الحمى رحمة لهم؛ فهى غير حمى الوباء الذاهبة من المدينة، رابعها- ذكره الحافظ ابن حجر نقلا عن القرطبى- و هو أن المعنى لا يدخل إلى المدينة من الطاعون مثل الذى وقع فى غيرها كطاعون عمواس، قال الحافظ ابن حجر: و هو يقتضى أن الطاعون يدخلها فى الجملة، و ليس كذلك؛ فقد جزم ابن قتيبة و تبعه جمع جم من آخرهم النووى بأن الطاعون لا يدخل المدينة أصلا، و لا مكة أيضا، لكن نقل جماعة أنه دخل مكة فى الطاعون العام سنة تسع و أربعين و سبعمائة، بخلاف المدينة فلم يذكر أحد قط أنه دخلها أصلا، ثم ذكر الحافظ ابن حجر الحديث المتقدم المشتمل على ذكر مكة أيضا، ثم قال: و على هذا فالذى نقل أنه وجد بمكة ليس كما ظن ناقله كونه طاعونا، بل وباء، و هو أعم من الطاعون، أو يجاب بجواب القرطبى المتقدم، قال: و لعله بنى جوابه على أن الطاعون ما ينشأ عن فساد الهوى فيقع به الموت الكثير، و ليس كذلك؛ ففى الصحيح قول أبى الأسود: قدمت المدينة و هم يموتون بها موتا ذريعا؛ فهذا وقع بالمدينة و هو وباء، و لكن الشأن فى تسميته طاعونا، قال: و الحق أن

المراد بالطاعون فى هذه الأحاديث الذى ينشأ

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۵۹

عن طعن الجن فيهيج به الدم فى البدن فيقتل، فهذا لم يدخل المدينة قط. قلت: نقل الزركشى عن القرطبى أنه فسر الطاعون بالموت العام الفاشى، و هو صريح فى أنه أراد ما فهمه عنه الحافظ ابن حجر، و يرده قوله فى الحديث المتقدم «حتى إذا كان قريبا من المدينة ببعض الطريق أصابه الوباء فأفزع الناس» فإن المراد فيه بالوباء الطاعون المعروف بعلاماته عندهم، و إلا فموت الشخص الواحد لا يفزع و لا يسمى موتا عاما، و يبعد جعل الموت العام بمجرده شهادة، و قد أخبر بعض الأولياء بمشاهدة الجن يقظة يطعنون الناس فى بعض سنى الطاعون، و رأيته أنا كذلك مناما، و رأيت أن بينى و بينهم حائلا، فحمانى الله منه فى تلك السنة، على أنه لو سلّم أن المراد ما ذكره القرطبى فالإشكال المتقدم باق؛ إذ يقال: لم لم يكثر بالمدينة و هو رحمة؟ فالحق ما قدمناه، و هذا- كما قال بعضهم- من المعجزات العظيمة المستمرة التى هى من أعلام نبوته صلّى اللّه عليه و سلّم لأن الأطباء بأجمعهم قد عجزوا عن دفع الطاعون عن بلد ما فى دهر من الدهور. و قد امتنع الطاعون عن المدينة هذه الدهور الطويلة، مع أنه يقع بالحجاز الشريف، و يدخل قرية الينبع و جدة و الفرع و الصفراء و الخيف و غير ذلك من الأماكن القريبة من المدينة، و لا يدخلها هى كما شاهدنا ذلك فى طاعون أواخر سنة إحدى و ثمانين و ثمانمائة مع أوائل التى بعدها؛ فإنه عم أكثر الأماكن القريبة من المدينة، و كثر بجدة، و اختلف فى دخوله مكة، و الذى تحققناه كثرة الموت بها فى ذلك الزمان، و كثرت الحمى بالمدينة، لكن لم يكثر بها موت، و بالجملة فهى محفوظة منه أتم الحفظ؛ فلله الحمد و المنة.

الفصل السادس فى الاستشفاء بترابها، و بتمرها

اشارة

، و ما جاء فيه

ما جاء فى أن ترابه شفاء

روينا فى كتاب ابن النجار و الوفاء لابن الجوزى حديث «غبار المدينة شفاء من الجذام» و فى جامع الأصول لابن الأثير و بيّضا لمخرجه عن سعد رضى الله عنه قال: «لما رجع رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم من تبوك تلقاه رجال من المخلّفين من المؤمنين، فأثاروا غبارا، فخمر- أو فغطى- بعض من كان مع رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم أنفه، فأزال رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم اللثام عن وجهه، و قال: و الذى نفسى بيده إن فى غبارها شفاء من كل داء» قال: و أراه ذكر «و من الجذام و البرص» و قد أورده كذلك رزين العبدرى فى جامعه، و هو مستند ابن الأثير فى إيراده، قال الحافظ المنذرى: و لم أره فى الأصول.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۶۰

الاستشفاء بتراب صعيب

و روى ابن رزين أيضا عن ابن عمر نحوه، إلا أنه قال: «فمد رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم يده فأماطه عن وجهه، و قال: أ ما علمت أن عجوة المدينة شفاء من السقم، و غبارها شفاء من الجذام» و رواه ابن زبالة مختصرا عن صيفى بن أبى عامر، و لفظه «و الذى نفسى بيده إن تربتها لمؤمنة، و إنها شفاء من الجذام» و روى أيضا عن أبى سلمة: بلغنى أن رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم قال:

«غبار المدينة يطفى الجذام». قلت: و قد رأينا من استشفى بغبارها من الجذام، و كان قد أضرّ به كثيرا؛ فصار يخرج إلى الكومة البيضاء ببطحان بطريق قباء و يتمرغ بها و يتخذ منها فى مرقده، فنفعه ذلك جدّا. و روى ابن زبالة و يحيى بن الحسن بن جعفر العلوى و ابن النجار كلاهما من طريقه «أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم أتى بلحارث، فإذا هم روبى، فقال: ما لكم يا بنى الحارث روبى؟ قالوا: أصابتنا يا رسول الله هذه الحمى، قال: فأين أنتم عن صعيب؟

قالوا: يا رسول الله ما نصنع به؟ قال: تأخذون من ترابه فتجعلونه فى ماء، ثم يتفل عليه أحدكم و يقول: بسم الله، تراب أرضنا، بريق بعضنا، شفاء لمريضنا، بإذن ربنا، ففعلوا، فتركتهم الحمى» قال ابن النجار عقبه: قال أبو القاسم طاهر بن يحيى العلوى: صعيب:

وادى بطحان دون الماجشونية، و فيه حفرة مما يأخذ الناس منه، و هو اليوم إذا وبأ إنسان أخذ منه. قلت: قد رأيت ذلك فى نسخة كتاب يحيى التى رواها ابنه طاهر بن يحيى عنه، و الماجشونية هى الحديقة المعروفة اليوم بالمدشونية، و قال ابن النجار عقبه: و قد رأيت أنا هذه الحفرة اليوم، و الناس يأخذون منها، و ذكروا أنهم قد جربوه فوجدوه صحيحا، قال:

و أخذت أنا منه أيضا. قلت: و هذه الحفرة موجودة اليوم، مشهورة سلفا عن خلف، يأخذ الناس منها و ينقلونه للتداوى، و قد بعثت منها لبعض الأصحاب أخذا مما ذكروه فى أخذ نبات الحرم للتداوى، ثم رأيت الزركشى قد قال: ينبغى أن يستثنى من منع نقل تراب الحرم تربة حمزة رضى الله عنه؛ لإطباق السلف و الخلف على نقلها للتداوى من الصداع، فقلت عند الوقوف عليه: أين هو من تراب صعيب لما قدمناه فيه؟ بخلاف ما ذكره إذ لا أصل له، و ذكر المجد أن جماعة من العلماء ذكروا أنهم جربوا تراب صعيب للحمى فوجدوه صحيحا، قال: و أنا بنفسى سقيته غلاما لى مريضا من نحو سنة تواظبه الحمى، فانقطعت عنه من يومه، و ذكر المجد أيضا فى موضع آخر كيفية الاستشفاء به أنه يجعل فى الماء و يغتسل به، و كذا ذكره الجمال المطرى عند ذكر صعيب فقال: و فيه حفرة يؤخذ من ترابها و يجعل فى الماء و يغتسل به من الحمى. قلت: فينبغى أن يجعل فى الماء ثم يتفل عليه، و تقال الرقية الواردة، ثم يجمع بين الشرب و الغسل منه، و يستأنس للغسل بما رويناه عن جزء و أبى مسعود بن

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۱، ص: ۶۱

الفرات الرازى عن ثابت بن قيس «أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم عاده و هو مريض فقال: أذهب الباس ربّ الناس، عن ثابت بن قيس بن شماس، ثم أخذ كفا من بطحاء، فجعله فى قدح من ماء، ثم أمر فصب عليه» و فى الصحيحين حديث «كان رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم إذا اشتكى الإنسان أو كانت به قرحة أو جرح قال بإصبعه هكذا، و وضع سفيان سبابته بالأرض ثم رفعها، و قال: بسم الله، تربة أرضنا، بريق بعضنا، يشفى سقيمنا، بإذن ربنا» و رواه أبو داود بنحوه، و فى رواية «يقول بريقه، ثم قال به فى التراب: تربة أرضنا» و روى ابن زبالة «أن رجلا أتى به رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم و برجله قرحة، فرفع رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم طرف الحصير، ثم وضع أصبعه التى تلى الإبهام على التراب بعد ما مسها بريقه، و قال: بسم الله، ريق بعضنا، بتربة أرضنا، ليشفى سقيمنا، بإذن ربنا، ثم وضع أصبعه على القرحة، فكأنما حل من عقال» و روى أيضا حديث «تراب أرضنا، شفاء لقرحنا، بإذن ربنا» و أن أم سلمة كانت تنعت من القرحة تراب الضبة.

ما جاء فى أن تمرها شفاء

و فى مسلم حديث «من أكل سبع تمرات مما بين لابتيها حين يصبح لم يضره شىء حتى يمسى» و فى الصحيحين حديث «من تصبّح بسبع تمرات عجوة لم يضره فى ذلك اليوم سم و لا سحر» و رواه أحمد برجال الصحيح بلفظ «من أكل سبع تمرات عجوة مما بين لابتى المدينة على الريق لم يضره يومه ذلك شىء حتى يمسى» قال فليح: و أظنه قال «و إن أكلها حين يمسى لم يضره شىء حتى يصبح» و رواه ابن زبالة بلفظ «من تصبح بسبع تمرات من العجوة» لا أعلمه إلا قال «من العالية لم يضره يومئذ سم و لا سحر» و فى صحيح مسلم حديث «إن فى عجوة العالية شفاء، أو إنها ترياق أول البكرة» و روى أحمد برجال الصحيح حديثا فيه «و اعلموا أن

الكمأة دواء العين، و أن العجوة من فاكهة الجنة» و روى النسائى و أبو داود الطيالسى و الطبرانى فى الثلاثة بسند جيد حديث «الكمأة من المن، و ماؤها شفاء للعين، و العجوة من الجنة، و هى شفاء من السم» و قد صح فى سنن أبى داود عن سعد بن أبى وقاص قال «مرضت مرضا، فأتانى رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم يعودنى، فوضع يده بين ثديى حتى وجدت بردها على فؤادى، فقال: إنك رجل مفئود، ائت الحارث بن كلدة أخا ثقيف فإنه رجل يتطبب، فليأخذ سبع تمرات من عجوة المدينة، فليجأهن ثم ليلدّك بهن» و رواه الطبرانى لكن عن سعد بن أبى رافع.

قوله «فليجأهن» أى فليدقهن، قال عياض: و قال ابن الأثير فليجأهن أى: فليدقهن،

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۶۲

و به سميت الوجيئة، و هو تمر يبل بلبن ثم يدق حتى يلتئم، و منه الحديث «أنه دعا سعدا فوصف له الوجيئة» و قوله «ثم ليلدّك» أى: يسقيك، يقال: لدّه باللّدود، إذا سقاه الدواء فى أحد جانبى الفم.

و فى كامل ابن عدى حديث «ينفع من الدؤام أن يأخذ سبع تمرات من عجوة المدينة كل يوم يفعل ذلك سبعة أيام» و فى غريب الحديث للخطابى عن عائشة رضى الله عنهما «أنها كانت تأمر للدؤام و الدوار بسبع تمرات عجوة فى سبع غدوات على الريق» و الدؤام و الدوار: ما يأخذ الإنسان فى رأسه فيدومه، و منه تدويم الطائر، و هو: أن يستدير فى طيرانه، قال الخطابى: كون العجوة عوذة من السم و السحر إنما هو من طريق التبرك بدعوة رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم لا لأن طبعها يفعل شيئا، و قال النووى: فى تخصيصها دون غيرها و عدد السبع من الأمور التى علمها الشارع، و لا نعلم نحن حكمتها؛ فيجب الإيمان بها، و اعتقاد فضلها، و ما ذكره المازرى و القاضى فى هذا باطل، و قصدت بذلك التحذير من الاغترار به، انتهى. و أشار به لقول القاضى فى أثناء تعليل ذلك: إنه لتأثير فى الأرض أو الهواء، و لقول المازرى: لعل ذلك كان لأهل زمنه صلّى اللّه عليه و سلّم خاصة، أو لأكثرهم؛ إذ لم يثبت استمرار وقوع الشفاء فى زمننا غالبا، و إن وجد ذلك فى الأكثر حمل على أنه أراد وصف غالب الحال، انتهى.

و قد جعله ابن التين احتمالا و زاد عليه آخر أعجب منه، فقال: يحتمل أن يكون المراد نخلا خاصّا من المدينة لا يعرف الآن، و يحتمل: أن يكون ذلك خاصّا بزمانه صلّى اللّه عليه و سلّم انتهى.

و هو مردود؛ لأن سوق الأحاديث و إيراد العلماء لها و إطباق الناس على التبرك بعجوة المدينة و تمرها يرد التخصيص بزمنه صلّى اللّه عليه و سلّم مع أن الأصل عدمه، و لم تزل العجوة معروفة بالمدينة يأثرها الخلف عن السلف، يعلمها كبيرهم و صغيرهم علما لا يقبل التشكيك.

و قال الداودى: هى من أوسط التمر كما هو المشاهد اليوم. و قال غيره: هى من أجود تمر المدينة، و مراده أنها ليست من رديه. و قال ابن الأثير: العجوة ضرب من التمر أكبر من الصّيحانى يضرب إلى السواد، و هو مما غرسه النبى صلّى اللّه عليه و سلّم بيده بالمدينة.

و ذكر هذا الأخير البزار أيضا، فلعل الأوداء التى كاتب سلمان الفارسى أهله عليها و غرسها صلّى اللّه عليه و سلّم بيده الشريفة بالفقير أو غيره من العالية كانت عجوة، و العجوة توجد بالفقير

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۶۳

إلى يومنا هذا، و يبعد أن يكون المراد أن هذا النوع إنما حدث بغرسه صلّى اللّه عليه و سلّم و أن جميع ما يوجد منه من غرسه كما لا يخفى.

و روى ابن حبان عن ابن عباس ل «كان أحب التمر إلى رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم العجوة» و فى حديث ضعيف «خير تمركم البرنى، يخرج الداء، و لا داء فيه» و رواه ابن شبة بنحوه خطابا لوفد عبد القيس فى ثمارهم، و كذا الحاكم فى مستدركه، و فى مسلم حديث «يا عائشة بيت لا تمر فيه جياع أهله» قالها مرتين أو ثلاثا، و فيه أيضا حديث «لا يجوع أهل بيت عندهم التمر» و فى الكبير و الصغير للطبرانى و رجال الصغير رجال الصحيح عن ابن عباس «كان رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم إذا أتى بالباكورة من الثمار

وضعها على عينيه ثم قال: اللهم كما أطعمتنا أوله فأطعمنا آخره، ثم يأمر به للمولود من أهله» و لفظ الكبير «كان إذا أتى بالباكورة من التمر قبّلها و جعلها على عينيه» الحديث، و فى نوادر الحكيم الترمذى عن أنس بن مالك قال «كان رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم إذا أتى بالباكورة من كل شىء قبلها و وضعها على عينه اليمنى ثلاثا، ثم على عينه اليسرى ثلاثا، ثم يقول: اللهم» الحديث بنحوه.

و روى البزار بسند فيه ضعيف حديث «يا عائشة إذا جاء الرطب فهنئنى» و رويناه فى الغيلانيات، و فيها أيضا حديث «كان رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم يعجبه أن يفطر على الرطب فى أيام الرطب، و على التمر إذا لم يكن رطب، و يختم بهن، و يجعلهن وترا ثلاثا أو خمسا أو سبعا» و فيها حديث «كلوا التمر على الريق؛ فإنه يقتل الدود».

و أنواع تمر المدينة كثيرة، ذكرنا ما أمكن جمعه منها فى الأصل فبلغ مائة و بضعا و ثلاثين نوعا: منها النوع المسمى بالصّيحانى، و قد أسند الصدر إبراهيم بن محمد بن مؤيد الحموى فى كتابه فضل أهل البيت عن جابر رضى اللّه عنه قال «كنت مع النبى صلّى اللّه عليه و سلّم يوما فى بعض حيطان المدينة، و يد على فى يده، قال: فمررنا بنخل، فصاح النخل: هذا محمد سيد الأنبياء، و هذا على سيد الأولياء أبو الأئمة الطاهرين، ثم مررنا بنخل فصاح النخل: هذا محمد رسول الله، و هذا على سيف الله، فالتفت النبى صلّى اللّه عليه و سلّم إلى على، فقال له: يا على سمّه الصيحانى، فسمى من ذلك اليوم الصيحانى» و هو حديث غريب؛ فكان هذا سبب تسمية ذلك النوع بهذا الاسم؛ لأن تلك النخلات كانت منه، و يحتمل أن يكون المراد تسمية ذلك الحائط بهذا الاسم، و بالمدينة اليوم موضع بجفاف يعرف بالصيحانى.

و روى بعضهم هذا الحديث عن على بألفاظ فيها نكارة، و فى آخره «يا على سمّ نخل المدينة صيحانيا لأنهن صحن بفضلى و فضلك».

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۱، ص: ۶۴

الفصل السابع فى سرد خصائصها

اشارة

و هى كثيرة لا تكاد تنحصر، وها أنا ذاكر ما حضرنى منها الآن و إن شاركتها مكة فى بعضه، فأقول و بالله التوفيق:

الخاصة الأولى: ما تقدمت الإشارة إليه من كونه صلّى اللّه عليه و سلّم خلق من طينتها،

و كذا أبو بكر و عمر رضى الله عنهما و أكثر الصحابة و السلف ممن دفن بها و روى أن الله تعالى بعث جبريل و ميكائيل ليقبضا قبضة من الأرض بقدميه، فصار بعض الأرض بين قدميه و بعض الأرض موضع أقدامه، فخلقت النفس مما مس قدم إبليس؛ فصارت مأوى الشر، و من التربة التى لم يصل إليها قدم إبليس أصل الأنبياء و الأولياء.

قال فى العوارف: و كانت درة رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم موضع نظر الله تعالى من قبضة عزرائيل لم يمسها قدم إبليس.

و قيل: لما خاطب الله السموات و الأرض بقوله: ائْتِيا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً [فصلت:

۱۱] الآية أجاب من الأرض موضع الكعبة و من السماء ما يحاذيها.

و عن ابن عباس: أصل طينة النبى صلّى اللّه عليه و سلّم من سرة الأرض بمكة، يعنى الكعبة، و هو مشعر بأن ما أجاب من الأرض درته صلّى اللّه عليه و سلّم و من الكعبة دحيت الأرض؛ فصار صلّى اللّه عليه و سلّم هو الأصل فى التكوين.

قال فى العوارف عقبه: و تربة الشخص مدفنه، فكان مقتضى ذلك أن يكون مدفنه هناك، لكن قيل: لما تموج الماء رمى الزبد إلى النواحى، فوقعت جوهرة النبى صلّى اللّه عليه و سلّم إلى ما يحاذى تربته الشريفة بالمدينة، فكان مكيا مدنيا.

قلت: فلمكة الفضل بالبداية، و للمدينة بالاستقرار و النهاية.

الثانية: اشتمالها على البقعة التى انعقد الإجماع على تفضيلها على سائر البقاع،

كما تقدم تحقيقه.

الثالثة: دفن أفضل الأمة بها

و الكثير من الصحابة الذين هم خير القرون.

الرابعة: أنها محفوفة بأفضل الشهداء

الذين بذلوا نفوسهم فى ذات الله بين يدى نبيه صلّى اللّه عليه و سلّم؛ فكان شهيدا عليهم.
و نقل عياض فى المدارك و ابن الجوزى فى منسكه أن مالكا كان يقول فى فضل المدينة: هى دار الهجرة و السنة، و هى محفوفة بالشهداء، و بها خيار الناس بعد رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم.
وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۱، ص: ۶۵

الخامسة: أن الله تعالى اختارها دارا و قرارا لأفضل خلقه

و أكرمهم عليه صلّى اللّه عليه و سلّم.

السادسة: أن الله تعالى اختار أهلها للنصرة و الإيواء.

السابعة: أن سائر البلاد افتتحت بالسيف، و افتتحت هى بالقرآن،

كما هو مروى عن مالك، و رفعه ابن زبالة من طريقه.

الثامنة: أن الله تعالى افتتح منها سائر بلاد الإسلام،

حتى مكة المشرفة، و جعلها مظهر دينه القويم.

التاسعة: ما ذكره عياض من الاتفاق على وجوب الهجرة إليها قبل فتح مكة،

و وجوب سكناها لنصرة النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و مواساته بالأنفس، قال و من هاجر قبل الفتح فالجمهور على منعه من الإقامة بمكة بعد الفتح، و رخص له فى الإقامة ثلاثة أيام بعد قضاء نسكه.

العاشرة: أنه يبعث أشراف هذه الأمة يوم القيامة منها،

على ما نقله عياض فى المدارك عن مالك فى ضمن أشياء فى فضل المدينة، قال و هذا لا يقوله مالك من عند نفسه.

الحادية عشرة: ما تقدم فى الأسماء من تسميتها بالمؤمنة و المسلمة،

و إن ترتبتها لمؤمنة، و أنه لا مانع من أن الله خلق ذلك فيها.

الثانية عشرة: إضافتها إلى الله تعالى

فى قوله أَ لَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ واسِعَةً [النساء ۹۷] على ما تقدم فى الأسماء، و قد جاءت الأرض غير مضافة إلى الله تعالى و المراد بها مكة، و ذلك فى قوله تعالى وَ اذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ [الأنفال ۲۶].

الثالثة عشرة: إضافة الله إياها إلى رسوله بلفظ البيت

فى قوله كَما أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِ [الأنفال ۵] على ما تقدم فى الأسماء.

الرابعة عشرة: إقسام الله تعالى بها

فى قوله لا أُقْسِمُ بِهذَا الْبَلَدِ [البلد ۱] على ما سبق فى الأسماء، أى نحلف لك بهذا البلد الذى شرفته بك، و «لا» زائدة للتأكيد، و يدل عليه قراءة الحسن و الأعمش «لأقسم».

الخامسة عشرة: أن الله بدأ بها

فى قوله وَ قُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَ أَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ [الإسراء ۸۰] فمدخل صدق هى، و مخرجه مكة كما تقدم، مع أن القياس البداءة بالمخرج لموافقة الواقع. فإن قيل التقديم للاهتمام بأمر المدخل، قلنا فى الاهتمام به كفاية.

السادسة عشرة: تسميتها فى التوراة بالمرحومة و نحوه،

و مخاطبة الله إياها كما تقدم.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۶۶

السابعة عشرة دعاؤه صلّى اللّه عليه و سلّم بحبها كمكمة و أشد، و تسميتها بالحبيبة و غيره مما تقدم، و دعاؤه أن يجعل الله له بها قرارا و رزقا حسنا.

الثامنة عشرة: تحريكه صلّى اللّه عليه و سلّم دابته أو إيضاعها إذا أبصر جدرانها عند قدومها،

و أنه كان إذا أقبل من مكة فكان بالأثاية طرح رداءه عن منكبيه و قال «هذه أرواح طيبة» كما تقدم.

التاسعة عشرة: اهتمامه صلّى اللّه عليه و سلّم بأمر الدعاء لها

بالبركة و غير ذلك.

العشرون: تحريمها على لسان أفضل الأنبياء صلوات اللّه و سلامه عليه إكراما له،

و كونه لا جزاء فيها على القول به دليل عظيم حرمتها حيث لم يشرع فيها جابر.

الحادية و العشرون تأسيس مسجدها الشريف على يده صلّى اللّه عليه و سلّم و عمله فيه بنفسه،

و معه خير الأمة المهاجرون الأولون و الأنصار المقدمون.

الثانية و العشرون: اختصاصها بالمسجد

الذى أنزل الله فيه لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ [التوبة ۱۰۸].

الثالثة و العشرون: كون ما بين بيته و منبره روضة من رياض الجنة،

و فى رواية «ما بين منبرى و هذه الحجر» يعنى حجره صلّى اللّه عليه و سلّم و سيأتى بيان أن ذلك يعم مسجده صلّى اللّه عليه و سلّم على ما هو المشهور بين الناس فى تحديد المسجد الشريف؛ و لهذا قال بعضهم هذا المسجد هو المسجد الذى لا تعرف بقعة فى الأرض من الجنة غيره.

الرابعة و العشرون: كون منبره الشريف على ترعة من ترع الجنة،

و أن قوائمه رواتب فى الجنة، و فى رواية «و منبرى على حوضى».

الخامسة و العشرون: ما ورد فى مسجده الشريف من المضاعفة الآتى بيانها.

السادسة و العشرون: حديث «من صلّى فى مسجدى هذا أربعين صلاة كتب له براءة من النار، و براءة من العذاب، و برئ من النفاق»

رواه الطبرانى فى الأوسط.

السابعة و العشرون: ما سيأتى أن من خرج على طهر لا يريد إلا الصلاة فيه كان بمنزلة حجة،

و أن الخارج إليه من حين يخرج من منزله فرجل تكتب حسنة و رجل تحط خطيئة.

الثامنة و العشرون: أن إتيان مسجد قباء يعدل عمرة

كما سيأتى.

التاسعة و العشرون: حديث «صيام شهر رمضان فى المدينة كصيام ألف شهر فيما سواها، و صلاة الجمعة فى المدينة كألف صلاة فيما سواها»

فسائر أفعال البر كـذلك كما قيل به فى مكة، و به صـرح أبو سـليمان داود الشاذلى فى الانتصار، ثم رأيته فى الإحياء، قال إن الأعمال فى المدينة تتضاعف، قال صـلّى اللّه عليه و سلّم «صلاة فى مسجدى هذا» الحديث، ثم قال فكذلك كل عمل بالمدينة بألف انتهى، و قال ابن الرفعة فى المطلب و قد ذهب

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۶۷

بعض العلماء إلى أن الصيام بالمدينة أفضل من الصلاة، و الصلاة بمكة أفضل من الصيام، مراعاة لنزول فرضيتهما، انتهى.

قلت: و يؤخذ من هذه العلة أن كل عبادة شرعت بالمدينة فهى بها أفضل منها بمكة، و لك أن تعد هذا خاصة مستقلة.

الثلاثون: حديث «لا يسمع النداء فى مسجدى هذا ثم يخرج منه إلا لحاجة ثم لا يرجع إليه إلا منافق».

الحادية و الثلاثون: تأكد التعلم و التعليم بمسجدها

كما سيأتى.

الثانية و الثلاثون: اختصاصه بمزيد الأدب و خفض الصوت؛

لكونه بحضرة سيد المرسلين، و اختصاصه عند بعضهم بمنع أكل الثوم و نحوه من دخوله؛ لاختصاصه بملائكة الوحى.

الثالثة و الثلاثون: أنه لا يجتهد فى محرابه؛ لأنه صواب قطعا؛

فلا مجال للاجتهاد فيه حتى باليمنة و اليسـرة، بخلاف محاريب المسـلمين، و المراد مكان مصـلاه صـلّى اللّه عليه و سلّم قال الرافعى و فى معناه سائر البقاع التى صلّى فيها صلّى اللّه عليه و سلّم إذا ضبط المحراب، قلت و فى ضبطه بغيرها عسر أو تعذر.

الرابعة و الثلاثون: أن ما بين منبره صلّى اللّه عليه و سلّم و مسجد المصلى روضة من رياض الجنة،

و هذا جانب كبير من هذه البلدة.

الخامسة و الثلاثون: حديث «أحد على ترعة من ترع الجنة»

و حديث «أحد جبل يحبنا و نحبه».

السادسة و الثلاثون: حديث «إن بطحان على ترعة من ترع الجنة».

السابعة و الثلاثون: وصف العقيق بالوادى المبارك،

و أنه صلّى اللّه عليه و سلّم يحبه، و فى رواية «يحبنا و نحبه».

الثامنة و الثلاثون: حثه صلّى اللّه عليه و سلّم على الإقامة بها.

التاسعة و الثلاثون: حثه على اتخاذ الأصل بها.

الأربعون: حثه على الموت بها،

و الوعد على ذلك بالشفاعة أو الشهادة أو هما.

الحادية و الأربعون: حرصه صلّى اللّه عليه و سلّم على موته بها.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۱، ص: ۶۸

الثانية و الأربعون: كون أهلها أول من يشفع لهم،

و اختصاصهم بمزيد الشفاعة و الإكرام كما تقدم.

الثالثة و الأربعون: بعث الميت بها من الآمنين

على ما سيأتى.

الرابعة و الأربعون: أنه يبعث من بقيعها سبعون ألفا على صورة القمر يدخلون الجنة بغير حساب،

و مثله فى مقبرة بنى سلمة، و توكل ملائكة بمقبرة البقيع كلّما امتلأت أخذوا بأطرافها فكفئوها فى الجنة.

الخامسة و الأربعون: بعث أهلها من قبورهم قبل سائر الناس.

السادسة و الأربعون: شهادته- أو شفاعته- صلّى اللّه عليه و سلّم لمن صبر على لأوائها و شدتها.

السابعة و الأربعون: وجوب شفاعته صلّى اللّه عليه و سلّم لمن زاره بها.

الثامنة و الأربعون: استجابة الدعاء بها عند القبر الشريف،

و يقال إنه مستجاب عند الأسطوان المخلق، و عند المنبر، و فى زاوية دار عقيل بالبقيع، و بمسجد الفتح بعد صلاة الظهر يوم الأربعاء، و استجابة الدعاء بمسجد الإجابة و مسجد السقيا و بالمصلى عند القدوم، و عند بركة السوق فى يوم العيد، و عند أحجار الزيت و بالسوق، لما سيأتى عند ذكر هذه الأماكن من ورود ذلك عنه صلّى اللّه عليه و سلّم بها.

التاسعة و الأربعون: كونها تنفى خبثها.

الخمسون: كونها تنفى الذنوب كما تنفى النار خبث الفضة.

الحادية و الخمسون: الوعيد الشديد لمن ظلم أهلها أو أخافهم.

الثانية و الخمسون: من أرادها و أهلها بسوء أذابه الله كما يذوب الملح فى الماء،

و فى رواية أذابه الله فى النار، و يؤخذ من ترتيب الوعيد على الإرادة مساواة المدينة لحرم مكة فى هذا، و فيه قال تعالى وَ مَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحادٍ بِظُلْمٍ [الحج ۲۵] الآية، و يتمسك للمساواة أيضا بقوله صلّى اللّه عليه و سلّم «كما حرم إبراهيم مكة» فقول ابن مسعود ما من بلدة يؤاخذ العبد فيها بالهم قبل الفعل إلا مكة و تلا الآية مشكل، و أيضا فالهم العارض الوارد من غير عزم لا مؤاخذة به مطلقا بالاتفاق، و أما الثابت الذى يصحبه التصميم فالعبد مؤاخذ به بمكة و بغيرها، و إنما خصوصية الحرم تعظيم العذاب لمن همّ فيه لجرأته؛ و لذا روى أحمد فى معنى الآية بإسناد صحيح مرفوعا «لو أن رجلا همّ فيه بإلحاد و هو بعدن أبين لأذاقه الله عذابا أليما».

الثالثة و الخمسون: الوعيد الشديد لمن أحدث بها حدثا أو آوى محدثا،

و تقدم تفسير الحديث بالإثم مطلقا، و أنه دال على أن الصغيرة بها كبيرة؛ و للوعيد الشديد فى ذلك؛

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۱، ص: ۶۹

لأنها حضرة أشرف المرسلين صلّى اللّه عليه و سلّم و سوء الأدب على بساط الملك ليس كالإساءة فى أطراف المملكة.

قال بعض السلف: إياك و المعصية فإن عصيت و لا بد فليكن فى مواضع الفجور، لا فى مواضع الأجور؛ لئلا يتضاعف عليك الوزر، أو تعجل لك العقوبة.

فإن قيل هذا قول بتضعيف السيئات فى الحرم، و الراجح خلافه؛ لقوله تعالى:

وَ مَنْ جاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزى إِلَّا مِثْلَها [الأنعام: ۱۶۰].

قلنا: تحرير النزاع أن القائل بالمضاعفة أراد مضاعفة مقدارها: أى: عظمها، لا العدد، فإن السيئة جزاؤها سيئة، لكن السيئات قد تتفاوت عقوبتها باختلاف الأشخاص و الأماكن، كما أن تقدير كل أحد بما يليق به فى الزجر، فجزء السيئة مثلها، و من المماثلة رعاية ما اقترن بها مما دل على جرأة مرتكبها، و لا تكتب إلا واحدة، و الله أعلم.

الرابعة و الخمسون: الوعيد لمن لم يكرم أهلها و أن إكرامهم و حفظهم حق على الأمة،

و أنه صلّى اللّه عليه و سلّم شفيع- أو شهيد- لمن حفظهم فيه.

الخامسة و الخمسون: حديث «من أخاف أهل المدينة فقد أخاف ما بين جنبىّ».

السادسة و الخمسون: حديث «من غاب عن المدينة ثلاثة أيام جاءها و قلبه مشرب جفوة»

و إنه «لا يخرج أحد منها رغبة عنها إلا أخلف الله تعالى فيها خيرا منه» كما فى حديث مسلم، قال المحب الطبرى: فيه إشعار بذم الخروج منها، و ذهب بعضهم إلى أنه مخصوص بمدة حياته صلّى اللّه عليه و سلّم فأما بعد وفاته فقد خرج نفر كثير من كبار الصحابة، و ذهب آخرون إلى أنه عام أبدا، قال الطبرى: و هو ظاهر اللفظ، نعم هو مخصوص بالمستوطن، لا من نوى الإقامة بها مدة ثم ينقلب إلى وطنه.

السابعة و الخمسون: إكرام الله لها بنقل وبائها و تحويل حماها.

الثامنة و الخمسون: الاستشفاء بترابها،

و ما تقدم فی ثمارها.

التاسعة و الخمسون: عصمتها من الطاعون.

الستون: عصمتها من الدجال،

و خروج الرجل الـذی هو خیر الناس- أو من خیر الناس- إلیه منها، و قوله له: أشـهد أنک الدجال، و أنه لا یسـلّط علیه بآخرة الأمر، و بهذا تتمیز علی مکة، و السر فیه أن سید المرسلین- و هو حجة الله علی العباد- بالمدینة.

الحادیة و الستون: ما فی حدیث الطبرانی من قوله صلّی اللّه علیه و سلّم «و حق علی کل مسلم زیارتها».

الثانیة و الستون: سماعه صلّی اللّه علیه و سلّم سلام من سلّم و صلاة من صلّی علیه عند قبره الشریف،

و رده علیه.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفی، ج۱، ص: ۷۰

الثالثة و الستون: اختصاصها بملک الإیمان و الحیاء،

کما تقدم فی الأسماء.

الرابعة و الستون: کون الإیمان یأزر إلیها.

الخامسة و الستون: اشتباکها بالملائکة و حراستهم لها.

السادسة و الستون: کونها أول أرض اتخذ بها مسجد لعامة المسلمین فی هذه الأمة.

السابعة و الستون: کون مسجدها آخر مساجد الأنبیاء،

و آخر المساجد التی تشد إلیها الرحال، و کونه أحق المساجد أن یزار کما سیأتی.

الثامنة و الستون: کثرة المساجد و المشاهد و الآثار بها،

بل البرکـة عامة منبثة بها، و لهذا قیل لمالک: أیما أحب إلیک المقام هنا یعنی المدینة أو بمکة؟ فقال: هاهنا، و کیف لا أختار المدینة و ما بها طریق إلا سلک علیها رسول الله صلّی اللّه علیه و سلّم و جبریل علیه السلام ینزل علیه من عند رب العالمین فی أقل من ساعة؟

التاسعة و الستون: ما یوجد بها من رائحة الطیب الزکیة،

علی ما تقدم فی الأسماء.

السبعون: طيب العيش بها،

على ما تقدم هناك أيضا.

الحادية و السبعون: استحقاق من عاب تربتها للتعزير؛

فقد أفتى مالك فيمن قال «تربة المدينة رديئة» بأن يضرب ثلاثين درة، و أمر بحبسه، و كان له قدر، و قال: ما أحوجه إلى ضرب عنقه، تربة دفن فيها النبى صلّى اللّه عليه و سلّم يزعم أنها غير طيبة؟

الثانية و السبعون: الوعيد الشديد لمن حلف يمينا فاجرة عند منبرها.

الثالثة و السبعون: استحباب الدخول لها من طريق و الرجوع فى أخرى،

لما سيأتى فى مسجد المعرّس.

الرابعة و السبعون: استحباب الاغتسال لدخولها.

الخامسة و السبعون: استحباب الدعاء و الطلب من الله الموت بها.

السادسة و السبعون: أنها دار إسلام أبدا؛

لحديث «إن الشياطين قد يئست أن تعبد ببلدى هذا».

السابعة و السبعون: أنها آخر قرى الإسلام خرابا،

رواه الترمذى و قال: حسن غريب، و رواه ابن حبان بلفظ «آخر قرية فى الإسلام خرابا المدينة».

الثامنة و السبعون: تخصيص أهلها بأبعد المواقيت و أفضلها؛

تعظيما لأجورهم.

التاسعة و السبعون: ذهب بعض السلف إلى تفضيل البداءة بالمدينة قبل مكة،

و هى مسألة عزيزة، و ممن نص عليها ابن أبى شيبة فى مصنفه فروى عن علقمة و الأسود و عمرو بن ميمون أنهم بدءوا بالمدينة قبل مكة، و أن نفرا من أصحاب رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم كانوا

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۱، ص: ۷۱

يبدؤون بالمدينة، و فى المناسك الكبير للإمام أحمد رواية ابنه عنه: سئل عمن يبدأ بالمدينة قبل مكة، فذكر بإسناده عن عبد الرحمن بن يزيد و عطاء و مجاهد قالوا: إذا أردت مكة فلا تبدأ بالمدينة و ابدأ بمكة، فإذا قضيت حجك فامرر بالمدينة إن شئت، و عن

إبراهيم النخعى و مجاهد: إذا أردت مكة للحج و العمرة فاجعل كل شىء لها تبعا، ثم روى أن نفرا من أصحاب رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم كانوا يبدؤون بالمدينة إذا حجوا، يقولون: نبدأ من حيث أحرم رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم. قلت: و هذا أرجح؛ لتفضيل ميقات المدينة، و إتيان المدينة أولا وصلة إليه، مع ما فيه من البداءة بزيارة النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و إيثارها، و لعله السبب عند من بدأ بالمدينة ممن تقدم ذكره من التابعين كما قال السبكى. و نقل الزركشى عن العبدى شارح الرسالة من المالكية أنه قال: المشى إلى المدينة لزيارة قبر النبى صلّى اللّه عليه و سلّم أفضل من الكعبة و من بيت المقدس، انتهى. و الخلاف فيما إذا لم تكن المدينة على طريقه؛ لأن مأخذ من رجّح البداءة بمكة المبادرة إلى قضاء الفرض، و لهذا قال الموفق ابن قدامة: قال أحمد: و إذا حج الذى لم يحج قط- يعنى من غير طريق الشام- لا يأخذ على طريق المدينة؛ لأنى أخاف أن يحدث به حدث، فينبغى أن يقصد مكة من أقصر الطرق و لا يتشاغل بغيره، قال السبكى: و هو فى العمرة متجه؛ لإمكان فعلها متى وصل، و أما الحج فله وقت مخصوص فإذا كان متسعا لم يفت بمروره بالمدينة شىء. قلت: و مع ذلك فهو فى الفرض، و لهذا قال فى الفصول: نقل صالح و أبو طالب: إذا حج للفرض لم يمر بالمدينة؛ لأنه إن حدث به حدث الموت كان فى سبيل الحج، و إن كان تطوعا بدأ بالمدينة، انتهى. و ممن نص على المسألة أيضا الإمام أبو حنيفة على ما نقله أبو الليث السمرقندى، و قال: إن الأحسن البداءة بمكة.

الثمانون: اختصاص أهلها فى قيام رمضان بستّ و ثلاثين ركعة،

على المشهور عند الشافعية، قال الرافعى و النووى: قال الشافعى: رأيت أهل المدينة يقومون بتسع و ثلاثين ركعة، منها ثلاث للوتر، قال أصحابنا: و ليس لغير أهل المدينة ذلك؛ لشرفهم بمهاجر رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم و قبره، ثم قال الرافعى: و سبب فعل أهل المدينة ذلك أن الركعات العشرين خمس ترويحات، و كان أهل مكة يطوفون بين كل ترويحتين أسبوعا، و يصلون ركعتى الطواف أفرادا، و كانوا لا يفعلون ذلك بين الفريضة و التراويح و لا بين التراويح و الوتر، فأراد أهل المدينة أن يساووهم فى الفضيلة، فجعلوا مكان كل أسبوع- أى: مع كل ركعتيه- ترويحة؛ فحصل أربع ترويحات هى ستة عشر ركعة، انتهى.

و نقل الروياني فى البحر هذا السبب عن الشافعى. و قال القاضى أبو الطيب الطبرى:

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۷۲

قال الشافعى: لا يجوز لغير أهل المدينة أن يماروا أهل مكة و لا ينافسوهم لأن الله فضّلهم على سائر البلاد، انتهى. و حاصل التوجيه أن الحسد فى الخير مطلوب، و هو فى الحقيقة غبطة كما حسد المهاجرون- لما لم يكن لهم ما يتصدقون به- الأنصار فقالوا: ذهب أهل الدثور بالأجور، فأثبت أهل المدينة هذا العدد بضرب من الاجتهاد ليلحقوا بأهل مكة، و قد تشارك البلدان فى الفضائل حتى اختلف فى تفضيل كل منهما على الأخرى، و جعل لأهل المدينة ما يحصل به ثواب الاعتمار و الحج، و امتازت المدينة بالمهاجر و القبر، فجعل لأهلها طريق إلى تحصيل تلك الفضيلة السابقة مع إقامتهم بها، و لعله لو لم يشرع لهم ذلك لحملتهم الرغبة فى الخير على الانتقال إلى مكة، و سكنى المدينة مطلوب، و أما غيرهم فليس له شىء من هذا الفضل، فكيف يتأتى له مساواة أهل مكة؟ فلم يشرع لهم ذلك، هذا و إجماع أهل المدينة حجة عند مالك، و القيام بهذا العدد بالمدينة باق إلى اليوم إلا أنهم يقومون بعشرين ركعة عقب العشاء، ثم يأتون آخر الليل فيقومون بستة عشر ركعة، فوقع لهم خلل فى أمر الوتر نبّهنا عليه فى كتاب «مصابيح القيام، فى شهر الصيام» و كنت قد ذكرت لهم ما يحصل به إزالة ذلك، ففعلوه مدة، ثم غلبت الحظوظ النفسية على بعضهم فعاد الأمر كما كان.

الحادية و الثمانون: زيادة البركة بها، على مكة المشرفة،

و قد قدمنا حديثا يشير إلى أن المدعو به لها ستة أضعاف ما بمكة من البركة، و المصرح به فى الأحاديث «ضعفى ما جعلت بمكة من

البركة» و فى بعضها «مثل ما جعلت بمكة من البركة و مع البركة بركتين».

الثانية و الثمانون: نقل عن مالک أن خبر الواحد إذا عارضه إجماع أهل المدينة قدم إجماعهم،

و لهذا روى حديث خيار المجلس ثم قال: و ليس لهذا عندنا حد معلوم و لا أمر معمول به؛ لما اختص به أهل المدينة من سكناهم مهبط الوحى و معرفتهم بالناسخ و المنسوخ، فمخالفتهم تقتضى علمهم بما أوجب ترک العمل من ناسخ أو دليل راجح، و المحققون على أن البقاع لا أثر لها فى ذلک، و قد بلغ ابن أبى ذئب- و هو من أقران مالک- مخالفته للحديث فأغلظ فى ذلک لأن العصمة إنما تثبت فى إجماع جميع الأمة، و يؤخذ من كلام مالک اختصاص ذلک بعمل أهل ذلک العصر من أهل المدينة.
وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۷۳

الثالثة و الثمانون: حديث النسائى و البزار و الحاكم و اللفظ له «يوشک الناس أن يضربوا أكباد الإبل فلا يجدوا عالما أعلم من عالم المدينة»

و قال: صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه، و قد كان ابن عيينة يقول: نرى هذا العالم مالک بن أنس، انتهى. قال الزركشى:
و فيما حكاه عن سفيان نظر؛ لما فى صحيح ابن حبان أن إسحاق بن موسى قال: بلغنى عن ابن جريج أنه كان يقول: نرى أنه مالک بن أنس، فذكرت ذلک لسفيان بن عيينة فقال:
إنما العالم من يخشى الله، و لا نعلم أحدا كان أخشى لله من العمرى، قال التوربشتى فى شرح المصابيح: يعنى عبد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب، كان من عباد الله الصالحين المشائين فى بلاده و عباده بالنصيحة. بلغنا أنه كان يخرج إلى البادية ليتفقد أهلها شفقة عليهم و أداء الحق النصيحة فيهم، و قد أخرج الترمذى الحديث و حسّنه، و تكلم ابن حزم فيه، ثم قال: و لم يتعين هذا فى مالک؛ لأنه كان فى عصره جماعة لا يفضل على واحد منهم، و كان بالمدينة من هو أجل منه كسعيد بن المسيب؛ فهذا الحديث أولى به. و قال ابن عيينة: و لو سئل أىّ الناس أعلم؟ لقالوا: سفيان الثورى، قال ابن حزم: و إن صح هذا الحديث فإنما إذا قرب قيام الساعة و أرز الإيمان إلى المدينة و غلب الدجال على الأرض خلا مكة و المدينة، و أما حتى الآن فلم يأت صفة ذلک الحديث؛ لأن الفقه انقطع من المدينة جملة، و استقر فى الآفاق، انتهى. و لا يخلو عن نزاع.

الرابعة و الثمانون: تحريم نقل أحجار حرمها و ترابه

كما سيأتى بيانه.

الخامسة و الثمانون: لو نذر تطييب مسجد المدينة و كذا الأقصى ففيه تردد لإمام الحرمين؛

لأنا إن نظرنا إلى التعظيم ألحقناهما بالكعبة، أو إلى امتياز الكعبة بالفضل فلا، و كلام الغزالى فى آخر باب النذر يقتضى اختصاصه بالمسجدين كما فرضناه، لا فى غيرهما من المساجد، و الإمام طرده فى الكل، و حيث كان الملحظ ما ذكر فينبغى أن لا يتوقف فيما لو نذر تطييب القبر الشريف.

السادسة و الثمانون: إذا نذر زيارة قبر النبى صلّى اللّه عليه و سلّم لزمه الوفاء بذلک وجها واحدا،

و فى وجوب الوفاء فى زيارة قبر غيره وجهان، قاله ابن كجّ، و أقره عليه الرافعى و النووى و غيرهما.

السابعة و الثمانون: قيام مسجدها مقام المسجد الأقصى كالمسجد الحرام

فيما لو نذر الصلاة أو الاعتكاف فى الأقصى؛ فإن الأصح لزومه به، و أجزأ مسجد المدينة لزيادة فضله، و لو نذرهما بمسجد المدينة لم يجزه فعل ذلك بالأقصى و يجزيه بالمسجد الحرام.

الثامنة و الثمانون: الاكتفاء بزيارة قبر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم لمن نذر إتيان مسجد المدينة،

كما قال الشيخ أبو على تفريعا على القول بلزوم إتيانه كما قاله الشافعى و البويطى و على أنه لا بد من ضم قربة إلى الإتيان كما هو الأصح تفريعا على اللزوم، و علله الشيخ أبو على

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۱، ص: ۷۴

بأن زيارته صلّى اللّه عليه و سلّم من أعظم القربات، و توقف فى ذلك الإمام من جهة أنها لا تتعلق بالمسجد و تعظيمه، قال: و قياسه أنه لو تصدق فى المسجد أو صام يوما كفاه، و فيه نظر، على أن الصحيح ما نص عليه فى المختصر من عدم لزوم الإتيان، و إن كان اللزوم أرجح دليلا، و رجح الرافعى تفريعا على اللزوم ضم صلاة أو اعتكاف، و كذا إذا نذر إتيان الأقصى، فإن نفس المرور لما لم يكن فى نفسه مزية انصرف النذر إلى ما يقصد فيه من القرب و بهذا يترجح ما قاله الشيخ أبو على، لأن إتيان مسجد المدينة يقصد للصلاة و الاعتكاف و الزيارة بخلاف غيره.

التاسعة و الثمانون: قال ابن المنذر: إذا نذر أن يمشى إلى مسجد الرسول و المسجد الحرام لزمه الوفاء به لأنه طاعة؛

و من نذر أن يمشى إلى بيت المقدس كان بالخيار: إن شاء مشى إلى المسجد الأقصى، و إن شاء مشى إلى المسجد الحرام؛ لحديث أن رجلا قال للنبى صلّى اللّه عليه و سلّم: إنى نذرت إن فتح الله عليك مكة أن أصلى فى مسجد بيت المقدس، قال صلى اللّه عليه و سلم: «صلّ هنا، ثلاثا» انتهى. و يعلم مما تقرر فى إجزاء مسجد المدينة عن الأقصى فى الإتيان و الصلاة إجزاؤه هنا كالمسجد الحرام، و الذى اقتضاه كلام البغوى تصحيح عدم لزوم المشى فى مسجد المدينة و الأقصى، و هو الذى رجحوه.

التسعون: قوله صلّى اللّه عليه و سلّم فى أحاديث تحريمها «و لا يحمل فيها سلاح لقتال».

الحادية و التسعون: قوله فيها أيضا: «و لا تلتقط لقطته إلا لمن أشاد بها».

الثانية و التسعون: إذا قلنا بضمان صيدها و قطع شجرها فالصحيح أنه يسلب الصائد كما يسلب قتيل الكفار،

و هذا أبلغ فى الزجر من الجزاء.

الثالثة و التسعون: جواز نقل ترابها للتداوى.

الرابعة و التسعون: ظهور نار الحجاز التى أخبر بها صلّى اللّه عليه و سلّم مما حولها؛

لأنها للإنذار، فاختصت ببلد النذير، ثم لما بلغت الحرم و كان محرّمه المبعوث بالرحمة خمدت و طفئت، على ما سيأتى.

الخامسة و التسعون: دعاؤه صلّى اللّه عليه و سلّم بالبركة فى سوقها.

السادسة و التسعون: ما سيأتى فى سوقها من أن الجالب إليه كالمجاهد فى سبيل اللّه.

السابعة و التسعون: أن المحتكر فيه كالملحد فى كتاب اللّه.

الثامنة و التسعون: ما سيأتى فى بئر غرس من أنه صلّى اللّه عليه و سلّم «رأى أنه أصبح على بئر من آبار الجنة، فأصبح على بئر غرس»

و رؤيا الأنبياء حق، عليهم الصلاة و السلام!

التاسعة و التسعون: ما سبق فى ثمارها من أن العجوة من الجنة؛

فقد اشتملت المدينة على شيء من أرض الجنة و مياهها و ثمارها، و اللّه أعلم.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۷۵

الفصل الثامن فى الأحاديث الواردة فى تحريمها، و هى كثيرة

روينا فى الصحيحين منها حديث عبد اللّه بن زيد «إن إبراهيم حرم مكة و دعا لها»، و فى لفظ «و دعا لأهلها، و إنى حرمت المدينة كما حرّم إبراهيم مكة» الحديث.

و فى البخارى حديث أبى هريرة رضى اللّه عنه «حرم ما بين لابتى المدينة على لسانى» قال: و أتى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم بنى حارثة فقال: «أراكم يا بنى حارثة قد خرجتم من الحرم، ثم التفت فقال: بل أنتم فيه» و سيأتى بيان منازلهم، و فيه أيضا عنه: لو رأيت الظباء بالمدينة ترتع ما ذعرتها، قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم: «ما بين لابتيها حرام» و هو فى مسلم بزيادة، و لفظه «حرم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم ما بين لابتى المدينة» قال أبو هريرة: فلو وجدت الظباء ما بين لابتيها ما ذعرتها، و جعل اثنى عشر ميلا حول المدينة حمى.

و فى مسلم أيضا عن عاصم الأحول: «سألت أنسا أحرم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم المدينة؟

قال: نعم، هى حرام: لا يختلى خلاها، فمن فعل ذلك فعليه لعنة اللّه و الملائكة و الناس أجمعين».

و فيه أيضا حديث رافع بن خديج رضى اللّه عنه «إن إبراهيم حرم مكة، و إنى أحرم ما بين لابتيها» يريد المدينة.

و فيه أيضا حديث جابر «إن إبراهيم حرم مكة، و إنى حرمت المدينة ما بين لابتيها: لا تقطع عضاهها، و لا يصاد صيدها».

و فيه أيضا من حديث أبى سعيد الخدرى «اللهم إن إبراهيم حرم مكة فجعلها حراما، و إنى حرمت المدينة حراما ما بين مأزميها، أن لا يهراق فيها دم، و لا يحمل فيها سلاح لقتال، و لا يخبط فيها شجرة إلا لعلف» الحديث.

و فيه أيضا من حديث أنس «اللهم إنى أحرم ما بين جبليها مثل ما حرم إبراهيم عليه السلام مكة».

قلت: المراد بجبليها عير و ثور، و هما المعبر عنهما فى الحديث قبله بمأزميها على ما صوبه النووى، و نسبة تحريم مكة لإبراهيم عليه السلام دليل لما ذهب إليه جماعة من أنها لم تزل حلالا كغيرها إلى زمن إبراهيم عليه السلام، فحرمت، و الثانى- و صححه النووى، و نقل عن الأكثرين- أنها لم تزل حراما منذ خلق اللّه السموات و الأرض، ثم أظهر اللّه

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۷۶

تعالى ذلك على لسان نبيه إبراهيم عليه السلام. قال الزركشى: و فيه جمع بنى الأحاديث.

قلت: الأحكام قديمة؛ لأنها خطاباته تعالى، و الحادث إنما هو تعلقاتها بالمكلفين، فإذا كان ظهور تحريمها على لسان إبراهيم عليه السلام فذلك أول تعلق الحكم التكليفى، فما معنى ما يقوله الثانى من تحريمها يوم خلق الله السموات و الأرض مع انتفاء التعلق التكليفى حينئذ؟ و يجوز أن يكون بمعنى أن الله تعالى أظهر ذلك لملائكته يوم خلق السموات و الأرض و عرفهم به، و تأخر تعلق التكليف به حتى ظهر على لسان نبيه إبراهيم عليه السلام و هذا لا- يأباه القول الأول، بل يسلمه، و هو حسن، و به يجتمع معنى الأحاديث، و لا يخفى أن خطاب الله تعالى بتحريم المدينة قديم أيضا، و تأخره من حيث التكليف إلى أن أظهره النبى صلّى اللّه عليه و سلّم ليس فيه حط لرتبتها، بل دليل كمالها حيث ادخر الله ذلك حتى جعله على لسان أشرف المرسلين صلوات الله و سلامه عليه، مع أنهم ذكروا فى معنى تحريم إبراهيم لها احتمالين: أحدهما: أنه بأمر الله تعالى له، و الثانى: أنه دعا لها فحرمها الله بدعوته، و يقال مثله فى تحريمه صلّى اللّه عليه و سلّم للمدينة.

و قوله: «ما بين لابتيها» أى: حرّتيها الشرقية و الغربية و المدينة بينهما، و لها أيضا حرة بالقبلة و حرة بالشام، لكنهما يرجعان إلى الشرقية و الغربية لاتصالهما بهما، و لهذا جمعها صلّى اللّه عليه و سلّم كلها فى اللابتين كما نبه عليه الطبرى.

قال النووى: و هو حد الحرم من جهة المشرق و المغرب، و ما بين جبليها بيان لحده من جهة الجنوب و الشمال، قال: و معنى قوله «ما بين لابتيها» اللابتان و ما بينهما، و المراد تحريم المدينة و لابتيها.

قلت: و يؤيده أن اللابتين شرقا و غربا فى محاذاة أحد الجبلين الآتى بيانهما، و أن منازل بنى حارثة فى محاذاة اللابة الغربية على ما اقتضاه كلاه المطرى فيما قدمناه عنه من الباب الأول فى ترجمة أثرب، و الذى ترجح عندى أن منازلهم كانت باللابة الشرقية مما يلى العريض و ما قارب ذلك؛ لأن الإسماعيلى روى الحديث المتقدم بلفظ: «ثم جاء بنى حارثة و هم فى سند الحرة» أى: الجانب المرتفع منها، و سيأتى فى منازلهم ما يبين أن المراد الحرة الشرقية، و ليس الموضع الذى ذكره المطرى فى سند واحدة من الحرتين، و الله أعلم. و يؤيد أيضا ما قاله النووى أن البيهقى روى فى المعرفة حديث الصحيفة عن على بلفظ: «إن إبراهيم حرم مكة، و إنى أحرم المدينة ما بين حرتيها و جمامها: لا يختلى خلاها، و لا ينفر صيدها، و لا يلتقط لقطتها إلا لمن أشاد بها» يعنى: أنشد «و لا

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۷۷

يقطع شجرها إلا أن يعلف رجل بعيرا، و لا يحمل فيها سلاح لقتال» الحديث، و رواه أحمد كذلك أيضا، و هو حديث صحيح، و جمام المدينة ثلاثة كما سيأتى، و هى مما يلى حرتها الغربية من جهة المغرب و الحرة بين الجمام و المدينة.

و روى مسلم حديث الصحيفة بلفظ: «المدينة حرم ما بين عير إلى ثور» و البخارى بلفظ: «المدينة حرم ما بين عاير إلى كذا» و أبو داود بلفظ: «المدينة حرام ما بين عاير إلى ثور» ثم زاد فيه و قال: إن رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم قال: «لا- يختلى خلاها، و لا- ينفر صيدها، و لا يلقط لقطتها إلا من أشاد بها، و لا يصلح لرجل أن يحمل فيها السلاح لقتال، و لا أن يقطع منها شجرة إلا أن يعلف رجل بعيره» و رواه الطبرانى برجال موثّقين مختصرا، و لفظه عن أبى جحيفة أنه دخل على على رضى الله عنه فدعا بسيفه، فأخرج من بطن السيف أدما عربيا، فقال: ما ترك رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم شيئا غير كتاب الله الذى أنزل إليه و قد بلغته غير هذا، فإذا: بسم الله الرحمن الرحيم، محمد رسول الله قال: «لكل نبى حرم و حرمى المدينة».

الفصل التاسع فى بيان عير و ثور

اشارة

و هما المراد بجبليها كما تقدم.

موقع جبل عير

أما عير- بفتح العين المهملة و سكون الياء آخر الحروف بلفظ العير مرادف الحمار، و يقال: عاير- فجبل كبير مشهور فى قبلة المدينة بقرب ذى الحليفة ميقات المدينة.

موقع جبل ثور

و أما ثور- بالمثلاثة بلفظ الثور فحل البقر- فجبل صغير خلف أحدكما سنحققه، فإنه خفى على جماعة من فحول العلماء فاستشكلوا الحديث، و قالوا: ليس بالمدينة ثور، إنما هو بمكة، و لهذا فى أكثر روايات البخارى من عاير إلى كذا، و فى بعضها من عير إلى كذا، و لم يبين النهاية، فكأنه يرى أن ذكر ثور و هم فأسقطه، و ترك بعض الرواة موضع ثور بياضا ليتبين الوهم، و ضرب آخرون عليه.

الاختلاف فى وجود جبل ثور بالمدينة

و قال المازرى: نقل بعض أهل العلم أن ذكر ثور هنا و هم من الراوى؛ لأن ثورا بمكة، و الصحيح «إلى أحد».

و قال أبو عبيد القاسم بن سلام: عير و ثور جبلان بالمدينة، و أهل المدينة لا يعرفون

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۷۸

بها جبلا يقال له ثور، و إنما ثور بمكة، قال: فإذا نرى أن الحديث أصله «ما بين عير إلى أحد».

قلت: و كذا رواه الطبرانى برجال ثقات، بلفظ: «ما بين عير و أحد حرام، حرّمه رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم» و هو كذلك فى رواية لابن زبالة.

و قال الحازمى: الرواية الصحيحة «ما بين عير إلى أحد» و قيل: «إلى ثور» و ليس له معنى، و تكلف بعضهم فقال: إلى بمعنى مع، كأنه جعل المدينة مضافة إلى مكة فى التحريم لأن ثورا بها.

و قال الموفق بن قدامة: يحتمل أن المراد تحريم قدر ما بين ثور و عير اللذين بمكة، أو سمى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم الجبلين اللذين بطرفى المدينة عيرا و ثورا ارتجالا، انتهى. و هو يقتضى إنكار وجود عير بالمدينة أيضا.

و قد قال الزركشى: نقل عياض عن بعضهم أنه ليس بالمدينة و لا ما يقرب منها جبل يعرف بأحد هذين الاسمين، أعنى عيرا و ثورا. قال ياقوت فى معجمه: و هذا وهم، فإن عيرا جبل مشهور بالمدينة، و قال ابن السيد: عير جبل بقرب المدينة، و عبارة عياض فى المشارق: عير و عاير المذكوران فى حرم المدينة فى أكثر الروايات عير، و فى حديث على عاير، قال الزبير بن بكار: هو جبل بالمدينة، و قال عمه مصعب: لا يعرف بالمدينة عير و لا ثور، انتهى.

و قال فى المطالع: أكثر رواة البخارى ذكروا عيرا، و أما ثور فمنهم من كنى عنه بكذا، و منهم من ترك مكانه بياضا، و الأصل فى هذا التوقف قول مصعب الزبيرى: ليس بالمدينة عير و لا ثور، و أثبت غيره عيرا، و وافقه على إنكار ثور.

قلت: سيأتى فى ترجمة عير من فصل البقاع عن مصعب الزبيرى ما يقتضى إثباته له، و شهرة عير غير خافية بين العلماء، إنما الغرابة فى ثور.

و قال النووى عقب نقل الحازمى المتقدم: و يحتمل: أن ثورا كان اسما لجبل هناك:

إما أحد، و إما غيره، فخفى اسمه.

و قال صاحب البيان و الانتصار: قد صحت الرواية بلفظ ثور؛ فلا ينبغى الإقدام على توهيم الرواة بمجرد عدم العرفان، فإن أسماء الأماكن قد تتغير، أو تنسى و لا يعلمها كثير من الناس، قال: و قد سألت بمكة عن وادى محسّر و غيره من أماكن تتعلق بالنسك، فلم أخبر عنها مع تكرر مجيء الناس إليها، فما ظنك بغيرها؟ و أيضا فقد يكون للشيء اسمان فيعرف أحدهما دون الآخر.

و قال المجد: لا أدرى كيف وقعت المسارعة من هؤلاء الأعلام إلى إثبات و هم فى

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۷۹

الحديث المتفق على صحته، بمجرد ادعاء أن أهل المدينة لا يعرفون جبلا يسمى ثورا، و ذكر احتمال طرق التغيير فى الأسماء و النسيان لبعضها، قال: حتى إنى سألت جماعة من فقهاء المدينة و أمرائها و غيرهم من الأشراف عن فدك و مكانها فكلهم أجابوا بعدم معرفة موضع يسمى بذلك فى بلادهم، مع أن هذه القرية لم تبرح فى أيدى الأشراف و الخلفاء يتداولونها إلى أواخر الدولة العباسية، فكيف بجبل صغير لا يتعلق به كبير أمر، مع أنه معروف بين أهل العلم بالمدينة، و نقل بعض الحفاظ وصفه بذلك خلفا عن سلف؟ اه.

قلت: قد حكى البيهقى فى المعرفة قول أبى عبيد: أهل المدينة لا يعرفون جبلا يقال له ثور، ثم قال البيهقى: و بلغنى عن أبى عبيدة أنه قال فى كتاب الجبال: بلغنى أن بالمدينة جبلا يقال له ثور، انتهى.

و نقل المجد فى ترجمة عير عن نصر أنه قال: عير جبل يقابل الثنية المعروفة بشعب الجوز، و ثور جبل عند أحد، انتهى. فدل على أن ما اشتهر فى زماننا و قبله من وجود ثور بالمدينة له أصل فى الزمن القديم، و إن خفى على بعضهم، و قد أخبرنى بوجوده جماعة كثيرة من الخواص، و أرونى إياه خلف أحد، و نقل جماعة عن المحدث أبى محمد عفيف الدين عبد السلام بن مزروع البصرى نزيل المدينة المشرفة أنه رآه غير مرة، و أنه لما خرج رسولا من صاحب المدينة إلى العراق كان معه دليل يذكر له الأماكن و الأجبل، فلما وصلا إلى أحد إذا بقربه جبل صغير، فسأله: ما اسم هذا الجبل؟ فقال له: يسمى ثورا، و قد حكى عنه نحو هذا القطب الحلبى فى شرح البخارى، و قال المحب الطبرى: أخبرنى الثقة الصدوق الحافظ العالم المجاور بحرم رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم عبد السلام البصرى أن حذاء أحد عن يساره جانحا إلى ورائه جبل صغير يقال له ثور، و أخبر أنه تكرر سؤاله عنه لطوائف من العرب العارفين بتلك الأرض و ما فيها من الجبال، فكل أخبر أن ذلك الجبل اسمه ثور، قال الطبرى: فعلمنا بذلك أن ما تضمنه الحديث صحيح، و عدم علم أكابر العلماء به لعدم شهرته و عدم بحثهم عنه، انتهى.

و قد رد الجمال المطرى فى تاريخه على من أنكر وجود ثور، و قال: إنه خلف أحد من شماليه، صغير مدور، يعرفه أهل المدينة خلف عن سلف.

و قال الأقشهرى: و قد استقصينا من أهل المدينة تحقيق خبر جبل يقال له ثور عندهم، فوجدنا ذلك اسم جبل صغير خلف جبل أحد يعرفه القدماء دون المحدثين من أهل المدينة، و الذى يعلم حجة على من لا يعلم، اه.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۸۰

و قال العلامة أبو العباس بن تيمية: عير جبل عند الميقات يشبه العير، و هو الحمار، و ثور جبل فى ناحية أحد، و هو غير جبل ثور الذى بمكة.

و روى بعض شراح المصابيح أن الله تعالى لما كلم موسى عليه السلام على الجبل تقطع ست قطع، فصارت ثلاث بمكة: حراء، و ثبير، و ثور، و ثلاث بالمدينة: عير، و ثور، و رضوى، و كأن ثورا سمى باسم فحل البقر لشبهه به، و هو إلى الحمرة أقرب، و قد صح بما قدمناه أن أحدا من الحرم؛ لأن ثورا حده من جهة الشام كما أن عيرا حده من جهة القبلة، و يقوم ذلك على الرواية التى فيها ذكر أحد بدل ثور، لما فى ذلك من الزيادة عليها، و أنها من باب ذكر فرد مما شمله ذلك العموم بحكم العموم فلا تخصص، مع إفادتها لإدخال ما حاذى أطراف أحد شرقا و غربا، و ما وقع فى الشرحين و الروضة و غيرهما من التحديد بما بين اللابتين و بما بين عير و أحد مبنى على ما تقدم من أن الرواية الصحيحة «أحد» لعدم وجود ثور؛ فقد اتضح الحال، و لله الحمد.

الفصل العاشر فى أحاديث تقتضى زيادة الحرم على ذلك التحديد، و أنه مقدر ببريد

أعلم أن قوله فى حديث مسلم «و جعل اثنى عشر ميلا حول المدينة حمى» ظاهر فى التحريم لذلك القدر؛ إذ حول المدينة إنما هو حرمها، و حمى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم الذى ليس بحرم لم يكن حول المدينة على ما سيأتى بيانه، و لأن التقى السبكى قال: إن فى سنن أبى داود تحديد حرم المدينة ببريد من كل ناحية، قال: و إسناده ليس بالقوى، و الذى رأيته فى أبى داود عن عدى بن يزيد «حمى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم كل ناحية من المدينة بريدا بريدا، لا يخبط شجره، و لا يعضد إلا ما يساق به الجمل» رواه البزار بنحوه، و رواه ابن زبالة بلفظ «حرم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم شجر المدينة بريدا فى بريد منها، و أذن فى المسد و المنجدة و متاع الناضح أن يقطع منه» و المنجدة: عصا الناضح.

و روى المفضل الجندى عن سعد بن أبى وقاص رضى اللّه عنه أنه قال: فى قصة العبد الذى وجده يعضد- أو يخبط- عضاها بالعقيق: «سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم يقول: من وجد من يعضد أو يخبط شيئا من عضاه المدينة بريدا فى فى بريد فله سلبه، فلم أكن لأرد شيئا أعطانيه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم».

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۸۱

و روى البزار عن جابر قال: «حرم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم المدينة بريدا من نواحيها».

و فى الأوسط للطبرانى- و فيه ضعيف- عن كعب بن مالك قال: «حرّم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم الشجر بالمدينة بريدا فى بريد، و أرسلنى فأعلمت على الحرم: على شرف ذات الحبيش، و على شريب، و على أشراف مخيض».

و رواه ابن النجار بلفظ: «حرّم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم المدينة بريدا فى بريد، و أرسلنى فأعلمت على الحرم: على شرف ذات الجليس، و على مشيرب، و على أشراف المجتهر، و على تيم» و رواه ابن زبالة بهذا اللفظ، إلا أنه أسقط أشراف المجتهر، و أبدل تيم بثيب، و زاد «و على الحفياء و على ذى العشيرة».

و روى أيضا عن كعب بن مالك أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم «حمى الشجر ما بين المدينة إلى وعيرة، و إلى ثنية المحدث، و إلى أشراف مخيض، و إلى ثنية الحفياء، و إلى مضرب القبة، و إلى ذات الجيش: من الشجر أن يقطع، و أذن لهم فى متاع الناضح أن يقطع من حمى المدينة».

و روى أيضا عن سلمان بن كعب الديا ناری أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم «نزل بمضرب القبة و قال: ما بينى و بين المدينة حمى لا يعضد، فقالوا: إلا المسد، فأذن لهم فى المسد».

و روى أيضا من طريق مالك بن أنس عن أبى بكر بن حزم أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم قال فى الحمى: «إلى مضرب القبة» قال مالك: و ذلك نحو من بريد.

و روى أيضا عن جابر مرفوعا «كل دافعة دفعت علينا من هذه الشعاب فهى حرام أن تعضد- أو تخبط، أو تقطع- إلا لعصفور قتب أو مسد محالة أو عصا حديدة».

و فى الأوسط للطبرانى بإسناد حسن عن الحسن بن رافع أنه سأل جابر بن عبد اللّه فقال: لنا غنم و غلمان، و نحن و هم بثرير، فهم يخبطون على غنمهم هذه الثمرة، يعنى الحبلة- قال خارجة: و هى ثمر السّمر- قال جابر: لا يخبط و لا يعضد حمى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم و لكن هشوا هشا، ثم قال جابر: إن كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم ليمنع أن يقطع المسد، قال خارجة: و المسد مرود البكرة.

و روى ابن زبالة عن أبى سعيد الخدرى قال: بعثتنى عمتى إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم تستأذنه فى مسد، فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم: «اقرأ عمتك السلام، و قل لها: لو أذنت لكم فى مسد طلبتم ميزابا، و لو أذنت لكم فى ميزاب طلبتم خشبة، ثم قال: حماى من حيث استاقت بنو فزارة لقاحى».

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۸۲

الفصل الحادى عشر فى بيان ما فى هذه الأحاديث من الألفاظ المتعلقة بالتحديد

اشارة

، و من ذهب إلى مقتضاها.

ذات الجيش

قوله: «شرف ذات الجيش» قال ابن زبالة: ذات الجيش: لقب ثنية الحفيرة من طريق مكة و المدينة، و قال المطرى: هى وسط البيداء، و البيداء هى التى إذا رحل الحجاج من ذى الحليفة استقبلوها مصعدين إلى جهة الغرب، و هى على جادة الطريق.

قلت: و يؤيده قول ياقوت: ذات الجيش موضع بعقيق المدينة، أراد بقربه، أو لأن سيلها يدفع فيه كما سيأتى، و قد رأيته يطلق ذلك على ما يدفع فى العقيق و إن بعد عنه.

و قال أبو عبد الله محمد بن أحمد الأسدى فى وصف الطريق بين مكة و المدينة: إن من ذى الحليفة إلى الحفيرة ستة أميال، قال: و هى متعشّى، و بها بئر طيبة و حوض، و عمر بن عبد العزيز هو الذى حفر البئر، و بها أبيات و مسجد، اه. و مقتضاه أن يكون ثنية الحفيرة بعد البئر، فلعلها ثنية الجبل المسمى اليوم بمفرح، و هناك واد قبل وادى تربان يسمونه سهمان ينطبق عليه الوصف المذكور، و هو موافق لقول من قال: ذات الجيش واد بين ذى الحليفة و تربان. فأطلق اسمها على الوادى التى هى فيه، و لقول عياض: ذات الجيش على بريد من المدينة، و هو ظاهر رواية الطبرانى المتقدمة، لكنه مخالف لما سيأتى فى معنى التحديد بالبريد، و هناك حبس النبى صلّى اللّه عليه و سلّم فى ابتغاء عقد عائشة رضى الله عنها، و نزلت آية التيمم، و الترديد فى حديث عائشة: «حتى إذا كنا بالبيداء أو بذات الجيش» كأن سببه قرب الموضعين، و هو ظاهر فى المغايرة بينهما. و قال أبو على الهجرى: ذات الجيش: شعبة على يمين الخارج إلى مكة بحذاء الحفيرة، قال: و صدر الحفيرة و ما قبل من الصلصلين يدفع فى بئر أبى عاصية، ثم يدفع فى ذات الجيش، و ما دبر منها يدفع فى البطحاء، ثم تدفع البطحاء من بين الجبلين فى وادى العقيق، و ذات الجيش تدفع فى وادى أبى كبير، و هو فوق مسجد الحرم و المعرس، و طرف أعظم الغربى يدفع فى ذات الجيش، و طرفه الثانى يدفع فى البطحاء.

قلت: و أعظم- و يقال عظم كما سيأتى- جبل معروف اليوم على جادة مكة، قال المطرى: و هو فى شامى ذات الجيش، و يشهد له ما سبق عن الهجرى.

شريب

قوله «شريب» الظاهر أنه مشيرب تصغير مشرب كما فى الرواية الأخرى، و هو

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۱، ص: ۸۳

ما بين جبال فى شامى ذات الجيش، بينها و بين خلائق الضبوعة، و الضبوعة منزل عند يليل.

أشراف مخيض

قوله: «أشراف مخيض» بلفظ المخيض من اللبن- هى جبال مخيض من طريق الشام، قاله ابن زبالة، و قال الهجرى: مخيض واد يصب فى أضم على طريق الشام من المدينة، انتهى؛ فكأنه يطلق على الجبال و واديها، و قال المطرى: جبل مخيض هو الذى على يمين القادم من طريق الشام، حين يفضى من الجبال إلى البركة التى هى مورد الحجاج من الشام، و يسمونها عيون حمزة.

أشراف المجتهر

قوله: «أشراف المجتهر» كذا رواه ابن النجار، و تبعه المطرى، و لم يبيناه، و قال المجد: هكذا وقع بالجيم و الهاء المفتوحة، فإن صح فهو اسم موضع بالمدينة، و إلا فيحتمل أن يكون تصحيف «المحيصر» بالحاء و الصاد المهملتين تصغير «المحصر» موضع قريب من المدينة. قلت: الأقرب أنه تصحيف المخيض؛ لمجيئه بدله فى بقية الروايات.

الحفياء

قوله «الحفياء» قال ابن زبالة: هى بالغابة فى شامى المدينة، و قال الهجرى: وراء الغابة بقليل، و سيأتى فى ترجمتها أن بينها و بين المدينة نحو ستة أميال.

ذو العشيرة

قوله: «ذى العشيرة» تصغير عشرة من العدد، قال ابن زبالة: شرقى الحفياء، و قال المطرى: نقب فى الحفياء.

ثيب

قوله: «ثيب» بفتح المثلاثة ثم مثناة تحتية ساكنة ثم موحدة- كذا فى النسخة التى وقعت عليها من ابن زبالة، و قال: إنه جبل فى شرقى المدينة، و كذا هو فى العقيق للزبير بن بكار، و كذا رأيته مضبوطا بالقلم فى أصل معتمد من تهذيب ابن هشام؛ فإنه قال فى غزوة السويق: فخرج أبو سفيان حتى نزل بصدر قناة إلى جبل يقال له ثيب من المدينة على بريد أو نحوه، و كذا هو فى العقيق لأبى على الهجرى، إلا أنه قال عقبه: ثيئب كتيعب، فاقتضى أن الياء الساكنة بعدها همزة، و يشهد لذلك ما سيأتى فى أسماء البقاع فى
وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۱، ص: ۸۴
ترجمة الشظاة من شعر عباس بن مرداس، و فى كتاب ابن شبة فى حديث سلمة الآتى أول الباب السابع: فقلت يا رسول الله، تباعد الصيد، فأنا أصيد بصدور قناة نحو تيب، كذا رأيته مضبوطا بالقلم من غير همزة، لكنه بالمثناة من فوق، و وقع فى كتاب ابن النجار و تبعه المطرى تيم بفتح المثناة الفوقية و التحتية و بالميم. قلت: و فى شرقى المدينة جبل يعرف اليوم بهذا الاسم، و قال المجد: إنه تصحيف، و الصواب يتيب، بلفظ مضارع تاب إذا رجع، فهو بالتاء المثناة من فوق، و لذا ذكره فى مادتها من القاموس، و قال فى مادتها أيضا تيأب كفعلل موضع، و لم يتعرض لذلك فى الثاء المثلاثة.

وعيرة

قوله: «وعيرة» - بفتح أوله من الوعورة، و هو خشونة الأرض- جبل شرقى ثور، و هو أكبر من ثور و أصغر من أحد.

ثنية المحدث

و قوله: «ثنية المحدث» لم أر من تكلم عليه من مؤرخى المدينة و غيرهم، و العجب من المجد كيف أهمله مع إيراده الحديث فى كتابه.

مضرب القبة

قوله: «مضرب القبة» قال المجد كالمطرى: ليس اليوم معروفا، و لا تعلم جهته، قال: و الذى يظهر أنه ما بين ذات الجيش من غربى المدينة إلى مخيض.

قلت: قال أبو على الهجرى: مضرب القبة بين أعظم و بين الشام نحو ستة أميال، أى من المدينة، و قد تقدم قول مالك عقب التحديد به: و ذلك نحو من بريد، و لعله يريد مجموع الحرم.

ثرير

قوله: «بثرير» لم أر من تكلم عليه حتى المجد.

غزوة ذى قرد

قوله: «من حيث استاقت بنو فزارة لقاحى» كانت لقاحه صلّى اللّه عليه و سلّم ترعى بالغابة و ما حولها، فأغار عليها عيينة بن حصن الفزارى يوم ذى قرد، و اتفق لسلمة بن الأكوع ما اتفق من استنقاذ اللقاح و وصول الفرسان إليه و هو يقاتلهم و يرميهم بالنبل، و سميت غزوة ذى قرد بالموضع الذى كان فيه القتال.

و التحديد بهذه الأماكن مؤيد لكون مجموع الحرم بريدا، و لذلك قال ابن زبالة عقب ما تقدم عنه: و ذلك كله يشبه أن يكون بريدا فى بريد، انتهى. و يحمل عليه قول أبى هريرة

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۱، ص: ۸۵

فى حديث مسلم: «و جعل اثنى عشر ميلا حول المدينة حمى» لأن ذلك هو البريد أى:

ستة أميال من جهة قبلتها، و ستة أميال من جهة شاميها، و كذلك فى المشرق و المغرب، و مثله حديث «حمى كل ناحية من المدينة بريدا» أى من القبلة إلى الشمال بريدا، و من المشرق إلى المغرب بريدا، و قد أخذ بذلك مالك رحمه الله، لكن فرّق بين حرم الشجر و حرم الصيد، و جعل البريد حرم الشجر، و ما بين اللابتين حرم الصيد.

قال عياض فى الإكمال: قال ابن حبيب: تحريم ما بين اللابتين مخصوص بالصيد، قال: و أما قطع الشجر فبريد فى دور المدينة كلها، بذلك أخبرنى مطرف عن مالك، و هو قول عمر بن عبد العزيز و ابن وهب، انتهى. و حكى الباجى فى المنتقى مثله عن ابن نافع، و نقل ابن زبالة عن مالك أنه قال: الحرم حرمان؛ فحرم الطير و الوحش من حرة واقم- أى: و هى الحرة الشرقية- إلى حرة العقيق- أى و هى الغربية- و حرم الشجر بريد فى بريد، و قال البرهان بن فرحون: حرم الصيد ما بين حرارها الأربع، و سماهما أربعا لوجود الحرتين المذكورتين فى الجهات الأربع؛ لانعطاف بعض الشرقية و الغربية من جهة الشمال و القبلة، و لم يعول أصحابنا فى تحديد الحرم على البريد مع ما فيه من الزيادة؛ لأن أدلته ليست بالقوية، فعولوا على ما اشتملت عليه الأحاديث الصحيحة من الجبلين و اللابتين، على أن إطلاق أحاديث التحريم مقتض لعدم الفرق بين حرم الشجر و حرم الصيد، سواء كان الحرم بريدا أو دونه، غير أن فى أحاديث البريد ما يشعر بأنه للشجر، مع أن ابن زبالة- و محله من الضعف معلوم- روى عن ابن بشير المازنى أنه سمع رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم يحرّم ما بين لابتيها- يعنى: المدينة- من الصيد، و عن أبى هريرة و غيره نحوه، و فى رواية له «من الطير أن يصاد بها» و قد يقال: هو من باب إفراد فرد مما حرم بالذكر.

فإن قيل: قوله فى حديث مسلم: «حرم ما بين لابتيها، و جعل اثنى عشر ميلا حول المدينة حمى» دال على الفرق المذكور.

قلنا: ممنوع؛ لأن غايته أن يراد بالحمى الحرم، فكأنه قال: و جعل اثنى عشر ميلا حولها حرما؛ إذ ليس فيه أنه جعله حمى الشجر.

مقدار البريد و الفرسخ و الميل

تتمة: البريد أربع فراسخ، و الفرسخ ثلاثة أميال، و الميل ثلاثة آلاف ذراع و خمسمائة ذراع بذراع اليد على الأصح، كما صححه ابن عبد البر و غيره، و هو الموافق لاختيار ما ذكره من المسافات فى الحرم المكى و غيره، و ذراع اليد- على ما ذكره المحب الطبرانى و النووى و غيرهما- أربعة و عشرون أصبعا، كل أصبع ست شعيرات مضمومة بعضها إلى بعض، و غلط النووى القلعى فى قوله «ثلاث شعيرات» و مقدار الذراع المذكور من ذراع

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۸۶

الحديد المستعمل فى القماش بمصر الآن ذراع إلا ثمن ذراع، كما اعتبرته أنا و غيرى، و مشى عليه التقى الفاسى فى تاريخ مكة المشرفة، و ليكن ذلك على ذكر منك إذا مررت بشىء مما ضبطناه فى المسافات فى كتابنا هذا، و قيل: الميل ستة آلاف ذراع، و مشى عليه النووى، و هو بعيد، و لعل قائله هو الذى يجعل الإصبع فى الذراع ثلاث شعيرات فقط، و قيل: الميل ألفا ذراع، و الصواب ما قدمناه، و الله أعلم.

الفصل الثانى عشر فى حكمة تخصيص هذا المقدار المعين بالتحريم

حكمة التخصيص

اعلم أن المفهوم من تحريم ذلك تشريف المدينة الشريفة و تعظيمها به لحلول أشرف المخلوقين صلوات الله و سلامه عليه، و انتشار أنواره و بركاته بأرضها، و كما أن الله تعالى جعل لبيته حرما تعظيما له جعل لحبيبه و أكرم الخلق عليه ما أحاط بمحله حرما تلتزم أحكامه، و تنال بركاته، و يوجد فيه من الخير و البركة و الأنوار المنتشرة و السلامة العاجلة و الآجلة ما لا يوجد فى غيره، و لهذا حث النبى صلّى اللّه عليه و سلّم بنى حارثة على الكون به، كما أشار إليه بقوله: «أراكم يا بنى حارثة قد خرجتم من الحرم» ثم التفت فقال: «بل أنتم فيه» و ذلك لخصوصية الكون فيه على الكون خارجه، و تخصيص ذلك المقدار إما أن يكون لما شاهده صلّى اللّه عليه و سلّم فيه من أمر ربانى، و سر روحانى بثه الله فيه إلى تلك الحدود المتقدمة، و قد ذكر أهل الشهود أنهم يشاهدون الأنوار منبثة فى الحرم و أهله إلى حدوده، و لها منابع تفيض عنها، و ذلك فى الحرمين جميعا، فترتبت الأحكام الظاهرة على تلك الحقائق الباطنة، و لهذا لما بلغت النار الآتى ذكرها طرف هذا الحرم الشريف طفئت كما سيأتى، و إما أن يكون بمقتضى أمر إلهى، و وحى ربانى لا ندركه نحن؛ إذ العقول البشرية قاصرة عن إدراك معانى الأحكام المتلقاة عن النبوة، و إنما يظهر لها لايحه من شوارق مطالعها عند التأييد و التسديد، هدانا الله لإدراكها بمنه و كرمه.

وجوه تذكر فى حكمة التحديد

و قد قيل فى حكمة تحديد الحرم المكى أشياء يمكن مثلها هنا؛ فقيل: لما أهبط آدم إلى الأرض أرسل الله ملائكة حفوا بمكة من كل جانب و وقفوا فى موضع أنصاب الحرم يحرسون آدم عليه السلام، فصار ذلك حرما. و قيل: لما وضع الخليل عليه السلام الحجر الأسود فى الكعبة حين بناها- و هو من أحجار الجنة- أضاء الحجر من الجهات الأربع، فحرم الله تعالى الحرم من حيث انتهى النور. و قيل: إن الله تعالى أمر جبريل عليه السلام

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۸۷

أن ينزل بياقوتة من الجنة، فنزل بها، فمسح بها رأس آدم، فتناثر الشعر منه، فحيث بلغ نورها صار حرما، و هو من جنس ما قبله. و قيل غير ذلك؛ و حينئذ فيحتمل: أن تكون الملائكة الموكلة بحراسته صلّى اللّه عليه و سلّم و حراسة بلده الشريف قائمة بتلك الحدود، فانتهى الحرم إليها، و يحتمل: أن درته الشريفة التى خلق منها لما كان مأخذها موضع قبره الشريف، و هو أعظم رياض الجنة، و اشتمل مسجده أيضا على روضة من رياض الجنة، انبثت الأنوار من ذلك إلى ما لا يعلم غايته إلا الله، و لكن أبصار الناظرين لها غايات؛ فقد يكون انتهاؤها إلى تلك الحدود فانتهى الحرم إليها، و يحتمل أنه صلّى اللّه عليه و سلّم يوم قدومه إلى المدينة انتشرت الإضاءة، و شوهد وصولها إلى تلك الحدود، و سيأتى قول أنس بن مالك فى وصف يوم قدومه صلّى اللّه عليه و سلّم: ما رأيت مثل ذلك اليوم قط، و الله لقد أضاء منها كل شىء، يعنى: المدينة، و الله أعلم.

الفصل الثالث عشر فى أحكام هذا الحرم الشريف، و فيه مسائل

الأولى: القول فى تحريم الصيد و قطع الشجر

اتفق الشافعى و مالك و أحمد على تحريم صيد حرم المدينة، و اصطياده، و قطع شجره. و قال أبو حنيفة: لا يحرم شىء من ذلك، و الأحاديث الصحيحة الصريحة حجة عليه، و قد قدمنا جملة منها، و لو لم يكن إلا قوله صلّى اللّه عليه و سلّم «كما حرم إبراهيم مكة» لكان كفاية؛ فإنه يتمسك به فى كل ما لم يقم دليل على افتراق الحرمين فيه. و روى أبو داود- و سكت عليه، قال النووى: و هو صحيح أو حسن، أى: كما هو قاعدته فيما يسكت عليه- أن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه أخذ رجلا يصيد فى حرم المدينة الذى حرم رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم فسلبه ثيابه، فجاء مواليه فكلموه فيه، فقال: إن رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم «حرم هذا الحرم، و قال: من أخذ أحدا يصيد فيه فليسلبه فلا أرد عليكم طعمة أطعمنيها رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم و لكن إن شئتم دفعت إليكم ثمنه» و سيأتى عنه نحوه فى قطع الشجر، و فى الموطأ عن أبى أيوب الأنصارى أنه وجد غلمانا قد ألجؤوا ثعلبا إلى زاوية، فطردهم عنه، قال مالك:

لا أعلم إلا أنه قال: أ فى حرم رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم يصنع هذا؟ و روى الطبرانى برجال الصحيح مثله عن زيد بن ثابت بدل أبى أيوب، و فى الموطأ أيضا أن رجلا قال: دخل على زيد بن ثابت و أنا بالأسواف، و قد اصطدت نهسا فأخذه من يدى، فأرسله. و رواه

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۸۸

الطبرانى أيضا مع تسمية المبهم، و لفظه: عن شرحبيل بن سعيد قال: أخذت نهسا- يعنى طائرا- بالأسواف، فأخذه منى زيد بن ثابت فأرسله، و قال: أ ما علمت أن رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم حرم ما بين لابتيها. و فى رواية له «أتانا زيد بن ثابت و نحن فى حائط لنا، و معنا فخاخ ننصب بها، فصاح و طردنا، و قال: أ لم تعلموا أن رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم حرم صيدها. و رواه أحمد أيضا- و كذا الشافعى فى حرملة- عن شرحبيل بن سعد، و قد وثّقه ابن حبان و ضعفه غيره، و لفظه: دخل علينا زيد بن ثابت حائطا و نحن غلمان ننصب فخاخا للطير، فطردنا و قال: إن رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم حرم صيدها». و رواه ابن زبالة بلفظ: كنت مع بنى زيد بن ثابت بالأسواف، فأخذوا نهسا، فاستفتح زيد بن ثابت و هو فى أيديهم، فدفعوه فى يدى و فروا، فدخل زيد، فأخذه من يدى فأرسله، ثم لطم فى قفاى و قال: لا أم لك، أ لم تعلم، و ذكر الحديث المتقدم. و روى الطبرانى عن حاجب مولى زيد بن ثابت قال: دخل على زيد بن ثابت و أنا بالأسواف قد اصطدت نهسا، فأخذ بأذنى من قفاى و قال: تصيد هاهنا و قد حرم رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم ما بين لابتيها؟

و النّهس، كصرد: طائر يشبهه و ليس بالصرد، و قيل: إنه اليمام.

و فى الكبير للطبرانى برجال ثقات عن عبد الله بن عباد الزرقى- قال الهيثمى: و لم أجد من ترجمه- قال: كنت أصيد العصافير فى بئر أهاب، و كانت لهم، قال: فرآنى عبادة بن الصامت و قد أخذت العصفور، فينزعه منى فيرسله، و يقول: أى بنى، إن رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم حرم ما بين لابتيها كما حرم إبراهيم مكة.

و روى ابن زبالة و من طريقه البزار عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف قال:

اصطدت طيرا بالقنبلة، فلقينى أبى عبد الرحمن، فعرك أذنى، ثم أخذه منى فأرسله، و قال: إن رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم حرم صيد ما بين لابتيها.

و فى أبى داود عن مولى لسعد، أن سعدا وجد عبيدا من عبيد المدينة يقطعون شجرا من شجر المدينة، قال: فأخذ متاعهم، و قال يعنى لمواليهم: سمعت رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم «ينهى أن يقطع من شجر المدينة شىء، و قال: من قطع شيئا فلمن أخذه سلبه» و رواه مسلم عن إسماعيل بن محمد بن عامر بن سعد، و لفظه: أن سعدا ركب إلى قصره بالعقيق، فوجد عبدا يقطع شجرا، أو يخبطه، فسلبه، فلما رجع سعد جاءه أهل العبد فكلموه أن يرد على غلامهم- أو عليهم- ما أخذ من غلامهم، فقال: «معاذ الله أن أرد شيئا نفلنيه رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم» و رواه المفضل الجندى عنه، و لفظه: أن سعدا ركب إلى قصر له بالعقيق، فوجد عبدا يقطع شجرة، فأخذ سلبه، و ذكره بنحوه. و رواه أيضا عن عبد الله بن عمر، و لفظه: أن

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۸۹

سعدا وجد إنسانا يعضد، أو يخبط، عضاها بالعقيق، فأخذ فأسه و نطعه و شيئا سوى ذلك، فاطلع العبد إلى ساداته فأخبرهم الخبر، فركبوا إلى سعد فقالوا: الغلام غلامنا، فاردد إليه ما أخذت منه، قال: سمعت رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم و ذكر ما قدمناه عنه فى الفصل العاشر، و قال فى آخره: «فلم أكن لأرد شيئا أعطانيه رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم» و رواه ابن زبالة من طرق بنحوه.

و فى بعضها أن سعد بن أبى وقاص وجد جارية لعاصية السلمية تقطع الحمى فضربها و سلبها شملة لها و فأسا كانت معها، فدخلت عاصية السلمية إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فاستعدت على سعد، فقال: اردد إليها يا أبا إسحاق شملتها و فأسها، فقال:

«لا، و الله لا أرد إليها غنيمة غنمنيها رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم سمعته يقول: من وجدتموه يقطع الحمى فاضربوه و اسلبوه» و اتخذ من فأسها مسحاة فما زال يعمل بها حتى لقى الله. و فى بعضها: أخذ سعد بن أبى وقاص جارية لعاصية السلمية تقطع شجرا بالعقيق، فنزع سلبها، و ذكر نحوه. و روى أيضا عن سعد قال: غنّمنا رسول الله صلى اللّه عليه و سلّم من وجدناه يقطع من شجر حرم المدينة الرطب منه. و عن زيد بن أسلم نحوه. و روى الجندى عن عبد الكريم بن أبى المخارق قال: أتى عمر بن الخطاب ناحية من المدينة فوجد غلاما لبعضهم فى حائط، فقال: هل يأتيك هاهنا أحد يحتطب؟ قال: نعم، فقال له عمر: إن رأيت منهم أحدا فخذ فأسه و حبله، قال: و ثوبه؟ قال: فأبى، و فى نسخة فأفتى، و فى رواية عنه: أن عمر قال لغلام قدامة بن مظعون: أنت على هؤلاء الحطابين، فمن وجدته احتطب فيما بين لابتى المدينة فلك فأسه و حبله، قال: و ثوباه؟ قال عمر: ذلك كثير.

و قد اختلف القائلون بالتحريم فى حرم المدينة بالنسبة إلى الضمان بالجزاء، فعن أحمد روايتان، و للشافعى أيضا قولان كالروايتين: الجديد منهما عدم الضمان و هو قول مالك؛ لأنه ليس بمحل نسك، فأشبه مواضع الحمى و وج الطائف، و القديم الضمان، و هو المختار كما قاله النووى و غيره، لحديث سعد المتقدم، و الجواب عنه مشكل، و على هذا فالأصح أنه يسلب الصائد و قاطع الشجر و الكلأ كما يسلب القتيل من الكفار حتى يؤخذ فرسه و سلاحه، و قيل: الثياب فقط، و يكون ذلك للسالب على الأصح، و قيل:

لفقراء المدينة كما أن جزاء صيد مكة لفقرائها، و قيل: يوضع فى بيت المال و سبيله سبيل السهم المرصد للمصالح. قال الشيخ أبو محمد: و يعطى المسلوب إزارا يستر به عورته، فإذا قدر على ما يستر به عورته أخذه منه، و اختار الرويانى أنه يترك له، و صوبه النووى.

قال الرافعي: و الذى يسبق إلى الفهم من الحديث و كلام الأئمة أنه يسلب إذا اصطاد، و لا يشترط الإتلاف، و لفظ الغزالى فى الوسيط: لا يسلب حتى يصطاد أو يرسل الكلب،

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۹۰

و يحتمل التأخير إلى الإتلاف، انتهى. و لا فرق فى هذا بين صيد و صيد، و لا بين شجرة و شجرة، و كأن السلب فى معنى العقوبة لمتعاطى ذلك. قال السراج البلقينى: و لو كان الصائد أو قاطع الشجر فى حرم المدينة عبدا هل يسلب ثيابه كما اتفق لسعد بن أبى وقاص؟ قال: و الذى يقتضيه النظر أنه لا يسلب العبد؛ فإنه لا ملك له، و كذلك لو كان على الصائد ثوب مستأجر أو مستعار فإنه لا يسلب، و لم أر من تعرض له، انتهى. قلت:

التحقيق التفصيل بين ما إذا أمره السيد أو من فى معناه بذلك و بين ما إذا لم يأمره، و يحمل ما اتفق لسعد على الأول، و لو كان على الصائد و المحتطب ثياب مغصوبة لم تسلب بلا خلاف، كما نقله فى شرح المهذب، و نقله فى المطلب عن البحر، ثم قال: و ينبغى أن تكون المستعارة كذلك، و لو لم يشاهده أحد يصطاد فالظاهر أنه يجب عليه حمل السلب إلى نائب الإمام، و لو تحدث بحضرة أحد فسمعه فهل يجوز له أن يسلبه؟ الظاهر عندى لا، انتهى. و لو أدخل إلى حرم المدينة صيدا لم يلزمه إرساله، و له ذبحه به اتفاقا، و كذا حرم مكة عندنا. و قد روى البيهقى أن أصحاب رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم كانوا يقدمون مكة فيرون بها فى الأقفاص القمارى و اليعاقيب، و هذا محمل حديث «يا أبا عمير، ما فعل النغير» أو أنه كان قبل تحريم المدينة؛ لأنه فى أول الهجرة، و تحريم المدينة كان بعد رجوعه صلّى اللّه عليه و سلّم من خيبر، كما أوضح ذلك الحافظ ابن حجر. و قد تمسك أبو حنيفة بقصة أبى عمير فيما ذهب إليه من عدم تحريم صيد المدينة؛ لذهابه فى حرم مكة إلى وجوب الإرسال على من أدخل إليه صيدا من خارجه، قال: فلو حرم النبى صلّى اللّه عليه و سلّم صيد المدينة لما أقر النغير فى يد أبى عمير. و جوابه ما تقدم، قال البيهقى: و الذاهب إلى عدم تحريم الصيد و غيره بالمدينة زعم أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم إنما أراد بقاء رينة المدينة و بهجتها لتستوطن كما منع من هدم آطام المدينة لذلك، قال أبو هريرة رضى الله عنه: نهى رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم عن هدم آطام المدينة، و قال: إنها زينة المدينة، أى فالنهى للتنزيه. قال البيهقى: و النهى عندنا على التحريم حتى تقوم دلالة على التنزيه، قال: و استدل المخالف بحديث سلمة «أما إنك لو كنت تصيد بالعقيق لشيّعتك إذا ذهبت و تلقيتك إذا جئت، فإنى أحب العقيق» قال البيهقى: و هو حديث ضعيف، و من يدعى العلم بالآثار لا ينبغى له أن يعارض الأحاديث الثابتة فى حرم المدينة لهذا الحديث الضعيف، و قد يجوز أن يكون الموضع الذى كان سلمة يصيد فيه خارجا من حرم المدينة، و الموضع الذى رأى فيه سعد بن أبى وقاص غلاما يقطع شجرا من حرم المدينة داخله، حتى لا يتنافيان، و لو اختلفا كان الحكم لرواية

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۹۱

سعد لصحة حديثه و ثقة رجاله، دون حديث سلمة. قلت: مع أن الذى فى الصحيح من حديث سعد لا تعرض فيه لأن القطع كان بالعقيق، و ركوبه إلى قصره بالعقيق لا يقتضى أن القطع كان به، بل يقتضى أن القطع فى موضع من الحرم خارج، على أن ما يلى ذا الحليفة من العقيق ليس من الحرم عندنا لخروجه عما بين اللابتين، و المالكية و إن اعتبروا البريد فحرم الصيد عندهم ما بين اللابتين كما تقدم، مع امتداد العقيق إلى النقيع؛ فبعضه خارج عن الحرم بكل حال، فصح ما قاله البيهقى، و قصر سعد مع قصور العقيق فى الطرف الداخل منه فى الحرم عندنا؛ لكونه بالحرة الغربية. هذا، مع احتمال حديث سلمة لكونه كان قبل تحريم المدينة، و الله أعلم.

الثانية: ما يستثنى مما يحرم

استثنى المطرى تبعا لابن النجار جواز أخذ ما تدعو الحاجة إليه للرحل- بالحاء المهملة- و الوسائد، من شجر حرم المدينة، و ما تدعو الحاجة إليه من حشيشه للعلف، بخلاف مكة، هكذا قالاه، و سبقهما إليه ابن الجوزى من الحنابلة فقال فى منسكه: إن المدينة تفارق

مكة فى أنه يجوز أن يؤخذ من شجر المدينة ما تدعو الضرورة إليه للرحل و شبهه، انتهى، و مأخذهم فى ذلك ما تقدم فى الفصل العاشر فى بعض تلك الأحاديث المشتملة على الترخيص فى ذلك و نحوه، مع ما رواه ابن زبالة من حديث: يا رسول الله، إنا أصحاب عمل و نضح، و إنا لا نستطيع أن ننتاب أرضا، فرخص لهم فى القائمتين و الوسادة و العارضة و الأسنان، فأما غير ذلك فلا يعضد و لا يخبط، و الكلام أولا فى توجه الاستدلال بذلك من حيث الإسناد، مع أنا قدمنا فى غضون تلك الأحاديث ما يقتضى المنع، سيما حديث الطبرانى بإسناد حسن إذ فيه قول جابر: لا يخبط و لا يعضد حمى رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم و لكن هشوا هشا، ثم قال جابر: إن كان رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم ليمنع أن يقطع المسد. قال خارجة: و المسد مرود البكرة، و من تأمل كلام أصحابنا الشافعية لا يفهم منه سوى استواء الحرمين فى ذلك؛ لقولهم: إنه يجوز أخذ حشيش حرم مكة لعلف الدواب على الأصح. و قد قال النووى فى الكلام على قوله صلّى اللّه عليه و سلّم فى حديث مسلم المتقدم «و لا يخبط شجره إلا لعلف»: إن فيه جواز أخذ أوراق الشجر للعلف، بخلاف خبط الأغصان و قطعها فإنه حرام، انتهى. و قد قال هو و غيره فى شجر مكة: إنه يجوز أخذ أوراقها لكنها لا تهش حذرا من أن يصيب لحاها. و فى شرح المهذب: يجوز أخذ ورقها و الأغصان الصغيرة للسواك و نحوه، انتهى؛ فقد استوى الحرمان فى ذلك. و قد قال

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۹۲

الغزالى فى البسيط و الوسيط فى حرم مكة: إنه لو قطع منه للحاجة التى يقطع لها الإذخر كتسقيف البيوت و نحوه ففيه الخلاف فى قطعه للدواء: أى: و الأصح جوازه، و تبعه على ذلك صاحب الحاوى الصغير؛ فجوز القطع للحاجة مطلقا، و لم يخص الدواء، و قل من تعرض للمسألة، و منه يؤخذ جواز ما استثناه المطرى، لكن مع استواء الحرمين فى ذلك. و قال القاضى عياض: قال المهلب: قطع النبى صلّى اللّه عليه و سلّم النخل من المدينة حين بنى مسجده، و ذلك يدل على أن النهى لا يتوجه لقطع شجرها للعمارة وجهة الإصلاح، و أن يقطع شجرها ليتخذ موضعه جنانا و عمارة، و أن توجه النهى إنما هو لقطع الإفساد و استبقاء بهجة المدينة و خضرتها فى عين الوارد إليها، انتهى. و نحوه ما روى ابن زبالة أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم قال لبنى حارثة فى طرف من الحمى «أعطيكم على أنه من قطع شجرة غرس مكانها نخلة» و محل ابن زبالة من الضعف معروف، و النبى صلّى اللّه عليه و سلّم إنما قطع النخل و هو شجر يستنبته الآدميون، و فيه خلاف؛ فالذى ذهب إليه المالكية و الحنفية جواز قطعه فى حرم مكة فضلا عن المدينة، و هو أحد القولين عندنا، لكن الأصح إلحاقه بالذى ينبت بنفسه، و الجواب عنه باحتمال كونه قبل تحريم المدينة، أو أنه قطعه لحاجة العمارة؛ فإن المتجه جوازه كما تقدم عن الغزالى، و لم يزل أهل المدينة يسقفون بيوتهم بما يقطعون من نخلها. و قد نقل الواقدى فى الحرم المكى عن ابن الزبير الترخيص فى قطع شجر الحرم المكى للعمارة لكن مع الفداء، على أن الماوردى قال فيما يستنبته الآدميون: محل الخلاف فيما أنبت فى موات الحرم، فإن أنبته فى أملاكه لم يحرم بلا خلاف، انتهى. و أما ما يستنبت من غير الشجر كالحنطة و الخضروات فيجوز قطعه بلا خلاف، و كذا ما يتغذى به مما ينبت بنفسه كالرجلة المسماة بالبقلة الحمقاء و نحو ذلك؛ لأنه فى معنى الزرع، صرح باستثنائه المحب الطبرى فى شرح التنبيه، و هو ظاهر؛ لأنه إذا جاز الأخذ لإطعام البهائم فالآدمى أولى.

الثالثة: ما ذكروه فى الأخذ للدواء و نحوه

يتناول تحصيله و ادخاره لذلك الغرض، و إن لم يكن السبب قائما، إلا أن عبارة الروضة: و لو احتيج إلى شىء من نبات الحرم للدواء. و فى شرح المهذب أنه يجوز أخذ النبات للعلف، و لو أخذه ليبيعه ممن يعلف به لم يجز، و مقتضاه أن الدواء كذلك، و ظاهر إطلاق الماوردى الجواز مطلقا، و هو ظاهر استناد بعضهم إلى نقل السنا المكى من غير نكير.

الرابعة: دية القتل الخطأ فى المدينة مغلظة

تغلّظ الدية فى الخطأ على القاتل فى حرم المدينة كمكة فى وجه الصحيح خلافه، و مأخذه عموم قوله «كما حرم إبراهيم مكة».

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۹۳

و قد اختار السراج البلقينى هذا الوجه، قال: لأن الخلاف فى ذلك مبنى على الخلاف فى ضمان صيدها، و المختار عند النووى ضمان صيدها بسلب الصائد. قلت: و ما قاله متّجه؛ لعموم قوله «كما حرم إبراهيم مكة» و إنما اختصت مكة بمنع الكافر من دخولها مطلقا، بخلاف المدينة فيجوز أن يدخلها بإذن الإمام أو نائبه للمصلحة؛ لأن المشركين أخرجوا منها رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم فعاقبهم الله بالمنع من دخولها بكل حال تعظيما لرسوله صلّى اللّه عليه و سلّم و استحسن الرويانى فى البحر التسوية بين مكة و المدينة فى أن من مات من الكفار بهما يخرج و يدفن خارجهما، و على القول باختصاصه بمكة موجبه ما قدمناه.

الخامسة: حكم لقطة حرم المدينة

سوّى صاحب الانتصار من أصحابنا بين حرم مكة و المدينة فى أن لقطتهما لا تحل للتملك، بل للحفظ أبدا، و قال الدارمى: لا تلحق لقطة حرم المدينة بحرم مكة فى ذلك. قلت: و الذى يقتضيه الدليل ترجيح الأول؛ للنص على ذلك فى الأحاديث المتقدمة فى الفصل الثامن، و إن كان الأصحاب خصوا مكة بالذكر.

السادسة: حكم المقاتلة فى حرم المدينة

مقتضى قوله صلّى اللّه عليه و سلّم فى الأحاديث المتقدمة أيضا «و لا يحمل فيها سلاح لقتال» أن يأتى فيها ما نقل من الخلاف فى حرم مكة من أن المقاتلة الجائزة فى غيره تحرم فيه كقتال البغاة به، بل يضيق عليهم إلى أن يخرجوا أو يفيئوا كما ذهب إليه جماعة.

و قال الجمهور: يقاتلون؛ لأن هذا القتال من حقوق الله، و حفظها فى الحرم أولى، و الحرم لا يعيذ عاصيا. و ذهب الحسن البصرى إلى أنه لا يحل لأحد أن يحمل السلاح بمكة؛ للنهى عن القتال فيه، فلا يحمل ما هو من أسبابه، و لقوله صلّى اللّه عليه و سلّم: «لا يحل لأحد أن يحمل السلاح بمكة» رواه مسلم.

السابعة: حكم الاستنجاء بحجارة الحرم

حكى الماوردى وجهين فى جواز الاستنجاء بحجارة الحرم، قال ظاهر المذهب سقوط الفرض بذلك مع تأثيمه. قلت: ينبغى حمله على من نقله من الحرم ليستنجى به فى الحل مثلا- و إلا- فهو مشكل؛ إذ لا- خلاف فى إباحة البول فى الحرم، فالاستنجاء بالحجارة كذلك، و عبارة شرح المهذب فى النقل عن الماوردى بعد حكاية الوجهين فى سقوط فرض الاستنجاء بالذهب و الديباج: و طردهما الماوردى فى الاستنجاء

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۹۴

بحجارة الحرم، انتهى. و هى محتملة لما قررناه، و قد نقل النووى عدم جواز الأكل فى الأوانى المعمولة من تراب الحرم، على ما قاله الدميرى، و لا شك أنه إنما عنى به المنع منه لمن أخرجها من الحرم كما لا يخفى.

الثامنة: حكم نقل تراب الحرم المدنى

جزم النووى بتحريم نقل تراب الحرم المدنى و أحجاره، اكتفاء بما ذكره من الخلاف فى الحرم المكى، و صحح فيه التحريم، و

الرافعى الكراهة، و نقلها النووى عن كثيرين أو الأكثرين، و نقلها القاضى أبو الطيب عن نص الشافعى فى القديم، و نقل التحريم عن نصه فى الجامع الكبير؛ و قال فى الأم فى حجارة الحرم و ترابه: لا خير فى أن يخرج منها شىء إلى الحل، لأن له حرمة باين بها ما سواها من البلدان، فلا أرى- و الله أعلم- أن جائزا لأحد أن يزيله من الموضع الذى باين به البلدان؛ إذ يصير كغيره.

و روى الشافعى عن ابن عباس و ابن عمر رضى الله عنهما كراهة ذلك. قال الشافعى:

و قال غير واحد من أهل العلم: لا ينبغى أن يخرج من الحرم شىء إلى غيره. و حكى الشافعى عن أبى يوسف أنه قال: سألت أبا حنيفة عن ذلك فقال: لا بأس به. قال أبو يوسف: و حدثنا شيخ عن رزين مولى على بن عبد الله بن عباس أن عليا كتب إليه أن يبعث إليه بقطعة من المروة فيتخذه مصلى يسجد عليه، و نقل القاضى أبو الطيب عن الشافعى أنه قال: رخص بعض الناس فى ذلك، و احتج بشراء البرام من مكة، و هو غلط؛ فإن البرام ليست من حجارة الحرم، بل تحمل من مسيرة يومين و ثلاثة من الحرم، و حكى فى شرح المهذب اتفاق الأصحاب على أن الأولى أن لا يحمل تراب الحل و أحجاره إلى الحرم؛ لئلا يحدث لها حرمة لم تكن، قال: و لا يقال «إنه مكروه» مع إطلاقه فى الروضة و المناسك كراهته، فكأنه أراد بها معنى خلاف الأولى. و قول صاحب البيان «قال الشيخ أبو إسحاق: لا يجوز إدخال شىء من تراب الحل و أحجاره إلى الحرم» محمول على نفى الإباحة بمعنى استواء الطرفين، كما وقع مثله فى مواضع، و بناء آدم البيت من أجبل ليست من الحرم كلبنان و طور سيناء: إما لأن تحريم الحرم إنما تعلق حكمه و ظهر على لسان إبراهيم عليه السلام، و إما لأن شرعه اقتضى ذلك، مع أن الظاهر استثناء نقل حجارة الحل لمصلحة يقتضيها الحال، و ما نقله أهل السير من أنهم كانوا يأخذون من تراب قبر النبى صلّى اللّه عليه و سلّم فأمرت عائشة رضى الله عنها بجدار فضرب عليهم، لا متمسك فيه؛ إذ لم يعرف الفاعل، بل الظاهر أنه ممن لا يحتج بفعله، و أمر عائشة بضرب الجدار يقتضى المنع من

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۱، ص: ۹۵

ذلك، على أنه ليس فيه أنه كان يؤخذ للنقل من الحرم، و قد نقل أبو المعلى السبتى- و كذا خليل و التادلى المالكيون- كلام النووى فى المنع من نقل تراب الحرم و أقروه؛ فالظاهر أنه جار على قواعدهم؛ إذ منها سد الذرائع. و قد قيل فى سبب عبادة الأصنام: إن بعضهم كان يصحب معه الحجر من الحرم ليتبرك به، و استشكله البرهان بن فرحون بأمور: منها ما تقدمت الإشارة إلى جوابه، و منها الإجماع على نقل ماء زمزم و استهداء النبى صلّى اللّه عليه و سلّم له من سهيل بن عمرو فبعث إليه منه، و جوابه أن ماء زمزم طعام طعم و شفاء سقم، مع أنه يخلف؛ فأشبه الحشيش الذى يخلف، و لهذا قال الشافعى: فأما ماء زمزم فلا أكره الخروج به، و الماء ليس بشىء يزول و لا يعود، انتهى. مع أن المحذور المتقدم فى الأحجار لا يتوقع مثله فى الماء؛ إذ المقصود من نقله شربه و هو ظاهر، بخلاف الحجر و شبهه؛ فإن القصد التبرك به، و هو شىء لم يأذن به الله تعالى و لا رسوله صلّى اللّه عليه و سلّم و لذا أقول: إن من نقل من فخار الحرم كالكراريز لحاجة استعمالها جاز له، و يحمل كلام من أطلق المنع على ما يراد للتبرك أو مع عدم الحاجة إليه، و إذا جاز أخذ حشيش الحرم للتداوى فهذا أولى، و إذا كان الاحتياج إلى آنية الذهب و الفضة يجوّز استعمالها فهذا أولى، فإن أريد نقل ذلك لحاجة متوقعة فى المستقبل فينبغى تخريجه على ما تقدم فى أخذ نبات الحرم للدواء و نحوه، و قد قدمنا فيما جاء فى ترابه استثناء تربة صعيب لما جاء فيها من التداوى، و أن الزركشى استثنى تربة حمزة رضى الله عنه لإطباق الناس على نقلها للتداوى بها من الصداع، و حكى البرهان ابن فرحون عن الإمام العالم أبى محمد عبد السلام بن إبراهيم بن و مصال الحاحانى، قال: نقلت من كتاب الشيخ العالم أبى محمد صالح الهزميرى قال:

قال صالح بن عبد الحليم: سمعت أبا محمد عبد السلام بن يزيد الصنهاجى يقول: سألت أحمد بن يكوت عن تراب المقابر الذى كان الناس يحملونه للتبرك هل يجوز أو يمنع؟

فقال: هو جائز، و ما زال الناس يتبركون بقبور العلماء و الشهداء و الصالحين، و كان الناس يحملون تراب قبر سيدنا حمزة بن عبد المطلب فى القديم من الزمان. قال ابن فرحون عقبه: و الناس اليوم يأخذون من تربة قريبة من مشهد سيدنا حمزة، و يعملون منها خرزا

يشبه السبح، و استدل ابن فرحون بذلك على جواز نقل تراب المدينة، و قد علمت مما تقدم أن نقل تربة حمزة رضى الله عنه إنما هو للتداوى؛ و لهذا لا يأخذونها من نفس القبر، بل من المسيل الذى عنده المسجد، و لئن صح مشروعية التبرك بتراب قبور

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۹۶

الصالحين فهو أمر خاص بها لا دلالة فيه على جواز نقل مطلق تراب الحرم، و هو أمر لم يأذن به الله تعالى و لا رسوله صلّى اللّه عليه و سلّم و الخير كله فى الاتباع، و قد قالت الحنابلة أيضا: يكره نقل حصى الحرم و ترابه إلى غيره، و لا يدخل غيره إليه، و نقلوا عن أحمد أنه قال:

الإخراج أشد، انتهى. و يجب على من أخرج شيئا من تراب الحرم أو حجره أن يرده إليه، و لا ضمان عليه فى ترك الرد، قال الكمال الدميرى: و إذا نقل تراب أحد الحرمين إلى الآخر هل يزول التحريم- أى فينقطع وجوب الرد- أو يفرق بين نقله للأشرف و عكسه؟ فيه نظر، و الله أعلم.

الفصل الرابع عشر فى ذكر بدء شأنها، و ما يؤول إليه أمرها

روى ابن لهيعة بسنده إلى عائشة مرفوعا: «إن مكة بلد عظّمه الله، و عظّم حرمته، خلق مكة و حفها بالملائكة قبل أن يخلق شيئا من الأرض كلها بألف عام، و وصلها بالمدينة، و وصل المدينة ببيت المقدس، ثم خلق الأرض كلها بعد ألف عام خلقا واحدا» قال العلامة المقدسى فى بعض تأليفاته: هذا حديث غريب جدّا، بل منكر.

و عن سليمان عن أبى عمرو الشيبانى عن على رضى الله عنه: كانت الأرض ماء، فبعث الله ريحا فمسحت الأرض مسحا، فظهرت على الأرض زبدة، فقسمها أربع قطع، خلق من قطعة مكة، و الثانية المدينة، و الثالثة بيت المقدس، و الرابعة الكوفة. و هو أثر واه.

و روينا فى الكبير للطبرانى أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم قال: «إن الله عز و جل اطلع إلى أهل المدينة و هى بطحاء قبل أن تعمر ليس فيها مدر و لا بشر، فقال: يا أهل يثرب، إنى مشترط عليكم ثلاثا و سائق إليكم من كل الثمرات: لا تعصى، و لا تعلى، و لا تكبرى، فإن فعلت شيئا من ذلك تركتك كالجزور لا يمنع من أكله.

و أخرج النسائى من رواية يزيد بن أبى مالك عن أنس فى حديث الإسراء قال: قال رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم: «أتيت بدابة فوق الحمار و دون البغل» الحديث، و فيه: «فركبت و معى جبريل، فسرت فقال: انزل فصلّ، ففعلت، فقال: أ تدرى أين صليت؟ صليت بطيبة و إليها المهاجر» يعنى بفتح الجيم.

و وقع فى حديث شداد بن أوس عند البزار و الطبرانى أنه قال: «أول ما أسرى به صلّى اللّه عليه و سلّم مر بأرض ذات نخل، فقال له جبريل: انزل فصل، فنزل فصلى، فقال: صليت بيثرب» الحديث.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۹۷

و روى رزين عن أنس يرفعه «لما تجلى الله لجبل طور سيناء تشظى ستة أشظاظ» و فى رواية غير رزين «شظايا، فنزلت بمكة ثلاثة: حراء، و ثبير، و ثور، و فى المدينة:

أحد، و عير، و ورقان» و فى رواية «و رضوى» بدل عير، و لا يشكل ذلك بكون رضوى بينبع؛ لأن الينبع من توابع المدينة و مضافاتها كما سيأتى، و رواه بعض شراح المصابيح بلفظ «عير، و ثور، و رضوى» و منه يؤخذ حكمة أخرى فى تحديد الحرم بعير و ثور، و سيأتى بيان أول من سكنها بعد الطوفان فى أخبار سكانها.

و روينا فى الإمام للشافعى حديث «أسكنت أقل الأرض مطرا، و هى بين عينى السماء عين الشام و عين اليمن» و رواه ابن زبالة بزيادة «فاتخذوا الغنم على خمس ليال من المدينة».

و روى أيضا حديث «يا معشر المهاجرين إنكم بأقل الأرض مطرا، فأقلوا من الماشية، و عليكم بالزرع، و أكثروا فيه من الجماجم».

و روى الشافعى أيضا حديث «توشك المدينة أن تمطر مطرا لا يكن أهلها البيوت، و لا يكنهم إلا مظال الشعر».

و روى أيضا: «توشك المدينة أن يصيبها مطر أربعين ليلة لا يكن أهلها بيت من مدر».

و روى ابن زبالة حديث «كيف بك يا عائشة إذا رجع الناس بالمدينة و كانت كالرمانة المحشوة؟ قالت: فمن أين يأكلون يا نبى الله؟ قال: يطعمهم الله من فوقهم و من تحت أرجلهم و من جنات عدن».

و أورد المرجانى فى كتابه أخبار المدينة عن جابر مرفوعا «ليعودن هذا الأمر إلى المدينة كما بدأ منها، حتى لا يكون إيمان إلا بها» الحديث.

و روى أحمد برجال ثقات «يوشك أن يرجع الناس إلى المدينة حتى يصير مسالحهم بسلاح» و مسالحهم: جمع مسلح، و هم القوم الذين يحفظون الثغور، و سلاح- كقطام- موضع بقرب خيبر.

و فى مسلم حديث: «تبلغ المساكن أهاب أو يهاب» بكسر المثناة التحتية.

و روى أحمد فى حديث طويل أنه صلّى اللّه عليه و سلّم «خرج حتى أتى بئر الأهاب، قال: يوشك البنيان أن يأتى هذا المكان» و بئر أهاب: سيأتى أنها بالحرة الغربية.

و روى أبو يعلى عن زيد بن وهب قال: حدثنى أبو ذر رضى الله عنه قال: قال لى

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۹۸

رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم: «إذا بلغ البناء- أى: بالمدينة- سلعا فارتحل إلى الشام» فلما بلغ البناء سلعا قدمت الشام.

و روى ابن زبالة حديث «ليوشكن الدين أن ينزوى إلى هذين المسجدين، و يوشكن أن يتشاحوا على موضع الوتد بالحمى كشح أحدكم أن ينقص من داره إلى جانب المسجد، و ليوشكن أن يبلغ بنيانهم يهيقا» قالوا: يا رسول الله، فمن أين يأكلون؟ قال: «من هنا و هاهنا» يشير إلى السماء و الأرض.

و يهيقا أوله آخر الحروف: موضع بقرب المدينة على ما سيأتى عن المجد آخر الباب السابع.

و ذكر ابن زبالة الشجرة التى يضاف إليها مسجد ذى الحليفة، ثم روى عن أبى هريرة رضى الله عنه: «لا تقوم الساعة حتى يبلغ البناء الشجرة».

و روى أيضا عنه: «أريتك شرف السيالة و شرف الروحاء؛ فإنه منازل أهل الأردن إذا أجيز الناس إلى المدينة».

و فى الكبير للطبرانى فى حديث: «سيبلغ البناء سلعا، ثم يأتى على المدينة زمان يمر السفر على بعض أقطارها فيقول: قد كانت هذه مدة عامرة من طول الزمان و عفو الأثر».

و روى النسائى عن أبى هريرة حديث: «آخر قرية من قرى الإسلام خرابا المدينة» و رواه الترمذى بنحوه، و قال: حسن غريب، و رواه ابن حبان بلفظ: «آخر قرية فى الإسلام خرابا المدينة».

و روى أبو داود عن معاذ مرفوعا: «عمران بيت المقدس خراب يثرب، و خراب يثرب خروج الملحمة، و خروج الملحمة فتح القسطنطينية، و فتح القسطنطينية و خروج الدجال» و روى أبو داود أيضا مرفوعا «الملحمة الكبرى و فتح القسطنطينية و خروج الدجال فى سبعة أشهر».

و فى ابن شبة عن أبى هريرة: «ليخرجن أهل المدينة من المدينة خير ما كانت، نصفا زهوا، و نصفا رطبا، قيل: من يخرجهم منها يا أبا هريرة؟ قال: أمراء السوء».

و فيه أيضا عن أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعا نحوه، و أن عبد الله بن عمر كان يردّ عليه، فقال له أبو هريرة: لم تردّ على؟ فوالله لقد كنت أنا و أنت فى بيت حين قال النبى صلّى اللّه عليه و سلّم: «يخرج منها أهلها خير ما كانت» فقال ابن عمر: أجل، قد كنت أنا و أنت فى بيت، و لكن لم يقله، إنما قال: «أعمر ما كانت» و لو قال: «خير ما كانت» لكان ذلك و هو حى و أصحابه، فقال أبو هريرة: صدقت

و الذى نفسى بيده، و فيه عنه أيضا: «ليجيئن الثعلب حتى يقيل فى ظل المنبر، ثم يروح لا ينهنهه أحد».

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۹۹

و فى روايـة عنه: «لا تقوم الساعـة حتى يجيء الثعلب فيربض على منبر رسول الله صـلّى اللّه عليه و سـلّم لا ينهنهه أحد» و فيه أيضا عن شريـح بن عبيـد أنه قرأ كتابا لكعب: «ليغشـين أهل المدينـة أمر يفزعهم حتى يتركوها و هى مذللـة، و حتى يبول السـنانير على قطايف الخز ما يروعها شيء، و حتى يخرق الثعالب فى أسواقها ما يروعها شيء».

و فى الصـحيحين حديث «لتتركون المدينة» و لفظ مسـلم: «لتتركن المدينة على خير ما كانت مذللة ثمارها لا يغشاها إلا العوافى» يريد عوافى الطير و السـباع «و آخر من يحشـر منها راعيان من مزينة يريدان المدينة ينعقان بغنمهما فيجدانها وحوشا» و لفظ مسلم «حتى إذا بلغا ثنيـة الوداع خرّا على وجوههما» و هو فى الموطأ بلفظ: «لتتركن المدينـة على أحسن ما كانت حتى يدخل الكلب أو الذئب فيغذى على بعض سوارى المسجد».

و رواه ابن شبة و لفظة: «فيغذى على سوارى المسجد أو المنبر».

و يغدى- بالغين و الذال المعجمتين- أى يبول عليها دفعة دفعة، يقال: غذت المرأة ولدها بالتشديد، إذا أبالته، و بالتخفيف إذا أطعمته.

و فى ابن زبالة- و تبعه ابن النجار- حديث «لا تقوم الساعة حتى يغلب على مسـجدى هذا الكلاب و الذئاب و الضباع فيمر الرجل ببابه فيريد أن يصلى فيه فما يقدر عليه».

و فى ابن شـبة بسند صحيح حديث: «أما و الله لتدعنها مذللة أربعين عاما للعوافى، أ تدرون ما العوافى؟ الطير و السباع» و رواه ابن زبالة بنحوه.

و روى أحمد برجال الصحيح أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم: «صعد أحدا، فأقبل على المدينة و قال:

ويل أمها قرية، يدعها أهلها كأينع ما تكون» الحديث، و فى رواية له: «ويل أمك قرية، يدعك أهلك و أنت خير ما تكونين».

و روى أيضا بإسناد حسن حديث للبشير بن راكب فى حب وادى المدينة: «فليقولن لقد كان فى هذه مرة حاضرة من المؤمنين».

و روى أيضا برجال ثقات حديث: «المدينة يتركها أهلها و هى مرطبة، قالوا: فمن يأكلها؟ قال: السباع و العائف».

الفصل الخامس عشر فيما ذكر من وقوع ما أخبر به صلّى اللّه عليه و سلّم من خروج أهلها و تركها، و ذكر كائنة الحرة المقتضية لذلك

اشارة

قد اختلف الناس: متى يكون هذا الترك؟ فقال القاضى عياض: إن هذا جرى فى

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۱۰۰

العصر الأول، و إنه من المعجزات، فقد تركت المدينة على أحسن ما كانت حين انتقلت الخلافة إلى الشام و العراق، و ذلك أحسن ما كـانت من حيث الـدين و الـدنيا: أمـا الـدين فلكثرة العلمـاء بهـا، و أما الـدنيا فلعمارتها و اتساع حال أهلها، قال: و ذكر الأخباريون فى بعض الفتن التى جرت بالمدينة و خاف أهلها أنه رحل عنها أكثر الناس، و بقيت ثمارها للعوافى، و خلت مدة، ثم تراجع الناس إليها.

و حكى البـدر ابن فرحون فى شـرح الموطأ، و من خطه نقلت، عن القاضـى أيضا أنه قال: و قد حكى قوم كثيرون أنهم رأوا ما أنذر به النبى صلّى اللّه عليه و سلّم من تغذية الكلاب على سوارى مسجدها، انتهى.

و قال النووى: الظاهر المختار أن الترك للمدينـة يكون آخر الزمان عنـد قيام الساعة، و يوضـحه قصة الراعيين من مزينة، فإنهما يخران على وجوههما حين تـدركهما الساعـة، و لفظ مسـلم واضـح فى ذلك؛ فإنه قال «ثم يحشـر راعيان» و يؤيـده كونها آخر قرى الإسـلام خرابا.

قلت: و يؤيده رواية ابن شبة المتقدمة «ليدعنها مذللة أربعين عاما للعوافي» و هذا لم يقع اتفاقا، على أنه ورد ما يقتضي أن الترك للمدينة يكون متعددا، فلعل ما ذكره القاضي هو المرة الأولى، و بقي الترك الذي يكون آخر الزمان؛ لأن ابن شبة روى حديث «ليخرجن أهل المدينة من المدينة، ثم ليعودن إليها، ثم ليخرجن منها، ثم لا يعودون إليهما، و ليدعنها و هي خير ما يكون مونعة».

و روى أيضا عن عمر مرفوعا «يخرج أهل المدينة منها ثم يعودون إلها فيعمرونها حتى تمتلئ و تبنى، ثم يخرجون منها فلا يعودون إليها أبدا».

و روى ابن شبة عن أبي هريرة قال: «آخر من يحشر رجلان رجل من جهينة و آخر من مزينة فيقولان: أين الناس؟ فيأتيان المدينة فلا يريان إلا الثعلب، فينزل إليهما ملكان فيسحبانهما على وجوههما حتى يلحقاهما بالناس».

و روى أيضا عن حذيفة بن أسيد قال: «آخر الناس محضرا رجلان من مزينة يفقدان الناس، فيقول أحدهما لصاحبه: قد فقدنا الناس منذ حين، انطلق بنا إلى شخص من بني فلان، فينطلقان فلا يجدان بها أحدا، ثم يقول: انطلق بنا إلى المدينة، فينطلقان فلا يجدان بها أحدا، ثم يقول: انطلق بنا إلى منزل قريش ببقيع الغرقد، فينطلقان فلا يريان إلا السباع و الثعالب، فيوجهان نحو البيت الحرام».

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۱، ص: ۱۰۱

قلت: و كأنهما إذا توجها نحو البيت الحرام ينزل إليهما الملكان قبل ذهابهما؛ فلا يخالف ما تقدم، فالظاهر أن ما ذكره القاضي هو الترك الأول، و سببه فيما يظهر كائنة الحرة، و قد تقدم من حديث أبي هريرة أنه قيل له: من يخرجهم منها يا أبا هريرة؟ قال:

أمراء السوء، و روى الشيخان- و اللفظ لمسلم- عن أبي هريرة مرفوعا «يهلك أمتي هذا الحي من قريش، قالوا: فما تأمرنا؟ قال: لو أن الناس اعتزلوهم».

و روى مسلم عن حذيفة رضي الله عنه قال: «قام فينا رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم مقاما ما ترك شيئا يكون في مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدث به، حفظه من حفظه و نسيه من نسيه» الحديث، و في رواية عنه: أخبرني رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم بما هو كائن إلى أن تقوم القيامة، فما من شيء إلا قد سألته، إلا أني لم أسأله ما يخرج أهل المدينة من المدينة، و روى الترمذي حديثا «إذا مشت أمتي المطيطا، و خدمتهم بنات فارس و الروم، رد الله بأسهم بينهم، و سلط شرارهم على خيارهم». و روى ابن شبة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «و الذي نفسي بيده ليكونن بالمدينة ملحمة يقال لها الحالقة، لا أقول حالقة الشعر، و لكن حالقة الدين، فاخرجوا من المدينة و لو على قدر بريد».

و روى ابن أبي شيبة عنه أنه قال: اللهم لا تدركني سنة ستين، و لا إمرة الصبيان، يشير إلى أن أول الأغيلمة كان في سنة ستين، و هو كذلك، كما قاله الحافظ ابن حجر، فإن يزيد بن معاوية استخلف فيها، فأشار إلى دولة يزيد و فيها كانت وقعت الحرة، و تسمى حرة واقم، و حرة زهرة.

و روى الواقدي في كتاب الحرة عن أيوب بن بشير المعادي أن النبي صلّى اللّه عليه و سلّم «خرج سفرا من أسفاره، فلما مر بحرة زهرة وقف و استرجع، فسيء بذلك من معه، فظنوا أن ذلك من أمر بسفرهم، فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله، ما الذي رأيت؟ فقال النبي صلّى اللّه عليه و سلّم: أما إن ذلك ليس من سفركم هذا، قالوا: فما هو يا رسول الله قال؟ يقتل في هذه الحرة خيار أمتي بعد أصحابي».

و روى أيضا عن سفيان بن أبي أحمد قال: كان رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم إذا أشرف على بني عبد الأشهل أشار بيده، فقال: «يقتل بهذه الحرة خيار أمتي» و روى أيضا عن كعب قال:

نجد في التوراة أن في حرة شرقي المدينة مقتلة تضيء وجوههم يوم القيامة صنعا» و روى أيضا أنه ذكر عند ابن عباس قتلى الحرة، فقال ابن عباس: يرحمهم الله، قال رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم «يقتل بحرة زهرة خيار أمتي».

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۱، ص: ۱۰۲

و روى البيهقى فى الدلائل خبر أيوب بن بشير المتقدم، ثم قال: هذا مرسل و قد روى عن ابن عباس فى تأويل قوله تعالى: وَ لَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطارِها ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْها [الأحزاب: ۱۴] قال: لأعطوها، يعنى إدخال بنى حارثة أهل الشام على أهل المدينة.

و رواه بالسند إلى ابن عباس و قال: إنه مؤكد لمرسل ابن بشير، و سيأتى فى حرة واقم ما رواه ابن زبالة من أن السماء مطرت على عهد عمر رضى الله عنه، فخرج مع أصحابه حتى أتوا حرة واقم و شراجها تطرد، فقال كعب: أما و الله يا أمير المؤمنين لتسيلن هذه الشراج بدماء الناس كما تسيل بهذا الماء، فدنا منه ابن الزبير فقال: يا أبا إسحاق و متى ذلك؟ فقال: إياك أن تكون على رجلك أو يدك!

و روى ابن زبالة عن كعب أيضا: إنا نجد فى كتاب الله: حرة شرقى المدينة يقتل بها مقتله تضىء وجوههم يوم القيامة كما يضىء القمر ليلة البدر.

وقعة الحرة

قلت: و سياق كلام القرطبى يقتضى أنها هى السبب فى خروج أهل المدينة المذكور فى كلام عياض؛ فإنه ذكر نحو كلام عياض، و قال: فلما انتهى حالها- يعنى المدينة- كمالا و حسنا تناقص أمرها إلى أن أقفرت جهاتها، و توالت الفتن فيها؛ فخاف أهلها، فارتحلوا عنها، و وجّه يزيد بن معاوية مسلم بن عقبة المرى فى جيش عظيم من أهل الشام، فنزل بالمدينة، فقاتل أهلها، فهزمهم و قتلهم بحرة المدينة قتلا ذريعا، و استباح المدينة ثلاثة أيام، فسميت وقعة الحرة لذلك، و يقال لها: حرة زهرة، و كانت الوقعة بموضع يعرف بواقم على ميل من المسجد النبوى، فقتل بقايا المهاجرين و الأنصار و خيار التابعين، و هم ألف و سبعمائة، و قتل من أخلاط الناس عشرة آلاف سوى النساء و الصبيان، و قتل بها من حملة القرآن سبعمائة رجل، و من قريش سبعة و تسعون قتلوا ظلما فى الحرب صبرا، قال: و قال الإمام الحافظ ابن حزم فى المرتبة الرابعة: و جالت الخيل فى مسجد رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم و بالت، و راثت بين القبر و المنبر أدام الله تشريفها و أكرهوا الناس أن يبايعوا ليزيد على أنهم عبيد له إن شاء باع و إن شاء أعتق، و ذكر له يزيد بن عبد الله بن زمعة البيعة على حكم القرآن و السنة، فأمر بقتله، فضربت عنقه صبرا، و ذكر الأخباريون أنها خلت من أهلها، و بقيت ثمارها للعوافى كما قال صلّى اللّه عليه و سلّم و فى حال خلائها غذت الكلاب على سوارى المسجد، انتهى كلام القرطبى.

سبب نقمة يزيد بن معاوية على أهل المدينة

و روى الطبرانى فى خبر طويل عن عروة بن الزبير قال: لما مات معاوية رضى الله عنه تثاقل عبد الله بن الزبير عن طاعة ابنه يزيد، و أظهر شتمه، فبلغ ذلك يزيد، فأقسم لا

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۱۰۳

يؤتى به إلا- مغلولا- و إلا أرسل إليه، فقيل لابن الزبير: أ لا نصنع لك أغلالا من فضة تلبس عليها الثوب و تبر قسمه فالصلح أجمل بك؟ قال: فلا أبرّ الله قسمه، ثم قال:

و لا ألين لغير الحق أسأله حتى يلين لضرس الماضغ الحجر

ثم دعا إلى نفسه، فوجه إليه يزيد بن معاوية مسلم بن عقبة المرى فى جيش أهل الشام، و أمرهم بقتال أهل المدينة، فإذا فرغ من ذلك صار إلى مكة، قال: فدخل مسلم بن عقبة المدينة، و هرب منه يومئذ بقايا أصحاب رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم و عاث فيها، و أسرف فى القتل، ثم خرج منها، فلما كان فى بعض الطريق مات و استخلف حصين بن نمير الكندى، ثم ذكر حصاره ابن الزبير، و رميه بالمنجنيق، و احتراق الكعبة، قال: و بلغ حصين بن نمير موت يزيد بن معاوية فهرب.

قلت: و سبب أمر يزيد بقتال أهل المدينة ما ذكره الإمام ابن الجوزى قال: لما دخلت سنة اثنين و ستين ولّى يزيد عثمان بن محمد بن

أبى سفيان المدينة، فبعث إلى يزيد وفدا من المدينة، فلما رجع الوفد أظهروا شتم يزيد، و قالوا: قدمنا من عند رجل ليس له دين، يشرب الخمر، و يعزف بالطنابير، و يلعب بالكلاب؛ و إنا نشهدكم أنا قد خلعناه. و قال المنذر: أما و إله لقد أجازنى مائة ألف درهم، و لا يمنعنى ما صنع أن أصدقكم عنه؛ و الله إنه يشرب الخمر، و إنه ليسكر حتى يدع الصلاة؛ ثم بايعوا لعبد الله بن حنظلة الغسيل؛ و أخرجوا عثمان بن محمد عامل يزيد؛ و كان ابن حنظلة يقول: يا قوم؛ ما خرجنا على يزيد حتى خفت أن نرمى بالحجارة من السماء؛ و الله لو لم يكن معى أحد من الناس لأبليت الله فيه بلاء حسنا؛ و كانت قصة الحرة سنة ثلاث و ستين؛ و فى هذه السنة أخرج أهل المدينة عامل يزيد المتقدم ذكره.

قلت: و فى كتاب الحرة للواقدى ما ملخصه: أن أول ما هاج أمر الحرة أن ابن ميناء كان عاملا- على صوافى المدينة- و بها يومئذ صواف كثيرة- حتى كان معاوية يجد بالمدينة و أعراضها مائة ألف و سق و خمسين ألف وسق، و يحصد مائة ألف و سق حنطة، و استعمل يزيد على المدينة عثمان بن محمد بن أبى سفيان؛ و أن ابن ميناء أقبل بشرج له من الحرة يريد الأموال التى كانت لمعاوية؛ فلم يزل يسوقه و لا- يصده عنه أحد حتى انتهى إلى بلحارث بن الخزرج، فنقب النقيب فيهم، فقالوا: ليس ذلك لك، هذا حدث و ضرر علينا، فأعلم الأمير عثمان بن محمد بذلك، فأرسل إلى ثلاثة من بلحارث، فأجابوه إلى أن يمر به، فأعلم ابن ميناء فغدا بأصحابه فذبّوهم، فرجع إلى الأمير فقال: اجمع لهم

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۱، ص: ۱۰۴

من قدرت، و بعث معه بعض جند، و قال: مر به و لو على بطونهم، فغدا ابن ميناء متطاولا- عليهم، و عدا من يذبهم من الأنصار، و رفدتهم قريش فذبوهم حتى تفاقم الأمر؛ فرجع و لم يعمل شيئا. و كتب عثمان بن محمد إلى يزيد يخبره بذلك، و يحرضه على أهل المدينة جميعا؛ فاستشاط غضبا؛ و قال: و الله لأبعثن إليهم الجيوش، و لأوطئنها الخيل. انتهى.

و قال ابن الجوزى: قال أبو الحسن المدائنى- و كان من الثقات-: أتى أهل المدينة المنبر فخلعوا يزيد، فقال عبد الله بن أبى عمرو بن حفص المخزومى: قد خلعت يزيد كما خلعت عمامتى، و نزعها عن رأسه، إنى لأقول هذا و قد وصلنى و أحسن جائزتى، و لكن عدو اللّه سكر. و قال آخر: قد خلعته كما خلعت نعلى؛ حتى كثرت العمائم و النعال.

ثم ولوا على قريش عبد الله بن مطيع؛ و على الأنصار عبد الله بن حنظلة. ثم حاصر القوم من كان بالمدينة من بنى أمية فى دار مروان. فكتب مروان و من معه إلى يزيد: إنا قد حصرنا و منعنا العذب، فيا غوثاه. فوصل الكتاب إليه. فبعث إلى مسلم بن عقبة- و هو شيخ كبير- فجاء حتى دخل عليه، و قال له: اخرج و سر بالناس، فخرج مناديه، فنادى:

أن تسيروا إلى الحجاز على أخذ أعطياتكم كملا و معونة مائة دينار توضع فى يد الرجل من ساعته. فانتدب لذلك اثنا عشر ألف رجل. و كتب يزيد إلى ابن مرجانة أن اغز ابن الزبير، فقال: لا و الله لا أجمعها للفاسق أبدا قتل ابن رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم و إغزاء البيت و قال يزيد لمسلم: إن حدث بك حادث فاستخلف حصين بن نمير السكونى. و قال له: ادع القوم ثلاثا، فإن هم أجابوك و إلا- فقاتلهم، و إذا ظهرت عليهم فأبحها ثلاثا بما فيها من مال أو سلاح أو طعام فهو للجند، فإذا مضت الثلاث فاكفف عنهم، و انظر على بن الحسين فاستوص به، فإنه لم يدخل فى شىء مما دخلوا فيه، فلما بلغ أهل المدينة إقبال الحصين وثبوا على من كان محصورا من بنى أمية، و قالوا: لا نكف عنكم حتى نضرب أعناقكم أو تعطونا عهد الله و ميثاقه ألا تبغوا غائلة، و لا تدلوا لنا على عورة، و لا تظاهروا علينا عدوا، فاعطوهم العهد على ذلك، فأخرجوهم من المدينة، فخرجوا حتى لقوا مسلم بن عقبة، و أرسل إليه مروان ابنه عبد الملك فأشار عليه أن يأتيهم من ناحية الحرة، و أن ينتظرهم ثلاثا ففعل، فلما مضت الثلاث قال: يا أهل المدينة، ما تصنعون؟ قالوا:

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۱، ص: ۱۰۵

نحارب، قال: لا تفعلوا و ادخلوا فى الطاعة، قالوا: لا نفعل، و كانوا قد اتخذوا خندقا، فنزل منهم جماعة، و حمل ابن الغسل على الخيل حتى كشفها، و قاتلوا قتالا- شديدا، و جعل مسلم يحرض أصحابه، و كان به مرض؛ فنصب له سرير بين الصفين و قال: قاتلوا عن

أميركم؛ و أباح مسلم المدينة ثلاثا يقتلون الناس و يأخذون الأموال، و رفعوا على النساء؛ و قاتل عبد الله بن مطيع حتى قتل هو و بنون له سبعة؛ و بعث برأسه إلى يزيد؛ فأفزع ما جرى من بالمدينة من أصحاب رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم.

و نقل الواقدى أن القوم لما قربوا تشاور أهل المدينة فى الخندق خندق رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم؛ و شكوا المدينة بالبنيان من كل ناحية؛ و عملوا فى الخندق خمسة عشر يوما، و كان لقريش ما بين راتج إلى مسجد الأحزاب، و الأنصار ما بين مسجد الأحزاب إلى بنى سلمة، و للموالى ما بين راتج إلى بنى عبد الأشهل، فلما وصل القوم عسكروا بالجرف، و بعثوا رجالا من رجالهم، فأحدقوا بالمدينة من كل ناحية، فما يجدون مدخلا، و الناس متلبسون السلاح قد قاموا على أفواه الخنادق يرمون بالنبل و الحجارة، و جلس مسلم بناحية واقم، فرأى أمرا هائلا فاستعان بمروان و كان وعده بوجه فى ذلك لما لقيه بوادى القرى؛ فخرج مروان حتى جاء بنى حارثة، فكلم رجلا منهم و رغبه فى الصنيعة، و قال: تفتح لنا طريقا فاكتب بذلك إلى يزيد فيصل أرحامكم، ففتح لهم طريقا من قبلهم حتى أدخل له الرجال من بنى حارثة إلى بنى عبد الأشهل، و جاء الخبر عبد الله بن حنظلة و كان بناحية الصورين فى أصحابه، و أقبل عبد الله بن مطيع و كان من ناحية ذباب، و أقبل ابن هريرة فى الموالى يطوف بهم على الخنادق، و أقبل ابن ربيعة و كان من ناحية بطحان، فاجتمعوا جميعا من حيث يدخل أهل الشام، قال محمود بن لبيد: قد حضرت يومئذ، فإنما أتينا من قومنا بنى حارثة، و كان مروان حين أخرج عمل به عمل قبيح، فكلم رجلا فأدخله و معه فارس ثم جعلت الخيل تتحدر على أثره، و قد وقفنا بنى عبد الأشهل فقاتلنا ما وجدنا حتى عاينا الموت و كثرت القوم و تفرق الناس فقتلوا فى كل وجه.

و روى الواقدى أيضا أن قصر بنى حارثة كان أمانا لمن أراد أهل الشام أن يؤمنوه، و كانت بنو حارثة آمنين، و أول دار انتهبت و الحرب بعد لم ينقطع دار بنى عبد الله الأشهل، انتهى.

و أخرج ابن أبى خيثمة بسند صحيح إلى جويرية بن أسماء: سمعت أشياخ أهل

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۱۰۶

المدينة يتحدثون أن معاوية رضى الله عنه لما احتضر دعا يزيد فقال له: إن لك من أهل المدينة يوما، فإن فعلوا فارمهم بمسلم بن عقبة فإنى عرفت نصيحته، فلما ولى يزيد وفد عليه عبد الله بن حنظلة و جماعة، فأكرمهم و أجازهم، فرجع فحرض الناس على يزيد، و عابه، و دعاهم إلى خلع يزيد، فأجابوه، فبلغ ذلك يزيد، فجهز إليهم مسلم بن عقبة، فاستقبلهم أهل المدينة بجموع كثيرة، فهابهم أهل الشام و كرهوا قتالهم، فلما نشب القتال سمعوا فى جوف المدينة التكبير؛ و ذلك أن بنى حارثة أدخلوا قوما من الشاميين من جانب المدينة، فترك أهل المدينة القتال، و دخلوا المدينة خوفا على أهليهم، فكانت الهزيمة، و قتل من قتل، و بايع مسلم الناس على أنهم خول ليزيد يحكم فى دمائهم و أموالهم و أهليهم بما شاء، انتهى.

و أخرج يعقوب بن سفيان فى تاريخه بسند صحيح عن ابن عباس قال: جاء تأويل هذه الآية على رأس ستين سنة وَ لَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطارِها ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْها [الأحزاب: ۱۴] يعنى إدخال بنى حارثة أهل الشام على أهل المدينة فى وقعة الحرة، قال يعقوب: و كانت وقعة الحرة سنة ثلاث و ستين، اه.

قالوا: و كلمات امرأة مسلم بن عقبة فى ولدها، و قالت: أنا مولاتك، و ابنى فى الأسر؛ فقال: عجلوه لها؛ فضربت عنقه و قال: أعطوها رأسه، أ ما ترضين ألّا تقتلى حتى تكلمى فى ابنك؟!

قلت: و سموه مسرفا لإسرافه فى القتل.

و نقل الواقدى فى كتاب الحرة أن يزيد دخل على مسرف و كان قد جعله فى علية لمرضه؛ فقال له: لو لا مرضك لكنت أنت صاحب هذا الأمر، لما أعرف نصيحتك، قال مسرف: أنشدك الله يا أمير المؤمنين أ لا تولى أمرهم غيرى؛ فإنى و الله أنا صاحبهم، رأيت فى النوم شجرة غرقد تصيح بأغصانها: يا ثارات عثمان، فأقبلت و جعلت الشجرة تقول: على يدى مسلم بن عقبة، حتى جئتها فأخذتها، فعبرت ذلك أنى أكون القائم بأمر عثمان؛ فهم قتلته، قال يزيد: فسر إليهم على بركة الله، فأنت صاحبهم، و انظر إذا قدمت المدينة،

فمن عاقك عن دخولها أو نصب لك حربا فالسيف السيف، لا تبق فيهم، و أنهبها ثلاثا، و أجهز على جريحهم، و اقتل مدبرهم، و إياك أن تبقى عليهم، و إن لم يعرضوا لك فامض إلى ابن الزبير.

و روى ابن الجوزى من طريق المدائنى عن جويرية أن مسلما نظر إلى قتلى الحرة فقال: لئن دخلت النار بعدها إنى لشقى، و أسر أسرى فحبسهم ثلاثة أيام لم يطعموا،

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۱، ص: ۱۰۷

و جاءوا بسعيد بن المسيب فقالوا: بايع، فقال: أبايع على سيرة أبى بكر و عمر، فأمر بضرب عنقه، فشهد رجل أنه مجنون، فخلى عنه.

عدد القتلى فى وقعة الحرة

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى؛ ج۱؛ ص۱۰۷

عن المدائنى أيضا عن شيخ من أهل المدينة قال: سألت الزهرى: كم كانت القتلى يوم الحرة؟ قال: سبعمائة من وجوه الناس قريش و الأنصار و المهاجرين، و من وجوه الموالى و ممن لا يعرف من عبد و حر و امرأة عشرة آلاف، و كانت الوقعة لثلاث بقين من ذى الحجة سنة ثلاث و ستين.

و فى كتاب الحرة للواقدى قال: حدثنى عبد الله بن جعفر قال: سألت الزهرى: كم قتل من الناس يومئذ؟ قال: أما من وجوه الناس فأكثر من سبعمائة من قريش و الأنصار و وجوه الموالى، ثم عدّد على من قتل حتى ما كنت أرى أنه بقى أحد إلا قتل يومئذ، ثم قال الزهرى: و لقد قتل ممن لا يعرف من الموالى و العبيد و الصبيان و النساء أكثر من عشرة آلاف، و دخلوها لثلاث بقين من ذى الحجة سنة ثلاث و ستين.

قلت: و قال القرطبى لليلتين بقيتا من ذى الحجة، و عن الأقشهرى عن أبى معشر و الواقدى أنها يوم الأربع لليلتين خلتا من ذى الحجة، قلت: و لم أره فى كتاب الواقدى، و لعله سبق قلم، و الله أعلم.

و ذكر المجد أنهم سبوا الذرية، و استباحوا الفروج، و أنه كان يقال لأولئك الأولاد من النساء اللاتى حملن: أولاد الحرة، قال: ثم أحضر الأعيان لمبايعة يزيد، فلم يرض إلا أن يبايعوه على أنهم عبيد يزيد، فمن تلكأ أمر بضرب عنقه، و جاءوا بعلى بن عبد الله بن عباس، فقال الحصين بن نمير: يا معشر اليمن عليكم ابن أختكم، فقام معه أربعة آلاف رجل، فقال لهم مسلم: أ خلعتم أيديكم من الطاعة؟ فقالوا: أما فيه فنعم، فبايعه على أن ابن عم يزيد، انتهى.

و عن المدائنى أيضا عن محمد بن عمر قال: قال ذكوان مولى مروان: شرب مسلم بن عقبة دواء بعد ما أنهب المدينة، و دعا بالغداء، فقال له الطبيب: لا تعجل فإنى أخاف عليك إن أكلت قبل أن تكمل الدواء، قال: و يحك! إنما كنت أحب البقاء حتى أشفى نفسى من قتلة عثمان، فقد أدركت ما أردت، فليس شيء أحب إلى من الموت على طهارتى؛ فإنى لا أشك أن الله قد طهّرنى من ذنوبى بقتل هؤلاء الأرجاس.

قلت: هذا من عظيم حمقه، قاتله الله و أشقاه! فإن هذا مما يزيد فى عظيم جرمه.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۱، ص: ۱۰۸

من قتل من الصحابة يوم الحرة

و ممن قتل صبرا يومئذ من الصحابة: عبد الله بن حنظلة الغسيل- قال ابن حزم: قتل مع ثمانية من بنيه- و عبد الله بن زيد حاكى وضوء النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و معقل بن سنان الأشجعى- و كان شهد فتح مكة، و كان معه راية قومه يومئذ- و فيه يقول الشاعر:

ألا تلكم الأنصار تبكى سراتها و أشجع تبكى معقل بن سنان

و محمد بن عمرو بن حزم الأنصارى، و قد ذكر ابن جرير الطبرى الإمام أن عبد الله بن الغسيل كان يقول:

بعدا لمن رام الفساد و طغى و جانب القصد و أسباب الهدى

لا يبعد الرحمن إلا من عصى

ثم تقدم فقاتل حتى قتل، و قتل معه أخوه لأمه محمد بن ثابت بن قيس بن شماس الأنصارى، و أبوه كان خطيب رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم حين ورد وفد تميم، و جعل مسلم بن عقبة يطوف على القتلى و معه مروان بن الحكم، حتى مر على عبد الله بن الغسيل و هو ماد أصبعه السبابة، فقال مروان: أما و الله لئن نصبتها ميتا لطالما نصبتها حيا.

و روى عن محمد بن كعب القرظى قال: قال مروان لعبد الله بن حنظلة الغسيل و قد رآه مشيرا بإصبعه و قد يبست: لئن أشرت بها ميتا لطالما دعوت و تضرعت بها إلى الله تعالى، فقال رجل من أهل الشام: إن كان هو كما تقول فما دعوتنا إلا لقتل أهل الجنة، فقال مروان: خالفوا و نكثوا.

و فى الذيل على ابن النجار للعراقى: ذكر محمد بن سعد فى الطبقات أن مروان بن الحكم كان يحرض مسلم بن عقبة على أهل المدينة، و جاء معه معينا له حتى ظفر بهم، و انتهبت المدينة، فلما قدم مروان على يزيد شكر له ذلك و أدناه.

و روى ابن الجوزى بسنده إلى سعيد بن المسيب قال: ما أصلى لله تعالى صلاة إلا دعوت على بنى مروان.

و بسنده أيضا إليه قال: لقد رابنى ليالى الحرة ما فى المسجد أحد من خلق الله غيرى، و إن أهل الشام ليدخلون زمرا يقولون: انظروا إلى هذا الشيخ المجنون، و لا يأتى وقت صلاة إلا سمعت أذانا من القبر، ثم أقيمت الصلاة فتقدمت فصليت و ما فى المسجد أحد غيرى.

و بسنده أيضا إلى المدائنى عن أبى قرة قال: قال هشام بن حسان: ولدت بعد الحرة ألف امرأة من غير زوج.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۱، ص: ۱۰۹

و عن المدائنى أيضا عن أبى عبد الرحمن القرشى عن خالد الكندى عن عمته أم الهيثم بنت يزيد قالت: رأيت امرأة من قريش تطوف، فعرض لها أسود فعانقته و قبلته، فقلت: يا أمة الله، أ تفعلين هذا بهذا الأسود؟ فقالت: هو ابنى، وقع على أبوه يوم الحرة.

و نقل العراقى فى ذيله عن شيخه أبى المظفر السمعانى أنه روى بسنده إلى أبى غزية الأنصارى قال: كان قوم من أهل المدينة يجتمعون فى مجلس لهم بالليل يسهرون فيه، فلما قتل الناس قتلوا و نجا منهم رجل فجاء إلى مجلسه فلم يحس منهم أحدا، ثم جاء الليلة الثانية فكذلك، ثم جاء الثالثة فكذلك، فتمثل بهذا البيت:

ألا ذهب الكماة و خلّفونى كفى حزنا بذكرى للكماة

قال: فنودى من المجلس:

فدع عنك الكماة فقد تولّت و نفسك فابكها قبل الممات

فكلّ جماعة لا بدّ يوما يفرّق بينها شعب الشّتات

و روى الطبرانى عن أبى هارون العبدى قال: رأيت أبا سعيد الخدرى رضى الله عنه ممعط اللحية، فقلت: تعبث بلحيتك؟ قال: لا، هذا ما لقيت من ظلمة أهل الشام، دخلوا زمن الحرة، فأخذوا ما كان فى البيت من متاع أو خرثى، ثم دخلت طائفة أخرى فلم يجدوا فى البيت شيئا فأسفوا أن يخرجوا بغير شىء، فقالوا: أضجعوا الشيخ، فجعل كل يأخذ من لحيتى خصلة.

حرق مسلم بن عقبة و الخلاف فيه

و روى أيضا عن محمد بن سعيد خبرا قال فيه: فلما جاء يزيد خلاف ابن الزبير و دعاؤه إلى نفسه دعا مسلم بن عقبة المرى و قد أصابه

الفالج و قال: إن أمير المؤمنين- يعنى أباه- عهد إلى فى مرضه إن رابنى من أهل الحجاز ريب أن أوجهك إليهم، و قد رابنى، فقال: إنى كما ظن أمير المؤمنين، اعقد لى و عبّ الجيوش، قال: فورد المدينة فأباحها ثلاثا، ثم دعا إلى بيعة يزيد على أنهم أعبد له قن فى طاعة الله و معصيته، فأجابوه إلى ذلك، إلا رجلا واحدا من قريش أمه أم ولد، فقال له: بايع ليزيد على أنك عبد فى طاعة الله و معصيته، قال: بل فى طاعة الله، فأبى أن يقبل ذلك منه، فقتله، فأقسمت أمه قسما لئن أمكنها من مسلم حيا أو ميتا أن تحرقه بالنار، فلما خرج مسلم بن عقبة من المدينة اشتدت علته فمات، فخرجت أم القرشى بأعبد لها إلى قبر مسلم، فأمرت به أن ينبش من عند رأسه فلما وصلوا إليه إذا بثعبان قد التوى على عنقه قابضا بأرنبة أنفه

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۱۱۰

يمصها، قال: فكاع القوم عنه، و قالوا: يا مولاتنا انصرفى فقد كفاك الله شره، و أخبروها، فقالت: لأوفين الله بما وعدته، ثم قالت: انبشوه من عند الرجلين، فنبشوا، فإذا بالثعبان لاو ذنبه برجليه، قال: فتنحت وصلت ركعتين، ثم قالت: اللهم إنك تعلم أنى إنما غضبت على مسلم بن عقبة اليوم لك فخل بينى و بينه، ثم تناولت عودا فمضت إلى ذنب الثعبان فانسل من مؤخر رأسه فخرج من القبر، ثم أمرت به؛ فأخرج من القبر ثم أحرق بالنار.

قلت: و فى كتاب الحرة للواقدى أن الثابت بالبلد عندنا أن مسرفا لما دفن بثنية المشلل و كانت أم ولد ليزيد بن عبد الله بن ربيعة تسير وراء العسكر بيومين أو ثلاثة حتى جاءها الخبر بذلك، فانتهت إليه، فنبشته ثم صلبته على المشلل، قال الضحاك:

فحدثنى من رآه مصلوبا يرمى كما يرمى قبر أبى رغال.

و حدثنى عبد الرحمن بن أبى الزناد عن عبد الرحمن بن الحارث قال: و الله ما خلصت إليه، و لقد نبشت عنه و لكنها لما انتهت إلى لحده وجدت أسود من الأساود منطويا على رقبته فاتحا فاه، فانصرفت عنه.

و قال ابن الجوزى: لما دخلت سنة أربع و ستين- و قد فرغ مسلم من قتال أهل المدينة- سار متوجها إلى مكة، و استخلف على المدينة روح بن زنباع، و سار إلى ابن الزبير؛ فمات فى الطريق.

قلت: و ذلك مصداق ما جاء فى من يقصد أهل المدينة بسوء؛ فأهلكه الله سريعا.

قال القرطبى: أهلكه الله منصرفه عن المدينة، ابتلاه الله بالماء الأصفر فى بطنه؛ فمات بقديد بعد الوقعة بثلاث ليال.

و قال الطبرى: مات بهرشى بعد الوقعة بثلاث ليال، و كان لحماقته الموفرة يقول عند موته: اللهم إنى لم أعمل عملا قط بعد شهادة أن لا إله إلا الله أحب إلى من قتال أهل المدينة، و لئن دخلت النار بعدها إنى لشقى، ثم دعا حصين بن نمير السكونى و قال له:

أمير المؤمنين و لاك بعدى. فأسرع السير، و لا تؤخر ابن الزبير، و أمره أن ينصب المجانيق على مكة، و قال: إن تعوذوا بالبيت فارمه، و حاصر مكة أربعة و ستين يوما جرى فيها قتال

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۱۱۱

شديد، و قذفت الكعبة بالمجانيق يوم السبت ثالث ربيع الأول، و أخذ رجل قبسا فى رأس رمح فطارت به الريح فاحترق البيت، فجاءهم نعى يزيد بن معاوية إهلال ربيع الآخر، و كان بين الحرة و بين موته ثلاثة أشهر، و قال القرطبى: دون ثلاثة أشهر؛ لأنه توفى بالذبحة و ذات الجنب فى نصف ربيع الأول، فلقد ذاب ذوب الرصاص، و اجترأ أهل المدينة و أهل الحجاز على أهل الشام، فذلوا حتى كان لا ينفرد منهم رجل إلا أخذ بلجام دابته فنكس عنها، فقال لهم بنو أمية: لا تبرحوا حتى تحملونا معكم إلى الشام، ففعلوا، و مضى ذلك الجيش حتى دخلوا الشام.

و كانت وقعة الحرة، و قتل الحسين، و رمى الكعبة بالمنجنيق من أشنع شىء جرى فى أيام يزيد.

و قال عبد الرحمن بن سعيد بن زيد أحد العشرة رضى الله عنهم:

فإن تقتلونا يوم حرّة واقم فنحن على الإسلام أول من قتل

و نحن قتلناكم ببدر أذلة و أبنا بأسلاب لنا منكم نفل

فإن ينج منها عائذ البيت سالما فكلّ الذى قد نابنا منكم جلل

يعنى بعائذ البيت عبد الله بن الزبير.

و هذه الكائنة غير الإغزاء المذكور فى حديث البيداء؛ و لهذا روى ابن شبة عن أبى المهزم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: يجىء جيش من قبل الشام حتى يدخل المدينة، فيقتلون المقاتلة، و يبقرون بطون النساء، و يقولون: الحبلى فى البطن: اقتلوا صبابة الشر، فإذا علوا البيداء من ذى الحليفة خسف بهم فلا يدرك أسفلهم أعلاهم و لا أعلاهم أسفلهم، قال أبو المهزم: فلما جاء جيش ابن ذبحة قلنا: هم، فلم يكونوا هم.

قلت: و قد جاء فى بعض الأخبار بيان أن ذلك الجيش جيش السفيانى، يبعثه لقتال المهدى.

و قال يحيى بن سعيد: لم تترك الصلاة فى هذا المسجد منذ كان رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم إلا ثلاثة أيام: يوم قتل عثمان، و يوم الحرة، قال مالك: و نسيت الثالث، و فى العتبية عن مالك أنه بلغه ذلك عن سعيد بن المسيب بمعناه، قال ابن رشد: و اليوم الثالث الذى ذكر مالك أنه نسيه، قال محمد بن عبد الحكم: هو يوم خرج به أبو حمزة الخارجى، و كان خروجه- فيما ذكروا- فى دولة مروان بن محمد بن مروان بن الحكم آخر خلفاء بنى أمية.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۱، ص: ۱۱۲

مسير أبى حمزة إلى المدينة

قال خليفة بن خياط: سار أبو حمزة فى أول سنة ثلاثين و مائة، يريد المدينة، و استخلف على مكة إبراهيم بن الصباح الحميرى، و جعل على مقدمته فلح بن عقبة السعدى، و خرج أهل المدينة و التقوا بقديد يوم الخميس لتسع خلون من صفر سنة ثلاثين و مائة، و فلح فى ثلاثين ألف فارس، فقال لهم: خلوا طريقنا فنأتى هؤلاء الذين بغوا علينا و جاروا فى الحكم فإنا لا نريد قتالكم، فأبوا؛ فقاتلوهم فانهزم أهل المدينة، و جاءهم أبو حمزة فقال له على بن الحصين: اتبع هؤلاء القوم، و أثخن على جريحهم، فإن لكل زمان حكما، و الإثخان فى مثل هؤلاء أمثل، قال: ما أرى ذلك، و مضى أبو حمزة إلى المدينة فدخلها يوم الإثنين لثلاث عشر خلت من صفر، ففى يوم دخوله إياها- و الله أعلم- خلى مسجد النبى صلّى اللّه عليه و سلّم من أن يجمع فيه، و أصيب من قريش يومئذ ثلاثمائة رجل، و من آل الزبير اثنا عشر رجلا، فما سمع الناس بواكى أوجع للقلوب من بواكى قديد، ما بقى بالمدينة أهل بيت إلا فيهم بكاء، و قالت نائحة تبكيهم:

ما للزمان و ما ليه أفنى قديد رجاليه

فلأبكينّ سريرة و لأبكين علانيه

قلت: و ذكر الذهبى عن خليفة بن خياط فى خبر أبى حمزة هذا ما ملخصه: أن عبد الله بن يحيى الأعور الكندى المسمى طالب الحق- بعد أن ملك حضرموت و صنعاء- بعث إلى مكة أبا حمزة الخارجى الأباضى المذكور، فخاف عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك- و كان واليا على مكة و المدينة- و خذله أهل مكة، ففارقها فى النفر الأول، و قصد المدينة، فغلب أبو حمزة على مكة، ثم سار منها بعد أن استخلف عليها، فلقى بقديد الجيش الذى أرسله عبد الواحد بن سليمان لقتاله، فظفر أبو حمزة، و سار إلى المدينة فدخلها، و قتل فيها جماعة منهم أربعون رجلا من بنى عبد العزى، و جهز إليه مروان عسكرا، فلقى بوادى القرى فلحا، و هو على مقدمة أبى حمزة، فاقتتلوا، فقتل فلح و عامة أصحابه، ثم أدركوا أبا حمزة بمكة، فقتلوه فى خلق من أصحابه، ثم ساروا لطالب الحق فقتلوه، انتهى ملخصا.

قلت: و لا يحتمل أن ما نقل عن الأخباريين فى الخروج من المدينة إنما كان فى هذه الكائنة أو قبل ذلك كله فى كائنة بسر بن

أرطأة، فإن القرطبى قال: و ذكر أبو عمرو الشيبانى قال: لما وجه معاوية رضى الله عنه بسر بن أرطأة لقتل شيعة على رضى الله عنه

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۱۱۳

سار إلى أن أتى المدينة، فقتل ابنى عبيد الله بن العباس رضى الله عنهما، و فر أهل المدينة حتى دخلوا الحرة حرة بنى سليم، و لكنه بعيد، و الأقرب ما قدمناه، و الله أعلم.

الفصل السادس عشر فى ظهور نار الحجاز التى أنذر بها النبى صلّى اللّه عليه و سلّم

اشارة

فظهرت بأرض المدينة و أطفأها الله تعالى عند وصولها إلى حرمها، كما سنوضحه.

الأحاديث الواردة فى هذه النار

روينا فى مسند أحمد برجال ثقات عن أبى ذر قال: أقبلنا مع رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم فرأينا ذا الحليفة، فتعجل رجال إلى المدينة، و بات رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم و بتنا معه، فلما أصبح سأل عنهم، فقيل: تعجلوا إلى المدينة، فقال: «تعجلوا إلى المدينة و النساء، أما إنهم سيدعونها أحسن ما كانت» ثم قال: «ليت شعرى متى تخرج نار بأرض اليمن من جبل الوراق تضىء منها أعناق الإبل ببصرى بروكا كضوء النهار» و رواه ابن شبة من غير ذكر «بأرض اليمن» و لفظه «ليتركنها أحسن ما كانت، ليت شعرى متى تخرج نار من جبل الوراق تضىء لها أعناق الإبل ببصرى بروكا كضوء النهار».

و أخرج الطبرانى فى آخر حديث لحذيفة بن أسد: و سمعت رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم يقول:

«لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من رومان- أو ركوبة- تضىء منها أعناق الإبل ببصرى».

قلت: و ركوبة كما سيأتى: ثنية قريبة من ورقان، و لعله المراد بجبل الوراق، قال الحافظ ابن حجر: و رومان لم يذكره البكرى. و لعل المراد رومة البئر المعروفة بالمدينة، ثم نقل عن البكرى أن ركوبة بنى المدينة و الشام، و سيأتى رده.

و هذه النار مذكورة فى الصحيحين فى حديث «لا تقوم الساعة حتى تظهر نار بالحجاز»، و لفظ البخارى: «تخرج نار من أرض الحجاز تضىء أعناق الإبل ببصرى».

و روى الطبرانى بسند فيه ضعيف عن عاصم بن عدى الأنصارى قال: سألنا رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم حدثنا ما قدم، فقال: «أين حبس سيل؟» قلنا: لا ندرى، فمر بى رجل من بنى سليم، فقلت: من أين جئت؟ فقال: من حبس سيل، فدعوت بنعلى، فانحدرت إلى رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم فقلت: يا رسول الله، سألتنا عن حبس سيل، فقلنا: لا علم لنا به، و إنه مر بى هذا الرجل فسألته فزعم أن به أهله، فسأله رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم فقال: «أين أهلك؟»

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۱۱۴

فقال: بحبس سيل، فقال: «أخرج أهلك منها؛ فإنه يوشك أن تخرج منه نار تضىء أعناق الإبل ببصرى».

و حديث: «يوشك نار تخرج من حبس سيل تسير سير بطيئة الإبل، تسير النهار و تقيم الليل» الحديث أخرجه أحمد و أبو يعلى من رواية رافع بن بشير السلمى عن أبيه. قال الحافظ الهيثمى: رواه أحمد و الطبرانى، و رجال أحمد رجال الصحيح، غير رافع، و هو ثقة، انتهى.

و فى مسند الفردوس عن عمر حديث: «لا تقوم الساعة حتى يسيل واد من أودية الحجاز بالنار يضىء له أعناق الإبل ببصرى» و أخرجه ابن عدى فى كامله من طريق عمر بن سعيد التنوخى عن ابن شهاب عن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه عن عمر بن

الخطاب رفعه، و عمر بن سعيد ذكره ابن حبان فى الثقات، و كتبه ابن عدى و الدارقطنى.

بيان أن المدينة يمانية كما أنها حجازية

و قد ظهرت هذه النار بالمدينة الشريفة كما سنبينه، و لا إشكال فى كون المدينة حجازية، و أما كونها يمانية فقد نص عليه الشافعى. قال البيهقى فى المعرفة: قال الشافعى: و مكة و المدينة يمانيتان. قلت: و قد ذكر الشافعى فى الأم حديث: «أتاكم أهل اليمن هم ألين قلوبا» الحديث، ثم روى «أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم وقف على ثنية تبوك فقال: ما هاهنا شام، و أشار بيده إلى جهة الشام، و ما هاهنا يمن، و أشار بيده إلى جهة المدينة» هكذا نقلته من الأم بهذا اللفظ، و هو فى مسند الشافعى بلفظ «ما هاهنا شام، و أشار بيده إلى الشام، و من هاهنا يمن، و أشار بيده إلى جهة المدينة» قال ابن الأثير فى شرحه: الغرض منه بيان حد الشام و اليمن، و قد جعل المدينة من اليمن، اه. و العجب أن النووى قال فى فتاويه: مدينة الرسول صلّى اللّه عليه و سلّم ليست يمانية و لا شامية، بل هى حجازية، قال: و هذا لا خلاف فيه بين العلماء، و كأنه لم يقف على هذا.

و أما حبس سيل فقد قيل: إن حبس- بالضم ثم السكون- بين حرة بنى سليم و السوارقية، و قد كان إقبال هذه النار من المشرق فى جهة طريق السوارقية كما سيأتى، و قال نصر: حبس سيل- بالفتح- إحدى حرتى بنى سليم. قلت: و أهل المدينة اليوم

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۱۱۵

يسمون السد الآتى وصفه فيما أحدثته هذه النار بالحبس. و فى كلام ياقوت ما يقتضى أنه كان يسمى بالسد قبل هذه النار؛ فإنه لم يدركها، و مع ذلك قال: إن أعلى وادى قناة عند السد يسمى بالشظاة، اه.

و ظهور النار المذكورة بالمدينة الشريفة قد اشتهر اشتهارا بلغ حد التواتر عند أهل الأخبار، و كان ظهورها لإنذار العباد بما حدث بعدها؛ فلهذا ظهرت على قرب مرحلة من بلد النذير صلوات الله و سلامه عليه، و تقدمها زلازل مهولة، و قد قال تعالى: وَ ما نُرْسِلُ بِالْآياتِ إِلَّا تَخْوِيفاً [الإسراء: ۵۹] و قال تعالى: ذلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبادَهُ يا عِبادِ فَاتَّقُونِ [الإسراء: ۱۶] و لما ظهرت النار العظيمة الآتى وصفها، و أشفق منها أهل المدينة غاية الإشفاق، و التجئوا إلى نبيهم المبعوث بالرحمة، صرفت عنهم ذات الشمال، و زاحت عنهم الأوجال، و ظهرت بركة تربته صلّى اللّه عليه و سلّم فى أمته، و لعل الحكمة فى تخصيصها بهذا المحل- مع ما قدمناه من كونه حضرة النذير- الرحمة لهذه الأمة فإنها لو ظهرت بغيره و سلطان القهر و العظمة التى هى من آثاره قائم لربما استولت على ذلك القطر و لم تجد صارفا؛ فيعظم ضررها على الأمة، فظهرت بهذا المحل الشريف لحكمة الإنذار، فإذا تمت قابلتها الرحمة فجعلتها بردا و سلاما، إلى غير ذلك من الأسرار.

ابتداء الزلزلة التى حدثت بالمدينة

و كان ابتداء الزلزلة بالمدينة الشريفة مستهلّ جمادى الآخرة أو آخر جمادى الأولى سنة أربع و خمسين و ستمائة، لكنها كانت خفيفة لم يدركها بعضهم مع تكررها بعد ذلك، و اشتدت فى يوم الثلاثاء على ما حكاه القطب القسطلانى، و ظهرت ظهورا عظيما اشترك فى إدراكه العام و الخاص، ثم لما كان ليلة الأربعاء ثالث الشهر أو رابعه فى الثلث الأخير من الليل حدث بالمدينة زلزلة عظيمة أشفق الناس منها، و انزعجت القلوب لهيبتها، و استمرت تزلزل بقية الليل، و استمرت إلى يوم الجمعة و لها دوى أعظم من الرعد، فتموج الأرض، و تتحرك الجدارات، حتى وقع فى يوم واحد دون ليله ثمانية عشر حركة على ما حكاه القسطلانى.

و قال القرطبى: قد خرجت نار بالحجاز بالمدينة، و كان بدؤها زلزلة عظيمة فى ليلة الأربعاء بعد العتمة الثالث من جمادى الآخرة سنة أربع و خمسين و ستمائة، و استمرت إلى ضحى النهار يوم الجمعة فسكنت، و ظهرت بقريظة بطرف الحرة، ترى فى صفة البلد العظيم،

عليها سور محيط عليه شراريف و أبراج و موادن، و ترى رجال يقودونها، لا- تمر على جبل إلا دكته و أذابته، و يخرج من مجموع ذلك مثل النهر أحمر و أزرق له دوى كدوى الرعد، يأخذ الصخور بين يديه، و ينتهى إلى محط الركب العراقى، و اجتمع من

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۱، ص: ۱۱۶

ذلك ردم صار كالجبل العظيم، فانتهت النار إلى قرب المدينة، و مع ذلك فكان يأتى المدينة نسيم بارد، و شوهد لهذه النار غليان كغليان البحر، و قال لى بعض أصحابنا:

رأيتها صاعدة فى الهواء من نحو خمسة أيام، و سمعت أنها رئيت من مكة و من جبال بصرى، اه.

و قال النووى: تواتر العلم بخروج هذه النار عند جميع أهل الشام.

و نقل أبو شامة عن مشاهدة كتاب الشريف سنان قاضى المدينة الشريفة و غيره أن فى ليلة الأربعاء ثالث جمادى الآخرة حدث بالمدينة فى الثلث الأخير من الليل زلزلة عظيمة أشفقنا منها و باتت فى تلك الليلة تزلزل، ثم استمرت تزلزل كل يوم و ليلة مقدار عشر مرات- و فى كتاب بعضهم أربع عشرة مرة- قال: و الله لقد زلزلت مرة و نحن حول الحجرة فاضطرب لها المنبر إلى أن سمعنا منه صوتا للحديد الذى فيه، و اضطربت قناديل الحرم الشريف، زاد القاشانى: ثم فى اليوم الثالث- و هو يوم الجمعة- زلزلت الأرض زلزلة عظيمة، إلى أن اضطربت منام المسجد، و سمع لسقف المسجد صرير عظيم، قال القطب: فلما كان يوم الجمعة نصف النهار ظهرت تلك النار، فثار من محل ظهورها فى الجو دخان متراكم غشى الأفق سواده، فلما تراكمت الظلمات و أقبل الليل سطع شعاع النار، فظهرت مثل المدينة العظيمة فى جهة المشرق، و الحكمة فى ظهورها فى يوم الجمعة غير خافية، ففى الحديث «من أفضل أيامكم يوم الجمعة: فيه خلق آدم، و فيه قبض، و فيه النفخة، و فيه الصعقة، فأكثروا علىّ من الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة علىّ» الحديث، و فى الحديث أيضا: «خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة: فيه خلق آدم، و فهى أهبط، و فيه تيب عليه، و فيه مات، و فيه تقوم الساعة، و ما من دابة إلا و هى مصيخة حين تصبح حتى تطلع الشمس شفقا من الساعة، إلا الجن و الإنس، و فيه ساعة لا يصادفها عبد مسلم و هو يصلى يسأل الله شيئا إلا أعطاه إياه» رواه أبو داود، و هو اليوم الذى ادخره الله لهذه الأمة، و أكمل فيه دينهم؛ فأراد الله أن يخوف عباده فيه بذلك ليردهم إليه، فتلك النار نعمة فى صورة نقمة، و لهذا وجلت منها القلوب و أشفقت، و أيقن الناس أن العذاب قد أحاط بهم. قال القاضى سنان: و طلعت إلى الأمير- و كان عز الدين منيف بن شيحة- و قلت له: قد أحاط بنا العذاب، ارجع إلى الله، فأعتق كل مماليكه، و رد على الناس مظالمهم- زاد القاشانى: و أبطل المكس- ثم هبط الأمير للنبى صلّى اللّه عليه و سلّم و بات فى المسجد ليلة الجمعة و ليلة السبت، و معه جميع أهل المدينة حتى النساء و الصغار، و لم يبق أحد فى النخل إلا- جاء إلى الحرم الشريف، و بات الناس يتضرعون

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۱، ص: ۱۱۷

و يبكون، و أحاطوا بالحجرة الشريفة كاشفين رءوسهم مقرّين بذنوبهم مبتهلين مستجيرين بنبيهم صلّى اللّه عليه و سلّم. قال القطب: و لما عاين أمير المدينة ذلك أقلع عن المخالفة، و اعتبر، و رجع عما كان عليه من المظالم و انزجر، و أظهر التوبة و الإنابة، و أعتق جميع مماليكه، و شرع فى رد المظالم، و عزم أهل المدينة على الإقلاع عن الإصرار و ارتكاب الأوزار، و فزعوا إلى التضرع و الاستغفار، و هبط أميرهم من القلعة مع قاضيهم الشريف سنان و أعيان البلد، و التجئوا إلى الحجرة الشريفة، و باتوا بالمسجد الشريف بأجمعهم حتى النساء و الأطفال؛ فصرف الله تعالى عنهم تلك النار العظيمة ذات الشمال، و نجوا من الأوجال، فسارت تلك النار من مخرجها و سالت ببحر عظيم من النار، و أخذت فى وادى أحيليين و أهل المدينة يشاهدونها من دورهم كأنها عندهم، و مالت من مخرجها إلى جهة الشمال و استمرت مدة ثلاثة أشهر على ما ذكره المؤرخون.

مدة النار

و ذكر القطب القسطلانى فى كتاب أفرده لهذه النار، و هو ممن أدركها، لكنه كان بمكة فلم يشاهدها: أن ابتداءها يوم الجمعة السادس من شهر جمادى الآخرة، و أنها دامت إلى يوم الأحد السابع و العشرين من رجب، ثم خمدت، فجملة ما أقامت اثنان و خمسون يوما، لكنه ذكر بعد ذلك أنها أقامت منطفية أياما، ثم ظهرت، قال: و هى كذلك تسكن مرة و تظهر أخرى؛ فهى لا يؤمن عودها، و إن طفئ وقودها، انتهى؛ فكأن ما ذكره المؤرخون من المدة باعتبار انقطاعها بالكلية، و طالت مدتها ليشتهر أمرها فينزجر بها عامة الخلق و يشهدوا من عظمها عنوان النار التى أنذرهم بها حبيب الحق.

قوة النار

و ذكر القسطلانى عمن يثق به أن أمير المدينة أرسل عدة من الفرسان إلى هذه النار للإتيان بخبرها، فلم تجسر الخيل على القرب منها، فترجل أصحابها و قربوا منها، فذكروا أنها ترمى بشرر كالقصر، و لم يظفروا بجلية أمرها، فجرد عزمه للإحاطة بخبرها، فذكر أنه وصل منها إلى قدر غلوتين بالحجر و لم يستطع أن يجاوز موقفه من حرارة الأرض و أحجار كالمسامير تحتها نار سارية و مقابله ما يتصاعد من اللهب، فعاين نارا كالجبال الراسيات، و التلال المجتمعة السائرات، تقذف بزبد الأحجار كالبحار المتلاطمة الأمواج، و عقد لهيبها

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۱، ص: ۱۱۸

فى الأفق قتاما حتى ظن الظان أن الشمس و القمر كسفا إذ سلبا بهجة الإشراق فى الآفاق، و لو لا كفاية الله كفتها لأكلت ما تقدم عليه من الحيوان و النبات و الحجر، انتهى.

و ذكر الجمال المطرى ما يخالف بعض هذا؛ فإنه قال: أخبرنى علم الدين سنجر العزى من عتقاء الأمير عز الدين منيف بن شيحة صاحب المدينة قال: أرسلنى مولاى الأمير عز الدين بعد ظهور النار بأيام، و معى شخص من العرب، و قال لنا و نحن فارسان:

اقربا من هذه النار، و انظرا هل يقدر أحد على القرب منها، فإن الناس يهابونها لعظمها، فخرجت أنا و صاحبى إلى أن قربنا منها؛ فلم نجد لها حرا، فنزلت عن فرسى، و سرت إلى أن وصلت إليها، و هى تأكل الصخر و الحجر، فأخذت سهما من كنانتى، و مددت به يدى إلى أن وصل النصل إليها فلم أجد لذلك ألما و لا حرا، فعرق النصل و لم يحترق العود، فأدرت السهم و أدخلت فيها الريش فاحترق الريش و لم يؤثر فى العود.

و ذكر المطرى قبل ذلك أنها كانت تأكل كل ما مرت عليه من جبل و حجر، و لا تأكل الشجر، قال: و ظهر لى فى معنى ذلك أنه لتحريم النبى صلّى اللّه عليه و سلّم شجر المدينة؛ فمنعت من أكل شجرها لوجوب طاعته صلّى اللّه عليه و سلّم على كل مخلوق.

قلت: و ذكر القسطلانى أن هذه النار لم تزل مارة على سبيلها حتى اتصلت بالحرة و وادى الشظاة، و هى تسحق ما والاها، و تذيب ما لاقاها من الشجر الأخضر و الحصى من قوة اللظى، و أن طرفها الشرقى أخذ بين الجبال فحالت دونه ثم وقفت، و أن طرفها الشامى- و هو الذى يلى الحرم- اتصل بجبل يقال له وعيرة على قرب من شرقى جبل أحد، و مضت فى الشظاة الذى فى طرفه وادى حمزة رضى الله عنه، ثم استمرت حتى استقرت تجاه حرم النبى صلّى اللّه عليه و سلّم فطفئت، قال: و أخبرنى شخص أعتمد عليه أنه عاين حجرا ضخما من حجارة الحرة كان بعضه خارجا عن حد الحرم، فعلقت بما خرج منه، فلما وصلت إلى ما دخل منه فى الحرم طفئت و خمدت، انتهى.

و هذا أولى بالاعتماد من كلام المطرى؛ لأن المطرى لم يدرك هذه النار و إن أدرك من أدركها، بخلاف القطب فإنه أدركها، و اعتنى بجمع أخبارها، و أفردها بالتصنيف، و لم يقف عليه المطرى، و هذا أبلغ فى الإعجاز، حيث لم تدخل هذه النار حرمه الشريف؛ إذ هى للإنذار و التخويف و هو نبى الرحمة صلّى اللّه عليه و سلّم.

ضوء النار

و قد نقل أبو شامة عن مشاهدة كتاب القاضى سنان الحسينى أن سيل النار انحدر مع وادى الشظاة حتى حاذى جبل أحد، و كادت النار تقارب حرة العريض و خاف الناس منها خوفا عظيما، ثم سكن قتيرها الذى يلى المدينة، و طفئت مما يلى العريض بقدرة الله

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۱، ص: ۱۱۹

تعالى، فرجعت تسير فى الشرق، و هو مؤيد لما ذكره القطب، و مشاهدة آثارها اليوم تقضى بذلك.

قال المطرى: و أخبرنى بعض من أدركها من النساء أنهن كن يغزلن على ضوئها بالليل على أسطحة البيوت بالمدينة الشريفة.

و قال القسطلانى: إن ضوءها استوى على ما بطن من القيعان، و ظهر من القلاع، حتى كأن الحرم النبوى عليه الشمس مشرقة، و جملة أماكن المدينة بأنوارها محدقة، و دام على ذلك لهبها حتى تأثر له النيران، و صار نور الشمس على الأرض تعتريه صفرة، و لونها من تصاعد الالتهاب يعتريه حمرة، و القمر كأنه قد كسف من اضمحلال نوره، قال:

و أخبرنى جمع ممن توجه للزيارة على طريق المشيان أنهم شاهدوا ضوءها على ثلاثة مراحل للمجدّ، و آخرون أنهم شاهدوها من جبال سايه.

قلت: نقل أبو شامة عن مشاهدة كتاب الشريف سنان قاضى المدينة أن هذه النار رئيت من مكة و من الفلاة جميعها، و رآها أهل ينبع.

قال أبو شامة: و أخبرنى بعض من أثق به ممن شاهدها بالمدينة أنه بلغه أنه كتب بتيماء على ضوئها الكتب.

و قال المجد: و الشمس و القمر فى المدة التى ظهرت بها ما يطلعان إلا كاسفين.

قال أبو شامة: و ظهر عندنا بدمشق أثر ذلك الكسوف من ضعف النور على الحيطان، و كنا حيارى من سبب ذلك، إلى أن بلغنا الخبر عن هذه النار، و كل من ذكر هذه النار يقول فى آخر كلامه: و عجائب هذه النار و عظمتها يكلّ عن وصفها البنان و الأقلام، و تجل عن أن يحيط بشرحها البيان و الكلام؛ فظهر بظهورها معجزة للنبى صلّى اللّه عليه و سلّم لوقوع ما أخبر به و هى هذه النار؛ إذ لم تظهر من زمنه صلّى اللّه عليه و سلّم قبلها و لا بعدها نار مثلها.

هل رؤيت النار ببصرى

و قال القسطلانى: إن جاء من أخبر برؤيتها ببصرى فلا كلام، و إلا فيحتمل أن يكون ذكر ذلك فى الحديث على وجه المبالغة فى ظهورها، و أنها بحيث ترى، و قد جاء من أخبر أنه أبصرها بتيماء، و بصرى منها مثل ما هى من المدينة فى البعد.

قلت: قد تقدم عن القرطبى أنه بلغه أنها رئيت من جبال بصرى، و صرح الشيخ عماد الدين بن كثير بما يقتضى أنه أضاءت من هذه النار أعناق الإبل ببصرى، فقال: أخبرنى قاضى القضاة صدر الدين الحنفى قال: أخبرنى والدى الشيخ صفى الدين مدرس مدرسة

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۱، ص: ۱۲۰

بصرى أنه أخبره غير واحد من الأعراب صبيحة الليلة التى ظهرت فيها هذه النار ممن كان يحاضره ببلد بصرى أنهم رأوا صفحات أعناق إبلهم فى ضوء تلك النار، فقد تحقق بذلك أنها الموعود بها، و الحكمة فى إنارتها بالأماكن البعيدة من هذا المظهر الشريف حصول الإنذار، ليتم به الانزجار، كما اتفق لأهل المدينة، و فى هذا المعنى يقول قائلهم:

يا كاشف الضّرّ صفحا عن جرائمنا لقد أحاطت بنا يا ربّ بأساء

نشكو إليك خطوبا لا نطيق لها حملا و نحن بها حقا أحقّاء

زلازلا تخشع الصّمّ الصّلاب لها و كيف تقوى على الزلزال شمّاء

أقام سبعا يرجّ الأرض فانصدعت عن منظر منه عين الشمس عشواء

بحر من النار تجرى فوقه سفن من الهضاب لها فى الأرض إرساء

ترمی لها شررا کالقصر طائشة کأنها دیمة تنصبّ هطلاء
تنشقّ منها بیوت الصخر إن زفرت رعبا، و ترعد مثل السعف أضواء
منها تکاثف فی الجو الدخان إلی أن عادت الشمس منه و هی دهماء
قد أثرت سعفة فی البدر لفحتها فلیلة التم بعد النور عمیاء
تحدت النیرات السبع ألسنها بما تلاقی بها تحت الثری الماء
و قد أحاط لظاها بالبروج إلی أن صار یلفحها بالأرض أهواء
فباسمک الأعظم المکنون إن عظمت منا الذنوب و ساء القلب أسواء
فاسمح وهب و تفضل بالرضی کرما و ارحم فکلّ لفرط الجهل خطّاء
فقوم یونس لما آمنوا کشف الت عذیب عنهم و عمّ القوم نعماء
و نحن أمة هذا المصطفی، و لنا منه إلی عفوک المرجو دعّاء
هذا الرسول الذی لولاه ما سلکت محجة فی سبیل الله بیضاء
فارحم و صلّ علی المختار ما خطبت علی علا منبر الأوراق ورقاء

مبدأ ظهور النار

قال المؤرخون: و کان ظهور هذه النار من صدر واد یقال له وادی الأحیلیین و قال البدر بن فرحون: إنها سالت فی وادی أحیلیین، و موضعها شرقی المدینة علی طریق السوارقیة مسیرة من الصبح إلی الظهر.
قال القطب القسطلانی: ظهرت فی جهة المشرق علی مرحلة متوسطة من المدینة فی
وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفی، ج۱، ص: ۱۲۱
موضع یقال له قارع الهیلاء علی قرب من مساکن قریظة شرقی قباء، فهی بین قریظة و موضع یقال له أحیلیین، فثارت من هذا القاع، ثم امتدت فیه آخذة فی الشرق إلی قریب من أحیلیین، ثم عرجت و استقبلت الشام سائلة إلی أن وصلت إلی موضع یقال له قرین الأرنب بقرب من أحد، فوقفت و انطفت و انصرفت، انتهی.

من فوائد هذه النار

قال المؤرخون: و استمرت هذه النار مدة ظهورها تأکل الأحجار و الجبال، و تسیل سیلا ذریعا فی واد یکون طوله مقدار أربعة فراسخ و عرضه أربعة أمیال و عمقه قامة و نصف، و هی تجری علی وجه الأرض و الصخر یذوب حتی یبقی مثل الآنک، فإذا خمد اسودّ بعد أن کان أحمر، و لم یزل یجتمع من هذه الحجارة المذابة فی آخر الوادی عند منتهی الحرة حتی قطعت فی وسط وادی الشظاة إلی جهة جبل وعیرة، فسدت الوادی المذکور بسد عظیم من الحجر المسبوک بالنار و لا کسد ذی القرنین، یعجز عن وصفه الواصف، و لا مسلک لإنسان فیه و لا دابة.
قلت: و هذا من فوائد إرسال هذه النار؛ فإن تلک الجهة کثیرا ما یطرق منها المفسدون لکثرة الأعراب بها؛ فصار السلوک إلی المدینة متعسّرا علیهم جدّا.
قال القسطلانی: أخبرنی جمع ممن أرکن إلی قولهم إن النار ترکت علی الأرض من الحجر ارتفاع رمح طویل علی الأرض الأصلیة.
قال المؤرّخون: و انقطع وادی الشظاة بسبب ذلک، و صار السیل إذا سال ینحبس خلف السد المذکور حتی یصیر بحرا مد البصر

عرضا و طولا، فانخرق من تحته فی سنة تسعین و ستمائة لتکاثر الماء من خلفه، فجری فی الوادی المذکور سنتین کاملتین، أما السنة الأولی فکان قد ملأ ما بین جانبی الوادی، و أما الثانیة فدون ذلک، ثم انخرق مرة أخری فی العشر الأول بعد السبعمائة فجری سنة کاملة أو أزید، ثم انخرق فی سنة أربع و ثلاثین و سبعمائة و کان ذلک بعد تواتر أمطار عظیمة فی الحجاز، فکثر الماء و علا من جانبی السد و من دونه مما یلی جبل وعیرة و تلک النواحی، فجاء سیل طام لا یوصف، و لو زاد مقدار ذراع فی الارتفاع وصل إلی المدینة، و کان أهل المدینة یقفون خارج باب البقیع علی التل الذی هناک فیشاهدونه و یسمعون خریرا توجل القلوب دونه، فسبحان القادر علی ما یشاء!

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفی، ج ۱، ص: ۱۲۲

النذر الحادثة فی عام النار و الذی یلیه

و من العجائب أن فی السنة التی ظهرت فیها هذه النار احترق المسجد الشریف النبوی بعد انطفائها کما سیأتی، و زادت دجلة زیادة عظیمة فغرق أکثر بغداد و تهدمت دار الوزیر، و کان ذلک إنذارا لهم، ولیتهم اتعظوا.

ثم فی أول السنة التی تلی هذه السنة وقعت الطامة الکبری، و هی أخذ التتار لبغداد و قتل الخلیفة المستعصم و بعده المسلمون، و بذل السیف ببغداد نیفا و ثلاثین یوما، و أخرجت الکتب فألقیت تحت أرجل الدواب، و شوهد بالمدرسة المستنصریة معالف الدواب مبنیة بالکتب موضع اللبن، و خلت بغداد من أهلها، و استولی علیها الحریق علی ما ذکره سعید الذهلی، و احترقت دار الخلافة، و عم الحریق أکثر الأماکن حتی القصور البرانیة و ترب الرصافة مدفن ولاة الخلافة، و شوهد علی بعض حیطان منها مکتوب:

إن ترد عبرة فهذا بنو العباس دارت علیهم الدائرات

استبیح الحریم إذ قتل الأحی اء منهم و أحرق الأموات

ثم کثر الموت و الفناء ببغداد، و طوی بساط الخلافة منها من ذلک الزمان، فلله الخلق و الأمر!

و قد نظم بعضهم خروج هذه النار و غرق بغداد، و أصلحه أبو شامة منبها علی أن الأمرین فی سنة بقوله:

سبحان من أصبحت مشیئته جاریة فی الوری بمقدار

فی سنة أغرق العراق، و قد أحرق أرض الحجاز بالنار

بعض ما یناسب هذه النار

قال المجد: و مما یناسب هذه النار و یضاهیها ما حکاه ابن جبیر أنه رأی من أخبره أن فی بحر رومیة جزیرتین یخرج منهما النار دائما، قال: و أبصرنا الدخان صاعدا منهما، و تظهر باللیل نار حمراء ذات ألسن تصعد فی الجو، قال: و أعلمنا أن خروجها من جبلین یصعد منهما نفس ناری شدید، و ربما قذف فیها الحجر فتلقی به مسودا إلی الهواء بقوة ذلک النفس، و تمنعه من الانتهاء إلی القعر، قال: و أما الجبل الشامخ الذی بالجزیرة المعروف بجبل النار فشأنه أیضا عجیب، و ذلک أن نارا تخرج منه فی بعض السنین کالسیل

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفی، ج ۱، ص: ۱۲۳

العرم؛ فلا تمر بشیء إلا أحرقته، حتی تنتهی إلی البحر فترکب ثبجه طائرة علی صفحته حتی تغوص فیه.

شأن خالد بن سنان العبسی

قلت: و أقرب من ذلک فی مناسبة هذه النار ما ذکره ابن شبة فی أخبار المدینة- عند ذکر خالد بن سنان العبسی الذی قال النبی صلّی

اللّه عليه و سلّم لما جاءته بنته «هذه ابنة نبى ضيعه قومه» - فروى ابن شبة فى خبره من طرق ما ملخصه أنه كان بأرض الحجاز نار يقال لها نار الحدثان (حرة بأرض بنى عبس) تعشى الإبل بضوئها من مسيرة ثمانى ليال، و ربما خرج منها العنق فذهب فى الأرض فلا يبقى شيئا إلا أكله، ثم يرجع حتى يعود إلى مكانه، و إن الله تعالى أرسل إليها خالد بن سنان، فقال لقومه: يا قوم، إن الله أمرنى أن أطفئ هذه النار التى قد أضرت بكم فليقم معى من كل بطن رجل، فخرج بهم حتى انتهى إلى النار فخط عليهم خطا ثم قال: إياكم أن يخرج أحد منكم من هذا الخط فيحترق، و لا ينوهن باسمى فأهلك، و جعل يضرب النار و يقول: بدا بدا كل هدى لله مودا، حتى عادت من حيث جاءت، و خرج يتبعها حتى ألجأها فى بئر فى وسط الحرة منها تخرج النار، فانحدر فيها خالد. و فى درة الغواص: فإذا هو بكلاب تحتها فرضهن بالحجارة، و ضرب النار حتى أطفأها الله على يده، و معهم ابن عم له، فجعل يقول: هلك خالد، فخرج و عليه بردان ينطفان من العرق و هو يقول: كذب ابن رايعة المعزى لأخرجنّ منها و ثيابى تندى، فسموا بنى ذلك الرجل «بنى راعية المعزى» إلى اليوم، و فى رواية أن قومه سالت عليهم نار من حرة النار فى ناحية خيبر، و الناس فى وسطها، و هى تأتى من ناحيتين جميعا، فخافها الناس خوفا شديدا. و فى رواية: و هى تخرج من شق جبل من حرة يقال لها حرة أشجع، فقال لهم خالد بن سنان: ابعثوا معى إنسانا حتى أطفئها من أصلها، فخرج معه راعى غنم، و هو ابن راعية، حتى جاء غارا تخرج منه النار. و فى رواية: أنها كانت تخرج من بئر، ثم قال خالد للراعى: أمسك ثوبى، ثم دخل فى الغار، و فى رواية:

أنه انطلق فى ناس من قومه حتى أتوها، و قال لهم: إن أبطأت عنكم فلا تدعونى باسمى، فخرجت كأنها خيل شقر يتبع بعضها بعضا، فاستقبلها خالد فجعل يضربها بعصاه و يقول:

هديا هديا، كل نهب مودى، زعم ابن راعية المعزى، أنى لا أخرج منها و ثيابى تندى،

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۱، ص: ۱۲۴

حتى دخل معها الشعب، فأبطأ عليهم، فقال بعضهم: لو كان حيّا لخرج إليكم، فقالوا:

إنه قد نهاها أن ندعوه باسمه، قال: ادعوه باسمه، فو الله لو كان حيّا لخرج إليكم بعد، فدعوه باسمه، فخرج و هو آخذ برأسه؛ فقال: أ لم أنهكم أن تدعونى باسمى؟ قد و الله قتلتمونى، احملونى و ادفنونى، فإذا مرت بكم حمر معها حمار أبتر، و فى رواية فإذا دفنتمونى و أتى علىّ ثلاثة أيام فأتوا قبرى، فإذا عرضت لكم عانة من حمر وحش و بين يديها عير فانبشونى فإنى أقوم فأخبركم ما هو كائن إلى يوم القيامة، فأتوا القبر بعد ثلاث و سنحت لهم الحمر، فأرادوا نبشه، فمنعهم قوم من أهل بيته، و قالوا: لا ندعكم تنبشون صاحبنا فنعير بذلك، و فى رواية: فيكون سبة علينا، فتركوه.

و فى رواية لابن القعقاع بن خليد العبسى عن أبيه عن جده، قال: بعث الله خالد بن سنان نبيا إلى بنى عبس، فدعاهم فكذبوه، فقال قيس بن زهير: إن دعوت فأسيل علينا هذه الحرة نارا اتبعناك؛ فإنك تخوفنا بالنار، و إن لم تسل نارا كذبناك، قال: فذلك بينى و بينكم؟

قالوا: نعم، قال: فتوضأ ثم قال: اللهم إن قومى كذّبونى و لم يؤمنوا برسالتى إلا أن تسيل عليهم هذه الحرة نارا، فأسلها عليهم نارا، قال: فطلع مثل رأس الحريش، ثم عظمت حتى عرضت أكثر من ميل، فسالت عليهم، فقالوا: يا خالد ارددها فإنا مؤمنون بك، فتناول عصا ثم استقبلها بعد ثلاث ليال فدخل فيها فضربها بالعصا، فلم يزل يضربها حتى رجعت، قال: فرأيتنا نعشى الإبل على ضوء نارها ضلعا الربذة و بين ذلك ثلاث ليال.

قف على كرامة لتميم الدارى

و روى له ابن شبة أخبارا أخرى مع قومه، و روى البيهقى فى دلائل النبوة فى باب «ما جاء فى الكرامة التى ظهرت على تميم الدارى شرفا للمصطفى صلّى اللّه عليه و سلّم و تنويها باسم من آمن به، عن معاوية بن حرمل، و ذكر خبرا فى قدومه المدينة، و قول عمر له:

اذهب إلى خير المؤمنين فانزل عليه، ثم قال: فبينا نحن ذات يوم إذ خرجت نار بالحرة، فجاء عمر رضى الله عنه إلى تميم الدارى رضى الله عنه، فقال: قم إلى هـذه النار، فقال: يا أمير المؤمنين و من أنا؟ قال: فلم يزل به حتى قام معه، قال: و تبعتهما فانطلقا إلى النار، فجعل تميم يحوشها بيده حتى دخلت الشعب، و دخل تميم خلفها، فجعل عمر يقول: ليس من رأى كمن لم ير، قالها ثلاثا، و الله أعلم.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۱۲۵

الباب الثالث فى أخبار سكانها فى سالف الزمان، و مقدمه صلّى اللّه عليه و سلّم إليها،

اشارة

و ما كان من أمره بها فى سنين الهجرة، و فيه اثنا عشر فصلا

الفصل الأول فى سكانها بعد الطوفان، و ما ذكر فى سبب نزول اليهود بها، و بيان منازلهم

نزول عبيل يثرب

أسـند الكلبى عن ابن عبـاس أن مخرج الناس من السـفينة نزلوا طرف بابل، و كانوا ثمانين نفسا، فسـمى الموضع سوق الثمانين، قال: و طول بابـل مسيرة عشـرة أيـام و اثنى عشـر فرسـخا، فمكثوا بهـا حتى كثروا، و صار ملكهم نمروذ بن كنعان بن حام، فلما كفروا بلبلوا، فتفرقت ألسنتهم على اثنين و سبعين لسانا، ففهّم الله العربية منهم عمليق و طسم ابنى لوذا بن سام، و عادا و عبيل ابنى عوص بن أرم بن سام، و ثمود و جديس ابنى جاثق بن أرم بن سام، و قنطور بن عابر بن شالخ بن أرفحشذ بن سام، فنزلت عبيل يثرب، و يثرب اسم ابن عبيل، ثم أخرجوا منها فنزلوا الجحفة، فجاءهم سيل أجحفهم فيه، فلهذا سميت جحفة، فرثاهم رجل منهم فقال:

عين جودى على عبيل و هل يرجعن من فات بيضها بالسحام؟

عمروا يثربا و ليس بها شفر و لا صارخ و لا ذو سنام

غرسوا لينها بمجرى معين ثم حفوا النخيل بالآجام

أول من سكن يثرب

و قال أبو القاسم الزجاجى: أول من سكن المدينة عند التفرق يثرب بن قاينة ابن مهلائيل بن أرم بن عبيل بن عوص بن أرم بن سام بن نوح عليه السلام، و به سميت يثرب، و روى عن ابن عباس ما يدل له.

سكنى العماليق المدينة

و قال ياقوت: كان أول من زرع بالمدينـة، و اتخذ بها النخل، و عمر بها الدور و الآطام، و اتخذ بها الضـياع، العماليق، و هم بنو عملاق بن أرفخشذ بن سام بن نوح،

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۱۲۶

و كانت العماليق ممن انبسط فى البلاد، فأخذوا ما بين البحرين و عمان و الحجاز كله إلى الشام و مصـر، و جبابرة الشام و فراعنة مصـر منهم، و كـان منهم بـالبحرين و عمان أمـة يسـمون جاسم، و كان ساكن المدينـة منهم بنو هف و بنو مطرويل، و كان ملكهم بالحجاز الأرقم بن أبى الأرقم.

و أسند ابن زبالة عن زيد بن أسلم أن ضبعا رؤيت و أولادها رابضة فى حجاج عين رجل من العماليق- و الحجاج، بكسر أوله و فتحه: العظم الذى ينبت عليه الحاجب- قال زيد بن أسلم: و كان تمضى أربعمائة سنة و ما يسمع بجنازة.

قوم من اليهود ينزلون المدينة

و أسند رزين عن أبى المنذر الشرقى قال: سمعت حديث تأسيس المدينة من سليمان بن عبيد الله بن حنظلة الغسيل، قال: و سمعت أيضا بعض ذلك من رجل من قريش عن أبى عبيدة بن عبد الله بن عمار بن ياسر، قال: فجمعت حديثهما لكثرة اتفاقه و قلة اختلافه، قالا: بلغنا أنه لما حج موسى صلوات الله عليه حج معه أناس من بنى إسرائيل، فلما كان فى انصرافهم أتوا على المدينة، فرأوا موضعها صفة بلد نبى يجدون وصفه فى التوراة بأنه خاتم النبيّين، فاشتورت طائفة منهم على أن يتخلفوا به، فنزلوا فى موضع بنى قينقاع، ثم تألفت إليهم أناس من العرب فرجعوا على دينهم، فكانوا أول من سكن موضع المدينة.

و ذكر بعض أهل التواريخ أن قوما من العمالقة سكنوه قبلهم، قلت: و هو الأرجح.

داود النبى يغزو سكان المدينة

و أسند ابن زبالة مصدّرا به كتابة فى بدء من سكنها عن مشيخة من أهل المدينة قالوا:

كان ساكن المدينة فى سالف الزمان صعل و فالج، فغزاهم داود النبى عليه الصلاة و السلام، و أخذ منهم مائة ألف عذراء، قالوا: و سلط الله عليهم الدود فى أعناقهم فهلكوا، فقبورهم هذه التى فى السهل و الجبل، و هى التى بناحية الجرف، و بقيت امرأة منهم تعرف بزهرة، و كانت تسكن بها، فاكترت من رجل و أرادت الخروج إلى بعض تلك البلاد، فلما دنت لتركب غشيها الدود، فقيل لها: إنا لنرى دودا يغشاك، فقالت: بهذا هلك قومى، ثم قالت: ربّ جسد مصون، و مال مدفون، بين زهرة و رانون، قالوا: و قتلها

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۱، ص: ۱۲۷

قلت: و داود بعد موسى عليهما السلام، و كان يدعو إلى شريعته.

و قد عبّر ابن النجار عما سبق بقوله: قال أهل السير: أول من نزل المدينة بعد غرق قوم نوح قوم يقال لهم صعل و فالج، و ذكر قصة داود ملخصة، ثم قال: قالوا: و كان قوم من الأمم يقال لهم: بنو هف و بنو مطر و بنو الأزرق فيما بين مخيض إلى غراب الضائلة إلى القصاصين إلى طرف أحد؛ فتلك آثارهم هنالك.

و روى ابن زبالة عند ذكر جماء أم خالد بوادى العقيق عن عثمان بن عبد الرحمن قال: وجد قبر فى الجماء عليه حجر مكتوب فيه فهبط بالحجر فقرأه رجل من أهل اليمن، فإذا فيه: أنا عبد الله رسول رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم سليمان بن داود إلى أهل يثرب، و أنا يومئذ على الشمال.

و روى أيضا عن عمر بن سليم الزرقى قال: رقينا الجماء فوجدنا قبرا إرميا على رأسها عنده حجران مكتوبان لا- تقرأ كتابتهما، فحملناهما، فثقل علينا أحدهما فرميناه فى الجماء، و أخذت الآخر، فكان عندى، فعرضته على أهل التوراة من يهود فلم يعرفوه، ثم عرضته على أهل الإنجيل من النصارى فلم يعرفوه، فأقام عندى حتى دخل المدينة رجلان من أهل ماه، فسألتهما: هل كان لكم كتاب؟ قالا: نعم، فأخرجت إليهما الحجر، فقرآه فإذا فيه: أنا عبد الله الأسود رسول رسول الله عيسى بن مريم إلى أهل قرى عرينة، و قالا: نحن كنا أهل هذه القرية فى أس الدهر، و سيأتى بقية ما جاء فى ذلك فى رابع فصول الباب السابع.

مهلك العماليق بالحجاز

و أسند ابن زبالة أيضا عن عروة بن الزبير قال: كانت العماليق قد انتشروا فى البلاد، فسكنوا مكة و المدينة و الحجاز كله، و عتوا عتوّا كبيرا، فلما أظهر الله موسى عليه السلام على فرعون وطئ الشام و أهلك من بها، يعنى من الكنعانيين و قيل: بعث إليهم بعثا، فأهلك من كان بها منهم، ثم بعث بعثا آخر إلى الحجاز للعماليق، و أمرهم أن لا يستبقوا أحدا منهم بلغ الحلم، فقدموا عليهم، فأظهرهم الله فقتلوهم، حتى انتهوا إلى ملكهم الأرقم بن أبى الأرقم فقتلوه، و أصابوا ابنا له- و كان شابا من أحسن الناس- فضنوا به عن القتل، و قالوا: نستحييه حتى نقدم به على نبى الله موسى عليه السلام فيرى فيه رأيه، فأقبلوا و هو معهم، فقبض الله موسى قبل قدوم الجيش، فلما سمع بهم الناس تلقوهم فسألوهم فأخبروهم بالفتح، و قالوا: لم نستبق منهم إلا هذا الفتى، فإنا لم نر شابا أحسن

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۱۲۸

منه، فتركناه حتى نقدم به على نبى الله موسى عليه السلام فيرى فيه رأيه، فقالت لهم بنو إسرائيل: إن هذه لمعصية منكم لما خالفتم أمر نبيكم، لا و الله لا تدخلون علينا بلادنا أبدا، فقال الجيش: ما بلد إذ منعتم بلادكم بخير من البلد الذى خرجتم منه، و كان الحجاز إذ ذاك أشجر بلاد الله و أظهره ماء، قال: و كان هذا أول سكنى اليهود الحجاز بعد العماليق.

سبب نزول اليهود المدينة

و فى الروض الأنف عن أبى الفرج الأصبهانى أن السبب فى كون اليهود بالمدينة- و هى وسط أرض العرب- أن بنى إسرائيل كانت تغير عليهم العماليق من أرض الحجاز، و كانت منازلهم يثرب و الجحفة إلى مكة، فشكت بنو إسرائيل ذلك إلى موسى، فوجه إليهم جيشا، و ذكر نحو ما تقدم، ثم قال: و أصح من هذا ما ذكره الطبرى أن نزول بنى إسرائيل بالحجاز كان حين وطئ بختنصر بلادهم بالشام و خرب بيت المقدس، انتهى.

و حكى ابن النجار عن بعض العلماء أن سببه أن علماءهم كانوا يجدون صفة رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم فى التوراة، و أنه يهاجر إلى بلد فيه نخل بين حرتين، فأقبلوا من الشام يطلبون الصفة، فلما رأوا تيماء و فيها النخل نزلها طائفة منهم، و ظن طائفة أنها خيبر فنزلوها، و مضى أشرفهم و أكثرهم فلما رأوا يثرب سبخة و حرة و فيها النخل قالوا: هذه البلد التى تكون مهاجر النبى العربى عليه الصلاة و السلام، فنزل النضير بطحان، ثم حكى ما سيأتى من نزول قريظة و النضير بمذينيب و مهزور.

و حكى ياقوت عن بعض علماء الحجاز من يهود أن سبب نزولهم الحجاز أن ملك الروم حين ظهر على بنى إسرائيل و ملك الشام خطب إلى بنى هرون، و فى دينهم أن لا يزوجوا النصارى، فخافوه و أنعموا له، و سألوه أن يشرفهم بإتيانه إليهم، فأتاهم، ففتكوا به و بمن معه، ثم هربوا حتى لحقوا بالحجاز فأقاموا بها، و زعم بنو قريظة أن الروم لما غلبوا على الشام خرج قريظة و النضير و هدل هاربين من الشام يريدون من كان بالحجاز من بنى إسرائيل، فوجه ملك الروم فى طلبهم؛ فأعجزوا رسله، و انتهى الرسل إلى ثمد بين الحجاز و الشام فماتوا عنده عطشا، فسمى الموضع «ثمد الروم» و هو معروف بذلك، و الله أعلم أى ذلك كان.

و روى بعض أهل السير عن أبى هريرة رضى الله عنه، قال: بلغنى أن بنى إسرائيل لما أصابهم ما أصابهم من ظهور بختنصر عليهم و فرقتهم و ذلتهم تفرقوا، و كانوا يجدون

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۱۲۹

محمدا صلّى اللّه عليه و سلّم منعوتا فى كتابهم، و أنه يظهر فى بعض هذه القرى العربية فى قرية ذات نخل، و لما خرجوا من أرض الشام كانوا يعبرون كل قرية من تلك القرى العربية بين الشام و اليمن يجدون نعتها نعت يثرب، فينزل بها طائفة منهم، و يرجون أن يلقوا محمدا فيتبعونه، حتى نزل من بنى هرون ممن حمل التوراة بيثرب منهم طائفة، فمات أولئك الآباء و هم يؤمنون بمحمد صلّى اللّه عليه و سلّم أنه جاء، و يحثون أبناءهم على اتباعه إذا جاء، فأدركه من أبنائهم فكفروا به و هم يعرفونه: أى حسدا للأنصار حيث سبقوهم إليه.

و قال ابن زبالة عقب ما قدمناه عنه من عود الجيش من بنى إسرائيل إلى الحجاز و سكناهم المدينة: فركحوا منها حيث شاءوا- أى: تفسحوا و تبوؤوا- فكان جميعهم بزهرة، و كانت لهم الأموال بالسافلة، و زهرة ثبرة- أى أرض سهلة بين الحرة و السافلة مما يلى القف- و نزل جمهورهم بمكان يقال له يثرب بمجتمع السيول مما يلى زغابة، قالوا:

و كانت يثرب سقيفة طويلة فيها بغايا يضرب إليهن من البلدان، و كانوا يروحون فى قرية يثرب ثمانين جملا جونا سوى سائر الألوان.

ثم أسند عن محمد بن كعب القرظى أنه قال: و خرجت قريظة و إخوانهم بنو هدل و عمرو أبناء الخزرج بن الصريح بن السبط بن اليسع بن سعد بن لاوى بن جبر بن النحام بن عازر بن عيرز بن هرون بن عمران عليه السلام و النضير بن النحام بن الخزرج بن الصريح بعد هؤلاء، فتبعوا آثارهم، فنزلوا بالعالية على واديين يقال لهما مذينيب و مهزور، فنزلت بنو النضير على مذينيب و اتخذوا عليه الأموال فكانوا أول من احتفر بها- أى بالعالية- الآبار و غرس الأموال، قال: و نزل عليهم بعض قبائل العرب فكانوا معهم، فاتخذوا الأموال، و ابتنوا الآطام و المنازل.

و أسند هو و ابن شبة أيضا عن جابر مرفوعا: أقبل موسى و هارون حاجّين فمرا بالمدينة، فخافا من يهود، فخرجا مستخفيين، فنزلا أحدا، فغشى هارون الموت، فقام موسى فحفر له و لحد، ثم قال: يا أخى إنك تموت، فقام هارون فدخل فى لحده، فقبض عليه موسى التراب.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۱، ص: ۱۳۰

قلت: و إسناد ابن شبة لا بأس به، غير أن فيه رجلا لم يسمّ، و سماه ابن زبالة، و ذلك المسمى لا بأس به أيضا، لكن ابن زبالة لا يعتمد عليه فى ذلك، و هو دال على أن اليهود نزلوا المدينة فى زمن موسى عليه السلام، و طالت مدتهم بها فى حياته، حتى وقع منهم ما يقتضى خوفه منهم عند مروره، و هو إنما يتأتى على ما قدمناه من أنه لما حج و معه ناس من بنى إسرائيل فرأوا موضع المدينة صفة بلد خاتم النبيين، فاشتورت طائفة منهم على أن يتخلفوا به، و يكون ما اتفق لموسى و هارون عليهما السلام فى حجة أخرى بعد ذلك، و سيأتى فى مسجد عرق الظبية بالروحاء حديث «و لقد مر به موسى بن عمران حاجّا و معتمرا فى سبعين ألفا من بنى إسرائيل» و من الغريب ما نقل الحافظ ابن حجر عن كتاب الأنواء لعبد الملك بن يوسف قال: إن قريظة كانوا يزعمون أنهم من ذرية شعيب نبى الله عليه السلام، و إن ذلك محتمل؛ فإن شعيبا كان من بنى جذام القبيلة المشهورة- قال الحافظ ابن حجر: و هو بعيد جدّا- و نقل ابن زبالة ما حاصله: أن ممن كان من العرب مع يهود قبل الأنصار بنو أنيف حى من بلى، و يقال: إنهم بقية من العماليق، و بنو مريد حى من بلى، و بنو معاوية بن الحارث بن بهثة بن سليم، و بنو الجذماء حى من اليمن، و كانت الآطام عزّ أهل المدينة و منعتهم التى كانوا يتحصنون فيها من عدوهم، و روى حديث النهى عن هدم آطام المدينة، قال: و كان لبنى أنيف بقباء: الأجش عند البئر التى يقال لها لاوة، و أطمان فيما بين المال الذى يقال لها المائة و المال الذى يقال له القائم، و آطام عند بئر عذق و غيرها، قال شاعرهم فيها:

و لو نطقت يوما قباء لخبرت بأنّا نزلنا قبل عاد و تبّع

و آطامنا عاديّة مشمخرّة تلوح فتنكى من نعادى و تمنع

بقايا اليهود بالمدينة

و كان ممن بقى من اليهود- حين نزلت عليهم الأوس و الخزرج- جماعات منها بنو القصيص و بنو ناغصة كانوا مع بنى أنيف بقباء، و كان بقباء رجل من اليهود يقال «إنه من بنى النضير» كان له أطم يقال له «عاصم» كان فى دار ثوبة بن حسين بن السائب بن أبى لبابة، و فيه البئر الذى يقال لها قباء، و قيل: إن بنى ناغصة حى من اليمن كانت منازلهم فى شعب بنى حرام حتى نقلهم عمر بن الخطاب إلى مسجد الفتح، و منها بنو قريظة فى دارهم المعروفة بهم اليوم، و كان لهم بها آطام: من ذلك أطم الزبير بن باطا القرظى، كان موضعه فى موضع مسجد بنى قريظة، و أطم كعب بن أسد يقال له بلحان بالمال الذى يقال له الشجر، و له يقول الشاعر:

من سره رطب و ماء بارد فليأت أهل المجد من بلحان

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۱۳۱

و كان مع قريظة فى دارهم إخوتهم بنو هدل و بنو عمرو المقدم ذكرهم، و إنما سمى هدلا بهدل كان فى شفته، و من ولده ثعلبة و أسد ابنا سعيّة و أسد بن عبيد و رفاعة بن سموأل و سخيت و منبه ابنا هدل، و منها بنو النضير فى النواعم، و منهم كعب بن الأشرف، و كان لهم عامة أطم فى المال الذى يقال له فاضجة، و أطم فى زقاق الحارث دبر قصر ابن هشام دون بنى أمية بن زيد كان لعمر بن جحاش، و أطم البويلة، و غير ذلك، هذا ما ذكره ابن زبالة.

و نقل ابن عساكر عن الواقدى أنه قال: كانت منازل بنى النضير بناحية الغرس.

قلت: و الظاهر أنهم كانوا بالنواعم، و تمتد منازلهم و أموالهم إلى ناحية الغرس و إلى ناحية الصافية و ما معها من صدقات النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و بعض منازلهم كانت بجفاف؛ لأن فاضجة به، و رأيت بالحرة فى شرقى النواعم آثار حصون و قرية بقرب مذينيب يظهر أنها من جملة منازلهم، و أن ما فى قبلة ذلك فى شرقى العهن من منازل بنى أمية بن زيد كما سيأتى، و منها بنو مريد فى بنى خطمة و ناعمة إبراهيم بن هشام، و كان لهم أطم يعرف بهم فيه بئر، و منها بنو معاوية فى بنى أمية بن زيد، و منها بنو ماسكة بقرب صدقة مروان بن الحكم مما يلى صدقة النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و كان لهم الأطمان اللذان فى القف فى القرية، و منها بنو محمم فى المكان الذى يقال له بنو محمم، و كان لهم المال الذى يقال له خناقة، معروف اليوم، و كان رجل منهم قطع يد رجل فى الجاهلية فقال المقطوع: أعطنى خناقة عقلا- بيدى، فأبى، و حفر للذى قطعه كوة فى خناقة، ثم أخرج يده منها من وراء الحائط و قال: اقطع، فقطع يده، فقال حين قطع يده:

الآن قد طابت ذرى خنافة طابت فلا جوع و لا مخافة

و منها بنو زعورا عند مشربة أم إبراهيم بن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و لهم الأطم الذى عندها، و كان الأطم الذى فى مال جحاف لبعض من كان هناك من اليهود، و منها بنو زيد اللات، قال ابن زبالة: و هم رهط عبد الله بن سلام، كانوا قريبا من بنى غصينة، و منها بنو قينقاع عند منتهى جسر بطحان مما يلى العالية، و كان هناك سوق من أسواق المدينة، و كان لهم الأطمان اللذان عند منقطع الجسر على يمينك و أنت ذاهب من المدينة إلى العالية إذا سلكت الجسر، و غير ذلك، و فى صحيح البخارى عن ابن عمر أن بنى قينقاع هم رهط عبد الله بن سلام، خلاف ما تقدم عن ابن زبالة، قال الحافظ ابن حجر: و هم من ذرية يوسف الصديق عليه السلام، و منها بنو حجر عند المشربة التى عند الجسر، و لهم أطم يعرف بهم، و منها بنو ثعلبة و أهل زهرة بزهرة، و هم رهط الفطيون، و هو ملكهم الذى كان يفتض نساء أهل المدينة قبل أن يدخلن على أزواجهن، و كان لهم الأطمان اللذان على

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۱۳۲

طريق العريض حين يهبط من الحرة، و كانت بزهرة جماع من اليهود و كانت من أعظم قرى المدينة، و قد بادوا، و منها ناس كانوا بالجوانية- بفتح الجيم و تشديد الواو و الياء المثناة من تحت: موضع بقرب أحد فى شمالى المدينة كما سيأتى- و لهم أطمان صارا لبنى حارثة بن الحارث و هما صرار و الريان، و لذلك يقول نهيك بن سياف:

لعل صرارا أن تعيش بياره و يسمع بالريان تبنى مشاربه

و كانت بنو الحذماء المتقدم ذكرهم- و هم حى من اليمين- ما بين مقبرة بنى عبد الأشهل و بين قصر ابن عراك، ثم انتقلوا إلى راتج، و منها بنو عكوة فى يمانى بنى حارثة، و منها بنو مرابة فى شامى بنى حارثة، و لهم الأطم الذى يقال له الشبعان فى ثمغ صدقة عمر بن الخطاب رضى الله عنه، و منها ناس براتج، و هو أطم سميت به الناحية، و هو الذى يقول له قيس بن الخطيم:

ألا إن بين الشرعبىّ و راتج ضرابا كتخديم السبال المعضد

و منها ناس بالشوط و العنابس و الوالج و زبالة إلى عين فاطمة حيث كان يطبخ الآجر لمسجد الرسول صلّى اللّه عليه و سلّم و كان

لأهل الشوط الأطم الذى يقال له الشرعبى، و هو الأطم الذى دون ذباب، و قد صار لبنى جشم بن الحارث بن الخزرج أى الأصغر يعنى إخوة بنى عبد الأشهل، و كان لأهل الوالج أطم بطرفه مما يلى قناة، و كان لبعض من هناك من اليهود الأطمان اللذان يقال لهما الشيخان بمفضاهما المسجد الذى صلّى فيه رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم حين سار إلى أحد، و كان لأهل زبالة الأطمان عند كومة أبى الحمراء الرابض و الذى دونهما، و منها أهل يثرب، و كانوا جماعا من اليهود بها و قد بادوا فلم يبق منهم أحد.

قلت: و نقل رزين عن الشرقى أن يهود كانوا نيفا و عشرين قبيلة، و قال ابن النجار:

إن آطامهم كانت تسعة خمسين أطما، و للعرب النازلين عليهم قبل الأنصار ثلاثة عشر أطما، و قد ذكر ابن زبالة أسماء كثير منها حذفناه لعدم معرفته فى زماننا.

فهذا علم من سكن المدينة بعد الطوفان إلى قدوم الأوس و الخزرج.

الفصل الثانى فى سبب سكنى الأنصار بها

قصة مأرب و سيل العرم غسان

نقل ابن زبالة و غيره أن اليهود لم تزل هى الغالبة بالمدينة، الظاهرة عليها، حتى كان من أمر سيل العرم ما كان و ما قص الله من قصته فى مائه يعنى قصة أهل مأرب، و مأرب مهموز: أرض سبأ المعنية بقوله تعالى: بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ [سبأ: ۱۵] عن ابن عباس أنها كانت أخصب البلاد و أطيبها، تخرج المرأة و على رأسها المكتل فتعمل بيديها أى بمغزلها و تسير

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۱۳۳

بين ذلك الشجر، فيمتلئ مما يتساقط فيه من الثمر، فطغوا، و قيل: بعث الله إليهم ثلاثة عشر نبيّا يدعونهم إلى الله، و يذكرونهم نعمة الله عليهم، فكذبوهم، و قالوا: ما نعرف لله نعمة، قال المسعودى: و كان طول بلدهم أكثر من شهرين للراكب المجد، و كذلك عرضها، و كان أهلها فى غاية الكثرة مع اجتماع الكلمة و القوة، و كانوا كما قص الله من خبرهم بقوله: وَ جَعَلْنا بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بارَكْنا فِيها يعنى: قرى الشام قُرىً ظاهِرَةً [سبأ: ۱۸] يعنى متواصلة يرى بعضها من بعض لتقاربها، فكانوا آمنين فى بلادهم، تخرج المرأة لا تتزود شيئا، تبيت فى قرية، و تقيل فى أخرى حتى تأتى الشام، فقالوا: رَبَّنا باعِدْ بَيْنَ أَسْفارِنا [سبأ: ۱۹] لأنهم بطروا النعمة و ملوها، و قالوا: لو كان جنى جناتنا أبعد كان أجدر أن نشتهيه، و تمنوا أن يجعل الله بينهم و بين الشام مفاوز ليركبوا الرواحل فيها و يتزودوا الأزواد، فجعل الله لهم الإجابة كما قال: فَجَعَلْناهُمْ أَحادِيثَ وَ مَزَّقْناهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ [سبأ: ۱۹] و عن الضحاك أنهم كانوا فى الفترة التى بين عيسى و محمد عليهما الصلاة و السلام، فسلط عليهم سيل العرم، قيل: العرم: المطر الشديد، و قيل: جرذ أعمى فنقب عليهم السد، و كان فرسخا فى فرسخ بناه لقمان الأكبر العادى، و كان بناه للدهر على زعمه، و كان يجتمع إليه مياه اليمن ثم تتفرق فى مجارى على قدر حاجة جنانهم، و قيل: بناه سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، و ساق إليه سبعين واديا، و مات قبل أن يكمله فأكمله بعده ملوك حمير، و كان أولاد حمير بن سبأ و أولاد كهلان بن سبأ سادة اليمن فى ذلك الزمان، و كان كبيرهم و سيدهم جد الأنصار عمرو مزيقياء بن عامر ماء السماء بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد، و يقال: الأسد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان ابن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، ذكر نسبه كذلك ابن هشام و ابن حزم و ابن الكلبى فيما نقله عنه ابن عبد البر، و نقل غيره عنه أنه جعل ثعلبة بين حارثة و بين امرئ القيس، و كانت الأنصار تقول: سمى عمرو مزيقياء لأنه كان يلبس فى كل يوم حلتين ثم يمزقهما لئلا يلبسهما أحد بعده، و قيل لأبيه «ماء السماء» لجوده و قيامه عند الجدب مقام الغيث، و كان لعمرو مزيقياء أخ كاهن لم يعقب يسمى عمران، و كانت زوجة عمرو مزيقياء يقال لها طريفة من حمير، و كانت كاهنة، فولدت له ثلاثة عشر رجلا، ولدت ثعلبة و هو الذى أخرج جرهم من مكة هو و أخواته، و من انخرع معه من الأزد على ما نقله رزين، و نقل أن والد ثعلبة- و هو

عمرو بن عامر- توفى قبل

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۱۳۴

غلبة ثعلبة لجرهم، و ثعلبة أبو الأوس و الخزرج، و ولدت له أيضا حارثة والد خزاعة على ما سيأتى، و قيل: غير ذلك، و ولدت له أيضا جفنة والد غسان، سموا باسم ماء نزلوا عليه يقال له: غسان، و الأشهر أنهم بنو مازن بن الأزد بن الغوث، و ولدت له أيضا وداعة، و أبا حارثة، و الحارث، و عوفا، و كعبا، و مالكا، و عمران، هؤلاء أعقبوا كلهم، و الثلاثة الباقون لم يعقبوا.

غسان

و قال ابن حزم: إن غسان هم بنو الحارث و جفنة و مالك و كعب بنى عمرو مزيقياء، شربوا كلهم من ماء غسان، بخلاف بقية ولد عمرو مزيقياء فلم يشربوا من ذلك الماء، فليسوا غسان، و كان لعمرو بن عامر بمأرب من القصور و الأموال ما لم يكن لأحد.

أول خبر سيل العرم

و نقل رزين أنه كان أول شيء وقع بمأرب من أمر سيل العرم أن عمران بن عامر رأى فى كهانته أن قومه سيمزقون و يباعد بين أسفارهم، و أن بلادهم ستخرب، فذكر ذلك لأخيه عمرو بن عامر؛ فكان بين التصديق و التكذيب، فبينا طريفة امرأته ذات يوم نائمة إذ رأت فيما يرى النائم أن سحابة غشيت أرضهم فأرعدت و أبرقت، فذعرت ذعرا شديدا، فسكّنوها، فقالت: يا عمرو بن عامر، الذى رأيت فى الغيم، أذهب عنى النوم، رأيت غيما أرعد و أبرق، طويلا ثم أصعق، فما وقع على شيء إلا احترق؛ فما بعده إلا الفرق، فلما رأوا ما بها خفضوها حتى سكنت، ثم إن عمرو بن عامر دخل حديقة و معه جاريتان له، فبلغ ذلك طريفة خرجت نحوه، فلما خرجت من بيتها عارضها ثلاث مناجذ- و هى دواب تشبه اليرابيع- منتصبات على أرجلهن واضعات أيديهن على أعينهن، فلما رأتهن طريفة وضعت يدها على عينها و قعدت على الأرض، فلما ذهبت المناجذ خرجت مسرعة، فلما عارضها خليج الحديقة التى فيها عمرو و ثبت من الماء سلحفاة فوقعت فى الطريق على ظهرها، و جعلت تروم الانقلاب و تستعين بيدها فلا تستطيع، فتحذف التراب على نفسها، و تقذف بالبول من تحتها، فلما رأت طريفة ذلك جلست على الأرض حتى عادت السلحفاة إلى الماء، ثم مضت طريفة حتى دخلت الحديقة التى فيها عمرو بن عامر حين انتصف النهار فى ساعة شديد حرها، و إذا الشجرة من غير ريح تتكفأ،

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۱۳۵

فمرت حتى دخلت على عمرو، فلما رآها قال: هلمى يا طريفة، فقالت: و النور و الظلماء، و الأرض و السماء، إن الماء لغائر، و إن الشجر لهالك، فقال عمرو: و من أخبرك بذلك؟ قالت: أخبرتنى المناجذ، بسنين شدائد، يقطع فيها الولد الوالد، و سلحفاة تحذف بالتراب حذفا، و تقذف بالبول قذفا، و رأيت الشجر من غير ريح و لا مطر تكفأ، قال: و ما ترين ذلك؟ قالت: داهية وكيمة، و أمور جسيمة، قال: أما إن كان ذلك فلك الويل. قالت: أجل و ما لعمرو فيها من نيل، مما يجيء به السيل، فألقى بنفسه على الفراش و قال: ما هذا الذى تقولين إلا أمر جليل، و خلف قليل، و أخذ القليل خير من تركه، قال عمرو: و ما علامة ما تذكرين؟ قالت: إذا رأيت جرذا يكثر فى السد الحفر، و يقلب منه بيديه الصخر، فاعلم أن قد وقع الأمر. فانطلق عمرو إلى السد ينظر فإذا جرذ يقلب بيديه و رجليه الصخرة ما يقلها خمسون رجلا من أسد، فرجع إلى طريفة فأخبرها.

ثم رأى عمرو رؤيا أنه لا بد من سيل العرم، و قيل: إن آية ذلك أن ترى الحصى قد ظهر فى شرب النخل، فذهب فرأى ذلك، فعرف أن ذلك واقع، و أن بلادهم ستخرب، فكتم ذلك و أخفاه، و أجمع على أن يبيع كل شيء له بأرض سبأ و يخرج منها هو و ولده، فخشى أن يستنكر الناس ذلك، فاحتال فى الأمر، فأمر بإبل فنحرت، و بغنم فذبحت، و صنع طعاما واسعا، و بعث إلى أهل مأرب

بأجمعهم، و كان فيمن دعا يتيم كان رباه و أنكحه، و قال له فيما بينه و بينه: إذا أنا جلست أطعم الناس فاجلس بجنبى ثم نازعنى الحديث و اردد علىّ مثل ما أقول لك، و افعل بى مثل ما أفعل بك، فكلمه عمرو فى شىء، فرد عليه، فضرب عمرو وجهه و شتمه، ففعل اليتيم به مثله، فصاح عمرو: وا ذلاه، اليوم ذهب فخر عمرو و مجده، فحلف ليقتلنه، فلم يزالوا به حتى تركه، و قال: و الله لا أقيم ببلدة صنع بى هذا فيه أبدا، و لأبيعن أموالى كلها و أرحل عنكم، فاغتنم الناس غضبه و اشتروا منه أمواله، فباع جميع عقاره، و تبعه ناس من الأزد فباعوا أموالهم، و لما كثر البيع استنكر الناس ذلك، فأمسكوا، فلما اجتمع عند عمرو بن عامر أثمان أمواله أخبر الناس بأمر سيل العرم، فخرج من مأرب ناس كثير، و أقام بها من قضى عليه بالهلاك، هذا ما نقله رزين فى تاريخه و قد اقتفيت أثره فى ذلك فى كتابى.

و ذكر ابن هشام فى سيرته نحوه، و قال: إن الأسد- يعنى الأزد- قالوا: لا نتخلف عن عمرو بن عامر، فباعوا أموالهم و خرجوا معه، و قيل: كانت طريفة زوجة ثعلبة، و إنه صاحب القصة و المحتال فى بيع ماله.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۱۳۶

و قال ياقوت: إن عمرو بن عامر مات قبل سيل العرم، و صارت الرئاسة إلى أخيه عمران بن عامر الكاهن، و كان عاقرا لا يولد له، و إنه صاحب القصة مع طريفة الكاهنة، و إنها أقبلت عليه يوما و قالت: و الظلمة و الضياء، و الأرض و السماء، ليقبلن إليكم الماء، كالبحر إذا طما، فيدع أرضكم فلا يسقى عليها الصبا، و ذكر القصة، و أنه احتال لبيع أمواله بأن قال لحارثة أحد أولاد أخيه عمرو بن عامر إذا اجتمع الناس إلىّ فإنى سآمرك بأمر فأظهر فيه العصيان فإذا ضربت رأسك بالعصا فقم إلىّ و الطمنى، فقال: و كيف يلطم الرجل عمه؟ فقال: افعل يا بنى فإن فى ذلك صلاحك و صلاح قومك، و ذكر القصة، قال: فجاء بعد رحيلهم بمديدة السيل و قد خرب الجرذ السد فلم يجد مانعا، فغرق البلاد حتى لم يبق من جميع الأرضين و الكروم إلا ما كان فى رءوس الجبال و الأمكنة البعيدة مثل ذمار و حضرموت و عدن، و ذهبت الضياع و الحدائق و الجنان، و جاء السيل بالرمل و طمّها، فمضى على ذلك إلى اليوم، و باعد الله بين أسفارهم كما سألوا.

عمرو بن عامر يصف البلاد لقومه

و نقل رزين أن عمرو بن عامر الكاهن قال لهم عند خروجهم: سأصف لكم البلاد، فقال: من كان منكم ذا همّ بعيد، و جمل شديد، و مراد حديد، فليلحق بقصر عمان المشيد؛ فسكنها أزدعمان. قال: و من كان منكم ذا هم غير بعيد، و جمل غير شديد، و مراد غير حديد؛ فليلحق بالشعب من كرود- و هى من أرض همدان- فكان الذين سكنوه وداعة بن عمرو بن عامر فانتسبوا فى همدان. قال: و من كان منكم ذا هم مدن، و جمل معن، فليلحق بالثنى من شن، و هو بالسراة، فسكنه أزدشنوءة. قال: و من كان منكم ذا جلد و بصر، و له صبر على أزمات الدهر، فليلحق ببطن مر، فسكنته خزاعة. قال: و من كان منكم يريد الراسخات فى الوحل، المطعمات فى المحل، فليلحق بالحرة ذات النخل؛ فكان الذين سكنوها الأوس و الخزرج. قال: و من كان يريد الخمر و الخمير، و الديباج و الحرير، و الأمر و التأمير، فليلحق ببصرى و سدير- و هما من أرض الشام- فكان الذين سكنوه آل جفنة بن غسان. قال: و من كان يريد الثياب الرقاق، و الخيول العتاق، و الكنوز من الأرزاق، فليلحق بالعراق؛ فكان الذين لحقوا بالعراق جذيمة الأبرش و من كان بالحيرة من غسان.

قلت: و قيل: إن الذى سجع لهم بذلك طريفة الكاهنة، و إنها قالت: و من كان منكم يريد الراسخات فى الوحل، المطعمات فى المحل، فليلحق بيثرب ذات النخل.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۱۳۷

و روى ابن زبالة سجع عمرو بن عامر فى المدينة بلفظ: من كان يريد الراسيات فى الوحل، المطعمات فى المحل، المدركات بالذحل، فليلحق بيثرب ذات النخل؛ فلما سمعوا ذلك القول خرج عمرو بن عامر بجميع ولده و من معه من الأزد يريد أرضا يقيمون بها،

ففارقهم وداعة بن عامر فسكن همدان، ثم سار عمرو حتى إذا كان بين السراة و مكة أقام هنالك ناس من الأزد، و أقام معهم عمران بن عمرو بن عامر، ثم سار عمرو فى باقى ولده و فى ناس من بنى مازن من الأزد حتى نزلوا ماء يقال له غسان، و غلب عليهم اسمه حتى قال شاعرهم:

إمّا سألت فإنّا معشر نجب الأزد نسبتها و الماء غسان

نزول خزاعة فى مكة

قال أبو المنذر الشرقى: و من ماء غسان انخزع لحىّ- و اسمه ربيعة بن حارثة بن عمرو بن حارثة- فأتى مكة فتزوج بنت عامر الجرهمى ملك جرهم، فولدت له عمرو بن لحى الذى غيّر دين إبراهيم، فسمى ولده خزاعة لأن أباهم انخزع من غسان.

و قال غيره ما يخالف ذلك؛ فروى الأزرقى أن عمرو بن عامر سار هو و قومه لا يطؤون بلدا إلا غلبوا عليه، فلما انتهوا إلى مكة- و أهلها جرهم قد قهروا الناس و حازوا ولاية البيت على بنى إسماعيل و غيرهم- أرسل إليهم ثعلبة بن عمرو بن عامر يقول: يا قوم إنا خرجنا من بلادنا، فلم ننزل بلدا إلا فسح أهله لنا فنقيم معهم حتى نرسل روّادنا إلى الشام و المشرق، فحيث ما قيل لنا إنه أمثل لحقنا به، فأبت جرهم ذلك، فأرسل إليهم ثعلبة: إنه لا بد لى من المقام، فإن تركتمونى نزلت و حمدتكم و واسيتكم فى الماء و المرعى، و إن أبيتم أقمت على كرهكم ثم لم ترتعوا معى إلا- فضلا و لا- تشربوا إلا- رنقا- يعنى الكدر- فإن قاتلتمونى قاتلتكم، ثم إن ظهرت عليكم سبيت النساء و قتلت الرجال، و لم أترك أحدا منكم ينزل الحرم أبدا، فأبت جرهم، فاقتتلوا ثلاثة أيام، ثم انهزمت جرهم، فلم ينفلت منهم إلا الشريد، و أقام ثعلبة بمكة و ما حولها بعساكره حولا، فأصابتهم الحمى، و كانوا ببلد لا يدرون فيه ما الحمى، فدعوا طريفة الكاهنة فشكوا إليها الذى أصابهم، فقالت: قد أصابنى الذى تشكون، ثم ذكر الأزرقى سجعها فى أمر الدلالة على البلاد فى هذا المحل و هو غى سجع عمران بن عامر عند تفرقهم من سبأ، ثم ذكر لحوق كل فرقة منهم ببلدها على النحو الذى قدمناه، و أن الأوس و الخزرج ابنى حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر- و هم الأنصار- نزلوا بالمدينة، ثم قال: و انخزعت خزاعة بمكة،

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۱، ص: ۱۳۸

فأقام بها ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر و هو لحىّ، فولى أمر مكة، فهذا يقتضى أنهم إنما افترقوا من مكة، و لا شك أن منها افترق الذين وصلوا إليها.

نزول ثعلبة بن عمرو فى المدينة

و قال ياقوت: إنهم لما ساروا من اليمن عطف ثعلبة العنقاء بن عمرو مزيقياء بن عامر ماء السما بن حارثة الغطريف بن امرئ القيس البطريق بن ثعلبة البهلول بن مازن الراد بن الغوث نحو الحجاز، فأقام ما بين الثعلبية إلى ذى قار، و باسمه سميت الثعلبية، فنزلها بأهله و ولده و من تبعه، فأقام هناك يتبع مواقع القطر، فلما كثر ولده و قوى ركنه سار بهم نحو المدينة و بها يهود فاستوطنوها؛ فأقاموا بها بين قريظة و النضير و خيبر و تيماء و وادى القرى، و نزل أكثرهم بالمدينة.

الفصل الثالث فى نسبهم

اشارة

قد قدمنا انتسابهم إلى عمرو مزيقياء، و انتساب عمرو إلى قحطان.

نسب قحطان

و قال ابن رزين نقلا عن الشرقى: أصل الأنصار الأوس و الخزرج و هما من ولد ثعلبة بن عمرو بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد بن الغوث بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يعرب بن قحطان، و كأنه سقط من النسخة بعد الغوث «بن نبت» فإنه بين مالك و الغوث كما قدمناه، و جماع قبائل اليمن تنتهى إلى قحطان، و قحطان اختلف فى نسبه، فالأكثرون قالوا: إنه عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح، و قيل:

هو من ولد هود نفسه، و قيل: ابن أخيه، و يقال: قحطان أول من تكلم بالعربية، و هو والد العرب المتعربة، و أما إسماعيل فهو والد العرب المستعربة، و أما العرب العاربة فكانوا قبل ذلك كعاد و ثمود و طسم و جديس و عمليق و غيرهم، و قيل: إن قحطان أول من قيل له:

أبيت اللّعن، و عم صباحا. و ذهب الزبير بن بكار إلى أن قحطان من ذرية إسماعيل عليه السلام، و أنه قحطان بن الهميسع بن تيم بن نبت بن إسماعيل عليه السلام، و يدل له تبويب البخارى بأن نسبة اليمن إلى إسماعيل، و أورد فيه الحديث المتضمن لمخاطبة النبى صلّى اللّه عليه و سلّم بنى أسلم بأنهم من بنى إسماعيل، و أسلم هو ابن أفصى بن حارثة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرئ القيس صاحب النسب المتقدم، فدل على أن اليمن بنى قحطان من بنى

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۱۳۹

إسماعيل، و هو ظاهر قول أبى هريرة فى الصحيحين فى قصة هاجر «فتلك أمكم يا بنى ماء السماء» يخاطب الأنصار؛ لأن جدهم عامرا والد عمرو كان يلقب بذلك، كما تقدم، أو أراد أبو هريرة رضى الله عنه العرب كلهم؛ لكثرة ملازمتهم الفلوات التى بها مواقع القطر، و هذا متمسّك من ذهب إلى أن جميع العرب من ولد إسماعيل عليه السلام.

قال ابن حبان فى صحيحه: كل من كان من ولد إسماعيل يقال له «ابن ماء السماء» لأن إسماعيل ولد هاجر، و قد ربى بماء زمزم و هى من ماء السماء، و رجح عياض أن مراد أبى هريرة الأنصار خاصة، و نسبتهم إلى جدهم المعروف بماء السماء، انتهى. و دلالته على أن قبائل اليمن كلها من ولد إسماعيل ظاهرة.

قال الحافظ ابن حجر: و هو الذى يترجح فى نقدى، و قد ذكر ابن عبد البر من طريق القعقاع بن أبى حدرد أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم «مرّ بناس من أسلم و خزاعة و هم يتناضلون فقال: ارموا بنى إسماعيل» و أسلم و خزاعة قد تقدم نسبهما فى قبائل اليمن التى جماع نسبتها قحطان، و مما يؤيد ذلك قول المنذر بن عمرو جد حسان بن ثابت الأنصارى:

ورثنا من البهلول عمرو بن عامر و حارثة الغطريف مجدا مؤثّلا

مآثر من آل ابن نبت بن مالك و نبت بن إسماعيل ما إن تحوّلا

و أول ذلك كله المخالفون بتأويلات بعيدة، بل الذى أميل إليه أن العرب كلهم من ولد إسماعيل صلوات الله و سلامه عليه، و إن لم يتم ذلك فالعرب الذين لهم الشرف بالتقديم فى الكفاءة و غيرها شرعا هم بنو إسماعيل، و يدل له قول بعض أصحابنا فى الإمامة: إذا لم يوجد قرشى مستجمع للشروط نصب كنانى، فإن لم يكن فرجل من ولد إسماعيل صلوات الله و سلامه عليه، فإن تعذر انتقلنا إلى العجم، و لم يقولوا انتقلنا إلى بقية العرب، لكن فى التتمة للمتولى: فإن لم يوجد من ولد إسماعيل عليه السلام يولّى جرهمى، و جرهم أصل العرب، فإن لم يوجد فرجل من ولد إسحاق عليه السلام، اه.

و هو مخالف لقول البغوى فى التهذيب: فإن لم يوجد ولد إسماعيل فمن العجم، و أيضا فالمتولى جعل جرهما متأخرين عن ولد إسماعيل، و جعل لهم فضلا فى الجملة على العجم، كذا قدم بعض العجم على بعض، و إسماعيل أبو العرب الذين شرف نسبهم بمشاركة نسبة أشرف الأنبياء صلوات الله و سلامه عليه و عليهم، و هو الأسّ فى ذلك،

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۱، ص: ۱۴۰

و عربى اللسان لا عبرة به، على أن فى مستدرك الحاكم من حديث ابن عباس «أول من نطق بالعربية إسماعيل» لكن فى الصحيح أن إسماعيل تعلم العربية من جرهم الذين نزلوا مع أمه.

أول من تكلم بالعربية

قال ابن إسحاق: و كان جرهم و أخوه قطورا ابنا قحطان أول من تكلم بالعربية عند تبلبل الألسن.

قلت: و هو جار على رأى من يقول: إن العرب كلها ليست من ولد إسماعيل.

و روى الزبير بن بكار فى النسب من حديث على بإسناد حسن قال: أول من فتق الله لسانه بالعربية المبينة إسماعيل؛ فبهذا القيد يجمع بين الخبر المتقدم و بين ما فى الصحيح، فيكون أوليته فى ذلك بحسب الزيادة فى البيان، لا الأولية المطلقة، فيكون بعد تعلم أصل العربية من جرهم ألهمه الله العربية الفصيحة المبينة؛ فعلى تقدير تسليم أن العرب كلهم ليسوا من ولد إسماعيل فالمستحق للشرف إنما هو عربية إسماعيل، فيمتاز بنوه بما تقدم.

و قال ابن دريد فى الوشاح: أول من نطق بالعربية يعرب بن قحطان، ثم إسماعيل، و نقل ابن هشام عن الشرقى أن عربية إسماعيل كانت أفصح من عربية يعرب بن قحطان و بقايا حمير و جرهم، و كله جار على خلاف ما قدمناه من أن العرب كلها من ولد إسماعيل، و الله أعلم.

أم الأنصار و نسبها

و أم الأنصار فى قول الكلبى: قيلة بنت عمرو بن جفنة، و قال ابن حزم: هى بنت الأرقم بن عمرو بن جفنة بن عمرو مزيقياء، و يقال: بنت كاهل بن عذرة من قضاعة، و قضاعة من حمير عند الأكثر، و اشتهرت الأنصار ببنى قيلة و لهم يقول القائل:

بهاليل من أولاد قيلة، لم يجد عليهم خليط من مخالطة عتبا

مطاعيم فى المقرى، مطاعين فى الوغى يرون عليهم فعل آبائهم نحبا

و ذكر رزين عن الشرقى عقب ما قدمناه عنه من أن الأنصار أصلهم الأوس و الخزرج و هما من ولد ثعلبة بن عمرو، فقال: فولد لثعلبة بن عمرو بن حارثة الأوس و الخزرج، و أمهما قيلة؛ فولد الأوس مالكا، و من مالك قبائل الأوس كلها، فولد لمالك عمرو و عوف و مرة، و يقال لهم أوس الله، و هم الجعادرة، سموا بذلك لقصر فيهم.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۱، ص: ۱۴۱

قلت: و سيأتى ما يخالف هذا مع بيان قبائل الأوس المنتشرة من هؤلاء.

و روى الخرائطى أنه لما حضرت الأوس بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو الوفاة اجتمع عليه قومه، فقالوا: قد حضر من أمر الله ما ترى، و قد كنا نأمرك فى شبابك أن تتزوج فتاة، و هذا أخوك الخزرج له خمسة بنين و ليس لك ولد غير مالك، فقال: لن يهلك هالك، ترك مثل مالك، إن الذى يخرج النار من الرينة قادر أن يجعل لمالك نسلا، و رجالا بسلا، و كل إلى موت، ثم أقبل على مالك فقال: أى بنى، المنية و لا الدنية، و ذكر حكما سجع بها، قال: ثم أنشأ يقول:

شهدت السبايا يوم آل محرّق و أدرك عمرى صيحة الله فى الحجر

فلم أر ذا ملك من الناس واحدا و لا شوقه إلا إلى الموت و القبر

فعلّ الذى أردى ثمودا و جرهما سيعقب لى نسلا على آخر الدهر

تقربهم من آل عمرو بن عامر عيون لدى الداعى إلى طلب الوتر

فإن تكن الأيام أبلين جدّتى و شيبن رأسى و المشيب مع العمر

فإنّ لنا ربّا علا فوق عرشه عليما بما يأتى من الخير و الشر

أ لم يأت قومى أنّ لله دعوة يفوز بها أهل السعادة و البرّ

إذا بعث المبعوث من آل غالب بمكة فيما بين زمزم و الحجر

هنالك فابغوا نصره ببلادكم بنى عامر؛ إن السعادة فى النصر

ثم قضى من ساعته.

و قال ابن حزم: إن بنى عامر بن عمرو بن مالك بن الأوس كانوا كلهم بعمان لم يكن منهم بالمدينة أحد؛ فليسوا من الأنصار.

قال الشرقى: و ولد الخزرج بن حارثة أخو الأوس أيضا خمس بنين. و تفرقوا بطونا كثيرة.

قلت: و هم عمرو، و عوف، و جشم، و كعب، و الحارث، و سيأتى بيان ما انتشر من قبائلهم.

و قال ابن حزم: إن عقب السائب بن قطن بن عوف بن الخزرج لم يكن منهم أحد بالمدينة، كانوا بعمان؛ فليسوا من الأنصار، و ذكر نحو ذلك فى بعض بنى الحارث بن الخزرج الأكبر كما سيأتى، و ذكر أيضا أن بعض بنى جفنة بن عمرو مزيقياء كانوا بالمدينة فى عداد الأنصار، و الله أعلم.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۱، ص: ۱۴۲

الفصل الرابع فى تمكنهم بالمدينة، و ظهورهم على يهود، و ما اتفق لهم مع تبع

اشارة

قال الشرقى: لما قدمت الأوس و الخزرج المدينة تفرقوا فى عاليتها و سافلتها، و منهم من نزل مع قوم من بنى إسرائيل فى قراهم، و منهم من نزل وحده لا مع بنى إسرائيل و لا مع العرب الذين كانوا قد تألفوا إلى بنى إسرائيل، و كانت الثروة فى بنى إسرائيل، كانوا نيفا على عشرين قبيلة، و لهم قرى أعدّوا بها الآطام، فنزلت الأوس و الخزرج بينهم و حواليهم.

إقامة الأوس و الخزرج مع اليهود

و قال ابن زبالة عن مشيخة من أهل المدينة قالوا: أقامت الأوس و الخزرج بالمدينة، و وجدوا الأموال و الآطام و النخيل فى أيدى اليهود، و وجدوا العدد و القوة معهم، فمكثت الأوس و الخزرج ما شاء الله، ثم إنهم سألوهم أن يعقدوا بينهم جوارا و حلفا يأمن به بعضهم من بعض، و يمتنعون به ممن سواهم، فتعاقدوا و تحالفوا و اشتركوا و تعاملوا، فلم يزالوا على ذلك زمانا طويلا، و أمرت الأوس و الخزرج و صار لهم مال و عدد، فلما رأت قريظة و النضير حالهم خافوهم أن يغلبوهم على دورهم و أموالهم، فتنمروا لهم حتى قطعوا الحلف الذى كان بينهم، و كانت قريظة و النضير أعدّ و أكثر، و كان يقال لهما الكاهنان، و بنو الصريح، و فى ذلك يقول قيس بن الخطيم مثنيا عليهم:

كنا إذا رامنا قوم بمظلمة شدت لنا الكاهنان الخيل و اعتزموا

نسوا الرهون و آسونا بأنفسهم بنو الصّريح فقد عفّوا و قد كرموا

قصة الفطيون ملك اليهود الطاغية

فأقامت الأوس و الخزرج فى منازلهم خائفين أن تجليهم يهود، حتى نجم منهم مالك بن العجلان أخو بنى سالم بن عوف بن الخزرج و سوّده الحيان الأوس و الخزرج، و كان الفطيون- أى بالفاء المكسورة، و قال ياقوت: الفيطوان- ملك اليهود بزهرة، و كانت لا تهدى عروس بيثرب من الحيين الأوس و الخزرج حتى تدخل عليه فيكون هو الذى يفتضها قبل زوجها، فتزوجت أخت مالك بن العجلان رجلا من قومها، فبينا مالك فى

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۱۴۳

نادى قومه إذ خرجت أخته فضلا، فنظر إليها أهل المجلس، فشق ذلك على مالك، و دخل فعنّفها و أنبها، فقالت: ما يصنع بى غدا أعظم من ذلك، أهدى إلى غير زوجى، فلما أمسى مالك اشتمل على السيف و دخل على الفطيون متنكرا مع النساء، فلما خف من عنده عدا عليه فقتله و انصرف إلى دار قومه، ثم بعث هو و جماعة من قومه إلى من وقع بالشام من قومهم يخبرونهم بحالهم و يشكون إليهم غلبة اليهود، و كان رسولهم الرمق بن زيد بن امرئ القيس أحد بنى سالم بن عوف بن الخزرج، و كان قبيحا دميما شاعرا بليغا، فمضى حتى قدم على أبى جبيلة أحد بنى جشم بن الخزرج الذين ساروا من يثرب إلى الشام، و قال بعضهم: كان أبو جبيلة من ولد جفنة بن عمرو بن عامر قد أصاب ملكا بالشام و شرفا.

قلت: قد تقدم أن أبناء جفنة من غسان، و كانوا بالشام ملوكا.

و لما ذكر ابن حزم بنى جشم بن الخزرج قال: فولد جشم غضب، فولد غضب مالك، فولد مالك عبد حارثة، فولد عبد حارثة حبيب، فولد حبيب عبد الله، فولد عبد الله أبا جبيلة الملك الغسانى الذى جلبه مالك بن العجلان لقتل اليهود، انتهى.

و فيه نظر؛ إذ ليس من بطون الخزرج غسانى كما يؤخذ مما قدمناه عن ابن حزم أيضا، و المشهور ما قدمناه، قالوا: فشكا إليه حالهم و غلبة اليهود عليهم، و ما يتخوفون منهم، و أنهم يخشون أن يخرجوهم، و أنشده من شعره. فتعجب من شعره و بلاغته و قبحه و دمامته، و قال: عسل طيب فى وعاء خبيث. فقال الرمق: أيها الملك، إنما يحتاج من الرجل إلى أصغريه لسانه و قلبه. فقال: صدقت؛ و أقبل أبو جبيلة فى جمع كثير لنصرة الأوس و الخزرج. كذا قاله ابن زبالة.

و قد نقل رزين عن الشرقى ما يقتضى أن مالك بن العجلان هو الذى توجّه بنفسه، و أن ما ذكر من سيرة الفطيون فى افتضاض الأبكار إنما كانت فى غير الأوس و الخزرج، و أنه أراد أن يسير فيهم بذلك، فقتله مالك بن العجلان، فإنه قال: إن الفطيون كان قد شرط ألّا تدخل امرأة على زوجها حتى تدخل عليه، فلما سكن الأوس و الخزرج المدينة أراد أن يسير فيهم بتلك السيرة؛ فتزوجت أخت مالك بن العجلان رجلا من بنى سليم، فأرسل الفطيون رسولا فى ذلك و كان مالك أخوها غائبا، فخرجت تطلبه، فمرت بقوم أخوها فيهم، فنادته، فقال أخوها: لقد جئت بسبّة يا هنتاه، تنادينى و لا تستحيى؟ فقالت:

الذى يراد بى أكبر، فأخبرته، فقال لها: أكفيك ذلك، فقالت: و كيف؟ فقال: أتزيا بزى النساء و أدخل معك عليه بالسيف فأقتله، ففعل، ثم خرج حتى قدم الشام فنزل على أبى

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۱۴۴

جبيلة، و كان نزلها حين نزلوا هم المدينة، فجيّش جيشا عظيما، و أقبل كأنه يريد اليمن و اختفى معهم مالك بن العجلان، فجاء فنزل بذى حرض، و أرسل إلى أهل المدينة من الأوس و الخزرج فأتوا إليه فوصلهم و أعطاهم، ثم أرسل إلى بنى إسرائيل- يعنى اليهود- و قال: من أراد الحباء من الملك فليخرج إليه، و إنما فعل ذلك خيفة أن يتحصنوا فى الحصون فلا يقدر عليهم، فخرج إليه أشراف بنى إسرائيل كلهم، فأمر لهم بطعام حتى اجتمعوا، فقتلهم من عند آخرهم، فلما فعل ذلك صار الأوس و الخزرج أعز أهل المدينة؛ ففى ذلك يقول البلوى يمدح مالكا فيما فعل:

فليشهدنّ بما أقول عصابة بلويّة و عصابة من سالم

هل كان للفطيون عقر نساكم حكم النصيب و ليس حكم الحاكم

حتى حباه مالك عن عرسه حمراء تضحك عن نجيع قاتم

ثم ذكر أبياتا نسبها إلى أبى يزيد بن سالم أحد بنى سالم بن عوف بن الخزرج مدح بها أبا جبيلة و نسبها ابن زبالة للرمق فإنه قال: إن الأوس و الخزرج قالوا لأبى جبيلة لما قدم لنصرهم: إن علم القوم ما تريد تحصنوا فى آطامهم فلم تقدر عليهم، و لكن ادعهم للقائك و تلطفهم حتى يأمنوك و يطمئنوا فتستمكن منهم، فصنع لهم طعاما و أرسل إلى وجوههم و رؤسائهم، فلم يبق من وجوههم أحد إلا أتاه، و جعل الرجل منهم يأتى بحامته و حشمه رجاء أن يحبوهم، و كان قد بنى لهم حيّزا و جعل فيه قوما فأمرهم أن يقتلوا من دخل عليهم منهم، ففعلوا حتى أتوا على وجوههم و رؤسائهم، فعزت الأوس و الخزرج بالمدينة، و اتخذوا الديار و الأموال و الآطام، فقال الرمق يثنى على أبى جبيلة:

لم تقض دينك من حسان و قد عنيت و قد عنينا

قضيت همك فى الحسان فقد عنيت و قد عنينا

و فى رواية رزين:

الراشقات المرشقا ت الجازيات بما جزينا

أمثال غزلان الصّرا ثم يأتزرن و يرتدينا

الرّيط و الدّيباج و الحلى المفصل و البرينا

و أبو جبيلة خير من يمشى، و أوفاه يمينا

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۱۴۵

و أبرّهم برا و أع لمهم بهدى الصالحينا

القائد الخيل الصوا نع بالكماة المعلمينا

أبقت لنا الأيام و الحر ب الملمة تعترينا

كبشا له در يغل متو نها الذكر السمينا

و معاقلا شمّا و أسيا فا يقمن و ينحنينا

و محلة زوراء تج حف بالرجال الظالمينا

و فى بعض الروايات أن مالك بن العجلان لما قتل الفطيون قصد اليمن إلى تبّع الأصغر؛ فشكا إليه ما كان الفطيون يسير فيهم، فعاهد أن لا يقرب امرأة و لا يمس طيبا و لا يشرب خمرا حتى يسير إلى المدينة و يذل من بها من اليهود؛ ففعل ذلك.

و ذكر ابن قتيبة فى معارفه تبّع بن حسان، قال: و هو تبع الأصغر آخر التبابعة، و ذكر أنه صار إلى الشام و ملوكها غسان فأطاعته، قال: و صار إلى ابن أخيه الحارث و هو بالمستقر من ناحية هجر فأتاه قوم كانوا وقعوا إلى يثرب ممن خرج مع عمرو مزيقياء و حالفوا اليهود بيثرب- أى و هم الأنصار- فشكوا اليهود، و ذكروا سوء مجاورتهم، و نقضهم الشرط الذى شرطوه لهم عند نزولهم، و متّوا إليه بالرحم، فأحفظه ذلك، فصار إلى يثرب و نزل فى سفح أحد، و بعث إلى اليهود، فقتل منهم ثلاث مائة و خمسين رجلا صبرا، و أراد خرابها، فقام إليه رجل من اليهود قد أتت عليه مائتان و خمسون سنة فقال: أيها الملك، مثلك لا يقتل على الغضب، و أمرك أعظم من أن يطير بك برق أو يسرع بك لجاج، فإنك لا تستطيع أن تخرب هذه القرية، قال: و لم؟ قال: لأنها مهاجر نبى من ولد إسماعيل يخرج من عند هذه البنية، يعنى البيت الحرام، فكف تبع و مضى و معه هذا اليهودى و رجل آخر من اليهود عالم، و هما الحبران، فأتى مكة، و كسا البيت ثم رجع إلى اليمن و معه الحبران و قد دان بدينهما و آمن بموسى صلّى اللّه عليه و سلّم اه.

فلعل مالك بن العجلان كان قد توجه إلى جهة ملك غسان و بها تبّع المذكور فوقع من كل منهما نصره، فأضافه قوم إلى تبع، و قوم إلى أبى جبيلة الغسانى.

قالوا: و لعنت اليهود مالك بن العجلان فى كنائسهم و بيوت عباداتهم، فبلغه ذلك، فقال:

تحامى اليهود بتلعانها تحامى الحمير بأبوالها

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۱۴۶

و ما ذا علىّ بأن يلعنوا و تأتى المنايا بإذلالها

و قالت سارة القرظية ترثى من قتل من قومها:

بأهلى رمّة لم تغن شيئا بذى حرض تعفّيها الرياح

كهول من قريظة أتلفتهم سيوف الخزرجية و الرماح

و لو أذنوا بأمرهم لحالت هنالك دونهم حرب رداح

قال أهل السير: ثم انصرف أبو جبيلة راجعا إلى الشام، و قد ذلّل الحجاز و المدينة، و مهّدها للأوس و الخزرج.

و نقل المجد عن ياقوت أن تبّعا كان بالمدينة، فإنه قال: و عكس ياقوت قصة افتضاض الأبكار؛ فجعل أنها كانت باليمامة، و أن أهل المدينة مع تبّع هم الذين أزالوا هذه الفضيحة من اليمامة، ثم أورد كلام ياقوت، و ليس مضمونه ما ذكره؛ بل مضمونه أن من كان يفعل فيهم هذه الفضيحة باليمامة احتالوا فى دفعها و قتلوا من كان يفعل بهم ذلك و غلبوا عليهم، فهرب منهم شخص و لحق بتبع فنصره تبع مع أهل المدينة، و هو خبر ممتنع فلنورده تبعا للمجد، قال ياقوت: إن طسما و جديسا من ولد لاوذ بن إرم بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام أقاموا باليمامة، و كثروا بها، حتى ملكوا عليهم عمليق الطّسمى- و كان جبارا غشوما، و كان قد قضى بقضاء جائر بين امرأة و زوجها من جديس، فأنشدت المرأة أبياتا بلغته، فأمر ألا تزوج بكر من جديس حتى تدخل عليه فيكون هو الذى يفترعها- و لقوا منه ذلا حتى زوجت منهم أخت الأسود بن غفار سيد جديس، و كان جلدا، فلما كانت ليلة الإهداء خرجت و القيان حولها لتحمل إلى عمليق و هن يضربن بمعازفهن و يقلن:

أبدى بعمليق و قومى فاركبى و بادرى الصبح بأمر معجب

فسوق تلقين الذى لم تطلبى و ما لبكر دونه من مهرب

ثم أدخلت على عمليق فافترعها، و قيل: كانت أيدة، فامتنعت عليه، فخاف العار فوجأها بحديدة فى قبلها فأدماها، فخرجت و قد تقاصرت إليها نفسها فشقّت ثوبها من خلفها و دماؤها تسيل، فمرت بأخيها فى جمع من قومه و هى تبكى و تقول:

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۱۴۷

لا أحد أذلّ من جديس أ هكذا يفعل بالعروس

فى أبيات، فأغضب ذلك أخاها، و وقفها على نادى قومه، و هى تقول:

أ يجمل أن يؤتى إلى فتياتكم و أنتم رجال فيكم عدد الرمل

أ يجمل تمشى فى الدما فتياتكم صبيحة زفّت فى العشاء إلى بعل

فإن أنتم لم تغضبوا بعد هذه فكونوا نساء لا تغب من الكحل

و دونكم ثوب العروس فإنما خلقتم لأثواب العروس و للغسل

فلو أننا كنا رجالا و كنتم نساء لكنا لا نقر على الذل

فموتوا كراما أو أميتوا عدوكم و كونوا كنار شب بالحطب الجزل

و إلا فخلوا بطنه و تحمّلوا إلى بلد قفر و هزل من الهزل

فللموت خير من مقام على أذى و للفقر خير من مقام على ثكل

فدبّوا إليه بالصّوارم و القنا و كل حسام محدث العهد بالصّقل

و لا تجزعوا للحرب قومى فإنما يقوم رجال للرجال على رجل

فيهلك فيها كل وغل مواكل و يسلم فيها ذو الجلادة و الفضل

فامتلأت جديس غيظا، و نكسوا رءوسهم حياء، و تشاوروا فى الأمر، فقال الأسود:

أطيعونى فإنه عز الدهر، و قد رأيت أن أصنع للملك طعاما ثم أدعوه و قومه، فإذا جاءونا قتلت الملك، و قام كل منكم إلى رئيس منهم فقتله، فلا يبقى للباقين قوة، فنهتهم أخت الأسود عن الغدر، و قالت: ناجزوهم فلعل الله أن ينصركم عليهم لظلمهم؛ فعصوها فقالت:

لا تغدرنّ فإنّ الغدر منقصة و كل عيب يرى عيبا و إن صغرا

إنى أخاف عليكم مثل تلك غدا و فى الأمور تدابير لمن نظرا

حشّوا سعيرا لهم فيها مناجزة فكلكم باسل أرجو له الظفرا

فأجابها أخوها:

شتان باغ علينا غير متئد يغشى الظلامة لا يبقى و لن يذرا

إنا لعمرك لا نبدى مناجزة نخاف منها صروف الدهر من ظفرا

إنى زعيم بطسم حين تحضرنا عند الطعام بضرب يهتك الفقرا

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۱، ص: ۱۴۸

و صنع الأسود الطعام، و دفن كل منهم سيفه تحته فى الرمل مجردا، فلما جلس الملك و قومه للأكل و ثبت عليهم جديس حتى أبادوهم، ثم قتلوا باقيهم، فهرب رجل من طسم حتى لحق بتبّع تبان أسعد بن كلكيكرب، و قيل: بحسان بن تبّع الحميرى و كان بالمدينة، فاستغاثه، و ذكر أبياتا فيها غدر جديس بهم، فوعده بنصره، ثم رأى منه تباطؤا فقال:

إنى طلبت لأوتارى و مظلمتى بال حسّان آل العز و الكرم

المنعمين إذا ما نعمة ذكرت و الواصلين بلا قربى و لا رحم

قصة زرقاء اليمامة

فى أبيات أخرى، فسار تبع من المدينة فى جيوشه، حتى إذا كان عند جبل على ليلة من اليمامة قال له الطسمى: توقف أيها الملك فإن لى أختا متزوجة فى جديس يقال لها يمامة أبصر خلق الله على بعد، و إنى أخاف أن ترانا فتنذرهم بنا، فأقام تبع، و أمر رجلا فصعد الجبل ليرى ما هناك، فدخل فى رجله شوكة بالجبل، فأكب يستخرجها، فأبصرته اليمامة، و كانت زرقاء العين، فقالت لهم: إنى أرى على الجبل الفلانى رجلا و ما أظنه إلا عينا، فقالوا: ما يصنع؟ فقالت: إما يخصف نعلا أو ينهش كتفا، فكذبوها، ثم قال الطسمى لتبع: إن بصرها بالليل أنفذ فمر أصحابك ليقطعوا من الشجر أغصانا ليستتروا بها فيشبهوا عليها الأمر، ففعلوا، حتى إذا دنوا من اليمامة ليلا؛ فنظرت اليمامة فقالت: يا جديس سارت إليكم الشجر، أو جاءتكم أوائل خيل حمير، فكذبوها، فصبّحتهم حمير، فهرب الأسود فى نفر من قومه لجبلى طىء و فتح أهل المدينة حصون اليمامة، و امتنع عليهم حصن زرقاء اليمامة؛ فصابره تبع حتى افتتحه، و قبض عليها، و سألها: كيف أبصرتهم؟ فأخبرته بخبر الذى صعد الجبل، فسأله تبع، فقال: صعدت فانقطع شراك نعلى و أصابتنى شوكة؛ فعالجت إصلاحها و إصلاح قبالى بفمى، فقال لها: أنّى لك هذا؟ قالت:

كنت آخذ حجرا أسود فأدقه و أكتحل به: فكان يقوى بصرى، فيقال: إنها أول من اكتحل بالإثمد، فأمر تبع بقلع عينيها ليرى ما فيهما، فوجد عروقها كلها محشوة بالإثمد، و خربت اليمامة يومئذ؛ لأن تبعا قتل أهلها، و لم يخلف بها أحدا، و رجع إلى المدينة.

هذا ما ذكره المجد عن ياقوت باختصار، و ليس فيه عكس القضية؛ فيجوز أن يقع بكل من اليمامة و المدينة مثل هذا، و الظاهر أن

قصة اليمامة كانت بعد قصة المدينة.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۱، ص: ۱۴۹

و نقل رزين عن الشرقى أن أبا جبيلة لما فرغ من نصر أهل المدينة رجع إلى الشام؛ فأقبل تبع الأخير- و هو كرب بن حسان بن أسعد الحميرى، و التبابعة كلهم من حمير- يريد المشرق كما كانت التبابعة تفعل؛ فمر بالمدينة، فخلف فيها ابنا له و مضى حتى قدم الشام، ثم سار حتى قدم العراق، فلما كان بالعراق قتل ابنه بالمدينة غيلة فأقبل راجعا يريد تخريب المدينة، فنزل بسفح أحد، فاحتفر بئرا ثم أرسل إلى أشراف المدينة، فلما جاءهم الرسول قال بعضهم: إنما أراد أن يملكنا على قومنا، و قال أحيحة: و الله ما دعاكم لخير، و كان لأحيحة رئيّ من الجن فخرجوا و خرج أحيحة معه بقينة و خمر و خباء، فضرب الخباء و جعل فيه القينة و الخمر، ثم دخل على تبع أول الناس. فتحدث معه، ففطن بالشر، ثم قال: إن أصحابى يصلونك إلى الظهر، فاستأذن فى الخروج إلى الخيمة، فأذن له، فشرب و جعلت القينة تغنيه بأبيات صنعها لها تقول:

لتبكنى قينة و مزهرها و تبكنى قهوة و شاربها

و تبكنى عصبة إذا اجتمعت لا يعلم الناس ما عواقبها

و هو يقلّ من الشراب، و جاء أصحابه قريبا من الليل، فأمر لهم تبع بضيافة، فلما كان فى جوف الليل أرسل إليهم ليقتلهم، ففطن أحيحة، فقال للقينة: أنا سائر إلى أهلى، فإذا طلبنى الملك فقولى: هو نائم، فإذا ألحوا فقولى: يقول لك: أما أحيحة فقد ذهب فاغدر بقينته أو دع، و انطلق فتحصن فى حصنه، فحاصروه ثلاثا يقاتلهم بالنهار، و إذا كان بالليل يرمى إليهم بتمر و يقول: هذا ضيافتكم. فأخبروا تبعا أنه فى حصن حصين، فأمرهم أن يحرقوا نخله، و اشتعلت الحرب بين تبع و أهل المدينة من اليهود و الأوس و الخزرج، و تحصنوا فى الآطام، فخرج رجل من أصحاب تبع حتى جاء بنى عدى بن النجار، فدخل لهم حديقة، فرقى على عذق منها. فأخذ يجده، فنزل إليه صاحب العذق فقتله و جره إلى بئر و ألقاه فيها، و هو يقول:

جانا يجدّ نخيلنا و كان الجداد لمن قد أبر

فزاد ذلك تبعا حنقا، و جرد إلى بنى النجار خيلا، فقاتلهم بنو النجار و رئيسهم يومئذ عمرو بن طلحة أخو بنى معاوية بن مالك بن النجار، و رمى عسكر تبع حصون

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۱، ص: ۱۵۰

الأنصار بالنبل، فلقد جاء الإسلام و النبل فيها، و جزع فى القتال فرس تبع فحلف لا يبرح حتى يخربها بزعمه، فسمع بذلك أحبار من اليهود فنزلوا إليه و قالوا: أيها الملك إن هذه البلدة محفوظة، فإنا نجد اسمها فى الكتاب طيبة، و إنها مهاجر نبى من بنى إسماعيل من الحرم، و هى تكون قراره فلن تسلط عليها، فأعجب تبع بقولهم، فصرف تبع نبته عنها، و أمر أهل المدينة فتبايعوا مع العسكر، و كان تبع قد استوبأ بئره التى حفر، فمرض، فجاءته امرأة من بنى زريق اسمها فاكهة براوية من بئر رومة فأعجبه فاستلذه، فلما كان رحيله قال لها: يا فاكهة ما نترك فى موضعنا من شيء إذا رحلنا فهو لك، فأخذت ذلك، فاستغنت منه، و خرج تبع يريد اليمن و معه من الأحبار الذين نهوه عن خراب المدينة رجلان أو ثلاثة، فقال لهم: تسيرون معى أياما آنس بحديثكم، فكانوا يحدثونه عن الكتاب و عن قصة النبى صلّى اللّه عليه و سلّم فلم يتركهم حتى وصلوا معه إلى اليمن؛ فهم كانوا أول يهودى دخل اليمن، و اتفق فى مسيرة قصة إكسائه الكعبة.

و قد قدمنا فى بعض الروايات أن مالك بن العجلان لما قتل ملك اليهود قصد اليمن إلى تبع الأصغر، و أنه الذى نصرهم على يهود، و لعل هذا مراد ياقوت لقوله «إن يهود كانوا أهل المدينة حتى أتاهم تبع فأنزل معهم بنى عمرو بن عوف» لكن نقل المجد و غيره عن المبتدأ لابن إسحاق أنه قال فى بيت أبى أيوب الذى نزله النبى صلّى اللّه عليه و سلّم مقدمه المدينة: إن تبعا الأول بناه لما مر بالمدينة، قال فى المبتدأ: و اسمه تبان أسعد بن كلكيكرب، و كان معه أربعمائة عالم، فتعاقدوا على أن لا يخرجوا منها، فسألهم تبع عن سر

ذلك، فقالوا:

إنا نجد فى كتبنا أن نبيا اسمه محمد هذه دار مهاجره؛ فنحن نقيم لعل أن نلقاه، فأراد تبع الإقامة معهم، ثم بنى لكل واحد من أولئك دارا و اشترى له جارية و زوجها منه و أعطاه مالا جزيلا، و كتب كتابا فيه إسلامه، و منه:

شهدت على أحمد أنه رسول من الله بارى النّسم

فلو مدّ عمرى إلى عمره لكنت وزيرا له و ابن عم

و ختمه بالذهب و دفعه إلى كبيرهم، و سأله أن يدفعه إلى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم إن أدركه، و إلا فمن أدركه من ولده أو ولد ولده، و بنى للنبى صلّى اللّه عليه و سلّم دارا لينزلها إذا قدم المدينة، فتداول

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۱، ص: ۱۵۱

الدار الملاك إلى أن صارت لأبى أيوب و هو من ولد ذلك العالم، و أهل المدينة الذين نصروه كلهم من أولاد أولئك العلماء، انتهى.

زاد غير المجد: و يقال: إن الكتاب الذى فيه الشعر كان عند أبى أيوب حين نزل عليه النبى صلّى اللّه عليه و سلّم فدفعه له، و هو غريب، و كتب التواريخ متظاهرة على ما قدمناه فى أمر الأنصار و نسبهم.

و قد ذكر السهيلى إيمان تبّع بالنبى صلّى اللّه عليه و سلّم و ذكر البيتين، و روى حديث «لا تسبوا تبّعا فإنه كان مؤمنا».

و روى عبد الرزاق عن وهب بن منبه قال: نهى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم عن سب أسعد و هو تبّع.

قال وهب: و كان على دين إبراهيم.

و روى أحمد من حديث سهل بن سعيد رفعه «لا تسبوا تبّعا فإنه كان قد أسلم» و أخرجه الطبرانى من حديث ابن عباس مثله، و إسناده أصلح من إسناد سهل، و أما ما رواه عبد الرزاق عن أبى هريرة مرفوعا «لا أدرى تبع كان لعينا أم لا» فمحمول على أنه صلّى اللّه عليه و سلّم قاله قبل أن يعلم بحاله.

و قال المرجانى: إن أبا كرب بن أسعد الحميرى آمن بالنبى صلّى اللّه عليه و سلّم قبل أن يبعث بسبعمائة سنة، و قال: «شهدت على أحمد- البيتين المقدمين» و إن أباه أسعد هو تبّع الذى كسا الكعبة، و نقله عن حكاية ابن قتيبة، و الذى رأيته فى المعارف لابن قتيبة أن أسعد أبا كرب الحميرى هو الموصوف بما ذكره. و روى ابن زبالة أن تبعا لما قدم المدينة و أراد إخراجها جاءه حبران من قريظة يقال لهما سحيت و منبه فقالا: أيها الملك انصرف عن هذه البلدة فإنها محفوظة، و إنها مهاجر نبى من بنى إسماعيل اسمه أحمد يخرج فى آخر الزمان، فأعجبه ما سمع منهما، فصدقهما و كفّ عن أهل المدينة.

الفصل الخامس فى منازل قبائل الأنصار بعد إذلال اليهود،

و شىء من آطامهم، و ما دخل بينهم من الحروب، و هو نافع فى معرفة جهات المساجد التى لا تعرف اليوم، و غير ذلك.

اعلم أن ابن زبالة نقل ما حاصله أن الأوس و الخزرج بعد انصراف أبى جبيلة و نصره

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۱، ص: ۱۵۲

لهم تفرقوا فى عالية المدينة و سافلتها، و اتخذوا الأموال و الآطام، فنزل بنو عبد الأشهل بن جشم بن الحارث بن الخزرج الأصغر و بنو حارثة بن الحارث بن الخزرج الأصغر بن عمرو بن مالك بن الأوس بن حارثة فكلاهما من الأوس دار بنى عبد الأشهل قبلى دار بنى ظفر مع طرف الحرة الشرقية، قاله المطرى، و الذى يظهر لى أن منازلهم كانت قريبة من منازل بنى ظفر فى شاميها و تمتد إلى الحرة المعروفة اليوم بدشم و ما حولها، بل سيأتى فى ترجمة الخندق ما يقتضى أن منازلهم كانت بالقرب من الشيخين. و ابتنى بنو عبد الأشهل أطما يقال له «واقم» و به سميت الناحية واقما، و كان لحضير بن سماك، و له يقول شاعرهم:

نحن بنينا واقما بالحره بلازب الطين و بالأصره

و له يقول خفاف بن ندبة:

لو أنّ المنايا جزن عن ذى مهابة لهبن حضيرا يوم أغلق واقما

يطيف به حتى إذا الليل جنّه تبوّأ منه مضجعا متناغما

و أطما يقال له: «الرعل» بالمال الذى يقال له واسط لصخرة أم بنى عبد الأشهل، و له يقول شاعرهم يوم بعاث:

نحن بنو صخرة أرباب الرعل

و آطاما غير ذلك، و ابتنى بنو حارثة أطما اسمه «المسيّر» صار لبنى عبد الأشهل بعد خروج بنى حارثة من دارهم؛ فإن بنى حارثة تحولوا من دارهم هذه إلى غربى مشهد سيدنا حمزة رضى الله عنه فى الموضع المعروف اليوم بيثرب؛ فكانت بها منازلهم على ما قدمناه عن المطرى فى الباب الأول. و الذى تحرر لى من مجموع كلام الواقدى و ابن زبالة و غيرهما أن منازلهم التى استقروا بها و جاء الإسلام و هم فيها كانت فى شامى بنى عبد الأشهل بالحرة الشرقية. و يؤيد ذلك ما سيأتى فى ترجمة الخندق من أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم خطه من أجمة الشيخين طرف بنى حارثة كما رواه الطبرانى.

و قد قال المطرى كما سيأتى عنه: الشيخان: موضع بين المدينة و بين جبل أحد، على الطريق الشرقية مع الحرة إلى جبل أحد. و يؤيده أيضا أن المطرى قد ذكر أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم غدا إلى أحد يوم وقعته على الطريق الشرقية المذكورة، و سيأتى أنه بات بالشيخين.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۱۵۳

و فى المعارف لابن قتيبة عن ابن إسحاق: فلما سارت قريش لحرب رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم خرج رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم و المسلمون حتى نزلوا بيوت بنى حارثة، فأقاموا بقية يومهم و ليلتهم.

ثم خرج فى غد، و ذكر انخزال عبد الله بن أبىّ؛ فتحرر أن بيوت بنى حارثة عند الشيخين و فى ناحيتهما.

و قد ذكر ابن إسحاق و غيره أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم أجاز ذلك اليوم فى حائط لمربع بن قيظ، و اتفق له معه ما سيأتى ذكره: و مربع هذا من بنى حارثة و أيضا فقد قدمنا فى الفصل الرابع فى تحريمها قول أبى هريرة فى رواية الإسماعيلى: ثم جاء- يعنى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم- بنى حارثة و هم فى سند الحرة. اه. و ليس الموضع الذى ذكره المطرى فى سند الحرة، بخلاف الموضع الذى قدمناه، مع أنه يحتمل أن بعض منازل بنى حارثة كانت بالموضع الذى ذكره المطرى أيضا.

قال ابن زبالة: و ابتنوا بها- أى بدارهم الثانية- أطما يقال له «الريان» عند مسجد بنى حارثة كان لبنى مجدعة بن حارثة، و سبب خروج بنى حارثة من دار بنى عبد الأشهل حرب كانت بينهم و بين عبد الأشهل، و و الى بنو ظفر بنى عبد الأشهل، ثم هزمهم بنو حارثة و قتلوا سماك بن رافع و كان باغيا، قتله مسعود أبو محيصة الحارثى، و ظفرت بهم بنو حارثة فأجلوهم أولا؛ فلحقوا بأرض بنى سليم، فسار حضير بن سماك ببنى سليم حتى قاتل بنى حارثة، فقتل منهم، و اشتد عليهم الحصار بأطمهم المسير المتقدم ذكره فى دار بنى عبد الأشهل، فسارت بنو عمرو بن عوف و بنو خطمة إليهم، و قالوا: إما أن تخلّوا سبيلهم، و إما أن تأخذوا عقل صاحبكم، و إما أن تصالحوهم، فاختاروا أن يجلوهم، فخرج بنو حارثة إلى خيبر فكانوا بها قريبا من سنة، ثم رق لهم حضير و طلب صلحهم، فخرجت السفراء فى ذلك حتى اصطلحوا، و أبت بنو حارثة أن ينزلوا دارهم مع بنى عبد الأشهل، و نزلوا الدار المعروفة بهم اليوم، اه.

و نزل بنو ظفر و هو كعب بن الخزرج الأصغر بن عمرو بن مالك بن الأوس دارهم شرقى البقيع عند مسجدهم: أى المعروف بمسجد البغلة بجوار بنى عبد الأشهل.

و ذكر ابن حزم فى الجمهرة أن بطون بنى عمرو بن مالك بن الأوس [و هم]

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۱۵۴

النبيت: منهم ظفر، و حارثة، و بنو عبد الأشهل، و بنو زعورا بن جشم بن الحارث أخى عبد الأشهل بن جشم بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس.

و لم يذكر ابن زبالة بنى زعورا فى هذه البطون، بل و لا فى بطون الأنصار كلها.

و ذكر ابن حزم أن منهم مالك بن التيهان و بنى أوس بن عتيك و غيرهم، و قال فى موضع آخر: فولد جشم عبد الأشهل، بطن ضخم، و زعورا بطن، و هم أهل راتج.

و نزل بنو عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس قباء؛ فابتنوا أطما يقال له «الشّنيف» عند دار أبى سفيان بن الحارث بين أحجار المراء و بين مجلس بنى الموالى، كان لبنى ضبيعة بن زيد بن مالك بن عوف، و أطما فى دار عبد الله بن أبى أحمد، كان لكلثوم بن الهدم من بنى عبيد بن زيد بن أظلم أخى بنى عبيد بن زيد بن مالك، و أطما يقال له واقم كان بقباء لأحيحة بن الجلاح الجحجبى ثم صار لبنى عبد المنذر بن رفاعة فى دية جدهم رفاعة بن زر بن زيد بن أمية بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف، و له يقول كعب بن مالك:

فلا تتهدّد بالوعيد سفاهة و أوعد شنيفا إن عصيت و واقما

و كان فى رحبة بنى زيد بن مالك بن عوف أربعة عشر أطما يقال لها: الصّياصى، و كان لهم أطم بالمسكبة شرقى مسجد قباء، و أطم يقال له «المستظل» كان موضعه عند بئر غرس، كان لأحيحة ثم صار لبنى عبد المنذر فى دية جدهم رفاعة، ثم خرجت بنو جحجبا بن كلفة بن عوف بن عمرو بن عوف من قباء حين قتلوا رفاعة بن زر و غنما أخا بنى عمرو بن عوف فسكنوا العصبة، و هى غربى مسجد قباء، قال سعد بن عمرو الجحجبى لبشر بن السائب: تدرى لم سكنا العصبة؟ قال: لا، قال: لأنا قتلنا قتيلا منكم فى الجاهلية، فقال بشر: و الأمانة لوددت أنكم قتلتم منا آخر و أنكم وراء عير، يعنى الجبل الذى غربى العصبة.

و ابتنى أحيحة بن الجلاح بالعصبة أطما يقال له «الضحيان» و هو الأطم الأسود الذى بالعصبة، و كان عرضه قريبا من طوله، بناه أولا من بثرة بيضاء فسقط، يعنى من حجارة الحرار البيض. و كان يرى من المكان البعيد، و فيه يقول أحيحة:

و قد أعددت للحدثان حصنا لو أنّ المرء تنفعه العقول

طويل الرأس أبيض مشمخرّ يلوح كأنه سيف صقيل

و ابتنوا هم و بنو مجدعة أطما يقال له «الهجيم» عند المسجد الذى صلّى فيه النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و قد تقدم أن بنى أنيف كانوا مع اليهود بقباء، و أنهم حى من بلى؛ فلذلك لم يذكر ابن

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۱، ص: ۱۵۵

زبالة منازلهم هنا، و سيأتى فى المساجد عن المطرى و تبعه المجد أن بنى أنيف بطن من الأوس، و أن منازلهم كانت بين بنى عمرو بن عوف و بين العصبة، و مأخذ المطرى فى نسبتهم إلى الأوس قول أهل السير فى المغازى: شهد من الأوس كذا و كذا رجلا، ثم يذكرون فيهم بعض بنى أنيف؛ و ذلك لأنهم حلفاء الأوس، لا لأنهم منهم، نبه عليه ابن إسحاق حيث قال: شهد بدرا من الأوس بضع و ستون رجلا، فذكر من بنى جحجبا جماعة، ثم قال: و من حلفائهم من بنى أنيف أبو عقيل، ثم نسبه إلى بلى بن عمرو بن الحاف بن قضاعة، لكن استفدنا من كلام المطرى أن منازلهم بين العصبة و قباء، و يستفاد مما قدمناه عن ابن زبالة أن من منازلهم بئر عذق و ما حولها و المال الذى يقال له القائم، و ذلك معروف بقباء.

و خرجت بنو معاوية بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف فسكنوا دارهم التى وراء بقيع الغرقد المعروفة بهم، و لا يشكل عليه ما سيأتى فى دور بنى النجار من الخزرج من أن حديلة لقب لمعاوية بن عمرو بن مالك بن النجار للاشتراك فى الاسم، و لكن الشهرة ببنى معاوية لهؤلاء، و أولئك يعرفون ببنى حديلة، و قد اشتبه ذلك على المطرى فقال فى مسجد بنى معاوية- و هو مسجد الإجابة- ما لفظه: هو مسجد بنى معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار، ثم قال فى دور بنى النجار: إن بنى حديلة هم بنو معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار، و دارهم عند بئر حاء، ثم قال: و دار بنى دينار بين دار بنى معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار أهل مسجد الإجابة،

و دار بنى حديلة، فذكر أولا أنهم هم، ثم غاير بينهما، و الصواب المغايرة، و أن بنى حديلة من الخزرج، و بنى معاوية من الأوس، و قد صرح بتغايرهما أهل السير، و نسبوهما كما ذكرنا، و مسجد الإجابة لبنى معاوية من الأوص، و الذى أوقع المطرى فى هذا ما سيأتى عن عياض فى بنى حديلة إن شاء الله تعالى.

و من بنى معاوية هؤلاء حاطب بن قيس، و فيه كانت حرب حاطب كما ذكره ابن حزم.

و خرجت بنو السميعة- و هم بنو لوذان بن عمرو بن عوف- فسكنوا عند زقاق ركيح، و ابتنوا أطما يقال له «السعدان» و موضعه فى الربع (حائط هناك) ذكره ابن زبالة، و لعل الربع هو الحديقة المعروفة اليوم بالربعى، و كان بنو السميعة يدعون فى الجاهلية بنو الصماء، فسماهم النبى صلّى اللّه عليه و سلّم بنى السميعة.

و نزل بنو واقف و السلم ابنا امرئ القيس بن مالك بن الأوس عند مسجد الفضيخ، فكانا هنالك و ولدهما.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۱۵۶

و ابتنى بنو واقف أطما يقال له «الزيدان» و له يقول قيس بن رفاعة:

و كيف أرجو لذيذ العيش بعدهم و بعد من قد مضى من أهل زيدان

كان لهم عامة موضعه فى قبلة مسجد الفضيخ، و أطما كان موضعه عند بئر عائشة الواقفى، و غير ذلك، ثم كان بين السّلم و واقف كلام، فلطم واقف و هو الأكبر عين السلم- و كان شرسا- فحلف لا يساكنه، فنزل السلم على بنى عمرو بن عوف، فلم يزل ولده فيهم، (و من بقيتهم سعد بن خيثمة بن الحارث) ثم انقرضوا سنة تسع و تسعين و مائة.

و كان لبنى السلم حصن شرقى مسجد قباء، ذكره ابن زبالة، و قد ذكر ابن حزم انقراض جميع بنى السلم، قال: و كان قد بلغ عددهم فى الجاهلية ألف مقاتل.

قلت: و فى قبلة مسجد الفضيخ عند الحديقة المعروفة بالأشرفية و السابور آثار آطام و قرية و حصن عظيم، فهى منازل بنى واقف.

و نزل بنو وائل بن زيد بن قيس بن عامر بن مرة بن مالك بن الأوس فى دارهم المعروفة بهم، و ابتنوا أطما يقال له: «الموجا» كان موضعه فى مسجد بنى وائل.

و نزل بنو أمية بن زيد بن قيس بن عامر بن مرة بن مالك بن الأوس فى دارهم المعروفة بهم التى بها الكبا يمر فيها سيل مذينيب بين بيوتهم ثم يلتقى هو و سيل بنى قريظة بفضاء بنى خطمة، و يؤخذ مما ذكره ابن زبالة فى منازل بنى النضير بالنواعم قربه منزل بنى أمية بن زيد منهم.

و فى صحيح البخارى عن عمر رضى الله عنه قال: كنت أنا و جار لى من الأنصار فى بنى أمية بن زيد، و هى من عوالى المدينة، نتناوب النزول على رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم.

قال ابن زبالة: و ابتنوا أطما يقال له: «أطم العذق» كان عند الكبا المواجهة مسجد بنى أمية، و أطما كان فى دار آل رويفع التى فى شرقى مسجد بنى أمية.

و نزل بنو عطية بن زيد بن قيس بن عامر بن مرة بن مالك بن الأوس بصفنة فوق بنى الحبلى، و صفنة- كجفنة- بإهمال أوله سميت بذلك لارتفاعها عن السيول فلم تشرب بشىء منها، و ابتنوا فيها أطما اسمه «شاس» كان لشاس بن قيس أخى بنى عطية بن زيد، و هو الذى على يسارك فى رحبة مسجد قباء مستقبل القبلة، و وائل و أمية و عطية بنو زيد هم الجعادرة، سموا به لأنهم كانوا إذا أجاروا جارا قالوا له: جعدر حيث شئت أى: اذهب حيث شئت، فلا بأس عليك، فقال الرمق بن زيد:

و إن لنا بين الجوارى وليدة مقابلة بين الجعادر و الكسر

متى تدع فى الزيدين زيد بن مالك و زيد بن قيس تأتها عزة النصر

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۱۵۷

قالوا: و الكسر أمية و عبيد و ضبيعة بنو زيد بن مالك بن عوف، كان يقال لهم كسر الذهب و ذلك أراد الرمق بقوله «و الكسر» كذا قاله ابن زبالة، و نقل رزين أن الجعادرة الأوس كلهم فإنه قال فيما نقل عن الشرقي: فولد الأوس مالكا و من مالك قبائل الأوس كلها، فولد لمالك عمرو و عوف و مرة، و يقال لهم: أوس الله، و هم الجعادرة، سموا بذلك لقصر فيهم، اه.

قلت: و سيأتي عن ابن إسحاق في آخر الفصل السابع ما يقتضي أن أوس الله هم بنو أمية بن زيد و وائل و واقف و خطمة، و الله أعلم.

و نزل بنو خطمة- و خطمة هو عبد الله بن جشم بن مالك بن الأوس- دارهم المعروفة بهم، و ابتنوا بها الآطام، و غرسوا النخيل، فابتنوا بها أطما يقال له «صع ذرع» ليس فيه بيوت، جعلوه كالحصن الذي يتحصنون فيه للقتال، و كان لخطمة كلها، و كان موضعه عند مهراس بني خطمة، و إنما سمي «صع ذرع» لأنه كان عند بئر بني خطمة التي يقال لها ذرع، و ابتنى أمية بن عامر بن خطمة أطما كان موضعه في مال الماجشون الذي يلي صدقة أبان بن أبي حدير.

قلت: و الظاهر أنه المسمى اليوم «بالمجشونية» فإن اسمه الأصلي «الماجشونية» على ما تقدم في تربة صعيب.

و قال المطري: منازل بني خطمة لا يعرف مكانها اليوم، إلا أن الأظهر أنهم كانوا بالعوالي شرقي مسجد الشمس؛ لأن تلك النواحي كلها ديار الأوس، و ما سفل من ذلك إلى المدينة ديار الخزرج، اه.

و في قوله: «و ما سفل إلخ» نظر، و الذي يظهر أن أول منازل الخزرج في هذه الجهة منازل بني الحارث كما سيأتي، و فوقها بنو خطمة، و سيأتي في وادي بطحان و وادي مهزور ما يؤيد ذلك.

و كان بنو خطمة متفرقين في آطامهم، لم يكن في قصبة دارهم منهم أحد، فلما جاء الإسلام اتخذوا مسجدهم، و ابتنى رجل منهم عند المسجد بيتا سكنه، فكانوا يسألون عنه كل غداة مخافة أن يكون السبع عدا عليه، ثم كثروا في الدار حتى كان يقال لهم غزة، تشبيها بغزة الشام من كثرة أهلها.

و قد انتهى الكلام في منازل الأوس و هذه منازل الخزرج.

قال ابن زبالة: و نزل بنو الحارث بن الخزرج الأكبر بن حارثة و هم بلحارث دارهم المعروفة بهم بالعوالي: أي: شرقي وادي بطحان و تربة صعيب، يعرف اليوم بالحارث بإسقاط بني، و ابتنوا أطما كان لبني امرئ القيس بن مالك و خرج جشم و زيد ابنا الحارث بن

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۱۵۸

الخزرج و هما التوأمان فسكنا السنح، و هذا هو المراد بقول ابن حزم: كان سكنى بني الحارث بالسّنح على ميل من مسجد الرسول صلّى اللّه عليه و سلّم انتهى.

قال ابن زبالة: و ابتنوا أطما يقال له «السّنح» و به سميت الناحية، و يقال بل اسمه «الريان» انتهى. و بالسّنح كان منزل أبي بكر الصديق رضي الله عنه بزوجته بنت خارجة بن زيد، قاله عياض، قال: و هو منازل بني الحارث بن الخزرج بعوالي المدينة، و بينه و بين منزل النبي صلّى اللّه عليه و سلّم ميل، انتهى. فكأن السنح- و هو كما قال عياض و غيره بالسين المهملة ثم النون- بالقرب من منازل بني الحارث بالعوالي. و خرج عتبة بن عمر بن خديج بن عامر بن جشم بن الحارث بن الخزرج فسكن الشوط و كوم الكومة يقال لها «كومة أبي الحمراء» ثم رجع في السنح. و خرجت بنو خدرة بن عوف بن الحارث بن الخزرج حتى سكنوا الدار التي يقال لها «جرار سعد» مما يلي سوق المدينة، و خرجت بنو الأبجر و هو خدرة بن عوف بن الحارث بن الخزرج و هم بنو خدرة أخوة بني خدارة فسكنوا دارهم المعروفة ببني خدرة، و ابتنوا أطما يقال له «الأجرد» و هو الأطم الذي يقال لبئره البصة، كان لمالك بن سنان جد أبي سعيد الخدري، و ذكر ابن حزم للحارث بن الخزرج الأكبر ابنا اسمه الخزرج ابن الحارث، و قال فيه: فولد الخزرج كعبا، فسار بعض بنيه إلى الشام مع غسان، فليس من الأنصار، ثم سمي من بقي منهم الأنصار.

و نزل سالم و غنم ابنا عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج الأكبر الدار التي يقال لها «دار بني سالم» على طرف الحرة الغربية غربي الوادي الذي به مسجد الجمعة ببطن رانونا، و ابتنوا آطاما: منها «المزدلف» أطم عتبان بن مالك، قاله المطري، و قال: المزدلف هو

الأطم الذى بناه عتبان بن مالك، كان لمالك بن العجلان السالمى، و له يقول مالك «إنّى بنيت للحروب المزدلف» و منها «الشماخ» كان خارجا عن بيوت بنى سالم من جهة القبلة، و منها أطم «القواقل» و هو الذى فى طرف بيوت بنى سالم مما يلى ناحية العصبة، كان لبنى سالم بن عوف، و تسميته بذلك يرجح ما ذكره ابن سيد الناس من أن القواقل بنو غنم و بنو سالم ابنى عوف، سموا بذلك لأنهم كانوا إذا أجاروا جارا قال له: قوقل حيث شئت، و أفهم سياق بعضهم أن القواقل بعض بنى سالم بن غنم، و هم بنو الحبلى، و ما

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۱۵۹

قدمناه هو الظاهر؛ لما سيأتى فى خروجه صلّى اللّه عليه و سلّم من قباء إلى المدينة. و قال ابن حزم: ولد عوف بن عمر و سالم بطن، و غنم بطن، و عنز بطن، و هو قوقل، و ذكر من ولده عبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم بن فهر بن ثعلبة بن قوقل بن عوف بن عمرو.

و نزل بنو غصينة حى من بلى حلفاء لبنى سالم عند مسجد بنى غصينة.

و نزل بنو الحبلى- بلفظ المرأة الجبلى- و اسمه مالك بن سالم بن غنم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج الأكبر الدار المعروفة بهم بين قباء و بين دار ابنى الحارث بن الخزرج التى شرقى وادى بطحان و صعيب، كذا قاله المطرى، و أظن مستنده ما تقدم فى منازل الأوس من قول ابن زبالة: و نزل بنو عطية بن زيد بن قيس بصفنة فوق بنى الحبلى إلى آخره، و قال ابن حزم: كانت دار بنى الحبلى بين دار بنى النجار و بين بنى ساعدة.

قلت: و سيأتى فى خروجه صلّى اللّه عليه و سلّم من قباء إلى المدينة ما يؤيده، و كذلك مروره صلّى اللّه عليه و سلّم بعبد الله بن أبى فى ذهابه لعيادة سعد بن عبادة، و ما ذكره من أن الحبلى اسمه مالك بن سالم ذكره ابن زبالة، و قال ابن هشام: الحبلى سام بن غنم بن عوف، و إنما سمى الحبلى لعظم بطنه، انتهى.

و ذكر ابن حزم نحوه، و الظاهر أن الحبلى كان يطلق على سالم والد مالك المذكور، ثم اشتهر به ابنه هذا من بنى بنيه، و حينئذ فيحمل ما تقدم عن ابن زبالة فى نزول بنى عطية بن زيد بصفنة فوق بنى الحبلى، على أن المراد

دار سالم بن غنم فى دار بنى سالم؛ لكونه ذكر فى آطام بنى الحبلى هؤلاء ما يوافق كلام ابن حزم فى نزولهم قرب دار بنى ساعدة، فقال: و ابتنوا آطاما منها «مزاحم» بين ظهران بيوت بنى الحبلى، و هو لعبد الله بن أبى بن سلول. و منها أطم كان بين مال عمارة بن نعيم البياضى و بين مال ابن زمانة. و منها أطم كان فى جوف بيوتهم. انتهى.

و سيأتى فى منازل بنى ساعدة ذكر الحماضة، و هى مذكورة فى منازل بنى بياضة، و قد صرح ابن حزم و غيره من أهل السير و علماء النسب بأن عبد الله بن أبى من بنى الحبلى من الخزرج؛ فالظاهر أن ما وقع للحافظ ابن حجر فى حديث زوجة ثابت بن قيس بن شماس فى الخلع من أن عبد الله بن أبى من بنى مغالة من بنى النجار و هم. نعم داره غربى المسجد قريبة من دار بنى مغالة فيما يظهر. و الله أعلم.

و نزل بنو سلمة بن سعد بن على بن أسد بن شاردة بن تزيد (بالمثناة من فوق) بن جشم بن الخزرج الأكبر ما بين مسجد القبلتين إلى المذاد أطم بنى حرام فى سند تلك الحرة، و كانت دارهم هذه تسمى خربى. قال ابن زبالة: فسماها رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم «طلحة» كذا هو فى نسخة ابن زبالة بالطاء، و نقله عنه الزين المراغى أيضا كذلك كما رأيته بخطه.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۱۶۰

و لعل الصواب ما ذكره المجد فى تاريخه أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم سماها «صلحة» بضم الصاد المهملة و سكون اللام، و قال فى قاموسه: خربا كحبلى: منزلة كانت لبنى سلمة غيّرها صلّى اللّه عليه و سلّم و سماها صالحة.

و نزل بنو سواد بن غنم بن كعب بن سلمة عند مسجد القبلتين إلى أرض ابن عبيد الديا ناری، و لهم مسجد القبلتين، قاله ابن زبالة، و هو يرد ما سيأتى عن المطرى و غيره من أن المسجد لبنى حرام، و ابتنوا أطما يقال له «الأغلب» كان على المهد الذى عليه الأحجار التى يستريح عليها السقاءون حين يفيضون من زقاق رومة إلى بطحان، و أطما يقال له «خيط» فى شرقى مسجد القبلتين على شرف

الحرة و عند منقطع السهل من أرض بنى سلمة، و أطما يقال له «منيع» فى يمانى مسجد القبلتين على ظهر الحرة يمين الحزن الذى فى أرض ابن أبان أو دون ذلك قليلا.

و نزل بنو عبيد بن عدى بن غنم بن كعب بن سلمة عند مسجد الخربة إلى الجبل الذى يقال له الدويخل جبل بنى عبيد، و لهم مسجد الخربة، و ابتنوا «الأشنق» و هو المواجه لمسجد الخربة، كان للبراء بن معرور صخر بن حسان بن سنان بن عبيد، و ابتنوا «الأطول» عند قبلة مسجد الخربة أو عن يسارها.

و نزل بنو حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة عند مسجد بنى حرام الصغير الذى بالقاع بين الأرض التى كانت لجابر بن عتيك و الأرض التى كانت لمعبد بن مالك، و كانوا بين مقبرة بنى سلمة إلى المذاد، و المذاد: هو الذى يقول له كعب بن مالك:

فليأت مأسدة تسن سيوفها بين المذاد و بين جزع الخندق

و هو أطم لهم سميت به الناحية، و ابتنوا أطما يقال له «جاعس» كان فى السهل بين الأرض التى كانت لجابر بن عتيك و بين العين التى عملها معاوية بن أبى سفيان، كان لعمرو بن الجموح جد جابر بن عبد الله بن عمرو.

قلت: و هذه العين لعلها التى ذكر ابن النجار أنها تأتى إلى النخل الذى بأسفل المدينة حوالى مسجد الفتح، يعنى فى غربيه، و يعرف ذلك الموضع بالسّيح- بالسين المهملة و المثناة التحتية- كما قال المطرى، و الله أعلم.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى؛ ج۱؛ ص ۱۶۰

ابتنى بنو مر بن كعب بن سلمة- و هم حلفاء بنى حرام- أطما يقال له «أخنس» و هو الأسود القائم فى بنى سلمة فى غربى الحائط الذى كان لجابر بن عتيك مما يلى جبل بنى عبيد، ذكره ابن زبالة.

و قوله «عند مسجد بنى حرام الصغير» يفهم أن لهم مسجدا آخر كبيرا، و هو الآتى فى منزلهم الثانى بشعب سلع، و سيأتى فى المساجد وصف مسجد بنى حرام الذى صلّى فيه النبى صلّى اللّه عليه و سلّم بأنه بالقاع، و أنه لم يصل فى مسجدهم الأكبر.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۱، ص: ۱۶۱

و كل هؤلاء بنو سلمة، و كانوا بهذه الدور، و كلمتهم واحدة، و ملكوا عليهم أمّة بن حرام، فلبث فيهم زمانا حتى هلك رجل من بنى عبيد ذو أموال كثيرة، له ولد واحد اسمه صخر، فأراد أمة أن ينزع طائفة من أمواله فيقسمها فى بنى سلمة، فعظم ذلك على صخر، و شكا ذلك على بنى عبيد و بنى سواد، و قال: إن فعل أمة ذلك لأضربنه بالسيف، و سألهم أن يمنعوه إن هو فعل، فأطاعوا له، فلما فعل أمة ذلك ضربه صخر فقطع حبل عاتقه، و قامت دونه بنو عبيد و بنو سواد، فنذر أمة أن لا يؤويه ظل بيت ما عاش حتى يقتل بنو سلمة صخرا أو يأتوه به فيرى فيه رأيه، و جلس أمة عند الضرب الذى فوق مسجد الفتح مما يلى الجرف فى الشمس، فمرت به وليدة حطابة فقالت: مالك يا سيدى هنا فى الشمس؟ فقال:

إن قومى أجمعوا لى أمرهم ثم نادوا لى صخرا فضرب

إننى آليت لا يسترنى سقف بيت من حرور و لهب

أبدا ما دام صخر آمنا بينهم يمشى و لا يخشى العطب

فذهبت الجارية، فأخبرتهم، فربطوا صخرا ثم أتوه به، فعفا عنهم و أخذ الذى كان يريد أن يأخذ من أمواله؛ فهذا خبر ما دخل بين بنى سلمة.

و روى ابن شبة عن جابر بن عبد الله أن بنى سلمة قالوا: يا رسول الله، نبيع دورنا و نتحول إليك، فإن بيننا و بينك واديا؟ فقال رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم: «اثبتوا فإنكم أوتادها، و ما من عبد يخطو إلى الصلاة خطوة إلا كتب الله له أجرا».

و روى أيضا عن يحيى بن عبد الله بن أبى قتادة قال: شكا أصحابنا- يعنى بنى سلمة و بنى حرام- إلى رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم أن السيل يحول بينهم و بين الجمعة، و كانت دورهم مما يلى نخيلهم و مزارعهم فى مسجد القبلتين و مسجد الخربة، فقال لهم النبى

صلّى اللّه عليه و سلّم: «و ما عليكم لو تحولتم إلى سفح الجبل» يعنى سلعا، فتحولوا؛ فدخلت حرام الشّعب، و صارت سواد و عبيد إلى السفح.

قلت: و شعب بنى حرام معروف بسلع، و هناك آثار منازلهم و آثار مسجدهم فى غربى جبل سلع على يمين السالك إلى مساجد الفتح من الطريق القبلية، و على يسار السالك إلى المدينة و على مقربة من محاذاته فى جهة المغرب حصن خل.

و روى ابن زبالة و يحيى من طريقه عن جابر بن عبد الله قال: كان السيل يحول بين بنى حرام و بين مسجد رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم فنقلهم عمر بن الخطاب إلى الشعب، و كلهم قوما

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۱۶۲

كانوا فيه من أهل اليمن يقال لهم بنو ناغضة، فانتقلوا إلى الشعب الذى تحت مسجد الفتح، فآثارهم هناك، و اشترت بنو حرام غلاما روميّا من أعطياتهم، و كان ينقل الحجارة من الحرة و ينقشها، فبنوا مسجدهم الذى فى الشعب و سقفوه بخشب و جريد، و كان عمر بن عبد العزيز زاد فيه مدماكين من أعلاه، و طابق سقفه، و جعل فيه ذيت مسجد رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم.

قلت: و آثار خرز أساطينه و ما تكسر منها موجود اليوم فيه، يعرف محله بالشعب المذكور.

و قد روى المجد فى فضل المساجد الخبر المتقدم، إلا أنه قال: و جعل فيه ذيت مسجد رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم ثم قال: و الذيت الساج الذى يظهر على الحائط، انتهى. و لم يضبطه غير أنه بالذال فى كتابه، و الذى فى كتاب ابن زبالة و يحيى ما قدمناه، و الله أعلم.

و نزل بنو بياضة و زريق ابنا عامر بن زريق بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج الأكبر، و بنو حبيب بن عبد حارثة بن مالك بن غضب، و بنو عذارة و هم بنو كعب بن مالك بن غضب، و بنو الليل و هم بنو عامر بن مالك بن غضب، و بنو أجدع و هم بنو معاوية بن مالك بن غضب دار بنى بياضة. قال المطرى: فيما بين دار بنى سالم بن عوف بن الخزرج التى عند مسجد الجمعة إلى وادى بطحان قبلى دار بنى مازن بن النجار.

قلت: الذى يترجح عندى أن دارهم كانت فى شامى دار بنى سالم بن عوف و قبلى دار بنى مازن، ممتدة فى الحرة الغربية، حتى إن فى كلام ابن زبالة ما يقتضى أن بعض منازلهم تمتد إلى منازل بنى ساعدة لما سنذكره.

و ابتنوا بدارهم الآطام، و روى ابن زبالة أنه كان بدارهم تسعة عشر أطما، و أن الذى أحصاه لبنى أمية بن عامر بن بياضة خاصة ثلاثة عشر أطما: منها أطم أسود فى يمانى أرض فراس بن ميسرة، كان فى الحرة، و منها «عقرب» كان فى شامى المزرعة المسماة بالرحابة فى الحرة على الفقارة، و منها «سويد» كان فى شامى الحائط الذى يقال له الحماضة، و لصاحبه كانت الحماضة، و سيأتى ذكر الحماضة فى منازل بنى ساعدة، لكن يبعد أن يكون هى المراد هنا، و منها «اللواء» كان موضعه فى حد السرارة بينه و بين زاوية الجدار الشامى الذى يحيط على الحماضة عشرون ذراعا، و منها أطم كان فى السرارة، و السرارة: ما بين أرض ابن أبى قليع إلى منتهى الحماضة، و ما بين الأطم الذى يقال له

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۱۶۳

اللواء إلى الجدار الذى يقال له بيوت بنى بياضة، و الجدار الذى بناه زياد بن عبيد الله لبركة السوق وسط السرارة، قاله ابن زبالة، و هو يقتضى أن السرارة قرب سوق المدينة، و يؤيده ذكر الحماضة فى منازل بنى ساعدة، لكن الظاهر أن المراد ببركة السوق هنا بركة كانت مما يلى سيل بطحان و رانونا؛ لأن ابن شبة قال فى سيل رانونا: إنه يقترن بذى صلب، يعنى موضع مسجد الجمعة، ثم يستبطن السرارة حتى يمر على قعر البركة، ثم يفترق فرقتين، إلى آخر ما سيأتى عنه.

و نقل رزين أن السرارة بين بنى بياضة و الحماضة. ثم ذكر ابن زبالة بقية آطامهم، و ذكر ما يقتضى أن ما حول السرارة هو أقصى بيوت بنى بياضة. ثم قال: و ابتنى بنو حبيب بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج الأطم الذى فى أدنى بيوت بنى

بياضة الذى دونه الجسر الذى عند ذى ريش. ثم قال: فلبث بنو غضب بن جشم بن الخزرج- أى الفرق المذكورين كلهم- فى دار بنى بياضة، و أمرهم جميع، ثم إن زريق بن عامر هلك فأوصى ببنيه إلى عمه حبيب بن عبد حارثة، فكان حبيب يكلفهم النّضح بأيديهم، فلما اشتد عليهم عدوا عليه فقتلوه، فحالف بنو حبيب بنى بياضة على نصرهم على بنى زريق، فخافت بنو زريق أن يكثروهم. و كانت بنو بياضة حينئذ أثرى من بنى زريق، فخرجوا من دار بنى بياضة حتى حلوا دارهم المعروفة بهم قبلىّ المصلى و سور المدينة الموجود اليوم و داخله بالموضع المعروف بذروان و ما والاه، و ابتنوا آطاما منها أطم فى زاوية دار كبير بن الصلت بالمصلى، و أطما يقال له «الريان» عند سقيفة آل سراقة التى يقال لها «سقيفة الريان» و أقام بنو عمرو بن عامر بن زريق مع بنى بياضة، و لهم الأطم الذى فى شامى أرض فراس بن ميسرة فى أدنى بيوت بنى بياضة مما يلى السبخة، فلبثوا هناك حتى انتقل رافع بن مالك هو و ولده قبيل الإسلام فسكنوا طرف السبخة ما بين الأساس إلى طرف السبخة إلى الدار التى فيها يسكن إسحاق بن عبيد بن رفاعة، و كان يقال لرافع بن مالك «الكامل» لأن أهل الجاهلية كانوا يقولون لمن كان كاتبا شاعرا «الكامل» و انتقل سائر بنى عمرو بن عامر بعد ذلك، فاشتروا من بنى عوف بن زريق بعض دورهم و حقوقهم، و خرجت بنو عوف بن زريق قبيل الإسلام إلى الشام؛ فيزعمون أن هنالك ناسا منهم، و لبث بنو بياضة و بنو حبيب زمانا لا يقاتلون بنى زريق، و الرسل تجرى بينهم، و بنو زريق يدعونهم إلى الصلح و الدية، و عرضوا على بنى حبيب أن يقطعوا لهم طائفة من ديارهم، فقبلوا ذلك، و وضعوا الحرب، و سمى الزقاق الذى دفعوه لهم «زقاق الدية» و انتقل بنو مالك بن زيد بن حبيب بن عبد حارثة من بنى بياضة، و نزلوا الناحية التى ودت بنو زريق، و ابتنوا أطما كان لبنى المعلى بن لوذان، و تخلف بنو الصمة بن حارثة بن

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۱۶۴

الحارث بن زيد بن حبيب فى بنى بياضة، فلبثت بنو المعلى بن لوذان فى بنى زريق ما شاء الله.

ثم إن عبيد بن المعلى قتل حصن بن خالد الزرقى، فأراد بنو زريق أن يقتلوه، ثم بدا لهم أن يدوا حصن بن خالد من أموالهم عن عبيد على أن يحالفهم بنو المعلى، و يقطعون حلفهم مع بنى بياضة، ففعلوا، و كان عامر بن زريق بن عبد حارثة والد زريق و بياضة لما حضرته الوفاة أوصى ابنه بياضة بالصبر فى الحروب و شدة البأس، و أوصاه بأخيه زريق و كان أصغرهما، فقال بعض شعرائهم فى ذلك:

بالصّبر أوصى عامر بياضه

و يقال للأوس و الخزرج: أبطأهم فرة و أرعهم كرة بنو بياضة و بنو زريق و بنو ظفر، و إن الأوس و الخزرج لم يلتقوا فى موطن قط إلا كان لهذه القبائل فضل بيّن على غيرهم من بطون الأوس و الخزرج.

و أما بنو عذارة بن مالك بن غضب بن جشم فكانوا أقل بطون بنى مالك بن غضب عددا، و كانوا قوما ذوى شراسة و شدة أنفس، فقتلوا قتيلا- من بعض بطون بنى مالك بن غضب إما من بنى اللين أو بنى أجدع، و أبى أهل القتيل الدية، و ذهبوا إلى بنى بياضة ليعينوهم على بنى عذارة حتى يعطوهم القاتل، فكلمات بنو بياضة بنى عذارة فى ذلك، فأبوا أن يخلوا بينهم و بينه، فأرادت بنو بياضة أن يأخذوه عنوة، فخرجوا من دار بنى بياضة حتى نزلوا قباء على بنى عمرو بن عوف فحالفوهم و صاهروهم، و امتنعوا من بنى بياضة، ثم إنه دخل بين بنى عذارة و بين بنى عمرو بن عوف قبيل الإسلام أمر، فأجمعوا أن ينتقلوا من عندهم إلى بنى زريق، و كرهوا أن يرجعوا إلى بنى بياضة، فجاؤوهم و ذكروا لهم ذلك، فلقوهم بما يحبون، و سددوا رأيهم، و أتوا أبا عبيدة سعيد بن عثمان الزرقى فذكروا له ذلك، فرحب بهم و ذكر شرفهم و فضلهم، ثم قال: إنى أشير عليكم أن ترجعوا إلى أخوالكم- يعنى: بنى عمرو بن عوف- و لا- تنتقلوا إلى بنى زريق، فإن فى أخلاقكم شراسة و فى أخلاق بنى زريق مثلها، فتفرقوا عن رأيه، فلم يزالوا كذلك إلى أن فرض المهدى للأنصار سنة ستين و مائة، فانتقلوا بديوانهم إلى بنى بياضة، و كان بطنان من بطون بنى مالك بن غضب ممن كان بدار بنى بياضة- لا ندرى أهم من الليلن أم من أجدع- كان

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۱، ص: ۱۶۵

بينهم ميراث فى الجاهلية، فاشتجروا فيه، فلما رأوا أنهم لا يستقيمون فيه على أمر تداعوا إلى أن يدخلوا حديقة كانت فى بنى بياضة فيقتتلوا فيها، فدخلوا جميعا ثم أغلقوها، فاقتتلوا حتى لم يبق منهم عين تطرف، فسميت تلك الحديقة «حديقة الموت» و كان بنو مالك بن غضب سوى بنى زريق ألف مقاتل فى الجاهلية، و أما بنو أجدع فلم يبق منهم أحد، و أما بنو اللين فكان بقى منهم رجلان ثم انقرضا لا عقب لهما.

و ذكر ابن حزم: أن زيد بن حبيب بن عبد حارثة بن مالك بن غضب المتقدم ذكر بنيه كان له أخ، و هو عبد الله بن حبيب، و أن عبد الله بن حبيب هذا ولد أبى جبيلة الغسانى الذى جلبه مالك بن العجلان لقتل اليهود بالمدينة كما قدمنا الإشارة إليه، و الله أعلم.

و نزل بنو ساعدة بن كعب بن الخزرج الأكبر مفترقين فى أربع منازل: فنزل بنو عمرو و بنو ثعلبة ابنا الخزرج بن ساعدة دار بنى ساعدة التى بين السوق- أى سوق المدينة- و بين بنى ضمرة؛ فهى فى شرقى سوق المدينة مما يلى الشام. و قال المطرى: قرية بنى ساعدة عند بئر بضاعة، و البئر وسط بيوتهم. قال ابن زبالة: فابتنوا أطما يقال له «معرض» فى الدار المواجهة مسجد بنى ساعدة، و هو آخر أطم بنى بالمدينة، و قدم رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم المدينة و هم يبنونه، فاستأذنوه فى إتمامه، فأذن لهم فيه، و له يقول شاعرهم:

و نحن حمينا عن بضاعة كلّها و نحن بنينا معرضا فهو مشرف

فأصبح معمورا طويلا فدى له و تخرب آطام بها و تصفصف

و أطما فى دار أبى دجانة الصغرى التى عند بضاعة، و نزلت بنو قشبة- و اسم قشبة عامر بن الخزرج بن ساعدة- قريبا من بنى حديلة، و ابتنوا أطما عند خوخة عمرو بن أمية الضّمرى.

قلت: فمنزلهم فى شرقى بنى ضمرة، و المنزل المذكور قبل، و الله أعلم.

و نزلت بنو أبى خزيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة- و هم رهط سعد بن عبادة الدار التى يقال لها جرار سعد و هى جرار كان يسقى الناس فيها الماء بعد موت أمه.

قال ابن زبالة: عرض سوق المدينة ما بين المصلى إلى جرار سعد بن عبادة.

قلت: فهى مما يلى السوق، فإما أن يكون من جهة المشرق و المصلى حده من جهة المغرب، فيشهد ذلك لأنها الموضع المعروف اليوم بين أهل درب السويقة بسقيفة بنى ساعدة، و يكون إطلاق السقيفة على ذلك المحل صحيحا، لا كما قال المطرى: إنها بقرية ببنى ساعدة عند بئر بضاعة؛ لأن سعد بن عبادة لم يكن هناك، و إنما كان مع رهطه فى منزلهم، و السقيفة كانت عند منزله، و إما أن يكون جرار سعد مما يلى السوق من جهة

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۱، ص: ۱۶۶

الشام، و يكون المصلى حده القبلى، و هذا هو الأرجح؛ لأن الجهة التى بالمشرق مما تقدم إنما هى من منازل بنى زريق، و الله أعلم.

قال ابن زبالة: فابتنوا أطما يقال له واسط، و قد تقدم أن بنى خدارة نزلوا بجرار سعد أيضا، فكأنها كانت منزلها، و بنو خدارة من بنى الحارث بن الخزرج كما تقدم، فدارهم المرادة فى حديث عيادة سعد بن عبادة فى بنى الحارث بن الخزرج، لا دار بنى الحارث المعروفة بهم لبعدها جدا عن منازل بنى ساعدة، و ليسوا قوم سعد إلا من حيث إن الكل من الخزرج.

و فى حديث عائشة فى الصحيح بعد قول عروة لها: ما كان يعيشكم؟ قالت:

الأسودان التمر و الماء، إلا أنه قد كان لرسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم جيران من الأنصار كانت لهم منائح، الحديث.

قال الحافظ ابن حجر فى بيان ذلك: جيرانه صلّى اللّه عليه و سلّم من الأنصار سعد بن عبادة و عبد الله بن عمرو بن حزم و أبو أيوب و سعد بن زرارة؛ فيبعد كون سعد بن عبادة فى دار بنى الحارث لعده فى الجيران، و مأخذ الحافظ ابن حجر فى ذلك ما رواه ابن سعد عن أم سلمة قالت: كان الأنصار يكثرون إلطاف رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم: سعد بن عبادة، و سعد بن معاذ، و عمارة بن حزم، و

أبو أيوب، و ذلك لقرب جوارهم من رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم انتهى، و الله أعلم.

و نزلت بنو وقش و بنو عنان ابنا ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة الدار التى يقال لها «بنو ساعدة» و يقال لها أيضا «بنو طريف» و هى بين الحماضة و جرار سعد، و سيأتى فى ترجمة الشوط ما يقتضى أن لبنى ساعدة منزلا فى شامى مسجد الراية، و الظاهر أنه هذا المنزل، و الله أعلم.

و نزل بنو مالك بن النجار دارهم المعروفة بهم، فابتنى بنو غنم بن مالك أطما يقال له «فويرع» و فى موضعه دار حسن بن زيد بن حسن بن على بن أبى طالب، رضى الله عنه!

قلت: و هى الدار المقابلة لدار جعفر الصادق التى فى قبلة المدرسة الشهابية، كما سيأتى نقله عن ابن شبة.

و ابتنى بنو مغالة- و هم بنو عدى بن عمرو بن مالك، و مغالة أم عدى- أطما يقال له «فارع» و هو الأطم الذى واجه دور بنى طلحة بن عبيد الله، و دخل فى دار [جعفر] بن يحيى بن خالد بن برمك، و له يقول حسان بن ثابت:

أرقت لتوماض البروق اللوامع و نحن نشاوى بين سلع و فارع

قاله ابن زبالة.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۱۶۷

و قال الزين المراغى: إن هذا الأطم كان لثابت والد حسان بن ثابت، و إنه دخل فى الدار المواجهة لباب الرحمة التى كانت دار عاتكة، و مأخذه فى ذلك أن دار عاتكة من جملة دار جعفر بن يحيى، لكن سيأتى من كلام ابن زبالة و يحيى عند ذكر أبواب المسجد أن دار جعفر بن يحيى، لكن سيأتى من كلام ابن زبالة و يحيى عند ذكر أبواب المسجد أن دار جعفر بن يحيى دخل فيها بيت عاتكة و فارع أطم حسان بن ثابت، و بيّنا محله هناك فى شامى الدار المذكورة، أعنى دار عاتكة، و فارع هذا هو الأطم الذى كانت به صفية عمة رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم يوم الخندق و عندها حسان.

و فى مسلم فى حديث ابن صياد «فوجده عند أطم بنى مغالة».

قال عياض: بنو مغالة كل ما كان على يمينك إذا وقفت آخر البلاط مستقبل المسجد النبوى.

و ابتنى بنو حديلة (بضم الحاء المهملة) و هو- كما قال ابن زبالة و غيره- لقب معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار أطما يقال له «مشعط» كان فى غربى مسجدهم الذى يقال له «مسجد أبى» يعنى أبى بن كعب، و فى موضعه بيت يقال له «بيت أبى نبيه» و قد أسند ابن زبالة عقب ذكره الحديث المتقدم «إن كان الوباء فى شىء فهو فى ظل مشعط» و ذكر ابن شبة قصر بنى حديلة، و قال: بناه معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه ليكون حصنا، قال: و له بابان: باب شارع على خط بنى حديلة، و باب فى الزاوية الشرقية اليمانية عند دار محمد بن طلحة التّيمى، و فى وسطه بئر حاء، انتهى.

و قال عياض فى المشارق: بئر حاء: موضع يعرف بقصر بنى حديلة، و قد قال ابن إسحاق: بنو عمرو بن مالك بن النجار هم بنو حديلة، أى لأن حديلة بطن منهم؛ لما قدمناه من أنه لقب أبيهم معاوية بن عمرو بن مالك.

قلت: فليس بنو حديلة هؤلاء بنى معاوية من الأوس أهل مسجد الإجابة كما قدمناه و لكن الاشتراك فى الاسم أوجب الوهم، فقد وقع للقاضى عياض فى المشارق ما يخالف كلام عامة الناس، فقال: قال الزبير: كل ما كان من المدينة عن يمينك إذا وقفت آخر البلاط مستقبل مسجد النبى صلّى اللّه عليه و سلّم بنو مغالة، و الجهة الأخرى أى التى على يسارك بنو حديلة، و هم بنو معاوية و هم من الأوس.

قال الجوهرى: هى قرية من قرى الأنصار، قال القاضى: هم بطن من الأنصار سميت جهتهم بهم، و هم أيضا بنو حديلة (بحاء و دال مهملتين) و حديلة أمهم، انتهى.

و الذى نقله غيره عن الزبير أن بنى حديلة من بنى النجار من الخزرج، و بنو معاوية من الأوس غيرهم، و قد قدمناه عن ابن زبالة شيخ

الزبير، و قد ذكر ابن حزم فى الجمهرة

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۱۶۸

معاويـة من الأـوس، و ذكر بنى حديلـة من الخزرج، فقـال و ولـد مالك بن النجار معاويـة و أمه حديلـة فنسب إليها، و الظاهر أن قول القاضـى «و هم من الأوس» ليس من كلام الزبير فى هذا الموضع، و لكن القاضـى لما رأى قوله «و هم بنو معاوية» ظن أنهم بنو معاوية من الأوس، و هذا موجب ما وقع للمطرى من الخبط فى هذا المحل، حيث غاير بينهما مرة و جعلهما متحدين أخرى، و لا يصح الجمع بما ذكره المراغى من احتمال أن يكون بنو معاوية بطنا أو فخذا من بنى حديلة؛ لما قدمناه.

و ابتنى بنو مبذول- و اسـمه عامر بن مالك بن النجار- أطما يقال له «السـلج» و أطما كان فى دار آل حيّ بن أخطب كان لبنى مالك بن مبذول، و أطما كان فى دار سرجس مولى الزبير التى إلى بقيع الزبير كان لآل عبيد بن النعمان أخى النعمان بن عمرو بن مبذول، و بقيع الزبير ذكر فى أمـاكن يؤخـذ منهـا أنه كـان فى شـرقى الـدور التى تلى قبـة المسـجد النبوى إلى بنى زريق، و إلى بنى غنم، و إلى البقال كما سيأتى.

و نزل بنو عدى بن النجار دارهم المعروفة بهم غربى المسجد النبوى، على ما قاله المطرى، و كان بها الأطم الذى فى قبلة مسجدهم، و ابتنوا أطما يقال له «أطم الزاهريـة» امرأة سكنته كان فى دار النابغة عند المسجد الذى فى الدار.

و نزل بنو مازن بن النجار دارهم المعروفة بهم قبلى بئر البصة، و تسمى الناحية اليوم أبو مازن، غيّرها أهل المدينة.

قال المطرى: و ابتنوا بها أطمين أحـدهما يقال له «واسط» قلت: و الـذى يؤخـذ من كلام ابن شـبة الآتى فى منازل القبائل أن منازل بنى مازن كانت فى قبلة المدينة شرقى منازل بنى زريق قريبة منها، و الله أعلم.

و نزل بنو دينار بن النجار دارهم التى خلف بطحان المعروفـة بهم، و ابتنوا أطما يقال له «المنيف» عند مسـجدهم الذى يقال له مسـجد بنى دينـار، قـاله ابن زبالـة، و قال المطرى فى بيان هـذا المسـجد: و دار بنى دينار بن النجار بين دار بنى حديلـة و دار بنى معاويـة أهل مسجد الإجابة، و دار بنى حديلة عند بئر حاء، اه.

و لا أدرى من أين أخذ هذا، و ما ذكره ابن زبالة أقرب و أولى بالاعتماد لأمور سنذكرها فى بيان مسجدهم.

قـال ابن زبالـة: و زعم بنو دينار أنهم نزلوا أولا دار أبى جهم بن حذيفـة العـدوى، و كانت امرأة منهم هنالك، و كان لها سـبعة إخوة، فوقفت على بئر لهم بدار أبى جهم و معها مدرى لها من فضة فسقط منها فى البئر، فصرخت بإخوتها، فدخل أولهم يخرجه

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۱۶۹

فأسر، فاستغاث ببعض إخوته حتى دخلوا جميعا فماتوا فى تلك البئر، فهذه منازل بنى النجار.

قـال المطرى و تبعه من بعـده: إن دار النابغـة المتقدمـة فى بنى عـدى كـانت غربى مسـجد الرسول، و هى دار بنى عـدى بن النجار، و مسـجد الرسول صلّى اللّه عليه و سلّم و ما يليه من جهة الشرق دار بنى غانم بن مالك بن النجار، و دور بنى النجار بالمدينة و ما حولها من الشـمال إلى مسـجد الإجابة، و النجار: هو تيم الله بن ثعلبة، و سـمى بذلك لأنه ضرب رجلا فنجره، فقيل له: النجار، و فى دور بنيه هؤلاء قال النبى صـلّى اللّه عليه و سلّم: «خير دور الأنصار بنو النجار ثم بنو عبد الأشهل» و هم من الأوس كما سبق. و فى رواية أخرى: «أ لا- أخبركم بخير دور الأنصـار؟ قـالوا: بلى، قـال: بنو عبـد الأشـهل، و هم رهـط سـعد بن معاذ، قالوا: ثم من يا رسول الله قال: ثم بنو النجار» و راويهما واحد، و قد صـحتا، فاختلف عليه، و تقديم بنى النجار روى عن أنس من غير اختلاف عليه، و لها مؤيدات أخرى، و هم أخوال عبـد المطلب جـد النبى صـلّى اللّه عليه و سـلّم، و لذلك نزل عليهم صـلّى اللّه عليه و سـلّم كما سـيأتى، ثم ذكر فى الرواية المذكورة بعد بنى عبد الأشـهل بنى الحارث بن الخزرج أى الأكبر «ثم بنو ساعدة» و قال فى هذه الرواية أيضا «و فى كل دور الأنصار خير» و كأن المفاضلة وقعت بحسب السبق إلى الإسلام، و بحسب مساعيهم فى إعلام كلمة الله.

قال ابن زبالـة عقب ذكر جميع منازل الأنصار المتقدمـة: و نزل بنو الشـطبة حين قـدموا من الشام ميطان، فلم يوافقهم، فتحولوا قريبا من

جذمان، ثم تحولوا فنزلوا براتج، فهم أحد قبائل راتج الثلاث، و قد ذكر راتج فی منازل يهود فقال: و كان براتج ناس من اليهود، و كان راتج أطما سميت به تلك الناحية، ثم صار لبنی الجذماء، ثم صار بعد لأهل راتج الذين كانوا حلفاء بنی عبد الأشهل، و هو الذی يقول له قيس بن الخطيم:

ألا إن بين الشّرعبی و راتج

البيت.

و قد قدمنا عن ابن حزم أن أهل راتج هم بنو زعورا بن جشم أخی عبد الأشهل بن جشم، و ذكر أيضا أن من أهل راتج بنی سعد بن مرة بن مالك بن الأوس.

و قال المطری: راتج جبيل صغير غربی وادی بطحان، و بجنبه جبيل آخر صغير يقال له: جبل بنی عبيد، انتهی. و سيأتی ما ينازع فيه مع بيان أن راتجا فی ناحية مسجد الراية.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفی، ج۱، ص: ۱۷۰

الفصل السادس فيما كان بينهم من حرب بعاث

اشارة

نقل رزين عن الشرقی أن الأوس و الخزرج لبثوا بالمدينة ما شاء الله و كلمتهم واحدة، ثم وقعت بين الأوس و الخزرج حروب كثيرة حتی لم يسمع قط فی قوم أكثر منها و لا أطول.

الحروب قبل بعاث

أولها: حرب سمير، و سببه رجل من بنی ثعلبة كان حليفا لمالك بن العجلان، قتله رجل من الأوس يقال له سمير بالمهملة مصغرا. ثم حرب كعب بن عمرو، ثم يوم السرارة، و هو موضع بين بنی بياضة و الحماضة، ثم يوم الديك، و هو موضع أيضا، ثم حرب بعاث، و هو كان آخرها، قتل فيه سراة الأوس و الخزرج و رؤسائهم.

قلت: فی كلام بعضهم أنه كان بين الأوس و الخزرج وقائع من أشهرها يوم السرارة، و يوم فارع، و يوم الفجار الأول و الثانی، و حرب حضير بن الأسلت، و حرب حاطب بن قيس، إلی أن كان آخر ذلك يوم بعاث، فقول الخطابی «يوم بعاث يوم مشهور كانت فيه مقتلة عظيمة للأوس علی الخزرج، و بقيت الحرب قائمة مائة و عشرين سنة إلی الإسلام علی ما ذكره ابن إسحاق و غيره» مؤول بأن حروب الأوس و الخزرج كلها قبل بعاث و بعده مكثت هذه المدة، و إلا فهو مردود، و سيأتی تعيين تاريخ يوم بعاث.

سبب حرب بعاث

و كان سببه أن الحروب المتقدمة كلها كان الظفر فی أكثرها للخزرج علی الأوس، حتی ذهبت الأوس لتحالف قريظة، فأرسلت إليهم الخزرج: لئن فعلتم فأذنوا بحرب، فتفرقوا و أرسلوا إلی الخزرج: إنا لا نخالفهم، و لا ندخل بينكم، فقالت الخزرج لليهود: فأعطونا رهائن، و إلا فلا نأمنكم، فاعطوهم أربعين غلاما من بينهم، ففرقهم الخزرج فی دورهم، فلما أيست الأوس من نصرة اليهود حالفت بطونا من الخزرج منهم بنو عمرو بن عوف، و قال سائرهم: و الله لا نصالح حتی ندرك ثأرنا، فتقاتلوا، و كثر القتل فی الأوس لما خذلهم قومهم، و خرج سعد بن معاذ الأشهلی، فأجاره عمرو بن الجموح الحرامی، فلما رأت الأوس أن أمرهم إلی قل عزموا علی أن

يكونوا حلفا للخزرج فى المدينة، ثم اشتوروا فى أن يحالفوا قريشا، فأظهروا أنهم يريدون العمرة، و كان بينهم أن من أراد حجا أو عمرة لم يعرض له، فأجار أموالهم بعدهم البراء بن معرور، فأتوا مكة فحالفوا قريشا، ثم جاء أبو جهل- و كان غائبا- فنقض حلف قريش بحيلة احتالها.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۱۷۱

قلت: روى ابن شبة عن أفلح بن سعيد ما يخالفه فى نسبة ذلك لأبى جهل مع بيان الحيلة، فقال: خرجت الأوس جالية من الخزرج حتى نزلت على قريش بمكة فحالفتها، فلما حالفتهم قال الوليد بن المغيرة: و الله ما نزل قوم قط على قوم إلا أخذوا شرفهم و ورثوا ديارهم، فاقطعوا حلف الأوس، فقالوا: بأى شىء؟ قال: إن فى القوم حمية، قولوا لهم: إنا نسينا شيئا لم نذكره لكم، إنا قوم إذا كان النساء بالبيت فرأى الرجل امرأة تعجبه قتلها و لمسها بيده، فلما قالوا ذلك للأوس نفرت و قالوا: اقطعوا الحلف بيننا و بينكم، فقطعوه، انتهى.

فلما لم يتم لهم الحلف ذهبت النبيت إلى خيبر- قلت: أراد بالنبيت بعضهم، و هم بنو حارثة؛ لما قدمناه من أن النبيت يطلق عليهم و على بنى عبد الأشهل و بنى ظفر و بنى زعورا، و الذى انتقل من هؤلاء إلى خيبر هم بنو حارثة فقط كما سبق، إلا أن يريد غيره- فأقاموا بها سنة، و ماتت منهم عجوز فقالوا «أهون حادث موت عجوز فى سنة» فذهب مثلا، فلما رأت الخزرج أن قد ظفرت بالأوس افتخروا عليهم فى أشعارهم، و قال عمرو بن النعمان البياضى: يا قوم إن بياضة بن عمرو أنزلكم منزل سوء، و الله لا يمس رأسى غسلا حتى أنزلكم منازل بنى قريظة و النضير و أقتل رهنهم، و كان لهم غزار المياه و كرام النخل، و قال رجل منهم أيضا شعرا يتغنى به يذكر جلاء النبيت إلى خيبر و أخذهم الرهن من اليهود:

هلمّ إلى الأحلاف إذ رقّ عظمهم و إذ أصلحوا ما لا لجذمان ضائعا

إذا ما امرؤ منهم أساء عمارة بعثنا عليهم من بنى العير جادعا

فأما الصّريح منهم فتحمّلوا و أما اليهود فاتخذنا بضائعا

و ذاك بأنا حين نلقى عدوّنا نصول بضرب يترك العز خاشعا

فبلغ قولهم قريظة و النضير و هم المعينون بالصريح لأنهم من بنى الكاهن بن هارون، و بلغ ذلك أيضا من كان فى المدينة من الأوس، فمشوا إلى كعب بن أسد القرظى، فدعوه إلى المحالفة على الخزرج، ففعل، ثم تحالفوا مع قريظة و النضير، ثم أرسلوا بذلك إلى النبيت فقدموا فأخذت الخزرج فى قتل الرهن، فقال لهم كعب بن أسد القرظى: إنما هى ليلة ثم تسعة أشهر و قد جاء الخلف، و أرسلوا إلى الأوس و قالوا لهم: انهضوا إلينا، فنأتيهم بأجمعنا، فجاءت الخزرج إلى عبد الله بن أبى فقالوا: مالك لا تقتل الرهن؟ فقال: لا أغدرهم أبدا، و أنتم البغاة، و قد بلغنى أن الأوس تقول: منعونا الحياة فيمنعونا الموت، و و الله ما يموتون أو تهلكون عامتكم، فقال له عمرو بن النعمان: انتفخ و الله سحرك، فقال: إنى لا أحضركم، و لكأنى أنظر إليك قتيلا يحملك أربعة فى كساء.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۱۷۲

فاجتمع الخزرج و رأسوا عليهم عمرو بن النعمان قلت: الذى ذكره ابن حزم أن رئيس الخزرج يومئذ هو والد النعمان، و هو رحيلة بن ثعلبة البياضى، و الله أعلم. فاقتتلوا فى بعاث، و هو موضع عند أعلى قورى، و كانت الدّبرة على الخزرج، و قتل عمرو بن النعمان، و جىء به تحمله أربعة كما قال له ابن أبى، و حلفت اليهود لتهدمن حصن عبد الله بن أبى، و كان أبو عمرو الراهب مع الأوس، و كانت تحته جميلة بنت أبى، و هى أم حنظلة الغسيل، فلما أحاطوا بالحصن قال لهم عبد الله: أما أنا فلم أحضر معهم، و هؤلاء أولادكم الذين عندى فإننى لم أقتل منهم أحدا، و نهبت الخزرج فعصونى، و كان جل من عنده من الرهن من أولاد بنى النضير، ففرحوا حين سمعوا بذلك، فأجاروه من الأوس و من قريظة، فأطلق أولادهم و حالفهم، و لم يزل حتى ردهم حلفاء الخزرج بحيل تحيّل بها، و كان رئيس الأوس فى هذه الحرب حضير الذى قال له «حضير الكتائب» والد أيد بن حضير، و بها قتل، و قال خفاف بن ندبة يرثى حضيرا:

أتانى حديث فكذّبته و قالوا: خليلك فى المرمس

فيا عين بكى حضير الندى حضير الكتائب و المجلس

و كان رئيس الخزرج عمرو بن النعمان البياضى كما تقدم أيضا، قال بعضهم: و كان النصر فيها أولا للخزرج، ثم ثبّت حضير الأوس فرجعوا و انتصروا.

و ذكر أبو الفرج الأصبهانى أن سبب ذلك أنه كان من قاعدتهم أن الأصيل لا يقتل بالحليف، فقتل رجل من الأوس حليفا للخزرج، فأرادوا أن يقيدوه فامتنعوا، فوقعت بينهم الحرب لأجل ذلك.

و كان يوم بعاث قبل الهجرة بخمس سنين على الأصح، و قيل: بأربعين سنة، و قيل:

بأكثر، و هو اليوم الذى تقول فيه عائشة رضى الله عنها كما فى الصحيح «كان يوم بعاث يوما قدمه الله لرسوله صلّى اللّه عليه و سلّم فى دخولهم فى الإسلام، فقدم رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم و قد افترق ملؤهم و قتلت سراتهم» يعنى الأوس و الخزرج، و معناه أنه قتل فيه من أكابرهم من كان لا يؤمن أن يتكبر و يأنف أن يدخل فى الإسلام لتصلبه فى أمر الجاهلية و لشدة شكيمته حتى لا يكون تحت حكم غيره، و قد كان بقى منهم من هذا النمط عبد الله بن أبىّ بن سلول، و قصته فى ذلك مشهورة، و كذلك أبو عامر الراهب الذى سماه النبى صلّى اللّه عليه و سلّم بالفاسق، قال أهل السير: قدم رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم المدينة و سيد أهلها عبد الله بن أبى بن سلول، كان من الخزرج ثم من بنى عوف بن الخزرج ثم من بنى الحبلى، لا يختلف فى شرفه فى قومه اثنان، لم تجتمع الأوس و الخزرج قبله و لا بعده على رجل من أحد الفريقين حتى جاء الإسلام غيره، و معه فى الأوس رجل هو فى قومه من الأوس شريف مطاع أبو عامر بن

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۱۷۳

صيفى بن النعمان أحد بنى ضبيعة بن زيد، و هو أبو حنظلة الغسيل، و كان قد ترهب و لبس المسوح، فشقيا بشرفهما: أما عبد الله بن أبى فلما انصرف عنه قومه إلى الإسلام ضغن و رأى أن رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم قد استلبه ملكا، فلما راى قومه قد أبوا إلا الإسلام دخل فيه كارها مصرا على نفاق و ضغن، فكان رأس المنافقين، و إليه يجتمعون، و هو القائل فى غزوة بنى المصطلق لَئِنْ رَجَعْنا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَ [المنافقين: ۸] و أما أبو عامر فأبى إلا الكفر و الفراق لقومه حين اجتمعوا على الإسلام. و أتى رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم حين قدم المدينة فقال: ما هذا الدين الذى جئت به؟ قال: جئت بالحنيفية دين إبراهيم، قال: فأنا عليها، فقال له رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم: إنك لست عليها، قال: إنك أدخلت يا محمد فى الحنيفية ما ليس منها، قال: ما فعلت، و لكنى جئت بها بيضاء نقية، قال:

الكاذب أماته الله طريدا غريبا وحيدا، فقال رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم: أجل، فمن كذب ففعل الله ذلك به، فكان هو ذاك عدو الله: خرج إلى مكة مفارقا الإسلام، فقال رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم:

«لا تقولوا الراهب، و لكن قولوا الفاسق» فلما افتتح رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم مكة خرج إلى الطائف، فلما أسلم أهل الطائف لحق بالشام، فمات بها طريدا غريبا وحيدا.

و روى بعضهم أنه لم يكن فى الأوس و الخزرج رجل أوصف لمحمد صلّى اللّه عليه و سلّم من أبى عامر المذكور، و كان يألف اليهود و يسائلهم فيخبرونه بصفة رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم ثم خرج إلى يهود تيماء و إلى الشام، فسأل النصارى فأخبروه بذلك، فرجع و هو يقول: أنا على دين الحنيفية، و ترهب و لبس المسوح، و زعم أنه ينتظر خروج النبى صلّى اللّه عليه و سلّم فلما ظهر بمكة لم يخرج إليه، فلما قدم المدينة حسد و بغى، و ذكر إتيانه النبى صلّى اللّه عليه و سلّم بنحو ما سبق، إلا أنه قال: فقال رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم: «الكاذب أماته الله وحيدا طريدا» قال: آمين، ثم ذكر خروجه إلى مكة، و زاد: فكان مع قريش يتبع دينهم و ترك ما كان عليه؛ فهذا مصداق ما ذكرت عائشة رضى الله عنها.

الفصل السابع فى مبدأ إكرام اللّه لهم بهذا النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و ذكر العقبة الصغرى

اعلم أن تلك الحروب المتقدمة لم تزل بين الأوس و الخزرج حتى أكرمهم اللّه باتباعه صلّى اللّه عليه و سلّم و ذلك أنه صلّى اللّه عليه و سلّم كان يعرض نفسه فى كل موسم من مواسم العرب على قبائلهم، و يقول: أ لا رجل يحملنى إلى قومه؟ فإن قريشا قد منعونى أن أبلغ كلام ربى، فيأبونه و يقولون: قوم الرجل أعلم به.

و ذكر ابن إسحاق عرضه عليه الصلاة و السلام نفسه على كندة و على كلب و على بنى

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۱۷۴

حنيفة، قال: و لم يكن أحد من العرب أقبح ردا عليه منهم، و قال موسى بن عقبة عن الزهرى: فكان فى تلك السنين- أى التى قبل الهجرة- يعرض نفسه على القبائل، و يكلم كل شريف قوم، لا يسألهم إلا أن يؤووه و يمنعوه، و يقول: لا أكره أحدا منكم على شىء، بل أريد أن تمنعوا من يؤذينى حتى أبلغ رسالة ربى، فلا يقبله أحد.

و ذكر الواقدى دعاءه صلّى اللّه عليه و سلّم بنى عبس إلى الإسلام، و أنه أتى غسان فى منازلهم بعكاظ و بنى محارب كذلك، و لم يزل صلّى اللّه عليه و سلّم يدعو إلى دين اللّه، و يأمر به كل من لقيه و رآه من العرب، إلى أن قدم سويد بن الصامت أخو بنى عمرو بن عوف من الأوس، و كان يسمى «الكامل» لجلده و شعره، و هو القائل:

فرشنى بخير طالما قد بريتى فخير الموالى من يريش و لا يبرى

فدعاه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم إلى الإسلام، فلم يبعد و لم يجب، ثم انصرف إلى يثرب، فلم يلبث أن قتل يوم بعاث.

قال ابن إسحاق: فإن كان رجال من قومه ليقولون: إنا نراه قد قتل و هو مسلم، و قدم مكة أبو الحيسر أنس بن رافع و هو فى فتية من قومه بنى عبد الأشهل يطالبون الحلف، فدعاهم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم إلى الإسلام، فقال رجل منهم اسمه إياس بن معاذ و كان شابا: هذا و اللّه خير مما قدمنا، فضربه أبو الحيسر و انتهره، فسكت، ثم لم يتم لهم الحلف، فانصرفوا إلى بلادهم، و مات إياس بن معاذ فقيل: إنه مات مسلما.

و قال رزين فى ذكر هذه القصة: ثم جاءت الأوس تطلب أن تحالف قريشا، فجاءهم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم و عرض نفسه عليهم، و قال: اسمعوا منى، هل لكم فى خير مما جئتم له؟

و تلا عليهم القرآن، ثم قال: بايعونى و اتبعونى، فإنكم ستجمعون بى، فقال عمرو بن الجموح: هذا أى قوم و اللّه خير لكم مما جئتم له، فانتهروه، و قالوا: ما جئنا لهذا، و لم يقبلوا عليه، ثم انصرفوا، فكانت وقعة بعاث.

و قال ابن زبالة: إنه صلّى اللّه عليه و سلّم كان يعرض نفسه على القبائل فيأبونه، حتى سمع بنفر من الأوس قدموا فى المنافرة التى كانت بينهم، فأتاهم فى رحالهم، فقالوا: من أنت؟ فانتسب لهم، و أخبرهم خبره، و قرأ عليهم القرآن، و ذكر أنهم أخواله، و سألهم أن يؤووه و يمنعوه حتى يبلغ رسالات ربه، فنظر بعضهم إلى بعض و قالوا: و اللّه هذا صادق، و إنه للنبى الذى يذكر أهل الكتاب و يستفتحون به عليكم، فاغتنموه و آمنوا به، فقالوا: أنت رسول اللّه، قد عرفناك و آمنا بك و صدقناك، فمرنا بأمرك فإنا لن نعصيك، فسر بذلك رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم و جعل يختلف إليهم، و يزدادون فيه بصيرة، ثم أمرهم صلّى اللّه عليه و سلّم أن يدعوا قومهم إلى دينهم،

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۱۷۵

فسألوه أن يرتحل معهم، فقال: حتى يأذن لى ربى، فلحقوا بأهلهم المدينة، ثم شخصوا إليه فى الموسم فكان من أمر العقبة ما كان، و هو مخالف لما تقدم من أن النفر من الأوس لم يقبلوا.

و قد أخرج الحاكم و غيره بإسناد حسن عن على رضى اللّه عنه قال: لما أمر اللّه نبيه أن يعرض نفسه على قبائل العرب و خرج و أنا معه

و أبو بكر إلى منى حتى دفعنا إلى مجلس من مجالس العرب، و تقدم أبو بكر و كان نسابة، فقال: من القوم؟ قالوا: ربيعة، فذكر حديثا طويلا فى مراجعتهم و توقفهم أخيرا عن الإجابة، ثم قال: ثم دفعنا إلى مجلس الأوس و الخزرج، و هم الذين سماهم رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم الأنصار، لكونهم أجابوه إلى إيوائه و نصره، قال: فما نهضنا حتى بايعوا النبى صلّى اللّه عليه و سلّم.

و قال ابن إسحاق فى ذكر العقبة الأولى: لما أراد الله عز و جل إظهار دينه خرج رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم فى الموسم الذى لقى فيه النفر من الأنصار، فعرض نفسه على قبائل العرب كما كان يصنع فى كل موسم، فبينا هو عند العقبة لقى رهطا من الخزرج، قال: أمن موالى يهود؟ قالوا: نعم، قال: أ فلا تجلسون أكلمكم؟ قالوا: بلى، فجلسوا معه فدعاهم إلى الله، و عرض عليهم الإسلام، و كان مما صنع الله لهم فى الإسلام أن يهود كانوا معهم فى بلادهم، و كانوا أهل علم و كتاب، و كانوا هم أهل شرك أصحاب أوثان، و كانوا قد غزوهم فى بلادهم، فكانوا إذا كان بينهم شىء قالوا لهم: إن نبيا مبعوث قد أظل زمانه نتبعه نقتلكم معه قتل عاد و إرم، فلما كلم رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم أولئك النفر و دعاهم إلى الله قال بعضهم لبعض: تعلموا إنه للنبى الذى توعدكم به يهود، فلا تسبقنكم إليه، فأجابوه فيما دعاهم إليه، و قالوا له: إنا تركنا قومنا، و لا قوم بينهم من العداوة و الشر ما بينهم، فإن يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك، ثم انصرفوا راجعين إلى بلادهم ليدعوا قومهم، فلما جاءوهم لم يبق دار من دور قومهم إلا و فيها ذكر رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم قال: و هم- يعنى أصحاب العقبة الأولى- فيما ذكر لى ستة نفر من الخزرج، و هم: أبو أمامة أسعد بن زرارة، و عوف بن الحارث، كلاهما من بنى غنم بن مالك بن النجار، و رافع بن مالك بن العجلان الزرقى، و قطبة بن عامر بن حديدة، و جابر بن عبد الله بن رئاب، و عقبة بن عامر بن نابى، و هؤلاء الثلاثة من بنى سلمة.

و قال موسى بن عقبة عن الزهرى و أبى الأسود عن عروة: هم أسعد بن زرارة، و معاذ بن عفراء و هى أمه، و هو ابن عمرو بن الجموح من بنى غنم بن مالك بن النجار أيضا، و رافع بن مالك، و يزيد بن ثعلبة البلوى، ثم من بنى غصينة حليفهم، و أبو الهيثم

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۱۷۶

مالك بن التيهان الأوسى، ثم من بنى جشم أخى عبد الأشهل بن جشم، و عويم بن ساعدة الأوسى، ثم من بنى أمية بن زيد، و يقال: كان فيهم عبادة بن الصامت الخزرجى ثم من بنى غنم أخى سالم بن عوف، و ذكوان الزرقى، فيكونون ثمانية، و منهم من عدهم سبعة فأسقط جابر بن عبد الله أو عبد الله بن زيد، و قيل: إنما أسلم فى العام الأول اثنان فقط، هما أسعد بن زرارة و ذكوان.

قال ابن إسحاق فى ذكر العقبة- يعنى: الثانية لما قدمه، و بعضهم يسميها الأولى-:

فلما كان الموسم- يعنى: من العام المقبل- وافاه منهم اثنا عشر رجلا، فذكر الستة الذين قدمهم غير جابر بن عبد الله، و زاد: ذكوان الزرقى، و عبادة بن الصامت، و يزيد بن ثعلبة، و العباس بن عبادة بن نضلة الغنمى السالمى الخزرجى، و معاذ بن عفراء، و أبو الهيثم بن التيهان، و عويم بن ساعدة، قال: فبايعهم رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم عند العقبة على بيعة النساء: أى على وفق بيعة النساء التى نزلت بعد الفتح، عَلى أَنْ لا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئاً [الممتحنة: ۱۲] إلى آخر الآية، و لم يكن أمر بالقتال بعد، بل كان جميع ذلك قبل نزول الفرائض ما عدا التوحيد و الصلاة، و أرسل رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم معهم مصعب بن عمير ليفقههم فى الدين و يعلمهم الإسلام، فكان يصلى بهم، و قيل: بعثه إليهم بعد ذلك بطلبهم ليعلمهم و يقرئهم القرآن، فكان يسمى «المقرئ» و هو أول من سمى به، فنزل على أسعد بن زرارة، و قيل:

بعث إليهم مصعب بن عمير و ابن أم مكتوم؛ فكان مصعب بن عمير يؤمهم، و ذلك أن الأوس و الخزرج كره بعضهم أن يؤمه بعض، فجمّع بهم أول جمعة فى الإسلام، و فى الدارقطنى عن ابن عباس أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم كتب إلى مصعب بن عمير أن يجمّع بهم فجمّع بهم و كانوا اثنى عشر.

قال الزهرى: و عند ابن إسحاق أول من جمّع بهم أبو أمامة أسعد بن زرارة، و فى أبى داود من طريق عبد الرحمن بن كعب بن مالك قال: كان أبى إذا سمع الأذان للجمعة استغفر لأسعد بن زرارة، فسألته، فقال: كان أول من جمّع بنا فى هزم النبيت من حرة بنى بياضة

فى نقيع يقال له نقيع الخضمات. قلت: كم أنتم يومئذ؟ قال: أربعون. قال البيهقى: و لا يخالف هذا ما روى عن الزهرى من تجميع مصعب بن عمير بهم و أنهم كانوا اثنى عشر؛ إذ مراد الزهرى أنه أقام الجمعة بمعونة النفر الاثنى عشر الذين بايعوا فى العقبة و بعثه صلّى اللّه عليه و سلّم فى صحبتهم أو على أثرهم حين كثر المسلمون، و منهم أسعد بن زرارة، فالزهرى أضاف التجمع إلى مصعب لكونه الإمام، و كعب أضافه إلى أسعد لنزول مصعب أولا عليه و نصره له و خروجه به إلى دور الأنصار يدعوهم إلى الإسلام، و أراد الزهرى بالاثنى عشر عدد الذين خرجوا به، و كانوا له ظهرا، و مراد كعب جميع من صلّى معه، هذا و قول كعب متصل، و قول الزهرى منقطع، اه.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۱۷۷

و روى الطبرانى مرسلا فى خبر طويل قال فيه عن عروة: ثم بعثوا إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم أن ابعث إلينا رجلا من قبلك يدعو الناس بكتاب اللّه؛ فإنه أدنى أن يتبع؛ فبعث إليهم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم مصعب بن عمير أخا بنى عبد الدار، فنزل فى بنى غنم على أسعد بن زرارة، فجعل يدعو الناس، و يفشو الإسلام، و هم فى ذلك مستخفون بدعائهم، ثم إن أسعد بن زرارة أقبل هو و مصعب بن عمير حتى أتيا مرقا أو قريبا منها، فجلسا هنالك، و بعثا إلى رهط من أهل الأرض، فأتوهم مستخفين، فبينا مصعب بن عمير يحدثهم و يقص عليهم القرآن أخبر بهم سعد بن معاذ، فأتاهم فى لأمته و معه الرمح حتى وقف عليه فقال: غلام يأتينا فى دارنا، هذا الوحيد الفريد الطريد الغريب ليسفه ضعفاءنا بالباطل و يدعوهم، لا أراكما بعد هذا بشىء من جوارنا، فرجعوا، ثم إنهم عادوا الثانية ببئر مرق أو قريبا منها فأخبر بهم سعد بن معاذ الثانية، فتوعدهم بوعيد دون الأول، فلما رأى أسعد منه اللين قال: يا ابن خالة، اسمع من قوله، فإن سمعت منكرا فارددە بأهدى منه، و إن سمعت خيرا فأجب إليه، فقال: ما ذا يقول؟ فقرأ عليه مصعب: حم (۱) وَ الْكِتابِ الْمُبِينِ (۲) إِنَّا جَعَلْناهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ [الزخرف: ۱- ۳] فقال سعد: و ما أسمع إلا ما أعرف، فرجع و قد هداه اللّه، و لم يظهر أمر الإسلام حتى رجع إلى قومه، فدعا بنى عبد الأشهل إلى الإسلام و أظهر إسلامه، و قال: من شك فيه من صغير أو كبير فليأتنا بأهدى منه، فو اللّه لقد جاء أمر لتحزّنّ فيه الرقاب، فأسلمت بنو عبد الأشهل عند إسلامه و دعائه إلا من لا يذكر فكانت أول دار من دور الأنصار أسلمت بأسرها، ثم إن بنى النجار اشتدوا على أسعد بن زرارة، و أخرجوا مصعب بن عمير، فانتقل إلى سعد بن معاذ، فلم يزل يدعو و يهدى على يديه، حتى قل دار من دور الأنصار إلا أسلم فيها ناس، و أسلم أشرافهم، و أسلم عمرو بن الجموح، و كسرت أصنامهم، فكان المسلمون أمر أهلها، و رجع مصعب بن عمير إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم اه.

و قد روى هذه القصة ابن إسحاق عمن سمى من شيوخه بزيادة و نقص، فقال: إن أسعد بن زرارة خرج بمصعب بن عمير يريد به دار بنى عبد الأشهل و دار بنى ظفر، فدخل به حائطا من حوائط بنى ظفر على بئر يقال لها بئر مرق، فجلسا فيه و اجتمع إليهما رجال ممن أسلم، فلما سمع بذلك سعد بن معاذ و أسيد بن حضير- و هما يومئذ سيدا قومهما بنى عبد الأشهل- و كلاهما مشرك، قال سعد لأسيد: لا أبا لك! انطلق إلى هذين الرجلين اللذين أتيا دارينا ليسفها ضعفاءنا، فازجرهما و انههما عن أن يأتيا دارينا؛ فإنه لو لا أن أسعد

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۱۷۸

ابن زرارة منى حيث قد علمت كفيتك ذلك، هو ابن خالتى، فأخذ أسيد حربته ثم أقبل إليهما فلما رآه أسعد بن زرارة قال لمصعب: هذا سيد قومه قد جاءك فاصدق اللّه فيه، قال: فوقف عليهما متشتما، فقال: ما جاء بكما إلينا تسفهان ضعفاءنا، اعتزلانا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة، فقال له مصعب: أو تجلس فتسمع؛ فإن رضيت أمرا قبلته، و إن كرهته كف عنك ما تكره، قال: أنصفت، ثم ركز حربته و جلس إليهما، فكلمه مصعب بالإسلام، و قرأ عليه القرآن، فقالا فيما يذكر عنهما: و اللّه لعرفنا فى وجهه الإسلام قبل أن يتكلم، ثم قال: ما أحسن هذا و أجمله! كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا فى هذا الدين؟ قالا له: تغتسل فتطهر، و تطهر ثيابك ثم تتشهد شهادة الحق، ثم تصلى، فقام ففعل ذلك، ثم قال لهما: إن ورائى رجلا إن اتبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه، و سأرسله إليكما

الآن سعد بن معاذ، ثم انصرف إلى سعد و قومه و هم جلوس فى ناديهم، فلما نظر إليه سعد مقبلا قال: أحلف بالله لقد جاءكم أسيد بغير الوجه الذى ذهب به، فلما وقف على النادى قال له سعد: ما فعلت؟ قال:

كلمات الرجلين فو الله ما رأيت بهما بأسا، و قد نهيتهما فقالا: نفعل ما أحببت، و قد حدثت أن بنى حارثة خرجوا إلى أسعد بن زرارة ليقتلوه، و ذلك أنهم عرفوا أنه ابن خالتك ليخفروك، فقام سعد مغضبا مبادرا متخوفا للذى ذكر له، فأخذ الحربة من يده ثم قال: و الله ما أراك أغنيت شيئا، ثم خرج إليهما، فلما رآهما مطمئنين عرف أن أسيدا إنما أراد أن يسمع منهما، فوقف عليهما متشتما ثم قال: يا أبا أمامة، أما و الله لو لا ما بينى و بينك من القرابة ما رمت هذا منى، أتغشانا فى دارينا بما نكره، و قد قال أسعد لمصعب بن عمير أى مصعب، جاءك و الله سيد من وراءه من قومه، إن يتبعك لا يتخلف عنك منهم اثنان، فقال له مصعب: أو تقعد فتسمع، فإن رضيت أمرا و رغبت فيه قبلته و إن كرهته عزلنا عنك ما تكره، قال سعد: أنصفت، ثم ركز الحربة فجلس، فعرض عليه الإسلام، و قرأ عليه القرآن، قالا: فعرفنا و الله فى وجهه الإسلام قبل أن يتكلم لإشراقه و تسهله، ثم قال لهما: كيف تصنعون إذا أنتم أسلمتم؟ فذكرا له ما تقدم، ففعله، ثم أقبل عامر إلى نادى قومه و معه أسيد بن حضير، فلما رآه قومه مقبلا قالوا: نحلف بالله لقد رجع إليكم سعد بغير الوجه الذى ذهب به، فلما وقف عليهم قال: يا بنى عبد الأشهل، كيف تعلمون أمرى فيكم؟ قالوا: سيدنا، أفضلنا رأيا، و أيماننا نقبية، قال: فإن كلام رجالكم و نسائكم حرام على حتى تؤمنوا بالله و رسوله، قال: فو الله ما أمسى فى دار بنى عبد الأشهل رجل و لا امرأة إلا

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۱، ص: ۱۷۹

مسلما أو مسلمة، و رجع مصعب إلى منزل أسعد بن زرارة، فأقام عنده يدعو الناس إلى الإسلام، حتى لم يبق دار من دور الأنصار إلا و فيها رجال و نساء مسلمون، إلا ما كان من دار بنى أمية بن زيد و خطمة و وائل و واقف، و تلك أوس الله، و ذلك أنه كان فيهم أبو قيس ابن صيفى بن الأسلت، و كان شاعرا لهم قائدا يسمعون منه و يطيعون، فوقف بهم عن الإسلام حتى هاجر رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم و مضى بدر و أحد و الخندق، ثم أسلموا كلهم.

و فى التأريخ الأوسط للبخارى أن أهل مكة سمعوا هاتفا يهتف قبل إسلام سعد بن معاذ:

فإن يسلم السّعدان يصبح محمد بمكّة لا يخشى خلاف المخالف

فيا سعد سعد الأوس كن أنت ناصرا و يا سعد سعد الخزرجين الغطارف

أجيبا إلى داعى الهدى و تمنّيا على الله فى الفردوس منية عارف

فى أبيات أخرى.

و ذكر لها رزين سببا آخر كما سيأتى، و هذا أصح، و لم يذكر ابن إسحاق فى الخبر المتقدم إسلام عمرو بن الجموح، بل ذكره بعد ذكر العقبة الآتية كما سنذكره، نعم ابنه معاذ شهد العقبة.

الفصل الثامن فى العقبة الكبرى

اشارة

و بعضهم يسميها العقبة الثانية، و مقتضى ما قدمناه أن تسمى الثالثة.

قال ابن إسحاق: ثم إن مصعب بن عمير رجع إلى مكة و خرج من خرج من الأنصار من المسلمين للقائهم النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و مبايعته فى الموسم مع حجاج قومهم من أهل الشرك، حتى قدموا مكة، فواعدوا رسول الله صلى اللّه عليه و سلّم العقبة من أوسط أيام التشريق، حين أراد الله بهم ما أراد: من كرامته، و النصر لنبيه، و إعزاز الإسلام و أهله، و إذلال الشرك و أهله.

و روى ابن إسحاق و صححه ابن حبان من طريقه عن كعب بن مالك قال: خرجنا حجاجا مع مشركى قومنا، و قد صلينا و فقهنا، و معنا البراء بن معرور سيدنا و كبيرنا، فذكر شأن صلاته إلى الكعبة، قال: فلما وصلنا إلى مكة و لم نكن رأينا رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم قبل ذلك، فسألنا عنه، فقيل: هو مع العباس فى المسجد، فدخلنا فجلسنا إليه، فسأله البراء عن القبلة، ثم خرجنا إلى الحج و واعدناه العقبة، فلما كانت الليلة التى واعدنا رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم لها. و كنا نكتم من معنا من المشركين أمرنا و معنا عبد الله بن عمرو والد

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۱۸۰

جابر. و لم يكن أسلم قبل، فعرفناه أمر الإسلام، فأسلم حينئذ و صار من النقباء، قال:

فنمنا تلك الليلة فى قومنا فى رحالنا، حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم تسلل القطا مستخفين، فاجتمعنا فى الشعب عند العقبة ثلاثة و سبعين رجلا، و معنا امرأتان: أم عمارة بنت كعب إحدى نساء بنى مازن، و أسماء بنت عمر بن عدى إحدى نساء بنى سلمة، قال: فجاء و معه العباس، فتكلم فقال: إن محمدا منا من حيث علمتم، و قد منعناه، و هو فى عز، و قد أبى إلا الانحياز إليكم، فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه و مانعوه ممن خالفه فأنتم و ذاك، و إلا فمن الآن، قال: فقلنا:

قد سمعنا ما قلت، فتكلم يا رسول الله فخذ لنفسك و لربك ما أحببت، فتكلم، فدعا إلى الله، و قرأ القرآن، و رغب فى الإسلام، ثم قال: أبايعكم على أن تمنعونى مما تمنعون منه نساءكم و أبناءكم، قال: فأخذ البراء بن معرور بيده، فقال: نعم و الذى بعثك بالحق لنمنعنك مما نمنع منه أزرنا، فبايعنا يا رسول الله فنحن و الله أصحاب الحروب و أهل الحلقة ورثناها كابرا عن كابر، فاعترض القول و البراء يكلم رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم أبو الهيثم بن التيهان فقال: يا رسول الله، إن بيننا و بين الرجال- يعنى اليهود- حبالا و نحن قاطعوها، فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك و تدعنا، قال: فتبسم النبى صلّى اللّه عليه و سلّم ثم قال: بل الدم الدم و الهدم الهدم، أنا منكم و أنتم منى، أحارب من حاربتم و أسالم من سالمتم، و قال رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم: أخرجوا إلى منكم اثنى عشر نقيبا يكونون على قومهم بما فيهم، فأخرجوا منهم اثنى عشر نقيبا، تسعة من الخزرج، و ثلاثة من الأوس: فمن الخزرج أسعد بن زرارة نقيب بنى النجار، و سعد بن الربيع و عبد الله بن رواحة نقيبا بنى الحارث بن الخزرج و رافع بن مالك بن العجلان نقيب بنى زريق، و البراء بن معرور و عبد الله بن عمرو بن حرام نقيبا بنى سلمة، و عبادة بن الصامت نقيب القبائل و فى الطبرانى أنه نقيب بنى عدى من الخزرج، فكأنه نقيب الجميع، و سعد بن عبادة، و المنذر بن عمرو نقيبا بنى ساعدة- و من الأوس أسيد بن حضير نقيب بنى عبد الأشهل، و سعد بن خيثمة و رفاعة بن عبد المنذر نقيبا بنى عمرو بن عوف.

قال ابن إسحاق: و أهل العلم يعدون فيهم أبا الهيثم بن التيهان، و لا يعدون رفاعة.

قلت: فيكون أبو الهيثم نقيبا ثانيا لبنى عبد الأشهل فإنه منهم، و قد صرحوا به.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۱۸۱

و جعل صلّى اللّه عليه و سلّم النقباء على عدة الأسباط، و روى أنه نقب على النقباء أسعد بن زرارة، فتوفى بعد و المسجد النبوى يا بنى، قيل: فاجتمعت بنو النجار إلى رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم و سألوه أن يجعل منهم شخصا بدله نقيبا عليهم، فقال لهم: أنتم أخوالى، و أنا فيكم، و أنا نقيبكم، و كره صلّى اللّه عليه و سلّم أن يخص بها بعضهم دون بعض، فكان ذلك من فضل بنى النجار الذى يعدون.

قال ابن إسحاق: و حدثنى عبد الله بن أبى بكر بن حزم أن رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم قال للنقباء: أنتم كفلاء على قومكم كفالة الحواريين لعيسى بن مريم، قالوا: نعم.

و حدث عاصم بن عمر بن قتادة أن القوم لما اجتمعوا للبيعة قال العباس بن عبادة بن نضلة أخو بنى سالم بن عوف: يا معشر الخزرج،

هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل؟

قالوا: نعم، قال: إنكم تبايعونه على حرب الأحمر و الأسود من الناس، فإن كنتم ترون أنكم إذا نهكت أموالكم مصيبة و أشرافكم قتلا أسلمتموه فمن الآن، فهو و الله إن فعلتم خزى الدنيا و الآخرة. و إن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه على ما ذكرت لكم فهو و الله خير الدنيا و الآخرة، قالوا: فإنا نأخذه على ما قلت، فما لنا بذلك يا رسول الله إن نحن وفينا؟ قال: الجنة، قالوا: ابسط يدك، فبسط يده فبايعوه.

قال عاصم: ما قال ذلك العباس إلا ليشد العقد فى أعناقهم، و قال غيره: أراد التأخير تلك الليلة رجاء أن يحضر عبد الله بن أبى بن سلول فيكون أقوى للأمر.

أول من بايع

قال ابن إسحاق: فبنو النجار يزعمون أن أبا أمامة أسعد بن زرارة كان أول من ضرب على يده، و بنو عبد الأشهل يقولون: بل أبو الهيثم بن التيهان، و فى حديث كعب المتقدم أنه البراء ابن معرور، ثم بايع القوم.

و فى المستدرك عن ابن عباس: كان البراء بن معرور أول من بايع رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم بيعة العقبة، و عند أحمد عن جابر و عند الحاكم فى الإكليل عن كعب بن مالك: قال عبد الله بن رواحة: يا رسول الله اشترط لربك و لنفسك ما شئت، فقال: أشترط لربى أن تعبدوه و لا تشركوا به شيئا، و أشترط لنفسى أن تمنعونى مما تمنعون منه أنفسكم، قالوا: فما لنا إذا فعلنا ذلك؟ قال: الجنة، قالوا: ربح البيع، لا نقيل و لا نستقيل، فنزل إِنَّ اللَّهَ اشْتَرى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَ أَمْوالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ [التوبة: ۱۱۱] الآية.

و فى حديث كعب المتقدم بعد ذكر صراخ الشيطان أن العباس بن نضلة قال للنبى

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۱، ص: ۱۸۲

صلّى اللّه عليه و سلّم: و الذى بعثك بالحق إن شئت لنميلن على أهل منى غدا بأسيافنا، فقال صلّى اللّه عليه و سلّم: لم أومر بذلك، و لكن ارجعوا إلى رحالكم، فرجعنا إلى مضاجعنا فنمنا عليها، فلما أصبحنا غدت علينا جلة قريش حتى جاءونا فى منازلنا فقالوا: يا معشر الخزرج، إنه بلغنا أنكم جئتم إلى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا و تبايعونه على حربنا، و إنه و الله ما من حى من العرب أبغض إلينا أن تشب الحرب بيننا و بينهم منكم، فانبعث من هناك من مشركى قومنا يحلفون بالله ما كان من هذا شىء، و ما علمناه، و لقد صدقوا لم يعلموه.

و فى حديث غير كعب أنهم أتوا عبد الله بن أبى، فقال لهم: إن هذا الأمر جسيم، ما كان قومى ليتفوتوا على بمثل هذا، و ما علمته كان، و روى أن مشركى الأنصار الذين حجوا فى ذلك العام كانوا خمسمائة نفر، و أن أهل العقبة كانوا سبعين نفرا.

عدة أهل البيعة

و فى لفظ عن ابن إسحاق: من الأوس أحد عشر رجلا- و من القبائل أربعة نفر حلفاء الخزرج، و كان من بنى الحارث بن الخزرج اثنان و ستون رجلا، فكأنه أدخل فى الخزرج حلفاءهم الأربعة، و إلا فتزيد العدة على ثلاثة و سبعين أربعة.

و روى رزين أن أهل العقبة كانوا سبعين رجلا و امرأتان؛ فإنه روى حديث العقبة هذه عن عبادة بن الصامت بنحو حديث كعب المتقدم، فقال: قال عبادة بن الصامت: فلما كان العام المقبل أتينا رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم و نحن سبعون رجلا و امرأتان من قومنا، فواعدنا رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم عند مسجد شعب العقبة، عن يسارك و أنت ذاهب إلى منى، فلما توافينا عنده جاء رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم و معه عمه العباس، و قال: يا معشر الخزرج، و هذا الاسم يغلب على الأوس و الخزرج جميعا إذ ذاك،

إن محمدا منا حيث علمتم، و قد منعناه كما بلغكم، فإن كنتم تعلمون أنكم تقدرون على منعه، و إلا فذروه فهو مع قومه فى عز و منعة، فقام البراء بن معرور فقال: قد سمعنا ما قلت، و إنا ما ضربنا إليه أكباد الإبل إلا و قد علمنا أنه نبى، فبايعنا يا رسول الله، و اشترط لنفسك و لربك ما شئت، فحمد الله رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم و دعا إلى الله، و رغّب فى الإسلام، ثم قال: أبايعكم على أن تمنعونى مما تمنعون منه نساءكم، فأخذ البراء بيده، و قال: نعم و الذى بعثك بالحق نبيا لنمنعك مما نمنع منه أزرنا، و نحن أهل الحلقة و الحصون و الحروب، فقام أبو الهيثم بن التيهان فقال: يا رسول الله إن بيننا و بين الرجال حبالا، و نحن قاطعوها، فهل عسيت إن نصرك الله أن ترجع إلى قومك و تدعنا، فقال رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم: بل الدم الدم و الهدم الهدم، المحيا محياكم، و الممات مماتكم، و أحارب من حاربكم، و أسالم من سالمكم، أخرجوا إلى منكم اثنى عشر نقيبا يكونوا نقباء على الناس، فأخرجوا تسعة من الخزرج و ثلاثة من

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۱۸۳

الأوس، فبينما هم فى ذلك إذ صرخ الشيطان يقول: يا أهل الجباجب، و هى المنازل، هل لكم فى الصباة قد اجتمعوا على حربكم، فقال رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم هذا أزب العقبة لأفرغن لك أى عدو الله، ارجعوا إلى رحالكم، نصركم الله، فقال له العباس بن عبادة بن نضلة:

و الذى بعثك بالحق نبيا لئن شئت لنميلن بأسيافنا غدا على منى، فقال له: لم أومر بذلك، ثم ذكر قصة كلام قريش فى ذلك و حلف مشركى قومهم لهم عن ذلك، قال: ثم إنهم قالوا لرسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم: أ تخرج معنا؟ قال: ما أمرت به.

قال رزين: و قد قيل إنه وقع بين قريش و الأنصار كلام فى سبب خروج النبى صلّى اللّه عليه و سلّم معهم، ثم ألقى الرعب فى قلوب قريش فقالوا: ليس يخرج معكم إلا فى بعض أشهر السنة، و لا يتحدث العرب بأنكم غلبتمونا، فقالت الأنصار: الأمر فى ذلك لرسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم و نحن سامعون لأمره، فأنزل الله على رسوله وَ إِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ [الأنفال: ۶۲] أى: إن كان كفار قريش يريدون المكر بك فسيمكر الله بهم، فانصرفت الأنصار إلى المدينة.

و قيل: إن قريشا بدا لهم فخرجوا فى آثارهم، فأدركوا منهم رجلين كانا تخلفا فى أمر، فردوهما إلى مكة: المنذر، و عباس بن عبادة، فأدركهما جبير بن مطعم و الحارث بن أمية، فخلصاهما و لحقا أصحابهما.

قلت: و الذى ذكره غيره أن الرجلين هما المنذر و سعد بن عبادة، فأما المنذر فأعجز القوم و نجا، و أما سعد فأخذوه فربطوا يديه إلى عنقه بنسع رحله، ثم أقبلوا به حتى أدخلوه مكة يضربونه و يجذبونه بجمته، و كان ذا شعر كثير، ثم خلصه منهم جبير بن مطعم و الحارث بن أمية؛ لأنه كان يجير لهما تجارهما و يمنعهم أن يظلموا ببلده.

إسلام عمرو بن الجموح

و ذكر رزين عقب ما تقدم عنه إسلام عمرو بن الجموح كما ذكره أهل السير عقب ذلك أيضا، و كان عمرو شيخا كبيرا من سادات بنى سلمة، و شهد معاذ ابنه العقبة، و كان لعمرو فى داره صنم من خشب يعبده يدعى مناة، فكان معاذ ابنه و معاذ بن جبل و فتيان بنى سلمة يدلجون بالليل على صنم عمرو فيطرحونه فى بعض حفر بنى سلمة و فيها عذر الناس منكسا على رأسه، فإذا أصبح قال عمرو: من عدا على إلهنا هذه الليلة؟ ثم يغدو يلتمسه، حتى إذ وجده غسله و طيبه ثم يقول: و الله لو أعلم من فعل هذا بك لأخزيته، فتكرر ذلك، فطهره يوما و طيبه ثم جاء بسيفه فعلقه عليه ثم قال: إنى و الله لا أعلم من يصنع بك

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۱۸۴

ما ترى، فإن كان فيك خير فامتنع فهذا السيف معك، فلما نام أخذوا السيف و قرنوا كلبا ميتا بالصنم بحبل ثم ألقوه فى بئر من آبار بنى سلمة فيها عذر، فلم يجده عمرو فى مكانه، فخرج حتى وجده كذلك، فلما أبصر ما به و كلمه من أسلم من قومه فأسلم و حسن

إسلامه، و قال فى ذلك:

و الله لو كنت إلها لم تكن أنت و كلب وسط بئر فى قرن

أفّ لملقاك إلها مستدن الآن فتّشناك عن سوء الغبن

الحمد لله العلى ذى المنن الواهب الرزاق ديّان الدين

هو الذى أنقذنى من قبل أن أكون فى ظلمة قبر مرتهن

الفصل التاسع فى هجرة النبى صلّى اللّه عليه و سلّم إليها

رؤيا النبى صلّى اللّه عليه و سلّم دار هجرته

روينا فى الصحيحين حديث «رأيت أنى أهاجر من مكة إلى أرض بها نخل، فذهب و هلى إلى اليمامة أو هجر، فإذا هى المدينة يثرب» و وقع للبيهقى من حديث صهيب «أريت دار هجرتكم سبخة بين ظهرانى حرّتين، فإما أن يكون هجر أو يثرب» و لم يذكر اليمامة، و للترمذى من حديث جرير «أوحى إلى: أى هؤلاء الثلاثة نزلت فهى دار هجرتك، المدينة أو البحرين أو قنسرين» و استغربه، و فيه نظر؛ لمخالفته لما فى الصحيح من ذكر اليمامة، و أما هجر فيصح التعبير بها عنها لكونها من بلاد البحرين، و أما قنسرين فهى من أرض الشام، و يحتمل أن يكون أرى ما فى الصحيح و أوحى إليه بالتخيير قبل أو بعد، فاختار المدينة.

و قال ابن التين: أرى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم أولا- دار هجرته بصفة تجمع المدينة و غيرها، ثم أرى الصفة المختصة بالمدينة فتعينت.

إذن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم لأصحابه فى الهجرة

ثم أذن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم لأصحابه فى الهجرة إلى المدينة، و أقام بمكة ينتظر أن يؤذن له فى الخروج، فتوجه بين العقبتين جماعة منهم ابن أم مكتوم، و يقال: إن أول من هاجر إلى المدينة أبو سلمة عبد الأسد المخزومى زوج أم سلمة، و ذلك أنه أوذى لما رجع من الحبشة، فعزم على الرجوع إليهما، ثم بلغة قصة الاثنى عشر من الأنصار فتوجه إلى المدينة، فقدمها بكرة، و قدم بعده عامر بن ربيعة عشية، ثم توجه مصعب بن عمير ليفقه من أسلم من الأنصار كما تقدم، ثم توالى خروجهم بعد العقبة الأخيرة، فخرجوا أرسالا:

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۱۸۵

منهم عمر بن الخطاب، و أخوه زيد، و طلحة بن عبيد الله، و صهيب، و حمزة بن عبد المطلب، و زيد بن حارثة، و عبيدة بن الحارث، و عبد الرحمن بن عوف، و الزبير، و عثمان بن عفان، و غيرهم، حتى لم يبق معه صلّى اللّه عليه و سلّم بمكة إلا على بن أبى طالب و الصديق رضى الله عنهما، كذا قاله ابن إسحاق و غيره، و الظاهر أن المراد لم يبق من أعيانهم؛ لما روى من أن من كان بمكة ممن يطيق الخروج من المسلمين خرجوا بعد خروجه صلّى اللّه عليه و سلّم من مكة، فطلبهم أبو سفيان و غيره من المشركين، فردوهم و سجنوهم، فافتتن منهم ناس؛ ففى هذا دلالة على بقاء جماعة غير الصديق و على رضى الله عنهما مع النبى صلّى اللّه عليه و سلّم حينئذ، فلما رأت قريش ذلك علموا أن أصحابه قد أصابوا منعة، و نزلوا دارا، فحذروا خروج رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم إليهم، فاجتمعوا بدار الندوة ليأتمروا فى أمر رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم و فيهم أبو جهل، و زعم ابن دريد فى الوشاح أنهم كانوا أنهم كانوا خمسة عشر رجلا، و فى المولد لابن دحية كانوا مائة رجل، و جاءهم إبليس فى صورة شيخ نجدى فقال: أدخلونى معكم، فلن تعدموا منى رأيا، فأدخلوه، فقال بعضهم: نخرجه من بين أظهرنا، و قال آخرون: بل نحبسه و لا يطعم حتى يموت، فقال أبو جهل: قد رأيت أصلح من رأيكم: أن يعطى خمس رجال من خمس قبائل سيفا سيفا فيضربونه ضربة رجل، فيتفرق دمه فى هذه البطون، فلا يقدر لكم بنو

هاشم على شىء، فقال النجدى: لا أرى غير هذا، فأخبر جبريل النبى صلّى اللّه عليه و سلّم فأنزل الله على نبيه: وَ إِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَ يَمْكُرُونَ وَ يَمْكُرُ اللَّهُ وَ اللَّهُ خَيْرُ الْماكِرِينَ [الأنفال: ۳۰] فقال النبى صلّى اللّه عليه و سلّم لعلى: نم على فراشى و تسجّ ببردى فلن يخلص إليك منهم أمر، فترد هذه الودائع إلى أهلها، لأن كفار قريش كانت تودع عنده لأمانته، و كان اسمه عندهم الأمين الصادق، و أتى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم أبا بكر الصديق فأعلمه، و قال: قد أذن لى، فقال: الصحبة يا رسول الله، و كان إنما حبس نفسه عليه لما ثبت فى الصحيح أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم لما ذكر لأصحابه رؤياه المتقدمة هاجر من هاجر منهم قبل المدينة و رجع عامة من كان هاجر بأرض الحبشة إلى المدينة، و تجهز أبو بكر قبل المدينة، فقال له النبى صلّى اللّه عليه و سلّم: على رسلك فإنى أرجو أن يؤذن لى، فقال له:

و هل ترجو ذلك بأبى أنت و أمى؟ قال: نعم، فحبس نفسه على رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم ليصحبه، و كان عمر قد تقدم إلى المدينة، و علف أبو بكر راحلتين كانت عنده الخبط أربعة أشهر، فعرض على النبى صلّى اللّه عليه و سلّم إحداهما، فقال: بالثمن، و فى رواية ابن إسحاق قال: لا أركب بعيرا ليس هو لى، فقال: فهو لك، قال: لا و لكن بالثمن الذى ابتعتها به، قال: أخذتها

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۱۸۶

بكذا و كذا، قال: قد أخذتها بذلك، قال: هى لك، و الحكمة فيه- كما أفاده بعضهم- أنه صلّى اللّه عليه و سلّم أحب ألّا تكون هجرته إلا من مال نفسه، و ذكر ابن إسحاق أن الناقة التى أخذها هى الجدعاء، و أنها كانت من إبل بنى الحريش، و كذا فى رواية أخرجها ابن حبان، و أنها الجدعاء، و أفاد الواقدى أن الثمن كان ثمان مائة درهم، و أن المأخوذة هى القصوى، و أنها كانت من نعم بنى قشير، و أنها عاشت حتى ماتت فى خلافة الصديق، و كانت مرسلة ترعى فى النقيع، و فى طبقات ابن سعد أن ثمنها ثمان مائة درهم، اشتراها أبو بكر من نعم بنى قشير، و أخذ النبى صلّى اللّه عليه و سلّم منه القصوى بثمنها، و سيأتى من رواية يحيى الحسينى أيضا أنها القصوى، و جاء عن ابن عباس أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم أذن له فى الهجرة إلى المدينة بقوله تعالى:

وَ قُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَ أَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَ اجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطاناً نَصِيراً [الإسراء:

۸۰] أخرجه الترمذى و صححه هو و الحاكم، فذهب أبو بكر إلى عبد الله بن أريقط قاله ابن عقبة. و فى تهذيب ابن هشام «عبد الله بن أرقد» و فى رواية الأموى عن ابن إسحاق «ابن أريقد» و فى الغنية عن مالك اسمه «رقيط من بنى الديل من كنانة» فاستأجره، و كان هاديا خرّيتا: أى ماهرا بالهداية، و كان على دين الكفار. قال النووى: لا نعلم له إسلاما، فأمره أن يأتيهما بعد ثلاث فى غار ثور، ثم انصرف رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم إلى منزله، فجاءه على رضى الله عنه، و اجتمعت قريش على باب الدار ليقتلوه بزعمهم، فقال لهم أبو جهل: لا تقتلوه حتى يجتمعوا، يعنى الخمسة من القبائل الخمس، و جعل يقول لهم: هذا محمد كان يزعم لكم أنكم إن تابعتموه كنتم ملوك العرب و العجم، و يكون لكم فى الآخرة جنات تأكلون منها، و إن لم تتابعوه يكون له فيكم ذبح فى الدنيا، و يوم القيامة نار تحرقون فيها، فقال رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم: نعم و الله كذا أقول، و كذا يكون، و أنت أحدهم، ثم أخذ حفنة من تراب فرماها فى وجوههم، فأخذ على أبصارهم و لم على أصمختهم فجعل على رأس كل رجل منهم ترابا و هو يقرأ أول سورة يس يستتر بها منهم إلى «فهم لا يبصرون» و تلا: وَ إِذا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنا بَيْنَكَ وَ بَيْنَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجاباً مَسْتُوراً [الإسراء: ۴۵] ثم أتى منزل أبى بكر، فخرجا من خوخة كانت له، و أتيا غار ثور، و أقام المشركون ساعة، فجعلوا يتحدثون، فجاءهم رجل كان إذ ذاك بعيدا منهم فقال لهم: و ما تنتظرون؟

فقالوا: أن نصبح فنقتل محمدا، قال: قبحكم الله و خيبكم، أو ليس قد خرج عليكم و جعل على رءوسكم التراب، قال أبو جهل: أو ليس هو ذاك مسجى ببرده؟ الآن كلمنا، فلما أصبحوا قام على من الفراش، فقال أبو جهل: صدقنا ذلك المخبر، فاجتمعت قريش،

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۱۸۷

و أخذت الطرق، و جعلت الجعائل لمن جاء به، فانصرفت أعينهم و لم يجدوا شيئا، فجاء الديلى بعد ثلاث بالراحلتين، و لا ينافى هذا

ما وقع فی روایـة هشام بن عروة عند ابن حبان حیث قال: فرکبا حتی أتیا الغار فتواریا؛ لاحتمال أنهما رکبا غیر هاتین الراحلتین، أو هما ثم ذهب بهما عامر بن فهیرة إلی الدیلی.

و ذکر موسـی بن عقبة عن ابن شـهاب فی الحدیث المتقدم أن علیا رقد علی فراش رسول الله صلّی اللّه علیه و سلّم یوری عنه، و باتت قریش تحلف و تأتمر، أیهم یهجم علی صاحب الفراش فیوثقه، حتی أصبحوا فإذا بعلی، فسألوه فقال: لا علم لی، فعلموا أنه فر منهم.

و روی أحمـد بإسـناد حسن عن ابن عبـاس فی قوله تعـالی: وَ إِذْ یَمْکُرُ بِکَ الَّذِینَ کَفَرُوا الآیـة فـذکر تشاور قریش ثم قال: فبات علی علی فراشه صلّی اللّه علیه و سلّم و خرج هو حتی لحق بالغار، و بات المشرکون یحرسون علیا یحسبونه رسول الله صلّی اللّه علیه و سلّم یعنی ینتظرونه حتی یقوم فیفعلون به ما اتفقوا علیه، فلما أصبحوا و رأوا علیا رد الله مکرهم فقالوا: أین صاحبک هذا؟ قال:

لاـ أدری، فـاقتصّوا أثره، فلمـا بلغوا الجبـل اختلط علیهم، فصـعدوا الجبل، فمروا بالغار، فرأوا علی بابه نسـج العنکبوت، فقالوا: لو دخل هاهنـا لم یکن نسـج العنکبوت علی بـابه، فمکث فیه ثلاث لیال، و ذکر نحوه موسـی بن عقبـة عن الزهری، و کله مقتض لأن الخروج إلی الغار کان فی بقیة تلک اللیلة، و کان ذلک بعد العقبة شـهرین و لیال، و قال الحاکم: بثلاثة أشـهر أو قریبا منهم، و یرجح الأول ما جزم به ابن إسـحاق من أنه خرج أول یوم من ربیع الأول؛ فیکون بعد العقبة بشـهرین و بضـعة عشـر یوما، و کذا جزم به الأموی، فقال: خرج لهلاـل ربیع الأـول، و قـدم المدینـة لاـثنی عشـر خلت منه، و علی هـذا کـان خروجه یوم الخمیس، و هو الـذی ذکره محمـد بن موسـی، لکن قـال الحـاکم: تواترت الأخبـار بـأن الخروج کـان یوم الإـثنین، و جمع الحافظ ابن حجر بـأن خروجه من مکـة کـان یوم الخمیس: أی فی أثناء لیلته لما قـدمناه، و خروجه من الغار- یعنی غار ثور- لیلة الإثنین؛ لأنه أقام فیه ثلاث لیال، و من روی لیلتین لعله لم یحسب أول لیلـة، و أمـا حـدیث الحاکم «لبثت مع صاحبی» یعنی: أبا بکر «فی الغار بضـعة عشـر یوما، ما لنا طعام إلا ثمر البریر» أی الأراک، فقال الحاکم: معناه مکثنا مختفین من الکفار فی الغار و فی الطریق بضـعة عشـر یوما، و قال الحافظ ابن حجر: الذی یظهر أنها قصة أخری، لما فی الصحیح من أن عامر بن فهیرة کان یروح علیهما فی الغار باللبن، و کذا قصة نزولهما بخیمة أم معبد، و غیر ذلک، و کان مدة مقامه صلّی اللّه علیه و سلّم بمکة بعد النبوة بضع عشر سنة. و قال عروة:

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفی، ج۱، ص: ۱۸۸

عشـرا، و قال ابن عباس: خمس عشـر سـنة، و فی روایـة عنه: ثلاث عشـرة، و لم یعلم بخروجه إلا علی و آل أبی بکر، و کان من قصـة نسج العنکبوت و غیره من أمر الغار ما کان، و انطلق رسول الله صلّی اللّه علیه و سلّم و أبو بکر، و معهما عامر بن فهیرة یخدمهما یردفه أبو بکر و یعقبه، و الدلیل، فأخذ بهم فی أسـفل مکة حتی أتی بهما طریق السواحل أسفل من عسفان، ثم عارض الطریق علی أمج، ثم نزل من قدیـد خیام أم معبـد الخزاعیـة من بنی کعب، و بقیـة المنازل إلی قباء ذکرها ابن زبالـة، و قد أوضـحناه فی الأصل، و اتفق فی مسیرهم قصة سراقة عارضهم یوم الثلاثاء بقدید علی ما ذکره ابن سعد و غیرها من القصص المشتملة علی الآیات البینات.

قال رزین: و أقامت قریش أیاما لا یدرون أین أخذ محمد صلّی اللّه علیه و سلّم فسمعوا صوتا علی أبی قبیس و هو یقول:

فإن یسلم السّعدان یصبح محمد من الأمن لا یخشی خلاف المخالف

فقالت قریش: لو علمنا من السعدان، فقال:

أیا سعد سعد الأوس کن أنت مانعا و یا سعد سعد الخزرجین الغطارف

أجیبا إلی داعی الهدی و تبوّءا من الله فی الفردوس زلفة عارف

فعلموا إذ ذاک أنه أخذ طریق المدینة.

قلت: و الأقرب ما تقدم من إنشاد هذه الأبیات قبل ذلک؛ لأن السعدین کانا قد أسلما قبل، ثم سمعوا قائلا بأسفل مکة لا یری یقول:

جزی الله ربّ الناس خیر جزائه رفیقین قالا: خیمتی أم معبد

قصة أم معبد

قلت: و روى هذا مع الأبيات الآتية مما سمع حينئذ، و قيل: سمعوا هاتفا على أبى قبيس يقول:

جزى الله خيرا و الجزاء بكفه رفيقين قالا خيمتى أمّ معبد

هما رحلا بالحقّ و انتزلا به فقد فاز من أمسى رفيق محمد

فما حملت من ناقة فوق رحلها أبرّ و أوفى ذمة من محمد

و أكسى لبرد الخال قبل ابتذله و أعطى لرأس السانح المتجدد

ليهن بنى كعب مكان فتاتهم و مقعدها للمؤمنين بمرصد

و كان رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم قد مرّ بأم معبد، فاستسقاها لبنا، فقالت: ما عندنا من لبن،

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۱۸۹

و نحن فى سنة، فنظر إلى شاة قد نحلت عجفاء من الهزال، فقال: قرّبى لى هذه الشاة، فقربتها، فمسح ضرعها بيده المباركة و سمّى و دعا، ثم قال: هات قدحا، فجاءت بقدح، فحلب فيه حتى امتلأ، فأمر أبا بكر أن يشرب، فقال: بل أنت فاشرب يا رسول الله، قال: ساقى القوم آخرهم شربا، فشرب أبو بكر، ثم حلب فشرب رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم ثم حلب فشربت أم معبد، ثم حلب فقال: ارفعى هذا لأبى معبد إذا جاءك، ثم ركبوا و ساروا، فلما أتى أبو معبد أخبرته بما رأت، و سقته اللبن، فعلم أنه رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم فركب راحلته و خرج فى أثره يطلب أن يسلم، فقيل: إنه قال فى طريقه:

جزى الله ربّ الناس خير جزائه رفيقين قالا خيمتى أم معبد

هما نزلاها بالهدى فاهتدت به فقد فاز من أمسى رفيق محمد

فيا لقصىّ ما زوى الله عنكم به من فعال لا تجارى و سودد

ليهن بنى كعب مكان فتاتهم و مقعدها للمؤمنين بمرصد

سلوا أختكم عن شاتها و إنائها فإنكم إن تسألوا الشّاة تشهد

دعاها بشاة حائل فتحلّبت له بصريح ضرة الشاة مزبد

فغادرها رهنا لديها لحالب يرددها فى مصدر ثم مورد

و قال الشرقى: بلغنى أن أبا معبد أدركهما ببطن ريم، فبايع رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم و انصرف.

قلت: و ذكر غير رزين هذه الأبيات كلها فيما سمع بأسفل مكة من القائل الذى لا يدرون، فلما سمع حسان بن ثابت شاعر رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم بذلك جعل يجاوب الهاتف و يقول:

لقد خاب قوم زال عنهم نبيهم و قدّس من يسرى إليهم و يغتدى

ترحّل عن قوم فضلت عقولهم و حلّ على قوم بنور مجدّد

هداهم به بعد الضلالة ربّهم و أرشدهم؛ من يتبع الحق يرشد

و هل يستوى ضلّال قوم تسكعوا عمى و هداة يهتدون بمهتد

لقد نزلت منه على أهل يثرب ركاب هدى رحّلت عليهم بأسعد

نبى يرى ما لا يرى الناس حوله و يتلو كتاب الله فى كل مسجد

و إن قال فى يوم مقالة غائب فتصديقها فى اليوم أو فى ضحى غد

ليهن أبا بكر سعادة جدّه بصحبته؛ من يسعد الله يسعد

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۱، ص: ۱۹۰

خروج أبى بريدة لاستقبال الرسول صلّى اللّه عليه و سلّم

قال أبو سليمان الخطابى: لما شارف النبى صلّى اللّه عليه و سلّم المدينة لقيه بريدة الأسلمى فى سبعين من قومه بنى أسلم، فقال: من أنت؟ قال: بريدة فقال لأبى بكر: برد أمرنا و صلح، ثم قال: ممن؟ قال: من أسلم، قال: سلمنا، ثم قال: ممن؟ قال: من بنى سهم، قال: خرج سهمنا.

و قد روى ابن الجوزى فى شرف المصطفى من طريق البيهقى موصولا إلى بريدة قال: كان النبى صلّى اللّه عليه و سلّم لا يتطير، و كان يتفاءل، و كانت قريش جعلت مائة من الإبل لمن يأخذ نبى الله صلّى اللّه عليه و سلّم فيرده إليهم حين توجه إلى المدينة، فركب بريدة فى سبعين راكبا من أهل بيته من بنى سهم، فلقى نبى الله صلّى اللّه عليه و سلّم فقال نبى الله صلّى اللّه عليه و سلّم: من أنت؟ قال: أنا بريدة، فالتفت النبى صلّى اللّه عليه و سلّم إلى أبى بكر الصديق رضى الله عنه فقال: يا أبا بكر، برد أمرنا و صلح، ثم قال صلّى اللّه عليه و سلّم: ممن أنت؟ قال: من أسلم، فقال رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم لأبى بكر: سلمنا، ثم قال: ممن؟

قال: من بنى سهم، قال: خرج سهمك، فقال بريدة للنبى صلّى اللّه عليه و سلّم: من أنت؟ قال: أنا محمد بن عبد الله رسول الله، فقال بريدة: أشهد أن لا إله إلا الله، و أشهد أن محمدا عبده و رسوله، فأسلم بريدة و أسلم من كان معه جميعا، فلما أصبح قال بريدة للنبى صلّى اللّه عليه و سلّم:

لا تدخل المدينة إلا و معك لواء، فحل عمامته ثم شدّها فى رمح ثم مشى بين يديه صلّى اللّه عليه و سلّم فقال: يا رسول الله تنزل على من؟ فقال النبى صلّى اللّه عليه و سلّم: إن ناقتى هذه مأمورة، قال بريدة:

الحمد لله الذى أسلمت بنو سهم طائعين.

و فى الصحيح أن رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم لقى الزبير فى ركب من المسلمين كانوا تجارا قافلين من الشام، فكسا الزبير رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم و أبا بكر ثياب بياض.

و روى أن طلحة كان قدم من الشام و معه ثياب أهداها لأبى بكر من ثياب الشام، فلما لقيه أعطاه، فلبس منها النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و أبو بكر.

قال الحافظ ابن حجر: فيحتمل: أن كلا من طلحة و الزبير أهدى لهما، و الذى فى السّير هو طلحة؛ فالأولى الجمع، و عند ابن أبى شيبة ما يؤيده، و إلا فما فى الصحيح أصح.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۱، ص: ۱۹۱

الفصل العاشر فى دخوله صلّى اللّه عليه و سلّم أرض المدينة، و تأسيس مسجد قباء

اشارة

كان المسلمون بالمدينة قد سمعوا بمخرج رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم فكانوا يخرجون كل يوم إلى الحرة أول النهار فينتظرونه، فما يردهم إلا حرّ الشمس، فبعد أن رجعوا يوما أو فى رجل من اليهود على أطم من آطامهم لأمر ينظر إليه، فبصر برسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم و أصحابه مبيضين، فلم يملك اليهودى أن قال بأعلى صوته: يا بنى قيلة- يعنى الأنصار- و فى رواية: يا معشر العرب، هذا جدكم، يعنى حظكم- و فى رواية: صاحبكم الذى تنتظرونه- فثار المسلمون إلى السلاح، فتلقّوا رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم بظهر الحرة، فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم فى بنى عمرو بن عوف بقباء على كلثوم بن الهدم، قيل: و كان يومئذ مشركا، و به جزم

ابن زبالة، و قال رزين: نزل فى ظل نخلة، ثم انتقل منها إلى دار كلثوم أخى بنى عمرو بن عوف، و فى «أخبار المدينة» ليحيى الحسينى جد أمراء المدينة اليوم فى النسخة التى رواها ابنه طاهر بن يحيى عنه من طريق محمد بن معاذ، قال: حدثنا مجمّع بن يعقوب عن أبيه و عن سعيد بن عبد الرحمن بن رقيش عن عبد الرحمن بن يزيد بن حارثة قالا: صلى رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم بظهر حرّتنا، ثم ركب فأناخ إلى عذق عند بئر غرس قبل أن تبزغ الشمس و ما يعرف رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم من أبى بكر، عليهما ثياب متشابهة، فجعل الناس يقفون عليهم حتى بزغت الشمس من ناحية أطمهم الذى يقال له «شنيف» فأمهل أبو بكر ساعة حتى خيل إليه أنه يؤذى رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم بحر الشمس، فقام فستر على رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم بردائه، فعرف القوم رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم فجعلوا يأتون فيسلمون على رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم قلت لمجمّع بن يعقوب: إن الناس يرون أنه جاء بعد ما ارتفع النهار و أحرقتهم الشمس، قال مجمع: هكذا أخبرنى أبى و سعيد بن عبد الرحمن عن عبد الرحمن بن يزيد قال: ما بزغت الشمس إلا و هو جالس فى منزله صلّى اللّه عليه و سلّم.

قلت: و لم أر هذا الخبر فى النسخة التى رواها ولد ابن يحيى عن جده، و قوله «عند بئر غرس» الظاهر أنه تصحيف، و لعله «بئر عذق» لبعد بئر غرس من منزله صلّى اللّه عليه و سلّم بقباء، بخلاف بئر عذق، و إلا فهو قادح فيما يعرفه الناس اليوم من أن بئر غرس هى هى المعروفة بمحلها الآتى بيانه.

و فى كتاب يحيى أيضا عن محمد بن إسماعيل بن مجمّع قال: لما نزل رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم على كلثوم بن الهدم هو و أبو بكر و عامر بن فهيرة قال: يا نجيح، لمولى له، فقال رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم و التفت إلى أبى بكر: أنجحت، أو أنجحنا، فقال: أطعمنا رطبا، قال:

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۱، ص: ۱۹۲

فأتوا بقنو من أم جرذان فيه رطب منصف و فيه زهو، فقال صلّى اللّه عليه و سلّم: ما هذا؟ قال: عذق أم جرذان، فقال رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم: اللهم بارك فى أم جرذان، و قد أخرجه أبو سعيد فى شرف المصطفى من طريق الحاكم، و قال قوم بمنزله صلّى اللّه عليه و سلّم على سعد بن خيثمة. و قد رواه يحيى أيضا، قال رزين: و الأول أصح اه.

اختلاف العلماء فى تاريخ مقدمة المدينة

و قال الحاكم: إنه الأرجح، قال: و قد قاله ابن شهاب و هو أعرف بذلك من غيره، و قال بعضهم: كان سعد عزبا، فكان صلّى اللّه عليه و سلّم يجلس مع أصحابه فى بيته، فلذلك قيل: إنه نزل عنده، و يشهد له ما نقله ابن الجوزى عن ابن حبيب الهاشمى قال: نزل النبى صلّى اللّه عليه و سلّم على كلثوم، و كان يتحدث فى منزل سعد بن خيثمة، و يسمى «منزل العزاب» و فى الصحيح:

فتلقوا رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم بظهر الحرة، فعدل بهم ذات اليمين حتى ينزل بهم فى بنى عمرو بن عوف، و فى رواية له: علو المدينة و قباء معدودة من العالية، و كأن حكمته التفاؤل له و لدينه بالعلو، و ذلك يوم الإثنين نهارا عند الأكثر، قال الحافظ ابن حجر: و هو المعتمد، و شذ من قال يوم الجمعة. قلت: لعل مراد هذا القائل القدوم الآتى للمدينة نفسها بعد الخروج من قباء، و قيل: ليلة الإثنين؛ لقوله فى مسلم «ليلا» قال الحافظ ابن حجر: و يجمع بأن القدوم كان آخر الليل، فدخل نهارا. قلت: و فيه نظر، و كان ذلك أول ربيع الأول على ما رواه موسى بن عقبة عن ابن شهاب، و قيل: لثمان خلون منه. و فى الإكليل عن الحاكم: تواترت الأخبار بذلك، و فى رواية جرير بن حازم عن ابن إسحاق:

قدمها لليلتين خلتا من شهر ربيع الأول، و نحوه عن أبى معشر، و لكن قال: ليلة الإثنين، و مثله عن ابن البرقى، و ثبت كذلك فى أواخر صحيح مسلم، و فى رواية إبراهيم بن سعد عن ابن إسحاق: لاثنتى عشرة ليلة خلت منه حين اشتد الضحى، و هذا ما جزم به الكلبى فيما نقله عنه الحافظ ابن حجر. و حكاه ابن الجوزى فى شرف المصطفى عن الزهرى فقال: قال الزهرى: قدم رسول الله صلّى اللّه عليه

و سلّم يوم الإثنين لاثنتى عشرة ليلة خلت من ربيع الأول، و به جزم النووى فى السّير من الروضة، و كذا ابن النجار، و نقل المراغى هذا عن النووى و ابن النجار فقط، و تعجب من عدم موافقته لشىء من الأقوال، و كأنه فهم أن مرادهما المدينة نفسها بعد الخروج من قباء، و ليس ذلك مرادهما؛ فإن ابن النجار عبر بقوله: فعدل بهم رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم ذات اليمين حتى نزل بهم فى بنى عمرو بن عوف، و ذلك يوم الإثنين لاثنى عشر من شهر ربيع الأول، و أما النووى و إن عبر بالمدينة فليس مراده

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۱۹۳

سوى ذلك، و العلماء كلهم يطلقون على ذلك قدوم المدينة. و فى شرف المصطفى لابن الجوزى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: ولد رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم يوم الإثنين، و استنبئ يوم الإثنين، و رفع الحجر يوم الإثنين، و خرج مهاجرا من مكة يوم الإثنين، و قدم المدينة يوم الإثنين، و قبض يوم الإثنين. و فى روضة الأقشهرى: قال ابن الكلبى: خرج من الغار ليلة الإثنين أول يوم من ربيع الأول، و قدم المدينة يوم الجمعة لاثنتى عشرة ليلة خلت منه. قال أبو عمر: و هو قول ابن إسحاق إلا فى تسمية اليوم. و عند أبى سعيد فى شرف المصطفى من طريق أبى بكر بن حزم: قدم لثلاث عشرة من ربيع الأول، و هذا الجمع بينه و بين الذى قبله بالحمل على الاختلاف فى رؤية الهلال. و عنده من حديث عمر: ثم نزل على بنى عمرو بن عوف يوم الإثنين لليلتين بقيتا من ربيع الأول، و لعل الرواية خلتا ليوافق ما تقدم. و نقل ابن زبالة عن ابن شهاب أن ذلك كان فى النصف من ربيع الأول، و قيل:

كان قدومه فى سابعه، و جزم ابن حزم بأنه خرج من مكة لثلاث ليال بقين من صفر، و هذا يوافق قول هشام بن الكلبى إنه خرج من الغار ليلة الإثنين أول يوم من ربيع الأول، فإن كان محفوظا فلعل قدومه قباء كان يوم الإثنين ثامن ربيع الأول، و إذا ضم ذلك إلى ما سيأتى عن أنس أنه أقام بقباء أربع عشرة ليلة خرج منه أن دخوله المدينة نفسها كان لاثنين و عشرين منه، لكن الكلبى جزم بأنه دخلها لاثنتى عشرة خلت منه؛ فعلى قوله تكون إقامته بقباء أربع ليال فقط، و به جزم ابن حبان؛ فإنه قال: أقام بها الثلاثاء و الأربعاء و الخميس، يعنى و خرج يوم الجمعة، فلم يعتد بيوم الخروج، و كذا قال موسى بن عقبة: إنه أقام فيهم ثلاث ليال؛ فكأنه لم يعد يوم الدخول و لا الخروج. و عن قوم من بنى عمرو بن عوف أنه أقام فيهم اثنين و عشرين يوما، حكاه ابن زبالة. و فى البخارى من حديث أنس «أقام فيهم أربع عشرة ليلة» و هو المراد فى رواية عائشة بقولها «بضع عشرة ليلة» و قال موسى بن عقبة عن ابن شهاب: أقام فيهم ثلاثا، قال: و روى ابن شهاب عن مجمع بن حارثة أنه أقام اثنتين و عشرين ليلة. و قال ابن إسحاق: أقام فيهم خمسا، و بنو عمرو بن عوف يزعمون أكثر من ذلك. قال الحافظ ابن حجر: أنس ليس من بنى عمرو بن عوف؛ فإنه من الخزرج، و قد جزم بأربع عشرة ليلة، فهو أولى بالقبول، و أمر النبى صلّى اللّه عليه و سلّم بالتاريخ فكتب من حين الهجرة فى ربيع، رواه الحاكم فى الإكليل، و هو معضل، و المشهور أن ذلك كان فى خلافة عمر رضى الله عنه، و أن عمر قال: الهجرة فرقت بين الحق و الباطل، فأرخ بها، و ابتدأ من المحرم بعد إشارة على و عثمان رضى الله عنهما بذلك، و قد ذكرنا ما قيل فى

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۱۹۴

سببه فى الأصل، و أفاد السهيلى أن الصحابة رضى الله عنهم أخذوا التأريخ بالهجرة من قوله تعالى: لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ [التوبة: ۱۰۸].

ابتداء التأريخ من الهجرة

و فى الصحيح أنهم لما قدموا قام أبو بكر للناس: أى يتلقاهم، و جلس رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم فطفق من جاء من الأنصار يحيى أبا بكر، حتى أصابت الشمس رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم فأقبل أبو بكر حتى ظلل عليه بردائه، فعرف الناس رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم. و فى رواية موسى بن عقبة عن ابن شهاب قال: و جلس رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم صامتا، فطفق من جاء من الأنصار ممن لم يكن رآه يحسبه أبا بكر، حتى إذا أصابته الشمس أقبل أبو بكر بشىء أظله به، و فى رواية ابن إسحاق: حتى رأينا أبا بكر

ينحاز له عن الظل، فعرفناه بذلك.

و نزل أبو بكر رضى الله عنه على حبيب بن إساف أحد بنى الحارث بن الخزرج بالسنح، و يقال: على خارجة بن زيد منهم.

و أقام على رضى الله عنه بعد مخرجه صلّى اللّه عليه و سلّم أياما، قال بعضهم: ثلاثة، حتى أدى للناس ودائعهم التى كانت عند النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و خلفه لردها، ثم خرج فلحق رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم بقباء، فنزل على كلثوم بن الهدم، قال فيما رواه رزين: فبينا أنا بائت عند رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم إذا برجل يضرب باب امرأة، فخرجت فأعطاها شيئا و انصرف، ثم فعل ذلك ليلة ثانية أيضا، فذكرت ذلك لها فقالت: هذا سهل بن حنيف يغدو كل ليلة على أصنام قومه فيكسرها ثم يأتى بها لأوقدها حطبا، و قد علم أن ليس لى من الحطب شىء.

و روى يحيى عن عبد العزيز بن عبيد الله بن عثمان بن حنيف قال: لما نزل رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم على بنى عمرو بن عوف، و قد كان بين الأوس و الخزرج ما كان من العداوة، و كانت الخزرج تخاف أن تدخل دار الأوس، و كانت الأوس يخاف أن تدخل دار الخزرج، و كان أسعد بن زرارة قتل نبتل بن الحارث يوم بعاث، فقال رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم: أين أسعد بن زرارة؟ فقال سعد بن خيثمة و مبشر بن عبد المنذر و رفاعة بن عبد المنذر: كان يا رسول الله أصاب منا رجلا يوم بعاث، فلما كانت ليلة الأربعاء جاء أسعد إلى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم متقنّعا بين المغرب و العشاء، فلما رآه رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم قال: يا أبا أمامة، جئت من منزلك إلى هاهنا و بينك و بين القوم ما بينك؟ قال أبو أمامة: لا و الذى بعثك بالحق ما كنت لأسمع بك فى مكان إلا جئت، ثم بات عند رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم حتى أصبح، ثم غدا فقال رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۱۹۵

لسعد بن خيثمة و رفاعة و مبشر ابنى عبد المنذر: أجيروه، قالوا: أنت يا رسول الله فأجره فجوارنا فى جوارك، فقال رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم: يجيره بعضكم، فقال سعد بن خيثمة: هو فى جوارى، ثم ذهب سعد بن خيثمة إلى أسعد بن زرارة فى بيته فجاء بن مخاصرة يده فى يده ظهرا حتى انتهى به إلى بنى عمرو بن عوف، ثم قالت الأوس: يا رسول الله كلنا له جار، فكان أسعد بن زرارة بعد يغدو و يروح إلى رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم انتهى.

و كان لكلثوم بن الهدم بقباء مربد، و المربد: الموضع الذى يبسط فيه التمر ليبس، فأخذه منه رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم فأسسه و بناه مسجدا كما رواه ابن زبالة و غيره.

و فى الصحيح عن عروة: فلبث فى بنى عمرو بن عوف بضع عشرة ليلة، و أسس المسجد الذى أسس على التقوى، و فى رواية عبد الرزاق عنه قال: الذين بنى فيهم المسجد الذى أسس على التقوى هم بنو عمرو بن عوف، و كذا فى حديث ابن عباس عند ابن عائذ، و لفظه: و مكث فى بنى عمرو بن عوف ثلاث ليال، و اتخذ مكانه مسجدا فكان يصلى فيه، ثم بناه بنو عمرو بن عوف؛ فهو الذى أسس على التقوى.

و روى يونس بن بكير فى زيادات المغازى عن المسعودى عن الحكم بن عتيبة قال:

لما قدم النبى صلّى اللّه عليه و سلّم فنزل بقباء قال عمار بن ياسر: ما لرسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم بد من أن يجعل له مكانا يستظل به إذا استيقظ و يصلى فيه، فجمع حجارة فبنى مسجد قباء، فهو أول مسجد بنى، يعنى لعامة المسلمين أو للنبى صلّى اللّه عليه و سلّم بالمدينة، و هو فى التحقيق أول مسجد صلّى فيه بأصحابه جماعة ظاهرا، و إن كان قد تقدم بناء غيره من المساجد، فقد روى ابن أبى شبة عن جابر قال: لقد لبثنا بالمدينة قبل أن يقدم علينا رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم سنتين نعمر المساجد و نقيم الصلاة، و لذا قيل: كان المتقدمون فى الهجرة من أصحاب رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم و الأنصار بقباء قد بنوا مسجدا يصلون فيه، يعنى هذا المسجد، فلما هاجر رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم و ورد قباء صلى بهم فيه إلى بيت المقدس، و لم يحدث فيه شيئا: أى: فى مبدأ الأمر؛ لأن ابن شبة روى ذلك، ثم روى أنه صلّى اللّه عليه و سلّم بنى مسجد قباء و قدم القبلة إلى موضعها اليوم، و قال: جبريل يؤم بى البيت، و

قد اختلف فى المراد بقوله تعالى: لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ فالجمهور على أن المراد به: مسجد قباء، و لا ينافيه قوله صلّى اللّه عليه و سلّم لمسجد المدينة «هو مسجدكم هذا» إذ كل منهما أسس على التقوى على ما سيأتى إيضاحه.

و فى الكبير للطبرانى- و فيه ضعيف- عن جابر بن سمرة قال: لما سأل أهل قباء النبى صلّى اللّه عليه و سلّم أن يا بنى لهم مسجدا قال رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم: «ليقم بعضكم فيركب الناقة» فقام أبو بكر رضى الله عنه فركبها فحركها فلم تنبعث، فرجع فقعد، فقام عمر رضى الله عنه فركبها

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۱۹۶

فلم تنبعث، فرجع فقعد، فقال رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم لأصحابه: «ليقم بعضكم فيركب الناقة» فقام على رضى الله عنه فلما وضع رجله فى غرز الركاب و ثبت به، فقال رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم:

«أرخ زمامها، و ابنوا على مدارها فإنها مأمورة».

و روى الطبرانى- و فيه من لم يعرف- عن جابر أيضا قال: لما قدم رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم المدينة قال لأصحابه: «انطلقوا بنا إلى أهل قباء نسلم عليهم، فأتاهم فسلم عليهم، فرحّبوا به، ثم قال: يا أهل قباء ائتونى بأحجار من هذه الحرة، فجمعت عنده أحجار كثيرة، و معه عنزة له، فخط قبلتهم، فأخذ حجرا فوضعه رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم ثم قال: يا أبا بكر، خذ حجرا فضعه إلى حجرى، ثم قال: يا عمر خذ حجرا فضعه إلى جنب حجر أبى بكر، ثم قال: يا عثمان خذ حجرا فضعه إلى جنب حجر عمر، ثم التفت إلى الناس فقال: ليضع كل رجل حجره حيث أحب على ذلك الخط.

متى بنى مسجد قباء

قلت: و هو يقتضى أن هذا البنيان لم يكن عند قدوم النبى صلّى اللّه عليه و سلّم إلى قباء، بل بعد قدوم عثمان رضى الله عنه من الحبشة؛ فإنه كان قد هاجر إلى أرض الحبشة فارا بدينه مع زوجته رقية بنت رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم و كان أول خارج إليها، ثم هاجر الهجرة الثانية إلى المدينة؛ فيمكن أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم أسسه عند قدومه، ثم بناه بعد ذلك، و إلا فلم يكن عثمان رضى الله عنه حاضرا، كذا نبه عليه بعضهم و لهذا قال السهيلى: أول من وضع حجرا رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم ثم أبو بكر، ثم عمر، و لم يذكر عثمان، ثم قال: و صلّى فيه نحو بيت المقدس قبل أن يأتى المدينة، انتهى. و سيأتى عند ذكره فى المساجد عن عمر رضى الله عنه أنه قال: و الذى نفسى بيده لقد رأيت رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم و أبا بكر و أصحابه ننقل حجارته على بطوننا، و يؤسسه رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم و جبريل يؤم به البيت، و لم أر من نبه على تعيين زمان قدوم عثمان من الحبشة، و سيأتى فى بنائه صلّى اللّه عليه و سلّم لمسجد المدينة أخبار تقتضى حضور عثمان له، و هو محتمل أيضا للبناء الأول و الثانى، و سبق فى الفصل قبله عد عثمان فيمن قدم المدينة قبل مقدم النبى صلّى اللّه عليه و سلّم إليها، و هو كذلك فى كلام ابن إسحاق.

و قال المحب الطبرى: الظاهر أن قدوم عثمان من الحبشة كان قبل هجرة النبى صلّى اللّه عليه و سلّم أو بعدها و قبل وقعة بدر؛ لأنه صح أنه كان فى وقعة بدر متخلفا فى المدينة على زوجته رقية بنت رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم و كانت مريضة، و وقعة بدر فى الثانية، و كان قدوم أكثر مهاجرى الحبشة فى السابعة كما سيأتى، و الله أعلم.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۱۹۷

و فى الكبير للطبرانى و رجاله ثقات عن الشموس بنت النعمان قالت: نظرت إلى رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم حين قدم و نزل و أسس هذا المسجد مسجد قباء، فرأيته يأخذ الحجر أو الصخرة حتى يهصره الحجر، و أنظر إلى بياض التراب على بطنه أو سرته، فيأتى الرجل من أصحابه و يقول: بأبى و أمى يا رسول الله أعطنى أكفك، فيقول: لا، خذ مثله، حتى أسسه، و يقول: إن جبريل عليه السلام هو يؤم الكعبة، قالت: فكان يقال: إنه أقوم مسجد قبلة.

قلت: قد صح أنه صلّى اللّه عليه و سلّم كان يستقبل بيت المقدس حتى نسخ ذلك، و جاءت القبلة و هم فى صلاة الصبح فأخبرهم، و كانت وجوههم إلى الشام، فاستداروا إلى الكعبة؛ فيحتمل:

أن جبريل عليه السلام كان يؤم به البيت ليستدل به على جهة بيت المقدس لتقابل الجهتين، و لعلمه بما يؤول إليه الأمر من استقبال الكعبة، أو أنه صلّى اللّه عليه و سلّم كان مخيّرا فى ابتداء الهجرة فى التوجه إلى بيت المقدس أو إلى الكعبة كما قاله الربيع فأمّ به جبريل البيت لذلك، و اختياره الصلاة لبيت المقدس أولا لاستمالة اليهود، أو أن استقبال الكعبة كان مشروعا فى ذلك الوقت ثم نسخ ببيت المقدس ثم نسخ بالكعبة، لما قاله ابن العربى و غيره من أن القبلة نسخت مرتين، أو أن ذلك تأسيس آخر غير التأسيس الأول، و يدل لهذا الأخير ما قدمناه من راوية ابن شبة.

و قوله فى حديث الشموس المتقدم «حتى يهصره الحجر» أى: يميله. و أورده المجد من رواية الخطابى بلفظ آخر، فقال: و روى الخطابى عن الشموس بنت النعمان قالت:

كان رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم حين بنى مسجد قباء يأتى بالحجر قد صهره إلى بطنه فيضعه، فيأتى الرجل يريد أن يقله فلا يستطيع حتى يأمره أن يدعه و يأخذ غيره، ثم قال: صهره و أصهره إذا ألصقه بالشىء، و منه اشتقاق الصهر فى القرابة.

و روى ابن شبة أيضا أن عبد الله بن رواحة كان يقول و هم يبنون فى مسجد قباء:

أفلح من يعالج المساجدا

فقال رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم «المساجدا» فقال عبد الله:

و يقرأ القرآن قائما و قاعدا

فقال رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم «و قاعدا» فقال عبد الله:

و لا يبيت الليل عنه راقدا

فقال رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم «راقدا»، و الله أعلم.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۱۹۸

الفصل الحادى عشر فى قدومه صلّى اللّه عليه و سلّم باطن المدينة

اشارة

، و سكناه بدار أبى أيوب الأنصارى، و أمر هذه الدار، و ما آلت إليه، و ما وقع من المؤاخاة بين المهاجرين و الأنصار.

قال أهل السير: ثم إن رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم أرسل إلى ملأ بنى النجار، فجاؤوا متقلدين بالسيوف، و كانوا أخواله، و ذلك أن هاشم بن عبد مناف تزوج منهم امرأة، و هى سلمى بنت عمرو، فجاءه منها ولد، فلما مات هاشم و كبر الغلام مر به قوم من قريش فأبصروه و قد ترعرع و هو ينتضل و يقول: أنا القرشى، فجاؤوا و أخبروا عمه المطلب بن عبد مناف، فذهب فجاء به، فدخل به مكة و هو ردفه و عليه ثياب السفر، فقالت قريش: هذا عبد المطلب، فغلب عليه هذا الاسم؛ فلذلك كان أخواله بنى النجار، فقالوا لرسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم: اركبوا آمنين مطاعين.

و فى البخارى من حديث أنس: قدم رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم فنزل فى حى يقال لهم بنو عمرو بن عوف، فأقام فيهم أربع عشرة ليلة، ثم أرسل إلى بنى النجار فجاؤوا بالسيوف، ثم رواه البخارى بلفظ آخر، فقال: قدم النبى صلّى اللّه عليه و سلّم فنزل جانب الحرة، ثم بعث إلى الأنصار فجاؤوا النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و أبا بكر فسلموا عليهما، و قالوا: اركبا آمنين مطاعين، فركب حتى نزل جانب دار أبى أيوب.

قال الحافظ ابن حجر: تقديره فنزل جانب الحرة فأقام بقباء المدة التى أقام بها و بنى بها مسجده، ثم بعث إلى آخره.

و فى التأريخ الصغير للبخارى عن أنس أيضا قال: إنى لأسعى مع الغلمان إذ قالوا:

محمد جاء، فنتطلق فلا نرى شيئا، حتى أقبل و صاحبه، فكمنا فى بعض جوانب المدينة، و بعثا رجلا من أهل البادية يؤذن بهما، فاستقبله خمسمائة من الأنصار، فقالوا:

انطلقا آمنين مطاعين، الحديث، ففيه طى لذكر قصة قباء، إلا أن يريد أن ذلك وقع فى مبدأ الأمر عند نزوله صلّى اللّه عليه و سلّم بقباء، و هو ما اقتضاه رواية رزين، فإنه قال: عن أنس قال: كنت إذ قدم رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم المدينة ابن تسع سنين، فأسمع الغلمان و الولائد يقولون: جاء رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم فنذهب فلا نرى شيئا، حتى جاء رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم و أبو بكر، فكمنا فى

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۱۹۹

خرب فى طرف المدينة، و أرسلا رجلا يؤذن لهما الأنصار، فاستقبلهما زهاء خمسمائة من الأنصار، حتى انتهوا إليهما، قال: فما رأيت مثل ذلك اليوم قط، و الله لقد أضاء منها كل شىء، و نزلا على كلثوم بن الهدم، ثم ذكر تأسيس مسجد قباء، ثم قال: ثم خرج منها رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم يريد المدينة، فلا يمر بدار من دور الأنصار إلا عرضوا عليه، و ذكر نحو ما سيأتى؛ فهو صريح فى أن ذلك كان عند مقدمه صلّى اللّه عليه و سلّم فى بدء الأمر.

و كان خروجه صلّى اللّه عليه و سلّم من قباء يوم الجمعة، و تعيينه من الشهر مرتب على ما تقدم فى قدومها.

و روى يحيى أنه صلّى اللّه عليه و سلّم لما شخص: أى: من قباء، اجتمعت بنو عمرو بن عوف فقالوا:

يا رسول الله أخرجت ملالا- أم تريد دارا خيرا من دارنا؟ قال: إنى أمرت بقرية تأكل القرى، فخلوها- أى ناقته- فإنها مأمورة فخرج صلّى اللّه عليه و سلّم من قباء، فعرض له قبائل الأنصار كلهم يدعوه و يعدوه النصرة و المنعة، فيقول: خلوها فإنها مأمورة، حتى أدركته الجمعة فى بنى سالم، فصلى فى بطن الوادى الجمعة وادى ذى صلب.

قلت: قيل كانت هذه أول جمعة صلاها رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم بالمدينة، و قيل: إنه كان يصلى الجمعة فى مسجد قباء فى إقامته هناك، و الله أعلم.

و روى أيضا عن عمارة بن خزيمة قال: لما كان يوم الجمعة و ارتفع النهار دعا رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم براحلته، و حشد المسلمون، و لبسوا السلاح، و ركب رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم ناقته القصوى، و الناس معه عن يمينه و عن شماله و خلفه: منهم الماشى و الراكب، فاعترضنا الأنصار فما بدار من دورهم إلا- قالوا هلم يا رسول الله إلى العز و المنعة و الثروة، فيقول لهم خيرا، و يدعو، و يقول: إنها مأمورة، خلوا سبيلها، فمر ببنى سالم، فقام إليه عتبان بن مالك، و نوفل بن عبد الله بن مالك بن العجلان و هو آخذ بزمام راحلته يقول: يا رسول الله انزل فينا فإن فينا العدد و العدة و الحلقة، و نحن أصحاب العصا و الحدائق و الدرك، يا رسول الله قد كان الرجل من العرب يدخل هذه البحرة خائفا فيلجأ إلينا فنقول له: قوقل حيث شئت، فجعل رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم يتبسم و يقول: خلوا سبيلها فإنها مأمورة، فقام إليه عبادة بن الصامت و عباس بن الصامت بن نضلة بن العجلان فجعلا يقولان: يا رسول الله انزل فينا، فيقول النبى صلّى اللّه عليه و سلّم: بارك الله عليكم، إنها مأمورة، فلما أتى مسجد بنى سالم- و هو المسجد الذى فى الوادى- فجمّع بهم فخطبهم، ثم أخذ رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم عن يمين الطريق حتى جاء بنى الحبلى، فأراد أن ينزل على عبد الله بن أبى، فلما رآه ابن أبى و هو

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۲۰۰

عند مزاحم أى الأطم محتبيا قال: اذهب إلى الذين دعوك فانزل عليهم، فقال سعد بن عبادة لا تجد يا رسول الله فى نفسك من قوله، فقد قدمت علينا و الخزرج تريد أن تملكه عليها، و لكن هذه دارى، فمر ببنى ساعدة فقال له سعد بن عبادة و المنذر بن عمرو و أبو

دجانة: هلم يا رسول الله إلى العز و الثروة و القوة و الجلد، و سعد يقول: يا رسول الله ليس من قومى أكثر عذقا و لا فم بئر منى مع الثروة و الجلد و العدد و الحلقة؛ فيقول رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم: بارك الله عليكم، و جعل رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم يقول: يا أبا ثابت خلّ سبيلها فإنها مأمورة، فمضى، و اعترضه سعد بن الربيع و عبد الله بن رواحة و بشير بن سعد فقالوا: يا رسول الله لا تجاوزنا فإنا أهل عدد و ثروة و حلقة، قال: بارك الله فيكم، خلوا سبيلها فإنها مأمورة، و اعترضه زياد بن لبيد و فروة بن عمرو- أى: من بنى بياضة- يقولان: يا رسول الله هلم إلى المواساة و العز و الثروة و العدد و القوة، نحن أهل الدرك يا رسول الله، فقال رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم: خلوا سبيلها فإنها مأمورة، ثم مر ببنى عدى بن النجار- و هم أخواله- فقام أبو سليط و صرمة بن أبى أنيس فى قومهما فقالا: يا رسول الله نحن أخوالك هلم إلى العدد و المنعة مع القرابة، لا تجاوزنا إلى غيرنا يا رسول الله، ليس أحد من قومنا أولى بك منا لقرابتنا بك، فقال رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم: خلوا سبيلها فإنها مأمورة، و يقال: إن أول الأنصار اعترضه بنو بياضة، ثم بنو سالم، ثم مال إلى ابن أبى، ثم مر على بنى عدى بن النجار، حتى انتهى إلى بنى مالك بن النجار.

قلت: و قول بنى عدى بن النجار «نحن أخوالك» لأنهم أقاربه من جهة الأمومة؛ لأن سلمى بنت عمرو أحد بنى عدى بن النجار كانت أم جده عبد المطلب، و قول البراء فى حديث الصحيح «إن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم كان أول ما قدم المدينة نزل على أجداده، أو قال أخواله، من الأنصار» فيه تجوز من حيث إنه صلّى اللّه عليه و سلّم إنما نزل على إخوتهم بنى مالك بن النجار، أو أراد أنه نزل بخطة بنى النجار لتقارب منازلهم الجميع و منهم بنو عدى.

و قال الحافظ ابن حجر فى المقدمة فى الكلام على الحديث المذكور: هم من بنى عمرو بن عوف من الخزرج، و كانت أم عبد المطلب جد النبى صلّى اللّه عليه و سلّم منهم، و اسمها سلمى؛ فهم أجداده حقيقة، و أخواله مجازا، و الشك من راوى الخبر، انتهى.

و هو و هم، سببه اشتباه النزول الأول بقباء بهذا النزول الذى وقع فيه الاستقرار، و ليس بنو عمرو بن عوف ممن يوصف بذلك، و قد تنبه له فى الشرح؛ فذكره على الصواب كما قدمناه، و الله أعلم.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۱، ص: ۲۰۱

و روى رزين أنه صلّى اللّه عليه و سلّم سار من قباء و معه جماعة من الأنصار فى السلاح و جميع المهاجرين، و ذكر صلاة الجمعة، قال: ثم ركب فجاء بنى الحبلى فأراد أن ينزل على عبد الله بن أبى بن سلول، و كان جالسا محتبيا عند أطم له، فقال: اذهب إلى الذين دعوك فانزل عليهم، فقال سعد بن عبادة لرسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم: لا تجد عليه، فإن أهل هذه البحرة كانوا قد أجمعوا على أن يعصّبوه و يتوّجوه، فلما رد الله عليه ذلك بالحق الذى أعطاك شرق لذلك.

قلت: الذى فى الصحيح ذكر سعد لذلك فى قصة عيادته صلّى اللّه عليه و سلّم له من مرض بعد سكناه بالمدينة، و الذى فى كتب السير عن ابن إسحاق أن الجمعة أدركته فى وادى رانونا فكانت أول جمعة صلاها بالمدينة، و كانوا أربعين، و قيل: مائة، فأتاه عتبان بن مالك فى رجال من بنى سالم فقالوا: يا رسول الله أقم عندنا فى العدد و العدة و المنعة، قال: خلوا سبيلها فإنها مأمورة، لناقته، فخلوا سبيلها، فانطلقت حتى إذا وازنت دار بنى بياضة تلقاه زياد بن لبيد و فروة بن عمرو فى رجال من بنى بياضة، فأجابهم بمثل ما تقدم، فخلوا سبيلها، حتى إذا وازنت دار بنى الحارث بن الخزرج اعترضه سعد بن الربيع و خارجة بن زيد و عبد الله بن رواحة فى رجال من بلحارث، فأجابهم بما تقدم، فخلوا سبيلها، فانطلقت حتى إذا مرت بدار عدى بن النجار- و هم أخواله دنيا- اعترضهم سليط بن قيس فى رجال منهم، فأجابهم بمثل ما تقدم، حتى إذا أتت دار بنى مالك بن النجار بركت على باب مسجده صلّى اللّه عليه و سلّم ثم و ثبت و سارت غير بعيد و رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم واضع لها زمامها لا يثنيها به، ثم التفتت خلفها فرجعت إلى مبركها أول مرة فبركت فيه، ثم تلحلحت و أرزمت و وضعت جرانها فنزل عنها رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم و فى رواية أنها لما و ثبت من مبركها الأول بركت على باب أبى أيوب الأنصارى، ثم ثارت منه و بركت فى مبركها الأول، و فى رواية فقال رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم: هذا المنزل إن شاء الله.

و ذكر ابن سيد الناس بعد قصة بنى سالم أن راحلته انطلقت حتى وازنت دار بنى بياضة، فذكر قصتهم، ثم قال: فانطلقت حتى إذا مرت بدار بنى ساعدة اعترضه سعد بن عبادة، و ذكر قصتهم، ثم قال: فانطلقت حتى إذا وازنت دار بنى الحارث بن الخزرج اعترضه سعد بن الربيع، و ذكر قصتهم، ثم ذكر القصة كما قدمناه.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۲۰۲

و ذكر يحيى فى رواية أخرى أنه صلّى اللّه عليه و سلّم بعد أن سار من بنى سالم تيامن، فأتى منزل ابن أبى، ثم مضى فى الطريق و الطريق يومئذ فضاء حتى انتهى إلى سعد بن عبادة، ثم اعترضت له بنو بياضة عن يساره، ثم مضى حتى أتى بنى عدى بن النجار، ثم أتى إلى بنى مازن بن النجار، فقامت إليه وجوههم، ثم مضى حتى انتهى إلى باب المسجد و قد حشدت بنو مالك بن النجار فهم قيام ينتظرونه إلى أن طلع فهش إليه أسعد بن زرارة و أبو أيوب و عمارة بن حزم و حارثة بن النعمان يقول: يا رسول الله قد علمت الخزرج أنه ليس ربع أوسع من ربعى، قال: فبركت بين أظهرهم، فاستبشروا، ثم نهضت كأنها مذعورة ترجّع الحنين، فساءهم ذلك، و جعلوا يعدون بجنبها حتى أتت إلى زقاق الحبشى ببئر جمل فبركت و النبى صلّى اللّه عليه و سلّم عليها مرخ لها زمامها ثم قامت عودها على بدئها تزيد فى المشى حتى بركت على باب المسجد و ضربت بجرانها و عدلت ثفناتها، و جاء أبو أيوب و القوم يكلمونه فى النزول عليهم، فأخذ رحله فأدخله، فنظر رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم إلى رحله و قد حط فقال: «المرء مع رحله».

و ذكر رزين اعتراض بنى سالم له و قوله «خلوا سبيلها فإنها مأمورة» ثم قال: فمر ببنى بياضة فكذلك، ثم ببنى ساعدة فكذلك، ثم بدار بنى الحارث بن الخزرج فكذلك، ثم مر بدار عدى بن النجار فكذلك، فمضت حتى إذا أتت دار بنى مالك بن المجار بركت على باب المسجد اليوم، و لم ينزل رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم حين بركت، ثم و ثبت فسارت غير بعيد ثم التفتت خلفها فرجعت إلى مبركها الأول، فنزل إذا ذاك رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم فقال: أى الدور أقرب؟ فقال أبو أيوب: دارى، هذا بابى، و قد حططنا رحلك فيها، فقال: «المرء مع رحله» فمضت مثلا.

و روى ابن زبالة أنها لما بركت بباب أبى أيوب جعل رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم يريد أن ينزل فتحلحل فيطيف حولها أبو أيوب فيجد جبار بن صخر أخا بنى سلمة ينخسها برجله، فقال أبو أيوب: يا جبار عن منزلى تنخسها؟ أما و الذى بعثه بالحق لو لا الإسلام لضربتك بالسيف، فنزل رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم فى منزل أبى أيوب، و قر قراره، و اطمأنت داره، و نزل معه زيد بن حارثة.

و عند الحاكم عن أنس: جاءت الأنصار فقالوا: إلينا يا رسول الله، فقال: دعوا الناقة فإنها مأمورة، فبركت على باب أبى أيوب.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۲۰۳

و روى الطبرانى فى الأوسط و فيه صديق بن موسى- قال الذهبى: ليس بالحجة- عن عبد الله بن الزبير أن رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم قدم المدينة فاستناخت راحلته بين دار جعفر بن محمد بن على و دار الحسن بن زيد، فأتاه الناس فقالوا: يا رسول الله المنزل، فانبعثت به راحلته، فاستناخت ثم تحلحلت، و للناس ثم عريش كانوا يرشونه و يعمرونه و يبردون فيه، حتى نزل رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم عن راحلته فآوى إلى الظل فنزل فيه، فأتاه أبو أيوب فقال: يا رسول الله منزلى أقرب المنازل إليه أ فأنقل رحلك؟ قال: نعم، فذهب برحله إلى المنزل، ثم أتاه آخر فقال: يا رسول الله انزل على، فقال: إن الرجل مع رحله حيث كان، و ثبت رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم فى العريش اثنتى عشرة ليلة حتى بنى المسجد.

قلت: دار جعفر بن محمد هى التى فى قبلة دار أبى أيوب ملاصقة لها، و دار الحسن ابن زيد تقابلها من جهة المغرب، بينهما الشارع.

و عند ابن عائذ و سعيد بن منصور أن ناقته صلّى اللّه عليه و سلّم استناخت به أولا، فجاءه ناس فقالوا:

المنزل يا رسول الله، فقال دعوها، فانبعثت حتى استناخت عند موضع المنبر من المسجد، ثم تحلحلت، فنزل عنها، فأتاه أبو أيوب فقال: منزلى أقرب المنازل فاذن لى أن أنقل رحلك، قال: نعم، و أناخ الناقة فى منزله.

و قال الواقدى: أخذ أسعد بن زرارة بزمام راحلته فكانت عنده، و نقله الحافظ ابن حجر عن ابن سعد و نقل الأقشهرى، فى روضته عن

ابن نافع صاحب مالك فى أثناء كلام نقله عن مالك أن ناقته صلّى اللّه عليه و سلّم لما أتت موضع مسجده بركت و هو عليها، و أخذه الذى كان يأخذه عند الوحى، ثم ثارت من غير أن تزجر و سارت غير بعيد، ثم التفتت، ثم عادت إلى المكان الذى بركت فيه أول مرة فبركت، فسرّى عنه، فأمر أن يحط رحله، فى بعض الروايات أن القوم لما تنازعوا أيهم ينزل عليه قال: إنى أنزل على أخوال عبد المطلب أكرمهم بذلك.

و فى البخارى من حديث عائشة أنه صلّى اللّه عليه و سلّم أقبل يسير حتى نزل جانب دار أبى أيوب، فقال: أىّ بيوت أهلنا أقرب؟ أىّ أخوال جده، فقال أبو أيوب: أنا يا نبى الله، هذه دارى، و هذا بابى، قال: فانطلق فهيئ لنا مقيلا.

و فى رواية لابن زبالة: اختار رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم على عينه، فنزل منزله و تخيره، و أراد أن يتوسط الأنصار كلها.

قال المطرى: و هو غير مناف لما تقدم من قوله: «دعوها فإنها مأمورة»؛ لأن الله اختار له ما كان يختار لنفسه.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۱، ص: ۲۰۴

و فرح أهل المدينة بمقدمه صلّى اللّه عليه و سلّم إليهم فرحا شديدا؛ ففى البخارى من حديث البراء:

«ما رأيت أهل المدينة فرحوا بشىء فرحهم برسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم» الحديث، و روى أبو داود أن الحبشة لعبت بحرابهم فرحا بقدومه صلّى اللّه عليه و سلّم.

قال رزين: و صعدت ذوات الخدور على الأجاجير يقلن:

طلع البدر علينا من ثنيّات الوداع

وجب الشكر علينا ما دعا لله داع

و فى رواية:

أيها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع

و الغلمان و الولائد يقولون: جاء رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم فرحا به.

و فى شرف المصطفى: لما بركت الناقة على باب أبى أيوب خرج جوار من بنى النجار يضربن بالدفوف و يقلن:

نحن جوار من بنى النجار يا حبذا محمد من جار

فقال رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم: أ تحبنانى؟ قلن: نعم يا رسول الله، فقال: و الله و أنا أحبكن، قالها ثلاثا، و فى رواية: «يعلم الله إنى أحبكن».

و أخرج الحاكم من طريق إسحاق بن أبى طلحة: فخرجت جوار من بنى النجار يضربن بالدف و هن يقلن، و ذكر البيت المتقدم.

و روى عن أنس قال: لما خرج رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم من مكة أظلم منها كل شىء، فلما دخل المدينة أضاء منها كل شىء، و رواه ابن ماجه بلفظ: لما كان اليوم الذى دخل فيه رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم المدينة أضاء منها كل شىء، فلما كان اليوم الذى مات فيه أظلم منها كل شىء. و رواه أبو داود بلفظ: لما قدم رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم المدينة لعبت الحبشة بحرابهم فرحا بقدومه صلّى اللّه عليه و سلّم و ما رأيت يوما كان أحسن و لا أضوأ من يوم دخل علينا فيه رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم المدينة، أضاء منها كل شىء، الحديث. و رواه ابن أبى خيثمة عنه بلفظ: شهدت يوم دخول رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم المدينة، فلم أر يوما أحسن منه و لا أضوأ.

و روى يحيى عن عبد الله بن سلام: لما قدم رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم المدينة انجفل الناس إليه، و قيل: قدم رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم فجئت أنظر، فلما تبينت وجهه علمت أن وجهه ليس بوجه كذاب، فكان أول شىء سمعته يتكلم قال: أيها الناس، أفشوا السلام، و أطعموا الطعام، و صلوا الأرحام، و صلوا بالليل و الناس نيام، تدخلون الجنة بسلام، و هذا الحديث بنحوه فى الترمذى و صححه.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۱، ص: ۲۰۵

و بعث رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم زيد بن حارثة و أبا رافع إلى مكة أعطاهما خمسمائة درهم و بعيرين، فقدما عليه بفاطمة و أم كلثوم بنتيه و سودة زوجته و أم أيمن زوج زيد بن حارثة و أسامة بن زيد، و خرج عبد الله بن أبى بكر معهم بعيال أبى بكر فيهم عائشة و أختها أسماء زوج الزبير و أمها أم رومان، فلما قدموا المدينة أنزلهم فى بيت حارثة بن النعمان.

و قال رزين: إن أبا بكر أرسل عبد الله بن أريقط مع زيد بن حارثة ليأتيه بعائشة و أم رومان أمها و عبد الرحمن.

قال بعضهم: و وجدوا طلحة بن عبيد الله على خروج، فخرج معهم، فقدموا كلهم.

و روى ابن إسحاق عن أبى أيوب الأنصارى قال: لما نزل علىّ رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم فى بيتى نزل فى السفل و أنا و أم أيوب فى العلو، فقلت له: يا نبى الله، بأبى أنت و أمى، إنى أكره و أعظم أن أكون فوقك و تكون تحتى، فاظهر أنت فكن فى العلو و ننزل نحن فنكون فى السفل، فقال: يا أبا أيوب إن أرفق بنا و بمن يغشانا أن نكون فى سفل البيت، قال:

فكان رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم فى سفله، و كنا فوقه فى المسكن، فلقد انكسر حب لنا فيه ماء، فقمت أنا و أم أيوب بقطيفة لنا ما لنا لحاف غيرها ننشف بها الماء تخوفا أن يقطر على رأس رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم منه شىء فيؤذيه.

قلت: و ذكر بعضهم أن ذلك هو سبب سكناه فى العلو بعد ذلك، و الذى فى صحيح مسلم عن أبى أيوب أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم نزل عليه، فنزل صلّى اللّه عليه و سلّم فى السفل و أبو أيوب فى العلو، فانتبه أبو أيوب ليلة فقال: نمشى فوق رأس النبى صلّى اللّه عليه و سلّم؟! فتنحوا و باتوا فى جانب، ثم قال للنبى صلّى اللّه عليه و سلّم فقال النبى صلّى اللّه عليه و سلّم: السفل أرفق، فقال: لا أعلو سقيفة و أنت تحتها، فتحول النبى صلّى اللّه عليه و سلّم فى العلو و أبو أيوب فى السفل.

و قد قدمنا فى آخر الفصل الرابع أن ابن إسحاق ذكر أن هذا البيت بناه تبّع الأول لما مرّ بالمدينة للنبى صلّى اللّه عليه و سلّم ينزله إذا قدم المدينة، فتداول البيت الملاك إلى أن صار لأبى أيوب، و أن أبا أيوب من ذرية الحبر الذى أسلمه تبع كتابه.

و قد نقل الحافظ ابن حجر ذلك عن حكاية ابن هشام فى التيجان، قال: و أورده ابن عساكر فى ترجمة تبع، فما نزل صلّى اللّه عليه و سلّم إلا فى بيته، و قد ابتاع المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بيت أبى أيوب هذا من ابن أفلح مولى أبى أيوب الأنصارى بألف دينار، فتصدق به، و هو فى شرقى المسجد المقدس كما سيأتى فى الدور المطيفة بالمسجد.

و قد اشترى الملك المظفر شهاب الدين غازى بن الملك العادل سيف الدين أبى بكر بن أيوب بن شادى عرصة دار أبى أيوب هذه، و بناها مدرسة للمذاهب الأربعة،

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۱، ص: ۲۰۶

و وقف عليها أوقافا بميّافارقين التى هى دار ملكه، و بدمشق لها وقف آخر أيضا، و لها بالمدينة الشريفة أيضا وقف من النخيل و غيرها، غير أنه شمل ذلك ما عم الأوقاف، و كان بها كتب كثيرة نفيسة فتفرقت أيدى سبا، و آل حال هذه المدرسة إلى التعطيل، فسكنها بعض نظارها، فتشاءمت على عياله، و اتصل ذلك بسلطان مصر فخرج منها، و المدرسة قاعتان: كبرى، و صغرى، و فى إيوان الصغرى الغربى خزانة صغيرة جدا، فما يلى القبلة فيها محراب.

قال المطرى: يقال إنها مبرك ناقة النبى صلّى اللّه عليه و سلّم.

و كانت إقامته صلّى اللّه عليه و سلّم بهذه الدار كما أفاده ابن سعد سبعة أشهر: أى: بتقديم السين على الباء، حتى بنى مساكنه. و قال رزين: أقام عند أبى أيوب من شهر ربيع الأول إلى صفر من السنة الثانية، و قال الدولابى: شهرا، و فى كتاب يحيى عن زيد بن ثابت: لما نزل رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم على أبى أيوب لم يدخل منزل رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم هدية أول من هدية دخلت بها عليه قصعة مثرودة خبز بر و سمنا و لبنا فأضعها بين يديه، فقلت: يا رسول الله أرسلت بهذه القصعة أمى، فقال: بارك الله فيها، و دعا أصحابه فأكلوا، فلم أرم الباب حتى جاءت قصعة سعد بن عبادة على رأس غلام مغطاة، فأقف على باب أبى أيوب فأكشف غطاءها

لأنظر، فرأيت ثريدا عليه عراق، فدخل بها على رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم قال زيد: فقد كنا فى بنى مالك بن النجار ما من ليلة إلا على باب رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم منا الثلاثة و الأربعة يحملون الطعام و يتناوبون بينهم، حتى تحول رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم من بيت أبى أيوب، و كان مقامه فيه سبعة أشهر، و ما كانت تخطئه جفنة سعد بن عبادة و جفنة أسعد بن زرارة كل ليلة.

و فيه أنه قيل لأم أبى أيوب: أىّ الطعام كان أحب إلى رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم فإنكم عرفتم ذلك لمقامه عندكم؟ قالت: ما رأيته أمر بطعام فصنع له بعينه، و لا رأيناه أتى بطعام قط فعابه.

و قد أخبرنى أبو أيوب أنه تعشى عنده ليلة من قصعة أرسل بها سعد بن عبادة طفيشل فقال أبو أيوب: فرأيت رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم ينهل تلك القدر ما لم أره ينهل غيرها، فكنا نعملها له، و كنا نعمل له الهريس و كانت تعجبه، و كان يحضر عشاءه خمسة إلى ستة عشر كما يكون الطعام فى الكثرة و القلة.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۲۰۷

و فيه عن أبى أيوب أنهم تكلفوا له طعاما فيه بعض هذه البقول، فلما أتوه به كرهه و قال لأصحابه: كلوا فإنى لست كأحدكم، إنى أخاف أن أوذى صاحبى.

و فى كتاب رزين عنه بعد ذكر نزوله عليه قال: و ما مرت ليلة من نحو السنة إلا و تأتيه جفنة سعد بن معاذ ثم سائر الناس، يتناوبون ذلك نوبا، قال أبو أيوب: فصنعت له ليلة طعاما، و جعلت فيه ثوما، فلم يأكل منه رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم ففزعت فنزلت إليه فقلت له:

أ حرام هو؟ فقال: إنى أناجى، و أنا أكرهه لذلك، و أما أنتم فكلوه، قال: فقلت: فإنى أكره ما تكره يا رسول الله.

المؤاخاة بين الأنصار و المهاجرين

قال ابن إسحاق: و كتب رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم كتابا بين المهاجرين و الأنصار و ادع فيه يهود، و عاهدهم، و أقرهم على دينهم و أموالهم، و اشترط لهم، و آخى رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم بين أصحابه من المهاجرين و الأنصار، فقال فيما بلغنا: تاخوا فى الله أخوين أخوين، ثم أخذ بيد على بن أبى طالب فقال: هذا أخى.

قلت: كانت هذه المؤاخاة بعد مقدمه صلّى اللّه عليه و سلّم بخمسة أشهر، و قيل: ثمانية، و هو يا بنى المسجد، و قيل: بعده، و قيل: قبله، و ذكره أبو حاتم فى السنة الأولى، و الظاهر أن ابتداءها كان فيها، و استمرت على حسب من يدخل فى الإسلام أو يحضر، كما يعلم من تفاصيلها، قيل: و كانوا تسعين رجلا من كل طائفة خمسة و أربعون، و قيل: مائة، آخى بينهم على الحق و المواساة و التوارث، و كانوا كذلك إلى أن نزل بعد بدر وَ أُولُوا الْأَرْحامِ [الأنفال: ۷۵] الآية.

و قال الواقدى: لما قدم رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم المدينة آخى بين المهاجرين، و آخى بين المهاجرين و الأنصار.

و قال ابن عبد البر: كانت المؤاخاة مرتين: الأولى قبل الهجرة بمكة بين المهاجرين، فآخى بين أبى بكر و عمر، و هكذا حتى بقى على رضى الله عنه فقال رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم: أ ما ترضى أن أكون أخاك؟ قال: بلى يا رسول الله، قال: فأنت أخى فى الدنيا و الآخرة، و المواخاة الثانية ما تقدم من مواخاة المهاجرين و الأنصار، و هى المرادة بقول الحسن: كان التوارث بالحلف؛ فنسخ بآية المواريث.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۲۰۸

و لأبى داود عن أنس بن مالك: حالف رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم بين المهاجرين و الأنصار فى دارنا، و حديث «لا حلف فى الإسلام» معناه: حلف التوارث، و الحلف على ما منع الشرع منه، و عبر رزين عن المواخاة بين المهاجرين و الأنصار فيما نقله عن أبى حاتم بقوله: ثم آخى بين أصحابه، و دعا لكل واحد منهم دعوة، و قال: أبشروا أنتم فى أعلى غرف الجنة، و قال لعلى: ما أخرتك إلا

لنفسی، أنت أخی و وارث علمی، و أنت معی فی الجنة فی قصری مع ابنتی، و قصة المؤاخاة الأولی أقر بها الحاکم؛ فذکر المؤاخاة بین أبی بکر و عمر، و ذکر جماعة، ثم قال: فقال علی: یا رسول الله، إنک آخیت بین أصحابک فمن أخی؟ قال: أنا أخوک.

و قد أنکر ابن تیمیة فی الرد علی ابن المطهر الرافضی المؤاخاة بین المهاجرین خصوصا مؤاخاة النبی لعلی، قال: لأنها شرعت للإرفاق و التألف؛ فلا معنی لها بینهم، و هو رد للنص و غفلة عن حقیقة الحکمة فی ذلک، مع أن بعضهم کان أقوی من بعض بالمال و العشیرة، و الارتفاق ممکن، و قد کان النبی صلّی اللّه علیه و سلّم یقوم بعلی من عهد الصبا، و استمر ذلک.

و أخرج الحاکم و ابن عبد البر بسند حسن أنه صلّی اللّه علیه و سلّم «آخی بین الزبیر و ابن مسعود» و هما من المهاجرین.

الیهود تحاول الإفساد بین الأوس و الخزرج

و التأم شمل الحیین الأوس و الخزرج ببرکته صلّی اللّه علیه و سلّم فمر شاس بن قیس- و کان شیخا من الیهود شدید الضغن علی المسلمین و الحسد لهم- علی نفر من الأوس و الخزرج فی مجلس یتحدثون فیه، فغاظه ما رأی من ألفتهم و صلاح ذات بینهم بعد الذی کان بینهم من العداوة فی الجاهلیة، فقال: قد اجتمع ملأ بنی قیلة بهذه البلاد، لا و الله ما لنا معهم إذا اجتمع ملؤهم بها من قرار، فأمر شابا من یهود کان معه فقال: اجلس إلیهم ثم اذکر یوم بعاث، و ما کان فیه، و أنشدهم بعض ما کانوا تقاولوا فیه من الأشعار، ففعل الشاب ذلک، فتنازع القوم و تفاخروا، حتی توائب رجلان من الحیین علی الرکب، و هما أوس بن قیظی و جبار بن صخر، فتقاولا ثم قال أحدهما لصاحبه: إن شئتم رددناها الآن جذعة، و غضب الفریقان جمیعا، و قالوا: قد فعلنا، موعدکم الظاهرة، و هی الحرة، فخرجوا إلیها، و بلغ ذلک رسول الله صلّی اللّه علیه و سلّم فخرج إلیهم فیمن معه من المهاجرین حتی جاءهم فقال:

یا معشر المسلمین، الله الله، أ بدعوی الجاهلیة و أنا بین أظهرکم بعد أن هداکم الله للإسلام، و أکرمکم به، و قطع به عنکم أمر الجاهلیة، و استنقذکم به من الکفر، و ألف به بینکم؟ فعرف القوم أنها نزغة من الشیطان، و کید من عدوهم، فبکوا، و عانق الأوس

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفی، ج۱، ص: ۲۰۹

و الخزرج بعضهم بعضا، ثم انصرفوا مع رسول الله صلّی اللّه علیه و سلّم سامعین مطیعین قد أطفأ الله عنهم کید عدو الله شاس بن قیس، فأنزل الله فی شأنه: قُلْ یا أَهْلَ الْکِتابِ لِمَ تَکْفُرُونَ بِآیاتِ اللَّهِ وَ اللَّهُ شَهِیدٌ عَلی ما تَعْمَلُونَ (۹۸) قُلْ یا أَهْلَ الْکِتابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِیلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَها عِوَجاً وَ أَنْتُمْ شُهَداءُ وَ مَا اللَّهُ بِغافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ [آل عمران: ۹۸- ۹۹]، و أنزل الله فی الذین صنعوا ما صنعوا من الحیین: یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا إِنْ تُطِیعُوا فَرِیقاً مِنَ الَّذِینَ أُوتُوا الْکِتابَ إلی قوله: کَذلِکَ یُبَیِّنُ اللَّهُ لَکُمْ آیاتِهِ لَعَلَّکُمْ تَهْتَدُونَ [آل عمران: ۱۰۰- ۱۰۳].

و کان حیی بن أخطب و أخوه أبو یاسر من أشد یهود للعرب حسدا لما خصهم الله برسوله صلّی اللّه علیه و سلّم؛ فکانا جاهدین فی رد الناس عن الإسلام بما استطاعا فأنزل الله تعالی فیهما:

وَدَّ کَثِیرٌ مِنْ أَهْلِ الْکِتابِ لَوْ یَرُدُّونَکُمْ إلی قوله: حَتَّی یَأْتِیَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلی کُلِّ شَیْءٍ قَدِیرٌ [البقرة: ۱۰۹].

و حدثت صفیة بنت حیی رضی الله عنها قالت: کنت أحبّ ولد أبی إلیه و إلی عمی أبی یاسر، لم ألقهما قط مع ولدهما إلا أخذانی دونه، فلما قدم رسول الله صلّی اللّه علیه و سلّم المدینة غدا علیه أبی و عمی مغلّسین، فلم یرجعا حتی کان مع غروب الشمس، فأتیا کالین کسلانین ساقطین یمشیان الهوینا، فهششت إلیهما کما کنت أصنع. فو الله ما التفت إلی واحد منهما، مع ما بهما من الغم، و سمعت عمی أبا یاسر و هو یقول لأبی: أ هو هو؟ قال: نعم و الله، قال: أ تعرفه و تثبته؟ قال: نعم، قال: فما فی نفسک منه؟ قال: عداوته و الله ما بقیت، فشقیا بجسدهما، و الله أعلم.

الفصل الثانی عشر فیما کان من أمره صلّی اللّه علیه و سلّم بها فی سنی الهجرة إلی أن توفاه الله عز و جل مختصرا

اشارة

و قد لخصه رزين من تأريخ أبى حاتم، فزدت فيه نفائس ميزتها، فأقول فى أولها «قلت» و فى آخرها «و الله أعلم» و قد أقام صلّى اللّه عليه و سلّم بالمدينة بعد الهجرة عشر سنين بالإجماع كما حكاه النووى.

السنة الأولى من الهجرة:

اشارة

و قد تقدم بعض ما فيها من بناء مسجد قباء و غيره.

و قال أبو حاتم: كان فيها بناء المسجد النبوى، و مات أسعد بن زرارة و المسجد يا بنى؛ فكان أول من دفن بالبقيع من المسلمين.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۲۱۰

قلت: و من هذا يعلم أن عثمان بن مظعون أول من دفن به من المهاجرين، جمعا بين النقلين، و مات كلثوم بن الهدم قبل أسعد بن زرارة؛ فهو أول من مات من الأنصار بعد مقدم النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و قيل: توفى أسعد بن زرارة فى الثانية، و الله أعلم.

و مات البراء بن معرور قبل قدوم رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم و أوصى أن يوجّه إلى الكعبة، و صلى رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم على قبره، و كانت الأنصار يتقربون إلى رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم بالهدايا رجالهم و نساؤهم، و كانت أم سليم تتأسف على ذلك، و ما كان لها شىء، فجاءت بابنها أنس، و قالت: يخدمك أنس يا رسول الله؟ قال: نعم.

قلت: الذى فى الصحيح عن أنس «قدم رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم المدينة ليس له خادم، فأخذ أبو طلحة بيدى، فانطلق بى إلى رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم فقال: يا رسول الله إن أنسا غلام كيس فليخدمك، قال: فخدمته، الحديث، و قد يجمع بأنها جاءت به أولا، و انطلق به أبو طلحة ثانيا؛ لأنه وليه و عصبته، و هذا غى مجيئه به لخدمته صلّى اللّه عليه و سلّم فى غزوة خيبر كما يفهمه لفظ الحديث، و الله أعلم.

ثم زيد فى صلاة الحضر ركعتين بعد مقدمه المدينة بشهر.

قلت: قال السهيلى: إن ذلك كان بعد الهجرة بعام أو نحوه، و الذى عليه الأكثر أن الصلاة نزلت بتمامها من بدء الأمر، و الله أعلم.

و وعك أصحابه فدعا بنقل وبائها إلى الجحفة، و قال: «اللهم حبب إلينا المدينة» ثم آخى بين أصحابه كما سبق، ثم مات الوليد بن المغيرة بمكة، و ولد عبد الله بن الزبير، جاءت أمه أسماء بعد الهجرة فنفست به فى قباء فى شوال، فكان أول مولود ولد فى الإسلام بها بعد الهجرة، و كان أول شىء دخل جوفه ريق رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم تفل فى فيه.

قلت: سيأتى فى مسجد دار سعد بن خيثمة من المساجد التى لا تعلم عينها أن الذهبى قال: إن عبد الله ولد فى الثانية، و الله أعلم.

ثم عقد رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم لواء لابن عمه عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب على ستين من المهاجرين ليس فيهم أنصارى، و هى أول راية عقدت فى الإسلام، و رمى فيها سعد بن أبى وقاص بسهم، فكان أول سهم رمى به فى الإسلام، فالتقى مع أبى سفيان بن حرب، و قيل: عكرمة بن أبى جهل، و كان فى مائة من المشركين ببطن رابغ و يعرف بودان فانحاز

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۲۱۱

إلى المسلمين من المشركين المقداد بن عمرو بن الأسود و عتبة بن غزوان، و كان حامل اللواء لعبيدة مصلح بن أثاثة.

أول راية عقدت فى الإسلام

قلت: و ذكر أبو الأسود فى مغازيه عن عروة، و وصله ابن عائذ من حديث ابن عباس: «أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم لما وصل إلى الأبواء بعث عبيدة بن الحارث فى ستين رجلا» و ذكر القصة، فيكون ذلك فى السنة الثانية، و به صرّح بعض السير، و الله أعلم.

ثم عقد لواء لعمه حمزة على ثلاثين من المهاجرين- قيل: و من الأنصار- ليتعرض عير قريش، فلقى أبا جهل فى ثلاثمائة راكب، فحجب بينهم مجدى بن عمرو، و كان حليفا للفريقين، و انصرفوا من غير قتال، و كان حامل لواء حمزة يومئذ أبو مرثد.

قلت: قدم بعضهم هذه على سرية عبيدة، و قال: إن لواء حمزة أول لواء عقد فى الإسلام، و رجح ابن إسحاق الأول، و قال: إنما أشكل أمرهما أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم شيعهما جميعا، و ذكر أبو عمر أن أول راية عقدت لعبد الله بن جحش. و قيل: إن سرية حمزة هذه كانت فى السنة الثانية، و الله أعلم.

زواج عائشة

ثم بنى رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم بعائشة و هى بنت تسع، و كان عقد بها فى مكة قبل الهجرة بثلاث و هى بنت ست.

زواج سودة بنت زمعة

قلت: و عقد على سودة بنت زمعة بعد عائشة- و قيل: قبلها، و بنى بها بمكة- و كان بناؤه بعائشة على رأس تسعة أشهر- و قيل: ثمانية، و قيل ثمانية عشر شهرا- من قدومه، و الله أعلم.

ثم عقد لواء لسعد بن أبى وقاص فى عشرين يريدون عير قريش فى ذى القعدة، فخرجوا على أقدامهم يكمنون بالنهار و يسيرون بالليل، و كان حامل اللواء لسعد المقداد بن عمرو، فلم يجدوا شيئا، ثم جاء أبو قيس بن الأسلت ليسلم، فلقيه ابن أبىّ ابن سلول، فقال: تربص حتى ترى، فرجع فمات كافرا.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۱، ص: ۲۱۲

إسلام عبد الله بن سلام

قلت: و أسلم عبد الله بن سلام فى أول قدومه صلّى اللّه عليه و سلّم؛ ففى البخارى من حديث عائشة التصريح بأنه جاء قبل دخوله صلّى اللّه عليه و سلّم دار أبى أيوب لما سمع بقدومه صلّى اللّه عليه و سلّم ثم رجع إلى أهله، ثم قال صلّى اللّه عليه و سلّم لأبى أيوب: اذهب فهيئ لنا مقيلا، فقال: قوما على بركة الله، أى هو و أبو بكر، قالت: فلما جاء نبى الله صلّى اللّه عليه و سلّم جاء عبد الله بن سلام فقال: أشهد أنك رسول الله و أنك قد جئت بحق، و قد علمت يهود أنى سيدهم و ابن سيدهم و أعلمهم و ابن أعلمهم، فسلهم عنى قبل أن يعلموا أنى قد أسلمت؛ فإنهم إن يعلموا أنى قد أسلمت قالوا فىّ ما ليس فىّ، فأرسل رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم فدخلوا عليه، فقال لهم رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم: يا معشر اليهود، ويلكم! اتقوا الله، فوالذى لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أنى رسول الله حقا، و أنى جئتكم بحق، فأسلموا، قالوا: ما نعلمه، قال: فأى رجل فيكم عبد الله بن سلام؟ قالوا: ذاك سيدنا و ابن سيدنا، و أعلمنا و ابن أعلمنا، قال: أ فرأيتم إن أسلم، قالوا: حاشا لله ما كان ليسلم، قال: أ فرأيتم إن أسلم، قالوا: حاشا لله ما كان ليسلم، كرر عليهم ذلك ثلاثا فيقولون له ذلك، قال: يا ابن سلام اخرج عليهم، فخرج عليهم، فقال: يا معشر اليهود، اتقوا الله فوالذى لا إله إلا هو إنكم لتعلمون

أنه رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم و أنه جاء بحق، فقالوا:

كذبت، فأخرجهم رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم. و فى رواية أن عبد الله بن سلام سأل رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم عن أشياء، فلما أعلمه بها أسلم، و فى هذه الرواية ذكر قصة اليهود المتقدمة، و أن عبد الله بن سلام لما خرج إليهم و تشهد قالوا: شرنا و ابن شرنا، و تنقصوه؛ فقال: هذا كنت أخاف يا رسول الله، و نصبت أحبار اليهود العداوة للنبى صلّى اللّه عليه و سلّم بغيا و حسدا: منهم حيى بن أخطب، و أبو رافع الأعور، و كعب بن الأشرف، و عبد الله بن صوريا، و الزبير بن باطا، و شمويل، و لبيد بن الأعصم، و غيرهم، و دخل منهم جماعة فى الإسلام نفاقا، و انضاف إليهم من الأوس و الخزرج منافقون، و أرى عبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه الأذان، و قيل: كان ذلك فى السنة الثانية عند ما شاور صلّى اللّه عليه و سلّم أصحابه فيما يجمعهم به للصلاة؛ إذ كان اجتماعهم قبل بمناد «الصلاة جامعة» و الله أعلم.

السنة الثانية من الهجرة

اشارة

السنة الثانية: فلما جاء العاشر من المحرم أمر رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم بصومه، و قال: «نحن أحق بموسى من اليهود» ثم زوج عليا بفاطمة.

قلت: و ذلك قبل بدر، فى رجب على الأصح، و بنى بها فى ذى الحجة كما سيأتى، و كان لها خمس عشرة سنة، و قل: ثمان عشرة، و قيل: تزوجها بعد أحد، و الله أعلم.

ثم غزا رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم بنفسه إلى الأبواء و هى من ودان على ستة أميال مما يلى المدينة.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۲۱۳

قلت: و لتقاربهما أطلق عليها «غزوة ودان»، و الله أعلم.

و استخلف على المدينة سعد بن عبادة، و كان حامل لوائه سعد بن أبى وقاص، ثم رجع، و لم يلق كيدا، فانصرف بعد ما وادع مجدى بن عمرو الضمرى، ثم غزا فى مائتين من أصحابه إلى ناحية رضوى، و حامل لوائه سعد بن أبى وقاص، ثم رجع و لم يلق كيدا.

قلت: و هى غزوة «بواط» خرج رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم يريد تجار قريش أيضا، حتى بلغ بواط من ناحية رضوى، و قال ابن هشام: و استعمل على المدينة السائب بن عثمان بن مظعون، و فى نسخة السائب بن مظعون، و قال الواقدى: سعد بن معاذ، و الله أعلم.

ثم أغار على سرح المدينة كرز بن جابر الفهرى، فخرج رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم فى أثره فى المهاجرين، و حامل لوائه على بن أبى طالب، فانتهى إلى بدر، و فاته كرز، و هذه بدر الأولى.

قلت: ذكر ذلك ابن إسحاق بعد «العشيرة» بليال، و الله أعلم.

ثم بعث رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم عبد الله بن جحش فى سرية، و هم الذين قتلوا فى الشهر الحرام فى اثنى عشر نفسا، فأضل عتبة بن غزوان و سعد بن أبى وقاص راحلتيهما، فتخلفا عنهم، و مضى العشرة حتى لقوا جماعة من قريش: منهم عثمان بن عبد الله بن المغيرة، و افتدى من رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم و الحكم ابن كيسان، أسلم، و قتلوا عمرو بن الحضرمى.

قلت: ذكرها بعضهم بعد العشيرة، و وصلوا نخلة على يوم و ليلة من مكة، فمرت بهم عير قريش تحمل زبيبا و أدما من الطائف معها الجماعة المذكورون فى آخر يوم من رجب، فاستأسروا الأسيرين، و قتلوا عمرا، و استاقوا العير، و كانت أول غنيمة فى الإسلام، و الله أعلم.

ثم خرج رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم إلى العشيرة، فوادع بنى مدلج و حفاءهم، ثم رجع.

قلت: و كان خروجه فيها يعترض عيرا لقريش، ففاتته بأيام، و استخلف أبا سلمة بن عبد الأسد، و الله أعلم.

التوجه إلى الكعبة

قال أبو حاتم: و بلغنى أن رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم كان يحب أن يوجه إلى الكعبة، فقال عمر رضى الله عنه: يا رسول الله لو اتخذت مقام إبراهيم مصلى فدعا الله تعالى، فأنزل قَدْ نَرى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ إلى قوله: وَ حَيْثُ ما كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ [البقرة: ۱۴۴] وقت صلاة الظهر يوم الثلاثاء النصف من شعبان ثانية سنى الهجرة.

قلت: سيأتى ما فيه من الخلاف فى الفصل الثالث من الباب بعده، و الله أعلم.

ثم نزلت فريضة الصوم فى شعبان، فصاموا رمضان، فلما فرض رمضان لم يأمرهم بصيام عاشوراء و لا نهاهم.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۲۱۴

ثم كانت غزوة بدر فى رمضان لاثنتى عشرة ليلة خلت منه، و قيل: يوم جمعة صبيحة سبع عشرة منه، و قيل: صبيحة أربع و عشرين منه، و كان المسلمون ثلاثمائة و بضعة عشر.

قلت: الراجح القول الثانى، و خرجت الأنصار معه صلّى اللّه عليه و سلّم فيها، و لم تكن قبل ذلك خرجت معه، و معهم ثلاثة أفراس، و كان المشركون ألفا، و يقال، تسعمائة و خمسين رجلا معهم مائة فرس، و هذه بدر الثانية لما تقدم، و الله أعلم.

ثم قتل عمير بن عدى الخطمى العصماء امرأة من الأنصار، و هى زوج يزيد الخطمى، كانت تؤذى رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم فى الشعر، فقتلها، ثم جاء رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم فقال رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم: «لا ينتطح فيها عنزان».

قلت: قال فى الاكتفاء: إن العصماء هذه نافقت لما قتل أبو عفك (بالفاء و إهمال أوله) و قالت شعرا تعيب الإسلام و أهله، و تؤنب الأنصار فى اتباعهم رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم و إن عميرا رجع إلى قومه بعد قتلها يومئذ كثير موجهم فى شأنها، و لها بنون خمسة رجال، فقال: يا بنى خطمة، أنا قتلت بنت مروان، يعنى العصماء، فكيدونى جميعا ثم لا تنظرون، فذلك اليوم أول ماء الإسلام فى دار بنى خطمة، و كان يستخفى بإسلامه فيهم من أسلم، و يومئذ أسلم رجال منهم لما رأوا من عز الإسلام، انتهى. و الذى رواه ابن سيد الناس عن ابن سعد أنه قال بعد ذكر قتل عمير للعصماء: ثم فى شوال كانت سرية سالم بن عمير إلى أبى عفك اليهودى، و كان أبو عفك من بنى عمرو بن عوف شيخا قد بلغ عشرين و مائة، و كان يحرض على رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم و يقول الشعر، فقال سالم بن عمير و هو أحد البكائين و ممن شهد بدرا: على نذر أن أقتل أبا عفك أو أموت دونه، و ذكر قتله إياه، و هو مخالف لما قدمناه عن الاكتفاء من تقديم قتل أبى عفك على قتل العصماء، و ذكر ابن سعد أيضا أن قتل العصماء كان لخمس ليال بقين من شهر رمضان، و أن عميرا كان ضرير البصر، و سماه رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم البصير، قيل: و كان أول من أسلم من بنى خطمة، و كان إمام قومه و قارئهم، و كان يدعى «القارئ»، و الله أعلم.

ثم خطب رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم قبل الفطر بيومين يعلّم الناس زكاة الفطر.

قلت: و قيل: فى أول شوال، و صلّى صلاة الفطر، و فيها فرضت زكاة الأموال أيضا، و قيل: فى الثالثة، و قيل: فى الرابعة، و قيل: قبل الهجرة، و ثبتت بعدها، و الله أعلم.

ثم غزا بنى قينقاع فى شوال.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۲۱۵

قلت: قد تقدم أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم كان قد وادع اليهود، و كانوا يرجعون إلى ثلاث طوائف:

بنى قينقاع، و النضير، و قريظة، فنقض الثلاثة العهد طائفة بعد طائفة، فأول من نقض منهم بنو قينقاع فحاربهم النبى صلّى اللّه عليه و سلّم بعد بدر فى شوال، فألقى الله الرعب فى قلوبهم، فنزلوا على حكمه، فأراد قتلهم، فاستوهبهم منه عبد الله بن أبى و كانوا حلفاءه فوهبهم له، و أخرجهم من المدينة إلى أذرعات، و فى الاكتفاء: و كان منشأ أمرهم، يعنى فى نقض العهد، أن امرأة من العرب قدمت بجلب لها، فباعته بسوق بنى قينقاع، و جلست إلى صائغ بها، فجعلوا يريدونها على كشف وجهها، فأبت، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها، فلما قامت انكشفت سوأتها، فضحكوا بها، فصاحت، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقلته، فشدت اليهود على المسلم فقتلوه، فوقع الشر بينهم و بين المسلمين، فحاصرهم رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم حتى نزلوا على حكمه.

و روى أن ابن أبىّ قال للنبى صلّى اللّه عليه و سلّم: يا محمد، أحسن فى موالى، فأعرض عنه، و أنه قال: أربعمائة حاسر و ثلاثمائة دارع قد منعونى من الأحمر و الأسود تحصدهم فى غداة واحدة، إنى و الله امرؤ أخشى الدوائر، فقال رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم: هم لك، و قال مغلطاى فى غزوة بنى قينقاع، قال الحاكم: هذه و بنى النضير واحد، و ربما اشتبهتا على من لا يتأمل، و قال الحافظ ابن حجر بعد ذكر أنهم أول من نقض العهد: فغزاهم النبى صلّى اللّه عليه و سلّم ثم بنى النضير، و أغرب الحاكم فزعم أن إجلاء بنى قينقاع و إجلاء بنى النضير كان فى زمن واحد و لم يوافق على ذلك؛ لأن إجلاء بنى النضير كان بعد بدر بستة أشهر على قول عروة، أو بعد ذلك بمدة طويلة على قول ابن إسحاق، و ذكر الواقدى أن إجلاء بنى قينقاع كان فى شوال سنة اثنتين، يعنى بعد بدر بشهر، و يؤيده ما روى ابن إسحاق بإسناد حسن عن ابن عباس قال: لما أصاب رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم قريشا يوم بدر جمع يهود فى سوق بنى قينقاع فقال: يا معشر يهود، أسلموا قبل أن يصيبكم ما أصاب قريشا، فقالوا: إنهم كانوا لا يعرفون القتال، و لو قاتلتنا لعرفت أنا الرجال؛ فأنزل الله: قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَيُغْلَبُونَ وَ تُحْشَرُونَ إلى قوله: لِأُولِي الْأَبْصارِ [آل عمران: ۱۲- ۱۳] و أصاب صلّى اللّه عليه و سلّم من سلاح بنى قينقاع ثلاثة أسياف و در عين أحدهما تسمى فضة و الأخرى تسمى السغدية (بالسين المهملة و الغين المعجمة) قال بعض الحفاظ: و كانت السغدية درع داود عليه السلام التى لبسها حين قتل جالوت، و الله أعلم.

غزوة السويق

قلت: سميت به لأنه كان أكثر زاد المشركين، و غنمه المسلمون لأن أبا سفيان خرج

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۲۱۶

فى مائتى راكب، و قيل: فى أربعين، حتى أتوا العريض، فحرق نخلا و قتل رجلا من الأنصار و أجيرا له، فخرج رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم فى طلبه، و جعل أبو سفيان و أصحابه يتخففون للهرب فيلقون جرب السويق، فأخذها المسلمون فرجعوا، و ذلك بعد بدر، فإن أبا سفيان حلف بعدها أن لا يمس رأسه ماء من جنابة حتى يغزو محمدا، ففعل ذلك، و رأى أن يمينه انحلت، و الله أعلم.

ثم مات عثمان بن مظعون فى ذى الحجة، فهو أول من مات من المهاجرين بالمدينة، ثم صلّى رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم صلاة العيد، ثم ضحى بكبش، ثم بنى على بفاطمة فى ذى الحجة.

قلت: و قال النووى: و توفيت فى ذى الحجة منها رقية ابنته صلّى اللّه عليه و سلّم لكن ذكر أهل السير ما يقتضى أن وفاتها كانت فى رمضان منها، و الله أعلم.

السنة الثالثة من الهجرة

اشارة

السنة الثالثة: ثم قال رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم: «من لكعب بن الأشرف»؟ فقال محمد بن مسلمة: أنا له، ثم قتله.
قلت: ابن الأشرف كان أصله عربيا من نبهان على ما قاله ابن إسحاق، أتى أبوه المدينة فخالف بنى النضير، فشرف فيهم، و تزوج بنت أبى الحقيق، فولدت له كعبا، و كان جسيما شاعرا، و هجا المسلمين بعد وقعة بدر، و خرج إلى مكة و أنشدهم الأشعار، و بكى أصحاب القليب من قريش، و نزل فيهم على المطلب بن أبى وداعة السهمى، و عنده عاتكة بنت أبى العيص ابن أمية، فهجاه حسان و هجا امرأته عاتكة، فطردته، فرجع إلى المدينة و شبب بنساء المسلمين، و كان يهجو رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم و يحرض عليه كفار قريش، و قيل: صنع طعاما و واطأ يهود أن يدعو النبى صلّى اللّه عليه و سلّم فإذا حضر فتكوا به، ثم دعاه، فأعلمه جبريل فقام منصرفا و قال: «من لكعب بن الأشرف» فانتدب له محمد بن مسلمة فى نفر، و احتال عليه حتى نزل له ليلا فقتله، و قيل: أمر رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم سعد بن معاذ أن يبعث رهطا ليقتلوه، و الله أعلم.

غزوة الكدر

ثم غزا غزوة الكدر، و كان حامل لوائه على بن أبى طالب، فرجع و لم يلق كيدا.
قلت: خرج فيها رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم يريد بنى سليم، و استخلف سباع بن عرفطة، و قيل:
وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۲۱۷
ابن أم مكتوم، فبلغ ماء يقال له الكدر، و تعرف بغزوة «قرقرة»، و يقال نجران، فلم يلق أحدا، و الله أعلم.

غزوة أنمار

ثم غزا غزوة أنمار، فجاءه دعثور فوجده نائما تحت الشجرة، فاستيقظ رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم و هو قائم على رأسه بالسيف، فقال له دعثور: من يمنعك منى؟ قال: الله، فوقع السيف من يده، و أخذه رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم و قال: من يمنعك منى؟ قال: لا أحد، قال: اذهب لشأنك، فولى و هو يقول: محمد خير منى، فقال رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم: نعم، و أنا أحق بذلك منك، فنذرت غطفان برسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم فهربوا.

غزوة ذى أمر

قلت: هذه غزوة ذى أمر، و سماها الحاكم غزوة أنمار، و سمى بعضهم الأعرابى غورث، و يقال: كان ذلك فى ذات الرقاع، و لا مانع من تعدد ذلك، و كأن أبا حاتم رأى اتحادهما فلم يذكر ذات الرقاع، و هى بنخل عند بعضهم؛ فلذلك لم يذكرها أيضا، و الله أعلم.
ثم كانت سرية القردة، و كان أميرها زيد بن حارثة، فلقى بها عير قريش، فأخذها، و أسر فرات بن حيان، و بلغ الخمس من تلك الغنيمة عشرين ألفا.

سرية القردة

قلت: و القردة ماء من مياه نجد، فإن قريشا بعد بدر خافوا طريقهم التى كانوا يسلكون إلى الشام، فسلكوا طريق العراق، و كان فى هذه

العير أبو سفيان بن حرب و معه فضة كثيرة هى عظم تجارتهم، و الله أعلم.

ثم كانت أحد.

غزوة أحد

اشارة

قلت: كانت فى شوال سنة ثلاث باتفاق الجمهور، و شذ من قال: سنة أربع، و قال ابن إسحاق: لإحدى عشرة ليلة خلت منه، و قيل: لسبع ليال، و قيل: لثمان؛ و قيل:

لتسع، و قيل: فى نصفه، و قال مالك: كانت بعد بدر بسنة، و فيه تجوز، لأن بدرا كانت فى رمضان باتفاق، فهى بعدها بسنة و شهر لم يكمل، و لهذا قال مرة أخرى: كانت بعد الهجرة بإحدى و ثلاثين شهرا.

و كان السبب فيها أنه لما قتل الله من قتل من كفار قريش يوم بدر و رجع من بقى منهم إلى مكة و رجع أبو سفيان بعيرهم، فكلموا أبا سفيان و من له فى العير مال فى

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۲۱۸

الاستعانة بها على حرب النبى صلّى اللّه عليه و سلّم ففعلوا، و قيل: كان المال خمسين ألف دينار، فسلم إلى أهل العير رءوس أموالهم، و عزلت الأرباح، و كانوا يربحون فى تجارتهم الديا نار دينارا، و جهزوا الجيش بذلك، و حركوا من أطاعهم من القبائل، و خرجوا بأحابيشهم و من تابعهم من بنى كنانة و أهل تهامة، و خرجوا معهم بالظعن لئلا يفروا، فخرج أبو سفيان- و كان قائدهم- بهند بنت عتبة، و كذلك سار أشرافهم خرجوا بنسائهم، و كان جبير بن مطعم أمر غلامه وحشيا الحبشى بالخروج مع الناس، و قال له: إن قتلت حمزة عم محمد صلّى اللّه عليه و سلّم بعمى طعمة بن عدى فأنت عتيق، فأقبلوا حتى نزلوا بعينين جبل ببطن السبخة من قناة على شفير الوادى مقابل المدينة، قاله ابن إسحاق، و وادى قناة خلف عينين بينه و بين أحد، فإن عينين فى مقابلة أحد، فنزلوا هم أمام عينين مما يلى المدينة و فى غربيه لجهة بئر رومة؛ فلا يخالف ما سيأتى عن المطرى، و نقل ابن عقبة أن أبا سفيان سار بجمعه حتى طلعوا من بئر الجماوين، ثم نزلوا ببطن الوادى الذى قبل أحد، و كان رجال من المسلمين أسفوا على ما فاتهم من مشهد بدر، و تمنوا لقاء العدو، و أرى رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم ليلة الجمعة رؤيا، فلما أصبح قال: رأيت البارحة فى منامى بقرا تذبح، و الله خير، و رأيت سيفى ذا الفقار انقصم من عند ظبته، أو قال به فلول، فكرهته و هما مصيبتان، و رأيت أنى فى درع حصينة، و أنى مردف كبشا، قالوا: ما أولتها؟ قال: أولت البقر بقرا يكون فينا، و أولت الكبش كبش الكتيبة [۳]، و أولت الدرع الحصينة المدينة، فامكثوا فإن دخل القوم الأزقة قاتلناهم و رموا من فوق البيوت، و نقل ابن إسحاق أيضا أن عبد الله بن أبى قال: يا رسول الله، أقم بالمدينة، و لا تخرج إليهم، فوالله ما خرجنا منها إلى عدو قط إلا أصاب منا، و لا دخلها علينا إلا أصبنا منه، فدعهم، فقال أولئك القوم: يا نبى الله كنا نتمنى هذا اليوم، و أبى كثير من الناس إلا الخروج، فلما صلّى الجمعة و انصرف دعا باللأمة فلبسها، ثم أذن فى الناس بالخروج، فندم ذوو الرأى منهم، فقالوا: يا رسول الله امكث كما أمرتنا، فقال: ما ينبغى لنبى إذا أخذ لأمة الحرب أن يرجع حتى يقاتل، فخرج بهم و هم ألف رجل، و كان المشركون ثلاثة آلاف. و قال المطرى: إن نزول قريش يوم أحد بالمدينة كان يوم الجمعة، قال: و قال ابن إسحاق: يوم الأربعاء.

قال المطرى: فنزلوا برومة من وادى العقيق، و صلّى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم الجمعة بالمدينة، ثم

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۲۱۹

خرج هو و أصحابه على الحرة الشرقية حرة واقم، و بات بالشيخين موضع بين المدينة و بين جبل أحد على الطريق الشرقية مع الحرة إلى جبل أحد، و غدا صبح يوم السبت إلى أحد، انتهى. و نقل الأقشهرى أنه صلّى اللّه عليه و سلّم دعا بثلاثة أرماح فعقد ثلاثة ألوية؛

فدفع لواء الأوس إلى أسيد بن حضير، و لواء الخزرج إلى الحباب بن المنذر بن الجموح، و قيل: إلى سعد بن عبادة، و لواء المهاجرين إلى على بن أبى طالب، و قيل: إلى مصعب بن عمير، و استخلف على المدينة عبد الله بن أم مكتوم، ثم ركب فرسه، و تقلد القوس، ثم أخذ قناته بيده، و فى المسلمين مائة دارع، و خرج السعدان أمامه سعد بن معاذ و سعد بن عبادة و الناس على يمينه و شماله، فمضى حتى إذا كان بالشيخين- و هما أطمان- التفت فنظر إلى كتيبة حسنة لها زجل، فقال: ما هذه؟ قالوا: حلفاء ابن أبى من يهود، فقال رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم: لا نستنصر بأهل الشرك، فلما بلغوا الشوط انخذل عبد الله بن أبى بثلث الناس، انتهى.

و فى الاكتفاء أن مخيريقا كان من أحبار يهود، فقال لهم يومئذ، لقد علمتم إن نصر محمد عليكم لحق، فتعللوا بسبتهم، فقال لهم: لا سبت لكم، و أخذ سيفه و عدته فلحق برسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم فقاتل معه حتى قتل بعد أن قال: إن أصبت فمالى لمحمد يصنع فيه ما شاء، و فيه قال رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم: «مخيريق خير يهود» انتهى.

و روى الطبرانى فى الكبير و الأوسط برجال ثقات عن أبى حميد الساعدى أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم خرج يوم أحد حتى إذا جاوز ثنية الوداع فإذا هو بكتيبة حسناء، فقال: من هؤلاء؟

قالوا: عبد الله بن أبى فى ستمائة من مواليه من اليهود من بنى قينقاع، فقال: و قد أسلموا؟ قالوا: لا يا رسول الله، قال: مروهم فليرجعوا، فإنا لا نستعين بالمشركين على المشركين.

قال الأقشهرى عقب كلامه السابق: و عرض رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم من عرض ورد من رد فى ذلك الموضع، يعنى بالشيخين، و أذن بلال المغرب فصلى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم بأصحابه، و بات بذلك الموضع صلّى اللّه عليه و سلّم و استعمل على الحرس فى تلك الليلة محمد بن مسلمة فى خمسين يطوفون بالعسكر، و أدلج رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم فى السحر و هو يرى المشركين و دليله أبو خيثمة الحارثى، فانتهى إلى موضع القنطرة، فحانت الصلاة فصلى بأصحابه الصبح صفوفا عليهم السلاح، قال: و قال مجاهد و الكلبى و الواقدى: غدا رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم من منزل عائشة على رجليه إلى أحد، فجعل يصف أصحابه للقتال كما يقوّم القدح، و قال ابن إسحاق: لما خرج رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم إلى أحد حتى إذا كان بالشوط انخذل عبد الله بن أبى فى ثلاثمائة، و فى رواية بثلث الناس، و قال: أطاعهم و عصانى، و قال ابن عقبة: فبقى صلّى اللّه عليه و سلّم فى سبعمائة،

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۲۲۰

فلما رجع عبد الله بن أبى سقط فى أيدى طائفتين من المؤمنين- و هما بنو حارثة و بنو سلمة- و قال الأقشهرى: فبقى رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم فى سبعمائة، و معه فرسه و فرس لأبى بردة بن نيار، و هذه رواية الواقدى، و الذى رواه ابن عقبة- كما سيأتى- أنه لم يكن مع المسلمين فرس، و فى الاكتفاء بعد ذكر انخذال ابن أبى أن رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم مضى حتى سلك فى حرة بنى حارثة، ثم قال: من رجل يخرج منا على القوم من كثب، أى من قرب، من طريق لا يمر بنا عليهم؟ فقال أبو خيثمة أخو بنى حارثة: أنا يا رسول الله، فنفذ به فى حرة بنى حارثة و بين أموالهم حتى سلك فى مال لمربع بن قيظى، و كان منافقا ضرير البصر، فلما سمع حس رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم و من معه قام فحثا فى وجوههم التراب و يقول: إن كنت رسول الله فإنى لا أحل لك أن تدخل حائطى، و ذكر أنه أخذ حفنة من تراب، ثم قال: و الله لو أعلم أنى لا أصيب بها غيرك يا محمد لضربت بها وجهك، فابتدره القوم ليقتلوه، فقال رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم: لا تقتلوه فهذا الأعمى أعمى القلب أعمى البصر، فمضى رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم حتى نزل الشعب من أحد، فجعل ظهره و عسكره إلى أحد. و قال الأقشهرى: و جعل أحدا خلف ظهره، و استقبل المدينة، و جعل عينين الجبل عن يساره، و قال ابن عقبة: و صفّ المسلمون بأصل أحد، و صف المشركون بالسبخة، و تعبوا للقتال، و على خيل المشركين- و هى مائة فرس- خالد بن الوليد، و ليس مع المسلمين فرس، و صاحب لواء المشركين طلحة بن عثمان، و أمّر رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم عبد الله بن جبير على الرماة و هم خمسون رجلا، و عهد إليهم أن لا يتركوا منازلهم. و نقل الأقشهرى أنه جعلهم على جبل عينين. و فى الاكتفاء أنه صلّى اللّه عليه و سلّم قال لأميرهم: انضح الخيل عنا لا يأتونا من خلفنا، إن كان لنا أو علينا فاثبت

مكانك لا نؤتين من قبلك، و ظاهر رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم بين درعين، و تعبأ قريش، و هم ثلاثة آلاف و معهم مائة فرس قد جنبوها، فجعلوا على ميمنة الخيل خالد بن الوليد، و على الميسرة عكرمة بن أبى جهل، و قد كان أبو عامر الراهب من الأوس خرج عن قومه إلى مكة مباعدا لرسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم فكان يعد قريشا أن لو لقى قومه لم يختلف عليه منهم رجلان، فلما التقى الناس كان أول من لقيهم هو فى الأحابيش و عبدان أهل مكة، فنادى: يا معشر الأوس أنا أبو عامر، قالوا: فلا أنعم الله بك عينا يا فاسق، و بذلك سماه رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم و كان يسمى فى الجاهلية الراهب، فلما سمع ردهم عليه قال:

لقد أصاب قومى بعدى شر، ثم قاتلهم قتالا شديدا، ثم راضخهم بالحجارة، انتهى.

و روى البزار- و رجاله ثقات- عن الزبير بن العوام قال: عرض رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم سيفا يوم أحد فقال: من يأخذ هذا السيف بحقه؟ فقام أبو دجانة فقال: يا رسول الله أنا آخذه بحقه، فأعطاه إياه، فخرج، فأتبعته فجعل لا يمر بشىء إلا أفراه و هتكه، حتى أتى نسوة فى سفح الجبل و معهن هند و هى تقول:

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۲۲۱

نحن بنات طارق نمشى على النمارق

و الدر فى المخانق و المسك فى المفارق

إن تقبلوا نعانق و نفرش النمارق

أو تدبروا نفارق فراق غير وامق

يعنى تحرضهم بذلك، قال: فحمل عليها، فنادت بالصحراء فلم يجبها أحد، فانصرف عنها، فقلت له: كل سيفك رأيته فأعجبنى غير أنك لم تقتل المرأة، قال: فإنها نادت فلم يجبها أحد، فكرهت أن أضرب بسيف رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم امرأة لا ناصر لها.

و فى الاكتفاء: ذكر الزبير رضى الله عنه أن سيف عبد الله بن جحش انقطع يوم أحد، فأعطاه رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم عرجونا، فعاد فى يده سيفا قائمه منه، فقاتل به؛ فكان ذلك السيف يسمى العرجون، و لم يزل بعد يتوارث حتى بيع من بغا التركى بمائتى دينار.

و روى البزار برجال الصحيح عن بريدة أن رجلا قال يوم أحد: اللهم إن كان محمد على الحق فاخسف به، قال: فخسف به.

و قال ابن إسحاق: قتل أصحاب لواء المشركين و هم تسعة بأحد واحد بعد واحد.

و قال غيره: أحد عشر آخرهم غلام لبنى طلحة.

و قال ابن عقبة: و كان صاحب لواء المسلمين مصعب بن عمير أخو بنى عبد الدار، فبارز طلحة بن عثمان من بنى عبد الدار فقتله، و حمل المسلمون على المشركين حتى أجهضوهم، و حملت خيل المشركين فنضحهم الرماة بالنبل ثلاث مرات، فدخل المسلمون عسكر المشركين فانتهبوه، فرأى ذلك الرماة، فتركوا مكانهم، و دخلوا العسكر، فأبصر ذلك خالد و من معه، فحملوا على المسلمين فى الخيل، فمزقوهم، و صرخ صارخ: قتل محمد، أخراكم، فعطف المسلمون يقتل بعضهم بعضا و هم لا يشعرون، و انهزم طائفة منهم و تفرق سائرهم، و وقع فيهم القتل، و ثبت نبى الله حين انكشفوا عنه و هو يدعوهم فى أخراهم، حتى رجع إليه بعضهم و هو عند المهراس فى الشعب، و توجه النبى صلّى اللّه عليه و سلّم يلتمس أصحابه، فاستقبله المشركون فرموا وجهه فأدموه و كسروا رباعيته، فمر مصعدا فى الشعب و معه طلحة و الزبير، و قيل: معه طائفة من الأنصار منهم سهل بن بيضاء و الحارث بن الصمة، و اشتغل المشركون بقتلى المسلمين يمثلون بهم يقطعون الآذان

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى؛ ج ۱؛ ص ۲۲۱

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۲۲۲

و الأنوف و الفروج و يبقرون البطون، و هم يظنون أنهم أصابوا النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و أشراف أصحابه، فقال أبو سفيان يفتخر بإلهه: «اعل هبل» فناداه عمر: الله أعلى و أجل، و رجع المشركون إلى أثقالهم.

الرسول يقتل أبى بن خلف

قال ابن إسحاق: كان أول من عرف رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم بعد الهزيمة، و تحدث الناس بقتله، كعب بن مالك الأنصارى، قال: عرفت عينيه يزهران تحت المغفر، فناديت بأعلى صوتى: يا معشر المسلمين، أبشروا هذا رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم فأشار إلى أن أنصت، فلما عرف المسلمون رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم نهضوا به، و نهض معهم نحو الشعب معه أبو بكر و عمر و على و طلحة و الزبير و الحارث بن الصمة و رهط من المسلمين، فلما أسند رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم فى الشعب أدركه أبى بن خلف و هو يقول: أين محمد؟ لا نجوت إن نجا، فقال القوم:

يا رسول الله أ يعطف عليه رجل منا؟ فقال: دعوه، فلما دنا تناول رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم الحربة من الحارث بن الصمة، يقول بعض القوم: فلما أخذها رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم استقبله فطعنه فى عنقه طعنة تدأدأ منها عن فرسه مرارا، و كان أبى بن خلف يلقى رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم بمكة فيقول: يا محمد إن عندى العود فرسا أعلفه كل يوم فرقا من ذرة أقتلك عليه، فيقول رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم: أنا أقتلك إن شاء الله، فلما رجع إلى قريش و قد خدشه فى عنقه خدشا غير كبير فاحتقن الدم، قال: قتلنى و الله محمد، فقالوا: ذهب و الله فؤادك، و الله إن يك بأس، قال: إنه قد كان، قال بمكة: أنا أقتلك، فوالله لو بصق على لقتلنى، فمات عدو الله بسرف و هم قافلون إلى مكة، و قد قال رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم فيما قاله يومئذ: اشتد غضب الله على رجل قتله رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم فسحقا لأصحاب السعير.

و فى الصحيح عن عائشة قالت: لما كان يوم أحد هزم المشركون هزيمة بينة، فصاح إبليس: أى عباد الله، أخراكم، فرجعت أولاهم، فاجتلدت مع أخراهم، فنظر حذيفة فإذا هو بأبيه فنادى: أى عباد الله، أبى أبى، فقالت: فو الله ما احتجزوا حتى قتلوه، فقال حذيفة: يغفر الله لكم.

و نقل الأقشهرى أن أبا سفيان بن حرب قال يومئذ لبنى عبد الدار: إنكم ضيعتم اللواء يوم بدر، فأصابنا ما رأيتم، فادفعوا اللواء إلينا نكفكم، و إنما أراد تحريضهم على القتال

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۲۲۳

و الثبات، فغضبوا و أغلظوا له، و أن رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم سأل: من يحمل لواء المشركين؟ قيل:

عبد الدار، قال: نحن أحق بالوفاء منهم؟ أين مصعب بن عمير؟ فقال:ها أنا، قال: خذ اللواء، فأعطاه اللواء، و إن حمزة رضى الله عنه حمل على عثمان بن طلحة حامل لواء المشركين فقطع يده و كتفه حتى انتهى إلى مؤتزره، ثم إن أصحاب اللواء قتلوا واحدا بعد واحد، فانكشف المشركون منهزمين، و نساؤهم يدعون بالويل و الثبور، و تبعهم المسلمون يضعون فيهم السلاح، و وقفوا يأخذون الغنائم، فلما رأى الرماة ذلك أقبل جماعة منهم و خلوا الجبل، فكر خالد بالخيل، فتبعه عكرمة، فحملوا على من بقى من الرماة فقتلوهم و قتلوا أميرهم عبد الله بن جبير، و انتقضت صفوف المسلمين، و نادى إبليس: قتل محمد، و ثبت رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم ما يزول، يرمى عن قوسه حتى صارت شظايا، و يرمى بالحجارة، و ثبت معه عصابة من الصحابة أربعة عشر من المهاجرين فيهم أبو بكر و عمر و سبعة من الأنصار، اه.

و روى النسائى عن جابر قال: لما ولّى الناس يوم أحد كان النبى صلّى اللّه عليه و سلّم فى اثنى عشر رجلا من الأنصار فيهم طلحة.

و وقع عند الطبرى من طريق السدى قال: تفرق الصحابة فدخل بعضهم المدينة، و انطلق بعضهم فوق الجبل، و ثبت رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم يدعو الناس إلى الله، فرماه ابن قميئة بحجر فكسر أنفه و رباعيته و شجه فى وجهه فأثقله، فتراجع إلى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم ثلاثون رجلا، فجعلوا يذبون عنه، فحمله منهم طلحة و سهل بن حنيف، فرمى طلحة بسهم فيبست يده، و قال بعض من فر إلى الجبل: ليت لنا رسولا إلى عبد الله بن أبى يستأمن لنا من أبى سفيان، فقال أنس بن النضر: يا قوم إن كان محمد قتل فإن رب

محمد لم يقتل، فقاتلوا على ما قاتل عليه، ثم ذكر قصة قتله، و قصد رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم الجبل، فأراد رجل من أصحابه أن يرميه بسهم، فقال: أنا رسول الله، فلما سمعوا ذلك فرحوا به، و اجتمعوا حوله، و تراجع الناس.

و روى أحمد عن سعد بن أبى وقاص قال: رأيت عن يمين رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم و عن يساره يوم أحد رجلين عليهما ثياب بيض يقاتلان عنه كأشد القتال، ما رأيتهما قبل و لا بعد، و قد أخرجه الشيخان، و فى رواية لمسلم: يعنى جبريل و ميكائيل، و قول مجاهد: «لم تقاتل الملائكة يومئذ و لا قبله و لا بعده، إلا يوم بدر». قال البيهقى: أراد به أنهم لم يقاتلوا يوم أحد عن القوم حين عصوا الرسول و لم يصبروا على ما أمرهم به.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۲۲۴

و عن عروة بن الزبير: كان الله وعدهم على الصبر و التقوى أن يمدهم بخمسة آلاف من الملائكة مسوّمين، و كان قد فعل، فلما عصوا أمر الرسول و تركوا مصافهم و تركت الرماة عهده إليهم و أرادوا الدنيا رفع عنهم مدد الملائكة، و أنزل الله: وَ لَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ [آل عمران: ۱۵۲] فصدق الله وعده، و أراهم الفتح، فلما عصوا أعقبهم البلاء.

و عند ابن سعد: ثبت معه صلّى اللّه عليه و سلّم سبعة من الأنصار و سبعة من قريش.

و فى مسلم من حديث أنس: أفرد فى سبعة من الأنصار و رجلين من قريش طلحة و سعد.

و قال ابن إسحاق: حدثنى حميد الطويل عن أنس قال: كسرت رباعية النبى صلّى اللّه عليه و سلّم يوم أحد، و شج فى وجهه، فجعل يسيل الدم على وجهه، و جعل يمسح الدم و هو يقول:

كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم و هو يدعوهم إلى ربهم؟ فأنزل الله تعالى: لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ [آل عمران: ۱۲۸] الآية.

و روى بن إسحاق من حديث سعد بن أبى وقاص قال: ما حرصت على قتل رجل قط حرصى على قتل أخى عتبة بن أبى وقاص لما صنع برسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم.

و ذكر ابن هشام فى حديث أبى سعيد الخدرى أن عتبة بن أبى وقاص أخا سعد هو الذى كسر رباعية النبى صلّى اللّه عليه و سلّم السفلى، و جرح شفته السفلى، و أن عبد الله بن شهاب هو الذى شجه فى جبهته، و أن عبد الله بن قميئة جرحه فى وجنته، فدخلت حلقتان من حلق المغفر فى وجنته، و أن مالك بن سنان مص الدم من وجهه، ثم ازدرده، فقال له: لن تمسك النار.

و فى الطبرانى من حديث أبى أمامة قال: رمى عبد الله بن قميئة رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم يوم أحد فشج وجهه، و كسر رباعيته، و قال: خذها و أنا بن قميئة، فقال رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم و هو يمسح الدم عن وجهه: ما لك أقمأك الله، فسلط الله عليه تيس جبل، فلم يزل ينطحه حتى قطعه قطعة قطعة.

و قال السهيلى: الذى كسر رباعية رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم عتبة بن أبى وقاص أخو سعد، لم يولد من نسله ولد فبلغ الحلم إلا و هو أبخر أو أهتم، يعرف بذلك فى عقبه.

و روى ابن الجوزى عن محمد بن يوسف الفريابى قال: لقد بلغنى أن الذين كسروا رباعية النبى صلّى اللّه عليه و سلّم لم يولد لهم صبى فنبتت له رباعية.

و قيل: كان سبب الهزيمة أن ابن قميئة الليثى قتل مصعب بن عمير، و كان مصعب إذا

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۲۲۵

لبس لأمته يشبه النبى صلّى اللّه عليه و سلّم فلما قتله ظن أنه رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم فرجع إلى قريش و قال: قد قتلت محمدا، فازدادوا جرأة و صاح إبليس من العقبة: قتل محمد، فلما سمع المسلمون ذلك و هم متفرقون كانت الهزيمة، فلم يلو أحد على أحد.

و الصواب أن السبب مخالفة الرماة للأمر، و هذا مؤكد له و متمم، مع أن الأصل فى ذلك- مع إرادة الله تعالى- ما اتفق ببدر من أخذ الفداء، فقد أخرج الترمذى و النسائى عن على أن جبريل هبط فقال: خيّرهم فى أسارى بدر القتل أو الفداء على أن يقتل منهم من

قابل مثلهم، قالوا: الفداء و يقتل منا، و قال الترمذى: حسن، و ذكر غيره له شواهد تقويه، و لهذا جاء فى الصحيح أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و أصحابه أصابوا من المشركين يوم بدر أربعين و مائة، و قتلوا سبعين، و أسروا سبعين. و فيه أيضا أن المشركين أصابوا يوم أحد من المسلمين سبعين، و لفظه من حديث البراء قال: لقينا المشركين يومئذ، و أجلس النبى صلّى اللّه عليه و سلّم جيشا من الرماة، و أمّر عليهم عبد الله بن جبير، و قال: لا- تبرحوا، فإن رأيتمونا ظهرنا عليهم فلا تبرحوا، و إن رأيتموهم ظهروا علينا فلا تعينونا، فلما لقيناهم هربوا حتى رأيت النساء يشتددن فى الجبل رفعن عن سوقهن قد بدت خلاخلهن، فأخذوا يقولون: الغنيمة الغنيمة، فقال عبد الله: عهد إلى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم ألّا تبرحوا، فأبوا، فلما أبوا صرف الله وجوههم، فأصيب سبعون قتيلا.

و وقع عند مسلم من طريق ابن عباس عن عمر فى قصة بدر قال: فلما كان يوم أحد قتل منهم سبعون و فروا، و كسرت رباعية النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و هشمت البيضة على رأسه، و سال الدم على وجهه، فأنزل الله تعالى: أَ وَ لَمَّا أَصابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْها [آل عمران:

۱۶۵] الآية، و المراد بكسر الرباعية- و هى السن التى تلى الثنية و الناب- أنها كسرت فذهب منها فلقة، و لم تقلع من أصلها، و قوله «و فروا» أى: بعضهم، أو أطلق ذلك باعتبار تفرقهم، و الواقع أنهم صاروا ثلاث فرق: فرقة استمروا فى الهزيمة إلى قرب المدينة، فما رجعوا حتى انقضى القتال، و هم قليل، و هم الذين نزل فيهم: إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعانِ [آل عمران: ۱۵۵] و فرقة صاروا حيارى لما سمعوا أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم قتل، فصار غاية الواحد منهم أن يذب عن نفسه، أو يستمر على نصرته فى القتال إلى أن يقتل، و هم أكثرهم، و فرقة بقيت مع النبى صلّى اللّه عليه و سلّم ثم تراجع إليهم القسم الثانى شيئا فشيئا لما عرفوا أنه حى، و ما ورد من الاختلاف فى العدد محمول على تعدد المواطن فى القصة.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۲۲۶

و وقع عند أبى يعلى فى حديث عمر المتقدم: فلما كان عام أحد عوقبوا بما صنعوا يوم بدر من أخذهم الفداء، فقتل منهم سبعون.

و فى الاكتفاء: أنه لما قتل مصعب بن عمير أعطى رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم اللواء على بن أبى طالب، فقاتل فى رجال من المسلمين، و لما اشتد القتال جلس رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم يومئذ تحت راية الأنصار، و أرسل إلى على أن قدم الراية، فتقدم فقال: أنا أبو القصم، فناداه أبو سعد بن أبى طلحة: هل لك يا أبا القصم فى البراز من حاجة؟ قال: نعم، فبرزا بين الصفين، فاختلفا ضربتين: فضربه على فصرعه، ثم انصرف و لم يجهز عليه، فقال له أصحابه: أ فلا أجهزت عليه؟ فقال: إنه استقبلنى بعورته، فعطفتنى عليه الرحم، و عرفت أن الله قد قتله.

و قد قيل: إن سعد بن أبى وقاص هو الذى قتل أبا سعد هذا.

و روى الطبرانى برجال الصحيح عن ابن عباس قال: دخل على بن أبى طالب على فاطمة يوم أحد فقال: خذى هذا السيف غير ذميم، فقال النبى صلّى اللّه عليه و سلّم: لئن كنت أحسنت القتال فقد أحسنه سهل بن حنيف و أبو دجانة بن خرشة.

و ذكر فى الاكتفاء دخول الحلقتين من حلق المغفر فى وجنته صلّى اللّه عليه و سلّم و أنه وقع فى حفرة من الحفر التى عمل أبو عامر الراهب ليقع فيها المسلمون و هم لا يعلمون، فأخذ على بيده، و رفعه طلحة حتى استوى قائما، و مص مالك بن سنان والد أبى سعيد الخدرى الدم من وجهه، و نزع أبو عبيدة بن الجراح إحدى الحلقتين من وجهه صلّى اللّه عليه و سلّم فسقطت ثنيته، ثم نزع الأخرى فسقطت ثنيته الأخرى، و رمى سعد بن أبى وقاص دون رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم قال سعد: فلقد رأيته يناولنى النبل و يقول: «ارم فداك أبى و أمى»، و أصيب يومئذ عين قتادة بن النعمان فردها رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم بيده، فكانت أحسن عينيه، و أصيب فم عبد الرحمن بن عوف فهتم، و جرح عشرين جراحة أو أكثر أصابه بعضها فى رجله فعرج، فلما انتهى رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم إلى الشعب و معه أولئك النفر من أصحابه، فبينا هم فى الشعب إذ علت عالية من قريش: الجبل، فقال: اللهم إنه لا ينبغى لهم أن يعلونا، فقاتل عمر بن الخطاب و رهط معه من المهاجرين حتى أهبطوهم من الجبل، و نهض رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم إلى

صخرة من الجبل ليعلوها فلم يستطع، و قد كان بدّن و ظاهر بين درعين، فجلس تحته طلحة بن

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۲۲۷

عبيد الله فنهض به حتى استوى عليها، فقال رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم: «أوجب طلحة» و صلى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم يومئذ الظهر قاعدا من الجراح التى أصابته، و صلّى المسلمون خلفه قعودا.

و فى الصحيح من حديث البراء أن أبا سفيان- حين أراد الانصراف- قال: «لنا العزى و لا عزى لكم» فقال النبى صلّى اللّه عليه و سلّم: أجيبوه، قالوا: ما نقول؟ قال: «قولوا: الله مولانا و لا مولى لكم».

و فيه أيضا أن أبا سفيان أشرف يوم أحد فقال: أ فى القوم محمد؟ فقال: لا تجيبوه، فقال: أ فى القوم ابن أبى قحافة؟ قال: لا تجيبوه، قال: أ فى القوم ابن الخطاب؟ فلما لم يجبه أحد قال: إن هؤلاء قتلوا، و لو كانوا أحياء لأجابوا، فلم يملك عمر نفسه فقال:

كذبت يا عدو الله، قد أبقى الله لك ما يخزيك.

قال ابن إسحاق: فلما أجاب عمر أبا سفيان قال له: هلم إلى يا عمر، فقال رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم لعمر: ائته فانظر ما شأنه، فجاء، فقال له أبو سفيان: أنشدك بالله يا عمر أ قتلنا محمدا، فقال عمر: اللهم لا، و إنه ليسمع كلامك الآن، قال: أنت أصدق عندى من ابن قميئة و أبر، ثم نادى أبو سفيان: إنه قد كان فى قتلاكم مثل، و الله ما رضيت و ما سخطت، و ما أمرت و ما نهيت، و لما انصرف أبو سفيان و من معه نادى: إن موعدكم بدر العام القابل، فقال رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم لرجل من أصحابه: «قل: نعم، هو بيننا و بينكم موعد» ثم بعث رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم على بن أبى طالب فقال: اخرج فى آثار القوم فانظر ما ذا يصنعون و ما ذا يريدون، فإن كانوا قد جنبوا الخيل و امتطوا الإبل فإنهم يريدون مكة، و إن ركبوا الخيل و ساقوا الإبل فهم يريدون المدينة، و الذى نفسى بيده لئن أرادوها لأسيرن إليهم فيها ثم لأناجزنهم، فخرج على فرآهم قد جنبوا الخيل و امتطوا الإبل و وجهوا إلى مكة، و فزع الناس لقتلاهم، و انتشروا يبتغونهم، و سيأتى خبرهم و تعيينهم إن شاء الله تعالى فى الفصل السادس من الباب الخامس، و بكى المسلمون يومئذ على قتلاهم، فسر المنافقون، و ظهر غش اليهود، و فارت المدينة بالنفاق.

الحكم التى فى قصة أحد

قال العلماء: و كان فى قصة أحد من الحكم و الفوائد أشياء عظيمة.

منها: تعريف المسلمين سوء عاقبة المعصية، و شؤم ارتكاب النهى؛ لما وقع من الرماة.

و منها: أن عادة الرسل أن تبتلى و تكون لها العاقبة.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۲۲۸

و منها: إظهار أهل النفاق حتى عرف المسلمون أن لهم عدوا بين أظهرهم.

و منها: أن فى تأخير النصر هضما للنفس.

و منها: أن الله هيأ لعباده المؤمنين منازل فى دار كرامته لا تبلغها أعمالهم، فسبب لهم ذلك ليبلغوها.

و منها: أن الشهادة من أعلى مراتب الأولياء، فساقها لهم بين يدى الرسول ليكون شهيدا عليهم.

قال ابن إسحاق: و فى شأن أحد أنزل الله ستين آية من آل عمران.

و روى ابن أبى حاتم من طريق المسور بن مخرمة قال: قلت لعبد الرحمن بن عوف:

أخبرنى عن قصتكم يوم أحد، قال: اقرأ العشرين و مائة من آل عمران تجدها: وَ إِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقاعِدَ لِلْقِتالِ إلى قوله: أَمَنَةً نُعاساً [آل عمران: ۱۲۱- ۱۵۴].

أبو عزة الجمحى و مقتله

ثم خرج رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم بعد الوقعة مرهبا لعدوه حتى انتهى إلى حمراء الأسد، فأخذ فى وجهه ذلك أبا عزّة الجمحى، و كان النبى صلّى اللّه عليه و سلّم قد منّ عليه يوم بدر بغير فداء، و أخذ عليه أن لا يظاهر عليه أحدا، و كان شاعرا، فقال له صفوان بن أمية: إنك امرؤ شاعر فأعنّا بلسانك، و لم يزل به حتى خرج معهم، فلما أخذه النبى صلّى اللّه عليه و سلّم قال: يا رسول الله أقلنى فقال رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم: و الله لا تمسح عارضيك بمكة تقول: خدعت محمدا مرتين، اضرب عنقه يا زبير، فضرب عنقه.

تحريم الخمر السنة الرابعة من الهجرة غزوة الرجيع غزوة بنى النضير.

و فى رواية أنه قال له: «إن المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين، اضرب عنقه يا عاصم بن ثابت» فضرب عنقه.

تحريم الخمر

و فى هذه السنة أيضا حرمت الخمر، و يقال: فى التى بعدها، و قال الحافظ ابن حجر: الذى يظهر أن تحريمها كان عام الفتح سنة ثمان، و استدل بشىء فيه نظر.

و تزوج النبى صلّى اللّه عليه و سلّم حفصة بنت عمر بن الخطاب رضى الله عنهما فى شعبان على الأصح، و قيل: فى التى قبلها، و زينب بنت خزيمة أم المساكين فى رمضان، فمكثت عنده شهرين أو ثلاثة، و قيل: ثمانية أشهر، و ماتت، و ولد الحسن بن على فى منتصف رمضان،

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۲۲۹

و علقت أمه بالحسين بعد خمسين ليلة، و تزوج عثمان أم كلثوم بنت رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم و الله أعلم.

السنة الرابعة من الهجرة

اشارة

السنة الرابعة: و كانت بئر معونة أولها فى المحرّم.

قلت: فى الصحيح من رواية أنس قال: إن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم أتاه رعل و ذكوان و عصية و بنو لحيان، فزعموا أنهم قد أسلموا، و استمدوه على قومهم، فأمدهم النبى صلّى اللّه عليه و سلّم بسبعين من الأنصار، قال أنس: كنا نسميهم القراء، يحطبون بالنهار و يصلون بالليل، فانطلقوا بهم حتى بلغوا بئر معونة غدروا بهم و قتلوهم، فقنت شهرا يدعو على رعل و ذكوان و بنى لحيان، و فى بعض الروايات ما يقتضى أن الذين استمدوا لم يظهروا الإسلام، بل كان بينهم و بين النبى صلّى اللّه عليه و سلّم عهد، و أنهم غير الذين قتلوا القراء لكنهم من قومهم، و هو الذى فى كتب السير و قد بين ابن إسحاق فى المغازى و كذلك موسى بن عقبة عن ابن شهاب أسماء الطائفتين، و أن أصحاب العهد هم بنو عامر و رأسهم أبو براء عامر بن مالك بن جعفر، المعروف بملاعب الأسنة، و أن الطائفة الأخرى من بنى سليم، و أن عامر بن أخى ملاعب الأسنة أراد الغدر بأصحاب النبى صلّى اللّه عليه و سلّم فدعا بنى عامر إلى قتالهم، فامتنعوا و قالوا: لا نخفر ذمة أبى براء، فاستصرخ عليهم عصية و ذكوان من بنى سليم، فأطاعوه و قتلوهم، قالوا: و مات أبو براء بعد ذلك آسفا على ما صنع به عامر بن الطفيل، و قيل: أسلم أبو براء عند ذلك، و قاتل حتى قتل، و عاش عامر بن الطفيل حتى مات

كافرا بدعاء النبى صلّى اللّه عليه و سلّم أصابته غدة كغدة البعير، و لم يكن القراء المذكورون كلهم من الأنصار، بل كان بعضهم من المهاجرين مثل عامر بن فهيرة مولى أبى بكر و نافع بن ورقاء الخزاعى و غيرهما، كما يؤخذ من الصحيح أيضا، و اللّه أعلم.

ثم كانت غزوة الرجيع فى صفر.

غزوة الرجيع

قلت: ذكرها ابن إسحاق فى الثالثة قبل بئر معونة، و الرجيع: موضع ببلاد هذيل، و اللّه أعلم.

ثم كانت غزوة بنى النضير.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۲۳۰

غزوة بنى النضير

قلت: ذكرها بعضهم فى الثالثة قبل أحد، و قال الزهرى: كانت على رأس ستة أشهر من وقعة بدر قبل أحد، و ذكرها ابن إسحاق فى الرابعة بعد بئر معونة و أن سببها أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم جاءهم يستعينهم فى دية، و جلس إلى جنب جدار لهم، فخلا بعضهم ببعض، و أمروا عمرو بن جحاش أن يرقى فيلقى عليه صخرة، فأتاه الخبر من السماء، فقام مظهرا أن يقضى حاجة، و قال لأصحابه: لا تبرحوا، و رجع مسرعا إلى المدينة، فأمر بحربهم و المسير إليهم، و أمر بقطع النخل و التحريق، قال: و حاصرهم ست ليال، فسألوا أن يجلوا من أرضهم على أن لهم ما حملت الإبل، فصولحوا على ذلك، فاحتملوا إلى خيبر و إلى الشام؛ فكانت أموالهم له صلّى اللّه عليه و سلّم خاصة، و وافق ابن إسحاق على ذلك جل أهل المغازى، و أصح منه ما رواه ابن مردويه بسند صحيح أنهم أجمعوا على الغدر، فبعثوا إلى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم: اخرج إلينا فى ثلاثة من أصحابك و يلقاك ثلاثة من علمائنا، فإن آمنوا بك اتبعناك، فاشتمل اليهود الثلاثة على الخناجر، فأرسلت امرأة من بنى النضير إلى أخ لها من الأنصار مسلم تخبره بأمر بنى النضير، فأخبر أخوها النبى صلّى اللّه عليه و سلّم بأمر بنى النضير قبل أن يصل إليهم، فرجع و صبّحهم بالكتائب، فحصرهم يومه، ثم غدا على بنى قريظة فحاصرهم، فعاهدوه، فانصرف عنهم إلى بنى النضير فقاتلهم حتى نزلوا على الجلاء و على أن لهم ما أقلت الإبل إلا السلاح، فاحتملوا أبواب بيوتهم؛ فكانوا يخربون بيوتهم فيهدمونها و يحملون ما يوافقهم من خشبها، و كان جلاؤهم ذلك أول حشر الناس إلى الشام.

و رواه أيضا عبد بن حميد فى تفسيره، و روى أيضا من طريق عكرمة أن غزوتهم كانت صبيحة قتل كعب بن الأشرف، و روى أن قريشا كتبوا لبنى النضير يحثونهم على حرب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم فأضمروا الغدر بالنبى صلّى اللّه عليه و سلّم و لما حرق رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم نخلهم قال حسان رضى اللّه عنه يعير قريشا من أبيات:

و هان على سراة بنى لؤى حريق بالبويرة مستطير

فأجابه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، و لم يكن أسلم حينئذ:

أدام اللّه ذلك من صنيع و حرق فى نواحيها السعير

ستعلم أيّنا منها بنزه و تعلم أى أرضينا تضير

أى: ستعلم أينا منها ببعد، و أى الأرضين أرضنا أو أرضكم يحصل لها الضير: أى الضرر؛ لأن بنى النضير إذا خربت أضرت بما جاورها و هو أرض الأنصار لا أرض

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۲۳۱

قريش، و نقل ابن سيد الناس عن أبى عمرو الشيبانى أن الذى قال البيت المتقدم المنسوب لحسان هو أبو سفيان بن الحارث، و أنه لما قال:

و عزّ على سراة بنى لؤى

بدل «هان» قال: و يروى «بالبويلة» بدل «بالبويرة» و أن المجيب له بالبيتين المتقدمين هو حسان، و ما قدمناه هو رواية البخارى.

قال ابن سيد الناس: و ما ذكره الشيبانى أشبه.

قلت: كأنه استبعد أن يدعو أبو سفيان فى حالة كفره على أرض بنى النضير، و قد قدمنا وجهه، و كان أشراف بنى النضير بنو الحقيق و حيى بن أخطب، فكانوا فى من سار إلى خيبر، فدان لهم أهلها، و أسلم منهم يامين بن عمير و أبو أسعد بن وهب، فأحرزا أموالهما.

و روى ابن شبة عن الكلبى قال: لما ظهر النبى صلّى اللّه عليه و سلّم على أموال بنى النضير قال للأنصار: إن إخوانكم من المهاجرين ليست لهم أموال، فإن شئتم قسمت هذه الأموال بينهم و بينكم جميعا، و إن شئتم أمسكتم أموالكم فقسمت هذه فيهم، قالوا: بل اقسم هذه فيهم و اقسم لهم من أموالنا ما شئت، فنزلت: وَ يُؤْثِرُونَ عَلى أَنْفُسِهِمْ وَ لَوْ كانَ بِهِمْ خَصاصَةٌ [الحشر: ۹]. و قال ابن إسحاق: قسمها صلّى اللّه عليه و سلّم فى المهاجرين إلا سهل بن حنيف و أبو دجانة، ذكرا فقرا فأعطاهما منها، و اللّه أعلم.

ثم ولد الحسين بن على.

قلت: المشهور فى ولادته أنها فى الثالثة كما قدمناه، و اللّه أعلم.

ثم كانت بدر الموعود.

قلت: هى بدر الثالثة لما تقدم، و اللّه أعلم.

ثم كان مقتل سلام بن مشكم أى أبى رافع، و يقال: عبد اللّه بن أبى الحقيق و هى سرية عبيد اللّه بن عتيك. ثم رجم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم اليهوديين اللذين كان يحنى أحدهما على الآخر.

زواج أم سلمة هند بنت أبى أمية

قلت: و فيها فى شوال تزوج رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم أم سلمة هند- و قيل: رملة- بنت أبى

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۲۳۲

أمية، و هى أول من هاجر مع زوجها أبى سلمة إلى الحبشة ثم هاجرت إلى المدينة، كذا ذكر بعض أهل السير، و قال أبو عمر: تزوجها صلّى اللّه عليه و سلّم سنة اثنتين بعد بدر فى شوال.

غزوة ذات الرقاع

و فيها غزوة ذات الرقاع بعد بنى النضير بشهرين عند ابن إسحاق، و قيل: فى الخامسة، و ذكرها البخارى بعد خيبر لما فى الصحيح من حضور أبى موسى الأشعرى فيها، و هو من أصحاب السفينة، و لا مانع من التعدد، و اللّه أعلم.

السنة الخامسة من الهجرة

اشارة

السنة الخامسة: ثم فك رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم سلمان من الرق، ثم خرج إلى دومة الجندل، فرجع و لم يلق كيدا. ثم توفيت أم سعد بن عبادة.

ثم كسف القمر فى جمادى الآخرة؛ فصلى بهم كصلاة كسوف الشمس.

قلت: و جعلت اليهود يضربون بالطساس، و يقولون: سحر القمر. و روى ابن حبان فى صحيحه أنه صلّى اللّه عليه و سلّم صلّى لكسوف القمر، و الله أعلم.

ثم أصابت قريشا شدة، فبعث إليهم بفضة يتألفهم بها. ثم وفد بلال بن الحارث المزنى، فكان أول وافد مسلم إلى المدينة. ثم قدم ضمام بن ثعلبة، ثم غزا المريسيع فى شعبان، و فيها أنزلت آية التيمم بسبب عقد عائشة رضى الله عنها.

قلت: و سيأتى أن الأشبه أن بنى المصطلق هى هذه، و الله أعلم.

ثم غزوة الخندق.

غزوة الخندق

قلت: هكذا ذكره ابن إسحاق، و هو المعتمد، و قال موسى بن عقبة: كانت فى شوال سنة أربع، و صححه النووى فى الروضة، مع قوله بأن بنى قريظة فى الخامسة، و هو عجيب؛ لما سيأتى من أنها كانت عقيب الخندق، سميت بذلك لحفر النبى صلّى اللّه عليه و سلّم الخندق بإشارة سلمان الفارسى، و تسمى بالأحزاب لاجتماع طوائف من المشركين فيها على الحرب، و هم الذين سماهم الله تعالى الأحزاب، و أنزل الله فى ذلك صدر سورة الأحزاب، و ذلك أن حيى بن أخطب فى نفر من بنى النضير خرجوا من خيبر إلى مكة، فحرضوا قريشا على الحرب، و خرج كنانة بن أبى الحقيق يسعى فى بنى غطفان و يحضهم على قتال رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم على أن لهم نصف ثمر خيبر، فأجابه عيينة بن حصن الفزارى، و كتبوا إلى حلفائهم من بنى أسد فأقبل إليهم طليحة بن خويلد فيمن أطاعه، و خرج أبو سفيان بن حرب بقريش، فنزلوا مر الظهران، فجاءهم من أجابهم من بنى سليم، و كانوا قد استمدوهم فصاروا فى جمع عظيم- ذكر ابن إسحاق بأسانيد أن عدتهم عشرة آلاف، قال:

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۲۳۳

و كان المسلمون ثلاثة آلاف- و قيل: كان المسلمون ألفا، و المشركون أربعة آلاف- و ذكر موسى بن عقبة أن مدة الحصار كانت عشرين يوما، و نزلت قريش بمجتمع السيول من رومة بنى الجرف و زغابة، و غطفان و من تبعهم من أهل نجد بذنب نقمى إلى جانب أحد.

و فى رواية ابن مردويه عن ابن عباس: و نزل عيينة فى غطفان و من معهم من أهل نجد إلى جانب أحد بباب نعمان، و خرج رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم و المسلمون حتى جعلوا ظهورهم إلى سلع، و الخندق بينه و بين القوم، و جعل النساء و الذرارى فى الآطام.

و قال ابن إسحاق: نزلت قريش بمجتمع السيول فى عشرة آلاف من أحابيشهم و من تبعهم من بنى كنانة و تهامة، و نزل عيينة فى غطفان، و ذكر ما تقدم من رواية ابن عباس المذكورة.

و روى الطبرانى و رجاله ثقات عن رافع بن خديج قال: لم يكن حصن أحصن من حصن بنى حارثة، فجعل النبى صلّى اللّه عليه و سلّم النساء و الصبيان و الذرارى فيه، و قال: إن لم يكن أحد فالمعن بالسيف، فجاءهن رجل من بنى ثعلبة بن سعد يقال له «نجدان» أحد بنى جحاش على فرس حتى كان فى أصل الحصن، ثم جعل يقول للنساء: أنزلن إلى خير لكن، فحركن السيف، فأبصره أصحاب رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم فابتدر الحصن قوم فيهم رجل من بنى حارثة يقال له: ظفر بن رافع، فقال: يا نجدان ابرز، فبرز إليه، فحمل عليه فقتله، و أخذ رأسه فذهب به إلى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم.

و روى البزار بإسناد ضعيف عن الزبير بن العوام رضى الله عنه أن رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم لما خرج للخندق جعل نساءه و عمته صفيـة فى أطم يقـال له «فـارع» و جعل معهم حسان بن ثابت، فرقى يهودى حتى أشـرف على نساء رسول الله صـلّى اللّه عليه و سـلّم و على عمته، فقالت صـفية: يا حسان قم إليه حتى تقتله، قال: لا، و الله ما ذاك فىّ، و لو كان فى لخرجت مع رسول الله صـلّى اللّه عليه و سلّم قالت صـفية: فاربط السيف على ذراعى، ثم تقدمت إليه حتى قتلته، و قطعت رأسه، فقالت له: خذ الرأس فارم به على اليهود، قال: ما ذاك فىّ، فأخذت هى الرأس فرمت به على اليهود، فقالت اليهود: قد علمنا أن لم يك يترك أهله خلوفا ليس معهم أحد، فتفرقوا و ذهبوا.

و روى أحمـد بإسـناد قوى عن عبـد الله بن الزبير قال: كانت صـفية فى حصن حسان بن ثابت يوم الخندق، أى: و هو المسـمى بفارع، فذكر الحديث فى قتلها اليهودى و قولها لحسان: انزل فاسلبه، فقال: ما لى بسلبه حاجة.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۲۳۴

و روى الطبرانى هذه القصة عن صـفية رضى الله عنها فى غزوة أحد، و فى إسناده اثنان، قال الهيثمى: لم أعرفهما، و بقية إسناده ثقات، و المذكور فى كتب السير أن هذه القصة فى الخندق، و أن بعضهم كان بحصن بنى حارثة و بعضهم بفارع، و أن صفية رضى الله عنها لمـا فرغت من قتل اليهودى و رجعت إلى الحصن قالت لحسان: انزل فاسـلبه، فإنى لم يمنعنى من سـلبه إلا أنه رجل، قال: ما لى بسـلبه من حاجة يا بنت عبد المطلب.

قال السـهيلى: محمل هـذا الحـديث عند الناس أن حسان كان جبانا شديد الجبن، و قد دفع بعض العلماء هذا و أنكره، و قال: لو صـح هـذا لهجى حسان به، فإنه كان يهاجى الشـعراء، و كانوا يردون عليه فما عيّره أحـد بجبن، و إن صـح فلعل حسان كان معتلا فى ذلك اليوم بعلة منعته من شهود القتال، انتهى.

و روى الطبرانى برجال الصـحيح عن عروة مرسـلا أن النبى صـلّى اللّه عليه و سـلّم أدخل نساءه يوم الأحزاب أطما من آطام المدينة، و كان حسان بن ثابت رجلا جبانا، فأدخله مع النساء، فأغلق الباب، و ذكر القصة.

و ممن ذكر القصـة فى الخنـدق ابن إسـحاق، و يؤيـده أن اليهود إنمـا غـدروا فى الخنـدق، و ذلك أن حيى بن أخطب توجه إلى بنى قريظـة، فلم يزل بهم حتى غـدروا، و بلغ المسـلمين غـدرهم، فاشـتد بهم البلاء و الحصار حتى تكلم معتب بن قشير أخو بنى عمرو بن عـوف و أوس بن قيظى أخو بنى حارثـة و غيرهمـا من المنـافقين بالنفـاق، و أنزل الله تعـالى: وَ إِذْ يَقُولُ الْمُنـافِقُونَ وَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ما وَعَدَنَا اللَّهُ وَ رَسُولُهُ إِلَّا غُرُوراً [الأحزاب: ۱۲] الآيات. قال ابن عباس: و كان الذين جاءوهم من فوقهم بنو قريظة، و من أسـفل منهم قريش و غطفان، و كان حيى بن أخطب أتى كعب بن أسد صاحب عقد بنى قريظة و عهدهم، فأغلق باب حصنه دونه، و قال: لم أر من محمـد إلاـ وفاء و صـدقا، فقـال له: إنى جئتـك بعز الـدهر، جئتـك بقريش و غطفـان على قادتهما و سادتهما قـد عاهـدونى و عاقـدونى أن لا يبرحوا حتى نسـتأصل محمـدا و من معه، فقال له كعب: جئتنى و الله بـذلّ الـدهر، و بجهام قـد هراق ماءه فهو يرعـد و يـبرق و ليس فيـه شـىء، فلـم يزل حـتى نقض كعـب عهـده و برئ ممـا كـان بينه و بين محمـد صـلّى اللّه عليه و سـلّم فاشـتد الخوف بالمسلمين.

قال ابن إسـحاق: و لم يقع بينهم حرب إلا مراماة بالنبل، و لكن كان عمرو بن عبد ود العامرى اقتحم هو و نفر معهم خيولهم من ناحية ضيقة من الخندق، فبارزه على فقتله، و برز نوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزومى، فبارزه الزبير فقتله، و يقال: قتله على،

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۲۳۵

و رجعت بقيـة الخيول منهزمـة، و قيل: اقتتلوا ثلاثة أيام قتالا شديدا حتى يحجز الليل بينهم، سـيما فى اليوم الثالث، حتى شـغلهم القتال عن صلاة العصر و المغرب- و قيل:

و الظهر- و ذلـك قبل أن ينزل قوله تعالى: فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجالًا أَوْ رُكْباناً [البقرة: ۲۳۹] قال مالك: و لم يستشهد يوم الخندق إلا أربعة أو

خمسة، و ذكر غيره ستة، و هم: سعد بن معاذ كما سيأتى، و أنس بن أوس بن عتيك، و عبد الله بن سهيل، و هم من بنى عبد الأشهل، و ثعلبة بن غنمة، و الطفيل بن النعمان، و هما من بنى سلمة، و كعب بن زيد من بنى دينار بن النجار.

و كان من المناوشات بين الفريقين أن مات بعض بنى عمرو بن عوف من أهل قباء، فاستأذن أقرباؤه رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم ليدفنوه، فأذن لهم، فلما خرجوا إلى الصحراء لدفن ميتهم وافقوا ضرار بن الخطاب و جماعة من المشركين بعثهم أبو سفيان ليمتاروا له من قريظة على إبل له، فحملوا على بعضها قمحا، و على بعضها شعيرا، و على بعضها تمرا و تبنا للعلف، فلما رجعوا و بلغوا ساحة قباء وافقوا الذين كانوا يدفنون ميتهم، فناهضهم المسلمون و غلبوهم، فجرح ضرار جراحات، فهرب هو و أصحابه، و ساق المسلمون الإبل بما عليها إلى رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم و كان للمسلمين فى ذلك سعة من النفقة.

إسلام نعيم بن مسعود الأشجعى

ثم أتى نعيم بن مسعود الأشجعى إلى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم مسلما، و لم يعلم به قومه، فقال له:

خذل عنا، فمضى إلى بنى قريظة، و كان نديما لهم، فقال: قد عرفتم محبتى، قالوا:

نعم، فقال: إن قريشا و غطفان ليست هذه بلادهم، و إنهم إن رأوا فرصة انتهزوها، و إلا رجعوا إلى بلادهم و تركوكم فى البلاد مع محمد، و لا طاقة لكم به، قالوا: فما ترى؟

قال: لا تقاتلوا معهم حتى تأخذوا منهم رهنا، فقبلوا رأيه، فتوجه إلى قريش فقال لهم: إن اليهود ندموا على الغدر بمحمد، فراسلوه فى الرجوع إليه، فراسلهم بأنا لا نرضى حتى تبعثوا إلى قريش فتأخذوا منهم رهنا فأقتلهم، ثم جاء غطفان بنحو ذلك، فلما أصبح أبو سفيان بعث عكرمة بن أبى جهل إلى بنى قريظة بأنا قد ضاق بنا المنزل، و لم نجد مرعى، فاغدوا للقتال حتى نناجز محمدا، فأجابوهم إن اليوم يوم السبت، و لا نعمل فيه شيئا، و لا بد لنا من الرهن منكم لئلا تغدروا بنا، فقالت قريش: هذا ما حذركم نعيم، فراسلوهم ثانيا: إنا لا نعطيكم رهنا، فإن شئتم أن تخرجوا فافعلوا، فقالت قريظة: هذا ما أخبرنا نعيم، ثم بعث الله عليهم الريح فما تركت لهم بناء إلا هدمته، و لا إناء إلا أكفته، لا تقر

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۲۳۶

لهم قرارا و لا نارا و لا بناء، فقام أبو سفيان فقال: يا معشر قريش، و الله ما أصبحتم بدار مقام، لقد هلك الكراع و الخف، و أخلفتنا بنو قريظة، و لقينا من شدة الريح ما ترون، فارتحلوا فإنى مرتحل، فتحملت قريش و إن الريح لتغلبهم على بعض أمتعتهم، و سمعت غطفان بما فعلت قريش فانشمروا راجعين إلى بلادهم، و قال صلّى اللّه عليه و سلّم: «لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا».

و فى الذيل على أخبار المدينة لابن النجار لصاحبه العراقى عن الكلبى أنه قال: إن الملائكة اتبعوا الأحزاب حتى بلغوا الروحاء يكرون فى أدبارهم، فهربوا لا يلوون على شىء، و الله أعلم.

ثم كانت غزوة بنى قريظة.

غزوة بنى قريظة

قلت: قال أبو الربيع الكلاعى فى الاكتفاء: و لما أصبح رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم انصرف عن الخندق راجعا إلى المدينة و معه المسلمون، فلما كانت الظهر أتاه جبريل- و يقولون فيما ذكر ابن عقبة أن رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم كان فى المغتسل عند ما جاءه جبريل، و هو يرجّل رأسه، قد رجّل أحد شقيه، فجاءه جبريل على فرس عليه اللأمة و أثر الغبار، حتى وقف بباب المسجد عند

موضع الجنائز، فخرج إليه رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم فقال له جبريل: غفر الله لك! قد وضعتم السلاح؟ قال: نعم، قال جبريل: ما وضعت الملائكة السلاح بعد، و ما رجعت إلا من طلب القوم، إن الله يأمرك بالمسير إلى بنى قريظة، فإنى عامد إليهم فمزلزل بهم، اه.

و فى رواية أخرى أنه قال: انهض إليهم فلأضعضعنهم، فأدبر جبريل و من معه من الملائكة حتى سطع الغبار فى زقاق بنى غنم من الأنصار، و أصله فى البخارى فى باب مرجع النبى صلّى اللّه عليه و سلّم من الأحزاب من رواية أنس، قال: كأنى أنظر إلى الغبار ساطعا فى سكة بنى غنم من موكب جبريل.

و رواه ابن سعد من طريق حميد بن هلال مطولا لكن ليس فيه أنس، و أوله: كان بين النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و بين بنى قريظة عهد، فلما جاءت الأحزاب نقضوه و ظاهروهم، فلما هزم الله الأحزاب تحصنوا، فجاء جبريل فقال: يا رسول الله، انهض إلى بنى قريظة، فقال: إن

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۲۳۷

فى أصحابى جهدا، قال: انهض إليهم فلأضعضعنهم، قال: فأدبر جبريل و من معه من الملائكة حتى سطع الغبار فى زقاق بنى غنم من الأنصار.

قلت: زقاقهم هو عند موضع الجنائز فى شرقى المسجد، كما علم من ذكر منازلهم.

و فى رواية: لما انصرف رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم من الخندق و المسلمون، و وضعوا السلاح، أتى جبريل رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم معتجرا بعمامة من استبرق على بغلة عليها قطيفة من ديباج، فقال: أوقد وضعت السلاح يا رسول الله؟ قال: نعم، فقال: ما وضعت الملائكة السلاح بعد، و ما رجعت إلا من طلب القوم، إن الله يأمرك بالسير إلى بنى قريظة، فأمر النبى صلّى اللّه عليه و سلّم بلالا- فأذن فى الناس: من كان سامعا مطيعا فلا يصلين العصر إلا فى بنى قريظة، و قدم على بن أبى طالب برايته إلى بنى قريظة، و ابتدرها الناس، و حاصرهم رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم خمسا و عشرين ليلة فى رواية، و فى أخرى خمس عشرة، و عند ابن سعد عشرة، حتى أجهدهم الحصار، و قذف فى قلوبهم الرعب، فعرض عليهم رئيسهم كعب بن أسد و قال لهم: إما أن تؤمنوا بمحمد فو الله إنه نبى أو تقتلوا نساءكم و أبناءكم و تخرجوا مستقتلين ليس وراءكم ثقل و تبيتوا المسلمين ليلة السبت، فقالوا: لا نؤمن و لا نستحل السبت، و أى عيش لنا بعد أبنائنا و نسائنا؟ و أرسلوا إلى أبى لبابة بن عبد المنذر أخى بنى عمرو بن عوف من الأوس، و كانوا حلفاءهم، فاستشاروه فى النزول على حكم رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم فأشار إلى حلقه، يعنى الذبح، ثم ندم، فتوجه إلى المسجد النبوى، و ارتبط بسارية تعرف به اليوم حتى تاب الله عليه، و استشهد من المسلمين خلاد بن سويد من بنى الحارث بن الخزرج، طرحت عليه امرأة من بنى قريظة رحى فقتلته، و أمر صلّى اللّه عليه و سلّم بقتلها بعد ذلك، و مات فى الحصار أبو سنان بن محصن الأسدى أخو عكاشة بن محصن، فدفنه رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم فى مقبرة بنى قريظة التى تدافن فيها المسلمون لما سكنوها، و لم يصب غير هذين، فلما اشتد بهم الحصار أذعنوا أن ينزلوا على حكم رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم فقال الأوس: قد فعلت فى موالى الخزرج- أى: بنى قينقاع- ما علمت، قال: أ لا ترضون أن يحكم فيهم رجل منكم؟ قالوا: بلى، قال: فذلك إلى سعد بن معاذ، و كان سعد قد أصابه سهم فى أكحله يوم الخندق، فأتاه قومه، فحملوه على حمار، ثم أقبلوا معه يقولون: يا أبا عمرو، أحسن فى مواليك فإن رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم إنما ولاك ذلك لتحسن فيهم، فلما أكثروا

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۲۳۸

قال: لقد آن لسعد ألّا تأخذه فى الله لومة لائم، فجاء سعد فرد رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم الحكم إليه، فقال سعد: فإنى أحكم فيهم أن يقتل الرجال، و تقسم الأموال، و تسبى الذرارى و النساء، فقال رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم: قد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة:

سماوات، ثم استنزلوا، فحبسهم رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم فى المدينة، ثم خرج صلّى اللّه عليه و سلّم إلى سوق المدينة فخندق

بها خنادق، ثم بعث إليهم، فضرب أعناقهم فى تلك الخنادق و فيهم عدو الله حيى بن أخطب؛ فإنه كان قد عاهد كعب بن أسد لئن رجعت قريش و غطفان لأدخلن معك فى حصنك حتى يصيبنى ما أصابك، فلما رجعت الأحزاب دخل معه فى حصنه، فكان ذلك، فأمر رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم بقتل من أنبت منهم، و من لم ينبت استحياه، و لم يقتل من نسائهم إلا امرأة واحدة كانت طرحت رحى على خلاد بن سويد كما سبق.

و عند ابن سعد من مرسل حميد بن هلال: أن سعد بن معاذ حكم أيضا أن يكون دارهم للمهاجرين دون الأنصار، فلامه الأنصار، فقال: أحببت أن يستغنوا عن دوركم.

و اختلف فى عدتهم؛ فعند ابن إسحاق كانوا ستمائة، و عند ابن عائذ من مرسل قتادة كانوا سبعمائة، و قال السهيلى: المكثر يقول: إنهم ما بين الثمانمائة إلى السبعمائة، و فى النسائى و ابن ماجه بإسناد صحيح أنهم كانوا أربعمائة مقاتل، و كان الزبير بن باطا القرظى قد مر على ثابت بن قيس بن شماس فى الجاهلية يوم بعاث، فجاءه ثابت لما قتل بنو قريظة و هو شيخ كبير، و ذكّره بذلك، ثم ذهب فاستوهبه من رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم فوهبه إياه، فأتاه فقال: شيخ كبير لا أهل له و لا ولد، فما يصنع بالحياة؟ فاستوهب له امرأته و ولده، فقال: أهل بيت بالحجاز لا مال لهم، فما بقاؤهم؟ فاستوهب له ماله، فأتاه فأعلمه، فقال: أى ثابت ما فعل فلان و فلان، و صار يذكر قومه و يصفهم، فقال له: قتلوا، قال:

فإنى أسألك يا ثابت بيدى عندك إلا ألحقتنى بالقوم، فو الله ما فى العيش بعد هؤلاء من خير، فقدمه ثابت فضرب عنقه.

ثم قسم رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم أموال بنى قريظة و نساءهم و أبناءهم على المسلمين، و أسهم للخيل، فكان أول فىء وقعت فيه السهمان، و أخرج منه الخمس، و اصطفى رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم لنفسه من نسائهم ريحانة بنت عمرو بن خناقة إحدى نساء بنى عمرو بن قريظة، فكانت عنده حتى توفى، و كان يحرص عليها أن يتزوجها، فقالت: تتركنى فى ملكك فهو أحق على و عليك، فتركها، و قد كانت حين سباها كرهت الإسلام، فوجد رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم بذلك من أمرها، فبينا هو مع أصحابه إذ سمع وقع نعلين خلفه فقال: إن هذا لثعلبة بن شعبة يبشرنى بإسلام ريحانة، فكان كذلك، و قيل: إن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم أعتقها و تزوجها، و إنها ماتت

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۲۳۹

فى حياته مرجعه من حجة الوداع، و هذا الأثبت عند الواقدى، و بعضهم يقول: هى من بنى النضير.

و لما انقضى شأن بنى قريظة انفجر جرح سعد بن معاذ فمات شهيدا.

و فى البخارى ما يقتضى أن قريظة كانوا قد حاربوا قبل ذلك مع بنى النضير، و أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم منّ عليهم، و لم أر التصريح بذلك، و لم يتعرض له الحافظ ابن حجر فى شرحه، و قد قدمنا فى بنى النضير من رواية ابن مرديه ما يشهد له، و لفظ البخارى: عن ابن عمر قال: حاربت النضير و قريظة، فأجلى بنى النضير، و أقر قريظة و منّ عليهم، حتى حاربت قريظة، فقتل رجالهم و قسم نساءهم و أموالهم و أولادهم بين المسلمين، إلا بعضهم لحقوا بالنبى صلّى اللّه عليه و سلّم فأمنهم و أسلموا، و أجلى يهود المدينة كلهم: بنى قينقاع و هم رهط عبد الله بن سلام، و يهود بنى حارثة، و كل يهودى بالمدينة، اه.

و رواه أبو داود بنحوه، إلا أنه قال: حتى حاربت قريظة بعد ذلك، يعنى بعد محاربتهم الأولى و تقريرهم، و يؤخذ من ذلك أن إجلاء من بقى من طوائف اليهود بالمدينة كان بعد قتل قريظة.

و فى البخارى أيضا من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال: بينما نحن فى المسجد خرج النبى صلّى اللّه عليه و سلّم فقال: انطلقوا إلى يهود، فخرجنا حتى إذا جئنا بيت المدراس قال:

أسلموا تسلموا، و اعلموا أن الأرض لله و لرسوله و أنى أريد أن أجليكم من هذه الأرض، فمن يجد منكم بما له شيئا فليبعه، و إلا فاعلموا أن الأرض لله و لرسوله، و هو مقتض لأن ذلك كان بعد خيبر؛ لأن إسلام أبى هريرة بها فى السنة السابعة، و الله أعلم.

ثم كانت سرية عبيد الله بن أنيس إلى سفيان بن خالد الهذلى ثم اللحيانى بعرنة، و فيها سقط رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم عن فرسه فجحش، و فيها دفت دافة العرب، فنهى عن ادخار لحوم الأضاحى فوق ثلاث.

قلت: و تزوج زينب بنت جحش، و هى بنت عمته أميمة، و قيل: فى الثالثة، و بسببها نزلت آية الحجاب، و أسلم خالد بن الوليد و عمرو بن العاص، و الله أعلم.

السنة السادسة من الهجرة

اشارة

السنة السادسة: فى أولها أتى رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم بثمامة بن أثال أسيرا، ثم كسفت الشمس ثانية بعد الكسوف الذى كان يوم مات ابنه إبراهيم.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۲۴۰

قلت: لعل فى النسخة خللا لما سنذكره من ولادة إبراهيم فى الثامنة و وفاته فى العاشرة، فالكسوف فى السادسة هو الكسوف الأول، و فيها نزل حكم الظهار، و الله أعلم.

و فيها قتل المشركون سرية محمد بن مسلمة و لم يفلت منهم غيره، و كانوا عشرة، ثم كانت سرية على بن أبى طالب إلى فدك فى مائة رجل، ثم كانت سرية عبد الرحمن بن عوف إلى دومة الجندل، فظهر عليهم، فزوجه رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم تماضر بنت الأصبغ بن عمرو الكلبى و هو ملكهم، ثم أجدب الناس فاستسقى رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم فى رمضان فى موضع المصلى فسقوا، ثم أرسل زيد بن حارثة فى سرية، فسبى سلمة بن الأكوع فى تلك السرية بنت مالك بن حذيفة، ثم كانت الحديبية، ثم أغار عيينة بن حصن الفزارى على لقاح رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم فاستنقذها.

قلت: قد قدمنا فى حدود الحرم أن لقاحه صلّى اللّه عليه و سلّم كانت ترعى بالغابة و ما حولها، فأغار عليها عيينة يوم ذى قرد، و هو الموضع الذى كان فيه القتال، سميت الغزوة به، و تسمى أيضا غزوة الغابة.

قال ابن إسحاق: لما قدم رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم من غزوة بنى لحيان و كان فى شعبان سنة ست، لم يقم إلا ليالى قلائل حتى أغار عيينة فى خيل من غطفان على لقاح رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم بالغابة، و فيها رجل من بنى غفار و امرأته، فقتلوا الرجل، و احتملوا المرأة فى اللقاح، و كان أول من نذر بهم سلمة بن الأكوع، غدا يريد الغابة متوشحا قوسه و نبله حتى إذا علا ثنية الوداع نظر إلى بعض خيولهم، فأشرف فى ناحية سلع، ثم صرخ: وا صباحاه، ثم خرج يشتد فى آثار القوم حتى لحقهم، فجعل يردهم بالنبل و يقول إذا رمى: خذها و أنا ابن الأكوع، و اليوم يوم الرضّع، فإذا وجهت الخيل نحوه هرب، ثم عارضهم، و هكذا، و بلغ رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم صياحه، فصرخ بالمدينة: الفزع، الفزع، فترامت الخيل إليه، فلما اجتمعوا أمّر عليهم سعد بن زيد الأشهلى، و قال: اخرج فى طلب القوم حتى ألحقك فى الناس، فقتل أبو قتادة رضى الله عنه حبيب بن عيينة بن حصن و غشاه برده، و أقبل رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم فى المسلمين، فإذا حبيب مسجى ببرد أبى قتادة و لكنه قتيل، فظنوه هو، فقال رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم: ليس بأبى قتادة و لكنه قتيل له، و أدرك عكاشة بن محصن رضى الله عنه أوبارا و ابنه عمر بن أوبار، و هما على بعير واحد، فانتظمهما بالرمح، فقتلهما جميعا، و استنقذوا بعض اللقاح، و سار رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم حتى نزل بالخيل من ذى قرد، و تلاحق به الناس، و أقام عليه يوما و ليلة، و قال له سلمة: يا رسول الله لو سرّحتنى فى مائة رجل لاستنقذت

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۲۴۱

بقية السرح و أخذت بأعناق القوم، فقال له صلّى اللّه عليه و سلّم: إنهم ليقرون فى غطفان، فقسم صلّى اللّه عليه و سلّم فى أصحابه فى كل مائة جزورا، و أقاموا عليها، ثم رجع، و أفلتت امرأة الغفارى على ناقة من اللقاح حتى قدمت على رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم فأخبرته الخبر، و قالت: إنى نذرت لله أن أنحرها إن أنجانى الله عليها، فتبسم رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم و قال: بئس ما جزيتيها أن حملك الله عليها و نجاك بها ثم تنحرينها، إنه لا نذر فى معصية الله و لا فيما لا تملكين، هذه رواية ابن إسحاق، و قد ذكر فيها قتل اثنين من المسلمين.

و خرّج مسلم القصة عن سلمة مطولة و مختصرة، و خالف ما ذكره ابن إسحاق فى مواضع: منها أنها كانت بعد انصرافه صلّى اللّه عليه و سلّم من الحديبية، و جعلها ابن إسحاق قبلها، و منها:

أن فيه أن اللقاح كانت ترعى بذى قرد، و كذا هو فى البخارى، و قال ابن إسحاق: بالغابة، و كذا هو فى حديث سلمة الطويل، و لهذا قال عياض: إن الأول غلط، و يمكن الجمع بأنها كانت ترعى تارة هنا و تارة هناك، و منها: أنه قال فيه: خرجت قبل أن يؤذن بالأولى فلقينى غلام لعبد الرحمن بن عوف فقال: أخذت لقاح رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم فصرخت ثلاث صرخات: يا صباحاه، فأسمعت ما بين لابتى المدينة، ثم اندفعت على وجهى حتى أدركتهم و قد أخذوا بذى قرد يسقون من الماء، و فى رواية لمسلم ما يقتضى أن سلمة كان مع السرح لما أغير عليه، و أنه قام على أكمة و صاح: يا صباحاه، ثلاثا، و هذا يرجح أن السرح كان بالغابة، و يبعد كونه بذى قرد، و لو كان بذى قرد لما أمكنه لحوقهم، و منها: أن فيه أنه استنقذ سرح رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم بجملته، و منها: أنه قال فيه: فرجعنا إلى المدينة، فو الله ما لبثنا بها إلا ثلاث ليال حتى خرجنا إلى خيبر مع رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم و قال القرطبى: لا يختلف أهل السير أن غزوة ذى قرد كانت قبل الحديبية، انتهى.

و ما فى الصحيح من التاريخ لها أصح مما فى السير، و يمكن الجمع بتكرر الواقعة، و يؤيده أن الحاكم ذكر فى الإكليل أن الخروج إلى ذى قرد تكرر؛ ففى الأولى خرج إليها زيد بن حارثة قبل أحد، و فى الثانية خرج إليها النبى صلّى اللّه عليه و سلّم فى ربيع الآخر سنة خمس، و التالية هى المختلف فيها، انتهى. و الله أعلم.

ثم كانت قصة العرنيين.

قصة العرنيين

قلت: و ذلك أن ثمانية منهم، و فى رواية من عكل، قدموا فأسلموا و اجتووا

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۲۴۲

المدينة، و قالوا: إنا كنا أهل ضرع و لم نكن أهل ريف، فبعثهم النبى صلّى اللّه عليه و سلّم إلى لقاحه، و فى رواية «إبل الصدقة» و كأنهما كانا معا، فصح الإخبار بالبعث لكل منهما، ليشربوا من أبوالها و ألبانها، فلما صحوا قتلوا الراعى و استاقوا الإبل، فبعث النبى صلّى اللّه عليه و سلّم فى طلبهم كرز بن خالد الفهرى فى عشرين، فأتى بهم، فأمر بقطع أيديهم و أرجلهم و سمل أعينهم و طرحهم فى الحرة يستسقون فلا يسقون، حتى ماتوا، هذا محصل ما فى الصحيح، و ذكر أهل السير أن اللقاح كانت ترعى ناحية الجماوات، و فى رواية بذى الجدر غربى جبل عير على ستة أميال من المدينة، و ذكر ابن سعد عن ابن عقبة أن أمير الخيل يومئذ سعيد بن زيد أحد العشرة، فأدركوهم فربطوهم و أردفوهم على خيلهم، و ردوا الإبل، و لم يفقدوا منها إلا لقحة واحدة من لقاحه صلّى اللّه عليه و سلّم تدعى الحنا، فسأل عنها، فقيل: نحروها، فلما دخلوا بهم المدينة كان رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم بالغابة.

غزوة بنى المصطلق (المريسيع)

قال بعضهم: و ذلك مرجعه من غزوة ذى قرد، فخرجوا بهم، نحوه، فلقوه بالزغابة، فقطعت أيديهم و أرجلهم و سملت أعينهم و صلبوا هناك، و الله أعلم.

ثم غزا بنى المصطلق، و مر رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم فى انصرافه على المريسيع. و فيها كانت قصة الإفك.

قلت: قد قدم غزوة المريسيع فى السنة الخامسة، و ذكر أن فيها أنزلت آية التيمم، و قد اقتضى كلامه أن المريسيع وقعت مرتين: فى الأولى التيمم، و فى الثانية الإفك، و فيه جمع بين ما ذكره كثير من أهل السير من أن المريسيع سنة خمس و بين ما نقله البخارى عن ابن إسحاق أنها سنة ست، لكن قد ثبت فى الصحيح أن سعد بن معاذ تنازع هو و سعد بن عبادة فى أصحاب الإفك؛ فلو كانت المريسيع التى هى غزاة بنى المصطلق سنة ست مع كون الإفك كان فيها لكان ما وقع فى الصحيح من ذكر سعد بن معاذ غلطا؛ لأن سعد بن معاذ مات أيام قريظة، و كانت سنة خمس، و قيل: أربع؛ فالأشبه أن بنى المصطلق و المريسيع واحد، كلاهما فى سنة خمس.

و قد ذكر ابن عبد البر فى التمهيد أن التيمم كان فى غزاة بنى المصطلق، و جزم به فى الاستذكار، و سبقه إليه ابن سعد و ابن حبان.

و فى البخارى «غزوة بنى المصطلق»، و هى غزوة المريسيع» و فى الطبرانى حديث: كنا مع النبى صلّى اللّه عليه و سلّم فى غزوة المريسيع غزوة بنى المصطلق، و بنو المصطلق بطن من خزاعة، و كان رئيسهم الحارث بن أبى ضرار، و كان معه عليه الصلاة و السلام بشر كثير، خرج بهم إليهم لما بلغه أنهم يجمعون له، و كان معه ثلاثون فرسا و أم سلمة و عائشة، فهزمهم و أسر

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۲۴۳

من الكفار جمعا عظيما، و تزوج جويرية بنت الحارث رئيسهم، فأعتق الناس ما بأيديهم من الأسرى لمكانها، و فى هذه الغزاة قال ابن أبى: لَئِنْ رَجَعْنا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَ [المنافقين: ۸] و قال: لا تُنْفِقُوا عَلى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا [المنافقين: ۷] و ذلك أن ابن أبى خرج فى عصابة من المنافقين مع رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم فلما رأوا أن الله قد نصر رسوله و أصحابه أظهروا قولا- سيئا، و اقتتل رجل من المهاجرين و رجل من الأنصار، فظهر عليه المهاجرى، فقال ذلك ابن أبى لقومه، فأخبر زيد بن أرقم بذلك النبى صلّى اللّه عليه و سلّم فأجهد ابن أبى يمينه ما فعل، فحزن زيد بن أرقم لذلك، فأنزل الله تصديقه، و استأذن عبد الله بن عبد الله بن أبى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم فى قتل أبيه فيما رواه عروة بن الزبير، فقال له رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم: لا- تقتل أباك، و لما كان بينهم و بين المدينة يوم تعجل عبد الله بن عبد الله بن أبى حتى أناخ على مجامع طرق المدينة حتى جاء أبوه فقال له ابنه: لا و الله لا تدخلها حتى يأذن لك رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم و تعلم اليوم من الأعز و من الأذل، فقال له: أنت من بين الناس؟ فقال: نعم، أنا من بين الناس، فانصرف عبد الله حتى لقى رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم فاشتكى إليه ما صنع ابنه، فأرسل رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم إلى ابنه «أن خلّ عنه» فدخل المدينة، رواه ابن شبة.

و فى هذه السنة فرض الحج على الصحيح، كما سيأتى، و الله أعلم.

السنة السابعة من الهجرة

السنة السابعة: فيها قصة أبى سفيان مع هرقل فى الشام، و فى أولها كتب رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم إلى الملوك و بعث إليهم رسله، ثم كانت خيبر.

قلت: و استصفى صفية بنت حيى بن أخطب من المغنم، فأعتقها و تزوجها، و جاءته ماريه القبطية هدية و بغلته دلدل، و أسلم أبو هريرة، و سمته صلّى اللّه عليه و سلّم زينب بنت الحارث زوجة سلام بن مشكم، ثم صار النبى صلّى اللّه عليه و سلّم إلى وادى القرى، فحاصر أهله ليالى و أصاب غلامه مدعم سهم غرب فقتله، و فى رجوعه إلى المدينة كان النوم عن صلاة الصبح، و روى بعضهم أنه كان فى الرجوع من غزوة تبوك، و قال الواقدى: و فى المحرم منها جاء رؤساء اليهود إلى لبيد بن الأعصم- و كان حليفا فى بنى

زريق، و كان ساحرا- فقالوا له: يا أبا الأعصم، أنت أسحرنا، و قد سحرنا محمدا فلم نصنع شيئا، و نحن نجعل لك جعلا على أن تسحره لنا سحرا ينكؤه، فجعلوا له ثلاثة دنانير، و ذكر قصة سحره، و فى رواية عن

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۲۴۴

الزهرى بإسناد صحيح أن المدة التى مكث النبى صلّى اللّه عليه و سلّم فيها فى السحر سنة، و فى رواية أربعين ليلة، و اللّه أعلم.

و فيها جاءته أم حبيبة بنت أبى سفيان، و تزوج بها، ثم كانت عمرة القضية و تزوج ميمونة بنت الحارث الهلالية.

السنة الثامنة من الهجرة

السنة الثامنة: فيها كانت مؤتة، ثم كان الفتح، ثم غزوة هوازن، ثم غزوة الطائف، و أمر على مكة عتاب بن أسيد، و أسلم مالك بن عوف النضرى، و تألف المؤلفة من غنائم هوازن، ثم انصرف إلى المدينة فى آخر ذى القعدة.

قلت: و فى هذه السنة ولد ابنه إبراهيم من مارية القبطية، و حلق رأسه يوم سابعه، و تصدق بزنة شعره فضة، و عقّ عنه بكبشين، و مات فى عاشر ربيع الأول من السنة العاشرة و سنه عام و نصف، و قيل: عام و ثلث، و فى الثامنة أيضا توفيت ابنته زينب، و هى أكبر أولاده، و كانت زوج أبى العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس الذى أثنى عليه النبى صلّى اللّه عليه و سلّم فى صهارته، تزوجها قبل البعثة، و لما قدم عليها مسلما ردها النبى صلّى اللّه عليه و سلم بالنكاح الأول على الصحيح لقدومه عقب تحريم المسلمات على المشركين، و ذلك بعد صلح الحديبية، و اللّه أعلم.

السنة التاسعة من الهجرة

السنة التاسعة: فيها هجر نساءه شهرا، ثم تتابعت الوفود، ثم فرض الحج.

قلت: قد اختلف فى وقته، فقيل: قبل الهجرة، و هو غريب، و المشهور بعدها، فقيل: سنة خمس، و جزم به الرافعى فى موضع، و قيل: ست، و صححه الرافعى فى موضع آخر، و كذا النووى، و قيل: سبع، و قيل: ثمان، و قيل: تسع، و صححه عياض، و اللّه أعلم.

و أمّر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم على الحج أبا بكر رضى اللّه عنه، ثم نزلت براءة، فأرسل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم على بن أبى طالب رضى اللّه عنه؛ لينبذ إلى الناس عهدهم.

قلت: و فيها فى شهر رجب كانت غزوة تبوك، و هى آخر غزواته صلّى اللّه عليه و سلّم على ما ذكره ابن إسحاق، و اللّه أعلم.

السنة العاشرة من الهجرة

السنة العاشرة: فى أولها قدم عدى بن حاتم بوفد طىء، ثم قدم وفد بنى حنيفة، ثم

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۲۴۵

وفد غسان، ثم وفد نجران الذين كانت فيهم قصة المباهلة، ثم جاء جبريل يعلم الناس دينهم، ثم غزا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم تبوكا.

قلت: و هو مخالف لما قدمناه عن ابن إسحاق من كونها فى التاسعة، و اللّه أعلم.

ثم أذن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم للناس بالحج فى حجة الوداع و رجع، ثم مرض فى صفر لعشر بقين منه، و توفى صلّى اللّه عليه و سلّم لاثنتى عشرة ليلة خلت من ربيع الأول يوم الإثنين، انتهى ما ذكره رزين عن أبى حاتم.

قلت: و شهر ربيع هذا من الحادية عشرة، و كان ابتداء مرضه فى بيت ميمونة، و قيل:

زينب بنت جحش، و قيل: ريحانة، و ذكر الخطابى أن ابتداءه يوم الإثنين، و قيل: السبت، و قيل: الأربعاء، و حكى فى الروضة قولين فى مدته، فقيل: أربعة عشر، و هو الذى صدّر به، و قيل: ثلاثة عشر، و عليه الأكثر، و قيل: عشرة، و به جزم سليمان التيمى، و مقتضى ما تقدم أن المدة تزيد على عشرين يوما، و لم أر من صرح به، و لا خلاف فى أن الوفاة كانت يوم الإثنين، و كونه من ربيع الأول، كاد يكون إجماعا، لكن فى حديث ابن مسعود عند البزار: فى حادى عشر رمضان، و كونها فى ثانى عشر ربيع الأول هو ما عليه الجمهور، و ذهب جماعة إلى أنها فى أوله، و رواه يحيى عن ابن شهاب، و قال: حين زاغت الشمس، و عن أسماء بنت أبى بكر أنه توفى للنصف من ربيع الأول، و قيل: ثانيه، و رجحه السهيلى، و استشكل قول الجمهور بأنهم اتفقوا على أن الوقفة فى حجة الوداع كانت الجمعة، فأول ذى الحجة الخميس، فمهما فرضت الشهور الثلاثة توامّ أو نواقص أو بعضها، لم يصح كون الوفاة يوم الإثنين مع كونه ثانى عشر ربيع الأول، و أجاب البارزى باحتمال وقوع الثلاثة كوامل، و اختلاف أهل مكة و المدينة فى هلال ذى الحجة: فرآه أهل مكة ليلة الخميس، و لم يره أهل المدينة إلا ليلة الجمعة، فحصلت الوقفة برؤية أهل مكة، ثم رجعوا إلى المدينة فأرخوا برؤية أهلها، فكان أول ذى الحجة الجمعة، و هو و ما بعده كوامل، فأول ربيع الأول الخميس، و ثانى عشرة الاثنين، و لا يخفى بعد هذا الجواب، و قد جزم سليمان التيمى أحد الثقات بأن بدء مرضه صلّى اللّه عليه و سلّم كان يوم السبت الثانى و العشرين من صفر، و مات يوم الإثنين لليلتين خلتا من ربيع الأول، و منه يعلم أن صفر كان ناقصا، و لا يمكن أن يكون أول صفر السبت إلا إن كان ذو الحجة و الحرم ناقصين؛ فيلزم عليه نقص ثلاثة أشهر متوالية، و أما على قول من قال: «أول ربيع الأول»؛ فيكون اثنان ناقصين و واحد كاملا، و كذا على قول من قال: «للنصف منه».

و قال البدر ابن جماعة: يحمل قول الجمهور لاثنتى عشرة ليلة خلت: أى بأيامها، فيكون موته فى اليوم الثالث عشر، و تفرض الشهور كوامل؛ فيصح قول الجمهور، و يعكر

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۲۴۶

عليه ما فيه من مخالفة أهل اللسان فى قولهم «لاثنتى عشرة» فإنهم لا يفهمون منها إلا مضى الليالى، و أن ما أرخ بذلك يكون واقعا فى الثانى عشر.

قال الحافظ ابن حجر: فالمعتمد قول أبى مخنف أنه فى ثانى ربيع الأول، و كأن سبب غلط غيره تغيير ذلك إلى الثانى عشر، و تبع بعضهم بعضا فى الوهم.

و غسله صلّى اللّه عليه و سلّم على بوصيته، و العباس و ابنه الفضل يعينانه، و قثم و أسامة و شقران يصبون الماء، و كفن فى ثلاثة أثواب بيض سحولية ليس فيها قميص و لا عمامة- و سحول: بلدة باليمن- و عن جعفر بن محمد عن أبيه: كفن فى ثوبين صحاريين مما يصنع بعمان من كرسف و برد حبرة، و فى الإكليل و رواه يحيى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه:

كفن فى سبعة أثواب، و صلّى عليه فى حجرته بغير إمام؛ و نقل الأقشهرى عن الحسين بن محمد الصدفى أنه صلّى اللّه عليه و سلّم صلّى عليه فى وسط الروضة من مسجده، ثم حمل إلى بيته و دفن فيه.

قلت: هذا إنما هو معروف فى أبى بكر و عمر رضى الله عنهما، و فى مستدرك الحاكم و مسند البزار بسند ضعيف أنه صلّى اللّه عليه و سلّم أوصى أن يصلوا عليه أرسالا بغير إمام، و دفن صلّى اللّه عليه و سلّم ليلة الأربعاء، و قيل: يومها، و قيل: يوم الثلاثاء بعد أن عرف الموت فى أظفاره، و قال قائلون: ندفنه بمسجده، و آخرون بالبقيع، ثم اتفقوا على دفنه ببيته، فحمل بالفراش، و حفر له فى موضع الفراش، و روى يحيى عن ابن أبى مليكة أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم قال: ما هلك نبى إلا دفن حيث تقبض روحه، و أوصى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم فى مرضه بإخراج المشركين من جزيرة العرب كما فى الصحيح من حديث ابن عباس أنه صلّى اللّه عليه و سلّم أمر بذلك، و لفظه: و أمرهم بثلاث، فقال: «أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، و أجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم» و الثالثة إما سكت عنها، و إما أن قالها فنسيتها. قال سفيان: هذا- أى قوله و الثالثة إلى آخره- من قول سليمان: أى شيخ سفيان، قال الداودى:

الثالثة هى الوصية بالقرآن، و قال المهلب: بل هى تجهيز جيش أسامة، و قواه ابن بطال بأن الصحابة لما اختلفوا على أبى بكر فى تنفيذ جيش أسامة، قال لهم أبو بكر: إن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم عهد بذلك عند موته.

و قال عياض: يحتمل أن يكون قوله: «لا تتخذوا قبرى وثنا» فإنها ثبتت فى الموطأ مقرونة بالأمر بإخراج اليهود، و يحتمل أن يكون ما وقع فى حديث أنس أنها قوله:

«الصلاة و ما ملكت أيمانكم».

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۲۴۷

و الذى أجلى المشركين من جزيرة العرب هو عمر رضى الله عنه؛ ففى الصحيح من حديث ابن عمر أن عمر بن الخطاب أجلى اليهود و النصارى من أرض الحجاز، و كان رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم لما ظهر على أهل خيبر أراد أن يخرج اليهود منها، و كانت الأرض لما ظهر عليها لله و للرسول و للمؤمنين، فسأل اليهود رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم أن يتركهم على أن يكفوا العمل و لهم نصف الثمر، فقال رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم: «نقركم على ذلك ما شئنا» فأقروا حتى أجلاهم عمر فى إمارته إلى تيماء و أريحاء.

و فى الصحيح أيضا عن ابن عمر: لما فدع أهل خيبر عبد الله بن عمر قام عمر خطيبا، فقال: إن رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم كان عامل يهود خيبر على أموالهم و قال: نقركم على ما أقركم الله، و إن عبد الله بن عمر خرج إلى ماله هناك، فعدى عليه من الليل، ففدعت يداه و رجلاه، و ليس لنا هناك عدو غيرهم، هم عدونا و تهمتنا، و قد رأيت إجلاءهم، فلما أجمع عمر على ذلك أتاه أحد بنى الحقيق، فقال: يا أمير المؤمنين، أ تخرجنا و قد أقرنا محمد صلّى اللّه عليه و سلّم؟ و عاملنا على الأموال، و شرط ذلك لنا، فقال عمر: أظننت أنى نسيت قول رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم: «كيف بك إذا أخرجت من خيبر تعدو بك قلوصك ليلة بعد ليلة» فقال: كانت هذه هزيلة من أبى القاسم صلّى اللّه عليه و سلّم فقال: كذبت يا عدو الله، فأجلاهم عمر، و أعطاهم قيمة ما كان لهم من الثمر مالا و إبلا و عروضا من أقتاب و حبال و غير ذلك.

و ظاهر هذا أن عمر رضى الله عنه إنما استند فى إجلائهم لهذه القصة.

و روى ابن زبالة عن مالك عن ابن شهاب أن رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم قال: «لا يبقى دينان فى جزيرة العرب».

قال ابن شهاب: ففحص عن ذلك عمر بن الخطاب حتى أتاه الثلج و اليقين أن رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم قال: «لا يبقى دينان فى جزيرة العرب» فأجلى يهود خيبر، قال مالك: و قد أجلى عمر بن الخطاب يهود نجران و فدك.

و روى البيهقى من حديث عمر مرفوعا: «لئن عشت إلى قابل لأخرجن اليهود و النصارى من جزيرة العرب» و خرجه مسلم بدون «لئن عشت» و فى مسند أحمد و البيهقى عن أبى عبيدة قال: كان آخر ما تكلم به رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم: «أخرجوا يهود الحجاز و أهل نجران من جزيرة العرب» الحديث.

و روى أحمد بسند جيد عن عائشة قالت: آخر ما عهد رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم أن قال: «لا يترك بجزيرة العرب دينان».

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۲۴۸

قال الجوينى و القاضى حسين من أصحابنا: الجزيرة هى الحجاز، و المشهور أن الحجاز بعض الجزيرة.

و لما مات النبى صلّى اللّه عليه و سلّم لم يتفرغ أبو بكر رضى الله عنه لإخراجهم، فأجلاهم عمر رضى الله عنه و هم زهاء أربعين ألفا، و لم ينقل أن أحدا من الخلفاء أجلاهم من اليمن مع أنها من الجزيرة؛ فدل على أن المراد الحجاز فقط.

و حكى أن بعض اليهود أظهر كتابا، و ادعى أنه كتاب النبى صلّى اللّه عليه و سلّم بإسقاط الجزية عن أهل خيبر، و فيه شهادة الصحابة؛ فعرض على أبى بكر الخطيب البغدادى فقال: هذا مزور؛ لأن فيه شهادة معاوية، و هو أسلم عام الفتح، فلم يحضر ما جرى، و فيه شهادة سعد بن معاذ، و قد مات فى بنى قريظة بسهم أصابه فى الخندق، و ذلك قبل خيبر بسنتين، و ذلك من فوائد علم التاريخ، و الله أعلم.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۱، ص: ۲۴۹

الباب الرابع فيما يتعلق بأمور مسجدها الأعظم النبوى

اشارة

، و الحجرات المنيفات، و ما كان مطيفا به من الدور و البلاط، و سوق المدينة، و منازل المهاجرين، و اتخاذ السور، و فيه سبعة و ثلاثون فصلا.

الفصل الأول فى أخذه صلّى اللّه عليه و سلّم لموضع مسجده الشريف، و كيفية بنائه

اشارة

تقدم أن ناقته صلّى اللّه عليه و سلّم لما بركت عند باب المسجد قال صلّى اللّه عليه و سلّم: «هذا المنزل إن شاء الله» و فى كتاب يحيى عن الزهرى أنها بركت عند مسجد الرسول صلّى اللّه عليه و سلّم و هو يومئذ يصلى فيه رجال من المسلمين، و كان مربدا لغلامين يتيمين فى حجر أسعد بن زرارة، فقال رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم حين بركت راحلته: هذا إن شاء الله المنزل، و قال: اللهم أنزلنا منزلا مباركا و أنت خير المنزلين، قاله أربع مرات.

و روى رزين نحوه عن أنس، و لفظه: فقال رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم: «هذا المنزل إن شاء الله» ثم أخذ فى النزول فقال: «ربّ أنزلنى منزلا مباركا و أنت خير المنزلين» و لم يقل قاله أربعا.

و فى كتاب يحيى عن الزهرى أيضا أن المربد كان لسهل و سهيل، و أنهما كانا فى حجر أبى أمامة أسعد بن زرارة، و أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم قال حين بركت به راحلته: «هذا المنزل إن شاء الله» ثم دعا الغلامين فساومهما بالمربد ليتخذه مسجدا، فقالا: بل نهبه لك يا رسول الله، فأبى أن يقبله هبة حتى ابتاعه منهما، ثم بناه مسجدا.

قال يحيى تبعا لابن زبالة: و قال بعضهم: كان لغلامين يتيمين لأبى أيوب هما سهل و سهيل ابنا عمرو، فطلب المربد من أبى أيوب، فقال أبو أيوب: يا رسول الله المربد ليتيمين، و أنا أرضيهما، فأرضاهما، فأعطاه لرسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم فاتخذه مسجدا. و عند ابن إسحاق أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم قال: لمن هذا؟ يعنى المربد، فقال له معاذ بن عفراء: هو لسهل و سهيل ابنى عمرو يتيمان لى، و سأرضيهما منه، فاتخذه مسجدا، فأمر به أن يا بنى. و يؤيده أنه وقع فى مرسل ابن سيرين عند أبى عبيد فى الغريب أنهما كانا فى حجر معاذ بن عفراء.

و الذى فى صحيح البخارى أنهما كانا فى حجر أسعد بن زرارة، كذا هو فى رواية الجميع إلا أبا ذر، ففى روايته سعد بإسقاط الألف، و رواية الجماعة هى الوجه؛ إذ كان أسعد من السابقين إلى الإسلام، و هو المكنى بأبى أمامة، و أما أخوه سعد فتأخر إسلامه.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۱، ص: ۲۵۰

و قد يجمع باشتراك من ذكر فى كونهما كانا فى حجورهم، أو بانتقال ذلك بعد أسعد إلى من ذكر واحدا بعد واحد، سيما و قد روى ابن زبالة عن ابن أبى فديك قال: سمعت بعض أهل العلم يقولون: إن أسعدا توفى قبل أن يا بنى المسجد، فابتاعه النبى صلّى اللّه عليه و سلّم من ولى سهل و سهيل.

و روى ابن زبالة فى خبر: كان مسجد النبى صلّى اللّه عليه و سلّم لسهل و سهيل ابنى أبى عمرو من بنى غنم، فأعطياه رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم فبناه مسجدا.

و فى الصحيح أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم أرسل إلى ملأ بنى النجار بسبب موضع المسجد، فقال:

يا بنى النجار، ثامنونى بحائطكم هذا، فقالوا: لا و الله لا نطلب ثمنه إلا إلى الله.

و عند الإسماعيلى «إلا من الله» و هو ظاهر فى أنهم لم يأخذوا له ثمنا.

و فى رواية فى باب الهجرة من الصحيح بعد ذكر تأسيس مسجد قباء: ثم ركب رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم راحلته، فسار يمشى معه الناس حتى بركت عند مسجد الرسول بالمدينة، و هو يصلى فيه يومئذ رجال من المسلمين، و كان مربدا للتمر لسهل و سهيل غلامين يتيمين فى حجر أسعد بن زرارة، فقال رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم حين بركت به راحلته: هذا إن شاء الله المنزل، ثم دعا الغلامين فساومهما بالمربد ليتخذه مسجدا، فقالا: بل نهبه لك يا رسول الله، فأبى أن يقبله منهما هبة حتى ابتاعه منهما، ثم بناه مسجدا.

و وقع فى رواية ابن عيينة: فكلم عمهما- أى الذى كانا فى حجره- أن يبتاعه منهما، فطلبه منهما فقالا: ما تصنع به؟ فلم يجد بدا من أن يصدقهما، فأخبرهما أن رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم أراده، فقالا: نحن نعطيه إياه، فأعطياه رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم فبناه، أخرجه الجندى. و طريق الجمع بين ذلك- كما أشار إليه الحافظ ابن حجر- أنهم لما قالوا لا نطلب ثمنه إلا إلى الله سأل عن من يختص بملكه منهم، فعينوا له الغلامين، فابتاعه منهما أو من وليهما أن كانا غير بالغين. و حينئذ فيحتمل أن الذين قالوا: «لا نطلب ثمنه إلا إلى الله» تحملوا عنه للغلامين بالثمن، فقد نقل ابن عقبة أن أسعد عوّض الغلامين عنه نخلا له فى بنى بياضة.

و تقدم أن أبا أيوب قال: هو ليتيمين لى، و أنا أرضيهما، فأرضاهما، و كذلك معاذ بن عفراء، فيكون ذلك بعد الشراء. و يحتمل أن كلا من أسعد و أبى أيوب و ابن عفراء أرضى اليتيمين بشىء، فنسب ذلك لكل منهم. و قد روى أن اليتيمين امتنعا من قبول عوض، فيحمل ذلك على بدء الأمر، لكن يشكل على هذا ما نقل عن التاريخ الكبير لابن سعد أن الواقدى قال: إنه صلّى اللّه عليه و سلّم اشتراه من ابنى عفراء بعشرة دنانير ذهبا، دفعها أبو بكر الصديق، و قد يقال: إن الشراء وقع من ابنى عفراء لأنهما كانا وليين لليتيمين، و رغب أبو بكر فى

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۲۵۱

الخير كما رغب فيه أسعد، و أبو أمامة و معاذ بن عفراء، فدفع لهم أبو بكر العشرة، و دفع كل من أولئك ما تقدم، و لم يقبله صلّى اللّه عليه و سلّم بلا ثمن أولا لكونه لليتيمين، لكن ابن سيد الناس نقل عن البلاذرى أنه قال عقب كلامه الآتى: فعرض- يعنى أسعد- على النبى صلّى اللّه عليه و سلّم أن يأخذها و يغرم لليتيمين ثمنها، فأبى رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم ذلك، و ابتاعها منه بعشرة دنانير أداها من مال أبى بكر، انتهى؛ فيحتمل أنه صلّى اللّه عليه و سلّم أخذ أولا بعض المربد، ثم أخذ بعضا آخر؛ لما سيأتى من أنه زاد فيه مرة أخرى؛ فليست القصة متحدة. و رأيت بخط الأقشهرى فى كلام نقله عن أبى جعفر الداودى عن عبد الله بن نافع صاحب مالك أن المسجد كان مربدا لابنى عفراء.

قلت: يحتمل نسبته إليهما لولايتهما على اليتيمين، أو أن لليتيمين أما تسمى عفراء، و أما ابنا عفراء المشهوران فهما معاذ و معوذ ابنا الحارث، و الذى فى الصحيح من تسمية الغلامين سهل و سهيل أصح، و الله أعلم.

و فى كتاب يحيى ما يقتضى أن أسعد بن زرارة كان قد بنى بهذا المربد مسجدا قبل مسجد الرسول صلّى اللّه عليه و سلّم؛ فإنه قال: حدثنا بكر ثنا محمد بن عمر ثنا معاذ بن محمد عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة قال: سمعت أم سعد بنت سعد بن الربيع تقول:

أخبرتنى النوار بنت مالك أم زيد بن ثابت أنها رأت أسعد بن زرارة قبل أن يقدم رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم يصلى بالناس الصلوات الخمس، و يجمع بهم فى مسجد بناه فى مربد سهل و سهيل ابنى رافع بن أبى عمرو بن عائذ بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار، قالت: فأنظر إلى رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم لما قدم صلّى بهم فى ذلك المسجد و بناه، فهو مسجده اليوم.

و نقل ابن سيد الناس عن ابن إسحاق أن الناقة بركت على باب مسجده صلّى اللّه عليه و سلّم و هو يومئذ ليتيمين من بنى مالك بن النجار فى حجر معاذ بن عفراء سهل و سهيل ابنى عمرو، ثم قال: و ذكر أحمد بن يحيى البلاذرى، قال: فنزل رسول الله صلّى اللّه عليه

و سلّم عند أبى أيوب، و وهبت له الأنصار كل فضل كان فى خططها، و قالوا: يا نبى الله إن شئت فخذ منازلنا، فقال لهم خيرا، قالوا: و كان أبو أمامة أسعد بن زرارة يجمّع بمن يليه فى مسجد له، فكان رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم يصلى فيه، ثم إنه سأل أسعد أن يبيعه أرضا متصلة بذلك المسجد كانت فى يديه ليتيمين فى حجره يقال لهما سهل و سهيل ابنا رافع بن أبى عمرو بن عائذ بن ثعلبة بن غنم، كذا نسبهما البلاذرى، و هو يخالف ما سبق عن ابن إسحاق و غيره، و الأول أشهر، انتهى، و تشهيره للأول- و هو كون الغلامين ابنى عمرو- تقدم ما يقتضيه، لكن تقدم أيضا ما يقتضى الثانى، و هو الأرجح فقدم صرح ابن حزم فى الجمهرة، و رواه ابن زبالة عن ابن شهاب، و كذا ذكره ابن عبد البر. و ذكر السهيلى فيما نقله عنه الذهبى ما يحصل به الجمع

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۲۵۲

و يرفع الخلاف إلا أن فيه بعض مخالفة لما تقدم، فقال: سهل بن عمرو الأنصارى النجارى أخو سهيل صاحب المربد، و كانا فى حجر أسعد بن زرارة، ينسبان إلى جدهما، و هما ابنا رافع بن عمرو بن أبى عمرو بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن النجار، انتهى. فعلى هذا يكون سقط من الرواية المتقدمة ابن عمرو بين رافع و أبى عمرو، و تصحف عبيد بعائذ، و الله أعلم.

و قال المجد: ذكر البيهقى المسجد فقال: كان جدارا مجدرا ليس عليه سقف، و قبلته إلى القدس، و كان أسعد بن زرارة بناه، و كان يصلى بأصحابه فيه، و يجمّع بهم فيه الجمعة قبل مقدم رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم فأمر رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم بالنخل التى فى الحديقة و بالغرقد أن يقطع، و كان فيه قبور جاهلية، فامر بها فنبشت، و أمر بالعظام أن تغيّب، و كان فى المربد ماء مسحل فسيره حتى ذهب- و المسحل: ممشى ماء المطر، انتهى. و لم أره فى المعرفة للبيهقى، و لا فى السنن الكبير، و لا فى الدلائل، و المعروف أنه كان مربدا للتمر: أى يجفّف فيه التمر، و كأنه سماه حديقة لاشتماله على نخل؛ ففى الصحيحين أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم «لما أخذه كان فيه نخل و قبور المشركين و خرب، فأمر النبى صلّى اللّه عليه و سلّم بالنخل فقطع، و بقبور المشركين فنبشت، و بالخرب فسويت، فصفوا النخل قبلة له، و جعلوا عضادتيه حجارة» و قد قدمنا الكلام على قطع هذا النخل فى أحكام الحرم، و كأن معنى صف النخل قبلة له جعلها سوارى فى جهة القبلة ليسقف عليها كما فى الصحيح «كان المسجد على عهد رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم مبنيا باللبن، و سقفه الجريد، و عمده خشب النخل» و سيأتى فيما أسند يحيى أنه كان فى جوف الأرض- أى أرض المربد- قبور جاهلية، فامر رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم بالقبور فنبشت، فرمى بعظامها، فأمر بها فغيبت، و كان فى المربد ماء مستنجل فسيره حتى ذهب» و وقع فى رواية عطاف بن خالد عند ابن عائذ أنه صلّى اللّه عليه و سلّم «صلى فيه و هو عريش اثنى عشر يوما، ثم بناه و سقفه» و سيأتى ما يشهد له.

و أسند ابن زبالة عن أنس قال: بناه رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم- يعنى المسجد- أول ما بناه بالجريد، قال: و إنما بناه باللبن بعد الهجرة بأربع سنين.

قلت: و هو واه أو مؤول، و المعروف خلافه.

و أسند أيضا عن شهر بن حوشب قال: لما أراد رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم أن يحجر بناء المسجد قيل له: عريش كعريش أخيك موسى سبع أذرع، و أسنده يحيى من غير طريقه عن شهر أيضا بلفظ: لما أراد رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم أن يا بنى المسجد، و أورده رزين بلفظ: لما أراد

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۲۵۳

رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم بناء المسجد قال: قيل لى: عريش كعريش أخيك موسى سبعة أذرع، ثم الأمر أعجل من ذلك. و أسند يحيى عن الحسن قال: لما قدم النبى صلّى اللّه عليه و سلّم المدينة قال:

ابنوا لى مسجدا عريشا كعريش موسى، ابنوه لنا من لبن. و أورده رزين بلفظ: لما أخذ فى بناء المسجد قال: ابنوا لى عريشا كعريش موسى، ثمامات و خشبات و ظلة كظلة موسى، و الأمر أعجل من ذلك، قيل: و ما ظلة موسى؟ قال: كان إذا قام فيه أصاب رأسه

السقف، و عمل فيه بنفسه صلّى اللّه عليه و سلّم ترغيبا لهم؛ ففى الرواية المتقدمة فى الصحيح عقب قوله: «حتى ابتاعه منهما» و طفق رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم ينقل معهم اللبن فى ثيابه، و يقول و هو ينقل اللبن:

هذا الحمال لا حمال خيبر هذا أبرّ ربّنا و أطهر

و يقول:

اللهم إنّ الأجر أجر الآخرة فارحم الأنصار و المهاجرة

قال ابن شهاب: فتمثل صلّى اللّه عليه و سلّم بشعر رجل من المسلمين، و لم يبلغنا فى الأحاديث أنه تمثل ببيت شعر تام غير هذه الأبيات، زاد ابن عائذ فى آخره: التى كان يرتجزهن و هو ينقل اللبن لبناء المسجد.

و الحمال مخفّف بمهملة مكسورة: أى هذا المحمول من اللبن أبر عند الله من حمال خيبر، أى ذات التمر و الزبيب. و قوله «ربّنا» أى يا ربنا. و أسند يحيى عن الزهرى فى معنى قوله «هذا الحمال لا حمال خيبر» قال: كانت يهود إذا صرمت نخلها جاءتهم الأعراب بركائبهم فيحملون لهم عروة بعروة إلى القرى، فيبيعون، يكون لهذا نصف الثمن و لهؤلاء نصفه، فقال النبى صلّى اللّه عليه و سلّم ذلك. و فى الرواية المتقدمة فى الصحيح عقب قوله: «و جعلوا عضادتيه حجارة» فجعلوا ينقلون ذلك الصخر و هم يرتجزون و رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم معهم، يقولون:

اللهم لا خير إلا خير الآخرة فانصر الأنصار و المهاجرة

و يذكر أن هذا البيت لعبد الله بن رواحة.

و عن الزهرى: بلغنى أن الصحابة كانوا يرتجزون به، و كان رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم ينقل معهم و يقول:

اللهم لا خير إلا خير الآخرة فارحم المهاجرين و الأنصار

و كان لا يقيم الشعر، قال الله تعالى: وَ ما عَلَّمْناهُ الشِّعْرَ وَ ما يَنْبَغِي لَهُ [يس: ۶۹]

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۱، ص: ۲۵۴

و فعل ذلك احتسابا و ترغيبا فى الخير؛ ليعمل الناس كلهم، و لا يرغب أحد بنفسه عن نفس رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم و لهذا أسند ابن زبالة عن مجمع بن يزيد أنه قال عقب ذلك: و عملوا فيه و دأبوا، فقال قائل من المسلمين:

لئن قعدنا و النّبىّ يعمل ذاك إذا للعمل المضلّل

و أسند أيضا أن على بن أبى طالب كان يرتجز و هو يعمل فيه يقول:

لا يستوى من يعمر المساجدا يدأب فيها قائما و قاعدا

و من يرى عن الغبار حائدا

و أسند هو أيضا و يحيى من طريقه و المجد، و لم يخرجه، عن أم سلمة رضى الله عنها قالت: بنى رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم مسجده، فقرب اللبن و ما يحتاجون إليه، فقام رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم فوضع رداءه، فلما رأى ذلك المهاجرون الأولون و الأنصار ألقوا أرديتهم و أكسيتهم، و جعلوا يرتجزون و يعملون و يقولون:

لئن قعدنا و النبىّ يعمل

البيت.

و كان عثمان بن عفان رضى الله عنه رجلا نظيفا متنظفا، و كان يحمل اللبنة فيجافى بها عن ثوبه، فإذا وضعها نفض كمه، و نظر إلى ثوبه، فإن أصابه شىء من التراب نفضه، فنظر إليه على بن أبى طالب فأنشأ يقول:

لا يستوى من يعمر المساجدا

الأبيات المتقدمة.

فسمعها عمار بن ياسر، فجعل يرتجز بها و هو لا يدرى من يعنى بها، فمر بعثمان فقال: يا ابن سمية، ما أعرفنى بمن تعرض، و معه جريدة فقال: لتكفن أو لأعترضن بها وجهك، فسمعه النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و هو جالس فى ظل بيتى، يعنى أم سلمة، و فى كتاب يحيى «فى ظل بيته» - فغضب رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم ثم قال: إن عمار بن ياسر جلدة ما بين عينى و أنفى، فإذا بلغ ذلك من المرء فقد بلغ، و وضع يده بين عينيه، فكف الناس عن ذلك، ثم قالوا لعمار: إن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم قد غضب فيك، و نخاف أن ينزل فينا القرآن، فقال: أنا أرضيه كما غضب، فقال: يا رسول الله مالى و لأصحابك؟ قال: مالك و ما لهم؟ قال: يريدون قتلى، يحملون لبنة لبنة و يحملون على اللبنتين و الثلاث، فأخذ بيده فطاف به فى المسجد، و جعل يمسح و فرته بيده من التراب و يقول: يا ابن سمية لا يقتلك أصحابى، و لكن تقتلك الفئة الباغية.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۲۵۵

و قد ذكر ابن إسحاق القصة بنحوه كما فى تهذيب ابن هشام، قال: و سألت غير واحد من أهل العلم بالشعر عن هذا الرجز فقالوا: بلغنا أن على بن أبى طالب ارتجز به، فلا ندرى أ هو قائله أم غيره، و إنما قال ذلك على رضى الله عنه مطايبة و مباسطة كما هو عادة الجماعة إذا اجتمعوا على عمل، و ليس ذلك طعنا.

و أخرج ابن أبى شيبة من مرسل أبى جعفر الخطمى قال: كان رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم يا بنى المسجد و عبد الله بن رواحة يقول:

أفلح من يعالج المساجدا

فيقولها رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم فيقول ابن رواحة:

يتلو القرآن قائما و قاعدا

فيقولها رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم.

و فى الصحيح فى ذكر بناء المسجد: و كنا نحمل لبنة لبنة و عمار لبنتين لبنتين، فرآه النبى صلّى اللّه عليه و سلّم فجعل ينفض التراب عنه و يقول: «ويح عمار تقتله الفئة الباغية، يدعوهم إلى الجنة و يدعونه إلى النار» و قال: يقول عمار: أعوذ بالله من الفتن.

و أسند ابن زبالة و يحيى عن مجاهد قال: رآهم رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم و هم يحملون الحجارة على عمار، و هو يا بنى المسجد، فقال: «ما لهم و لعمار؟ يدعوهم إلى الجنة و يدعونه إلى النار، و ذلك فعل الأشقياء الأشرار».

و أسند الثانى أيضا عن أم سلمة قالت: كان رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم و أصحابه يبنون المسجد، فجعل أصحاب النبى صلّى اللّه عليه و سلّم يحمل كل رجل منهم لبنة لبنة و عمار بن ياسر لبنتين لبنة عنه و لبنة عن رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم فقام إليه رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم فمسح ظهره و قال: «يا ابن سمية لك أجران و للناس أجر، و آخر زادك من الدنيا شربة من لبن، و تقتلك الفئة الباغية».

و فى الروض للسهيلى: أن معمر بن راشد روى ذلك فى جامعه بزيادة فى آخره، و هى: فلما قتل يوم صفين دخل عمرو على معاوية رضى الله عنهما فزعا فقال: قتل عمار، فقال معاوية: فما ذا؟ فقال عمرو: سمعت رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم يقول: «تقتله الفئة الباغية» فقال معاوية: دحضت فى بولك، أ نحن قتلناه؟ إنما قتله من أخرجه.

و روى البيهقى فى الدلائل عن عبد الرحمن السلمى أنه سمع عبد الله بن عمرو بن العاص يقول لأبيه عمرو: قد قتلنا هذا الرجل، و قد قال رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم فيه ما قال، قال:

أى رجل؟ قال: عمار بن ياسر، أ ما تذكر يوم بنى رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم المسجد؛ فكنا نحمل

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۲۵۶

لبنة لبنة، و عمار يحمل لبنتين لبنتين، فمر على رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم فقال: «تحمل لبنتين لبنتين و أنت ترحض، أما إنك

ستقتلك الفئة الباغية، و أنت من أهل الجنة» فدخل عمرو على معاوية فقال: قتلنا هذا الرجل و قد قال فيه رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم ما قال، فقال: اسكت، فوالله ما تزال تدحض فى بولك، أ نحن قتلناه؟ إنما قتله على و أصحابه، جاءوا به حتى ألقوه بيننا.

قلت: و هو يقتضى أن هذا القول لعمار كان فى البناء الثانى للمسجد؛ لأن إسلام عمرو كان فى الخامسة كما سبق.

و أسند ابن زبالة عن حسن بن محمد الثقفى قال: بينا رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم يا بنى فى أساس مسجد المدينة و معه أبو بكر و عمر و عثمان رضى الله عنهم، فمر به رجل فقال: يا رسول الله ما معك إلا هؤلاء الرهط؟ فقال رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم: هؤلاء ولاة الأمر من بعدى.

و روى أبو يعلى برجال الصحيح إلا- أن التابعى لم يسم عن عائشة رضى الله عنها قالت: لما أسس رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم مسجد المدينة جاء بحجر فوضعه، و جاء أبو بكر بحجر فوضعه، و جاء عمر بحجر فوضعه، و جاء عثمان بحجر فوضعه، قالت: فسئل رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم عن ذلك، فقال: هذا أمر الخلافة من بعدى.

و تقدم فى تأسيس مسجد قباء نحو ذلك من غير ذكر أمر الخلافة.

و قال الأقشهرى فى روضته: روى صاحب السيرة و لم يسمه أن جبريل عليه السلام أتى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و قال: يا محمد، إن الله يأمرك أن تبنى له بيتا، و أن ترفع بنيانه بالرهص و الحجارة- و الرهص: الطين الذى يتخذ منه الجدار- فقال: كم أرفعه يا جبريل؟ قال:

سبعة أذرع، و قيل: خمسة أذرع، و لما ابتدأ فى بنائه أمر بالحجارة و أخذ حجرا فوضعه بيده أولا، ثم أمر أبا بكر فجاء بحجر فوضعه إلى جنب حجر النبى صلّى اللّه عليه و سلّم ثم عمر كذلك، ثم عثمان كذلك، ثم عليا، انتهى ما ذكره الأقشهرى و من خطه نقلته.

و روى البيهقى فى الدلائل عن سفينة مولى رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم قال: لما بنى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم المسجد وضع حجرا، ثم قال: ليضع أبو بكر حجره إلى جنب حجرى، ثم ليضع عمر حجره إلى جنب حجر أبى بكر، ثم قال: ليضع عثمان حجره إلى جنب حجر عمر، فقال رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم: «هؤلاء الخلفاء من بعدى».

و أسند يحيى عن أسامة بن زيد عن أبيه قال: خرج رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم و معه حجر، فلقيه أسيد بن حضير فقال: يا رسول الله أعطنيه، فقال: اذهب فاحتمل غيره، فلست بأفقر إليه منى.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۲۵۷

و عن مكحول قال: لما كثر أصحاب رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم قالوا: اجعل لنا مسجدا، فقال:

خشبات و ثمامات، عريش كعريش أخى موسى صلوات الله عليه، الأمر أعجل من ذلك.

و رواه رزين و زاد فيه: فطفقوا ينقلون اللبن و ما يحتاجون إليه و رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم ينقل معهم، فلقيه رجل و مع رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم لبنة فقال: أعطنيها يا رسول الله، فقال: اذهب فخذ غيرها، فلست بأفقر إلى الله منى.

و نقل المجد عن رواية محمد بن سعد نحوه، قال: و جاء رجل يحسن عجن الطين، و كان من حضرموت، فقال رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم: رحم الله امرأ أحسن صنعته، و قال له: الزم أنت هذا الشغل فإنى أراك تحسنه.

و فى كتاب يحيى من طريق ابن زبالة عن الزهرى: كان رجل من أهل اليمامة يقال له طلق من بنى حنيفة يقول: قدمت على النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و هو يا بنى مسجده، و المسلمون يعملون فيه معه، و كنت صاحب علاج و خلط طين، فأخذت المسحاة أخلط الطين و النبى صلّى اللّه عليه و سلّم ينظر إلى و يقول: إن هذا الحنفى لصاحب طين.

و روى أحمد عن طلق بن على قال: بنيت المسجد مع النبى صلّى اللّه عليه و سلّم فكان يقول: قربوا اليمامى من الطين فإنه أحسنكم له مسكا و أشدكم منكبا.

و عنه أيضا قال: جئت إلى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و أصحابه يبنون المسجد، قال: فكأنه لم يعجبه عملهم، قال: فأخذت المسحاة

فخلطت بها الطين، فكأنه أعجبه أخذى المسحاة و عملى فقال: دعوا الحنفى و الطين فإنه من أصنعكم للطين.

و أسند ابن زبالة و يحيى من طريقه فى أثناء كلام عن ابن شهاب فى قصة أخذ المربد، قال: فبناه مسجدا، و ضرب لبنه من بقيع الخبخبة ناحية بئر أبى أيوب بالمناصع و الخبخبة:

شجرة كانت تنبت هناك.

و أسند يحيى من طريق عبد العزيز بن عمر عن يزيد بن السائب عن خارجة بن زيد بن ثابت قال: بنى رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم مسجده سبعين فى ستين ذراعا أو يزيد، و لبّن لبنه من بقيع الخبخبة، و جعله جدارا، و جعل سواريه خشبا شقة شقة، و جعل وسطه رحبة، و بنى بيتين لزوجتيه.

قال عبد العزيز: فسألت زيدا: أين بقيع الخبخبة؟ قال: بين بئر أبى أيوب و تلك الناحية، و هذا بقيع الغرقد لبقيع المقبرة، و قال: سألت عبد العزيز عن بقيع الخبخبة فقال:

هى- أى الخبخبة- يسار بقيع الغرقد حين تقطع الطريق و تلقاها عند مسجد يحيى، فقلت: و من يحيى صاحب المسجد الذى ذكرت؟ فقال: يحيى بن طلحة بن عبيد الله.

قلت: بقيع الخبخبة لا يعرف اليوم كما ذكره شيخ مشايخنا الزين المراغى، لكن

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۲۵۸

الخارج من درب البقيع إذا مشى فى البقيع لجهة مشهد سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه و صار مشهد سيدنا إبراهيم بن رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم على يمينه يكون على يساره طريق تمر بطرف الكومة، فإذا سلكها انتهى بعد رأس العطفة التى على يمينه إلى حديقة تعرف قديما بأولاد الصيفى بها بئر ينزل إليها بدرج تعرف ببئر أيوب قديما و حديثا، و عن يسار الخارج من درب البقيع أيضا إذا سلك طريق سيدنا حمزة فى شامى الحديقة المعروفة بالرومية حديقة تعرف بالرباطية وقف رباط اليمنة بها بئر. قال المراغى: تعرف ببئر أيوب أيضا، يتبرك بها الناس، و هى بالقرب من الحديقة المعروفة بدار فحل، و هى عن يسار بقيع الغرقد أيضا، قال الزين المراغى: و لعلها أقرب إلى المراد.

قلت: و الذى يظهر أن الأولى هى المراد، لما سنبينه فى الآبار.

و فى كتاب رزين ما لفظه: عن جعفر بن محمد عن أبيه قال: كان بناء مسجد رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم بالسميط لبنة على لبنة، ثم بالسعيدة لبنة و نصف أخرى، ثم كثروا فقالوا:

يا رسول الله لو زيد فيه، فبنى بالذكر و الأنثى، و هى لبنتان مختلفتان، و كانوا رفعوا أساسه قريبا من ثلاثة أذرع بالحجارة، و جعلوا طوله مما يلى القبلة إلى مؤخرة مائة ذراع، و كذا فى العرض، و كان مربعا، و فى رواية جعفر: و لم يسطح، فشكوا الحر فجعلوا خشبه و سواريه جذوعا، و ظللوا بالجريد ثم بالخصف، فلما و كف عليهم طينوه بالطين، و جعلوا وسطه رحبة، و كان جداره قبل أن يظلل قامة و شيئا، انتهى. و الظاهر أنه ليس جميعه من كلام جعفر؛ بدليل قوله فى الأثناء «و فى رواية جعفر».

و قد ذكر ابن زبالة و يحيى من غير طريقه كلام جعفر متمحضا فأسندا عنه أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم كان بناء مسجده بالسميط لبنة لبنة، ثم إن المسلمين كثروا فبناه بالسعيدة، فقالوا: يا رسول الله لو أمرت من يزيد فيه، فقال: نعم، فأمر به فزيد فيه، و بنى جداره بالأنثى و الذكر، ثم اشتد عليهم الحر فقالوا: يا رسول الله لو أمرت بالمسجد فظلل، قال: نعم، فأمر به فأقيمت فيه سوارى من جذوع النخل، ثم طرحت عليها العوارض و الخصف و الإذخر، فعاشوا فيه، و أصابتهم الأمطار، فجعل المسجد يكف عليهم، فقالوا: يا رسول الله لو أمرت بالمسجد فطيّن، فقال: لا، عريش كعريش موسى، فلم يزل كذلك

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۲۵۹

حتى قبض رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم و كان جداره قبل أن يظلل قامة، فكان إذا فاء الفيء ذراعا و هو قدمان يصلى الظهر، فإذا

كان ضعف ذلك صلّى العصر، ثم نقلا عنه تفسير السميط و السعيدة و الأنثى و الذكر بما تقدم، و لم يذكرا ذرعا.

و فى الإحياء عن الحسن مرسلا: لما أراد صلّى اللّه عليه و سلّم أن يا بنى مسجد المدينة أتاه جبريل فقال: ابنه سبعة أذرع طولا فى السماء، و لا تزخرفه، و لا تنقشه، انتهى.

و تقدم فيما نقله الأقشهرى عن صاحب السيرة عن جبريل عليه السلام فى ارتفاعه سبعة أذرع، و قيل: خمسة.

و أسند يحيى عن أسامة بن زيد عن أبيه قال: خرج رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم و معه حجر، فلقيه أسيد بن حضير، و ذكر ما قدمناه، ثم قال: قال- يعنى زيدا- و رفعوا الأساس قريبا من ثلاثة أذرع على الأرض بالحجارة، و كان فى جوف الأرض قبور جاهلية، فأمر بالقبور فنبشت فرمى بعظامها، و أمر بها فغيبت، و كان فى المربد ماء مستنجل فسربه حتى ذهب، و كان الذين أسسوا المسجد جعلوا طوله مما يلى القبلة إلى مؤخره مائة ذراع، و فى الجانبين الآخرين مثل ذلك فهو مربع، و يقال: إنه كان أقل من مائة ذراع، و جعل قبلته إلى بيت المقدس، و جعل له ثلاثة أبواب: باب فى مؤخره، أى و هو فى جهة القبلة اليوم، و باب عاتكة الذى يدعى باب عاتكة و يقال باب الرحمة، و الباب الذى كان يدخل منه رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم و هو باب آل عثمان اليوم، و هذان البابان لم يغيرا بعد أن صرفت القبلة، و لما صرفت القبلة سد النبى صلّى اللّه عليه و سلّم الباب الذى كان خلفه و فتح هذا الباب، و حذاء هذ الباب- أى و محاذيه- هذا الباب الذى سد. و عبر ابن النجار عن ذلك بقوله: و لما صرفت القبلة سد الباب الذى كان خلفه و فتح بابا حذاءه. قال المجد: أى تجاهه، انتهى.

و ذكر الأقشهرى فى خبر عن ابن عمر ما يخالف هذا، فإنه قال: و عن عبد الله بن عمر قال: كان مسجد رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم فى زمانه من اللبن، و سقفه من غصن النخل، و له ثلاثة أبواب: باب فى مؤخره، و باب عاتكة و هو باب الرحمة، و الباب الذى كان يدخل منه و هو باب عثمان، و هو الذى يسمى اليوم باب جبريل، و لما صرفت القبلة سد الباب الذى خلفه و فتح الباب الآخر، و هو الذى يسمى باب النساء، انتهى. و هو غريب، و لعل قوله: «و هو الذى يسمى باب النساء» من تصرفه و فهمه فى معنى الخبر، و لذلك أورد عقبه حديث أبى داود مرفوعا «لو تركنا هذا الباب للنساء» لكن أبو داود بيّن أن الأصح أنه من قول عمر كما سيأتى، و على ما ذكره فلم يجعل للمسجد بعد التحويل بابا خلفه، و باب عن يمين المصلى، و باب عن يسار المصلى، ثم انتهوا إلى البناء باللبن، فجعل رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم يحمل معهم اللبن فى ثيابه و يقول:

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۱، ص: ۲۶۰

هذا الحمال لا حمال خيبر

الرجز المتقدم.

و روى أحمد عن أبى هريرة أنهم كانوا يحملون اللبن إلى بناء المسجد و رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم معهم، قال: فاستقبلت رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم و هو عارض لبنة على بطنه، فظننت أنها شقت عليه، فقلت: ناولنيها يا رسول الله، قال: خذ غيرها يا أبا هريرة فإنه لا عيش إلا عيش الآخرة.

زيادة النبى فى مسجده

قلت: و هذا فى البناء الثانى، أى لأن أبا هريرة لم يحضر البناء الأول؛ لأن قدومه عام فتح خيبر.

و أسند ابن زبالة من طريق ابن جريج عن جعفر بن عمرو قال: كان المربد لسهل و سهيل ابنى عمرو فأعطياه رسول الله صلى اللّه عليه و سلّم فبناه، و أعان أصحابه أو بعضهم بنفسه فى عمله، و كان على بن أبى طالب يرتجز و هو يعمل فيه، قال: و بناه النبى صلّى اللّه عليه و سلّم مرتين: بناه حين قدم أقل من مائة فى مائة، فلما فتح الله عليه خيبر بناه و زاد عليه مثله فى الدور.

و روى الطبرانى بإسناد فيه ضعيف عن أبى المليح عن أبيه قال: قال النبى صلّى اللّه عليه و سلّم لصاحب البقعة التى زيدت فى مسجد

المدينة- و كان صاحبها من الأنصار- فقال النبى صلّى اللّه عليه و سلّم: «لك بها بيت فى الجنة» قال: لا، فجاء عثمان فقال له: «لك بها عشرة آلاف درهم» فاشتراها منه، ثم جاء عثمان إلى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم فقال: يا رسول الله اشتر منى البقعة التى اشتريتها من الأنصارى، فاشتراها منه ببيت فى الجنة، فقال عثمان: إنى اشتريتها بعشرة آلاف درهم، فوضع النبى صلّى اللّه عليه و سلّم لبنة، ثم دعا أبا بكر فوضع لبنة، ثم دعا عمر فوضع لبنة، ثم جاء عثمان فوضع لبنة، ثم قال للناس: «ضعوا» فوضعوا.

و روى الترمذى و حسّنه فى حديث قصة إشراف عثمان على الناس يوم الدار عن ثمامة بن حزن القشيرى أن عثمان رضى الله عنه قال: أنشدكم بالله و بالإسلام هل تعلمون أن المسجد ضاق بأهله فقال رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم: من يشترى بقعة آل فلان فيزيدها فى المسجد بخير له منها فى الجنة؟ فاشتريتها من صلب مالى، فأنتم اليوم تمنعوننى أن أصلى فيها ركعتين، قالوا: اللهم نعم، الحديث، و أخرجه الدارقطنى أيضا، و كذا أحمد بنحوه.

و أخرجا أيضا حديثا طويلا عن الأحنف بن قيس فيه: أن عثمان رضى الله عنه قال:

أ هاهنا على؟ قالوا: نعم، قال: أ هاهنا طلحة؟ قالوا: نعم، قال: أنشدكم بالله الذى لا إله

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۲۶۱

إلا هو أ تعلمون أن رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم قال: أمن يبتاع مربد بنى فلان غفر الله له، فابتعته بعشرين ألفا أو خمسة و عشرين ألفا، فأتيت النبى صلّى اللّه عليه و سلّم فقلت: قد ابتعته، فقال: اجعله فى مسجدنا و أجره لك، قالوا: اللهم نعم.

و أخرج خيثمة بن سليمان فى فضائل عثمان عن قتادة قال: كانت بقعة إلى جنب المسجد فقال النبى صلّى اللّه عليه و سلّم: من يشتريها و يوسعها فى المسجد له مثلها فى الجنة، فاشتراها عثمان، فوسعها فى المسجد.

و أسند ابن زبالة عن خالد بن معدان قال: خرج رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم على عبد الله بن رواحة و أبى الدرداء و معهما قصبة يذرعان بها المسجد، فقال: ما تصنعان؟ فقالا: أردنا أن نبنى مسجد رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم على بنيان الشام، فيقسم ذلك على الأنصار، فقال: هاتياها، فأخذ القصبة منهما، ثم مشى بها حتى أتى الباب، فدحا بها، و قال: كلا، ثمام و خشيبات و ظلة كظلة موسى، و الأمر أقرب من ذلك، قيل: و ما ظلة موسى؟ قال: إذا قام أصاب رأسه السقف.

و روى البيهقى فى الدلائل من طريق يعلى بن شداد عن عبادة أن الأنصار جمعوا مالا- فأتوا به النبى صلّى اللّه عليه و سلّم فقالوا: يا رسول الله ابن بهذا المسجد و زينه، إلى متى نصلى تحت هذا الجريد؟ فقال: ما بى رغبة عن أخى موسى، عريش كعريش موسى.

و روى البيهقى أيضا عن الحسن فى بيان عريش موسى قال: إذا رفع يده بلغ العريش، يعنى السقف.

و عن ابن شهاب: كانت سوارى المسجد فى عهد رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم جذوعا من جذوع النخل، و كان سقفه جريدا و خوصا ليس على السقف كثير طين، إذا كان المطر امتلأ المسجد طينا، إنما هو كهيئة العريش.

و فى الصحيح فى ليلة القدر: و إنى أريت أنى أسجد فى ماء و طين، فمن كان اعتكف مع رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم فليرجع، فرجعنا و ما نرى فى السماء قزعة فجاءت سحابة فمطرت حتى سال سقف المسجد، و كان من جريد النخل، و أقيمت الصلاة، فرأيت رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم يسجد فى الماء و الطين، حتى رأيت أثر الطين فى جبهته.

الفصل الثانى فى ذرعه و حدوده التى يتميز بها عن سائر المسجد اليوم

اشارة

اعلم أن الذراع حيث أطلق فالمراد به ذراع الآدمى، و قد قدمنا فى تحديد الحرم

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۲۶۲

أنه ذراع غير ثمن من ذراع الحديد المستعمل بمصر و بمكة، و هو شبران تقريبا، و قد تحصلنا كما تقدم فى ذرع المسجد على أربع روايات: الأولى: سبعون ذراعا فى ستين أو يزيد، و الثانية: مائة ذراع فى مائة، و أنه مربع، و الثالثة: أنه أقل من مائة ذراع، و هذا صادق بالأولى فليحمل عليها، الرابعة: أنه بناه أولا أقل من مائة فى مائة، ثم بناه و زاد عليه مثله فى الدور، و لا يصح أن يراد بذلك الأذرع قطعا؛ لأنها تقتضى أنه بعد البناء الثانى صار أحد امتداديه إما الطول أو العرض نحو مائتى ذراع، و الامتداد الآخر نحوها، و لا شك أن حد مسجده صلّى اللّه عليه و سلّم من جهة المشرق غايته الحجرة الشريفة، فعرضه من جدارها إلى جدار المسجد الغربى، و ذرع هذا القدر اليوم بعد الزيادات المجمع عليها لا تبلغ مائة و خمسين ذراعا كما اختبرته، بل تنقص أزيد من ستة أذرع، و قد أجمع المؤرخون على أن عمر و عثمان رضى الله عنهما زادا فى المسجد من هذه الجهة، ثم غيرهما من الخلفاء؛ فالظاهر أن المراد من هذه الرواية الأشبار لا الأذرع، فيقتضى أن المسجد النبوى بعد البناء الثانى صار أحد امتداديه مائتى شبر، و الامتداد الآخر نحوها؛ فيوافق رواية مائة ذراع فى مثلها، على أن ما ذكره المتأخرون من التحديد بالأمور الآتية يقتضى أنه لم يكن مائة ذراع؛ فهو مقتض لترجيحهم الرواية الأولى، و هى سبعون ذراعا فى ستين، و تكون السبعون للطول و الستون للعرض.

و قد نقل النووى ذلك فى منسكه عن خارجة بن زيد أحد فقهاء المدينة السبعة، و لفظه: بنى رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم مسجده سبعين ذراعا فى ستين أو يزيد، و هو الذى جزم به ابن النجار فقال: بنى رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم مسجده مربعا، و جعل قبلته إلى بيت المقدس، و طوله سبعين ذراعا فى ستين ذراعا أو يزيد، انتهى.

هذا، و قد قال يحيى قبيل ما جاء فى حجر أزواج النبى صلّى اللّه عليه و سلّم: حدثنى هارون قال:

حدثنا محمد بن يحيى- يعنى صاحب مالك- قال: فيما كان انتهى إلينا من ذرع مسجد النبى صلّى اللّه عليه و سلّم من القبلة إلى حده الشامى أربعة و خمسون ذراعا و ثلثا ذراع، و حده من المشرق إلى المغرب ثلاث و ستون ذراعا، يكون ذلك مكسرا ثلاثة آلاف و أربعمائة و أربعة و أربعين ذراعا، انتهى.

و قال ابن النجار: اعلم أن حدود مسجد رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم- أى: الذى كان فى زمنه- من القبلة الدرابزينات التى بين الأساطين التى فى قبلة الروضة، و من الشام الخشبتان المغروزتان فى صحن المسجد، و أما من المشرق إلى المغرب فهو من حجرة النبى صلّى اللّه عليه و سلّم إلى الأسطوان الذى بعد المنبر، و هو آخر البلاط، انتهى.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۲۶۳

و فيما ذكره ابن النجار مناقشة: أما ما ذكره من التحديد بالدرابزينات من جهة القبلة و بالخشبتين من جهة الشام، فالخشبتان اليوم غير معروفتين، و قد نبه على فقدهما الزين المراغى، و كلام المطرى يفهمه، و لم أر لهما ذكرا فى كلام المتقدمين، نعم ذكر ابن زبالة كلاما فيه غموض يقتضى تحديد بعض جهات المسجد بعودين علا الكبس على أحدهما، و أن الآخر كان موجودا فى زمانه، فلعل ذلك مأخذ ابن النجار، و عبارة ابن زبالة تنبو عن ذلك؛ إذ لم يذكرهما فى حد جهة الشام، و الحد من هذه الجهة اليوم- على ما يعرف فى زماننا- الحجران الآتى ذكرهما فى صحن المسجد، و سيأتى ما يقتضى رد ذلك.

و ذكر ذلك ابن جماعة فى منسكه فقال: قد عرّف المتأخرون مقدار المسجد الذى كان عليه أولا فقالوا: كان على التربيع من الحجرة المقدسة إلى مكان السارية السابعة من جهة المغرب، و من موضع الدرابزين الذى هو بين الأساطين المتصل بالصندوق أمام المصلى الشريف إلى موضع الحجرين المغروزين فى صحن المسجد الشريف، انتهى.

و مستنده فى ذلك قول المطرى فى الحجرين المذكورين يذكر أنهما حد المسجد من جهة الشام و المغرب، قال: لكنهما ليسا على سمت المنبر الشريف، بل هما داخلان إلى جهة المشرق بمقدار أربعة أذرع أو أقل، و كذا متقدمان إلى القبلة بمثل ذلك، قال: لأنى اعتبرت ذلك بالذرع فوجدتهما ليسا على ذرع المسجد الأول.

قلت: كونهما داخلين عن سمت المنبر إلى جهة المشرق بما ذكر لا يقدح فى كونهما الحد المذكور؛ لأن المراد أن جهة المغرب

هناك فى سمتهما، كما أن المراد أن جهة الشام فى سمتهما، لا أنها ما يحاذى الحجرين فقط، و وقع الاستغناء عن تحرير ابتداء جهة المغرب بما تقدم له نقلا عن ابن النجار من الأسطوانة التى تلى المنبر من تلك الجهة، كما استغنى بكون الحجرة الشريفة حده من جهة المشرق؛ إذ لم يذكر حد لجهة المشرق مما يلى الحجرين فى جهة الشام، و فى الحقيقة لم يقصد بهما سوى بيان جهة الشام، على أنه يحتمل أن مقدم المسجد كان أعرض من مؤخره كما هو موجود اليوم، فيكون الحجران حده من جهة المغرب حقيقة، و أما قوله إنهما متقدمان إلى القبلة بأربعة أذرع و إنهما ليسا على ذرع المسجد الأول يعنى السبعين التى ذكرها ابن النجار فقد بناه على ما قاله أيضا من أن الدرابزينات التى ذكرها ابن النجار من جهة القبلة متقدمة على موضع الحائط القبلى؛ لأن الحائط القبلى كان محاذيا لمصلى رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم و إنما جعل هذا الصندوق الذى فى قبلة المصلى الشريف أى بين المصلى و الدرابزينات سترة بين المقام الشريف و بين الأسطوانات، قال: و ورد أيضا أنه كان بين الحائط القبلى و بين المنبر ممر الشاة، و بين

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۲۶۴

المنبر و الدرابزين اليوم مقدار أربعة أذرع و ربع ذراع، و المنبر لم يغير من جهة القبلة، و كذا المصلى الشريف، انتهى. فلم يعتبر الذرع من الدرابزينات.

و قد اختبرت أنا ذلك بنفسى من الدرابزينات المذكورة إلى الحجرين المذكورين فكان سبعين ذراعا بذراع اليد المتقدم ذكره، و قد قال ابن جماعة: إنه اختبر ذلك بذراع العمل فكان ستة و أربعين ذراعا و ثلثى ذراع؛ فهو موافق لذرعنا، بل يرجح قليلا؛ لأن ذراع العمل ذراع و نصف راجح من ذراع اليد.

و أما ما ذكره المراغى فى كتابه من الذرع فغير موافق لذرعنا؛ لأنه اعتمد فى ذلك كما صرح به على ذراع المدينة الشريفة اليوم، و قد اختبرته فوجدته يزيد على ذراع اليد الذى حررناه بأكثر من قيراط، و قول المطرى: «إن بين المنبر و الدرابزين اليوم مقدار أربعة أذرع و ربع» مخالف لما اختبرناه؛ فإن بينهما ثلاثة أذرع و نصف بالذراع الذى حررناه، لكن سيأتى أن المنبر اليوم ليس هو ذلك، و أنه قد اتضح لنا عند الحفر لتأسيس المنبر الرخام الآتى ذكره صحة ما قاله المطرى، و أن المنبر الذى أدركناه قدّم عن محل المنبر الأصلى لجهة القبلة أزيد من نصف ذراع، كما سنوضحه إن شاء الله تعالى.

و قد ذكر ابن زبالة و يحيى من طريقه نقلا عن غير واحد من أهل العلم تحديد المسجد الشريف من هذه الجهة فقالا: و علامته فى القبلة حروف المرمر الذى المنبر وسطه، و علامته من الشام أربعة طيقان من ناحية المشرق و المغرب، و علامة الطيفان الأربع أنهن مخضرات الأجواف بالفسيفساء كلهن.

قلت: و المرمر اليوم لا يظهر منه شىء. لكن يؤخذ من كلام ابن زبالة فى وصف هذا المرمر أنه كان دكة مرتفعة حول المنبر قدر الذراع، و أنه ممتد من المغرب قدر ثلاثة أذرع، و من المشرق ثلاثة، و من القبلة ثلاثة، فإنه قال: حدثنى محمد بن إسماعيل قال:

رأيت طنفسة كانت لعبد الله بن حسن بن حسن تطرح قبالة المنبر على مرمر كان هناك، قال: فحبس عبد الله بن حسن سنة أربعين و مائة، و بقيت الطنفسة بعده أياما، ثم رفعت، قال: ثم إن الحسن بن زيد بن الحسن بن على رضى الله عنهم لما ولى المدينة سنة خمسين و مائة فى خلافة أبى جعفر نقض المرمر و وسعه من جوانبه كلها حتى ألحقه بالسوارى، فكلمه أبو مودود عبد العزيز بن أبى سليمان أن يدع له مصلاه فتركه و لم يلحق المرمر بالأساطين المقدمة؛ فالمرمر اليوم هو الذى عمل الحسن بن زيد، و المرمر الذى حول المنبر المرتفع عن المرمر الذى عمل الحسن بن زيد بين ستة أساطين ثلاثة أذرع من قبل القبلة و ثلاثة أذرع من قبل المشرق و ثلاثة أذرع من قبل المغرب، و هو مرتفع عن الأرض نحوا من ذراع، انتهى.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۲۶۵

و قال فى موضع آخر: عرض المرمر الذى حول المنبر ثمانية أذرع، و طوله ثمانى عشرة ذراعا، و سماه فى موضع آخر رخاما، و هو يطلق عليه لغة، و سيأتى ذكر هذه الدكة التى المنبر فى وسطها عن ابن النجار حيث قال: و ارتفاع الدكة التى المنبر عليها شبر و عقد،

فكأن الكبس علا؛ فإنها كانت ذراعا فى زمن ابن زبالة، و فى زمن ابن النجار شبرا و عقدا، ثم علا الكبس فلم يوجد اليوم، و قد ظهر أثرها و أثر الرخام المذكور عند حفر ما حول المنبر الشريف، و شاهدت الرخام الذى فى قبلته كما سيأتى، و تلخص من هذا أن المرمر كان فى جهة القبلة ثلاثة أذرع بعد المنبر، و الظاهر أن عرض جدار المسجد الشريف أدخل فى ذلك من جهة القبلة؛ فقد روى يحيى فى ترجمة ما جاء فى زيادة الوليد أن عمر بن عبد العزيز أحضر رجالا من قريش فأروه مسجد رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم و الذى زاد فيه عمر، و الذى زاد فيه عثمان، فعلم عمر بن عبد العزيز المسجد الأول الذى كان على عهد رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم فكان جدار القبلة من وراء المنبر ذراعا و أكثر من ذراع. و روى ابن زبالة أخبارا تتضمن أن جدار القبلة كان بينه و بين المنبر قدر ممر العنز، و فى العتبية ممر الرجل منحرفا، و فى الصحيح عن سهل: كان بين مصلى رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم و بين الجدار ممر الشاة.

و فيه أيضا عن سلمة: كان جدار المسجد عند المنبر ما كادت الشاة تجوزه؛ فتعين ما أشرنا إليه من إدخال جدار المسجد فى ذلك الممر الذى جعل علامة فى جهة القبلة، و أما الطاقات الأربع التى ذكرها علامة لنهاية المسجد من جهة الشام فغير معروفة اليوم، إلا أنه سيأتى فيما نقله المرجانى عن الحارث المحاسبى ما يبين محلها.

و أما الجواب على ما ذكر المطرى من كون الدرابزينات متقدمة فالظاهر أن ابن النجار فهم أن المراد إدخال عرض الجدار الذى كان موجودا فى زمنه صلّى اللّه عليه و سلّم لما تقرر عندنا من أن جدار المسجد من جملة المسجد، و يؤيده ما تقدم من التحديد بالمرمر من تلك الجهة، و ما سيأتى فى الفصل الثانى عشر من رواية أحمد عن نافع أن عمر رضى الله عنه زاد فى المسجد من الأسطوانة- أى التى عند المصلى الشريف- إلى المقصورة؛ لأن ذلك هو الرواق الذى بين الأساطين التى فى قبلة الروضة و بين الأساطين التى تليها فى القبلة. و قد قال المراغى: إن الذى ظهر له أن الصندوق الذى فى قبلة المصلى الشريف جعل فى مكان الجدار القديم، و يشهد له ما سيأتى عن يحيى فى ذرع ما بين المصلى الشريف و جدار القبلة اليوم، لكن عرض هذا الصندوق ذراعان، و بينه و بين الدرابزين أرجح من نصف ذراع، و ذلك فيما يظهر أزيد من عرض الجدار القديم بنحو الذراع؛ لأنى شاهدت لبنا أخرج من جدران الحجرة الشريفة فى العمارة التى أدركناها أولا يزيد فى الطول على الذراع، و عرضه نصف ذراع، و سمكه ربع ذراع، و فيه شىء مرتفع طوله و عرضه و سمكه واحد، و كل ثنتين منه طول لبنة مما قدمناه، و الذى يظهر أنه كان من بقايا لبن الحجرة

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۲۶۶

الشريفة التى كانت مبنية به أولا جعل للتبرك لأنه أتى غير مستو، و الجدار مبنى بالحجارة الوجوه المحكمة و بالقصة؛ فلا يناسبه وضع ذلك فيه، و لهذا جعل بين الحجارة الوجوه فى أعالى الجدار، و قد تقدم أن الذى استقر عليه عرض الجدار فى زمنه صلّى اللّه عليه و سلّم الأنثى و الذكر، و هما لبنتان مختلفتان، و اللبنتان المختلفتان من هذا اللبن الذى رأيناه أو اللبنة و نصف الأخرى و هو السعيدة يزيد على ذراع و نصف يسيرا، فيكون ذلك هو عرض الجدار فى زمنه صلّى اللّه عليه و سلّم و يشهد له ما شاهدناه أيضا فى عرض جدار الحجرة الشريفة على ما سنذكره، ثم اتضح الحال بظهور المرمر الذى فى قبلة المنبر؛ فإنا وجدنا بينه و بين الدرابزين المذكور أرجح من ذراع، و بينه و بين طرف محل المنبر الأصلى من جهة القبلة ثلاثة أذرع سواء، كما ذكر ابن زبالة، فذلك هو عرض الجدار مع ما كان بين المنبر و بينه.

و أما ما ذكره ابن النجار من التحديد بالأسطوانة التى تلى المنبر من جهة المغرب و أنها آخر البلاط و بالحجرة الشريفة من جهة المشرق؛ فالبلاط الذى ذكره لا يوجد اليوم، و كأنه يريد به الرخام الذى كان المنبر وسطه، و قد عبر عن ذلك ابن جماعة كما تقدم بقوله: من الحجرة إلى مكان السارية السابعة من جهة المغرب، فإن السابعة من صف الأساطين المذكورة هى التى تلى المنبر من المغرب إن عددنا الأسطوان الملاصق للحجرة، و لم أر لما ذكره ابن جماعة مستندا فى كلام المؤرخين سوى ما ذكره ابن النجار؛ فيتعين الحمل على الأسطوانة المذكورة، و قد ذرعت ما بين الأسطوانة التى تلى المنبر عند ظهره من المغرب إلى حائر عمر بن عبد

العزيز الذى داخله الحجرة الشريفة بمقط؛ فكانت مساحته سبعة و خمسين ذراعا و نصف ذراع راجح، و عرض الحائر المذكور ذراع و ربع راجح، كما تحرر لى عند عمارة ما نقض منه، و ليس بينه و بين جدار الحجرة من هذه الجهة فضاء أصلا، بل هو لاصق به ليس بينهما مغرز إبرة خلاف ما ذكره المؤرخون؛ فيكون ما بين الأسطوانة المذكورة و الحجرة الشريفة تسعة و خمسون ذراعا ينقص يسيرا، و كأن ابن النجار جرى على قول من تقدمه من المؤرخين فى أن بين الحائر و جدار الحجرة فضاء من هذه الجهة، و ظن أن عرض الحائر أكثر مما ذكرناه؛ فجعل نهاية قولهم فى عرض المسجد ستين ذراعا أو يزيد إلى الأسطوانة التى تلى المنبر أو أن ذلك القدر الناقص لتفاوت الأذرعة، على أن الظاهر أن ابن جماعة لم يعتبر الأسطوانة اللاصقة بالحجرة، و أنه جعل السارية السابعة هى التى تلى السارية التى تلى المنبر فى جهة المغرب، و هى الثانية من المنبر فى تلك الجهة، فإنه قال: إنه ذرع ما بين الأسطوانة السابعة إلى حائر الحجرة الشريفة فكان ذلك اثنين و أربعين ذراعا و ثلثى ذراع بذراع العمل.

قلت: و قد اعتبرت ما ذكره من الذرع بذراع العمل فرأيته ينتهى إلى الأسطوانة الثانية

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۲۶۷

من المنبر فى جهة المغرب، و ذرعته بذراع اليد الذى حررناه فكان خمسا و ستين ذراعا، و هو مطابق لما قاله ابن جماعة و لما اختبرناه بذراع العمل؛ لأن ذراع العمل ذراع و ثلث من ذراع الحديد المستعمل بمصر، و ذلك اثنان و ثلاثون قيراطا، و الذراع الذى حررناه أحد و عشرون قيراطا، فذراع العمل ذراع و نصف قيراط بالذراع الذى حررناه، و قد مال المراغى إلى اعتبار التحديد بهذه الأسطوانة- أعنى الثانية من المنبر- فإنه ذكر عدم وجود البلاط اليوم، ثم قال: لكنى اعتبرت ذرعه من المشرق إلى المغرب على رواية يحيى ثلاثة و ستين، و هى من أقل الروايات؛ فكان من جدار الحجرة الشريفة يعنى الحائر الظاهر إلى الأسطوانة الثانية من المنبر لا التى بعده ستون ذراعا تقريبا، قال: و على هذا يكون عرض جدار عمر بن عبد العزيز و ما بينه و بين جدار الحجرة الشريفة الأصلى ثلاث أذرع تقريبا، انتهى. و لا يخفى ما فهم؛ لأنه جعل المسافة المذكورة ستين ذراعا تقريبا و هى خمسة و ستون تحريرا، و تبع من تقدمه من المؤرخين فى ثبات فضاء بين حائر عمر بن عبد العزيز و جدار الحجرة، فخمن أن ذلك مع عرض الحائر ثلاثة أذرع، و قد علمت أن عرض الحائر ذراع و ربع يرجح يسيرا، و ليس بينه و بين جدار الحجرة شىء.

و قد روى ابن زبالة و يحيى من طريقه أشياء فى تحديد المسجد و ذرعه يقتضى أن جدار المسجد الشريف فى زمنه صلّى اللّه عليه و سلّم من جهة المشرق لم ينته إلى حائر عمر بن عبد العزيز، بل الحائر و بعض ما يليه من المغرب فى موضع حجرة عائشة رضى الله عنها، و أن جدار حجرة عائشة كان فيما بين الأساطين اللاصقة بجدار القبر و بين الأساطين التى بينها المقصورة الدائرة على الحجرة الشريفة، و أنه صلّى اللّه عليه و سلّم كان قد بنى المسجد أولا و جعله ثلاث أساطين عن يمين المنبر فى المغرب و ثلاث أساطين عن يساره فى المشرق، و أن نهايته من جهة المشرق كانت أولا أسطوان التوبة؛ لأنها تكون فى موضع الجدار بعد الأساطين الثلاث، و أن مساحة ذلك من المشرق إلى المغرب ثلاث و ستون ذراعا، و قيل:

خمس و خمسون، و أنه زاد فيه بعد ذلك من المشرق و المغرب، و مع ذلك لم ينته زيادته فى المشرق إلى موضع حائر عمر بن عبد العزيز، و أنه لم يزد فيه من جهة القبلة و لا من جهة الشام.

قلت: و هو موافق لما روى أنه كان مائة ذراع كما سنبينه، و يرجحه عندى أن المنبر الشريف يكون حينئذ متوسطا للمسجد؛ إذ يبعد أنه صلّى اللّه عليه و سلّم لا يتوسط أصحابه و يقف على منبر فى طرفهم، و كون المسجد النبوى لا ينتهى إلى موضع حائر عمر بن عبد العزيز كما قدمناه خلاف ما عليه متأخرو المؤرخين، لكنه حسن؛ إذ يبعد أن يا بنى عمر بن عبد العزيز حائره فى شىء من المسجد، و ينتقص الروضة الشريفة به، حاشاه من ذلك، و الذى صح

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۲۶۸

أن محل القبور الشريفة فى صفة بيت عائشة، و لا بد للصفة من مرافق، فيظهر أن الحائط الذى فى جوف الحائر هو حائط الصفة، و

الحائز فيما خرج عنها من بقية البيت.

ثم ظفرت فى كلام المرجانى نقلا عن الحارث المحاسبى بما يصرح بذلك، لما سيأتى من أنه ذكر فى تحديد المسجد ستة أساطين من جهة شرقى المنبر، ثم قال:

و الروضة ما بين القبر و المنبر، فما كان منها فى الأسطوانة السادسة التى حددت لك عن يمين المنبر فليس من المسجد الأول، و إنما كان من حجرة عائشة رضى الله عنها فوسع به المسجد، و هو من الروضة، انتهى.

و لنورد عبارة ابن زبالة فإن يحيى روى ذلك عنه من غير زيادة و لا مخالفة مع ما فيها من أشياء لا تعرف اليوم، و لكن إفادة هذه الأمور الغريبة التى لم يذكرها متأخرو المؤرخين اقتضت إيرادنا لذلك فنقول: أسند ابن زبالة عن عبيد بن عمر بن حفص بن عاصم أن مسجد رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم كان ثلاث أساطين مما يلى المشرق، و ثلاث أساطين مما يلى المغرب، سوى ما خرج فى الرحبة أى الأساطين المصفوفة من الرحبة إلى القبلة، و لو لا ما سيأتى من التصريح بأن هذه الست كانت ثلاثة منها على يمين المنبر و ثلاثة عن يساره- يعنى فى البناء الأول- لحملنا ذلك على أن ابتداء هذه الست من الأسطوانة التى تلى المنبر؛ فيكون نهايتها الأسطوان التى يلى أسطوان التوبة، و يكون جدار الحجرة بعدها، فيوافق التحديد المتقدم، لكنه قال عقبه: و قال جمهور الناس من أهل العلم و غيرهم: هو إلى الفرضتين اللتين فى الأسطوانتين اللتين دون المربعتين الغربية و التى فى القبر.

قلت: لا تعرف اليوم فى المسجد القديم مربعة غربية، غير أن الذى ظهر لى- من مقابلتها بمربعة القبر و مما سيأتى فى بيان الحائز الذى عمل لمنع ماء المطر أن يغشى المسقف القبلى- أنها الأسطوانة العظيمة المثمنة اليوم فى المسقف القبلى، فإنها كانت ركن رحبة المسجد فى هذا المسقف من جهة المغرب، كما أن مربعة القبر كانت ركن الرحبة فى جهة المشرق، قبل زيادة الرواقين اللذين ذكرهما فى المسقف القبلى كما يؤخذ من مواضع فى كلام ابن زبالة و يحيى، و الذى يظهر أن تثمين الأسطوانة المذكورة حادث، و إنما كانت مربعة، كما ثمنوا ما ظهر من مربعة القبر و ما يلى الحجرة منها باق على تربيعه، و مربعة القبر هى التى فى نهاية الصفحة الغربية من الحائز الدائر على الحجرة من جهة الشام، و تعرف بأسطوان مقام جبريل عليه السلام كما سيأتى إيضاحه، و الأسطوان التى دونها هى الملاصقة بالشباك الدائر على الحجرة اليوم، و هى بين المربعة و بين أسطوان الوفود؛ فيكون جدار الحجرة على هذا كان فيما بين مربعة القبر و التى يليها.

قال ابن زبالة عقب ما قدمناه عنه: و احتجوا بأن رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم كان يعتكف فى

المسجد فى موضع مجلس بنى عبد الرحمن بن الحارث، و أن عائشة رضى الله عنها كانت ترجل رأسه و هو معتكف فى المسجد و هى فى بيتها، و كان مالك بن أنس يقول: الجدار من المشرق فى حد القناديل التى بين الأساطين التى فى صفها أسطوان التوبة و بين الأساطين التى تلى القبر، و أرفه عمر بن عبد العزيز من ورائها فى الأسطوانة التى تلى القبر.

قلت: ما نقله عن مالك صريح فيما قدمناه من أن جدار المسجد الشرقى كان فيما بين الأساطين اللاصقة بالقبر و بين الأساطين المقابلة لها؛ فيكون فى محاذاة القناديل الآخرة من القبلة إلى الشام فيما بين هذه الأساطين، و يكون عمر بن عبد العزيز أخره إلى الأسطوان اللاصق بجدار القبر، و سيأتى ما يصرح بذلك من كلام المحاسبى أيضا و أما قوله: «و احتجوا إلى آخره» فوجه الاحتجاج أن معتكفه صلّى اللّه عليه و سلّم كان لاصقا بحجرته، بحيث إن عائشة رضى الله عنها كانت ترجل رأسه و هو فى معتكفه و هى فى بيتها، و لهذا أورد ابن زبالة عقبه حديث «كان يدنو منى و أنا حائض فأرجله و هو فى المسجد» و مجلس بنى عبد الرحمن بن الحارث الذى ذكره ابن زبالة لا يعرف اليوم، و روى ابن زبالة و يحيى فى بيان معتكفه صلّى اللّه عليه و سلّم أشياء سنذكرها إن شاء الله تعالى، و المناسب لما نحن فيه منها: أنه كان للنبى صلّى اللّه عليه و سلّم سرير من جريد فيه سعفه يوضع بين الأسطوان التى و جاه القبر و بين القناديل، كان يضطجع عليه صلّى اللّه عليه و سلّم و قوله: «التى و جاه القبر» يريد به المواجهة له، و هى اللاصقة بشباك الدائر على الحجرة اليوم

فى صف أسطوان التوبة، بل قيل: إنها أسطوان التوبة كما سيأتى، و هذا مطابق لما ذكره مالك من أن الجدار كان فى حد القناديل المذكورة.

و أسند ابن زبالة أيضا عن غير واحد من أهل العلم أن مسجد رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم كان ثلاث أساطين عن يمين المنبر و أنت مستقبل القبلة فى موضع معتكف حسن بن زيد الذى كان يعتكف فيه، و من الشق الآخر إلى أسطوان التوبة، و كان ذرعه من المشرق إلى المغرب ثلاثة و ستين ذراعا، و قال عبد الرحمن بن سعد عن أشياخه: كان خمسين فى خمسين.

قلت: فيكون الحجر التى فى شرقى المسجد أدخلت بعد أو بعضها فى الزيادة الآتية أو أنها لم تستقر فى شرقيه إلا بعد ذلك.

ثم قال ابن زبالة: قالوا: و علامة مسجد رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم- أى الذى بنى عند مقدمه من مكة- و ذكر علامات كانت فى السقف المحترق و الفسيفساء التى زالت فلا تعرف اليوم، ثم قال: و علامة مسجد رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم الذى بنى عند مقدمه من خيبر قالوا: ترك رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم المسجد من القبلة فى تلك البنية فى حده الأول، و زاد فيه من ناحية

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۲۷۰

المشرق إلى الأسطوان التى دون المربعة التى عند القبر، و علامة تلك الأسطوان أن لها نجافا طالعا فى الرحبة من بين الأساطين، و من المغرب إلى الأسطوان التى تلى المربعة التى لها نجاف أيضا من بين الأساطين، و ظهر ذلك أى حد المسجد بحجارة، و عبارة يحيى: و قد صمد بحجارة تحت الحصباء، منها أرفة عند الأسطوان التى بين أسطوان التوبة و بين القبر فى صف الأسطوان التى لها نجاف، و من المغرب مثل ذلك بأرفة حجارة فى الأرض مبنية، و ترك مما يلى الشام لم يزد فيه، انتهى كلام ابن زبالة بحروفه.

و قوله: «و من المغرب مثل ذلك» أى ظهر الحد بأرفة حجارة فى الأرض، و لا أدرى معنى قوله بأرفة.

و ذكر ابن زبالة أيضا فى موضع آخر ذرع مسجد النبى صلّى اللّه عليه و سلّم الذى كان فى زمنه، يعنى ما استقر عليه فى آخر الأمر، ثم قال: وحده من شرقى المنبر أربع أساطين، و من غربيه أربع أساطين، انتهى.

و العجب من ابن النجار فمن بعده من المؤرخين حيث لم يتعرضوا لهذا، لكن ابن النجار اعتذر فى أول كتابه بأنه كان مجاورا بالمدينة، و لم تكن كتبه حاضرة عنده، و ذكر ما يقتضى أنه كتب ذلك مما علق بفكره، و المطرى جرى على منواله، و ابن زبالة و يحيى عمدة فى ذلك؛ فإنهما أقدم من أرخ للمدينة لأن ابن زبالة هو محمد بن الحسن أحد أصحاب الإمام مالك بن أنس، و يؤخذ من كلامه أنه وضع كتابه فى صفر سنة تسع و تسعين و مائة، و أما يحيى فهو من أصحاب أصحابه، و كانت وفاته سنة سبع و سبعين و مائتين عن ثلاث و ستين سنة، و أما ابن شبة فكان معاصرا ليحيى و قبله بيسير، و لم أظفر من كتابه بهذا المحل المشتمل على ذكر المسجد، و لو ظفرت به لكان الشفاء؛ فإنه يوضح الأمور إيضاحا تاما، و هو إمام ثقة، و ابن زبالة و إن كان ضعيفا لكن اعتضد بموافقة يحيى له و روايته لكلامه من غير تعقيب.

ثم ظفرت فى كلام المرجانى نقلا عن المحاسبى بما يوافق كلامه؛ فهو العمدة عندى.

قال المرجانى: قال الحارث بن أسد المحاسبى: حد المسجد الأول ستة أساطين فى عرضه عن يمين المنبر إلى القناديل التى حذاء الخوجة، و ثلاث سوار عن يساره من ناحية المنحرف منه، و منتهى طوله من قبلته إلى مؤخره حذاء تمام الرابع من طيقان المسجد

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۲۷۱

اليوم: أى فى زمنه، و ما زاد على ذلك فهو خارج عن المسجد الأول، قال- يعنى المحاسبى- و قد روى عن مالك أنه قال: مؤخر المسجد بحذاء عضادة الباب الثانى من الباب الذى يقال له باب عثمان، أعنى العضادة الآخرة السفلى، و هو أربع طيقان من المسجد، ثم قال: و الروضة ما بين القبر و المنبر، إلى آخر ما قدمناه عنه.

و قوله «عن يمين المنبر» أى فى جهة المشرق، لما سبق عنه خلاف ما تقدم فى كلام ابن زبالة، فإنه عنى يمين مستقبل المنبر، و الطيقان التى ذكرها لها ذكر فى كلام ابن زبالة و يحيى كما تقدم، و هى غير موجودة اليوم، و الباب الثانى من باب عثمان هو

المعروف اليوم بباب النساء؛ فهو صريح فى رد ما تقدم من تحديد جهة الشام بالحجرين الموجودين اليوم فى صحن المسجد، و مؤيد للرواية المتقدمة فى الذرع، و هى رواية مائة ذراع فى مائة ذراع؛ لأنه يقرب من ذلك.

و قد تحصلنا من هذا مع ما تقدم عن المتأخرين على خلاف فى نهاية المسجد النبوى من جهة المغرب.

فأحد الأقوال:

أنه إلى الأسطوانة التى تلى المنبر من تلك الجهة، و هو الذى عوّل عليه ابن النجار و من اتبعه.

و الثانى:

أنه إلى التى تليها، و هى الثانية من المنبر من تلك الجهة أيضا، و هما بعيدان.

و الثالث:

أنه إلى الأسطوانة الثالثة من المنبر فى تلك الجهة، و قد اقتضى كلام ابن زبالة أن ذلك حد المسجد قبل زيادة النبى صلّى اللّه عليه و سلّم فيه، خلاف ما يظهر من كلام المحاسبى.

و الرابع:

أنه إلى الأسطوانة الرابعة من المنبر؛ لما تقدم من أنه كان على ثلاثة أساطين عن يمين المنبر؛ فيكون جداره الغربى فى موضع الأسطوانة الرابعة فى صفها من جهة القبلة أسطوان مربع من أسفله عن الأرض بقدر الجلسة، و فى صفه من جهة الشام أسطوان محراب الحنفية المحدث.

و الخامس:

أنه إلى الأسطوانة الخامسة من المنبر؛ لما تقدم من أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم زاد فيه بعد فتح خيبر من جهة المغرب بقدر أسطوان آخر، كما يؤخذ مما تقدم، و لما صرح به ابن زبالة كما قدمناه أيضا حيث قال فى حده: و عن غربيه أربع أساطين؛ فينتهى حده إلى الأسطوانة الخامسة من المنبر، و هى التى تلى الأسطوانة المذكورة فى جهة المغرب فى صفها، و هى مربعة من أسفلها بقدر الجلسة أيضا، و فى صفها من جهة الشام الأسطوان التى تلى محراب الحنفية من جهة المغرب، فهاتان المربعتان هما اللتان يتردد فيما يكون منهما فى موازاة حد المسجد النبوى من جهة المغرب، و قد ذهب تربيعهما فى العمارة

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۱، ص: ۲۷۲

المتجددة فى زماننا بعد الحريق؛ و المربعة الثانية- أعنى الخامسة من المنبر- هى التى يترجح عندى أيضا؛ لأن تجاهها فى حائط القبلة طراز آخذ من السقف نازل إلى العصابة السفلى الظاهرية، لكنه انقشر بعضه عند إصلاح العصابة العليا و تبييض الجدار فى العمارة التى أدركناها أولا، و ذهب منه ما كان بين العصابتين، و بعض ما فوق العليا، و بقى منه ما بين العصابة العليا و السقف، ثم ذهب بقيته فى الحريق الحادث فى زماننا، و بقى موضعه أصباغ ملونة فى الجدار من صناعة الأقدمين، و قد ذهب ذلك عند هدم الجدار القبلى؛ فالظاهر أنه علامة نهاية المسجد النبوى من هذه الجهة، خلاف ما سيأتى عن المطرى فى جعله علامة لنهاية زيادة عثمان رضى الله عنه؛

لوجوه:

الأول: أنى ذرعت من الأسطوان التى المنبر إلى الأسطوان المحاذية لهذا الطراز؛ فكان ذلك سبعا و ثلاثين ذراعا، فإذا أضفنا ذلك إلى الذرع المتقدم فيما بين الأسطوان التى تلى المنبر و بين الحجرة الشريفة، و هو نحو الستين ذراعا كما تقدم، قارب ذلك المائة التى تقدمت الرواية بها.

الثانى: أنه يبعد أن يجعل هذا الطراز لزيادة عثمان رضى الله عنه كما زعمه المطرى، و يترك التعليم للمسجد الأصلى و الاعتناء به أشد. و قد قال ابن زبالة: إن له علامات فى الفسيفساء، و الظاهر أن الفسيفساء لما زالت جعل هذا بدلها.

الثالث: أنه سيأت أن عمر لما زاد فى المسجد جعل عرضه مائة و عشرين ذراعا، و أنه لم يزد فيه من جهة المشرق شيئا؛ فيكون نهاية المسجد فى زمنه من جهة المشرق الحجرة الشريفة، و قد علمت أن من الحجرة الشريفة إلى ما يحاذى الطراز المذكور ينقص عن المائة، فكيف يكون نهاية زيادة عثمان؟ و عثمان قد زاد أسطوانا من جهة المغرب على زيادة عمر، فلو كان ذلك الطراز نهاية زيادة عثمان لزم أن يكون عرض المسجد فى زمن عمر نحو التسعين، و لا قائل به.

الرابع: أنه سيأتى أن عثمان رضى الله عنه لم يزد فى جهة المغرب غير أسطوانة واحدة، و أن زيادة الوليد من المغرب أسطوانتان، و لا شك أن من الأسطوانة التى تحاذى الطراز المذكور إلى جدار المسجد الغربى خمس أساطين، فإذا سقط منها ثلاث أساطين لعثمان رضى الله عنه و للوليد بقى أسطوانتان لزيادة عمر رضى الله عنه، و هما يقربان من عشرين ذراعا التى زادها عمر رضى الله عنه على المائة كما سيأتى.

الخامس: أن موضع المنبر لم يغير كما سيأتى، و يبعد كل البعد أن يجعل النبى صلّى اللّه عليه و سلّم موضع منبره فى طرف مسجده و لا يتوسط أصحابه فى حال قيامه.

السادس: أنه سيأتى أن عمر رضى الله عنه زاد فى المسجد شيئا من دار العباس و أن

ما بقى منها زاد عثمان رضى الله عنه بعضه، و ما بقى دخل فى دار مروان بن الحكم.

و روى يحيى فى قصة زيادتها ما يصرح بأنها كانت ملاصقة بجدار المسجد النبوى، بل روى أنه كان لها ميزاب يصب فيه، و قد نقل يحيى أنها كانت فيما بين الأسطوان المربعة التى تلى دار مروان بن الحكم، أى و الباب الذى يلى دار مروان بن الحكم؛ لما تقدم من دخول بعضها فى دار مروان؛ فوجب أن تكون المربعة المذكورة أول دار العباس و آخر المسجد النبوى.

السابع: ما قدمناه من أن المربعة الغربية إذا أطلقت، فالمراد بها الأسطوانة التى كانت ركن صحن المسجد فى المغرب عند نهاية المسقف القبلى قبل زيادة الرواقين الآتيين فيه، و هى المثمنة اليوم؛ فهى المرادة بما تقدم عن الجمهور من أن المسجد النبوى كان إلى الفرضتين اللتين فى الأسطوانتين اللتين دون المربعتين الغربية و التى فى القبر كما نقله ابن زبالة، و لا شك أن الأسطوانة الخامسة من المنبر فى جهة المغرب دون المربعة المذكورة؛ لأن المربعة المذكورة هى السادسة من المنبر، فوضح أنها المراد بذلك، فيكون الجمهور على رواية أن المسجد كان مائة فى مائة، و مما يرجح هذه الرواية أيضا ما تقدم عن المحاسبى من تحديد مؤخر المسجد الأول نقلا عن مالك بعضادة الباب الثانى من باب جبريل- و هو باب النساء- و ما سيأتى من أن باب الرحمة- و يعرف بباب عاتكة- لم يغيره عمر رضى الله عنه، يعنى أنه نقله فأخره فقط و جعله فى تجاه الباب الأول، لأنه زاد فى المسجد من جهة المغرب، و بين باب الرحمة و بين الحجرين اللذين ذكر أنهما حد المسجد من جهة الشام تفاوت ظاهر؛ لتأخره عن موازاتهما كثيرا، و كأنهما إنما جعلا هناك تميزا لفوهتى بالوعة عندهما الحجران المذكوران هناك؛ فالذى يترجح فى النقد رواية المائة و ما ذكرناه من التحديد، و يحتمل أن ابن النجار لما رأى اختلاف الروايات أراد الأخذ بالأقل لأنه المحقق فذكر التحديد المتقدم، و تبعه من بعده، على أنه اعتذر فى أول كتابه بغيبة كتبه، و أن الحفظ قد يزيد و ينقص، و لما اتضح ذلك للمقر الشجاعى شاهين الجمالى ناظر الحرم الشريف

النبوى و شاد عمائره و شيخ خدامه اتخذ لأعالى الأسطوانة الخامسة من المنبر من صف الأساطين التى فى قبلة المنبر طرازا متصلا بالسقف منقوشا فيه أن ذلك هو الذى استقر عليه الأمر فى نهاية المسجد النبوى وحده، فالله تعالى يوفقه للمداومة على حفظ الحدود، و يلحقه بالمقر بين الشهود.

و يتفرع على ذلك مسألة ذكرها النووى فقال فى شرح مسلم و المناسك و غيرهما: إن الصلاة إنما تتضاعف فى المسجد الذى كان فى زمنه صلّى اللّه عليه و سلّم دون بقية الزيادات، و لم يحك غيره، لكن الخطيب بن حملة نقل عن المحب الطبرى أن المسجد المشار إليه فى حديث

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۲۷۴

المضاعفة هو ما كان فى زمنه صلّى اللّه عليه و سلّم مع ما زيد فيه، لأخبار و آثار وردت فى ذلك، و استحسنه ابن حملة على ما ذهب إليه النووى فى كتبه من التخصيص، مع أن البرهان ابن فرحون نقل فى شرحه لابن الحاجب الفرعى أنه لم يخالف فى هذه المسألة غير النووى، و أن الشيخ محب الدين الطبرى نقل فى كتابه الإحكام أن النووى رجع عن ذلك، قال: و نقل أبو عبد الله بن فرحون فى شرح مختصر الموطأ أنه وقف على كتاب من كتب المالكية فيه أن مالكا سئل عن ذلك فقال: ما أراه عليه السلام أشار بقوله: «فى مسجدى هذا» إلا لما سيكون من مسجده بعده، و أن الله أطلعه على ذلك، انتهى.

قلت: أما قوله «إنه لم يخالف فى ذلك إلا النووى» فممنوع؛ فقد نقل ذلك ابن الجوزى فى الوفاء عن ابن عقيل الحنبلى، و أما ما نقله عن الإحكام للطبرى فقد راجعتها فرأيته ترجم لبيان أن مسجده صلّى اللّه عليه و سلّم المشار إليه بالتفضيل هو الموجود فى زمنه مع ما زيد فيه، و أورد بعض الأخبار الآتى ذكرها فى آخر الفصل الثانى عشر، ثم قال: و قد يتوهم بعض من لم يبلغه ذلك قصر الفضيلة على الموجود فى زمنه صلّى اللّه عليه و سلّم لمكان الإشارة، و قد وقع ذلك لبعض أئمة العصر، فلما رويت له ما سبق جنح إليه و تلقاه بالقبول، انتهى.

فكأن ابن فرحون فهم أن المراد من قولهم «بعض أئمة العصر» النووى.

و أما ما حكاه عن مالك فقد نقله الأقشهرى فى روضته عن عبد الله بن نافع صاحب مالك عن مالك، و لفظه فى أثناء كلام: قيل له- أى لمالك- فحد المسجد الذى جاء فيه الخبر هو على ما كان فى عهد النبى صلّى اللّه عليه و سلّم أو على ما هو الآن؟ قال: بل هو على ما هو الآن، قال: لأن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم أخبر بما يكون بعده، و زويت له الأرض فأرى مشارقها و مغاربها، و تحدث بما يكون بعده، فحفظ ذلك من حفظه فى ذلك الوقت، و نسى ذلك من نسيه، و لو لا هذا ما استجاز الخلفاء الراشدون المهديون أن يزيدوا فيه بحضرة الصحابة و لم ينكر عليهم ذلك منكر، انتهى.

قلت: و متمسك من ذهب إلى التخصيص الإشارة فى قوله «مسجدى هذا» و لعله صلّى اللّه عليه و سلّم إنما جاء بها ليدفع توهم دخول سائر المساجد المنسوبة إليه بالمدينة غير هذا المسجد، لا لإخراج ما سيزاد فيه، و قد سلّم النووى أن المضاعفة فى المسجد الحرام تعم ما زيد فيه، فليكن مسجد المدينة كذلك، كما أشار إليه ابن تيمية، قال: و هو الذى يدل عليه كلام الأئمة المتقدمين و عملهم، و كان الأمر عليه فى عهد عمر و عثمان رضى الله عنهما، فإن كلّا منهما زاد فى قبلة المسجد، و كان مقامه فى الصلوات الخمس فى الزيادة و كذلك مقام الصف الأول الذى هو أفضل ما يقام فيه، و يمتنع أن تكون الصلاة فى غير مسجده أفضل منها فى مسجده، و أن يكون الخلفاء و الصفوف الأول كانوا يصلون فى غير مسجده، قال:

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۲۷۵

و ما بلغنى عن أحد من السلف خلاف هذا، إلا أن بعض المتأخرين ذكر أن الزيادة ليست من مسجده، و ما علمت له سلفا فى ذلك.

و سيأتى فى زيادة عمر بن الخطاب ما ورد من الأخبار و الآثار المقوية لذلك و ليست مسألة الحلف على أن لا يدخل هذا المسجد فزيد فيه من هذا القبيل، لأن الأيمان مبناها على العرف.

الفصل الثالث فى مقامه الذى كان يقوم به صلّى اللّه عليه و سلّم فى الصلاة قبل تحويل القبلة، و بعد ما جاء فى تحويلها

اشارة

روينا فى البخارى عن البراء بن عازب رضى الله عنه قال: كان رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم يصلى نحو بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهرا، و كان رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم يحب أن يوجه إلى الكعبة، فأنزل الله تعالى: قَدْ نَرى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّماءِ [البقرة: ۱۴۴] فتوجه نحو الكعبة و قال السفهاء من الناس و هم اليهود: ما وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كانُوا عَلَيْها قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَ الْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ [البقرة: ۱۴۲] فصلى مع النبى صلّى اللّه عليه و سلّم رجل، ثم خرج بعد ما صلى، فمر على قوم من الأنصار فى صلاة العصر نحو بيت المقدس فقال: هو يشهد أنه صلّى مع رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم و أنه توجه نحو الكعبة، فتحرف القوم حتى توجهوا نحو الكعبة.

و أسند يحيى عن ابن عباس قال: كان رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم إذا وقف يصلى انتظر أمر الله فى القبلة، و كان يفعل أشياء مما لم يؤمر بها و لم ينه عنها من فعل أهل الكتاب، قال:

فبينما رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم يصلّى، فأشار له جبريل: يا محمد صلّ إلى البيت، و صلّى جبريل عليه السلام إلى البيت، قال: فدار النبى صلّى اللّه عليه و سلّم إلى البيت، قال: فأنزل الله تعالى: قَدْ نَرى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّماءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضاها إلى وَ مَا اللَّهُ بِغافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ [البقرة:

۱۴۴] قال: فقال المنافقون: حن محمد إلى أرضه و قومه، و قال المشركون: أراد محمد أن يجعلنا له قبلة، و أن يجعلنا له وسيلة، و عرف أن ديننا أهدى من دينه، و قالت اليهود للمؤمنين: ما صرفكم إلى مكة و تركتم قبلة موسى و يعقوب و الأنبياء؟ و الله ما أنتم إلا تعبثون، و قال المؤمنون: لقد ذهب منا قوم ماتوا ما ندرى أ كنّا نحن و هم على قبلة أم لا؟

فأنزل الله تعالى فى ذلك: سَيَقُولُ السُّفَهاءُ مِنَ النَّاسِ إلى قوله: إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُفٌ رَحِيمٌ [البقرة: ۱۴۲- ۱۴۳].

و روى ابن زبالة عن عثمان بن عبد الرحمن قال: كان رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم إذا وقف يصلى انتظر أمر الله فى القبلة، و كان يفعل أشياء مما لم يؤمر بها و لم ينه عنها من فعل أهل

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۲۷۶

الكتاب، فبينا رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم يصلى الظهر فى مسجده قد صلّى ركعتين إذ نزل عليه جبريل فأشار إليه أن صلّ إلى البيت، و صلّى جبريل إلى البيت، و ذكر نحو ما تقدم.

و أسند يحيى عن رافع بن خديج قال: صلى رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم ركعتين من الظهر فى مسجده بالمسلمين، و أمر أن يوجّه إلى المسجد الحرام، فاستدار، قال رافع: فأتانا آت و نحن نصلى فى بنى عبد الأشهل فقال: إن رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم قد أمر أن يوجه إلى الكعبة، قال: فأدارنا إمامنا إلى الكعبة و درنا معه.

و عن ابن عمر قال: بينما نحن فى صلاة الصبح بقباء جاءهم رجل فقال: إن رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم قد أنزل عليه الليلة قرآن، و قد أمر أن يستقبل الكعبة، ألا فاستقبلوها، و كانت قبلة الناس إلى الشام، فاستداروا و توجّهوا إلى الكعبة، و هو فى الصحيحين بلفظ: كانت وجوههم إلى الشام، فاستداروا إلى الكعبة، و فى لفظ: كانوا ركوعا فى صلاة الصبح.

و عن عثمان بن محمد بن الأخنس أنه صلّى اللّه عليه و سلّم صلّى بأصحابه فيه- يعنى فى مسجد القبلتين- الظهر، فلما صلّى ركعتين أمر أن يوجه إلى الكعبة، فاستدار رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم إلى الكعبة، و استقبل الميزاب.

و عنه أيضا نحوه، و أن الفريضة كانت الظهر، و أنها يومئذ كانت أربع ركعات.

و عن سعيد بن المسيب قال: صلى رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم إلى بيت المقدس سبعة عشر شهرا، و صرفت القبلة قبل بدر

بشهرين، و الثبت عندنا أنها صرفت فى الظهر فى مسجد القبلتين.

و فى رواية أخرى عنه: صلى رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم بعد أن قدم المدينة نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا، ثم حولت القبلة قبل بدر بشهرين.

و عن كثير بن عبد الله المزنى عن أبيه عن جده قال: صرفت القبلة يوم الإثنين النصف من رجب على رأس سبعة عشر شهرا.

و فى مسلم عن البراء بن عازب: صلّيت مع النبى صلّى اللّه عليه و سلّم إلى بيت المقدس ستة عشر شهرا حتى نزلت الآية التى فى البقرة: وَ حَيْثُ ما كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ [البقرة: ۱۴۴] فنزلت بعد ما صلّى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم فانطلق رجل من القوم فمر بناس من الأنصار و هم يصلون، فحدثهم بالحديث، فولّوا وجوههم قبل البيت.

تاريخ تحويل القبلة

و فى رواية له عنه أيضا: ستة عشر شهرا، أو سبعة عشر شهرا، على الشك.

و عند الزمخشرى: صرفت القبلة و رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم فى مسجد بنى سلمة- يعنى مسجد

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۲۷۷

القبلتين- و قد صلى بأصحابه ركعتين من صلاة الظهر، فتحول فى الصلاة، و استقبل الميزاب، و حول الرجال مكان النساء و النساء مكان الرجال.

و روى ابن أبى حاتم فى تفسيره من طريق تويلة بنت أسلم قالت: صليت الظهر و العصر فى مسجد بنى حارثة، فاستقبلت مسجد إيلياء، فصلينا سجدتين: أى ركعتين، ثم جاءنا من يخبرنا أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم قد استقبل البيت الحرام، فتحول النساء مكان الرجال، و الرجال مكان النساء، فصلينا السجدتين الباقيتين إلى البيت الحرام.

قال الحافظ ابن حجر: و هذه القصة المرادة بقوله فى الحديث المتقدم «فمر على قوم من الأنصار يصلون فى صلاة العصر نحو بيت المقدس» فهؤلاء القوم هم بنو حارثة، و المار عباد بن بشر، و وصل الخبر وقت الصبح إلى أهل قباء، فلا منافاة بين الحديثين.

و سيأتى فى مسجد القبلتين أن ابن زبالة نقل أن القبلة صرفت و نفر من بنى سلمة يصلون الظهر فى مسجد القبلتين، فأتاهم آت فأخبرهم و قد صلوا ركعتين فاستداروا حتى جعلوا وجوههم إلى الكعبة، فبذلك سمى مسجد القبلتين.

قال المجد: فعلى هذا كان مسجد قباء أولى بهذه التسمية.

مدة الصلاة إلى بيت المقدس

و عند أبى القاسم القشيرى فى لطائف التفسير: صلى رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم إلى بيت المقدس بعد قدومه المدينة مهاجرا ستة عشر شهرا عن قتادة، و قيل: سبعة عشر شهرا عن ابن عباس، و قال أنس: كان تسعة أشهر أو عشرة أشهر، و قال معاذ بن جبل: ثلاثة عشر شهرا استمالة لقلوب اليهود أن يصلى إلى قبلتهم ربما يرغبون فى دينه، ثم إنه صلّى اللّه عليه و سلّم كره موافقتهم فى أمر القبلة لما قالوا: لو لا أن ديننا حق لما صلّى إلى قبلتنا، و لما استن بسنتنا، فقال صلّى اللّه عليه و سلّم لجبريل: وددت أن ربى صرفنى عن قبلة اليهود إلى غيرها، فقال جبريل: إنما أنا ملك عبد، لا أملك شيئا، فسل ربك، فصعد جبريل السماء، و خرج رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم إلى الصحراء نحو أحد يصلى هاهنا ركعتين و هاهنا ركعتين، و يدعو الله أن يجيز له فى ذلك، فلم يزل كذلك يديم النظر إلى السماء، حتى دخل ناحية أحد، فأنزل الله تعالى فى رجب بعد زوال الشمس قبل الظهر: قَدْ نَرى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّماءِ [البقرة: ۱۴۴] الآية، و صرفت القبلة، و ذلك قبل بدر بشهرين، و فى السير لابن حبان: حولت بعد سبعة عشر شهرا و ثلاثة أيام، و حديث البراء

المتقدم رواه ابن خزيمة فى صحيحه «ستة عشر شهرا» على الجزم كرواية مسلم الأولى، و قال الشيخ شرف الدين الدمياطى: حوّلت القبلة نصف رجب بعد خمسة عشر شهرا و نصف، و نقل النووى فى سير الروضة عن محمد بن حبيب الهاشمى أن التحويل يوم الثلاثاء النصف من شعبان من السنة الثانية. و نقل المجد عن ابن

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۲۷۸

حبيب أنها حوّلت فى النصف من شعبان فى الركعة الثالثة، و قيل: فى صلاة العصر. و عند النحاس بعد بضعة عشر شهرا. و عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك: صرفت فى جمادى، قال: و هو أولى الأقوال بالصواب. و قال ابن جرير عن معاذ: بعد ثلاثة عشر شهرا من مقدمه المدينة، قال: و عن أنس عشرة أو تسعة أشهر، انتهى ما نقله المجد.

و قال ابن سعد: يقال: إنه صلّى اللّه عليه و سلّم صلّى ركعتين من الظهر فى مسجده بالمسلمين، ثم أمر أن يتوجه إلى المسجد الحرام، فاستدار و دار معه المسلمون، و يقال: زار النبى صلّى اللّه عليه و سلّم أمّ بشر بن البراء بن معرور فى بنى سلمة و صنعت له طعاما، و حانت الظهر فصلى رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم بأصحابه ركعتين، ثم أمر فاستدار إلى الكعبة و استقبل الميزاب، فسمى مسجد القبلتين. قال ابن سعد: قال الواقدى: هذا أثبت عندنا.

أول صلاة إلى الكعبة

و فى الصحيح أن أول صلاة صلاها- أى متوجها إلى الكعبة- صلاة العصر.

قال الحافظ ابن حجر: التحقيق أن أول صلاة صلاها فى بنى الظهر، و أول صلاة صلاها بالمسجد النبوى العصر. قال: و أسانيد الروايات المتقدمة- أعنى رواية ثلاثة عشر شهرا و تسعة عشر شهرا و نحوها- شاذة. قال: و أما رواية الصحيح فطريق الجمع بين رواية سبعة عشر شهرا و ستة عشر، و رواية الشك فى ذلك: أن من جزم بستة عشر لفق من شهر القدوم و شهر التحويل شهرا، و ألغى الأيام الزائدة، و من جزم بسبعة عشر شهرا عدهما معا، و من شك تردد فى ذلك، و ذلك أن القدوم كان فى شهر ربيع الأول بلا خلاف، و كان التحويل فى نصف شهر رجب من السنة الثانية على الصحيح، و به جزم الجمهور، و رواه الحاكم بسند صحيح عن ابن عباس، و قول ابن حبان: «سبعة عشر شهرا و ثلاثة أيام» مبنى على أن القدوم كان فى ثانى عشر ربيع الأول.

و قال الربيع: كان النبى صلّى اللّه عليه و سلّم فى ابتداء الهجرة مخيرا فى التوجه إلى بيت المقدس أو الكعبة، إلا أنه أمره الله بالتوجه إلى بيت المقدس، فكان التوجه إليه فرضا، و إن كان مخيرا فيه كالمخير فى كفارة اليمين أى واحد اختار فهو فرض عليه، و قال ابن عباس: بل كان الفرض التوجه إلى بيت المقدس ثم نسخ.

و قال ابن العربى و غيره: نسخت القبلة مرتين.

إلى أىّ جهة كانت الصلاة بمكة قبل الهجرة؟

و قال ابن رشد فى البيان: و لم يختلف فى أن صلاته صلّى اللّه عليه و سلّم كانت بالمدينة إلى بيت المقدس حتى حولت القبلة، و إنما اختلف فى صلاته بمكة قبل قدومه المدينة، فروى أنها كانت إلى الكعبة، و روى أنها كانت إلى بيت المقدس، و روى أنه كان يصلى إلى بيت

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۲۷۹

المقدس و الكعبة بين يديه- أى بين الركنين اليمانيين- و حكى ابن عبد البر الاختلاف فى صلاته صلّى اللّه عليه و سلّم بمكة: هل كانت إلى الكعبة، أو بيت المقدس؟ ثم قال: و أحسن من ذلك قول من قال: كان يصلى بمكة مستقبل القبلتين يجعل الكعبة بينه و

بين بيت المقدس.

و روى الطبرى و غيره عن ابن عباس قال: لما هاجر رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم إلى المدينة و اليهود أكثر أهلها يستقبلون بيت المقدس أمره الله تعالى أن يستقبل بيت المقدس، ففرحت اليهود، فاستقبلها سبعة عشر شهرا، و كان رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم يحب أن يستقبل قبلة إبراهيم، فكان يدعو و ينظر إلى السماء فنزلت، و هو ظاهر فى أن استقبال بيت المقدس كان بوحى، لا باجتهاد من النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و أنه إنما وقع بعد الهجرة، لكن أخرج أحمد عن ابن عباس: «كان النبى صلّى اللّه عليه و سلّم يصلى بمكة نحو بيت المقدس و الكعبة بين يديه» فيجمع بأنه لما هاجر أمر بأن يستمر على الصلاة لبيت المقدس.

و روى الطبرى أيضا من طريق ابن جريج قال: صلى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم أول ما صلّى إلى الكعبة، ثم صرف إلى بيت المقدس و هو بمكة، و صلّى ثلاث حجج، و هاجر فصلى إليه بعد قدومه المدينة ستة عشر شهرا، ثم وجّهه الله إلى الكعبة.

كيف حرّرت قبلة مسجد النبى صلّى اللّه عليه و سلّم؟

و قال ابن النجار: و صلّى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم فيه- أى: فى مسجده- إلى بيت المقدس ستة عشر شهرا، ثم أمر بالتحول إلى الكعبة، فأقام رهطا على زوايا المسجد ليعدل القبلة، فأتاه جبريل عليه السلام فقال: يا رسول الله ضع القبلة و أنت تنظر إلى الكعبة، ثم قال بيده هكذا، فأماط كل جبل بينه و بينها، فوضع القبلة و هو ينظر إلى الكعبة لا يحول دون نظره شىء، فلما فرغ قال جبريل عليه السلام هكذا، فأعاد الجبال و الشجر و الأشياء على حالها، و صارت قبلته إلى الميزاب.

و أسند يحيى من طريق ابن زبالة و غيره عن الخليل بن عبد الله الأزدى عن رجل من الأنصار أن رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم أقام رهطا على زوايا المسجد ليعدل القبلة، فأتاه جبريل عليه السلام فقال: يا رسول الله، ضع القبلة و أنت تنظر إلى الكعبة، ثم قال بيده هكذا، فأماط كل جبل بينه و بين القبلة، فوضع تربيع المسجد و هو ينظر إلى الكعبة لا يحول دون نظره شىء، فلما فرغ قال جبريل عليه السلام بيده هكذا، فأعاد الجبال و الشجر و الأشياء على حالها، و صارت قبلته إلى الميزاب.

و عن نافع بن جبير من طرق مرفوعا: ما وضعت قبلة مسجدى هذا حتى رفعت إلىّ الكعبة فوضعتها أؤمها.

و عن ابن عجلان قال: وضع رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم قبلة مسجده و جبريل قائم ينظر إلى الكعبة، ثم كشف له ما بينه و بينها.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۲۸۰

و عن ابن شهاب مرفوعا: ما وضعت قبلة مسجدى هذا حتى فرج لى ما بينى و بين الكعبة فوضعتها أؤمها.

و أسند العراقى فى ذيله من طريق أبى على بن شاذان بسنده عن إبراهيم بن دينار عن مالك بن أنس عن زيد بن أنس عن زيد بن أسلم قال: قال ابن عمر: وضع جبريل عليه السلام القبلة لرسول صلّى اللّه عليه و سلّم بالمدينة، تفرد به عن مالك و محمد بن إبراهيم- قلت: و هو ثقة.

و فى العتبية: قال مالك: سمعت أن جبريل عليه السلام هو الذى أقام لرسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم قبلة المسجد مسجد رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم مسجد المدينة، انتهى.

و أسند ابن زبالة عن أبى هريرة قال: كانت قبلة النبى صلّى اللّه عليه و سلّم الشام، و كان مصلاه الذى يصلى فيه بالناس إلى الشام فى مسجده أن تضع موضع الأسطوان المخلّق اليوم خلف ظهرك ثم تمشى إلى الشام، حتى إذا كنت بيمنى باب آل عثمان كانت قبلته ذلك الموضع.

قال الذهبى: هذه القبلة كانت فى شمالى المسجد، فلما حولت القبلة بقى حائط القبلة الأولى مكان أهل الصفة، انتهى. و الأسطوانة المخلقة هى التى تدعى أسطوان عائشة رضى الله عنها فيما قاله المطرى، و سيأتى ما نقله ابن زبالة فيها من أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم صلى إليها المكتوبة بضعة عشر يوما بعد أن حولت القبلة، ثم تقدم إلى مصلّاه الذى وجاه المحراب فى الصف الأوسط، هذا لفظه

بحروفه.

و قوله: «وجاه المحراب» يريد المحراب العثمانى الكائن فى جدار القبلة.

و قال المطرى: إن الحائط القبلى- أى الأول- كان محاذيا لمصلى النبى (؛ لما ورد أن الواقف فى مصلى رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم تكون رمانة المنبر الشريف حذو منكبه الأيمن، قال:

فمقام النبى صلّى اللّه عليه و سلّم لم يغير باتفاق، و كذلك المنبر لم يؤخر عن منصبه الأول: أى من جهة القبلة؛ لما سيأتى أنه زيد فيه من جهة الشام، قال: و إنما جعل هذا الصندوق الذى قبالة مصلى رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم سترة بين المقام و بين الأسطوانات، انتهى.

و سيأتى فى ذكر الجذع الذى كان يخطب النبى صلّى اللّه عليه و سلّم إليه اختلاف فى محله: هل هو عن يمين المصلى الشريف أو عن يساره لجهة القبر الشريف؟

و سيأتى ما عبر به ابن النجار فى حكاية الرواية الأولى حيث قال: كان فى موضع الأسطوانة المخلّقة التى عن يمين محراب النبى صلّى اللّه عليه و سلّم عند الصندوق و الرواية الثانية هى المرادة بما أسنده يحيى عن ابن أبى الزناد و غيره من علماء المدينة أن رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم كان يخطب إلى جذع فى المسجد كان موضعه عند الأسطوانة المخلقة التى تلى القبر: أى فى جهة القبر التى عن يسار الأسطوانة المخلقة التى كان النبى صلّى اللّه عليه و سلّم يصلى عندها التى هى عند الصندوق، هذا لفظه، و الغرض من إيراده هنا قوله: «التى عن يسار الأسطوانة المخلقة..

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۲۸۱

إلى آخره» فهذه الأسطوانة المشار إليها- أعنى التى كان النبى صلّى اللّه عليه و سلّم يصلى إليها- هى التى عن يمين الواقف فى المصلى الشريف من جهة القبلة، و علم أن وضع الصندوق هناك كان من الزمن القديم، لكنه كان صندوق مصحف كما سيأتى، و وصفها بالمخلقة لا يشكل عليك بما اشتهر من وصف أسطوانة المهاجرين- و هى أسطوانة عائشة- بالمخلقة، فالوصف بالمخلقة يطلق على أساطين متعددة كما سنوضحه، و لهذا اشتمل هذا الكلام على وصف كل من هاتين الأسطوانتين بهذا الوصف.

و نقل المرجانى أن فى العتبية ما لفظه: أحب مواضع التنفل فى مسجد رسول الله مصلاه حيث العمود المخلق، انتهى.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى؛ ج ۱؛ ص ۲۸۱

قال ابن القاسم: أحب مواضع الصلاة فى مسجده صلّى اللّه عليه و سلّم فى النفل العمود المخلق، و فى الفرض فى الصف الأول، قال ابن رشد: فى كون العمود المخلق كان قبلة النبى صلّى اللّه عليه و سلّم أو أقرب إلى قبلته صلّى اللّه عليه و سلّم قول ابن القاسم و سماعه.

قلت: و هو دال على أن العمود المخلق هو الذى عند المصلى الشريف، و لهذا روى ابن وهب عن مالك أنه سئل عن مسجد رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم و قيل له: أى المواضع أحب إليك الصلاة فيه؟ قال: أما النافلة فموضع مصلاه، و أما المكتوبة فأول الصفوف، انتهى. فعبر هنا عن العمود المخلق بمصلاه. و رأيت فى جامع العتبية من البيان لابن رشد ما لفظه:

قال مالك: ليس العمود المخلق قبلة النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و قبلة النبى صلّى اللّه عليه و سلّم هو حذو قبلة الإمام، و إنما قدمت القبلة حذو قبلة النبى صلّى اللّه عليه و سلّم سواء.

قال ابن رشد عقبه: و قد مر فى كتاب الصلاة عن ابن القاسم أن مصلى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم هو العمود المخلق، خلاف قول مالك هنا، انتهى. و قول مالك: «و إنما قدمت القبلة» يشير به إلى المحراب الذى فى جدار القبلة بزيادة عثمان رضى الله عنه، و هذا الذى ذكره يكاد أن يكون قطعيا، و ليس مراد ابن القاسم إلا أن العمود المخلق أقرب شىء إلى قبلة النبى صلّى اللّه عليه و سلّم فيعرف به، و لهذا نقل ابن النجار عن مالك ما يقتضى أن الأسطوانة المذكورة علم لمصلّى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم؛ فإنه قال: قال مالك

بن أنس: أرسل الحجاج بن يوسف إلى أمهات القرى بمصاحف، فأرسل إلى المدينة بمصحف منها كبير، و كان فى صندوق عن يمين الأسطوانة التى عملت علما لمقام النبى صلّى اللّه عليه و سلّم.

و قال ابن زبالة فيما سيأتى عنه: إن الخيزران لما أمرت بأن تخلق المسجد أشار عليهم إبراهيم بن الفضل فزادوا فى خلوق أسطوانة التوبة و الأسطوان التى هى علم عند مصلى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم فخلقوهما حتى بلغوا بهما أسفلهما، و زادوا فى الخلوق فى أعلاهما، انتهى. و قد توهم جماعة أن المراد من كلام ابن القاسم، و ما نقل عن مالك، الأسطوانة

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۲۸۲

المعروفة اليوم بالمخلقة، و هى التى بأوسط الروضة، و هو مردود؛ لأن الأسطوانة المذكورة ليست علما على مصلى الرسول عليه السلام اتفاقا، و منشأ الوهم ظنهم اختصاصها بوصف المخلقة، و ممن اعتقد ذلك الحافظ ابن حجر فقال فى الكلام على قول يزيد بن عبيد: «كنت آتى مع سلمة بن الأكوع فيصلى عند الأسطوانة التى عند المصحف» ما لفظه: هذا دال على أنه كان للمصحف موضع خاص به، و وقع عند مسلم بلفظ:

يصلى وراء الصندوق، و كأنه كان للمصحف صندوق يوضع فيه، قال: و الأسطوانة المذكورة حقق لنا بعض مشايخنا أنها المتوسطة فى الروضة، و أنها تعرف بأسطوانة المهاجرين، و أسرت بها عائشة لابن الزبير، ثم وجدت ذلك فى تاريخ المدينة لابن النجار، و ذكره قبله محمد بن الحسن فى أخبار المدينة، هذا كلام الحافظ ابن حجر، و مراده بمحمد بن الحسن ابن زبالة، و ليس فى كلامه و لا فى كلام ابن النجار ما يقتضى أن الأسطوانة التى عند الصندوق هى أسطوانة المهاجرين، إلا من حيث وصف كل منهما بالمخلقة، فتوهم اتحادهما، و ليس كذلك، و اللّه أعلم.

محراب المسجد النبوى، و متى صنع؟

و سيأتى أن المسجد الشريف لم يكن له محراب فى عهده صلّى اللّه عليه و سلّم و لا فى عهد الخلفاء بعده، و أن أول من أحدثه عمر بن عبد العزيز فى عمارة الوليد، و زعم الأقشهرى فى روضته أن مصلى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم فى موضع الصندوق، و فى موضعه اليوم المحراب المرخم المرتفع عن المصلى الشريف و بنائه، فإنه قال و من خطه نقلت: إنه قيل: إن منبر النبى صلّى اللّه عليه و سلّم لم يتغير تقديما و لا تأخيرا؛ فالزيادة وقعت فى المنبر شماليا لا غير، وحد المنبر الأصلى اليوم مساوية مع مصلى الإمام، و مصلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم أمامه فى موضع الصندوق اليوم فهو خارج عن حد المنبر، انتهى. و استنتج من ذلك أن يكون ما حاذى الصندوق يمنة و يسرة، قال: و هو مما زاده عمر روضة من رياض الجنة، قال: لأن المصلى الشريف روضة بلا شك، أى فما حاذاه كذلك، و هو عجيب لم أر من سبقه إليه، و ما زعمه من أن حد المنبر- يعنى من القبلة- مساو لمصلى الإمام اليوم، يريد به أن نهاية مصلى الإمام اليوم مساوية لنهاية المنبر من جهة القبلة، فإنه صور ذلك بخطه كما ذكرناه، و كأنه توهم أن مصلاه صلّى اللّه عليه و سلّم كان فى محراب بارز عن سمت المسجد؛ لأنه جعل ما عن يمينه و يساره من زيادة عمر رضى اللّه عنه، و لم يقل به أحد، مع أن ما زعمه من الاستواء لا يشهد له عقل و لا نقل؛ لأن المنبر الذى كان فى زمنه هو المنبر الذى كان فى زمن المطرى، فإنهما متعاصران، و قد سبق عن المطرى فى الفصل قبله أن بين المنبر و الدرابزين الذى فى القبلة مقدار أربع أذرع و ربع، و أنه اتضح لنا صحة ما قاله، و ذلك هو محل المنبر النبوى كما

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۲۸۳

سنوضحه، و عرض الصندوق المذكور و ما بعده إلى الدرابزين المذكور ذراعان و نصف راجح، و المنبر الذى أدركناه أولا لم يكن بينه و بين الدرابزين القبلى سوى ثلاثة أذرع و نصف راجحة، و مع ذلك فحد المنبر متأخر عن حد مصلى الإمام من جهة القبلة بنحو الذراع، و على ما ذكره المطرى- و هو الصواب- يكون متأخرا بأزيد من ذلك، و ذلك فيما يظهر هو القدر الوارد فيما كان بين المنبر

و الجدار القبلى، و أوضح من ذلك فى الرد عليه أن يحيى نقل فى كتابه عن محمد بن يحيى صاحب مالك قال: وجدنا ذرع ما بين مسجد النبى صلّى اللّه عليه و سلّم الذى كان بعهده إلى جدار القبلة اليوم الذى فيه المحراب عشرين ذراعا و ربعا، و هذه هى الزيادة التى زيدت بعد النبى صلّى اللّه عليه و سلّم انتهى.

قال المراغى: و قد اعتبرته من وجه سترة مصلى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم إلى جدار القبلة فكان كذلك، و به يظهر أن المصلى الشريف لم يغير عن مكانه، و أن الصندوق إنما جعل فى مكان الجدار الأول، انتهى.

و قد اعتبرت ما ذكره من جدار المسجد القبلى إلى طرف المصلى الشريف المحاذى لطرف صندوق السترة، فكان ذلك إحدى و عشرين ذراعا و نصف و ربع يرجح قيراطا، فإذا أسقط من ذلك عرض الجدار- و هو ذراع و نصف راجح- كان الباقى عشرين ذراعا و ربعا كما ذكره يحيى، و قد علمت أن الصندوق المذكور له أصل قديم هناك، فكيف يكون فى موضع المصلى الشريف و لا ينبه عليه أحد؟ بل يذكرون ما يدل على خلافه، بل كيف يمكنون من ذلك، و يحرمون المسلمين التيمن بمكانه؟ هذا مما يكاد العقل يحيله.

و قال النووى فى مناسكه ما لفظه: و فى إحياء علوم الدين أنه- أى: المصلى- يجعل عود المنبر حذاء منكبه الأيمن، و يستقبل السارية التى إلى جانبها الصندوق، و تكون الدائرة التى فى قبلة المسجد بين عينيه، فذلك موقف رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم انتهى.

قلت: و كأن المراد من استقبال السارية المذكورة جعلها عن جهة اليمين كما عليه وضع المصلى اليوم. و قد ذكر ابن زبالة هذه الأسطوانة ثم قال: حدثنى إبراهيم بن محمد عن غير واحد منهم خارجة بن عبد اللّه بن كعب بن مالك قال: إذا عدلت عنها- أى عن الأسطوانة المذكورة- قليلا- و جعلت الجزعة التى فى المقام بين عينيك و الرمانة التى فى المنبر إلى شحمة أذنك قمت فى مقام رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم و كأن الرمانة المذكورة كانت فى أعلى عمود المنبر النبوى، و لذا عبر به فى الإحياء.

و سيأتى أنه لما حفر بعد الحريق الثانى لتأسيس المنبر الرخام وجدوا محل المنبر الأصلى شبه حوض من حجر، و فى جانبيه من المشرق و المغرب فرضتان منقورتان فى الحجر بهما شىء من الرصاص بحيث لا يخفى على من أحاط علما بصفة المنبر النبوى

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۲۸۴

أنهما محل عموديه كانا محكمين بالرصاص فيهما، و قد وقعت فى المصلى الشريف مما يلى مؤخره، و تأملت الفرضة التى مما تلى الروضة فوجدتها فى محاذاة يمينى، فظهر أنها المرادة.

و أما الجزعة فذكر المطرى أن هذه الجزعة كانت فى المحراب القبلى المقابل للمصلى الشريف، و أنها أزيلت منه، قال: و ما حققه الغزالى عند ذكر المصلى الشريف بقوله: «إذا وقف المصلى فى مقام النبى صلّى اللّه عليه و سلّم تكون رمانة المنبر حذو منكبه الأيمن و يجعل الجزعة التى فى القبلة بين عينيه فيكون واقفا فى مصلى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم إنما كان قبل حريق المسجد، و قبل أن يجعل هذا اللوح القائم فى قبلة مصلى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم: أى فإنه صار يحجب عن مشاهدة ما فى المحراب القبلى، قال: و إنما جعل بعد حريق المسجد، قال: و كان يحصل بتلك الجزعة فتنة كبيرة و تشويش على من يكون بالروضة الشريفة من المجاورين و غيرهم.

و ذلك أنه كان يجتمع إليها الرجال و النساء، و يقال: هذه خرزة فاطمة بنت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم و كانت عالية لا تنال بالأيدى، فتقف المرأة لصاحبتها حتى ترقى على ظهرها و كتفيها حتى تصل إليها، فربما وقعت المرأة و انكشفت عورتها، و ربما وقعتا معا.

فلما كان سنة إحدى و سبعمائة جاور الصاحب زين الدين أحمد بن محمد المعروف بابن حنا المصرى، فرأى ذلك، فاستعظمه و أمر بقلع الجزعة، فقلعت، قال: و هى الآن فى حاصل الحرم، ثم توجه إلى مكة فى أثناء السنة فرأى أيضا ما يقع من الفتنة عند دخول البيت الحرام، و تعلق الناس بعضهم ببعض، و حمل النساء على أعناق الرجال للاستمساك بالعروة الوثقى فى زعمهم، فأمر بقلع ذلك

المثال، و زالت تلك البدعة أيضا، و لله الحمد.

قلت: و الظاهر أن هذه الجزعة هى التى ذكرها ابن جبير فى رحلته فى سنة ثمان و سبعين و خمسمائة لما قدم المدينة، قال: رأيت على المحراب مسمارا مثبتا فى جداره فيه شبه حق صغير لا يعرف من أى شىء هو يزعمون أنه كأس كسرى، و شاهدت على رأس المحراب حجرا مربعا أصفر قدر شبر فى شبر ظاهر البريق و البصيص، يقال: إنه مرآة كسرى، و الله أعلم بحقيقة ذلك كله، انتهى.

ثم رأيت فى العقد لابن عبد ربه- و هو أقدم من ابن جبير- أن على ترس يعنى المحراب العثمانى فضة ثابتة غليظة فى وسطها مرآة مربعة ذكر أنها كانت لعائشة رضى الله عنها، ثم فوقه إزار رخام فيه نقوش صفائح ذهب مثمنة فيها جزعة مثل جمجمة الصبى الصغير مسمرة، ثم تحتها إلى الأرض إزار رخام مخلق بالخلوق فيه الوتد الذى كان صلّى اللّه عليه و سلّم يتوكأ عليه فى المحراب الأول، انتهى.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۲۸۵

قلت: و قد سألت عن هذه الجزعة المتولى لأمر حاصل الحرم الشريف و خازن داره- و كان قديم الهجرة- و غيرهما فقالوا: إنه ليس عندهم بالحاصل شىء من ذلك، و لعل ذلك ذهب فيما أخذه الأمير جماز عند كسر حاصل الحرم الشريف، و قد وسع المحراب القبلى عما كان عليه و زيد فى طوله بعد هدم الجدار القبلى بعد الحريق الثانى.

و قال ابن زبالة: إن ذرع ما بين المنبر و مقام النبى صلّى اللّه عليه و سلّم الذى كان يصلى فيه حتى توفى صلّى اللّه عليه و سلّم أربعة عشر ذراعا و شبرا.

قلت: و قد ذرعت ما بين المنبر الموجود قبل الحريق الثانى و أعلى الحفرة الذى ينزل منه إلى درجتها من ناحية مؤخر المصلى الشريف، فكان أربعة عشر ذراعا، و عرض الدرجة شبر راجح؛ فصح ذلك، و أما حده من جهة المشرق فسيأتى أن جعله على هذه الهيئة الموجودة اليوم أمر حادث.

و قد قال ابن زبالة: إن ذرع ما بين مصلى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم من مسجده الأول و بين أسطوان التوبة سبع عشرة ذراعا، و أسطوان التوبة فى جهة المشرق، و قد ذرعت ما بينها و بين درجة الحفرة الشرقية فكانت ست عشرة ذراعا، فعلمنا بذلك أن المصلى الشريف فى جانب الحفرة الغربى، و أن ما يلى المشرق منها ليس منه، و يشهد له ما سبق من كلام مالك و الإحياء لذكرهما السارية التى عندها الصندوق، بل فى خط الأقشهرى فى مصنفه فى الزيادة ضبط قول ابن زبالة فيما بين المصلى الشريف و أسطوان التوبة تسع عشرة ذراعا- بتقديم التاء على السين- و قد ذرعت ما بين طرف أسطوان التوبة الشرقى و بين طرف الحفرة الغربى فكان كذلك.

و نقل الأقشهرى أيضا عن أبى غسان أحد أصحاب مالك أن ما بين الحجرة الشريفة و مقام النبى صلّى اللّه عليه و سلّم الذى كان يقوم فيه ثمانية و ثلاثون ذراعا، و أنا ما بينه و بين المنبر الشريف مثل ما سبق عن ابن زبالة، و قد اختبرت ما بين طرف الحفرة الغربى و رخام جدار الحجرة الشريفة فكان ثمانية و ثلاثين ذراعا، فعلمنا أن المحاف عليه فى حد المصلى الشريف هو طرف الحفرة الغربى، و لم تكن هذه الحفرة فى الزمن القديم، و لهذا قال المجد: حكى ابن النجار الإجماع على أن المصلى الشريف لم يغير بتقديم و تأخير، و إنما غيرت هيئته فى هذا العصر الأخير بجعل المصلى شبه حفير أو حوض صغير منخفض عن موقف المأمومين نحو ذراع بسبب ترخيمه و تكاثر الرمل المفروش به الروضة.

قلت: و هو الآن شبه حوض مربع ينزل إليه بدرجة طوله ذراعان و نصف و ثمن، و عرضه ذراعان و نصف و نصف ثمن، لكن زادوا فى طوله فى العمارة الحادثة بعد الحريق أرجح من نصف ثمن ذراع و نحوه فى العرض.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۲۸۶

قال البدر بن فرحون و غيره: و ما زال العلماء الأئمة يتحرجون من ذلك، و فى أيام القاضى السراج- و هو أول قاض ولى لأهل السنة- فمن بعده كانت ترفع تلك الحفيرة بالرمل حتى تزول الكراهة، إلى أيام الشرف الأسيوطى، فأراد طمس الحفرة أو رفعها و إزالة

الخشب المنقوش أمامها الآتى ذكره، فقام عليه بعض الناس من الخدام، و استعانوا عليه بالأشراف، فكف و انتقل عن المحراب، و صار يصلى إلى الأسطوانة التى تقابل أسطوانة الوفود- أى من مقدم الروضة- و لزمها إلى أن مات، و صار من الفقهاء من يرفع الكراهة بما يحصل من القرب إلى مقامه صلّى اللّه عليه و سلّم و موضع قدمه، و هذه نزغة؛ فقد كان النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و أصحابه فى الموقف سواء، فمن خالف سنته بالهوى فقد غوى.

قلت: و هذه الحفرة بعيدة من موقف النبى صلّى اللّه عليه و سلّم لعلو الأرض؛ لما سيأتى عن البدر بن فرحون أنهم وجدوا عند تجديد المنارة التى بباب السلام باب مروان و تحصيب المسجد الشريف القديم بعد حفر قامة، و لما اتضح لنا فى العمارة الآتى ذكرها؛ فقد اعتبرت أرض الحجرة الشريفة و أرض المسجد، فكان بينهما من التفاوت ذراعان و نصف و أزيد، لكن مقتضى ما ظهر من الرخام الذى وصفه ابن زبالة حول المنبر و مشاهدتنا لما انكشف منه فيما بين المنبر و الأساطين التى خلفه عدم بعض أرض هذه الحفرة من محل الموقف الشريف فى ذلك العصر؛ لأن نسبة ما بين هذه الحفرة و الرخام المذكور أقل من نصف ذراع، و قد حققت مسألة انخفاض المصلى الشريف فى كتابى الموسوم «بكشف الجلباب و الحجاب عن القدوة فى الشباك و الرحاب» و لم يتحرر لى ابتداء ترخيم المصلى الشريف و جعله على هذه الهيئة، و سماه ابن جبير فى رحلته بالروضة الصغيرة، و قال: إن الإمام يصلى بالروضة الصغيرة المذكورة إلى جانبها الصندوق، و قال قبل ذلك فى وصفها:

و بإزائها لجهة القبلة عمود مطبق يقال: إنه على بقية الجذع الذى حنّ للنبى صلّى اللّه عليه و سلّم و على حافتها فى القبلة منها الصندوق، انتهى.

و لم يذكر فيها ترخيما و لا انخفاضا، مع ذكره لذلك فى المحل الذى عليه المنبر كما سيأتى، و الظاهر أن حدوث انخفاض المصلى الشريف بما حوله تجدد بعد الحريق الأول، و قد اقتضى رأى متولى العمارة الحادثة بعد الحريق الثانى أن يخفض أرض المسجد حتى تكون مساوية للمصلى الشريف، فقطع من الأرض نحو ذراع؛ فكانوا يجدون طبقة من التراب، و تليها طبقة من الرمل، حتى وصلوا إلى الأرض المساوية للمصلى الشريف، و ظهر لهم الرخام الذى كان عليه المنبر الشريف بعد حفر نحو نصف ذراع، و حصل بذلك إزالة هذه البدعة، و لله الحمد و المنة.

و كان فى قبلة المصلى الشريف صندوق خشب بديع الصنعة يعلوه محراب قد أمتج

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۲۸۷

الصناع فيه نتائج مبدعة من صنعة النجارة، و المحراب المذكور شبه باب نقنطر لموضع لطيف على ظهر الصندوق المذكور مكتوب فى داخله أمام مستقبله بعد البسملة آية الكرسى، و على ظاهر الباب المقنطر بعد البسملة قَدْ نَرى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّماءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضاها [البقرة: ۱۴۴] الآية، و فيه صنعة عجيبة و صبغ باللازورد و تذهيب عجيب يشغل الخاطر، و يفرق القلب الحاضر؛ إذ لا قلب أجمع و أعلى و أرفع من قلب سيد الأنام. عليه أفضل الصلاة و السلام، و قد قال فى شأن الخميصة من أجل تلك الأعلام «اذهبوا بخميصتى هذه إلى أبى جهم و ائتونى بأنبجانية أبى جهم، فإنها ألهتنى آنفا عن صلاتى» و سيأتى أنه لما قال عمر بن عبد العزيز بعد زخرفة المسجد لعمرو بن عثمان رضى الله عنه: بناؤنا أحسن أم بناؤكم؟ فقال له: بنيناه بناء المساجد، و بنيتموه بناء الكنائس.

و قال مالك فيما نقله عنه صاحب التبصرة: كره الناس ما فعل فى قبلة المسجد بالمدينة من التزاويق؛ لأنه يشغل الناس فى صلاتهم، و أرى أن يزال كل ما يشغل الناس عن الصلاة، و إن عظم ما كان أنفق فيه فالله تعالى يبعث لهذا المصلى الشريف من يزيل عنه هذه الزخارف و يسويه كما كان فى زمن المصطفى صلّى اللّه عليه و سلّم و قد أدعم هذا المحراب الخشبى من ورائه بدعامة شبه التاج العظيم حتى اتصل بالدرابزين الذى بين الأساطين فى قبلة الروضة، و برز عنها، و جعل فى أعلاه و عن يمينه و شماله مع امتداد الروضة مغارز لفرخات القناديل المسماة بالبزاقات تسرج فى ليالى الزيارات، و فى داخله كسوة جليلة من الحرير من جنس كسوة الحجرة الشريفة ذات طراز منسوج، و قد احترق ذلك كله فى الحريق الثانى الآتى ذكره، و ذلك بعد تمام هذا التأليف، فاقتضى رأى متولى

العمارة الحادثة بعد ذلك إبداله بمحراب مرخّم فى دعامة تبنى فى محل الصندوق المذكور، فحفروا هناك لأساسها نحو القامة، فوجدوا هناك قبرا بدا لحده مسدودا باللبن أخرجوا منه بعض العظام، و وجدوا الأقدمين لما أسسوا الأسطوانة التى عنده حرفوا أساسها عنه قليلا فتركوه على حاله، و أسسوا للمحراب المذكور، و رخموه بالرخام الملون ترخيما بديعا فيه صبغ ذهبى و غيره، و هو أبهى منظرا من الأول، و جعلوا أرض المحراب المذكور مرفعة قليلا على المصلى الشريف؛ لأنه إنما جعل فى محل الصندوق الذى كان أمام المصلى الشريف، فليتنبه لذلك، و الله أعلم.

تنبيهات- الأول: قال البخارى فى صحيحه «باب قدركم ينبغى أن يكون بين المصلى و السترة» ثم روى عن سهل بن سعد قال: كان بين مصلى رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم و بين الجدار ممر

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۲۸۸

المشاة، ثم روى عن سلمة- يعنى: ابن الأكوع- قال: كان جدار المسجد عند المنبر ما كادت الشاة، تجوزها: أى المسافة، و هى ما بين المنبر و الجدار، و قوله فى الحديث الأول «كان بين مصلى رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم» أى: مقامه فى صلاته، و كذا هو فى رواية أبى داود، و قوله: «و بين الجدار» أى: جدار المسجد مما يلى القبلة كما صرح به من طريق ابن غسان فى الاعتصام، و منه يعلم ما فى قول النووى فى شرح مسلم: يعنى بالمصلى موضع السجود، و الحديث الثانى رواه الإسماعيلى بلفظ: كان المنبر على عهد رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم ليس بينه و بين حائط القبلة إلا قدر ما تمر العنز. قال الكرمانى فى بيان مطابقته للتبويب: إن ذلك من حيث إنه صلّى اللّه عليه و سلّم كان يقوم بجنب المنبر: أى و لم يكن لمسجده محراب، فيكون مسافة ما بينه و بين الجدار نظير ما بين المنبر و الجدار، فكأنه قال: الذى ينبغى أن يكون بين المصلى و سترته قدر ما كان بين منبره صلّى اللّه عليه و سلّم و جدار القبلة.

قلت: و كأن الكرمانى بنى ذلك على ما عهده فى غالب المساجد من أن مصلى الإمام يكون إلى جانب المنبر، و قد تقدم بيان ما بينهما من المسافة و حكاية الإجماع على أنه لم يغير، و أيضا فلا يلزم من كونه صلّى اللّه عليه و سلّم كان يصلى إلى جانب المنبر أن يكون بينه و بين الجدار نظير ما بين المنبر و الجدار كما لا يخفى، و أوضح مما ذكره- كما قال الحافظ ابن حجر- ما ذكره ابن رشد من أن البخارى أشار إلى حديث سعد بن سهل الذى فى باب الصلاة على المنبر فإن فيه أنه صلّى اللّه عليه و سلّم «قام على المنبر حين عمل، و صلّى عليه» فاقتضى ذلك أن ما بين المنبر و الجدار يؤخذ منه موضع قيام المصلى.

قلت: لكن يلزم من ذلك التأخر عند السجود؛ لأن ذلك المقدار لا يتأتى فيه السجود، و قد ثبت رجوعه صلّى اللّه عليه و سلّم القهقرى من أجل السجود لما صلّى على المنبر لعدم تأتيه عليه.

و قال ابن بطال: هذا أقل ما يكون بين المصلى و سترته، يعنى قدر ممر الشاة، و قيل:

أقل ذلك ثلاثة أذرع؛ لحديث بلال أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم «صلى فى الكعبة و بينه و بين الجدار ثلاثة أذرع» كما فى الصحيح، و جمع الداودى بأن أقله ممر الشاة، و أكثره ثلاثة أذرع، و جمع بعضهم بأن الأول فى حال القيام و القعود، و الثانى فى حال الركوع و السجود، قاله الحافظ ابن حجر.

قلت: و يلزمه التأخر عن موقفه الأول عندهما كما قدمناه، و هو متعين؛ إذ لا يتأتى

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۲۸۹

السجود فى أقل من ثلاثة أذرع، و لهذا كان حريم المصلّى الذى يكون بينه و بين سترته ثلاثة أذرع عندنا.

و قال ابن الصلاح: قدروا ممر الشاة بثلاث أذرع.

قال الحافظ ابن حجر: و لا يخفى ما فيه.

قلت: الظاهر أن البخارى إنما أورد حديث سلمة المشتمل على بيان ما بين المنبر و الجدار ليستدل به على مقدار ممر الشاة، فإن ما بينهما كان معلوما عندهم، و قد تقدم عن العتبية أنه كان بينهما قدر ما يمر الرجل منحرفا، و الذى اقتضى حمل ابن الصلاح ممر الشاة

على ما ذكره أن ذلك هو القدر الذى يتأتى فيه السجود مع الاستمرار فى الموقف.

و قد قال البغوى: استحب أهل العلم الدنو من السترة بحيث يكون بينه و بينها قدر إمكان السجود، و كذلك بين الصفوف، و قد ورد الأمر بالدنو من السترة مع بيان حكمة ذلك، و هو ما رواه أبو داود و غيره مرفوعا: «إذا صلّى أحدكم إلى سترة فليدن منها لا يقطع الشيطان عليه صلاته»، قال الحافظ ابن حجر: و هو حديث حسن، و الله أعلم.

التنبيه الثانى: فى العود الذى كان فى المصلى الشريف.

روينا فى كتاب يحيى عن مصعب بن ثابت قال: طلبنا علم العود الذى كان فى مقام النبى صلّى اللّه عليه و سلّم فلم نقدر على أحد يذكر لنا فيه شيئا، قال مصعب: حتى أخبرنى محمد بن مسلم بن السائب صاحب المقصورة قال: جلس إلى أنس بن مالك، فقال: تدرى لم صنع هذا العود؟ و ما أسأله عنه، فقلت: لا و الله ما أدرى لم صنع، فقال أنس: كان رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم يضع عليه يمينه ثم يلتفت إلينا فيقول: استووا، و اعدلوا صفوفكم.

و عن أنس بن مالك قال: لما سرق العود الذى كان فى المحراب فلم يجده أبو بكر حتى وجده عمر رضى الله عنهما عند رجل من الأنصار بقباء قد دفن فى الأرض أكلته الأرضة، فأخذ له عودا، فشقه فأدخله فيه، ثم شعبه، فرده فى الجدار، و هو العود الذى وضعه عمر بن عبد العزيز رحمه الله فى القبلة، و هو الذى فى المحراب اليوم باق فيه.

و عند أبى داود عن محمد بن أسلم صاحب المقصورة قال: صلّيت إلى جنب أنس بن مالك يوما فقال: هل تدرى لم صنع هذا العود؟ فقلت: لا و الله، قال: كان رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم يضع يده عليه فيقول: «استووا و اعدلوا صفوفكم».

قلت: سيأتى فى الكلام على الجذع أن الأسطوانة المتقدم ذكرها التى هى علم

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۱، ص: ۲۹۰

المصلّى الشريف كان بها خشبة ظاهرة محكمة بالرصاص، يقول الناس: إنها من الجذع الذى حن للنبى صلّى اللّه عليه و سلّم و أن المطرى قال: إن الأمر ليس كذلك، و إن العز ابن جماعة أمر بإزالتها، فأزيلت عام خمس و خمسين و سبعمائة.

قال المجد: و رأى بعض العلماء أن إزالتها كانت وهما منهما، و ذلك أن إتقان هذه الخشبة، و ترصيصها بين حجارة الأسطوان و إبرازها لم يكن سدى، و إنما شاهد الحال يشهد بأنه كان من عمل عمر بن عبد العزيز؛ فالظاهر أنه كان من الجذع.

قلت: بل الظاهر أنها ليست منه؛ إذ لم ينقل بقاء شىء منه، بل الظاهر أنها من هذا العود المذكور؛ لما قدمناه فيه، و لما سيأتى عن ابن النجار.

و قول الزينى المراغى: «إن احتمال ذلك كان يمكن تسليمه قبل حريق المسجد، أما بعده فمردود؛ لأنه بقى من حريق المسجد بقايا خشب كثيرة كما سنحققه».

و قول المؤرخين: «إنه لم يبق و لا خشبة واحدة» مردود؛ فقد شاهدت عند إزالة هدم الحريق من الحجرة الشريفة ما لا يحصى من أطراف الخشب المحترق، حتى ميزاب الحجرة الشريفة رأيته من عرعر فيما أظن احترق بعضه و بقى منه قدر الذراع، و أخذ الناس كثيرا من تلك الأخشاب، و اتخذ متولى العمارة و غيره منها سبحا كثيرة، و عبارة ابن النجار صريحة فيما ذكرناه من كون العود المذكور كان بالأسطوانة المذكورة، فإنه ترجم عليه بقوله: «ذكر العود الذى فى الأسطوانة التى عن يمين القبلة»، ثم روى عن أهل السير خبر مصعب بن ثابت المتقدم.

و شيوع أن تلك الخشبة من الجذع قديم، فقد قال ابن جبير فى رحلته: إن بإزاء الروضة- يعنى المصلى الشريف منها- لجهة القبلة عمودا مطبقا يقال: أنه على بقية الجذع الذى حنّ للنبى صلّى اللّه عليه و سلّم و قطعة منه وسط العمود ظاهرة يقبلها الناس و يبادرون للتبرك بلمسها و مسح خدودهم فيها، و على حافتها فى القبلة منها الصندوق، انتهى.

و استفيد منه أيضا أن وضع الصندوق هناك كان قبل حريق المسجد فى زمنه، و سبب الشيوع المذكور فى تلك الخشبة ما سيأتى من

أن الجذع كان قريبا من محل الأسطوانة المذكورة؛ فالظاهر أن الخشبة المذكورة كانت قريبا منه فى الجدار، فجعلت فى تلك الأسطوانة لقربها من المحل الأول؛ فقد روى يحيى أيضا عن أنس بن مالك أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم «كان يستمسك بعود كان فى القبلة، ثم يلتفت عن يمينه و عن شماله، فإذا استوت الصفوف كبر».

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۲۹۱

و روى ابن زبالة عن عمرو بن مسلم قال: كان النبى صلّى اللّه عليه و سلّم حين أسن قد جعل له العود الذى فى المقام، إذا قام فى الصلاة توكأ عليه، قال: ثم ألصق إليه عود معه، و روى أيضا هو و يحيى من طريقه عن مسلم بن خباب قال: لما قدم عمر رضى الله عنه القبلة فقد العود الذى كان مغروسا فى الجدار، فطلبوه، فذكر لهم أنه فى مسجد بنى عمرو بن عوف أخذوه فجعلوه فى مسجدهم، فأخذه عمر فرده إلى المحراب، و كان رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم إذا قام إلى الصلاة أمسكه بكفه يعتمد عليه، ثم يلتفت فى شقه الأيمن فيقول: عدّلوا صفوفكم، ثم يلتفت إلى الأيسر فيقول مثل ذلك، ثم يكبر للصلاة، و ذلك العود من طرفاء الغابة.

هل مصلاه صلّى اللّه عليه و سلّم على عين القبلة أو جهتها؟

التنبيه الثالث: أسند يحيى عقب ما تقدم عن ابن عباس قال: كنت أرى صفحة خد رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم اليمنى فى مسجده يتيامن.

و عن عروة: كان الزبير بن العوام و أناس من أصحاب رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم يتيامنون و يقولون: إن البيت تهامى، قال يحيى: و سمعت غير واحد من مشايخنا ممن يقتدى به يقول: المنبر على القبلة.

قلت: لعل ما ذكره من التيامن فى غير المصلى الشريف، و الذى ذكره أصحابنا أنه لا يجتهد فى محراب النبى صلّى اللّه عليه و سلّم لأنه صواب قطعا؛ إذ لا يقر على خطأ؛ فلا مجال للاجتهاد فيه حتى لا يجتهد فى اليمنة و اليسرة، بخلاف محاريب المسلمين، سيما و قد تقدم أنه وضعه و جبريل يؤم به البيت، و المراد بمحرابه صلّى اللّه عليه و سلّم مكان مصلاه، فإنه لم يكن فى زمنه صلّى اللّه عليه و سلّم محراب، نعم إن ثبت تيامنه صلّى اللّه عليه و سلّم فى مكان مصلاه فما نقله متجه، و يؤيده أن الدكة التى ظهرت فى محل المنبر و وجد فيها آثار قوائم المنبر النبوى كما سيأتى متيامنة، و لذا حرّضت على بقائها على ما وجدت عليه فبقيت على حالها، إلا أنهم وضعوا المنبر عليها غير متيامن فصار محرفا عنها، و عبارة النووى فى التحقيق: و كل موضع صلّى فيه رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم و ضبط موقفه تعين، و لا يجتهد فيه بتيامن و لا تياسر، انتهى.

و قال الشيخ محب الدين الطبرى فى شرح التنبيه، و من خطه نقلت: إن قيل محرابه صلّى اللّه عليه و سلّم على عين الكعبة؛ إذ لا يجوز فيه الخطأ، فيلزم مما قلتم أنه لا يصح صلاة من بينه و بينه من أحد جانبيه أكثر من سمت الكعبة إلا مع الانحراف.

قلنا: من أين لكم أنه على يمين الكعبة؟ فيجوز أن يكون ذلك و لا خطأ بناء على أن

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۲۹۲

الفرض الجهة، نعم إن روى فى الصحيح أنه نصب على العين فنقول: مقتضى الدليل ما ذكرتموه على القولين، أما على العين فظاهر، و أما على الجهة فإنما ذلك عند عدم المشاهدة، و هذا المحراب منزل منزلة الكعبة فمشاهده كمشاهدها، إلا أن إجماع الصحابة رضى الله عنهم على بناء مسجد النبى صلّى اللّه عليه و سلّم واسعا و صلاتهم فى أقطاره من غير أن ينقل الانحراف عنهم دليل على طرد حكم البعد فى كل مكان، سواء تحقق صوب عين الكعبة أم لا، توسعة و تعميما للحكم، و تحقيقا للقول بأن فرض البعيد هو الجهة مطلقا، و لا أعلم أحدا تكلم فى هذه المسألة، و الظاهر فيها ما ذكرته، انتهى.

و فيه نظر، بل صلاة من بينه و بين المصلى الشريف أكثر من سمت الكعبة صحيح، و اعتبار العين من غير انحراف لما تقرر من أن المسامتة تصدق مع البعد، أ لا ترى أن الدائرة إذا عظمت اتسعت الخطوط فيسامت الخط الخارج من جبين المصلى الكعبة ظنا، و هو

المكلف به فى البعد، نعم هذا يقتضى جواز الاجتهاد بالتيامن و التياسر لمن بينه و بين المصلى الشريف أكثر من سمت الكعبة إلا أن ينقل عدمه عن الصحابة فى زمنه صلّى اللّه عليه و سلّم مع إقراره صلّى اللّه عليه و سلّم لهم على ذلك، و اللّه أعلم.

قد تم- بمعونة اللّه تعالى و حسن توفيقه- الجزء الأول من كتاب «وفاء الوفا، بأخبار دار المصطفى» تأليف العلامة المحقق، و المؤرخ المدقق، نور الدين على السمهورى، أحد علماء القرن العاشر الهجرى، و يليه- إن شاء اللّه تعالى- الجزء الثانى منه، و أوله «الفصل الرابع، فى خبر الجذع الذى كان يخطب إليه النبى صلّى اللّه عليه و سلّم- إلخ» نسأل اللّه الذى بيده تتم الصالحات أن يعين على إكماله، بمنه و فضله؛ إنه لا معين سواه، و لا يوفق للخير غيره.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۱، ص: ۲۹۳

فهرس الجزء الأول

ترجمة مؤلف الكتاب/ ۵

خطبة المؤلف/ ۷

أبواب الكتاب/ ۸

الباب الأول: فى أسماء هذه البلدة الشريفة/ ۱۳

أثرب/ ۱۳

أرض اللّه/ ۱۴

ذات الحجر/ ۱۹

الباب الثانى/ ۳۱

الفصل الأول: فى تفضيلها على غيرها من البلاد مكة أفضل أم المدينة/ ۳۱

الفصل الثانى: وعد من صبر على شدها/ ۳۹

الفصل الثالث: فى الحث على حفظ أهلها و إكرامهم/ ۴۵

الفصل الرابع: فى بعض دعائه صلّى اللّه عليه و سلّم لها و لأهلها، و ما كان بها من الوباء، و نقله/ ۴۸

الفصل الخامس: فى عصمتها من الدجال و الطاعون/ ۵۵

الفصل السادس: فى الاستشفاء بترابها، و بتمرها/ ۵۹

الفصل السابع: فى سرد خصائصها/ ۶۴

الفصل الثامن: فى الأحاديث الواردة فى تحريمها، و هى كثيرة/ ۷۵

الفصل التاسع: فى بيان عير و ثور/ ۷۷

الفصل العاشر: فى أحاديث تقتضى زيادة الحرم على ذلك التحديد، و أنه مقدر ببريد/ ۸۰

الفصل الحادى عشر: فى بيان الألفاظ المتعلقة بالتحديد/ ۸۲

الفصل الثانى عشر: فى حكمة تخصيص هذا المقدار المعين بالتحريم/ ۸۶

الفصل الثالث عشر: فى أحكام هذا الحرم الشريف، و فيه مسائل/ ۸۷

الفصل الرابع عشر: فى ذكر بدء شأنها، و ما يؤول إليه أمرها/ ۹۶

الفصل الخامس عشر: فيما ذكر من وقوع ما أخبر به صلّى اللّه عليه و سلّم من خروج أهلها و تركها، و ذكر كائنة الحرة المقتضية لذلك/ ۹۹

الفصل السادس عشر: فى ظهور نار الحجاز التى أنذر بها النبى صلّى اللّه عليه و سلّم/ ۱۱۳
الباب الثالث: فى أخبار سكانها فى سالف الزمان، و مقدمه صلّى اللّه عليه و سلّم إليها، و ما كان من أمره بها فى سنين الهجرة، و فيه اثنا عشر فصلا/ ۱۲۵
الفصل الأول: فى سكانها بعد الطوفان، و ما ذكر فى سبب نزول اليهود بها، و بيان منازلهم/ ۱۲۵
الفصل الثانى: فى سبب سكنى الأنصار بها/ ۱۳۲
الفصل الثالث: فى نسبهم/ ۱۳۸
وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۱، ص: ۲۹۴
الفصل الرابع: فى تمكنهم بالمدينة، و ظهورهم على يهود، و ما اتفق لهم مع تبع/ ۱۴۲
الفصل الخامس: فى منازل قبائل الأنصار بعد إذلال اليهود/ ۱۵۱
الفصل السادس: فيما كان بينهم من حرب بعاث/ ۱۷۰
الفصل السابع: فى مبدأ إكرام الله لهم بهذا النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و ذكر العقبة الصغرى/ ۱۷۳
الفصل الثامن: فى العقبة الكبرى/ ۱۷۹
الفصل التاسع: فى هجرة النبى صلّى اللّه عليه و سلّم إليها/ ۱۸۴
الفصل العاشر: فى دخوله صلّى اللّه عليه و سلّم أرض المدينة، و تأسيس مسجد قباء/ ۱۹۱
الفصل الحادى عشر: فى قدومه صلّى اللّه عليه و سلّم باطن المدينة/ ۱۹۸
الفصل الثانى عشر: فيما كان من أمره صلّى اللّه عليه و سلّم بها فى سنى الهجرة إلى أن توفاه الله عز و جل مختصرا/ ۲۰۹
الباب الرابع: فيما يتعلق بأمور مسجدها الأعظم النبوى/ ۲۴۹
الفصل الأول: فى أخذه صلّى اللّه عليه و سلّم لموضع مسجده الشريف، و كيفية بنائه/ ۲۴۹
الفصل الثانى: فى ذرعه و حدوده التى يتميز بها عن سائر المسجد اليوم/ ۲۶۱
الفصل الثالث: فى مقامه الذى كان يقوم به صلّى اللّه عليه و سلّم فى الصلاة قبل تحويل القبلة/ ۲۷۵

الجزء الثانى

اشارة

تأليف الشّيخ العلّامة نور الدّين على بن أحمد السّمهودى المتوفى ۹۱۱ ه اعتنى به و وضع حواشيه خالد عبد الغنى محفوظ الجزء الثّانى

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۳

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

الحمد للّه الذى اختار رسوله محمدا صلّى اللّه عليه و سلّم من أطيب الأرومات، و الصلاة و السلام الأتمّان الأكملان على أشرف الكائنات، و على آله و صحبه الذين فدوه بالأنفس و الأموال و بالآباء و الأمهات. و على من اتبعه و اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

[تتمة الباب الرابع: فيما يتعلق بأمور مسجدها الأعظم النبوى]

الفصل الرابع: الروايات فى حنين الجذع

اشارة

فى خبر الجذع الذى كان يخطب إليه صلّى اللّه عليه و سلّم و اتخاذه المنبر، و ما اتفق فيه، و ما جعل بدله بعد الحريق، و اتخاذ الكسوة له.

روينا فى صحيح البخارى عن ابن عمر قال: كان النبى صلّى اللّه عليه و سلّم يخطب إلى جذع، فلما اتخذ المنبر تحول إليه، فحن الجذع، فأتاه فمسح يده عليه. و فيه عن جابر أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم «كان يقوم يوم الجمعة إلى شجرة أو نخلة، فقالت امرأة من الأنصار، أو رجل: يا رسول الله، أ لا نجعل لك منبرا؟ قال: إن شئتم، فجعلوا له منبرا، فلما كان يوم الجمعة رفع إلى المنبر، فصاحت النخلة صياح الصبى، ثم نزل رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم، فضمّه إليه و هو يئن أنين الصبى الذى يسكن، قال: كانت تبكى على ما كانت تسمع من الذكر عندها.

و فيه أيضا عنه: كان المسجد مسقوفا على جذوع من نخل، فكان النبى صلّى اللّه عليه و سلّم إذا خطب يقوم إلى جذع منها، فلما صنع له المنبر فكان عليه فسمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت العشار، الحديث.

و عند النسائى فى الكبرى عن جابر: اضطربت تلك السارية كحنين الناقة الخلوج: أى التى انتزع ولدها منها. و عند ابن خزيمة عن أنس: فحنّت الخشبة حنين الواله. و فى روايته الأخرى عند الدارمى: خار ذلك الجذع كخوار الثور.

و فى حديث أبى بن كعب عند أحمد و الدارمى و ابن ماجه: فلما جاوزه خار الجذع حتى تصدع و انشق. و فى حديثه: فأخذ أبىّ بن كعب ذلك الجذع لما هدم المسجد فلم يزل عنده حتى بلى و عاد رفاتا. و فى حديث أبى سعيد عند الدارمى: فأمر به أن يحفر له و يدفن، و سيأتى أحاديث بذلك، و لا تنافى بين ذلك؛ لاحتمال أن يكون ظهر بعد الهدم عند التنظيف، فأخذه أبىّ بن كعب.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۴

و قال أبو اليمن بن عساكر فى تحفته: و فى رواية فلما جلس عليه أى المنبر حنت الخشبة حنين الناقة على ولدها، حتى نزل النبى صلّى اللّه عليه و سلّم فوضع يده عليها، فلما كان من الغد رأيتها قد حوّلت، فقلنا: ما هذا؟ قال: جاء النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و أبو بكر و عمر فحولوها، انتهى.

و فى مسند الدارمى من حديث بريدة: كان النبى صلّى اللّه عليه و سلّم إذا خطب قام فأطال القيام، فكان يشق عليه قيامه، فأتى بجذع نخلة، فحفر له و أقيم إلى جنبه قائما للنبى صلّى اللّه عليه و سلّم؛ فكان النبى صلّى اللّه عليه و سلّم إذا خطب فطال القيام عليه استند فاتكى عليه، فبصر به رجل كان ورد المدينة فرآه قائما إلى جنب ذلك الجذع، فقال لمن يليه من الناس: لو أعلم أن محمدا يحمدنى فى شىء يرفق به لصنعت له مجلسا يقوم عليه، فإن شاء جلس ما شاء، و إن شاء قام، فبلغ ذلك النبى صلّى اللّه عليه و سلّم فقال: ائتونى به، فأتوه به، فأمر أن يصنع له هذه المراقى الثلاث أو الأربع، هى الآن فى مسجد المدينة؛ فوجد النبى صلّى اللّه عليه و سلّم فى ذلك راحة، فلما فارق النبى صلّى اللّه عليه و سلّم الجذع و عمد إلى هذه التى صنع له جزع الجذع فحنّ كما تحن الناقة، حين فارقه النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، فزعم ابن بريدة عن أبيه رضى الله عنه أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم حين سمع حنين الجذع رجع إليه فوضع يده عليه، و قال: اختر أن أغرسك فى المكان الذى كنت فيه فتكون كما كنت، و إن شئت أن أغرسك فى الجنة، فتشرب من أنهارها و عيونها فتحسن زينتك، و تثمر، فتأكل كل أولياء الله من ثمرتك و تخلد؛ فعلت؛ فزعم أنه سمع من النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و هو يقول له: نعم قد فعلت، مرتين، فسئل النبى صلّى اللّه عليه و سلّم فقال: اختار أن أغرسه فى الجنة.

و لفظه عند عياض: إن شئت أردك إلى الحائط الذى كنت فيه تنبت لك عروقك، و يكمل خلقك، و يجدد لك خوص و ثمرة، و إن شئت أغرسك فى الجنة فتأكل أولياء الله من ثمرك، ثم أصغى له النبى صلّى اللّه عليه و سلّم يسمع ما يقول، فقال: بل تغرسنى فى الجنة فيأكل منى أولياء الله و أكون فى مكان لا أبلى فيه فسمعه من يليه، قال صلّى اللّه عليه و سلّم: قد فعلت، ثم قال: اختار دار البقاء

على دار الفناء، فكان الحسن إذا حدث بهذا بكى و قال: يا عباد الله، الخشبة تحن إلى رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم شوقا إليه لمكانه، فأنتم أحق أن تشتاقوا إلى لقائه، و هو فى كتاب يحيى بنحوه، و فى حديث سهل بن سعد عند أبى نعيم: فقال النبى صلّى اللّه عليه و سلّم: أ لا تعجبون من حنين هذه الخشبة، فأقبل الناس عليها فسمعوا من حنينها حتى كثر بكاؤهم.

و فى لفظ عند ابن عبد البر: فلما جاوزه خار الجذع حتى تصدع و انشق، فرجع إليه رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم فمسحه بيده حتى سكن، ثم رجع إلى المنبر، قال: فكان إذا صلّى صلى إليه، فلما هدم المسجد أخذ ذلك الجذع أبى بن كعب فلم يزل عنده حتى أكلته الأرضة و عاد رفاتا.

و هذا يبعد ما قدمناه من التأويل؛ إذا ظاهره أنه لم يدفن.

و يحتمل: أن ذلك كان بعد دفنه، و مشى يصلى إليه قريبا منه؛ لأنه كان عند مصلّاه كما سنحققه.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۵

و فى كتاب يحيى عن أبى سعيد: كان صلّى اللّه عليه و سلّم يخطب إلى جذع نخلة، فأتاه رجل رومى، فقال: أصنع لك منبرا تخطب عليه، فصنع له منبره الذى ترون، فلما قام عليه فخطب حنّ الجذع حنين الناقة إلى ولدها، فنزل إليه النبى صلّى اللّه عليه و سلّم فضمّه فسكن، و أمر به النبى صلّى اللّه عليه و سلّم أن يدفن و يحفر له.

و عن عائشة رضى الله عنها: كان رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم يخطب إلى جذع يتساند إليه، فمر رومى فقال: لو دعانى محمد لعملت له ما هو أرفق له من هذا، فذكروا ذلك لرسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم، فأرسل إليه، فدعاه، فجعل له المنبر، ثم ذكر حنين الجذع و تخيير النبى صلّى اللّه عليه و سلّم له، قال:

فقالت: فسمعنا النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و هو يقول: فنعم، فغار الجذع فذهب.

و عن أنس أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم كان يخطب إلى الجذع، فلما اتخذ المنبر و عدل إليه حن الجذع حتى أتاه فاحتضنه فسكن، و قال: لو لم أفعل هذا لحنّ إلى يوم القيامة.

و ذكر الأسفراينى أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم دعاه إلى نفسه، فجاء يخرق الأرض فالتزمه، ثم أمره فعاد إلى مكانه.

صانع المنبر

و فى كتاب ابن زبالة عن خالد بن سعيد مرسلا أن تميما الدارى كان يرى رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم يشتد عليه وجع كان يجده فى فخذيه يقال له الزجر، فقال له تميم: يا رسول الله أ لا أصنع لك منبرا تقوم عليه، فإنه أهون عليك إذا قمت و إذا قعدت؟ قال: و كيف المنبر؟

قال: أنا يا رسول الله أصنعه لك، قال: فخرج إلى الغابة فقطع منها خشبات من أثل، فعمل له درجتين: أى غير المقعد، فتحول رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم عن الخشبة التى كان يستند إليها إذا خطب، ثم ذكر حنينها، و قال: بلغنا أنها دفنت تحت المنبر.

و عن المطلب بن حنطب أنه صلّى اللّه عليه و سلّم أمر بالجذع فحفر له تحت المنبر فدفن هنالك، قال:

و الذى عمل المنبر غلام نصيبة المخزومى، و كان المنبر من أثلة كانت قريبا من المسجد.

و عن سهل بن سعد الساعدى نحو ما فى الصحيح أن رجالا أتوا سهلا و قد امتروا فى المنبر مم عوده، فسألوه عن ذلك، فقال: و الله إنى لأعرف ممّ هو، و لقد رأيته أول يوم وضع، و أول يوم جلس عليه رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم، أرسل رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم إلى فلانة امرأة من الأنصار قد سماها سهل: مرى غلامك النجار، أن يعمل لى أعوادا أجلس عليها إذا كلمات الناس، فأمرته فعملها من طرفاء الغابة، ثم جاء بها فأرسلت إلى رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم، فأمر بها فوضعت هاهنا، ثم رأيت رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم صلّى عليها و كبر و هو عليها، ثم ركع و هو عليها، ثم نزل القهقرى فسجد فى أصل المنبر، هذا لفظ الصحيح، و زاد فيه

ابن زبالة: و قطعت خشب المنبر بيدى مع الذى بعثه رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم، و حملت إحدى الدرجات.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۶

و رواه يحيى بلفظ: عمل من أثل، يعنى المنبر، و كنت ممن حمل درجته هذه، ثم ذكر حنين الجذع، و فى رواية للبخارى فى كتاب الهبة «فجاءوا به- يعنى المنبر- فاحتمله النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، فوضعه حيث ترون».

و قال الحافظ ابن حجر: صحف بعض الرواة قوله إلى فلانة امرأة من الأنصار فقال إلى علاثة (بالعين المهملة و المثلاثة) و هو خطأ، و المرأة لا يعرف اسمها، و نقل ابن التين عن مالك أن النجار كان مولى لسعد بن عبادة؛ فيحتمل أنه كان فى الأصل مولى امرأته، و نسب إليه مجازا، و اسم امرأته فكيهة بنت عبيد بن دليم، و هى ابنة عمه؛ فيحتمل أن تكون هى المرأة، لكن رواه ابن راهواه عن ابن عيينة و قال: مولى لبنى بياضة، و وقع عند الكرمانى قيل:

اسمها عائشة، و أظنه صحّف المصحف، ثم وجدت فى الأوسط للطبرانى من حديث جابر أن رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم كان يصلى إلى سارية فى المسجد، و يخطب إليها، و يعتمد عليها، فأمرت عائشة، فصنعت له منبره هذا، فذكر الحديث، و إسناده ضعيف، و لو صح لما دل على أن عائشة هى المرادة فى حديث سهل هذا إلا بتعسف، و الله أعلم.

و أسند ابن سعد فى الطبقات من حديث أبى هريرة، و رجاله ثقات إلا الواقدى أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم «كان يخطب و هو مستند إلى جذع، فقال: إن القيام قد شق على، فقال تميم الدارى: أ لا أعمل لك منبرا كما رأيت يصنع بالشام؟ فشاور النبى صلّى اللّه عليه و سلّم المسلمين فى ذلك، فرأوا أن يتخذه، فقال العباس بن عبد المطلب: إن لى غلاما يقال له كلاب أعمل الناس، فقال: مره أن يعمل» الحديث.

موضع الجذع

و أسند يحيى منقطعا عن ابن أبى الزناد و غيره أن رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم كان يخطب يوم الجمعة إلى جذع فى المسجد كان موضعه عند الأسطوانة المخلّقة التى تلى القبر التى عن يسار الأسطوانة المخلّقة التى كان النبى صلّى اللّه عليه و سلّم يصلى عندها التى هى عند الصندوق، فقال النبى صلّى اللّه عليه و سلّم:

إن القيام قد شق على، و شكا صلّى اللّه عليه و سلّم ضعفا فى رجليه، قالوا: فقال تميم الدارى- و كان رجلا من لخم من أهل فلسطين- يا رسول الله أنا أعمل لك منبرا كما رأيت يصنع بالشام، قالوا: فلما أجمع رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم و ذو الرأى من أصحابه على اتخاذه قال العباس بن عبد المطلب: إن لى غلاما يقال له كلاب أعمل الناس، فقال النبى صلّى اللّه عليه و سلّم: مره يعمل، فأرسله إلى أثلة بالغابة فقطعها ثم عملها درجتين و مجلسا، ثم جاء بالمنبر فوضعه فى موضعه اليوم، ثم راح رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم يوم الجمعة، فلما جاوز الجذع يريد المنبر حن الجذع ثلاث مرات كأنه خوار بقرة، حتى ارتاع الناس، و قام بعضهم على رجليه، فأقبل رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم حتى مسه بيده، فسكن، فما سمع له صوت بعد ذلك، ثم رجع رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم إلى المنبر فقام عليه،

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۷

فلم يزل كذلك فى زمان النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و أبى بكر و عمر، فلما هدم عثمان المسجد اختلف فى الجذع، فمنهم من قال: أخذه أبى بن كعب، فكان عنده حتى أكلته الأرضة، و منهم من قال: دفن فى موضعه.

شهرة حديث حنين الجذع

و قال عياض: حديث حنين الجذع مشهور منتشر، و الخبر به متواتر، أخرجه أهل الصحيح، و رواه من الصحابة بضعة عشر.

و قال البيهقى: قصة حنين الجذع من الأمور الظاهرة التى حملها الخلف عن السلف، و رواية الأخبار الخاصة فيها كالتكلف، و فيه دليل على أن الجمادات قد يخلق الله لها إدراكا كأشرف الحيوان.

و قد نقل ابن أبى حاتم فى مناقب الشافعى عن أبيه عن عمرو بن سواد عن الشافعى قال: ما أعطى الله نبيا ما أعطى محمدا، فقلت: أعطى عيسى إحياء الموتى، قال: أعطى محمدا حنين الجذع حتى سمع صوته؛ فهذا أكبر من ذلك.

الموضع الذى دفن فيه الجذع

و نقل ابن زبالة اختلافا فى دفن خشبته؛ فعن عثمان بن محمد: دفنت دوين المنبر عن يساره، و قال بعضهم: دفنت شرقى المنبر إلى جنبه، و قال بعضهم: دفنت تحت المنبر، و تقدم فى رواية أنه دفن فى موضعه الذى كان فيه، و محصل الرواية المتقدمة فى كلام يحيى أنه كان فى جهة المشرق يسار المصلّى الشريف.

و نقل ابن زبالة عن عبد العزيز بن محمد أن الأسطوان الملطّخ بالخلوق ثلثاها أو نحو ذلك محرابها موضع الجذع الذى كان النبى صلّى اللّه عليه و سلّم يخطب إليه، بينها و بين القبلة أسطوان، و بينها و بين المنبر أسطوان.

بدعة اصطنعها الناس بسبب الجذع

قلت: و هذه الأسطوانة هى التى تقدم أنها علم المصلّى الشريف عن يمينه، و لهذا روى عقبة ما قدمناه من القيام بمقام رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم فى الصلاة لمن عدل عنها قليلا، و هذا مستند المطرى فى قوله: و كان هذا الجذع عن يمين مصلى رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم لاصقا بجدار المسجد القبلى فى موضع كرسى الشمعة اليمنى التى توضع عن يمين الإمام المصلّى فى مقام النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، و الأسطوانة التى قبلى الكرسى متقدمة عن موضع الجذع؛ فلا يعتمد على قول من جعلها فى موضع الجذع، قال: و فيها خشبة ظاهرة مثبتة بالرصاص سدادة لموضع كان فى حجر من حجارة الأسطوانة مفتوح قد حوط عليه بالبياض و الخشبة ظاهرة، تقول العامة:

هذا الجذع الذى حن إلى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، و ليس كذلك بل هو من جملة البدع التى يجب إزالتها

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۸

لئلا يفتن بها الناس، كما أزيلت الجزعة التى كانت فى المحراب القبلى، و ذكر قصة الجزعة التى قدمناها.

و قال المجد: إن الخشبة المذكورة كان يزدحم على زيارتها و التمسح بها، و يعتقد الناس عامة أنها الجذع، فظن بعض الفقهاء أن هذا من المنكر الذى يتعين إزالته، و صرح بهذا فى كتبه، إلى أن وافق على ذلك شيخنا العز بن جماعة فأمر بإزالتها، إلى آخر ما قدمناه عنه.

قال: و كان موضع الخشبة من الأسطوان المذكور على مقدار ذراعين من الأرض ارتفاعا، و قد طلى عليه بالقصة، و لا عين منه و لا أثر.

قلت: الذى يظهر- كما قدمته- أن هذه الخشبة كانت من العود الذى كان النبى صلّى اللّه عليه و سلّم يضع يده عليه و يقول: عدلوا صفوفكم، كما تقدم، و الله أعلم.

عود إلى الاختلاف فى صانع المنبر

و نقل ابن زبالة الاختلاف فى الذى عمل المنبر، فقيل: غلام نصيبة المخزومى، و قيل:

غلام للعباس، و قيل: غلام لسعيد بن العاص يقال له باقول (بموحدة و قاف مضمومة) و قيل: غلام لامرأة من الأنصار من بنى ساعدة، أو لامرأة لرجل منهم يقال له مينا، و قوله «يقال له مينا» يحتمل المولى و زوج المرأة، لكن عند يحيى قال إسماعيل بن عبد الله: الذى عمل المنبر غلام الأنصارية و اسمه مينا، و عند ابن بشكوال عن أبى بن أويس: عمل المنبر غلام لامرأة من الأنصار من بنى سلمة أو بنى ساعدة أو امرأة لرجل منهم يقال له مينا، و هذا محتمل كالأول، و قيل: عمله تميم الدارى، هذا حاصل ما ذكره ابن زبالة، و فى رواية ليحيى: عمل المنبر صباح غلام العباس (بضم المهملة بعدها موحدة خفيفة) و تقدم تسميته كلابا، و نقل المراغى عن بعض شيوخه أن الذى عمله باقوم (بالميم) بانى الكعبة لقريش، و فى الاستيعاب عن باقوم الرومى قال: صنعت لرسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم منبرا من طرفاء له ثلاث درجات: المقعدة، و درجتيه، قال ابن عبد البر: و إسناده ليس بالقائم.

و فى طبقات ابن سعد أن الصحابة قالوا: يا رسول الله إن الناس قد كثروا، فلو اتخذت شيئا تقوم عليه إذا خطبت، قال صلّى اللّه عليه و سلّم: ما شئتم، قال سهل رضى الله عنه: و لم يكن بالمدينة إلا نجار واحد، فذهبت أنا و ذاك النجار إلى الغابة فقطعنا هذا المنبر من أثلة، و فى لفظ: فحمل سهل منهن خشبة، قال المجد: إسنادهما صحيح، و عند قاسم بن أصبغ: و كان بالمدينة نجار واحد يقال له ميمون، فذكر الحديث، و عند الطبرانى عن سهل: كنت جالسا مع خال لى من الأنصار، فقال النبى صلّى اللّه عليه و سلّم: اخرج إلى الغابة و أتنى من خشبها فاعمل لى

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۹

منبرا، الحديث. و أخرج الطبرانى بإسناد فيه متروك أن اسم صانع المنبر إبراهيم، و فى أسماء الصحابة لابن شبة مرسلا: اسمه قبيصة أو قصيبة بتقديم الصاد، المخزومى، مولاهم، و عند أبى داود بإسناد جيد أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم لما بدّن قال تميم الدارى: يا رسول الله أ لا تتخذ لك منبرا يحمل- أو يجمع- عظامك، قال صلّى اللّه عليه و سلّم: بلى، فاتخذ له منبرا مرقاتين: أى غير المقعدة.

قال الحافظ ابن حجر: و ليس فى الروايات التى سمى فيها النجار قوى السند إلا هذا، و ليس فيه تصريح بأن الذى اتخذ المنبر تميم، بل قد تبين من رواية ابن سعد المتقدمة أن تميما لم يعمله، و أشبه الأقوال بالصواب أنه ميمون؛ لكون الإسناد من طريق سهل، و لا اعتداد بالأقوال الأخرى لكونها واهية.

قلت: و لا ينافيه قوله فى مقدمة الشرح «باقوم أشهر الأقوال» فقد يشتهر الواهى.

و فى التحفة لابن عساكر: روينا من حديث أبى كبشة السلولى عن معاذ رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم: إن أتّخذ منبرا فقد اتخذه أبى إبراهيم، و إن اتخذ العصا فقد اتخذها أبى إبراهيم، صلى الله عليهما و سلم.

و أسند ابن النجار من حديث أنس: كان رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم يخطب يوم الجمعة إلى جنب خشبة مسندا ظهره إليها، فلما كثر الناس قال: ابنوا لى منبرا، فبنوا له منبرا له عتبتان، و هو يقتضى أن المنبر كان بناء، و يحتمل أنه أطلق على تأليفه من الأخشاب اسم البناء، لكن قال الحافظ ابن حجر: حكى بعض أهل السير أنه صلّى اللّه عليه و سلّم «كان يخطب على منبر من طين قبل أن يتخذ المنبر الذى من خشب» و يعكر عليه ما تقدم فى الأحاديث الصحيحة من أنه كان يستند إلى الجذع إذا خطب.

قلت: يحتمل أن ذلك المنبر المتخذ من الطين كان إلى جانب الجذع، و كأنه كان بناء مرتفعا فقط، و ليس له درج و مقعدة بحيث يكمل الارتفاق به؛ فلا ينافى ما تقدم فى سبب اتخاذ المنبر من خشب، و يؤيد ذلك ما ورد فى حديث الإفك فى الصحيحين عن عائشة قالت: فثار الحيان الأوس و الخزرج حتى كادوا أن يقتتلوا، و رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم على المنبر، الحديث، و هذه القصة متقدمة على اتخاذ المنبر من الخشب؛ فقد جزم ابن النجار بأن عمله كان سنة ثمان، و جزم ابن سعد بأنه كان فى السنة السابعة، على أن ذكر تميم و العباس فى عمله كما تقدم يقتضى تأخره عن ذلك أيضا؛ فقد كان قدوم العباس بعد الفتح فى آخر سنة ثمان، و قدوم تميم سنة تسع، و فى بعض طرق الحديث: كان رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم يجلس بين أصحابه، فيجيء الغريب فلا يدرى أيهم

هو، فطلبنا إليه أن نجعل له مجلسا يعرفه الغريب إذا أتاه، فبنينا له دكانا من طين كان يجلس عليه، الحديث. و فى بعض طرقه أنه جاء و النبى صلّى اللّه عليه و سلّم يخطب أى: على ذلك الدكان، و الله أعلم.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۰

و روى يحيى عن ابن أبى الزناد أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم كان يجلس على المجلس، و يضع رجليه على الدرجة الثانية، فلما ولى أبو بكر قام على الدرجة الثانية، و وضع رجليه على الدرجة السفلى، فلما ولى عمر قام على الدرجة السفلى، و وضع رجليه على الأرض إذا قعد، فلما ولى عثمان فعل ذلك ست سنين من خلافته؛ ثم علا إلى موضع النبى صلّى اللّه عليه و سلّم.

ثم قال: قالوا فلما استخلف معاوية زاد فى المنبر، فجعل له ست درجات، و كان عثمان أول من كسا المنبر قبطية.

أراد معاوية أن ينقل المنبر إلى الشام

قالوا: فلما قدم معاوية عام حج حرك المنبر، و أراد أن يخرجه إلى الشام، فكسفت الشمس يومئذ، حتى بدت النجوم، فاعتذر معاوية إلى الناس، و قال: أردت أنظر إلى ما تحته، و خشيت عليه من الأرضة. قال بعضهم: و كساه يومئذ قبطية أو لينة. ثم أسند عن سعيد ابن عمرو قصة تحريك معاوية للمنبر، و أن الشمس كسفت، و اعتذاره بأن خشى عليه الأرضة، و أنه كساه يومئذ قبطية يكون عليه أو لينة، فكان يقال: هو أول من كساه، قال يحيى: و أثبتهما عندنا أن عثمان هو أول من كساه، و قد نقل ذلك ابن النجار عن الواقدى عن ابن أبى الزناد، قال: فسرقت الكسوة امرأة، فأتى بها عثمان، فقال لها: هل سرقت؟

قولى لا، فاعترفت، فقطعها، و اتفق لامرأة مع ابن الزبير مثل ذلك.

و فى تاريخ الواقدى: أراد معاوية رضى الله عنه سنة خمسين تحويل منبر رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم إلى دمشق، فكسفت الشمس يومئذ، و كلمه أبو هريرة رضى الله عنه فيه، فتركه، فلما كان عبد الملك أراد ذلك فكلمه قبيصة فتركه؛ فلما كان الوليد أراد ذلك فأرسل سعيد بن المسيب إلى عمر بن عبد العزيز فكلمه فيه فتركه، فلما كان سليمان قيل له فى تحويله قال: لا؛ها الله، أخذنا الدنيا و نعمد إلى علم من أعلام الإسلام نريد تحويله؟ ذاك شىء لا أفعله؛ و ما كنت أحب أن يذكر هذا عن عبد الملك و لا عن الوليد! ما لنا و لهذا؟

رفع المنبر ست درجات

و أسند ابن زبالة عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه قال: بعث معاوية رضى الله عنه إلى مروان يأمره أن يحمل إليه منبر النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، فأمر به أن يقلع، فأظلمت المدينة، و أصابتهم ريح شديدة، قال: فخرج عليهم مروان فخطبهم، و قال: يا أهل المدينة إنكم تزعمون أن أمير المؤمنين بعث إلى منبر رسول الله صلّى اللّه عليه و سلم، و أمير المؤمنين أعلم بالله من أن يغير منبر رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم عن ما وضعه عليه، إنما أمرنى أن أكرمه و أرفعه، قال: فدعا نجارا فزاد فيه الزيادة التى هو عليها اليوم، و وضعه موضعه اليوم.

و فى رواية له عن ابن قطن: قلع مروان بن الحكم منبر رسول الله، و كان درجتين

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۱

و المجلس، و أراد أن يبعث به إلى معاوية، قال: فكسفت الشمس حتى رأينا النجوم، قال:

فزاد فيه ست درجات، و خطب الناس فقال: إنى إنما رفعته حين كثر الناس.

و عند يحيى فى رواية أخرى: كتب معاوية رضى الله عنه إلى مروان و هو على المدينة أن أرسل لى بمنبر رسول الله صلّى اللّه عليه و

سلّم، فخرج مروان فقلعه، فأصابتنا ريح مظلمة بدت فيها النجوم نهارا، و يلقى الرجل الرجل يصكه فلا يعرفه، و ذكر اعتذار مروان المتقدم، و قال: إنما كتب إلى يأمرنى أن أرفعه من الأرض، فدعا له النجاجرة، فعمل هذه الدرجات و رفعوه عليها، و هى- أى الدرجات التى زادها- ست درجات، قال: ثم لم يزد فيه أحد قبله و لا بعده.

و قال ابن زبالة عقب حديث رواه من طريق سفيان عن كثير بن زيد عن المطلب ما لفظه: و الذى زاد فى درج المنبر معاوية بن أبى سفيان.

قال سفيان: قال كثير: فأخبرنى الوليد بن رباح قال: كسفت الشمس يوم زاد معاوية فى المنبر حتى رؤيت النجوم.

و روى ابن النجار زيادة مروان فيه، و أنه صار تسع درجات بالمجلس، عن ابن أبى الزناد، ثم قال: و لما قدم المهدى المدينة سنة إحدى و ستين و مائة، فقال لمالك بن أنس: إنى أريد أن أعيد منبر النبى صلّى اللّه عليه و سلّم على حاله، فقال له مالك: إنما هو من طرفاء، و قد سمّر إلى هذه العيدان و شد، فمتى نزعته خفت أن يتهافت و يهلك، فلا أرى أن تغيره، فانصرف المهدى عن تغييره.

و روى ابن شبة قصة المهدى عن محمد بن يحيى عن محمد بن أبى فديك.

عدد درجات المنبر

قلت: و جميع ما قدمناه من كلام المؤرخين مقتض لاتفاقهم على أن منبره صلّى اللّه عليه و سلّم كان درجتين غير المجلس و نقله ابن النجار عن الواقدى، لكن سبق فى رواية الدارمى «هذه المراقى الثلاث أو الأربع» على الشك، و فى صحيح مسلم «هذه الثلاث درجات» من غير شك، و قال الكمال الدميرى فى شرح المنهاج: و كان صلّى اللّه عليه و سلّم منبره ثلاث درج غير الدرجة التى تسمى المستراح، و لعل مأخذه ظاهر ذلك مع حديث أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم رقى المنبر فلما رقى الدرجة الأولى قال: آمين، ثم رقى الدرجة الثانية فقال: آمين، ثم رقى الدرجة الثالثة فقال:

آمين، فقالوا: يا رسول الله سمعناك قلت آمين ثلاث مرات، قال: لما رقيت الدرجة الأولى جاء جبريل عليه السلام فقال: شقى عبد أدرك رمضان فانسلخ عنه فلم يغفر له، قلت:

آمين، ثم قال: شقى عبد ذكرت عنده فلم يصل عليك، قلت: آمين، ثم قال: شقى عبد أدرك والديه أو أحدهما فلم يدخلاه الجنة، فقلت: آمين، رواه يحيى بن الحسن عن جابر، و رواه الحاكم عن كعب بن عجرة و قال: صحيح الإسناد، و لفظه: قال قال رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم: احضروا المنبر، فحضرنا، فلما رقى درجة قال: آمين، فلما ارتقى الدرجة الثانية قال:

آمين، فلما ارتقى الدرجة الثالثة قال: آمين، فلما نزل قلنا: يا رسول الله لقد سمعنا منك اليوم شيئا ما كنا نسمعه، قال: إن جبريل عرض لى فقال: بعد من أدرك رمضان فلم يغفر له، قلت: آمين؛ فلما رقيت الثانية قال: بعد من ذكرت عنده فلم يصل عليك، فقلت:

آمين، فلما رقيت الثالثة قال: بعد من أدرك أبويه الكبر عنده أو أحدهما فلم يدخلاه الجنة، قلت: آمين، و يمكن حمله على أنه صلّى اللّه عليه و سلّم ارتقى حينئذ على المجلس و هى الدرجة الثالثة.

مساحة المنبر

قال ابن زبالة: و طول منبر النبى صلّى اللّه عليه و سلّم خاصة ذراعان فى السماء، و عرضه ذراع فى ذراع، و تربيعه سواء، و فيه مما كان يلى ظهره إذا قعد ثلاثة أعواد تدور، ذهب إحداهن، و انقلعت إحداهن سنة ثمان و تسعين و مائة، و أمر به داود بن عيسى فأعيد، و فيما عمل مروان فى حائط المنبر الخشب عشرة أعواد لا يتحركن، و طول منبر النبى صلّى اللّه عليه و سلّم مرتفع فى السماء مع الخشب

الذى عمله مروان- أى الأعواد المتقدمة- ثلاث أذرع و نصف.

و قال عقب كلامه الآتى فى ذرع ما عليه المنبر اليوم، يعنى زمنه، ما لفظه: و طول المجلس- أى مجلسه صلّى اللّه عليه و سلّم- شبران و أربع أصابع فى مثل ذلك. مربع؛ فقوله أولا: «و عرضه ذراع فى ذراع» إنما أراد به مقعد المنبر؛ لما قاله هنا فى وصف المقعد بدون درجتيه؛ و لأنه قال هنا عقب ما تقدم: و ما بين أسفل قوائم منبر النبى صلّى اللّه عليه و سلّم الأول إلى رمانته خمسة أشبار و شىء؛ و عرض درجه شبران، و طولها شبر، و طوله من ورائه- يعنى محل الاستناد- شبران و شىء؛ فيؤخذ من ذلك أن امتداد المنبر النبوى من أوله- و هو ما يلى القبلة- إلى ما يلى آخره فى الشام أربعة أشبار و شىء؛ لقوله: إن عرض درجه شبران، و إن المجلس شبران و أربع أصابع، و قوله: «و ما بين أسفل قوائم منبر النبى صلّى اللّه عليه و سلّم- إلى آخره» معناه أن من طرف المنبر النبوى الذى يلى الأرض إلى طرف رمانته التى يضع عليها يده الكريمة خمسة أشبار و شىء؛ و ذلك نحو ذراعين و نصف، و قد تقدم أن ارتفاع المنبر النبوى خاصة ذراعان؛ فيكون ارتفاع الرمانة نحو نصف ذراع.

و قال ابن النجار: طول منبر النبى صلّى اللّه عليه و سلّم ذراعان و شبر و ثلاث أصابع، و عرضه ذراع

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۳

راجح، و طول صدره- و هو مستند النبى صلّى اللّه عليه و سلّم- ذراع، و طول رمانتى المنبر اللتين كان يمسكهما بيده الكريمتين إذا جلس شبر و أصبعان، و عرضه ذراع فى ذراع، يريد و تربيعه سواء، و لا يخفى ما فيه من المخالفة لكلام ابن زبالة.

و قال ابن زبالة فى الكلام على فضل ما بين القبر و المنبر، بعد ذكر المرمر الذى حول المنبر، ما لفظه: و فى المنبر من أسفله إلى أعلاه سبع كوى مستطيرة من جوانبه الثلاث، و فى جنبه الذى عمل مروان من قبل المشرق ثمانى عشرة كوة مستديرة شبه المربعة، و من قبل المغرب ثمانى عشرة كوة مثل ذلك، و كان فيه خمسة أعواد تدور، فذهب بعضها و بقى اثنان منها، فسقط أحدهما فى سلطان داود بن عيسى على المدينة فى سنة ثمان و تسعين و مائة، فأمر به فأعيد.

و قال فى موضع آخر: و فيما عمل مروان فى حائط المنبر الخشب عشرة أعواد لا يتحركن، ثم قال: و فى منبر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم خاصة خمسة أعواد من جوانبه الثلاث، فذهب بعضها.

و قال بعد ما تقدم عنه فى ذرع منبره صلّى اللّه عليه و سلّم ما لفظه: و ذرع طول المنبر اليوم أربع أذرع، و عرضه ذراع و شىء يسير، و ما بين الرمانة المؤخرة و الرمانة التى كانت فى منبر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم القديم ذراع و شىء، و ما بين رمانة منبر النبى صلّى اللّه عليه و سلّم إلى الرمانة المحدثة فى مقدم المنبر ذراعان و عظم الذراع، و ما بين الرمانة و الأرض ثلاث أذرع و شىء، و طول المنبر اليوم من أسفل عتبته إلى مؤخره سبع أذرع- أى بتقديم السين- و شبر، و طوله فى الأرض إلى مؤخره ست أذرع، هذه عبارته بحروفها، و يتعين حمل كلامه على أن امتداد المنبر فى الأرض من أسفل عتبته الرخام التى أمامه إلى مؤخر المنبر سبعة أذرع و شبر، و طول امتداده و هو فى الأرض إلى مؤخره مع إسقاط العتبة ست أذرع، حتى يلتئم كلامه، و قد ذكر فيما قدمناه عنه أن حول المنبر مرمر مرتفع قدر الذراع، و فيه شىء محدث غير مرتفع زاده الحسن بن زيد.

و قال فى موضع آخر: و المنبر مبنى فوق رخام، و هو فى وسط الرخام، فسمى المرمر رخاما، و قال: إن هذا الرخام حده من الأسطوانتين اللتين فى قبلة المنبر- أى خلفه- إلى الأسطوانتين اللتين تليانهما مما يلى الشام- أى أمام المنبر- و قد سمى ابن النجار هذا الرخام الذى عليه المنبر دكة، و قال: إن طولها شبر و عقد، يعنى فى الارتفاع، و سمى ذلك أبو الحسين بن جبير فى رحلته حوضا، و كأنه أخذ هذه التسمية مما ورد فى أن المنبر على الحوض، و ذكر فى طول هذا الرخام و عرضه ما يقرب مما قدمناه فى حدود المسجد النبوى، قال: و ارتفاعه شبر و نصف.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۴

قلت: و لما حفر متولى العمارة فى زماننا أرض المسجد الشريف و سواها بأرض المصلى الشريف وجد هذا الرخام المذكور، و

ارتفاعه عن أرض المصلى الشريف نحو ما ذكره ابن النجار و ابن جبير؛ ثم لما أرادوا تأسيس المنبر الرخام الآتى ذكره حفروا حول الدكة المذكورة فظهر أنها منخفضة عن أرض المصلّى الشريف التى استقر عليها الحال اليوم يسيرا، و خلفها من جهة القبلة إفريز نحو ثلث ذراع، و طولها سبع أذرع، بتقديم السين، و شبر، و هى مجوفة شبيهة بالحوض، فصح ما ذكره ابن جبير فى تسميتها حوضا، و صح أيضا ما سيأتى عنه من أن سعة المنبر خمسة أشبار؛ لأن جوف هذا الحوض الذى وجدناه بما دخل من عمودى المنبر فى أحجاره خمسة أشبار، و قول ابن زبالة أولا- «و ذرع طول المنبر اليوم أربع أذرع» مراده ارتفاعه فى الهواء مع الدرج الست التى زادها مروان؛ فيكون طول الدرج الست ذراعين؛ فتكون كل درجة ثلث ذراع، فيقرب مما قدمه ابن زبالة فى طول درج منبر النبى صلّى اللّه عليه و سلم، و هو الذى تقتضيه المناسبة.

و نقل الزين المراغى عن ابن زبالة أنه قال: طول منبر النبى صلّى اللّه عليه و سلّم بما زيد فيه أربعة أذرع، و من أسفل عتبته إلى أعلاه تسعة أذرع و شبر.

قلت: كذا رأيته بخط الزين، و ضبط قوله: «تسعة أذرع» بتقديم التاء الفوقية، و هو غلط فى النسخة التى وقعت له؛ لأن الذى قدمناه عن ابن زبالة إنما هو من أسفل عتبته إلى مؤخره، و قررناه بما تقدم، و إنما قضينا على ذلك بالغلط لأنه حينئذ لا يلتئم أطراف كلامه، و لأنه يقتضى أن يكون ارتفاع المنبر فى الهواء تسعة أذرع، بتقديم التاء، و شبرا، فإذا قام عليه القائم يقرب من سقف المسجد، و يبعد كل البعد كون منبر فى ذلك الزمان ارتفاعه هذا القدر، و أيضا فابن زبالة قد صرح بأن الذى زاده مروان ست درج، فيلزم أن يكون كل درجة ذراعا و شيئا، و هو فى غاية البعد، و ما نقلناه عن ابن زبالة يقرب مما ذكره ابن النجار؛ فإنه قال عقب ما قدمناه عنه فى وصف منبر النبى صلّى اللّه عليه و سلّم ما لفظه: و طول المنبر اليوم ثلاثة أذرع و شبر و ثلاث أصابع، و الدكة التى عليها من رخام طولها شبر و عقد، و من رأسه- أى المنبر- دون دكته إلى عتبته خمسة أذرع و شبر و أربع أصابع، و قد زيد فيه اليوم عتبتان و جعل عليه باب يفتح يوم الجمعة، انتهى؛ فهو قريب مما ذكره ابن زبالة من أن طول المنبر- يعنى فى الهواء- أربعة أذرع، و امتداده هو خاصة فى الأرض من عتبته إلى مؤخره ستة أذرع، و يوافق أيضا ما ذكره الفقيه أبو الحسين محمد بن جبير من حديث القدر، فإنه قال: رأيت منبر المدينة الشريف فى عام ثمان و سبعين و خمسمائة، و ارتفاعه من الأرض نحو القامة أو أزيد، و سعته خمسة أشبار، و طوله خمس خطوات، و أدراجه ثمانية، و له باب على هيئة الشباك مقفل يفتح يوم الجمعة، و طوله- أى الباب- أربعة أشبار و نصف شبر، و هذا

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۵

المنبر هو الذى وصفه ابن النجار فيما يظهر؛ لأنه وضع تاريخه سنة ثلاث و تسعين و خمسمائة، و توفى قبل حريق المسجد سنة ثلاث و أربعين و ستمائة، و كان احتراق المسجد كما سيأتى سنة أربع و خمسين و ستمائة، و فيه احترق هذا المنبر، و فقد الناس بركته.

و قد زاد ابن جبير على ابن النجار فى وصف هذا المنبر فقال: و هو مغشّى بعود الآبنوس، و مقعد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم من أعلاه ظاهر قد طبق عليه لوح من الآبنوس غير متصل به يصونه من القعود عليه؛ فيدخل الناس أيديهم إليه و يمسحونه بها تبركا بلمس ذلك المقعد الكريم، و على رأس رجل المنبر الأيمن حيث يضع الخطيب يده إذا خطب حلقة فضة مجوفة مستطيلة تشبه حلقة الخياط التى يضعها فى أصبعه إلا أنها أكبر منها، و هى لاعبة تستدير فى موضعها، انتهى.

و الظاهر: أن هذا المنبر غير الذى وصفه ابن زبالة لأنه لم يصفه بذلك، و يوضح ذلك ما ذكره فى الطراز لسند من المالكية حيث قال: إن منبر النبى صلّى اللّه عليه و سلّم جعل عليه منبر كالغلاف، و جعل فى المنبر الأعلى طاق مما يلى الروضة، فيدخل الناس منها أيديهم يمسحون منبر النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و يتبركون بذلك، انتهى؛ فهذا شىء حدث بعد ابن زبالة.

و قد قال المطرى: حدثنى يعقوب بن أبى بكر من أولاد المجاورين، و كان أبوه أبو بكر فراشا من قوام المسجد، و هو الذى كان حريق المسجد على يده، أن المنبر الذى زاده معاوية و رفع منبر النبى صلّى اللّه عليه و سلّم تهافت على طول الزمان، و أن بعض خلفاء

بنى العباس جدده، و اتخذ من بقايا أعواد منبر النبى صلّى اللّه عليه و سلّم أمشاطا للتبرك، و عمل المنبر الذى ذكره ابن النجار فيما تقدم.

قال يعقوب: سمعت ذلك من جماعة بالمدينة ممن يوثق بهم، و أن المنبر المحترق هو الذى جدده الخليفة المذكور، و هو الذى أدركه ابن النجار؛ لأن وفاته قبل الحريق.

قلت: و ظاهر كلام ابن عساكر فى تحفته أنه كان قد بقى من المنبر الشريف بقايا فقط إلى احتراق المسجد، و هو من أدرك حريقه، و أورد فى كتابه ما ذكره شيخه ابن النجار، و لفظه: و قد احترقت بقايا منبر النبى صلّى اللّه عليه و سلّم القديمة، وفات الزائرين لمس رمانة المنبر التى كان صلّى اللّه عليه و سلّم يضع يده المقدسة المكرمة عليها عند جلوسه عليه، و لمس موضع جلوسه منه بين الخطبتين و قبلهما، و لمس موضع قدميه الشريفتين بركة عامة و نفع عائد، و فيه صلّى اللّه عليه و سلّم عوض من كل ذاهب و درك من كل فائت، انتهى. و هو صريح فى بقاء ما ذكره إلى حين الحريق، و يؤيده ما تقدم عن رحلة ابن جبير و صاحب الطراز، بل ظفرنا بما يشهد لصحة ذلك؛ فإنه لما أراد متولى العمارة تأسيس المنبر الرخام الآتى ذكره حفروا على الدكة التى تقدم أن المنبر

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۶

كان عليها فوجدت مجوفة كالحوض، و به عبر ابن جبير عنها، فوجدوا فيما يلى القبلة منها قطعا كثيرة من أخشاب المنبر المحترق- أعنى الذى كان فيه بقايا منبر النبى صلّى اللّه عليه و سلّم- فوضعها الأقدمون فى جوف ذلك المحل حرصا على البركة، و بنوا فوقها بالآجر بحيث سدوا جوف ذلك الحوض كله، فصار دكة مستوية، و وضعوا المنبر الآتى ذكره عليها، و شاهدت آثار قائمتى المنبر الشريف اللتين كان بأعلاهما رمانتاه قد نحت لهما فى الحجر المحيط بالحوض المذكور على نحو ذراع و ثلث من طرف باطن الحوض المذكور مما يلى القبلة، وسعة الحوض المذكور خمسة أشبار كما ذكره ابن جبير فى سعة المنبر، و عرض جدار الحوض المذكور خلف المنبر نحو نصف ذراع، و قد حرصت على وضع ما وجد من تلك الأخشاب فى محلها، فوضع ما بقى منها فى محله من الحوض المذكور، و بنوا عليه كما سيأتى، و اللّه أعلم.

و لما احترق المنبر المذكور فى جملة الحريق أرسل الملك المظفر صاحب اليمن فى سنة ست و خمسين منبرا له رمانتان من الصندل، فنصب فى موضع منبر النبى صلّى اللّه عليه و سلّم كما ذكره المطرى فمن بعده، قال: و لم يزل يخطب عليه عشر سنين، فلما كان فى سنة ست و ستين و ستمائة أرسل الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى هذا المنبر الموجود اليوم أى: زمن المطرى، فقلع منبر صاحب اليمن، و حمل إلى حاصل الحرم، و نصب هذا المنبر مكانه، و طوله أربع أذرع فى السماء، و من رأسه إلى عتبته سبع أذرع يزيد قليلا، و عدد درجاته تسع بالمقعد.

قال المجد: و له باب بمصراعين، فى كل مصراع رمانة من فضة، و مكتوب على جانبه الأيسر اسم صانعه «أبو بكر بن يوسف النجار» و كان من أكابر الصالحين الأخيار، و هو الذى قدم بالمنبر إلى المدينة، فوضعه فى موضعه، فأحسن وضعه، و أتقن نجارته و صنعته، ثم انقطع فى المدينة.

قال الزين المراغى: و بقى منبر الظاهر بيبرس يخطب عليه من سنة ست و ستين و ستمائة إلى سنة سبع و تسعين و سبعمائة، فكانت مدة الخطبة عليه مائة سنة و اثنتين و ثلاثين سنة، فبدأ فيه أكل الأرضة؛ فأرسل الظاهر برقوق صاحب مصر هذا المنبر الموجود اليوم: أى زمن المراغى، أرسله فى آخر سنة سبع و تسعين و سبعمائة، و قلع منبر الظاهر بيبرس، انتهى.

قلت: و لم يزل هذا المنبر موجودا إلى ما بعد العشرين و ثمان مائة، كما أخبرنى به جماعة من مشايخ الحرم منهم الشيخ صالح المعمر الجمال عبد اللّه بن قاضى القضاة عبد الرحمن بن صالح، قال: فأرسل سلطان مصر الملك «المؤيد شيخ» هذا المنبر الموجود اليوم عام اثنين و عشرين و ثمان مائة.

ثم رأيت فى كلام الحافظ شيخ الإسلام ابن حجر أن المنبر الموجود اليوم أرسله المؤيد

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۷

سنة عشرين و ثمان مائة؛ فهذا هو المعتمد، لكن لم يطلع ابن حجر على ما ذكره المراغى من منبر الظاهر برقوق، و جعل إتيان منبر المؤيد هذا بدلا عن منبر الظاهر بيبرس، و كلام المراغى أولى بالاعتماد فى ذلك؛ فإنه كان بالمدينة حينئذ، و على هذا فمدة الخطبة على منبر الظاهر برقوق ثلاث أو أربع و عشرون سنة، ثم وضع منبر المؤيد.

و أخبرنى السراج النفطى أنه صنعه أهل الشام، و جاءوا به المؤيد ليجعله بمدرسته المؤيدية، فوجدوا أهل مصر قد صنعوا لها منبرا، فجهز المؤيد منبر أهل الشام إلى المدينة الشريفة، و قال لى الجمال عبد الله بن صالح: شاهدت وضعه موضع المنبر الذى كان قبله.

قلت: و يدل على صحة ذلك ما قدمناه من اختبار ذرع ما بينه و بين المصلى الشريف؛ إذ المنقول أن بينهما أربعة عشر ذراعا و شبرا، و قد اختبرته من ناحية المصلى الشريف إلى ما حاذاه من المنبر فى المغرب فكان كذلك؛ فوضعه من هذه الجهة صحيح لا شك فيه، و أما من جهة القبلة فقد قال المطرى: إن المنبر الذى أدركه بينه و بين الدرابزين الذى فى قبلة الروضة مقدار أربعة أذرع و ربع ذراع، و قد ذكر الزين المراغى فى كتابه ما ذكره المطرى من الذرع، و لم يتعقبه؛ فاقتضى أن المنبر الذى تقدم وضعه فى زمنه وضع موضع المنبر الذى كان فى زمان المطرى، و أقر أيضا قول المطرى فى حدود المسجد أن المنبر لم يغير عن منصبه الأول.

و قد ذكر ابن جماعة أيضا ذرع ما بين المنبر و الدرابزين، و هو يعنى المنبر الموجود زمن المطرى، فقال: إن بينهما ثلاثة أذرع بذراع العمل، و هو أزيد مما ذكره المطرى بربع ذراع راجح؛ لأن ذراع العمل كما تقدم ذراع و نصف، و كأن المطرى يعنى ذراع المدينة اليوم كما يؤخذ من كلام المراغى فيوافق كلام ابن جماعة، و الذى بين هذا المنبر الموجود اليوم و بين الدرابزين المذكور ذراعان و ثلث بذراع العمل، و ذلك ثلاثة أذرع و نصف من الذراع الذى قدمنا أنه المراد عند الإطلاق؛ فيحتمل أن يكون هذا المنبر مقدم الوضع لجهة القبلة على المنبر الذى كان قبله، و هو مقتضى ما نقله الأثبات، لكنى أستبعده للأخبار ممن لقيناه بوضعه موضع ذاك.

ثم تبين عند انكشاف الدكة التى تقدم ذكرها من آثار المنبر المحترق قديما ما علمنا به صواب ما ذكره المطرى و غيره أن هذا المنبر مقدم الوضع على الذى قبله من جهة القبلة بما يقرب من ذراع، و كذا ظهر زيادته من جهة الشام أيضا على الدكة الأصلية المتقدم وصفها بقريب من ذراع، و وجد محرفا عنها من طرفه الشامى نحو المغرب قدر شبر لما فيها من التيامن الذى تقدمت الإشارة إليه فى التنبيه الثالث من الفصل قبله، و كنت قد أيدت وضعه بكونه أقرب إلى ما ورد فيما كان بين المنبر و الجدار القبلى كما سيأتى فانكشف الحق لذى

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۸

عينين، و الذى لقيناه و أخبر بوضعه موضع المنبر الذى كان قبله هو الجمال بن صالح فى آخر عمره، و كان غير تام الضبط حينئذ، و كنت قد أيدت خبره بأنا قد قدمنا إلى الصندوق الذى فى قبلة المصلى الشريف فى عرض الجدار، و أن المصلى الشريف لم يغير باتفاق، و أن منبر النبى صلّى اللّه عليه و سلّم كان بينه و بين الجدار القبلى ممر الشاة أو ممر الرجل منحرفا، و أقصى ما قيل فيه ذراع و شىء كما قدمناه، فإذا أسقطت قدر ما بين طرف المصلى الشريف و الدرابزين الذى أمامه مما بين المنبر اليوم و الدرابزين المذكور و هو ثلاثة أذرع و نصف بقى ذراع، و هو نحو القدر المنقول فيما بين المنبر القديم و جدار المسجد الشريف، ثم تبين لنا مما سبق فى حدود المسجد النبوى و بانكشاف المرمر الذى فى قبلة المنبر تقدم الدرابزين المذكور عن ابتداء المسجد النبوى بأزيد من ذراع كما قدمناه فى حدود المسجد النبوى؛ فالصواب ما ذكره المطرى و من تبعه.

و طول هذا المنبر فى السماء سوى قبته و قوائمها، بل من الأرض إلى محل الجلوس، ستة أذرع و ثلث، و ارتفاع الخافقتين اللتين يمين المجلس و شماله ذراع و ثلث، و امتداد المنبر فى الأرض من جهة بابه إلى مؤخره ثمانية أذرع و نصف راجحة، و عدد درجه ثمانية، و بعدها مجلس ارتفاعه نحو ذراع و نصف، و قبته مرتفعة، و لها هلال قائم عليها مرتفع أيضا، و ما أظن منبرا وضع قبله فى موضعه أرفع منه، و له باب بصرعتين.

و قد احترق هذا المنبر فی حریق المسجد الثانی الحادث فی رمضان عام ستة و ثمانین و ثمان مائة، فکانت مدة الخطبة علیه نحو سبع و ستین سنة.

و لما نظف أهل المدینة محله جعلوا فی موضعه منبرا من آجر مطلی بالنورة، و استمر یخطب علیه إلی أثناء شهر رجب سنة ثمان و ثمانین، فهدم رابع الشهر المذکور، و حفروا لتأسیس المنبر الرخام الموجود الیوم ظاهر الدکة المتقدم ذکرها، فوجدت علی النحو المتقدم، و نقضوا من بعضها قریب القامة فلم یبلغوا نهایتها، و وجدوها محکمة التأسیس فی الأرض، فأعادوها کما کانت، إلا ما کان فوقها من نحو أزید من نصف ذراع من الآجر، و سوّوا ما وجد مجوفا منها کالحوض بالبناء بعد وضع ما تقدم ذکره مما وجد بمقدمها من بقایا المنبر القدیم المحترق فی الحریق الأول بمقدمها أیضا، و کانوا قد سألونی عن ابتداء حد المنبر القدیم من جهة القبلة و الروضة فأخبرتهم بذلک، و أن ذلک الحوض و ما به من محل قوائم المنبر الأصلی إمام یقتدی به لموافقته ما ذکره المؤرخون قدیما و حدیثا، فشرعوا فی وضع رخام المنبر علیها علی سمت ما ظهر من الفرضة التی وجدوها فی الحوض المذکور علی الاستقامة من غیر انحراف، و بینها و بین طرف الدکة الشرقی خمسة أصابع، لما ظهر من أن المنبر الأصلی کان بالحوض المذکور، و مشاهدة محل قوائمه نقرا فی الحجر و بقایا الرصاص

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفی، ج۲، ص: ۱۹

الذی کانت القوائم مثبتة به، و ما وصفه المؤرخون فی أمر المنبر الأصلی شاهد لذلک، و معلوم أن الحوض الموجود فی باطن تلک الدکة لا یمکن وضع المنبر فیه إلا علی الاستقامة، سیما و قد طابقت سعته ما ذکره ابن جبیر فی سعة المنبر الأصلی، و إحکام تلک الدکة بحیث إنهم حفروا منها قرب القامة، و لم یدرکوا آخرها، و إتقان فرضتی الحوض المذکور بالرصاص، و ترخیم تلک الدکة قدیما، کله قاض بجعل السلف لها من أجل وضع المنبر فیها، کما صرح به المؤرخون، و لم یکن السلف مع عظیم إتقانهم یجعلونها لوضع المنبر و یحرفونها عن وضعه؛ لأن وضعها تابع لوضعه إذ جعلت من أجله، و قد کان وضعه مشاهدا لهم؛ لوجود المنبر النبوی بین أظهرهم و إتقانها و ما سبق من المتقدمین فی ذکر ترخیمها شاهد بعملها فی عمارة عمر بن عبد العزیز للمسجد إن لم یکن من زمن معاویة رضی الله عنه عند تحریکه المنبر کما سبق، و لم أرتب عند مشاهدتها فی وضع المنبر بها کذلک، و تیامن حوضها الذی کان المنبر به یسیر جدا لا یخرج صدر المستقبل عن القبلة، و قد أشار یحیی فیما قدمناه عنه فی التنبیه الثالث إلی تصویب وضعه، و أیضا فقد یکون النبی صلّی اللّه علیه و سلّم وضعه متیامنا لما أوضحناه فی الرسالة الموسومة بالنصیحة، و المنبر جماد لیس بمصل حتی یحرر أمره فی الاستقبال و یترک ما وجد من حدوده الأصلیة المجمع علیها فی الأعصر الماضیة المترتب علیها حدود الروضة الشریفة، فشرعوا فی وضع رخام المنبر المذکور علی النحو الذی ذکرته، غیر أنهم جعلوا جداره من جهة القبلة علی الأحجار التی خلف الحوض من جهة القبلة؛ لاقتضاء نظرهم ذلک، و لو کان لی من الأمر شیء ما وافقت علیه.

ثم وقع من بعض ذوی النفوس ما أوضحناه فی الرسالة الموسومة (بالنصیحة الواجبة القبول، فی بیان وضع منبر الرسول) صلّی اللّه علیه و سلّم.

و الحاصل: أنهم نقضوا ما سبق، و زادوا خلف أحجار الحوض المذکور نحو ربع ذراع العمل حتی ساوی ذلک محل المنبر المحترق من جهة القبلة، و حرفوه علی تلک الدکة لجهة المغرب أزید من تحریف المنبر المحترق، و جعلوا هذا المنبر فی محل المحترق من جهة القبلة و مساو لطرفها الشرقی مما یلی القبلة أیضا، و زعموا أنه لا یعول علی کلام من قدمناه من الأئمة، و یتحرر مما سبق أنه مقدم علی محل المنبر الأصلی لجهة القبلة بعشرین قیراطا من ذراع الحدید، و هو نحو ذراع الید، و أن المنبر النبوی لم یقع فی محله نغیر إلا من تاریخ وضع المنبر المحترق فی زماننا لأنه خفی علی واضعه ما فی جوف الدکة المذکورة، و لم یدرکه أحد من مؤرخی المدینة، و کان مفرط الطول بحیث کان قاطعا للصف الباقی من الروضة، و قد اقتدی به واضع هذا المنبر لکونه من آبائه، و لم یبال ولی الأمر بتفویته المنقبة العظیمة فی إعادة وضع منبر الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم علی ما کان علیه، و هذا المنبر- أعنی الرخام-

أقصر من امتداد المنبر المحترق فى الأرض بنحو ثلاثة أرباع ذراع، و عدد درجه مع مجلسه كالمحترق، و محل عود

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۰

المنبر الأصلى منه مما يلى الروضة و هو الذى كان بأعلاه رمانة المنبر النبوى قبل عمود هذا المنبر بأزيد من قيراط، و ذلك على نحو ذراعين و شىء من طرف المنبر المذكور من القبلة.

و قد اشتهر محله من أحجار الدكة المذكورة بسبب تحريف المنبر المذكور بحيث تغيرت حدود الروضة الشريفة، و لا حول و لا قوة إلا بالله العلى العظيم.

كسوة المنبر

و فى يوم الجمعة يجعل على باب المنبر ستر من حرير أسود مرقوم بحرير أبيض و قد قدمنا أول من كسا المنبر.

و أسند ابن زبالة عن هشام بن عروة أن ابن الزبير كان يلبس منبر النبى صلّى اللّه عليه و سلّم القباطى فسرقت امرأة قبطية فقطعها، و قال ابن النجار: و لم يزل الخلفاء إلى يومنا هذا يرسلون فى كل سنة ثوبا من الحرير الأسود له علم ذهب يكسى به المنبر، قال: و لما كثرت الكسوة عندهم أخذوها فجعلوها ستورا على أبواب الحرم.

ستور الأبواب كسوة الحجارة

قلت: قد استقر الأمر بعد قتل الخليفة المستعصم على حمل الكسوة من مصر كما قاله الزين المراغى قال: و الأبواب مستقلة اليوم بستور، قال: و إنما يظهرونها فى أوقات المهمات كقدوم أمير المدينة، و ذكر ما سيأتى فى كسوة الحجرة من وقف قرية بمصر على ذلك و على كسوة الكعبة الشريفة؛ فالكعبة تكسى كل عام مرة، و الحجرة و المنبر فى كل ست سنين مرة.

و قال المجد: و المنبر يحمل له فى كل سبعة أعوام أو نحوها من الديار المصرية كسوة معظمة ملوكية يكساها من الجمعة إلى الجمعة، و رايتان سوداوان ينسجان أبدع نسج يرفعان أمام وجه الخطيب فى جانبى المنبر قريبا من الباب.

قلت: فى زماننا تمضى السبع سنين و العشر و أكثر من ذلك و لا تصل كسوة، و الذى يجعل اليوم على المنبر إنما هو الستر المتقدم ذكره مع الرايتين اللتين ذكرهما المجد، و الله أعلم.

الفصل الخامس فى فضائل المسجد الشريف

اشارة

قال الله تعالى: لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ [التوبة: ۱۰۸].

المسجد الذى أسس على التقوى

روينا فى صحيح مسلم عن أبى سعيد الخدرى قال: دخلت على رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم فى بيت لبعض نسائه، فقلت: يا رسول الله، أى المسجدين الذى أسس على التقوى؟ قال:

فأخذ كفا من حصباء فضرب به الأرض، ثم قال: هو مسجدكم هذا، لمسجد المدينة.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۱

و لأحمد و الترمذى من وجه آخر عن أبى سعيد: اختلف رجلان فى المسجد الذى أسس على التقوى، فقال أحدهما: هو مسجد النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، فسألاه عن ذلك، فقال: هو هذا، و فى ذلك- يعنى مسجد قباء- خير كثير، و أخرجه أحمد من وجه آخر مرفوعا، و فى العتبية عن مالك ما لفظه: و قال: المسجد الذى ذكر اللّه عز و جل أنه أسس على التقوى من أول يوم الآية هو مسجد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم هذا، أى مسجد المدينة، ثم قال: أين كان يقوم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم؟ أ ليس فى هذا؟ و يأتونه أولئك من هنالك.

و قد قال اللّه سبحانه و تعالى: وَ إِذا رَأَوْا تِجارَةً أَوْ لَهْواً انْفَضُّوا إِلَيْها وَ تَرَكُوكَ قائِماً [الجمعة: ۱۱] فإنما هو مسجد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم.

و قد قال عمر بن الخطاب: لو لا أنى رأيت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم أو سمعته يريد أن يقدم القبلة، و قال عمر بيده هكذا، ما قدمتها، ثم قدمها عمر موضع المقصورة الآن، انتهى.

قال ابن رشد فى بيانه: ما ذهب إليه مالك مروى عن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، و ذهب قوم إلى أنه مسجد قباء، فاستدلوا بما روى أن الآية لما نزلت قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم: يا معشر الأنصار، إن اللّه قد أثنى عليكم خيرا، الحديث، قال: و لا دليل فيه؛ لأن أولئك كانوا فى مسجد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم؛ لأنه كان معمورا بالمهاجرين و الأنصار و من سواهم، قال: و استدلال مالك بقول عمر المتقدم ظاهر؛ لأن اللّه تعالى لما ذكر فيه أنه أسس على التقوى لم يستجز نقض بنائه و تبديل قبلته، إلا بما سمع من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم فى ذلك و رآه قد أراد أن يفعله.

قلت: ما ذكره مالك من كون مسجد المدينة هو المراد هو ظاهر ما قدمناه، لكن قوله تعالى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ يقضى أنه مسجد قباء؛ لأنه ليس المراد أول أيام الدنيا، بل أول أيام حلوله صلّى اللّه عليه و سلّم بدار الهجرة، و ذلك هو مسجد قباء إلا أن يدعى أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم شرع فى تأسيس مسجد المدينة أيضا من أول يوم قدومه لها، أو يقال: المراد من أول يوم تأسيسه، و سيأتى فى مسجد قباء أشياء صريحة فى أنه المراد؛ فتعين الجمع بأن كلا منهما يصدق عليه أنه أسس على التقوى من أول يوم تأسيسه كما هو معلوم، و أنهما المراد من الآية، لكن يشكل عليه كون النبى صلّى اللّه عليه و سلّم أجاب عند السؤال عن ذلك بتعيين مسجد المدينة، و جوابه أن السر فى ذلك أنه صلّى اللّه عليه و سلّم أراد به رفع توهم أن ذلك خاص بمسجد قباء كما هو ظاهر ما فهمه السائل، و تنويها بمزية مسجده الشريف لمزيد فضله، و اللّه أعلم.

فضل مسجد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم

و فى الصحيحين حديث أبى هريرة «لا تشدّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدى، و المسجد الحرام، و المسجد الأقصى».

و عند مسلم: «إنما يسافر إلى ثلاثة مساجد: الكعبة، و مسجدى، و مسجد إيلياء».

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۲

و عند أبى داود بلفظ: «و مسجدى هذا».

و فى الكبير و الأوسط للطبرانى برجال ثقات عن ابن عمر، و برجال الصحيح عن أبى الجعد الضّمرى «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد»، و ذكر نحو رواية الصحيحين.

و فى صحيح ابن حبان و مسند أحمد و الأوسط للطبرانى و إسناده حسن من حديث جابر: «خير ما ركبت إليه الرواحل مسجدى هذا و البيت العتيق».

و هو عند البزار بلفظ: «خير ما ركبت إليه الرواحل مسجد إبراهيم و مسجد محمد صلّى اللّه عليه و سلّم» و رجاله رجال الصحيح إلا

عبد الرحمن بن أبى الزناد و قد وثقه غير واحد.

فضل الصلاة فى مسجد الرسول صلّى اللّه عليه و سلّم فى الصحيحين من حديث أبى هريرة رضى الله عنه: «صلاة فى مسجدى هذا خير من ألف صلاة فى ما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام» هذا لفظ البخارى، زاد مسلم: «فإنى آخر الأنبياء، و إن مسجدى آخر المساجد».

قلت: يريد آخر مساجد الأنبياء كما نقله المحب الطبرى عن أبى حاتم، و إلا فهو من أول مساجد هذه الأمة، و إذا كانت الألف و اللام هنا لمعهود- و هو مساجد الأنبياء- فالألف و اللام أيضا فى قوله «فيما سواه من المساجد» للعهد، و المراد مساجد الأنبياء؛ فيتحصل من معناه أن الصلاة فى مسجده أفضل من الصلاة فى سائر مساجد الأنبياء بألف صلاة إلا المسجد الحرام؛ فيقتضى ذلك أن تكون الصلاة بمسجده أفضل من ألف صلاة فى بيت المقدس؛ لأنه من جملة مساجد الأنبياء، و لم يستثن، و يدل على ذلك ما رواه البزار عن أبى سعيد قال: ودّع رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم رجل فقال له: أين تريد؟ قال: أريد بيت المقدس، فقال رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم: صلاة فى مسجدى أفضل من ألف صلاة فى غيره إلا المسجد الحرام، و أسنده يحيى بزيادة تسمية الرجل فقال: عن الأرقم أنه تجهز يريد بيت المقدس، فلما فرغ من جهازه جاء إلى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم يودعه، و قال فيه: فجلس الأرقم و لم يخرج، و أسنده ابن النجار عن الأرقم بلفظه: إننى أريد الخروج إلى بيت المقدس، قال صلّى اللّه عليه و سلّم: و لم؟ قلت: للصلاة فيه، قال: هاهنا أفضل من الصلاة هناك ألف مرة، و رواه الطبرانى برجال ثقات عن الأرقم بلفظ: صلاة هاهنا خير من ألف صلاة ثم.

و قد روى أبو يعلى برجال ثقات عن ميمونة قالت: يا رسول الله أفتنا فى بيت المقدس، قال: أرض المحشر، و أرض المنشر، ائتوه فصلوا فيه، فإن صلاة فيه كألف صلاة- أى فى غيره من مساجد الأنبياء قبله، و مساجد غير الأنبياء ما عدا المسجدين- لقيام الدليل على ذلك؛ فتكون الصلاة بمسجد المدينة خيرا من ألف ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام و المسجد الأقصى، فأما المسجد الأقصى فإنها أفضل من ألف صلاة فيه

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۳

فقط، و لا يعلم قدر زيادتها فى الفضل على ذلك إلا الله تعالى، و لمثل هذا تضرب آباط الإبل، و تستحق الرحلة، و لا يعكر على ذلك ما رواه أحمد برجال الصحيح عن أبى هريرة و عائشة قالا: قال رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم: «صلاة فى مسجدى خير من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الأقصى» لأن المحفوظ إنما هو استثناء المسجد الحرام، و حديث أبى هريرة فى الصحيح خلا قوله: «إلا المسجد الأقصى» و هو معارض بما تقدم، و لأن الهيثمى أورده فى مجمع الزوائد ثم قال: رواه أحمد، و أعاده بعد هذا بسنده فقال: إلا المسجد الحرام، فاتضح بذلك ما قلناه.

و أما المسجد الحرام فاختلف الناس فى معنى استثنائه، فذهب مالك فى رواية أشهب عنه- و قاله ابن نافع صاحبه و جماعة من أصحابه- إلى أن معنى الاستثناء أن الصلاة فى مسجد الرسول أفضل من الصلاة فى سائر المساجد بألف صلاة، إلا المسجد الحرام فإن الصلاة فى مسجد النبى صلّى اللّه عليه و سلّم أفضل من الصلاة فيه بدون الألف، و ذهب بعضهم إلى أن الصلاة فى مسجد المدينة أفضل من الصلاة فى مسجد مكة بمائة صلاة، و حمل على ذلك الاستثناء فى الحديث المتقدم، و احتجوا برواية سليمان بن عتيق عن ابن الزبير عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه: «صلاة فى المسجد الحرام خير من مائة صلاة فى ما سواه» فيأتى فضيلة مسجد الرسول عليه بتسعمائة، و على غيره بألف، و تعقّب بأن المحفوظ بالإسناد المتقدم «صلاة فى المسجد الحرام أفضل من ألف صلاة فيما سواه، إلا مسجد الرسول فإنما فضله عليه بمائة صلاة».

قلت: و روى الطبرانى فى الأوسط عن عائشة مرفوعا: «صلاة فى المسجد الحرام أفضل من مائة صلاة فى غيره» لكن فيه سويد بن عبد العزيز، قال البخارى: فى حديثه نظر لا يحتمل، و قد صح ما يقتضى رد ما ذهب إليه هؤلاء؛ فقد روى أحمد و البزار و ابن خزيمة برجال الصحيح من طريق حبيب المعلم عن عطاء عن عبد الله بن الزبير قال: قال رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم: «صلاة فى مسجدى

هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد، إلا المسجد الحرام، و صلاة فى المسجد الحرام أفضل من مائة صلاة فى هذا» زاد ابن خزيمة: «يعنى فى مسجد المدينة» لكن لفظ البزار: «صلاة فى مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه، إلا المسجد الحرام فإنه يزيد عليه بمائة» و هى محتملة لأن يكون الضمير فى «فإنه يزيد» لمسجده أو للمسجد الحرام، و قد صحح ابن عبد البر حديث أحمد، و قال: هو الحجة عند التنازع، نص فى موضع الخلاف، قاطع له عند من ألهم رشده، و لم تمل به العصبية، قال: و لا مطعن فيه إلا لمتعسف لا يعرج على قوله فى حبيب، و قد كان الإمام أحمد يمدحه، و يوثقه، و يثنى عليه، و كان عبد الرحمن بن مهدى يحدث عنه، و لم يرو عنه القطان، و روى عنه أئمة ثقات يقتدى بهم، و منهم من أعله باختلاف على عطاء؛ لأن قوما يروونه عنه عن ابن

الزبير، و آخرين يروونه عنه عن ابن عمر، و آخرين عنه عن جابر، و من العلماء من يجعل مثل هذا علة فى الحديث، و ليس كذلك؛ لأنه يمكن أن يكون عن عطاء عنهم، و الواجب أن لا يدفع خبر نقله العدول إلا بحجة.

قال البزار: هذا الحديث قد روى عن عطاء، و اختلف على عطاء فيه، و لا نعلم أحدا قال بأنه يزيد على مسجد المدينة مائة إلا ابن الزبير، و قد تابع حبيبا المعلم الربيع بن صبيح؛ فرواه عن عطاء عن ابن الزبير، و رواه عبد الملك بن أبى سليمان عن عطاء عن ابن عمر، و رواه ابن جريج عن عطاء بن أبى سلمة عن أبى هريرة أو عائشة، و رواه ابن أبى ليلى عن عطاء عن أبى هريرة، انتهى.

و قال الذهبى فى مختصر سنن البيهقى: إسناده صالح، و لم يخرجه أصحاب السنن.

قلت: هذا أمر آخر، و هو أن الحديث المذكور لما اختلف لفظه على وجهين أحدهما ليس نصا فى الدلالة كما قدمناه احتمل أن تكون الرواية فى الواقع به، و من رواه بالوجه الآخر رواه بالمعنى بحسب فهمه، إلا أن وروده من الطرق الأخرى بذلك اللفظ توهن هذا الاحتمال، و على تقدير ثبوته فهو من ابن الزبير، و هو أعرف بفهم مرويه؛ لأن عبد الرزاق روى عن ابن جريج قال: أخبرنى سليمان بن عتيق و عطاء عن ابن الزبير أنهما سمعاه يقول: «صلاة فى المسجد الحرام خير من مائة صلاة فيه» و يشير إلى مسجد المدينة، و قد قال ابن عبد البر: إن رجال إسناد حديث ابن عمر علماء أجلاء، و رواه ابن وضاح عن ابن الزبير من كلام عمر بن الخطاب بنفسه، قال ابن حزم: و سنده كالشمس فى الصحة، و روى ابن أبى خيثمة عن أبيه حدثنا مسلم عن الحجاج عن عطاء عن عبد الله بن الزبير قال:

الصلاة فى المسجد الحرام تفضل على مسجد النبى صلّى اللّه عليه و سلّم بمائة ضعف، قال: فنظرنا فإذا هى تفضل على سائر المساجد بمائة ألف صلاة، قال ابن عبد البر و ابن حزم: فهذان صحابيان جليلان يقولان بفضل المسجد الحرام على مسجد النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، و لا مخالف لهما من الصحابة؛ فصار كالإجماع منهم على ذلك.

و فى ابن ماجه من حديث جابر مرفوعا: «صلاة فى مسجدى أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام، و صلاة فى المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه» و فى بعض النسخ: «من مائة صلاة فيما سواه» فعلى الأول معناه فيما سواه إلا مسجد المدينة، و على الثانى معناه من مائة صلاة فى مسجد المدينة لما تقدم عن جابر.

قلت: و قد روى يحيى حديث الصحيحين المتقدم عن جبير بن مطعم بلفظ: «إن صلاة فى مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد غير الكعبة» و فى رواية النسائى و غيره «إلا مسجد الكعبة» و لهذا ذهب بعضهم إلى أن المراد من المسجد الحرام

الكعبة، و به قال العمرانى من أصحابنا و غيره، و روى البزار عن عائشة حديث: «أنا خاتم الأنبياء، و مسجدى خاتم مساجد الأنبياء، أحق المساجد أن يزار و تشد إليه الرواحل المسجد الحرام و مسجدى، و صلاة فى مسجدى أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام».

و روى ابن ماجه مرفوعا برجال ثقات إلا أبا الخطاب الدمشقى فهو مجهول: «صلاة الرجل فى بيته بصلاة، و صلاته فى مسجد القبائل

بخمس و عشرين صلاة، و صلاته فى المسجد الذى تجمع فيه بخمس مائة صلاة، و صلاته فى المسجد الأقصى بخمسين ألف صلاة، و صلاة فى مسجدى بخمسين ألف صلاة، و صلاة فى المسجد الحرام بمائة ألف صلاة» و هو يقتضى أن الصلاة بمسجد المدينة مساوية لمسجد بيت المقدس، و أنهما معا على النصف من الصلاة بالمسجد الحرام، و هو مخالف لما فى الصحيح، مع أن مفهوم العدد ليس بحجة؛ فلا ينفى ما ثبت من الزيادة لمسجد المدينة على مسجد بيت المقدس سيما بالطريقة التى قدمناها.

و فى الطبرانى- و هو حسن، و فى بعض رجاله كلام- عن أبى الدرداء مرفوعا: «الصلاة فى المسجد الحرام بمائة ألف صلاة، و الصلاة فى مسجدى بألف صلاة، و الصلاة فى بيت المقدس بخمسمائة صلاة» و رواه ابن خزيمة فى صحيحه بنحوه، و البزار و حسنه، و قال المجد: أخرجه الترمذى و قال: حسن غريب، قال: و لا نعلم حديثا يشتمل على فضيلة الصلاة بالمساجد الثلاثة خصوصا سواه مما يصح عند الاعتبار معناه.

قلت: لم أره فى الترمذى، و قد ساقه ابن عبد البر محتجا به، و هو غير مانع مما قدمناه من كون الصلاة بمسجد المدينة أفضل من ألف صلاة بمسجد بيت المقدس؛ لأن العدد لا ينفى الزائد، و كذا حديث الأوسط للطبرانى برجال الصحيح عن أبى ذر: تذاكرنا و نحن عند رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم أيما أفضل مسجد رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم أو بيت المقدس؟ فقال رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم:

«صلاة فى مسجدى هذا أفضل من أربع صلوات فيه، و لنعم المصلى هو» و قد يقال فى ذلك كما قيل فى نظائره من احتمال أنه صلّى اللّه عليه و سلّم أخبر أولا ببعض ذلك بحسب ما أوحى إليه، ثم أعلم بالزيادة، و يكون حديث الأقل قبل حديث الأكثر، ثم تفضل الله بالأكثر شيئا بعد شىء، و محصله ما قررناه من الأخذ بالزائد، و يحتمل أن ينزل تلك الأعداد على اختلاف الأحوال؛ فالحسنة بعشر أمثالها إلى غير نهاية.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۶

هل فضل الصلاة فى المساجد الثلاثة يختص بالفرض؟

و نقل الزركشى فى أعلام المساجد عن الكبير للطبرانى بسند فيه مقاتل عن الضحاك عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم: «صلاة فى مسجدى هذا بعشرة آلاف صلاة، و صلاة فى المسجد الحرام بعشرة أمثالها مائة ألف صلاة، و صلاة الرجل فى بيت المقدس بألف صلاة، و صلاة الرجل فى بيته حيث لا يراه أحد أفضل من ذلك كله».

قلت: و هو ضعيف، و لم يورده الهيثمى فى مجمعه فى فضل الصلاة فى المساجد الثلاث.

و هذه المضاعفة المذكورة فى هذه المساجد لا- تختص بالفريضة، بل تعم الفرض و النفل، كما قال النووى فى شرح مسلم إنه المذهب.

قال الزركشى: و هو لازم تعليل الأصحاب استثناء النفل بمكة فى الأوقات المكروهة بمزيد الفضيلة.

و قال الطحاوى من الحنفية: هو مختص بالفرض، و فعل النوافل بالبيت أفضل، و إليه ذهب ابن أبى زيد من المالكية، و هو المرجح عندهم، و فرق بعضهم بين أن يكون المسجد خاليا أم لا.

فإن قيل: كيف تقولون إن المضاعفة تعم الفرض و النفل و قد تطابقت الأصحاب و نص الحديث الصحيح على أن فعل النافلة فى بيت الإنسان أفضل؟

قلنا: لا يلزم من المضاعفة فى المسجد أن يكون أفضل من البيت كما قاله الزركشى و غيره، و غاية الأمر أن يكون فى المفضول مزية ليست فى الفاضل، و لا يلزم من ذلك جعله أفضل؛ فإن للأفضل مزايا إن كان للمفضول مزية، و لهذا بحث التاج السبكى مع أبيه فى صلاة الظهر بمنى يوم النحر إذا جعلنا منى خارجة عن محل المضاعفة: هل يكون أفضل من صلاتها فى المسجد لأنه صلّى اللّه عليه و

سلّم فعلها بمعنى يومئذ أو فى المسجد للمضاعفة؟ فقال والده: بل فى منى و إن لم يحصل بها المضاعفة؛ فإن فى الاقتداء بأفعال النبى صلّى اللّه عليه و سلّم ما يربو على المضاعفة، على أن الحافظ ابن حجر ذكر ما يقتضى إثبات المضاعفة للتنفل فى البيوت بالمدينة و مكة، عملا بعموم قوله صلّى اللّه عليه و سلّم: «أفضل صلاة المرء فى بيته إلا المكتوبة» فقال: و قد تقدم النقل عن الطحاوى و غيره أن ذلك- يعنى التضعيف- مختص بالفرائض؛ لحديث: «أفضل صلاة المرء فى بيته إلا المكتوبة» و يمكن أن يقال: لا مانع من إبقاء الحديث على عمومه؛ فتكون النافلة فى بيت بالمدينة أو مكة تضاعف على صلاتها فى البيت بغيرهما، و كذا فى المسجدين، و إن كانت فى البيوت أفضل مطلقا.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۷

مرجع مضاعفة فضل الصلاة

ثم إن التضعيف المذكور يرجع إلى الثواب بتلك الأعداد، لا إلى الإجزاء، باتفاق العلماء كما نقله النووى و غيره؛ فلو كانت صلوات فصلى فى أحد المسجدين صلاة لم تجزه إلا عن واحدة، و قد أوهم كلام أبى بكر النقاش فى تفسيره خلاف ذلك؛ فإنه قال: حسبت الصلاة فى المسجد الحرام فبلغت صلاة واحدة بالمسجد الحرام عمر خمسة و خمسين سنة و ستة أشهر و عشرين ليلة، اه. و هذا مع قطع النظر عن التضعيف بالجماعة و السواك و نحوه، لكن هل تجمع التضعيفات أولا؟ محل بحث.

هل يختص التضعيف بالصلاة؟

قلت: و ينبغى أن لا يختص هذا التضعيف بالصلاة، بل سائر أنواع الطاعات كذلك قياسا على ما ثبت فى الصلاة، كما صرحوا به فى مسجد مكة المشرفة، و صرح به فيما يتعلق بالمدينة صاحب الانتصار أبو سليمان داود من المالكية، ثم رأيته فى كلام الغزالى فى الإحياء كما قدمناه فى فضل الخصائص، و يشهد له ما فى الكبير للطبرانى عن بلال بن الحارث قال: قال رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم: «رمضان بالمدينة خير من ألف رمضان فيما سواها من البلدان، و جمعة بالمدينة خير من ألف جمعة فيما سواها من البلدان» و نقل المجد عن أبى الفرج الأموى أنه أخرجه بسنده عن ابن عمر.

قلت: و رواه ابن الجوزى فى شرف المصطفى عن ابن عمر أيضا بلفظ: «صيام شهر رمضان بالمدينة كصيام ألف شهر فيما سواها، و صلاة الجمعة بالمدينة كألف صلاة فيما سواها».

و روى البيهقى عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم: «الصلاة فى مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام، و الجمعة فى مسجدى هذا أفضل من ألف جمعة فيما سواه إلا المسجد الحرام، و شهر رمضان فى مسجدى هذا أفضل من ألف شهر رمضان فيما سواه إلا المسجد الحرام» و رواه أيضا عن ابن عمر بنحوه.

و هذه الأحاديث و إن كانت ضعيفة فإذا ضمت إلى ما قدمناه من القياس على الصلاة ثم الاستدلال، و قد قدمنا فى حدود مسجده صلّى اللّه عليه و سلّم الخلاف المذكور فى المراد بقوله صلّى اللّه عليه و سلّم: «صلاة فى مسجدى هذا»، و ترجيح أن ذلك يتناول ما زيد فيه.

و روى أحمد و الطبرانى فى الأوسط و رجاله ثقات عن أنس بن مالك حديث: «من صلى

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۸

فى مسجدى أربعين صلاة» زاد الطبرانى: «لا تفوته صلاة كتب له براءة من النار، و براءة من العذاب، و برئ من النفاق». تقدم هذا الحديث بدون زيادة الطبرانى، و هو عند الترمذى بغير هذا اللفظ.

و روى ابن المنذر و ابن حبان فى صحيحه عن أبى هريرة أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم قال: «إن من حين يخرج أحدكم من منزله إلى مسجدى فرجل تكتب حسنة و رجل تحط عنه خطيئة».

و قال البيهقى بعد ذكر حديث فضل مسجد قباء ما لفظه: و رواه يوسف بن طهمان عن أبى أمامة بن سهل عن أبيه عن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، و زاد: «و من خرج على طهر لا يريد إلا مسجدى هذا- يريد مسجد المدينة- ليصلى فيه كانت بمنزلة حجة» و قد أسند ذلك ابن زبالة و من طريقه ابن النجار عن سهل أيضا، و فى إسناده طهمان أيضا، و هو ضعيف عند البخارى و ابن عدى، و ذكره ابن حبان فى الثقات، و لفظ ابن زبالة: «من خرج على طهر لا يريد إلا الصلاة فى مسجدى حتى يصلى فيه كان بمنزلة حجة» و أسند هو و يحيى عن سهل بن سعد حديث: «من دخل مسجدى هذا يتعلم فيه خيرا أو يعلمه كان بمنزلة المجاهد فى سبيل اللّه، و من دخله لغير ذلك من أحاديث الناس كان كالذى يرى ما يعجبه و هو لغيره» و فى رواية لهما عن عبد العزيز بن أبى حازم عن أبيه: «من دخل مسجدى هذا لا- يدخله إلا- ليعمل خيرا أو يتعلمه كان بمنزلة المجاهد فى سبيل اللّه، و من دخله لغير ذلك من أحاديث الناس كان بمنزلة من يرى ما يعجبه و هو فى يدى غيره».

و روى ابن ماجه عن أبى هريرة قال: سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم يقول: «من جاء مسجدى هذا لم يأته إلا لخير يتعلمه أو يعلمه فهو بمنزلة المجاهد فى سبيل اللّه، و من جاءه لغير ذلك فهو بمنزلة الرجل ينظر إلى متاع غيره» و رواه الطبرانى من حديث سعد مرفوعا بمعناه، إلا أنه قال: «من دخل مسجدى ليتعلم خيرا أو ليعلمه» و رواه ابن حبان فى صحيحه بلفظ الطبرانى لكن من حديث أبى هريرة.

و أسند ابن زبالة عن زيد بن أسلم قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم «من دخل مسجدى هذا لصلاة أو لذكر اللّه أو يتعلم خيرا أو يعلمه كان بمنزلة المجاهد فى سبيل اللّه» و لم يجعل ذلك لمسجد غيره، و عند يحيى أيضا عن كعب أنه قال: «ما من مؤمن يغدو أو يروح إلى المسجد لا يغدو أو لا يروح إلا ليتعلم خيرا أو يعلمه أو يذكر اللّه أو يذكّر به إلا كان مثله فى كتاب اللّه كمثل الجهاد فى سبيل اللّه، و ما من رجل يغدو أو يروح إلى المسجد لا يغدو و لا يروح إلا لأخبار الناس و أحاديثهم إلا كان مثله فى كتاب اللّه كمثل الرجل يرى الشىء يعجبه و يرى المصلين و ليس منهم، و يرى الذاكرين و ليس منهم»، و عنده أيضا عن أبى سعيد المقبرى عن الثقة أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم قال: «لا إخال إلا أن لكل رجل منكم

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۹

مسجدا فى بيته» قالوا: نعم يا رسول اللّه، قال: «فو اللّه لو صليتم فى بيوتكم لتركتم مسجد نبيكم، و لو تركتم مسجد نبيكم لتركتم سننه، و لو تركتم سننه إذا لضللتم».

و فى الصحيح من حديث ابن عمر أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم قال فى غزوة خيبر: «من أكل من هذه الشجرة- يعنى: الثوم- فلا يقربن مسجدنا».

قال الكرمانى: قال التيمى: قال بعضهم: النهى إنما هو عن مسجد الرسول صلّى اللّه عليه و سلّم خاصة، من أجل ملائكة الوحى، و الأكثر على أنه عام، انتهى. و قد حكى ابن بطال القول بالاختصاص عن بعض أهل العلم و وهّاه، و اللّه أعلم.

الفصل السادس فى فضل المنبر المنيف، و الروضة الشريفة

اشارة

روينا فى الصحيحين حديث عبد اللّه بن زيد المازنى رضى اللّه عنه: «ما بين بيتى و منبرى روضة من رياض الجنة» زاد البخارى من حديث أبى هريرة: «و منبرى على حوضى».

و روى أحمد و أبو يعلى و البزار و فيه على بن زيد و قد وثق عن جابر بن عبد الله مرفوعا:

«ما بين بيتى إلى منبرى روضة من رياض الجنة، و إن منبرى على ترعة من ترع الجنة».

و روى أحمد برجال الصحيح عن سهل بن سعد مرفوعا: «منبرى على ترعة من ترع الجنة» و فيه تفسير الترعة بالباب، و قيل: الترعة الروضة تكون على المكان المرتفع خاصة، و قيل: الدرجة.

و رواه يحيى عن أبى هريرة و غيره بلفظ: «على رتعة من رتع الجنة» و كذا هو فى رواية لرزين، و ظنه بعضهم تصحيفا فكتب فى هامشه «صوابه ترعة» و ليس كذلك، بل معناه صحيح؛ إذ الرتع الاتساع فى الخصب، و الرّتعة- بسكون التاء و فتحها- الاتساع فى الخصب، و كل مخصب مرتع.

و فى الحديث: «إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا»، و روى البزار عن معاذ بن الحارث نحوه.

و فى الكبير للطبرانى من طريق يحيى الحمانى و هو ضعيف عن أبى واقد الليثى مرفوعا:

«قوائم منبرى رواتب فى الجنة» و رواه ابن عساكر و ابن النجار و يحيى عن أم سلمة، و قال المجد: أخرجه عنها النسائى، و فى رواية لابن عساكر: «وضعت منبرى هذا على ترعة من ترع الجنة».

و أسند يحيى عن أبى المعلى الأنصارى و كانت له صحبة أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم قال و هو على المنبر: «إن قدمى على ترعة من ترع الجنة».

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۳۰

و عن أبى سعيد الخدرى: سمعت رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم يقول و هو قائم على منبره: «أنا قائم الساعة على عقر حوضى» و فى رواية له: «إنى على الحوض الآن».

و أسند ابن زبالة عن نافع بن جبير عن أبيه حديث: «أحد شقى المنبر على عقر الحوض، فمن حلف عنده على يمين فاجرة يقتطع بها حق امرئ مسلم فليتبوأ مقعده من النار» قال: و عقر الحوض من حيث يصب الماء فى الحوض.

و فى سنن أبى داود من حديث جابر مرفوعا: «لا يحلف أحد عند منبرى هذا على يمين آثمة و لو على سواك أخضر إلا تبوأ مقعده من النار، أو وجبت له النار»، و رواه ابن خزيمة و ابن حبان و الحاكم و صححوه.

و روى النسائى برجال ثقات عن أبى أمامة بن ثعلبة مرفوعا: «من حلف عند منبرى هذا يمينا كاذبة استحل بها مال امرئ مسلم فعليه لعنة الله و الملائكة و الناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفا و لا عدلا».

و فى الأوسط للطبرانى و فيه ابن لهيعة عن أبى سعيد الخدرى مرفوعا: «منبرى على ترعة من ترع الجنة، و ما بين المنبر و بيت عائشة روضة من رياض الجنة».

و فى الصحيحين حديث ابن عمر: «ما بين قبرى و منبرى روضة من رياض الجنة».

و روى أحمد برجال الصحيح عن أبى هريرة و أبى سعيد حديث: «ما بين بيتى و منبرى روضة من رياض الجنة، و منبرى على حوضى».

و روى البزار برجال ثقات عن سعد بن أبى وقاص حديث: «ما بين بيتى و منبرى، أو قبرى و منبرى، روضة من رياض الجنة» و فى الأوسط للطبرانى و فيه متروك عن أنس بن مالك حديث: «ما بين حجرتى و مصلاى روضة من رياض الجنة» و فى رواية لابن زبالة من طريق عائشة بنت سعد عن أبيها «ما بين منبرى و المصلى» و فى رواية «ما بين مسجدى إلى المصلى روضة من رياض الجنة» و رواه أبو طاهر بن المخلص فى انتقائه و يحيى فى أخبار المدينة بلفظ: «ما بين بيتى و مصلاى روضة من رياض الجنة» قال جماعة: المراد به مصلى العيد، و قال آخرون: مصلاه الذى يصلى فيه فى المسجد، كذا قاله الخطابى.

قلت: و يؤيد الأول أن فى النسخة التى رواها طاهر بن يحيى عن أبيه يحيى عقب الحديث المذكور ما لفظه: قال أبى: سمعت غير

واحد يقولون: إن سعدا لما سمع هذا الحديث من النبى صلّى اللّه عليه و سلّم بنى داره فيما بين المسجد و المصلى، و كذا ما سيأتى فى مصلى العيد من رواية ابن شبة عن عائشة بنت سعد بن أبى وقاص.

قلت: و هو شاهد لما سيأتى من عموم الروضة لجميع مسجد النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، و لما زيد فيه من جهة المغرب.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۳۱

و روى عبد الله بن أحمد فى زوائد المسند برجال الصحيح إلا أن فيهم فليحا- و قد روى له الجماعة، و قال الحاكم: اتفاق الشيخين عليه يقوى أمره، و قال الساجى: ذكره ابن حبان فى الثقات، و قال الدارقطنى: فليح يختلفون فيه، و قال بعضهم: إنه كثير الخطأ- عن عبد الله بن زيد المازنى قال: قال رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم: «ما بين هذه البيوت- يعنى بيوته- إلى منبرى روضة من رياض الجنة، و المنبر على ترعة من ترع الجنة».

معنى كون المنبر على الحوض

و قد اختلف فى معنى ذلك؛ فقال الخطابى: معنى قوله: «و منبرى على حوضى» أن قصد منبره و الحضور عنده لملازمة الأعمال الصالحة يورد الحوض و يوجب الشرب منه، و هذا قول الباقى، و الثانى: أن منبره الذى كان يقوم عليه صلّى اللّه عليه و سلّم يعيده الله كما يعيد سائر الخلائق، و يكون على حوضه فى ذلك اليوم، و اعتمد ذلك ابن النجار، و حكى ابن عساكر القول بأن المراد منبره بعينه الذى كان فى الدنيا، ثم قال: و هو أظهر، و عليه أكثر الناس، فتبع شيخه ابن النجار فى ذلك، و الثالث أن المراد منبر يخلقه الله تعالى له فى ذلك اليوم، و يجعله على حوضه.

قلت: و يظهر لى معنى رابع، و هو أن البقعة التى عليها المنبر تعاد بعينها فى الجنة، و يعاد منبره ذلك على هيئة تناسب ما فى الجنة؛ فيجعل المنبر عليها عند عقر الحوض، و هو مؤخره، و عن ذلك عبر بترعة من ترع الجنة، و ذكر النبى صلّى اللّه عليه و سلّم ذلك لأمته للترغيب فى العمل فى هذا المحل الشريف ليفضى بصاحبه إلى ذلك، و هذا فى الحقيقة جمع بين القولين الأولين، و سيأتى فى الزيارة ما ذكره ابن عساكر من أن الزائر يأتى المنبر الشريف، و يقف عنده، و يدعو.

معنى أن الروضة من رياض الجنة

و اختلفوا أيضا فى معنى ما جاء فى الروضة الشريفة، قال الحافظ ابن حجر: محصل ما أول به العلماء ذلك أن تلك البقعة كروضة من رياض الجنة فى نزول الرحمة و حصول السعادة بما يحصل فيها من ملازمة حلق الذكر، لا سيما فى عهده صلّى اللّه عليه و سلّم؛ فيكون مجازا، أو المعنى أن العبادة فيها تؤدى إلى الجنة، فيكون مجازا أيضا، أو هو على ظاهره، و أن المراد أنها روضة حقيقة بأن ينقل ذلك الموضع إلى الجنة؛ ثم قال: و هذه الأقوال على ترتيبها هذا فى القوة، و هو محتمل لتقوية الأول أو الأخير، و الأخير أقواها عندى، و هو الذى ذهب إليه ابن النجار، و نقله البرهان ابن فرحون فى منسكه عن ابن الجوزى و غيره عن مالك، فقال:

و قوله: «ما بين قبرى و منبرى روضة من رياض الجنة» حمله مالك رحمه الله على ظاهره، فنقل عنه ابن الجوزى و غيره أنها روضة من رياض الجنة تنقل إلى الجنة، و أنها ليست كسائر

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۳۲

الأرض تذهب و تفنى، و وافقه على ذلك جماعة من العلماء، انتهى و نقله الحطيب ابن حملة عن الداروردى، و صححه ابن الحاج فى مدخله؛ لأن العلماء فهموا من ذلك مزية عظيمة لهذا المحل.

ثم رأيت فى كلام الحافظ ابن حجر ترجيحه فى موضع آخر، فقال فى الكلام على الحوض: و المراد بتسمية ذلك الموضع روضة أن

تلك البقعة تنقل إلى الجنة فتكون روضة من رياضها، أو أنها على المجاز لكون العبادة فيه تؤول إلى دخول العابد روضة الجنة، ثم قال:

و هذا فيه نظر؛ إذ لا اختصاص لذلك بتلك البقعة، و الخبر مسوق لمزيد شرف تلك البقعة على غيرها، انتهى.

قلت: و أحسن من ذلك ما ذهب إليه ابن أبى جمرة من الجمع بين هذا و ما قبله، و منه استنبطنا ما قدمناه فى أمر المنبر، فإنه لم يعول على ذكر المعنى الأول و قال بعد ذكر المعنيين الأخيرين: الأظهر- و الله أعلم- الجمع بين الوجهين؛ لأن لكل منهما دليلا يعضده، أما الدليل على أن العمل فيها يوجب الجنة فلما جاء فى فضل مسجدها من المضاعفة، و لهذه البقعة زيادة على باقى بقعه، و أما الدليل على كونها بعينها فى الجنة فلإخباره صلّى اللّه عليه و سلّم بأن المنبر على الحوض، لم يختلف أحد من العلماء أنه على ظاهره؛ و أنه حق محسوس موجود على حوضه.

قلت: و فيه نظر؛ لما قدمناه.

قال: و قد تقرر فى قواعد الشرع أن البقع المباركة ما فائدة بركتها لنا و الإخبار بذلك إلا تعميرها بالطاعات؛ قال: و يحتمل وجها ثالثا؛ و هو أن تلك البقعة نفسها روضة من رياض الجنة كما أن الحجر الأسود من الجنة؛ فيكون الموضع المذكور روضة من رياض الجنة الآن؛ و يعود روضة فى الجنة كما كان؛ و يكون للعامل بالعمل فيه روضة فى الجنة؛ قال:

و هو الأظهر؛ لعلو مكانته عليه السلام؛ و ليكون بينه و بين الأبوة الإبراهيمية فى هذا شبه، و هو أنه لما خص الخليل بالحجر من الجنة خص الحبيب بالروضة منها.

قلت: و هو من النّفاسة بمكان، و فيه حمل اللفظ على ظاهره، إذ لا مقتضى لصرفه عنه، و لا يقدح فى ذلك كونها تشاهد على نسبة رياض الدنيا فإنه ما دام الإنسان فى هذا العالم لا ينكشف له حقائق ذلك العالم لوجود الحجب الكثيفة و الله أعلم.

و تخصيص ما أحاطت به البينية المذكورة بذلك إما تعبد و إما لكثرة تردده صلّى اللّه عليه و سلّم بين بيته و منبره و قرب ذلك من قبره الشريف الذى هو الروضة العظمى كما أشار إليه ابن أبى جمرة أيضا.

و قال الجمال محمد الراسانى الريمى: اتفقوا على أن هذا اللفظ معقول المعنى، مفهوم

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۳۳

الحكمة، و إنما اختلفوا فى ذلك المعنى ما هو، فقيل: اللفظ على حقيقته، و إن ذلك روضة من رياض الجنة بمعنى أنه بعينه نقل من الجنة، أو أنه سينقل إليها، و قيل: مجاز معناه أن العبادة فيه تؤدّى إلى الجنة، أو لما ينزل فيه من الرحمة و حصول المغفرة، كما سمى مجالس الذكر رياض الجنة فى حديث: «إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا» و فى رواية لأبى هريرة:

«قلت: ما رياض الجنة؟ قال: المساجد، قلت: و ما الرتع؟ قال: سبحان الله، و الحمد لله، و لا إله إلا الله و الله أكبر».

و قال ابن عبد البر: لما كان صلّى اللّه عليه و سلّم يجلس فى ذلك الموضع و يجلس الناس إليه للتعلم شبّهه بالروضة؛ لكريم ما يجتنى فيه، و أضافها إلى الجنة لأنها تؤول إلى الجنة، كقوله: «الجنة تحت ظلال السيوف» أى أنه عمل يدخل الجنة.

و قال الخطابى: روضة من رياض الجنة بالطاعة فيه، كقوله: «عائد المريض فى مخرفة الجنة» أى يرجى له بذلك مخرفة الجنة؛ فأطلق اسم المسبب على سببه كقوله: «الجنة تحت أقدام الأمهات».

هذا ما نقله الخطيب ابن حملة من المعانى، ثم تعقب الأخير بأنه لا يبقى حينئذ لهذه الروضة مزية، و قد فهم الناس من ذلك المزية العظيمة التى بسببها فضلها مالك على سائر البقاع.

و قد تعقب الجمال الريمى الخطيب فى ذلك، و قال: أظهر المعانى تضعيف أجر الطاعات، و تعليم الناس وجوه الخير؛ لاتفاق الخطابى و ابن عبد البر عليه، و هما عمدة الأمة فى فقه الحديث، و لأن النظائر تؤيده، و أما المعنيان الآخران فلم يعزهما الخطيب إلى أحد، فدل على ضعفهما، و لم يذكر عياض القول بأن هذا الموضع بعينه نقل من الجنة، و ذكر ما عداه، فدل على شذوذه؛ لأن مثل

هذا طريقه التوقيف كما جاء فى الركن و المقام، على أن القول به يؤدى إلى إنكار المحسوسات أو الضروريات، و جواب ما ذكره الخطيب أن المزية ظاهرة، و هو أن العمل فى النظائر المتقدمة يؤدى إلى رياض الجنة، و العمل فى هذا المحل يؤدى إلى روضة أعلى من تلك الرياض.

قلت: إنما حمله على هذا ذهابه إلى أن اسم الروضة يعم جميع مسجده صلّى اللّه عليه و سلّم، و أنه إذا

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۳۴

ثبت لما زيد فيه حكم المضاعفة تعدى ذلك إليه، فاختار كون التسمية بذلك مجازية، و وضع فى ذلك كتابا سماه «دلالات المسترشد، على أن الروضة هى المسجد» و قد صنف الشيخ صفى الدين الكازرونى المدنى مصنفا فى الرد عليه، و قد لخصتهما مع سلوك طريق الإنصاف بينهما فى كتابى الموسوم: «بدفع التعرض و الإنكار، لبسط روضة المختار» و سنذكر الصواب فى ذلك، و استدلاله على ضعف القول بأن ذلك الموضع بعينه نقل من الجنة بأن عياضا لم يذكره عجيب لاحتمال أنه لم يطلع عليه، و قوله: «إن ذلك طريقه التوقيف كما جاء فى الركن» فنقول: أى توقيف أعظم من إخبار الصادق المصدوق بذلك؟ و هو المخبر بأمر الركن و المقام، و الأصل فى الإطلاق الحقيقة، فكيف سلمه فى الركن و المقام و لم يسلمه هنا؟ و الذى فهمه العلماء من الحديث أن هذا الموضع روضة، سواء كان به ذاكرون و مصلون أم لم يكن، بخلاف حلق الذكر مثلا، فإن ذلك يزول عنها بقيامهم، فالروضة ما هم فيه بخلاف هذه، و لهذا فسر الرتع هناك بالذكر، و المراد فى حديث: «الجنة تحت أقدام الأمهات» أن لزوم خدمتهن تؤدى إليها، و قوله: «إن القول بذلك يؤدى إلى ما ذكره» عجيب، و قد قدمنا السبب المانع من شهود ذلك على حقيقته، و أى حسن أحسن من القول بأن ذلك روضة من الجنة أكرم الله به نبيه؟ و يؤيده أحاديث المنبر المتقدمة و ما سيأتى فى أحد و عير؛ إذ لم يقل أحد إن المراد أن المتعبد عند أحد يفضى به ذلك إلى الجنة، و المتعبد عند عير يفضى به ذلك إلى النار، و أما قوله فى بيان المزية: «إن العمل فى ذلك المحل يؤدى إلى روضة أعلى» فليس فى الحديث وصفه بأنه أعلى الرياض، بل أطلق ذلك، فإذا ثبت ذلك لغيره فلا خصوصية، بل قد يقول الذاهب إلى تفضيل مكة: إن العمل فيها يؤدى إلى روضة أعلى و أفضل، و لظهور مزية تلك البقعة على غيرها بذلك استدل به بعض الأئمة على تفضيل المدينة على مكة بإضافة حديث «لقاب قوس أحدكم فى الجنة خير من الدنيا و ما فيها» و تعقبه ابن حزم بأن جعلها من الجنة إنما هو على سبيل المجاز، إذ لو كانت حقيقة لكانت كما وصف الله الجنة: إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيها وَ لا تَعْرى [طه: ۱۱۸] قال: و إنما المراد أن الصلاة فيها تؤدى إلى الجنة كما يقال فى اليوم الطيب: هذا يوم من أيام الجنة.

قلت: لا يلزم من ثبوت عدم الجوع و العرى لمن حل فى الجنة ثبوته لمن حل فى شىء أخرج منها؛ إذ يلزمه أن ينفى بذلك عن حجر المقام كونه من الجنة حقيقة، و لا قائل به، و مسألة عموم الروضة لجميع مسجده صلّى اللّه عليه و سلّم ذات خلاف؛ فقد قال الأقشهرى: سئل أبو جعفر بن نصر الداودى المالكى عن قوله: «ما بين بيتى و منبرى روضة» فقال: هو روضة كله، و نقل الريمى عن الخطيب ابن حملة أنه قال: قوله «ما بين بيتى» مفرد مضاف قد يفيد العموم فى بيوته، ثم ذكر بيان مكان بيوته، ثم قال: و لهذا قال السمعانى فى أماليه: لما فضّل الله مسجد رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم و شرفه و بارك فى العمل فيه و ضعفه سماه رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۳۵

روضة من رياض الجنة، فتراه جعل المسجد كله روضة، و المشهور أن المراد بيت خاص، و هو بيت عائشة رضى الله عنها؛ للرواية الأخرى «ما بين قبرى و منبرى» قال ابن خزيمة:

أراد بقوله ما بين بيتى الذى أقبر فيه؛ إذ النبى صلّى اللّه عليه و سلّم قبر فى بيته الذى كانت تسكنه عائشة، قال الخطيب: فعلى هذا تسامت- يعنى الروضة- حائط الحجرة من القبلة و الشمال من جهة الحجرة، و لا تزال تقصر إلى جهة المنبر، أو توجد المسامتة مستوية فلينظر، هذا كله كلام الخطيب.

قلت: فتلخص من ذلك ثلاثة آراء: الأول: أنها المسجد الموجود فى زمنه صلّى اللّه عليه و سلّم، الثانى: أنها ما سامت المنبر و الحجرة فقط، فتتسع من جهة الحجرة و تضيق من جهة المنبر لما تقدم فى مقداره، و تكون منحرفة الأضلاع لتقدم المنبر فى جهة القبلة و تأخر الحجرة فى جهة الشام، فتكون كشكل مثلث ينطبق ضلعاه على قدر المنبر، الثالث: أنها ما سامت كلا من طرفى الحدين، فتشمل ما سامت المنبر من مقدم المسجد فى جهة القبلة و إن لم يسامت الحجرة، و يشمل ما سامت الحجرة من جهة الشمال، و إن لم يسامت المنبر، فتكون مربعة، و هى الأروقة الثلاثة: رواق المصلى الشريف، و الرواقان بعده، و ذلك هو مسقف مقدم المسجد فى زمنه صلّى اللّه عليه و سلّم، لأنه قد تحرر لنا فى هذه العمارة التى أدركناها أن صف أسطوان الوفود- و هى التى كانت إلى رحبة المسجد كما سيأتى- واقع خلف الحجرة سواء، حتى إن الأسطوانة التى تلى مربعة القبر فى صفها الداخلة فى الزور بعضها داخل فى جدار الحجرة الشامى كما سيأتى بيانه.

و أما أدلة هذه الأقوال فقد استدل الريمى للأول بأشياء غالبها ضعيف مبناه على أن إطلاق الروضة من قبيل المجاز لما فى ذلك من المضاعفة و نحوه، و أحسنها ما أشار إليه الخطيب ابن حملة و أيده الريمى بأشياء، فقال: قوله «بيتى» من قوله «ما بين بيتى» مفرد مضاف، فيفيد العموم فى سائر بيوته صلّى اللّه عليه و سلّم، و قد كانت بيوته مطيفة بالمسجد من القبلة و المشرق- و فيه بيت عائشة- و الشام كما سيأتى عن ابن النجار و غيره، و لم يكن منها فى جهة المغرب شىء، فعرف الحد من تلك الجهة بالمنبر الشريف، فإنه كان فى آخر جهة المغرب بينه و بين الجدار يسير؛ لأن آخره من تلك الجهة الأسطوانة التى تلى المنبر، و المنبر على ترعة من ترع الجنة، فقد حدد الروضة بحدود المسجد كلها.

قلت: و هو مفرع على ما ذكره ابن النجار فى تحديد المسجد من جهة المغرب، و قد مشيت عليه فى تواليفى قبل أن أقف على ما قدمته فى حد المسجد، و قد مشى على ذلك الزين المراغى فقال: ينبغى اعتقاد كون الروضة لا تختص بما هو معروف الآن، بل تتسع إلى حد بيوته صلّى اللّه عليه و سلّم من ناحية الشام، و هو آخر المسجد فى زمنه صلّى اللّه عليه و سلّم؛ فيكون كله روضة، و هذا

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۳۶

إذا فرعنا على المفرد المضاف للعموم، و قد رجحه فى كتب الأصول جماعة، ثم ذكر ما تقدم.

قلت: وفاتهم الجميع الاستدلال بحديث زوائد مسند أحمد المتقدم بلفظ «ما بين هذه البيوت» يعنى بيوته «إلى منبرى روضة من رياض الجنة» و العجب أن المعتنين بأمر الروضة لم يذكروه، مع أن فيه غنية عن التمسك بكون المفرد المضاف يفيد العموم، فقد ناقش الصفى الكازرونى فى ذلك بأشياء: منها أن رواية «ما بين قبرى و منبرى» بينت المراد من البيت المضاف. قلت: ليته قال رواية: «ما بين المنبر و بيت عائشة» لأنه يلزم عليه أن يكون الروضة بعرض القبر فقط، و التخصيص بذلك بعيد، و من قال: «إن المراد من البيت القبر» ليس مراده و الله أعلم إلا أن رواية القبر لعدم إبهامها تعين البيت، و لعله مراد الصفى، و لهذا قال الطبرى: و إذا كان قبره صلّى اللّه عليه و سلّم فى بيته اتفقت معانى الروايات، و لم يكن بينها خلاف، انتهى، و لك أن تقول: رواية «قبرى» و رواية «حجرة عائشة» من قبيل إفراد فرد من العام، و ذكره بحكم العام، و هو لا يقتضى التخصيص على الأصح، بل يقتضى الاهتمام بشأن ذلك الفرد، على أن القرطبى قال: الرواية الصحيحة «بيتى» و يروى «قبرى» و كأنه بالمعنى، و الله أعلم.

و منها: أن القرافى حمل إطلاق عموم اسم الجنس على ما يقع منه على القليل و الكثير كالماء و المال، بخلاف ما لا يصدق إلا على الواحد كالعبد و البيت و الزوجة فلا يعم، و لهذا لو قال عبدى حر أو امرأتى طالق لا يعم سائر عبيده و نسائه، قال: و لم أره منقولا.

قلت:

قال التاج السبكى: خالف بعض الأئمة فى تعميم اسم الجنس المعرف و المضاف، و الصحيح خلافه، و فصل قوم بين أن يصدق على القليل و الكثير فيعم، أو [لا] فلا، و اختاره ابن دقيق العيد، انتهى.

فقد جعل ما بحثه القرافى وجها ثالثا مفصلا، و ذلك يأبى حمل إطلاق المطلقين عليه، فما بحثه منقول، لكن الصحيح خلافه، و ما

استدل به من عدم عموم عبدى حر و امرأتى طالق جوابه من أوجه ذكرناها فى دفع التعرض، و أحسنها ما أشار إليه الأسنوى من أن عدم العموم فى ذلك لكونه من باب الأيمان، و الأيمان يسلك فيها مسلك العرف، انتهى. و نقل

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۳۷

الأزرقى فى نفائسه عن ابن عبد السلام أنه قال: الذى تبين لى طلاق الجميع و عتق الجميع، و فى كتب الحنابلة نص أحمد على أنه لو قال من له زوجتان أو عبيد «زوجتى طالق، أو عبدى حر» و لم ينو معيّنا، وقع الطلاق و العتق على الجميع، تمسكا بالقاعدة المذكورة، فقد جرى ابن عبد السلام و الحنابلة على مقتضى ذلك؛ فهذه الطرق من أحسن الأدلة، و لكن على شمول الروضة لما بين المنبر و البيوت الشريفة فهو رأى آخر، و قد قدمنا من الحديث ما يصرح به، و يؤيده ما أشار إليه الريمى من أن المقتضى لكون ذلك روضة كثرة تردده صلّى اللّه عليه و سلّم فيه، و كان يصلى قبل تحويل القبلة فى طرفه الذى يلى الشام، و متهجّده كما سيأتى فى جهة المشرق إلى الشام أيضا، و منبره الشريف فى نهاية هذا الموضع المحدود من جهة المغرب، و مصلاه الشريف بمقدمه و به الأساطين الآتية ذوات الفضل.

و أما الرأى الثانى فدليله التمسك بظاهر لفظ البينية الحقيقية، و حمل البيت على حجرة عائشة رضى الله عنها، و يضعفه أن مقدم المصلى الشريف يلزم خروجه عن اسم الروضة حينئذ؛ لخروجه عن موازاة طرفى المنبر و الحجرة، مع أن الظاهر أن معظم السبب فى كون ذلك روضة تشرفه بجبهته الشريفة، على أنى لم أر هذا القول لأحد، و إنما أخذته من تردد الخطيب ابن حملة المتقدم.

و أما الرأى الثالث فهو ظاهر ما عليه غالب العلماء و عامة الناس، و وجهه حمل البيت على ما فى الرواية الأخرى من ذكر حجرة عائشة، و جعل ما تقدم فى أمر خروج مقدم المصلى الشريف دليلا على أن المراد من البينية ما حاذى واحدا من الطرفين، و أن المراد مقدم المسجد المنتهى من جهة مؤخر الحجرة الشريفة لصف أسطوان الوفود كما قدمناه، و فى كلام الأقشهرى إشارة له، و هذا إنما علمناه فى العمارة التى سنذكرها، و لم يكن معلوما قبل ذلك، و لهذا قال المجد فى الباب الأول فى فصل الزيارة من كتابه ما لفظه: ثم يأتى- يعنى الزائر- إلى الروضة المقدسة، و هى ما بين القبر و المنبر طولا، و لم أر من تعرض له عرضا، و الذى عليه غلبة الظنون أنه من المحراب إلى الأسطوانة التى تجاهه، و أنا لا أوافق على ذلك، و قد بينته فى موضعه من هذا الكتاب، و ذكرت أن الظاهر من لفظ الحديث يقتضى أن يكون أكثر من ذلك؛ لأن بيت النبى صلّى اللّه عليه و سلّم بجميع مرافق الدار كان أكثر من هذا المقدار، انتهى.

و لم يذكر فى الموضع الذى أحال عليه شيئا، و قوله «من المحراب إلى الأسطوانة التى تجاهه» كأنه يريد به الأسطوان المخلق و ما حاذاها؛ فتكون الروضة على ذلك التقدير الرواق الأول منها فقط، و هو غلط؛ لأن الحجرة الشريفة متأخرة عن ذلك لجهة الشام؛ وصف

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۳۸

الأسطوان المذكور محاذ لطرف جدارها القبلى. و قال ابن جماعة: قد تحرر لى طول الروضة، و لم يتحرر لى عرضها، يريد أن طولها من المنبر إلى الحجرة، و هو كما قال ابن زبالة ثلاثة و خمسون ذراعا و شبرا، و قال فى موضع آخر: أربعة و خمسون ذراعا و سدس.

قلت: و ما ذكره أولا أقرب إلى الصواب كما اختبرناه، فإنى ذرعت بحبل من صفحة المنبر القبلية إلى طرف الحجرة القبلية فكان ثلاثة و خمسين ذراعا.

و ذكر ابن جماعة ذراعا أقل من هذا، و كأنه ذرع على الاستقامة، و لم يعتبر الذرع من الطرفين المذكورين، فقال: و ذرعت ما بين الجدار الذى حول الحجرة الشريفة و بين المنبر فكان أربعا و ثلاثين ذراعا و قيراطا بذراع العمل. قلت: و ذلك نحو اثنين و خمسين ذراعا بذراع اليد الذى قدمنا تحريره، و أما قول من قال: «إن طول الروضة اليوم ينقص عن خمسين ذراعا بثلثى ذراع» فلا وجه له إلا أن يكون اعتبر بذراع اليد المفرط الطول، و الله أعلم.

و أما نهاية الحجرة فلم تكن معلومة لابن جماعة و غيره، و عليها يتوقف بيان العرض، و لهذا قال الريمى: لا ندرى الحجرة فى وسط

البناء المحيط بها أم لا؟ و لا ندرى إلى أين ينتهى امتدادها؟ و غالب الناس يعتقدون أن نهايتها فى محاذاة أسطوان على رضى الله عنه، و لهذا جعلوا الدرابزين الذى بين الأساطين ينتهى إلى صفها، و اتخذوا الفرش لذلك فقط، و الصواب ما قدمناه؛ فقد انجلى الأمر و لله الحمد.

الفصل السابع فى الأساطين المنيفة الأسطوان المخلق

اشارة

منها الأسطوان الذى هو علم على المصلى الشريف، و يعرف بالمخلق، و قد قدمنا قول ابن زبالة «المخلق نحو من ثلثيها» و قول ابن القاسم «إن المصلى الشريف حيث الأسطوان المخلق» و بينا أن المراد أنها أقرب أسطوان إليه، و أن الجذع الذى كان يخطب إليه صلّى اللّه عليه و سلّم و يتكئ عليه كان هناك، و أن الأسطوان الموجود اليوم متقدم على المحل الأول، و أن المحل الأصلى هو موضع كرسى الشمعة التى عن يمين الإمام الواقف فى المصلى الشريف، فمن أراد التبرك بذلك فليصل هناك.

و روى ابن زبالة عن يزيد بن عبيد أنه كان يأتى مع سلمة بن الأكوع إلى سبحة الضحى، فيعمد إلى الأسطوان دون المصحف فيصلى قريبا منهما، فأقول: أ لا تصلى هاهنا؟

و أشير له إلى بعض نواحى المسجد، فيقول: إنى رأيت رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم يتحرى هذا المقام، و هذا الحديث فى الصحيحين، و لفظ البخارى «كنت آتى مع سلمة بن الأكوع، فيصلى عند الأسطوان التى عند المصحف، فقلت: يا أبا سلمة أراك تتحرى الصلاة عند هذه

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۳۹

الأسطوانة، قال: فإنى رأيت رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم يتحرى الصلاة عندها» و لفظ مسلم عن سلمة أنه كان يتحرى موضع المصحف يسبح فيه، و ذكر أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم كان يتحرى ذلك، و قد قدمنا فى الكلام على المصلى الشريف ما يبين أن المراد هذه الأسطوانة.

أسطوان القرعة

و منها أسطوان القرعة، و تعرف بأسطوان عائشة رضى الله عنها، و بالأسطوان المخلق أيضا، و بأسطوان المهاجرين.

روينا فى كتاب ابن زبالة عن إسماعيل بن عبد الله عن أبيه أن عبد الله بن الزبير و مروان بن الحكم و ثالثا كان معهما دخلوا على عائشة رضى الله عنها فتذاكروا المسجد، فقالت عائشة: إنى لأعلم سارية من سوارى المسجد لو يعلم الناس ما فى الصلاة إليها لاضطربوا عليها بالسهمان، فخرج الرجلان و بقى ابن الزبير عند عائشة، فقال الرجلان: ما تخلف إلا ليسألها عن السارية، و لئن سألها لتخبرنه، و لئن أخبرته لا يعلمنا، و إن أخبرته عمد لها إذا خرج فصلى إليها، فاجلس بنا مكانا نراه و لا يرانا، ففعلا، فلم ينشب أن خرج مسرعا فقام إلى هذه السارية فصلى إليها متيامنا إلى الشق الأيمن منها، فعلم أنها هى، و سميت أسطوانة عائشة بذلك، و بلغنا أن الدعاء عندها مستجاب، هذا لفظ ابن زبالة.

و فى الأوسط للطبرانى عن عائشة رضى الله عنها قالت: إن رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم قال: إن فى مسجدى لبقعة قبل هذه الأسطوانة لو يعلم الناس ما صلوا فيها إلا أن تطير لهم قرعة، و عند عائشة جماعة من أبناء الصحابة فقالوا: يا أم المؤمنين و أين هى؟ فاستعجمت عليهم، فمكثوا عندها ساعة ثم خرجوا و ثبت عبد الله بن الزبير فقالوا: إنها ستخبره بذلك المكان، فارقبوه فى المسجد حتى تنظروا حيث يصلى، فخرج بعد ساعة فصلى عند الأسطوانة التى صلى إليها عامر بن عبد الله بن الزبير، فقيل لها: أسطوانة القرعة.

قال عتيق: و هى الأسطوانة التى هى واسطة بين القبر و المنبر: عن يمينها إلى المنبر أسطوانتان، و بينها و بين القبر أسطوانتان، و بينها و بين الرحبة أسطوانتان، و هى واسطة بين ذلك، و هى تسمى أسطوانة القرعة، هذا لفظ الأوسط.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۴۰

و قال ابن زبالة: حدثنى غير واحد من أهل العلم منهم الزبير بن حبيب أن الأسطوان التى تدعى أسطوان عائشة هى الثالثة من المنبر، و الثالثة من القبر، و الثالثة من القبلة، و الثالثة من الرحبة، أى قبل زيادة الرواقين الآتى ذكرهما المتوسطة للروضة أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم صلى إليها بضع عشرة المكتوبة ثم تقدم إلى مصلاه الذى وجاه المحراب فى الصف الأوسط، أى الرواق الأوسط، و أن أبا بكر و عمر و الزبير بن العوام و عامر بن عبد الله كانوا يصلون إليها، و أن المهاجرين من قريش كانوا يجتمعون عندها، و كان يقال لذلك المجلس مجلس المهاجرين، انتهى.

و قد ذكر ابن النجار هذه الرواية عن الزبير بن حبيب، و زاد: و قالت عائشة فيها: لو عرفها الناس لاضطربوا على الصلاة عندها بالسهمان، فسألوها عنها فأبت أن تسميها، فأصغى إليها ابن الزبير فسارّته بشىء، ثم قام فصلى إلى التى يقال لها أسطوان عائشة، قال: فظن من معه أن عائشة أخبرته أنها تلك الأسطوانة، فسميت أسطوان عائشة، قال: و أخبرنى بعض أصحابنا عن زيد بن أسلم قال: رأيت عند تلك الأسطوانة موضع جبهة النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، ثم رأيت دونه موضع جبهة أبى بكر، ثم رأيت دون موضع جبهة أبى بكر موضع جبهة عمر، و يقال: الدعاء عندها مستجاب، هذا لفظ رواية ابن النجار عقب ما قدمناه من رواية ابن زبالة. و زاد فيما ذكره ابن زبالة عقب قوله: «إن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم صلّى إليها المكتوبة بضع عشرة، ثم تقدم إلى مصلاه اليوم» ما لفظه: و كان يجعلها خلف ظهره، قلت: و لم أره فى كلام غيره، و الظاهر أن مراده أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم كان يستند إليها إذا جلس هناك، لا أنه يجعلها خلف ظهره إذا صلى؛ لما ذكره عن زيد بن أسلم من أنه رأى موضع جبهة النبى صلّى اللّه عليه و سلّم عندها، و وصف هذه الأسطوانة بالمخلقة يؤخذ مما تقدم عن ابن زبالة من قول أبى هريرة «و كان مصلاه صلّى اللّه عليه و سلّم الذى يصلى فيه بالناس إلى الشام من مسجده أن تضع موضع الأسطوان المخلقة خلف ظهرك ثم تمشى إلى الشام» إلى آخر ما تقدم قلت: و هذه الأسطوان بصف الأساطين التى خلف الإمام الواقف بالمصلى الشريف، و هى الثالثة من القبلة و كانت الثالثة أيضا من رحبة المسجد كما تقدم، و ذلك قبل أن يزاد فى مسقف مقدم المسجد الرواقان الآتى بيانهما فى رحبته، و بهما صارت خامسة من الرحبة.

أسطوان التوبة

و منها أسطوان التوبة، و تعرف بأسطوان أبى لبابة بن عبد المنذر أخى بنى عمرو بن عوف الأوسى أحد النقباء، و اسمه رفاعة، و قيل غير ذلك، سميت به لأنه ارتبط إليها حتى أنزل الله توبته كما قدمناه فى غزوة بنى قريظة.

و قال الأقشهرى: اختلف أهل السير و التفسير فى ذنب أبى لبابة، فقال قوم: كان من

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۴۱

الذين تخلفوا عن رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم فى غزوة تبوك، و قال ابن هشام تبعا لابن إسحاق: سببه قضية بنى قريظة و استشارتهم إياه، و أسند يحيى عن عبد الرحمن بن يزيد قصته معهم، و أنهم قالوا له: أ ننزل على حكم محمد؟ قال: نعم، و أشار بيده إلى حلقه، و هو الذبح. و فى رواية أخرى أنه لما جاءهم قام إليه الرجال، و أجهش إليه النساء و الصبيان يبكون فى وجهه، فرق لهم، فكان منه ما تقدم، قال أبو لبابة: فو الله ما زالت قدماى حتى علمت أنى خنت الله و رسوله. قال يحيى فى الرواية المتقدمة: فلم يرجع إلى النبى صلّى اللّه عليه و سلم، و مضى إلى المسجد، و ارتبط إلى جذع فى موضع أسطوانة التوبة، و أنزل الله عز و جل فيه: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَ الرَّسُولَ وَ تَخُونُوا أَماناتِكُمْ وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ [الأنفال: ۲۷] و فى رواية: فربط نفسه فى السارية، و حلف لا يحل نفسه حتى يحله رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم أو تنزل توبته، قال: فجاءت فاطمة رضى الله عنها تحله، فقال: لا، حتى يحلنى

رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم، فقال صلّى اللّه عليه و سلّم: إنما فاطمة بضعة منى، و فى رواية لابن النجار أن أبا لبابة عاهد الله تعالى أن لا يطأ بنى قريظة أبدا، و قال:

لا يرانى الله فى بلد خنت الله و رسوله فيه أبدا، و أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم قال لما بلغه خبره- و كان قد استبطأه- «أما لو جاءنى لاستغفرت الله له، فاما إذ فعل ما فعل فما أنا بالذى أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه» فأنزلت توبته و رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم فى بيت أم سلمة، قالت:

فسمعت رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم من السحر يضحك، فقلت: مم تضحك أضحك الله سنك؟ قال:

تيب على أبى لبابة، قلت: أ لا أبشره بذلك يا رسول الله؟ قال: بلى إن شئت، فقامت على باب حجرتها قبل أن يضرب عليهن الحجاب فقالت: يا أبا لبابة أبشر فقد تاب الله عليك، قال: فثار الناس إليه ليطلقوه، قال: لا و الله حتى يكون رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم هو الذى يطلقنى بيده، فلما مر عليه خارجا إلى صلاة الصبح أطلقه.

و روى البيهقى فى الدلائل عن سعيد بن المسيب قصة أبى لبابة فى بنى قريظة، و أنه تخلف فى غزوة تبوك، فلما قفل رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم جاءه يسلم عليه، فأعرض عنه، ففزع أبو لبابة، فارتبط بسارية التوبة التى عند باب أم سلمة زوج النبى صلّى اللّه عليه و سلّم سبعا بين يوم و ليلة فى حر شديد لا يأكل فيهن و لا يشرب قطرة.

و روى مالك بن أنس عن عبد الله بن أبى بكر بن حزم أن أبا لبابة ارتبط إليها بسلسلة ربوض، و الربوض: الثقيلة، بضع عشرة ليلة، حتى ذهب سمعه فما يكاد يسمع، و كاد بصره يذهب، و كانت ابنته تحله إذا حضرت الصلاة و إذا أراد أن يذهب لحاجته حتى يفرغ ثم تأتى به فيرده فى الرباط كما كان.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۴۲

و أورد الزمخشرى قصة أبى لبابة فى تفسيره قوله تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَ الرَّسُولَ [الأنفال: ۲۷] الآية، و قال فيها: قال أبو لبابة: فما زالت قدماى حتى علمت أنى قد خنت الله و رسوله، فنزلت أى: الآية المتقدمة، فشد نفسه على سارية من سوارى المسجد و قال: و الله لا أذوق طعاما و لا شرابا حتى أموت أو يتوب الله على، فمكث سبعة أيام حتى خر مغشيا عليه، ثم تاب الله عليه، و ذكر فى القصة أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم جاءه فحله فقال:

إن من تمام توبتى أن أهجر دار قومى التى أصبت فيها الذنب، و أن أخلع من مالى، فقال عليه السلام: «يجزئك الثلث أن تتصدق به».

و نقل ابن النجار عن إبراهيم بن جعفر أن السارية التى ربط إليها ثمامة بن أثال الحنفى هى السارية التى ارتبط إليها أبو لبابة، و نقل ذلك أيضا عن ابن شبة.

و روى البيهقى عن ابن عباس فى قوله تعالى: وَ آخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ [التوبة:

۱۰۲] الآية، قال: كانوا عشرة رهط تخلفوا عن رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم فى غزوة تبوك، فلما حضر رجوع النبى صلّى اللّه عليه و سلّم أوثق سبعة منهم أنفسهم بسوارى المسجد، فلما رآهم النبى صلّى اللّه عليه و سلّم قال: من هؤلاء؟ قالوا: هذا أبو لبابة و أصحاب له تخلفوا عنك، الحديث، و فيه توبة الله عليهم و أنه صلّى اللّه عليه و سلّم أرسل إليهم و أطلقهم.

و روى ابن زبالة عن عمر بن عبد الله بن المهاجر عن محمد بن كعب أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم كان يصلى نوافله إلى أسطوانة التوبة.

و فى رواية له عن عمر بن عبد الله، لم يذكر ابن كعب، أنه قال فى أسطوان التوبة:

كان أكثر نافلة النبى صلّى اللّه عليه و سلّم إليها، و كان إذا صلّى الصبح انصرف إليها، و قد سبق إليها الضعفاء و المساكين و أهل الضر و ضيفان النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و المؤلفة قلوبهم و من لا مبيت له إلا فى المسجد، قال: و قد تحلقوا حولها حلقا بعضها دون بعض، فينصرف إليهم من مصلاه من الصبح، فيتلو عليهم ما أنزل الله عليه من ليلته، و يحدثهم و يحدثونه، حتى إذا طلعت الشمس جاء

أهل الطّول و الشرف و الغنى فلم يجدوا إليه مجلسا، فتاقت أنفسهم إليه و تاقت نفسه إليهم، فأنزل الله تعالى: وَ اصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَداةِ وَ الْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ [الكهف: ۲۸] إلى منتهى الآيتين، فلما نزل ذلك فيهم قالوا: يا رسول الله اطردهم عنا، و نكون نحن جلساءك و إخوانك و لا نفارقك، فأنزل الله عز و جل: وَ لا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَداةِ وَ الْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ [الأنعام: ۵۲] إلى منتهى الآيتين.

و فى العتبية عن مالك وصف أسطوان التوبة بالمخلقة، و قد قدمنا فى الكلام على المصلى الشريف ما ذكره ابن زبالة من خلوقها و خلوق غيرها من الأساطين.

و روى ابن زبالة خبر مالك بن أنس المتقدم عن عبد الله بن أبى بكر بنحو ما تقدم،

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۴۳

و قال فيه: و هى الأسطوان المخلق نحو من ثلثيها، تدعى أسطوان التوبة، منها حل رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم أبا لبابة حين نزلت توبته، و بينها و بين القبر أسطوان.

و أسند أيضا عن ابن عمر أنه كان يقول فى الأسطوان التى ارتبط إليها أبو لبابة: هى الثانية من القبر، و هى الثالثة من الرحبة.

قلت: كانت الثلاثة من الرحبة قبل تجدد الأسطوانتين المشار إليهما فى أسطوانة القرعة بسبب تجدد الرواقين الآتى ذكرهما، و هذه الأسطوانة إلى جانب الأسطوانة المتقدم ذكرها من جهة المشرق؛ فهى الرابعة من المنبر، و الثانية من القبر، و الثالثة من القبلة، و الخامسة فى زماننا من رحبة المسجد، و فيها اليوم هيئة محراب من الجص تتميز به عن سائر الأساطين، لكنه أزيل فى الحريق الثانى.

و فهم البدر بن فرحون من رواية ابن عمر المتقدمة أنها التى تلى هذه الأسطوانة فى جهة المشرق، و هى اللاصقة بالشباك اليوم كما سيأتى، فقال: إن أسطوان التوبة هى اللاصقة بالشباك على ما قاله عبد الله بن عمر، و تبعه مالك بن أنس، و ما قيل إنها غيرها فغلط أوجبه أشياء يطول ذكرها، انتهى كلامه.

قلت: بل الصواب ما قدمناه فى بيانها، و منشأ ما فهمه عدّه للأسطوانة اللاصقة بجدار القبر، فحمل قول ابن عمر أنها الثانية من القبر، و قول مالك بينها و بين القبر أسطوان على الأسطوانة اللاصقة بالشباك اليوم، و قد علم من كلامهم فى أسطوان القرعة أنهم لا يعدون اللاصقة بجدار القبر لما تقدم من قولهم فيها: إنها الثالثة من المنبر و الثالثة من القبر، و لو عدوا اللاصقة بجدار القبر لكانت الرابعة من القبر، و أيضا فاللاصقة بجدار القبر أحدثها عمر بن عبد العزيز، و لم يدرك ذلك ابن عمر، و أوضح من ذلك أن ابن زبالة قال: إن بين أسطوان التوبة و بين جدار القبر الشريف عشرين ذراعا، و قد اعتبرت ذلك من الأسطوانة التى ذكرناها فكان كذلك.

و قال أيضا فيما قدمناه عنه: «إن ذرع ما بين مصلى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و بينها سبع عشرة ذراعا» و قد قدمنا فى المصلى الشريف ما يقتضى صحة ذلك عند اختبارنا لما بينهما مع بيان أن المصلى الشريف فى طرف الحفر الذى يلى المغرب، و إن جعل المصلى الشريف على تلك الهيئة حادث، و فى نسخة من ابن زبالة «تسع عشرة ذراعا» بتقديم التاء، فإن صحت فقد علمت أنه لم يكن المصلى الشريف فى عهد ابن زبالة على هذه الهيئات، بل كانت الأرض مستوية، فكأنه اعتبر الذراع من ابتداء طرف المصلى الشريف الغربى، و منه إلى الأسطوان

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۴۴

المذكور تسع عشرة ذراعا بتقديم التاء، و أما ذرع ما بين المصلى الشريف و الأسطوانة التى يعنيها البدر فخمس و عشرون ذراعا، فلا يصح إرادتها بوجه.

و أسند ابن زبالة و يحيى فى بيان معتكف النبى صلّى اللّه عليه و سلّم عن ابن عمر أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم «كان إذا اعتكف طرح له فراشه و وضع له سرير وراء أسطوانة التوبة».

و روى ابن ماجه عن نافع أن ابن عمر أراه المكان الذى كان يعتكف فيه رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم، ثم روى عن نافع عن ابن

عمر أنه صلّى اللّه عليه و سلّم «كان إذا اعتكف طرح له فراشه و وضع له سرير وراء أسطوانة التوبة». قال البدر بن فرحون: و نقل الطبرانى فى معجمه عن ابن عمر رضى الله عنهما أن ذلك مما يلى القبلة «يستند إليها».

قلت: و رواه البيهقى بسند حسن، و لفظه أن رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم «كان إذا اعتكف يطرح له فراشه أو سريره إلى أسطوانة التوبة مما يلى القبلة يستند إليها» و نقل عياض عن ابن المنذر أن مالك بن أنس كان له موضع فى المسجد، قال: و هو مكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه، و هو المكان الذى كان يوضع فيه فراش رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم إذا اعتكف، كذا قال الأويسى.

أسطوان السرير

و منها: أسطوان السرير، أسند ابن زبالة و يحيى فى بيان معتكف النبى صلّى اللّه عليه و سلّم عقب ذكر ما تقدم من وضع فراشه و سريره وراء أسطوان التوبة عن محمد بن أيوب أنه «كان للنبى صلّى اللّه عليه و سلّم سرير من جريد فيه سعفه يوضع بين الأسطوان التى تجاه القبر و بين القناديل، كان يضطجع عليه رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم».

قلت: و هذه الأسطوانة هى اللاصقة بالشباك اليوم فى شرقى أسطوان التوبة و ابن فرحون يجعلها إليها كما تقدم، و يؤيده ما تقدم فى أسطوان التوبة من أن سريره صلّى اللّه عليه و سلّم كان يوضع إليها، إلا أن يجاب بأنه كان يوضع مرة عند هذه و مرة عند تلك، بدليل أنه تقدم فى أسطوان التوبة أن وضع ذلك كان مما يلى القبلة يستند إليها، و ذكر فى هذه أنه «كان يوضع بينها و بين القناديل» و ذلك فى جهة شرقيها.

و قال البدر بن فرحون: روينا بالسند الصحيح إلى ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم «كان إذا اعتكف يطرح له و سادة، و يوضع له سرير من جريد فيه سعفه، يوضع له فيما بين الأسطوان التى و جاه القبر الشريف و بين القناديل، و كان رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم يضطجع عليه»

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۴۵

قال أبو و حرة- بحاء مهملة- السعدى و هو يذكر السرير و يمدح آل الزبير لقرب مجلسهم منه:

و إذا غدا آل الزبير غدا النّدى و إذا انتدى فإليهم ما ينتدى

و إذا هم راحوا فإنهم هم أهل السرير و أهل صدر المسجد

أسطوان المحرس

و منها: أسطوان المحرس، و يسمى أسطوان أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه.

قال يحيى: حدثنا موسى بن سلمة قال: سألت جعفر بن عبد الله بن الحسين عن أسطوان على بن أبى طالب، فقال: إن هذه المحرس، كان على بن أبى طالب يجلس فى صفحتها التى تلى القبر مما يلى باب رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم، يحرس النبى صلّى اللّه عليه و سلّم.

قال الجمال المطرى و تبعه من بعده: و هو مقابل الخوخة التى كان النبى صلّى اللّه عليه و سلّم يخرج منها إذا كان فى بيت عائشة إلى الروضة للصلاة، و هى خلف أسطوان التوبة من جهة الشمال.

قلت: هى الأسطوان الذى يصلى عندها أمير المدينة يجعلها خلف ظهره، و لذا قال الأقشهرى: إن أسطوان مصلى على كرم الله وجهه اليوم أشهر من أن تخفى على أهل الحرم، و يقصد الأمراء الجلوس و الصلاة عندها إلى اليوم، و ذكر أنه كان يقال لها مجلس القلادة لشرف من كان يجلس فيه، و ذلك إنما هو فى أسطوان الوفود لما سيأتى.

أسطوان الوفود

و منها: أسطوان الوفود، قال المطرى: هى خلف أسطوان المحرس من جهة الشمال، كان رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم يجلس إليها لوفود العرب إذا جاءته، و كانت مما يلى رحبة المسجد قبل أن يزاد فى السقف القبلى الرواقان، و كانت تعرف أيضا بمجلس القلادة، يجلس إليها سروات الصحابة و أفاضلهم رضوان الله عليهم.

و قال الأقشهرى، و من خطه نقلت: و أما الأسطوان الذى كان يجلس إليها صلّى اللّه عليه و سلّم لوفود العرب إذا جاءته، فقال: إذا عددت الأسطوان التى فيها مقام جبريل عليه السلام كانت هى الثالثة، انتهى، و كأنه سقط من خطه فاعدد فقال: و قد أخذه من تحفة ابن عساكر، و قد رأيت فى نسخة معتمدة منها موضع بياض بعد «فقال».

و هذا مطابق لما تقدم عن المطرى؛ لأن الأسطوان التى فيها مقام جبريل هى مربعة القبر كما سيأتى، و بينها و بين أسطوان الوفود المذكور أسطوان.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۴۶

و قال ابن زبالة: حدثنا غير واحد من أهل العلم منهم عبد العزيز بن محمد أن الأسطوان التى إلى الرحبة التى فى صف أسطوان التوبة بينها و بين أسطوان التوبة مصلى على بن أبى طالب، و أنه المجلس الذى يقال له مجلس القلادة، كان يجلس فيه سراة الناس قديما.

و أورده المجد، و زاد فى آخره: و إنما سمى القلادة لشرف من كان يجلس إليها من بنى هاشم و غيرهم.

أسطوان مربعة القبر

و منها أسطوان مربعة القبر، و سيأتى أنه يقال له أيضا أسطوان مقام جبريل عليه السلام، و قد تقدم فيما نقله الأقشهرى فى أسطوان الوفود ما يشهد له.

و أسند ابن زبالة و يحيى عن سليمان بن سالم عن مسلم بن أبى مريم و غيره: كان باب بيت فاطمة بنت رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم فى المربعة التى فى القبر، قال سليمان: قال لى مسلم: لا تنس حظك من الصلاة إليها؛ فإنها باب فاطمة رضى الله عنها الذى كان على يدخل عليها منه.

قلت: و هى فى حائز عمر بن عبد العزيز عند منحرف الصفة الغربية منه إلى جهة الشمال، فى صف أسطوان الوفود، بينهما الأسطوانة اللاصقة بالشباك التى شرقى أسطوان الوفود، و سيأتى لها مزيد بيان إن شاء الله تعالى.

و من فضلها ما أسنده يحيى عن أبى الحمراء قال: شهدت رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم أربعين صباحا يجىء إلى باب على و فاطمة و حسن و حسين حتى يأخذ بعضادتى الباب و يقول: السلام عليكم أهل البيت: إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً [الأحزاب:

۳۳] و فى رواية له: رابطت بالمدينة سبعة أشهر كيوم واحد، و كان رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم يأتى باب على كل يوم فيقول: الصلاة، الصلاة، ثلاث مرات إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً و قد حرم الناس الصلاة إلى هذه الأسطوان لإدارة الشباك الدائر على الحجرة الشريفة و غلق أبوابه.

أسطوان التهجد

و منها: أسطوان التهجد، أسند يحيى عن عيسى بن عبد الله عن أبيه قال: كان رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم يخرج حصيرا كل ليلة إذا انكفت الناس فيطرح وراء بيت على، ثم يصلى صلاة الليل، فرآه رجل فصلى بصلاته، ثم آخر فصلى بصلاته، حتى كثروا، فالتفت

رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم فإذا بهم، تأمر بالحصير فطوى ثم دخل، فلما أصبح جاءوه فقالوا: يا رسول الله، كنت فصلى الليل فنصلى بصلاتك، فقال: إنى خشيت أن ينزل عليكم صلاة

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۴۷

الليل ثم لا- تقوون عليها، قال عيسى بن عبد الله: و ذلك موضع الأسطوان التى على طريق باب النبى صلّى اللّه عليه و سلّم مما يلى الزوراء.

قلت: صحّف بعضهم هذه اللفظة فقال: مما يلى الدور، و رأيت بخط الأقشهرى: لعله مما يلى دوره، انتهى. و الظاهر أن الرواية مما يلى الزور- بالزاى- يعنى الموضع المزور فى بناء عمر بن عبد العزيز خلف الحجرة كما سيأتى و الله أعلم.

قال عيسى: و حدثنى سعيد بن عبد الله بن فضيل قال: مر بى محمد بن الحنفية و أنا أصلى إليها، فقال لى: أراك تلزم هذه الأسطوانة، هل جاءك فيها أثر؟ قلت: لا، قال:

فالزمها فإنها كانت مصلّى رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم من الليل.

قلت: تقدم فى حدود المسجد النبوى ما يقتضى أن الموضع المذكور كان خارج المسجد تجاه باب جبريل قبل تحويله إلى محله اليوم، و هو موافق لما سيأتى عن المؤرخين فى بيان موضع هذه الأسطوانة، و المعروف من حاله صلّى اللّه عليه و سلّم أن قيامه فى غير رمضان إنما كان فى بيته، و هذا الموضع ليس منه، و فيما سبق مع أحاديث قيام رمضان ما يوهم أن القصة المذكورة كانت فيه، ففى صحيح البخارى عن زيد بن ثابت أن رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم «اتخذ حجرة، قال:

حسبت أنه قال: من حصير، فى رمضان فصلى فيها ليالى فصلى بصلاته ناس- الحديث» و رواه مسلم عنه بلفظ أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم «اتخذ حجرة فى المسجد من حصير، فصلى رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم فيها ليلا، حتى اجتمع إليه ناس، فذكره نحوه» و فى رواية لأبى عوانة عن زيد «اتخذ حجرة من حصير فى المسجد فى رمضان- الحديث». و لعلها القبة التى كان يعتكف صلّى اللّه عليه و سلّم فيها فى رمضان، فقد روى الطبرانى فى الكبير عن أبى ليلى قال: رأيت رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم اعتكف فى قبة من خوص، و فى الكبير و الأوسط عن معيقيب قال: «اعتكف رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم فى قبة من خوص بابها من حصير و الناس فى المسجد» و أسند يحيى عن أبى حازم مولى الأنصار قال: «اعتكف رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم فى المسجد فى رمضان فى قبة على بابها حصير»، و عن ابن عمر قال: بنى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم بيتا من سعف فى المسجد فى آخر شهر رمضان يصلى فيه.

و قال المطرى فى بيان موضع هذه الأسطوانة: هى خلف بيت فاطمة رضى الله عنها، و الواقف إليها يكون باب جبريل المعروف قديما بباب عثمان على يساره، و حولها الدرابزين: أى لاصقا بها يمينا و يسارا، و هو الشباك الدائر على الحجرة الشريفة و على بيت فاطمة رضى الله عنها، و قد كتب فيها بالرخام: هذا متهجّد النبى صلّى اللّه عليه و سلّم.

و قال ابن النجار: هذه الأسطوانة وراء بيت فاطمة من جهة الشمال، و فيها محراب إذا توجه المصلى إليه كانت يساره إلى باب عثمان المعروف اليوم بباب جبريل.

قلت: و قد جدد محرابها فى هذه العمارة التى أدركناها أولا، و زيد فى رخامه فوق

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۴۸

المحراب الأول، و كتبوا فى ذلك بالرخام بروز الأمر بتجديد عمارة الحجرة الشريفة من السلطان الأشرف قايتباى- أعز الله أنصاره!- و أن ذلك على يد الخواجا الجناب الشمسى ابن الزمن، و تاريخ العمارة المذكورة، كل ذلك مكتوب بالرخام فى أعلى محراب الأسطوانة المذكورة، ثم لما جاء الحريق الحادث بعد تمام هذا التأليف أزال ذلك كله، ثم اقتضى رأيهم عند بناء الدعائم التى اتخذوها للقبة المحاذية لأعلى الحجرة و العقود التى خلفها إبدال هذه الأسطوانة بدعامة اتخذوا فيها محرابا.

و هذه الأسطوانة آخر الأساطين التى ذكر لها أهل التاريخ فضلا خاصا، و إلا فجميع سوارى المسجد الشريف لها فضل؛ ففى البخارى

من حديث أنس قال: لقد أدركت كبار أصحاب النبى صلّى اللّه عليه و سلّم يبتدرون السوارى عند المغرب، قال ابن النجار: فعلى هذا جميع سوارى مسجد النبى صلّى اللّه عليه و سلّم يستحب الصلاة عندها؛ لأنه لا يخلو أن كبار الصحابة صلوا إليها، و اللّه أعلم.

الفصل الثامن فى الصّفة و أهلها، و تعليق الأقناء لهم بالمسجد

وصف الصفة و موضعها

قال عياض: الصفة- بضم الصاد و تشديد الفاء- ظلة فى مؤخر مسجد النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، يأوى إليها المساكين، و إليها ينسب أهل الصّفة على أشهر الأقاويل.

و قال الحافظ الذهبى: إن القبلة قبل أن تحوّل كانت فى شمالى المسجد، فلما حوّلت القبلة بقى حائط القبلة الأعلى مكان أهل الصفة.

و قال الحافظ ابن حجر: الصفة مكان فى مؤخر المسجد النبوى مظلل أعد لنزول الغرباء فيه ممن لا مأوى له و لا أهل، و كانوا يكثرون فيه و يقلون بحسب من يتزوج منهم أو يموت أو يسافر.

و قد سرد أسماءهم أبو نعيم فى الحلية فزادوا على المائة، و قد أخرج أبو نعيم فى الحلية من مرسل الحسن قال: بنيت صفّة فى المسجد لضعفاء المسلمين.

و قال المجد نقلا عن الدارقطنى: الصفة هى ظلة كان المسجد فى مؤخرها، ثم قال المجد: و ذكر ابن جبير فى رحلته عند ذكر قباء قال: و فى آخر القرية تلّ مشرف يعرف بعرفات يدخل إليه على دار الصفة حيث كان عمار و سلمان و أصحابهما المعروفون بأهل الصفة، و كأن هذا و هم، و اللّه أعلم.

قلت: يظهر من قول عياض فيما قدمناه عنه «على أشهر الأقوال» أن فى ذلك خلافا؛ فيكون ما ذكره ابن جبير أحد الأقوال، لكنه مرجوح أو مؤول بأن من ذكر من أهل الصفة اتخذوا تلك الدار بعد، فاشتهرت بذلك.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۴۹

أهل الصفة

و قد روى ابن سعد فى مرسل يزيد بن عبد اللّه بن قسيط: كان أهل الصفة ناسا فقراء لا منازل لهم، فكانوا ينامون فى المسجد لا مأوى لهم غيره.

و روى البيهقى عن عثمان بن اليمان قال: لما كثرت المهاجرون بالمدينة و لم يكن لهم دار و لا مأوى أنزلهم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم المسجد، و سماهم أصحاب الصفة، فكان يجالسهم و يأنس بهم.

و أسند يحيى عن فضالة بن عبيد قال: كنا نصلى مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم فيخر قوم من قامتهم من الخصاصة، حتى يقول الأعرابى: مجانين، و هم أهل الصفة، فإذا صلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم أتاهم فوقف عليهم، فقال: لو تعلمون ما لكم عند اللّه لأحببتم أن تزدادوا فقرا و حاجة.

و فى صحيح البخارى عن عبد الرحمن بن أبى بكر أن أصحاب الصفة كانوا ناسا فقراء، و أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم قال مرة: من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث، و من كان عنده طعام أربعة فليذهب بخامس- الحديث.

و فيه من حديث أبى هريرة قال: لقد رأيت سبعين من أهل الصفة ما منهم رجل عليه رداء إما إزار و إما كساء قد ربطوه، فمنها ما يبلغ نصف الساقين، و منها ما يبلغ الكعبين، فيجمعه بيده كراهية أن ترى عورته.

و فيه من حديث أبى هريرة أيضا أنه كان يقول: و اللّه الذى لا إله إلا هو إن كنت لأعتمد بكبدى على الأرض من الجوع، و إن كنت

لأشد الحجر على بطنى من الجوع، و لقد قعدت يوما فى طريقهم الذى يخرجون منه، فمر أبو بكر فسألته عن آية من كتاب الله ما سألته إلا يستتبعنى، فمر و لم يفعل، ثم مر بى أبو القاسم صلّى اللّه عليه و سلّم فتبسم حين رآنى و عرف ما فى نفسى و ما فى وجهى، ثم قال: أبا هر، قلت: لبيك يا رسول الله، قال: الحق، فمضى فتبعته، فدخل فاستأذن، فأذن لى، فدخلت فوجدنا لبنا فى قدح، فقال: من أين هذا اللبن؟

فقالوا: أهداه لك فلان أو فلانة، قال: أبا هر، قلت: لبيك يا رسول الله، قال: الحق إلى أهل الصفة فادعهم لى، و أهل الصفة أضياف الإسلام لا يأوون على أهل و لا مال و لا على أحد، إذا أتته صدقة بعث بها إليهم، و لم يتناول منها شيئا، و إذا أتته هدية أرسل إليهم و أصاب منها و أشركهم فيها، فساءنى ذلك، فقلت: و ما هذا اللبن فى أهل الصفة؟ كنت أحق أن أصيب من هذا اللبن شربة أتقوّى بها، فلما جاءوا أمرنى فكنت أنا أعطيهم، و ما

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۵۰

عسى أن يبلغنى من هذا اللبن؟ و لم يكن من طاعة الله و طاعة رسوله بد، فأتيتهم فدعوتهم فأقبلوا، فاستأذنوا فأذن لهم، فأخذوا مجالسهم من البيت، قال: يا أبا هريرة، قلت: لبيك يا رسول الله، قال: خذ فأعطهم، فأخذت القدح فجعلت أعطيه الرجل فيشرب حتى يروى ثم يرد على القدح فاخذه فأعطيه الرجل فيشرب حتى يروى، ثم انتهيت إلى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و قد روى القوم كلهم، فأخذ القدح فوضعه على يده فنظر إلى فتبسم، و قال: يا أبا هر، قلت: لبيك يا رسول الله، قال: بقيت أنا و أنت، قلت: صدقت يا رسول الله، قال: اقعد فاشرب، فقعدت فشربت، فقال: اشرب، فشربت، فما زال يقول اشرب حتى قلت: لا و الذى بعثك بالحق ما أجد له مسلكا، قال: فأرنى، فأعطيته القدح، فحمد الله و سمى و شرب الفضلة.

و قد وقع لأبى هريرة رضى الله عنه قصة أخرى فى تكثير الطعام مع أهل الصفة.

و أخرج ابن حبان من طريق مسلم بن حيان عن أبيه عنه قال: أتت علىّ ثلاثة أيام لم أطعم، فجئت أريد الصفة، فجعلت أسقط، فجعل الصبيان يقولون: خر أبو هريرة، حتى انتهيت إلى الصفة، فوافيت رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم أتى بقصعة من ثريد، فدعا عليها أهل الصفة و هم يأكلون منها، فجعلت أتطاول كى يدعونى، حتى قاموا و ليس فى القصعة إلا شىء فى نواحيها، فجمعه صلّى اللّه عليه و سلّم فصارت لقمة، فوضعها على أصابعه فقال لى: كل باسم الله، فو الذى نفسى بيده ما زلت آكل منه حتى شبعت.

و روى أبو نعيم فى الحلية من حديث معاوية بن الحكم فقال: بينا أنا مع رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم فى الصفة، فجعل يوجه الرجل مع الرجل من الأنصار، و الرجلين و الثلاثة، حتى بقيت فى أربعة و رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم خامسنا، فقال: انطلقوا بنا، فقال: يا عائشة عشّينا- الحديث.

و روى أيضا من طريق نعيم المجمر عن أبى هريرة: كنت من أهل الصفة، و كنا إذا أمسينا حضرنا رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم، فيأمر كل رجل فينصرف برجل أو أكثر، فيبقى من بقى عشرة أو أقل أو أكثر، فيؤتى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم بعشائه فيتعشى معهم، فإذا فرغنا قال: ناموا فى المسجد.

و روى ابن شبة عن طلحة البصرى قال: كان من قدم المدينة فكان له بها عريف نزل على عريفه، و من لم يكن له بها عريف نزل الصفة، فكنت فيمن نزل الصفة، فوافقت رجلين كان يجرى علينا فى كل يوم مدّين من تمر من رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم، فانصرف رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم، فناداه رجل من أهل الصفة: يا رسول الله أحرق التمر بطوننا و تحرفت علينا الحرف، فمال النبى صلّى اللّه عليه و سلّم إلى منبره فحمد الله و أثنى عليه، و ذكر ما لقى من قومه حتى إن كان ليأتى على و على صاحبى بضعة عشر يوما ما لنا طعام إلا البرير، فقدمنا على إخواننا من الأنصار و جل

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۵۱

طعامهم التمر، فواسونا، و لو أجد لكم الخبز و اللحم لأطعمتكم، و لكن لعلكم ستدركون زمانا أو من أدركه منكم يلبسون فيه مثل

أستار الكعبة و يغدى و يراح عليكم بالجفان.

مبدأ تعليق الأقناء

و قال ابن النجار: روى أهل السير أن محمد بن مسلمة رأى أضيافا عند رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم فى المسجد، فقال: أ لا نفرق هذه الأضياف فى دور الأنصار، و نجعل لك فى كل حائط قنوا ليكون لمن يأتيك من هؤلاء الأقوام، فقال رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم: بلى، فلما جدّ ماله جاء بقنو فجعله فى المسجد بين ساريتين، فجعل الناس يفعلون ذلك، و كان معاذ بن جبل يقوم عليه، و كان يجعل حبلا بين الساريتين ثم تعلّق الأقناء على الحبل، و تجمع العشرين و أكثر فيهش عليهم بعصا من الأقناء فيأكلون حتى يشبعون، ثم ينصرفون و يأتى غيرهم فيفعل بهم مثل ذلك، فإذا كان الليل فعل لهم مثل ذلك.

قلت: بوّب البخارى للقسمة و تعليق القنو فى المسجد، و لم يذكر فى الباب تصريحا بتعليق القنو، فأشار بذلك إلى ما رواه النسائى عن عوف بن مالك الأشجعى قال: خرج رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم و بيده عصا، و قد علق رجل قنو حشف، فجعل يطعن فى ذلك القنو، و يقول: لو شاء رب هذه الصدقة تصدق بأطيب من هذا، إن رب هذه الصدقة يأكل حشفا يوم القيامة، و ليس على شرط البخارى، و إن كان إسناده قويا، فأشار إليه بالتبويب و لم يذكره كعادته.

و روى ابن زبالة عن إبراهيم بن محمد عن جعفر بن محمد عن أبيه أن ناسا كانوا يقدمون على النبى صلّى اللّه عليه و سلّم لا شىء لهم، فقالت الأنصار: يا رسول الله، لو عجلناك قنوا من كل حائط لهؤلاء، قال: أجل فافعلوا، ففعلوا، فجرى ذلك إلى اليوم، فهى الأقناء التى تعلق فى المسجد عند جدار النخل فيعطاها المساكين، و كان عليها على عهد رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم معاذ بن جبل.

و قال يحيى: حدثنى هرون بن موسى عن غير واحد من أهل المدينة أن الناس أصابتهم فى ثمارهم عاهة من العاهات فى زمن رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم، فقال رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم: ما على أحدكم لو بعث بقنو من نخله للمساكين، فبعث ذلك الناس، و استعمل رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم على الأقناء معاذ بن جبل، فكان يمد حبلا بين جذعين و يعلق عليه الأقناء، فرفع الله تلك العاهة، فصارت سنة، و لم تزل الأئمة عليها إلى اليوم.

و روى يحيى أيضا عن عاصم بن سويد قال: سمعت أبى يقول: عويم بن ساعدة أتى بقنو إلى مسجد رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم فأتسى الناس به أهل العالية و أهل السافلة.

و أخرج ثابت فى الدلائل أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم «أمر من كل حائط بقنو يعلق فى المسجد» يعنى للمساكين.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۵۲

و فى رواية له: و كان عليها معاذ بن جبل: أى على حفظها، أو على قسمتها، و الله أعلم.

الفصل التاسع فى الحجرة الشريفة، و بيان إحاطتها بالمسجد الشريف إلا من جهة المغرب

اشارة

قد تقدم أنه صلّى اللّه عليه و سلّم لما بنى مسجده الشريف بنى بيتين لزوجتيه عائشة و سودة رضى الله عنهما على نعت بناء المسجد من لبن و جريد النخل.

قال ابن النجار: و كان لبيت عائشة مصراع واحد من عرعر أو ساج، قال: و لما تزوج رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم نساءه بنى لهن حجرا، و هى تسعة أبيات، و هى ما بين بيت عائشة رضى الله عنها إلى الباب الذى يلى باب النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، انتهى. و مراده بالباب الذى يلى باب النبى صلّى اللّه عليه و سلّم الباب الذى فى الجهة المقابلة له من المغرب، و هو المعروف الآن بباب الرحمة، و

إنما حملنا كلامه على ذلك لأنه وقع فى كلامه استعمال الباب الذى يليه بمعنى الباب الذى يقابله، و لأنه قال عقبه: قال أهل السير: ضرب النبى صلّى اللّه عليه و سلّم الحجرات ما بينه و بين القبلة و الشرق إلى الشام، و لم يضربها فى غربيه، و كانت خارجة من المسجد مديرة به إلا من المغرب، و كانت أبوابها شارعة فى المسجد، انتهى.

و كأن الخطيب ابن حملة فهم من هذا اختلافا فى مواضع الحجر، فقال: قيل كانت كلها فى جهة المشرق، و قيل: فى جهات المسجد ما عدا المغرب.

قلت: و يرجح ما قررناه ما رواه ابن الجوزى فى شرف المصطفى بسنده إلى محمد بن عمر قال: سألت مالك بن أبى الرجال: أين كانت منازل أزواج النبى صلّى اللّه عليه و سلّم؟ فأخبرنى عن أبيه عن أمه أنها كانت كلها فى الشق الأيسر إذا قمت إلى الصلاة إلى وجه الإمام فى وجه المنبر هذا أبعدها، و لما توفيت زينب أدخل- أى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم- أم سلمة بيتها، انتهى، و وجه المنبر و وجه الإمام يعنى إذا قام على المنبر بجهة الشام فى جهة الباب المعروف الآن بباب الرحمة قبل أن ينقل إلى محله اليوم، و هو يقتضى أنه لم يكن من الحجر شىء فى جهة القبلة، إلا أن تكون الرواية إلى وجه الإمام و فى وجه المنبر فيوافق ما تقدم عن أهل السير.

و أسند ابن زبالة عن محمد بن هلال قال: أدركت بيوت أزواج النبى صلّى اللّه عليه و سلّم كانت من جريد مستورة بمسوح الشعر مستطيرة فى القبلة و فى المشرق و الشام، ليس فى غربى

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۵۳

المسجد شىء منها، و كان باب عائشة مواجه الشام، و كان بمصراع واحد من عرعر أو ساج.

و أسند يحيى من طريق الواقدى عن عبد اللّه بن يزيد الهذلى قال: رأيت بيوت أزواج النبى صلّى اللّه عليه و سلّم حين هدمها عمر بن عبد العزيز كانت من لبن، و لها حجر من جريد مطرورة بالطين، عددت تسعة أبيات بحجرها، و هى ما بين بيت عائشة إلى الباب الذى يلى باب النبى صلّى اللّه عليه و سلّم إلى منزل أسماء بنت حسن اليوم.

قلت: و قوله «إلى الباب الذى يلى باب النبى صلّى اللّه عليه و سلّم» قد تقدم ما يؤخذ منه أن المراد به باب الرحمة، و قوله «إلى منزل أسماء إلى آخره» يقتضى أن البيوت المذكورة كان بعضها خارجا عن سمت المسجد؛ لأن بيت أسماء المذكور كان فى مقابلة الباب الذى كان يلى باب النساء من شاميه، و يبعد أن يكون المسجد النبوى ممتدا إلى تلك الجهة فى زمنه صلّى اللّه عليه و سلّم، لكن سيأتى فى بيت فاطمة رضى اللّه عنها ما يصرح بأن بيتها كان ينتهى إلى الباب المذكور؛ فيحتمل أن المسجد كان ممتدا إليه، و يحتمل أن بعض البيت المذكور لم يكن فى محاذاة المسجد، على أن البخارى روى فى صحيحه حديث «كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم فى المسجد و عنده أزواجه فرجعن، فقال لصفية بنت حيى: لا تعجلى حتى أنصرف معك، و كان بيتها فى دار أسامة، فخرج النبى صلّى اللّه عليه و سلّم معها- الحديث».

و فى رواية له عن صفية قالت: كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم معتكفا، فأتيته أزوره ليلا، فحدثته ثم قمت، فانقلبت، فقام معى ليقلبنى، و كان مسكنها فى دار أسامة بن زيد، فمر رجلان من الأنصار- الحديث.

و فى رواية له أنها جاءت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم تزوره و هو معتكف فى المسجد فى العشر الأواخر من رمضان، ثم قامت تنقلب، فقام معها رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم حتى إذا بلغ قريبا من باب المسجد عند باب أم سلمة زوج النبى صلّى اللّه عليه و سلّم مر بهما رجلان من الأنصار- الحديث، و هو يقتضى أن صفية لم يكن مسكنها فى الحجر المحيطة بالمسجد.

و لم يتعرض ابن شبة لاتخاذ أسامة لدار، و ذكر أن أباه اتخذ دارين إحداهما دخلت فى المسجد لما زيد فيه، و لعلها المرادة و اللّه أعلم.

و لنرجع إلى بقية ما أسنده يحيى عن عبد اللّه بن زيد، قال: و رأيت بيت أم سلمة زوج النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و حجرتها من اللبن، فسألت ابن ابنها، فقال: لما غزا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم دومة الجندل بنت حجرتها بلبن، فلما قدم النبى صلّى اللّه عليه و سلّم

نظر إلى اللبن و دخل عليها أول نسائه، فقال: ما هذا البناء؟ فقالت: أردت يا رسول الله أن أكف أبصار الناس، فقال: يا أم سلمة إن من شر ما

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۵۴

ذهب فيه مال المسلم البنيان، قال الواقدى: فحدثت بهذا الحديث معاذ بن محمد الأنصارى، فقال: سمعت عطاء الخراسانى فى مجلس فيه عمران بن أبى أنس يقول و هو فيما بين القبر و المنبر: أدركت حجرات أزواج النبى صلّى اللّه عليه و سلّم من جريد على أبوابها المسوح من شعر أسود، فحضرت كتاب الوليد بن عبد الملك يقرأ يأمرنا بهدم حجر أزواج النبى صلّى اللّه عليه و سلّم فما رأيت يوما كان أكثر باكيا من ذلك اليوم. قال عطاء: فسمعت سعيد بن المسيب يقول: و اللّه لوددت أنهم تركوها على حالها ينشأ ناشئ من المدينة و يقدم قادم من الآفاق فيرى ما اكتفى به رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم فى حياته، و يكون ذلك مما يزهد الناس فى التكاثر و التفاخر فيها، قال معاذ: فلما فرغ عطاء الخراسانى من حديثه قال عمران بن أبى أنس: كان فيها أربعة أبيات بلبن لها حجر من جريد، و كانت خمسة أبيات من جريد مطينة لا حجر لها على أبوابها مسوح الشعر، ذرعت الساتر فوجدته ثلاثة أذرع فى ذراع و عظم الذراع، فأما ما ذكرت من كثرة البكاء فلقد رأيتنى فى المسجد و فيه نفر من أبناء أصحاب النبى صلّى اللّه عليه و سلّم أبو سلمة بن عبد الرحمن و أبو أمامة بن سهل و خارجة بن زيد و إنهم ليبكون حتى أخضل لحاهم الدمع، و قال يومئذ أبو أمامة: ليتها تركت حتى ينقص الناس من البنيان و يروا ما رضى اللّه لنبيه صلّى اللّه عليه و سلّم و مفاتيح خزائن الدنيا بيده.

و روى رزين عن عبد اللّه بن يزيد الهلالى قال: رأيت بيوت أزواج النبى صلّى اللّه عليه و سلّم حين هدمها عمر بن عبد العزيز يدخلها فى المسجد مبنية باللبن حولها حجر من جريد ممدودة إلا حجرة أم سلمة، و ذكر نحو ما تقدم باختصار.

و قال ابن الجوزى فى الوفاء: قال محمد بن عمر: كانت لحارثة بن النعمان منازل قرب المسجد و حوله، و كلما أحدث رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم أهلا نزل له حارثة عن منزله حتى صارت منازله كلها لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم و أزواجه.

قلت: و ظاهره يخالف ما تقدم من أنه صلّى اللّه عليه و سلّم بنى أولا بيتين لزوجتيه، و أنه لما تزوج نساءه بنى لهن حجرا، و ظاهره أنه كان كلما أحدث زوجة أحدث لها بناء حجرة، فيحمل ما هنا على أن حارثة كان ينزل له عن مواضع المساكن، و كان صلّى اللّه عليه و سلّم يبنيها.

و نقل الزركشى عن الشمس الذهبى أنه قال: لم يبلغنا أنه صلّى اللّه عليه و سلّم بنى له تسعة أبيات حين بنى المسجد، و لا أحسبه فعل ذلك، إنما كان يريد بيتا واحدا حينئذ لسودة أم المؤمنين، ثم لم يحتج إلى بيت آخر حتى بنى لعائشة رضى اللّه عنها، فى شوال سنة اثنين، فكأنه صلّى اللّه عليه و سلّم بناها فى أوقات مختلفة، انتهى.

و هو مقتضى ما قدمناه، غير أنه مخالف لما قدمناه فى بيت عائشة رضى اللّه عنها، لما

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۵۵

تقدم أنه بناه مع بناء المسجد، و هو الظاهر؛ لأنها كانت حينئذ زوجته، غير أنه لم يبن لها فتأهب لذلك بأن بنى لها حجرتها.

و ذكر الأقشهرى أن ابن عبد البر روى من طريق الزبير بن بكار عن عائشة رضى اللّه عنها خبرا طويلا فى قدومها المدينة قالت فيه: ثم إنا قدمنا المدينة، فنزلت مع آل أبى بكر، و نزل آل النبى صلّى اللّه عليه و سلّم عليه، و كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم يا بنى مسجده و أبياتا حول المسجد، فأنزل فيها أهله، فمكثنا أياما، ثم قال أبو بكر: يا رسول اللّه ما يمنعك أن تبنى بأهلك؟ قال:

الصداق، فأعطاه أبو بكر اثنتى عشرة أوقية و نشا فبعث بها إلينا، و بنى لى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم فى بيتى هذا الذى أنا فيه، و هو الذى توفى فيه و دفن فيه.

المشربة

قلت: و لم أر فى كلام المؤرخين من تعرض للمشربة التى اعتزل فيها رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم لما آلى من نسائه شهرا، و مقتضى ذلك أنه لم يكن بابها من بيت واحدة منهن ليتأتى عدم الدخول عليهن، و الذى فى الصحيح قول حفصة: هو ذاقى المشربة، و فى رواية تسميتها علّبة، و فى رواية غرفة، و قد بوب عليه البخارى باب هجرة النبى صلّى اللّه عليه و سلّم نساءه فى غير بيوتهن، و فى رواية «هو فى خزانته فى المشربة» و فى رواية «فإذا رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم فى مشربة يرقى عليها بعجلة» و فى رواية «فدخلت فإذا أنا برباح غلام رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم قاعد على أسكفة المشربة مدل رجليه على نقير من خشب و هو جذع يرقى عليه رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم و ينحدر».

و قال السهيلى: قال الحسن البصرى: كنت أدخل بيوت رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم و أنا غلام مراهق و أنال السقف بيدى، و كان لكل بيت حجرة، و كانت حجرة من أكسية من خشب عرعر.

و ورد أن بابه صلّى اللّه عليه و سلّم كان يقرع بالأظافير: أى: لا حلق له.

و قال مالك: كان المسجد يضيق عن أهله، و حجر أزواج النبى صلّى اللّه عليه و سلّم ليست من المسجد، و لكن أبوابها شارعة فى المسجد.

و قال ابن سعد: أوصت سودة ببيتها لعائشة رضى الله عنها، و باع أولياء صفية بنت حيى بيتها من معاوية بمائة ألف و ثمانين ألف درهم، و اشترى معاوية من عائشة منزلها

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۵۶

بمائة ألف و ثمانين ألف درهم، و قيل: بمائتى ألف، و شرط لها سكناها حياتها، و حمل إليها المال، فما قامت من مجلسها حتى قسمته، و قيل: بل اشتراه ابن الزبير من عائشة، و بعث إليها خمسة أجمال تحمل المال، و شرط لها سكناها حياتها، ففرقت المال.

و أسند ابن زبالة عن هشام بن عروة قال: إن ابن الزبير ليعتد بمكرمتين ما يعتد أحد بمثلهما: أن عائشة أوصته ببيتها و حجرتها، و أنه اشترى حجرة سودة.

قلت: و هذا يقتضى أن الحجر الشريفة كانت على ملك نسائه صلّى اللّه عليه و سلّم، و يؤيده ما تقدم من تصرف أم سلمة و بنائها لحجرتها فى غيبته صلّى اللّه عليه و سلّم، و يعارضه ما تقدم من أن زينب بنت خزيمة لما توفيت أدخل النبى صلّى اللّه عليه و سلّم أم سلمة بيتها، و قد أضيفت البيوت فى القرآن العظيم مرة إليه صلّى اللّه عليه و سلّم و مرة إليهن، و الظاهر أن الإضافة الأولى هى الحقيقية؛ لما تقدم من أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم بناها، و لأنه كان يجب عليه إسكانهن، غير أن لهن فيها بعده حق السكنى لحبسهن لحقه صلّى اللّه عليه و سلّم.

و قال الزبير بن المنير: إن غرض البخارى حيث ترجم بقوله «باب ما جاء فى بيوت أزواج النبى صلّى اللّه عليه و سلّم» و ما نسب من البيوت إليهن و قول الله عز و جل وَ قَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَ [الأحزاب: ۳۳] لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ [الأحزاب: ۵۳] أن يبين أن بهذه النسبة تحقيق دوام استحقاقهن البيوت ما بقين؛ لأن نفقتهن و سكناهن من خصائص النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، و السر فيه حبسهن عليه، انتهى. و يحتمل أنه صلّى اللّه عليه و سلّم كان قد ملّك بعضهن بيتها، أو ملكهن كلهن كما ذهب إليه بعضهم.

قال الطبرى: قيل: كان النبى صلّى اللّه عليه و سلّم ملّك كلا من أزواجه البيت التى هى فيه فسكّن بعده فيهن بذلك التمليك، و قيل: إنما لم ينازعن فى مساكنهن لأن ذلك من جملة مئونتهن التى كان النبى صلّى اللّه عليه و سلّم استثناه لهن مما كان بيده أيام حياته حيث قال: ما تركت بعد نفقة نسائى و مئونة عاملى فهو صدقة، قال الطبرى: و هذا أرجح، و يؤيده أن ورثتهن لم يرثوا عنهن منازلهن، و لو كانت البيوت ملكا لهن لانتقلت إلى ورثتهن، و فى ترك ورثتهن حقوقهم منها دلالة على ذلك، و لهذا زيدت بعدهن فى المسجد لعموم نفعه للمسلمين، انتهى.

و قد يناقش فيما ذكره من عدم إرث ورثتهن لمنازلهن؛ إذ لا يلزم من عدم نقله انتفاءه مع أن فى قصة إدخال بيت حفصة فى المسجد

و ما وقع من آل عمر فى أمر طريق بيت حفصة ما يشهد لأن ورثتهن ورثوا ذلك، و يحتمل أن إدخال الحجر فى المسجد كان بعد شرائها من الورثة، و قد تقدم عن ابن سعد ما يشهد لذلك، و قد قال فى طبقاته أيضا:

أخبرنا إسرائيل عن جابر عن عامر قال: مات رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم و لم يوص إلا بمسكن أزواجه و أرض، انتهى. و هذا يحتمل الوصية للأزواج بذلك، و يحتمل غيره، و الله أعلم.

و ادعى المهلب أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم كان قد حبس عليهن بيوتهن، ثم استدل به على أن من

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۵۷

حبس دارا جاز له أن يسكن منها فى موضع، و تعقّبه ابن المنير بمنع أصل الدعوى، و قد ترجم ابن شبة لعلم دور أزواج النبى صلّى اللّه عليه و سلّم بالمدينة، و ذكر عن جماعة منهن اتخاذ دور فى أماكن متفرقة من المدينة، فتلك غير الحجر المذكورة، و الظاهر أن اتخاذهن لذلك كان بعد وفاة النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، و الله أعلم.

الفصل العاشر فى حجرة فاطمة بنت النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و رضى اللّه عنها

أسند يحيى عن عيسى بن عبد الله عن أبيه أن بيت فاطمة رضى الله عنها فى الزور الذى فى القبر، بينه و بين بيت النبى صلّى اللّه عليه و سلّم خوخة.

و أسند عن عمر بن على بن عمر بن على بن الحسين قال: كان بيت فاطمة فى موضع الزور مخرج النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، و كانت فيه كوة إلى بيت عائشة رضى الله عنها، فكان رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم إذا قام إلى المخرج اطلع من الكوة إلى فاطمة فعلم خبرهم، و أن فاطمة رضى الله عنها قالت لعلى: إن ابنى أمسيا عليلين فلو نظرت لنا أدما نستصبح به، فخرج على إلى السوق فاشترى لهم أدما، و جاء به إلى فاطمة فاستصبحت، فدخلت عائشة المخرج فى جوف الليل فأبصرت المصباح عندهم، و ذكر كلاما وقع بينهما، فلما أصبحوا سألت فاطمة النبى صلّى اللّه عليه و سلّم أن يسد الكوة، فسدها رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم.

و أسند يحيى عقب ذلك حديث عائشة «قلت: يا رسول الله ندخل كنيفك فلا نرى شيئا من الأذى، فقال: الأرض تبلع ما يخرج من الأنبياء من الأذى فلا يرى منه شىء» فأشعر صنيع يحيى أن المراد من المخرج موضع الكنيف، و أفهم ذلك أن المخرج المذكور كان خلف حجرة عائشة رضى الله عنها، بينها و بين بيت فاطمة رضى الله عنها، و ذلك يقتضى أن يكون محله فى الزور، أعنى الموضع المزور شبه المثلث فى بناء عمر بن عبد العزيز فى جهة الشام.

و يشهد لذلك ما أسنده يحيى عن مسلم عن ابن أبى مريم أن عرض بيت فاطمة بنت رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم إلى الأسطوانة التى خلف الأسطوان المواجهة الزور، قال: و كان بابه فى المربعة التى فى القبر.

و قد أسند أبو غسان كما قاله ابن شبة عن مسلم بن سالم بن مسلم بن أبى مريم قال:

عرّس على رضى الله عنه بفاطمة بنت رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم إلى الأسطوان التى خلف الأسطوان

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۵۸

المواجهة الزور، و كانت داره فى المربعة التى فى القبر، قال سليمان: و قال مسلم: لا تنس حظك من الصلاة إليها؛ فإنه باب فاطمة التى كان على يدخل إليها منه، و قد رأيت حسن بن زيد يصلى إليها.

و قد ذكرنا فى فضل أسطوان مربعة القبر ما ورد من أنه صلّى اللّه عليه و سلّم «كان يأتى باب على كل يوم» و فى رواية «عند صلاة الصبح» و فى رواية يحيى «إلى باب على و فاطمة و حسن و حسين حتى يأخذ بعضادتى الباب و يقول: السلام عليكم أهل البيت» و فى رواية فيقول «الصلاة الصلاة الصلاة، ثلاث مرات، إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيرا» و ذكرنا أيضا أن أسطوان التهجد خلف بيت فاطمة رضى الله عنها.

و روى الطبرانى من حديث أبى ثعلبة: كان النبى صلّى اللّه عليه و سلّم إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فصلى فيه ركعتين، ثم يثنى بفاطمة، ثم يأتى أزواجه، و فى لفظ: ثم بدأ ببيت فاطمة، ثم يأتى بيوت نسائه.

و أسند يحيى عن محمد بن قيس قال: كان النبى صلّى اللّه عليه و سلّم إذا قدم من سفر أتى فاطمة فدخل عليها و أطال عندها المكث، فخرج مرة فى سفر و صنعت فاطمة مسكتين من ورق و قلادة و قرطين، و سترت باب البيت لقدوم أبيها و زوجها، فلما قدم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم و دخل عليها، و وقف أصحابه على الباب لا يدرون أ يقيمون أم ينصرفون لطول مكثه عندها، فخرج رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم و قد عرف الغضب فى وجهه، حتى جلس على المنبر، ففطنت فاطمة أنه فعل ذلك لما رأى من المسكتين و القلادة و الستر، فنزعت قرطيها و قلادتها و مسكتيها و نزعت الستر و بعثت به إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم و قالت للرسول: قل له تقرأ عليك ابنتك السلام، و تقول لك:

اجعل هذا فى سبيل اللّه، فلما أتاه قال: قد فعلت فداها أبوها، ثلاث مرات، ليست الدنيا من محمد و لا من آل محمد، و لو كانت الدنيا تعدل عند اللّه من الخير جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء، ثم قام فدخل عليها.

و عن جعفر بن محمد عن أبيه قال: قدم على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم قوم عراة كانوا غزاة بالروم، فدخل على فاطمة و قد سترت سترا قال: أ يسرك أن يسترك اللّه يوم القيامة؟

فأعطنيه، فأعطته، فخرج به فشقه لكل إنسان ذراعين فى ذراع.

و عن على رضى اللّه عنه قال: زارنا النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، فبات عندنا و الحسن و الحسين نائمان، و استسقى الحسن، فقام النبى صلّى اللّه عليه و سلّم إلى قربة لنا فجعل يعصرها فى القدح ثم جعل يصبه، فتناول الحسين فمنعه، و بدأ بالحسن، فقالت فاطمة: يا رسول اللّه كأنه أحب إليك، قال:

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۵۹

إنما استسقى أول، ثم قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم: إنى و إياك و هذا و هذا الرقد يعنى عليا يوم القيامة فى مكان واحد، و عن أبى سعيد الخدرى أيضا مثله.

و عن على قال: زارنا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، فعملنا له خزيرة، و أهدت لنا أم أيمن قعبا من لبن و صحفة من تمر، فأكل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم و أكلنا معه، ثم وضّأت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، فمسح رأسه و جبهته بيده، ثم استقبل القبلة فدعا بما شاء، ثم أكبّ إلى الأرض بدموع غزيرة، يفعل ذلك ثلاث مرات، فتهيبنا رسول اللّه أن نسأله، فوثب الحسين على ظهر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم و بكى، فقال له: بأبى و أمى ما يبكيك؟ قال: يا أبت رأيتك تصنع شيئا ما رأيتك تصنع مثله، فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم: يا بنى سررت بكم اليوم سرورا لم أسرّ بكم مثله قط، و إن حبيبى جبريل عليه السلام أتانى و أخبرنى أنكم قتلى، و أن مصارعكم شتى، فأحزننى ذلك، و دعوت اللّه تعالى لكم بالخيرة.

و قال ابن النجار: و بيت فاطمة اليوم حوله مقصورة و فيه محراب، و هو خلف حجرة النبى صلّى اللّه عليه و سلّم.

قلت: المقصورة اليوم دائرة عليه و على حجرة عائشة رضى اللّه عنها كما سيأتى بيانه، و المحراب الذى ذكره خلف حجرة عائشة من جهة الزور بينه و بينه موضع تحترمه الناس و لا يدوسونه بأرجلهم، يذكر أنه موضع قبر فاطمة رضى اللّه عنها كما هو أحد الأقوال الآتية فيه، و قد اقتضى ما قدمناه أن بيت فاطمة رضى اللّه عنها كان فيما بين مربعة القبر و أسطوان التهجد، و أنه عرّس بها إلى الأسطوان الذى إليه المحراب الموجود اليوم فى بيتها؛ لأن الأسطوان المواجه للزور هو الأسطوان الذى فى صف المربعة اللاصق بالجدار الداخل من الحجرة الشريفة، كان بعضه فى حائطها الشامى، و أدخل كله فيه فى العمارة التى أدركناها، و خلفه الأسطوانة التى التقى عندها زاويتا الزور، و خلفها الأسطوانة التى إليها المحراب المذكور؛ فيصدق عليها ما تقدم فى كلام ابن شبة نقلا عن رواية أبى غسان من أن عليا رضى اللّه عنه عرّس بفاطمة إلى الأسطوان التى خلف الأسطوان المواجه الزور، لكن قال ابن شبة قبل ذلك ما لفظه: و اتخذ على

بن أبی طالب بالمدینة دارین إحداهما دخلت فی مسجد رسول الله صلّی اللّه علیه و سلّم، و هی منزل فاطمة بنت رسول الله صلّی اللّه علیه و سلّم التی کان یسکن، و موضعها من المسجد بین دار عثمان بن عفان التی فی شرقی المسجد و بین الباب المواجه دار أسماء بنت حسن بن عبد الله بن عبید الله بن عباس فی شرقی المسجد، و الأخری دار علی التی بالبقیع، و هی بأیدی ولد علی علی حوز الصدقة، اه.

و قوله «بین دار عثمان» أی ما یحاذیها، و قوله «و بین الباب المواجه دار أسماء» أی ما

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفی، ج۲، ص: ۶۰

یحاذیه أیضا، و سیأتی أن هذا الباب کان بعد باب النساء مقابلا لرباط النساء المعروف الیوم برباط السبیل، و هو بعید من وجوه:

أحدها: ما تقدم فی أسطوان التهجد من أنه کان خلف بیت فاطمة.

الثانی: أنهم متفقون علی أن باب جبریل المقابل لدار عثمان کان موجودا فی زمنه صلّی اللّه علیه و سلّم، فکیف یصح کون دار علی فی ذلک الموضع.

الثالث: أن عمر بن الخطاب أول من زاد فی المسجد و أحدث باب النساء، و هو فیما بین باب جبریل و الباب الذی ذکره ابن شبة، و بیت فاطمة إنما أدخله فی المسجد الولید، و سنذکر ما اتفق عند إدخاله فی زیادة الولید.

و قد یقال: إن الشارع کان بین المسجد النبوی و بین بیت فاطمة من جهة مؤخره، فیتأتی مع ذلک اتخاذ عمر لباب النساء من غیر تعرض لبیت فاطمة، و کذا یقال فی باب جبریل: إنه کان فی محاذاة موضعه الیوم، لکن کان الشارع بینه و بین بیت فاطمة من تلک الجهة. و یؤید ذلک أنهم لما حفروا للدعامة الغربیة التی إلیها باب الحجرة الشامی عند بناء القبة و العقود التی حولها بالحجرة الشریفة بعد الحریق الذی أدرکناه وجدوا فی محاذاة باب جبریل أمام باب الحجرة المذکور درجا تحت الأرض آخذة لجهة الشام، و قد سبق فی حدود المسجد النبوی ما یقتضی أن جداره فی المشرق کان هناک، فترجح عندی أن تلک الدرج کانت لباب جبریل علیه السلام، و أنه کان هناک قبل تحویله، و الله أعلم.

الفصل الحادی عشر فی الأمر بسدّ الأبواب الشارعة فی المسجد الشریف

و بیان ما استثنی من ذلک.

قال البخاری: باب قول النبی صلّی اللّه علیه و سلّم سدوا الأبواب إلا باب أبی بکر، قاله ابن عباس عن النبی صلّی اللّه علیه و سلّم، و قد وصله البخاری فی الصلاة بلفظ سدوا عنی کل خوخة، فکأنه ذکره هنا بالمعنی، ثم أسند البخاری فی الباب حدیث أبی سعید الخدری قال: خطب رسول الله صلّی اللّه علیه و سلّم الناس و قال: إن الله خیّر عبدا بین الدنیا و بین ما عنده، فاختار ذلک العبد ما عند الله، قال: فبکی أبو بکر، فتعجبنا لبکائه أن یخبر رسول الله صلّی اللّه علیه و سلّم عن عبد خیّر، فکان رسول الله صلّی اللّه علیه و سلّم هو المخیر، و کان أبو بکر أعلمنا، فقال رسول الله صلّی اللّه علیه و سلم: إن أمنّ الناس علی فی صحبته و ما له أبو بکر، و لو کنت متخذا خلیلا غیر ربی لاتخذت أبا بکر، و لکن أخوة الإسلام و مودته، لا یبقین فی المسجد باب إلا سد إلا باب أبی بکر.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفی، ج۲، ص: ۶۱

و رواه مسلم من طریق مالک بن أنس بنحوه، و قال: لا یبقین فی المسجد خوخة إلا خوخة أبی بکر.

و الخوخة: طاقة فی الجدار تفتح لأجل الضوء، و لا یشترط علوها، و حیث تکون سفلی یمکن الاستطراق منها لاستقراب الوصول إلی مکان مطلوب، و هو المقصود هنا، لهذا أطلق علیها باب، و قیل: لا یطلق علیها باب إلا إذا کانت تغلق.

و فی حدیث ابن عباس المشار إلیه فی الصلاة أن ذلک فی مرضه صلّی اللّه علیه و سلّم الذی مات فیه، و لمسلم من حدیث جندب: سمعت النبی صلّی اللّه علیه و سلّم یقول قبل أن یموت بخمس لیال، و ذکر الحدیث.

و روى عبد الله بن أحمد برجال ثقات عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم: أبو بكر صاحبى و مؤنسى فى الغار، سدوا كل خوخة فى المسجد غير خوخة أبى بكر.

و روى الطبرانى بإسناد حسن عن معاوية رضى الله عنه نحوه، و فيه أن ذلك بعد أن صب عليه صلّى اللّه عليه و سلّم من سبع قرب من آبار شتى، و لفظه: انظروا هذه الأبواب الشوارع فى المسجد فسدوها إلا ما كان من باب أبى بكر.

و روى أبو يعلى- و رجاله ثقات- عن عائشة نحوه أيضا.

و فى طبقات ابن سعد: أخبرنا قتيبة بن سعيد البلخى ثنا الليث بن سعد عن يحيى بن سعيد أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم قال: إن أعظم الناس على منّا فى صحبته و ذات يده أبو بكر، فأغلقوا هذه الأبواب الشارعة كلها فى المسجد إلا باب أبى بكر.

و قال قتيبة بن سعيد: قال الليث بن سعد: قال معاوية بن صالح: فقال ناس: أغلق أبوابنا و ترك باب خليله، فقال رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم: قد بلغنى الذى قلتم فى باب أبى بكر، و إنى أرى على باب أبى بكر نورا، و أرى على ابوابكم ظلمة.

و فيها أيضا: أخبرنا محمد بن عمر قال: حدثنى الزبير بن موسى عن أبى الحويرث قال: لما أمر رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم بالأبواب تسد إلا باب أبى بكر قال عمر: يا رسول الله دعنى افتح كوة أنظر إليك حين تخرج إلى الصلاة، فقال رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم: لا.

قال الخطابى و ابن بطال: فى هذا الحديث إشارة قوية إلى استحقاق أبى بكر رضى الله عنه للخلافة، و لا سيما و قد ثبت أن ذلك كان فى آخر حياة النبى صلّى اللّه عليه و سلّم فى الوقت الذى أمرهم فيه أن لا يؤمهم إلا أبو بكر.

قال الحافظ ابن حجر: و قد ادعى بعضهم أن الباب كناية عن الخلافة، و الأمر بالسد كناية عن طلبها، كأنه قال: لا يطلبن أحد الخلافة إلا أبا بكر فإنه لا حرج عليه فى طلبها،

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۶۲

و إلى هذا جنح ابن حبان، و قوى بعضهم ذلك بأن منزل أب بكر كان بالسّنح من عوالى المدينة فلا يكون له خوخة إلى المسجد.

قال الحافظ ابن حجر: و هذا الاستناد ضعيف؛ لأنه لا يلزم من كون منزله كان بالسّنح أن لا يكون له دار مجاورة للمسجد، و منزله الذى كان بالسنح هو منزل أصهاره من الأنصار، و قد كان له إذ ذاك زوجة أخرى، و هى أسماء بنت عميس، بالاتفاق، و أم رومان على القول بأنها كانت باقية يومئذ، و قد ذكر عمر بن شبة فى أخبار المدينة أن دار أبى بكر التى أذن له فى إبقاء الخوخة منها إلى المسجد كانت ملاصقة للمسجد، و لم تزل بيد أبى بكر حتى احتاج إلى شىء يعطيه لبعض من وفد عليه فباعها فاشترتها منه حفصة أم المؤمنين بأربعة آلاف درهم.

قلت: و سيأتى بقية ما ذكره فى إدخالها فى المسجد فى زيادة عمر رضى الله عنه.

و قال ابن شبة أيضا فى ذكر دور بنى تيم: اتخذ أبو بكر رضى الله عنه دارا فى زقاق البقيع قبالة دار عثمان الصغرى، و اتخذ منزلا آخر أيضا عند المسجد، و هو المنزل الذى قال فيه رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم: سدوا عنى هذه الأبواب إلا ما كان من باب أبى بكر.

قال أبو غسان: أخبرنى محمد بن إسماعيل بن أبى فديك أن عمه أخبره أن الخوخة الشارعة فى دار القضاء فى غربى المسجد خوخة أبى بكر الصديق التى قال لها رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم: سدوا عنى هذه الأبواب إلا ما كان من خوخة أبى بكر الصديق، و اتخذ أبو بكر أيضا بيتا بالسنح، اه كلام ابن شبة.

و قال الجمال المطرى: و أما خوخة أبى بكر رضى الله عنه فإن ابن النجار قال: قال أهل السير: إن باب أبى بكر كان عربى المسجد، و نقل أيضا أنه كان قريب المنبر، و لما زادوا فى المسجد إلى حده فى الغرب نقلوا الخوخة و جعلوها فى مثل مكانها أولا، كما نقل باب عثمان إلى موضعه اليوم.

قال المطرى: و باب خوخة أبى بكر اليوم هو باب خزانة لبعض حواصل الحرم، إذا دخلت من باب السلام كانت على يسارك قريبا من

الباب.

قلت: و هذه الخزانة جعل فى جهتها عند عمارة المدرسة الأشرفية ثلاثة أبواب، و محل الخوخة من ذلك الباب الثالث من على يسارك إذا دخلت من باب السلام، و تعرف قديما بخزانة النورة لوضعها فيها للعمارة.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۶۳

و كلامه فى ذلك يوافق ما ذكره ابن زبالة فإنه قال: و حدثنى محمد بن إسماعيل عن إسحاق بن مسلم أن الخوخة التى إلى جنب باب زياد فى غربى المسجد الشارعة فى رحبة القضاء هى يمنى خوخة أبى بكر، لما زيد فى المسجد نحّيت فجعلت يمناها: أى: فى موازاتها من جهة اليمين، و رحبة القضاء خلف الخوخة المتقدم وصفها من جهة الحصن العتيق المتخذ مدرسة للسلطان الأشرف بعد الحريق الذى أدركناه.

قال الحافظ ابن حجر: و قد جاء فى سد الأبواب التى حول المسجد أحاديث يخالف ظاهرها ما تقدم: منها حديث سعد بن أبى وقاص قال: أمر رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم بسد الأبواب الشارعة فى المسجد، و ترك باب على، أخرجه أحمد و النسائى و إسناده قوى، و فى رواية للطبرانى فى الأوسط رجالها ثقاة: فقالوا يا رسول الله سددت أبوابنا، فقال: ما أنا سددتها و لكن الله سدها، و عن زيد بن أرقم قال: كان لنفر من الصحابة أبواب شارعة فى المسجد، فقال رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم: سدوا هذه الأبواب إلا باب على، فتكلم ناس فى ذلك، فقال رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم: إنى و الله ما سددت شيئا و لا فتحته، و لكن أمرت بشىء فاتبعته، أخرجه أحمد و النسائى و الحاكم و رجاله ثقات.

قلت: لفظ رواية أحمد: عن زيد بن أرقم قال: كان لنفر من أصحاب رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم أبواب شارعة فى المسجد، قال: فقال يوما: سدوا هذه الأبواب إلا باب على، فتكلم أناس فى ذلك، فقام رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم فحمد الله و أثنى عليه و قال: أما بعد فإنى قد أمرت بسد هذه الأبواب غير باب على، فقال فيه قائلكم، و إنى و الله ما سددت شيئا و لا فتحته، الحديث.

و عن ابن عباس قال: أمر رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم بأبواب المسجد فسدت إلا باب على، و فى رواية: و أمر بسد أبواب المسجد غير باب على؛ فكان يدخل المسجد و هو جنب ليس له طريق غيره، أخرجهما أحمد و النسائى، و رجالهما ثقات.

و عن جابر بن سمرة قال: أمر رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم بسد الأبواب كلها غير باب على، فربما مر فيه و هو جنب، أخرجه الطبرانى.

و عن ابن عمر: كنا نقول فى زمن رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم: رسول الله «خير الناس، ثم أبو بكر، ثم عمر، و لقد أعطى على بن أبى طالب ثلاث خصال لأن يكون لى واحدة منهن أحب إلى من حمر النعم: زوجه رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم ابنته و ولدت له، و سد الأبواب إلا بابه فى المسجد، و أعطى له الراية يوم خيبر، أخرجه أحمد، و إسناده حسن.

و أخرج النسائى من طريق العلاء بن عرار- بمهملات- قال: قلت لابن عمر: أخبرنى عن على و عثمان، فذكر الحديث، و فيه: و أما على فلا تسأل عنه أحدا، و انظر إلى منزله من

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۶۴

رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم، قد سد أبوابنا فى المسجد و أقر بابه، و رجاله رجال الصحيح، إلا العلاء و قد وثقه يحيى بن معين و غيره.

قال الحافظ ابن حجر: و هذه الأحاديث تقوى بعضها بعضا، و كل طريق منها صالحة للاحتجاج، فضلا عن مجموعها، و قد أورد ابن الجوزى هذا الحديث فى الموضوعات، و أخرجه من حديث سعد بن أبى وقاص و زيد بن أرقم و ابن عمر مقتصرا على بعض طرقه عنهم، و أعلّه ببعض من تكلم فيه من رواته، و ليس ذلك بقادح لما ذكرت من كثرة الطرق، و أعله أيضا بأنه مخالف للأحاديث الصحيحة الثابتة فى باب أبى بكر، و زعم أنه من وضع الرافضة قابلوا به الحديث الصحيح فى باب أبى بكر.

قال الحافظ ابن حجر: و قد أخطأ فى ذلك خطأ شنيعا؛ فإنه سلك رد الأحاديث الصحيحة بتوهمه المعارضة، مع أن الجمع بين القصتين ممكن.

و قد أشار إلى ذلك البزار فى مسنده فقال: ورد من روايات أهل الكوفة بأسانيد حسان فى قصة على، و ورد من روايات أهل المدينة فى قصة أبى بكر فإن ثبتت روايات أهل الكوفة فالجمع بينهما بما دل عليه حديث أبى سعيد الخدرى- يعنى الذى أخرجه الترمذى- أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم قال: لا يحل لأحد أن يطرق هذا المسجد جنبا غيرى و غيرك، و المعنى أن باب على كان إلى جهة المسجد، و لم يكن لبيته باب غيره؛ فلذلك لم يؤمر بسده.

و يؤيد ذلك ما أخرجه إسماعيل القاضى فى أحكام القرآن من طريق المطلب بن عبد الله بن حنطب أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم لم يأذن لأحد أن يمر فى المسجد و هو جنب إلا لعلى بن أبى طالب؛ لأن بيته كان فى المسجد، و محصل الجمع أن الأمر بسد الأبواب وقع مرتين، ففى الأولى استثنى عليا لما ذكره من كون بابه كان إلى المسجد و لم يكن له غيره، و فى الأخرى استثنى أبا بكر، و لكن لا يتم ذلك إلا بأن يحمل ما فى قصة على على الباب الحقيقى، و ما فى قصة أبى بكر على الباب المجازى، و المراد به الخوخة كما صرح به فى بعض طرقه، و كأنهم لما أمروا بسد الأبواب سدوها و أحدثوا خوخا يستقربون الدخول إلى المسجد منها، فأمروا بعد ذلك بسدها.

فهذه طريقة لا بأس بها فى الجمع بين الحديثين المذكورين؛ و بها جمع بينهما الطحاوى فى مشكل الآثار، و الكلاباذى فى معانى الأخبار، و صرح بأن بيت أبى بكر كان له باب من خارج المسجد و خوخة إلى داخل المسجد، و بيت على لم يكن له باب إلا من داخل المسجد، انتهى ما أورده الحافظ بن حجر فى ذلك.

قلت: و العبارة تحتاج إلى تنقيح؛ لأن ما ذكره بقوله «و محصل الجمع» طريقة أخرى فى الجمع غير الطريقة المتقدمة؛ إذ محصل الطريقة المتقدمة أن البابين بقيا، و أن المأمورين بالسد

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۶۵

هم الذين كان لهم أبواب إلى غير المسجد مع أبواب من المسجد، و أما على فلم يكن بابه إلا من المسجد، و أن الشارع صلّى اللّه عليه و سلّم خصّه بذلك، و جعل طريقه إلى بيته المسجد لما سبق، فباب أبى بكر هو المحتاج إلى الاستثناء، و لذلك اقتصر الأكثر عليه، و من ذكر باب على فإنما أراد بيان أنه لم يسد، و أنه وقع التصريح بإبقائه أيضا، و الطريقة الثانية تعدد الواقعة، و أن قصة على كانت متقدمة على قصة أبى بكر رضى الله عنهما.

و يؤيد ذلك ما أسنده يحيى من طريق ابن زبالة و غيره عن عبد الله بن مسلم الهلالى عن أبيه عن أخيه قال: لما أمر بسد أبوابهم التى فى المسجد خرج حمزة بن عبد المطلب يجر قطيفة له حمراء، و عيناه تذرفان يبكى يقول: يا رسول الله أخرجت عمك و أسكنت ابن عمك، فقال: ما أنا أخرجتك و لا أسكنته، و لكن الله أسكنه، فذكر حمزة رضى الله عنه فى القصة يدل على تقدمها.

و روى البزار و فيه ضعفاء قد وثقوا عن على رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم:

انطلق فمرهم فليسدوا أبوابهم، فانطلقت فقلت لهم، ففعلوا إلا حمزة، فقلت: يا رسول الله قد فعلوا إلا حمزة، فقال رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم: قل لحمزة فليحول بابه، فقلت: إن رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم يأمرك أن تحول بابك، فحوله، فرجعت إليه و هو قائم يصلى، فقال: ارجع إلى بيتك.

و روى البزار بإسناد قال الهيثمى: فيه من لم أعرفه، عن على رضى الله عنه قال: أخذ رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم بيدى، فقال: إن موسى سأل ربه أن يطهر مسجده بهارون، و إنى سألت ربى أن يطهر مسجدى بك و بذريتك، ثم أرسل إلى أبى بكر أن سد بابك، فاسترجع ثم قال:

سمع و طاعة، فسد بابه، ثم أرسل إلى عمر، ثم أرسل إلى العباس بمثل ذلك، ثم قال رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم «ما أنا سددت

أبوابكم و فتحت باب علي، و لكن الله فتح باب علي و سد أبوابكم».

قلت: ذكر العباس بدل حمزة هنا و فيما سيأتي فيه نظر؛ لأنه يقتضي تأخر ذلك؛ لأنه إنما قدم المدينة عام الفتح.

و أسند ابن زبالة و يحيى من طريقه عن رجل من أصحاب رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم قال: بينما الناس جلوس في مسجد رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم إذ خرج مناد فنادى: أيها الناس سدوا أبوابكم، فتحسحس الناس لذلك و لم يقم أحد، ثم خرج الثانية فقال: أيها الناس سدوا أبوابكم، فلم يقم أحد، فقال الناس: ما أراد بهذا؟ فخرج فقال: أيها الناس سدوا أبوابكم قبل أن ينزل العذاب، فخرج الناس مبادرين، و خرج حمزة بن عبد المطلب يجر كساءه حين نادى

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۶۶

سدوا أبوابكم، قال: و لكل رجل منهم باب إلى المسجد أبو بكر و عمر و عثمان و غيرهم، قال: و جاء علي حتى قام على رأس رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم فقال: ما يقيمك؟ ارجع إلى رحلك، و لم يأمره بالسد، فقالوا: سدّ أبوابنا و ترك باب علي و هو أحدثنا، فقال بعضهم: تركه لقرابته، فقالوا: حمزة أقرب فيه، و أخوه من الرضاعة و عمه، و قال بعضهم تركه من أجل ابنته، فبلغ ذلك رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم، فخرج إليهم بعد ثالثة فحمد الله و أثنى عليه محمرا وجهه- و كان إذا غضب احمر عرق في وجهه- ثم قال: أما بعد ذلكم فإن الله أوحى إلى موسى أن اتخذ مسجدا طاهرا لا يسكنه إلا هو و هارون و أبناء هارون شبرا و شبيرا، و إن الله أوحى إلى أن أتخذ مسجدا طاهرا لا يسكنه إلا أنا و علي و أبناء علي حسن و حسين، و قد قدمت المدينة، و اتخذت بها مسجدا، و ما أردت التحول إليه حتى أمرت، و ما أعلم إلا- ما علّمت، و ما أصنع إلا- ما أمرت، فخرجت على ناقتي، فلقيني الأنصار يقولون: يا رسول الله انزل علينا، فقلت: خلوا الناقة فإنها مأمورة حتى نزلت حيث بركت، و الله ما أنا سددت الأبواب و ما أنا فتحتها، و ما أنا أسكنت عليا، و لكن الله أسكنه.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى؛ ج۲؛ ص۶۶

روى أحمد بإسناد حسن عن سعد بن مالك قال: أمر رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم بسد الأبواب الشارعة في المسجد، و ترك باب علي رضي الله عنه، و رواه أبو يعلى و البزار و الطبراني في الأوسط، و زاد: قالوا: يا رسول الله سددت أبوابنا كلها إلا باب علي، قال: ما أنا سددت أبوابكم، و لكن الله سدها.

و أسنده يحيى عنه بلفظ: أن رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم أمر بالأبواب فسدت إلا باب علي، فقال العباس: يا رسول الله سددت أبوابنا إلا باب علي، فقال رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم: ما أنا سددتها و لا أنا فتحتها.

و عن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم: سدوا أبواب المسجد إلا باب علي، فقال رجل: اترك لي قدر ما أخرج و أدخل، فقال رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم: لم أومر بذلك، قال:

اترك بقدر ما أخرج صدري يا رسول الله، فقال رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم: لم أومر بذلك، و انصرف، قال رجل: فبقدر رأسي يا رسول الله، فقال رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم: لم أومر بذلك، و انصرف واجدا باكيا حزينا، فقال رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم: لم أومر بذلك، سدوا الأبواب إلا باب علي.

و رواه الطبراني عن جابر مختصرا، و في ناصح بن عبد الله، و هو متروك، و لفظ الطبراني: أمر رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم بسد الأبواب كلها غير باب علي رضي الله عنه، فقال

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۶۷

العباس: يا رسول الله اترك لي قدر ما أدخل أنا وحدي و أخرج، فقال: ما أمرت بشيء من ذلك، فسدها كلها غير باب علي، قال: و ربما مر و هو جنب.

و أسند ابن زبالة و يحيى من طريقه عن عمرو بن سهل أن رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم أمر بسد الأبواب الشوارع في المسجد، قال

له رجل من أصحابه: يا رسول الله دع لى كوة أنظر إليك منها حين تغدو و حين تروح، فقال: لا و الله و لا مثل ثقب الإبرة.

قلت: و قد اقتضى ذلك المنع من الخوخة أيضا، بل و مما دونها، عند الأمر بسد الأبواب أولا، فإن صح ذلك فيحمل الإذن بعده فى اتخاذ الخوخ، ثم كانت قصة أبى بكر بعد ذلك.

و فى طبقات ابن سعد: أخبرنا محمد بن عمر قال: حدثنى عبد الرحمن بن الواقفى عن صالح ابن حسان عن أبى البداح بن عاصم بن عدى قال: قال العباس بن عبد المطلب: يا رسول الله ما بالك فتحت أبواب رجال فى المسجد، و ما بالك سددت أبواب رجال فى المسجد؟ فقال رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم: يا عباس ما فتحت عن أمرى و لا سددت عن أمرى، و الله أعلم.

الفصل الثانى عشر فى زيادة عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى المسجد

اشارة

سيأتى فى الفصل الرابع عشر من رواية البخارى و أبى داود عن ابن عمر أن أبا بكر رضى الله عنه لم يزد فى مسجد رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم شيئا، و زاد فيه عمر، و سيأتى فى رواية لأبى داود أن سوارى المسجد نخرت فى خلافة أبى بكر، فبناها بجذوع النخل، و هو لا ينافى رواية أنه لم يزد فيه، و قال أهل السير: لم يزد أبو بكر فى المسجد شيئا لأنه اشتغل بالفتح، فلما ولى عمر قال: إنى أريد أن أزيد فى المسجد، و لو لا أنى سمعت رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم يقول:

«ينبغى أن يزاد المسجد» ما زدت فيه شيئا.

و فى تاريخ اليافعى أن زيادته فيه كانت فى سنة سبع عشرة، و ذكر غيره أنه زاد فى هذه السنة فى المسجد الحرام، و لم يتعرض لتاريخ زيادته فى مسجد المدينة.

و أسند ابن زبالة عن أنس قال: لما توفى رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم و ولى أبو بكر لم يحول المسجد، فلما ولى عمر جعل أساطينه من لبن، و نزع الخشب، و مده فى القبلة، و كان حد جدار عمر من القبلة، على أول أساطين القبلة التى إليها المقصورة: أى التى كانت بين صف الأساطين التى تلى القبلة على الرواق القبلى.

و الذى فى صحيح البخارى و سنن أبى داود كما سيأتى أن عمر رضى الله عنه زاد فى المسجد، و بناه على بنائه فى عهد رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم باللّبن و الجريد، و أعاد عمده خشبا، و هذا

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۶۸

مخالف لما فى رواية ابن زبالة من أن عمر جعل أساطينه من لبن، و المعوّل عليه رواية الصحيح.

و روى أحمد عن نافع أن عمر رضى الله عنه زاد فى المسجد من الأسطوانة إلى المقصورة، و قال عمر: لو لا أنى سمعت رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم يقول: «ينبغى أن نزيد فى مسجدنا» ما زدت.

و أسند يحيى عن ابن عمر أن عمر رضى الله عنهما قال: لو لا أنى سمعت رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم يقول: «ينبغى أن نزيد فى المسجد» ما زدت فى المسجد شيئا.

و فى رواية له أن ابن عمر قال: إن الناس كثروا فى عهد عمر، فقال له قائل: يا أمير المؤمنين لو وسّعت فى المسجد، فقال عمر: لو لا أنى سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم يقول: «إنى أريد أن أزيد فى قبلة مسجدنا» ما زدت فيه.

و أسند ابن زبالة عن مسلم بن حباب أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم قال يوما و هو فى مصلاه فى المسجد: «لو زدنا فى مسجدنا» و أشار بيده نحو القبلة، فأدخلوا رجلا و أجلسوه فى موضع مصلى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، ثم رفعوا يد الرجل و خفضوها حتى رأوا أن ذلك نحو ما رأى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم رفع يده، ثم مدوا مقاطا فوضعوا طرفه بيد الرجل، ثم مدوه، فلم يزالوا يقدمونه و

يؤخرونه حتى رأوا أن ذلك فيه بما أشار رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم من الزيادة، فقدم عمر القبلة، فكان موضع جدار عمر فى موضع عيدان المقصورة.

بين عمر و العباس

و قال ابن سعد: أنا يزيد بن هارون، أنا أبو أمية بن يعلى عن سالم أبى النضر قال: لما كثر المسلمون فى عهد عمر رضى اللّه عنه و ضاق بهم المسجد فاشترى عمر ما حول المسجد من الدور إلا دار العباس بن عبد المطلب و حجر أمهات المؤمنين، فقال عمر للعباس: يا أبا الفضل، إن مسجد المسلمين قد ضاق بهم، و قد ابتعت ما حوله من المنازل نوسع به على المسلمين فى مسجدهم إلا دارك و حجر أمهات المؤمنين، فأما حجر أمهات المؤمنين فلا سبيل إليها، و أما دارك فبعنيها بما شئت من بيت مال المسلمين أوسّع بها فى مسجدهم، فقال العباس: ما كنت لأفعل، قال: فقال له عمر: اختر منى إحدى ثلاث: إما أن تبيعنيها بما شئت من بيت المال، و إما أن أخطك حيث شئت من المدينة و أبنيها لك من بيت مال المسلمين، و إما أن تصدّق بها على المسلمين فتوسع فى مسجدهم، فقال: لا، و لا واحدة

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۶۹

منها، فقال عمر: اجعل بينى و بينك من شئت، فقال: أبى بن كعب، فانطلقا إلى أبى فقصّا عليه القصة، فقال أبى: إن شئتما حدثتكما بحديث سمعته من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، فقالا:

حدّثنا، فقال: سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم يقول: إن اللّه أوحى إلى داود أن ابن لى بيتا أذكر فيه، فخط له هذه الخطة خطة بيت المقدس، فإذا تربيعها بزاوية بيت رجل من بنى إسرائيل، فسأله داود أن يبيعه إياها، فأبى، فحدث داود نفسه أن يأخذه منه، فأوحى الله إليه: أن يا داود أمرتك أن تبنى لى بيتا أذكر فيه، فأردت أن تدخل فى بيتى الغصب، و ليس من شأنى الغصب، و إن عقوبتك ألّا تبنيه، قال: يا رب فمن ولدى، قال: فمن ولدك، فأخذ عمر بمجامع أبى بن كعب فقال: جئتك بشىء فجئت بما هو أشد منه، لتخرجن مما قلت، فجاء يقوده حتى دخل المسجد، فأوقفه على حلقة من أصحاب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم فيهم أبو ذر، فقال أبى: نشدت اللّه رجلا سمع رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم يذكر حديث بيت المقدس حين أمر اللّه داود أن يبنيه إلا ذكره، فقال أبو ذر: أنا سمعته من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، و قال آخر: أنا سمعته، يعنى من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، قال:

فأرسل أبيا، قال: فأقبل أبى على عمر فقال: يا عمر أ تتهمنى على حديث رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم؟ فقال عمر: و اللّه يا أبا المنذر ما اتهمتك عليه، و لكن أردت أن يكون الحديث عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم ظاهرا، قال: و قال عمر للعباس: اذهب فلا أعرض لك فى دارك، فقال العباس: أما إذا قلت ذلك فإنى قد تصدقت بها على المسلمين أوسع عليهم فى مسجدهم، فأما و أنت تخاصمنى فلا، قال: فخط له عمر داره التى هى اليوم، و بناها من بيت مال المسلمين.

فى سنن البيهقى قبل كتاب الرجعة عن أبى هريرة رضى اللّه عنه قال: لما أراد عمر رضى اللّه عنه أن يزيد فى مسجد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم وقعت زيادته على دار العباس رضى الله عنه، فأراد عمر أن يدخلها فى المسجد و يعوضه منها، فأبى، و قال: قطيعة رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم، فاختلفا، فجعل بينهما أبيّ بن كعب رضى اللّه عنه، فأتياه فى منزله، و كان يسمى سيد المسلمين، فأمر لهما بوسادة، فألقيت لهما فجلسا عليها بين يديه، فذكر عمر ما أراد، و ذكر العباس قطيعة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، فقال أبيّ رضى اللّه عنه: إن اللّه عز و جل أمر عبده و نبيه داود أن يا بنى له بيتا، قال: أى رب، و أين هذا البيت؟ قال: حيث ترى الملك شاهرا

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۷۰

سيفه، فرآه على الصخرة، و إذا ما هناك يومئذ أندر لغلام من بنى إسرائيل، فأتاه داود عليه السلام. فقال: إنى قد أمرت أن أبنى هذا المكان بيتا لله تعالى، فقال له الفتى: الله أمرك أن تأخذ منى بغير رضاى؟ قال: لا، فأوحى اللّه إلى داود إنى قد جعلت فى يدك

خزائن الأرض فأرضه، فأتاه داود عليه السلام فقال: إنى قد أمرت برضاك، فلك بها قنطار من ذهب، فقال: قد قبلت، فيا داود هى خير أم القنطار؟ فقال: بل هى، قال: فأرضنى، قال: فلك بها ثلاث قناطير، فلم يزل يشدد على داود حتى رضى منه بتسع قناطير، قال العباس رضى اللّه عنه: اللهم لا آخذ لها ثوابا، و قد تصدقت بها على جماعة المسلمين، فقبلها عمر، فأدخلها فى مسجد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم.

قلت: و هذا يفهم أن داود صلوات اللّه و سلامه عليه بنى بين المقدس، و أنه أول من بناه، و الرواية المتقدمة تقتضى أن سليمان صلوات اللّه و سلامه عليه هو الذى بناه، و يؤيده ما روى الطبرانى من حديث رافع بن عميرة مرفوعا قال: قال اللّه عز و جل لداود: ابن لى بيتا فى الأرض، و إن داود- عليه السلام- بنى المسجد، فلما تم السور سقط ثلثاه، فشكا ذلك إلى اللّه تعالى، فأوحى اللّه إليه إنه لا يصلح أن يا بنى لى بيتا، و ذكر قصة غير ما تقدم، فشق ذلك على داود، فأوحى اللّه تعالى إليه: إنى سأقضى بناءه على يد ابنك سليمان.

و روى النسائى من حديث عمرو بن العاص مرفوعا بإسناد صحيح أن سليمان لما بنى بيت المقدس سأل اللّه تعالى خلالا ثلاثا- الحديث.

و سواء كان البانى له داود أو سليمان عليهما السلام يشكل عليه ما فى الصحيحين عن أبى ذر: سألت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم عن أول مسجد وضع على الأرض، فقال: المسجد الحرام، قلت: ثم أى؟ قال: المسجد الأقصى، قلت: و كم بينهما؟ قال: أربعون عاما، و وجه الإشكال كما ذكره ابن الجوزى أن إبراهيم عليه السلام بنى الكعبة و بينه و بين سليمان أكثر من ألف سنة، و قد مشى ابن حبان على ظاهر الحديث المذكور، فقال: فيه رد على من زعم أن بين داود و إبراهيم ألف سنة، و لو كان كما قال لكان بينهما أربعون سنة، و هذا عين المحال؛ للاتفاق على طول الزمان بين إبراهيم و موسى عليهما السلام، ثم إن نص القرآن أن قصة داود فى قتل طالوت كانت بعد موسى بمدة.

و أجاب ابن الجوزى بأن الإشارة فى حديث الصحيحين إلى أول البناء، و وضع أساس المسجد، و ليس إبراهيم أول من بنى الكعبة، و لا سليمان أول من بنى بيت المقدس؛ فقد روى أن أول من بنى الكعبة آدم، ثم انتشر ولده فى الأرض، فجائز أن يكون بعضهم قد وضع بيت المقدس بعد ذلك بأربعين سنة، ثم بنى إبراهيم الكعبة بنص القرآن.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۷۱

و ذكر ابن هشام فى كتاب التيجان أن آدم عليه السلام لما بنى البيت أمره جبريل عليه السلام بالمسير إلى بيت المقدس و أن يبنيه، فبناه و نسك فيه.

و أجاب بعضهم بأن داود و سليمان عليهما السلام إنما كان لهما من المسجد الأقصى تجديده لا تأسيسه، و الذى أسسه هو يعقوب بن إسحاق عليهما السلام بعد بناء إبراهيم الكعبة بهذا القدر.

و يشكل على ذلك ذكر القصة المتقدمة؛ لأنه حينئذ لا يحتاج إلى شراء أرضه، نعم قال الخطابى: يشبه أن يكون المسجد الأقصى وضع قبل داود و سليمان، ثم زادا فيه و وسعاه فأضيف إليهما بناؤه، فيحتمل حينئذ أن القصة المتقدمة وقعت فيما وقع الأمر بزيادته فيه، و يؤيد ذلك ما رواه الحاكم فى مستدركه من حديث أبى يحيى الضرير زيد بن الحسن البصرى حدثنا عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده عن عمر بن الخطاب أنه قال للعباس رضى اللّه عنهما: إنى سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم يقول: نزيد فى المسجد، و دارك قريبة من المسجد، فأعطناها نزيدها فيه، و أقطع لك أوسع منها، قال: لا أفعل، قال: إذا أغلبك عليها، قال: ليس لك ذلك، قال: فأجعل بينى و بينك من يقضى بالحق، قال: و من هو؟

قال: حذيفة بن اليمان، قال: فجاؤوا إلى حذيفة رضى اللّه عنه، فقصوا عليه، فقال حذيفة: عندى فى هذا خبر، قالوا: و ما ذاك؟ قال: إن داود النبى صلّى اللّه عليه و سلّم أراد أن يزيد فى بيت المقدس، و قد كان بيت قريب من المسجد ليتيم، فطلب إليه فأبى، فأراد أن

يأخذه منه، فأوحى اللّه عز و جل إليه إن أنزه البيوت عن الظلم لبيتى، قال: فتركه، فقال له العباس:

فبقى شىء؟ قال: لا، قال: فدخل عمر المسجد فإذا ميزاب للعباس شارع فى مسجد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم يسيل ماء المطر منه، فقال عمر بيده فقلع الميزاب، فقال: هذا الميزاب لا يسيل فى مسجد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، فقال له العباس: و الذى بعث محمدا بالحق إنه هو الذى وضع هذا الميزاب فى هذا المكان و نزعته أنت يا عمر، فقال عمر رضى اللّه عنه: ضع رجليك على عنقى لترده إلى ما كان، ففعل ذلك العباس، ثم قال العباس رضى اللّه عنه [قد أعطيتك الدار تزيدها] فى مسجد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، فزادها عمر فى المسجد، ثم قطع للعباس دارا أوسع منها بالزوراء، و قال الحاكم: هذا الحديث كتبناه [عن أبى جعفر و أبى على الحافظ] و لم يكتبه إلا بهذا الإسناد، و الشيخان لم يحتجا بعبد الرحمن بن زيد بن أسلم،

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۷۲

قال: و قد وجدت له شاهدا من حديث أهل الشام، ثم ساقه من طريق شعيب الخراسانى عن عطاء الخراسانى عن سعيد بن المسيب أن عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه لما أراد أن يزيد فى مسجد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم وقعت منازعة على دار العباس، فذكر نحوه.

و روى ابن زبالة و يحيى من طريقه عن عبد اللّه بن أبى بكر قال: كان للعباس بيت فى قبلة المسجد، و كثر الناس، و ضاق المسجد، فقال عمر للعباس: إنك فى سعة فأعطنى بيتك هذا أوسع به فى المسجد، فأبى العباس ذلك عليه، فقال عمر: إنى أثمنك و أرضيك، قال:

لا أفعل، لقد ركب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم على عاتقى و أصلح ميزابه بيده فلا أفعل، قال عمر:

لآخذنه منك، فقال أحدهما لصاحبه: فاجعل بينى و بينك حكما، فجعلا بينهما أبى بن كعب، فأتياه فاستأذنا على الباب، فحبسهما ساعة ثم أذن لهما و قال: إنما حبستكما أنى كنت كما كانت الجارية تغسل رأسى، فقص عليه عمر قصته، ثم قص عباس قصته، فقال: إن عندى علما مما اختلفتما فيه، و لأقضين بينكما بما سمعت من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، سمعته يقول: إن داود لما أراد أن يا بنى بيت المقدس و كان بيت ليتيمين من بنى إسرائيل فى قبلة المسجد فأراد منهما البيع فأبيا عليه، فقال: لآخذنه، فأوحى اللّه عز و جل إلى داود: إن أغنى البيوت عن المظلمة بيتى، و قد حرمت عليك بنيان بيت المقدس، قال: فسليمان، فأعطاه سليمان، فقال عمر لأبى: و من لى بأن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم قال هذا؟ فقال أبى لعمر:

أ تظن أنى أكذب على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم؟ لتخرجن من بيتى، فخرج إلى الأنصار فقال: أيكم سمع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم يقول كذا و كذا؟ فقال هذا: أنا، و قال هذا: أنا، حتى قال ذلك رجال، فلما علم ذلك عمر قال: أما و اللّه لو لم يكن غيرك لأجزت قولك، و لكنى أردت أن أستثبت.

و فى رواية ليحيى عن أبى الزناد أن عمر بن الخطاب لما زاد فى المسجد دعا من كان له إلى جانبه منزل فقال: اختاروا منى بين ثلاث خصال: إما البيع فأثمن، و إما الهبة فأشكر، و إما الصدقة على مسجد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم فأجابه الناس، و كان للعباس دار عن يمين المسجد، فدعاه عمر، فقال: يا أبا الفضل اختر منى بين ثلاث خصال، و ذكر نحو ما تقدم، فقال العباس: ما أجيبك إلى شىء مما دعوتنى إليه، فقال عمر: إذا أهدمها، فقال العباس: مالك ذلك، و ذكر التحاكم إلى أبى، و قصة بيت المقدس مع مخالفة فى ذكر قصته لبعض ما تقدم.

و فى رواية له عن ابن عمر أن عمر رضى اللّه عنه كلّم العباس فى داره، و كانت فى ما بين موضع الأسطوان المربعة التى تلى دار مروان بن الحكم، قطيعة كان قطع له النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، فكلمه عمر رضى اللّه عنه يدخلها فى المسجد، و أعطاه بها ثمنا حسنا، و قال: يا أبا الفضل إن الناس قد شكوا ضيق مسجدهم، و أحبوا الاتساع، فأبى العباس أن يبيعه، فقال عمر:

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۷۳

أنا أعطيك خيرا منها فى أى نواحى المدينة شئت، فأبى العباس ذلك، فقال عمر: فتصدق على الناس، فأبى فقال عمر: لآخذنه، فقال العباس: ليس ذلك لك، قال عمر: اجعل بينى و بينك رجلا، فجعلا أبى بن كعب، فأتياه فحبسهما ساعة ثم أذن لهما ثم قال: إن جاريتى كانت تغسل رأسى، فأيكما يستعدى على صاحبه؟ فقال عمر: أنا، جعلناك حكما بيننا، و ما رأيت من أمر لزمنا، فقال أبى: ما تقول يا أبا الفضل؟ قال: أقول ذلك، فذهب عمر يتكلم، فقال أبى: تكلم يا أبا الفضل، دعه يا ابن الخطاب يتكلم لمكانه من نبى الله صلّى اللّه عليه و سلّم، فتكلم العباس فقال: هذه خطة خطها لى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم و ابتنيتها و بناها رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم معى، و هو و اللّه شد هذا الميزاب الذى يصب فى المسجد، و ذكر القصة أيضا، و أن العباس قال: أما إذ قضيت به لى فهو صدقة على المسلمين أما و اللّه يا عمر لقد هدمت الميزاب و ما شددته إلا و رجلاى على عاتقى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، قال عمر: فو الله لا تشده إلا و رجلاك على عاتقى، قال: ثم هدم الدار و وسع فى المسجد و غيّر جذوعا كانت على عهد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم كان أسفلها قد أكلته الأرضة.

و قد أورد رزين فى كتابه خبر ابن عمر المتقدم، و لفظه: عن نافع عن ابن عمر قال:

إن الناس كثروا فى عهد عمر رضى اللّه عنه، فقالوا له: يا أمير المؤمنين لو وسّعت لنا فى المسجد، فزاد فيه عمر، فكلم عمر العباس فى داره، و كانت لاصقة بالمسجد، و قال له:

أعطيك خيرا منها و تصدق بها على الناس، فأبى العباس، و قال: خطها لى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم و وضع ميزابها بيده، فقال عمر: فإنى آخذها، قال العباس: ليس لك ذلك، فجعلا بينهما أبيا، فحجبهما ساعة ثم أذن لهما فقصا عليه خبرهما، فقال: إنى سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم يقول: لما أراد داود عليه السلام أن يا بنى بيت المقدس كان ليتيمين من بنى إسرائيل بيت فى الموضع الذى خط أن يا بنى المسجد عليه، فقال لهما: بيعاه منى و رغبهما فى الثمن، فباعاه ثم قالا له: الذى أخذت منا خير أم الذى أعطيتنا؟ قال الذى أخذت، قالا: فإنا لا نجيز البيع، فزادهما حتى كان ذلك منهما و منه سبع مرات، فقال: أزيدكما كذا و كذا على أن لا تسألانى، فقالا له: نبيعك بحكمنا و لا نسألك، قال: افعلا، فطلبا منه مالا كثيرا، فتعاظم ذلك داود، فأوحى اللّه سبحانه و تعالى إلى داود: إن كنت إنما تعطيهما من مالك فأنت أعلم، و إن كنت إنما تعطيهما من رزقنا فأعطهما حتى يرضيا فإن أغنى البيوت عن مظلمة بيتى، و قد حرمت عليك بناءه، فقال داود: يا رب فأعطه سليمان، فقضى به أبى للعباس.

فقال العباس: أما إذ قضيت لى به فهو صدقة على المسلمين، فذهب عمر فهدم الميزاب

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۷۴

فأسف العباس لما وضعه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم بيده، و قال: و اللّه لقد وضعه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم و إن رجليه لعلى عاتقى، فقال عمر للعباس: و اللّه لتردنه و رجلاك على عاتقى، فرده، ثم قال عمر للعباس: اهدم الآن بيدك.

و قد روى أن نزع الميزاب كان قبل ذلك لأجل أنه كان يسكب الماء داخل المسجد للزوقه به، انتهى لفظ رواية رزين.

و روى يحيى بسند جيد عن سفيان ابن عيينة عن موسى بن أبى عيسى قال: كان فى دار العباس ميزاب يصب فى المسجد، فجاء عمر فقلعه، فقال العباس: إن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم الذى وضعه بيده، فقال عمر للعباس: لا يكن لك سلّم إلا ظهرى حتى ترده مكانه.

و روى ابن إسحاق عن أسباط بن محمد عن هشام بن سعد عن عبد اللّه بن عباس قال: كان للعباس ميزاب على طريق عمر، فلبس عمر ثيابه يوم الجمعة و قد كان ذبح للعباس فرخان، فلما وافى الميزاب صب فيه ماء من دم الفرخين، فأصاب عمر، فأمر عمر بقلعه، ثم رجع فطرح ثيابه، ثم لبس غيرها، ثم جاء فصلى بالناس، فأتاه العباس فقال:

و اللّه إنه الموضع الذى وضعه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، فقال عمر للعباس: فأنا أعزم عليك لما صعدت على ظهرى حتى تضعه فى الموضع الذى وضعه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم فيه، ففعل ذلك العباس.

و رواه الإمام أحمد فى مسنده من حديث هشام بن سعد عن عبيد اللّه بن عباس أخى عبد اللّه فذكره، و كذا رواه ابن سعد، و قال ابن

أبى حاتم: إنه سأل أباه عنه، و قال: هو خطأ، و أخرجه ابن سعد من طريق موسى بن عبيدة عن يعقوب أن عمر خرج فى يوم جمعة، فذكره بنحوه.

و روى يحيى عن أبى مصعب الزهرى الفقيه قال: حدثنا يوسف بن الماجشون عن الثقة أنه كان فى دار مروان ميزاب يصب على الناس إذا خرجوا من المسجد فى المطر، و كانت دار مروان للعباس بن عبد المطلب، فأمر عمر بن الخطاب بذلك الميزاب فنزع، فجاءه العباس ابن عبد المطلب فقال: أما و اللّه لوضعه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم بيده، قال: فأعاده عمر حيث كان، و قال: و اللّه لا تعيده إلا و أنت على رقبتى، فأعاده العباس يومئذ على رقبة عمر.

قلت: و هذه الدار بقية من التى وقع النزاع المتقدم فيها، و نسبتها إلى مروان لما سيأتى أنها دخلت فى داره، و روى أنها مربدها، فكأن هذا الميزاب كان فى تلك البقية، فيجمع بين الروايات بأنه كان للدار المذكورة ميزابان: ميزاب يصب فى المسجد، و ميزاب يصب فى الطريق، و اتفق فى كل منهما قصة، و يؤيد ذلك ما رواه يحيى فى زيادة عثمان رضى الله

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۷۵

عنه عن الأعمش قال: بنى عباس بن عبد المطلب داره التى إلى جنب المسجد، فجعل يرتجز يقول:

بنيتها باللبن و الحجاره و الخشبات فوقها مطاره

يا ربنا بارك لأهل الداره

فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم: اللهم بارك فى هذه الداره، قال: و جعل العباس ميزابها لاصقا بباب المسجد يصب عليه، فطرحه عمر بن الخطاب، فقال عباس: أما و اللّه ما شده إلا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، و إنه لعلى منكبى، فقال له عمر: لا جرم و اللّه لا تشده إلا و أنت على منكبى، فشده عمر، و ابتاع عثمان بن عفان تلك الدار فزادها فى المسجد إلا ثلاثة عشر ذراعا أو أربعة عشر ذراعا، فقال: لا أدرى كان ابتاع البقية أم لا؟

قلت: فالذى يظهر أن العباس أبقى لنفسه بقية الدار بعد أخذ ما احتيج إلى زيادته منها، و أنه كان فى تلك البقية ميزاب، فلما أحدث عمر الباب الذى عند دار مروان كما سيأتى صار الميزاب يصب على الباب فى طريق المسجد، ثم اشترى عثمان من تلك البقية ما احتاج إلى إدخاله فى زيادته.

و روى ابن أبى الدنيا قصة دار العباس هذه مطولة، و قال: إن العباس قال لعمر: أما و اللّه ما شده إلا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم و أنا معه، حملنى و اللّه على عاتقه حين شده، قال: و بعض الناس يقول: بل العباس حمل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم.

قال محمد بن عقبة- يعنى رواية-: ما كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم ليضع قدميه على رقبة أبيه أو عمه، و لكنه حمل العباس على عاتقه، و قول يحيى فى رواية ابن عمر المتقدمة «و كانت- يعنى دار العباس- فيما بين الأسطوان المربعة التى تلى دار مروان بن الحكم» أى و الباب الذى يلى دار مروان لدخول بعضها فى دار مروان. قال الزين المراغى: و سيأتى بيان المربعة، أى فى زيادة عثمان رضى اللّه عنه، و قد ذكر هناك تبعا للمطرى أنها الأسطوانة التى فى وصف الأساطين التى تلى القبلة، و قد رفع أسفلها مربعا قدر الجلسة.

قلت: و التى تليها مربعة أيضا، و هى التى تلى دار مروان؛ فهى المراد هنا كما قدمنا الإشارة إليه فى تحديد المسجد النبوى، و هى الخامسة من المنبر فى جهة المغرب، فيكون ابتداء زيادة عمر رضى اللّه عنه من جهة المغرب من الأسطوانة المذكورة، خلاف قول المطرى و المراغى إن المربعة التى ذكراها قبل هذه منتهى زيادة عمر رضى اللّه عنه، و كيف يكون منتهى زيادته مع كونها مبتدأ دار العباس التى هى أول الزيادة؟ و أيضا فذرع ما بين الأسطوان التى ذكراها و الحجرة الشريفة نحو تسعين ذراعا، و قد قال يحيى فى رواية ابن عمر أيضا «إن المسجد كان طوله أى من القبلة إلى الشام على عهد عمر رضى اللّه عنه أربعين

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۷۶

و مائة ذراع و عرضه عشرون و مائة، و طول السقف أى ما بينه و بين الأرض أحد عشر ذراعا» انتهى. و كيف يصح أن يكون الأسطوان المذكور نهاية زيادته؟ بل ابتداء زيادته من الأسطوان التى تليها، فيكون زيادته بعد الأسطوان المذكورة فى جهة المغرب عشرين ذراعا، لما قدمناه من رواية أن المسجد كان عرضه مائة ذراع فزيادته عشرون، و ذلك نحو أسطوانين، فيكون نهاية المسجد فى زمنه من تلك الجهة الأسطوانة السابعة من غربى المنبر، و من المشرق الحجرة الشريفة، لأنه لم يزد فى تلك الجهة شيئا، و من القبلة صف الأساطين التى تلى القبلة، و كانت إليها المقصورة الآتى ذكرها، و قد احترقت، و من بقاياها خشبة فى سفل الأسطوان التى فى هذا الصف عن يسار مستقبل المحراب العثمانى، مثبتة تلك الخشبة فى الأسطوان المذكور مما يلى الأرض، و قد زالت فى الحريق الثانى؛ فزيادة عمر رضى اللّه عنه من جهة القبلة الرواق المتوسط بين الروضة و رواق القبلة، و ذلك نحو عشرة أذرع، و أما الشام فيستفاد من كون المسجد كان طوله فى زمنه أربعين و مائة ذراع، و أن منها فى جهة القبلة نحو عشرة أذرع أنه يمتد فى زمنه بعد الحجرين المتقدم ذكرهما فى حدود المسجد الأصلى اللذين فى صحنه نحو ستين ذراعا؛ لأنا قدمنا أن من مقدم المسجد الأصلى إليها نحو السبعين فقط.

و بقى أمر آخر لم أر من نبه عليه، و هو أن حجر أزواج النبى صلّى اللّه عليه و سلّم كان بعضها فى جهة الشام كما تقدم، و مقتضى ما قدمناه من رواية ابن سعد- و هو ظاهر ما سيأتى فى زيادة الوليد- أن عمر رضى اللّه عنه لم يدخل منها شيئا فى المسجد، و إنما أدخلها الوليد، فكأن عمر ترك ما كان منها فى جهة الشام قائما على حاله، و صار المسجد حواليها.

و قال السيد القرافى فى ذيله: و اشترى عمر أيضا نصف موضع كان خطه النبى صلّى اللّه عليه و سلّم لجعفر بن أبى طالب و هو بالحبشة دارا بمائة ألف فزاده فى المسجد.

قلت: سيأتى من رواية يحيى أن الذى شرى ذلك عثمان رضى اللّه عنه، كذا فى النسخة التى رواها ابن ابنه الحسن بن محمد عنه، ثم رأيت فى النسخة التى رواها ابنه طاهر عنه ما ذكره القرافى، و لم يذكر ابن زبالة و يحيى و غيرهما إدخال عمر دار أبى بكر رضى الله عنه فى المسجد، و يتعين أن يكون عمر هو الذى أدخلها؛ لما سبق فى الفصل قبله من أن باب خوختها كان غربى المسجد، و أن الخوخة المجعولة فى محاذاتها عند إدخال الدار هى الخوخة الموجودة اليوم غربى المسجد، و هذا لا خلاف فيه عند المؤرخين، و لهذا قال ابن النجار نقلا عن أهل السير: كانت خوخة أبى بكر فى غربى المسجد، فعلمنا بذلك أن دار أبى بكر كانت فى غربى المسجد، و أن عمر رضى اللّه عنه أدخلها، لكن قال الحافظ ابن حجر:

إن ابن شبة ذكر فى أخبار المدينة أن دار أبى بكر التى أذن له فى إبقاء الخوخة منها إلى

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۷۷

المسجد كانت ملاصقة للمسجد، و لم تزل بيد أبى بكر حتى احتاج إلى شىء يعطيه لبعض من وفد عليه، فباعها، فاشترتها منه حفصة أم المؤمنين بأربعة آلاف درهم، فلم تزل بيدها إلى أن أرادوا توسيع المسجد فى خلافة عثمان، فطلبوها منها ليوسعوا بها المسجد، فامتنعت و قالت: كيف بطريقى إلى المسجد؟ فقيل لها: نعطيك دارا أوسع منها و نجعل لك طريقا مثلها، فسلّمت و رضيت.

قلت: هذه القصة إنما ذكرها ابن شبة فى دار حفصة التى فى قبلة المسجد، و ذكر معها شراءها لدار أبى بكر المذكورة بصيغة تقتضى التضعيف، و اقتضى ذلك أن دار أبى بكر كانت فى قبلة المسجد على تلك الرواية الضعيفة، و أن طريق آل عمر اليوم منها، فنسب إليه الحافظ ابن حجر الجزم به، و ليس الأمر كذلك كما سنوضحه إن شاء الله تعالى فى الفصل الرابع عشر.

و قال يحيى فى روايته المتقدمة: و جعل أساطينه من جذوع نخل و سقفه بالجريد ذراعين فوق المسجد سترة حائطه ثلاثة أذرع، و عبر ابن النجار عن ذلك بقوله: و سقفه جريد ذراعان، و بنى فوق ظهره سترة ثلاثة أذرع، انتهى. و الذى يظهر أن فى عبارة يحيى خللا، و تبعه عليه ابن النجار، و أن المراد ما ذكره رزين فى هذه الرواية بعينها، فإنه قال فيها:

و جعل عمر سترة المسجد فوقه ذراعين أو ثلاثة، فكأن لفظ «أو» سقط قبل قوله ثلاثة أذرع.

و قال يحيى و رزين عقب ذلك: و كان بنى أساسه بالحجارة إلى أن بلغ قامة، زاد يحيى:

و كان لبنه ضربه بالبقيع، و جعل له ستة أبواب: بابين عن يمين القبلة، و بابين عن يسارها، و بابين خلف القبلة، و لم يغير باب عاتكة- أى المعروف بباب الرحمة- و لا الباب الذى كان يدخل منه النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، و هو فتح الباب الذى عند القبر، فهذان البابان من الشق الأيسر: أى المشرق، و فتح الباب الذى عند دار مروان بن الحكم، و فتح بابين من مؤخر المسجد، انتهى.

و قوله: «إنه لم يغير باب عاتكة، و لا الباب الذى كان يدخل منه النبى صلّى اللّه عليه و سلّم» مسلم فى الباب الذى كان يدخل منه النبى صلّى اللّه عليه و سلّم. قال المراغى تبعا للمطرى: و هو باب جبريل؛ لأنه لم يزد فى جهة المشرق شيئا، و أما باب عاتكة ففيه نظر؛ لأنه زاد من جهة المغرب كما تقدم، فالمراد بكونه لم يغير أنه أخره فى محاذاة الباب الأول، و هذه الرواية تقتضى أن الباب المعروف اليوم بباب النساء لم يكن موجودا فى زمن عمر رضى اللّه عنه؛ لأن المستفاد مما ذكره أن الباب الذى زاده فى جهة المشرق جعله عند القبر، و لعله تصحيف؛ لأنه إذا لم يزد من جهة المشرق شيئا كيف يحدث بابا عند القبر و يترك الجهة التى زادها من جهة الشام بغير باب؟ و المنقول كما سيأتى أن إحداث الباب الذى عند القبر إنما هو فى زيادة الوليد، و سيأتى

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۷۸

فى سبب تسميته باب النساء أن عمر رضى اللّه عنه قال حين بنى المسجد: هذا باب النساء، كما رواه يحيى؛ فتبين أن باب النساء هو الباب الباقى فى جهة المشرق على عهد عمر رضى الله عنه، و أنه الذى أحدثه، و سيأتى فى زيادة عثمان عند ذكر اقتصاره على الأبواب التى جعلها عمر ما هو كالصريح فى ذلك، و اللّه أعلم.

و فى البخارى تعليقا عن أبى سعيد قال: أمر عمر ببناء المسجد، و قال: أكنّ الناس من المطر، و إياك أن تحمر أو تصفر فتفتن الناس.

و روى ابن شبة و يحيى من طريق عبد العزيز بن عمران عن مليح بن سليمان عن ابن أبى عمرة قال: زاد عمر بن الخطاب فى المسجد من شاميه، ثم قال: لو زدنا فيه حتى نبلغ به الجبانة كان مسجد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، زاد يحيى: و جاء اللّه بعامر، و عبد العزيز هو ابن أبى ثابت، تركوه، كانت كتبه قد احترقت فحدّث من حفظه فاشتد غلطه.

و روى يحيى من طريق ابن زبالة و هو ضعيف: حدثنى محمد بن إسماعيل عن ابن أبى ذئب قال: قال عمر بن الخطاب: لو مد مسجد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم إلى ذى الحليفة لكان منه، و رواه ابن شبة من طريق أبى غسان المدنى بدل ابن زبالة، و على كل حال هو معضل.

و روى ابن شبة و يحيى و الديلمى فى مسند الفردوس بسند فيه متروك عن أبى هريرة رضى اللّه عنه أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم قال: لو بنى هذا المسجد إلى صنعاء كان مسجدى، و كان أبو هريرة يقول: لو مد هذا المسجد إلى باب دارى ما عدوت أن أصلى فيه، ثم قال يحيى:

و حدثنا هارون بن موسى نبأ عمر بن أبى بكر الموصلى عن ثقات من علمائه قالوا: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم: هذا مسجدى، و ما زيد فيه فهو منه، و لو بلغ بمسجدى صنعاء كان مسجدى.

قلت: و هو منقطع، لكن اجتماع هذه الروايات تقوى ما قدمناه فى آخر الفصل الثانى عن مالك رحمه اللّه من أن المضاعفة الواردة فى المسجد النبوى تعم ما زيد فيه، و اللّه أعلم.

الفصل الثالث عشر فى البطيحاء التى بناها عمر رضى اللّه عنه بناحية المسجد، و منعه من إنشاد الشعر و رفع الصوت فيه، و ما جاء فى ذلك

روى ابن شبة و يحيى بسند جيد عن سالم بن عبد اللّه أن عمر- يعنى ابن الخطاب- اتخذ

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۷۹

مكانا إلى جانب المسجد يقال له «البطيحاء» و قال: من أراد أن يلغط أو يرفع صوتا أو ينشد شعرا أو يرفع صوتا فليخرج إليه، و لفظ

يحيى: أن عمر بن الخطاب بنى فى ناحية المسجد رحبة تدعى البطيحاء، ثم قال: من أراد أن يلغظ أو ينشد شعرا أو يرفع صوتا فليخرج إلى هذه الرحبة، زاد ابن شبة عقيب روايته من طريق محمد بن يحيى: قال محمد: و قد دخلت تلك البطيحاء فى المسجد فيما زيد فيه بعد عمر رضى الله عنه.

و ذكر ابن شبة فى موضع آخر ما يبين أن البطيحاء كانت فى جهة شرقى المسجد مما يلى مؤخره زمن عمر رضى الله عنه، فإنه قال: اتخذ خالد بن الوليد داره التى كانت بالبطيحاء، إلى آخر ما سيأتى عنه، مع بيان أنها الرباط المعروف اليوم برباط السبيل فى شرقى المسجد.

و روى ابن شبة أيضا بسند جيد عن ابن عمر أن عمر رضى الله عنه كان إذا خرج من الصلاة نادى فى المسجد: إياكم و اللغط، و يقول: ارتفعوا فى أعلى المسجد.

و رواه يحيى بلفظ: كان إذا خرج إلى الصلاة.

و روى ابن شبة بسند جيد إلا أن فيه عنعنة ابن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة أن عمر رضى الله عنه سمع ناسا من التجار يذكرون تجارتهم و الدنيا فى المسجد، فقال: إنما بنيت هذه المساجد لذكر الله، فإذا ذكرتم تجاراتكم و دنياكم فاخرجوا إلى البقيع.

و روى أيضا عن شيخه سليمان بن داود قال: حدثنا إبراهيم بن سعد عن أبيه عن جده أن عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه سمع صوت رجل فى المسجد، فقال: أ تدرى أين أنت؟

كأنه كره الصوت.

و عن عبد الرحمن بن حاطب قال: كان بين عثمان و طلحة تلاح فى مسجد رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم، فبلغ عمر رضى اللّه عنه، فأتاهم و قد ذهب عثمان و بقى طلحة، فقال: أ فى مسجد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم تقولان الهجر و ما لا يصلح من القول؟ قال: فجثا طلحة على ركبتيه و قال:

إنى و اللّه لأنا المظلوم المشتوم، فقال: أ فى مسجد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم تقولان الهجر و ما لا يصلح من القول؟ ما أنت منى بناج، فقال: الله اللّه يا أمير المؤمنين، فو اللّه إنى أنا المظلوم المشتوم، فقالت أم سلمة من حجرتها: و اللّه إن طلحة لهو المظلوم المشتوم، قال: فكف عمر رضى اللّه عنه.

و عن السائب بن يزيد قال: كنت مضطجعا فى المسجد، فحصبنى رجل، فرفعت رأسى، فإذا عمر رضى اللّه عنه فقال: اذهب فأتنى بهذين الرجلين، فجئت بهما، فقال:

من أنتما؟ أو من أين أنتما؟ قالا: من أهل الطائف، قال: لو كنتما من أهل البلد ما فارقتمانى حتى أوجعكما جلدا، ترفعان أصواتكما فى مسجد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم؟!

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۸۰

و عن طارق بن شهاب أن عمر رضى اللّه عنه أتى برجل فى المسجد و قد أخذ فى شىء، فقال: أخرجاه من المسجد فاضرباه، أو اضربوه.

و روى يحيى عن نافع أن عمر بينما هو فى المسجد عشاء إذ سمع ضحك رجل، فأرسل إليه فقال: من أنت؟ فقال: أنا رجل من ثقيف، فقال: أ من أهل البلد أنت؟ فقال:

بل من أهل الطائف، فتوعده فقال: لو كنت من أهل البلد لنكّلت بك، إن مسجدنا هذا لا ترفع فيه الأصوات.

و عن ابن سيرين أن ابن مسعود سمع رجلا يرفع صوته فى المسجد، فسبه، فقيل له:

ما كنت فحّاشا، فقال: أمرنا بهذا.

و روى ابن زبالة و يحيى عن سعيد بن المسيب أن عمر بن الخطاب مر بحسان بن ثابت و هو ينشد فى المسجد، فلحظ إليه، فقال

حسان: قد كنت أنشد و فيه من هو خير منك، ثم التفت إلى أبى هريرة فقال: أنشدك الله هل سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم يقول «أجب عنى، اللهم أيده بروح القدس» قال: اللهم نعم، و قد رواه البخارى فى الصحيح بنحوه، و فى رواية ليحيى عقب قوله: «قد كنت أنشد فيه من هو خير منك» فانصرف عمر و قد عرف أنه يريد النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، و فى رواية ذكرها الحافظ ابن حجر فقال: كنت أنشد فيه و فيه من هو خير منك، و فى الترمذى من طريق أبى الزناد عن عروة عن عائشة قالت: كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم ينصب لحسان منبرا فى المسجد، فيقوم عليه يهجو الكفار.

و أما ما رواه ابن خزيمة فى صحيحه و الترمذى و حسنه من طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: نهى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلّم عن تناشد الأشعار فى المساجد، قال الحافظ ابن حجر: صحيح إلى عمرو، فمن يصحح نسخته يصححه، و فى هذا المعنى عدة أحاديث، لكن فى أسانيدها مقال، و الجمع بينها و بين ما تقدم أن يحمل النهى على تناشد أشعار الجاهلية و المبطلين، و هو مراد عمر بقوله: من أراد أن ينشد شعرا فليخرج إلى هذه، يعنى البطيحاء، و المأذون فيه ما سلّم من ذلك، و قيل: المنهى عنه ما إذا كان غالبا على المسجد حتى يتشاغل به من فيه، و أبعد بعضهم فأعمل أحاديث النهى، و ادعى نسخ الإذن، و لم يوافق على ذلك. و روى ابن زبالة عن على بن زيد بن جدعان قال: أنشد كعب بن زهير رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم فى المسجد أبياتا:

بانت سعاد فقلبى اليوم متبول

و اللّه أعلم.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۸۱

الفصل الرابع عشر فى زيادة عثمان بن عفان رضى اللّه عنه

روينا فى صحيح البخارى و سنن أبى داود عن نافع أن عبد الله- يعنى ابن عمر- أخبره أن المسجد كان على عهد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم مبنيا باللبن، و سقفه الجريد، و عمده خشب النخل، فلم يزد فيه أبو بكر شيئا، و زاد فيه عمر و بناه على بنائه فى عهد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم باللبن و الجريد، و أعاد عمده خشبا، ثم غيره عثمان فزاد فيه زيادة كبيرة، و بنى جداره بالحجارة المنقوشة و القصّة، و جعل عمده من حجارة منقوشة، و سقفه بالساج.

و روى أبو داود أيضا- و سكت عليه- عن عطية عن ابن عمر رضى اللّه عنهما قال:

إن مسجد النبى صلّى اللّه عليه و سلّم كانت سواريه على عهد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم من جذوع النخل، أعلاه مظلل بجريد النخل، ثم إنها نخرت فى خلافة أبى بكر رضى اللّه عنه فبناها بجذوع النخل و بجريد النخل، ثم إنها نخرّت فى خلافة عثمان رضى اللّه عنه فبناها بالآجر، فلم تزل ثابتة حتى الآن، هكذا رأيته فى أصول متعددة معتمدة من السنن، و أورده المجد بلفظ: ثم إنها نخرت فى خلافة عمر- بدل أبى بكر- و لم أره فى شىء من النسخ.

و فى هذا الخبر ما يقتضى أن السبب فى بناء عثمان للمسجد كون الجذوع التى هى السوارى نخرت، و أن عثمان بناها بالآجر لا الحجر، فلعل البعض كان فى زمنه مبنيا بالآجر و هو بعيد، و ما تقدم من رواية الصحيح أصح.

و فى صحيح مسلم عن محمود بن لبيد أن عثمان بن عفان أراد بناء المسجد، فكره الناس ذلك، و أحبوا أن يدعه على هيئته، فقال: سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم يقول: من بنى «مسجدا لله» بنى اللّه له فى الجنة مثله.

و فيه و فى البخارى عن عبيد اللّه الخولانى أنه سمع عثمان عند قول الناس فيه حين بنى مسجد الرسول: إنكم قد أكثرتم، و إنى سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم يقول: من بنى مسجدا لله عز و جل، الحديث.

و قوله فى الرواية الأولى إن عثمان أراد بناء المسجد يبين أن المراد من قوله حين بناء المسجد حين أراد بناءه، إلا أن يكون ذلك قد تكرر من عثمان لتكرر كلامهم قبل البناء و بعده، و هو الأقرب، و قوله «و أحبوا أن يدعه على هيئته» أى بجذوع النخل و اللبن كما

فعل عمر رضى اللّه عنه لموافقته لفعله صلّى اللّه عليه و سلّم، و لهذا قال البغوى فى شرح السنة: لعل الذى كره الصحابة من عثمان بناؤه بالحجارة المنقوشة، لا مجرد توسيعه، اه. و يؤيده ما سيأتى من

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۸۲

أن الناس شكوا إليه ضيق المسجد؛ فقوله: «لما أراد عثمان بناء المسجد» أى: على الهيئة التى بناه عليها، و يؤخذ من هذا إطلاق البناء المرغّب فيه فى حق من جدد و وسع؛ لأن عثمان لم يبن المسجد كله إنشاء، و قوله «إنكم أكثرتم» أى: الكلام بالإنكار و نحوه.

و روى يحيى عن المطلب بن عبد اللّه بن حنطب قال: لما ولى عثمان بن عفان سنة أربع و عشرين كلمه الناس أن يزيد فى مسجدهم، و شكوا إليه ضيقه يوم الجمعة، حتى إنهم ليصلون فى الرحاب، فشاور فيه عثمان أهل الرأى من أصحاب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، فأجمعوا على أن يهدمه و يزيد فيه، فصلى الظهر بالناس ثم صعد المنبر فحمد اللّه و أثنى عليه ثم قال:

أيها الناس، إنى قد أردت أن أهدم مسجد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم و أزيد فيه، و أشهد لسمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم يقول: من بنى للّه مسجدا بنى اللّه له بيتا فى الجنة، و قد كان لى فيه سلف و إمام سبقنى و تقدمنى عمر بن الخطاب، كان قد زاد فيه و بناه، و قد شاورت أهل الرأى من أصحاب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم فأجمعوا على هدمه و بنائه و توسيعه، فحسّن الناس يومئذ ذلك و دعوا له، فأصبح فدعا العمال و باشر ذلك بنفسه، و كان رجلا يصوم الدهر و يصلى الليل، و كان لا يخرج من المسجد، و أمر بالقصّة المنخولة تعمل ببطن نخل، و كان أول عمله فى شهر ربيع الأول من سنة تسع و عشرين، و فرغ منه حين دخلت السنة لهلال المحرم سنة ثلاثين، فكان عمله عشرة أشهر.

قلت: قوله أولا «لما ولى عثمان سنة أربع و عشرين» إلى قوله «فأصبح و دعا العمال» يفهم أنه فى تلك السنة، و قوله أخيرا «و كان أول عمله إلى آخره» يأباه، و ما ذكره أخيرا هو الصواب المذكور فى كلام غيره؛ فيحمل ما ذكره أولا على أنه لم يشرع فى المشاورة و العمارة عقب كلام الناس له، بل استمر تلك السنين، و ربما تكرر الكلام فخطبهم فى السنة التى وقعت فيها العمارة.

و قد روى رزين الخبر المذكور عن المطلب المذكور بلفظ: لما ولى عثمان و كان سنة أربع من خلافته كلمه الناس أن يزيد فى مسجد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم و شكوا إليه ضيقه، فشاور عثمان أهل الرأى، فأشاروا عليه بذلك، و ذكر نحو ما تقدم، و ينبغى حمله أيضا على أن الكلام وقع من الناس سنة أربع من خلافته و تأخرت العمارة إلى سنة تسع و عشرين- بتقديم المثناة الفوقية على السين- و إلا فهو مخالف لما تقدم؛ لأن عثمان رضى اللّه عنه ولى غرة المحرم افتتاح سنة أربع و عشرين، فسنة أربع من خلافته هى سنة سبع و عشرين- بتقديم السين على الموحدة- و الأول هو الأصح؛ فقد روى يحيى و ابن زبالة أن عثمان زاد فى المسجد قبل أن يقتل بأربع سنين، و عثمان قتل فى ذى الحجة سنة خمس و ثلاثين.

و قال الحافظ ابن حجر: كان بناء عثمان للمسجد سنة ثلاثين على المشهور، و قيل: فى

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۸۳

آخر سنة من خلافته؛ ففى كتاب السير عن الحارث بن مسلم عن ابن وهب: أخبرنى مالك أن كعب الأحبار كان يقول عند بنيان عثمان المسجد: لوددت أن هذا المسجد لا ينجز؛ فإنه إذا فرغ من بنيانه قتل عثمان، قال مالك: فكان كذلك.

قال الحافظ ابن حجر: و يمكن الجمع بأن الأول كان تاريخ ابتدائه، و الثانى تاريخ انتهائه.

قلت: قد تقدم ما يردّ هذا الجمع، و أن الفراغ منه كان فى سنة ثلاثين، لكن يمكن أن عثمان رضى اللّه عنه أحدث فيه عمارة أخرى آخر سنة من خلافته و قد وصل ابن شبة ما نقله مالك عن كعب؛ فروى بسنده من طريق الأعمش عن أبى صالح قال: قال كعب و مسجد النبى صلّى اللّه عليه و سلّم يا بنى: و اللّه لوددت أنه لا يفرغ من برج إلا سقط برج، فقيل له: يا أبا إسحاق أ ما كنت تحدثنا أن صلاة فيه أفضل من ألف صلاة فى غيره إلا المسجد الحرام، قال: بلى، و أنا أقول ذلك الآن، و لكن فتنة نزلت من السماء ليس بينها و بين أن تقع إلا شبر، و لو فرغ من بناء هذا المسجد وقعت، و ذلك عند قتل هذا الشيخ عثمان بن عفان، فقال رجل: و هل قاتله إلا

كقاتل عمر، قال: بل مائة ألف أو يزيدون، ثم يحل القتل ما بين عدن أبين إلى دروب الروم.

و روى يحيى عن أفلح بن حميد عن أبيه قال: لما أراد عثمان أن يكلم الناس على المنبر و يشاورهم قال له مروان بن الحكم: فداك أبى و أمى، هذا أمر خير لو فعلته و لم تذكر لهم، فقال: و يحك! إنى أكره أن يروا أنى أستبد عليهم بالأمور، قال مروان: فهل رأيت عمر حيث بناه و زاد فيه ذكر ذلك لهم؟ قال: اسكت، إن عمر اشتد عليهم فخافوه، حتى لو أدخلهم فى جحر ضب دخلوا، و إنى لنت لهم حتى أصبحت أخشاهم، قال مروان بن الحكم: فداك أبى و أمى لا يسمع هذا منك فيجترأ عليك.

و عن عبد الرحمن بن سفينة قال: رأيت القصّة تحمل إلى عثمان و هو يا بنى مسجد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم من بطن نخل، رأيته يقوم على رجليه و العمال يعملون فيه حتى تأتى الصلاة فيصلى بهم، و ربما نام ثم رجع، و ربما نام فى المسجد.

و عن خارجة بن زيد قال: هدم عثمان بن عفان المسجد و زاد فى قبلته، و لم يزد فى شرقيه، و زاد فى غربيه قدر أسطوان، و بناه بالحجارة المنقوشة و القصة و عسب النخل

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۸۴

و الجريد، و بيضه بالقصة، و قدر زيد بن ثابت أساطينه فجعلها على قدر النخل، و جعل فيه طيقان مما يلى المشرق و المغرب، و ذلك قبل أن يقتل بأربع سنين، و زاد فيه إلى الشام خمسين ذراعا.

و عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمى عن أبيه قال: زاد عثمان فى المسجد قبل أن يقتل بأربع سنين فزاد من القبلة، فوضع جداره على حد المقصورة اليوم، و زاد فيه من المغرب أسطوانا بعد المربعة، و زاد فيه من الشام خمسين ذراعا، و لم يزد من المشرق شيئا، و زعم المطرى و تبعه المراغى أن المراد بهذه المربعة المربعة المتقدم وصفها فى تحديد المسجد النبوى فى زيادة عمر رضى اللّه عنه، و هى الأولى من المربعتين اللتين يليان القبلة فى صف الأسطوان الرابع من المنبر فى جهة المغرب، و جعلا نهاية زيادة عثمان إلى الأسطوانة التى تليها فى المغرب المقابلة للطراز المتقدم وصفه، فقالا: أراد بالمربعة الأسطوانة التى تليها فى المغرب التى فى القبلة التى رفع أسفلها مربعا قدر الجلسة، و هى منتهى زيادة عثمان من المغرب، و قبالة الأسطوانة التى زادها عثمان فى الحائط القبلى طرازا آخر من العصابة السفلى إلى سقف المسجد، و هو حد زيادة عثمان، انتهى.

و محصله أن زيادة عثمان هى الرواق الكائن بين الأسطوانتين المذكورتين، و لم أر من سبقهما لذلك، و قد قدمنا فى تحديد المسجد النبوى ما يقتضى أن الطراز المذكور فى موازاة حد المسجد النبوى على الراجح، و أن زيادة عمر و عثمان رضى اللّه عنهما من بعد ذلك فى جهة المغرب، و أن عمر رضى اللّه عنه جعل المشرق إلى المغرب مائة و عشرين ذراعا، و أن من المربعة التى ذكرا أنها نهاية زيادته إلى الحجرة الشريفة ينقص عن تسعين ذراعا، و إلى محاذاة الطراز نحو المائة؛ فيبقى لعمر فى جهة المغرب بعد الطراز رواقان آخران؛ فيكون نهاية المسجد فى زمنه الأسطوانة السابعة من المنبر، و فى صف السابعة من المنبر أسطوان أسفله مربع لكنه ليس مرتفعا عن الأرض بقدر الجلسة، بل تربيعه على وجه الأرض، و قد زال تربيعه فى العمارة الحادثة بعد الحريق الثانى، و ليس هو فى صف الأساطين التى تلى القبلة، بل فى صف الأساطين التى خلف محراب الحنفية؛ فالظاهر أن هذه المربعة هى المرادة هنا؛ فيكون لعثمان رضى اللّه عنه فى جهة المغرب الرواق الذى بعدها؛ فيكون نهاية المسجد فى زمانه الأسطوانة الثامنة من المنبر فى جهة المغرب، و يدل على صحة ذلك ما سيأتى أن الوليد زاد بعد عثمان رضى اللّه عنه فى جهة المغرب أسطوانين، و لم يزد أحد بعد الوليد فى جهة المغرب شيئا، و الباقى من الأسطوانة الثامنة من المنبر أسطوانتان فقط فى جهة المغرب، فهما زيادة الوليد، و هناك أسطوان مربعة مرتفعة قدر الجلسة أيضا أمام الأسطوانة بوجاه الداخل من باب السلام، الظاهر أنها جعلت علامة لنهاية زيادة عثمان رضى اللّه عنه، و ابتداء زيادة

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۸۵

الوليد، و إن قلنا بأن نهاية المسجد النبوى المربعة الأولى التى تلى القبلة كما سبقت الإشارة إليه فحينئذ يكون لعمر رضى الله عنه منها

إلى جهة المغرب أسطوانتان فيكون نهاية زيادة الأسطوانة السادسة من المنبر، و فى صفها أسطوان مربع قدر الجلسة أيضا أمام الأسطوانة المثمنة اليوم، و تكون زيادة عثمان رضى اللّه عنه إلى الأسطوانة التى بعدها فى جهة المغرب و هى السابعة، و تبقى للوليد منها إلى جدار المسجد ثلاثة أساطين، و سيأتى فى عمارته رواية تقتضى ذلك، على أن الذى أفهمه من كلام متقدمى المؤرخين كما قدمناه فى حدود المسجد أن المربعة حيث أطلقت فى جهة المغرب فالمراد بها الأسطوانة المقابلة لمربعة القبر فى جهة المغرب عند ركن صحن المسجد قبل زيادة الرواقين الآتى بيانهما، و هى المثمنة اليوم، و فى ركنى الصحن الشاميين أسطوانتان على هيأتها أيضا، و تثمينها حادث كما تقدم بيانه، و يعبرون عنها بالمربعة الغربية، و هى السادسة من المنبر؛ فيترجح بذلك أنها نهاية زيادة عمر و ابتداء زيادة عثمان رضى اللّه عنه، و لو كان كما زعم المطرى و من تبعه لكان بعد نهاية زيادة عثمان رضى اللّه عنه فى المغرب خمس أساطين، فيكون كلها للوليد، و لا قائل بذلك، و فيما قدمناه فى تحديد المسجد النبوى كفاية فى رد ما قالاه.

و روى يحيى عن عبد اللّه بن عطية بن عبد اللّه بن أنيس قال: بنى عثمان المسجد بالحجارة المنقوشة و القصة، و جعل عمده حجارة منقوشة، و بها عمد الحديد فيها الرصاص، و سقفه ساجا، و جعل طوله ستين و مائة ذراع، و عرضه خمسين و مائة ذراع، و جعل أبوابه ست أبواب على ما كان على عهد عمر رضى اللّه عنه: باب عاتكة، أى المعروف بباب الرحمة، و الباب الذى يليه أى يقرب من محاذاته فى المشرق، و هو باب النساء، و باب مروان: أى المعروف بباب السلام، و الباب الذى يقال له باب النبى صلّى اللّه عليه و سلّم: أى المعروف بباب جبريل، و بابين فى مؤخر المسجد.

قلت: قوله: «و جعل طوله ستين و مائة ذراع» مخالف لما تقدم من كونه زاد فيه من جهة الشام خمسين ذراعا؛ لأنه قد تقدم أن عمر رضى اللّه عنه جعل طول المسجد أربعين و مائة ذراع، فلو زاد فيه عثمان خمسين ذراعا لكان طوله فى زمنه تسعين و مائة ذراع، على أن الأقرب أن طوله فى زمن عثمان كان ستين و مائة ذراع، لما سيأتى فى الزيادة بعده. و قوله «و عرضه خمسين و مائة ذراع» مخالف لما تقدم من كونه لم يزد من جهة المغرب سوى أسطوانة واحدة، و لم يزد فى جهة المشرق شيئا، بل هذه الرواية خطأ؛ للاتفاق على أن عثمان رضى اللّه عنه لم يزد من جهة المشرق شيئا؛ فيكون نهايته فى زمنه الحجرة الشريفة، و ذرع المسجد اليوم من جداره الغربى إلى جدار الحجرة الشريفة لا يبلغ خمسين و مائة ذراع، بل ينقص عن ذلك أكثر من سبعة أذرع، ثم تبقى زيادة الوليد من جهة المغرب، و هى متفق

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۸۶

عليها أيضا؛ فالصواب أنه لم يزد من المغرب سوى أسطوانة، و أن عرض المسجد فى زمنه نحو مائة و ثلاثين ذراعا، و اللّه أعلم.

و روى يحيى كما فى النسخة التى رواها ابنه عن أبى الحسن المدائنى أنه قال فى حديث ساقه: إن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم خط لجعفر بن أبى طالب دارا و هو بأرض الحبشة، فاشترى عثمان نصفها بمائة ألف، فزادها فى المسجد.

قلت: تقدم فى زيادة عمر رضى الله عنه نقل مثل ذلك عن فعل عمر رضى اللّه عنه؛ فيحتمل أن كلا منهما شرى نصف ذلك و أدخله مرتبا، و اللّه أعلم.

و روى ابن زبالة عن عبد اللّه بن عمر بن حفص قال: مدّ عمر بن الخطاب جدار القبلة إلى الأساطين التى إليها المقصورة اليوم، ثم زاد عثمان بن عفان حتى بلغ جداره اليوم، قال: فسمعت أبى يقول: لما احتيج إلى بيت حفصة قالت: فكيف بطريقى إلى المسجد؟ فقال لها: نعطيك أوسع من بيتك، و نجعل لك طريقا مثل طريقك، فأعطاها دار عبيد اللّه بن عمر، و كانت مربدا.

قلت: و هذه العبارة محتملة لأن القائل «نعطيك إلى آخره» عمر أو عثمان رضى الله عنهما، و يرجح الثانى أنه أورده فى سياق زيادة عثمان رضى اللّه عنه، و أنه روى عقبة عن عبد الرحمن بن سعد عن أشياخه أن عمر قدم جدار القبلة إلى المقصورة، ثم قدمه عثمان إلى موضعه اليوم، و أخل بقية دار العباس بن عبد المطلب مما يلى القبلة و الشام و المغرب، و أدخل بعض بيوت حفصة بنت عمر مما يلى القبلة، فقام المسجد على تلك الحال حتى زاد فيه الوليد.

قلت: تقدم فى زيادة عمر رضى اللّه عنه أن الحافظ ابن حجر نقل عن ابن شبة أن دار أبى بكر التى أذن له فى إبقاء الخوخة منها إلى المسجد اشترتها حفصة أم المؤمنين، فلم تزل فى يدها إلى أن أرادوا توسيع المسجد فى خلافة عثمان، فطلبوها منها ليوسع بها فى المسجد، فامتنعت و قالت: كيف بطريقى إلى المسجد؟ فقيل لها: نعطيك دارا أوسع منها و نجعل لك طريقا مثلها، فسلمت وضيت، و الذى ذكره ابن شبة فى علم دور أزواج رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم ما سنذكره عنه فى الدور التى كانت حول المسجد من أن حفصة اتخذت دارها التى فى قبلة المسجد لها خوخة فى المسجد، فورثها عبد اللّه بن عمران و ذكر ما سيأتى فى أصل هذه الدار من كونها كانت مربدا كما سيأتى، ثم ذكر لحفصة دارا أخرى، ثم قال:

و أخبرنى مخبر قال: كان بيت أبى بكر الذى أذن له النبى صلّى اللّه عليه و سلّم فى إبقاء خوخته بيد عبد اللّه بن

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۸۷

عمر، و هو البيت الذى على يمينك إذا دخلت دار عبد اللّه من الخوخة التى فى المسجد، فتلقاك هناك خوخة فى جوف الخوخة التى هى الطريق المبوب، فتلك الخوخة خوخة أبى بكر، قال: و كانت حفصة ابتاعت ذلك المسكن من أبى بكر، و الدار الذى ذكرت فوق هذه الشارعة على باب دار عبد اللّه إلى جنب دار هشام، فباع أبو بكر رضى اللّه عنه ذلك المسكن و تلك الدار من حفصة بأربعة آلاف درهم، و نقدها عنها عثمان بن عفان، و إنما باع ذلك أبو بكر لناس قدموا عليه من بنى تميم فسألوه.

ثم قال ابن شبة: حدثنا محمد بن يحيى عن عبد اللّه بن عمر بن حفص قال: سمعت أبى يقول: لما احتيج إلى بيت حفصة قالت: و كيف طريقى فى المسجد؟ فقيل لها: نعطيك أوسع من بيتك و نجعل لك طريقا مثل طريقك، فأعطاها دار عبد اللّه بن عمر، و كانت مربدا، انتهى. و الذى يقتضيه قوله «و أخبرنى مخبر» تضعيف هذه الرواية.

و قد روى فى ذكر دور بنى تيم كما قدمناه أن دار أبى بكر المذكورة كانت شارعة فى دار القضاء فى غربى المسجد، و قد صدّر كلامه بأن أصل دار حفصة إنما هو المربد، و ختم كلامه بذلك. و قوله «لما احتيج إلى بيت حفصة» المراد به سكنها، هو الذى كان شارعا فى المسجد فى زمنه صلّى اللّه عليه و سلّم كما سيأتى بيانه، و اللّه أعلم.

و تقدم فى زيادة عمر رضى اللّه عنه ما رواه يحيى من أن عثمان رضى اللّه عنه شرى دار العباس فزادها فى المسجد إلا ثلاثة عشر ذراعا أو أربعة عشر ذراعا، فقال الراوى: لا أدرى أ كان ابتاع البقية أم لا، و حملناه على أن المراد بدار العباس ما بقى منها بعد ما زاده عثمان رضى اللّه عنه، و الظاهر أن تلك البقية هى التى دخلت فى دار مروان. و قد ذكر ابن زبالة و يحيى و ابن النجار اتخاذ مروان لداره عقب ذكر زيادة عثمان رضى اللّه عنه؛ فيحتمل أنه اتخذها فى حال زيادة عثمان رضى اللّه عنه أو بعده، و هو الظاهر؛ لأنهم ذكروا أنه اتخذ لها خوخة فى المسجد من جهة القبلة، ثم قال: أخشى أن أمنعها، فجعل لها بابا عن يمينك حين تدخل، ثم جعل الباب الثالث الذى على باب المسجد، كما سيأتى، و اللّه أعلم.

الفصل الخامس عشر فى المقصورة التى اتخذها عثمان رضى اللّه عنه فى المسجد و ما كان من أمرها بعده

روى ابن زبالة و ابن شبة عن عبد الرحمن بن سعد عن أشياخه أن أول من عمل المقصورة بلبن عثمان بن عفان، و أنه كانت فيه كوى ينظر الناس منها إلى الإمام، و أن عمر بن عبد العزيز هو الذى جعلها من ساج حين بنى المسجد.

و روى الأول أيضا عن عيسى بن محمد بن السائب و محمد بن عمرو بن مسلم بن

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۸۸

السائب ابن خباب و عمر بن عثمان بن عبد الرحمن أن عثمان بن عفان أول من وضع المقصورة من لبن، و استعمل عليها السائب بن خباب، و كان رزقه دينارين فى كل شهر، فتوفى عن ثلاثة رجال: مسلم، و بكير، و عبد الرحمن، فتواسوا فى الديا نارين، فجريا فى الديوان على ثلاثة منهم إلى اليوم، قال ابن زبالة: و قال مالك بن أنس: لما استخلف عثمان بعد مقتل عمر بن الخطاب عمل عثمان

مقصورة من لبن، فقام يصلى فيها للناس خوفا من الذى أصاب عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه، و كانت صغيرة.

و روى يحيى هذا كله فى زيادة عثمان رضى اللّه عنه، ثم روى فى زيادة الوليد عن عبد الحكم بن عبد اللّه بن حنطب قال: أول من أحدث المقصورة فى المسجد مروان بن الحكم، بناها بالحجارة المنقوشة، و جعل لها كوى، و كان بعث ساعيا إلى تهامة، فظلم رجلا يقال له دب، فجاء دب إلى مروان، فقام حيث يريد أن يقوم مروان، حتى إذا أراد أن يكبر ضربه بسكين فلم يصنع شيئا، فأخذه مروان فقال: ما حملك على ما صنعت؟ قال:

بعثت عاملا- فأخذ ذودى بمرة، و تركنى و عيالى لا- يجد شيئا، فقلت: أذهب إلى الذى بعثك فاقتله؛ فهو أصل هذا، فجاء ما ترى، فحبسه مروان حينا فى السجن، ثم أمر به فاغتيل سرا، فكانت المقصورة.

و رواه ابن شبة بنحوه، إلا أنه سمى الرجل فى موضع دبا، و فى آخر ذبابا، و قال:

بعثت عاملك، فأخذ منى بقرة، فتركنى و عيالى لا نجد شيئا، و أنا امرؤ خبيث النفس، فقلت: أذهب إلى الذى بعثه فأقتله فهو أصل هذا، فجاء ما ترى، فحبسه مروان فى الحبس حينا، ثم أمر به فاغتيل سرا، و عمل المقصورة.

قلت: و جزم بذلك فى العتبية فيما حكاه ابن رشد فى بيانه، فقال فى كتاب الصلاة:

مسألة قال مالك: أول من جعل المقصورة مروان بن الحكم حين طعنه اليمانى، قال: فجعل مقصورة من طين، و جعل فيها تشبيكا، انتهى. قال ابن رشد فى شرح ذلك: وجه قوله هذا الإعلام بأن المقصورة محدثة لم تكن على عهد النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، و لا على عهد الخلفاء بعده، و إنما أحدثها الأمراء للخوف على أنفسهم، فاتخاذها فى الجوامع مكروه انتهى.

و فى شرح مسلم للنووى أن أول من اتخذ المقصورة فى المسجد معاوية رضى اللّه عنه حين ضربه الخارجى، انتهى.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۸۹

و أفهم كلام ابن زبالة أنها كانت فى زمن عمر بن عبد العزيز مرتفعة عن أرض المسجد؛ لأنه ذكر فى زيادة المهدى أنه أمر بالمقصورة فهدمت و خفضت إلى مستوى المسجد، و كانت مرتفعة ذراعين عن وجه المسجد، فأوطأها مع المسجد، و كأن المراغى فهم أن المراد بذلك سقف المقصورة لا أرضها، فإنه قال فى زيادة المهدى: و خفض سقف المقصورة، و كانت مرتفعة ذراعين عن وجه المسجد فأوطئوها المسجد، انتهى.

و رأيت لفظة «سقف» ملحقة بخطه، و الظاهر أن ذلك هو المراد، و ذكر المطرى ما يقتضى أن المهدى جعلها من خشب على الرواق القبلى بأجمعه، و هو مراد ابن جبير بقوله فى رحلته- بعد أن ذكر أن فى الجهة القبلية من المسجد خمس بلاطات- يعنى أروقة، قال: و البلاط المتصل بالقبلة من الخمس المذكورة تحويه مقصورة تكنفه طولا من غرب إلى شرق، و المحراب فيها، انتهى.

و قد احترقت هذه المقصورة فى حريق المسجد الأول، و اللّه أعلم.

الفصل السادس عشر فى زيادة الوليد بن عبد الملك على يد عمر بن عبد العزيز

نقل رزين أن المسجد بعد أن زاد فيه عثمان رضى اللّه عنه لم يزد فيه على و لا معاوية رضى اللّه عنهما، و لا يزيد و لا مروان، و لا ابنه عبد الملك شيئا، حتى كان الوليد بن عبد الملك- و كان عمر بن عبد العزيز عامله على المدينة و مكة- بعث الوليد إلى عمر بن عبد العزيز بمال و قال له: من باعك فأعطه ثمنه، و من أبى فاهدم عليه و أعطه المال، فإن أبى أن يأخذه فاصرفه إلى الفقراء، انتهى.

و قال ابن زبالة: حدثنى عبد العزيز بن محمد عن بعض أهل العلم قال: قدم الوليد بن عبد الملك حاجا، فبينا هو يخطب الناس على منبر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم إذ حانت منه التفاتة فإذا بحسن بن حسن بن على بن أبى طالب فى بيت فاطمة فى يده مرآة ينظر فيها، فلما نزل أرسل إلى عمر بن عبد العزيز فقال: لا أرى هذا قد بقى بعد، اشتر هذه المواضع، و أدخل بيت النبى صلّى اللّه عليه و سلّم فى المسجد، و اسدده.

و روى يحيى من طريق ابن زبالة و غيره عن عبد العزيز بن محمد بنحوه.

و روى أيضا عن موسى بن جعفر بن أبى كثير قال: بينما الوليد يخطب على المنبر إذ انكشفت الكلة عن بيت فاطمة عليها السلام، و إذا حسن بن حسن يسرّح لحيته، و هو يخطب على المنبر، فلما نزل أمر بهدم بيت فاطمة رضى اللّه عنها.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۹۰

قال يحيى: و حدثنى عبد اللّه بن محمد بن عبد اللّه بن حسن بن حسن بن على رضى اللّه عنهما مثله، و زاد فيه أن حسن بن حسن و فاطمة بنت الحسين أبوا أن يخرجوا منه، فأرسل إليهم الوليد بن عبد الملك: إن لم تخرجوا منه هدمته عليكم، فأبوا أن يخرجوا، فأمر بهدمه عليهم و هما فيه و ولدهما، فنزع أساس البيت و هم فيه، فلما نزع أساس البيت قالوا لهم: إن لم تخرجوا قوّضناه عليكم، فخرجوا منه حتى أتوا دار على نهارا.

و روى ابن زبالة عن منصور مولى الحسن بن على قال: كان الوليد بن عبد الملك يبعث كل عام رجلا إلى المدينة يأتيه بأخبار الناس و ما يحدث بها، قال: فأتاه فى عام من ذلك، فسأله، فقال: لقد رأيت أمرا لا و اللّه ما لك معه سلطان و لا رأيت مثله قط، قال: و ما هو؟ قال: كنت فى مسجد النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، فإذا منزل عليه كلة؛ فلما أقيمت الصلاة رفعت الكلة و صلى صاحبه فيه بصلاة الإمام هو و من معه، ثم أرخيت الكلة، و أتى بالغداء فتغدى هو و أصحابه، فلما أقيمت الصلاة فعل مل ذلك، و إذا هو يأخذ المرآة و الكحل و أنا أنظر، فسألت، فقيل: إن هذا حسن بن حسن، قال: ويحك! فما أصنع هو بيته و بيت أمه، فما الحيلة فى ذلك؟ قال: تزيد فى المسجد و تدخل هذا البيت فيه، قال: فكتب إلى عمر بن عبد العزيز يأمره بالزيادة فى المسجد و يشترى هذا المنزل، قال: فعرض عليهم أن يبتاع منهم فأبوا، و قال حسن: و اللّه لا نأكل له ثمنا أبدا، قال: و أعطاهم به سبعة آلاف دينار أو ثمانية، فأبوا، فكتب إلى الوليد بن عبد الملك فى ذلك، فأمره بهدمه و إدخاله، و طرح الثمن فى بيت المال، ففعل، و انتقلت منه فاطمة بنت حسين بن على إلى موضع دارها بالحرة فابتنتها.

قلت: و سيأتى بقية هذا الخبر فى ذكر بئرها، إن شاء اللّه تعالى.

قال ابن زبالة: و حدثنى غير واحد من أهل العلم منهم: إبراهيم بن محمد الزهرى عن أبيه عن عبد الرحمن بن حميد، و محمد بن إسماعيل عن محمد بن عمار عن جده، و محمد بن عبد اللّه عن عبيد اللّه بن عمر، و عبد اللّه بن عمر بن حفص و عبد العزيز بن محمد عن عبيد اللّه ابن عمر بن حفص، و سليمان بن محمد بن أبى سبرة و محمد بن طلحة عن عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان، و بعضهم يزيد على بعض، أن عمر بن عبد العزيز لما جاءه كتاب الوليد بهدم المسجد و الزيادة فيه بعث إلى رجال من آل عمر، فقال: إن أمير المؤمنين كتب إلى أن أبتاع بيت حفصة، و كان عن يمين الخوخة: أى خوخة آل عمر، و كان بينه و بين منزل عائشة الذى فيه قبر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم طريق، و كانتا يتهاديان الكلام و هما فى منزليهما من قرب ما بينهما، فلما دعاهم قال: إن أمير المؤمنين قد أمرنى أن أبتاع هذا المنزل و أدخله فى

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۹۱

المسجد، قالوا: ما نبيعه بشىء، قال: إذا أدخله فى المسجد، قالوا: أنت و ذاك، أنت و ذاك، فأما طريقنا فإنا لا نقطعها، فهدم البيت و أعطاهم الطريق و وسعها لهم حتى انتهى بها إلى الأسطوان، و كانت قبل ذلك ضيقة قدر ما يمر الرجل منحرفا.

قال عبد العزيز بن محمد: فكنت أسمع عبيد اللّه بن عمر يقول: لا أخرجنى اللّه من الدنيا حتى أراها قد سدت، إن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم قال: لا يلقى الصور الصور.

قلت: و سنورد بقية هذا الخبر.

و روى يحيى فى قصة هذه الدار عن مالك بن أنس فى جملة خبر أن الحجاج قال لعبيد اللّه ابن عبد اللّه بن عمر: يعنى منزل حفصة، قال: لا و اللّه ما كنت لآخذ لبيت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم ثمنا أبدا، قال: إذا و اللّه أهدمه، قال: و اللّه لا تهدمه إلا على ظهرى،

فأمر الحجاج صائحا صاح الناس بالعتل و المساحى و الفوس، فقام عبد اللّه فدخل بيت حفصة، و جاء الغوغاء بالعتل و الفوس، فأمرهم الحجاج بهدمه، فصعدوا ليهدموه و عبيد الله فيه، فجاءت بنو عدى إلى عبيد اللّه فقالوا له: ما أضعفك! هو يتأسف على قتل أبيك و يزع عن قتلك، فأخرجوه، فهدمه الحجاج، و كتب إلى الوليد يعلمه ما صنع، و امتناع عبيد الله من الثمن، فكتب الوليد إلى عمر بن عبد العزيز يأمره يعرض على عبيد اللّه الثمن، فإن أبى جعل له مكرمة بدله فى المسجد، فجعل له عمر الخوخة التى فى قبلة المسجد التى إلى دار حفصة اليوم، و هو يقتضى أن الذى هدم دار حفصة هو الحجاج.

و عن جعفر بن وردان عن أبيه قال: لما استعمل الوليد عمر بن عبد العزيز على المدينة أمره بالزيادة فى المسجد و بنيانه و اشتراء ما حوله من المشرق و المغرب و الشام، فلما خلص إلى القبلة قال له عبيد اللّه بن عبد اللّه بن عمر: لست أبيع هذا، هو من حق حفصة، و قد كان النبى صلّى اللّه عليه و سلّم يسكنها، فقال له عمر: ما أنا بتاركك أو أدخلها المسجد، فلما كثر الكلام بينهما قال له عمر: أجعل لكم فى المسجد بابا تدخلون منه، و أعطيكم دار الدقيق مكان هذا الطريق، و ما بقى من الدار فهو لكم، ففعلوا، و أخرج بابهم فى المسجد و هو الخوخة التى فى المسجد تخرج فى دار حفصة بنت عمر، و أعطاهم دار الدقيق، و قدّم الجدار فى موضعه اليوم، و زاد فى المشرق ما بين الأسطوان المربعة إلى جدار المسجد اليوم، و معه عشرة أساطين من مربعة القبر إلى الرحبة إلى الشام، و مده فى المغرب أسطوانين، و أدخل فيه حجرات أزواج النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، و أدخل فيه دور عبد الرحمن بن عوف الثلاث التى كان يقال لها القرائن اللاتى يقول فيهن أبو قطيفة بن الوليد بن عقبة بن أبى معيط:

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۹۲

ألا ليت شعرى هل تغير بعدنا بقيع المصلّى أو كعهدى القرائن

و قد سمعنا من يقول: القرائن كانت جنابذ ثلاثا لعبد الرحمن بن عوف، انتهى.

قلت: و أخبار المؤرخين متطابقة على أن حجر أزواج النبى صلّى اللّه عليه و سلّم أدخلت فى المسجد بأمر الوليد، و قد قدمنا فى الفصل التاسع قول عطاء الخراسانى: أدركت حجرات أزواج النبى صلّى اللّه عليه و سلّم من جريد على أبوابها المسوح من شعر أسود، فحضرت كتاب الوليد بن عبد الملك يقرأ يأمر بإدخال حجر أزواج النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، فما رأيت يوما كان أكثر باكيا من ذلك اليوم، قال عطاء: فسمعت سعيد بن المسيب يقول: و اللّه لوددت أنهم تركوها على حالها، لكن نقل الزين المراغى عن السهيلى أنه نقل أن الحجر و البيوت خلطت بالمسجد فى زمن عبد الملك بن مروان، قال: و يرده تصريح رزين و غيره بضد ذلك.

قلت: و لعل مراد من نسب ذلك إلى عبد الملك أنه جعلها للمسلمين يصلون فيها لضيق المسجد من غير هدم لها، و قد كان الناس يصلون فيها قبل إدخالها فى المسجد فى يوم الجمعة، فقد نقل مالك رحمه اللّه عن الثقة عنده أن الناس كانوا يدخلون حجر أزواج النبى صلّى اللّه عليه و سلّم يصلون فيها يوم الجمعة بعد وفاة النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، و كان المسجد يضيق عن أهله، قال:

و حجر أزواج النبى صلّى اللّه عليه و سلّم ليست من المسجد، و لكن أبوابها شارعة فى المسجد، انتهى.

و أما بقية خبر ابن زبالة المتقدم فقد قال عقب ذلك: ثم سام عمر بن عبد العزيز بنى عبد الرحمن بن عوف بدارهم، فأبوا، فهدمها عليهم و أدخلها فى المسجد، قال عبد الرحمن بن حميد: فذهب لنا متاع فى هدمهم، و أدخل حجرات أزواج النبى صلّى اللّه عليه و سلّم مما يلى المشرق و من الشام، و أخل القرائن دور عبد الرحمن بن عوف و أدخل دار عبد اللّه بن مسعود التى يقال لها دار القراء، و أبيات هاشم بن عتبة بن أبى وقاص، و أدخل فيه من المغرب دارا كانت لطلحة بن عبيد الله، و دارا كانت لأبى سبرة بن أبى رهم كانت فى موضع المربعة التى فى غربى المسجد، و دارا لعمار بن ياسر كانت إلى جنب دار أبى سبرة، و بعض دار العباس بن عبد المطلب، فأعلم ما دخل منها فى المسجد، فجعل منابر سواريها التى تلى السقف أعظم من غيرها من سوارى المسجد، و أدخل دارا كانت لمخارق مولى العباس بن عبد المطلب.

قلت: قوله «و أدخل إلى آخره» و إن كان مبنيا لما لم يسم فاعله، لكن إيراده هنا يقتضى أن ذلك كله فى زيادة الوليد المذكورة، و

فيه نظر؛ لما تقدم من أن عثمان رضى اللّه عنه زاد

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۹۳

فى المسجد أسطوانا بعد المربعة، فيكون زيادة الوليد بعد ذلك فى جهة المغرب، فلا يصح إدخاله لدار أبى سبرة؛ لقوله إنها كانت فى موضع المربعة، إلا أن يريد بالمربعة هنا الأسطوانة التى عن يمينك إذا دخلت من الباب الذى يلى دار مروان، و هو باب السلام، و هى الثانية من الباب المذكور، فإنها أول زيادة الوليد؛ لقوله فى رواية يحيى المتقدمة «و مده فى المغرب أسطوانين» لكن قال ابن شبة نقلا عن ابن أبى يحيى: إنه كانت لأبى سبرة بن أبى رهم دار موضعها عند الأسطوان المربعة التى فى المسجد اليمانية الغربية، و كانت جديدة، و كانت هناك دار لعمار بن ياسر، فأدخلتا فى المسجد، انتهى. و هو ظاهر فى أن المراد بالمربعة الأسطوان المثمنة اليوم التى قدمنا وصفها فى زيادة عثمان رضى اللّه عنه، و قوله «و بعض دار العباس بن عبد المطلب» ظاهر أيضا فى أن الوليد أدخل من دار العباس شيئا، و لعله مما كان بقى منها و أدخله مروان فى داره، فيستفاد منه أن الوليد أدخل بعض دار مروان و هو ظاهر؛ لما قدمناه من أن دار مروان كانت ملاصقة للمسجد فى جهة المغرب و لها خوخة فيه، و لا شك أنه اتخذها قبل زيادة الوليد، فإن وفاة مروان كانت فى سنة خمس و ستين بعد أن أقام فى الخلافة عشرة أشهر.

و لنرجع إلى تكميل خبر ابن زبالة المتقدم، قال: قالوا: و كتب الوليد بن عبد الملك إلى ملك الروم «إنا نريد أن نعمر مسجد نبينا الأعظم، فأعنّا فيه بعمال و فسيفساء»، قالوا:

فبعث إليه بأحمال من فسيفساء و بضعة و عشرين عاملا، و قال بعضهم: بعشرة عمال، و قال:

قد بعثت إليك بعشرة يعدلون مائة، و بثمانين ألف دينار عونا له.

قلت: روى ذلك يحيى أيضا، و ذكر فى رواية أخرى عن قدامة بن موسى أن ملك الروم، بعث إليه بأربعين. يعنى عاملا سمن الروم، و بأربعين من القبط، و بأربعين ألف مثقال ذهب. و فى رواية لرزين: فبعث إليه ثلاثين عاملا، و أربعين من الروم، و مثلهم من القبط، و بثمانين ألف مثقال، و بأحمال من الفسيفساء، و بأحمال من سلاسل القناديل، انتهى.

و لنرجع إلى تكميل خبر ابن زبالة له أيضا، قال عقب ما تقدم: و بعث بهذه السلاسل التى فيها القناديل، قالوا: و هدمه عمر بن عبد العزيز سنة إحدى و تسعين- أى بتقديم التاء الفوقية على السين- و بناه بالحجارة المنقوشة المطابقة و قصّة بطن نخل، و عمله بالفسيفساء و المرمر، و عمل سقفه بالساج و ماء الذهب، و هدم حجر أزواج النبى صلّى اللّه عليه و سلّم فأدخلها فى المسجد، و نقل لبن المسجد و لبن الحجرات فبنى به داره التى بالحرة فهو فيها اليوم له بياض على اللبن، قال: فبينما أولئك العمال يعملون فى المسجد إذ خلا لهم المسجد فقال بعض أولئك العمال من الروم: ألا أبول على قبر نبيهم، فتهيأ لذلك فنهاه أصحابه، فلما همّ أن

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۹۴

يفعل اقتلع فألقى على رأسه، فانتثر دماغه، فأسلم بعض أولئك النصارى، و عمل أحد أولئك الروم على رأس خمس طاقات فى جدار القبلة فى صحن المسجد صورة خنزير، فظهر عليه عمر بن عبد العزيز فامر به فضربت عنقه، و قال بعض أولئك العمال الذين عملوا الفسيفساء: إنا عملناه على ما وجدنا من صور شجر الجنة و قصورها، انتهى خبر ابن زبالة.

و فى خبر يحيى المتقدم عن قدامة بن موسى أن عمر بن عبد العزيز أخمر النورة التى تعمل بها الفسيفساء سنة، و حملوا القصة من بطن نخل منخولة، و عمل الأساس بالحجارة و الجدار بالحجارة المطابقة و القصة، و جعل عمد المسجد من حجارة حشوها عمد الحديد و الرصاص، و كان طوله مائتى ذراع و عرضه فى مقدمته مائتين و فى مؤخره ثمانين و مائة، و هو من قبل كان مقدمه أعرض، انتهى.

و ما ذكره فى ذرع عرض المسجد غير صحيح؛ لما سيأتى عن ابن زبالة فى الفصل الحادى و الثلاثين أنه ذكر فى موضع آخر أن عرض المسجد من مقدمه فى زمنه مائة و خمسة و ستون ذراعا، و عرضه من مؤخره مائة و ثلاثون ذراعا، و سيأتى أيضا أن الذى

حررناه أن عرضه اليوم من مقدمه فى جهة القبلة مائة ذراع و سبعة و ستون ذراعا و نصف، و أن عرضه من مؤخره فى جهة الشام مائة و خمسة و ثلاثون ذراعا، و لا شك أن المسجد لم ينقص من عرضه شيء، فهذا الذرع المذكور فى هذه الرواية غير صحيح، و قد نقله ابن النجار عن أهل السير، و تعقبه المطرى بنحو ما ذكرناه.

و روى ابن زبالة عن محمد بن عمار عن جده قال: لما صار عمر بن عبد العزيز إلى جدار القبلة دعا مشيخة من أهل المدينة من قريش و الأنصار و العرب و الموالى فقال لهم:

تعالوا أحضروا بنيان قبلتكم، لا تقولوا غير عمر قبلتنا، فجعل لا ينزع حجرا إلا وضع مكانه حجرا، فكانت زيادة الوليد بن عبد الملك من المشرق إلى المغرب ستة أساطين، و زاد إلى الشام من الأسطوان المربعة التى فى القبر أربع عشر أسطوانا منها عشر فى الرحبة و أربع فى السقائف الأولى التى كانت قبل، و زاد من الأسطوان التى دون المربعة إلى المشرق أربع أساطين فى السقائف، فدخل بيت النبى صلّى اللّه عليه و سلّم فى المسجد، و بقى ثلاث أساطين فى السقائف.

قلت: فاستفدنا من ذلك أن الستة أساطين التى زادها فى المشرق و المغرب ليس منها فى جهة المغرب سوى اثنتين، و أن أربعة منها فى جهة المشرق؛ فيكون ابتداء زيادته فى

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۹۵

المشرق من الأسطوان الاصق اليوم بالشباك الدائر حول الحجرة الشريفة على ما قدمناه فى تحديد المسجد النبوى، و ذلك هو المراد بقوله «من الأسطوان التى دون المربعة إلى المشرق» و قوله «و بقى ثلاث أساطين» أى من الأربعة المذكورة «فى السقائف» أى المسقف الشرقى كما هو اليوم، لكن فى رواية يحيى المتقدمة أنه زاد فى المشرق ما بين الأسطوان المربعة أى مربعة القبر إلى جدار المسجد يعنى الشرقى؛ فعلى هذا يكون له فى المشرق ثلاثة أساطين فقط؛ فيحتمل أن يكون له فى المغرب ثلاث أيضا، و قوله «و زاد إلى الشام من الأسطوان المربعة التى فى القبر- إلى آخره» معناه أنه لما أحدث المسقف الشرقى جعل ابتداءه مما يلى رحبة المسجد مربعة القبر، و جعل فى صفها إلى جهة الشام أربع عشر أسطوانا منها عشر فى الرحبة و أربع فى السقائف التى كانت قبل: أى فى المسقف الشامى، فيكون قد صيّر المسقف الشامى رحبة، و جعل المسقف الشامى بعد أربع عشر أسطوانا، فهذا معنى زيادته لهذا العدد.

و يستفاد منه: أن جدار المسجد من جهة الشام فى زمنه كان بعد ثمان عشرة أسطوانة، من مربعة القبر؛ لأنك إذا ضممت أربع أساطين للسقائف التى أحدثها بدل الأولى إلى الأربع عشرة المذكورة بلغ ذلك، فيكون محل الجدار المذكور قريبا مما يوازى الأسطوان التى قبل المسقف الشامى بأسطوان فيما يليه من الرحبة، و ذلك موافق لما تقدم من أنه جعل طوله- يعنى من القبلة إلى الشام- مائتى ذراع، فيتحرر من ذلك أن زيادته من جهة الشام على ما ذكر من الذرع فى زمن عثمان رضى اللّه عنه أربعون ذراعا، و يحتمل أن يكون معنى قوله «و زاد إلى الشام من الأسطوان المربعة التى فى القبر أربع عشرة أسطوانة» أن المسجد ينتهى فى جهة الشام فى زمنه بعد أربع عشرة أسطوانا من المربعة إلى جهة الشام؛ فيكون الجدار الشامى فى موازاة الأسطوانة الخامسة من طرف الدكاك التى هى المسقف الشامى، و هناك أسطوان فى الصف الأوسط من المسقف الشرقى مربع أسفله قدر الجلسة؛ فعلى هذا يكون علامة لذلك، لكنه مخالف لما تقدم من أنه جعل طوله مائتى ذراع، بل يكون طوله على هذا التقدير نحو مائة و ستين ذراعا، و ذلك هو ما تقدم فى طوله زمن عثمان رضى اللّه عنه، فيكون هذا الاحتمال مردودا، و لكن سيأتى فى زيادة المهدى ما يقتضيه، و اللّه أعلم.

و روى يحيى عن محمد بن إسماعيل بن أبى فديك عمن يثق به من مشايخ البلد أن عمر بن عبد العزيز أمر حين بنى المسجد بأسفل الأساطين فجعل قدر سترة اثنين يصليان إليها و قدر مجلس اثنين يتساندان إليها.

و عن صالح بن كيسان قال: لما جاء كتاب الوليد من دمشق لهدم المسجد سار خمس عشرة، فجرد فى ذلك عمر بن عبد العزيز، قال صالح: و استعملنى على هدمه و بنائه،

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۹۶

فهدمناه بعمال المدينة فبدأنا بهدم بيوت أزواج النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، حتى قدم علينا الفعلة الذين بعث بهم الوليد، و قال ابن زبالة فيما رواه عن محمد بن عمار عن جده: و كان فى موضع الجنائز- أى شرقى المسجد فى زمان الوليد بن عبد الملك- نخلتان إذا أتى بالموتى وضعوا عندهما فيصلى عليهم، فأراد عمر بن عبد العزيز قطعهما حين ولى عمل المسجد للوليد بن عبد الملك، و ذلك فى سنة ثمان و ثمانين، فاقتتلت فيهما بنو النجار من الأنصار، فابتاعهما عمر بن عبد العزيز فقطعهما.

قلت: و لا ينافى ذلك ما تقدم من أن عمر هدم المسجد فى سنة إحدى و تسعين، لجواز أن يكون ولايته لذلك سنة ثمان و ثمانين، و استمر فى تحصيل الأهبة و شراء الأماكن و تخمير النورة إلى سنة إحدى و تسعين.

و فيما رواه يحيى عن حفص بن مروان عن أبيه أن عمر مكث فى بنائه ثلاث سنين.

قلت: فعلى هذا يكون قد فرغ منه فى آخر سنة ثلاث و تسعين، و هى السنة التى عزل فيها عمر عن المدينة، و فيه رد لقول من زعم أن هدمه كان فى سنة ثلاث و تسعين، لكن فى رواية لابن زبالة ما يقتضى أن البداءة فى هدم المسجد و عمارته كانت فى سنة ثمان و ثمانين؛ فإنه قال فيها: و ابتدأ عمر بن عبد العزيز بناء المسجد سنة ثمان و ثمانين، و فرغ سنة إحدى و تسعين، و فيها حج الوليد.

قال: و لما فرغ عمر بن عبد العزيز من بنيان المسجد أرسل إلى أبان بن عثمان، فحمل فى كساء خز حتى انتهى به إليه، فقال: أين هذا البناء من بنيانكم؟ فقال: بنيناه بناء المساجد و بنيتموه بناء الكنائس، قال: و قال الوليد حين رأى خوخة آل عمر: صانعتهم لمكان الخوخة، هكذا فى النسخة التى وقعت لنا، و لعلها لمكان الخؤلة؛ لأن المطرى قال: إن الوليد قال له: صانعت أخوالك، و قد كانت أم عمر بن عبد العزيز منهم.

و روى يحيى عن جعفر بن وردان عن أبيه ما يقتضى أن المخاطب لأبان بن عثمان هو الوليد؛ فإنه قال: فلما قدم الوليد حاجا جعل يطوف فى المسجد و ينظر إليه و يصيح بعمر:

هاهنا، و معه أبان بن عثمان، فلم استنفد الوليد النظر إلى المسجد التفت إلى أبان و قال: أين بناؤنا من بنائكم؟ قال أبان: إنا بنيناه بناء المساجد و بنيتموه بناء الكنائس.

قلت: و كان قد اعتنى عمر بتحسينه؛ فقد روى يحيى عن النضر بن أنس قال: كان عمر ابن عبد العزيز إذا عمل العامل الشجرة الكبيرة من الفسيفساء فأحسن عملها نفّله

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۹۷

عمر ثلاثين درهما، و ذكر هو و ابن زبالة ما كان فيه من الكتابات داخله و خارجه و على أبوابه فتركناه لزواله.

و روى ابن زبالة عن إبراهيم بن محمد الزهرى عن أبيه قال: و لما قدم الوليد بن عبد الملك المدينة حاجا بعد فراغ عمر بن عبد العزيز من المسجد جعل يطوف فى المسجد و ينظر إلى بنيانه، فقال لعمر بن عبد العزيز حين رأى سقف المقصورة: أ لا عملت السقف كله مثل هذا، قال: إذا يا أمير المؤمنين تعظم النفقة جدا، قال: و إن، قال: و كان نفقته فى ذلك أربعين ألف دينار.

و روى ابن النجار هذا الخبر عن أهل السير بهذا اللفظ، إلا أنه قال: فقال: يا أمير المؤمنين إذا تعظم النفقة جدا، قال: و إن، قال: أ تدرى كم أنفقت على عمل جدار القبلة و ما بين السقفين؟ قال: و كم، قال: خمسة و أربعون ألف دينار، و قال بعضهم: أربعون ألف دينار، قال: و اللّه لكأنك أنفقتها من مالك، و قيل: كانت النفقة فى ذلك أربعين ألف مثقال، انتهى.

و ذكر يحيى رواية ابن زبالة المتقدمة من غير طريقه، و قال عقب قوله: «و كانت النفقة فى ذلك أربعين ألف دينار» قال: ثم انتهى إلى القبر فقال ابن الوليد لعمر بن عبد العزيز:

من هذا فى القبر؟ قال: رسول اللّه و أبو بكر و عمر، قال: فأين أمير المؤمنين عثمان؟ قال:

فأعرض عنه، فألح عليه، فقال: دفن فى حال تشاغل من الناس و قد أسىء أدبك.

و روى ذلك ابن زبالة أيضا، و زاد فقال: و سمعت بعض أهل العلم يقول: السائل بكار بن عبد الملك، و كان ضعيفا.

و قال ابن شبة: حدثنا أيوب بن عمر بن أبى عمرو، قال: أخبرنى موسى بن عبد العزيز قال: قال عمر بن عبد العزيز لى: اتكأ الوليد على يدى حين قدم المدينة، فجعل يطوف المسجد ينظر إلى بنائه، ثم أتى بيت النبى صلّى اللّه عليه و سلّم فوقف عليه، ثم أقبل على فقال: أ معه أبو بكر و عمر؟ قلت: نعم، قال: فأين أمير المؤمنين عثمان؟ قال: فالله أعلم إنى لظننت أنه لا يبرح حتى يخرجهما، فقلت: يا أمير المؤمنين إن الناس كانوا حين قتل عثمان فى فتنة و شغل فذاك الذى منعهم من أن يدفنوه معهم، فسكت.

و روى يحيى أنه جعل المقصورة من ساج، قال: و كانت قبل من حجارة، و أن الواقدى قال: حدثنى عبد الله بن يزيد قال: كان عمل القبط مقدم المسجد، و كانت الروم تعمل ما خرج من السقف جوانبه و مؤخره، فسمعت سعيد بن المسيب يقول: عمل هؤلاء أحكم، يعنى القبط.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۹۸

الفصل السابع عشر فيما اتخذه عمر فى المسجد فى زيادة الوليد من المحراب و الشّرفات و المنائر، و اتخاذ الحرس، و منعهم من الصلاة على الجنائز فيه

أول من أحدث المحراب و الشرفات

أسند يحيى عن عبد المهيمن بن عباس عن أبيه قال: مات عثمان و ليس فى المسجد شرفات و لا محراب، فأول من أحدث المحراب و الشرفات عمر بن عبد العزيز، و عن القاسم و سالم أنهما نظرا إلى شرفات المسجد فقالا: إنها من زينة المسجد، و أسند أيضا من طريق ابن زبالة و رأيته فيه أن عمر بن عبد العزيز هو الذى عمل الرصاص على طنف المسجد و الميازيب التى من الرصاص، فلم يبق من الميازيب التى عمل عمر بن عبد العزيز غير ميزابين: أحدهما فى موضع الجنائز، و الآخر على الباب الذى يدخل منه أهل السوق الذى يقال له باب عاتكة، و لم يكن للمسجد شرفات حتى عملها عبد الواحد بن عبد الله النصرى، و هو وال على المدينة، سنة أربع و مائة، انتهى.

فهذا يقتضى أن عمر بن عبد العزيز لم يحدث الشرفات فى زيادة الوليد، بل و لا فى زمن خلافته بعده، لأن وفاته كانت فى رجب سنة إحدى و مائة.

و فى سنن البيهقى عن أنس عن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم أنه قال: «ابنوا المساجد و اتخذوها جماء» و عن ابن عمر: نهانا- أو نهينا- أن نصلى فى مسجد مشرف.

قال أبو عبيد: الجم التى لا شرف لها، حكاه فى شرح المهذب.

قال الزين المراغى: و ليس للمسجد شرفات منذ حريقه، و قد جددت له شرفات سنة سبع و ستين و سبعمائة فى أيام الأشرف شعبان بن حسين بن محمد صاحب مصر، انتهى.

و المراد بالشرفات المذكورة ما على ما أحاط بجدرات صحن المسجد من جوانبه الأربعة، و بينها فرج شبه طاقات الشباك، و هى المرادة فيما حكاه البدر بن فرحون عن القاضى فخر الدين بن مسكين الفقيه الشافعى أنه كان يجلس فى مصلاه حتى تطلع الشمس فيصلى الضحى، و أنه رأى الناس يرتقبون بصلاتهم الشيخ أبا عبد اللّه بن فرحون ولد البدر، قال:

و كان يقوم إذا وصلت الشمس فى الحائط الغربى إلى تحت الشبابيك الصغار، قال:

فاجتمعت به، و كنت به جاهلا، فقلت له: رأيتك تقوم للضحى قبل وقتها، و قد نهى النبى

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۹۹

صلّى اللّه عليه و سلّم عنها حتى ترتفع الشمس و تبيض، فالتفت إلىّ و قال: بعد اليوم نؤخر كما قلت، و سكت عنى.

قلت: و إنما ذكرت ذلك لأن كثيرا من الناس اليوم يشرعون فى الصلاة عند وقوع الشمس على رءوس الشراريف، و ذلك قبل ارتفاع الشمس كرمح، و اللّه أعلم.

المنارات التى عملها عمر بن عبد العزيز

و روى ابن زبالة و يحيى من طريقه عن محمد بن عمار عن جده، قال: جعل عمر بن عبد العزيز لمسجد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم حين بناه أربع منارات فى كل زاوية منه منارة.

قال كثير بن حفص: و كانت المنارة الرابعة مطلة على دار مروان، فلما حج سليمان بن عبد الملك أذن المؤذن، فأطل عليه، فأمر سليمان بتلك المنارة فهدمت إلى ظهر المسجد، و بابها على باب المسجد، و فى نسخة يحيى «و بابها على المسجد مما يلى دار مروان من قبل المسجد».

قلت: فكان المسجد بعد ذلك له ثلاث منارات فقط، و هو المراد من قول ابن زبالة فى موضع آخر: و لمسجد النبى صلّى اللّه عليه و سلّم ثلاث منارات طول كل منارة ستون ذراعا، و قال فى موضع آخر: و طول المنارة الشرقية اليمانية فى السماء خمس و خمسون ذراعا، و المنارة الشرقية الشامية خمس و خمسون، و المنارة الغربية الشامية ثلاث و خمسون، و عرض المنارات ثمان أذرع فى ثمان أذرع، اه.

و ذكر ابن جبير فى رحلته ما يقتضى أن المنارتين الشاميتين كانتا صغيرتين، بخلاف الشرقية اليمانية، فإنه قال: و للمسجد المبارك ثلاث صوامع إحداها فى الركن الشرقى المتصل بالقبلة، و الاثنتان فى ركنى الجهة الجوفية صغيرتان كأنهما على هيئة برجين، و الصومعة الأولى المذكورة على هيئة الصوامع.

قلت: فكأن الشاميتين غيرتا بعد ابن جبير؛ فإنهما اليوم على هيئة الشرقية اليمانية المعروفة اليوم بالرئيسية؛ لاختصاص الرئيس بها، و كان طول المنارة الرئيسية فى زماننا أولا من رأس هلالها إلى أسفلها خارج المسجد بالبلاط سبعة و سبعين ذراعا، بتقديم السين، ثم سقط منها نحو ثلثها بسبب الصاعقة التى نشأ عنها حريق المسجد الثانى كما سيأتى، فاقتضى الحال هدم جميعها، ثم أعيدت فكان طولها اليوم أزيد من مائة ذراع، فصارت أطول المنارات، ثم ظهر منها خلل بعد، فبعث السلطان الأشرف الشجاعى شاهين الجمالى و أمره بهدمها، فهدمها غير محكم، فحفر أساسها إلى الملك، و أعادها متقنة جدا فى عرض جدارها الشرقى من موضع الجنائز شرقى المسجد، و زاد فى ارتفاعها أيضا حتى بلغ زيادة عن مائة و عشرين ذراعا، و طول المنارة الشرقية الشامية و هى المعروفة بالسنجارية تسعة- بتقديم التاء

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۰۰

على السين- و سبعون ذراعا، و طول الشامية الغربية المعروفة بالخشبية اثنان و سبعون ذراعا- بتقديم السين فيهما- كل ذلك من أعلى الهلال إلى الأرض الخارجة عن المسجد، و به يعلم أن المنارات التى كانت فى زمن ابن زبالة ليست هى الموجودة اليوم.

قال المطرى: و لم يزل المسجد على ثلاث منارات إلى أن جددت المنارة الرابعة، و ذكر فى موضع آخر تجديدها، فقال بعد ذكر خوخة مروان المتقدم ذكرها فى ركن المسجد الغربى: إنه شاهد الخوخة المذكورة عند بناء المنارة الكبيرة المتجددة فى سنة ست و سبعمائة، أمر بإنشائها السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون.

قال المطرى: و كان باب الخوخة عليها، و هو من ساج، فلم يبل إلى هذا التاريخ، كان مروان يدخل من داره إلى المسجد منها، و قد انسدت- يعنى الخوخة- بحائط المنارة الغربى اه.

قلت: و قد ذكر البدر بن فرحون بناء هذه المنارة فإنه أدرك ذلك، و ذكر أنه لم يوجد عند الحفر أثر لما ذكر من وجود منارة قبلها، فقال ما ملخصه؛ إنه لما حج سلار و بيبرس كلمهما شيخ الخدام شبل الدولة كافور المظفرى المعروف بالحريرى فى بناء المنارة التى

بباب السلام اليوم، فأنعما، ثم خشى أنهما يشتغلان عن ذلك و يستثقلان النفقة، فقال: أنا لا أطلب منكم مالا، عندى من قناديل الذهب و الفضة ما يقوم بها و زيادة، فأنعما له بإرسال الصناع، و أمر بالحفر لها فى مكانها اليوم، فلم ينزلوا إلا قليلا إذ وجدوا باب مروان ابن الحكم أسفل من أرض المسجد بقدر قامة، ثم وجدوا تحصيب المسجد فى أيام مروان بالرمل الأسود يشبه أن يكون من جبل سلع، ثم نزلوا فى الأساس حتى بلغوا الماء، ثم أمر الحريرى من كان بالمدينة يتعانى البناية كالشيخ إبراهيم البنا و الشيخ على الفراش الحجار و غيرهما ممن ليس له فى البناية كبير قدم، فدكوا الأساس، فلما حضر الصناع فى الموسم قال مقدمهم للشيخ: لا تبنى حتى تنقض ذلك، فإنّا لا نأمن عاقبته، فامتنع الشيخ، فرجع إلى مصر من حينه، فقال الشيخ لمن كان معه من المعلمين: اعملوا أنتم، فعملوها على ما هى عليه اليوم، و عمّ نفعها؛ لأنها متوسطة المدينة حتى إن رئيس المؤذنين محمد بن إبراهيم قال لى: لو تركت لى هذه المأذنة لكفيت المدينة، و هو حق؛ فإن امتداد المدينة و قوة عمارتها من جهة المغرب، يعنى فى محاذاة المنارة المذكورة.

قال: و كان بعض المؤرخين يذكر أنه كان هناك مأذنة مشرفة على دار مروان، فهدمها

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۰۱

غيرة على أهله من مؤذنيها، فلم يوجد لذلك صحة و لا أثر البتة، انتهى ما ذكره ابن فرحون.

قلت: و جواب ما ذكره أخيرا أن تلك المنارة تحتمل أن تكون على باب المسجد و سطحه مما يلى دار مروان، و ليس لها فى الأرض أساس، و يدل على ذلك قوله فى الرواية المتقدمة:

و بابها على المسجد، أو على باب المسجد؛ فلا يلزم من عدم وجود أثرها عند الحفر عدم وجودها أصلا و رأسا فى تلك الجهة، و لم يتعرضوا لذرع هذه المنارة، و كانت أطول منارات المسجد. و قد ذرعتا من أعلى هلالها إلى الأرض، فكان ذلك خمسة و تسعين ذراعا- بتقديم التاء على السين- لكن صارت المنارة الرئيسية المجددة بعد الحريق أطول منها كما سبق، و الله أعلم.

و يظهر من سياق ما تقدم أن أول جعل المنارات فى المسجد كان فى زيادة الوليد، و يشهد لذلك ما رواه ابن إسحاق و أبو داود و البيهقى أن امرأة من بنى النجار قالت: كان بيتى من أطول بيت حول المسجد، و كان بلال يؤذن عليه الفجر كل غداة، فيأتى بسحر، فيجلس على البيت لينظر إلى الفجر، فإذا رآه تمطى، ثم قال: اللهم إنى أحمدك و أستعينك على قريش أن يقيموا دينك، قالت: ثم يؤذن.

و روى خالد بن عمرو عن أبى برزة الأسلمى قال: من السنة الأذان فى المنارة و الإقامة فى المسجد.

و روى غيره أن الأذان فى زمنه صلّى اللّه عليه و سلّم كان على أسطوانة فى دار عبد اللّه بن عمر التى فى قبلة المسجد.

قال ابن زبالة: حدثنى محمد بن إسماعيل و غيره قال: كان فى دار عبد اللّه بن عمر أسطوان فى قبلة المسجد يؤذن عليها بلال يرقى إليها بأقتاب، و الأسطوان مربعة قائمة إلى اليوم يقال لها المطمار، و هى فى منزل عبيد اللّه بن عبد اللّه بن عمر.

قلت: و الظاهر أنها المرادة بقوله فى الرواية المتقدمة فى قصة الخوخة التى جعلت بدل طريق بيت حفصة: و وسعها لهم حتى انتهى بها إلى الأسطوان.

و قال الأقشهرى، و من خطه نقلت: عن عبد العزيز بن عمران قال: كان فى دار عبد اللّه ابن عمر أسطوان فى قبلة المسجد يؤذن عليها، و هى مربعة قائمة إلى اليوم. قال الأقشهرى: و هى باقية إلى يومنا هذا، قال، يعنى عبد العزيز: و كان يقال لها المطمار.

و أسند يحيى من طريق عبد العزيز بن عمران عن قدامة العمرى عن نافع عن ابن عمر، قال: كان بلال يؤذن على منارة فى دارة حفصة ابنة عمر التى تلى المسجد، قال: و كان يرقى

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۰۲

على أقتاب فيها، و الأسطوان فى البيت الذى كان بيد عبيد اللّه بن عمر الذى يقال له بيت عبد الله بن عمر، و قد كانت خارجة من مسجد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم لم تكن فيه، و ليست فيه اليوم، و الظاهر أنه تجوّز فى تسمية الأسطوان منارة، و عبد العزيز بن

عمران كـان كثير الغلط؛ لأن كتبه احترقت؛ فكان يروى من حفظه، فتركوه، ثم الظاهر أن عمر و عثمان رضـى اللّه عنهما لم يتخـذا فى المسجد منارة، و إلا لنقل.

عثمان أول من خلق المسجد و رزق المؤذنين

و روى يحيى عن جابر بن عبـد اللّه قال: كان أول من خلّق المسـجد، و رزق المؤذنين، و جلس على الدرجة الثالثة من المنبر بعد النبى صلّى اللّه عليه و سلّم عثمان رضى اللّه عنه.

اتخاذ حرس للمسجد

و روى ابن زبالة عن موسى بن عبيدة أن عمر بن عبد العزيز استأجر حرسا للمسجد لا يحترف فيه أحد.

و عن كثير بن زيد قال: نظرت إلى حرس عمر بن عبد العزيز يطردون الناس من المسجد أن يصلّى على الجنائز فيه.

و عن عثمان بن أبى الوليد عن عروة بن الزبير أنه قال له: تضـربون الناس فى الصلاة فى المسجد على الجنائز؟ قال: قلت: نعم، قال: أما إن أبا بكر قد صلى عليه فى المسجد.

قلت: و ذكر يحيى مـا يقتضـى أن الحرس كانوا قبل زمن عمر بن عبـد العزيز يمنعون الناس من الصـلاة على الجنائز فى المسـجد؛ فإنه روى عن ابن أبى ذئب عن المقبرى أنه رأى حرس مروان بن الحكم يخرجون الناس من المسجد يمنعونهم أن يصلوا فيه على الجنائز.

قلت: و أما ما كان من ذلك فى زمنه صلّى اللّه عليه و سلّم فقد روى ابن شـبة عن صـحابى سـقط اسـمه من النسخة التى وقفت عليها حديثا محصله أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم لما قدم المدينة كان إذا احتضر الميت آذنوه فحضره و استغفر له، حتى إذا قبض انصرف النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و من معه، و ربمـا قعـد و من معه فربما طال حبس ذلك على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، قال: فلما خشينا مشقة ذلك عليه قال بعض القوم لبعض: لو كنا لا نؤذن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم بأحد حتى يقبض، فإذا قبض آذناه، فلم يكن عليه فى ذلك مشـقة و لا حبس، ففعلنا ذلك، و كنا نؤذنه بالميت بعد أن يموت فيأتيه فيصـلى عليه، فربما انصرف، و ربما مكث حتى يدفن، فكنا على ذلك حينا، فقلنا: لو لم نشـخص رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و سلّم و حملنا جنائزنا إليه حتى يصلى عليها عند بيته كان ذلك أرفق به، ففعلنا، فكان ذلك الأمر إلى اليوم.

الصلاة على الجنائز فى المساجد

و عن ابن شهاب قال: كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم إذا هلك الهالك شهده يصلى عليه حيث

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۰۳

يدفن، فلما ثقل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم و بدّن نقل إليه المؤمنون موتاهم فصـلى عليهم رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و سلّم على الجنائز عند بيته فى موضع الجنائز اليوم، و لم يزل ذلك جاريا.

قـال ابن شـبة: و حـدثنى محمـد بن يحيى قـال: حـدثنى من أثق به أنه كان فى موضع الجنائز نخلتان إذا أتى بالموتى وضـعوا عنـدهما فصلى عليهم، فأراد عمر بن عبد العزيز حين بنى المسجد قطعهما، فاقتتلت فيهما بنو النجار، فابتاعهما عمر فقطعهما.

و فى صـحيح البخـارى من حـديث ابن عمر فى قصـة اليهوديين «فرجمـا قريبـا من موضع الجنـائز عنـد المسـجد» فـدل ذلـك على أن الموضع المذكور كان معروفا بذلك.

و فى صـحيح مسـلم من حـديث عائشـة أنهـا أمرت أن يمر بجنازة ابن أبى وقاص فى المسـجد فتصـلى عليه، فأنكر الناس ذلك عليها،

فقالت: ما أسرع ما نسى الناس! ما صلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم على سهيل بن البيضاء إلا فى المسجد، و فى رواية لها: و اللّه لقد صلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم على ابنى بيضاء فى المسجد سهيل و أخيه.

قلت: و يفهم منه أن ذلك نادر، و أن الكثير من فعله صلّى اللّه عليه و سلّم ما تقدمت الإشارة إليه.

و روى يحيى بسند جيد عن عبد اللّه بن عمر أنه صلّى على عمر بن الخطاب فى المسجد، و فى رواية أخرى له عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب أن عمر بن الخطاب صلى على أبى بكر فى المسجد، و أن صهيبا صلّى على عمر بن الخطاب فى المسجد، و بين فى رواية أخرى أن ذلك كان عند المنبر، و قد روى ذلك ابن أبى شيبة، و قال فى رواية: وضعت الجنازة فى المسجد تجاه المنبر.

قال الحافظ ابن حجر: و هذا يقتضى الإجماع على جواز ذلك، و قد تقررت المذاهب فى ذلك.

و قال ابن النجار عقب ذكر ما تقدم عن عمر بن عبد العزيز فى ذلك: و السنة فى الجنائز باقية إلى يومنا هذا، إلا فى حق العلويين و من أراد الأمراء من الأعيان و غيرهم، و الباقون يصلّى عليهم خلف الحائط الشرقى من المسجد، إذا وقف الإمام على الجنائز هناك كان النبى صلّى اللّه عليه و سلّم عن يمينه. انتهى.

الشيعة غير الأشراف

قلت: و قد انتسخ ما ذكره ابن النجار، و صار يصلى على الجنائز كلها فى المسجد، و يخص الأعيان بالصلاة عليهم بالروضة الشريفة بين القبر و المنبر، و غيرهم يصلى عليه أمام الروضة بعد أن يوقف بالجنازة بين يدى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم أمام الوجه الشريف إلى عام اثنين و أربعين و ثمانمائة فى دولة السلطان الظاهر جقمق، فوردت مراسيمه على شيخ الحرم فارس بالأمر بمنع جنائز الشيعة من المسجد، فمنع المنسوبون للشيعة من إدخال جنائزهم إلى المسجد إلا

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۰۴

الأشراف العلويين، و جرى الأمر على ذلك إلى يومنا هذا، لا يدخل المسجد إلا جنائز الأشراف و أهل السنة، و حاول بعض أهل المدينة إدخال بعض الشيعة غير الأشراف فقام فى ذلك بعض أمراء الترك و منع منه، و كان صاحبنا العلامة أحد شيوخ المالكية الشيخ شهاب الدين أحمد بن يونس القسنطينى ينكر الصلاة على الموتى بالروضة الشريفة و مقدم المسجد؛ لكون رجلى الميت تصيران إلى جهة الرأس الشريف، حتى إنه أوصى أن يصلّى عليه خارج المسجد فى موضع الجنائز، و أكثر قبل وفاته من الاستفتاء فى ذلك، و أرانى خطوط جماعة من علماء الشام و غيرها من الشافعية و غيرهم يتضمن موافقته على ذلك، و فى كلام بعض الشافعية: ينبغى أن تكون الصلاة بالمسجد خلف الحجرة الشريفة أو شرقيها، و التمس منى الكتابة فى ذلك، فكتبت بما حاصله أن الله تعالى قد أوجب على هذه الأمة تعظيم نبيها صلّى اللّه عليه و سلّم و توقيره و سلوك الأدب التام معه، و لا شك أن الميت إذا وضع فى مقدم الروضة أو المسجد كما يوضع اليوم و إن لم تكن رجلاه فى محاذاة الرأس الشريف حقيقة؛ لأن الرأس الشريف فى محاذاة صف أسطوان التوبة و المخلقة: أى حذاء الأسطوانات التى تكون خلف المصلى على الميت، لكن تكون رجلاه فى محاذاة الجهة المذكورة، و قد تصدق المحاذاة مع البعد، و لو رأينا شخصا اضطجع بذلك المحل من الروضة و جعل رجليه لتلك الجهة الشريفة لأنكرنا ذلك عليه، و ما ننكره على الأحياء لا ينبغى أن نفعله بالأموات، و قد تأملت كتب المذاهب الأربعة فلم أر فيها تعرضا لذكر السنة فى جهة رجلى الميت، بل ذكر الشافعية فيما إذا حضرت جنائز و صلّى عليها الإمام دفعة وجهين: أصحهما وضع الجميع صفا بين يدى الإمام فى جهة القبلة، زاد أبو زرعة العراقى فى شرح البهجة: و الأولى جعلها عن يمينه، و الثانى يوضع الجميع صفا واحدا رأس كل إنسان عند رجل الآخر، و يجعل الإمام جميعهم عن يمينه، و يقف فى محاذاة الأخير، هذا إذا اتحد النوع، فإن اختلف النوع تعين الوجه الأول، ذكره فى أصل الروضة، و يؤخذ منه استحباب جعل رجلى كل ميت عن يمين الإمام على الوجه الثانى، و إلا فلا يكون الجميع صفا عن يمينه، و أما على الوجه الأول فيؤخذ ذلك أيضا مما تقدم عن أبى زرعة، و لعل مأخذه فيه ما ذكر فى الثانى، و إذا

ثبت ذلك فى الجماعة فالواحد كذلك؛ فيكون الأولى جعل رجليه عن يمين الإمام، و لكن الذى عليه الناس جعلهما على يساره.

و رأيت فى كتب المالكية ما يقتضى أن ذلك هو الأولى، و أن الناس مضوا على ذلك.

و قد ظهر لى أن السر فى ذلك أن السلف- كما يؤخذ مما قدمناه- إنما كانوا يصلون على الجنائز خارج المسجد فى شرقيه فى الموضع المعروف بذلك، و الواقف هناك يكون القبر الشريف عن يمينه، فرأوا- و اللّه أعلم- أن الأدب جعل الرجلين عن يسار الإمام صرفا

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۰۵

لهما عن تلك الجهة الشريفة، ثم توارثوا ذلك، و استمر العمل عليه، فلما ترك ذلك وصلوا على الجنائز فى المسجد مشوا على ما اعتادوه من جعل رجلى الميت عن يسار الإمام مع الغافلة عن ذلك، و إذا لم تثبت سنة فى جعل رجلى الميت عن يسار الإمام فينبغى جعلهما عن يمينه فى هذا المحل الشريف، استعمالا لكمال الأدب.

و قد قال لى الشيخ فتح الدين بن تقى الدين الكازرونى- و كان يعد من فضلاء الشافعية- و قد ذاكرته بذلك: إذا أنا مت فليجعل رجلاى عن يمين الإمام، ففعل به ذلك رحمة اللّه، على أن الموضع الذى يلى الأرجل الشريفة من المسجد هو من موضع الجنائز فى زمنه صلّى اللّه عليه و سلّم فيما يظهر، و يدل عليه ما اتفق لبنى النجار لما أراد عمر بن عبد العزيز قطع النخلتين عند عمارته للمسجد؛ فلو صلّى فيه اليوم على من يدخل به المسجد من الجنائز لكان أولى؛ فإنه يتأتى فيه كون الرجلين عن يسار الإمام و الرأس فى جهة الأرجل الشريفة، و يكون أفضل لما جرت به العادة من الخروج بالميت من باب جبريل، و أوفق لفعل السلف فى الصلاة على موتاهم هناك، و لم يوافق على شىء من ذلك المتمسكون بالعادات، و قد ذكرت نص ما أجبت به فى ذلك مبسوطا استطرادا فى كتابى «دفع التعرض و الإنكار، لبسط روضة المختار» و اللّه أعلم.

الفصل الثامن عشر فى زيادة المهدى

نقل ابن زبالة و يحيى أن المسجد لم يزل على حالة ما زاد فيه الوليد إلى أن هم أبو جعفر المنصور بالزيادة فيه، ثم توفى و لم يزد فيه، حتى زاد فيه المهدى، لكن ذكر يحيى فى حكاية ما كان مكتوبا فى جدار القبلة ما لفظه: ثم إلى جنب هذا الكتاب- أى ما كتب فى زمن المهدى- كتاب كتب فى ولاية أبى العباس، يعنى السفاح، وصل هذا الكتاب أى كتاب المهدى إليه، و هو: أمر عبد اللّه عبد اللّه أمير المؤمنين بزينة هذا المسجد و تزيينه و توسعته مسجد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم سنة اثنتين و ثلاثين و مائة، ابتغاء رضوان اللّه و ثواب الله، و إن الله عنده ثواب الدنيا و الآخرة، و كان اللّه سميعا بصيرا، انتهى.

و هو يقتضى أن أبا العباس السفاح- و هو أول خلفاء بنى العباس- زاد فى المسجد أول ولايته، و ولايته سنة اثنتين و ثلاثين، و وفاته سنة ست و ثلاثين و مائة، و سنشير إلى محمل ذلك آخر الفصل.

و لفظ ما نقله ابن زبالة عن غير واحد من أهل العلم- منهم عبد العزيز بن محمد و محمد ابن إسماعيل- قالوا: لم يزل المسجد على حال ما زاد فيه الوليد بن عبد الملك حتى ولى أبو جعفر عبد الله- يعنى المنصور بن محمد بن على بن عبد اللّه بن عباس- فهمّ بالزيادة،

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۰۶

و أراده، و شاور فيه، و كتب إليه الحسن بن زيد يصف له ناحية موضع الجنائز، و يقول: إن زيد فى المسجد من ناحيته الشرقية توسط قبر النبى صلّى اللّه عليه و سلّم المسجد، فكتب إليه أبو جعفر: إنى قد عرفت الذى أردت، فاكفف عن ذكر دار الشيخ عثمان بن عفان رضى اللّه عنه، فتوفى أبو جعفر و لم يزد فيه شيئا، ثم حج المهدى- يعنى ابن أبى جعفر- سنة ستين و مائة، فقدم المدينة منصرفه عن الحج، فاستعمل عليها جعفر بن سليمان سنة إحدى و ستين و مائة، و أمر بالزيادة فيه، و ولّى بناءه عبد اللّه بن عاصم بن عمر بن عبد

العزيز و عبد الملك ابن شبيب الغسانى، فمات ابن عاصم، فولى مكانه عبد اللّه بن موسى الحمصى، و زاد فيه مائة ذراع من ناحية الشام، و لم يزد فى القبلة و لا فى المشرق و المغرب شيئا، و ذلك عشر أساطين فى صحن المسجد إلى سقائف النساء، و خمسا سقائف النساء الشامية.

و روى يحيى ذلك من طريق ابن زبالة و غيره، و قال فى رواية له عقب قوله و استعمل عليها جعفر بن سليمان بن على بن عبد اللّه بن عباس: و أمره بالزيادة فى مسجد النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، و ولاه بناءه هو و عبد اللّه بن عاصم بن عمر بن عبد العزيز بن مروان و عبد الملك بن شبيب الغسانى من أهل الشام، فزيد فى المسجد من جهة الشام إلى منتهاه اليوم، و كانت زيادته مائة ذراع، و لم يزد فيه من المشرق و لا المغرب و لا القبلة شيئا.

قلت: ما رويناه من أنه زاد فى مؤخر المسجد مائة ذراع يخالفه ما تقدم فى زيادة الوليد أنه جعل طوله مائتى ذراع؛ لأنه يقتضى أن يكون طول المسجد بعد زيادة المهدى ثلاثمائة ذراع، و طول المسجد اليوم على ما صرح به ابن زبالة مائتا ذراع و أربعون ذراعا، و قد اختبرته فزاد على ذلك ثلاثة عشر ذراعا كما سيأتى، و مع ذلك فهو مؤيد لما قدمناه من الاحتمال المتبادر إلى الفهم فى الرواية المتقدمة فى زيادة الوليد المقتضى لأن نهاية المسجد من جهة الشام فى زمنه كانت بعد أربع عشر أسطوانة من مربعة القبر، و منها إلى آخر المسجد أربع و عشرون أسطوانة فإذا أسقطنا من ذلك أربع عشرة للوليد بقى عشرة أساطين و قدرها نحو مائة ذراع، و هذا معنى قوله فى الرواية المتقدمة «و ذلك عشر أساطين فى صحن المسجد إلى سقائف النساء» أى إلى آخر سقائف النساء، و هى المسقف الشامى، و قوله «و خمس فى السقائف» أى من العشرة المذكورة، مع أنه يقتضى أن المهدى جعل المسقف المذكور خمس أساطين، و هذا كان فى ذلك الزمان كما سنوضحه، و هو اليوم أربع فقط، و قد قدمنا ترجيح أن المراد مما ذكر فى زيادة الوليد أنه جعل أربع فقط، و قد قدمنا ترجيح طأن المراد مما ذكر فى زيادة الولدى أنه جعل أربع عشرة أسطوانة فى الرحبة بما فيها من أربع أساطين فى السقائف التى كانت أولا، و أنه جعل السقائف الشامية فى زمنه بعد الأربع عشرة المذكورة؛ لموافقة ما ذكره فى ذرع المسجد فى زمنه و لما ذكر فى زيادة عثمان رضى اللّه عنه من أنه

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۰۷

جعل المسجد مائة و ستين ذراعا، فإن ذلك يقتضى أن يكون نهايته فى جهة الشام يقرب من أربعة عشر أسطوانة من المربعة المذكورة، فيتحصل من ذلك أن زيادة الوليد على ما ذكر فى زيادة عثمان رضى اللّه عنه أربعون ذراعا، و أن زيادة المهدى نحو خمسة و خمسين ذراعا فقط؛ فيكون للمهدى نحو ستة أساطين فى مؤخر المسجد، لكن سيأتى فى ذكر أبواب المسجد ما يقتضى أن الباب الذى كان يواجه دار خالد بن الوليد كان مكتوبا عليه: زيادة المهدى، و كذا الباب الذى بعده فى الشام عليه ما يقتضى ذلك، و كذا البابان المقابلان لهما فى جهة المغرب، دون ما قبل ذلك من الأبواب، و ذلك يقتضى ترجيح رواية أنه زاد فى المسجد مائة ذراع، و قد رأيت فى المسقف الشرقى أسطوانة هى التاسعة من جدار المسجد الشامى مربع أسفلها مرتفع عن الأرض بقدر الجلسة، و هى محاذية لما وصفوه من الباب المقابل لدار خالد بن الوليد، فإن صحت هذه الرواية فهى علامة على ابتداء زيادة المهدى، و اللّه أعلم.

و قال ابن زبالة و يحيى فى روايتهما المتقدمة أيضا: و كان- يعنى المهدى- قبل بنيانه قد أمر به، فقدّروا ما حوله، فابتيع، و كان مما أدخل فى المسجد من الور دار مليكة.

قال ابن زبالة: و أخبرنى إبراهيم بن محمد الزهرى عن أبيه قال: كانت دار مليكة لعبد الرحمن بن عوف، و إنما سميت دار مليكة لأن عبد الرحمن أنزلها مليكة ابنة خارجة بن سنان، فغلب عليها اسمها، ثم باعها بنو عبد الرحمن بن عوف من عبد اللّه بن جعفر بن أبى طالب، فباعها عبد اللّه حين بناء المسجد، فأدخل بعضها فى المسجد، و بعضها فى رحبة المسارب، و بعضها فى الطريق، قالوا: و أدخل دار شرحبيل بن حسنة و كانت صدقة، فابتاعوا دورا و منازل فأوقفوها صدقة و بقيت منها بقية، فابتاعها منهم يحيى بن خالد بن برمك

فدخلت فى الحش حش طلحة.

قلت: و قد ذكر ابن شبة دار مليكة و قال: فباعها عبد اللّه من معاوية رضى اللّه عنه، فصارت فى الصوافى؛ فأدخلها المهدى فى المسجد، و ذكر دار شرحبيل هذه فى ترجمة علم دور أزواج النبى صلّى اللّه عليه و سلّم بالمدينة: أى غير الحجر، فقال: قال أبو غسان: اتخذت أم حبيبة بنت أبى سفيان رضى اللّه عنها الدار التى يقال لها دار آل شرحبيل، فوهبتها لشرحبيل بن حسنة، فلم تزل لبنيه حتى باعوا صدرها من المهدى فزادها فى مؤخر مسجد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم ستة إحدى و ستين و مائة، ثم ذكر ما سنورده فى ذكر الدور المطيفة بالمسجد.

و قال ابن زبالة عقب ما تقدم: و أدخل بقية دار عبد اللّه بن مسعود التى يقال لها دار القراء، و دار المسور بن مخرمة بن نوفل بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة.

قلت: ذكر ابن شبة هذه الدار فى دور بنى زهرة، فقال: و اتخذ مخرمة بن أهيب بن نوفل دارا، و هى فى زاوية المسجد عند المنارة الشرقية اليمانية، فاشترى المهدى بعضها

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۰۸

فأدخله فى رحبة المسجد القصيا و فى الطريق، و بيعت بقيتها فصارت لرجل من آل مطرف ثم صارت لبعض بنى برمك ثم صارت صافية اليوم، انتهى.

و قوله «المنارة الشرقية اليمانية» تحريف و الصواب الشامية.

قال ابن زبالة و يحيى عقب ما تقدم: و فرغ من بنيان المسجد سنة خمس و ستين و مائة، و قد كان هم بسد خوخة آل عمر، و أمر بالمقصورة فهدمت و خفضت إلى مستوى المسجد، و كانت مرتفعة ذراعين عن وجه المسجد، فأوطأها مع المسجد، فكلمه آل عمر فى خوختهم حتى كثر الكلام بينهم، فأذن لهم ففتحوها و خفضوها فى الأرض شبه السرب؛ فصارت فى المسجد أى: خارج المقصورة عليها شباك حديد، و زاد فى المسجد لتلك الخوخة ثلاث درجات؛ فهى على ذلك إلى اليوم.

و يؤخذ مما ذكره ابن زبالة من الكتابة على أبواب المسجد فى زمن المهدى أنه زخرفه بالفسيفساء كما فعل الوليد، و يشهد لذلك بقية من الفسيفساء كانت فيما زاده فى مؤخر المسجد عند المنارة الغربية الشامية، و فيما يقرب منها من الحائط الغربى، و لم أر فى كلام أحد من مؤرخى المدينة أن المسجد الشريف زيد فيه بعد المهدى، لكن قال الزين المراغى ما لفظه:

و قيل: إن المأمون زاد فيه، و أتقن بنيانه أيضا فى سنة اثنتين و مائتين.

قال السهيلى: و هو على حاله، و رزين ينكر ذلك، و يمكن الجمع بأنه جدده و لم يزد، انتهى.

قلت: و لم أر فى كلام رزين تعرضا لحكاية ذلك حتى ينكره، و هذا بعيد جدّا؛ لأن من أدرك زمن المأمون من مؤرخى المدينة لم يتعرض لشىء من ذلك، نعم رأيت فى المعارف لابن قتيبة بعد ذكر زيادة المهدى ما لفظه: و زاد فيه المأمون زيادة كثيرة و وسعه، و قرأت على موضع زيادة المأمون: أمر عبد اللّه بعمارة مسجد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم سنة اثنتين و مائتين، و ذكر أشياء من الأمر بالعدل و تقوى الله، و هذا لا دلالة فيه على زيادة المأمون فى المسجد لاحتمال أنه وقع فى زمنه عمارة من غير أن يزيد فيه، على أن فى كلام يحيى و غيره فى حكاية ما كان مكتوبا فى المسجد ما يدل على كتابة مثل ذلك لمن تجددت ولايته من الخلفاء فقط، و اللّه أعلم.

الفصل التاسع عشر فيما كانت عليه الحجرة الشريفة الحاوية للقبور المنيفة فى مبدأ الأمر

اشارة

قد قدمنا أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم لما بنى المسجد بنى بيتين لزوجتيه عائشة و سودة رضى اللّه عنهما على نعت بناء المسجد من لبن و جريد النخل، قال ابن النجار: و كان لبيت عائشة رضى الله عنها مصراع واحد من عرعر أو ساج، و تقدم أيضا فى الفصل التاسع عن جماعة ممن أدرك

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۰۹

بيوت النبى صلّى اللّه عليه و سلّم لما أدخلت فى المسجد أنها كانت من جريد مستورة بمسوح الشعر، و أن عمران بن أبى أنس قال: كان فيها أربعة أبيات بلبن لها حجر من جريد، الخبر المتقدم.

أول من بنى جدارا على بيت عائشة

قلت: و كان بيت عائشة رضى اللّه عنها أحد الأربعة المذكورة. لكن سيأتى من رواية ابن سعد أنه لم يكن عليه حائط زمن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، و أن أول من بنى عليه جدارا عمر بن الخطاب، و ليحمل على أن حجرة الجريد التى كانت مضافة له، أبدلها عمر بجدار، جمعا بين الروايات، و تقدم أيضا قول عبد اللّه بن يزيد الهذلى: و رأيت حجر أزواج النبى صلّى اللّه عليه و سلّم حين هدمها عمر بن عبد العزيز مبنية باللبن حولها حجر من جريد ممدودة، إلا حجرة أم سلمة، و قول الحسن البصرى: كنت أدخل بيوت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم و أنا غلام مراهق، و أنال السقف بيدى، و كان لكل بيت حجرة، و كانت حجره من أكسية من شعر مربوطة فى خشب عرعر.

قلت: و الظاهر أن ما يستر به الحجر المذكورة هو المراد فى حديث كشفه صلّى اللّه عليه و سلّم لسجف حجرته، كما فى الصحيح، و السجف لغة: الستر.

و فى التحفة لابن عساكر عن داود بن قيس أنه قال: أظن عرض البيت من الحجرة إلى باب البيت نحو من ست أو سبع أذرع، و أظن سمكه بين الثمان و التسع نحو ذلك، و وقفت عند باب عائشة فإذا هو مستقبل المغرب، و هو صريح فى أن الباب كان فى جهة المغرب، و سيأتى ما يؤيده.

و كذا ما روى فى الصحيح من كشفه صلّى اللّه عليه و سلّم سجف الباب فى مرضه و أبو بكر رضى الله عنه يؤم الناس، و ترجيل عائشة رضى اللّه عنها شعره و هو فى معتكفه و هى فى بيتها كما تقدم فى حديث: كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم إذا اعتكف يدنى إلى رأسه فأرجله، و فى رواية النسائى: يأتينى و هو معتكف فى المسجد، فيتكئ على عتبة باب حجرتى، فأغسل رأسه و أنا فى حجرتى و سائره فى المسجد، لكن سبق أيضا ما يقتضى أن الباب كان مستقبل الشام، و هو ضعيف أو مؤول، أما ضعفه فلما تقدم من أن بيت فاطمة رضى اللّه عنها كان ملاصقا له من جهة الشام و أن مربعة القبر كانت باب على، و يحتمل أن بعضه من جهة الشام كان ملاصقا بيت فاطمة دون بعضه، فيتأتى ذلك، و يدل له ما قدمناه فى بيت فاطمة رضى الله عنها من أن الموضع المزور فى بناء عمر بن عبد العزيز كان مخرجا للنبى صلّى اللّه عليه و سلّم، و أما تأويله فبأحد أمرين كما أشار إليه الزين المراغى: أحدهما حمله على أنه باب شرعته عائشة رضى الله عنها لما ضربت حائطا بينها و بين القبور المقدسة بعد دفن عمر رضى اللّه عنه، لا أنه الباب

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۱۰

الذى كان فى زمنه صلّى اللّه عليه و سلّم، و فيه بعد؛ لأنه سيأتى ما يؤخذ منه أن الحائط الذى ضربته كان فى جهة المشرق، ثانيهما لأنه كان له بابان؛ إذ لا مانع من ذلك، و هذا محمل ما رواه ابن عساكر عن محمد بن أبى فديك عن محمد بن هلال أنه رأى حجر أزواج النبى صلّى اللّه عليه و سلّم من جريد مستورة بمسوح الشعر، فسألته عن بيت عائشة، فقال: كان بابه من جهة الشام، قلت: مصراعا كان أو مصراعين؟ قال: كان باب واحد، قلت: من أى شىء كان؟ قال: من عرعر أو ساج، و هذا مستند ابن عساكر فى قوله: و باب البيت شامى، و لم يكن على الباب غلق مدة حياة عائشة، اه.

ثم ظفرت فى طبقات ابن سعد بما يصرح بأن الحجرة الشريفة كان لها بابان؛ فإنه روى من طرق أنهم صلوا على النبى «بحجرته، و روى فى أثناء ذلك عن أبى عسيم قال: لما قبض رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم قالوا: كيف نصلى عليه؟ قالوا: ادخلوا من ذا الباب أرسالا أرسالا فصلوا عليه، و اخرجوا من الباب الآخر، و اللّه أعلم.

و كان بيت حفصة بنت عمر رضى اللّه عنها ملاصقا لبيت عائشة رضى اللّه عنها من جهة القبلة.

و نقل ابن زبالة فيما رواه عن عبد الرحمن بن حميد و عبيد اللّه بن عمر بن حفص و أبى سبرة و غيرهم أنه كان بين بيت حفصة و بين منزل عائشة الذى فيه قبر النبى صلّى اللّه عليه و سلّم طريق، و كانتا يتهاديان الكلام و هما فى منزليهما، من قرب ما بينهما، و كان بيت حفصة عن يمين الخوخة.

قلت: فهو موقف الزائرين اليوم داخل المقصورة و خارجها، كما ذكره المطرى، و تقدم فى حدود المسجد النبوى أن جدار الحجرة مما يلى المسجد كان فى حد القناديل التى بين الأساطين اللاصقة بجدار القبر، و بين الأساطين المقابلة لها، و هى التى إليها المقصورة الدائرة على الحجرة من جهة المغرب، و أن المسجد زيد فيه من تلك الجهة شىء من الحجرة، و أن الظاهر أن ما ترك فى المسجد من الحجرة كان من مرافقها كالدهليز للباب، و أن ما بنى عليه من ذلك هو صفة بيت عائشة رضى اللّه عنها التى وقع الدفن بها.

هذا ما تحصل لى من كلام متقدمى المؤرخين، خلاف ما اقتضاه كلام متأخريهم، من أن جدار الحجرة الذى [فى] جوف الحائز الدائر عليها اليوم هو جدارها الأول، و إليه ينتهى حد المسجد، و أن جدار الحائز الذى جعله عمر بن عبد العزيز إنما جعله فيما يلى الحجرة من المسجد، و قد قدمنا من كلام ابن زبالة و المحاسبى نقلا عن مالك ما يرد ذلك، و اللّه أعلم.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۱۱

الفصل العشرون فيما حدث من عمارة الحجرة بعد ذلك، و الحائز الذى أدير عليها

روى ابن زبالة عن عائشة رضى اللّه عنها أنها قالت: ما زلت أضع خمارى و أتفضل فى ثيابى حتى دفن عمر؛ فلم أزل متحفظة فى ثيابى حتى بنيت بينى و بين القبور جدارا.

و عن المطلب قال: كانوا يأخذون من تراب القبر، فأمرت عائشة بجدار فضرب عليهم، و كانت فى الجدار كوة فكانوا يأخذون منها، فأمرت بالكوت فسدت.

و قال ابن سعد فى طبقاته: أخبرنى موسى بن داود قال: سمعت مالك بن أنس يقول:

قسم بيت عائشة باثنين: قسم كان فيه القبر، و قسم كان تكون فيه عائشة و بينهما حائط؛ فكانت عائشة ربما دخلت حيث القبر فضلا، فلما دفن عمر لم تدخله إلا و هى جامعة عليها ثيابها.

و قال ابن سعد أيضا: أخبرنا يحيى بن عباد قال: حدثنا حماد بن زيد قال: سمعت عمرو بن دينار و عبيد اللّه بن أبى يزيد قالا: لم يكن على عهد النبى صلّى اللّه عليه و سلّم على بيت النبى صلّى اللّه عليه و سلّم حائط، و كان أول من بنى عليه جدارا عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه.

قال عبيد اللّه بن أبى يزيد: كان جداره قصيرا، ثم بناه عبد اللّه بن الزبير.

و قال الأقشهرى: قال أبو زيد بن شبة: قال أبو غسان بن يحيى بن على بن عبد الحميد و كان عالما بأخبار المدينة و من بيت كتابة و علم-: لم يزل بيت النبى صلّى اللّه عليه و سلّم الذى دفن فيه هو و أبو بكر و عمر رضى اللّه عنهما ظاهرا حتى بنى عمر بن عبد العزيز عليه الحظار المزور الذى هو عليه اليوم حين بنى المسجد فى خلافة الوليد بن عبد الملك، و إنما جعله مزورا كراهة أن يشبه تربيعه تربيع الكعبة، و أن يتخذ قبلة فيصلى إليه.

قال أبو زيد: قال أبو غسان: و قد سمعت غير واحد من أهل العلم يزعم أن عمر بنى البيت غير بنائه الذى كان عليه، و سمعت من

يقول: بنى على بيت النبى صلّى اللّه عليه و سلّم ثلاثة أجدر، فدور القبر ثلاثة أجدر: جدار بناء بيت النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، و جدار البيت الذى يزعم أنه بنى عليه يعنى عمر بن عبد العزيز، و جدار الحظار الظاهر، انتهى ما نقله الأقشهرى.

قلت: و لم يوجد على الحجرة الشريفة عند انكشافها فى العمارة التى أدركناها غير جدار واحد جوف الحظار الظاهر.

و قال ابن سعد: أخبرنا أحمد بن محمد بن الوليد الأزرقى المكى قال: حدثنا مسلم بن

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۱۲

خالد قال: حدثنى إبراهيم بن نوفل بن سعيد بن المغيرة الهاشمى عن أبيه قال: انهدم الجدار الذى على قبر النبى صلّى اللّه عليه و سلّم فى زمان عمر بن عبد العزيز، فأمر بعمارته، قال: فإنه لجالس و هو يا بنى إذ قال لعلى بن حسين: قم يا على فقمّ البيت، يعنى بيت النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، فقام إليه القاسم ابن محمد قال: و أنا أصلحك اللّه، قال: نعم و أنت فقم؛ ثم قال له سالم بن عبد اللّه: و أنا أصلحك اللّه، قال: اجلسوا جميعا، و قم يا مزاحم، فقمّه، فقام مزاحم فقمه، قال مسلم: و قد أثبت لى بالمدينة أن البيت الذى فيه قبر النبى صلّى اللّه عليه و سلّم بيت عائشة، و أن بابه و باب حجرته تجاه الشام. و أن البيت كما هو سقفه على حاله، و أن فى البيت جرة و خلق رخالة، انتهى.

و روى ابن زبالة و يحيى من طريقه عن غير واحد منهم إبراهيم بن محمد بن عبد العزيز الزهرى عن أبيه قال: جاف بيت النبى صلّى اللّه عليه و سلّم من شرقيه، فجاء عمر بن عبد العزيز و معه عبد اللّه بن عبيد اللّه بن عبد اللّه بن عمر، فأمر ابن وردان أن يكشف عن الأساس، فبينا هو يكشفه إلى أن رفع يده و تنحّى واجما، فقام عمر بن عبد العزيز فزعا، فقال عبد اللّه ابن عبيد اللّه: أيها الأمير لا يروعنّك فتانك قدما جدك عمر بن الخطاب ضاق البيت عنه فحفر له فى الأساس، فقال: يا ابن وردان غطّ ما رأيت، ففعل.

و روى أيضا عن المطلب أنه لما سقط الجدار من شق الجنائز أمر عمر بقباطىّ فخيطت، ثم ستر بها، و أمر أبا حفصة مولى عائشة و ناسا معه فبنوا الجدار، فجعلوا فيه كوة، فلما فرغوا منه و رفعوه دخل مزاحم مولى عمر فقمّ ما سقط على القبر من التراب و الطين، و نزع القباطى، و كان عمر يقول: لأن أكون وليت ما ولى مزاحم من قمّ القبور أحب إلى من أن يكون لى من الدنيا كذا و كذا، و ذكر مرغوبا من الدنيا.

و روى يحيى من طريقه أيضا عن عبد اللّه بن محمد بن عقيل قال: كنت أخرج كل ليلة من آخر الليل حتى آتى المسجد، فأبدأ بالنبى صلّى اللّه عليه و سلّم، فأسلم عليه، ثم آتى مصلاى فأجلس به حتى أصلى الصبح، فخرجت فى ليلة مطيرة حتى إذا كنت عند دار المغيرة بن شعبة لقيتنى رائحة لا و اللّه ما وجدت مثلها قط، فجئت المسجد فبدأت بقبر النبى صلّى اللّه عليه و سلّم فإذا جداره قد انهدم، فدخلت فسلمت على النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، و مكثت فيه مليا، و ذكر صفة القبور كما سيأتى عنه، قال: فلم ألبث أن سمعت الحس، فإذا عمر بن عبد العزيز قد أخبر فجاء، فأمر به فستر بالقباطى، فلما أصبح دعا وردان البناء فقال له: ادخل فدخل فكشف فقال: لا بد لى

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۱۳

من رجل يناولنى، فكشف عمر بن عبد العزيز ساقيه يريد يدخل، فكشف القاسم بن محمد، فكشف سالم بن عبد اللّه، فقال عمر: مالكم؟ فقالوا: ندخل و اللّه معك، قال:

فلبث عمر هنيهة ثم قال: و اللّه لا نؤذيهم بكثرتنا اليوم، ادخل يا مزاحم فناوله، فقال عمر: يا مزاحم كيف ترى قبر النبى صلّى اللّه عليه و سلّم؟ قال: متطأطئا، قال: فكيف ترى قبر الرجلين؟

قال: مرتفعين. قال: أشهد أنه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، و رواه رزين عن عبد اللّه المذكور باختصار، و خالف سياق يحيى فى وصف القبور كما سيأتى التنبيه عليه، و قال فيه: فأخبرت بذلك عمر، فجاء فأمر به فستر بالقباطى، و ذكره بنحوه.

و فى العتبية: قال مالك: انهدم حائط بيت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم الذى فيه قبره، فخرج عمر بن عبد العزيز و اجتمعت

رجالات قريش، فأمر عمر بن عبد العزيز فستر بثوب، فلما رأى ذلك عمر بن عبد العزيز من اجتماعهم أمر مزاحما أن يدخل ليخرج ما كان فيه، فدخل فقمّ ما كان فيه من لبن أو طين، و أصلح فى القبر شيئا كان أصابه حين انهدم الحائط، ثم خرج و ستر القبر ثم بنى، انتهى.

و روى البخارى فى الصحيح من حديث هشام بن عروة عن أبيه، قال: لما سقط عنهم الحائط زمان الوليد بن عبد الملك أخذوا فى بنائه، فبدت لهم قدم، ففزعوا و ظنوا أنها قدم النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، فما وجدوا أحدا يعلم ذلك، حتى قال لهم عروة: لا و الله ما هى قدم النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، و ما هى إلا قدم عمر.

و يستفاد مما تقدم أن السبب فى هذا البناء سقوط الجدار المذكور بنفسه، و لعله بسبب المطر المشار إليه فى الرواية المتقدمة.

و يخالفه ما رواه أبو بكر الآجرى من طريق شعيب بن إسحاق عن هشام بن عروة قال:

أخبرنى أبى قال: كان الناس يصلون إلى القبر، فأمر به عمر ابن عبد العزيز فرفع حتى لا يصل إليه أحد، فلما هدم بدت قدم بساق و ركبة، ففزع عمر بن عبد العزيز، فأتاه عروة فقال: ساق عمر و ركبته! فسرّى عن عمر بن عبد العزيز.

و من طريق مالك بن مغول عن رجاء بن حيوة قال: كتب الوليد بن عبد الملك إلى عمر بن عبد العزيز، و كان قد اشترى حجر أزواج النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، أن اهدمها و وسع بها المسجد، فقعد عمر فى ناحية، ثم أمر بهدمها، فما رأيت باكيا أكثر من يومه، ثم بناها كما أراد، فلما أن بنى البيت على القبر و هدم البيت الأول ظهرت القبور الثلاثة، و كان الرمل الذى عليها قد انهار، ففزع عمر بن عبد العزيز، و أراد أن يقوم فيسويها بنفسه، فقلت له:

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۱۴

أصلحك الله! إنك إن قمت قام الناس معك، فلو أمرت رجلا أن يصلحها، و رجوت أن يأمرنى بذلك، فقال: يا مزاحم- يعنى مولاه- قم فأصلحها.

و نقل الأقشهرى عن الرشيد أبى المظفر الكازرونى شارح المصابيح أنه قال: سألت جمعا من العلماء عن سبب ستر القبور عن أعين الناس: أى باتخاذ جدار لا باب له، فذكر بعضهم أنه لما مات الحسن بن على أوصى أن تحمل جنازته و يحضر بها قبر النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، ثم يرفع و يقبر فى البقيع، فلما أراد الحسين أن يجيز وصيته ظن طائفة أنه يدفن فى الحضرة، فمنعوه و قاتلوه، فلما كان عبد الملك أو غيره سدوا و ستروا.

و قال أبو غسان فيما حكام الأقشهرى: أخبرنى الثقة عن عبد الرحمن بن مهدى عن منصور بن ربيعة عن عثمان بن عروة قال: قال عروة: نازلت عمر بن عبد العزيز فى قبر النبى صلّى اللّه عليه و سلّم أن لا يجعل فى المسجد أشد المنازلة، فأبى، و قال: كتاب أمير المؤمنين لا بد من إنفاذه، قال: فقلت: فإن كان لا بد فاجعل له حوجوا (أى: و هو الموضع المزور خلف الحجرة).

و روى ابن زبالة عن محمد بن هلال و عن غير واحد من أهل العلم أن بيت رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم الذى فيه قبره صلّى اللّه عليه و سلّم الذى فيه قبره، و هو بيت عائشة الذى كانت تسكن، و أنه مربع مبنى بحجارة سود و قصة الذى يلى القبلة منه أطوله، و الشرقى و الغربى سواء، و الشامى أنقصها، و باب البيت مما يلى الشام، و هو مسدود بحجارة سود و قصة، ثم بنى عمر بن عبد العزيز على ذلك البيت هذا البناء الظاهر، و عمر بن عبد العزيز زوّاه لأن يتخذه الناس قبلة تخص فيه الصلاة من بين مسجد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، و ذلك أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم قال: «قاتل اللّه اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» و قال: «اللهم لا تجعل قبرى و ثنا يعبد- الحديث» قالوا: و البناء الذى حول البيت بيت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم بينه و بين البناء الظاهر اليوم مما يلى المشرق ذراعان، و مما يلى المغرب ذراع، و مما يلى القبلة شبر، و مما يلى الشام فضاء كله، و فى الفضاء الذى يلى الشام مركن مكسور و مكيل خشب، قال عبد العزيز بن محمد: يقال إن البنائين نسوه هناك، انتهى.

و روى يحيى عن أبى غسان محمد بن يحيى قال: سمعت من يقول فى الحظار الذى على قبر النبى صلّى اللّه عليه و سلّم مركن و

خشبة و حديدة مسندة، قال محمد بن يحيى: و قال عبد الرحمن بن أبى الزناد: هو مركن تركه العمال هناك، و قال محمد بن يحيى- يعنى أبا غسان- فأما أنا فإنى أطلعت فى الحظار فلم أر شيئا، فزعم لى زاعم أنه قد رأى ثم المركن و شيئا موضوعا مع

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۱۵

المركن، و أما أنا فلم أره، و لم أعلم أحدا يدرى من أخذه، و لم أر للبيت الذى فى الحظار بابا و لا موضع بابه، و قد أخبرنى ابن أبى فديك أنه رأى باب بيت النبى صلّى اللّه عليه و سلّم مما يلى الشام، انتهى. و قد حكى الأقشهرى عن أبى غسان أيضا نحو ذلك.

قلت: و لم نر للبيت عند انكشافه فى العمارة التى أدركناها بابا و لا موضع باب، و لم يوجد فى الفضاء الذى يلى الشام من الحظار المذكور مركن و لا غيره مما ذكر، و سيأتى فى الفصل الثالث و العشرين أن ابن عاث ذكر أنهم وجدوا عند عمارة حائط سقط بالحجرة قعبا انكسر عند سقوط الحائط، و أنه حمل إلى بغداد، فإن صح فلعله المراد، و فيما قدمناه إشعار بأن موضع القبور الشريفة كان مسقفا تحت سقف المسجد كما سيأتى التصريح به، و لهذا لما انكشف سقف المسجد رأوا ما بين الحظار الظاهر و الحجرة، و لم يروا جوف الحجرة، و يدل له ما سيأتى عن أبى الجزاء قال: قحط أهل المدينة قحطا شديدا، فشكوا إلى عائشة، فقالت:

فانظروا قبر النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، فاجعلوا منه كوة إلى السماء حتى لا يكون بينه و بين السماء سقف، ففعلوا، فمطروا، الخبر الآتى، لكن سيأتى فى الفصل الرابع و العشرين عن ابن رشد أنه قال فى بيانه: إن الثقة أخبرنى أنه لا سقف له فى زمنه تحت سقف المسجد، و كنت أظن أن ذلك بعد حريق المسجد، فإن كلام المؤرخين الآتى متطابق على أنه لا سقف للحجرة بعد الحريق إلا سقف المسجد، ثم تبين أن زمن ابن رشد كان قبل الحريق بمدة مديدة؛ لأن وفاته سنة عشرين و خمسمائة، ثم اطلعنا فى العمارة التى أدركناها على وجود سقف جعل بعد الحريق و على آثار السقف الذى كان قبله كما سيأتى بيانه، و اللّه أعلم.

الفصل الحادى و العشرون فيما روى من الاختلاف فى صفة القبور الشريفة، بالحجرة المنيفة

اشارة

و ما جاء من أنه بقى بها موضع قبر، و أن عيسى بن مريم عليه السلام يدفن بها، و ما جاء فى تنزل الملائكة حافين بالقبر الشريف، و تعظيمه و الاستسقاء به.

اعلم أن ابن عساكر ذكر فى تحفته الاختلاف فى صفة القبور الشريفة، فذكر فى ذلك سبع روايات، و سبقه إلى ذلك شيخه ابن النجار، لكنه ذكر ستا فقط.

رواية نافع فى وضع القبور

الأولى: ما رواه عن نافع بن أبى نعيم أن صفة قبر النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و قبر أبى بكر و قبر عمر، قبر النبى صلّى اللّه عليه و سلّم أمامها إلى القبلة مقدما، ثم قبر أبى بكر حذاء منكبى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم، و قبر عمر حذاء منكبى أبى بكر، و هذه صفته:

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۱۶

النبى صلّى اللّه عليه و سلم أبو بكر رضى اللّه عنه عمر رضى اللّه عنه قلت: و هذه الرواية هى التى عليها الأكثر و نقل الزين المراغى أن رزينا و يحيى جزما بها، و هو كذلك فى كلام رزين، و رواها عن عبد اللّه بن محمد بن عقيل فقال عقب خبره المتقدم فى قصة سقوط جدار الحجرة: و رأيت القبور، فإذا قبر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم من أمام، و قبر أبى بكر خلفه، و قبر عمر خلف قبر أبى بكر، و رأس أبى بكر عند منكبى رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم، و رأس عمر عند منكبى أبى بكر، و أما يحيى فلم أر فى كلامه الجزم بذلك، بل رأيته حكى اختلاف الروايات كغيره، و لفظه فى حكاية هذه الرواية: حدثنا هارون بن موسى قال: سمعت أبى يذكر

عن نافع بن أبى نعيم و غيره من المشايخ ممن له سنّ و ثقة أن صفة قبر النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، و ذكر ما تقدم، و رأيت فى نسخة من كتاب يحيى تصوير القبور الشريفة على هذه الصفة، و قال: إنها صفة القبور الشريفة فيما وصف بعض أهل الحديث عن عروة بن الزبير عن عائشة رضى اللّه عنها، ثم ذكر ما سيأتى فى الصفة السادسة.

و روى ابن سعد فى طبقاته فى ذكر أبى بكر رضى اللّه عنه من طريق الواقدى عن أبى بكر ابن عبد اللّه بن أبى سبرة عن عمر بن عبد اللّه بن عروة أنه سمع عروة و القاسم بن محمد يقولان: أوصى أبو بكر عائشة أن يدفن إلى جنب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، فلما توفى حفر له، و جعل رأسه عند كتفى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، و ألصق اللحد بقبر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم، فقبر هناك.

ثم روى من طريق الواقدى أيضا عن ربيعة بن عثمان عن عامر بن عبد اللّه بن الزبير قال: رأس أبى بكر عند كتفى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم، و رأس عمر عند حقوى أبى بكر.

قلت: و فى هذه مخالفة يسيرة لما تقدم بالنسبة إلى عمر رضى اللّه عنه.

رواية القاسم بن محمد

الثانية: روى أبو داود و الحاكم من طريق القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق قال:

دخلت على عائشة رضى اللّه عنها فقلت لها: يا أمة اكشفى لى عن قبر النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و صاحبيه، فكشفت لى عن ثلاثة قبور لا مشرفة و لا لاطية، مبطوحة ببطحاء العرصة الحمراء. زاد الحاكم: فرأيت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم مقدما، و أبا بكر رأسه بين كتفى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، و عمر رأسه عند رجلى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم. قال ابن عساكر: و هذه صفته.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۱۷

النبى صلّى اللّه عليه و سلم عمر رضى اللّه عنه أبو بكر رضى اللّه عنه قلت: و قد صحح الحاكم إسناد هذه الرواية، و اللّه أعلم.

رواية عثمان بن نسطاس

الثالثة: ما رواه الزبير بن بكار عن ابن زبالة قال: حدثنى إسحاق بن عيسى عن عثمان بن نسطاس قال: رأيت قبر النبى صلّى اللّه عليه و سلّم لما هدم عمر بن عبد العزيز عنه البيت مرتفعا نحوا من أربع أصابع عليه حصباء إلى الحمرة ما هى، و رأيت قبر أبى بكر وراء قبر النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، و رأيت قبر عمر أسفل منه، و صوّره لنا كما صوره له عثمان.

قلت: و لم يكن فى النسخة التى وقفت عليها من ابن زبالة تصوير، و صوّر ذلك ابن عساكر هذا:

النبى صلّى اللّه عليه و سلم أبو بكر رضى اللّه عنه عمر رضى اللّه عنه قلت: و ابن زبالة ضعيف، و إسحاق بن عيسى هو ابن بنت داود بن أبى هند، صدوق يخطئ، و عثمان بن نسطاس عن عثيم مصغر بن نسطاس بكسر النون المدنى أخو عبيد مولى آل كثير بن الصلت، مقبول حيث يتابع، و إلا فليّن الحديث. و قد ذكر الحافظ بن حجر أن أبا بكر الآجرى روى هذا الخبر فى كتاب صفة قبر النبى صلّى اللّه عليه و سلّم من طريق إسحاق بن عيسى المذكور عن ابن نسطاس، و ليس فيه ذكر تصوير، و لم يذكر الحافظ ابن حجر الواسطة بين الآجرى و إسحاق بن عيسى، و هذه الرواية مع ما فيها من الضعف قابلة للتأويل بردها إلى الرواية التى قبلها، و إن كان التصوير يأباه؛ لجواز حمله على التقريب، و اللّه أعلم.

رواية المنكدر بن محمد

الرابعة: روى ابن زبالة عن المنكدر بن محمد عن أبيه قال: قبر النبى صلّى اللّه عليه و سلّم هكذا، و قبر أبى بكر خلفه، و قبر عمر خلفه عند رجلى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، و صوره ابن عساكر هكذا:

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۱۸

النبى صلّى اللّه عليه و سلم عمر رضى اللّه عنه أبو بكر رضى اللّه عنه قلت: و يمكن رد هذه الرواية مع ضعفها إلى الثانية؛ لأن قوله «و أبو بكر خلفه» صادق بأن يكون رأسه عند منكبى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم.

رواية عمرة عن عائشة

الخامسة: روى يحيى بإسناد فيه إسماعيل بن عبد اللّه بن أبى أويس عن أبيه- و إسماعيل صدوق، لكن أخطأ فى أحاديث من قبل حفظه، و أبوه صدوق يهم، و بقية رجاله ثقات- عن عمرة عن عائشة رضى اللّه عنها وصفت لنا قبر النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و قبر أبى بكر و قبر عمر، و هذه القبور فى سهوة فى بيت عائشة، رأس النبى صلّى اللّه عليه و سلّم مما يلى المغرب، و قبر أبى بكر رأسه عند رجلى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، و قبر عمر خلف النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، و بقى موضع قبر، و هذه صفة قبورهم على ما وصف ابن أبى أويس عن يحيى بن سعيد و عبد اللّه بن أبى بكر عن عمرة عن عائشة، و لم يصور يحيى لذلك شيئا.

و روى ابن زبالة نحو ذلك و قد ذكره من طريق ابن عساكر، ثم قال: و هذه صفته:

النبى صلّى اللّه عليه و سلم عمر رضى اللّه عنه أبو بكر رضى اللّه عنه قلت: و يردها ما روى من أن رجلى عمر رضى اللّه عنه ضاق عنها الحائط فحفر لهما فى الأساس.

و فى الصحيح كما سبق قول عروة «ما هى إلا قدم عمر».

رواية أخرى عن القاسم بن محمد

السادسة: روى ابن زبالة عن القاسم بن محمد قال: دخلت على عائشة فقلت: يا أمه أرينى قبر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم و صاحبيه، فكشفت لى عن قبورهم، فإذا هى لا مرتفعة و لا لاطية، مبطوحة ببطحاء حمراء من بطحاء العرصة، فإذا قبر النبى صلّى اللّه عليه و سلّم أمامهما، و رجلا أبى بكر عند رأس النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، و رأس عمر عند رجليه.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۱۹

قال ابن عساكر: و هذه صفتها:

النبى صلّى اللّه عليه و سلم عمر رضى اللّه عنه أبو بكر رضى اللّه عنه قلت: و هذه الرواية مع ضعفها معارضة بما تقدم فى الرواية الثانية عن القاسم بن محمد المذكور، و تلك أصح، و ما سيأتى فى صفة الحجرة الشريفة يأبى ذلك أيضا، و قد رأيتها فى نسخة من كتاب يحيى رواه ابنه طاهر عنه على هذه الصورة:

النبى صلّى اللّه عليه و سلم عمر رضى اللّه عنه أبو بكر رضى اللّه عنه و قال: إنها عن القاسم بن محمد عن عائشة رضى اللّه عنها، ثم قال ابن فراس أحد رواة النسخة المذكورة عن طاهر بن يحيى: سألت طاهر بن يحيى أن يصور لى بخطه صفة قبر النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و قبر أبى بكر و عمر رضى اللّه عنهما، فصور لى بيده هذه الصورة، انتهى.

رواية عبد اللّه بن محمد بن عقيل

السابعة: ما روى يحيى من طريق ابن زبالة فى الخبر المتقدم فى الفصل قبله فى قصة سقوط جدار الحجرة الشريفة فى تلك الليلة

المطيرة عن عبد اللّه بن محمد بن عقيل، قال عقب قوله فيما تقدم: «فدخلت فسلمت على النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و مكثت فيه مليا، و رأيت القبور فإذا قبر النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، و قبر أبى بكر عند رجليه، و قبر عمر عند رجلى أبى بكر، و عليهما حصىّ من حصباء العرصة» قال ابن عساكر: و هذه صفته:

النبى صلّى اللّه عليه و سلم أبو بكر رضى اللّه عنه عمر رضى اللّه عنه

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۲۰

قلت: و هذه الرواية نقلها رزين عن عبد اللّه بن عقيل، و ساقها باللفظ السابق، إلا أنه قال: و رأيت القبور، فإذا قبر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم من أمام، و ذكر ما قدمنا عنه فى الرواية الأولى، و هو مخالف لما فى هذه الرواية، و هو أولى بالاعتماد؛ لأن هذه الرواية ضعيفة مع بعدها مما سيأتى فى وصف الحجرة الشريفة، سيما على ما سبق من قسم عائشة رضى الله عنها الحجرة باثنين، و لها شاهد لكنه ضعيف أيضا، و هو ما فى طبقات ابن سعد عن مالك بن إسماعيل- أظنه مولى لآل الزبير- قال: دخلت مع مصعب بن الزبير البيت الذى فيه يعنى قبر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم و أبى بكر و عمر رضى اللّه عنهما، فرأيت قبورهم مستطيلة، انتهى.

و فى رواية للآجرى ما يوهم صفة ثامنة؛ فإنه ذكر عقب الخبر المتقدم عن رجاء بن حيوة فى إدخال الحجرة فى المسجد ما لفظه: قال رجاء: فكان قبر أبى بكر وسطه، و لم يذكر فيه عمر رضى اللّه عنه، فإن الضمير فى قوله «وسطه» إن كان للبيت فواضح، و إن كان للنبى صلّى اللّه عليه و سلّم فهذه صفة أخرى، لكن ينبغى تأويلها أيضا على التجوز فى لفظ الوسط ليوافق رواية غيره.

و أما ما أخرجه أبو يعلى عن عائشة: أبو بكر عن يمينه، و عمر عن يساره؛ فسنده ضعيف أيضا، و يمكن تأويله كما قاله الحافظ ابن حجر.

و حينئذ فلم يبق إلا الروايتان الأوليان فهما اللتان يتردد بينهما فى الترجيح، و الأولى هى المشهورة، و مقتضى تصحيح الحاكم لإسناد الثانية ترجيحها، و هى أصح الروايات، و قد اشتملت على أن القبور لم تكن مسنّمة و قد قال يحيى: حدثنى هارون بن موسى- قلت: و لا بأس به- قال: حدثنى غير واحد من مشايخ أهل المدينة أن صفات القبور الشريفة مسطوحة عليها بطحاء من بطحاء العرصة حمراء.

و روى ابن زبالة من طريق عمرة عن عائشة قالت: ربّع قبر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، و جعل رأسه مما يلى المغرب.

و أما ما فى صحيح البخارى عن سفيان التمار أنه رأى قبر النبى صلّى اللّه عليه و سلّم مسنما، زاد أبو نعيم فى المستخرج: و قبر أبى بكر و عمر رضى اللّه عنهما كذلك، و رواه ابن سعد عنه بلفظ: رأيت قبر النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و أبى بكر و عمر مسنّمة، فلا يعارض ما قدمناه؛ لأن سفيان ولد فى زمان معاوية فلم ير القبر الشريف إلا فى آخر الأمر، فيحتمل- كما قال البيهقى- أن القبر لم يكن فى الأول مسنما، ثم سنم لما سقط عن الجدار؛ فقد روى يحيى عن عبد الله ابن الحسين قال: رأيت قبر النبى صلّى اللّه عليه و سلّم مسنما فى زمن الوليد بن هشام. و فى رواية أخرى

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۲۱

عنه أن القبر جثوة مرتفعة مسنّمة غير شديدة الارتفاع، عليها قزع من حصىّ و تربة طيبها اللّه عز و جل. و روى ابن سعد من طريق جعفر بن محمد عن أبيه قال: كان نبيث قبر النبى صلّى اللّه عليه و سلّم شبرا.

و يؤيد التسطيح ما رواه مسلم من حديث فضالة بن عبيد أنه أمر بقبر فسوى ثم قال:

سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم يأمر بتسويتها.

بقى بعدها موضع قبر

و قد تقدم فى الرواية الرابعة أنه بقى بعد القبور الشريفة موضع قبر، و يؤيده ما روى أن عائشة رضى اللّه عنها أرسلت إلى عبد الرحمن بن عوف حين نزل به الموت: أن هلم إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم و إلى أخويك، فقال: ما كنت مضيقا عليك بيتك، الخبر

الآتی فی ذکر قبره، و کذلک ما سیأتی فی إذنها للحسن أن یدفن عندها، و منع بنی أمیة له. و کذلک ما فی صحیح البخاری عن هشام بن عروة أن عائشة أوصت عبد اللّه بن الزبیر: لا تدفننی معهم:

أی النبی صلّی اللّه علیه و سلّم و صاحبیه، و ادفنی مع صواحبی بالبقیع لا أزکی به أبدا. و قد أخرجه الإسماعیلی و زاد فیه: و کان فی بیتها موضع قبر، و لکن فی الصحیح أن عمر بن الخطاب رضی اللّه عنه لما أرسل إلی عائشة فسألها أن یدفن مع صاحبیه قالت: کنت أریده لنفسی فلأوثرنه الیوم علی نفسی.

قال الحافظ ابن حجر: فکأن اجتهادها فی ذلک تغیّر، أو لما قالت ذلک لعمر کان قبل أن یقع لها قصة الجمل، فاستحیت بعد ذلک و إن کانت زوجته صلّی اللّه علیه و سلّم فی الدنیا و الآخرة کما قاله عمار أحد من حاربها، انتهی.

و قال ابن التین: کلامها فی قصة عمر یدل علی أنه لم یبق ما یسع إلا موضع قبر واحد، فهو یغایر قولها «لا تدفننی عندهم» فإنه یشعر بموضع للدفن، و الجمع بینهما أنها کانت تظن أولا أنه لا یسع إلا قبرا واحدا، فلما دفن [عمر] ظهر لها أن هناک وسعا لقبر آخر، أو أن الذی آثرته به المکان الذی دفن فیه من وراء قبر أبیها بقرب النبی صلّی اللّه علیه و سلّم، و ذلک لا ینفی وجود مکان آخر فی الحجرة.

و روی یحیی بسنده إلی عثمان بن الضحاک عن محمد بن یوسف بن عبد اللّه بن سلام عن أبیه عن جده قال: یدفن عیسی بن مریم مع النبی صلّی اللّه علیه و سلّم و صاحبیه، و یکون قبره الرابع.

و فی سنن الترمذی من طریق أبی مودود عن عثمان بن الضحاک عن محمد بن یوسف بن عبد اللّه بن سلام عن أبیه عن جده قال: مکتوب فی التوراة صفة محمد و عیسی ابن مریم

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفی، ج۲، ص: ۱۲۲

یدفن معه، قال: فقال أبو مودود: و قد بقی فی البیت موضع قبر، قال الترمذی: هذا حدیث غریب، و فی بعض النسخ: حسن غریب، هکذا قال عثمان بن الضحاک، و المعروف الضحاک بن عثمان المدنی، انتهی کلام الترمذی.

و فی روایة للطبرانی عن عبد الله بن سلام قال: یدفن عیسی بن مریم مع رسول الله صلّی اللّه علیه و سلّم و أبی بکر و عمر؛ فیکون قبرا رابعا، و هو من روایة عثمان بن الضحاک، و قد وثقه ابن حبان و ضعفه أبو داود.

و ذکر الزین المراغی أن ابن الجوزی روی فی المنتظم عن عبد اللّه بن عمر أن رسول الله صلّی اللّه علیه و سلّم قال: ینزل عیسی بن مریم إلی الأرض، فیتزوج و یولد له، فیمکث خمسا و أربعین سنة، ثم یموت فیدفن معی فی قبری، فأقوم أنا و عیسی بن مریم من قبر واحد بین أبی بکر و عمر.

و قال ابن النجار: قال أهل السیر: و فی البیت موضع قبر فی السهوة الشرقیة، قال سعید بن المسیب: فیه یدفن عیسی بن مریم.

و السهوة: بیت صغیر منحدر فی الأرض قلیلا- شبیه بالمخدع و الخزانة، و قیل: هو کالصفة یکون بین یدی البیت، و قیل: هو شبیه بالرف و الطاق یوضع فیه الشیء، و لعل المراد بذلک الموضع الذی ضربت علیه عائشة جدارا و سکنت به کما سبق.

الملائکة یحفون بالقبر

و سنذکر فیما استقر علیه بناء الحجرة أنه عقد علی نحو ثلثها الشرقی عقد، فصار ذلک المحل ممیزا عن بقیة البیت، و کان قبله فی البناء ما یشهد لجدار آخر من الشام إلی القبلة فی تلک الجهة، فلعله الموضع المذکور.

و روی یحیی و ابن النجار عن کعب الأحبار قال: ما من فجر یطلع إلا- نزل سبعون ألفا من الملائکة حتی یحفوا بالقبر، یضربون بأجنحتهم، و یصلون علی النبی صلّی اللّه علیه و سلّم، حتی إذا أمسوا عرجوا، و هبط مثلهم فصنعوا مثل ذلک، حتی إذا انشقت الأرض خرج فی سبعین ألفا من الملائکة، صلّی اللّه علیه و سلّم.

و فى صحيح الدارمى نحوه من رواية عائشة رضى اللّه عنها، و قال فيه: سبعون ألفا بالليل و سبعون ألفا بالنهار، ذكره فى باب ما أكرم اللّه به نبيه صلّى اللّه عليه و سلّم بعد موته، رواه البيهقى فى شعبه.

لا ينبغى رفع الصوت فى المسجد

و قد تقدم قول عمر رضى اللّه عنه «إن مسجدنا هذا لا ترتفع فيه الأصوات» و قال أبو بكر رضى الله عنه: لا ينبغى رفع الصوت على نبى حيا و لا ميتا.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۲۳

و روى ابن زبالة و يحيى من طريقه عن غير واحد منهم عبد العزيز بن أبى حازم و نوفل بن عمارة قالوا: إن كانت عائشة تسمع صوت الوتد يوتد و المسمار يضرب فى بعض الدور المطيفة بمسجد النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، فترسل إليهم لا يؤذوا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، قالوا: و ما عمل على مصراعى داره إلا بالمناصع، توقيا لذلك.

و فى الوفاء لابن الجوزى من طريق أبى محمد الدارمى بسنده عن أبى الجوزاء.

سنة أهل المدينة فى أعوام الجدب

قال: قحط أهل المدينة قحطا شديدا، فشكوا إلى عائشة رضى اللّه عنها فقالت:

فانظروا قبر النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، فاجعلوا منه كوة إلى السماء حتى لا يكون بينه و بين السماء سقف، ففعلوا، فمطروا حتى نبت العشب و سمنت الإبل حتى تفتقت من الشحم، فسمى عام الفتق.

قال الزين المراغى: و اعلم أن فتح الكوة عند الجدب سنة أهل المدينة حتى الآن، يفتحون كوة فى سفل قبة الحجرة: أى القبة الزرقاء المقدسة من جهة القبلة، و إن كان السقف حائلا بين القبر الشريف و بين السماء.

قلت: و سنتهم اليوم فتح الباب المواجه للوجه الشريف من المقصورة المحيطة بالحجرة، و الاجتماع هناك، و اللّه أعلم.

الفصل الثانى و العشرون فيما ذكروه من صفة الحجرة الشريفة، و الحائز المخمس الدائر عليها، و بيان ما شاهدناه مما يخالف ذلك

قال الأقشهرى، فيما رواه من طريق ابن شبة: قال أبو غسان- يعنى محمد بن يحيى-:

و أما الحظار الظاهر و البيت الذى فيه فإنى اطلعت فيه من بين سقفى المسجد حتى عاينت ذلك الحظار الذى على البيت و ما فيه، و صورته و ما فيه، و ذرعته على ما فيه من الذرع، و ذلك حين انكسر خشب سقف المسجد فكشف السقف من تلك الناحية لعمارته، و أبو البحترى بن وهب بن رشد يومئذ على المدينة، و ذلك فى جمادى الأولى من سنة ثلاث و تسعين و مائة.

و قال أبو زيد- يعنى ابن شبة- فهذه صورته، ثم صورها الأقشهرى فى كتابه المسمى «بمنسك القاصد الزائر» بهذه الصورة:

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۲۴

و فى هذا التصوير و ما ذكر فيه من الذّرع مخالفة لما تقدم عن نقل ابن زبالة حيث قال.

و البناء الذى حول البيت بينه و بين البناء الظاهر اليوم مما يلى المشرق ذراعان، و التصوير المذكور قد اشتمل على أن الفرجة المذكورة ثلاثة أذرع، و يستفاد من التصوير أيضا أن الفرجة بينهما فى جهة القبلة مختلفة، فبعضها دون الذراع و هو الشبر المشار إليه فى كلام ابن زبالة، و بعضها ذراع.

و سنذكر أن ما شاهدناه فى صورة الحجرة الشريفة عند انكشافها أقرب إلى التصوير المذكور مما ذكره ابن زبالة، و أن الحال شاهد

بأنه وقع فى بنائها الداخل تغيير؛ فلم يبق على الصورة المذكورة.

و قد أدرك ابن زبالة عمارة أبى البحترى التى كشف فيها سقف المسجد مما يلى الحجرة الشريفة، و ذكرها فى كتابه فقال: و كان أبو البحترى- إذ كان واليا على المدينة لهارون أمير المؤمنين- كشف سقف المسجد فى سنة ثلاث و تسعين و مائة، فوجد فيه سبعين خشبة مكسورة، فأدخل مكانها خشبا صحاحا اه.

و كأنه لم يشاهد ذلك كما شاهده أبو غسان، و عبارة يحيى فى ذكر هذه العمارة: و قد كان خشب من خشب المسجد فوق القبر مما يليه انكسر فى ولاية أبى البحترى، فأمر بكشف السقف، و ذكر ما تقدم عن ابن زبالة، على أن ابن زبالة و يحيى أشارا فى كتابيهما إلى تصوير الحجرة و الحائز الدائر عليها، لكن الصورة ساقطة من النسخة التى وقعت لنا.

و قد صور ذلك ابن النجار فى كتابه، و أظنه أخذه من نسخة وقعت له من ابن زبالة

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۲۵

مشتملة على تلك الصورة، و تبعه عليها ابن عساكر فى «تحفة الزائر» و المرافى فى تاريخه، و هى بعيدة مما وجدنا عليه صورة الحجرة الشريفة؛ فلنبدأ بتصويره، ثم تصوير الصورة التى شاهدناها، ثم الصورة التى استقر بناء الحجرة الشريفة عليها، و قد تبعت فى حكاية تصوير ابن النجار ما صنعه المراغى؛ فإنى نقلته من خطه، فقال: و جعل عمر بنيان الحجرة الشريفة على خمس زوايا لئلا يستقيم لأحد استقبالها بالصلاة؛ لتحذيره صلّى اللّه عليه و سلّم من ذلك، و هذه صورتها و صورة الحائز حولها كما ضبطه ابن النجار، و اللّه أعلم.

و هذا التصوير ينافى ما تقدم من رواية ابن زبالة و غيره أن البيت مربع مبنى بحجارة سود و قصّة.

ثم بنى عليه عمر بن عبد العزيز هذا البناء الظاهر المخمس؛ لأنه صوّر فيه البيت مخمسا أيضا كما ترى، و هو خلاف الذى شاهدناه عند انكشافه فى العمارة التى أدركناها، فرأيناه مربعا مبنيا بالأحجار السود المنحوتة لونها يقرب من لون أحجار الكعبة الشريفة، و لها من الهيبة و الأنس ما لا يدرك إلا بالذوق، و لم نجد بين الجدار الخارج و الداخل من جهة

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۲۶

المغرب فضاء أصلا، و لا مغرز إبرة، و لم نجد للبيت الداخل بابا أصلا، و لا موضع باب، لا فى الجهة الشامية و لا فى غيرها، و وجدنا الفضاء الذى خلف البيت الشريف من جهة الشام، بينه و بين البناء الظاهر، شكله مثلث، و مساحته نحو ثمانية أذرع بذراع اليد المتقدم تحريره، و ذلك من جدار البيت الشامى إلى زاوية البناء الظاهر المقابلة له، و هى الزاوية الشمالية التى ينحرف عنها صفحتا الشكل المثلث المذكور، و هناك أسطوانة ملاصقة لجدار البيت الشامى فى صف أسطوانة مربعة القبر و أسطوانة الوفود، و بعض الأسطوانة المذكورة داخل فى الجدار المذكور، و قد طوق على أعاليها بأطواق من الحديد، و أدعمت بجذع من جذوع النخل رأسه فى أعاليها و رأسه الآخر فى زاوية البناء الظاهر الشمالية المتقدم ذكرها، و الظاهر أن ذلك جعل بعد الحريق لتشقق الأسطوانة المذكورة و تأثير النار فيها، و هى الأسطوانة التى تقدم ذكرها فى التصوير الأول المأخوذ من كلام ابن شبة عند نهاية جدار البيت الشامى، مما يلى المشرق، لكنا لم نجدها كذلك، بل قريبة من وسط الجدار الشامى، غير أن متولى العمارة و من كان معه أخبرونى أنهم وجدوا عند نقض جدار البيت الشامى من داخله رأس جدار فى محاذاة الأسطوانة المذكورة يشهد الحال أنه كان آخذا من الشام إلى ما يحاذيه من القبلى، فكأنه كان نهاية الحجرة الشريفة من جهة المشرق، و كأنه لما انهدم زيد فيها ذلك القدر، قالوا: و لا يخفى على الناظر أن بقية الجدار الشامى مما يلى المشرق لم يبن مع الجانب الآخر منه، بل هى ملصقة إلى رأس الجدار المذكور بحيث لم يدخل أحجار أحدهما فى الآخر، و لا هى مرتبطة كما هو عادة البناء الواحد، و رأيت أنا ما يقابل هذا الجانب من الجدار القبلى مما يلى المشرق؛ فرأيت ما يشهد بإحداث بنائه بحيث إنه مبنى بالحجارة غير الوجوه كنسبة الجدار الشرقى، بخلاف بقية جدارات الحجرة الشريفة فإنها كلها من داخلها و خارجها مبنية بالحجارة الوجوه المنحوتة، و إنما لم أشاهد ما قدمته مما حكى لى فى أمر الجدار الشامى لأنى اجتنبت حضور الهدم احتياطا لنفسى، و ظهر بذلك أن البيت الشريف كان من جهة المشرق على ما صوره ابن شبة، ثم حدث ذلك

بعده، و لم ينبه عليه أحد من المؤرخين، و يحتمل أن ذلك الجدار هو الذى أحدثته عائشة رضى اللّه عنها بينها و بين القبور الشريفة؛ فقد تقدم عن ابن سعد روايته عن مالك بن أنس قال: قسم بيت عائشة باثنين، قسم كان فيه القبر، و قسم كان تكون فيه عائشة و بينهما حائط.

قلت: فهذا الاحتمال هو الذى يترجح عندى، و اللّه أعلم.

و وجد بين جدار البيت الشرقى و بين الجدار الظاهر الشرقى فضاء مختلف كالزقاق الرقيق، فعند ابتدائه من جهة الشام نحو ذراع اليد يمر فيه الرجل منحرفا، فإذا قرب من جهة القبلة تضاعف بحيث لا يمر فيه إلا الصغير منحرفا، و سعته هناك نحو ثلث الذراع.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۲۷

و قد نقل ابن شبة أنه كان ثلاثة أذرع؛ فهذا مؤيد لما قدمناه من حدوث التغيير فى الجدار الشرقى الداخل، و رؤيته تقضى بذلك دون بقية الجدران.

و وجدنا بين جدار البيت القبلى و الجدار الظاهر القبلى فضاء مختلفا أيضا كالزقاق الرقيق؛ فأوله من جهة الشرق نحو ذراع اليد، فإذا قرب من الوجه الشريف تضايق بحيث يصير نحو شبر ثم أقل من ذلك إلى ملتقى الحائطين فى جهة المغرب، و هذا الفضاء لا يمكن المرور فيه؛ لأن الأسطوانة التى فى البناء الظاهر عند مواجهة مواقف الزائر لسيدنا عمر رضى اللّه عنه بعضها بارز فى الفضاء المذكور، و فى محاذاتها بناء بنحو عرضها قد سدّ ما بين الجدارين من الفضاء، و كأنه جعل لإدعام الجدار من أجل الانشقاق الآتى ذكره، أو لمنع المرور هناك، جزى اللّه فاعله خيرا!

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۲۸

و أما طول جدران الحائز الظاهر من كل زاوية إلى الأخرى من خارجه فطول الجدار القبلى من زاويته التى تلى القبلة من المغرب إلى زاويته التى تلى المشرق سبعة عشر ذراعا، بتقديم السين، ينقص يسيرا، و ذلك موافق لما تقدم فى تصوير ابن النجار. و طول الجدار الغربى من القبلة إلى طرف مقام جبريل ستة عشر ذراعا و نحو نصف ذراع، و منعطف مقام جبريل هناك الشام، و ذرع منعطفه ذراعان و نصف ذراع، و جملة ذلك تسعة عشر ذراعا؛ فهو المراد مما تقدم فى تصوير ابن النجار، لكنه يوهم أن وجه مقام جبريل غير داخل فى التسعة عشر ذراعا التى ذكرها للجدار الغربى، و ليس كذلك. و طول الجدار المنعطف من مقام جبريل إلى الزاوية الشمالية اثنا عشر ذراعا و نصف ذراع راجح. و طول الجدار الشرقى من القبلة إلى الزاوية التى ينحرف منه إلى جهة الشمال اثنا عشر ذراعا و نصف ذراع راجح.

و طول الجدار المنعطف من الجدار المذكور عند الزاوية المذكورة إلى الزاوية الشمالية نحو أربعة عشر ذراعا، و فيما ذكرناه من الذرع فى الثلاثة الجدر الأخيرة مخالفة لما تقدم فى تصوير ابن النجار و من تبعه.

و أما طول الحائز الظاهر فى السماء فثلاثة عشر ذراعا و ثلث ذراع، و يرجح من بعض الجوانب يسيرا، و عرض منقبته ذراع و ربع ثمن.

و نقل الأقشهرى أن ابن شبة نقل عن أبى غسان أن طول الحظار الذى على البيت- يعنى الحائز المذكور- من جهة ارتفاعه ثلاثة عشر ذراعا غير سدس.

قلت: و قد رأيت بأعلاه سترة من آجر قدر نصف ذراع يشهد الحال أنها محدثة لإحداث السقف الآتى ذكره للحجرة الشريفة بعد حريق المسجد الأول؛ فلا مخالفة بين ما وجدناه و بين ما ذكره أبو غسان.

و أما ارتفاع الجدار الداخل فى السماء فقسته من خارجه من جهة الشام فكان خمسة عشر ذراعا، و ارتفاع تلك الأرض التى فى شامى الحجرة بين الجدارين على أرض الحجرة ذراع و نحو ربع ذراع، و مع ذلك فالحائز الخارج أرجح من الداخل بيسير أو مساوله، و سبب ذلك علو الأرض الخارجة عن هذا الحائز على الأرض الداخلة بين الحائزين بأرجح من ذراع و نصف، مع أن الأرض الداخلة بين الحائزين من جهة الشام التى هى كهيئة المثلث وجدت مجدولة بالحجارة و القصة بحيث لم يتأت لهم حفر أساس فيها، و لله

الحمد على ذلك.

و أما ما تقدم فيما نقلناه من خط المراغى- و هو موجود فى كلام ابن النجار و ابن عساكر- من أن طول حيطان الحائر الخارج فى السماء ثلاثة و عشرون ذراعا، فهذا مخالف لما شاهدناه و لما قدمناه عن أبى غسان، و كأنهم أرادوا بهذا ذرع ما بين الأرض المحيطة بالحجرة

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۲۹

و بين سقف المسجد، و هذا البناء لم يبلغ به عمر بن عبد العزيز سقف المسجد اتفاقا، بل فوقه شباك من خشب متصل ذلك الشباك بسقف المسجد كما يظهر عند رفع الكسوة، و كأن ابن النجار توهم أن الحائط المذكور متصل بالسقف؛ لأنه قال: و بنى عمر ابن عبد العزيز على حجرة النبى صلّى اللّه عليه و سلّم حائزا من سقف المسجد إلى الأرض، و صارت الحجرة فى وسطه و هو على دورانها.

و ينبغى حمل كلامه على أن المراد أنه بناه من سقف المسجد إلى الأرض بما جعل عليه من الشباك، و كذلك يحمل ما ذكره فى ذرع؛ لأن الشباك المذكور له ذكر فى كلامه، فإنه ذكر ما سيأتى من أن الجمال الأصفهانى جدد تأزير الحجرة بالرخام، ثم قال: و عمل لها مشبكا من خشب الصندل و الآبنوس، و أداره حولها مما يلى السقف: أى على رأس الجدار المذكور.

قلت: و لعله أول من أحدث هذا الشباك؛ لأنه ذكر له فى كلام متقدمى المؤرخين، و اللّه أعلم.

و قال ابن النجار: و اعلم أن على حجرة النبى صلّى اللّه عليه و سلّم أى على سقفها ثوبا مشمعا مثل الخيمة، و فوقه سقف المسجد، و فيه- أى فيما تحت المشمع المذكور- خوخة عليها ممرق أى طابق مقفول، و فوق الخوخة فى سقف السطح خوخة أخرى فوق تلك الخوخة، و عليها ممرق مقفول أيضا، و بين سقف المسجد و بين سقف السطح أى السقف الثانى لسطح المسجد فراغ نحو الذراعين.

قلت: أما الممرق الذى ذكره فى سقف المسجد الذى يلى الحجرة الشريفة فقد أدركناه موجودا عليه قفل من حديد و مشمع جدده متولى العمارة التى أدركناها إلى أن احترق المسجد فى زماننا، و عملت القبة التى جعلت بدلا عن القبة الزرقاء.

و أما الممرق الذى ذكره فى سقف الحجرة تحت المشمع الذى أشار إليه فهذا كان قبل حريق المسجد الأول، و لم يوجد فى السقف الذى عمل بدله بعد الحريق ممرق، نعم وجد عليه ستارة من المحابس اليمنية مبطنة، و سنذكر وصفه إن شاء اللّه تعالى عند ذكر العمارة المتجددة فى زماننا، على أن الذى يقتضيه كلام المطرى و من بعده أنه ليس ثم غير طابق واحد فى سقف المسجد، فإنه قال: و على سقف الحجرة بين السقفين- أى سقفى المسجد- ألواح، و قد سمّر بعضها على بعض، و سمر عليها ثوب مشمع، و فيها طابق مقفل، إذا فتح كان النزول منه إلى ما بين حائط بيت النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و بين الحائط الذى بناه عمر بن عبد العزيز.

قلت: و ليس ما ذكره فى وصف هذا الطابق بصحيح؛ لأن النزول منه يكون على وسط الحجرة سواء كما شاهدناه، مع أن المطرى و من تبعه اتفق كلامهم كما سيأتى على أن

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۳۰

سقف الحجرة بعد الحريق إنما هو سقف المسجد، و هو خلاف ما وجدنا الأمر عليه أيضا، و اللّه أعلم.

الفصل الثالث و العشرون فى عمارة اتفقت بالحجرة الشريفة على ما نقله الأقشهرى عن ابن عاث، و ما وقع من الدخول إليها عند الحاجة له و تأزيرها بالرخام

قال الأقشهرى، و من خطة نقلت ما لفظه: أخبرنا الشيخ الراوية أبو عبد اللّه محمد بن أحمد الأنصارى الشاطبى قال: حدثنا أبو بكر محمد بن عبد اللّه القضاعى الحافظ قال: حدثنا صاحبنا الرحال أبو عمر أحمد بن أبى محمد هارون بن عاث النفرى قال: حدثت بالمدينة الشريفة، أو قال بمدينة السلام، بأنهم سمعوا منذ سنين قريبا من الأربعين هدة فى الروضة الشريفة أى الحجرة فإنه يعبر عنها بذلك، فكتب فى ذلك إلى الخليفة، فاستشار الفقهاء، فأفتوا أن يدخلها رجل فاضل من القومة على المسجد، فاختاروا لذلك بدرا

الضعيف، و هو شيخ فاضل يقوم بالليل و يصوم النهار، و هو من فتيان بنى العباس، فدلى حتى دخل الروضة أى الحجرة، فوجد الحائط الغربى قد سقط، و هو حائط دون الحائط الظاهر، فصنع له لبن من تراب المسجد، فبناه و أعاده على هيئته كما كان، و وجد هناك قعبا من خشب قد أصابه وقوع الحائط فكسره، فحمل إلى بغداد مع شىء من تراب الحائط، و كان يوم وصول ذلك بغداد يوما مشهودا تجمع لاستقباله الناس، و ازدحموا على رؤيته، و عطلت الصناعات و البيع، و كانت رحلة ابن عاث سنة ثلاث عشرة و ستمائة، و قد قال «قريبا من أربعين سنة» فيكون ذلك سنة سبعين و خمسمائة أو ما دون ذلك، و هكذا ذكره فى رحلته و منها نقلته، و يكون ذلك فى دولة المستضىء بالله بن المستنجد بالله، انتهى كلام الأقشهرى.

و لعل هذا الحائط المنهدم فى هذه العمارة إنما هو الشرقى من الجدار الداخل، و أطلق عليه اسم الغربى بالنظر إلى الجدار الخارج الذى يليه، فتكون هذه الواقعة هى التى اتفق فيها بناء الجدار المتقدم وصفه، و وقع فيها تقديمه عن محله الأول، و أبقوا رأسه كما تقدمت الإشارة إليه، و هو إنما بنى بالحجر، و لا يتأتى هناك بناء باللبن إلا فى السترة التى جعلت على رأس الجدار، فلعله أراد باللبن المتخذ من تراب المسجد هذا، لكن فى كلام ابن النجار و نقله من بعده و أقره، ما يقتضى أنه لم يقع دخول إلى الحجرة الشريفة من سنة أربع و خمسين و خمسمائة إلى زمانه، و قد توفى سنة ثلاث و أربعين و ستمائة، فإنه قال فى كتابه «الدرة الثمينة» ما لفظه: و اعلم أن فى سنة ثمان و أربعين و خمسمائة سمعوا صوت هدة فى الحجرة، و كان الأمير قاسم بن مهنى الحسينى، فأخبروه بالحال، فقال: ينبغى أن ينزل شخص إلى هناك ليبصر ما هذه الهدة، فافتكروا فى شخص يصلح لذلك، فلم يجدوا لذلك إلا عمر

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۳۱

النسائى شيخ شيوخ الصوفى بالموصل، و كان مجاورا بالمدينة، فذكروا ذلك له، فذكر أن به فتقا و الريح و البول يحوجه إلى دخول الغائط مرارا، فالزموه، فقال: أمهلونى حتى أروض نفسى، و قيل: إنه امتنع من الأكل و الشرب و سأل النبى صلّى اللّه عليه و سلّم إمساك المرض عنه بقدر ما يبصر و يخرج، ثم إنهم أنزلوه فى الحبال من الخوخة إلى الحظير الذى بناه عمر، و دخل منه إلى الحجرة و معه شمعة يستضىء بها فرأى شيئا من طين السقف قد وقع على القبور، فأزاله و كنس التراب بلحيته، و قيل: إنه كان مليح الشيبة، و أمسك اللّه تعالى ذلك الداء قدر ما خرج من الموضع و عاد إليه، و هذا ما سمعته من أفواه جماعة، و اللّه أعلم بحقيقة الحال فى ذلك.

و عبارة المراغى تبعا للمطرى فى النقل عن ابن النجار: فأنزلوه بالحبال من بين السقفين من الطابق المذكور، و نزل بين حائط النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و بين الحائز و معه شمعة يستضىء بها، و مشى إلى باب البيت، و دخل من الباب إلى القبور المقدسة، فرأى شيئا من الردم، إما من السقف أو من الحيطان إلى آخره.

قلت: و هذا لا يطابق ما ذكره ابن النجار و عليه رتب المراغى إشكاله الآتى بيانه.

ثم قال ابن النجار: و فى شهر ربيع الآخر من سنة أربع و خمسين و خمسمائة فى أيام قاسم أيضا وجدوا من الحجرة رائحة منكرة، و كثر ذلك حتى ذكروه للأمير، فأمرهم بالنزول إلى هناك، فنزل بيان الأسود الخصى أحد خدام الحجرة، و معه الصفى الموصلى متولى عمارة المسجد، و نزل معهما هارون الشادى الصوفى بعد أن سأل الأمير فى ذلك، و بذل له جملة من المال، فلما نزلوا وجدوا هرا قد هبط و مات و جيف، فأخرجوه، و كان فى الحائز بين الحجرة و المسجد.

و قال المراغى و غيره فى النقل عن ابن النجار: فوجدوا هرا قد سقط من الشباك الذى فى أعلى الحائز، و وقع بين الحائز و بيت النبى صلّى اللّه عليه و سلّم.

و قال ابن النجار: و كان نزولهم يوم السبت الحادى عشر من ربيع الآخر، و من ذلك التاريخ إلى يومنا هذا لم ينزل أحد إلى هناك، فاعلم ذلك، انتهى.

فهذا يخالف ما نقله الأقشهرى عن ابن عاث؛ لاقتضائه أن تلك الواقعة فى سنة سبعين و خمسمائة أو ما قاربها، و الظاهر أن القضية

واحدة، و لم نجد من دونها فنقل كل منهما بحسب ما بلغه.

و قال الزين المراغى عقب ذكره للواقعة الأولى التى حكاها ابن النجار المتضمنة للدخول إلى القبور الشريفة ما لفظه: و ينبغى تأمل هذا النقل؛ لأن الوصول إلى القبور الشريفة متعذر، إن كان الجدار الذى أحدثته عائشة المتقدم ذكره باقيا، فإن جاء نقل بإزالته و بإمكان الاستطراق معه من باب أو نحوه فهو واضح، و إلا ففيه نظر.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۳۲

قلت: نظره إنما يتوجه على ما قدمه من أن النزول كان إلى ما بين الحائطين و أنه مشى إلى باب البيت، و ليس فى كلام ابن النجار تعرض لشىء من ذلك، بل مقتضى ما قدمناه عنه- من أن الحجرة الشريفة بها ممرق، و بسقف المسجد مثله- أن النزول إنما هو من العلو إلى سقف الحجرة، ثم منه إليها؛ فلا نظر، على أن الجدار الذى أشار إليه و أن عائشة بنته و لم نجد له أثرا إلا ما تقدمت الإشارة إليه من رأس جدار الحائط الشامى مقتض لأنه كان هناك جدار من الشام إلى القبلة، و كذلك الباب لم نجد له أثرا كما قدمناه.

و أما تأزير الحجرة بالرخام فليس له ذكر فى كلام ابن زبالة، و له ذكر فى كلام يحيى؛ فإنه روى ما حاصله أن بيت فاطمة الزهراء لما أخرجوا منه فاطمة بنت حسين و زوجها حسن بن حسن و هدموا البيت بعث حسن بن حسن ابنه جعفرا، و كان أسنّ ولده، فقال له: اذهب و لا تبرحن حتى يبنوا فتنظر الحجر الذى من صفته كذا و كذا هل يدخلونه فى بنيانهم، فلم يزل يرصدهم حتى رفعوا الأساس و أخرجوا الحجر، فجاء جعفر إلى أبيه فأخبره، فخر ساجدا و قال: ذلك حجر كان النبى صلّى اللّه عليه و سلّم يصلى إليه إذا دخل إلى فاطمة، أو كانت فاطمة تصلى إليه، الشك من يحيى.

و قال على بن موسى الرضى: ولدت فاطمة عليها السلام الحسن و الحسين على ذلك الحجر.

قال يحيى: و رأيت الحسين بن عبد اللّه بن عبد اللّه بن الحسين و لم أر فينا رجلا أفضل منه إذا اشتكى شيئا من جسده كشف الحصى عن الحجر فيمسح به ذلك الموضع، و لم يزل ذلك الحجر نراه حتى عمّر الصانع المسجد ففقدناه عند ما أزر القبر بالرخام، و كان الحجر لاصقا بجدار القبر قريبا من المربعة.

قال بعض رواة كتاب يحيى: الصانع هذا هو إسحاق بن سلمة، كان المتوكل وجه به على عمارة المدينة و مكة.

قلت: و كانت خلافة المتوكل سنة اثنتين و ثلاثين و مائتين، و توفى فى شوال سنة سبع و أربعين، و كان هذا مأخذ بن النجار فى قوله إن المتوكل فى خلافته أمر إسحاق بن سلمة و كأن على عمارة الحرمين من قبله أن يؤزّر الحجرة بالرخام ففعل.

ثم فى خلافة المقتفى سنة ثمان و أربعين و خمسمائة جده جمال الدين وزير بنى زنكى، و جعل الرخام حولها قامة و بسطة.

قلت: و لم يذكر أحد من المؤرخين تجديدا لهذا الرخام بعد ذلك، و قد جدده فى زماننا متولى العمارة الآتى ذكرها الجناب الشمس المحسنى الخواجكى بن الزمن بأمر المقام الشريف السلطانى قايتباى عز نصره، و وجد فى الصفحة القبلية عند ابتدائها من جهة المغرب فى

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۳۳

اللوح السماقى اللون الثانى فى تلك الجهة من الألواح الملونة التى يحيط بها الرخام الأبيض البارز قطعة أوسع من الديا نار ملصقة فى ظاهر اللوح المذكور بالجص، فأشيع أنها جوهرة نفيسة ذات لمعان، ثم إن متولى العمارة أرانيها فإذا هى حجر عسلى اللون يميل حمرته إلى الصفرة، قال: و أظنه حجر اليرقان، و قد خشى عليه متولى العمارة إن أعيد لصقا كهيئته الأولى، فأمر بنقر الرخامة المذكورة و تنزيله فيها، ففعلوا ذلك، و أعادوا تلك الرخامة إلى محلها.

و لم أر من نبه على ابتداء حدوث الرخام الذى حول الحجرة الشريفة بالأرض و الظاهر أنه حدث عند حدوث تأزيرها بالرخام؛ لما تقدم من كلام يحيى فى أمر الحجر الذى كان يتبرك به من أن الحسين بن عبد اللّه كان يكشف عنه الحصى، و أنه لم يدخل فى البناء، و أنه فقده عند تأزير الحجرة بالرخام، فدل ذلك على أنه رخم الأرض أيضا، و إلا لما استتر الحجر المذكور.

و أما ترخيم المصلّى الشريف فلا أدرى متى زمن حدوثه، و له ذكر فى رحلة ابن جبير.

و أما الرخام الذى بالمحراب العثمانى و ما حوله فالقديم منه- أعنى بعد الحريق الأول- ترخيم المحراب و شىء يسير عن جنبتيه، و فى دولة السلطان الملك الظاهر جقمق فى أول عشر الستين و ثمانمائة أمر بعمل الوزرة التى فى الجدار القبلى، فاتصل ذلك بترخيم المحراب المذكور، و قد جدد غالب ذلك فى العمارة التى أدركناها أيضا، و أبدل الطراز الأول الذى كان بأعلى الوزرة و كان محمرا بماء الذهب الطراز الموجود اليوم، ثم زال ذلك كله فى حريق المسجد الثانى، ثم أعيد مع زيادة فيه مما يلى المنارة الرئيسية، و مع ترخم ما حول الحجرة الشريفة و تأزيرها بالرخام، و مع ما سبق من عمل محراب المصلى الشريف و ترخيمه، و رخموا أيضا الدعائم المواجهة للوجه الشريف التى أحدثوها عند عمارة القبة الثانية من داخل المقصورة و خارجها، و جميع ما يوجد من الرخام بالمسجد اليوم من عمل سلطان زماننا الأشرف قايتباى، أعز اللّه أنصاره، و ضاعف اقتداره! و اللّه أعلم.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى؛ ج۲؛ ص۱۳۳

الفصل الرابع و العشرون فى الصندوق الذى فى جهة الرأس الشريف، و المسماة الفضة المواجه للوجه الشريف، و مقام جبريل من الحجرة الشريفة، و كسوتها، و تخليقها

اشارة

أما الصندوق فلم أعلم ابتداء حدوثه، و كذلك القائم المحلّى فوقه، إلا أنه قد ظهر لنا فى هذه العمارة التى أدركناها أنه كان موجودا قبل حريق المسجد الأول؛ لأن متولى العمارة كان قد قلعه لاقتضاء رأيه قلع حلية الفضة التى كانت على القائم الخشب الذى فوق الصندوق ليحكم صوغها، و زاد ذلك فضة و تمويها بالذهب، و أصلح حلية الصندوق أيضا،

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۳۴

و كان ذلك سببا لإصلاح أصل الأسطوانة التى كان بها، فلما قلعوا الصندوق المذكور ظهر فيه قوائم صندوق عتيق، و فى تلك القوائم أثر الحريق، و كأنهم جددوا عليه صندوقا، و جعلوا ذلك المحترق فى جوفه، و قد أعيد كذلك.

و قد ذكر المجد الشيرازى هذا الصندوق و القائم فقال: و فى الصفحة الغربية من الحجرة الشريفة صندوق آبنوس مختم بالصندل مصفح بالفضة مكوكب بها، هو قبالة رأس النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، و فيه أسطوان، و فوق الصندوق قائم من خشب مجدد، و أما الصندوق فطوله خمسة أشبار و عرضه ثلاثة أشبار و ارتفاعه فى الهواء أربعة أشبار.

قلت: و قد ظفرت بذلك كله فى كلام ابن جبير فى رحلته، غير ما يتعلق بالقائم المذكور، و من ذلك أخذ المجد وصف القائم بكونه مجددا، و كانت رحلة ابن جبير عام ثمانين و خمسمائة، فاستفدنا بذلك وجود ذلك الصندوق قبل الحريق فى ذلك الزمان، و ما ذكره من أن الصندوق المذكور قبالة الرأس الشريف فيه تجوّز؛ لأنه قد ظهر لنا فى هذه العمارة أنه فى محاذاة الجدار الداخل القبلى، و سيأتى أن الوجه الشريف إلى الجدار؛ فالرأس الشريف متأخر عن الصندوق المذكور يسيرا.

و مستند المجد و غيره فى هذا الإطلاق ما روى جعفر بن محمد بن على بن الحسين رضى اللّه عنه عن أبيه عن جده أنه كان إذا جاء يسلم على النبى صلّى اللّه عليه و سلّم وقف عند الأسطوانة التى تلى الروضة، ثم يسلم، ثم يقول: هاهنا رأس رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، و المراد به ما قدمناه، و اللّه أعلم.

و ذرع الصندوق المذكور فى الارتفاع ذراع و نصف و ربع بذراع اليد، و أعلى القائم فوقه محاذ لرأس الوزرة الرخام، و طول القائم المذكور ثلاثة أذرع، و هو خمس صفحات ألصق بعضها على بعض و جعلت محيطة بما ظهر من الأسطوانة التى الصندوق بأصلها فوقه؛ فإن بعض الأسطوانة فى البناء الملاصق لها من الحائز المذكور و لو أحاطت الصفحات بجميع الأسطوانة لكانت أكثر من خمس،

و لكانت شكلها مثمنا، و هو مختم بالخشب الأسود الهندى، معصب بصفائح الفضة المموهة طولا و عرضا بأحسن صناعة، و صفائحه الطولية من الفضة أربع، و المقاطعة لها من جهة العرض خمس، و فى رأسه من أعلاه حلية رقيقة كالزيق، وزنة ما عليه من الفضة زيادة على ألفى قفلة، و أخذوا لأجل تمويهه من حاصل المسجد أربعين مثقالا من الذهب كما أخبرنى به متولى العمارة.

و أما الصندوق فلم يغير، كله مغشى بالفضة، و قد احترق فى حريق المسجد الثانى، و وجدوا حليته من الفضة، فجددوا صندوقا فى محله و جعلوا موضع القائم الذى كان فوقه رخاما كتوبا فيه البسملة و الصلاة و التسليم على النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و الترضى عن أصحابه و غير ذلك.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۳۵

و أما المسمار المواجه للوجه الشريف فقد تقدم أن بينه و بين أول الصفحة الغربية من المغرب خمسة أذرع، و قد اعتبرت ذلك فنقص يسيرا نحو سدس ذراع، و كأنه لاختلاف الأذرعة، و لم أعلم ابتداء حدوث التعليم بهذا المسمار أيضا، و المذكور فى كلام المتقدمين إنما هو التعريف بأن يجعل القنديل على رأسه، لكن قال المطرى: إن ما ذكر من القيام تحت القنديل تجاه الحجرة الشريفة للسلام كان قبل احتراق المسجد الشريف؛ فإنه لم يكن يقابل وجه النبى صلّى اللّه عليه و سلّم إلا قنديل واحد؛ و لما جدد جعل هناك عدة قناديل، و إنما علامة الوقوف تجاه الوجه الكريم اليوم مسمار فضة فى رخامة حمراء، انتهى. و هو يوم حدوث التعليم به بعد الحريق، و لأن ابن جبير ذكره فى رحلته و هو أقدم من ابن النجار فقال عند وصف الحجرة الشريفة: و فى الصفحة القبلية أمام وجه النبى صلّى اللّه عليه و سلّم مسمار فضة هو أمام الوجه الكريم، فتقف الناس أمامه للسلام، انتهى. و أيضا فقد روى ابن الجوزى فى «مثير الغرام الساكن» أن ابن أبى مليكة كان يقول: من أحب أن يقوم و جاه النبى صلّى اللّه عليه و سلّم فليجعل القنديل الذى فى القبلة عند القبر على رأسه، ثم قال ابن الجوزى: و ثم ما هو أوضح علما من القنديل، و هو مسمار من صفر فى حائط الحجرة، إذا حاذاه القائم كان القنديل فوق رأسه، انتهى.

و قال يحيى فى كتابه: كان بن أبى مليكة يقول: إذا جعلت القنديل على رأسك و المرمرة المدخولة فى جدار القبر قبالة وجهك استقبلت وجه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم.

قلت: و كأن هذا المسمار فى موضع تلك المرمرة، و لهذا قال ابن النجار: إن اليوم هناك علامة واضحة، و هى مسمار من فضة فى حائط حجرة النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، إذا قابله الإنسان كان القنديل على رأسه، فيقابل وجه النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، انتهى.

و لم أر لهذا المسمار ذكرا فى كلام من صنّف فى المناسك قبل ابن جماعة، و الذى فى مناسك ابن الصلاح أخذا من الإحياء ذكر القنديل، و جعله حذار رأس الزائر، و نقله عن ابن أبى مليكة، و اقتضى كلامه أن الواقف هناك يكون بينه و بين السارية التى عند رأس القبر عند زاويته الغربية و هى أسطوان الصندوق نحو أربعة أذرع؛ فهو قريب مما تقدم فى التعليم بالمسمار المذكور، و إن لم يصرح به، لكن قال الأقشهرى و من خطه نقلت: أخبرنا الإمام العالم رضى الدين أبو أحمد إبراهيم بن محمد بن أبى بكر إمام مقام إبراهيم الخليل بمكة توفى فى تاسع شهر ربيع الأول من عام اثنين و عشرين و سبعمائة و الشيخ الوزير أبو عبد الله محمد بن أبى بكر محمد بن عيسى المومنانى قالا: أخبرنا الإمام أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن بن الصلاح السهروردى قال: ثم يأتى الزائر الصريح المقدس فيستدبر القبلة و يستقبل جداره نحو ثلاثة أذرع أو أربعة أذرع من الجدار و جاه المسمار الذى فى الجدار القبلى من

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۳۶

الحجرة المشرفة، هذا ما نقلته من خط الأقشهرى بحروفه، و لم أره فى كلام ابن الصلاح، و الذى نقله ابن عساكر فى تحفته عن ابن الصلاح و هو من تلامذته إنما هو ما قدمناه، و روايته عن إبراهيم الطبرى عن ابن الصلاح تخليط؛ فإن وفاة ابن الصلاح فى سنة ثلاث و أربعين و ستمائة، و الذى أدركه إنما هو والد إبراهيم المذكور، و هو المعروف بالرضى الطبرى، فإن مولد الوالد المذكور سنة ثلاث و ثلاثين و ستمائة، فإنما أدرك من زمن ابن الصلاح عشر سنين، فكيف يكون ولده راويا عن ابن الصلاح بلا واسطة؟

و قال الأقشهرى عقب ما تقدم عنه: و قد سقط هذا المسمار سنة عشرين و سبعمائة، و لم يردّ إلى موضعه إلا فى رجب عام أربع و عشرين و سبعمائة.

قلت: و قد أخرج فى هذه العمارة من موضعه عند ترخيم جدار الحجرة الشريفة، ثم أعيد فى محله الأول بعينه فى الرخامة الحمراء التى كان بها، ثم سقط من محله فى الحريق الثانى، و جدد مسمار آخر فى محله، و لا يختلف أحد ممن أدركناه بالمدينة الشريفة فى أن ذلك الموضع تجاه الوجه الشريف، و هو الذى يقتضيه الحال عند مشاهدة الحجرة الشريفة من داخلها، غير أنى رأيت فى كلام يحيى ما يوهم خلاف ذلك، فإنه ذكر أن الموضع الذى يواجه الوجه الشريف هو ما بين الأسطوانة المتوسطة فى قبلة جدار قبر النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، بين هذا الموضع و بين الأسطوان شبران و ثلاث أصابع متفرجة من الحفيرة إلى الوسطى، و إن كل من أدركه من أهل بيته كانوا إذا وقفوا للسلام على النبى صلّى اللّه عليه و سلّم وقفوا قريبا من هذا الموضع، و كانت ثم علامة قد تعلموا بها حفيرة و لم تزل ثمّ منذ علمت إلى أن عمر الصانع المسجد فى ولاية أمير المؤمنين المتوكل فإنه أزر القبر بالرخام فذهبت العلامة منذ ذلك. و قال: إن موسى بن جعفر قال: من وقف فى هذا الموضع منحرفا واضعا شق وجهه الأيمن استقبل وجه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، و كان على بن الحسين يقف ثم، انتهى.

قلت: الأسطوانة الوسطى التى يشير إليها هى البارزة فى الصفحة القبلية من جدار القبر، يقف قربها المسلم على عمر رضى اللّه عنه، و بينها و بين المسمار المذكور نحو ثلاث أذرع أو أزيد، و قد قال: إن الموضع الذى ذكره بينه و بين الأسطوانة المذكورة شبران و ثلاثة أصابع، فيكون بعيدا من المسمار المذكور بنحو الذراعين و قد شاهدنا الأسطوانة المذكورة من داخل الحجرة فرأيناها قريبة من نهايتها، بحيث إن من دفن هناك و وجهه فى محاذاة الموضع الذى ذكره يحيى كانت رجلاه فى جدار الحجرة الشرقى كما نقل ذلك فى دفن عمر رضى اللّه عنه، فيبعد كل البعد كون الوجه الشريف فى محاذاة ذلك الموضع، على أن ما نقله عن موسى بن جعفر يقتضى أن استقبال الوجه الشريف للواقف فى الموضع الذى ذكره إنما يكون مع الانحراف و وضع شق الوجه الأيمن يعنى على جدار القبر، و على هذا فيستقبل

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۳۷

الزائر جهة المغرب حتى يحصل ذلك، و ذلك لأن الحائط القبلى منحرف كما أشرنا إليه فى التصوير المتقدم، فلا يقتضى ذلك أن المستقبل للمحل الذى عينه من غير وضع وجهه يكون مقابلا للوجه الشريف، و إنما يسامت الواقف الوجه الشريف إذا حاذى المسمار المتقدم وصفه، و كأن يحيى يرى أن الزائر يلصق خده بجدار القبر على الهيئة السابقة، فيصير محل المسمار المذكور أمامه، و لذلك أورد عقب ما تقدم عنه قصة أبى أيوب الأنصارى الآتى ذكرها فى التزامه القبر.

و اعلم أن تشبيك باب المقصورة التى حدثت إدارتها على ما حول الحجرة الشريفة قد يمنع من مشاهدة المسمار المذكور إلا لمن يتأمل ذلك من تشبيكه، و ذلك يشغل قلب الزائر، و قد تحرر لنا أن ما يقابله من ذلك هو الصرعة الثانية من باب المقصورة القبلى الذى على يمين مستقبل القبر الشريف، فمن حاذى هذه الصرعة كان محاذيا لذلك، و هذا المسمار مموّه بالذهب رأسه مستدير، و قد أحدث متولى العمارة مسمارا آخر رأسه فضة، لكنه فى أول هذه الصفحة القبلية مما يلى المغرب قريبا من جهة الصندوق المتقدم وصفه، و رأس هذا المسمار مكوكب كالقبة، فلا يشتبه بالمسمار المتقدم، و أحدث أيضا مسمارين آخرين فى ابتداء الصفحة الغربية مما يلى القبلة قريبا من مساره المتقدم، و ما علمت السبب فى إحداث ذلك، و قد زالت هذه المسامير الثلاثة المحدثة بالحريق الثانى.

و أما الموضع المعروف بمقام جبريل عند مربعة القبر فقد تقدم أنه كان هناك مسمار فى منحرف المربعة إلى الزاوية الشمالية من الحجرة علامة عليه، فلم نجده هناك، و سألت عنه الخدام و المرخمين فقالوا: إنهم لم يجدوا هناك شيئا، و تسمية ذلك الموضع بمقام جبريل تقدم مستنده فى الكلام على أسطول مربعة القبر، و لم أدر لم سمى بذلك، إلا أن ابن جبير ذكر هذا المحل من الحجرة

الشريفة، و قال: و عليه ستر مسبل يقال: إنه كان مهبط جبريل عليه السلام، انتهى. لكن ترجم ابن شبة فى كتابه لمقام جبريل ثم قال: قال أبو غسان: علامة مقام جبريل عليه السلام التى يعرف بها اليوم أنك تخرج من الباب الذى يقال له باب آل عثمان، فترى على يمينك إذا خرجت من ذلك الباب على ثلاثة أذرع و شبر و هو من الأرض على نحو من ذراع و شبر حجرا أكبر من الحجارة التى بها جدار المسجد، قال: فكان مالك بن أنس يقول، و سقط ما بعد ذلك من كتاب ابن شبة فلم أدر ما هو، لكن يستفاد من ذلك حكاية خلاف فى مقام جبريل: هل هو داخل المسجد عند المربعة المذكورة أو خارجه عند باب آل عثمان و هو المعروف اليوم بباب جبريل؟ و لعل ذلك سبب تسمية الباب المذكور بذلك، كما ستأتى الإشارة إليه.

و قال ابن زبالة: أخاف المسجد من شرقيه فى سلطان محمد بن عبد اللّه بن سليمان

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۳۸

الربعى من ولد ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب من ناحية موضع الجنائز، فأمر به فبنى، و تعلم مقام جبريل عليه السلام بحجر و نقش فيه خاتم سليمان و مشق لأن يعرف به مقام جبريل، و مقام جبريل يمناه داخل فى المسجد، فبلغ ذلك مالك بن أنس، فتكلم فيه و أنكره و عابه، فغير و جعل مكانه حجر طويل مصمت لا علم فيه مخالف لحجارة المسجد، انتهى؛ فيحتمل أن يريد بقوله «و مقام جبريل يمناه داخل المسجد» الموضع المتقدم ذكره من الحجرة الشريفة، و يحتمل أن يريد أن الباب قد قدم عن محله الأول فى محاذاته، فصار مقام جبريل داخل المسجد فى محاذاة ذلك، و يرجح هذا أن الظاهر أن الأصل فى مقام جبريل ما قدمناه فى غزة بنى قريظة من رواية صاحب الاكتفاء أن جبريل عليه السلام أتى فى ذلك اليوم على فرس عليه اللأمة حتى وقف بباب المسجد عند موضع الجنائز، و إن على وجه جبريل لأثر الغبار، اه؛ فلذلك سمى الباب المذكور بباب جبريل؛ إذ لم يكن حينئذ للمسجد باب فى ناحية الجنائز غيره.

و فى رواية البيهقى عن عائشة رضى اللّه عنها قالت: كان النبى صلّى اللّه عليه و سلّم عندنا، فسلم علينا رجل و نحن فى البيت، فقام رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم فزعا، فقمت فى أثره، فإذا بدحية الكلبى، فقال: هذا جبريل عليه السلام يأمرنى أن أذهب إلى بنى قريظة، و اللّه أعلم.

كسوة الحجرة النبوية

و أما كسوة الحجرة الشريفة فقد ذكر ابن النجار ما قدمناه فى تأزير الحجرة الشريفة بالرخام و عمل الجواد الأصبهانى فى الشباك المتخذ من خشب الصندل المتقدم وصفه على جدارها، ثم قال: و لم تزل الحجرة الشريفة على ذلك حتى عمل لها الحسين بن أبى الهيجاء صهر الصالح وزير الملوك المصريين ستارة من الديبقى الأبيض، و عليها الطروز و الجامات المرقومة بالإبريسم الأصفر و الأحمر، و نيطها و أدار عليها زنارا من الحرير الأحمر، و الزنار مكتوب عليه سورة (يس) بأسرها، و قيل: إنه غرم على هذه الستارة مبلغا عظيما من المال، و أراد تعليقها على الحجرة، فمنعه قاسم بن مهنى أمير المدينة و قال: حتى تتأذن الإمام المستضىء بأمر الله.

فبعث إلى العراق يستأذن فى تعليقها، فجاءه الإذن فى ذلك، فعلقها نحو العامين، ثم جاءت من الخليفة ستارة من الإبريسم البنفسجى عليها الطرز و الجامات البيض المرقومة و على دوران جاماتها مكتوب بالرقم: أبو بكر، و عمر، و عثمان، و على، و على طرازها اسم الإمام المستضىء بأمر الله، فشيلت تلك و نفذت إلى مشهد على بن أبى طالب بالكوفة، و علقت هذه عوضها، فلما ولى الإمام الناصر لدين اللّه نفذ ستارة أخرى من الإبريسم الأسود، و طرزها و جاماتها من الإبريسم الأبيض، فعلقت فوق تلك، فلما حجت الجهة أم الخليفة

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۳۹

و عادت إلى العراق عملت ستارة من الإبريسم الأسود أيضا على شكل المذكورة و نفذتها فعلقت على هذه، ففى يومنا هذا على

الحجرة ثلاث ستائر بعضهن على بعض، انتهى.

و هو يقتضى أن ابن أبى الهيجاء أول من كسا الحجرة فى خلافة المستضىء بأمر الله، و كانت خلافته فى سنة ست و ستين و خمسمائة، و مات سنة خمس و سبعين و خمسمائة، و فى كلام رزين ما يقتضى مخالفته؛ فإنه قال فى ضمن كلام نقله عن محمد بن إسماعيل ما لفظه:

فلما كانت ولاية هارون أمير المؤمنين و قدمت معه الخيزران أمرت بتخليق مسجد رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم و تخليق القبر و كسته الزنانير و شبائك الحرير، انتهى.

و قد رأيت فى العتبية ما يصلح أن يكون مستندا فى أصل الكسوة، فإنه قال فى أوائلها: قيل لمالك: قلت إنه ينبغى أن ينظر فى قبر النبى صلّى اللّه عليه و سلّم كيف يكسون سقفه، فقيل:

يجعل عليه خيش، فقال: و ما يعجبنى الخيش، و إنه ينبغى أن ينظر فيه، انتهى.

قال ابن رشد فى بيانه: كره مالك كشف سقف قبر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، و رأى من صونه أن يكون مغطّى، و لم ير أن يكتفى من ذلك بالخيش، و كأنه ذهب إلى أن يغطى بتغطية البيوت المسكونة، و لقد أخبرنى من أثق به أنه لا سقف له اليوم تحت سقف المسجد، انتهى.

و قد يضم إلى ذلك أنه إنما جاز كسوة الكعبة لما فيه من التعظيم، و نحن مأمورون بتعظيم النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، و تعظيم قبره من تعظيمه، و هذا أولى بالجواز مما سيأتى عن السبكى فى مسألة القناديل من الذهب حيث سلك بها هذا المسلك، و ليس فى كلام ابن زبالة و يحيى تعرض لأمر كسوة الحجرة، و لعله لأنها إنما حدثت بعدهما، مع أن ابن زبالة ذكر ما قدمناه فى كسوة المنبر الشريف و جعل الستور على الأبواب، و نقل أن كسوة الكعبة كان يؤتى بها المدينة قبل أن تصل إلى مكة، فتنشر فى مؤخر المسجد، ثم يخرج بها إلى مكة، و لم يذكر للحجرة كسوة.

ثم ذكر تخليق الحجرة و المسجد فقال: و قدمت الخيزران أم موسى أمير المؤمنين المدينة فى سنة سبعين و مائة، فأمرت بمسجد النبى صلّى اللّه عليه و سلّم فخلّق، و ولى ذلك من تخليقه مؤنسة جاريتها، فقام إليها إبراهيم بن الفضل بن عبيد اللّه بن سليمان مولى هشام بن إسماعيل فقال: هل لكم أن تسبقوا من بعدكم و أن تفعلوا ما لم يفعل من كان قبلكم؟ قالت له مؤنسة: و ما ذلك؟ قال: تخلّقون القبر كله، ففعلوا، و إنما كان يخلق منه ثلثاه أو أقل، و أشار عليهم فزادوا فى خلوق أسطوان التوبة و الأسطوان التى هى علم عند مصلّى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم فخلقوهما حتى بلغوا بهما أسفلهما، و زادوا فى الخلوق فى أعلاهما، انتهى و لو كان لكسوة الحجرة وجود فى زمانه لتعرض له.

و اعلم أن فى عشر الستين و سبعمائة فى دولة السلطان الصالح إسماعيل بن الملك

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۴۰

الناصر محمد بن قلاون اشترى قرية من بيت مال المسلمين بمصر، و وقفها على كسوة الكعبة المشرفة فى كل سنة، و على كسوة الحجرة المقدسة و المنبر الشريف فى كل خمس سنين مرة، هكذا ذكره التقى الفاسى فى شفاء الغرام.

و ذكره الزين المراغى إلا أنه قال فى الوقف على كسوة الحجرة: فى كل ست سنين مرة، تعمل من الديباج الأسود المرقوم بالحرير الأبيض، و لها طراز منسوج بالفضة المذهبة دائر عليها، إلا كسوة المنبر فإنها بتقصيص أبيض.

قلت: و ما ذكراه من المدة المذكورة بالنسبة إلى الحجرة كأنه كان معمولا به فى زمانهما، و أما فى زماننا فيمضى عشر سنين و نحوها و لا تعمل، نعم كلما ولى ملك بمصر فإنه يعتنى بإرسال كسوة.

و ذكر الحافظ ابن حجر فى الكلام على كسوة الكعبة أن الصالح هذا اشترى حصة من بلد يقال لهل سندبيس، اشترى الثلثين منها من وكيل بيت المال، و وقفها على هذه الجهة، و لم يتعرض لكسوة الحجرة، فلعل الثلث الثالث الذى لم يذكره يتعلق بكسوة الحجرة لما

قدمناه، و يحتمل أن ما يرد من الكسوة من جهة الملوك، لا من وقف، و عادتهم إذا وردت كسوة جديدة قسم شيخ الخدام الكسوة العتيقة على الخدام و من يراه من غيرهم، و يحمل إلى السلطان بمصر منها جانبا، و حكم بيع كسوة الحجرة كحكم بيع كسوة الكعبة، و قد اختلف العلماء فى ذلك قديما، و فى المسألة عندنا و جهان.

و قال الحافظ صلاح الدين خليل العلائى: إنه لا يتردد فى جواز ذلك الآن؛ لأن وقف الإمام للضيعة المتقدمة على الكسوة كان بعد استقرار هذه العادة و العلم بها، فينزل لفظ الواقف عليها، انتهى، و اللّه أعلم.

الفصل الخامس و العشرون فى قناديل الذهب و الفضة التى تعلق حول الحجرة الشريفة، و غيرها من معاليقها

القناديل

اعلم أنى لم أر فى كلام أحد ذكر ابتداء حدوث ذلك، إلا أن ابن النجار قال ما لفظه:

و فى سقف المسجد الذى بين القبلة و الحجرة على رأس الزوار إذا وقفوا معلّق نيف و أربعون قنديلا كبارا و صغارا من الفضة المنقوشة و الساذجة، و فيه اثنان بلور، و واحد ذهب، و فيها قمر من فضة مغموس فى الذهب، و هذه تنفذ من البلدان من الملوك و أرباب الحشمة و الأموال، انتهى.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۴۱

قلت: و استمر عمل الملوك و أرباب الحشمة إلى زماننا هذا على الإهداء إلى الحجرة الشريفة قناديل الذهب و الفضة.

و رأيت بحط شيخنا العلامة ناصر الدين العثمانى أشياء نقلها من خط قاضى طيبة الزين عبد الرحمن بن صالح يتضمن ما كان يرد فى كل سنة من ذلك؛ فذكر فى سنة خمسة عشر قنديلا، و فى أخرى ثلاثة عشر، و فى أخرى عشرة، و فى أخرى إحدى و عشرين.

قلت: و فى زماننا هذا يرد فى غالب السنين ما يزيد على العشرين، و لا ضابط لذلك؛ فإنه يرد من نذور من ناس مختلفين، و كأن هذه القناديل كانت إذا كثرت رفعوا بعضها و وضعوه بالحاصل الذى فى وسط المسجد، فاجتمع فيه شىء كثير فاتفق على ما ذكره الحافظ ابن حجر فى سنة إحدى عشرة و ثمانمائة أن فوض السلطان الناصر فرج لحسن بن عجلان سلطنة الحجاز، فاتفق موت ثابت بن نغير، و قرر حسن مكانه أخاه عجلان ابن نغير المنصورى، فثار عليهم جماز بن هبة بن جماز الجمازى الذى كان أمير المدينة، و أرسل إلى الخدام بالمدينة يستدعيهم، فامتنعوا من الحضور إليه، فدخل المسجد الشريف، و أخذ ستارتى باب الحجرة، و طلب من الخدام تسعة آلاف درهم على أن لا يتعرض لحاصل الحرم، فامتنعوا، فضرب شيخهم، و كسر قفل الحاصل، هكذا رأيته فى «أنباء الغمر» للحافظ ابن حجر.

و الذى رأيته فى محضر عليه خطوط غالب أعيان المدينة الشريفة ما حاصله: أن جماز بن هبة المذكور كان أمير المدينة، فبرزت المراسيم الشريفة بتولية ثابت بن نغير إمرة المدينة و أن يكون النظر فى جميع الحجاز لحسن بن عجلان، و لم يصل الخبر بذلك إلا بعد وفاة ثابت بن نغير، فأظهر جماز بن هبة الخلاف و العصيان و جمع جموعا من المفسدين و أباح نهب بعض بيوت المدينة، ثم حضر مع جماعة إلى المسجد الشريف، و أهان من حضر معه من القضاة و المشايخ و شيخ الخدام باليد و اللسان، و شهر سيفه عليهم، و كسر باب القبة حاصل الحرم الشريف، و أخذ جميع ما فيها من قناديل الذهب و الفضة التى تحمل على تعاقب السنين من سائر الآفاق تقربا إلى اللّه و رسوله و أشياء نفيسة و ختمات شريفة و زيت المصابيح و شموع التراويح و أكفان و دراهم يوارى بها البطحاء، و قطع مكاتيب الأوقاف و غسلها، و قصد الحجرة الشريفة، و أحضر السلم لإنزال كسوة الضريح الشريف و القناديل المعلقة حوله، فلم يقدّر له ذلك و منعه اللّه منه، و أخذ ستر أبواب الحجرة الشريفة من خزانة الخدام، و تعطل فى ذلك اليوم و ليلته و الذى يليها المسجد الشريف من الأذان و الإقامة و الجماعة، و أخذ جماعته و أقاربه فى نهب بيوت الناس و مصادرتهم، و أخذ جمال السوانى، و

ارتحل هاربا عقب ذلك، و لما اتصل بحسن بن عجلان ما فوض إليه من أمر الحجاز استدعى بعجلان بن نغير و أقامه فى إمرة المدينة، و عرفه ما برزت به المراسيم أولا فى ولاية أخيه، انتهى.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۴۲

و ذكر الحافظ ابن حجر أنه أخذ من الحاصل المذكور إحدى عشر خوشخانا و صندوقين كبيرين و صندوقا صغيرا بما فى ذلك من المال و خمسة آلاف شقة من البطاين، و صادر بعض الخدام، و نزح عنها؛ فدخل عجلان بن نغير و معه آل منصور فنودى بالأمان، ثم قدم عقبه أحمد بن حسن بن عجلان و معه عسكر، يعنى من مكة.

قلت: و رأيت بخط شيخنا العلامة ناصر الدين المراغى قائمة ذكر أنه نقلها من خط قاضى طيبة الزين عبد الرحمن بن صالح صورتها: الذى كان فى القبة، و أخذه جماز بن هبة، هو من القناديل الفضة ثلاثة و عشرون قنطارا و ثلث قنطار، غير الذى فى الرفوف، و الصندوقين الذهب، ثم ذكر تفصيل ذلك فى ثمان عشرة وزنة، ثم كتب ما صورته:

خوشخانة مختومة لم تفتح، و الظاهر أنها ذهب، وزنة القناديل التى فى الرفوف أربع قناطير إلا ثلث، و تسع قناديل ذهب بالعدد فى صندوق، و صندوق صغير مقفول، انتهى.

و بلغنا أنه دفن غالب ذلك، ثم أخذه اللّه أخذا وبيلا فقتل هو و من اطلع معه على دفن ذلك، فلم يعلم مكانه إلى اليوم.

و قد ذكر الحافظ ابن حجر قتله فى سنة اثنتى عشرة و ثمانمائة فقال: و فيها قتل جماز بن هبة ابن جماز بن منصور الحسينى أمير المدينة، و قد كان أخذ حاصل المدينة و نزح عنها، فلم يمهل و قتل فى حرب جرت بينه و بين أعدائه، انتهى.

قلت: إنما بيتته بعض عرب مطير فاغتاله و هو نائم.

و رأيت فى القائمة المتقدم ذكرها التى نقلها شيخنا المتقدم ذكره ما صورته: وزن ما فى الحجرة من قناديل الذهب تسع قناطير، و ورد بعد ذلك من أم السلطان قنديل زنته ألف مثقال، و ورد من أخت السلطان قنديل زنته ألف و خمسمائة، و أربع قناديل كبار فى الواحد منهم أربعة صغار، و فى الثانى اثنان صغار، و فى الثالث عدة قناديل معفوسة، و فى الرابع قنديل، زنة الجميع ثلاثة آلاف و سبعمائة و عشرون مثقالا، و على يد الطواشى صندل قنديلين صغار، و معلق بعد ذلك عدة قناديل لم تكتب، انتهى.

و الظاهر أنه سقط بعد قوله «من قناديل الذهب» لفظ «و الفضة» و فى هذه القائمة أيضا أن بالقبة- يعنى قصة جماز المتقدمة- من قناديل الفضة مائة رطل و سبعة عشر رطلا وضعها بيسق بيده، انتهى.

ثم إن الأمير غرير بن هيازع بن هبة الحسينى الجمازى أخذ جانبا من الحاصل المذكور فى سنة أربع و عشرين و ثمانمائة، زاعما أنه على سبيل القرض، و امتحن بعض قضاة المدينة لسبب ذلك، ثم حمل غرير المذكور إلى القاهرة محتفظا به، و مات بها مسجونا.

و لم تزل هذه القناديل فى زيادة حتى عدا عليها فى ليلة السابع و العشرين من ذى الحجة

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۴۳

سنة ستين و ثمانمائة برغوث بن بتير بن جريس الحسينى؛ فدخل الدار المعروفة بدار الشباك بجانب باب الرحمة ليلا، و لم يكن بها ساكن، و تسوّر جدار المسجد، و دخل بين سقفى المسجد الشريف من شباك هناك، و مشى حتى بلغ ما يحاذى سقف الحجرة الشريفة، فأخذ من تلك القناديل شيئا كثيرا، و كأنه تردد لذلك المرة بعد الأخرى، و لم يشعر أهل المسجد و نظاره بشىء من ذلك، غير أن أمة لبعض جيران الدار المذكورة رأت من سطح دارهم شخصين فى أعلى دار الشباك يتعاطيان شيئا له حجم كبير و صوت صليل، فلما أصبحت أخبرت بواب المسجد فلم يعبأ بذلك لخلو تلك الدار، و بعد ذلك الأمر عن الأفكار، و لكن اللّه أراد هتك المذكور و حلول النقمة به، فأنهى بعض الناس إلى أمير المدينة أن المذكور معه شىء كثير من المال غير معهود، فأمسكه الأمير و ضيّق عليه بالسجن، فانخلس ليلا، ثم شاع بالمدينة بيع شبابيك من الفضة و الذهب، فكثر القال و القيل، ثم فى شهر ربيع الأول من سنة إحدى و ستين استفاض أن برغوثا بالينبع و معه قطع من ذهب القناديل، فافتقد النظار الحجرة الشريفة، فرأوا أكثر القناديل مأخوذا،

فعلموا الحال، لكن لم يعلموا الكيفية، و اتهمت ابنة السراج النفطى بممالأة برغوث على ذلك و أنه إنما تسور من بيت أبيها لكونه متصلا بالمسجد فى قبلته، و أظهر اللّه براءتها بعد ذلك، و كان بالمدينة إذ ذاك زين الدين استدار الصحبة فعقد مجلسا لذلك، و اجتمع أعيان أهل المدينة، و كتبوا إلى أمير الينبع بالقبض على برغوث و إرساله، فقبض عليه، فاعترف أنه فعل ذلك هو و دبوس بن سعد الحسينى الطفيلى، و جعل أن دخوله من بيت المرأة المتقدم ذكرها، و أن بعض الخدام اطأه على ذلك، ثم أظهر اللّه الحق، و أن دخوله إنما كان من دار الشباك، و أن شريكه المعين له على ذلك دبوس المذكور، و لم ير أمير ينبع إرساله إلى المدينة، بل تركه عنده منتظرا الأوامر السلطانية، ثم إن أمير المدينة أمسك دبوسا و بعض أقاربه، فأنكر هو، و أقر عليه بعض جماعته و أحضروا جانبا من الذهب و الفضة، ثم هرب برغوث من الحبس بالينبع، ثم ساقه اللّه إلى المدينة، فلما وصل دلّ عليه أميرها، فأمسكه و حبسه مع دبوس و ذويه، فهربوا، ثم أظفر اللّه بهم، و لم يغب منهم إلا- دبوس، و برزت المراسيم بقتل من تجرأ على هذه العظيمة، فقتل أمير المدينة برغوثا و آخر معه من أقاربه يسمى ركابا، و صلبهما، ثم ظفر بدبوس و قتله أيضا.

و أخبرت عن برغوث أنه قال: كنت كلما توجهت فى حال هربى لغير جهة المدينة كأنى أجد من يصدنى عن ذلك، و إذا قصدت جهة المدينة تيسرت لى و كأن شخصا يقودنى إليها حتى دخلتها.

و أما عدة القناديل الموجودة فى زماننا هذا بالحجرة الشريفة فقد ضبطت فى أول سنة

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۴۴

إحدى و ثمانين و ثمانمائة بأمر السلطان الأشرف لشيخ الحرم الأمير انيال و القضاى الزكوى؛ فكان عدة معاليق الذهب ثمانية عشر قنديلا و بعض قنديل، و أربع مشنات، و مغرافان، و سواران، و زنة ذلك سبعة آلاف قفلة و ستمائة و خمسة و ثلاثون، من ذلك قنديل كبير فى جهة الوجه الشريف زنته أربعة آلاف و ستمائة قفلة، أهداه سلطان الكلرجه شهاب الدين أحمد، و عدة معاليق الفظة ثلاثمائة قنديل و أربعة و أربعون قنديلا، و ثرية كبيرة، زنة ذلك ستة و أربعون ألف و أربعمائة و خمسة و ثلاثون قفلة، و كانت ضبطت قبل ذلك فى سنة اثنتين و ستين و ثمانمائة على يد الأمير بردبك التاجى فتحرر من النظر بين المقدارين أن الزائد على ما ضبط فى التاريخ المتقدم من الذهب ألف قفلة و مائة و خمسة و خمسون، و من الفضة ثلاثة عشر ألف قفلة و سبعمائة و خمسة و ثمانون قفلة، فذلك القدر هو الوارد من عام ثلاث و ستين إلى آخر عام تسع و سبعين، و هناك من المعاليق أيضا غير ما تقدم قنديل من بلور بتابوت من فضة، و قناديل نحاس أربعة، و فولاذ واحد مكفّت بالذهب مشبك مكتوب عليه أن الناصر محمد بن قلاوون علقه من يده إلى عام حجه، ثم ورد فى سنة ثمانين فى مشيخة الشيخ انيال و لم يدخل فى الجملة المتقدمة قنديلان من الذهب زنتهما مائة و خمسة و عشرون قفلة، و من الفضة اثنان و ثلاثون قنديلا زنتها ألف و مائتان و خمسة و سبعون قفلة، و فى سنة إحدى و ثمانين قنديل ذهب زنته مائة و اثنان و أربعون قفلة، و أربعة و عشرون قنديلا من الفضة زنتها تسعمائة و خمسون قفلة، و فى سنة اثنين و ثمانين من الفضة أحد و ثلاثون قنديلا زنتها ألف و خمسمائة و خمسون قفلة، و لم يرد شىء من الذهب، و فى سنة ثلاث و ثمانين من الذهب قنديل واحد زنته عشرون قفلة، و من الفضة خمسة و عشرون قنديلا زنتها ألف و مائة و خمسة و ثلاثون قفلة، و فى سنة أربع و ثمانين من الفضة تسعة عشر قنديلا زنتها سبعمائة و خمسة و أربعون قفلة، و لم يرد شىء من الذهب؛ فجملة ما ورد فى ولاية الأمير انيال فى المدة المذكورة من الذهب أربعة قناديل جملة زنتها مائتان و سبعة و ثمانون قفلة، و من الفضة مائة قنديل و تسعة و عشرون قنديلا جملة زنتها خمسة آلاف و ستمائة و خمسة و خمسون قفلة، و لما شرعوا فى عمارة الحجرة الشريفة الآتى ذكرها فى سنة إحدى و ثمانين و ثمانمائة رفعوا جمع المعاليق التى كانت حولها، و وضعت بالقبة التى بصحن المسجد بأمر متولى العمارة الجناب الشمسى، و لم يزل بها إلى تاريخه، و لم يكن اليوم حول الحجرة الشريفة من المعاليق إلا ما تجدد فى آخر سنة إحدى و ثمانين إلى آخر سنة أربع و ثمانين، ثم حسّن متولى العمارة للسلطان صرف ذلك فى مصالح المسجد و المدينة الشريفة، فحمل بعضه من الحاصل المذكور إلى مصر قبيل الحريق الثانى، ثم وجدوا ما سقط لسبب الحريق من القناديل التى كانت معلقة بحالها، ثم صرف

متولى العمارة بعض ذلك فى تذهيب السقف المعادة بعد الحريق، ثم

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۴۵

وضع بهذه القبة ما تجمد من مصاريف حب السماط المجدد، فاجتمع بها نحو ثلاثة عشر ألف دينار، فاتفق أن أمير المدينة حسن بن زبيرى المنصورى حضر بجماعة مع الاستعداد بالأسلحة و السيوف المسلولة؛ فدخل المسجد الشريف على تلك الحالة وقت الظهر من سادس ربيع الأول عام أحد و تسعمائة، و أمر خازندار الحرم الشريف بإحضار مفاتيح الحاصل المذكور، فامتنع من ذلك، فضربه ضربا مبرحا، ثم عمد إلى باب الحاصل المذكور و أحضر فأسا و كسره و أخذ جميع ما فيه من النقد و القناديل و السبائك، فحمل منه ثلاثة أحمال على فرسين و بغل و غرائر تسع على ظهور الحمالين، ثم ذهب إلى حصنه و أحضر الصياغ و سبك تلك القناديل، و ذكر أنه صنع ذلك رغبة عن إمرة المدينة؛ لأن ولايته كانت بطريق النيابة عن السيد الشريف محمد بن بركات لتفويض السلطان الأشرف إليه أمر الحجاز و أن المشار إليه صار يأخذ حصته مما يحمل له من الإقطاع و من الصدقات، و عطل عليه أهل مصر بعض إقطاعه، فحمله ذلك على ما سبق.

حكم معاليق المسجد النبوى

أما حكم هذه المعاليق و نحوها من تحلية الصندوق المتقدم ذكره و القائم الذى بأعلاه فحكم معاليق الكعبة الشريفة و تحليتها، و قد تكلم السبكى فى حكم قناديل الكعبة و حليتها و القناديل التى حول الحجرة الشريفة، و ألّف فى ذلك كتابا سماه «تنزل السكينة، على قناديل المدينة» فأورد حديث البخارى و غيره فى كنز الكعبة و ما تضمنه من إقرار النبى صلّى اللّه عليه و سلّم له بمحله، ثم أبى بكر بعده، و رجوع عمر رضى اللّه عنه لذلك لما ذكره به ابن شبة، و قال:

هما المرآن يقتدى بهما، قال: فهذا الحديث عمدة فى مال الكعبة، و هو ما يهدى إليها أو ما ينذر لها و ما يوجد فيها من الأموال.

قال ابن بطال: أراد عمر إنفاقه فى منافع المسلمين، ثم لما ذكر أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم لم يتعرض له أمسك، و إنما ترك ذلك و اللّه أعلم لأن ما جعل فى الكعبة و سبّل لها يجرى مجرى الأوقاف؛ فلا يجوز تغييره عن وجهه، و فى ذلك تعظيم للإسلام و ترهيب للعدو.

قلت: قد تعقب ذلك الحافظ ابن حجر باحتمال أن يكون النبى صلّى اللّه عليه و سلّم إنما تركه رعاية لقلوب قريش، كما ترك بناء الكعبة على قواعد إبراهيم، و يؤيده ما وقع عند مسلم فى بعض طرق حديث عائشة رضى اللّه عنه و لفظه «لو لا أن قومك حديثو عهد بكفر لأنفقت كنز الكعبة فى سبيل الله، و لجعلت بابها بالأرض» الحديث، فهذا التعليل هو المعتمد.

قلت: لكن قد يقال: حيث تركه النبى صلّى اللّه عليه و سلّم لهذه العلة ثم تركه أبو بكر ثم عمر بعد الهم به و رجوعه عن ذلك ثم من بعده فهو إجماع على تركه؛ فلا نتعرض له؛ لما يترتب عليه من الشناعة و اللّه أعلم.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۴۶

قال السبكى: و لا يغلط فى أن ذلك يصرف إلى فقراء الحرم، فإنما يكون ذلك إذا كان الإهداء إلى الحرم أو إلى مكة، أما إذا كان للكعبة نفسها فلا يصرف إلا إليها، كأن تعرض لها عمارة فحينئذ ينظر: فإن كانت تلك الأموال قد أرصدت لذلك صرفت فيه، و إلا فيختص بها الوجه الذى أرصد له، فالمرصد للبخور مثلا لا يصرف للسترة.

قال: و أما القناديل التى فيها و الصفائح التى عليها فلا يصرف منها شىء، بل تبقى على حالها، و قول عمر «لقد هممت ألّا أدع فيها صفرا و لا بيضا» محتمل للنوعين، و لم ينقل إلينا صفتها التى كانت ذلك الوقت، و من قال أول من ذهّب البيت فى الإسلام الوليد لا ينفى أن يكون البيت ذهّب فى الجاهلية و بقى إلى عهد عمر.

قلت: قد نقل التقى الفاسى عن خط الحافظ رشيد الدين بن المنذرى فى اختصاره لتاريخ المسبحى ما لفظه: و فيها- أى سنة خمس و

ستين- استتم ابن الزبير بناء الكعبة، و يقال: إنه بناها بالرصاص المذوب المخلوط بالورس، و جعل على الكعبة و أساطينها صفائح الذهب و مفاتحها ذهبا، اه. فإن صح فهو أولى ما يحتج به.

ثم نقل السبكى عن الرافعى أنه قال: لا يجوز تحلية الكعبة بالذهب و الفضة و تعليق قناديلها. ثم نقل أن فى تحلية الكعبة و المساجد بالذهب و الفضة و تعليق قناديلها وجهين مرويين فى الحاوى و غيره: أحدهما: الجواز، تعظيما كما فى المصحف، و كما يجوز ستر الكعبة بالديباج، و أظهرهما المنع؛ إذ لم ينقل ذلك عن فعل السلف، ثم استشكل كلام الرافعى فقال: و أما التسوية بين الكعبة و المساجد فلا ينبغى؛ لأن للكعبة من التعظيم ما ليس للمساجد، بدليل جواز سترها بالحرير إجماعا، و فى ستر المساجد به خلاف، فحكاية الخلاف فيها مشكل، و ترجيح المنع أشكل، و كيف و قد فعل ذلك فى صدر هذه الأمة، و قد تولى عمر بن عبد العزيز عمارة مسجد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم عن الوليد و ذهّب سقفه بأمره من غير مراجعة، بل لما ولى الخلافة بعد ذلك أراد أن يزيل ما فى جامع بنى أمية من الذهب فقيل له: إنه لا يتحصل منه شىء يقوم بأجرة حكّه، فتركه. و الصفائح التى على الكعبة يتحصّل منها شىء كثير، فلو كان فعلها حراما لأزالها فى خلافته، فلما تركها و معه جميع من يحج كل عام وجب القطع بجوازها، و هذا فى تحلية الكعبة بالصفائح، و لا منع من جريان الخلاف فى التمويه لإزالة المالية، و لا من إجراء الخلاف فى سائر المساجد تمويها و تحلية، على أن القاضى حسين جزم بحل تحلية المسجد بالقناديل من الذهب و نحوها، و أن حكمها حكم الحلى المباح، و هذا أرجح مما قال الرافعى؛ لأنه ليس على تحريمهما دليل، و الحرام من الذهب إنما هو استعمال الذكور له، و الأكل و الشرب و نحوهما، و ليس فى تحلية المسجد بالقناديل و نحوها شىء من ذلك، لكن لا أقول إنه ينتهى إلى حد القربة فى سائر المساجد،

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۴۷

و تعليل الرافعى لما قاله بأن ذلك لم ينقل عن فعل السلف عجيب؛ إذ لا يقتضى ذلك التحريم، و من حرّم اتخاذ الآنية و هو الأصح فإنما حرمه لأن النفس تدعو إلى الاستعمال المحرّم، و ذلك إذا كانت له، و أما إذا جعلها للمسجد فلا تدعو النفس لذلك، فكيف يحرم و هى لا تسمى أوانى؟

قال: و رأيت الحنابلة قالوا بتحريمها للمسجد، و جعلوها من الأوانى أو مقيسة عليها، و ليس بصحيح، و من يقول بجواز التحلية و القناديل فى سائر المساجد فلا شك أنه يقول بها فى المساجد الثلاثة بطريق الأولى، و من منع فلم يصرح فى المساجد الثلاثة بشىء، لكن عموم كلامهم يشملها، و ينبغى ترتيب الخلاف: ففى المساجد غير الثلاثة وجهان أصحهما الجواز، و مسجد بيت المقدس أولى بالجواز، و المسجدان مسجد مكة و مسجد المدينة أولى منه، ثم المسجدان على الخلاف فى تفضيلهما، و قد يقال إن مسجد المدينة أولى لمجاورة النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و قصد تعظيمه بما فى مسجده من ذلك، هذا كله بحث، و المنقول ما تقدم.

و هذا فى الاتخاذ من غير وقف، فإن وقف المتخذ من ذلك فقد قطع القاضى حسين و الرافعى بأنه لا زكاة فيه، و قد رجح الرافعى فيها التحريم، فكيف يرجح ذلك؟ إذ مقتضاه صحة وقفها، فلعل مراد الرافعى إذا وقفت على قصد صحيح و إذا فرعنا على صحة وقفها.

قال: و هذا حكم المساجد فى ذلك، و أما الحجرة الشريفة فتعليق القناديل فيها أمر معتاد من زمان، و لا شك أنها أولى بذلك من غيرها، و الذين ذكروا الخلاف فى المساجد لم يذكروها، و كم من عالم و صالح قد أتى للزيارة و لم يحصل من أحد إنكار لذلك.

فهذا وحده كاف فى جواز ذلك مع ما تقدم، و استقراء الأدلة فلم يوجد فيها ما يدل على المنع. قال: فنحن نقطع بالجواز، و الحجرة الشريفة هى بيت عائشة و ما حوله، و أشار إلى بيان أن ما حوله إما منه أو من بقية الحجر المدخلة فى المسجد.

قال: و المدفن الشريف بالحجرة له شرف على جميع المساجد و على الكعبة؛ فلا يلزم من المنع فى المساجد و الكعبة المنع هنا.

قال: و لم نر أحدا قال بالمنع هنا، فما وقف من ذلك إكراما لذلك المكان صح وقفه، و إن اقتصر على إهدائه صح أيضا كالمهدى للكعبة، و كذلك المنذور له، و قد يزاد هنا فيقال:

إنه مستحق للنبى صلّى اللّه عليه و سلّم و النبى صلّى اللّه عليه و سلّم حى، و إنما يحكم بانقطاع ملكه بموته عما كان فى ملكه و جعله صدقة بعده.

و أما هذا النوع فلا يمتنع ملكه له، و هو الذى فى أذهان كثير من الناس حيث يقولون: هذا للنبى صلّى اللّه عليه و سلّم.

ثم أورد ما رواه يحيى بن الحسين بسنده من الخبر الآتى فى إجمار المسجد عن عبد اللّه بن

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۴۸

محمد بن عمار عن أبيه عن جده قال: أتى عمر بن الخطاب بمجمرة من فضة فيها تماثيل، فدفعها إلى سعد أحد المؤذنين، و قال: أجمر بها فى الجمعة و فى شهر رمضان، فكان سعد يجمر بها بين يدى عمر بن الخطاب، الخبر الآتى.

ثم قال: عبد الله بن محمد بن عمار بن سعد القرظ ضعفه ابن معين، و كذا الراوى عنه، و محمد بن عمار حسن له الترمذى، فلو سلم ممن دونه كان جيدا، و مقتضى اشتراط الفقهاء الاحتواء فى المجمرة عدم تحريم هذا الصنيع، لكن العرف دال على عد ذلك استعمالا، فإما أن يكون الحديث ضعيفا، و إما أن يكون احتمل ذلك لأجل المسجد تعظيما له، فتكون القناديل بطريق الأولى؛ إذ لا استعمال فيها.

قال: و لا يجوز صرف شىء من قناديل الحجرة فى عمارتها، و لا فى عمارة المسجد؛ لأنها إنما أعدت للبقاء، و ليس قصد بها جهات إلا ذلك، سواء وقفها أو اقتصر على إهدائها.

قال: و قد سئلت عن جواز بيعها لعمارة المسجد النبوى، فأنكرته و استقبحته، و كيف يبلغ ملوك الأرض أنا بعنا قناديل نبينا لعمارة حرمه و نحن نفديه بأنفسنا فضلا عن أموالنا؟

و ما برحت الملوك يفتخرون بعمارته.

قلت: و قد تعقبه جماعة، و المحل قابل للمناقشة، و ليس ذلك من غرضنا، غير أنا نقول: ستر الكعبة بالديباج قام عليه الإجماع، و أما التحلية بما ذكر فلم يثبت عن من يحتج بفعله، و ترك عمر بن عبد العزيز يحتمل أعذارا ليس هذا محل بيانها.

و قد نقل الشيخ الموفق الإجماع على تحريم استعمال أوانى الذهب، و القناديل من الأوانى بلا شك، و استعمال كل شىء بحسبه؛ فاستعمال ما ذكر بتعليقه للزينة، و قد سلم تحريم اتخاذ الأبنية منها أيضا.

و قد ذكر الجمال الكازرونى المدنى أشياء أيّد بها كلام السبكى: منها أن اللّه تعالى قال:

فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ [النور: ۳۶] قال: و هى بيوت النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، قاله مجاهد، و معنى ترفع تعظم و يرفع شأنها و تزين، و تزيينها تعليق قناديل الذهب فيها، و تطهر من الأنجاس و الأقذار و تطيب.

قلت: قوله «و من تعظيمها تعليق ذلك فيها» هو محل النزاع؛ لأن من حرم ذلك لا يسلمه، و اللّه أعلم.

و منها: أنه روى عن عثمان تعليق قناديل الذهب بالمسجد النبوى.

قلت: و لعله من اختلاف أعدائه عليه، و لم أره مسطورا فى تأليف، و لو كان له أصل لذكره مؤرخو المدينة.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۴۹

و منها: أن عمر بن عبد العزيز فعله فى بنيانه للوليد و لم ينكر عليه.

قلت: و لم أره فى تأليف أيضا.

و منها: أنه روى أن سليمان بن داود عليه السلام بنى مسجد بيت المقدس، و بالغ فى زينته و تعليق القناديل فيه، و شرع من قبلنا شرع لنا ما لم يرد ناسخ.

قلت: لم ينقل تعليق داود عليه السلام لقناديل الذهب به، و لو صح ذلك فالناسخ فى شرعنا تحريم الآنية، و هذا آنية، و ما تقدم عن السبكى فى كونه ليس بانية ممنوع.

و منها: ما رواه الثعلبى فى حديث إتيان المساجد يوم القيامة، و فيه «و أئمتها يسوقونها، و عمارها و مزينوها و محلوها متعلقون بها» الحديث.

قلت: أخذ ذلك من رواية القرطبى عن الثعلبى، كما رأيته فى بعض النسخ، و قد راجعت القرطبى أيضا فى ذلك فرأيته روى الحديث المذكور من طريق الثعلبى، و ليس فيه «و مزينوها و محلوها» بل لفظه «و عمارها متعلقون بها».

و منها: ما رواه سعيد بن ربان- بالموحدة المشددة- قال: حدثنى أبى عن أبيه عن جده عن أبى هند قال: حمل تميم يعنى الدارى من الشام إلى المدينة قناديل و زيتا و مقطا و قنديلا أو قنديلين من الذهب، فلما انتهى إلى المدينة وافق ذلك ليلة الجمعة، فأمر غلاما يقال له أبو البراد، فقام فبسط المقط و علق القناديل، و صب فيها الماء و الزيت، و جعل فيها الفتل، فلما غربت الشمس أمر البراد فأسرجها، و خرج رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم إلى المسجد، فإذا هو بها تزهر، فقال: من فعل هذا؟ قالوا: تميم الدارى يا رسول الله، فقال: نورت الإسلام، و حليت مسجده، نور اللّه عليك فى الدنيا و الآخرة!- الحديث.

قلت: قد أخذ ذلك من تفسير القرطبى، كما رأيته فى بعض النسخ، و فى بعضها إسقاط عروة للقرطبى، و قد راجعت تفسير القرطبى فرأيته أورد الحديث المذكور بحروفه، و ليس فيه قوله «و قنديلا أو قنديلين من الذهب» و لا قوله «و حليت مسجده».

و منها: ما روى أن عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه لما دخل الشام تلقاه معاوية بعساكر و جنود كثيرة و خيول مسومة و أسلحة مخوصة بالذهب و الفضة و لبوس الحرير و الديباج و زينة حسنة كزينة فارس و الروم، فقال عمر: ما هذا يا معاوية؟ و ما هذه الزينة و الفخار؟ لقد أتيت أمرا إمرا و ارتقيت مرتقى صعبا، فقال: يا أمير المؤمنين هذا غيظ كفارنا، و مقهرة لأعدائنا، و إن فرائصهم لترتعد، و إن قوائمهم لتخور من ذلك، و إنا لنجد بذلك المظهر عليهم و الذلة و الصغار فيهم، و أشربوا فى قلوبهم الرعب حين يرون مساجدنا محلاة بالذهب و سقوفها منقطة بقناديل الذهب- الخبر، و فيه أن عمر سكت عنه.

قلت: الخبر ذكره المؤرخون، و مثله لا تقوم الحجة به، و لم أر فيه الزيادة المتعلقة بتحلية

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۵۰

المساجد، و قد رأيت فى بعض النسخ نسبة ذلك للذهبى فى تاريخ الإسلام، و أسقط العزو فى نسخة أخرى، فليراجع ذلك من تاريخ الإسلام، فإن لم يكن فيه هذه الزيادة فالذى يظهر لى أن بعض المتعصبين ألحق هذه الأشياء فى الروايات المتقدمة ليتم بها الاستدلال، فإن المسألة وقع فيها تعصبات، و كأن الجمال الكازرونى إنما أراد إفادة أصل وضع القناديل، و ذكر ما يشعر بهذا الأمر، فلما رأى ذلك المتعصب أن الاستدلال لا يتم إلا بذلك ألحقه، و لم يشعر أنه لو كان ذلك موجودا لم يكن فيه حجة لعدم اتصال السند الصحيح فى ذلك.

و من تأمل سيرة النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و أحواله لم يخف عليه أن كل ذلك لم يكن يعجبه فى حياته، هذا الذى أعتقده، و اللّه أعلم.

الفصل السادس و العشرون فى الحريق الأول القديم المستولى على تلك الزخارف المحدثة بالحجرة الشريفة و المسجد و سقفهما، و ما أعيد من ذلك، و ما تجدد من توسعة المسقف القبلى بزيادة الرواقين فيه، و غير ذلك

سبب الحريق و تاريخه

قال المؤرخون: احترق المسجد النبوى ليلة الجمعة أول شهر رمضان من سنة أربع و خمسين و ستمائة فى أول الليل، و نقل أبو شامة أن ابتداء حرقه كان من زاويته الغربية من الشمال، و سبب ذلك- كما ذكره أكثرهم- أن أبا بكر بن أوحد الفراش أحد القوّام بالمسجد الشريف دخل إلى حاصل المسجد هناك و معه نار، فغافل عنها إلى أن علقت فى بعض الآلات التى كانت فى الحاصل، و

أعجزه طفيها، ثم احترق الفراش المذكور و الحاصل و جميع ما فيه.

و قد صنف القطب القسطلانى فى ذلك و فى النار المتقدم ذكرها فى الفصل الثالث من الباب الثانى و هى نار الحجاز التى ظهرت بالمدينة الشريفة فى ذلك العام كتابا سماه «عروة التوثيق، فى النار و الحريق» ذكر فيه بدائع من حكم اللّه تعالى فى حدوث ذلك، و قد كان القطب بمكة حين وقع ذلك، و قد نبه فيه على ما يوافق ما قدمناه عن المؤرخين.

فقال: كتب إلى الصادق فى الخبر، و شافهنى من شاهد الأثر، أن السبب فى حريق المسجد الشريف دخول أحد قومة المسجد فى المخزن الذى فى الجانب الغربى من آخر باب المسجد لاستخراج قناديل لمنائر المسجد، فاستخرج منها ما احتاج إليه، ثم ترك الضوء الذى كان فى يده على قفص من أقفاص القناديل و فيه مشاق، فاشتعل فيه، و بادر لأن يطفأه فغلبه و علق بحصر و بسط و أقفاص و قصب كان فى المخزن، ثم تزايد الالتهاب و تضاعف إلى أن علا إلى سقف المسجد، انتهى.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۵۱

و فى العبر للذهبى أن حرقه كان من مسرجة القوّام.

قال المؤرخون: ثم دبت النار فى السقف بسرعة آخذة قبله، و أعجلت الناس عن إطفائها بعد أن نزل أمير المدينة فاجتمع معه غالب أهل المدينة فلم يقدروا على قطعها، و ما كان إلا أقل من القليل حتى استولى الحريق على جميع سقف المسجد الشريف و احترق جميعه حتى لم تبق خشبة واحدة.

قلت: لعل مرادهم لم تبق خشبة كاملة؛ لما قدمناه من مشاهدة بقايا خشب كثير عند إخراج الهدم الذى كان بالحجرة.

قال القطب القسطلانى: و تلف جميع ما احتوى عليه المسجد الشريف من المنبر النبوى و الأبواب و الخزائن و الشبابيك و المقصير و الصناديق و ما اشتملت عليه من كتب و كسوة الحجرة و كان عليها إحدى عشرة ستارة.

حكمة اللّه فى الحريق

ثم ذكر القطب حكما لذلك و أسرارا، لكون تلك الزخارف لم ترضه صلّى اللّه عليه و سلّم، و ككون القلوب لما لاحظت المساجد الثاثة بعين التعظيم و لا يجوز فى ذلك أن تنزل فوق قدرها، بل لا بد أن يعتقد أن صفة قهره تعالى و عظمته مستولية على الجميع؛ فهو الواحد القهار، فوقع الحريق فى الكعبة و بيت المقدس قديما، ثم وقع بهذا المسجد فى هذا الزمان عقب ظهور المعجزة العظيمة فى ظهور نار الحجاز التى أخبر بها النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و حماية جيرانه منها لما التجئوا إليه و انطفائها عند الوصول إلى حرمه كما سبق، و ربما خطر ببال العوام أن حبس النار عنهم ببركة الجوار موجب لحبسها عنهم فى الآخرة، فاقتضى الحال التبيين بذلك.

و نظم الأقشهرى أبياتا مضمونها أن تسليط النار كان على تلك الزخارف المنهى عنها، و أن ما كان حقا فيبقى، و ما كان زورا فبالنار يحرق، قال: و أنشدنى الحافظ الصالح الشيخ إبراهيم بن محمد الكنانى رئيس المؤذنين هو و أبوه قال: وجد بعد الحريق فى بعض جدران المسجد بيتان و هما:

لم يحترق حرم النبىّ لريبة يخشى عليه و ما به من عار

لكنه أيدى الروافض لامست تلك الرسوم فطهّرت بالنار

قلت: و أوردهما المجد بلفظ:

لم يحترق حرم النبى لحادث يخشى عليه و لا دهاه العار

لكنما أيدى الروافض لامست ذاك الجناب فطهرته النار

و أورد بعدهما بيتين آخرين هما:

قل للروافض بالمدينة ما بكم لقيادكم للذم كل سفيه

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۵۲

ما أصبح الحرم الشريف محرّقا إلا لسبكم الصحابة فيه

قلت: و هذا لأن الاستيلاء على المسجد و المدينة كان فى ذلك الزمان للشيعة و كان القاضى و الخطيب منهم، حتى ذكر ابن فرحون أن أهل السنة لم يكن أحد منهم يتظاهر بقراءة كتب أهل السنة.

قال المؤرخون: و لم يسلم سوى القبة التى أحدثها الناصر لدين اللّه لحفظ ذخائر الحرم مثل المصحف الكريم العثمانى و عدة صناديق كبار متقدمة التاريخ صنعت- يعنى تلك الصناديق- بعد الثلاثمائة، و هى باقية إلى اليوم، يعنى فى زمانهم، و ذلك لكون القبة المذكورة بوسط صحن المسجد و ببركة المصحف الشريف العثمانى.

و كانت عمارة القبة المذكورة- على ما ذكره ابن فرحون- سنة ست و سبعين و خمسمائة.

قالوا: و بقيت سوارى المسجد قائمة كأنها جذوع النخل إذا هبت الرياح تتمايل، و ذاب الرصاص من بعض الأساطين فسقطت، و وقع السقف الذى كان على أعلى الحجرة على سقف بيت النبى صلّى اللّه عليه و سلّم فوقعا جميعا فى الحجرة الشريفة و على القبور المقدسة. و عبارة الذهبى و تبعه التقى السبكى: فوقع بعض سقف الحجرة، و كل ذلك قبل أن ينام الناس، و أصبحوا يوم الجمعة فعزلوا موضعا للصلاة، و كتب بذلك للخليفة المستعصم باللّه أبى أحمد عبد اللّه بن المستنصر باللّه فى شهر رمضان، فوصلت الآلات صحبة الصناع مع ركب العراق فى الموسم، و ابتدئ بالعمارة أول سنة خمس و خمسين و ستمائة.

الشروع فى العمارة بعد الحريق

قال المطرى: و لما شرعوا فى العمارة قصدوا إزالة ما وقع من السقوف على القبور الشريفة فلم يجسروا على ذلك، و اتفق رأى صاحب المدينة يومئذ- و هو الأمير منيف بن شيحة بن هاشم بن قاسم بن مهنى الحسينى- و رأى أكابر أهل الحرم الشريف من المجاورين و الخدام أن يطالع الإمام المستعصم بذلك ليفعل ما يصل به أمره، فأرسلوا بذلك، و انتظروا الجواب، فلم يصل إليهم جواب لاشتغال الخليفة و أهل دولته بإزعاج التتار لهم، و استيلائهم على أعمال بغداد فى تلك السنة، فتركوا الردم على ما كان عليه، و لم ينزل أحد هناك، و لم يتعرضوا له و لا حركوه.

و عبارة المجد الشيرازى: فتركوا الردم على ما كان عليه، و لم يجسر أحد على التعرض لهذه العظيمة التى دون مرامها تزل الأقدام، و لا يتأتى من كل أحد بادئ بدئه الدخول فيه و الإقدام.

قلت: و قد كنت فى تعجب عظيم من أهل ذلك الزمان فى تركهم لذلك، و ألفت كتابا سميته «الوفا، بما يجب لحضرة المصطفى» بينت فيه أن الواجب فى سلوك الأدب مع هذا

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۵۳

النبى العظيم و القيام بما وجب على الأمة من تعظيمه و تعظيم قبره الشريف هو إزالة ذلك عنه و قمّه من حجرته الشريفة، حتى اتفقت العمارة الآتى بيانها، و لم يكن تأليفى السابق سببا فى شىء من ذلك كما سيأتى بيانه، حتى إنى لم أطلع عليه متولى العمارة إلا بعد هدمه لشىء من جدار الحجرة، فلما نقبوا الجدار الظاهر شاهدت بين الجدارين فى الفضاء الذى خلف الحجرة أمرا مهولا من الهدم الذى خص ذلك الموضع، فإنه كما سيأتى كان فيه نحو القامة، فعلمت أن أهل ذلك الزمان لم يتركوه إلا لعلمهم بأن إزالته لا تتأتى إلا- بانتهاك الحرمة، فتوقفوا فى ذلك، فجزاهم اللّه تعالى خيرا، و ما كنت أعتقد إلا- أنه أمر خفيف يتأتى قمّه مع رعاية الأدب، فوجدته أمرا مهولا معظمه ردم سقف المسجد الأعلى و ما بين السقفين من البناء الذى على رءوس السوارى و غير ذلك، و لذلك استخرت اللّه تعالى فى عدم حضور ذلك عند إخراجه، و وقفت بين يدى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و سألت منه المدد فى أن يوفقنى اللّه تعالى لما يرضيه فى ذلك، فحفظنى اللّه من حضور ذلك.

و قال المطرى عقب قوله و لم يتعرضوا له و لا- حركوه: إنهم أعادوا سقفا فوقه على رءوس السوارى التى حول الحجرة الشريفة؛ فإن الحائط الذى بناه عمر بن عبد العزيز حول بيت النبى صلّى اللّه عليه و سلّم بين هذه السوارى التى حول بيت النبى صلّى اللّه عليه و سلّم لم يبلغ به السقف.

قلت: تبع المطرى على ذلك من جاء بعده، فتوافقوا على أنهم لم يجعلوا للحجرة بعد الحريق سقفا؛ لأن السقف الذى على رءوس السوارى هو سقف المسجد، فاقتضى ذلك أنهم جعلوا سقف المسجد سقف الحجرة، و ذكروا أنهم أداروا الشباك على رأس جدار عمر بن عبد العزيز حتى بلغوا به سقف المسجد؛ و أول شيء ابتدءوا به من سقف المسجد ما حاذى الحجرة الشريفة منه، و فيه مخالفة لما شاهدناه فى العمارة الآتى بيانها، فإنهم وجدوا عليها سقفا مربعا على جدارها الداخل، و يتصل بالخارج من المشرق و المغرب، و هو دوين رأس الجدار الخارج بنحو شبر، ثم تبين عند كشفه آثار السقف المنهدم و أن أخشابه كانت فى الجدار الداخل، و لم يعيدوا هذا السقف المجدد موضع الأول؛ لأنه لا- يتأتى إلا بهدم سترته و إصلاح أماكن لرؤوس الخشب، فتركوا ذلك تأدبا و احتراما، و وضعوا ذلك السقف على أعلى سترة الجدار، و بنوا فوقه سترة لطيفة، و جعلوا على ذلك السقف ستارة من المحابس اليمنية المبطنة بقماش أزرق مربوطة بمقط فى الشباك الذى بأعلى الحائز الظاهر، و ليس ذلك السقف مطينا، و هو سقف محكم من ألواح ثخينة جدا من الساج الهندى، و سمروا بعضها إلى بعض على قوائم من خشب، و جعلوه أربع قطع كل قطعة كالباب العظيم، و جعلوا عند ملتقى كل قطعتين من تلك القطع مقصاة من حديد، و كلّبوا بعضها إلى بعض تكليبا محكما، و جعلوا تحت ثلاث جزم من الساج الهندى تحمله، و أوصلوا أطراف تلك الألواح بالجدار

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۵۴

الظاهر كما تقدم، و لم يجعلوا فى تلك الألواح دهانا و لا نقوشا و لا كتابة، غير أن النجار الذى صنع السقف المذكور كتب اسمه على طرفه نقرا، و كذلك سقف المسجد المحاذى للحجرة الشريفة مما يلى هذا السقف جميعه من الساج النقى ليس عليه دهان و لا نقوش و فى وسطه طابق عليه قفل فوقه أنطاع و مشمع، و لم يزل موجودا إلى أن عملت القبة الثانية بعد الحريق الثانى، و جعلوا على جدار الحجرة الداخل من جهة الشام ألواحا من رأس الجدار إلى سقف المسجد.

و العجب أنهم عند رفع هذا السقف وجدوا جزمتين من الأخشاب التى تحته قد تأكلتا و لم يبق إلا جزمة واحدة، و مع ذلك كانت كافية فى حمله، فجزى اللّه تعالى أهل ذلك الزمان خيرا، و الظاهر أن ذلك فعل عند إعادة سقف المسجد الذى ذكره المطرى.

و لنرجع إلى ما ذكره عقب ما تقدم عنه، قال: و سقفوا فى هذه السنة- و هى سنة خمس و خمسين- الحجرة الشريفة و ما حولها إلى الحائط القبلى و إلى الحائط الشرقى إلى باب جبريل عليه السلام المعروف قديما بباب عثمان، و من جهة المغرب الروضة الشريفة جميعها إلى المنبر الشريف.

ثم دخلت سنة ست و خمسين و ستمائة فكان فى المحرم منها واقعة بغداد و استيلاء التتار عليها و قتلهم الخليفة المذكور مع أهلها.

قلت: و هى من أعظم الوقائع، و قد ذكرتها فى كتابى «الوفا» و أشرت إليها فى الفصل الثالث من الباب الثانى عند ذكر نار الحجاز، و ذكرت ما أفاده الذهبى من استيلاء الحريق على بغداد أيضا حتى تربة الخلفاء، و كانوا فى العام قبله قد أشرفوا على الغرق، فسبحان الملك العظيم.

قال المطرى عقب ما تقدم: فوصلت الآلات من مصر، و كان المتولى عليها حينئذ الملك المنصور نور الدين على بن الملك المعز عز الدين أيبك الصالحى، و وصل أيضا آلات و أخشاب من صاحب اليمن يومئذ و هو الملك المظفر شمس الدين يوسف بن منصور عمر ابن على بن رسول، فعملوا إلى باب السلام المعروف قديما بباب مروان، ثم عزل صاحب مصر المذكور- يعنى فى آخر سنة سبع و خمسين فى ذى القعدة منها- و تولى مكانه مملوك أبيه الملك المظفر سيف الدين قطز المعزى، و اسمه الحقيقى محمود بن ممدود، و أمه أخت السلطان جلال الدين خوارزم شاه، و أبوه ابن عمه أسر عند غلبة التتار، فبيع بدمشق، ثم انتقل بالبيع إلى مصر، و

تملك فى سنة ثمان و خمسين.

قلت: إنما ولى فى يوم السبت ثامن عشر ذى القعدة من سنة سبع، و فى شهر رمضان من سنة ثمان كانت وقعت عين جالوت التى أعز اللّه فيها الإسلام و أهله على يديه، و لم

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۵۵

يستكمل فى ملكه السنة بكمالها، بل قتل بعد الوقعة بشهر و هو داخل إلى مصر، فكان العمل بالمسجد الشريف تلك السنة من باب السلام إلى باب الرحمة المعروف قديما بباب عاتكة، و من باب جبريل إلى باب النساء المعروف قديما بباب ريطة ابنة أبى العباس السفاح، و تولى مصر آخر تلك السنة الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحى، و يعرف بالبندقدارى، فعمل فى أيامه باقى سقف المسجد الشريف من باب الرحمة إلى شمالى المسجد، ثم إلى باب النساء، و كمل سقف المسجد كما كان قبل الحريق سقفا فوق سقف.

قلت: و ذكر المؤرخون أن الظاهر ركن الدين المذكور لما ولى حصل منه الاهتمام بذلك؛ فجهز الأخشاب و الحديد و الرصاص، و من الصناع ثلاثة و خمسين صانعا و ما يمونهم، و أنفق عليهم قبل سفرهم، و أرسل معهم الأمير جمال الدين محسن الصالحى و غيره، ثم صار يمدهم بما يحتاجون إليه من الآلات و النفقات، ثم لم يزل المسجد على ذلك حتى جددوا السقف الشرقى و السقف الغربى- أى الذى عن يمين صحن المسجد و شماله- فى سنتى خمس و ست و سبعمائة فى أوائل دولة السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون الصالحى، فجعلا سقفا واحدا نسبة السقف الشمالى أى سقف الدكاك فإنه جعل فى عمارة الملك الظاهر كذلك.

ثم فى سنة تسع و عشرين و سبعمائة أمر السلطان الملك الناصر محمد المذكور بزيادة رواقين فى المسقف القبلى متصلين بمؤخره، فاتسع مسقفه بهما و عم نفعهما.

قلت: ثم حصل فيهما خلل فجددهما الملك الأشرف برسباى فى ذى القعدة سنة إحدى و ثلاثين و ثمانمائة على يد مقبل القديدى من مال جوالى قبرص، على ما أخبرنى به بعض مشايخ الحرم، و رأيته مكتوبا كذلك باللوح التى كانت بظاهر العقود من المسقف القبلى مما يلى رحبة المسجد، و هو سقف واحد فى موازاة سقف المسجد الأسفل، و لذلك صار سقف مقدم المسجد القديم مرتفعا من أعلاه على هذين الرواقين و غيرهما من بقية المسجد، و له باب يدخل إليه من بين السقفين شارع فى مبدأ الرواقين المذكورين مما يلى المشرق، و جدد الأشرف المذكور أيضا شيئا من السقف الشامى مما يلى المنارة السنجارية، ثم حصل خلل فى سقف الروضة الشريفة و غيرها من سقف المسجد فى دولة الظاهر جقمق فجدد ذلك فى سنة ثلاث و خمسين و ثمانمائة و ما قبلها على يد الأمير بردبك الناصر المعمار و غيره.

ثم فى دولة مولانا السلطان الملك الأشرف قايتباى أدام اللّه تعالى تأييده و نصره أنهى إليه احتياج سقوف المسجد الشريف للعمارة فبرز أمره الشريف بذلك كما ستأتى الإشارة إليه للجناب الخواجكى الشمسى شمس الدين بن الزمن أعزه اللّه بعز طاعته، فحضر لذلك فى أثناء سنة تسع و سبعين صحبة أمير جدة و رتب أمر العمارة و سافر صحبته أيضا، فهدموا

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۵۶

عقود المسجد التى تلى رحبته من جهة المشرق و سقف الرواق الذى كان عليها؛ لاقتضاء نظرهم ذلك، و نقضوا بعض أساطينه فوجد بعضها لا رصاص فيه، و بعضها فيه رصاص، ثم أعادوا ذلك فى سنتهم، و هدموا أيضا جانبا من سور المسجد الشريف مما يلى المشرق من جهة المنارة الشرقية المعروفة بالسنجارية من باب سلّمها، و هو الباب الثانى جوف بابها الظاهر، إلى ما يوازى حرف الدكاك من القبلة، و ذلك آخر المسقف الشامى، و مقدار ذلك سبعة و عشرون ذراعا بذراع اليد المتقدم وصفه، هدموا ذلك من أعلاه إلى أسفله، و بلغوا به دك الأس القديم، و ظهر فى أصل جدار المنارة المذكورة انشقاق و كانت تضطرب عند الهدم بحيث خشى سقوطها، فسكبوا فى ذلك الشق كثيرا من الجص المذاب حتى امتلأ، و كان ما هدموه من سور المسجد و عقوده مبنيا بالجص

السكب، فذكر مهندس العمارة أن الجدار إنما اختل لأن السباخ له تأثير فى إذابة الجص، و اقتضى رأيه أن يؤسسه بالطين و النورة المخلوطة بناعم الحصباء، ففعلوا ذلك فى الجدار المذكور كله و فى العقود المذكورة أيضا، و كحلوا أطراف وجوه الأحجار بالجص من داخل المسجد و خارجه، و رفعوا السقف الكائن أمام المنارة المذكورة إلى جنب ما هدموه من الجدار المذكور، و أعادوا ذلك من سنتهم أيضا. ثم اتفقت أمور اقتضت تأخير العمارة، فتعطلت فى سنة ثمانين. ثم ورد الخواجا الشمسى ابن الزمن إلى المدينة الشريفة صحبة أمير جدة فى جمادى الأولى سنة إحدى و ثمانين و أقام لمباشرة العمارة بنفسه، فرفعوا سقف الروضة الأعلى و ما اتصل به مما حول القبة الزرقاء الآتى ذكر عملها بأعلى الحجرة الشريفة فى سقف المسجد الأعلى، و رفعوا أيضا شيئا مما يلى ذلك من جهة ما يوازى غربى المنبر الشريف لتكسر كثير من أخشابه، و كان ذلك السقف مع بقية سقف مقدم المسجد على عبارات من خشب موضوعة على أبنية فوق رءوس السوارى بعرض تلك السوارى، كما أن السقف الأسفل المشاهد مما يلى المسجد موضوع على عبارات كذلك فوق رءوس السوارى، فاقتضى رأى متولى العمارة إبدال تلك الأخشاب بعقود من آجر كهيئة القناطر التى حول رحبة المسجد، و رأى أن ذلك أبقى و أحكم من الأخشاب، مع أن عبارات السقف الأسفل كما قدمناه على رءوس السوارى بأصل تلك العقود، و لكنه رأى الإحكام فى ذلك، ففعله فى القطعة التى رفعها من السقف المذكور فقط، و وضع أخشاب ذلك السقف على تلك القناطر، فارتفع بسببه ذلك المكان من السقف الأعلى على بقية ما حوله منه، و صار الماشى بين السقفين فى تلك الجهة يمشى منتصبا أو منحنيا قليلا، و كان لا يتأتى قبل ذلك المشى هناك إلا مع انحناء كثير، و تلك القناطر موضوعة على ما يحاذى صف الأساطين التى هى قبلة الروضة و المصلى الشريف من أولها و من جهة المشرق إلى الأسطوانة التى تلى المنبر من جهة المغرب و على ما يحاذى الصف الثانى و هو صف أسطوان عائشة

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۵۷

رضى اللّه عنها فى موازاة الصف المتقدم ذكره من المشرق إلى المغرب، و على ما يوازى الصف الثالث و هو صف أسطوان المحرس من المشرق إلى المغرب أيضا، و أما ما يوازى صف أسطوان الوفود فقد كان عليه بناء حائط حاجز لما بين السقف الأسفل و الأعلى فيه باب يدخل منه إلى ما بين السقفين، فهدموا ذلك الحائط، و أحكموا بناءه، و جعلوا أطراف الخشب عليه أيضا، فهذه الثلاثة الأروقة هى التى ارتفع سقفها الأعلى على ما حوله من الأساطين اللاصقة بالمقصورة إلى الأساطين التى تلى المنبر و صار سقف الرواقين اللذين بين الروضة و الجدار القبلى مع سقف ما يحاذى الحجرة الشريفة إلى الجدار الشرقى و سقف ما كان غربى المنبر من مقدم المسجد كله منخفض عن ذلك.

و وجدوا أخشابا كثيرة متفرقة نحو الأربعين من السقف الأعلى أيضا قد تكسرت، فزرقوا بدلها، و وضعوا إلى جانب بعضها أخشابا مزرقة، و سمروها من غير كشف للسقف، و قلعوا السقف الأسفل الذى بالرواق الشرقى مما يلى الأرجل الشريفة، و جانبا من سقف رواق باب جبريل إلى باب النساء، و سقف الرواق الأوسط الذى يلى الرواق الذى سبقت عمارتهم إياه فى العام الماضى، و أعادوا ذلك، و قلعوا السقف الأسفل المحاذى لموقف الزائرين تجاه الوجه الشريف و كان من أقدم السقف، و مع ذلك تعبوا فى قلعه أكثر من غيره لإتقانه و إحكامه فإنه من عمل الأقدمين، و أظنهم وجدوا اسم الظاهر بيبرس عليه، ثم أعادوه و أصلحوا شيئا فى المسقف الشامى و غيره، و جددوا أيضا دهان بعض السقف التى حول الحجرة داخل المقصورة التى تعرف اليوم بالحجرة من غير قلع لتلك السقف. ثم احترق ذلك كله فى جملة حريق المسجد الثانى الآتى ذكره فى الفصل التاسع و العشرين، و جعلوا سقف المسجد عند إعادته سقفا واحدا جميعه كما سيأتى.

الفصل السابع و العشرون فى اتخاذ القبة الزرقاء التى جعلت على ما يحاذى سقف الحجرة الشريفة بأعلى سقف المسجد، تمييزا لها، و إبدالها بالقبة الخضراء و المقصورة الدائرة بالحجرة الشريفة

القبة الزرقاء

أما القبة المذكورة فاعلم أنه لم يكن قبل حريق المسجد الشريف الأول و ما بعده على الحجرة الشريفة قبة، بل كان حول ما يوازى حجرة النبى صلّى اللّه عليه و سلّم فى سطح المسجد حظير مقدار نصف قامة مبنيا بالآجر تمييزا للحجرة الشريفة عن بقية سطح المسجد، كما ذكره ابن النجار و غيره، و اتمر ذلك إلى سنة ثمان و سبعين و ستمائة فى أيام الملك المنصور قلاوون الصالحى، فعملت تلك القبة، و هى مربعة من أسفلها مثمنة من أعلاها بأخشاب أقيمت على رءوس

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۵۸

السوارى، و سمر عليها ألواح من خشب، و من فوقها ألواح الرصاص، و فيها طاقة إذا أبصر الشخص منها رأى سقف المسجد الأسفل الذى فيه الطابق، و عليه المشمع المتقدم ذكره، و حول هذه القبة على سقف المسجد ألواح رصاص مفروشة فيما قرب منها، و يحيط به و بالقبة درابزين من الخشب جعل مكان الحظير الآجر، و تحته أيضا بين السقفين شباك خشب يحكيه محيط بالسقف الذى فيه الطابق، و عليه المشمع المتقدم ذكره، و لم أر فى كلام مؤرخى المدينة تعرض لمن تولى عمل هذه القبة.

و رأيت فى «الطالع السعيد الجامع أسماء الفضلاء و الرواة بأعلى الصعيد» فى ترجمة الكمال أحمد بن البرهان عبد القوى الربعى ناظر قوص أنه بنى على الضريح النبوى هذه القبة المذكورة، قال: و قصد خيرا و تحصيل ثواب، و قال بعضهم: أساء الأدب بعلو النجارين و دق الحطب، قال: و فى تلك السنة وقع بينه و بين بعض الولاة كلام، فوصل مرسوم بضرب الكمال، فضرب، فكان من يقول إنه أساء الأدب [يقول:] إن هذا مجازاة له، و صادره الأمير علم الدين الشجاعى، و خرب داره، و أخذ رخامها و خزائنها، و يقال: إنهم بالمدرسة المنصورية اه.

و يؤيد ما نقله عن بعضهم ما رواه أبو داود فى سننه عن أنس بن مالك أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم «خرج فرأى قبة مشرفة، فقال: ما هذه؟ قال له أصحابه: هذه لفلان، رجل من الأنصار، قال: فسكت و حملها فى نفسه، حتى إذا جاء صاحبها رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم سلم عليه فى الناس فأعرض عنه، صنع ذلك مرارا، حتى عرف الرجل الغضب فيه و الإعراض عنه، فشكا ذلك إلى أصحابه، فقال: و اللّه إنى لأنكر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، قالوا: خرج فرأى قبتك، قال: فرجع الرجل إلى قبته فهدمها حتى سوّاها بالأرض، فخرج رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم ذات يوم، فلم يرها، قال: ما فعلت القبة؟ قالوا: شكا إلينا صاحبها إعراضك عنه فأخبرناه فهدمها، فقال: أما إنّ كلّ بناء وبال على صاحبه إلا ما لا إلا ما لا» أى: إلا ما لا بد منه.

وجد جدّدت هذه القبة فى أيام الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون، فاختلت الألواح الرصاص عن وضعها، فخشوا من كثرة الأمطار، فجددت و أحكمت فى أيام الملك الأشرف شعبان بن حسين بن محمد فى سنة خمس و ستين و سبعمائة، قاله الزين المراغى.

و قد ظهر فى بعض أخشابها خلل فى سنة إحدى و ثمانين و ثمانمائة فعضّدها متولى العمارة الشمس بن الزمن بأخشاب سمرت معها، و قلع ما حولها من ألواح الرصاص التى على أعلى السطح بينها و بين الدرابزين المتقدم ذكره، فوجدوا تحت ذلك أخشابا قد تأكلت من طول الزمان و نداوة مياه الأمطار فأصلحوا ذلك و أعادوه بعد أن أضافوا إليه كثيرا من الرصاص من حاصل المسجد و مما أحضر من مصر، و جددوا الدرابزين المحيط بها أيضا،

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۵۹

و قد كانت مياه الأمطار تتسرّب من بين تلك الألواح و تصل إلى سقف الحجرة الشريفة، فإن آثار المياه قد وجدت هناك، و أثّرت فى الشباك الذى بأعلى حائز عمر بن عبد العزيز بحيث تأكل بعضه، فأصلحه متولى العمارة أيضا، و أثّرت الأمطار أيضا فى الستارة التى على سقف الحجرة الشريفة بحيث تأكل بعضها، ثم احترق ذلك كله فى حريق المسجد الثانى، فاقتضى رأيهم تأسيس القبة

البيضاء الموجودة اليوم على دعائم بأرض المسجد و عقود من الآجر، و جعلوا تلك الدعائم فى موازاة الأساطين التى كان بينها درابزين المقصورة الآتى وصفها، و زادوا من جهة الشام دعائم بعضها عند المثلث الذى بالحجرة الشريفة من بناء عمر بن عبد العزيز، و زادوا هناك أسطوانا، و عند التأسيس لذلك وجدوا عند صفحة المثلث الشرقية قبرا بدا لحده و بعض عظامه، و إن صح القول بدفن فاطمة رضى اللّه عنها فى بيتها كما ستأتى الإشارة إليه فهو قبرها، و أبدلوا بعض الأساطين بدعائم، و أضافوا إلى بعضها أسطوانة أخرى، و قرنوا بينهما ليتأتى لهم العقد عليها، و حصل فيما بين جدار المسجد الشرقى و بين تلك الدعائم ضيق لاتحاد بعض تلك الدعائم هناك، فخرجوا بجدار المسجد الشرقى فى البلاط الذى يلى الجدار المذكور نحو ذراع و نصف، فإنهم هدموا ذلك الجدار، و أعادوه إلى باب جبريل عليه السلام، و لم ينقلوا باب جبريل عن محله.

ثم إن القبة المذكورة تشققت من أعاليها و لم ينفع الترميم فيها، ففوّض السلطان للشجاعى شاهين الجمالى النظر فى أمرها و أمر المنارة الرئيسية أيضا عند توليته شيخ الحرم الشريف، فاقتضى رأيه بعد مراجعة أهل الخبرة هدم أعالى المنارة المذكورة و اختصار قليل منها، فاتخذ أخشابا فى طاقاتها و جعل عليها سقفا يمنع ما يسقط عند الهدم للحجرة الشريفة، ثم هدم أعاليها و أعاد بناءها أحكم من البناء الأول، بحيث حمل لها الجبس الأبيض من مصر و جعله فى بنائها، فجاءت محسنة محكمة، و أزيل ذلك السقف عند تمامها، و ذلك فى عام اثنتين و تسعين و ثمانمائة.

المقصورة الدائرة على الحجرة

و أما المقصورة الدائرة على الحجرة الشريفة بين الأساطين حول جدار الحجرة الظاهر و حول بيت فاطمة رضى اللّه عنها فقد أحدثها السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس، و ذلك أنه لما حج سنة سبع و ستين و ستمائة أراد أن يجعل على الحجرة الشريفة درابزينا من خشب- و هو المقصورة المذكورة- فقاس ما حول الحجرة الشريفة بيده و قدره بحبال و حملها معه، و عمل الدرابزين، و أرسله فى سنة ثمان و ستين، و أداره عليها، و عمل له ثلاثة أبواب قبليا و شرقيا و غربيا، و نصبه بين الأساطين التى تلى الحجرة إلا من ناحية الشام فإنه زاد فيه إلى متهجّد النبى صلّى اللّه عليه و سلّم.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۶۰

ثم زيد لهذه المقصورة باب رابع أحدث عند زيادة الرواقين المتقدم ذكرهما فى سنة تسع و عشرين و سبعمائة، و هو من جهة الشمال فى رحبة المسجد، و كان عليه قبل الحريق الأول سقف مرتفع يحيط به رفرف، ثم أحدث هذا الباب، و أمامه من جهة رحبة المسجد سقف لطيف أيضا نحو ستة أذرع دوين السقف المتقدم و جعل له رفرف أيضا يمنع الشمس، و بسط تحته الرخام الملون شبه الرخام الذى تقدم ذكره حول حائر عمر بن عبد العزيز بالأرض داخل هذه المقصورة، و ذلك فى دولة الظاهر جقمق سنة ثلاث و خمسين و ثمانمائة.

قال الزين المراغى: و اعلم أن الذى عمله الملك الظاهر- أى ركن الدين- من الدرابزين نحو القامتين، فلما كان فى سنة أربع و تسعين و ستمائة زاد عليه الملك العادل زين الدين كتبغا شباكا دائرا عليه، و رفعه حتى وصله سقف المسجد، انتهى.

و قد جدد متولى العمارة المتقدم ذكره بعض هذه المقصورة أيضا مما يلى الروضة الشريفة فى العمارة الأولى، ثم احترقت فى الحريق الثانى، فجعلوا بدلها شبابيك من النحاس فى جهة القبلة، و على أعلاها شبكة من شريط النحاس كالزرد، بين أخشاب متصلة بالعقود المحيطة بالحجرة الشريفة، و جعلوا لبقيتها من جهة الشام و ما اتصل بها من المشرق و المغرب مشبكا من الحديد المشاجر، و بأعلاه شريط النحاس أيضا، و أحدثوا مشبكا من الحديد المشاجر أيضا لم يكن قبل ذلك، جعلوه فاصلا بين الرحبة التى خلف مثلث الحجرة الشريفة و بينها، و بها بعض المثلث المذكور، و به بابان أحدهما عن يمين المثلث، و الآخر عن يساره، و صار هذا المشبك متوسطا بين مشبك الحجرة الشامى و ما يقابله. و قد صارت هذه المقصورة تعرف بالحجرة الشريفة، و أبوابها بأبواب الحجرة، و ما يعلق

بسقفها بقناديل الحجرة كما تقدم فى عبارة السبكى.

و فى كلام البدر ابن فرحون ما يقتضى أنه كان ثمّ مقصورة متصلة بهذه المقصورة من جهة المغرب، ثم أزيلت، و لفظه: و قد تساهل من كان قبلنا فزادوا على الحجرة الشريفة مقصورة كبيرة عملت وقاية من الشمس إذا غربت، و كانت بدعة و ضلالة تصلى فيها الشيعة؛ لأنها قطعت الصفوف، و اتّسمت بمن ذكر من الصنوف، و ندم على ذلك واضعها، و لقد كنت أسمع بعضهم يقف على بابها و يؤذن بأعلى صوته «حى على خير العمل» و كانت مواطن تدريسهم، و خلوة علمائهم حتى قيّض اللّه لها من سعى فيها فأصبحت ليلة منخلعة أبوابها، مقوسة أخشابها، متصلة صفوفها، و أدخل بعضها فى الحجرة الشريفة- يعنى ما اشتمل عليه الدرابزين المذكور- و جعل فيها الباب الشامى، و كان ذلك مع زيادة الرواقين اللذين زادهما الملك الناصر، انتهى.

و ذكر لى بعض مشايخ المدينة نقلا عمن أدركه من المشايخ أن هذه المقصورة كانت فى

شامى أسطوان الوفود إلى جهة باب الحجرة الشامى، و الشيعة اليوم يصلون فى ذلك الموضع، و مقتضى ما قدمناه عن ابن النجار فى بيت فاطمة رضى اللّه عنها- حيث قال:

و بيتها اليوم حوله مقصورة، و فيه محراب، و هو خلف حجرة النبى صلّى اللّه عليه و سلّم- وجود مقصورة هناك قبل حريق المسجد، فلعل ذلك مستند الظاهر ركن الدين فى إحداث ذلك.

و قد ذكر المطرى ما صنعه الظاهر من هذه المقصورة، ثم قال: و ظن الملك الظاهر أن ما فعله تعظيما للحجرة الشريفة، فحجر طائفة من الروضة المقدسة مما يلى بيت النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، و منع الصلاة فيها، مع ما ثبت من فضلها و فضل الصلاة فيها، فلو عكس ما حجره و جعله خلف بيت النبى صلّى اللّه عليه و سلّم من الناحية الشرقية و ألصق الدرابزين بالحجرة مما يلى الروضة لكان أخفّ؛ إذ الناحية الشرقية ليست من الروضة و لا من المسجد المشار إليه، بل مما زيد فى المسجد أيام الوليد، قال: و لم يبلغنى أن أحدا من أهل العلم و الصلاح ممن حضر و لا ممن رآه بعد تحجيره أنكر ذلك، أو تفطن له و ألقى له بالا، و هذا من أهم ما ينظر فيه.

قال الزين المراغى عقبه: ينبغى أن يعلم أن للظاهر سلفا فى ذلك، و هو ما حجره عمر بن عبد العزيز على الحجرة الشريفة من جهة الروضة أيضا، لكنه قليل، انتهى.

قلت: و هذا بناء على ما تقرر عنده من أن جدار الحجرة الذى داخل الحائز هو نهاية المسجد فى زمنه صلّى اللّه عليه و سلّم، و قد قدمنا فى حدود المسجد ما يرد ذلك، و لو سلّم أن ذلك نهاية المسجد و أن عمر بن عبد العزيز اتخذ الجدار المذكور فيه فذلك لمصلحة حفظ القبر الشريف، و لجعل بنائه على هيئة لا يتأتى معها استقبال القبر الشريف كما قدمناه، و هذه المقصورة بضد ذلك، و اللّه أعلم.

و قال البدر بن فرحون فى ترجمة ولى اللّه سيدى الشيخ على الواسطى ما لفظه: حكى لى جمال الدين- يعنى المطرى- أن الشيخ بعث إلى الملك الناصر يقول له: أنا أضمن لك على اللّه تعالى قضاء ثلاث حوائج إن قضيت لى حاجة واحدة، و هى إزالة هذا الشباك الذى على الحجرة الشريفة، يعنى هذه المقصورة، فبلغه ذلك، فتوقف و لم يفعل.

قال البدر بن فرحون: و ليته فعل؛ فإن الشباك الذى يدور على الحجرة قطع جانبا من المسجد، و حجر كثيرا من الروضة، و فى كل زمان يجدد و يعمر بما يتقوى به و يتأيد، و أدخل فيه قطعة كبيرة لما أزيلت المقصورة، يعنى المتقدم ذكر إزالتها.

و قال المجد الشيرازى، عقب ذكره لما تقدم عن المطرى: و الذى ذكره موجّه، غير أن أحد الأبواب مفتوح دائما لمن قصد الدخول و الزيارة، فيمكن من أراد الصلاة الدخول و الوقوف مع الصف الأول فى الروضة، و لا يخفى أن فى تقريب الدرابزين من الحجرة إخراجا للبناء عن وضعه اللائق، و أيضا فيه تضييق عظيم على الزائرين، لا سيما عند زحام

المواسم؛ فإنه مع هذا الاتساع ينخنق المكان بالخلق، فكيف لو ضيق بحيث يتصل الدرابزين بجدار الحجرة؟ لا يقال: إنه كان يتسع من

جهة المشرق للزائرين؛ لأن الناس إنما يقصدون هذه الجهة لكون الرأس الشريف هناك، و ليكون الابتداء بالتسليم على النبى صلّى اللّه عليه و سلّم دون أن يتخطوا الشيخين رضى اللّه عنهما، فتأمل ذلك فإنه صحيح. قال: و هذه الكيفية لا مزيد عليها فى الحسن، و لم يتعطل شىء من الروضة بسبب ذلك، بل بسبب كسل المصلين، و قد رأيت جماعة من الخدام يصلون داخل الدرابزين أيام الجمعة، انتهى.

قلت: و ما ذكره صحيح بالنسبة إلى زمنه؛ فإن الباب المذكور كان مفتوحا فى سائر الأوقات. و قد نبه على ذلك ابن جماعة فى منسكه، محاولا غلقه فى المواسم فقط، فقال: إن هذا الدرابزين حجر طائفة من الروضة الشريفة مما يلى بيت النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، و صار ما بين الحجرة و الدرابزين مأوى للنساء بأولادهن الصغار فى أيام المواسم، و ربما قذر الصغار فيه، و قد تحدثت مع الملك الناصر رحمه اللّه لما حج و زار سنة اثنتين و ثلاثين و سبعمائة فى غلق الدرابزين أيام الموسم، فسكت لما ذكرته، و لم يجبنى بشىء، و هذا من أهم ما ينظر فيه، انتهى. فحدث بعد ذلك غلق الأبواب كلها دائما، و لا يفتح منها شىء إلا فى وقت إسراج القناديل و نحوه، و لا يدخل لذلك إلا بعض الخدام و الفراشين أو بعض من له وجاهة بإذن شيخ الخدام، فيدخل للزيارة ليلا، و تحقق بسبب ذلك تعطيل تلك البقعة، و حرم الناس التبرك بأسطوان السرير؛ فإن محله فى شرقى أسطوانة كما تقدم، و كذلك الوقوف للزيارة فى موقف السلف بينها و بين الحجرة الشريفة أو على نحو أربع أذرع من جدار القبر على ما يأتى بيانه، و كذلك التبرك بمربّعة القبر و مقام جبريل كما قدمناه، و بيت فاطمة رضى اللّه عنها، فإن ذلك كله فى جوف المقصورة، بل كانت هذه المقصورة سببا لما هو أعظم من ذلك و أطم، و هو ابتناء دعائم القبة المتقدم ذكرها بأرضها، فإنها صارت عند العوام بل و عند من لا إحاطة له بأحوال المسجد أنها ليست من المسجد، بل من الحجرة، فعاملوها معاملة غير المسجد، و لما وقعت المفاوضة فى عملها صرّحت بتحريم ذلك، فأشار بعضهم بعمل القبة المذكورة على رءوس الأساطين من غير بناء، ثم رجعوا عن ذلك و أنا غائب بمصر.

و سبب غلق الأبواب المذكورة أن النجم بن حجى قاضى الشام لما حج فى الموسم الشامى رأى ازدحام الناس بذلك المحل و ما أشار إليه ابن جماعة فيما تقدم عنه، فأفتى بغلقها،

و خالفه الولى العراقى عند قدومه مع الحاج المصرى فأفتى بفتحها. و أخبرنى بعض مشايخ الحرم أن ذلك كان فى سنة اثنين و عشرين و ثمانمائة و أن الحال استمر على ما أفتى به الولى العراقى، فلما ولى النجم بن حجى ديوان الإنشاء تسبب فى بروز المراسيم السلطانية

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۶۳

بالأمر بالغلق سنة ثمان و عشرين، و استمر ذلك إلى اليوم، كذا أخبرنى به بعض مشايخ الحرم. و رأيت حاشية على كلام المجد بخط الحافظ جمال الدين بن الخياط اليمنى، و لفظها: و مما أحدث فى دولة الملك الأشرف برسباى صاحب مصر و الشام بعد الثلاثين و ثمانمائة سمرت أبواب الدرابزين المذكور، و صار الناس يزورون من وراء الدرابزين من غير دخول أحد إلى الحجرة الشريفة، قصدوا بذلك زيادة الحرمة، و تنزيه المشهد الشريف عن كثرة اللامسين بالأيدى و غيره؛ فإن كثيرا من جهال العرب و غيرهم يلصقون ظهورهم بصندوق القبر الشريف و جداره، قاصدين بذلك التبرك، و الخير كله فى استعمال الأدب، انتهى.

قلت: و الصواب المتعين وجوب فتح بعض تلك الأبواب، خصوصا فى غير أيام الموسم، و ليس الطريق فى إزالة المفسدة المذكورة غلق تلك الأبواب و تعطيل تلك البقعة، بل وقوف الخدام عند ذلك المحل، و منع من يتعاطى فيه ما لا يليق بالأدب، على أن ذلك لم يحسم المادة؛ لأن تلك الأمور- أعنى لمس الجهال و وضعهم الظهور- يفعل اليوم بهذا الدرابزين، و لا شك أن الجدار الذى كان يفعل به ذلك ليس هو نفس القبر، بل و لا جدار الحجرة كما قدمناه، بل جدار آخر دائر به، كما أن هذه المقصورة دائرة به، فإن كان ذلك يقتضى تعطيل ذلك المحل، فليعطل من أجله المسجد بأجمعه، و تعطيل المسجد أو شىء منه حرام فلا يرتكب لدفع مكروه مع إمكان دفعه بغيره، و ما يقال من أنه ربما وجد فى بعض المواسم هناك قذر؛ فقد كان شيخنا شيخ الإسلام فقيه العصر شرف الدين

المناوى يقول فى جوابه: لا شك أن ذلك المحل من المسجد، فإن كان وجود القذر فيه مقتضيا لتعطيله و صيانته بالغلق فليغلق المسجد بأجمعه، فإن حكم الكل واحد من حيث وجوب صونه و اختصاص ما تقرب من المحل الشريف بمزيد التعظيم حاصل بالجدار الكائن عليه، و طريق التعظيم المنع من ذلك كما قدمناه، على أن لمس جدار القبر و تقبيله ليس مما أجمع على كراهته كما سنوضحه إن شاء اللّه تعالى فى باب الزيارة.

و لما قدم مولانا السلطان الملك الأشرف قايتباى أعز اللّه أنصاره المدينة الشريفة للزيارة سنة أربع و ثمانين و ثمانمائة و اجتمعت به بالروضة الشريفة أردت أن أتكلم معه فى فتح بعض تلك الأبواب فى غير أيام الموسم، فرأيته قد تعاظم دخول هذه المقصورة لما عرض عليه ذلك. و قال: لو أمكننى الوقوف للزيارة فى أبعد من هذا الموضع فعلت، و رأى أن ذلك هو التعظيم، فعلمت أنه لا يوافق على ما أريده، و اللّه أعلم.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۶۴

الفصل الثامن و العشرون فيما تجدد من عمارة الحجرة الشريفة فى زماننا على وجه لم يخطر قط بأذهاننا، و ما حصل بسببه من إزالة هدم الحريق الأول من ذلك المحل الشريف، و مشاهدة وضعه المنيف، و تصوير ما استقر عليه أمر الحجرة فى هذه العمارة

اعلم أن بعض سقف المسجد التى تقدم تجديدها كان قد ظهر تكسّر بعض أخشابه فى هذه الدولة الأشرفية- أعز اللّه أنصارها، و أعلى فى سلوك العدل منارها- فورد المدينة المقر الأشرف السيفى شاهين الجمالى منصرفه من جدة المعمورة، فأروه ذلك، و أروه الحائز المخمس الدائر على الحجرة الشريفة لانشقاق فيه قديم يظهر إذا رفعت الكسوة عند منتهى الصفحة الشرقية و انعطافها إلى الزاوية الشمالية، فرفعوا عنه الكسوة، و أحضروا بعض أرباب الخبرة بسبب ذلك، فاختلف النقل عمن حضر ذلك فى كونه ضروريا أو غير ضرورى، فاجتمعت بالمشار إليه بسبب ذلك، فذكر لى أن الذى تحرر أنه ليس بضرورى؛ لأنه شق فى طول الحائط لا فى عرضه، و هو قديم مملوء بالجص، و الحائط ليس عليه سقف يثقله فنخشى عليه، فأعجبنى كلامه.

ثم أنهى فى سنة ثمان و سبعين لمولانا السلطان الأشرف احتياج المسجد الشريف للعمارة، و سقوط منارة مسجد قباء، و كان الجناب الخواجكى الشمسى بن الزمن مغرما بمثل ذلك، و سبق له بالمدينة الشريفة عمارة لمدرسته المعروفة بالزمنية على يد بعض جماعته، ففوض إليه السلطان أمر عمارة المسجد النبوى، فكان ما تقدم من مجيئه إلى المدينة الشريفة فى أثناء سنة تسع و سبعين، و تقريره أمر العمارة، ثم توجه إلى مصر المحروسة، فكان من أمر العمارة ما قدمناه.

ثم رغب فى أمر العمارة المقر الشرقى شرف الدين الأنصارى تغمده اللّه برحمته ففوض له ذلك، و حضر صحبة الحاج إلى مكة المشرفة، و أقام بها مدة حتى يتكامل حصول آلات العمارة، فتوفى بها ليلة سابع عشر صفر عام أحد و ثمانين و ثمانمائة بعد شكوى خفيفة.

ثم وردت المراسيم الشريفة بتفويض أمر العمارة للجناب الشمسى بن الزمن و كان بجدة المعمورة فورد المدينة الشريفة صحبة شاد جدة فى جمادى الأولى سنة إحدى و ثمانين، و أحضر معه جماعة من أرباب الصنائع، و أقام لينظر فى أمر العمارة بنفسه، فكان ما تقدم من إصلاح السقف الأعلى و عمارة غيره من السّقف المتقدم ذكرها، و إحكام القبة الزرقاء المحاذية للحجرة الشريفة بسقف المسجد، و إصلاح حلية الصندوق الكائن بأصل الأسطوان التى فى جهة الرأس الشريف و القائم المجدد فوقه.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۶۵

و لما نزعوا القائم العتيق و ما تحته من الصندوق وجدوا ما تحت ذلك من أحجار الأسطوانة المذكورة متشطبا، و أحجارها قطع مجوفة كالخرز، و كذا كل أساطين المسجد العتيقة، و فى جوفها الرصاص و عمد الحديد، و أهل المدينة يسمون كل قطعة منها خرزة، و يسمونها أيضا فلكة، فاقتضى رأيهم تعميق ما على رأس الأسطوان المذكور من أخشاب السقف، فجعلوا مرمة من الأخشاب حول

الأسطوان المذكور ليكسروا الخرز المشقق من ذلك الأسطوان، و هن ست، ثم يعلقون ما صح من الأسطوان إلى أن يدخلوا مكان ذلك بدله، ثم شرعوا فى كسر تلك الخرز و نزعها، فتعسر ذلك عليهم، و حصل بسببه دق عنيف، حتى كانت جدران الحجرة تهتز له لاتصالها بالأسطوان المذكور، فحصل بسبب ذلك كلام من الناس، و لكن بعد كسر بعض الخرز و إخراجه، و كانوا يعالجون فى إخراج الرصاص أيضا علاجا أعظم من العلاج فى الحجر، فعقدوا مجلسا، و طلبنى متولى العمارة للحضور فيه، فترددت لأنه بلغنى أن بعض الناس أوغر صدره منى و قرر عنده أنى حريص على ألّا تكون هذه العمارة على يده، و كنت أرى منه محبة و ميلا ثم تنكر بعض التنكر، و علمت أن الرجوع عن إصلاح الأسطوانة المذكورة غير ممكن لكسر بعضها و إخراجه، فعلمت فوات وقت النظر، فأجبت الرسول بذلك، و لم أحضر معهم مع علمى بأن بعض أهل المجلس كان مغرى بمخالفة ما أشير به، و إن كان فى غاية الوضوح، سامحه الله، ثم افترقوا على إتمام ذلك، فمكثوا أياما يعالجونه حتى تم، و أعادوا مكان تلك الخرزات الست مثلها من خرز أسطوان نقضوه من أساطين مسجد قباء، فكان ذلك بقدر تلك الخرز سواء، و أحكموا إعادتها بالرصاص و عمد الحديد أحسن إحكام.

و قد كنت أستبعد قدرتهم على ذلك، و أتعجب من قيام بقية الأسطوان من أعلاه، مع رفع أسفله، و كونه كالجبل من الحجر و الرصاص، و لكن ساعدهم المدد المحمدى فى ذلك مع حسن معرفة المعلم المباشر لسبك الرصاص.

ثم كان ما تقدم من إعادة الصندوق المذكور و القائم فوقه إلى محلهما، و نقض الرخام المؤزّر به جدار الحجرة الظاهر و تجديده كما تقدم، و عند قلع رخام الصفحة الآخرة من الزاوية الشمالية إلى الصفحة الشرقية مع ما يليها من صفحة المشرق عند منعطفها ظهر الشق المتقدم ذكره و هو انشقاق قديم سدّ الأقدمون خلله بكسر الآجر و أفرغوا فيه الجص و بيضوه بالقصّة فانشق البياض من رأس وزرة الرخام إلى رأس الجدار المذكور، فأرادوا اختبار ما تحت البياض ليعلموا قدره، فقشروا البياض عنه، و أخرجوا ما فى خلله من الجص و الآجر، فظهر من خلله بناء الحجرة المربع الذى هو جوف البناء المخمس المذكور فظهر منه ملتقى حائطه الشامى و حائطه الشرقى، و ظهر هناك شق أيضا فى جدار الحجرة الداخل عند ملتقى

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۶۶

الجدارين المذكورين تدخل اليد فيه، و هو قديم أيضا، و قد سدّه المتقدمون، ثم اتّسع قليلا على دوام الأيام.

فلما كان عشية السبت ثالث عشر شعبان عقدوا مجلسا فى جوف المقصورة عند الجدار المذكور، حضره القضاة و المشايخ و الخدام و شيخهم الأمير إينال، و طلبونى لذلك المجلس، فترددت فى الحضور لما قدمته، ثم توضأت و صليت صلاة الاستخارة و سألت اللّه أن يلهمنى السداد و الصواب، و حضرت فوجدت الأمر قد اتفق عليه، و شاهدت ما قدمته من وصف ذلك، و رأيت على ذلك البناء الداخل من الهيبة و الأنس ما لا يوصف و لا يدرك إلا بالذوق، و تحرر لى أن سبب انشقاق الجدار الظاهر انشقاق الجدار الداخل و ميلانه نحو الجدار الظاهر و كأن الأقدمين لما رأوا انشقاق الجدار الداخل- و لعل رؤيتهم لذلك و اللّه أعلم عقب الحريق عند ما أحدثوا السقف المتقدم وصفه على الحجرة الشريفة- أدعموا الجدار الداخل بأخشاب جعلوها بين الجدار الداخل و الخارج عند رأسهما فى شرقى الحجرة، فمال الجدار الظاهر من أعلاه بحيث صار أعلاه لا يوازى أسفله، و خرج بسبب ذلك عن الاستقامة، فحدث فيه الشق المذكور، و رأيت الحاضرين بين ساكت و مشير، فترجح عندى سلوك رأى ابن عباس رضى اللّه عنهما فى أمر الكعبة، حيث أشار بترميمها فقط، و رأيت أن ما يطلب هنا من الأدب أوجب مما يطلب هناك، فحاولت إدعام البناء الظاهر ببناء، فلم أوافق عليه، فسألت مهندس العمارة- و كان أعرف الحاضرين بهذا الأمر- هل تحققت الآن إشراف هذا الجدار على السقوط و أنه لا يتأتى تأخيره، أم يحتمل التأخير مدة إذا رمّ بالجص و الآجر كما كان أوّلا فيؤخر إلى أن يصير غير محتمل للتأخير؛ فإنه لا يفعل هنا إلا ما تدعو إليه الضرورة فى الحال؟ فقال: الترميم شىء و قطع الفرط شىء آخر، ثم سأل متولى العمارة عن كيفية ما يكتب ليطالع به المسامع الشريفة، فقال له القاضى الزكوى قاضى الشافعية و أحد الناظرين سامحه اللّه تعالى: سرّح العمال غدا للهدم و كتابة المحضر

علينا، و خافت متولى العمارة بالإنكار عليه فى إحضارى، و حثّه على الإعراض عن كلامى.

ثم إن متولى العمارة ذكر لى أنه رأى رؤيا فهم منها الهدم، فصمّم عليه، و رأيت عنده من شجاعة الجنان و ثبات الجأش فى هذا الأمر ما لا يوصف، و بلغنى أن بعض الناس ذكر له أن ما سبق من كلامى دليل على ما كان قد ألقاه إليه من حرصى على ألّا تكون هذه العمارة على يده، و أن لا يفوز بهذه المنقبة العظيمة التى لم يسبق إليها، و من يسمع يخل، و لكنى أشهد اللّه و رسوله على أنى لم أرد سوى محض الوفاء بما أوجبه اللّه علينا من الأدب مع حبيبه صلّى اللّه عليه و سلّم و من بدل النصيحة.

ثم فى صبيحة الرابع عشر من شعبان المذكور شرعوا فى هدم المحل الشريف المتقدم

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۶۷

ذكره من الجدار الظاهر، فهدموا جانبا من الصفحة الشرقية و جانبها مما يليها من الصفحة المنحرفة منها إلى جهة الزاوية الشمالية، و سعة ذلك خمسة أذرع بذراع اليد، و ذلك من بعد نحو أربعة أذرع من الأرض إلى رأس الجدار المذكور، فظهر حينئذ هدم الحريق الذى فى الفضاء الكائن بين جدارى الحجرة الشريفة، و رأينا فيه كثيرا من الأخشاب المحترقة قد سلم من بعضها قدر الذراع و نحوه.

ثم فى خامس عشر الشهر المذكور حضروا لتنظيف ذلك، و توجه متولى العمارة لشيخنا العارف باللّه تعالى سيدى شهاب الدين الأبشيطى قدس اللّه روحه، و سأله فى الحضور للتبرك به، فحضر من خارج الجدار، و امتنع من الدخول و قرأ الفاتحة، و قال: نظفوا على بركة اللّه، ثم انصرف و قال لى بعد ذلك: ذكروا لنا أن هدم ذلك ضرورى، فقلنا لهم:

الضرورى يعمل، فلما دخلوا لإزالة ذلك شاهدت أمرا مهولا من ردم الحريق بحيث لم يتأت إزالته إلا بالعتل و المساحى، و تحققت بسبب ذلك عذر من أدرك زمن الحريق فى عدم إزالة ما بالحجرة الشريفة منه كما قدمناه، و كان ارتفاعه فى ذلك المحل نحو القامة، و هو ردم من السقف الأعلى و جص و آجر من الجدار الذى كان بأعلى سقف المسجد لتمييز الحجرة الشريفة عن غيرها، كما تقدم بيانه، و مما كان على رءوس الأساطين و مما احترق من أخشاب ذلك، فاشتغلوا بتنظيفه و تزاحم الناس عليه فاستمروا فى ذلك حتى بلغوا فى تنظيفه الأرض القديمة، بحيث ظهر تحصيب ذلك المحل بحصباء تشبه ما فى المسجد، غير أنها قد اسودّت من نداوة الأرض، و اعتبرت التفاوت بين الأرض المرخمة خارج الجدار الظاهر و الأرض المذكورة بداخله، فكانت الأرض المذكورة- أعنى الداخلة بين الجدارين- أخفض من الخارجة بذراع و ثلث بذراع اليد، و ظهر من وصف البناء الداخل ما قدمناه فى الفصل الثانى و العشرين من كونه مربعا بأحجار منحوتة عليها أبهة عظيمة، و أن الصفحة الغربية منه ملاصقة للصفحة الغربية من البناء الظاهر، و ليس بينهما و لا مغرز إبرة، و أنه لا باب فيه و لا موضع باب، و فى الصفحة الشمالية لا صق بها الأسطوان التى قدمنا وصفه، و أن بعضه داخل فى الصفحة المذكورة، و قد أثر فيه الحريق كما قدمناه حتى تشطب بعضه سيما فى أعاليه و هو فى صف مربعة القبر يليها من جهة المشرق.

و تبين حينئذ ما فى الجدار الداخل من الانشقاق المتقدم وصفه فى شماليه مما يلى المشرق، فأدخلوا فيه شمعة، فشاهدوا فيما يقابله من الجدار القبلى مما يلى المشرق أيضا انشقاقا مثله، و تبين لى أن البناء المتقدم وصفه بين الجدارين القبليين فى موازاة الأسطوانة الظاهرة فى الجدار القبلى التى يقف عندها المسلّم على عمر رضى اللّه عنه إنما جعل إدعاما للجدار المذكور لما حدث به ذلك الانشقاق، و ظهر ما أدعموا به من الأخشاب بين الجدار

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۶۸

الداخل و الخارج فى جهة المشرق على ما قدمناه، فتردد متولى العمارة فى نقب الجدار الشامى لإحكام ذلك الشق و ترميم الشق المقابل له.

ثم عزم على هدم الجدار المذكور- أعنى: جدار الحجرة الداخل من جهة الشام- بأجمعه، فبدأ برفع السقف الذى وجد على الحجرة نفسها كما قدمناه، و حينئذ ظهر لهم ساحة الحجرة الشريفة، و ستر اللّه تعالى القبور الشريفة عن الأعين بالردم، ثم علمت أن هذا

الموطن يطلب فيه من التثبت و الأدب التام ما لا يطلب فى غيره، فانصرفت عازما على أن لا أحضر معهم ما داموا فى تعاطى الهدم و أن أحضر معهم فى البناء. ثم أفاضوا فى عقد قبة سفلية على جدار الحجرة الداخل رعاية الإتقان و الإحكام فكرهت ذلك لعلمى أنه يجر إلى هدم معظم الحجرة مع ما فيه من تغيير الهيبة الأولى.

ثم فى حادى عشر شعبان المذكور أجمعوا أمرهم على ذلك، فشرعوا فى هدم الجدار الشامى و الشرقى من البناء الداخل، فوجدوا فى الجانب الذى يلى المغرب من الجدار الشامى، و كذا فيما يقابله من القبلى، و كذا فى الغربى عند ما هدموا أسفل السترة المبنية على السقف المحترق بين فصوص الأحجار و أعلاها مع رأس الجدر المذكورة لبنا غير مشوى طول اللبنة منه أرجح من ذراع و عرضه نصف ذراع، و سمكه ربع ذراع، و طول بعضه و عرضه و سمكه واحد و هو نصف ذراع، و لم يجدوا مثل ذلك فى الجدار الشرقى، و لا فيما يليه من الشامى و القبلى، و قد عاب بعض الناس على الأقدمين فى وضعهم ذلك فى الجدار، و نسبهم به إلى التقصير، و ربما قال: إن البنائين زمن الوليد لما أمر ببناء المسجد على يد عمر بن عبد العزيز كانوا كفارا، و إن ذلك من غشهم، و هذا جهل من قائله.

و قد قدمنا من شرح حال بناء الحجرة ما فيه كفاية، و تقدم أن عمر بن الخطاب أو ابن الزبير هو البانى للحجرة على ما رواه ابن سعد، و لو سلّم أن تلك البناية فى ولاية عمر بن عبد العزيز للعمارة المتقدمة فهو أتقى لله من أن يهمل قبر نبيه بيد الكفار حتى يغشوا فى بنائه بمثل ذلك. و قد ظهر لى فى ذلك أن السلف لما بنوا الحجرة الشريفة بالأحجار لقصد الإحكام و البقاء، و كان ما عدا الأساس منها مبنيا باللبن فى عهده صلّى اللّه عليه و سلّم كما يؤخذ مما قدمناه، فرأوا أن لا يخلو بناؤهم من بركة ذلك اللبن، فوضعوا منه ما رأوا فيه الصلابة بين الأحجار المبنية بالقصّة، و لو لا إتقان ذلك البناء لما مكث هذه المدة المديدة، و العجب أن الخلل و الانشقاق لم يحصل إلا فى الناحية الخالية منه، و قد قدمنا أن الذى يظهر أن تلك الناحية سقطت و أعيدت، و اختلاف البناءين شاهد بذلك، حتى إن الجدار الشرقى لم يكن مبنيا بالحجارة الموجّهة إلا من داخله دون خارجه، و عرض منقبته أقل من عرض بقية الجدر. و لما بلغوا فى هدم الجدار الشامى أرض الحجرة الشريفة شرعوا فى تنظيف الردم الساتر للقبور

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۶۹

الشريفة، و ذلك فى صبيحة الثالث و العشرين من شعبان المذكور، و مكثوا فى ذلك إلى غروب الشمس مع كثرتهم حتى بلغنى أن الحجرة الشريفة امتلأت بهم، و لم يخصوا مكانا دون مكان، فظنوا أن القبر الشريف النبوى قريبا من وسط الحجرة، و ليس كذلك كما سنبينه، و وضعوا ما أخرجوه من الردم عند طرف المسقف الغربى فى زاويته المتصلة بمسقف الدكاك، و بنى عليه متولى العمارة تلك الدكة البارزة هناك. ثم وفّى القضاى الزكوى بما وعد به متولى العمارة من كتابة المحضر، و كتب فيه أهل المدينة، و لم أكتب فيه، و اعتذرت بأنه لم يسبق لى عادة بمثل ذلك، و بعثوا به إلى مصر المحروسة، فلما كان فى صبيحة الخامس و العشرين من الشهر المذكور بعث إلىّ متولى العمارة لأتبرك بمشاهدة الحجرة الشريفة بعد تنظيفها، و صار قائل يقول: ظهر القبر الشريف، و قائل يقول: لم يجدوا لجميع القبور الشريفة أثرا، فحثّنى داعى الشوق و غلبة الوجد، و استحضرت ما وقع لبعض السلف من سؤاله لعائشة رضى اللّه عنها أن تريه القبور الشريفة، و غير ذلك مما سبق و مما سيأتى فى باب الزيارة، و وصف السلف للقبور الشريفة، و ذكرهم ذرع الحجرة الشريفة و كيفيتهما كما تقدم، فعزمت على الإقدام، و تمثلت بقول بعضهم:

و لو قيل للمجنون أرض أصابها غبار ثرى ليلى لجدّ و أسرعا

لعلّ يرى شيئا له نسبة بها يعلّل قلبا كاد أن يتصدعا

فتطهرت و توجهت لذلك مستحضرا عظيم ما توجهت إليه، و موقع المثول ببيت أوسع الخلق كرما و عفوا، و ذلك هو المعول عليه، و استحضرت بقول بعضهم:

عصيت فقل لى كيف ألقى محمدا و وجهى بأثواب المعاصى مبرقع

ثم أنشدت الذى يليه:

عسى اللّه من أجل الحبيب و قربه يداركنى بالعفو فالعفو أوسع

و سألت اللّه أن يمنحنى حسن الأدب فى ذلك المحل العظيم، و يلهمنى ما يستحقه من الإجلال و التعظيم، و أن يرزقنى منه القبول و الرضى، و التجاوز عما سلف و مضى، فاستأذنت و دخلت من مؤخر الحجرة، و لم أتجاوز ذلك المحل، فشممت رائحة ما شممت فى عمرى رائحة أطيب منها، ثم سلمت بوجل و حياء، على أشرف الأنبياء، ثم على ضجيعيه خلاصة الأصفياء، و دعوت بما تيسر من الدعوات، و تشفعت بسيد أهل الأرض و السموات، و استنزلت به فى بيته من الأزمات، و اغتنمت هذه الفرصة فى جميع الحالات، و لله در القائل:

تمتّع إن ظفرت بنيل قرب و حصّل ما استطعت من ادّخار

فقد وسّعت أبواب التدانى و قد قرّبت للزوار دارى

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۷۰

و قد هبّت نسيمات لنجد فطب و اشرب بكاسات كبار

فما وقت يمرّ بمستعاد و ما دار الأعزّة بالقرار

فودّع أرض نجد قبل بعد فما نجد لمرتحل بدار

أقول لمن يمرّ بأرض نجد و يظفر من رباها بالديار

تزود من شميم عرار نجد فما بعد العشية من عرار

و قل أيضا لمغتنم صفاء على معنى يلوح لذى اعتبار

إذا العشرون من شعبان ولّت فواصل شرب ليلك بالنهار

و لا تشرب بأقداح صغار فإن الوقت ضاق على الصغار

فلما قضيت من ذلك الوطر، متعت عينى من تلك الساحة بالنظر، لأتحف بوصفها المشتاقين، و أنشر من طيب أخبارها فى المحبين، فتأملت الحجرة الشريفة فإذا هى أرض مستوية، و تناولت من ترابها بيدى فإذا فيه نداوة و حصباء كالحصباء المتقدم وصفها بين الجدارين يظهر عند فحصه بالأصابع، و لم أجد للقبور الشريفة أثرا، غير أن بأوسط الحجرة موضعا فيه ارتفاع يسير جدا، توهموا أنه القبر الشريف النبوى، فأخذوا من ترابه للتبرك فيما زعموا، و منشأ ذلك الوهم جهل من كان هناك بأخبار الحجرة الشريفة، و ذلك المحل ليس هو القبر النبوى قطعا، و لعله قبر عمر رضى اللّه عنه؛ لأن الشافعى رضى اللّه عنه قد نص على أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم إنما لحد له فى جدار القبلة.

قال الشافعى، فيما نقله عنه الأقشهرى ردا على من قال إن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم أدخل لقبره معترضا: هذا من فحش الكلام فى الأخبار؛ لأن قبر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم كان قريبا من الجدار، و كان اللحد تحت الجدار، فكيف توضع الجنازة على عرض القبر حتى سلّ معترضا؟ فدلّ على أن هذا النقل غير صحيح، انتهى.

و روى ابن عساكر عن جابر رضى اللّه عنه قال: رشّ قبر النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و كان الذى رش الماء على قبره بلال بن رباح بقربة بدأ من قبل رأسه حتى انتهى إلى رجليه ثم ضرّجه بالماء إلى الجدار، لم يقدر على أن يدور من الجدار لأنهم جعلوا بين قبره و بين حائط القبلة نحوا من سوط.

و قال ابن سعد فى طبقاته: أخبرنا شريح بن النعمان عن هشيم قال: أخبرنى رجل من قريش من أهل المدينة يقال له محمد بن عبد الرحمن عن أبيه قال: سقط حائط قبر النبى صلّى اللّه عليه و سلّم فى زمن عمر بن عبد العزيز- و هو يومئذ على المدينة فى ولاية الوليد- فكنت فى أول من نهض، فنظرت إلى قبر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، فإذا ليس بينه و بين حائط عائشة رضى اللّه عنها إلا نحو من شبر، فعرفت أنهم لم يدخلوه من قبل القبلة، و على تقدير أن يكون ثمّ موضع بين

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۷۱

القبر الشريف و بين جدار القبلة بحيث يتأتى إدخاله صلّى اللّه عليه و سلّم من ناحية القبلة فلا يكون ذلك الموضع محل القبر الشريف؛ لبعده من جدار القبلة جدا. و فيما رواه ابن زبالة و يحيى من خبر عبد اللّه بن محمد بن عقيل فى قصة سقوط جدار الحجرة الشريفة المتقدم ذكره أن عمر بن عبد العزيز قال لمزاحم لما دخل: يا مزاحم كيف ترى قبر النبى صلّى اللّه عليه و سلّم؟ قال: متطأطئا، قال:

فكيف ترى قبر الرجلين؟ قال: مرتفعين، قال: أشهد أنه رسول الله.

و قد قدمنا من وصف داخل الحجرة و ذكر ذرعها ما فيه كفاية.

و قد تأملت التفاوت بين أرض الحجرة الشريفة و بين أرض الفضاء الخارج بين الجدار الشامى الداخل و زاوية الجدار الخارج فوجدت أرض الحجرة أنزل منه بنحو ذراع و نصف، و تقدم أن أرض الفضاء المذكور أخفض مما حول الحجرة من المسجد بذراع و ثلث، فيكون التفاوت بين داخل أرض الحجرة و أرض المسجد نحو ثلاثة أذرع.

و تأملت آثار ردم الحريق فى الجدران فرأيته فى بعضها نحو ثلاثة أذرع، و فى بعضها نحو ذراعين، و أخبرنى المباشرون لإخراجه بذلك أيضا.

ثم هدموا من الجدار القبلى مما يلى المشرق جانبا نحو أربعة أذرع و شىء، حتى بلغوا به أرض الحجرة.

و هدموا أيضا جانبا من الجدار الغربى مما يلى الشام حتى بلغوا به الأرض أيضا، و ذلك نحو خمسة أذرع منه، فعلوا ذلك ليتأتى لهم إحكام القبة التى أجمعوا أمرهم عليها، و لم يبق من أركان الحجرة الشريفة سوى مجمع جدار القبلة و جدار المغرب.

ثم إنهم هدموا من علو ما بقى من الجدارين المذكورين نحو خمسة أذرع، و لم يبق من بناء الحجرة الأصلى إلا ما فضل منهما.

و وجدوا عند هدم مبدأ الجدار القبلى من أعلاه ميزابا قد احترق بعضه من جهة ما كان فى بناء الجدار، و بقى منه نحو الذراع، و هو من عرعر له رائحة ذكية، و سعة مجرى الماء فيه نحو أربعة أصابع أو خمسة، كأنه كان ميزابا للحجرة الشريفة قديما فحرص الأقدمون على ما بقى منه بعد الحريق و وضعوه بين السترة التى أحدثوها لأجل السقف و بين رأس الجدار، فجزاهم اللّه خيرا.

و لما أعيد بناء الحجرة حرصت على أن يعاد فيها، فوعدنى متولى العمارة بذلك، فلما كان عند ختم البناء سألته عنه، فذكر لى أنه جعله فى البناء الآتى ذكره فى أعلى الجدار الشامى بين ما بقى من لبن الحجرة و ليس عليه بطين ذلك اللبن.

ثم عند الشروع فى إعادة بناء الحجرة اقتضى رأيهم إدخال الأسطوان المتقدم وصفه خلف جدار الحجرة الشامى لتشققه فزادوا فى عرض ذلك الجدار من الرحبة المثلاثة الشكل

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۷۲

المتقدم وصفها بين الجدارين، و كان الشروع فى إعادة بناء الحجرة فى سابع عشر شعبان المذكور، فابتدءوا بالجدار المذكور، و أوصلوه بالجدار الغربى، و أعادوا ذلك بأحجار الحجرة التى نقضوها منها، ثم رأوا أن إحكام القبة التى عزموا عليها يقتضى تربيع محلها، بحيث لا يزيد طوله على عرضه. و قد قدمنا فى ذرع الحجرة ما يقتضى عدم ذلك، فعقدوا قبوا على نحو ثلث الحجرة الذى يلى المشرق و الأرجل الشريفة، و جعلوا الجدار الخارج من جهة المشرق متصلا بجدار الحجرة الداخل، فأدخلوا ما كان بينهما فى جدار القبو المذكور إلى نهاية ارتفاعه، و كذا فعلوا فيما كان بين الجدار القبلى الداخل و الخارج، سدّوه أيضا بالبناء حتى لم يبق حول البناء الداخل فضاء إلا ما بقى من الرحبة المثلاثة الشكل فى جهة الشام و صار علو القبة المذكور فضاء أيضا بين القبة و بين الجدار الظاهر فى جهة المشرق و عقدوا القبة المذكورة على ما بقى من الحجرة، و هو ما يلى المغرب منها فى جهة الرءوس الشريفة، و حاول بعض الناس أن يكون عقد القبة بالآجر، فكرهت ذلك لما لا يخفى، فاجتنبه متولى العمارة جزاه اللّه تعالى خيرا، و عقدها بالأحجار المنحوتة من الحجر الأسود، و كملها بالأبيض، و أخبرونى أن ارتفاع القبة المذكورة من داخل أرض الحجرة الشريفة إلى

محدّب القبة المذكورة- و هو أعلاها المغروز فيه هلالها- اثنا عشر ذراعا بذراع العمل؛ فيكون بالذراع المتقدم وصفه ثمانية عشر ذراعا و ربع ذراع.

و من أرض الحجرة أيضا إلى نهاية القبو الذى بنى عليه أحد حوائط القبة المذكورة ثمانية أذرع و شيء بذراع العمل، و ذلك نحو أحد عشر ذراعا بالذراع المتقدم وصفه، و ارتفاع حائط القبة الشرقى- و هو الذى يلى القبو المتقدم وصفه- عن طرف القبور الذى بنى عليه الحائط المذكور ذراع و ثلثان بذراع العمل، و ذلك ذراعان و نصف راجح بالذراع المتقدم وصفه، و صار ما بين حائط القبة المذكور و بين حائط الحجرة الظاهر فى جهة المشرق- أعنى سطح القبو المذكور و ما اتصل به- كما كان بين الجدارين، و أدخل فى عرض الجدار رحبة واحدة تحيط بها من المغرب حائط القبة المتقدم وصفه، و من المشرق حائط الحجرة الظاهر، و من القبلة حائط الحجرة الظاهر أيضا، و من الشام سترة بنيت له فيما بين جدار القبة الذى يليه و جدار الحجرة الظاهر فى المشرق.

و ذرع هذه الرحبة المذكورة بسطح القبو المذكور طولا من القبلة إلى الشام سبعة أذرع و نصف سدس ذراع بذراع العمل، و ذلك أحد عشر ذراعا بالذراع المتقدم وصفه.

و ذرعها عرضا مختلف: فمما يلى القبلة ذراعان و نصف بذراع العمل، و مما يلى الشام نحو الثلاثة.

و أما جدار القبة الشامى فقد تقدم أنهم زادوا فى عرضه من الرحبة خلفه و جعلوه أيضا

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۷۳

متفاوت العرض؛ فجعلوا ما يلى المشرق منه- و هو الموضع المحاذى للأسطوانة التى وقعت الزيادة فى العرض لأجل إدخالها و إدغامها بذلك- أزيد من الجهة التى تلى المغرب منه بنحو نصف ذراع؛ فإنهم جعلوا عرض الجدار فى هذه الجهة من أسفل عقد القبة نحو ثلاثة أذرع بذراع اليد، و عرضه فى الجهة الأخرى دون ذلك بنحو نصف ذراع، بحيث صارت جهة الأسطوان المذكور بارزة عن بقية ذلك الجدار فى الرحبة المذكورة كما سيأتى تصويره.

و قد جعلوا على رأس هذا الجدار بناء يسيرا مما بقى من اللبن الذى أخرج من بعض جدار الحجرة كما تقدم وصفه، بعد أن تفرق اللبن المذكور، و أخذ الكثير منه.

و تركوا فى نحو وسط هذا الجدار خوخة، فلما لم يبق إلا هى أدخلوا منها شيئا كثيرا من الحصباء جاءوا بها من عرصة العقيق من جنس حصباء المسجد بعد غسلها بالماء ليضعوها على القبور الشريفة، و كنت قد ذكرت لبعضهم أن موضع القبر الشريف النبوى مما يلى الجدار القبلى، و أنه يستنبط مما قدمناه فى مسمار الفضة المحاذى للوجه الشريف أن أول القبر الشريف من جهة المغرب على نحو ذراعين بذراع اليد من الحائط الغربى؛ لأنا إذا أسقطنا عرض الجدارين الغربيين- و هما الجدار الداخل و الخارج، و هو نحو ثلاثة أذرع مما بين المسمار و أول الجدار الظاهر الغربى و هو نحو خمسة أذرع كما تقدم- كان الباقى نحو الذراعين إلى الرأس الشريف، فاستحسن ذلك، فحضر معهم لما دخلوا من الخوخة المذكورة لوضع الحصباء على القبور الشريفة، فوضعوا ذلك على المحل الشريف المذكور كما وصفت، و أخذوا بالهيئة المشهورة فى كيفية القبور الشريفة من أن رأس أبى بكر رضى اللّه عنه خلف منكب النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، و رأس عمر رضى اللّه عنه خلف منكب أبى بكر، فوضعوا الحصباء عليهما كذلك و كان بعض المباشرين لذلك حنفيا- و هو صهر متولى العمارة- فجعلها مسنّة، و ذلك بعد أن أكثروا فى الموضع المذكور من البخور بالعود و العنبر و غيرهما من أنواع الروائح، و عرف المحل الشريف على ذلك كله راجح فائح، و لله در القائل:

بطيب رسول اللّه طاب نسيمها فما المسك ما الكافور ما المندل الرّطب

و ألقى جماعة من الناس من تلك الخوخة أوراقا كتبوا فيها التشفع بالنبى صلّى اللّه عليه و سلّم و مارب يسألونها بالحجرة الشريفة، ثم سدوا الخوخة المذكورة، و أحكموا بناءها كبقية الجدار، و بيضوا القبة المذكورة و جميع جدرانها من خارجها بالجص، و جاءت حسنة فاض عليها أنس المحل الشريف، و نصبوا بأعلاها هلالا من نحاس يظنه الرائى ذهبا، و هو قريب من سقف المسجد الأول؛ فإن

القبـة المـذكورة تحته، ثم سدوا ما بقى من نقب الجدار الظاهر، و حضـرت معهم فى ذلك الوقت، و حضـرت أيضا بعض بناء الحجرة الشـريفة، و تبركت بالعمل فيه، و لم أحضر غير ذلك طلبا للسلامة، و أنشدت فى ذلك المحل الشريف قصيدتى التى تطفلت بها على واسع كرم الجناب الرفيع الحبيب الشفيع الحالّ بذلك الحمى المنيع، التى أولها:

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۷۴

قف بالديار لحى فى ذرى الحرم و حيّ هذا المحيّا من ذوى إضم

و كان الفراغ من ذلك و ختم بناء الجدار الظاهر فى يوم الخميس المبارك سابع شوال من السـنة المذكورة، و أصرفوا فى ذلك و فى غيره من عمارات المسـجد و إعادة منارة مسـجد قباء و تجديـد بعض سـقفه و إحكام مصـرف المياه التى كانت تجتمع حول المسـجد عنـد كثرة الأمطار مالا جزيلا، و من أعظم ذلك نفعا ما جعل لمصـرف المياه المذكورة كما سـيأتى وصـفه فقد عم نفعه، و ذلك كله فى الصـحائف الشـريفة السلطانية الأشرفية، أعز اللّه أنصارها، و أعلى فى سلوك العدل منارها، على يد متولى العمارة الجناب الشمسى المتقدم ذكره ضاعف اللّه تعالى حسناته.

و هذا تصوير ما استقر عليه الأمر من هذه العمارة فى صورة الحجرة المشرفة و القبور الشريفة بها:

ثم حـدث بعـد الحريق الثانى عنـد إنشاء القبـة الثانيـة التى جعلوها بدلا عن القبة الزرقاء المتقدم ذكرها تأسـيس دعامة و عقد فى جهة المغرب عنـد مقام جبريل عليه السـلام متصل بجـدار الحجرة الظاهر من أعلاه و أسـطوان و عقـد فى مقابلة ذلك فى المشـرق متصـل بالجدار الظاهر أيضا فى جهة المغرب.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۷۵

الفصل التاسع و العشرون فى الحريق الحادث فى زماننا بعد العمارة السابقة و ما ترتب عليه

اشارة

ألحقته هنـا مع إلحـاق ما تقـدمت الإشارة إليه فى الفصول السابقـة، لحـدوثه بعـد الفراغ من مسودة كتابنا هـذا لأنى توجّهت إلى مكة المشرفة للاعتمار أول شهر رمضان عام ست و ثمانين و ثمانمائة، فورد على بها عدة كتب من الصادقين فى الخبر، و شافهنى من شاهد الأمر و الأثر، بما حصل من الخطب العظيم، و الرزء الجسيم، باحتراق المسـجد النبوى أول الثلث الأخير من ليلة الثالث عشـر من شـهر رمضان، و ذلك أن رئيس المؤذنين و صـدر المدرسـين الشمسـى شـمس الـدين محمـد بن الخطيب قام يهلّل حينئـذ بالمنارة الشـرقية اليمانية المعروفة بالرئيسـية، و صعد المؤذنون بقية المنائر، و قد تراكم الغيم فحصل رعد قاصف أيقظ النائمين، فسقطت صاعقة أصاب بعضها هلال المنارة المذكورة، فسقطت فى المسجد و له لهب كالنار، و انشق رأس المنارة، و توفى الريس المذكور لحينه صعقا ففقد من كان على بقية المنائر صوته، فنادوه فلم يجب، فصـعد إليه بعضـهم فوجده ميتا، و أصاب ما نزل من الصاعقة سقف المسجد الأعلى بين المنارة الرئيسـية و قبة الحجرة النبوية فثقبه ثقبا كالترس، و علقت النار فيه و فى السـقف الأسـفل، ففتح الخدام أبواب المسـجد قبل الوقت المعتاد و قبل إسـراجه، و نودى بالحريق فى المسـجد، فاجتمع أمير المدينة و أهلها بالمسجد الشريف، و صعد أهل النجدة منهم بالمياه لإطفاء النار، و قد التهبت سريعا فى السقفين، و أخذت لجهة الشمال و المغرب، فعجزوا عن إطفائها، و كلما حاولوه لم تزدد إلا التهابا و اشـتعالا، فحاولوا قطعها بهدم بعض ما أمامها من السـقف، فسـبقتهم لسـرعتها، و تطبق المسجد بدخان عظيم، فخرج غالب من كان به، و لم يسـتطيعوا المكث؛ فكان ذلك سـبب سـلامتهم، و هرب من كان بسـطح المسـجد إلى شماليه، و نزلوا بما كان معهم من حبال الدلاء التى استقوا بها الماء بخارج المسـجد على الميضأة و البيوت التى هناك و ما حول ذلك، و سـقط بعضـهم فهلك، و نزل طائفـة منهم إلى المسـجد من الـدرج فاحترق بعضـهم و لجأ بقيتهم إلى صـحن المسـجد مع من حالت النار بينه و بين أبواب المسـجد

ممكن كان أسفل، و منهم صاحبنا الشيخ العالم صدر المدرسين الشمسى شمس الدين محمد بن المسكين المعروف بالعوفى، فمات بعد أيام لضيق نفسه بسبب الدخان مع توعك سابق، رحمه اللّه تعالى! و احترق من الخدام الزينى شند نائب خازن دار الحرم، تغمده اللّه برحمته! و مات جماعة تحت هدم الحريق من الفقراء و سودان المدينة، و جملة من مات بسبب ذلك بضع عشرة نفسا، و كانت سلامة من بقى بالمسجد على خلاف القياس؛ لأن النار عظمت جدّا حتى صارت كبحر لجى من نار، و لها زفير و شهيق و ألسن تصعد فى الجو، و صار لفحها يؤثر من البعد حتى أثرت فى النخلات التى بصحن المسجد،

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۷۶

و علق منها شىء بالمنارة الرئيسية فاحترقت، و وصلت النار لثياب الريس شمس الدين محمد رحمه الله تعالى فاحترقت بعد موته، و صارت النار ترمى بشرر كالقصر فتسقط بالبيوت المجاورة للمسجد، و مع ذلك فلا تؤثر فيها، حتى سقط بعض الشرر على سعف فلم يحترق، و حمل بعض خزائن الكتب من تحت سقف المسجد إلى صحنه فأصابها الشرر فأحرقها.

و نقل عن جمع كثير أنهم شاهدوا حينئذ أشكال طيور بيض كالإوز يحومون حول النار كالذى يكفها عن بيوت الجيران.

و أخبر أمير المدينة الشريفة السيد الشريف زين الدين فيصل الجمازى أن شخصا من العرب صادق الكلام رأى فى المنام ليلة ثانى عشر من شهر رمضان أن السماء فيها جراد منتشر، ثم عقبته نار عظيمة، فأخذ النبى صلّى اللّه عليه و سلّم النار و قال: أمسكها عن أمتى، فجزاه اللّه عن أمته- خصوصا عن جيرانه- أفضل ما جزى نبيّا عن أمته.

و حكى أيضا عن بواب رباط السبيل أنه ذكر مثل تلك الرؤيا عن غيره، كتب لى بذلك صاحبنا العلامة شيخ المحدثين بالحرم النبوى الشيخ شمس الدين بن شيخنا العلامة ناصر الدين العثمانى أمتع اللّه به.

هذا ما حصل لأهل المدينة الشريفة من الدهشة العظيمة و الحيرة لما شاهدوا من هول هذه النار و منظرها الفظيع، حتى أيقن بعضهم بالهلاك، و انتقل بعض أهل الدور منها لما وصل إليهم الشرر، و خرج بعضهم من باب المدينة الذى يلى البقيع، و بعضهم من بابها الذى يلى المصلى، و ظنوا أن النار محيطة بهم. قال الشمس العثمانى: و صار لجميع المدينة من جميع جهاتها بالبكاء ضجيج، و بالدعاء عجيج، قال: و أمر هذه النار عجيب، و ليس الخبر كالمعاينة، و صار المسجد كالتنور، و لم يمض إلا أقل من عشر درج و قد استولى الحريق على جميع سقف المسجد و حواصله و أبوابه و ما فيه من خزائن الكتب و الربعات و المصاحف، غير ما وقعت المبادرة لإخراجه أولا و هو يسير، و غير القبة التى بصحن المسجد، و سبق ذكر سلامتها فى الحريق الأول، و كنت تركت كتبى بالخلوة التى كنت أقيم بها فى مؤخر المسجد، فكتب إلىّ باحتراقها، و منها أصل هذا التأليف و غيره من التآليف و الكتب النفيسة نحو ثلاث مائة مجلد، فمنّ اللّه تعالى علىّ ببرد الرضى و التسليم، و فراغ القلب عن ذلك، حتى ترجحت هذه النعمة عندى على نعمة تلك الكتب لما كنت أجده قبل من التعلق بها؛ فلله الحمد و الشكر على ذلك. هذا، مع ما منّ اللّه به على من غيبتى عن هذا الأمر المهول؛ فإن وقوعه كان فى ليلة الوصول إلى الحرم المكى، و لم يتفق لى منذ سكنت المدينة الخروج منها فى رمضان، بل كنت ألازم المسجد النبوى فيه من أوله إلى آخره ليلا و نهارا، فكان ذلك سبب النجاة من هذا الأمر.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۷۷

و لما اشتعلت النار فى السقف المحاذى للحجرة الشريفة ذاب الرصاص من القبة التى بسقف المسجد الأعلى، و احترقت أخشابها و ما يحاذيها من السقف الأسفل و الشباك الدائر على حائز عمر بن عبد العزيز الذى تعلق الكسوة بأعلاه، و سقط ما سقط من ذلك على القبة السفلى التى تقدم تجديدها، فلما أصبحوا بدءوا بطفى ما سقط على القبة المذكورة، و استمروا فى ذلك إلى آخر النهار، فسلمت القبة المذكورة مع أن بعضها من الحجر الأبيض الذى يسرع تأثره بالنار، و ذلك من المعجزات النبوية؛ لأن كثيرا من أساطين المسجد الشريف سقطت لما ذاب بعض رصاصها و تهشمت و هى من الحجر الأسود، و مع ذلك تفتت كأنه أحجار النورة، و عدة ما سقط منها مائة و بضع و عشرون أسطوانا، و ما بقى منها فقد أثرت فيه النار أثرا بينا، و سلمت الأساطين اللاصقة بجدار الحجرة أيضا؛

فالحمد لله على حماية الحجرة المنيفة، الحاوية للقبور الشريفة، و احترقت المقصورة التى كانت حول الحجرة الشريفة و المنبر الشريف و ما كان أمام المصلى المنيف بالروضة الشريفة من الصندوق و ما عليه من المحراب المتقدم وصفه، و سقطت أكثر عقود المسجد، و ما بقى منها فهو آئل إلى السقوط، و سقط علو المنارة الرئيسية، ثم خشوا من سقوط بعض ما بقى منها فهدموا نحو ثلثها، و كتبوا إلى سلطان مصر مولانا الأشرف سلطان الحرمين الشريفين قايتباى أيد اللّه أنصاره بذلك سادس عشر رمضان، و اقتضى رأى نائب الناظر سد أبواب حواصل المسجد حتى القبة التى بوسطه المرصد فيها زيت مصابيحه، و ترك الردم على حاله حتى ترد الأوامر الشريفة فتضرر الناس بذلك، فاتفقت الآراء على تنظيف مقدم المسجد ما عدا ما جاور الحجرة الشريفة خوفا على ما سقط من حلية قناديلها، مع أنها يسيرة كما يؤخذ مما سبق، فجعلوا على ذلك حاجزا من الآجرّ، و نقلوا هدم مقدم المسجد إلى ما يلى باب الرحمة من مؤخره، و عمل فى ذلك أمير البلد و القضاة و الأشراف و عامة الناس حتى الكثير من النساء و الأطفال تقربا إلى اللّه تعالى بغير أجرة، و لم يتأخر عن ذلك إلا المخدّرات من النساء.

و بنوا فى محل المنبر منبرا من آجر، و صلّوا بالمصلى النبوى من حينئذ، و عملوا لأبواب المسجد غير باب جبرائيل خوخا يدخل منها، و سدوا ما زاد على ذلك، و نصب الخدام خياما بالمسجد إذ لم يبق به ظل، و صار بعض أهل الخير يسرج قناديل متعددة من عنده فى المسجد مع توفر الزيت بحاصله، لكن تعذر ذلك بسبب سدّه، و استمرت النار فيما لم ينقل هدمه من المسجد حتى فيما حول الحجرة الشريفة و موقف الزائرين تجاه الوجه الشريف، و أخبر بعضهم بمشاهدة الدخان يتصاعد من ذلك المحل الشريف بعد مدة، و فى أثناء شوال أخبر قاضى المالكية شمس الدين السخاوى حفظه اللّه تعالى أنه رأى فى النوم من يقول له:

أطفئوا النار من الحجرة الشريفة، يعنى الموضع الذى تركوا تنظيفه حولها، فتفقدوا ذلك

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۷۸

فوجدوا النار فى ثمانية مواضع، فأطفؤوا ذلك، ثم رأوا أن مادة هذه النار لا تنقطع إلا بتنظيف الردم، فاجتمعت الآراء على ذلك بعد توقّف تام من نائب الناظر، و عيّنوا لتعاطيه من يثقون به من الخدام و الفقهاء و الفقراء، و كان الصواب المبادرة لذلك أولا، و لكن على كل خير مانع، و لا يدرى أحد أسرار ما اللّه فى عباده صانع، و لما نظفوا ذلك وجدوا حلية الصندوق المجعول فى جهة الرأس الشريف و جانبا من الكسوة و بعض البسط سالما لسقوط الردم عليه، و وجدوا القناديل التى كان التخوّف فى تنظيف ذلك المحل لأجلها، و أداروا على الحجرة الشريفة جدارا من الآجر فى موضع المقصورة المحترقة، و جعلوا فيها شبابيك و طاقات و أبوابا، و قام بمصروف ذلك بعض النساء المباركات و غيرها، و سامح البناءون بنصف أجرهم مع توفر المصروف بحاصل المسجد الشريف، و أحضرت تلك المرأة أيضا و غيرها كسوة للحجرة الشريفة من القماش الأبيض فجعلت عليها.

و فى ذلك كله عبرة تامة و موعظة عامة لأولى الأبصار، و هو منذر بأمر عظيم، و لهذا اختص به هذا المحل المنسوب إلى النذير صلّى اللّه عليه و سلّم، و قد ثبت أن أعمال الأمة تعرض عليه صلّى اللّه عليه و سلّم، فلما ساءت منا الأعمال المعروضة ناسب ذلك الإنذار بإظهار عنوان النار المجازى بها فى موضع عرضها، و لم أزل فى وجل مما يعقب ذلك حيث لم يحصل الاتعاظ و الانزجار، و قد قال تعالى: وَ ما نُرْسِلُ بِالْآياتِ إِلَّا تَخْوِيفاً [الإسراء: ۵۹]، و قال تعالى: ذلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبادَهُ يا عِبادِ فَاتَّقُونِ [الزمر: ۱۶] و كأن لسان القدرة ينادى: أ لا- تتعظون بما ترون و تسمعون؟ أ لا تنتهون و تنزجرون؟ أ لا ترون إلى هذا المحل الشريف مع عظيم نسبته و علو رتبته و مكانته لما تلوّث بآثاركم معشر المذنبين، و تدنّس بأقذاركم كافة الغافلين، أرسلت عليه بحرا من النار السماوية تطهره من تلك الآثار، و تزجركم عن التمادى على الإصرار، و موالاة اتباع الأوزار، و تشهد بصائركم عموم القدرة، فترسلون من الأبصار سوابق العبرة، تأسفا على ما اجترحتموه قبل هذه العبرة، فمن لم ينته بهذا الزاجر الفعلى عن إصراره، و لم يقتبس من هذه النار العظيمة قبسا يهتدى بأنواره، فلينظر فيما حدث عقيب حريق المسجد القديم، و يتفكر فى ضعفه عن احتمال العذاب الأليم، حمانا اللّه من ذلك، و سلك بنا أجمعين أحسن المسالك.

و من العجائب أنه لم يتأتّ إخراج ردم هذا الحريق بعد نقله لمؤخر المسجد حتى حضر الحجّاج من سائر الآفاق للزيارة، و شاهدوا هذه العبرة العظيمة، و رأوا ما اجتمع من الردم كالآكام و التلول الجسيمة، ثم قبيل دخول الحاج مكة بالقعدة الحرام من العام الثانى أرسل الله سيلا عظيما بمكة المشرفة ملأ ما بين الجبلين و علا جدار أبواب المعلى، و دخل جوف الكعبة الشريفة، و ارتفع فيها أزيد من قامة و هدم دورا كثيرة يقال إنها تزيد على ألفى دار،

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۷۹

و ذهب بسبب ذلك من الأموال و الأنفس ما لا يحصيه إلا اللّه تعالى، حتى أنهم ضبطوا من وجد تحت الردم بالمسجد الحرام فقط عند تنظيفه فكانت عدتهم نحو الثمانين، و قيل أزيد من مائة، و لم أقف فيما نقل من سيول الجاهلية و الإسلام على مثل ذلك، و لما نظفوا ذلك الردم- و هو أتربة و نقض هدم حملها السيل- لم يتأتّ إخراجه قبل وصول الحجاج و صار ذلك كالآرام و التلول العظيمة فى المسجد الحرام، فحضر الحجاج كلهم و شاهدوا ذلك، فسبحان من بيده الخلق و الأمر لا يسأل عما يفعل و هم يسألون.

و لما وصل خبر الحريق لرودس من بلاد النصارى أظهروا بذلك فرحا و استبشارا، و تظاهروا بالزينة و ضرب النواقيس، فلم يمض ذلك اليوم إلا- و قد أرسل اللّه عليهم زلازل عظيمة هدمت عليهم جانبا من سور البلد و الكنيسة و كثيرا من دورهم، و هلك منهم بذلك خلائق لا يحصون، و دامت الزلازل عليهم، أياما، شاهدت ذلك فى كتب وردت من ثغر إسكندرية بخط من يعتمد عليه، و ذكروا أن المخبر لهم بذلك أهل المراكب الواردة من رودس المذكورة، و أنهم سافروا و الزلازل مستمرة بها، و هم يخرجون الموتى من تحت الهدم بعد انتقال من بقى إلى خارج البلد، فتأمل هذه المعجزات النبوية، و الآيات الربانية.

و لما وصل القاصد إلى مصر المحروسة، و اتصل علم الحريق المذكور بسلطانها، عظم ذلك عليه، و برزت أوامره الشريفة بالمبادرة إلى تنظيف المسجد الشريف، و رأى أن فى تأهيل اللّه تعالى له لعمارة ذلك مزيد التشريف، و كمال التعريف، و أنه كرامة من اللّه تعالى أكرمه بها، و ذخيرة يرجو الفوز بسببها، فاستقبل أمر العمارة بهمة تعلو الهمم العلية، و رسم بإبطال عمائره المكية، و بتوجه شادها السيفى الأمير سنقر الجمالى صحبة الحاج الأول بزيادة على مائة صانع من البنائين و النجارين و النشارين و الدهانين و الحجارين و النحاتين و الحدادين و المرخّمين و غيرهم، و كثير من الحمير و الجمال، و صحبته و صحبة أخيه المقر الأشرفى الشجاعى شاهين و الأمير قاسم الفقيه شيخ الحرم الشريف مبلغ عشرين ألف دينار، و شرع السلطان فى تجهيز الآلات و المؤن حتى كثرت فى الطّور و الينبع و المدينة الشريفة.

ثم جهّز متولى العمارة الأولى بالمدينة الشريفة- و هو الجناب العالى الخواجكى الشمسى شمس الدين بن الزمن- فى أثناء ربيع الأول و صحبته أكثر من مائتى جمل و من مائة حمار و أزيد من ثلاثمائة من الصناع أهل الصنائع الأولى و غيرهم من الحمالين و المبيضين و السباكين و الجباسين، و أصرفوا لهم شيئا من الأجرة قبل سفرهم، و قد صارت أحمال المؤن متواصلة قلّ أن تنقطع برا و بحرا، و استقبلوا أمر العمارة بجد و اجتهاد، فهدموا المنارة الرئيسية التى أصابها الحريق إلى أساسها، و هدموا من سور المسجد من ركن المنارة التى بباب السلام إلى آخر جدار القبلة و ما يليه من المشرق إلى باب جبريل، و ما يلى المنارة من المغرب أيضا إلى

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۸۰

باب الرحمة، و أعادوا المنارة الرئيسية و سور المسجد المذكور، و زادوا فى عرضه يسيرا، و وسعوا المحراب العثمانى، و سقفوا مقدم المسجد سقفا واحدا، بعد أن قصروا أساطينه و جعلوا عليها عقودا من الآجر فوقها أخشاب السقف، و كانت الأساطين المذكورة قبل ذلك واصلة إلى سقف المسجد كهيئة ما بقى من أساطينه فى بقية المشرق و المغرب و الشام، و جعلوا على المحراب العثمانى قبة على رءوس الأساطين، بعد أن قرنوا إلى كل أسطوانة ثانية، و جمعوا فى بعضها بين خمس أساطين؛ ليتأتى لهم عقد القبة المذكورة، و أزالوا الأسطوانة التى كانت فى محاذاة الأسطوانة التى إليها المصلّى النبوى بينها و بين المحراب العثمانى، و جعلوا على ما يحاذى الحجرة الشريفة و ما حوله قبة عظيمة على دعائم بأرض المسجد و عقودا من الآجر بدلا عن القبة الزرقاء التى كانت قبل الحريق، و

كانت تلك على رءوس السوارى كما سبق فى الفصل السابع و العشرين، و قدمنا هناك ما حصل من ضيق المسجد من جهة المشرق بسبب ابتناء بعض تلك الدعائم هناك، فخرجوا بجدار المسجد الشرقى- أعنى ما حاذى ذلك منه- بنحو عرض الجدار فى البلاط الشرقى، و أبقوا الباب المعروف بباب جبريل فى محله.

ثم أحدثوا أسطوانا فى جانب مثلث الحجرة ليشتدّ به العقد الذى عليه القبة فى تلك الناحية، و حفروا لذلك أساسا عظيما ظهر بسببه القبر المنسوب فى أحد الأقوال لفاطمة الزهراء رضى اللّه عنها، و زادوا دعامتين و عقدا إلى جانب الأسطوانتين اللتين فى جهة الوجه الشريف، و لم يبالوا بما حدث بسبب ذلك من الضيق فى الموضع المواجه للوجه الشريف داخل المقصورة و غيره لخشيتهم من سقوط القبة المذكورة، و كانوا قد وجدوا فى جدار المنارة الرئيسية عند هدمها خزانة وضع الأقدمون بها أوراق المصاحف المحترقة فى الحريق الأول و سدوا عليها، فأخرجوا تلك الأوراق و وضعوها فى أعلى القبة المذكورة عند ختمها، فبدأ فى القبة تشقّق، فقيل لهم: إن ذلك بسبب وضع الأوراق المذكورة بها؛ لأن اللّه تعالى يقول: لَوْ أَنْزَلْنا هذَا الْقُرْآنَ عَلى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ [الحشر: ۲۱] فأخرجوا تلك الأوراق منها، فقضيت العجب من ذلك.

و من الغريب أنى كنت قد عزمت على التوجه إلى أرض مصر لزيارة والدتى و أهلى قبل الشروع فى العمارة المذكورة، فلم أحضر شيئا من ذلك، و من اللّه تعالى بالوصول إلى الوالدة و الأهل، فتوفيت الوالدة بعد قدومى بعشر ليال، و كانت مدة غيبتى عن أهلى ستة عشر سنة، ثم منّ اللّه تعالى بالعود إلى المدينة الشريفة بعد تعويض ما تدعو الحاجة إليه من الكتب المحترقة، فوجدتهم قد عمروا القبة المذكورة و مقدم المسجد و عقدوا العقود المتصلة بهذه القبة من المشرق و الشام، و جعلوها قبوا بدل السقف، و اتخذوا فيما بين الحجرة الشريفة

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۸۱

و الجدار القبلى قبة لطيفة، و حولها ثلاثة أخر تسمى مجاريد، و جعلوا بين عقود هذه القباب و بين المنارة الرئيسية التى أعادوها بادهنجا للضوء و الهواء، و كان باب المنارة المذكورة من جهة المغرب، فنقلوه إلى جهة الشام، و أحدثوا أمامه أربع درجات بأرض المسجد، و إلى جانبها خزانة، و جعلوا موضع بابها الأول خلوة للخطيب يجلس بها إلى أن يخرج للخطبة يوم الجمعة، و كان جلوسه فى الأعصار الخالية هناك مع وجود باب المنارة به، و اتخذوا أيضا قبتين أمام باب السلام من داخله، و بنوا الباب المذكور بالرخام الأبيض و الأسود و زخرفوه زخرفة عظيمة، و كذلك القباب المذكورة، و خفضوا أرض مقدم المسجد حتى ساوت أرض المصلى الشريف، و اتخذوا له محرابا فى محل الصندوق الذى كان هناك و زخرفوه بالرخام و كذا المحراب العثمانى زخرفة عظيمة، و أعادوا ترخيم الحجرة الشريفة و ما حولها و ترخيم الجدار القبلى، و أزالوا البناء الذى عمله أهل المدينة فى موضع المقصورة المستديرة بالحجرة الشريفة، و أبدلوا ما يلى القبلة من ذلك بشبابيك من النحاس، و بأعلاها شبكة من شريط النحاس كهيئة الزّرد، و جعلوا لبقيتها مما يلى الشام مشبكا مشاجرا من الحديد و فاصلا عن يمين مثلث الحجرة و يساره فيه بابان كما سبق بسط كل ذلك فى محله، و عملوا المنبر و دكة المؤذنين من رخام، و جعلوا فيما يلى باب الرحمة و باب النساء إلى مؤخر المسجد دكتين إحداهما بالمسقف الغربى و الأخرى بالمسقف الشرقى، و جعلوهما أخفض من الدكاك الشامية يسيرا، و ردموهما من أتربة المسجد، و اتخذوا فيما أعادوه من الجدار الشرقى خزائن للكتب و طاقات كبارا كالأبواب المقنطرة فى أعالى الجدار و طاقات متسعة مستديرة أيضا تكثيرا للضوء، و لم يكن بأعالى الجدار المذكور أولا غير شباك واحد، و جعلوا نظير تلك الطاقات فى الجدار القبلى أيضا، و بنو الجدار من ابتداء تلك الطاقات بالآجر، و سبب الاحتياج إلى ذلك أن أساطين مقدم المسجد الشريف كانت واصلة إلى سقفه كما سبق، و لم يكن بذلك قناطر من العقود سوى ما يلى الرحبة من الرواقين اللذين جدّدهما الناصر كما سبق، و كان الساقط من الأساطين بمقدم المسجد هو الأكثر لسقوط العقود التى كانت بين السقفين عليها وقت الحريق و اشتعال النار المذيبة للرصاص الذى بين خرز الأساطين، فاقتضى رأيهم إعادة تلك الأساطين قصيرة و تكميلها إلى السقف بعقود القناطر، فأخذت القناطر حصة من الضوء، فعوّضوا

ذلك بتلك الطاقات، و أكد عندهم فتحها أخذ متولى العمارة للدور التى فى قبلة المسجد المعروفة بدور العشرة ليجعلها مدرسة للسلطان، و عرض الجدار القبلى يسيرا منها، و جعل فيها فتحات لشبابيك متعددة أيضا، ثم صرف اللّه تعالى عزمه عن ذلك و سد فتحات الشبابيك المذكورة كلها بفصوص الأحجار كنسبة بناء الجدار، و سدّ أيضا الطاقات التى بالجدار القبلى إلا ما يحاذى القبة التى على المحراب العثمانى، فجعل لها و لما بقى من الطاقات قمريات من الزجاج و شبكات من شريط النحاس.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۸۲

ثم استبدل متولى العمارة الرباط المعروف بالحصن العتيق و ما فى شاميه من المدرسة الجوبانية و الدار التى كانت تعرف بدار الشباك- و ذلك كله فيما بين باب الرحمة و باب السلام- عند هدم هذا الجانب من الجدار الغربى ليتخذ فى ذلك مدرسة و رباطا لسلطان زماننا الأشرف أدام الله تعالى تأييده و تسديده، و اتخذ فى الجدار المذكور فتحات لشبابيك كثيرة فى ثلاث طبقات عدتها ثلاثون فتحة، لأن الفتحة الثالثة من على يسار الداخل من باب السلام فى موضع باب خوخة أبى بكر الصديق الآتى ذكرها فى أبواب المسجد، جعلوه بابا ينفذ إلى المسجد، و كذا الفتحتان اللتان بينها و بين باب السلام جعلوا لهما بابين إلى المسجد فقط، و صارت هذه الأبواب الثلاثة فى المسجد دون المدرسة من أصل حاصل المسجد الذى كان هناك، و الفتحة الخامسة- و هى الثالثة من خوخة أبى بكر- جعلوها بابا ينفذ من المسجد إلى أسفل المدرسة، و جعلوا على الفتحات التى فى الطبقة العليا شبكة من شريط النحاس شبه الزرد؛ لأنها جعلت لمجرد الضوء، و قد تكلم الناس مع متولى العمارة فى أمر الشبابيك و اتخاذها بجدار المسجد الشريف القبلى قبل انتقاله إلى هذه الجهة، و كثر الكلام فى ذلك، فكاتب السلطان فاستفتى علماء مصر فى ذلك فأفتاه جماعة منهم بذلك، فقلدهم فيه، و عوض ما فات من المصاحف و الربعات، و بعث بعض ذلك على يدى بحيث اجتمع من ذلك أكثر مما فات، و كذلك الكتب بعث بجانب منها و وعد بإرسال ما يحتاج إليه، و كان من التوفيق بعثه للأمير الكبير الفخرى قاسم الفقيه ناظرا على المسجد الشريف و شيخا لخدامه، و هو محب للعلم و أهله، مغرم بتلاوة القرآن الشريف، لم ير على طريقته مثله فى هذا الباب؛ فصار يباشر أمر الرّبعات و المصاحف بنفسه و مماليكه، و اتخذ لها كراسىّ صغارا يوضع عليها بالروضة الشريفة فى أوقات الصلوات النهارية، فيقرأ هو و الناس فيها؛ فعم نفعها.

و لما قارب المسجد التمام أخذوا فى عمارة الرباط و المدرسة المذكورين، و أسسوا لهما منارة فى ناحيتهما التى تلى باب الرحمة، و شرعوا أيضا فى عمارة رباط آخر بدل رباط الحصن العتيق، و فى حمام قبالة الرباط المذكور استأجروا أرض الحمام من الناظر على الميضأة التى بباب السلام فإنها منها، و شرعوا أيضا فى عمارة سبيل و فرن و طاحون و مطبخ للدشيشة و وكالة ذات حواصل فى الدور التى اشتروها قبل ذلك للسلطان من دور العباس و ما يلى ذلك فى جهة القبلة، و ذلك أن السلطان أعز اللّه تعالى أنصاره بعد رجوعه من الحج شرع فى شراء أماكن و جعلها وقفا ليحمل ريعها إلى المدينة الشريفة ليفرّق منه على أهلها و يعمل منه سماط كسماط الخليل عليه السلام، و أبرز لذلك ستين ألف دينار كما ذكرناه فى الفصل الثالث و الثلاثين، فاتخذوا هذه الأماكن لذلك، و هو أمر لم يسبق إليه، فسح الله تعالى فى أجله، و بلغه من الخير غاية سؤاله و أمله، و لم يكن بالمدينة الشريفة حمام قبل ذلك من مدة مديدة، و كذا الطاحون، و إنما يستعملون الأرحاء التى تدار بالأيدى.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۸۳

ثم كتب إلى بعض الثقات بتكامل تحصيل تلك الأماكن، و أن متحصلها سبعة آلاف إردب و خمسمائة إردب من الحبّ فى كل سنة، و أن السلطان أدام اللّه نصره أنجز وقفها و شرع فى عمارة أماكن بمصر تقوية للوقف، و رسم بإبطال المكوس بالمدينة و تعويض أميرها.

و قد كملت سقف المسجد النبوى كلها فى أواخر شهر رمضان عام ثمان و ثمانين و ثمانمائة، و تمت عمارة المسجد الشريف عقب ذلك، و لم يبق سوى اليسير من العمائر السابق ذكرها و إكمال ترخيم المدرسة الأشرفية.

و فى عام تسع و ثمانين حضر جماعة من الدهانين بعث بهم السلطان الأشرف أعز الله أنصاره من مصر لمحو ما بلغه أنه جعل فى بعض سقف المسجد الشريف من الدهان بالنيلة و إبداله باللازورد، و جهّز معهم أساقيل لذلك، فعملوه على أحسن وجه، ثم جهز؟

الأشرف عين الأعيان و نخبة الزمان البهائى بهاء الدين أبا البقاء بن الجيعان عظم اللّه شأنه و أسبغ عليه نعمه و إحسانه فى ركب مع جماعة من خواصه، فوصل إلى المدينة الشريفة سابع ذى القعدة الحرام من العام المذكور، و معه أحمال من كتب العلوم الشرعية موقوفة بالمدرسة الأشرفية، و أحمال كثيرة من الحبّ و الدقيق و القدور النحاس التى جعلت برسم السّماط المتقدم ذكره، و بقايا آلات العمارة مما جهز فى المراكب الشريفة إلى الينبع، فقرر أمر السماط، فصرف لكل شخص من المقيمين من الحب ما يكفيه على حسب عدة عياله، لكل نفر سبع إردب مصرى بتقديم السين على الموحدة، و سوّى فى ذلك بين الصغير و الكبير و الحر و العبد، و جعل للآفاقيين ما يكفيهم من الخبز و طعام الجشيشة فى كل يوم، و قرر أمر المدرسة، و صرف للمرخمين و غيرهم من أرباب الصنائع مصروف بقية عملهم، و أحسن النظر فى ذلك حتى زاد جماعة منهم من ماله و تلطف بهم و أحسن، فانطلقت الألسن بالدعاء له، أحسن اللّه له الجزاء، و جعل نصيبه من خيرى الدارين من أوفر الأجزاء.

و قد قارن هذه العمارة من السعد و تسهيل الأمور ما لا يوصف، و يسر اللّه تعالى لهم من آلات العمارة ما لم نكن نظن حصوله بنواحى المدينة الشريفة، خصوصا أخشاب الدّوم، فقطعوا من الموضع المعروف بالشقرة و من الصويدرة و من الفرع و غير ذلك ما لا يحصيه إلا اللّه تعالى، و كذلك أخشاب السّمر.

و قد أخبرنى بعض المباشرين لهذه العمارة الميمونة أن المصروف فيها و فيما شرعوا فيه من عمارة المدرسة و توابعها نقدا و أثمان آلات و بهائم و غير ذلك مائة و عشرون ألف دينار، و مع ذلك فلم يتم بعد.

ثم بعد أن منّ اللّه تعالى بإتمامها بلغ السلطان الأشرف أن متولى العمارة تسمح فى

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۸۴

استعمال مؤن غير صالحة، و أن القبة التى سبق اتّخاذها على أعلى ما يحاذى الحجرة الشريفة قد تشققت ثم رمّت ثم تشققت، و لم يفد الترميم فيها، و أن المنارة الرئيسية قد مالت، مع أمور أخرى، فتغير خاطره على متولى العمارة، ثم انتخب لذلك المقر الشجاعى شاهين الجمالى لما اشتمل عليه من الفضل و النبل و إصابة الرأى، و فوض إليه أيضا مشيخة الحرم و نظره و نظر السماط، فورد المدينة الشريفة فى موسع عام أحد و تسعين و ثمانمائة، و جمع الناس للنظر فى ذلك، و راجع فيه أهل الخبرة، فاقتضى الحال هدم المنارة الرئيسية و هدم أعالى القبة المذكورة، و لما هدم المنارة المذكورة ظهر أن الخلل من عدم المبالغة فى حفر أساسها، فحفر أساسها حتى بلغ به الماء، و اتخذ لها أحجارا من الحجر الأسود متقنة، و أحكم بناءها مع الحسن الفائق، بحيث لم ير قبلها بالمدينة الشريفة مثلها، و جعل بابها من المغرب فى محله الأول، و أبطل تلك الدرج المحدثة بأرض المسجد على ما سبق، و أما القبة فاتخذ فى الطاقات المحيطة بجوانبها سقفا يمنع من سقوط ما يهدم منها إلى أرض الحجرة الشريفة، ثم شرع فى هدمها و إعادتها، بحيث لم يرفع كسوة الحجرة الشريفة و لم يتخذ المسجد طريقا للعمال فى ذلك، بل اتخذ أساقيل يمشى عليها إلى سطح المسجد فى ناحيته الشرقية، و اتخذ حاجزا لمحل المنارة يحول بينها و بين المسجد بحيث يظن الظان أن المسجد لا عمارة به، و صانه أيضا من الامتهان بعمل أرباب الصنائع، فجزاه اللّه تعالى خير الجزاء، و جعل ثوابه على ذلك من أوفر الأجزاء.

و قد جاءت القبة حسنة مع الإتقان، حتى إنه استصحب فى هذه العمارة الجبس من مصر المحروسة، و استعمله فى البناء، و حرص على إتقان الآجر، و زاد العمال فيه على عادتهم، و لم يوفق متولى العمارة قبله لشىء من ذلك، سامحه الله، و كل ميسّر لما خلق له.

و قد ذكر ابن النجار ما كان عليه الخلفاء من الاهتمام بعمارة المسجد النبوى فقال: و لم يزل الخلفاء من بنى العباس ينفذون الأمراء على المدينة الشريفة، و يمدونهم بالأموال لتجديد ما ينهدم من المسجد النبوى، فلم يزل ذلك متصلا إلى أيام الناصر لدين الله، أى الخليفة فى زمنه، قال: فإنه ينفذ فى كل سنة من الذهب العين الإمامى ألف دينار لعمارة المسجد، و ينفذ عدة من النجارين و البنائين و

النقاشين و أرباب الحرف، و تكون مادتهم مما يأخذونه من الديوان ببغداد من غير هذه الألف، و ينفذ من الحديد و الصناع و الرصاص و الحبال و الآلات شيئا كثيرا، و لا تزال العمارة متّصلة فى المسجد حتى إنه ليس به موضع أصبع إلا و هو عامر، انتهى.

قلت: و عقب وفاة ابن النجار بيسير انتقل أمر المدينة الشريفة إلى ملوك مصر، و لم يزل ملوكها يهتمون بعمارة هذا المسجد الشريف، و من أعظمهم همة فى ذلك، و أحبهم فى

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۸۵

سلوك هذه المسالك، سلطان زماننا الملك المالك لصفوة الممالك الأشرف أبو النصر قايتباى، أعزّ اللّه أنصاره، و ضاعف اقتداره؛ فلذلك أجرى اللّه على يديه هذه العمارة، و آثره بهذه الأثارة، و من تأمل ما قدمناه فى الفصل السادس و العشرين فى الحريق الأول عن المؤرخين من عمل سقف المسجد على يد من سبق و طول مدته و صفته، و أحاط علما بما أسلفناه عن سلطان زماننا فى عمارته، حكم يقينا بعلو همته، و فخار منقبته و مرتبته، و اختصاصه بما لم يفز به من سبقه؛ فكان هو سابقا، و إن عد فى الزمان لاحقا، و قد ذكرنا ما له بالحجاز الشريف من الآثار الجميلة، و بعض مناقبه الجليلة، فى الفصل الثالث و الثلاثين فى خوخة آل عمر رضى اللّه عنه لما خصه اللّه به من حسم مادة المفاسد المترتبة عليها فى زماننا، و أمره بسدّ طابقها، شكر اللّه صنيعه، و حصّنه من العداة بحصونه المنيعة.

خاتمة فيما نقل من عمل نور الدين الشهيد لخندق حول الحجرة الشريفة مملوء بالرصاص، و ذكر السبب فى ذلك، و ما ناسبه

اعلم أنى قد وقفت على رسالة قد صنّفها العلامة جمال الدين الأسنوى فى المنع من استعمال الولاة للنصارى، و سماها بعضهم «بالانتصارات الإسلامية» و رأيت عليها بخط تلميذه شيخ مشايخنا زين الدين المراغى ما صورته «نصيحة أولى الألباب، فى منع استخدام النصارى كتاب» لشيخنا العلامة جمال الدين الأسنوى، و لم يسمه، فسميته بحضرته، فأقرنى عليه، انتهى. فرأيته ذكر فيها ما لفظه: و قد دعتهم أنفسهم- يعنى النصارى- فى سلطنة الملك العادل نور الدين الشهيد إلى أمر عظيم ظنوا أنه يتم لهم، و يأبى اللّه إلا أن يتم نوره و لو كره الكافرون، و ذلك أن السلطان المذكور كان له تهجّد يأتى به بالليل، و أوراد يأتى بها، فنام عقب تهجده، فرأى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم فى نومه و هو يشير إلى رجلين أشقرين و يقول: أنجدنى أنقذنى من هذين، فاستيقظ فزعا، ثم توضأ و صلى و نام فرأى المنام بعينه، فاستيقظ و صلى و نام فرآه أيضا مرة ثالثة، فاستيقظ و قال: لم يبق نوم، و كان له وزير من الصالحين يقال له جمال الدين الموصلى، فأرسل خلفه ليلا، و حكى له جميع ما اتفق له، فقال له: و ما قعودك؟

اخرج الآن إلى المدينة النبوية، و اكتم ما رأيت، فتجهز فى بقية ليلته، و خرج على رواحل خفيفة فى عشرين نفرا، و صحبته الوزير المذكور، و مال كثير، فقدم المدينة فى ستة عشر يوما، فاغتسل خارجها و دخل فصلى بالروضة، و زار، ثم جلس لا يدرى ما ذا يصنع، فقال الوزير و قد اجتمع أهل المدينة فى المسجد: إن السلطان قصد زيارة النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، و أحضر معه أموالا للصدقة، فاكتبوا من عندكم، فكتبوا أهل المدينة كلهم، و أمر السلطان بحضورهم، و كل من حضر ليأخذ يتأمله ليجد فيه الصفة التى أراها النبى صلّى اللّه عليه و سلّم له فلا يجد تلك الصفة،

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۸۶

فيعطيه و يأمره بالانصراف، إلى أن انقضت الناس، فقال السلطان: هل بقى أحد لم يأخذ شيئا من الصدقة؟ قالوا: لا، فقال: تفكروا و تأملوا، فقالوا: لم يبق أحد إلا رجلين مغربيين لا يتناولان من أحد شيئا، و هما صالحان غنيان يكثران الصدقة على المحاويج، فانشرح صدره و قال: علىّ بهما، فأتى بهما فرآهما الرجلين اللذين أشار النبى صلّى اللّه عليه و سلّم إليهما بقوله: أنجدنى، أنقذنى من هذين، فقال لهما: من أين أنتما؟ فقالا: من بلاد المغرب، جئنا حاجّين فاخترنا المجاورة فى هذا العام عند رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، فقال: اصدقانى، فصمّما على ذلك، فقال: أين منزلهما؟ فأخبر بأنهما فى رباط بقرب الحجرة الشريفة، فأمسكما و حضر إلى منزلهما،

فرأى فيه مالا كثيرا و ختمتين و كتبا فى الرقائق، و لم ير فيه شيئا غير ذلك، فأثنى عليهما أهل المدينة بخير كثير و قالوا: إنهما صائمان الدهر ملازمان الصلوات فى الروضة الشريفة و زيارة النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و زيارة البقيع كل يوم بكرة و زيارة قباء كل سبت، و لا يردان سائلا قط بحيث سدّا خلة أهل المدينة فى هذا العام المجدب، فقال السلطان: سبحان الله! و لم يظهر شيئا مما رآه، و بقى السلطان يطوف فى البيت بنفسه، فرفع حصيرا فى البيت، فرأى سردابا محفورا ينتهى إلى صوب الحجرة الشريفة، فارتاعت الناس لذلك، و قال السلطان عند ذلك:

اصدقانى حالكما و ضربهما ضربا شديدا، فاعترفا بأنهما نصرانيان بعثهما النصارى فى زىّ حجاج المغاربة، و أمالوهما بأموال عظيمة، و أمروهما بالتحيل فى شىء عظيم خيّلته لهم أنفسهم، و توهموا أن يمكنهم اللّه منه، و هو الوصول إلى الجناب الشريف و يفعلوا به ما زيّنه لهم إبليس فى النقل و ما يترتب عليه، فنزلا- فى أقرب رباط إلى الحجرة الشريفة، و فعلا ما تقدم، و صارا يحفران ليلا، و لكل منهما محفظه جلد على زى المغاربة، و الذى يجتمع من التراب يجعله كل منهما فى محفظته، و يخرجان لإظهار زيارة البقيع، فيلقيانه بين القبور، و أقاما على ذلك مدة، فلما قربا من الحجرة الشريفة أرعدت السماء و أبرقت، و حصل رجيف عظيم بحيث خيل انقلاع تلك الجبال، فقدم السلطان صبيحة تلك الليلة. و اتفق إمساكهما و اعترافهما، فلما اعترفا و ظهر حالهما على يديه، و رأى تأهيل اللّه له لذلك دون غيره بكى بكاء شديدا، و أمر بضرب رقابهما، فقتلا تحت الشباك الذى يلى الحجرة الشريفة، و هو مما يلى البقيع، ثم أمر بإحضار رصاص عظيم، و حفر خندقا عظيما إلى الماء حول الحجرة الشريفة كلها، و أذيب ذلك الرصاص، و ملأ به الخندق، فصار حول الحجرة الشريفة سورا رصاصا إلى الماء، ثم عاد إلى ملكه، و أمر بإضعاف النصارى، و أمر أن لا يستعمل كافر فى عمل من الأعمال، و أمر مع ذلك بقطع المكوس جميعا، انتهى.

و قد أشار إلى ذلك الجمال المطرى باختصار، و لم يذكر عمل الخندق حول الحجرة و سبك الرصاص به، لكن بيّن السنة التى وقع فيها ذلك مع مخالفة لبعض ما تقدم، فقال فى الكلام على سور المدينة المحيط بها اليوم: وصل السلطان نور الدين محمود بن زنكى بن

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۸۷

اقسنقد فى سنة سبع و خمسين و خمسمائة إلى المدينة الشريفة بسبب رؤيا رآها ذكرها بعض الناس و سمعتها من الفقيه علم الدين يعقوب بن أبى بكر المحترق أبوه ليلة حريق المسجد عمن حدثه من أكابر من أدرك أن السلطان محمودا المذكور رأى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم ثلاث مرات فى ليلة واحدة و هو يقول فى كل واحدة: يا محمود أنقذنى من هذين الشخصين الأشقرين تجاهه، فاستحضر وزيره قبل الصبح فذكر له ذلك، فقال له: هذا أمر حدث فى مدينة النبى صلّى اللّه عليه و سلّم ليس له غيرك، فتجهز و خرج على عجل بمقدار ألف راحلة و ما يتبعها من خيل و غير ذلك، حتى دخل المدينة على غفلة من أهلها و الوزير معه، و زار و جلس فى المسجد لا- يدرى ما يصنع، فقال له الوزير: أ تعرف الشخصين إذا رأيتهما؟ قال: نعم، فطلب الناس عامة للصدقة، و فرق عليهم ذهبا كثيرا و فضة، و قال: لا يبقينّ أحد بالمدينة إلا جاء، فلم يبق إلا رجلان مجاوران من أهل الأندلس نازلان فى الناحية التى قبلة حجرة النبى صلّى اللّه عليه و سلّم من خارج المسجد عند دار آل عمر بن الخطاب التى تعرف اليوم بدار العشرة، فطلبهما للصدقة فامتنعا و قالا: نحن على كفاية ما نقبل شيئا، فجدّ فى طلبهما، فجيء بهما، فلما رآهما قال للوزير: هما هذان، فسألهما عن حالهما و ما جاء بهما، فقالا: لمجاورة النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، فقال:

اصدقانى، و تكرر السؤال حتى أفضى إلى معاقبتهما فأقرّا أنهما من النصارى، و أنهما وصلا لكى ينقلا من فى هذه الحجرة الشريفة باتفاق من ملوكهم، و وجدهما قد حفرا نقبا تحت الأرض من تحت حائط المسجد القبلى، و هما قاصدان إلى جهة الحجرة الشريفة، و يجعلان التراب فى بئر عندهما فى البيت الذى هما فيه، هكذا حدثنى عمن حدثه، فضرب أعناقهما عند الشباك الذى فى شرقى حجرة النبى صلّى اللّه عليه و سلّم خارج المسجد، ثم أحرقا بالنار آخر النهار و ركب متوجها إلى الشام، انتهى.

و قد ساق المجد هذه الواقعة على الوجه الذى ذكره المطرى فقال: و من الحوادث فى المسجد الشريف ما نقله جماعة من مشايخ المدينة و علمائها، و ذكر ما تقدم، و كذلك الزين المراغى ذكر ما تقدم عن المطرى نقلا عنه، و زاد أن وزير السلطان نور الدين الذى استحضره و ذكر له القصة هو الموفق خالد بن محمد بن نصر القيسرانى الشاعر، قال: و كان موفقا، انتهى.

و مأخذه فى ذلك- كما رأيته فى حاشية بخطه على كتابه- أن الذهبى قال فى ترجمة الموفق هذا: موفق الدين، أبو البقاء، صاحب الخط المنسوب، و كان صدرا، نبيلا، وافر الحشمة، وزر للسلطان نور الدين، توفى بحلب سنة ثمان و ثمانين و خمسمائة، انتهى.

و قد خالف الزين فى ذلك ما قدمناه عن شيخه الأسنوى من تسمية الوزير المذكور بجمال الدين الموصلى، و لا يلزم من كون الموفق وزر للسلطان نور الدين أن يكون هو

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۸۸

الوزير عند وقوع الرؤيا المذكورة، لاحتمال أنه وزر له بعد ذلك أو قبله، و جمال الدين الموصلى هذا هو الجواد الأصفهانى، و قد تقدم ذكره فى ترخيم الحجرة، و وصفه بأنه وزير بنى زنكى؛ لأنه كان وزير والد نور الدين الشهيد الذى هو زنكى ثم وزر لولده غازى، و أدرك دولة نور الدين الشهيد و زمان هذه الواقعة؛ فالظاهر أنه وزر له، و أنه المراد فى هذه الواقعة.

و العجب أنى لم أقف على هذه القصة فى كلام من ترجم نور الدين الشهيد مع عظمها، و هى شاهدة لما ذكره الإمام اليافعى فى ترجمته من أن بعض العارفين من الشيوخ ذكر أنه كان فى الأولياء معدودا من الأربعين و صلاح الدين نائبه من الثلاثمائة، انتهى.

و قال ابن الأثير: طالعت تواريخ الملوك المتقدمين قبل الإسلام و فيه إلى يومنا، فلم أر بعد الخلفاء الراشدين و عمر بن عبد العزيز ملكا أحسن سيرة من الملك العادل نور الدين، انتهى.

و قد اتفق بعد الأربعمائة من الهجرة ما يقرب من قصة رؤيا نور الدين الشهيد المتقدمة على ما نقله الزين المراغى عن تاريخ بغداد لابن النجار، قال: أخبرنا أبو محمد عبد اللّه بن المبارك المقرى، عن أبى المعالى صالح بن شافع الجلى، أنبأنا أبو القاسم عبد اللّه بن محمد بن محمد المعلم، ثنا أبو القاسم عبد الحليم بن محمد المغربى أن بعض الزنادقة أشار على الحاكم العبيدى صاحب مصر بنقل النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و صاحبيه من المدينة إلى مصر، و زيّن له ذلك، و قال:

متى تم لك ذلك شدّ الناس رحالهم من أقطار الأرض إلى مصر، و كانت منقبة لسكانها، فاجتهد الحاكم فى مدة و بنى بمصر حائرا، و أنفق عليه مالا- جزيلا- قال: و بعث أبا الفتوح لنبش الموضع الشريف، فلما وصل إلى المدينة الشريفة و جلس بها حضر جماعة المدنيين و قد علموا ما جاء فيه، و حضر معهم قارئ يعرف بالزلبانى، فقرأ فى المجلس وَ إِنْ نَكَثُوا أَيْمانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ إلى قوله: إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ [التوبة: ۱۲- ۱۳] فماج الناس، و كادوا يقتلون أبا الفتوح و من معه من الجند، و ما منعهم من السرعة إلى ذلك إلا أن البلاد كانت لهم.

و لما رأى أبو الفتوح ذلك قال لهم: الله أحق أن يخشى، و اللّه لو كان على من الحاكم فوات الروح ما تعرضت للموضع، و حصل له من ضيق الصدر ما أزعجه كيف نهض فى مثل هذه المخزية، فما انصرف النهار ذلك اليوم حتى أرسل اللّه ريحا كادت الأرض تزلزل من قوتها حتى دحرجت الإبل بأقتابها و الخيل بسروجها كما تدحرج الكرة على وجه الأرض، و هلك أكثرها و خلق من الناس، فانشرح صدر أبى الفتوح و ذهب روعه من الحاكم لقيام عذره من امتناع ما جاء فيه.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۸۹

قلت: و نقل ابن عذرة فى كتاب «تأسى أهل الإيمان، فيما جرى على مدينة القيروان» لابن سعدون القيروانى ما لفظه: ثم أرسل الحاكم بأمر اللّه إلى مدينة الرسول صلّى اللّه عليه و سلّم من ينبش قبر النبى، فدخل الذى أراد نبشه دارا بقرب المسجد و حفر تحت الأرض ليصل إلى قبر النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، فرأوا أثوارا، و سمع صائح: إن بنيكم ينبش، ففتش الناس فوجدوهم و قتلوهم، انتهى.

و مما يناسب ذلك ما ذكره المحب الطبرى فى الرياض النضرة فى فضائل العشرة، قال:

أخبرنى هارون بن الشيخ عمر بن الزعب- و هو ثقة صدوق مشهور بالخير و الصلاة و العبادة- عن أبيه، و كان من الرجال الكبار- قال: كنت مجاورا بالمدينة و شيخ خدام النبى صلى اللّه عليه و سلّم إذ ذاك شمس الدين صواب اللمطى، و كان رجلا صالحا كثير البر بالفقراء و الشفقة عليهم، و كان بينى و بينه أنس فقال لى يوما: أخبرك بعجيبة، كان لى صاحب يجلس عند الأمير و يأتينى من خبره بما تمس حاجتى إليه، فبينما أنا ذات يوم إذ جاءنى فقال: أمر عظيم حدث اليوم، قلت: و ما هو؟ قال: جاء قوم من أهل حلب و بذلوا للأمير بذلا كثيرا، و سألوه أن يمكنهم من فتح الحجرة و إخراج أبى بكر و عمر رضى اللّه عنهما منها، فأجابهم إلى ذلك، قال صواب: فاهتمت لذلك هما عظيما، فلم أنشب أن جاء رسول الأمير يدعونى إليه، فأجبته، فقال لى: يا صواب يدقّ عليك الليلة أقوام المسجد، فافتح لهم، و مكنهم مما أرادوا و لا تعارضهم، و لا تعترض عليهم، قال: فقلت له: سمعا و طاعة، قال: و خرجت و لم أزل يومى أجمع خلف الحجرة أبكى لا ترقأ لى دمعة و لا يشعر أحد ما بى، حتى إذا كان الليل و صلينا العشاء الآخرة و خرج الناس من المسجد و غلقنا الأبواب فلم ننشب أن دقّ الباب الذى حذاء باب الأمير، أى باب السلام، فإن الأمير كان سكنه حينئذ بالحصن العتيق.

قال: ففتحت الباب، فدخل أربعون رجلا أعدهم واحدا بعد واحد، و معهم المساحى و المكاتل و الشموع و آلات الهدم و الحفر. قال: و قصدوا الحجرة الشريفة، فو اللّه ما وصلوا المنبر حتى ابتلعتهم الأرض جميعهم بجميع ما كان معهم من الآلات، و لم يبق لهم أثر.

قال: فاستبطأ الأمير خبرهم، فدعانى، و قال: يا صواب أ لم يأتك القوم؟ قلت: بلى، و لكن اتفق لهم ما هو كيت و كيت، قال: انظر ما تقول، قلت: هو ذلك، و قم فانظر هل ترى منهم باقية أو لهم أثرا، فقال: هذا موضع هذا الحديث، و إن ظهر منك كان يقطع رأسك، ثم خرجت عنه، قال المحب الطبرى: فلما وعيت هذه الحكاية عن هارون حكيتها لجماعة من الأصحاب فيهم من أثق بحديثه فقال: و أنا كنت حاضرا فى بعض الأيام عند الشيخ أبى عبد اللّه القرطبى بالمدينة و الشيخ شمس الدين صواب يحكى له هذه الحكاية سمعتها بأذنى من فيه، انتهى ما ذكره الطبرى.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۹۰

قلت: و قد ذكر أبو محمد عبد اللّه بن أبى عبد اللّه بن أبى محمد المرجانى هذه الواقعة باختصار فى تاريخ المدينة له، و قال: سمعتها من والدى، يعنى الإمام الجليل أبا عبد الله المرجانى، قال: و قال لى: سمعتها من والدى أبى محمد المرجانى سمعها من خادم الحجرة، قال أبو عبد اللّه المرجانى: ثم سمعتها أنا من خادم الحجرة الشريفة، و ذكر نحو ما تقدم، إلا أنه قال: فدخل خمسة عشر- أو قال عشرون- رجلا بالمساحى و الفاف، فما مشوا غير خطوة أو خطوتين و ابتلعتهم الأرض و لم يسم الخادم، و اللّه أعلم.

الفصل الثلاثون فى تحصيب المسجد الشريف و ذكر البزاق فيه، و تخليقه، و إجماره، و ذكر شىء من أحكامه

أول تحصيب المسجد النبوى

روى أبو داود فى سننه عن أبى الوليد قال: سألت ابن عمر عن الحصباء الذى فى المسجد، فقال: مطرنا ذات ليلة، فأصبحت الأرض مبتلة، فجعل الرجل يأتى بالحصباء فى ثوبه و يبسطه تحته، فلما قضى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم الصلاة قال: ما أحسن هذا؟ و هو صريح فى جعل الحصباء فى المسجد فى زمنه صلّى اللّه عليه و سلّم.

و يؤيده ما رواه أصحاب السنن من حديث أبى ذر: إذا قام أحدكم إلى الصلاة فإن الرحمة تواجهه، فلا يمسح الحصباء، و كذا ما رواه أحمد من حديث حذيفة قال: سألت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم عن كل شىء حتى عن مسح الحصى، فقال: واحدة أو دع، و كذا ما رواه أبو داود بإسناد جيد عن أبى هريرة، قال أبو بدر: أراه رفعه إلى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، قال: إن الحصاة تناشد الذى يخرجها من المسجد، لكن قد سئل الدارقطنى عن هذا الحديث فذكر أنه روى موقوفا على أبى هريرة، و قال: رفعه و هم من أبى بدر.

و روى يحيى عن بعض السلف أنه كان إذا خرج بالحصاة من المسجد فى ثوبه أو نعله أمر بردّها إلى المسجد.

و روى ابن شبة عن سليمان بن يسار قال: الحصاة إذا أخرجت من المسجد تصيح حتى ترد إلى موضعها.

و ذكر البرهان بن فرحون أن مالكا سئل عن الرجل يخرج من المسجد فيجد شيئا من حصى المسجد قد تعلّق بوجهه، أ يلزمه ردّه إلى المسجد؟ فقال: لا- يلزمه ذلك، و أرخص له فى طرحه، فقال السائل: يا أبا عبد اللّه إنهم يقولون إذا أخرجت الحصاة من المسجد تصيح حتى ترد إلى المسجد، فقال له مالك: دعها تصيح حتى ينشق حلقها، فقال: أولها حلق؟

قال: فمن أين تصيح؟

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۹۱

و روى ابن شبة عن ابن عباس أنه قال لنفيع فى الحصاة: ردّها و إلا خاصمتك يوم القيامة.

و حكى الأقشهرى عن شيخ الخدام ظهير الدين بن عبد اللّه الأشرفى قال: أتانى عام خمسة عشر و سبعمائة رجل من الشام فى موسم الحاج و قال: كنت حججت عام أول و حملت شيئا من تراب المسجد و حصبائه، فلم أزل أراه فى المنام يقول لى: ردّنى إلى موضعى، عذّبتنى عذبك الله، فها أنا أتيت به، قال: فأخرج صرة فيها ما ذكره، فصببناها فى المسجد، انتهى.

و الذى يقتضيه كلام المؤرخين أن تحصيب المسجد إنما حدث فى زمان عمر بن الخطاب؛ فقد روى يحيى عن عبد الحميد بن عبد الرحمن الأزهرى قال: قال عمر بن الخطاب حين بنى مسجد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم: ما ندرى ما نفرش فى مسجدنا، فقيل له: افرش الخصف و الحصر، قال: هذا الوادى المبارك فإنى سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم يقول «العقيق واد مبارك» قال: فحصبه عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه.

و روى ابن زبالة عن عبيد اللّه بن عمر قال: قدم سفيان بن عبد اللّه الثقفى على عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه و مسجد النبى صلّى اللّه عليه و سلّم غير محصوب، فقال: أ ما لكم واد؟ فقال عمر:

بلى، قال: فاحصبوه منه، فقال عمر: احصبوه من هذا الوادى المبارك، يعنى العقيق.

قال المطرى: رمل المسجد الشريف- أى الذى يحصب به- يحمل من وادى العقيق، من العرصة التى تسيل من الجماء الشمالية إلى الوادى، و ليس بالوادى رمل أحمر غير ما يسيل من الجماء، و هو رمل أحمر يغربل ثم يفرش فى المسجد، انتهى.

و روى ابن زبالة من طريق الضحاك عن بشر بن سعيد أو سليمان بن يسار- شكّ الضحاك- أنه حدّث أن المسجد كان يرش فى زمان النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و زمان أبى بكر و عامة زمان عمر، و كان الناس يتنخمون فيه و يبصقون حتى عاد زلقا، حتى قدم ابن مسعود الثقفى، فقال لعمر: أ ليس قربكم واد؟ قال: بلى، قال: فمر بحصباء تطرح فيه فهو أكف للمخاط و النخامة، فأمر عمر بها، و هذه الرواية مع ضعفها قد اشتملت على أنهم كانوا يبصقون فى المسجد.

حكم البزاق فى المسجد

و فى الصحيحين عن أنس مرفوعا «البزاق فى المسجد خطيئة، و كفارتها دفنها». و قد رواه ابن زبالة، و روى أيضا عن ابن عمر أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم رأى نخامة فى المسجد فقال: «من فعل هذا جاء يوم القيامة و هى فى وجهه».

و عن عبد اللّه بن قسيط مرفوعا: «لا يبصق فى مسجدى هذا».

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۹۲

و حديث ابن عمر رواه البزار و ابن خزيمة فى صحيحه، و روى أحمد عن أبى أمامة أنه صلّى اللّه عليه و سلّم قال: «البصاق فى المسجد سيئة، و دفنه حسنة». و رواه ابن شبة بمعناه.

و روى أيضا عن أبى هريرة قال: «إن المسجد لينزوى من النخامة كما ينزوى الجلد من النار» و لهذا جزم النووى فى التحقيق و شرح المهذب بتحريمه. و وقع فى عبارة بعض أصحابنا التعبير بالكراهة، و حملها بعضهم على كراهة التحريم، و قال بعض العلماء: إنما

يكون البزاق فى المسجد خطيئة لمن لم يدفنه لأنه يقذر المسجد و يتأذى به.

قال القرطبى: و يدل على صحة هذا التأويل حديث أبى ذر الذى رواه مسلم و غيره:

«و وجدت فى مساوى أعمالها- أى: الأمة- النخامة تكون فى المسجد لا تدفن» فلم يثبت لها حكم السيئة بمجرد إيقاعها فى المسجد، بل بذلك و ببقائها غير مدفونة.

قلت: الرواية الأولى بينت أن الفعل خطيئة، و أن الدفن يكفرها كما يكفر الجلد معصية الزنا، فلتحمل الرواية الأخرى عليها؛ لأن الإخبار فيها عما استقر عليه الأمر، لكن روى ابن شبة من طريق الفرج بن فضالة عن أبى سعيد قال: رأيت واثلة بن الأسقع دخل مسجد دمشق فصلى فيه، فبزق تحت رجله اليسرى ثم عركها، فلما انصرفت قلت له: أنت صاحب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم تبزق فى المسجد؟ فقال: هكذا رأيت النبى صلّى اللّه عليه و سلّم صنع.

و رواه أبو داود من الطريق المذكورة بنحوه، و فرج بن فضالة ضعّفه الدارقطنى و غيره، و قواه أحمد، و اقتصر الحافظ ابن حجر فى التقريب على تضعيفه.

و روى ابن شبة أيضا بإسناد فيه ضعف عن أبى هريرة قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم: «من دخل مسجدى هذا فبزق أو تنخم فليحفر فليبعد و ليدفنه، فإن لم يفعل فليبزق فى ثوبه حتى يخرج به» و هذا لو صح كان حجة لهذا المذهب.

فإن قيل: يعضده حديث البخارى عن أنس أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم «رأى نخامة فى القبلة، فشق ذلك عليه حتى رؤى فى وجهه، فقام فحكه بيده، فقال: إن أحدكم إذا قام فى صلاته فإنه يناجى ربه، أو إن ربه بينه و بين القبلة، فلا يبزقن أحدكم قبل قبلته، و لكن عن يساره أو تحت قدمه، ثم أخذ طرف ردائه فبصق فيه ثم رد بعضه على بعض، فقال: أو يفعل هكذا؟

و كذا ما رواه ابن شبة بإسناد جيد عن أبى نضرة أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم «رأى نخامة فى قبلة المسجد، فغضب غضبا شديدا حتى كاد يدعو على صاحبها، ثم قال: لا يبزق أحدكم فى قبلته؛ فإن ربه مستقبلة، و لا عن يمينه فإن عن يمينه ملكا، و لكن عن يساره أو تحت قدمه اليسرى، فإن كان على يساره أحد فليبزق فى ثوبه» و فى رواية: «فإن اكن عن يساره أحد يكره أن يبزق نحوه فليبزق فى ثوبه، و بزق النبى صلّى اللّه عليه و سلّم فى ثوبه و حكّ بعضه ببعض» فاقتضى ذلك جواز البصاق فى المسجد فيما عدا القبلة و اليمين حالة الصلاة، و هو مقيد بالدفن لما سبق.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۹۳

قلنا: مساق الحديث لبيان أدب المصلى فى كيفية البصق، من غير تعرض لكونه فى مسجد، و البصاق فى المسجد قد بينه منطوق الحديث السابق؛ فلا يترك بهذا، و أفاد القفال فى فتاويه- و قد ذكر حديث النخامة فى المسجد- فائدة حسنة فقال: هذا الخبر محمول على ما إذا نزلت النخامة من الرأس، أما إذا كانت من الصدر فهى نجسة؛ فلا يجوز دفنها فى المسجد».

و روى أبو داود من حديث ابن عمر قال: بينا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم يخطب يوما إذ رأى نخامة فى قبلة المسجد، فتغيظ على الناس، ثم حكّها، و أحسبه قال: فدعا بزعفران فلطّخه به، و قال: إن اللّه قبل وجه أحدكم فلا يبزقن بين يديه.

و روى ابن شبة عن شيخه خلاد بن يزيد بن عبد العزيز بن أبى رواد عن نافع عن ابن عمر أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم صلّى صلاة ذات يوم، فرأى فى قبلة المسجد نخامة، فلما قضى صلاته أخذ عودا فحكها، ثم دعا بخلوق فخلّق مكانها، ثم أقبل على الناس فقال: يا أيها الناس إذا صلى أحدكم فلا يتفل أمامه و لا عن يمينه؛ فإنه يستقبل الرب عز و جل بوجهه.

مبدأ تخليق المسجد

و روى ابن شبة أيضا بسند جيد إلى أبى الوليد قال: قلت لابن عمر: ما بدء الزعفران- يعنى: فى المسجد- فقال: رأى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم نخامة فى المسجد، فقال: ما أقبح هذا! من فعل هذا؟ فجاء صاحبها فحكها و طلاها بزعفران، فقال رسول اللّه صلّى اللّه

علیه و سلّم: هذا أحسن من ذلک.

و رواه یحیی بلفظ: قلت لابن عمر: یا أبا عبد الرحمن أ لا تخبرنی ما کان بدء هذه الصفرة التی فی قبلة المسجد؟ قال: نعم، صلی بنا رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم حتی إذا انصرف رأی نخامة فی القبلة، و ذکره، و قال: فسارع الناس إلیه، فکان هذا بدأه.

و روی النسائی و ابن ماجه عن أنس قال: رأی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم نخامة فی قبلة المسجد، فغضب حتی احمر وجهه، فقامت امرأة من الأنصار فحکتها، فجعلت مکانها خلوقا، فقال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم: ما أحسن هذا!

و روی ابن شبة أیضا بسند جید عن أبی نضرة أن ذلک الذی بزق فی قبلته جاء بشیء من زعفران فطلی ذلک المکان، فأعجب ذلک رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم.

و روی أیضا بسند لا بأس به قال: أبصر رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم فی حائط المسجد بزاقا، فحکه علی خرقة، و أخرجه من المسجد، فجعل مکانه شیئا من طیب أو زعفران أو ورس.

و عن إبراهیم بن قدامة عن أبیه أن عثمان بن مظعون تفل فی القبلة، فأصبح مکتئبا، فقالت له امرأته: ما لی أراک مکتئبا؟ قال: لا شیء إلا أنی تفلت فی القبلة و أنا أصلی، فعمدت إلی القبلة فغسلتها ثم عملت خلوقا فخلّقتها، فکانت أول من خلّق القبلة.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفی، ج۲، ص: ۱۹۴

و روی أیضا برجال ثقات عن جابر عن عبد قال: أتانا رسول الله صلّی اللّه علیه و سلّم فی مسجدنا هذا و فی یده عرجون ابن طاب، فرأی فی قبلة مسجدنا نخامة فحکها بالعرجون، ثم أقبل علینا فقال: أیکم یحب أن یعرض اللّه عنه؟ قلنا: لا أینا یا رسول الله، قال: فإن أحدکم إذا قام یصلی فإن اللّه قبل وجهه فلا یبصق قبل وجهه و لا عن یمینه، و لیبصق قبل یساره تحت رجله الیسری، فإن عجلت به بادرة فلیقل هکذا بثوبه، ثم طوی بعضه علی بعض، أرونی عبیرا، فقام فتی من الحی یشتد إلی أهله فجاء بخلوق فی راحته، فأخذه النبی صلّی اللّه علیه و سلّم علی رأس العرجون ثم لطخ به علی أثر النخامة، قال جابر رضی اللّه عنه: فمن هنالک جعلتم الخلوق فی مساجدکم.

و قد رواه أبو داود بنحوه و جابر هو من بنی حرام بطن من بنی سلمة، و مسجدهم کان بمنازلهم التی فی غربی بطحان و مساجد الفتح، و لیس هو مسجد القبلتین کما وقع للمطری و جماعة حتی جعلوا أمر الخلوق له لما سنبینه.

و سیأتی ما رواه ابن زبالة من حدیث جابر أن النبی صلّی اللّه علیه و سلّم صلّی فی مسجد بنی حرام بالقاع، و أنه رأی فی قبلته نخامة، و کان لا یفارقه عرجون ابن طاب یتخصر به، و ذکر الحدیث الآتی، و فیه «فکان أول مسجد خلّق».

و روی أبو داود و ابن حبان فی صحیحه عن أبی سهلة السائب بن خلاد من أصحاب النبی صلّی اللّه علیه و سلّم أن رجلا أمّ قوما فبصق فی القبلة و رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم ینظر، فقال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم حین فرغ: لا یصلی لکم، فأراد بعد ذلک أن یصلی لهم فمنعوه و أخبروه بقول رسول الله صلّی اللّه علیه و سلّم، فذکر ذلک لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم، فقال: نعم، و حسبت أنه قال: إنک آذیت اللّه و رسوله.

و فی روایة أوردها المجد أن النبی صلّی اللّه علیه و سلّم لما رأی النخامة فی المحراب قال: من إمام هذا المسجد؟ قالوا: فلان، قال: قد عزلته، فقالت امرأته: لم عزلک النبی صلّی اللّه علیه و سلّم من الإمامة؟

فقال: رأی نخامة فی المحراب، فعمدت إلی خلوق طیب فخلقت به المحراب، فاجتاز رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم فقال: من فعل هذا؟ فقالوا: امرأة الإمام، قال: وهبت ذنبه لامرأته و رددته إلی إمامته.

قلت: و اختلاف هذه الروایات صریح فی أنها وقائع متعددة؛ فلا تعارض فیها، نعم هی متضمنة للرد علی ما رواه ابن شبة عن جابر بن عبد اللّه قال: کان أول من خلق المسجد و رزق المؤذنین عثمان رضی اللّه عنه، و تقدم فی الفصل الرابع من روایة یحیی عن جابر بنحوه، إلا أن یحمل علی أن المراد أنه اتخذ له الخلوق من بیت المال.

و نقل ابن زبالـة عن ابن عجلان أن عمر بن عبـد العزيز كتب إلى عامله على المدينـة أن لا يخلق إلا القبلة، و أن يغسل الأساطين، قال: فلم تكن الأساطين تخلّق فى سلطانه.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۹۵

تخليق القبر

و قدمت الخيزران أم موسى فى سنة سبعين و مائة، فأمرت بالمسجد فخلّق و ولى ذلك من تخليقه مؤنسة جاريتها، فقام إليها إبراهيم بن الفضل بن عبد اللّه مولى هشام بن إسماعيل فقال: هل لكم أن تسبقوا من بعدكم و أن تفعلوا ما لم يفعل من كان قبلكم؟ قالت له مؤنسة: و ما ذلك؟ قال: تخلقون القبر كله، ففعلوا، و إنما كان يخلق منه ثلثاه أو أقل، و أشار عليهم فزادوا فى خلوق أسطوان التوبة و الأسطوان التى هى علم عند مصلى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، فخلقوهما حتى بلغوا بهما أسفلهما، و زادوا فى الخلوق فى أعلاهما.

و روى بعضهم عن ابن عباس فى تفسير قوله تعالى: وَ عَهِدْنا إِلى إِبْراهِيمَ وَ إِسْماعِيلَ أَنْ طَهِّرا بَيْتِيَ [البقرة: ۱۲۵] الآية، قال: طهرا بيتى نظفاه و بخراه و خلقاه.

تجمير المساجد

و روى يحيى من طريق ابن زبالة و غيره عن على بن حسن بن حسن بن حسن- و كان من خيار الناس- أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم أمر بإجمار المسجد، قال: و لا أعلمه إلا قال: يوم الجمعة.

و روى ابن ماجه عن واثلة بن الأسقع رضى اللّه عنه أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم قال: جنّبوا مساجدكم صبيانكم و مجانينكم و شراءكم و بيعكم و خصوماتكم و رفع أصواتكم و إقامة حدودكم و سلّ سيوفكم، و اتخذوا على أبوابها المطاهر، و جمّروها فى الجمع.

و روى أحمد و أبو داود و ابن ماجه و ابن خزيمة فى صحيحه عن عائشة رضى اللّه عنها قالت: أمر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم ببناء المساجد فى الدور، و أن تنظف و تطيب.

و روى يحيى من طريق محمد بن يحيى عن محمد بن إسماعيل عن أبيه أنه قدم على عمر بن الخطاب بسفط من عود، فلم يسع الناس، فقال عمر: أجمروا به المسجد لينتفع به المسلمون، فبقيت سنة فى الخلفاء إلى اليوم، يؤتى كل عام بسفط من عود يجمر به المسجد ليلة الجمعة و يوم الجمعة عند المنبر من خلفه إذا كان الإمام يخطب.

و عن سعد القرظ قال: قدم على عمر بعود، فقسمه بين المهاجرين، ثم قسم للمسجد حظا، فكان يجمره فى الجمع، فجرى ذلك إلى اليوم، و ولاه سعد القرظ؛ فكان الذى يجمر.

و قد تقدم من رواية يحيى أيضا فى الكلام على حكم قناديل الحجرة أن عمر أتى بمجمرة من فضة، و أنه دفعها إلى سعد جد المؤذنين و قال: أجمر بها فى الجمعة و شهر رمضان، و كان سعد يجمر بها فى الجمعة، و كانت توضع بين يدى عمر بن الخطاب.

و روى ابن زبالة عن نعيم المجمر عن أبيه أن عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه قال له:

تحسن تطوف على الناس بالمجمرة تجمرهم؟ فقال: نعم، فكان عمر يجمرهم يوم الجمعة.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۹۶

و فى مسند أبى يعلى الموصلى عن ابن عمر أن عمر كان يجمر مسجد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم كل جمعة.

فرش المساجد

قال أصحابنا: و يستحب فرش المسجد، و قد ترجم البخارى للصلاة على الخمرة، و روى عن ميمونة أنها كانت تصلى عليها، و قال ابن زيد: الخمرة هى السجادة، و قال الطبرى: هى مصلى صغير ينسج من سعف النخل و يرسل بالخيوط، و قال البخارى فى صحيحه: و صلّى أنس على فراشه، و قال: كنا نصلى مع النبى صلّى اللّه عليه و سلّم فيسجد أحدنا على ثوبه، و قال يحيى: حدثنا أبو مصعب قال: حدثنا مالك عن عمه أبى إسماعيل بن مالك عن أبيه أن طنفسة لعقيل بن أبى طالب كانت تطرح يوم الجمعة إلى جدار المسجد الغربى، فإذا غشى الطنفسة كلها ظل الجدار خرج عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه، قال: ثم يرجع بعد صلاة الجمعة فقيل قائلة الضحى، و رواه ابن زبالة أيضا، و روى يحيى عن عطاء بن أبى رباح أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم قال: تفقدوا نعالكم عند أبواب مساجدكم. و عن موسى بن يعقوب أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم اتبع غبار المسجد بجريدة. و رواه ابن أبى شيبة عن يعقوب بن زيد، و لفظه: أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم كان يتبع غبار المسجد بجريدة.

و قد ذكرنا فى آخر الكلام على فضل المسجد شيئا مما جاء فى النهى عن قربان المسجد لمن أكل الثوم أو البصل، و ذكرنا فى زيادة عمر رضى اللّه عنه فى الكلام على البطيحاء ما جاء فى النهى عن رفع الصوت فيه، و ما يتعلق بإنشاد الشعر فيه، و ذكرنا فى زيادة الوليد ما يتعلق بالصلاة على الجنائز فيه، و روى ابن شبة عن شيبة بن قصاح مرسلا أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم قال: إذا رأى أحدكم القملة فى ثوبه و هو فى المسجد فليحفر لها فليدفنها، و ليبصق عليها، فإن ذلك كفارتها. و رواه ابن زبالة ثم روى عن محمد بن المنكدر قال: أخبرنى من رأى أبا هريرة يدفن قملة فى المسجد، و روى يحيى عن يوسف بن ماهك قال: رأيت عبيد بن عمير أخذ من ثوب ابن عمر قملة فدفنها فى المسجد، و عن أبى بكر بن المنكدر قال: رأيت عمى محمد بن المنكدر يأخذ القملة و هو فى المسجد فيقتلها فى المسجد فيبزق عليها، و عن جعفر بن محمد قال: لا بأس بأن يدفن القملة فى المسجد.

قلت: و هذه الأشياء لا تقوم الحجة بها. و قد روى أحمد فى مسنده عن أيوب قال:

وجد رجل فى ثوبه قملة فأخذها ليطرحها فى المسجد، فقال له رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم: «لا تفعل ردّها فى ثوبك حتى تخرج من المسجد» و روى ابن شبة بسند جيد عن يحيى بن أبى كثير اليمانى عن الحضرمى أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم قال: إذا أبصر أحدكم القملة و هو يصلى فى المسجد فليصرّها فى ثوبه و لا يقتلها فى المسجد. و روى يحيى عن ابن عمر قال: إذا وجد أحدكم

القملة فى ثوبه و هو فى المسجد فليجعلها فى ثوبه حتى يخرج بها. قال النووى: فإن قتلها لم يجز إلقاؤها فى المسجد؛ لأنها ميتة، و كره مالك قتلها فى المسجد، و نقل ابن العماد عن كتب المالكية أنه يحرم طرح القمل حيا، بخلاف البرغوث؛ لأن البرغوث يعيش بأكل التراب، بخلاف القمل ففى طرحه تعذيبه بالجوع، انتهى.

و قد جاءت أحاديث فى النهى عن البيع و الشراء و إنشاد الضالة فى المسجد، و روى ابن أبى عدى الحافظ من حديث على بن أبى طالب قال: صليت العصر مع عثمان أمير المؤمنين، فرأى خياطا فى ناحية المسجد، فأمر بإخراجه، فقيل له: يا أمير المؤمنين إنه يكنس المسجد، و يغلق الأبواب، و يرش أحيانا، فقال عثمان: إنى سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم يقول: جنبوا صناعكم من مساجدكم.

قلت: و من المنكرات فى زماننا ما يتساهل فيه المتكلمون فى أمر العمارة من استعمال النشارين و النجارين و الحجارين بالمسجد النبوى للعمل فى آلاته و اكتساب أولئك العمال بذلك، مع ما يتولد من ذلك من الدق العنيف و تشعيث المسجد بما ينشر من النشارة و النجارة و غير ذلك، مع إمكان عمل ذلك خارج المسجد الشريف و الإتيان به مهيأ. و قد قدمنا أن عائشة رضى اللّه عنها كانت تسمع الوتد أو المسمار يضرب فى بعض الدور المطيفة بالمسجد فترسل إليهم: لا تؤذوا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، و أن عليا ما صنع مصراعى داره إلا بالمناصع توقيا لذلك، و فى خبر رواه المقدسى فى «مثير الغرام» عن كعب الأحبار أن سليمان عليه

السلام قال للعفريت الذى أحضره لقطع الرخام لعمارة بيت المقدس: هل عندك من حيلة أقطع بها الصخر؟ فإنى أكره صوت الحديد فى مسجدنا هذا، و الذى أمرنا اللّه به من ذلك هو الوقار و السكينة، فقال: ابتغ لى وكر عقاب فإنى لا أعلم فى السماء طيرا أشد منه و لا أكثر حيلة، فوجدوا وكر عقاب، فغطى عليه ترسا غليظا من حديد، فجاءه العقاب فلم يقدر عليه، فحلق فى السماء متطلعا فلبث يومه و ليلته ثم أقبل و معه قطعة من السامور، فتفرقت له الشياطين حتى أخذوه منه، فأتوا به سليمان عليه السلام، فكان يقطع به الصخر، انتهى.

و كذلك إدخالهم البغال و الحمير الحاملة لتلك الآلات مع إمكان حمل الرجال لها من باب المسجد، و اللّه الموفق.

و إذا سمع شخص من ينشد ضالة فى المسجد فليقل له: أيها الناشد غيرك الواجد، و ما أشبهه مما ورد، إلا أن يسأل الإنسان جلساءه فليس بذلك بأس، و لا يبلغ بذلك الصوت كما نقله ابن زبالة عن مالك، و من باع فيه قيل له: لا أربح اللّه تجارته، كما ورد مرفوعا.

قال الزين المراغى: و القياس أن يقال للسائل فيه: لا فتح اللّه عليه، كما قاله بعض

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۹۸

شيوخنا. و فى العتبية أن مالكا كره المراوح فى المسجد، و يجوز النوم فيه من غير كراهة عندنا، و كره بعضهم لغير الغريب الذى لا موضع له غيره، و روى فى ذلك أحاديث.

و أسند أحمد بن يحيى البلاذرى عن أبى سعيد مولى أبى أسيد قال: كان عمر بن الخطاب يعس فى المسجد بعد العشاء، فلا يرى أحدا إلا أخرجه إلا رجلا قائما يصلى، فمر بنفر من أصحاب النبى صلّى اللّه عليه و سلّم فيهم أبى بن كعب فقال: من هؤلاء؟ فقال أبى: نفر من أهلك يا أمير المؤمنين، قال: ما خلّفكم بعد الصلاة؟ قالوا: جلسنا نذكر الله، فجلس معهم، ثم قال لأدناهم: خذ فى الدعاء فدعا، فاستقرأهم رجلا رجلا حتى انتهى إلى و أنا بجنبه، فقال:

هات، فحصرت و أخذنى الخجل، فقال: قل و لو أن تقول: اللهم اغفر لنا، اللهم ارحمنا، ثم أخذ عمر فى الدعاء، فما كان أحد أكثر دمعة و لا أشد بكاء منه، ثم قال: تفرقوا الآن، انتهى.

الحدث فى المسجد

و لا يحرم إخراج الريح من الدبر فى المسجد، لكن الأولى اجتنابه، لقوله صلّى اللّه عليه و سلّم: «فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم» قال الزركشى: و قال بعض المتكلمين على الحديث من القدماء: الحدث فى المسجد خطيئة يحرم بها المحدث استغفار الملائكة و دعاءهم المرجو بركته.

و روى ابن عدى فى الكامل من طريق حمزة بن أبى حمزة الضبى عن أبى الزبير عن جابر قال: إن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم نهى أن يمر باللحم فى المسجد، قال ابن عدى: و هذا منكر بهذا الإسناد، لا يرويه عن أبى الزبير غير حمزة، و حمزة يضع الحديث.

قلت: و قد روى ابن شبة نحوه، غير أنه منقطع الإسناد، و يغنى عنه ما ورد من النهى عن اتخاذ المسجد طريقا، و اللّه أعلم.

القراءة فى المصحف بالمسجد

و قال مالك: لم تكن القراءة فى المصحف بالمسجد من أمر الناس القديم، و أول من أحدثه الحجاج بن يوسف. و قال أيضا: أكره أن يقرأ فى المصحف فى المسجد، و أرى أن يقاموا من المساجد إذا اجتمعوا للقراءة.

قلت: الذى عليه السلف و الخلف استحباب ذلك، و فى الصحيح «إنما بنيت- يعنى المساجد- لذكر اللّه و الصلاة و قراءة القرآن» و هو عام فى المصاحف و غيرها، و قد روى ابن شبة عن عبيد اللّه بن عبد اللّه بن عتبة قال: إن أول من جمع القرآن فى مصحف و كتبه عثمان بن عفان رضى اللّه عنه، ثم وضعه فى المسجد، فأمر به يقرأ كل غداة. و عن محرز ابن ثابت مولى سلمة بن عبد الملك عن

أبيه قال: كنت فى حرس الحجاج بن يوسف، فكتب الحجاج المصاحف، ثم بعث بها إلى الأمصار، و بعث بمصحف إلى المدينة، فكره ذلك

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۹۹

آل عثمان، فقيل لهم: أخرجوا مصحف عثمان يقرأ، فقالوا: أصيب المصحف يوم مقتل عثمان. قال محرز: و بلغنى أن مصحف عثمان صار إلى خالد بن عمرو بن عثمان، قال:

فلما استخلف المهدىّ بعث بمصحف إلى المدينة؛ فهو الذى يقرأ فيه اليوم، و عزل مصحف الحجاج فهو فى الصندوق الذى دون المنبر، انتهى.

بعث المصاحف إلى المساجد

و قال ابن زبالة: حدثنى مالك بن أنس قال: أرسل الحجاج بن يوسف إلى أمهات القرى بمصاحف، فأرسل إلى المدينة بمصحف منها كبير، و هو أول من أرسل بالمصاحف إلى القرى، و كان هذا المصحف فى صندوق عن يمين الأسطوانة التى عملت علما لمقام النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، و كان يفتح فى يوم الجمعة و الخميس، و يقرأ فيه إذا صليت الصبح، فبعث المهدى بمصاحف لها أثمان فجعلت فى صندوق و نحى عنها مصحف الحجاج، فوضعت عن يسار السارية، و وضعت منابر لها كانت تقرأ عليها، و حمل مصحف الحجاج فى صندوقه فجعل عند الأسطوانة التى عن يمين المنبر، انتهى.

قلت: و لا ذكر لهذا المصحف الموجود اليوم بالقبة التى بوسط المسجد المنسوب لعثمان رضى اللّه تعالى عنه فى كلام أحد من متقدمى المؤرخين، بل فيما قدمناه ما يقتضى أنه لم يكن بالمسجد حينئذ، بل و لا ذكر له فى كلام ابن النجار، و هو أول من أرّخ من المتأخرين، و قد ترجم لذكر المصاحف التى كانت فى المسجد، ثم ذكر ما قدمناه عن ابن زبالة ثم قال:

و أكثر ذلك دثر على طول الزمان، و تفرقت أوراقه، قال: و هو مجموع فى يومنا هذا فى جلال فى المقصورة أى المحترقة إلى جانب باب مروان. ثم ذكر أن بالمسجد عدة مصاحف بخطوط ملاح موقوفة مخزونة فى خزائن ساج بين يدى المقصورة خلف مقام النبى صلّى اللّه عليه و سلّم.

قال: و هناك كرسى كبير فيه مصحف مقفل عليه نفذ به من مصر، و هو عند الأسطوانة التى فى صف مقام النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، و إلى جانبه مصحفان على كرسيين يقرأ الناس فيهما، و ليس فى المسجد ظاهر سواهما، انتهى. و لم أر نسبة المصحف الموجود اليوم لعثمان رضى اللّه عنه إلا فى كلام المطرى و من بعده عند ذكر سلامة القبة التى بوسط المسجد من الحريق كما قدمناه.

نعم ذكر ابن جبير فى رحلته ما حاصله أن أمام مقام النبى صلّى اللّه عليه و سلّم- و قد عبر عنه بالروضة الصغيرة- صندوقا، و أن بين المقام و بين الحجرة- أى بجانب المقام من جهة المشرق- محمل كبير عليه مصحف كبير فى غشاء مقفل عليه هو أحد المصاحف الأربعة التى وجّه بها عثمان بن عفان رضى اللّه عنه إلى البلاد، انتهى.

و هذا المصحف الذى أشار إليه ينطبق فى الوصف على المصحف الذى ذكر ابن النجار أنه نفذ به من مصر، و لم يصفه بما ذكره ابن جبير من نسبته لعثمان، مع أن ابن جبير

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۰۰

مصرّح بأنه من المصاحف التى بعث بها عثمان إلى الآفاق، لا أنه الذى قتل و هو فى حجره، و قد قال ابن قتيبة: كان مصحف عثمان الذى قتل و هو فى حجره عند ابنه خالد، ثم صار مع أولاده و قد درجوا. قال: و قال لى بعض مشايخ أهل الشام: إنه بأرض طوس، انتهى.

و قال الشاطبى ما حاصله: إن مالكا رحمه اللّه قال: إنما يكتب المصحف على الكتابة الأولى، لا على ما استحدثه الناس. قال: و قال: إن

مصحف عثمان رضى اللّه عنه تغيب فلم يجد له خبرا بين الأشياخ. و قال أبو عبيد القاسم بن سلام فى كتابه فى القراءات: رأيت المصحف الذى يقال له الإمام مصحف عثمان بن عفان رضى اللّه عنه، استخرج لى من بعض خزائن الأمراء، و هو المصحف الذى كان فى حجره حين أصيب، و رأيت آثار دمه فى مواضع منه. و رده أبو جعفر النحاس بما تقدم من كلام مالك. قال الشاطبى: و أباه المنصفون لأنه ليس فى قول مالك «تغيّب» ما يدل على عدم المصحف بالكلية بحيث لا يوجد؛ لأن ما تغيب يرجى ظهوره.

قلت: فيحتمل أنه بعد ظهوره نقل إلى المدينة، و جعل بالمسجد النبوى. لكن يوهن هذا الاحتمال أن بالقاهرة مصحفا عليه أثر الدم عند قوله تعالى: فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ [البقرة:

۱۳۷] الآية كما هو بالمصحف الشريف الموجود اليوم بالمدينة، و يذكرون أنه المصحف العثمانى، و كذلك بمكة، و المصحف الإمام الذى قتل عثمان رضى اللّه عنه و هو بين يديه لم يكن إلا واحد، و الذى يظهر أن بعضهم وضع خلوقا على تلك الآية تشبيها بالمصحف الإمام، و لعل هذه المصاحف التى قدمنا ذكرها مما بعث به عثمان رضى اللّه عنه إلى الآفاق، كما هو مقتضى كلام ابن جبير فى المصحف الموجود بالمدينة، و فى الصحيح من حديث أنس فى قصة كتابة عثمان رضى اللّه عنه للقرآن من الصحف التى كانت عند حفصة «و أنه أمر بذلك زيد بن ثابت و عبد اللّه بن الزبير و سعيد بن العاص و عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، فنسخوها فى المصاحف، و أنه أرسل إلى كل أفق بمصحف كما نسخوا».

مصاحف عثمان التى أرسلها إلى الآفاق

و اختلف فى عدة المصاحف التى ارسل بها عثمان إلى الآفاق؛ فالمشهور كما قال الحافظ ابن حجر أنها خمسة. و أخرج ابن أبى داود فى كتاب المصاحف من طريق حمزة الزيات قال:

أرسل عثمان أربعة مصاحف، و بعث منها إلى الكوفة بمصحف، فوقع عند رجل من مراد فبقى حتى كتبت مصحفى عليه. قال ابن أبى داود: و سمعت أبا حاتم السجستانى يقول:

كتب سبعة مصاحف، و أرسلها إلى مكة، و إلى الشام، و إلى اليمن، و إلى البحرين، و إلى البصرة، و إلى الكوفة، و حبس بالمدينة واحدا، انتهى.

و ليس معنا فى أمر المصحف الموجود اليوم سوى مجرد احتمال، و اللّه أعلم.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۰۱

تعليق المصابيح فى المسجد وصف عام

و يستحب تعليق المصابيح فى المسجد و قد قدمنا ما يقتضى أن تميما الدارى أول من فعل ذلك فى زمن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم. و قيل: أول من فعله عمر بن الخطاب، لما جمع الناس فى التراويح على إمام واحد. و روى ابن زبالة عن يوسف بن مسلم قال: كان زيت قناديل المسجد يحمل من الشام، حتى انقطع ذلك فى ولاية جعفر بن سليمان الأخيرة على المدينة، فجعله على سوق المدينة. قال: ثم لما طرح ما يؤخذ من العنب عن الناس فى ولاية داود بن عيسى على المدينة سنة ثمان و تسعين و مائة أخرج من بيت المال.

قال: و لم يزل رزق صاحب زيت المسجد ثلاثة دنانير تجرى عليه فى كل شهر من بيت المال، و عليه فيها ما تكسر من القناديل، انتهى.

و قال ابن النجار: و فى يومنا هذا يصل الزيت من مصر من وقوف هناك، و مقداره سبعة و عشرون قنطارا بالمصرى، و يصل معه مائة و ستون شمعة بين كبار و صغار، و علبة فيها مائة مثقال ند لتجمير المسجد، انتهى.

قلت: و فی زماننا یحمل له من الزیت من مصر و الشام زیادة علی مائة قنطار بعضها من أوقاف تحت نظر قاضی الشافعیة بمصر و بعضها تحت نظر الإمام بمصر، و اللّه أعلم.

الفصل الحادی و الثلاثون فیما احتوی علیه المسجد من الأروقة و الأساطین و البالوعات و السقایات و الدروع، و غیر ذلک مما یتعلق به من الرسوم

وصف عام

قال ابن جبیر: إن المسجد النبوی مستطیل یحفه من جهاته الأربع بلاطات مستدیرة به، و وسطه کله صحن، فجهة القبلة منها- یعنی المسقف القبلی- خمس بلاطات، یعنی أروقة، و قد قدمنا أنه زید فیه رواقان آخرون فصار سبعة أروقة آخذة من المشرق إلی المغرب، قال:

و الجهة الشامیة خمسة أروقة أیضا.

قلت: و هذا موافق لما قدمناه فی زیادة المهدی عن ابن زبالة من أنه جعل خمس أساطین فی السقائف الشامیة، و قدمنا أن الموجود به الیوم أربع فقط، و ذلک أربعة أروقة، فکأنه لما زید بعد الحریق الأول الرواقان فی مسقف القبلة اختصروا رواقا من المسقف الشامی فأدخلوه فی صحن المسجد، و لم أر من نبه علی ذلک من المؤرخین، و هذا المسقف هو المسمی الیوم بالدکاک؛ لارتفاعه علی بقیة أرض المسجد، و لم أعلم وقت حدوث ذلک، و لم یتعرض ابن جبیر لذکر ارتفاعه مع ذکره لما دون ذلک، و قد کانت رحلته قبل حریق المسجد الأول فلعل ذلک مما حدث بعده، کما حدثت الدکتان اللتان بجنبتی المسجد فی الحریق الثانی کما سبق.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفی، ج۲، ص: ۲۰۲

جدران المسجد

و حدث فی زماننا قبیل ذلک عند طرف الدکاک القبلی مما یلی المغرب دکة بارزة هناک، و هی الدکة التی وضع بها ما أخرج من جوف الحجرة الشریفة من الهدم فی العمارة التی أدرکناها.

و فی کلام ابن زبالة ما یؤخذ منه تسمیة المسقف الشامی بسقائف النساء.

قال ابن جبیر: و الجهة الشرقیة ثلاثة أروقة آخذة من القبلة إلی الشام، و الجهة الغربیة أربعة کذلک، هذا ما ذکره ابن جبیر إلا أنه عبر فی الجمیع بالبلاطات بدل الأروقة، و کذا صنع ابن عبد ربه فی العقد، و هو مطابق لما علیه المسجد الیوم، إلا ما أشرنا إلیه فی المسقف القبلی و الشامی.

قال ابن جبیر: و نصف جدار القبلة الأسفل رخام موضوع إزارا علی إزار، أی: وزرة فوق أخری، مختلف الصنعة و اللون، مجزع أبدع تجزیع، و النص الأعلی من الجدار منزل کله بفصوص من الذهب المعروف بالفسیفساء قد أنتج الصناع فیه نتائج من الصنعة غریبة تضمنت تصاویر أشجار مختلفات الصفات مائلة الأغصان بثمرها، و المسجد کله علی تلک الصنعة، لکن الصنعة فی جدار القبلة أحفل، و الجدار الناظر إلی الصحن من جهة القبلة کذلک، و من جهة الشام أیضا، و الغربی و الشرقی الناظران إلی الصحن مجددان أیضا و مقرنصان قد زینا برسم یتضمن أنواعا من الأصبغة، إلی ما یطول وصفه، انتهی.

و وصف ابن عبد ربه فی «العقد» ما فی جدار القبلة من وزارت الرخام و طرر الذهب و الفسیفساء، ثم قال: و حیطان المسجد کلها من داخله مزخرفة بالرخام و الذهب و الفسیفساء أولها و آخرها.

و ذکر أیضا أن رءوس الأساطین مذهّبة علیها أکف منقشة مذهّبة، و کذلک أعتاب الأبواب مذهبة أیضا.

قلت: و قد زال ذلك كله بسبب الحريق الأول، و بقى من آثاره شيء يسير فى مؤخر المسقف الغربى بجدار المسجد مما يلى الدكاك، و شيء يسير بالمأذنة الغربية الشمالية مما يلى بابها فيه شيء من الفسيفساء. و أما جدار القبلة فليس به اليوم إلا لوح يتضمن صور أشجار عن يمين مستقبل المحراب الشريف، و هو من الآثار القديمة، و كان يقابله فى جهة يسار المستقبل لوح مثله سقط قريبا، ثم زال ذلك كله فى الحريق الثانى. و بالجدار المذكور اليوم وزرة رخام أول من أحدثها بعد الحريق الأول الظاهر جقمق كما قدمناه مع بيان أن المحراب العثمانى و ما حوله كان مرخما قبل ذلك، و بقية المسجد مبيض أحسن بياض.

و فى جدار القبلة عصابتان من طراز تقدم ذكرهما أيضا، و كان قد انقشر من العليا

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۰۳

منهما شيء يسير، فقلع متولى العمارة التى أدركناها ذلك و ما حوله، و جعله طرازا باسم سلطاننا الأشرف قايتباى أعز اللّه أنصاره، و وصله ببقية العصابة المذكورة. و تقدم أيضا ذكر الطراز الآخر من جهة السقف إلى قرب العصابة المذكورة، و بيان أن الذى ترجح عندى أنه جعل لتمييز المسجد النبوى عما زيد فيه، و قد زال ذلك كله بعد الحريق الثانى، و أعادوا منه ترخيم جدار القبلة كما سبق.

عدد أساطين المسجد

و أما عدد الأساطين فذكر ابن زبالة أنها مائتان و ستة و تسعون أسطوانا، منها فى جدار القبر الشريف ستة. و ذكر ابن النجار أيضا ما يؤخذ منه ذلك.

و قال ابن جبير: عدتها مائتان و تسعون أسطوانا، و لا مخالفة بينهما؛ لأن ابن جبير لم يعتبر الأساطين الست التى فى جدار القبر الشريف، و ليس فيه خلل إلا بأسطوان واحد؛ لأن الذى اقتضاه تحريرنا أن جملة الأساطين التى كانت فى ذلك الزمان بما فى جدار القبر مائتان و خمسة و تسعون أسطوانا؛ لأن المسقف الغربى أربعة صفوف، فإذا اعتبرتها من الجدار القبلى إلى الجدار الشامى كان كل صف ثمانية و عشرين أسطوانا، فجملة هذا المسقف مائة أسطوان و اثنا عشر أسطوانا، و المسقف الشرقى ثلاثة صفوف كل صف منها ثمانية و عشرون أيضا إلا الصف الأوسط فإنه ينقص أسطوانا كما ظهر لنا عند انكشاف الحجرة؛ لأن الأسطوانة الملصقة إلى جدار الحجرة الشامى الذى فى جوف الجدار الظاهر التى تقدم أن متولى العمارة أدخلها فى عرض ذلك الجدار فى الصف المذكور إنما يقابلها فيه الأسطوان الداخل بعضها فى الجدار الظاهر من جهة القبلة، و كان مقتضى وضع الأساطين فى مقابلة بعضها بعضا من كل جانب أن تكون بينها أسطوانة أخرى فى موازاة الأسطوانة التى بين مربعة القبر و أسطوان الصندوق الداخلة فى الجدار الظاهر، لكن لم يتأتّ ذلك؛ لكونها تكون حينئذ فى جوف الحجرة الشريفة، فسقط بسبب ذلك فى هذا الصف أسطوان، و خفى ذلك على من لم يشاهد الحجرة الشريفة. و حينئذ فجملة أساطين المسقف الشرقى من جدار القبلة إلى الجدار الشامى ثلاثة و ثمانون أسطوانا، و الباقى بعد ذلك فى المسقف القبلى ما يوازى صحن المسجد فقط، و هو خمسة صفوف كل صف عشرة أساطين فجملة ذلك خمسون أسطوانا، و الباقى أيضا فى المسقف الشامى خمسة صفوف تقابل ذلك و جملتها خمسون أسطوانا، فجملة أساطين المسجد بما دخل فى جدار القبر مائتان و خمسة و تسعون أسطوانا- بتقديم التاء- و فى مؤخر المسقف الغربى أسطوانتان ملتصقتان إلى الجدار الغربى لم تدخلا فى هذه العدة.

و أما عدد أساطين المسجد اليوم فقد تقدم أنه زيد فى المسقف القبلى من ناحية صحن

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۰۴

المسجد رواقان و نقص من المسقف الشامى من ناحية الصحن رواق، فيزيد على ما تقدم عشرة أساطين، و ذلك خارج عن الأساطين التى أحدثت لأجل السقف البارز فى رحبة المسجد أمام الباب الشامى من المقصورة المستديرة على الحجرة الشريفة.

و حدث فى العمارة المتجددة بعد الحريق إسقاط أسطوان كانت بين الأسطوان التى إليها المصلّى النبوى و بين المحراب العثمانى، و

ضم بعض أساطين أخرى إلى الأساطين التى هناك، و فيما حول الحجرة الشريفة، و إبدال بعضها بدعائم على ما سبقت الإشارة إليه فى الفصل التاسع و العشرين مع ما حدث من التغيير فى أساطين المسقف القبلى، و كانت أساطين المسجد كلها- كما قال ابن جبير فى وصفها- أعمدة متصلة بالسمك دون قسى ينعطف عليها، فكأنها دعائم قوائم، و هى من حجر منحوت قطعا ململمة مثقبة، يوضع أنثى فى ذكر، أى بأعمدة الحديد، و يفرغ بينها الرصاص إلى أن يتصل عمودا قائما، و يكسى بغلالة جيار، و يبالغ فى صقلها و دلكها، فتظهر كأنها رخام أبيض.

قلت: و أراد بالقسى ما نسميه اليوم بالقناطر المعقودة حول صحن المسجد، و أما الأساطين الداخلة فى الأروقة فإنها متصلة بالسقف، سوى الرواقين اللذين يليان رحبة المسجد من المسقف القبلى، ثم جعل المسقف القبلى كنسبتهما بعد العمارة المتجددة بعد الحريق الثانى كما سبق.

و قد عبر ابن النجار- تبعا لمن قبله- عن تلك العقود بالطاقات، فقال: و أما طاقاته أى المحيطة بالصحن ففى القبلة إحدى عشرة طاقة، و فى الشامى مثلها، و فى المشرق و المغرب- أى كل جانب منهما- تسع عشر طاقة، و بين كل طاق و طاق أسطوان، و رأس الطاقات مسدود بشبابيك من خشب.

قلت: و هو موافق لكلام ابن زبالة فيما يلى المشرق و المغرب، مخالف له فيما يلى القبلة و الشام؛ فإنه قال: و عدد طاقاته مما يلى القبلة اثنتا عشرة طاقة، و مما يلى الشام اثنتا عشرة، و مما يلى المشرق تسع عشرة، و مما يلى المغرب تسع عشرة، فذلك اثنتان و ستون طاقة، انتهى.

و هذا لا يتم إلا على تقدير أن يكون المسقف الغربى ثلاثة أروقة فقط كالمسقف الشرقى، فتكون العقود التى تلى القبلة و الشام اثنى عشر، و ما تقدم فى عدد الأساطين ينافيه؛ فالصواب ما ذكره ابن النجار.

و عدد قناطره المحيطة برحبته اليوم من جهة القبلة و الشام موافق لما ذكره ابن النجار؛ فإنها من كل جانب إحدى عشرة، غير أن باب المقصورة الشامى و ما أحدث له من السقف أمامه سد واحدة من تلك القناطر القبلية.

و أما عدد قناطره من المشرق و المغرب فقد نقصت واحدة من كل جهة؛ لما تقدم من

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۰۵

زيادة الرواقين بالمسقف القبلى، و نقص رواق من المسقف الشامى، فصار عدد القناطر فى كل جانب منهما ثمانى عشرة قنطرة.

و المسدود اليوم بالشبابيك من رءوس القناطر إنما هو رءوس القناطر القبلية و بعض ما يليها من القناطر الشرقية، ثم زال ذلك فى الحريق الثانى، و قد ذكر ابن زبالة عن محمد بن إسماعيل قال: أدركت المسجد كان يضيق عن الناس يوم الجمعة حتى يصلى بعضهم فى دار القضاء، و هى يومئذ مبنية، و فى دار ابن مكمل، و فى دار النحامين، و فى دار عاتكة، قال:

فلما قدم أبو جعفر المنصور المدينة سنة أربعين و مائة أمر بستور فستر بها صحن المسجد على عمد لها رءوس كقريات الفساطيط، و جعلت فى الطّيقان- أى القناطر المتقدم ذكرها- فكانت الريح تدخل فيها، فلا يزال العمود يسقط على الإ، سان، فغيّرها و أمر بستور هى أكثف من تلك الستور و بحبال، فأتى بها من جدة من حبال السفن القنبار، و جعلت على سبيك حبالها اليوم، فكانت تجعل على الناس كل جمعة، فلم يزل كذلك حتى خرج محمد بن عبد اللّه بن حسن يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة خمس و أربعين و مائة، فأمر بها فقطعت دراريع لمن كان يقاتل معه، فتركت حتى كان زمان هرون أمير المؤمنين فأحدث هذه الأستار، و لم يكن يعنى صحن المسجد يستر زمان بنى أمية.

قلت: و هذا شىء قد انقطع قديما لعدم الاحتياج إليه لما قلّ الناس بالمدينة، حتى إن كثيرا من الأروقة لا يمتلئ بالناس.

و بالمسجد اليوم ستارة بالقرب من باب الحجرة الشامى ترخى على ما يليه من القناطر الشرقية لتقى من يجلس هناك من خدام المسجد حر الشمس.

و قال ابن زبالة و يحيى: و كان ماء المطر إذا كثر فى صحن المسجد يغشى السقائف التى فى القبلة، و كانت حصباء تلك الناحية تسيل إلى صحن المسجد، فجعل بين القبلة و الصحن لاصقا بالسوارى حجاب من حجارة من المربعة التى فى غربى المسجد إلى المربعة التى فى شرقيه على القبر، فمنع الماء من الصحن أن يغشى القبلة و من حصباء القبلة أن يصير إلى الصحن. و عبارة يحيى: فأمر أبو البحترى بحجارة فجعلت ردا لذلك الماء الذى كان يدخل و الحصباء التى كانت تسيل فيما بين المربعة التى كانت عند القبر و المربعة التى فى غربى المسجد، و جعل ذلك لاصقا بالسوارى.

قلت: و المراد أنه جعل أحجار الحجاب المذكور فيما بين السوارى التى تلى رحبة المسجد من المشرق إلى المغرب، و قد كانت مربعة القبر أول السوارى المذكورة من جهة المشرق؛ لأنها فى صف أسطوان الوفود كما قدمناه، و ذلك الصف كان آخر المسقف القبلى، و كانت المربعة الغربية فى آخر السوارى المذكورة مما يلى المغرب، و هى الأسطوان المثمنة اليوم

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۰۶

التى بينها و بين ركن صحن المسجد الغربى اليوم أسطوانتان بسبب زيادة الرواقين المتقدم ذكرهما فى مؤخر المسقف المذكورة، و هذا الحجاب المذكور قد اندفن اليوم فلا يظهر منه شىء، و الظاهر أنه كان بين السوارى المطيفة بصحن المسجد من المشرق و المغرب حجاب مثل ذلك، و كانت بقاياه ظاهرة فيما يلى الدكاك من المسقفين المذكورين قبل حدوث ما سبق من الدكاك بهما، و المسقف القبلى اليوم أرضه عالية على ما يليه من الصحن يسيرا؛ فلا يغشاه مياه الأمطار، لكن وطأه متولى العمارة بعد الحريق الثانى حتى ساوى به أرض المصلى الشريف كما سبق، فاحتاج إلى عمل حجاب من الأحجار بين السوارى التى تلى رحبة المسجد من جهة القبلة و ما حولها.

عدد بالوعات المسجد

و أما عدد البالوعات بصحن المسجد فقد ذكر ابن زبالة و يحيى أن به أربعا و ستين بالوعة لماء المطر عليها أرحاء لها صمائم من حجارة يدخل الماء من خلالها.

قلت: و لا يظهر به اليوم غير بالوعة واحدة لها فوّهتان، و هى عند الحجرين المتقدم ذكرهما فى تجديد المسجد، و إحدى الفوهتين إلى جانب الحجرين من القبلة، و الثانية إلى جانبهما من جهة الشام، و يجتمعان فى بئر واحدة هناك، و عليهما حجران كالأرحاء، و فى أسفل ما على فوهتيهما من ذلك مشبك يدخل الماء من خلاله ليمنع نزول الحصباء هناك، و مع ذلك فقد بحروها فى العمارة المتقدم ذكرها أولا، فخرج منها شىء كثير من الحصباء.

سقايات المسجد

و أما السقايات التى كانت به فذكر ابن زبالة أنه كان فى صحن المسجد فى زمنه تسع عشرة سقاية، و ذلك فى صفر سنة تسع و تسعين و مائة، منها ثلاث عشرة أحدثتها خالصة، و هى أول من أحدث ذلك، و منها ثلاث سقايات لزيد البربرى مولى أمير المؤمنين، و منها سقاية لأبى البحترى وهب بن وهب، و منها سقاية لشجن أم ولد هارون أمير المؤمنين، و منها سقاية لسلسبيل أم ولد جعفر بن أبى جعفر. و قد أورد ذلك ابن النجار مترجما عليه بذكر السقايات التى كانت فى المسجد، ثم قال: و أما الآن فليس فى المسجد سقاية إلا فى وسطه. قال: و فيه بركة كبيرة مبنية بالآجر و الجص و الخشب ينزل إليها بدرج أربع فى جوانبها، و الماء ينبع من فوارة فى وسطها تأتى من العين، و لا يكون الماء فيها إلا فى أيام المواسم إذا جاء الحاج، و بقية السنة تكون فارغة. عملها بعض الأمراء بالشام، و اسمه شامة. قال: و عملت الجهة أم الخليفة الناصر لدين اللّه فى مؤخر المسجد سقاية كبيرة فيها عدة من البيوت، و حفرت لها بئرا، و

فتحت لها بابا إلى المسجد فى الحائط الذى يلى الشام، انتهى.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۰۷

قلت: الذى يظهر من كلام ابن زبالة أنه أراد بالسقايات ما يجعل لأجل الشرب، و ظاهر ما ذكره ابن النجار أن المراد بذلك ما يجعل للوضوء. و ذكره لما عملته أم الخليفة الناصر لدين اللّه صريح فى ذلك، فإنه يعنى بذلك الميضأة التى بابها فى حائط المسجد الشامى، و كان لها باب آخر من خارج سد قديما، و هو ظاهر فيما يلى المسجد من المغرب.

و قوله «فيها عدة بيوت» أى عدد الأخلية التى بها.

و قوله أولا «فأما الآن فليس فى المسجد سقاية إلا فى وسطه» الظاهر أنه يريد السقاية التى كانت للشرب بوسط المسجد.

و قد ذكرها البدر بن فرحون فقال: و لقد كان فى وسط المسجد سقاية يحمل إليها الماء من العين بناها شيخ الخدام فى ذلك الوقت، و وقف عليها أوقافا من ماله و كانت متقدمة على النخل تقديرها خمسة عشر ذراعا فى مثلها، و جعل فى وسطها مصرفا للماء مرخما، و نصب فيها مواجير للماء و أزيارا و دوارق و أكوازا، و حجّرها بالخشب و الجريد، و جعل لها غلقا من حديد، و استمرت السنين العديدة، فكثر الشر فيها، و التزاحم عندها، و صار يدخلها من يتوضأ فيها فربما يزيل فيها الأذى، من استقرب المدى، ثم تعدى الحال و زاد شرها. و ذكر فتنة اتفقت للخدام مع بعض الأشراف بسببها، قال: فلما غلبت مفسدتها على مصلحتها أزيلت عن اجتماع من القاضى شرف الدين الأميوطى و الشيخ ظهير الدين، انتهى.

و أما البركة التى ذكرها ابن النجار فإنها مذكورة فى كلام المطرى، و اقتضى كلامه نسبتها لابن أبى الهيجاء، فإنه ذكر ما سيأتى عنه فى الكلام على العين الزرقاء من أن ابن أبى الهيجاء فى حدود الستين و خمسمائة أمدّ منها شعبة و أوصلها إلى الرحبة التى عند المسجد من جهة باب السلام، يعنى سوق المدينة اليوم. ثم قال: و كان قد جعل منها شعبة صغيرة تدخل إلى صحن المسجد، و جعل لها منهلا بدرج عليه عقد يخرج الماء من فوارة يتوضأ منها من يحتاج إليه، فحصل بذلك انتهاك حرمة المسجد الشريف من كشف العورات و الاستنجاء فى المسجد، فسدّت لذلك، انتهى.

قلت: و قد رأيت آثار درجها فى غربى النخيل التى بصحن المسجد قريبا منها، و ليس بالمسجد اليوم شىء من السقايات إلا ما يحمل إليه من الدوارق المسبّلة فيشربها الناس فى أوقات مخصوصة، إلا أن خزانة الخدام الآتى ذكرها لا يزال بها ماء لأجل شربهم. ثم لما عمر سلطان زماننا الأشرف مدرسته التى بين باب الرحمة و باب السلام جعل فيها سبيلا مما يلى باب الرحمة له شباك إلى المسجد.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۰۸

حواصل المسجد

و أما الحواصل و الخزائن التى بالمسجد الشريف ففيه القبة التى بصحنه، و قد مر ذكرها، و غالب ما يوضع فيها اليوم زيت وقود المسجد، و تقدم أن المصحف المنسوب إلى عثمان رضى اللّه تعالى عنه موضوع بها.

و بالمسجد أيضا أمام كل من المنارات الأربع خزانة، إلا أن ما أمام المنارتين القبليتين من ذلك أصلى، بخلاف المنارتين الشاميتين فإنه محدث، و لذلك قال البدر بن فرحون: و ما أحق بالإزالة ما أحدث بالمنارتين الشاميتين؛ إذ قدم بابهما على بابيهما الأصليين، و جعل ما بين البابين فى كل منارة خلوة اقتطع بها جانب من المسجد كبير لا شك فى تحريمه، انتهى.

و فى جهة المغرب أيضا إلى جانب باب المنارة الشمالية الغربية المعروفة بالخشبية- سميت بذلك لأن حد الخشبتين كان يؤذن بها- خزانة صغيرة يضع بعض الخدام فرشهم فيها، و ربما أقام بها من يريد الاعتكاف بالمسجد و يليها فى جهة المغرب أيضا حاصلان كبيران يوضع فيهما القناديل الزجاج و بعض آلات المسجد، و فى الأول منهما مما يلى الخزانة المذكورة وضعت كتبى، و كنت أجلس به للمطالعة و الاعتكاف فإنه من المسجد، و اتفق لى فى سبب الإقامة به أمر ليس هذا محل ذكره.

و يقابل ذلك فى جهة المشرق مما يلى المنارة المعروفة بالسنجارية خلوة كبيرة فيها فرش الخدام أيضا، و إلى جانبها خزانتان إحداهما بيد من تكون له النوبة من الفراشين يضع فيها فوانيس المسجد و نحوها، و الثانية بيد الخدام أيضا، و فى جهة المشرق قريبا من باب جبريل بينه و بين باب النساء خزانة يضع فيها الخدام الماء لشربهم و بعض فرشهم و أمتعتهم، و هى المذكورة فى كلام ابن جبير حيث قال: و فى الجهة الشرقية بيت مصنوع من عود هو موضع مبيت بعض السّدنة الحارسين للمسجد المبارك، قال: و سدنته فتيان أحابيش و صقالبة ظراف الهيئة نظاف الملابس و الشارات، انتهى، و إلى جانب الخزانة المذكورة صندوق يوضع فيه ما يستخرج من القبة من الزيت للوقود فى كل ليلة.

و فى غربى المسجد بين باب الرحمة و باب السلام حاصل يوضع فيه النورة، يعرف بابه بخوخة أبى بكر رضى اللّه تعالى عنه، فإنها كانت فى محاذاته كما تقدم، فلما زيد فى المسجد جعلوا هناك خوخة فى المسجد تحاذى الخوخة الأولى و قد جعل لذلك ثلاثة أبواب عند عمارة المدرسة الأشرفية، و محل الخوخة من ذلك الباب الثالث من على يسارك إذا دخلت من باب السلام.

قناديل المسجد

و أما عدد قناديله فذكر ابن زبالة أنها مائتان و تسعون قنديلا فى زمانه، و جملتها فى

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۰۹

زماننا مائتا قنديل و ستة و خمسون قنديلا، هذه الدائمة، و نحو المائة قنديل يسرجونها فى بعض الأوقات، و يجعلون فى كل قنطرة من القناطر التى تلى صحن المسجد من مقدمه و جنبتيه ثلاثة قناديل، و يقتصرون فى بعض الأوقات على واحد فى كل قنطرة كما فى القناطر التى فى مؤخر المسجد، سيما إذا قلّ عندهم الزيت، و حدث بعد الحريق الثانى زيادة سلاسل كثيرة معدة لتعليق القناديل بها، و بصحن المسجد أربعة مشاعيل اثنان فى جهة القبلة و اثنان فى جهة الشام، و كل واحد كالأسطوانة، و بأعلاه مسرجة عظيمة تشعل فى ليالى الزيارات المشهورة، و لا أدرى ابتداء حدوث ذلك، و يزيدون تنانير و بزاقات فى مقدم الروضة و ما حولها، و يحتفلون بذلك سيما فى ليلة سبع و عشرين من رمضان، و يسرجون فى كل ليلة منه نحو أربعين شمعة، و يضعونها على شمعدانات كبار فى قبلة الروضة و الحجرة، و فى غربى المنبر، و بعضها فى محراب الحنفية الآتى ذكره.

و للمسجد فوانيس عدتها ستة، يطوف بها الخدام بعد صلاة العشاء الآخرة لإخراج الناس من المسجد عند غلق أبوابه، و لا يدعون به إلا الخدام و من له نوبة من أرباب وظائفه.

و ذكر البدر بن فرحون فى ترجمته شبل الدولة كافورا المظفرى شيخ الخدام المعروف بالحريرى أن من آثاره الحسنة تبطيل الطوف بالشعل من جريد النخل و تبديلها بالفوانيس التى يطوفون بها اليوم كل ليلة، و ذلك أنهم كانوا قبل الحريرى و صدرا من ولايته يأخذ عبيد الخدام و بعض الفراشين شعلا من سعف النخل فيطوفون بها عوض الفوانيس اليوم يجرون بها كأشد ما يكون من الجرى، فإذا وصلوا باب النساء خرجوا بها و خبطوا ما بقى معهم منها، و كانت تسود المسجد و تسود بابه أيضا، و فيها من البشاعة ما لا يخفى، فأمر بالفوانيس عوضها رحمه اللّه تعالى.

فى صحن المسجد نخيل مغروسة

و بصحن المسجد نخيل مغروسة، و لم أدر ابتداء حدوث ذلك، إلا أن ابن جبير قال فى رحلته عند ذكر القبة التى بصحن المسجد ما لفظه: و بإزائها فى الصحن خمس عشرة نخلة، انتهى.

و قال البدر ابن فرحون: إن أول من أدرك من مشايخ الخدام الشيخ عزيز الدولة، قال: و فى أيامه غرس كثير من هذا النخل الذى

بالمسجد اليوم، و كان منه شيء قبل العزيزى، و مات أكثره، انتهى.

و ذكر المجد عزيز الدولة و قال: إن غرس أكثر هذا النخل كان فى زمانه، ثم قال:

و كأنه لم يتعرض أحد لإنكار هذه البدعة إجلالا لشأنه، أو خوفا من لسانه، أو تمكينا له من

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۱۰

الاقتداء بمن غرسه قبله و خنق فى عنقه من هذا المنكر حبله، و قد انجعفت تلك النخيل لهبوب عاصفة هبت فى أواخر مشيخة ياقوت الرسولى، ثم أعيد الغراس، و وقع الإنكار من بعض الناس، لكن لم يصادف كلامه محلا من الإشارة و الإفادة، و لعله سوغ حملا على احتمال أنه لم يغرس أولا إلا بنوع من الاستحقاق، لكن لا يخفى ما فى اعتماد الاحتمال البعيد من قلة التقى.

قلت: و قد أراد طوغان شيخ أن يزيد فيه سنة ثلاث و سبعين و ثمانمائة، فأنكرت ذلك، و قام بعض أهل الخير فى المنع منه، فبطل ذلك و لله الحمد.

أئمة المسجد

و لم يزل المسجد النبوى بإمام واحد يصلى بالناس فى مقام النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، و يتقدم أيام الموسم إلى المحراب العثمانى، حتى سعى طوغان شيخ المذكور فى إحداث محراب للحنفية فى دولة الأشرف إينال، فقام أهل المدينة فى منعه، و ساعدهم على ذلك من أرباب الدولة المصرية صاحب الشيم المرضية جمال الدين يوسف ناظر الخواص الشريفة، تغمده اللّه برحمته، فلم يتم لطوغان المذكور ذلك، فلما توفى المشار إليه أعاد طوغان السعى فى الدولة المذكورة، فبرزت المراسيم به بعد الستين و ثمانمائة، و استمر إلى زماننا فيصلى إمامه الصلوات الخمس عقب انصراف إمام المحراب النبوى، و هو إمام الشافعية، إلا فى التراويح فيصليان معا، و هذا الأمر دبّ إلى المدينة الشريفة من مكة المشرفة.

و قد قال الزركشى: إن السبب فى حدوث ذلك بها أن الإمام كان فى ذلك الوقت مبتدعا، فعند ما امتنع الناس من إقامة الجماعة مع إمامهم الذى أقاموه سمحوا للناس فى اتخاذ أئمة لأنفسهم، و استمر الأمر عليه، و كذا جرى مثله فى بيت المقدس و جامع مصر قديما، انتهى.

و قد بينا حكم ذلك فى كتابنا الموسوم «بدفع التعرض و الإنكار، لبسط روضة المختار».

عرض جدار المسجد

و قال ابن زبالة و يحيى: و عرض منقبة جدار المسجد مما يلى المغرب ذراعان ينقصان شيئا، و عرض منقبته مما يلى المشرق ذراعان و أربعة أصابع، و إنما زيد فيه لأنها من ناحية السيل.

قلت: و هذا لأن السيل كان يغشى المسجد من تلك الجهة، و لهذا سقط جدار الحجرة الشرقى كما قدمناه، و سقط أيضا جدار المسجد من الناحية المذكورة كما قدمناه من قول ابن

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۱۱

زبالة «أخاف المسجد من شرقيه فى سلطان محمد بن عبد اللّه الربعى من ولد ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب من ناحية موضع الجنائز فأمر به فبنى» انتهى.

و قد قدمنا فى زيادة الوليد ما رواه يحيى من طريق ابن زبالة فى ذرع عرض المسجد، و بينا فساده، و الصواب ما ذكره ابن زبالة فى أواخر الكلام على المسجد؛ فإنه ذكر ذرع مسجد النبى صلّى اللّه عليه و سلّم الأول عرضا و طولا، ثم قال: و ذرع مسجد رسول اللّه

صلّى اللّه عليه و سلّم اليوم ذرع عرضه من مقدمه فى القبلة بين المشرق و المغرب مائة و خمسة و ستون ذراعا، ينقص مؤخره عن مقدمه خمسة و ثلاثين ذراعا، و طوله من اليمن إلى الشام مائتان و أربعون ذراعا.

قلت: و قد حررت ذرعه فكان عرضه من مقدمه فى القبلة مائة ذراع و سبعة و ستين ذراعا و نصفا، فيزيد على ما ذكره ابن زبالة ذراعين و نصفا، و ذلك لاختلاف الأذرعة أو لرخاوة الحبل الذى وقع القياس به، و نحو ذلك.

و كان عرضه من مؤخره فى الشام مائة و خمسة و ثلاثين ذراعا فيزيد على ما ذكره خمسة أذرع.

و كان طوله من القبلة إلى الشام مائتى ذراع و ثلاثة و خمسون ذراعا، فيزيد على ما ذكره ابن زبالة ثلاثة عشر ذراعا.

و قد ذكر ابن النجار ما يوافق ذرعنا هذا مع مخالفة يسيرة فقال: طول المسجد اليوم من قبلته إلى الشام مائتا ذراع و أربعة و خمسون ذراعا و أربعة أصابع، و من شرقيه إلى غربيه- يعنى فى مقدمه- مائة ذراع و سبعون ذراعا صافية، انتهى.

قال ابن زبالة: و طول رحبة المسجد- يعنى صحنه- من اليمن إلى الشام مائة و خمسة و ستون ذراعا، و عرضها بين المشرق و المغرب ثمان و تسعون ذراعا، انتهى.

و ذكر ابن النجار أن طولها مائة و تسعة و خمسون ذراعا و ثلاثة أصابع، و عرضها سبع و تسعون ذراعا راجحة.

قلت: و طول رحبة المسجد اليوم من القبلة إلى الشام مائة ذراع و اثنان و خمسون ذراعا و نصف ذراع، فإذا أضفت لذلك عرض الرواق الذى زيد فى الرحبة على ما قدمناه من أنه زيد فيها رواقان من ناحية و نقص رواق من ناحية و الرواق نحو تسعة أذرع فيكون جملة ذلك مائة و أحدا و ستين ذراعا و نصفا، و ذلك نحو ما ذكره ابن النجار.

و أما عرض الرحبة اليوم من مقدم المسجد فخمسة و تسعون ذراعا بتقديم التاء على السين، و اللّه تعالى أعلم.

و ذكر ابن النجار أن طول المسجد فى السماء خمسة و عشرون ذراعا، و مراده ارتفاعه من أرضه إلى أعلى شرفاته؛ لأنه ذكر فى موضع آخر ما يقتضى أن ارتفاعه من أرض المسجد إلى

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۱۲

سقفه أحد و عشرون ذراعا، فيكون سمك السقف و الحائط الذى عليه الشراريف حول صحن المسجد أربعة أذرع، و الذى بين أرض مقدم المسجد و سقفه بعد خفض أرضه عقب الحريق الثانى اثنان و عشرون ذراعا، و تقدم فى زيادة عمر رضى اللّه عنه ما يقتضى أنه كان بينهما فى زمانه أحد عشر ذراعا، و لم أقف على ذكر ما جعله عثمان رضى اللّه تعالى عنه بينهما، و ذرع ما بين الأرض المحيطة بالمسجد من خارجه و أعلى سترة جداره من جهة المغرب ثمانية و عشرون ذراعا؛ فهذا سمك المسجد من خارجه، و اللّه أعلم.

و قد تقدم ذكر منابر المسجد و ذرعها فى زيادة الوليد.

الفصل الثانى و الثلاثون فى أبواب المسجد و ما سد منها، و ما بقى، و ما يحاذيها من الدور قديما و حديثا

أبواب المسجد

تقدم أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم جعل للمسجد الشريف ثلاثة أبواب: بابا فى مؤخره، و الباب الذى يدعى باب عاتكة و يقال له باب الرحمة، و الباب الذى كان يدخل منه النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و هو باب آل عثمان.

و قد اقتضى كلام المؤرخين أن هذين البابين لم يحولا عن مكانهما، بل لما زيد فى المسجد من جهتهما جعلا فى محاذاة محلهما الأول.

و قد قدمنا فى زيادة عمر رضى اللّه عنه أنه جعل الأبواب ستة: بابين عن يمين القبلة، و بابين عن يسارها، و بابين خلف القبلة، و أنه لم يغير باب عاتكة و لا باب عثمان، بل زاد فى جهة باب عاتكة الباب الذى عند دار مروان و هو باب السلام، و زاد بعد باب عثمان الباب

المعروف بباب النساء، فهذان البابان هما المزيدان فى المغرب و المشرق.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى؛ ج۲؛ ص۲۱۲

سبق أيضا أن عثمان رضى اللّه تعالى عنه أقر هذه الأبواب على حالها، و لم يزد فيها شيئا.

و لم يذكر ابن زبالة و لا يحيى و لا رزين ما زاده الوليد من الأبواب، و لا ما زاده المهدى حين زاد فى المسجد، إلا أن ابن النجار قال: و أما أبواب المسجد فكانت بعد زيادة المهدى فيه، و ذكر تسعة عشر بابا غير باب خوخة أبى بكر رضى اللّه عنه، كما سيأتى، و بين أماكنها كما سنشير إليه.

و قال المطرى و تبعه المراغى و المجد: لما بنى الوليد بن عبد الملك المسجد و وسعه جعل له عشرين بابا، و ذكر الأبواب المذكورة بعينها مع الخوخة المذكورة، و هذا وهم؛ لأن المنقول فى هذه الأبواب أنها إنما كانت فى زيادة المهدى، و هى التى استقر عليها الحال فى أمر

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۱۳

المسجد، و أيضا فما سيأتى فى وصف الأبواب التى فى جهة الشام و ما يليها من جهة المشرق و المغرب لا يتصور أن يكون فى زمن الوليد؛ لما تقدم من أن المهدى هو الذى زاد ذلك، و المطرى موافق عليه، فكيف يذكر وصف تلك الأبواب فيما نسبه للوليد، و سيأتى أيضا أن أحد هذه الأبواب- و هو باب زياد- إنما فتحه زياد فى ولاية أبى العباس المنصور.

و الحاصل من كلام من كان قبل المطرى من المؤرخين أن الذى استقر عليه أمر المسجد بعد انتهاء زياداته كانت شارعة فى رحبة دار القضاء و لا ينافى ذلك قول ابن زبالة. و فى المسجد- يعنى فى زمنه- أربعة و عشرون بابا لأنه قال فى تفصيلها: منها ثمانية من ناحية المشرق، و مما يلى القبلة: باب يدخل منه الأمراء من ناحية باب مروان إلى المقصورة، و عن يسار القبلة الباب الذى تدخل منه المقصورة من موضع الجنائز، و عن يمين القبلة باب بحذائه سواء فى الطرف الآخر أى فى مقابلته يدعى باب زيت القناديل، ذكروا أن مروان عمله، و خوخة آل عمر تحت المقصورة، و مما يلى المغرب ثمانية أبواب منها الخوخة التى تقابل يمين خوخة أبى بكر الصديق رضى اللّه عنه، و مما يلى الشام أربعة، انتهى كلام ابن زبالة؛ فغيره لم يعد الباب الذى كان فى القبلة شارعا فى دار مروان؛ لأنه باب دار، و كذا خوخة آل عمر؛ لأنها للدار لا للمسجد، و كذا باب زيت القناديل؛ لأنه باب خزانة للمسجد لا يدخل منه عامة الناس، و كان موضعه عند زاوية الجدار الغربية مما يلى القبلة وجدوه عند عمارة المنارة التى بباب السلام و سد بجدارها.

و أما الباب الذى ذكره عن يسار القبلة فيؤخذ من كلامه أنه كان فى المشرق مقابلا لباب زيت القناديل و أنه خاص بالمقصورة، و لو كان بابا عاما لعده فى الأبواب التى فى جهة المشرق، و قد ظهر هذا الباب عند هدم المنارة الشرقية بعد الحريق الذى أدركناه، و هو باب صغير وجد مسدودا عند زاوية جدار المسجد الشرقية، و كأن الدخول كان منه إلى الخزانة التى تحت المنارة الشرقية اليمانية ثم منها إلى المقصورة، و لهذا لما بسط ابن زبالة الكلام على أبواب المسجد فى موضع آخر لم يذكر هذه الأبواب الأربعة، بل اقتصر على العشرين.

فلنذكر ما ذكره و غيره فيها و ما زاده المطرى فى بيانها مما يعرف بمحلها ثم نفرد خوخة آل عمر بالكلام عليها، فنقول:

باب النبى صلّى اللّه عليه و سلّم

الأول: و هو مبتدأ أبواب جهة المشرق مما يلى القبلة، باب النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، سمى بذلك لكونه فى مقابلة حجرة عائشة رضى اللّه تعالى عنها التى بها قبر النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، لا لكونه دخل منه؛ إذ لا وجود له فى زمنه صلّى اللّه عليه و سلّم، و قد سد عند تجديد الحائط الشرقى، و جعل مكانه شباك

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۱۴

يقف الإنسان عنده من خارج، فيرى الحجرة الشريفة، كذا قاله المطرى و من بعده، و سيأتى ما يخالفه.

باب على

الثانى: باب على رضى اللّه عنه، كان يقابل بيته الذى خلف بيت النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، و قد سد أيضا عند تجديد الحائط، و ما ذكرنا من أن باب النبى صلّى اللّه عليه و سلّم مقدم على هذا الباب للقبلة صرح به المطرى و من تبعه، و هو الذى تقتضيه المناسبة التى ذكروها للتسمية بذلك، لكن صرح ابن النجار بخلافه، فقال فى عدّ أبواب جهة المشرق: باب على، ثم باب النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، ثم باب عثمان، ثم باب مستقبل دار ريطة، إلى آخر الترتيب الآتى، و مأخذه فى ذلك أن ابن زبالة و يحيى ذكرا ما كان مكتوبا على جدارات المسجد فقالا: و فى الزيادة الشرقية فى جوف المسجد بين باب على و باب النبى صلّى اللّه عليه و سلّم مكتوب، و ذكرا ما كان مكتوبا.

ثم قالا: و بين باب النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و باب عثمان مكتوب، و ذكرا ما كان مكتوبا.

ثم ذكر أيضا فى الكتابة من خارج الجدار على الأبواب نحو هذا، و قالا أيضا: إن فى القبلة من خارج المسجد فى موضع الجنائز حيث يصلى على الموتى عند باب على بن أبى طالب مكتوب بعد البسملة إِنَّ فِي خَلْقِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ [آل عمران: ۱۹۰] الآية فاقتضى ذلك أن باب على هو أول أبواب هذه الجهة، و أن باب النبى صلّى اللّه عليه و سلّم هو الثانى منها، و الذى حمل المطرى و من تبعه على مخالفة ذلك ما قدمناه عنه من رعاية تلك المناسبة، و يحتمل:

أن بيت على رضى اللّه عنه كان ممتدّا فى شرقى حجرة عائشة رضى اللّه عنها إلى موضع الباب الأول فسمى باب على بذلك، و يدل له ما تقدم عن ابن شبة فى الكلام على بيت فاطمة رضى الله عنها من أنه كان فيما بين دار عثمان التى فى شرقى المسجد و بين الباب المواجه لدار أسماء، و يكون تسمية الباب الثانى بباب النبى صلّى اللّه عليه و سلّم لقربه من بابه، و اللّه أعلم.

باب عثمان باب جبريل

الثالث: باب عثمان، و هو الباب الذى وضع قبالة الباب الذى كان يدخل منه النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، فقد قدمنا عن ابن زبالة و يحيى أن الباب الذى كان يدخل منه النبى صلّى اللّه عليه و سلّم هو باب آل عثمان و لذا أطلق عليه فى رواية ليحيى فى زيادة عثمان أنه باب النبى صلّى اللّه عليه و سلّم. و قد ظهر درج عند باب مقصورة الحجرة الشامى فى مقابلة الباب المذكور بسبب الحفر للدعامة التى هناك، و الظاهر أنه درج الباب المذكور قبل تحويله؛ لكونه فى موازاة جدار المسجد الأول كما يؤخذ مما سبق من حدوده، و سمى بذلك لمقابلته لدار عثمان بن عفان، و سيأتى أنها كانت من الطريق التى تسلك إلى البقيع التى عن يسار الخارج من هذا الباب إلى الطريق التى فى شامى

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۱۵

المدرسة الشهابية، و الذى يقابل هذا الباب اليوم من دار عثمان رباط أنشأه جمال الدين محمد بن أبى المنصور الأصفهانى المعروف بالجواد وزير بنى زنكى.

قال المطرى: وقفه على فقراء العجم، و جعل له فيه تربة لها شباك فى جهة الشباك المتقدم ذكره فى مقابلة القبر الشريف. و لما مرض و هو فى السجن قال للشيخ أبى القاسم الصوفى: كنت أخشى أن أنقل من الدست إلى القبر، يعنى أنه فرح بأن يأتيه الموت و هو على تلك الحالة، و قال له: إن بينى و بين أسد الدين شركوه- يعنى عم صلاح الدين بن أيوب- عهدا أن من مات قبل صاحبه حمله صاحبه الحى إلى المدينة الشريفة فدفنه فيها فى التربة التى عملها، فإن أنا مت فامض إليه فذكره، فلما توفى سار الشيخ إلى أسد

الدين فى هذا المعنى، فأعطاه مالا صالحا ليحمله به إلى مكة و المدينة الشريفتين، و أمر أن يحج معه جماعة من الصوفية، و من يقرأ بين يدى تابوته عند النزول و الرحيل و قدوم مدينة تكون فى الطريق، و ينادى بالصلاة عليه فى البلاد، فلما كان فى الحلة اجتمع الناس للصلاة عليه، فإذا شاب قد ارتفع على موضع عال و نادى بأعلى صوته:

سرى نعشه فوق الرقاب، و طالما سرى جوده فوق الركاب و نائله

يمرّ على الوادى فتثنى رماله عليه، و بالنادى فتثنى أراميله

فلم ير باك أكثر من ذلك اليوم، ثم وصلوا به إلى مكة فطافوا به حول الكعبة، وصلوا عليه بالحرم، و حملوه إلى المدينة فصلوا عليه و دفنوه بتربته المذكورة.

و كانت وفاته فى سنة تسع و خمسين و خمسمائة، و كان له آثار حسنة سيما بالحرمين الشريفين، و عمل للمدينة الشريفة السور الآتى ذكره، و سنذكر هناك شيئا من ترجمته.

و فى قبلة رباطه من دار عثمان أيضا تربة اشترى أرضها أسد الدين شيركوه بن شاذى عم السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شاذى، و حمل إليها هو و أخوه نجم الدين أيوب والد صلاح الدين بعد موتهما و دفنا فيها سنة ست و سبعين و خمسمائة، و توهم الذهبى أنهما دفنا بالبقيع فجزم به فى العبر.

و بقية دار عثمان من القبلة دار إلى جانب هذه التربة موقوفة على خدام الحرم الشريف يسكنها مشايخهم، و هذه دار عثمان الكبرى المقابلة لهذا الباب، و سيأتى ذكر داره الصغرى التى فى موضعها رباط المغاربة. و يعرف هذا الباب أيضا بباب جبريل عليه السلام.

قلت: و لم يبينوا سبب تسميته بذلك، و لعل سببها ما سبق فى الفصل الرابع و العشرين من قول أبى غسان: إن علامة مقام جبريل التى يعرف بها اليوم أنك تخرج من الباب الذى يقال له باب آل عثمان فترى على يمينك إذا خرجت من ذلك الباب على ثلاثة أذرع و شبر و هو من الأرض على نحو من ذراع و شبر حجرا أكبر من الحجارة التى بها جدار المسجد،

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۱۶

مع ما قدمناه أيضا من أن الأصل فى ذلك أن جبريل عليه السلام فى غزوة بنى قريظة أتى على فرس عليه اللأمة حتى وقف بباب المسجد عند موضع الجنائز، و لم يكن ثم حينئذ غير الباب المذكور و روى ابن زبالة عن المطلب بن عبد اللّه أن حارثة بن النعمان مرّ و النبى صلّى اللّه عليه و سلّم مع جبريل فى موضع الجنائز، فمر و لم يسلم، فقال جبريل للنبى صلّى اللّه عليه و سلّم: أ هو ممن شهد بدرا؟

قال: نعم، قال: فكيف هو فى أمتك؟ أ يرون لهم به؟ قال: نعم، قال: ما زالت الملائكة الذين شهدوا بدرا معك يرى لهم، قال: فجاء حارثة إلى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم فقال: هل رأيت الرجل الذى كان معى؟ قال: نعم و شبهته بدحية الكلبى، قال النبى صلّى اللّه عليه و سلّم: فإنه جبريل، و قد قال لو سلم لرددنا عليه، فقال: ما منعنى من السلام إلا أنى رأيتك تحدّث معه فكرهت أن أقطعه عنك، و روى البيهقى فى الدلائل عن حارثة بن النعمان قال: مررت على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم و معه جبريل جالس فى المقاعد، فسلمت عليه و مررت، فلما رجعنا و انصرف النبى صلّى اللّه عليه و سلّم قال لى: هل رأيت الذى كان معى؟ قلت: نعم، قال: فإنه جبريل عليه السلام، و قد ردّ عليك السلام.

و كان مكتوبا على هذا الباب من خارجه بعد البسملة لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ [التوبة: ۱۲۸] الآيتين.

باب ريطة (باب النساء)

الرابع: باب ريطة بفتح الراء ابنة أبى العباس السفاح، كان يقابل دارها، و يعرف بباب النساء، و سبب تسميته بذلك ما رواه أبو داود من طريق عبد الوارث عن أيوب عن نافع عن ابن عمر قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم: لو تركنا هذا الباب للنساء، قال: نعم،

فلم يدخل منه ابن عمر حتى مات. ثم قال أبو داود عقبه: و قال غير عبد الوارث، و هو أصح، ثم رواه من طريق إسماعيل عن أيوب عن نافع عن ابن عمر «قال قال عمر» بمعناه، قال:

و هو أصح. ثم رواه أيضا من طريق بكير عن نافع قال: إن عمر بن الخطاب كان ينهى أن يدخل من باب النساء، و هذا هو المعتمد؛ لما تقدم من أنه لم يكن فى زمنه صلّى اللّه عليه و سلّم فى شرقى المسجد غير باب آل عثمان. و قد روى ابن زبالة و يحيى من طريقه عن ابن عمر قال:

سمعت عمر حين بنى المسجد يقول: هذا باب النساء، فلم يدخل منه ابن عمر حتى لقى الله، و كان لا يمر بين أيدى النساء و هن يصلين.

و دار ريطة التى كانت مقابلة لهذا الباب قال المطرى: كانت دار أبى بكر الصديق، و نقل أنه توفى فيها، و هى الآن مدرسة للحنفية بناها ياركوج أحد أمراء الشام، و عمل له فيها مشهدا نقل إليه من الشام، و الطريق إلى البقيع بينها و بين دار عثمان، نقل ذلك ابن زبالة.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۱۷

قلت: و ما ذكره من نسبة الدار المذكورة لأبى بكر الصديق سيأتى مستنده مع بيان ما فيه.

و فى أعلى هذا الباب من خارجه لوح من الفسيفساء مكتوب فيه آية الكرسى من بناء المسجد القديم، و قد زال عند الحريق الثانى.

الخامس: باب كان يقابل دار أسماء بنت الحسين بن عبد اللّه بن عبيد اللّه بن العباس ابن عبد المطلب رضى اللّه عنهم، كانت من جملة دار جبلة بن عمرو الساعدى، ثم صارت لسعد بن خالد بن عمر بن عثمان، ثم صارت لأسماء المذكورة، و هى اليوم رباط للنساء، و قد سدّ هذا الباب أيضا عند تجديد الحائط الشرقى من المنارة الشرقية الشمالية إلى هذا الباب المذكور فى أيام الناصر لدين اللّه سنة تسع و ثمانين و خمسمائة، كذا قاله المطرى و من تبعه، و ظاهر كلام ابن جبير أن سد هذا الباب و غيره من الأبواب كان قبل الثمانين و خمسمائة؛ لأن رحلة ابن جبير كانت قبل الثمانين كما قدمناه، و قد قال فيها: و للمسجد المبارك تسعة عشر بابا أى غير خوخة أبى بكر لم يبق منها مفتوحا غير أربعة، فى المغرب منها اثنان، و فى المشرق اثنان، انتهى. لكنه قال بعد ذلك: و فى القبلة باب واحد صغير مغلق، يعنى باب دار الإمارة. ثم قال: و فى المغرب خمسة مغلقة أيضا، و فى المشرق خمسة أيضا مغلقة، و فى الشام أربعة مغلقة أيضا، انتهى. فتبين أنها كانت فى زمنه غير مسدودة لكنها مغلقة، فيكون سدّها حدث فى التاريخ الذى ذكره المطرى، و اللّه أعلم.

باب سادس

السادس: باب كان يقابل دار خالد بن الوليد رضى اللّه تعالى عنه، و قد دخل فى بناء الحائط المذكور، و الدار المذكورة اليوم رباط الرجال، و معها فى جهة الشمال دار عمرو ابن العاص كما سيأتى بيانه، و يعرف الرباط المذكور اليوم برباط السبيل، و كذا رباط النساء المتقدم ذكره يعرف بذلك أيضا، و الرباطان المذكوران بناهما القاضى كمال الدين أبو الفضل محمد بن عبد اللّه بن القاسم الشهرزورى رحمه اللّه تعالى. و ذكر ابن زبالة و يحيى أنه كتب على نجاف هذا الباب من داخل «مما أمر به المهدى محمد أمير المؤمنين مما عمل البصريون سنة اثنتين و ستين و مائة و مبتدأ زيادة المهدى فى المسجد.

قلت: و كتابة ذلك عليه تقتضى أنه الذى أحدثه و ما بعده، و أنه أول زيادته كما تقدم.

باب سابع

السابع: باب كان يقابل زقاق المناصع دخل أيضا فى الحائط بعد تجديده، و زقاق المناصع كان بين دار عمرو بن العاص و أبيات الصوافى، و عبر عنها المطرى بدار موسى بن إبراهيم ابن عبد الرحمن بن عبد اللّه بن أبى ربيعة المخزومى لأمر توهمه من كلام ابن زبالة

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۱۸

كما سنوضحه إن شاء الله تعالى، و الزقاق اليوم ينفذ إلى دار الحسن بن على العسكرى، و تعرف اليوم بحوش الحسن، و كان الزقاق المذكور ينفذ إلى المناصع خارج المدينة، و هو كان متبرزا للنساء بالليل على عهد النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، و أبيات الصوافى هذه التى عبر عنها المطرى بدار موسى بن إبراهيم سيأتى أن بعضها اليوم رباط للرجال أنشأه القاضى محيى الدين أبو على عبد الرحيم بن على بن الحسن اللخمى البيسانى، و دخل هذا الباب أيضا فى الحائط عند تجديده.

باب ثامن

الثامن: باب كان يقابل أبيات الصوافى دخل فى الحائط أيضا عند تجديده، و أبيات الصوافى تقدم أن بعضها الذى يلى دار عمرو بن العاص هو رباط الفاضل، و بعضها الآخر و هو الذى كان يقابل هذا الباب هو المعروف اليوم بدار الرسام التى وقفها الشيخ صفى الدين السلامى على أقاربه ثم على الفقراء، و فى شاميها الباب الذى يدخل منه إلى رباطى النخلة، و هما رباطا السلامى، و قد عبر المطرى عن ذلك بقوله: «و هى- يعنى أبيات الصوافى- فى دور كانت بين موسى بن إبراهيم المخزومى و بين عبيد اللّه بن الحسين الأصغر بن على زين العابدين بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى اللّه عنهم» قال:

و موضع هذه الدور اليوم دار اشتراها الشيخ صفى الدين أبو بكر بن أحمد السلامى رحمه الله و وقفها على قرابته السلاميين، انتهى.

و سيأتى أن أبيات الصوافى هى الدور التى كان فيها قهطم، و أنها كانت بين دار عمرو بن العاص و دار موسى بن إبراهيم المخزومى المشتركة بينه و بين عبيد اللّه بن الحسين، و أن هذه الدار المشتركة كانت أول الدور فى جهة المشرق مما يلى الشام، فأبيات الصوافى هى دار قهطم، و فى موضعها ما قدمناه من رباط الفاضل و دار السلامى. و أما الدار المشتركة ففى موضعها اليوم الميضأة المعطلة و بيت الرئيس إبراهيم الذى بين الميضأة و الزقاق الذى يلى دار المضيف كما سيأتى بيانه، و دار المضيف هى آخر الدور التى فى جهة الشام، و الدار المشتركة كانت ملاصقة لها، و سيأتى بيان منشأ ما وقع للمطرى، و هذا الباب آخر الأبواب التى كانت فى جهة المشرق.

أبواب المسجد الشامية

و قد طوى المطرى الكلام على الأبواب الشامية، فقال: و فى شمالى المسجد أربعة أبواب سدت أيضا عند تجديد الحائط الشمالى، و ليس فى شمالى المسجد اليوم باب إلا باب سقاية عمرتها أم الإمام الناصر.

و سبب عدم كلام المطرى على الأبواب الشامية أن ابن زبالة لم يذكر ما يقابلها من

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۱۹

الدور، لكن ظهر لى أنه يؤخذ من كلامه و كلام ابن شبة فى الدور المطيفة بالمسجد، فلنذكر ما استفدنا منهما فى ذلك، فنقول:

باب تاسع

التاسع: باب كان فى دبر المسجد، و هو أول أبواب الشام مما يلى المشرق، و كان يقابل دار حميد بن عبد الرحمن بن عوف، و هى دار جده عبد الرحمن التى كان ينزل بها ضيفان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم كما سيأتى، و بقية دار ابن مسعود، و فى موضعهما

الدار المعروفة بدار المضيف و ما فى غربيها من رباط الظاهرية.

باب عاشر

العاشر: باب كان يقابل دار أبى الغيث بن المغيرة، و فى موضعها اليوم الرباط المعروف برباط الظاهرية و الشرشورة.

الباب الحادى عشر

الحادى عشر: باب كان يقابل ما يلى دار أبى الغيث من أبيات خالصة مولاة أمير المؤمنين، و موضع ذلك المارستان الذى أنشأه أبو جعفر المنتصر بالله سنة سبع و عشرين و ستمائة.

الباب الثانى عشر

الثانى عشر: باب كان فى مقابلة بقية أبيات خالصة و فى موضع ذلك اليوم بيت و زقاق يتوصل منه إلى الرباط الذى أنشأه الشيخ شمس الدين الشسترى. و هذا الباب آخر الأبواب التى كانت فى جهة الشام، و كلها اليوم مسدودة كما تقدم، و ما يوجد اليوم من الدور و الأبنية الملاصقة لجدار المسجد المذكور كلها حادثة كما يؤخذ من كلام متقدمى المؤرخين، و لم أقف على ابتداء حدوث ذلك.

الباب الثالث عشر

الثالث عشر: و هو أول أبواب المغرب مما يلى الشام باب كان يقابل دار منيرة و كانت من دور عبد الرحمن بن عوف، ثم صارت لعبد اللّه بن جعفر بن أبى طالب، ثم صارت لمنيرة مولاة أم موسى، و فى موضعها اليوم الدار التى صارت لشيخنا العارف بالله سيدى عبد المعطى المغربى نزيل مكة المشرفة، ثم انتقلت للسيد الشريف العلامة محيى الدين قاضى الحنابلة بالحرمين الشريفين، و ما فى قبلتها إلى الباب الذى يدخل منه إلى دور القياشين التى للخواجا قاوان، و هذا الباب مسدود كما هو مشاهد من خارج المسجد.
وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۲۰

الباب الرابع عشر

الرابع عشر: باب كان يقابل دار منيرة أيضا كما صرح به ابن زبالة و يحيى، و وهم المجد فجعله الذى بعده، و موضع ما يقابله اليوم من دار منيرة الدار الموقوفة على الخدام التى فى قبلة الزقاق الذى يدخل منه إلى دور القياشين، و هذا الباب مسدود اليوم كما يظهر من خارج المسجد أيضا، و بذلك يعلم أن محلهما من ذلك الجدار لم يجدد.

الباب الخامس عشر

الخامس عشر: باب كان يقابل دار نصير صاحب المصلى و هو مولى المهدى و كانت هذه الدار منزلا لسكينة بنت الحسين بن على رضى اللّه عنهم، و فى موضعها اليوم الدار التى عن يسار الداخل من زقاق دور القياشين و الدار التى تعرف اليوم بدار تميم الدارى، و قد آلت إلىّ ثم وقفتها، و هى الآن منزلى، و لم أقف على أصل فى تسميتها بذلك، و هذا الباب فى مقابلة الدار المعروفة بدار تميم

من دار نصير، و هو مسدود اليوم، و بقيت منه قطعة تظهر من خارج المسجد، و دخل باقيه عند تجديد الحائط من باب عاتكة إليه.

الباب السادس عشر

و السادس عشر: باب كان يقابل دار جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك، و قد دخل فى داره هذه فارغ أطم حسان بن ثابت كما قاله ابن زبالة، و فى موضعها اليوم المدرسة الكلبرجية التى أنشأها السلطان شهاب الدين أحمد سلطان كلبرجة من بلاد الهند فى سنة ثمان و ثلاثين و ثمانمائة، و هذا الباب دخل فى الحائط عند تجديده، و أسقطه المطرى مع أنه مذكور فى كلام ابن زبالة و يحيى، و لما أسقطه زاد بدله بابا لا وجود له فى كلام من قبله، على ما سيأتى التنبيه عليه.

باب عاتكة (باب السوق) (و باب الرحمة)

السابع عشر: باب عاتكة بنت عبد اللّه بن يزيد بن معاوية، كان يقابل دار عاتكة المذكورة، ثم صارت هذه الدار ليحيى بن خالد البرمكى والد جعفر، و دخلت فى دار جعفر المتقدم ذكرها، و توهم الزين المراغى من نسبتها لجعفر بن يحيى و من كون أطم حسان دخل فى دار جعفر بن يحيى أنها محل أطمه، و ليس كذلك لما قدمناه، و فى موضعها اليوم دار من أوقاف الخدام فى قبلة المدرسة الكلبرجية تواجه يمين الخارج من باب المسجد المذكور، و قد استبدلها الشيخ الزينى بن مزهر بإزالة ديوان الإنشاآت و ما غربيها من الدور، و اتخذ ذلك مدرسة و رباطا و أروقة على يد صاحبنا العلامة الشيخ نور الدين المحلى نفع اللّه به، و يعرف هذا الباب قديما أيضا بباب السوق، كما يؤخذ مما سيأتى فى باب زياد، لأن سوق المدينة كانت فى المغرب فى جهته. و يعرف قديما أيضا بباب الرحمة؛ فإن يحيى ذكر فى بناء النبى

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۲۱

صلّى اللّه عليه و سلّم لمسجده أنه صلّى اللّه عليه و سلّم جعل له ثلاثة أبواب: باب فى مؤخره، و باب عاتكة الذى يدعى باب عاتكة و يقال باب الرحمة، هذا لفظه. و أطبق على وصفه بذلك من بعده من المؤرخين، حتى صار فى زماننا هو الأغلب عليه، و مع ذلك فلم أر فى كلام أحد بيان السبب فى تسميته بذلك، و سألت عنه من لقيته من المشايخ فلم أجد عند أحد منهم علما من ذلك، ثم ظهر لى معناه بحمد اللّه تعالى، و ذلك أن البخارى روى فى صحيحه عن أنس بن مالك أن رجلا دخل المسجد يوم الجمعة من باب كان نحو دار القضاء و رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم قائم يخطب، فاستقبل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم قائما، ثم قال: يا رسول الله، هلكت الأموال، و انقطعت السبل، فادع الله يغثنا، فرفع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم يديه ثم قال: اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، قال أنس: و لا و اللّه ما نرى فى السماء من سحاب و لا قزعة، و ما بيننا و بين سلع من بيت و لا دار، قال: فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس، و لما توسطت السماء انتشرت ثم أمطرت، فلا و اللّه ما رأينا الشمس سبعا، ثم دخل رجل من ذلك الباب فى الجمعة- يعنى الثانية- و رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم قائم يخطب- الحديث- بطوله، و سنبين فى باب زياد- و هو الذى يلى هذا- أن دار القضاء كان محلها بين باب الرحمة و باب السلام، و قد تقرر أنه لم يكن للمسجد فى زمنه صلّى اللّه عليه و سلّم فى هذه الجهة إلا الباب المعروف بباب الرحمة؛ فظهر أن هذا الرجل الطالب لإرسال المطر و هو رحمة إنما دخل منه، و قد أنتج سؤاله حصول الرحمة، و أنشأ الله السحاب الذى كان سببا فيها من قبله أيضا؛ لأن سلعا فى غربى المسجد، فسمى و اللّه أعلم بباب الرحمة لذلك، لكن فى رواية البخارى عن أنس أيضا أن رجلا- دخل يوم الجمعة من باب كان وجاه المنبر، و مقتضاها أنه دخل من الباب الذى كان فى شامى المسجد؛ لقرب إطلاق مواجهته للمنبر عليه، لكن ذلك الباب ليس نحو دار القضاء، فليجمع بين الروايتين بأن الواقعة متعددة كما اقتضاه كلام بعضهم، أو بأنه وقع التجوز فى إطلاق كون ذلك الباب وجاه المنبر، أو بأن باب الرحمة كان كما قدمناه فى آخر جهة

المغرب مما يلى الشام، فجاء ذلك الداخل من جهته و دخل منه، ثم رأى أن قيامه بين يدى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و هو على المنبر لا يتم له إلا بتخطى الصفوف، فعرج إلى الباب الآخر المواجه للمنبر، لغلب إطلاق باب الرحمة على الباب الذى فى جهة مجيئه؛ لاعتضاده بما تقدم من مجيء السحاب من قبله، و اللّه أعلم.

باب زياد (باب القضاء)

و الثامن عشر: باب كان يعرف بباب زياد و قد سد أيضا عند تجديد الحائط الذى هو فيه و كان بين خوخة أبى بكر الآتى ذكرها و بين الباب الذى قبله و سمى بذلك لما رواه ابن شبة عن محمد بن إسماعيل بن أبى فديك عن عمه قال: كانت رحبة القضاء لعمر رضى الله

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۲۲

عنه- يعنى دارا له- و أمر حفصة و عبد اللّه ابنيه رضى اللّه عنهما أن يبيعاها عند وفاته فى دين كان عليه، فإن بلغ ثمنها دينه و إلا فاسألوا فيه بنى عدى بن كعب حتى تقضوه، فباعوها من معاوية بن أبى سفيان رضى اللّه عنهما، و كانت تسمى دار القضاء، قال ابن أبى فديك: فسمعت عمى يقول: إن كانت لتسمى دار قضاء الدين. قال: و كان معاوية اشتراها عند ولايته، فلم تزل حتى قدم زياد بن عبد اللّه المدينة سنة ثمان و ثلاثين و مائة، فهدمها و جعلها رحبة للمسجد، و فتح فيها الباب الذى إلى جنب الخوخة الصغيرة، و جعل هدمها على أهل السوق، قال محمد بن إسماعيل بن أبى فديك: فأخذ منى فى هدمها أربعة دوانق، قال ابن أبى فديك: و أخبرنى أيضا كما أخبرنى عمى عبيد اللّه بن عمر ابن عبد اللّه بن عبد اللّه بن عمر قال: و أشار لى عبيد اللّه إلى صندوق فى بيته و قال: فى هذا الصندوق إبرا آت من ذلك الدين. و روى أيضا عن عبد العزيز بن مروان أن دار القضاء كانت لعبد الرحمن بن عوف، قال: و هى اليوم رحبة لمسجد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم فى غربيه مما يلى دار مروان. و روى عن سهلة بنت عاصم أنها إنما سميت دار القضاء لأن عبد الرحمن اعتزل فيها ليالى الشورى حتى قضى الأمر فباعها بنو عبد الرحمن من معاوية، فصارت بعد فى الصوافى، و كانت الدواوين فيها و بيت المال، فهدمها أبو العباس أمير المؤمنين و صيّرها رحبة للمسجد، فهى اليوم كذلك.

و روى ابن زبالة خبر ابن أبى فديك الأول مقتصرا عليه من طريق محمد بن إسماعيل- يعنى ابن أبى فديك- عن ابن عمر أن عمر توفى و ترك عليه ثمانية و عشرين ألفا، فدعا عبد اللّه و حفصة فقال: إنى قد أصبت من مال اللّه شيئا، و أنا أحب أن ألقى اللّه و ليس فى عنقى منه شىء، فبيعا فيه حتى تقضياه، فإن عجز عنه مالى فسلا فيه بنى عدى، فإن بلغ و إلا فلا تعدوا قريشا، فخرج عبد اللّه بن عمر إلى معاوية فباع منه دار عمر التى يقال لها دار القضاء، و باع ماله بالغابة، فقضى دينه؛ فكان يقال: «دار قضاء دين عمر» و هى رحبة القضاء.

قال محمد بن إسماعيل: فهدم زياد بن عبيد اللّه إذ كان واليا لأبى العباس على المدينة فى سنة ثمان و ثلاثين و مائة دار القضاء، و كانت تكرى من تجار أهل المدينة، فهدمها زياد و جعلها رحبة للمسجد، و فتح الباب الذى إلى جنب الخوخة- الخبر المتقدم.

قلت: و ما تضمنه هذا الخبر من تاريخ هدم الدار و عمل الباب المذكور فيها ربما يخالف ما ذكره ابن زبالة و يحيى فيما كتبا على أبواب المسجد، فإنهما قالا: و على باب زياد فى لوح من ساج مضروب بمسامير مكتوب من خارج، ثم ذكرا من جملة المكتوب: أمر عبد الله أمير المؤمنين أكرمه اللّه بعمل مسجد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم و عمارة هذه الرحبة توسعة لمسجد

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۲۳

رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم و لمن حضره من المسلمين فى سنة إحدى و خمسين و مائة ابتغاء وجه الله و الدار الآخرة، إلى آخر ما ذكراه.

قلت: و زياد هذا هو زياد بن عبيد اللّه بن عبد المدان الحارثى خال السفاح، و كانت ولايته على المدينة و مكة من قبل أبى العباس

المنصور فى سنة ثمان و ثلاثين و مائة؛ فقول ابن أبى فديك فى رواية ابن شبة «فلم يزل حتى قدم زياد بن عبيد اللّه سنة ثمان و ثلاثين» مبيّن لتاريخ قدومه فقط، و قوله «فهدمها» يعنى فى مدة ولايته؛ فليس فيه تعرض لأن الهدم كان فى ذلك التاريخ؛ فلا يخالف ما كتب على الباب المذكور، و ليحمل أيضا قوله فى رواية ابن زبالة «فهدم زياد بن عبيد اللّه إذ كان واليا فى سنة ثمان و ثلاثين و مائة» على أن المراد بيان ابتداء ولايته، لا تاريخ الهدم، جمعا بين الكلامين، و الرواية الأولى أقرب إلى التأويل من هذه.

و قد ذكر ابن زبالة فى روايته المتقدمة عن محمد بن إسماعيل أنه قال: إن زياد بن عبيد اللّه جعل السّتور على الأبواب الأربعة: باب دار مروان أى المعروف بباب السلام، و الخوخة أى المجعولة فى محاذاة خوخة أبى بكر الصديق رضى اللّه عنه، و باب زياد أى المذكور، و باب السوق أى و هو باب الرحمة كما يؤخذ من كلام يحيى.

و قال المجد فى ترجمة دار القضاء: هى دار مروان بن الحكم، و كانت لعمر بن الخطاب فبيعت فى قضاء دينه، و قد زعم بعضهم أنها دار الإمارة، و هو محتمل لأنها صارت لأمير المدينة.

قلت: دار مروان هى الآتية فى قبلة المسجد، و ليست هذه بلا شك، و لعل المراد أن مروان ملك دار القضاء فنسبت إليه، و هو غير معروف، إلا أن الحافظ بن حجر نقل عن ابن شبة أنها صارت لمروان و هو أمير المدينة، قال: فلعل ذلك شبهة من قال «إنها دار الإمارة» فلا يكون غلطا، و قال فى المشارق: و قد غلط فيها بعضهم فقال يعنى دار الإمارة.

قلت: و الذى رأيته فى ابن شبة إنما هو صيرورتها لمعاوية كما قدمناه، مع أن المشهور قديما بدار الإمارة إنما هى دار مروان التى فى قبلة المسجد، و تقدم أن الأمراء كانوا يدخلون من باب منها إلى المقصورة، و توهم البرهان ابن فرحون أنها رحبة دار القضاء، فقال: قال ابن حبيب: و ما كان من مضى- يعنى من القضاة- يجلسون فى رحاب المسجد، بل إما عند موضع الجنائز، يريد خارج باب جبريل، و إما رحبة دار مروان التى تسمى رحبة القضاء، و قد جعل ذلك فى هذا الوقت ميضأة، انتهى. و هو وهم؛ لأن الذى جعل ميضأة هو نفس دار مروان كما سيأتى، و بالجملة فلا خلاف فى كون دار القضاء هى الرحبة التى كانت فى غربى المسجد إلى باب مروان.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۲۴

و يؤخذ مما تقدم أن هذه الرحبة كانت فى محاذاة باب زياد و ما بعد، إلى باب السلام.

و يؤخذ مما سيأتى فى الدور المطيفة بالمسجد أنها كانت ممتدة إلى باب الرحبة أيضا، و هو مقتضى ما أخبر به بعض مشايخ المدينة أنه لم يزل يسمع أنه لم يكن بين باب الرحمة و باب السلام دار تلاصق المسجد.

قلت: فموضع هذه الرحبة اليوم دار الشباك الملاصقة لباب الرحمة، و ما يليها من المدرسة الجوبانية و الحصن العتيق.

و دار الشباك أنشأها شيخ الخدام كافور المظفرى، المعروف بالحريرى، بعد السبعمائة، و جعل لها شباكا إلى المسجد، و ليس حول المسجد دار لها شباك فى جدار المسجد إلا هى، و الذى يظهر أن باب زياد كان فى موضع شباكها أو إلى جانبه القبلى.

و أما المدرسة الجوبانية فابتناها جوبان أتابك العساكر المغلية فى سنة أربع و عشرين و سبعمائة، و جعل له فيها تربة ملاصقة لجدار المسجد بين دار الشباك و الحصن العتيق، و هى- أعنى التربة- من جملة رحبة القضاء، و اتخذ فيها شباكا فى جدار المسجد، و هو مسدود اليوم، و لم يدفن فيها بعد أن حمل إليها فى تابوت سنة ثمان و عشرين و سبعمائة من بغداد بأمر السلطان أبى سعيد فدخلوا به مكة و طافوا به حول البيت كما فعل بالجواد الأصفهانى، و ذلك صحبة الحاج العراقى، فلما وصلوا به المدينة منعهم أميرها من ذلك حتى يشاور السلطان الناصر، كذا قاله بعضهم، و قال الصلاح الصفدى: لما بلغ الملك الناصر أمر تجهيزه ليدفن فى المدينة جهز الهجن إلى المدينة، و أمرهم أن لا يمكن من الدفن فى تربته، فدفن فى البقيع.

و ذكر لى بعض الناس أن علة المنع من دفنه بتربته أنه إذا وضع فيها للقبلة كانت رجلاه إلى الجهة الشريفة؛ لأن تربته فى غربى المسجد، بخلاف الجواد و غيره ممن دفن فى شرقى المسجد، فإن رءوسهم إلى جهة الأرجل الشريفة، و اللّه أعلم.

و أما الحصن العتيق فإنه كان منزلا لأمراء المدينة، ثم انتقل إلى السلطان غياث الدين سلطان بنجالة أبى المظفر أعظم ابن السلطان اسكندر، و ابتناه مدرسة فى سنة أربعة عشرة و ثمانمائة، و توفى فى تلك السنة، و يقال: إن غيره سبقه إلى جعله رباطا قبل ذلك.

ثم اقتضى رأى متولى العمارة بعد الحريق الحادث فى زماننا استبدال دار الشباك المذكورة و ما يليها من الجوبانية و جميع الحصن العتيق عند هدم ما يلى ذلك من جدار المسجد الغربى، و عمل ذلك مدرسة و رباطا للسلطان الأشرف فيما بين باب السلام و باب الرحمة كما سبق فى الفصل التاسع و العشرين.

و اعلم أن المطرى زاد هنا بابا بدل الباب الذى أسقطه قبل باب عاتكة فقال: إنه كان

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۲۵

بين باب عاتكة و خوخة أبى بكر الآتية بابان سدّا عند تجديد الحائط، و تبعه على ذلك من بعده، و الذى اقتضاه كلام ابن زبالة و يحيى و ابن النجار أنه ليس بين باب عاتكة و بين الخوخة سوى باب زياد، و لهذا لما أسقط ابن النجار ذكر الخوخة من الأبواب و جعل أبواب هذه الجهة سبعة قال: الخامس باب عاتكة، السادس باب زياد، السابع باب مروان، انتهى.

و به يعلم أن الصواب ما قدمناه، و اللّه أعلم.

خوخة تجاه خوخة أبى بكر

التاسع عشر: الخوخة المجعولة تجاه خوخة أبى بكر رضى اللّه عنه لما زيد فى المسجد، و هو معنى ما تقدم عن ابن زبالة حيث قال فى عدد الأبواب: و مما يلى المغرب ثمانية أبواب، و منها الخوخة التى تقابل يمنى خوخة أبى بكر.

قلت: و كانت شارعة فى رحبة دار القضاء كما قدمناه من كلام ابن زبالة و قدمنا أيضا فى زيادة عمر رضى اللّه عنه عن أبى غسان قال: أخبرنى محمد بن إسماعيل بن أبى فديك أن عمه أخبره أن الخوخة الشارعة فى دار القضاء فى غربى المسجد خوخة أبى بكر الصديق رضى اللّه عنه، أى: المجعولة فى محاذاة خوخته.

قال ابن زبالة فى ذكر الكتابة على أبواب المسجد: و ليس على الخوخة لا من داخل المسجد و لا من خارجه كتابة، و قد قدمنا أن لهذه الخوخة اليوم بابا مما يلى المسجد، و أنه باب حاصل يعرف بحاصل النورة، و هى معروفة بخوخة أبى بكر، و يؤخذ مما تقدم أن ذلك الحاصل من دار القضاء، و بابه اليوم هى الفتحة الثالثة من الفتحات التى على يسار الداخل من باب السلام، جعل باب فى موضع الخوخة يدخل منه للمسجد، و بعده شباك، ثم باب يدخل منه للمدرسة الأشرفية.

العشرون: باب مروان، سمى بذلك لملاصقته لداره التى كانت فى قبلة المسجد مما يلى الباب المذكور، و بعضها ينعطف على المسجد من جهة المغرب، و فى موضعها اليوم الميضأة التى أنشأها المنصور قلاوون الصالحى عام ست و ثمانين و ستمائة، و يعرف الباب المذكور أيضا بباب السلام، و باب الخشوع، قاله المطرى. و فى رحلة ابن جبير أنه يعرف بباب الخشية، اه. و الزوار غالبا إنما يدخلون منه؛ لكونه أقصد إلى طريقهم من باب المدينة، فلا يخفى مناسبة تسميته بذلك كله.

قال المطرى: و لم يكن فى القبلة حتى إلى اليوم باب إلا- خوخة آل عمر، أو خوخة لمروان عند داره فى ركن المسجد الغربى، شاهدناها عند بناء المنارة الكبيرة المستجدة، كان يدخل من داره إلى المسجد منها، و قد انسدت بحائط المنارة الغربى.

قال الزين المراغى: و ينبغى الاعتراض على من أطلق أن مروان كان يدخل منها

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۲۶

للمسجد؛ لأن مروان قتلته زوجته أم خالد بن يزيد آمنة بنت علقمة، و يقال: فاختة بنت هاشم، و قيل: مات مطعونا، و قيل: مطعونا، فى نصف رمضان سنة خمس و ستين.

و كانت مدة خلافته تسعة أشهر، و ذلك قبل أن يزيد ولد ولده الوليد بن عبد الملك ابن مروان فى المسجد بنحو من ثلاثين سنة، و

لا شک أنها خوخة آل مروان؛ فالصواب أنه کان یدخل من مثلها، لا منها، و کأن هذا الباب هو المراد بقول ابن زبالة: و باب فی قبلة المسجد یخرج منه السلطان إلی المقصورة.

قلت: أما ما ذکره المطری من أنه لم یکن فی قبلة المسجد باب- یعنی فیما مضی إلی زمنه- إلا خوخة آل عمر؛ فمردود بما قدمناه عن ابن زبالة؛ فإنه فصل الأبواب الزائدة علی العشرین فجعل منها الباب الذی کان فی القبلة یدخل منه الأمراء من ناحیة دار مروان، ثم ذکر البابین اللذین عن یمین القبلة و عن یسارها یدخل منهما إلی المقصورة، و الباب الذی عن یمین القبلة هو هذا الذی أدرکه المطری؛ فلا یصح ما ذکره الزین المراغی من حمل کلام ابن زبالة فی الباب الذی ذکره فی القبلة علیه؛ لأنه قد غایر بینهما، و أما استدراک المراغی علی القول بأن مروان کان یدخل من الباب الذی ذکره المطری فصحیح، و قد تقدم عن ابن زبالة أنه یسمی باب بیت زیت القنادیل. و الذی یظهر کما قال المراغی أنه جعل فی مقابلة باب اتخذه مروان هناک أیضا؛ لأن ابن زبالة روی أن مروان لما بنی داره جعل لها خوخة فی القبلة، ثم قال: أخشی أن أمنعها، أی لکونها فی القبلة، فجعل لها بابا علی یمینک حین تدخل: أی و هو الباب المتقدم وصفه، ثم قال: أخشی أن أمنع المسجد، فجعل الباب الثالث الذی یلی باب المسجد، یعنی الملاصق لباب السلام من خارجه، و فی موضعه الیوم السقایة المقابلة لباب مدرسة الحصن العتیق، و هذا سبب المناسبة فی تسمیة رحبة القضاء برحبة دار مروان؛ لمقابلتها لبابه هذا.

و روی ابن زبالة عن إسحاق بن مسلم أن عمر بن عبد العزیز لما بنی المسجد أراد أن یجعل فی الأبواب حلقا، و یجعلها فی الدروب؛ لئلا یدخلها الدواب، فعمل الحلقة التی فی باب المسجد مما یلی دار مروان، ثم بدا له فترکها.

قلت: المراد بذلک السلسلة الحدید المجعولة بجنبتی عقد باب السلام تمنع الدواب من الدخول. و فی باب الرحمة الیوم آثار سلسلة کانت هناک، و سلسلة باب السلام ترفع فی أیام الموسم؛ لأنه اتفق فی سنة أربع و خمسین و ثمانمائة ازدحام الناس عندها فهلک جماعة، و کان أمام باب السلام من داخله درابزین شبیه بالدرابزین الذی کان من داخل باب جبریل، و کان الناس لا ینزعون نعالهم إلا عنده، و کذلک کان مثله أمام باب الرحمة من داخله أیضا؛ فجعل الأمیر بردبک المعمار أیام عمارته للظاهر جقمق هذه الأحجار المصفوفة إفریزا عند

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفی، ج۲، ص: ۲۲۷

طرف عقد باب السلام مما یلی باب الحصن العتیق، و جعل ما أمام الباب مما یحاذی العقد المذکور رحبة بالمسجد، و صار الناس ینزعون النعال عندها، و عمل عند عقد باب الرحمة مثل ذلک، و رفع ذلک الدرابزین، و کان ما بین الدرابزین و باب الرحمة منخفضا عن أرض المسجد فسواه بأرض المسجد کما هو الیوم، فاحتاج إلی رفع عتبته، فزاد العتبة المتخذة فوق العتبة الأصلیة، و قصر شیئا من أسفل الباب، و ذلک ظاهر فیه الیوم، و حصل بذلک صیانة للمسجد، و اتخذ أیضا الرحبة التی أمام باب النساء، و رفع الدرابزین الذی کان من داخله، و اتخذ لباب جبریل الرحبة التی أمامه، و لم یرفع الدرابزین؛ لأن الناس لم یکونوا یمشون بنعالهم إلیه، ثم أزیل درابزینه أیضا عند عمارته بعد الحریق الثانی، و اللّه سبحانه و تعالی أعلم.

الفصل الثالث و الثلاثون فی خوخة آل عمر رضی اللّه تعالی عنه المتقدم ذکرها، و ما یتعین من سدّها فی زماننا

تحدید موضع خوخة آل عمر

اعلم أنها الیوم هی التی یتوصّل إلیها من الطابق الذی بالرواق الثانی من أروقة القبلة، و هو الرواق الذی یقف الناس الیوم فیه للزیارة أمام الوجه الشریف بالقرب من الطابق المذکور. و الذی یتلخص مما قدمناه فی زیادة عثمان رضی اللّه عنه و الولید و المهدی أن الأصل فی ذلک أنه لما احتیج لدار حفصة- یعنی حجرتها- قالت: کیف بطریقی إلی المسجد، فقیل لها: نعطیک أوسع من بیتک، و

نجعل لك طريقا مثل طريقك، فأعطيت دار عبيد اللّه بن عمر، أى التى صارت إليه بعد حفصة، و كانت مربدا، هذا ما رواه ابن زبالة.

و قد قدمنا فى زيادة الوليد من رواية ابن زبالة أن عمر بن عبد العزيز بعث إلى رجال من آل عمر، و أخبرهم أن أمير المؤمنين كتب إليه أن يبتاع بيت حفصة، و كان عن يمين الخوخة أى من داخل المسجد، فقالوا: ما نبيعه بشىء، قال: إذا أدخله فى المسجد، قالوا: أنت و ذاك، فأما طريقنا فإنا لا نقطعها، فهدم البيت، و أعطاهم الطريق و وسّعها لهم.

و قدمنا أيضا ما رواه يحيى عن مالك بن أنس من أن الحجّاج الثقفى هو الذى ساوم عبيد اللّه بن عبد اللّه بن عمر فى هذا البيت و هدمه. و فى رواية ليحيى أن عمر بن عبد العزيز لما وصل فى العمارة إلى دار حفصة قال له عبيد الله: لست أبيع هذا هو حق حفصة، و قد كان النبى صلّى اللّه عليه و سلّم يسكنها، فقال عمر: ما أنا بتاركك أو أدخلها المسجد، فلما كثر الكلام بينهما قال لهم عمر: أجعل لكم فى المسجد بابا تدخلون منه، و أعطيكم دار الرقيق، و ما بقى من الدار فهو لكم، ففعلوا.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۲۸

و قال المطرى: إن الوليد لما حج و طاف فى المسجد رأى هذا الباب فى القبلة فقال لعمر: ما هذا الباب؟ فذكر له ما جرى بينه و بين آل عمر فى بيت حفصة، و كان جرى بينه و بينهم فيه كلام كثير، و جرى الصلح على ذلك، فقال له الوليد: أراك قد صانعت أخوالك.

و قد قدمنا من رواية ابن زبالة الإشارة إلى هذا، و قدمنا من روايته أيضا عن عبد العزيز بن محمد أنه كان يسمع عبيد اللّه بن عمر يقول: لا أماتنى اللّه حتى أرانى سدها.

و تقدم أن تلك الخوخة لم تزل طريق آل عمر إلى دارهم حتى عمل المهدى المقصورة على الرواق القبلى.

قال المطرى: فمنعوهم الدخول من بابهم، فجرى فى ذلك أيضا كلام كثير تقدمت الإشارة إليه، اصطلحوا على سدّ الخوخة من أعلاها فى جدار المسجد، و أن يخفضوها فى الأرض و يجعلوا على أعلاها فى موضع الباب الأول شباك حديد فى القبلة، و حفروها كالسرب، فتخرج خارج المقصورة فى الرواق الثانى من أروقة القبلة، و لها ثلاث درجات عند بابها فى جوف السرب بالمسجد، و هو الطابق الموجود اليوم، و عليه قفل من حديد، و لا يفتح إلا أيام قدوم الحاج للزيارة، قال المطرى: و هى طريق آل عمر إلى دارهم التى تسمى اليوم دار العشرة، و إنما هى دار آل عبد اللّه بن عمر، انتهى.

قلت: و على هذا السرب من خارج المسجد باب فى جدار المسجد أيضا، و أمامه دهليز يتوصل منه إلى شارع فيه دور كثيرة سنشير إلى بعضها فى ذكر الدور المطيفة بالمسجد.

اتخاذ بعض الناس بابا وسيلة للتدجيل

و قد اختلقوا لتلك الدور أسماء، حتى قالوا فى بعضها: هو بيت النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، و بعضها نسبوه إلى فاطمة ابنته رضى اللّه تعالى عنها. و يتخذ بعض أهل تلك الدور على ما بلغنى كحلا فى نقرة من الجدار و يقولون للحجاج: هذه مكحلة فاطمة الزهراء رضى اللّه تعالى عنها، و يشيرون أيضا إلى رحا عندهم فيقولون: هذه رحا فاطمة الزهراء، أخبرنى بذلك من لبّسوا عليه الأمر و أخبروه بهذه الأكاذيب حتى أعطاهم شيئا. و يجلس عند ذلك الطابق بالمسجد شخص ليس هو اليوم من ذرية آل عمر؛ لأن من كان بيدهم مفتاح هذا الطابق من آل عمر قد انقرضوا، و بقيت منهم زوجة هذا الشخص الذى يجلس عند هذا الطابق، ثم توفيت و تركت أولادا منه، فاستمر المفتاح بيده، فيستنيب من يجلس عند هذا الطابق و يفتحه أيام الموسم، و يقف عنده جماعة يزوّرون الحجاج و يأخذون من الداخلين منه شيئا شبيها بالمكس؛ فإن الجالس عنده لا يمكن أحدا من الدخول منه إلا ببذل شىء يرضيه، و ما حال

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۲۹

الحاج الغريب إذا رأى مثل هذا الباب بدرج تحت الأرض فى المسجد و قيل له: إنه يصل إلى بيت النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و بيت

ابنته؟

و قد اشتهر ذلك عند أهل المدينة حتى إن أحدا منهم لا يكره، فيود الغريب المسكين لو بذل روحه فى الوصول لذلك، و ربما لم يكن معه شىء، فيتجشم المشقة فى الوصول لذلك، فقد أخبرنى صاحبنا الشيخ المبارك أبو الجود بركات الجيعانى أنه قدم المدينة قديما قبل أن يجاور بها، قال: فلم أملك نفسى أن دخلت فى هذا الطابق فطبقه الجالس عنده على ظهرى حتى كاد يقصمه لأنه لم يعطه شيئا. و أخبرنى هو و غيره ممن أثق به أنه يقع فى أسفله من الازدحام و اختلاط النساء بالرجال ما لا يوصف مع ضيقه، حتى إن الماشى فيه يحتاج إلى الانحناء.

و أخبرنى بعضهم: أنه رأى فيه منكرا شنيعا، و هو أن بعض الأحداث يمشى خلف النساء مع الازدحام، و كون المشى على تلك الهيئة؛ فيقع ما لا يرضى اللّه و لا رسوله بين يديه صلّى اللّه عليه و سلّم. و كيف يتمادى الناس على إقرار ذلك الآن؟ و هو ليس إلا لمجرد ما ذكرناه، فإنه كان بابا لدار، و لأن من هو بيده لا يملك شيئا من تلك الدور، و لو كان مالكها فليس وضعه لسوى دخول أهل تلك الدور منه، فإنه لم يجعل إلا ليدخل منه آل عمر إلى المسجد، لا لأن يأخذوا فلوسا على من يخرج من المسجد مارا منه، فقد كانوا منزهين عن ذلك. ثم لو سلمنا أن تلك الدور مستحقة للزيارة فزيارتها متيسرة من خارج المسجد، و كيف يتخذ المسجد طريقا، و يخص منه ما يكون بين يدى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم على تلك الحالة المنكرة لأجل شىء خسيس من الدنيا؟ و نحن نفديه صلّى اللّه عليه و سلّم بأنفسنا فضلا عن أموالنا، و قد أمر صلّى اللّه عليه و سلّم بسد الأبواب التى كانت شارعة فى المسجد إلا خوخة أبى بكر و إلا باب على كما قدمناه، مع أن أهل تلك الأبواب إنما كان قصدهم بها التوصل إلى المسجد، فكيف يبقى باب بين يديه صلّى اللّه عليه و سلّم لا نفع له إلا أخذ شىء من الحطام على المرور منه؟ هذا ما لا يرضاه مؤمن يرى تعظيم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم.

ثم إن هذا الطابق له قفل، و ما حوله من الخشب فيه نوع نتوء، فقد رأيت من لا أحصيه من الخلق يتعثرون به، و ربما سقط بعضهم لوجهه، ثم إنه إذا كثر الدوس عليه فى ليالى الزيارات كليلة النصف من شعبان و نحوها يرتج تحت الأرجل حتى تزلزل الأرض زلزالها، و ذلك يؤذى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، فقد قدمنا أن عائشة رضى اللّه عنها كانت تسمع الوتد يوتد و المسمار يضرب فى بعض الدور المطيفة بالمسجد فترسل إليهم لا تؤذوا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم. قالوا: و ما عمل علىّ مصراعى داره إلا بالمناصع- و هو متبرز النساء ليلا خارج سور المدينة- توقيا لذلك.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۳۰

و روى يحيى فى كتابه عن محمد بن يحيى بن زيد النوفلى عن أبيه عن الثقة عنده أن عائشة رضى اللّه عنها ذكرت أن بعض نساء النبى صلّى اللّه عليه و سلّم دعت نجارا فعلّق ضبة لها، و أن النجار ضرب المسمار فى الضبة ضربا شديدا، و أن عائشة رضى اللّه عنها صاحت بالنجار كلمته كلاما شديدا و قالت: أ لم تعلم أن حرمة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم ميتا كحرمته حيّا؟ فقالت الأخرى: و ما ذا سمع من هذا؟ قالت: إنه ليؤذى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم صوت هذا الضرب اليوم ما يؤذيه لو كان حيا.

حج السلطان قايتباى

و لم أزل منذ قدمت المدينة أنكر هذا الأمر بالقلب و اللسان و كتابة البنان، و لكن لم أجد على ذلك معينا، لرسوخ الطباع العامية فى التمسك بالعوائد الماضية من غير روية، و قد نبهت على إنكار ذلك فى كتابى «الوفا، بما يجب لحضرة المصطفى» صلّى اللّه عليه و سلّم، ثم شافهت فى أمره مولانا الهمام، سلطان ممالك الإسلام، ذا الشجاعة التى شاعت عجائبها، و الشهامة التى ذاعت غرائبها، سلطان الإسلام و المسلمين، و وجهة القاصدين و الآملين، السلطان الملك الأشرف قايتباى، جعل اللّه الممالك منظومة فى سلك ملكه، و أقطار الأرض جارية فى حوزه و ملكه، فإنه لما حج سنة أربع و ثمانين و ثمانمائة بدأ بالمدينة النبوية لزيارة التربة المصطفوية على

الحال بها أفضل الصلوات و أزكى التسليمات، فقدمها طلوع الفجر من يوم الجمعة الميمون الثانى و العشرين من ذى القعدة الحرام، فلبس لدخولها حلل التواضع و الخشوع، و تحلى بما يجب لتلك الحضرة النبوية من الهيبة و الخضوع، فترجّل عن جواده عند باب سورها، و مشى على أقدامه بين رباعها و دورها، حتى وقف بين يدى الجناب الرفيع، الحبيب الشفيع، صلّى اللّه عليه و سلّم، و ناجاه بالتسليم، و فاز من ذلك بالحظ الجسيم، ثم ثنى بضجيعيه رضى اللّه تعالى عنهما بعد أن صلّى بالروضة الشريفة التحية، و عفّر وجهه فى ساحتها السنية، و عرض عليه الدخول إلى المقصورة المستديرة حول جدار القبور الشريفة، المعروفة اليوم بالحجرة المنيفة، فتعاظم ذلك، و قال: لو أمكننى أن أقف فى أبعد من هذا الموقف وقفت، فالجناب عظيم، و من ذا الذى يقوم بما يجب له من التعظيم؟ ثم صلّى صبح الجمعة فى الصف الأول بين فقراء الروضة عند أسطوان المهاجرين بالقرب من مصلاى، كان بينى و بينه إمامه شيخ الشيوخ الإمام العلامة نادرة الزمان و عين الأعيان برهان الدين الكركى، فسح اللّه فى أجله، و أدام النفع به، و لم يكن بينى و بينه سابق معرفة، حتى إنى لم أبدأه بسلام و لا كلام، و كذلك السلطان أعزه اللّه أنصاره و ضاعف اقتداره، لم أتعرف إليه، و لم يكن ذلك فى خلدى و لا- عزمت عليه، ثم توجه السلطان بجماعته لزيارة عم رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم حمزة بن عبد المطلب و من يليه من شهداء أحد رضوان اللّه عليهم، فمشى مترجلا

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۳۱

كعادته، حتى خرج من باب المدينة، و لم يزل ذلك دأبه، فلم يركب بالمدينة جوادا حتى خرج منها، فلما كان وقت صلاة الجمعة حضر فى ذلك المصلى فكان بينى و بينه إمامه المشار إليه أيضا، ثم قرأ شخص على شيخ المحدثين العلامة شمس الدين ابن شيخنا أبى الفرج العثمانى مجلس ختم البخارى، و كأن الإمام المشار إليه تفرّس فىّ الاتصاف بطلب العلم، ففاتحنى الكلام فى بعض المسائل العلمية المتعلقة بذلك، فجاريته فيها، فرأيت كماله واضح البرهان، و فضله ظاهر العنوان، مع كمال الإنصاف فى البحث، فانتسجت المودة حينئذ، ثم قام الإمام المشار إليه، و استمر السلطان جالسا، ثم بدأنا بالملاطفة، و شرفنا بالمحادثة، و خاض فى شىء من العلم، فرأيت من تواضعه و حلمه و ثقوب فهمه ما فاق الوصف، فأنشدته قول بعضهم:

كانت مساءلة الركبان تخبرنى عن أحمد بن سعيد أطيب الخبر

ثم التقينا، فلا و اللّه ما سمعت أذنى بأحسن مما قد رأى بصرى

و أنهيت إليه أمر الطابق المذكور، و قلت فى نفسى: لعل اللّه تعالى أرسل هذا السلطان المسعود و جمعنى به من غير قصد ليفوز بتنزيه الحضرة الشريفة من ذلك، و يكون ذلك فى صحائفه، و قد قدمنا ما حاوله الملوك الماضون من سدّه مع أن المفاسد التى قدمناها لم تكن موجودة فى زمنهم، و إنما تركوه كما قدمناه لمانع، و لا مانع من سده اليوم بحمد الله تعالى، فوعد بذلك. ثم وقع الاجتماع بالإمام المشار إليه فكلمته فى ذلك، و قلت له: بلغنى أن من بيده مفتاح الطابق المذكور يجتمع له فى كل سنة نحو عشرة دنانير من هذا الطابق، و لى معلوم فى جهة هذا قدره فى كل سنة، فأنا أنزل عنه لمن بيده ذلك المفتاح تطييبا لخاطره، فذكر ذلك للسلطان، فقال: نحن نرضيه من عندنا، ثم إنه نصره اللّه تعالى حضر لصلاة المغرب، فتفضل بالبداءة بالكلام، و لم يكن إمامه حاضرا، و لكنه سبق منه التربية التامة عنده، فسألنى عن الآية المنقوشة فى المصلى الشريف، و هى قوله تعالى: قَدْ نَرى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّماءِ [البقرة: ۱۴۴] الآية هل نزلت قبل المعراج و فرض الصلاة أم بعد ذلك؟ و كيف كان الاستقبال قبل نزولها؟ فشرعت فى الجواب، فأقيمت الصلاة فى أثناء ذلك، فلما قضى صلاته تنفل بست ركعات، ثم أقبل علىّ طالبا للجواب، فذكرت له تاريخ نزولها بالمدينة، و ما فيه من الخلاف، و أن فرض الصلاة ليلة فى المعراج كان بمكة، و ما ذكروه فى أمر استقبال بيت المقدس، و ما حكى من الخلاف فى تعدد نسخ القبلة، و صلاته صلّى اللّه عليه و سلّم بمكة بين الركنين اليمانيين جاعلا الكعبة بينه و بين بيت المقدس، إلى غير ذلك من الفوائد التى قدمناها فى محلها من كتابنا هذا، و استمريت معه كذلك حتى صلينا العشاء الآخرة، فحصل منه فى ذلك المجلس من الإكرام ما أرجو له به كمال المجازاة من صاحب الحضرة الحبيب الشفيع صلوات اللّه و سلامه عليه.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۳۲

و فرق بالمدينة الشريفة مالا جزيلا ستة آلاف دينار أو أكثر، و دفع إليّ على يد إمامه المشار إليه من ذلك جزءا وافرا، و تكلمات معه فى رفع مكوس المدينة و تعويض أميرها عن ذلك شيئا، فأفهم الوعد به، و سألنى عن أمر دار العباس التى اشتريت له، و كانت سببا فى قتل القضائى الزكوى تغمده اللّه تعالى برحمته لعدم السياسة فى أخذها، فأخبرته بحقيقة الحال، فقال: لم لم تكتب إليّ بهذا؟ فاعتذرت له بعذر قبله، و تبرأ من جميع ما فعلوا فيها، و وعد بما يكون فيه صلاح أمرها، ثم وفى بذلك بعد عوده، فزادهم مبلغا كثيرا رضوا به، و تفضل بالتشريف بطلب الكتابة إليه بما يكون فيه صلاح أحوال المدينة و التنبيه على من يردها من المحتاجين.

ثم توجه فى الرابع و العشرين من الشهر المذكور مصحوبا بالسلامة إلى مكة المشرفة ماشيا على أقدامه بين فقراء المدينة و فقهائها حتى خرج من باب المدينة، فوقف هناك، و قرأنا له الفاتحة، ثم ركب جواده، أدام اللّه تأييده و حرسه من الردى، و أنار له طرق الحق و الهدى.

ثم قدمت مكة صحبة الحاج الشامى فوجدته قد سلك بها مسلك التواضع أيضا، و تصدق فيها بمال جزيل أكثر مما تصدق بالمدينة الشريفة.

و لما اجتمعت بإمامه المشار إليه بمكة المشرفة تذاكرنا الصدقة الشريفة بالمدينة الشريفة و عمومها، و ما حصل بها من النفع، فذكرت له أن أربعة من فقراء المغاربة لم يأخذوا شيئا لملازمتهم لرباطهم، و عدم إتيانهم لمن كان يفرق، و أن شخصا آخر مستحقا كنت أود لو حصل له أكثر مما دفع له، فبلغ ذلك السلطان، فلما كان فى أوسط أيام منى توجهت لوداع الإمام المشار إليه، فأشار بموادعة السلطان، فقلت له: أخشى أن يتوهم أن المجيء لقصد آخر، فقال: لا بد من موادعته، فتوجهنا إليه فحصل منه من الإكرام ما أطلب له الجزاء عليه من أكرم الأكرمين، ثم قال: أنتم ذكرتم للإمام كيت و كيت، فلم ينس ما تقدم ذكره من أمر جماعة الفقراء، فقلت له: نعم، فأمر لهم بمائة دينار أقسمها عليهم لكل واحد عشرون دينارا، ثم قال: هل بقى أحد؟ فقلت له: ما أستحضر أحدا، و رأيت له اهتماما تاما بتعميم جيران الحضرة الشريفة، و وادعنى قائما و سأل عن أمر الطابق المذكور لما قدمنا مكة، و أمر بأن لا يفتح، و أن يسد بعد ذلك، فلما بلغ شيخ الخدام بالمدينة الشريفة منع من فتحه عند قدوم الحاج المصرى فى هذا العام، و لكن بقى سده، فإن الطريق فى قطع الشر قلع أصوله، و قد وعد بسده.

وقف السلطان قايتباى لأهل المدينة المنورة

ثم إن السلطان أيده اللّه تعالى رجع إلى مصر مصحوبا بتأييد اللّه و نصره، فبلغنا أنه

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۳۳

أبرز بعد وصوله ستين ألف دينار ليشترى بها أماكن تكون أوقافا يحمل ريعها إلى الحضرة الشريفة، و يعمل بها سماط كسماط الخليل عليه السلام، و هذا أمر لم يسبقه إليه أحد من ملوك الإسلام، و المسئول من اللّه تعالى أن ييسر له ذلك.

و قد ألحقنا فى الفصل التاسع و العشرين ما برزت به المراسيم الشريفة من إبطال المكوس، و تعويض أمير المدينة الشريفة عنها، و أنه وقف أماكن كثيرة يتحصل منها نحو سبعة آلاف و خمسمائة إردب من الحب كل سنة لعمل السماط المذكور، و ليصرف من ذلك كفاية أرباب البيوت بالمدينة الشريفة، ثم وصول البهائى أبى البقاء بن الجيعان عظم اللّه شأنه بجملة من ذلك و الصرف و التقرير و عمل السماط على الوجه السابق، و المرجو من اللّه تعالى دوام ذلك له؛ فإن اللّه تعالى قد أجرى على يديه من الخيرات ما لم يجتمع لأحد من الملوك قبله فمن ذلك ما تقدم من العمارة بالمسجد النبوى و الحجرة الشريفة، و إبطال هذا الطابق المتقدم وصفه، و من العجب أن من كان بيده هذا الطابق توجه إليه بمصر و سأل أن يمكّن من فتحه، فلم يجبه لذلك، و قرر له فى الذخيرة بضعة عشر دينارا كل سنة عوضا عما كان يحصل له منه، ثم وردت المراسيم الشريفة بالإخبار بذلك، و الأمر بسده، و لكن شق على بعض أهل

الحظوظ النفسية تمام هذا الأمر و المتسبب فيه الفقير الحقير، فتسبب فى تأخيره، فمات شيخ الخدام إينال الإسحاقى و لم يسده، فلما قدمت مصر عام سبع و ثمانين و ثمانمائة أنهيت للسلطان أن الطابق لم يسد، و خشيت أن يغضب بسبب ذلك على بعض الناس، فاعتذرت بأن موجب التأخير وفاة شيخ الحرم، فبرزت مراسيمه الشريفة لشيخ الحرم و متولى العمارة الشمس بن الزمن بسده بالبناء، بحيث لا- يفتح أبدا، و كان المعاكس فى هذا الغرض قد أمال متولى العمارة إليه مع ما سبق فى الفصل الثامن و العشرين من إيغار صدره منى، و كان هذا الطابق قد احترق و ارتدم بعد أمر السلطان بسده فى حريق سنة ست و ثمانين و ثمانمائة، و أثرت النار فى قبره تأثيرا عظيما، فأعاده متولى العمارة و أحكمه، و جعل له بابا، فلما وردت عليه المراسيم الشريفة بما سبق على يدىّ أجاب بأنه يراجع السلطان فى ذلك لأن تلك الدور صارت له.

ثم إن شيخ الحرم أنهى إلى السلطان ذلك، فبرزت المراسيم الشريفة بسده و اللوم على تأخيره مع تكرر الأمر بذلك، فأمره متولى العمارة بتأخير ذلك ليراجع السلطان فيه، و قال:

إنه يجعل تلك الدور مزارات ليتم له ما أراده من بقاء ذلك الطابق، و تعجب الناس من إقدامه عليه، ثم بلغ السلطان ذلك مع أمور يطول شرحها؛ فغضب غضبا شديدا و برز مرسومه بسده و الوعيد التام على تأخيره، فسده شيخ الحرم بالبناء المحكم من خارج المسجد، و نزع باب طابقه، و ردمه بالأتربة حتى ساوى أرض المسجد، و لم يبق له أثر، و ذلك فى رابع

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۳۴

ذى القعدة سنة ثمان و ثمانين و ثمانمائة، و سرّ أهل الخير بذلك، و تضاعفت أدعيتهم للسلطان نصره الله تعالى، و هذا من أعظم محاسنه.

من آثار قايتباى بالحرمين الشريفين

و من ذلك إجراء عين خليص بعد انقطاعها مرة بعد أخرى، و هى من أحسن مناهل الحج و أعذبها، و كذلك بركة الروحاء.

و من ذلك عمارة مسجد الخيف بعد أن تهدم بأجمعه، و إنشاء المنارة و السبيل اللذين عند بابه، و إجراء المعلوم لمن يؤذّن بتلك المنارة و لمن يؤم بالمسجد المذكور.

و من ذلك إحداث الظل بمقدم مسجد نمرة المنسوب لإبراهيم الخليل، على نبينا و عليه أفضل الصلاة و السلام، و قد كان الحجاج يقاسون به شدة من حر الشمس فى ذلك اليوم، فالله تعالى يظله تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله.

و من ذلك إجراء عين عرفة من بطن نعمان، بعد أن دثرت و انمحت معالمها و اندرست، و عمارة بركها و مجاريها، حتى فاضت الأنهار بأقاصيها و أدانيها، و أوصلها إلى مسجد نمرة، و أنشأ به صهريجا يجتمع فيه الماء، فأذهب بذلك عن الحج الأعظم الظمأ، و قد كنت أرى الفقراء فى كل سنة فى ذلك اليوم لا يسألون غالبا إلا الماء، و كان من أعز الأشياء هناك، فلم يبق له طالب، و لله الحمد، سقاه اللّه بذلك من حوض الكوثر.

و من ذلك المدرسة و الرباط اللذان عمر هما بمكة المشرفة، و لا نظير لهما فيها.

و من ذلك حجه فى هذا العام، فإن ذلك لم يقع لأحد من ملوك مصر من نحو مائة و خمسين سنة، و كان آخر من حج منهم الملك الناصر محمد بن قلاوون، حج ثلاث حجات:

أولاها سنة عشر و سبعمائة، و ثانيتها سنة عشرين، و ثالثتها سنة اثنتين و ثلاثين و سبعمائة، و لم يحج أحد بعد ذلك من سلاطين مصر، و أرجو أن يفسح اللّه فى أجل سلطاننا هذا حتى يدرك ذلك، و يتم له ما نواه من الخير بالحضرة النبوية.

و قد أنشأ بثغر اسكندرية برجا عظيما لم يسبق إليه، و شحنه بالأسلحة و الجند.

و لما توجهت إلى زيادة بيت المقدس رأيت له فيه و فيما بين مصر و بينه من الآثار العظيمة ما لم أره من غيره من الملوك من

المدارس و المساجد و القناطر، و هذا المحل لا يحتمل بسط ذلك، و إنما ذكرنا من آثاره الجميلة ما يتعلق بالحجاز لأنه محل الغرض.

و هو ملك مطاع، محظوظ، صبور، غير عجل، كثير الحياء و الوقار و المهابة، إذا حاول أمرا لا يسرع فيه، بل يتأنى كثيرا، و يعظم أهل العلم و يجلهم.

و إنما أمتعنا بذكر ذلك هنا ليكون سببا فى حث الواقف على ذلك على الدعاء لهذا الملك السعيد بإنجاح المطالب، و نيل المآرب، و لتنبعث همة من جاء بعده من الملوك على أن

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۳۵

يقتدى به فى الخير فيصنع مثل ما صنعه، و نسأل اللّه تعالى أن يفسح فى أجله، فقلّ أن يأتى بعده مثله.

الفصل الرابع و الثلاثون فيما كان مطيفا بالمسجد الشريف من الدور، و ما كان من خبرها، و جلّ ذلك من منازل المهاجرين رضى اللّه تعالى عنهم

رسول اللّه يخط دور المدينة

روى ابن سعد فى طبقاته عن عبيد اللّه بن عبد اللّه بن عتبة قال: كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم خطّ الدور بالمدينة، فخط لبنى زهرة فى ناحية مؤخر المسجد، فكان لعبد الرحمن بن عوف الحش، و الحش: نخل صغار لا يسقى.

و عنه أيضا أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم خط الدور؛ فخط لبنى زهرة فى ناحية مؤخر المسجد؛ فجعل لعبد اللّه و عتبة ابنى مسعود هذه الخطة عند المسجد.

و قال ياقوت: لما قدم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم مهاجرا إلى المدينة أقطع الناس الدور و الرّباع؛ فخط لنبى زهرة فى ناحية من مؤخر المسجد، و كان لعبد الرحمن بن عوف الحش المعروف به، و جعل لعبد اللّه و عتبة ابنى مسعود الهذليّين الخطة المشهورة بهم عند المسجد، و أقطع الزبير ابن العوام بقيعا واسعا، و جعل لطلحة بن عبيد اللّه موضع دوره، و لأبى بكر الصديق موضع داره عند المسجد، و أقطع كل واحد من عثمان بن عفان و خالد بن الوليد و المقداد و غيرهم مواضع درهم، و كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم يقطع أصحابه هذه القطائع، فما كان فى عفائن الأرض فإنه أقطعهم إياه، و ما كان من الخطط المسكونة العامرة فإن الأنصار وهبوه له فكان يقطع من ذلك ما شاء، و كان أول من وهب له خططه و منازله حارثة بن النعمان وهب له ذلك و أقطعه صلّى اللّه عليه و سلّم، انتهى.

دار آل عمر بن الخطاب

فأول الدور الشوارع حول المسجد من القبلة دار عبد اللّه بن عمر بن الخطاب التى فيها الخوخة المتقدم وصفها، و ليست الدار المذكورة اليوم بيد أحد من آل عمر كما قدمناه، و قدمنا أن موضع هذه الدار كان مربدا أعطيته حفصة رضى اللّه تعالى عنها بدل حجرتها لما احتيج إلى إدخالها فى المسجد، و فى رواية أن آل عمر أعطوا بدلها دار الرقيق و ما بقى منها.

و قال ابن غسان، فيما نقله ابن شبة: و أخبرنى مخبر أن تلك الدار- يعنى دار آل عمر- كانت مربدا يتوضأ فيه أزواج النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، فلما توفى استخلصته حفصة رضى اللّه عنها

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۳۶

بثلاثين ألف درهم، فورثها عنها عبد الله بن عمر؛ فهى التى قال فيها عبد الله فى كتاب صدقته: و تصدق عبد الله بداره التى عند

المسجد التى ورث من حفصة.

بيت لأبى بكر الصديق صار لآل عمر

قال: و أخبرنى مخبر قال: كان بيت أبى بكر الذى قال فيه النبى صلّى اللّه عليه و سلّم: «سدوا عنى هذه الأبواب- الحديث» بيد عبد اللّه بن عمر، و هو البيت الذى على يمينك إذا دخلت دار عبد اللّه من الخوخة التى فى المسجد، فتلقاك هناك خوخة فى جوف الخوخة التى هى الطريق مبوّبة، فتلك الخوخة خوخة أبى بكر.

قال: و كانت حفصة ابتاعت ذلك المسكن من أبى بكر مع الدار التى فوق هذه، أى التى فى قبلتها كما سنبينه، قال: و تصدقت بتلك الدار على ولد عمر.

قلت: هذه الرواية الأخيرة ضعيفة كما قدمناه؛ و لذلك لم يبين قائلها، و لأنه فى دور بنى تيم لما ذكر دار أبى بكر التى ورد فيها الحديث المذكور لم يذكر هذه الرواية، بل اقتصر على الرواية المشهورة فى أنها فى غربى المسجد؛ فإن الخوخة الواردة فيها الحديث هى الشارعة فى رحبة دار القضاء، و لذلك لما زادوا فى المسجد أرادوا محاكاتها، فجعلوها خوخة شارعة هناك، و لم يجعلوها كبقية أبواب المسجد، و لأنه جزم فى دور أزواج النبى صلّى اللّه عليه و سلّم بأن عائشة رضى اللّه عنها اتخذت الدار التى يقال لها دار عائشة بين دار الرقيق و بين دار أسماء بنت أبى بكر فتصدقت بها.

قلت: فإن كانت دار الرقيق هى بيت حفصة فبيت عائشة إلى جنبه، و المعروف عند الناس أن البيت الذى على يمين الخارج من خوخة آل عمر المذكورة هو بيت عائشة رضى الله عنها، فلعل الاشتباه فى نسبته إلى أبى بكر رضى اللّه عنه نشأ من ذلك، مع أن الذى اقتضاه كلام المؤرخين أن البيت المذكور عن يمين الخوخة هو بيت آل عمر، و أن دار عائشة ليست فى هذا المحل، و هذه الدار المذكورة- أعنى التى على يمين الداخل من الخوخة- وقف ناظره شيخ الخدام، و بلغنى أن واقفها اشترط أن لا يسكنها متزوج، و بابها اليوم شارع فى القبلة، و لها شباك عن يمين الخوخة لعله كان فى موضع بابها الأول لما كانت الخوخة شارعة فى الدار المذكورة، و أما البيت الذى عن يسار الخوخة فوقفة أيضا ناظره شيخ الخدام، و بابه ليس شارعا عند الخوخة، بل بعيد منها فى المغرب، و هو آخر الدور الآتى ذكرها، و مقتضى ما سيأتى عن ابن شبة و ابن زبالة أن الدار المعروفة اليوم بدار عائشة و الدارين اللتين إلى جانبها الغربى فى قبلة المسجد من جملة دار آل عمر؛ لأنهما قالا: فى الدور الشوارع من القبلة دار عبد اللّه بن عمر، ثم دار مروان الآتى ذكرها، و أما الدار الثانية التى تقدمت الإشارة إليها فى كلام أبى غسان من دور حفصة فوق هذه فقد ذكرها بقوله: و كانت لحفصة

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۳۷

الدار التى بين زقاق عبد العزيز بن مروان الذى أدخل فى دار مروان دار الإمارة و بين زقاق عاصم بن عمر بابها شارع قبالة دير أطم بنى النجار الذى يدعى فويرعا، فتصدقت بها على ولد عمر؛ فهى بأيديهم صدقة منها.

قلت: و هذا الوصف منطبق اليوم على دار قاضى الشافعية أبى الفتح بن صالح و ما لاصقها من جهة الشام؛ لأن زقاق عاصم هو الزقاق الشارع باب هذه الدار فيه الآخذ منها إلى جهة القبلة و الميضأة، و لأن فويرعا كان فيما بينها و بين المدرسة الشهابية كما سيأتى بيانه، و على هذا فزقاق عاصم هو الذى فى شاميها، دخل بعضه فيما حاذى دار مروان، و بقى منه ما يفرق بين دار آل عمر هذه و الدار التى لها الخوخة، و اللّه أعلم.

دار مروان بن الحكم

ثم يلى دار عبد الله بن عمر ذات الخوخة فى قبلة المسجد من غربيها دار مروان بن الحكم، قال ابن زبالة: و كان بعضها للنحام- يعنى

نعیم بن عبد اللّه من بنی عدی- و بعضها من دار العباس بن عبد المطلب، فابتاعها مروان فبناها و جعل فیها دارا لابنه عبد العزیز بن مروان، ثم ذکر خبر أبوابها المتقدم ذکره فی أبواب المسجد.

و روی ابن زبالهٔ فی ذیل زیادهٔ عثمان بن عفان رضی اللّه عنه فی المسجد، عن غیر واحد منهم محمد بن إسماعیل عن أبیه أنه کانت فیها نخلات، فابتاع مروان من آل النحام کل نخلهٔ و موضعها بألف درهم، و کن ثمانیا أو اثنتی عشرهٔ، فرأی الناس أن مروان قد أغلی، فلما وجب له البیع عقرهن و بناها دارا فغبطه الناس.

و نقل ابن شبهٔ عن بعضهم أن دار مروان بن الحکم التی ینزلها الولاهٔ إلی جنب المسجد- یعنی الدار المذکورهٔ- کانت مربدا لدار العباس التی دخلت فی المسجد، فابتاعها مروان، فسمعت من یقول: کانت القبهٔ التی کانت فی دار مروان و حجرتها التی تلی المسجد عن یسار من دخل الدار للنحام أخی بنی عدی بن کعب، و کانت فیها نخلات، فابتاعها مروان من النحام بثلاثمائهٔ ألف درهم، و أدخلها فی داره، فذلک الموضع لیس من المربد الذی ابتاع من العباس.

و ذکر ابن شبهٔ فی موضع آخر أن دار مروان صارت فی الصّوافی، أی: لبیت المال.

قلت: و فی موضعها الیوم کما قدمناه المیضأهٔ التی فی قبلهٔ المسجد عند باب السلام، و ما فی شرقیها إلی دور آل عمر، قال ابن زبالهٔ و ابن شبهٔ: و إلی جنبها- یعنی: دار مروان- فی المغرب دار یزید بن عبد الملک التی صارت لزبیدهٔ، و کان فی موضعها دار لآل أبی سفیان ابن حرب، کانت أشرف دار بالمدینهٔ بناء و أذهبه فی السماء. و دار کانت لآل أبی أمیهٔ بن المغیرهٔ، فابتاعها یزید، و أدخلها فی داره، و هدمها، و کان بعض أهل المدینهٔ وفد علی

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفی، ج۲، ص: ۲۳۸

یزید ابن عبد الملک و قد فرغوا من بناء داره، فسأله عنها، فقال: ما أعرف لک أصلحک اللّه بالمدینهٔ دارا، فلما رأی ما فی وجهه قال: یا أمیر المؤمنین، إنها لیست بدار، و لکنها مدینهٔ، فأعجب ذلک یزید.

دار رباح و دار المقداد

قلت: و فی موضع هذه الدار الیوم ما یقابل المیضأهٔ فی المغرب من دار الأشراف العباسا و الدار الملاصقهٔ لها فی المغرب المشتراتین للسلطان، و قد أضافوا إلیهما ما فی قبلتهما من الدور.

و قد ذکر ابن شبهٔ أن رباحا مولی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم اتخذ دارا علی زاویهٔ دار یزید بن عبد الملک الغربیهٔ الیمانیهٔ، و أن المقداد بن الأسود حلیف بنی زهرهٔ اتخذ دارا بین بیت رباح مولی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم و بین زقاق عاصم، فتکون هذه الدار علی زاویهٔ دار یزید الشرقیهٔ الیمانیهٔ، فهما من جملهٔ ما اشتری للسلطان الیوم. و بین المیضأهٔ و بین هذه الدور زقاق لعله متصل بزقاق عاصم بن عمر، إلا أن ابن زبالهٔ و ابن شبهٔ لم یذکراه، قالا: ثم وجاه دار یزید دار أویس بن سعد بن أبی سرح العامری. قال ابن شبهٔ فی هذه الدار: أخبرت أنها کانت لمطیع بن الأسود فناقل بها العباس إلی الدار التی بالبلاط یقال لها دار مطیع، و زاده عشرهٔ آلاف درهم، ثم باعها العباس من عبد اللّه بن سعد بن أبی سرح بثلاثین ألف درهم، فسکنها بنو أخیه؛ فهی الدار التی یقال لها دار أویس عند دار یزید بن عبد الملک بالبلاط، و قد سمعنا من یذکر أن النبی صلّی اللّه علیه و سلّم أقطع مطیعا داره تلک، فاللّه أعلم أی ذلک کان.

قلت: و موضع دار أویس الیوم المدرسهٔ الباسطیهٔ التی أنشأها القاضی عبد الباسط سنهٔ بضع و أربعین و ثمانمائهٔ، و ما فی شرقیها من مؤخر المدرسهٔ المعروفهٔ الیوم بالحصن العتیق المتقدم ذکرها، فذلک کله یواجه دار یزید المذکورهٔ، و یفصل بینهما بلاط باب السلام.

دار مطيع بن الأسود

قالا: ثم إلى جنب دار أويس- أى فى المغرب- دار مطيع بن الأسود العدوى، أى المتقدم ذكر قصتها و أنها كانت للعباس رضى اللّه تعالى عنه، قال ابن شبة: أى: المتقدم ذكر قصتها و أنها كانت للعباس رضى اللّه تعالى عنه، قال ابن شبة: و يقال لها دار أبى مطيع، و عندها أصحاب الفاكهة، و زاد فى قصتها أنه بلغه أيضا أن حكيم بن حزام ابتاعها هى و داره التى من ورائها بمائة ألف درهم، فشركه ابن مطيع، فقاومه حكيم، فأخذ ابن مطيع داره بالثمن كله و بقيت دار حكيم فى يده ربحا، فقيل لحكيم: خدعك، فقال: دار بدار و مائة ألف درهم، و كان يقال لدار أبى مطيع العنقاء، قال لها الشاعر:

إلى العنقاء دار أبى مطيع

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۳۹

و بين يدى دار أبى مطيع أبيات ليزيد بن عبد الملك فيها الغسالون، يقال: إن يزيد كان ساوم آل مطيع بدارهم، فأبوا أن يبيعوها، فأحدث عليهم تلك البيوت، فسدّ وجه دارهم، فهى تدعى أبيات الضّرار، و هى مما صار للخيزران.

قلت: و موضع دار أبى مطيع اليوم الدار التى فى غربى المدرسة الباسطية التى اشتراها وكيل الخواجا ابن الزمن، و فى غربيها سوق المدينة اليوم، و هو من البلاط، و موضعه عندها هو المراد بقول ابن شبة: و عندها أصحاب الفاكهة، فكأن الفاكهة كانت تباع فيه حينئذ.

دار حكيم بن حزام

و أما دار حكيم التى ذكر أنها من ورائها فمحلها اليوم الدار التى فى شامى هذه الدور التى عندها درج العين بالسوق المذكور، قال ابن شبة فى دور بنى أسد: و اتخذ حكيم بن حزام داره الشارعة على البلاط إلى جنب دار مطيع بن الأسود، بينها و بين دار معاوية بن أبى سفيان، يحجز بينها و بين دار معاوية الطريق، و مراده بالبلاط الموضع الذى به سوق المدينة اليوم أمام المدرسة الزمنية الممتد منها إلى الشام.

و قوله «يحجز بينها- أى: دار حكيم و دار مطيع- و بين دار معاوية الطريق» أى: البلاط المذكور؛ فالظاهر: أن دار معاوية هذه هى المقابلة لها بين الدارين فى المغرب، و هناك فى مقابلتها اليوم رباط جدد أنشأه الفخر ناظر الجيوش بمصر سنة تسع عشرة و سبعمائة بابه شارع فى سوق المدينة اليوم و دار خربة.

و قال ابن شبة أيضا فى دور بنى عدى بن كعب: اتخذ النعمان بن عدى داره التى صارت لمحمد بن خالد بن برمك و بناها، و فى الشارعة عند الخياطين بالبلاط عند أصحاب الفاكهة ابتاعها من آل النحام و آل أبى جهم، و كانت صارت لهم مواريث، انتهى.

دار عبد اللّه بن مكمل

و محل هذه الدار إما الدار الخربة التى إلى جانب الرباط الشارع فى السوق، أو المدرسة الزمنية، و اللّه أعلم.

و لنرجع إلى ذكر الدور المطيفة بالمسجد.

قال ابن شبة: و فى غربى المسجد دار عبد اللّه بن مكمل الشارعة فى رحبة القضاء، و هى مما يتشاءم به، و ذلك مما نشأ عن بنائها.

و قال فى دور بنى زهرة: كان عبد الرحمن بن عوف وهبها لابن مكمل، فباعها آله من المهدى؛ فهى بأيدى ولده اليوم خراب إلى جنب المسجد، أى قبل أن تبنى رحبة القضاء.

قال: و هى التى يقولون: إن أهلها قالوا: يا رسول الله، اشتريناها و نحن جميع فتفرقنا، و أغنياء فافتقرنا، فقال النبى صلّى اللّه عليه و سلّم:

اتركوها فهى ذميمة.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۴۰

و قال ابن زبالة: هى التى يجلس إلى ركحها صاحب الشرط، و إليها أصحاب الفاكهة، و هم يهابون بناءها و يتشاءمون بها؛ فهى على حال ما اشتريت عليه.

و قد ترجم فى الموطأ لما يتقى من الشؤم، و روى فيه عن يحيى بن سعيد أن امرأة جاءت إلى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم فقالت: يا رسول الله، دار سكناها و العدد كثير و المال وافر فقلّ العدد و ذهب المال، فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم: «دعوها ذميمة» و رواه البزار بنحوه عن ابن عمر، إلا أنه قال فيه: إن قوما جاءوا إلى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، و زاد فيه: فقالوا: يا رسول اللّه كيف ندعها؟ قال:

«بيعوها أو هبوها».

و قال البزار: أخطأ فيه صالح بن أبى الأخضر، و الصواب أنه من مرسلات عبد اللّه بن شداد، و روى الطبرانى نحوه عن سهل بن حارثة الأنصارى، و فيه يعقوب بن حميد بن كاسب وثقه ابن حبان و غيره و ضعفه جماعة.

قلت: و فى موضع دار ابن مكمل اليوم المدرسة المعروفة بالجوبانية من بابها إلى آخر رباطها الذى فى غربيها، بل يؤخذ مما سبق عن ابن زبالة من جلوس أصحاب الفاكهة إليها أنها كانت تمتد إلى سوق الصواغين اليوم؛ لما تقدم من بيان أصحاب الفاكهة، و لما سيأتى فى الدار التى بعدها.

دار النحام

و فى المغرب أيضا دار النحام العدوى. و عبارة ابن زبالة و ابن شبة: و فى غربى المسجد دار ابن مكمل و دار النحام، الطريق بينهما قدر ستة أذرع.

و قال ابن شبة فى دور بنى عدى: و اتخذ النحام نعيم بن عبد اللّه داره التى بابها و جاه زاوية رحبة دار القضاء، و شرقيها الدار التى قبضت عن جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك التى كانت بيت عاتكة بنت يزيد بن معاوية فهى بيد ولده على حوز الصدقة.

قال: و أخبرنى مخبر أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم حازها له قطيعة منه.

قلت: و دار جعفر المذكورة هى المواجهة لباب الرحمة؛ فعلم بذلك أن دار النحام هذه كانت فى مقابلة باب المدرسة الجوبانية المتقدم ذكرها فى بيان رحبة القضاء عند ذكر باب زياد، و أن الطريق التى بين دار النحام و دار ابن مكمل هى البلاط الآخذ من باب الرحمة إلى السوق، و علم بذلك أن رحبة القضاء كانت تمتد من جهة باب الرحمة إلى باب الجوبانية.

دار جعفر بن يحيى

ثم إلى جنب دار النحام دار جعفر بن يحيى التى دخل فيها بيت عاتكة بنت يزيد بن معاوية. و أطم حسان بن ثابت رضى اللّه تعالى عنه المسمى بفارع.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۴۱

قلت: و قد تقدم بيان محلها فى باب الرحمة، و أنه اليوم هو البيت المواجه لباب الرحمة، و هو كان موضع بيت عاتكة، و ما فى شامية من المدرسة الكبرجية و هو موضع الأطم.

دار نصير

ثم إلى دار جعفر بن يحيى دار نصير صاحب المصلى، كانت بيتا لسكينة بنت الحسين بن على رضى اللّه عنهم، ثم إلى جنبها الطريق إلى دار طلحة بن عبيد اللّه ستة أذرع.

قلت: و قد تقدم فى أبواب جهة المغرب أن فى محل دار نصير اليوم الدار المعروفة بتميم الدارى، و التى فى شاميها إلى الطريق التى تدخل منها إلى دور القياشين التى صارت للخواجا قاوان، و هذه الطريق هى المرادة هنا، و تلك الدور هى دور طلحة بن عبيد الله، و فى شرقيها دار منيرة الآتى ذكرها.

قال ابن شبة فى دور بنى تيم: و اتخذ طلحة بن عبيد الله داره بين دار عبد اللّه بن جعفر التى صارت لمنيرة و بين دار عمر بن الزبير بن العوام، ففرقها ولده من بعده ثلاثة أدور، فصارت الدار الشرقية اللاصقة بدار منيرة ليحيى بن طلحة، و صارت التى تليها لعيسى بن طلحة، و صارت الأخرى لإبراهيم بن محمد بن طلحة.

قلت: و دار عمر بن الزبير التى فى غربى دار طلحة ملاصقة لدار عروة بن الزبير، قال ابن شبة: اتخذهما الزبير و تصدق بهما عليهما و على أعقابهما، و هما متلازقتان عند خوخة القوارير، انتهى.

و فى نهاية الطريق إلى دور القياشين خوخة كانت شارعة فى المغرب عند سوق العطارين، الظاهر أنها المراد بخوخة القوارير.

دار منيرة مولاة أم موسى

ثم إلى جنب الطريق إلى دور طلحة دار منيرة مولاة أم موسى، كانت لعبد اللّه بن جعفر بن أبى طالب.

قلت: و قد بينا محلها فى أول أبواب المسجد من جهة المغرب، و يستفاد منه أنها كانت من طريق دور القياشين إلى ما يحاذى نهاية المسجد.

ثم إلى جنبها خوخة آل يحيى بن طلحة.

قلت: و هناك اليوم زقاق لطيف خلف الفرن المحاذى لقرب مؤخر المسجد من المغرب، يعرف بزقاق عانقينى، هو المراد بذلك؛ لأن بعض الدور التى فيه يسلك منها إلى دور القياشين التى هى دور طلحة.

حش طلحة

ثم إلى جنب خوخة آل يحيى بن طلحة بن أبى طلحة الأنصارى و هو اليوم خراب صوافى عن آل ابن برمك.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۴۲

قلت: و الظاهر أن فى محله اليوم الفرن المتقدم ذكره و ما حوله.

و قد قدمنا فى زيادة المهدى ما ذكره ابن شبة فى إدخاله صدر دار آل شرحبيل بن حسنة التى كانت لأم حبيبة رضى اللّه تعالى عنها فى مؤخر المسجد.

قال ابن شبة عقب ذلك: ثم باعوا بقيتها من يحيى بن خالد بن برمك فهدمها حين هدم حش طلحة، ثم صارت براحا فى الصوافى، ثم بنى فى موضعها الناس بأكثر من أصحاب الصوافى؛ فعلم بذلك أن حش طلحة كان ينعطف على المسجد من جهة الشام، و سيأتى فى ذكر البلاط ما يصرح بذلك، و الظاهر أن بقية دار شرحبيل من الحش المذكور هو ما حاذى الميضأة التى فى شامى المسجد من المغرب، بدليل ما سيأتى، و اللّه أعلم.

ثم إلى جنب حش طلحة الطريق خمسة أذرع.

قلت: و هذه الطريق هى التى فى شامى الميضأة المتقدم ذكرها، يتوصل منها إلى رباط الشيخ شمس الدين الششترى.

أبيات خالصة

ثم إلى جنب الطريق أبيات خالصة مولاة أمير المؤمنين، و هى دار حباب مولى عتبة بن غزوان.

قلت: و فى موضعها اليوم دار أحد رئيسى مؤذنى المسجد، و ما يليها من المارستان الذى أنشأه المنتصر بالله، و ما يليه من رباط الظاهرية، كما تقدم فى ذكر أبواب المسجد.

دار حميد بن عبد الرحمن بن عوف

ثم إلى جنب أبيات خالصة دار أبى الغيث بن المغيرة بن حميد بن عبد الرحمن بن عوف، و هى صدقة.

و ذكر ابن شبة فى دور بنى زهرة أن من دور عبد الرحمن بن عوف التى اتخذها الدار التى يقال لها الدار الكبرى دار حميد بن عبد الرحمن بن عوف بحش طلحة.

قال: و إنما سميت الدار الكبرى لأنها أول دار بناها أحد من المهاجرين بالمدينة، و كان عبد الرحمن ينزل فيها ضيفان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، فكانت أيضا تسمى دار الضيفان، فسرق فيها بعض الضيفان، فشكا ذلك عبد الرحمن إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، و قد بنى فيها النبى صلّى اللّه عليه و سلّم بيده فيما زعم الأعرج، و هى بيد بعض ولد عبد الرحمن بن عوف.

قلت: و هى غير دار عبد الرحمن بن عوف المعروفة بدار مليكة التى تقدم أنها دخلت فى المسجد.

و فى شامى المسجد اليوم مما يلى الشرق دار تعرف بدار المضيف، فلعل تسميتها بذلك لكونها فى موضع دار الضيفان المذكورة، لكن ذكر الدار الآتية بعدها قبل جهة المشرق يبعد

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۴۳

ذلك، فكأن الجانب الغربى من دار المضيف و ما حوله فى المغرب من الساباط و بعض رباط الظاهرية فى موضع الدار المذكورة.

ثم إلى جنب دار أبى الغيث بقية دار عبد اللّه بن مسعود، كانت لجعفر بن يحيى، و قد قبضت صافية عنه.

قلت: قد قدمنا أنها كانت تدعى دار القراء، و أن بعضها دخل فى زيادة الوليد، و بقيتها فى زيادة المهدى، فكأن المراد بعض بقيتها، بدليل ما هنا، و مع ذلك فأنا أستبعد أن يبقى منها بقية فى جهة الشام، سيما إذا كان المهدى قد زاد مائة ذراع.

ثم يضاف لذلك ما زاده الوليد منها، و عرض الرحبة التى فى شامى المسجد، و أىّ دار يكون طولها هذا المقدار فضلا عن أن يبقى بعد ذلك منها بقية؟ و موضع ما وصفوه اليوم هو ما يلى المشرق من الدار المعروفة بدار المضيف المتقدم ذكرها، و اللّه أعلم.

دار موسى المخزومى

قال ابن زبالة و ابن شبة: ثم من المشرق دار موسى بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عبد اللّه ابن أبى ربيعة بن المغيرة المخزومى، كان ابتاعها هو و عبيد اللّه بن حسين بن على بن حسين ابن على بن أبى طالب رضى اللّه تعالى عنهم، فتقاوماها، فظن عبيد اللّه أن موسى لا يريد إلا الربح، فأسلمها عبيد اللّه فصارت لموسى.

قلت: و ظاهر ذلك أن الدار المذكورة أول جهة المشرق مما يلى الشام، و فى موضعها اليوم- كما قدمناه فى ذكر أبواب المسجد- بيت بعض رئيسى المؤذنين الذى يلى دار المضيف، و ما يليه من الميضأة المعطلة اليوم، و بين ذلك و بين دار المضيف زقاق يعرف بخرق الجمل يتصل إلى الدور الملاصقة لسور المدينة، و لعله المعروف قديما بزقاق جمل؛ فإن ابن شبة ذكر أن فاطمة بنت قيس اتخذت دارا بين دار أنس بن مالك و بين زقاق جمل، و دار أنس بن مالك ذكر أنها فى بنى جديلة، و هى فى شامى سور المدينة.

ثم إلى جنب دار موسى أبيات قهطم دار موسى و دار عمرو بن العاص، و هى- يعنى دار عمرو- صدقة من عمرو، و هى اليوم صوافى: أى أبيات قهطم، هذه عبارة ابن شبة.

و عبارة ابن زبالة «و إلى جنبها أبيات فيها قهطم، و هو صوافى».

و الطريق بين دار موسى بن إبراهيم و بين دار عمرو بن العاص السهمى، و هى اليوم لهم صدقة.

أبيات الصوافى

قلت: و أبيات قهطم هى التى سماها ابن زبالة فى ذكر الكتابة على أبواب المسجد أبيات الصوافى، و سمى الطريق التى ذكرها هنا بزقاق المناصع، لكن كلام ابن شبة يقتضى

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۴۴

كون أبيات قهطم المذكورة بين دار موسى و بين دار عمرو بن العاص؛ فتكون الطريق المذكورة بين أبيات قهطم و بين دار عمرو بن العاص، فلنحمل كلام ابن زبالة على ذلك، و يكون قوله «و الطريق بين دار موسى» يعنى و ما يليها من أبيات قهطم و بين دار عمرو بن العاص.

دار خالد بن الوليد

و قد قدمنا أن فى محل أبيات الصوافى رباط الفاضل و الدار المعروفة بدار الرسام وقف السلامى و الباب الذى يدخل منه إلى رباط السلامى، و موضع دار عمرو بن العاص اليوم مؤخر رباط السبيل الذى يسكنه الرجال، و هو مما يلى الشام منه، و الطريق التى بينه و بين رباط الفاضل هى زقاق المناصع، و ليست اليوم نافذة كما تقدم؛ و يؤخذ مما قدمناه فى زيادة المهدى أنه كان عندها رحبة تسمى برحبة المشارب، و اللّه أعلم.

ثم إلى جنب دار عمر و دار خالد بن الوليد. قال ابن شبة و ابن زبالة: و هى بيد بنى أتوب بن سلمة- يعنى ابن عبد اللّه بن الوليد بن المغيرة- زاد ابن زبالة: أن أيوب بن سلمة اختصم فيها هو و إسماعيل بن الوليد بن هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة، يقول أيوب: هى ميراث و أنا أرثها دونكم بالقعد، أى لأنه أقرب عصوبة، و يقول إسماعيل: هى صدقة، أى فيدخل فيها القريب و إن بعد، فأعطيها أيوب ميراثا بالقعد، انتهى.

و هذا لأن أيوب المذكور كما ذكر ابن حزم وارث آخر من بقى من ولد خالد بن الوليد، قال: لانقراض ولد عمه خالد بن الوليد كلهم. قال: و كان قد كثر ولد خالد بن الوليد حتى بلغوا نحو أربعين رجلا، و كانوا كلهم بالشام، ثم انقرضوا كلهم فى طاعون وقع فلم يبق لأحد منهم عقب، انتهى. و روى ابن زبالة عن يحيى بن المغيرة بن عبد الرحمن عن أبيه قال: شكا خالد بن الوليد ضيق منزله إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، فقال له: «ارفع البناء فى السماء و سل اللّه السّعة» و رواه ابن شبة، إلا أنه قال: فقال له النبى صلّى اللّه عليه و سلّم: «اتسع فى السماء» و ذكر من رواية الواقدى أن خالد بن الوليد حبس داره بالمدينة لا تباع و لا توهب.

قلت: و فى موضعها اليوم مقدم رباط السبيل المتقدم ذكره، و ذلك يدل على صغرها، بخلاف غيرها من الدور، و لذلك شكا ضيقها، و اللّه سبحانه و تعالى أعلم.

دار أسماء بنت حسين

ثم إلى جنبها دار أسماء بنت الحسين بن عبد اللّه بن عبيد اللّه بن العباس بن عبد المطلب، و كانت من دار جبلة بن عمر الساعدى.

قلت: و قد قدمنا ذكر حالها، و بيان محلها، فى خامس أبواب المسجد.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۴۵

دار ريطة

ثم إلى جنبها دار ريطة بنت أبى العباس، و كانت من دار جبلة و دار أبى بكر الصديق، قاله ابن زبالة.

قلت: مراده أنه أدخل فى دار ريطة من شرقيها ما يليها من دار أبى بكر الصديق [لا] أن دار أبى بكر كانت على سمتها فى محاذاة المسجد، كما توهمه المطرى فجعل دار ريطة هى دار أبى بكر، و أنها المدرسة المقابلة لباب النساء كما قدمناه عنه، و الصواب أن دار أبى بكر كانت خلف المدرسة المذكورة فى جهة المشرق؛ لأن ابن شبة قال فى دور بنى تيم: اتخذ أبو بكر رضى اللّه تعالى عنه دارا فى زقاق البقيع قبالة دار عثمان رضى اللّه عنه الصغرى، و ذكر أن دار عثمان الصغرى هى التى بنحو زقاق البقيع إلى جنب دار آل حزم الأنصاريين.

و ذكر فى خبر مقتل عثمان رضى اللّه عنه ما يقتضى أن هذه الدار الصغرى كانت متصلة بداره الكبرى الآتى ذكرها، و أن قتلته تسوّروا و دخلوا عليه منها. و فى موضعها اليوم الرباط المعروف برباط المغاربة، و يعرف برباط سيدنا عثمان؛ فعلم بذلك أن دار أبى بكر كانت فى مقابلة ذلك من جهة الشام؛ فتكون فى محل الدور التى فى شرقى المدرسة المذكورة إلى ما يحاذى الرباط المذكور، و لا يبعد أن يكون بعضها دخل فى المدرسة المذكور، و دار أبى بكر هذه هى المرادة بما رواه ابن سعد فى طبقاته عن عائشة رضى اللّه عنها أن أبا بكر رضى الله عنه مرض مرضه الذى مات فيه و هو نازل يومئذ فى داره التى قطع له النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و جاه دار عثمان بن عفان، أى الصغرى، و اللّه أعلم.

دار عثمان بن عفان

ثم الطريق بين دار ريطة و بين دار عثمان- يعنى العظمى- خمسة أذرع، قاله ابن زبالة و ابن شبة. و نقل المطرى عن ابن زبالة أن الطريق بينهما سبعة أذرع، و الذى ذكره ابن زبالة ما قدمناه، و هى اليوم نحو ذلك، و يعرف بطريق البقيع.

ثم دار عثمان رضى اللّه عنه. و روى ابن سعد فى طبقاته عن عبيد اللّه بن عبد اللّه بن عتبة قال: لما أقطع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم الدور بالمدينة خطّ لعثمان بن عفان داره اليوم، و يقال:

إن الخوخة التى فى دار عثمان اليوم و جاه باب النبى صلّى اللّه عليه و سلّم التى كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم يخرج منها إذا دخل بيت عثمان، هذا لفظ ابن سعد.

قلت: و هذه الدار هى التى عبر عنها ابن شبة بقوله «و اتخذ عثمان رضى اللّه عنه داره العظمى التى عند موضع الجنائز فتصدق بها على ولده فهى بأيديهم صدقة» و قد قدمنا أن فى محلها اليوم رباط الأصفهانى و تربة أسد الدين شير كوه عم السلطان صلاح الدين بن أيوب و معه فيها والد صلاح الدين أيضا، و الدار التى يسكنها مشايخ الخدام.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۴۶

دار أبى أيوب الأنصارى

ثم بعد دار عثمان فى القبلة الطريق خمسة أذرع، أو نحو ذلك، ثم منزل أبى أيوب الأنصارى الذى نزله النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، و ابتاعه المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، و جعل فيه ماءه الذى يسقى فى المسجد.

قلت: قد قدمنا فی الفصل الرابع عشر من الباب الثالث شرح حال هذه الدار، و أن الملک المظفر شهاب الدین غازی اشتری عرصتها و بناها مدرسة و وقفها علی المذاهب الأربعة.

دار جعفر الصادق

ثم إلی جنب منزل أبی أیوب دار جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علی زین العابدین بن الحسین بن علی بن أبی طالب رضی اللّه تعالی عنهم التی یسقی فیها الماء، التی تصدق بها جعفر، و کانت لحارثة بن النعمان الأنصاری.

قلت: فی موضعها الیوم العرصة الکبیرة التی فی قبلة المدرسة الشهابیة، و فیها محراب قبلة مسجد جعفر الصادق و أثر محاریب، و هی الآن ملک الأشراف المنایفة، ثم انتقلت منهم للشجاعی شاهین الجمالی شیخ الحرم، ابتناها مسکنا له.

دار حسن بن زید

و قبالتها- أی: فی المغرب- دار حسن بن زید بن حسن بن علی بن أبی طالب رضی الله تعالی عنهم، و هو أطم کان حسن ابتاعه فخاصمه فیه أبو عوف النجاری، فهدمه حسن، فجعله دارا.

قلت: و هو الأطم الذی یدعی بفویرع، و فی موضع هذه الدار الیوم بیت الأشراف المنایفة الذی علیه ساباط متصل بالمدرسة الشهابیة، و البیت الذی فی قبلته و ما فی غربیها إلی دار القضاة بنی صالح.

دار فرج الخصی

و الطریق خمسة أذرع بینها- أی: بین دار حسن المذکورة- و بین دار فرج الخصی أبی مسلم مولی أمیر المؤمنین، و کانت دار فرج من دور إبراهیم بن هشام، و هی قبلة الجنائز، کان فیها سرب تحت الأرض یسلکه إبراهیم إلی داره دار التماثیل التی کان ینزل بها یحیی بن حسین بن زید بن علی.

قلت: أما الطریق المذکورة فهی الآخذة من باب المدرسة الشهابیة إلی بیت بنی صالح، و دار فرج المذکورة هی الرباط المعروف برباط مراغة، و الطریق المذکورة بینه و بین دار المنایفة، و أما دار التماثیل التی کان یتوصل إلیها ابن هشام بالسرب المذکور فلم یبینها ابن

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفی، ج۲، ص: ۲۴۷

زبالة و لا ابن شبة، غیر أنه کان شخص شرع فی عمارة المیضأة التی بباب السلام المتقدم ذکرها فی دار مروان فوجد سربا تحت الأرض مقبوا عند رکنها القبلی مما یلی المغرب، و عنده باب الخربة المعروفة بدار الخرازین، و شرعوا فی عمارتها- أی دار الخرازین- بدلا من رباط الحصن العتیق. و قد دخلتها قبل هدمها، فرأیت فیها صناعات غریبة فی البناء من صناعات الأقدمین، فترجّح عندی بقرینة وجود السرب عندها و وجود ذلک بها أنها المرادة بدار التماثیل، و اللّه أعلم.

دار عامر بن الزبیر بن العوام

ثم إلی جنب دار فرج الخصی دار عامر بن عبد اللّه بن الزبیر بن العوام، و کان ابن هشام- حین بنی داره- أخذ بعض حق عامر، فقال له عامر: فأین طریقی؟ قال: فی النار، قال عامر: تلک طریق الظالمین.

قلت: و موضعها الیوم البیت الموقوف الذی بید الخدام، و هو عن یسار الخارج من خوخة آل عمر، و یسمونه الیوم بیت النبی صلّی

اللّه عليه و سلّم.

ثم ترجع إلى دار عبد اللّه بن عمر رضى اللّه تعالى عنه من حيث ابتدأت.

قلت: و ذكر ابن شبة فى دور بنى هاشم أن حمزة بن عبد المطلب رضى اللّه تعالى عنه اتخذ الدار التى صارت لآل فرافصة الحنفيين و لآل وردان دبر زقاق عاصم بن عمر، اه.

و قد تقدم فى ذكر سدّ الأبواب إلا ما استثنى ما يقتضى أن حمزة رضى اللّه تعالى عنه كان له طريق إلى المسجد، و تقدم بيان زقاق عاصم؛ فتحصل من ذلك أن دار حمزة رضى الله تعالى عنه كانت فى قبلة المسجد، و هى غير معلومة المحل، و اللّه أعلم.

الفصل الخامس و الثلاثون فى البلاط، و بيان ما ظهر لنا مما كان حوله من منازل المهاجرين

تحديد مكان البلاط

و قد بوّب البخارى فى صحيحه لمن عقل بعيره على البلاط أو باب المسجد، و أورد فيه حديث جابر قال: دخل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم المسجد، فدخلت إليه، و عقلت الجمل فى ناحية البلاط، و بوب أيضا للرجم بالبلاط، و أورد فيه حديث اليهوديين اللذين زنيا، قال ابن عمر: فرجما عند البلاط. و فى رواية لابن عمر: فرجما قريبا من موضع الجنائز.

و عند أحمد و الحاكم من حديث ابن عباس رضى اللّه تعالى عنهما: أمر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم برجم اليهوديين عند باب المسجد.

و فى الحديث أن عثمان رضى اللّه تعالى عنه أتى بماء فتوضأ بالبلاط.

و هذا كله مقتض لأن البلاط كان قديما قبل ولاية معاوية رضى اللّه عنه.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۴۸

و فيما قدمناه ما يبين أنه كان فى شرقى المسجد فى ناحية موضع الجنائز، و ظاهر كلام ابن زبالة و ابن شبة أن أول حدوثه فى زمن معاوية رضى اللّه عنه؛ فإنهما رويا عن عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان بن عبيد اللّه قال: بلّط مروان بن الحكم البلاط بأمر معاوية رضى الله عنه، و كان مروان بلط ممر أبيه الحكم إلى المسجد، و كان قد أسن و أصابته ريح، فكان يجر رجليه فتمتلئان ترابا، فبلطه مروان بذلك السبب، فأمره معاوية بتبليط ما سوى ذلك مما قارب المسجد ففعل، و أراد أن يبلط بقيع الزبير فحال ابن الزبير بينه و بين ذلك، و قال:

تريد أن تنسخ اسم الزبير، و يقال: بلاط معاوية؟ قال: فأمضى مروان البلاط، فلما حاذى دار عثمان بن عبيد اللّه ترك الرحبة التى بين يدى داره فقال له عبد الرحمن بن عثمان: لئن لم تبلّطها لأدخلنها فى دارى، فبلطها مروان.

و اقتصر عياض فى بيان البلاط على ما فى غربى المسجد منه، فقال: البلاط موضع مبلط بالحجارة بين المسجد و السوق بالمدينة، انتهى.

و قد تبع فى ذلك أبا عبيد البكرى، و فيه نظر؛ لأن مقتضى الأحاديث المتقدمة إرادة ما فى شرقى المسجد منه، و مع ذلك فهو فى شرقى المسجد و غربيه و الشام.

و قال ابن شبة: حدثنا محمد بن يحيى قال: حدثنا من يوثق به من أهل العلم أن الذى بلط حوالى مسجد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم بالحجارة معاوية بن أبى سفيان رضى اللّه عنهما، أمر بذلك مروان بن الحكم، و ولى عمله عبد الملك بن مروان، و بلط ما حول دار عثمان بن عفان الشارعة على موضع الجنائز.

حدود البلاط

و حدّ ذلك البلاط الغربى: ما بين المسجد إلى خاتم الزوراء عند دار العباس بن عبد المطلب بالسوق. و حده الشرقى إلى دار المغيرة بن شعبة رضى اللّه عنه التى فى طريق البقيع من المسجد. و حده اليمانى إلى حد زاوية دار عثمان بن عفان الشارعة على موضع الجنائز.

و حده الشامى وجه حش طلحة خلف المسجد، و هو فى المغرب أيضا إلى حد دار إبراهيم ابن هشام الشارعة على المصلى.

و للبلاط أسراب ثلاثة تصب فيها مياه المطر؛ فواحد بالمصلى عند دار إبراهيم بن هشام، و آخر على باب الزوراء عند دار العباس بن عبد المطلب بالسوق، ثم يخرج ذلك الماء إلى ربيع فى الجبانة عند الحطابين، و آخر عند دار أنس بن مالك فى بنى جديلة عند دار بنت الحارث، اه.

و يؤخذ من ذلك أن البلاط كان من المغرب فيما بين المسجد و بين الدور المطيفة به.

و يمتد البلاط الآخر من باب الرحمة إلى أن يصل إلى الصواغ و سوق العطارين اليوم،

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۴۹

و يستمر كذلك إلى حد سوق المدينة الأول عند أحجار الزيت و مشهد مالك بن سنان؛ فهناك خاتم الزوراء عند دار العباس، و هو خاتم البلاط، و ذلك ما بين مشهد مالك بن سنان و الدور المواجهة له كما سنبينه فى ذكر سوق المدينة، و هو موجود اليوم فى تلك الجهة.

و يمتد أيضا البلاط الآخذ من باب السلام إلى أن يصل إلى المدرسة الزمنية، و ينعطف لجهة الشام حتى يتصل بالبلاط الممتد من باب الرحمة لجهة سوق الصواغ و العطارين، و هذا الجانب منه هو الذى تقدمت الإشارة إليه بأن عنده أصحاب الفاكهة.

و فى طبقات ابن سعد عن محمد بن عمرو فى دار حكيم بن حزام المتقدم ذكرها فيه أنها عند بلاط الفاكهة عند زقاق الصواغين، انتهى.

ثم يمتد البلاط الآخذ من باب السلام فى الاستقامة من المدرسة الزمنية فيمر بالموضع المعروف اليوم بسويقة، فيجاوز باب المدينة المعروف بباب سويقة حتى يصل إلى المصلى، و هذا معنى قوله «و هو فى المغرب أيضا إلى حد دار إبراهيم بن هشام الشارعة على المصلى».

و هذه الناحية من البلاط الغربى هى المسماة بخط البلاط الأعظم، و ما كان عن يمين الماشى فى هذا البلاط قاصدا باب السلام فهو الذى يعبر عنه بميمنة البلاط الأعظم، و ما كان عن يساره فهو الذى يعبر عنه بميسرة البلاط الأعظم.

و أما البلاط الشرقى فحده من القبلة ظاهر عند زاوية الدار التى يسكنها مشايخ الخدام من دار عثمان و زاوية رباط مراغة.

و من المشرق يمتد فى زقاق البقيع إلى خارج باب رباط المغاربة عند ما يعطف من آخر الدور التى قدمنا أنها فى محل دار أبى بكر رضى اللّه عنه المقابلة لرباط المغاربة، و لعل دار المغيرة بن شعبة هى التى تواجهك حين تعطف هناك، ثم تكون على يسارك و أنت ذاهب إلى البقيع فى مقابلة الرباط المعروف برباط الصادر و الوارد، و لعل البلاط كان متصلا بها.

و قد قال ابن شبة فى دور بنى عبد شمس: إن عثمان رضى اللّه تعالى عنه اتخذ أيضا دار المغيرة بن شعبة التى بالبقيع فعارض المغيرة إلى دار عثمان بن عفان التى يقال لها دار عمرو ابن عثمان التى بين دار المغيرة بن شعبة اليوم و بين دار زيد بن ثابت من الأنصار، انتهى.

فدار المغيرة التى ناقل بها عثمان ليست المرادة؛ لأنه قال فيها «إنها بالبقيع» و ذكر فى هذه التى حدد بها البلاط أنها بزقاق البقيع.

و أيضا قد قدمنا قول محمد بن عقيل فى خبره فى سقوط جدار الحجرة «حتى إذا كنت عند دار المغيرة بن شعبة لقيتنى رائحة لا و اللّه ما وجدت مثلها قط» فإنه يدل على قرب دار المغيرة من المسجد.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۵۰

و أيضا فمن الشائع بين الناس اليوم نسبتهم إلى عثمان رضى اللّه تعالى عنه الدار التى فى شرقى الدار التى قلنا لعلها دار المغيرة بينها و بينها ساباط، و لعلها التى كانت لعثمان و ناقل بها المغيرة إلى داره التى بالبقيع، و قد قال فى وصفها «إنها بين دار المغيرة اليوم و دار زيد بن ثابت» فتكون دار زيد بن ثابت هى التى تلى ذلك فى المشرق أيضا على يسار الذاهب إلى البقيع، و ما عن يمينه مما يلى رباط المغاربة دور آل حزم من الأنصار.

و قد قال ابن شبة: إن عتبة بن غزوان حليف بنى نوفل بن عبد مناف اتخذ داره التى بالبقيع إلى شرقى دور آل حزم الأنصار؛ فتكون على يمين الذاهب إلى البقيع بعد دور آل حزم.

فأما البلاط الشامى فمحله ظاهر بين المسجد و الدور التى قدمناها فى شاميه، لكن حدث فيه دور لاصقة بالمسجد بعد سد الأبواب التى فى تلك الجهة كما قدمناه.

و أما ما ذكره ابن شبة من أن الماء الذى يصب فى السرب الذى بالمصلى و السرب الذى عند دار العباس يخرج إلى ربيع فى الجبانة عند الحطابين فالمراد أنه يخرج إلى الربيع المذكور فى شامى سوق المدينة عند سوق الحطابين قرب ثنية الوداع، لما سيأتى فى ترجمة الجبانة.

و قوله «إن السرب الآخر عند دار أنس بن مالك فى بنى جديلة عند دار بنت الحارث» فأما دار أنس فلم يتحرر لى معرفتها، غير أنه سيأتى فى بئره- و كانت فى داره- ما ترجح عندنا فى محلها؛ فيؤخذ منه أن داره كانت عند البئر المعروفة اليوم بالرباطين خلف الحديقة المعروفة بالرومية فى شامى سور المدينة.

و أما دار بنت الحارث فلم أعلم محلها، و على ما ذكرناه فى دار أنس تكون فى محل الحديقة المعروفة بالرومية أو ما حولها. و دار بنت الحارث هذه لها ذكر فى أماكن كثيرة، و كان النبى صلّى اللّه عليه و سلّم ينزل بها الوفود، و جعل بها أسرى بنى قريظة حتى خندق لهم الخنادق بالسوق و قتلوا.

و روى ابن زبالة عن محمد بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قال: جاء النبى صلّى اللّه عليه و سلّم إلى نفر من أصحابه من قريش و الأنصار و هم فى دار بنت الحارث، فلما رأوه أوسعوا له- الحديث.

و بنت الحارث: اسمها رملة. و هذه الأسراب الثلاثة لا يعرف منها شىء اليوم.

و قد علا الكبس على كثير من البلاط، و لم يبق ظاهرا منه إلا ما حول المسجد النبوى و شىء من جهة بيوت الأشراف ولاة المدينة. و له بلاليع يجتمع الماء فيها، فإذا كثرت الأمطار تجتمع حول المسجد لامتلاء تلك البلاليع، فيصير أمام أبواب المسجد كالغدران الكبار، خصوصا فى شرقى المسجد، فحفر الشمس بن الزمن متولى العمارة الشريفة البلّاعة التى فى

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۵۱

شرقى المسجد و تتبع ما حولها، فوجد سربا تحت الأرض آخذا من شرقى المسجد إلى جهة زقاق المناصع، و تتبعه حتى وصل إلى الحوش المعروف اليوم بحوش الحسن، فوجد الناس قد بنوا هناك، و لم يتمكنوا من تتبعه إلا بهدم الأبنية فتركوه، و هذا هو السرب الذى تقدم أنه كان يخرج عند دار أنس بن مالك فى بنى جديلة.

ثم إن متولى العمارة حفر سربا لتلك البلاليع التى عند أبواب المسجد، و أوصلها بالسرب الذى يسير فيه وسخ العين؛ فحصل بذلك غاية النفع، و صار الماء لا يقف بعد ذلك بأبواب المسجد، و وجد البلاط الأول على أكثر من نصف قامة من الأرض فيما يلى الصاغة و سوق العطارين، و كذا فى شامى المسجد.

و أما الدور المطيفة بالبلاط الأعظم- و هو الآخذ من باب السلام إلى المصلى- ففى قبلة منازل بنى زريق، و سيأتى من كلام ابن شبة نقلا عن أبى غسان أن ذرع ما بين مسجد النبى صلّى اللّه عليه و سلّم الذى عنده دار مروان و بين المسجد الذى يصلى فيه العيد

بالمصلى ألف ذراع، و قد ذرعناه فكان كذلك، لكن الذى يظهر أن البلاط لم يكن متصلا بمسجد المصلى؛ لأنه ذكر أن نهايته دار ابن هشام، و لم تكن الدور متصلة بنفس المسجد.

بيان الدور المطيفة بالبلاط

فأول الدور المطيفة بهذا البلاط مما يلى المصلى فى ميسرته دار إبراهيم بن هشام المخزومى.

و فى ميمنته فى قبلتها جانحا إلى المغرب دار سعد بن أبى وقاص، و الطريق بينهما.

و دار سعد هذه قال ابن شبة: إنها هى التى فى دبر دار جبى، و لها فيها طريق مسلمة.

قال: و سمعت من يقول: كانتا دارا واحدة لسعد، و إن عمر بن الخطاب كان قاسمه إياها، و كانت دار جبى قسيمة هذه الدار حين قاسمه ماله مقدم سعد من العراق، فاشترى دار جبى عثمان بن عفان، ثم صارت لعمرو بن عثمان، و كانت جبى أرضعت عمرا فوهبها لها، فكانت بيدها، حتى سمعت نقيضا فى سقف بيتها فقالت لجاريتها: ما هذا؟ قالت:

السقف يسبح، قالت: ما سبح شىء قط إلا سجد! فخرجت، فاضطربت خباء بالمصلى، ثم باعت الدار من بعض ولد عمر بن الخطاب.

قال: و سمعت من يقول: إن عثمان نفسه أقطعها إياها.

ثم يليها فى ميمنة البلاط المذكور دار لسعد بن أبى وقاص أيضا، و كانت لأبى رافع مولى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم فناقله أبو رافع إلى داريه بالبقال، و كانتا دارا لسعد.

و فى ميسرة البلاط فى مقابلة هذه الدار دار لسعد أيضا، و الطريق بينهما عشرة أذرع، و دور سعد صدقة.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۵۲

و قد ذكر ابن شبة كتاب وقفها. و بقى من دوره دار أخرى قال ابن شبة: و اتخذ سعد أيضا دارا بالمصلى، بين دار عبد الحميد بن عبيد الكنانى و بين الزقاق الذى يسلك فى بنى كعب عند الحمارين، و فتح فى طائفة من أدنى داره بابا فى الزقاق، حتى صارت كأنها داران.

قلت: و سيأتى ذكر منازل بنى كعب، و ذكر الحمارين، و يعلم من مجموع ذلك أن زقاق الحمارين كان فى قبلة البيوت التى بالمصلى و البيوت التى فى قبلة البلاط ببين زريق.

ثم يلى دار سعد التى كانت لأبى رافع فى ميمنة البلاط المذكور دار آل خراش من بنى عامر ابن لؤى، و تعرف بدار نوفل بن مساحق بن عمرو العامرى و فى دبرها من جهة القبلة كتّاب عروة رجل من اليمن، كان يعلم. و فى كتاب عروة مسجد بنى زريق، و عنده دار رفاعة بن رافع. و دار آل خراش هذه هى التى عناها ابن شبة بقوله: و قال- يعنى أبا غسان-: و حدثنى عبد العزيز أن رافع بن مالك الزرقى قتل بأحد فدفن فى بنى زريق، قال: و قيل: إن موضع قبره اليوم فى دار آل نوفل بن مساحق التى فى بنى زريق فى كتاب عروة، و صارت للعباس بن محمد. ثم يلى دار آل خراش فى الميمنة أيضا دار الربيع التى يقال لها دار حفصة، و هى مولاة لمعاوية بن أبى سفيان، كانت تسكنها فنسبت إليها قبل، و كانت هذه الدار قطيعة من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم لعثمان بن أبى العاص الثقفى، فابتاعها من ولده معاوية بن أبى سفيان و كانت معها لعثمان أيضا دار آل خراش المتقدمة إلى جنبها، و يقال: إنه ابتناها فى قطيعة النبى صلّى اللّه عليه و سلّم إياه أيضا. و فى الميسرة فى شامى الدارين المذكورين مقابلا لهما دار نافع بن عتبة بن أبى وقاص التى ابتاعها الربيع مولى أمير المؤمنين من ولد نافع، و تعرف أيضا بدار الربيع. و فى دبر الدار المتقدمة التى يقال لها دار حفصة من القبلة دار عبد بن زمعة، قال ابن شبة: و اتخذ عبد بن زمعة داره التى فى كتاب عروة إلى حدها الشامى، فتكون دار حفصة بينها و بين البلاط بابها لازق فى كتاب عروة، أى فى غربيها. و فى قبلة دار عبد بن زمعة دار ابن مشنو، قال ابن شبة أيضا: و اتخذ عبد الرحمن بن مشنو داره التى فى كتاب عروة حدها من الشام دار عبد بن زمعة، و حدّها من المشرق كتاب إسحاق الأعرج بابها لاصق فى كتاب عروة أى فى

غربيها أيضا، و هى صدقة منه. و فى قبلة دار ابن مشنو دار عمار بن ياسر فإنها حد دار ابن مشنو من القبلة، قال ابن شبة: و اتخذ عمار ابن ياسر داره التى فى بنى زريق، و كانت من دور أم سلمة زوج النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، و بابها و جاه دار عبد الرحمن بن الحارث بن هشام أى الذى فى شرقيها، و كانت أم سلمة أعطته إياها، و لها خوخة شارعة فى كتاب عروة أى فى المغرب و هى خوخة عمار نفسه، انتهى؛ فهذه الدور الثلاثة مصطفة فى القبلة خلف دار حفصة المذكورة، و خلف الدار الآتية بعدها، و بينهن من

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۵۳

المغرب كتاب عروة و مسجد بنى زريق، و من المشرق زقاق دار عبد الرحمن بن الحارث الآتى ذكره.

و ذكر ابن شبة ما حاصله أن دار الأرقم بن أبى الأرقم المخزومى فى بنى زريق، فيما بين دار ابن أم كلاب الشارعة على المصلى إلى دار رفاعة بن رافع الأنصارى قبالة مسجد بنى زريق.

ثم يلى دار الربيع التى يقال لها دار حفصة فى ميمنة البلاط دار أبى هريرة رضى الله تعالى عنه. ثم يليها فى الميمنة أيضا زقاق دار عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، و داره هى التى تقدم أنها تقابل دار عمار بن ياسر فى الشرق، و بينها و بين البلاط الداران الآتى ذكرهما، و هذا الزقاق سيأتى له ذكر فى رجوعه صلّى اللّه عليه و سلّم من صلاة العيد.

و كذا دار أبى هريرة هذه، قال ابن شبة: اتخذ أبو هريرة الدوسى دارا بالبلاط بين الزقاق الذى فيه دار عبد الرحمن بن الحارث بن هشام و بين خط البلاط الأعظم، فباعها ولده من عمر بن بزيع.

و الذى ظهر لى بعد التأمل فيما ذكره ابن شبة فى هذه الدور- بقرينة ما سنذكره إن شاء اللّه تعالى- أن زقاق عبد الرحمن بن الحارث هو أول زقاق يلقاك عن يمينك إذا دخلت من باب المدينة اليوم تريد المسجد، و ظهر لى أيضا أن دار هشام و الدار الثانية التى تليها فى الميسرة و بعض الثالثة كنّ من خارج سور المدينة، و كذلك ما يقابل ذلك فى الميمنة من دارى سعد و بعض دار آل خراش.

ثم يلى زقاق عبد الرحمن بن الحارث فى ميمنة البلاط دار عبد اللّه بن عوف. ثم يليها فى الميمنة زقاق أبى أمية بن المغيرة، قال ابن شبة فى دور بنى زهرة: و اتخذ عبد اللّه بن عوف ابن عبد عوف دارا بالبلاط بين زقاق دار عبد الرحمن بن الحارث بن هشام و بين زقاق دار أبى أمية بن المغيرة، و يقال لها: دار طلحة بن عبد اللّه بن عوف؛ فهى صدقة بأيدى ولده إلا شيئا خرج منها صار لبكار بن عبد اللّه بن مصعب الزبيرى. و يلى دار أبى أمية التى نسب إليها الزقاق المذكور فى قبلتها دار الحويطب بن عبد العزى بينها و بين دار سعيد بن عمرو بن نفيل، و هما شارعتان فى خط الحمارين الشارع إلى دار ابن عتبة ببنى زريق شرقى دار أبى أمية، و فى شرقيها أيضا دار صهيب بن سنان، و كانت لأم سلمة رضى اللّه تعالى عنها، و كل هذه الدور فى بنى زريق.

و لنرجع إلى جهة الميسرة فنقول: و فى الميسرة فى مقابلة دار أبى هريرة و بعض التى قبلها دار حويطب بن عبد العزى، و هى غير داره السابقة، و تلك ليست فى البلاط كما قدمناه، قال ابن شبة فى دور بنى عامر بن لؤى: و اتخذ حويطب بن عبد العزى داره التى بين دار

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۵۴

عامر ابن أبى وقاص و عتبة بن أبى وقاص، بالبلاط منها البيت الشارع على خاتمة البلاط بين الزقاق الذى إلى دار آمنة بنت سعد و بين دار الربيع مولى أمير المؤمنين، و هى صدقة منه على ولده، انتهى. و لم يذكر لعتبة بن أبى وقاص دارا بالمدينة. و الذى انتقل إلى المدينة و اتخذ بها الدار إنما هو ابنه نافع، و داره هى المتقدم ذكرها التى صارت للربيع؛ فهى المرادة.

و قال فى بيان دار عامر بن أبى وقاص الزهرى: و اتخذ عامر بن أبى وقاص داره التى فى زقاق حلوة بين دار حويطب بن عبد العزى و بين خط الزقاق الذى فيه دار آمنة بنت سعد بن أبى سرح، انتهى.

فيتلخص من ذلك أن دار حويطب المذكورة فى شرقى دار الربيع المتقدمة فى الميسرة و إلى جانبها خاتمة البلاط، و هو اليوم الزقاق الذى بين سور المدينة و بين البيوت المقابلة له و لمشهد سيدنا مالك بن سنان على يسارك عند ما تدخل من باب المدينة، و أن من دار حويطب بيتا خلفها من جهة جانبها الغربى شارعا على خاتمة البلاط المذكورة، و خلفه من جهة الشام الزقاق الذى فيه دار آمنة، و

تكون دار عامر بن أبى وقاص خلف دار حويطب من جهة جانبها الشرقى، و يكون زقاق حلوة فى شرقيهما، و لعله المعروف اليوم بزقاق الطول؛ لانطباق الوصف المذكور عليه، و سيأتى لزقاق حلوة ذكر فى الآبار.

ثم فى الميسرة أيضا دار عبد اللّه بن مخرمة قال ابن شبة فى دور بنى عامر بن لؤى:

اتخذ عبد اللّه بن مخرمة داره التى فى البلاط الشارع بابها قبالة دار عبد اللّه بن عوف التى فيها بنو نوفل بن مساحق بن عبد اللّه بن مخرمة، و خرج عنهم بعضها فهو فى يد ورثة عمر بن بزيع مولى أمير المؤمنين.

و لنرجع إلى جهة الميمنة فنقول: ثم إلى زقاق دار أبى أمية فى الميمنة من شرقيه دار خالد بن سعيد الأكبر بن العاص التى يقال لها دار سعيد بن العاص الأصغر بن سعيد بن العاص، و يقال لها دار ابن عتبة، و إنما ورثها عبد اللّه بن عتبة عن عمه خالد بن سعيد.

و يقابلها فى الميسرة دار أم خالد التى لآل خالد بن الزبير بن العوام، ورثوها عن أمهم أم خالد بن سعيد بن العاص، و قيل: إنهما قطيعة من النبى صلّى اللّه عليه و سلّم. ثم يلى دار خالد بن سعيد فى الميمنة دار أبى الجهم، ثم دار نوفل بن عدى، ثم دار آل المنكدر التّيمى. قال ابن شبة فى دور بنى عدى: و اتخذ أبو الجهم داره التى بين دار سعيد بن العاص التى يقال لها دار ابن عتبة و بين دار نوفل بن عدى بابها شارع فى البلاط.

قلت: و هذه الدار هى المرادة بما رواه مالك فى الموطأ عن عمه أبى سهل بن مالك بن أبى عامر عن أبيه: كنا نسمع قراءة عمر بن الخطاب و نحن عند دار أبى جهم بالبلاط، و كذا بما رواه البيهقى عن موسى بن عقبة أن رجال بنى قريظة قتلوا عند دار أبى جهم التى

بالبلاط، و لم يكن يومئذ بلاط، فزعموا أن دماءهم بلغت أحجار الزيت التى كانت بالسوق.

و قال ابن شبة فى دور بنى أسد: و اتخذ نوفل بن عدى بن أبى حبيش دارين: إحداهما التى بالبلاط عند أصحاب الرباع بين دار المنكدر التيمى و بين دار آل أبى جهم العدويين، و الدار الأخرى فى بنى زريق و جاه الكتاب الذى يقال له كتاب آل زيان بين منزل أبى بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام الذى صار لبنى عبيد بن عبد اللّه بن الزبير و بين حد الزقاق الذى عند الحمارين، دبرهما دار هانئ التى بأيدى آل جبر، انتهى.

و هذه الأمور التى ذكرها فى الدار الثانية حول ما خلف دار سعيد بن العاص المسماة دار ابن عتبة من جهة القبلة، و الزقاق الذى ذكره هناك عند الحمارين يمتد فى المغرب إلى المصلّى فى قبلة دور سعد بن أبى وقاص.

و قد ذكر ابن شبة أيضا أن دار رويشد الثقفى التى يقال لها القمقم فى كتاب ابن زيان هى التى حرّقها عليه عمر بن الخطاب فى الشراب، و كان رويشد حمارا، و فى غربى هذه الدار أدنى دار على بن عبد اللّه بن أبى فروة، و شرقيها الطريق بينها و بين بيوت آل مصبح، و يمانيها دار الأويسيين التى لسكن خالد بن عبد اللّه الأويسى، و شاميها قبلة بيوت آل مصبح التى بينها و بين دار موسى بن عيسى، و بيوت آل مصبح ذكرها فى دور بنى عامر ابن لؤى فقال: و اتخذ ابن أم مكتوم دارا هى البيوت التى للمصبحين بين دار آل زمعة بن الأسود و بين شرقى القمقم، انتهى. و هذه الأمور أيضا حول الدور المتقدمة فى بنى زريق.

و قوله فى دار نوفل الأولى و هى المقصودة لأنها التى فى ميمنة البلاط و أنها عند أصحاب الرباع، لم أعلم المراد به، غير أن فى طبقات ابن سعد أن دار حويطب بن عبد العزى المتقدم ذكرها فى الميسرة عند أصحاب المصاحف، فإنه قال فى ترجمته: و له دار بالبلاط عند أصحاب المصاحف، فلعل المراد بالرباع المصاحف؛ لأن المصحف يسمى ربعة؛ فيستفاد منه أن هذه الناحية من البلاط ميمنة و ميسرة تسمى بذلك، لكن قال ابن شبة فى دور العباس بن عبد المطلب ما لفظه: و قد سمعت من يذكر أن دار فضالة بن الحكم بن أبى العاص التى بالبلاط الخربة التى عند أصحاب الرباع على يمين من سلك إلى بنى جديلة كانت مربدا للعباس رضى اللّه عنه، و يقال: إنها كانت مربدا لنعم الصدقة، انتهى.

و هو يقتضى أن أصحاب الرباع ليسوا فى البلاط الأعظم، لأنه ليس فيه مسلك إلى بنى جديلة، و إنما يتوصل منه إلى بنى جديلة بعد إتيان البلاط الآخر الذى هو موضع سوق المدينة اليوم عند درج العين، و قد تقدم أن ذلك يسمى بموضع الفاكهة، و اللّه أعلم.

هذا ما علمته من الدور التى بهذا البلاط، و فى الاقتصار عليها كفاية؛ لأن المقصود

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۵۶

المهم لنا من ذلك ما يتعلق ببيان مسجد بنى زريق، و بطريق النبى صلّى اللّه عليه و سلّم فى ذهابه إلى المصلى و رجوعه منها كما سيظهر لك.

و أما البلاط الممتد فى المغرب إلى سوق المدينة القديم فكان عند خاتمة دار العباس بن عبد المطلب رضى اللّه عنه كما تقدم.

و قال ابن شبة فى دور العباس: و منها الدار التى بالزوراء سوق المدينة عند أحجار الزيت، أقطعها له عمر بن الخطاب، قال: و قد بلغنى أن دار طلحة بن عمر بالبلاط كانت مربدا لدار العباس هذه، فابتاعها عمر من بعض بنيه. و يقوى ذلك أن المنصور أبا جعفر ابتاع تلك الدار من ولد طلحة بن عمر بأربعين ألف دينار.

ثم ذكر للعباس دارا أخرى ليست فى البلاط، لكنها فى شامى هذه الدار، فقال:

و منها الدار التى إلى جنب دار آل قارط حلفاء بنى زهرة، بينها و بين خطة بنى ضمرة، و هى التى كان عبد اللّه بن عباس يسكن و جعلت المحررة هناك لطعام كان ابن عباس يطعمه.

قلت: و إنما ذكرنا هاتين الدارين لما سيأتى من ذكرهما فى الدار التى أخذ بها هشام بن عبد الملك سوق المدينة.

و يستفاد مما سيأتى فى ترجمة أحجار الزيت أن دار العباس التى عند خاتمة البلاط المذكور كانت بقرب مشهد سيدنا مالك بن سنان فى شرقيه، و سيأتى أنه دفن عند مسجد أصحاب العباء، أى: الذين يبيعون العبى، و هنا لك كانت أحجار الزيت.

الفصل السادس و الثلاثون فيما جاء فى سوق المدينة التى تصدق به النبى صلّى اللّه عليه و سلّم على المسلمين، و ذكر دار هشام بن عبد الملك التى أخذ بها السوق

الرسول ينشئ السوق

روى عمر بن شبة عن عطاء بن يسار قال: لما أراد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم أن يجعل للمدينة سوقا أتى سوق بنى قينقاع، ثم جاء سوق المدينة فضربه برجله و قال: هذا سوقكم؛ فلا يضيق، و لا يؤخذ فيه خراج.

و روى ابن زبالة عن يزيد بن عبيد اللّه بن قسيط أن السوق كانت فى بنى قينقاع حتى حول السوق بعد ذلك.

أسواق المدينة فى الجاهلية

و قال ابن شبة: قال أبو غسان: و كان بالمدينة فى الجاهلية سوق بزبالة من الناحية التى تدعى يثرب، و سوق بالجسر فى بنى قينقاع، و بالصفاصف بالعصبة سوق، و سوق يقوم فى

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۵۷

موضع زقاق ابن حيين كانت تقوم فى الجاهلية و أول الإسلام، و كان يقال لذلك الموضع:

مزاحم.

و روى ابن شبة أيضا عن صالح بن كيسان قال: ضرب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم قبة فى موضع بقيع الزبير فقال: هذا سوقكم. فأقبل كعب بن الأشرف فدخلها و قطع أطنابها، فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم: لا جرم لأنقلنّها إلى موضع هو أغيظ له من هذا،

فنقلها إلى موضع سوق المدينة، ثم قال: هذا سوقكم، لا تتحجروا، و لا يضرب عليه الخراج.

و عن أبى أسيد أن رجلا جاء إلى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم فقال: يا رسول اللّه إنى قد رأيت موضعا للسوق، أ فلا تنظر إليه؟ قال: فجاء به إلى موضع سوق المدينة اليوم- أى فى زمنهم- قال:

فضرب النبى صلّى اللّه عليه و سلّم برجله و قال: هذا سوقكم؛ فلا ينقص منه، و لا يضربن عليه خراج.

و روى ابن زبالة عن عباس بن سهل عن أبيه أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم أتى بنى ساعدة فقال: إنى قد جئتكم فى حاجة تعطونى مكان مقابركم فأجعلها سوقا، و كانت مقابرهم ما حازت دار ابن أبى ذئب إلى دار زيد بن ثابت، فأعطاه بعض القوم، و منعه بعضهم، و قالوا: مقابرنا و مخرج نسائنا، ثم تلاوموا فلحقوه و أعطوه إياه، فجعله سوقا.

قلت: و سيأتى ما يبين أن دار ابن أبى ذئب و دار زيد بن ثابت كانتا فى شرقى السوق، الأولى عند أثنائه مما يلى الشام، و الثانية عند أثنائه مما يلى القبلة؛ فليست المقابر المذكورة سوق المدينة كله، بل بعضه. و قد قدمنا فى منازل بنى ساعدة أن ابن زبالة نقل أن عرض سوق المدينة ما بين المصلى إلى جرار سعد، و هى جرار كان يسقى الناس فيها الماء بعد موت أمه، و قدمنا أن الذى يترجح أن المصلى حده من جهة القبلة، و أن جرار سعد حده من جهة الشام؛ فتكون جرار سعد قرب ثنية الوداع، و قد قوى الآن ذلك عندى جدّا، لما سيأتى فى ذكر دار هشام.

و روى ابن شبة أيضا و ابن زبالة عن محمد بن عبد اللّه بن حسن أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم تصدق على المسلمين بأسواقهم.

و روى ابن زبالة عن خالد بن الياس العدوى قال: قرئ علينا كتاب عمر بن عبد العزيز بالمدينة: إنما السوق صدقة فلا يضربن على أحد فيه كراء.

و عن ابن أبى ذئب أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم مرّ على خيمة عند موضع دار المنبعث فقال: ما هذه الخيمة؟ فقالوا: خيمة لرجل من بنى حارثة كان يبيع فيها التمر، فقال: حرقوها، فحرقت. قال ابن أبى ذئب: و بلغنى أن الرجل محمد بن مسلمة.

و روى ابن شبة عن أبى مردود عبد العزيز بن سليمان أن عمر بن الخطاب رأى كير حداد فى السوق، فضربه برجله حتى هدمه، و قال: أ تنتقص سوق رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم؟

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۵۸

و روى ابن زبالة عن حاتم بن إسماعيل عن حبيب قال: مر عمر بن الخطاب على باب معمر بالسوق، و قد وضع على بابه جرة، فأمر بها أن تقلع، فخرج إليه معمر فقال: إنما هذه جرة يسقى فيها الغلام الناس، قال: فنهاه عمر أن يحجر عليها أو يحوزها. قال: فلم يلبث أن مر عليها و قد ظلل عليها، فأمر عمر بالجرة و الظل فنزعهما.

و عن عبد اللّه بن محمد قال: كان الراكب ينزل بسوق المدينة فيضع رحله، ثم يطوف بالسوق و رحله بعينه يبصره، لا يغيبه عنه شىء.

و روى أيضا قصة أخذ معاوية رضى اللّه تعالى عنه لدار النقصان من صحن سوق المدينة.

و روى أيضا عن محمد بن طلحة و غيره قال: أحدث إبراهيم بن هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة فى سلطان هشام بن عبد الملك، و هو يومئذ وال له على المدينة، دارا أخذ بها سوق المدينة، و سدّ بها وجوه الدور الشوارع فى السوق، و كتب إلى هشام يذكر له عليها و عظيم قدرها، فكتب إليه هشام يأمره بإمضائها و إمضاء عين السوق، و كان أحدثها فى سكك أهل المدينة، و دخلت فى بعض منازلهم، فكتب إليه أن أمضها و إن كانت فى بطونهم.

قلت: و نقل ابن شبة عن أبى غسان أنه قال: كان الذى هاج هشام بن عبد الملك على بناء داره التى كانت بالسوق أن إبراهيم بن هشام بن إسماعيل كان خال هشام بن عبد الملك، و كان ولاه المدينة، فكتب إليه إبراهيم، فذكر أن معاوية بن أبى سفيان بنى دارين بسوق المدينة يقال لإحداهما دار القطران و الأخرى دار النقصان، و ضرب عليهما الخراج، و أشار عليه أن يا بنى دارا يدخل فيها سوق المدينة، فقبل ذلك هشام، و بناها، و أخذ بها السوق كله، انتهى.

و قال ابن زبالة عقب ما تقدم: فابتدأ الدار من خاتمة البلاط أى الذى عند دار العباس بالزوراء بقرب مشهد مالك بن سنان رضى اللّه عنه، فيكون هذا الجدار فى شرقى السوق، و هذا أول الجدار المذكور مما يلى القبلة، و ما سيأتى فيه دال على أنه استمر يمده إلى جهة الشام، و ليس ابتداء هذا الجدار من القبلة أول السوق لما سيأتى، بل بقى منه بقية فى جهة القبلة إلى المصلى سيأتى ذكرها.

قال ابن زبالة عقب ذكره لابتداء الدار من خاتمة البلاط: فمضى بها حتى سد بها وجه دار العباس بن عبد المطلب، أى التى عند خاتمة البلاط و دار نخلة، و كانت لآل شيبة بن ربيعة، و إنما سميت دار نخلة لنخلة كانت فيها. ثم دار معمر العدوى التى كان يجلس صاحب السوق بفنائها. ثم دار خالد بن عقبة التى بفنائها أصحاب الرقيق.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۵۹

و جعل لبنى ساعدة طريقا مبوبة، ثم أخذ وجه دار ابن جحش. ثم وجه دار ابن أبى فروة التى كانت لعمر بن طلحة بن عبيد الله، ثم وجد دار ابن مسعود، ثم وجه دار زيد بن ثابت، و جعل للطريق منفذا مبوبا. ثم وجه دار جبير بن مطعم التى فيها أصحاب العباء.

ثم وجه دار القارظيين. ثم وجه دار العباس بن عبد المطلب، أى الثانية التى كان عبد اللّه بن عباس يسكنها، و جعل لبنى ضمرة طريقا مبوبا. ثم وجه دار ابن أبى ذئب. ثم دار آل شويفع. ثم صدقة الزبير، و جعل لبنى الديل طريقا مبوبا.

قلت: و هذا الطريق عند نهاية هذا الجدار الشرقى مما يلى الشام قرب ثنية الوداع، و الطرق المذكورة قبله كلها فى الجدار المذكور خططها فى المشرق.

ثم بين ابن زبالة ما يقابل هذا الجدار فى المغرب مبتدئا بما يقابله من جهة القبلة، ثم إلى الشام فقال عقب ما تقدم:

ثم أخذ بها من الشق الآخر، فأخذ وجه الزوراء و وجه دار ابن نصلة الكنانى. ثم على الطاقات حتى ورد بها خيام بنى غفار، و جعل لمخرج بنى سلمة من زقاق ابن جبير بابا مبوبا عظيما يغلق. ثم مضى بها على دار النقصان و دار نويرة، و جعل لسكة أسلم بابا مبوبا. ثم مضى بها على دار ابن أزهر و دار ابن شهاب و دار نوفل بن الحارث حتى جاوز بها دار حجارة، و كانت لعبيد اللّه بن عباس بن عبد المطلب، حتى إذا جاوز بها دار حجارة جعل لها بابا عظيما يقابل الثنية.

قلت: يعنى ثنية الوداع، و هذا الباب فى جهة الشام كما صرح به ابن شبة فقال، عقب ما تقدم: و جعل لها بابا شاميا خلف شامى زاوية دار عمر بن عبد العزيز بالثنية. ثم جعل بينها و بين دار عمر بن عبد العزيز عرضا ثلاثة أذرع، ثم وضع جدارا آخر وجاه هذا الجدار. ثم قاد الأساس بينه و بين الدور كلها ثلاثة أذرع حتى الزقاق الذى يقال له زقاق ابن جبير، جعل عليه بابا، و جعل على الزقاق الذى يقال له زقاق بنى ضمرة عند دار آل أبى ذئب بابا. ثم جعل على الزوراء خاتم البلاط أى بابا؛ فيستفاد منه جعل باب هناك، و ليس فى كلام ابن زبالة تعرض له.

ثم إن ابن زبالة ذكر ما بقى من شقى الدار الغربى و الشرقى مما يلى القبلة إلى المصلى، فقال عقب كلامه السابق: ثم ساقها من الشقين جميعا الغربى و الشرقى فسد بها وجوه الدور، و أخذ بها السوق فسد بها من الشق الشرقى وجه دار قطران، و كانت من دور معاوية. ثم وجه دار ابن جودان و تلك الدور.

و من الشق الغربى دار حجارة لكثير بن الصلت، و كانت قبله لربيعة بن دراج الجمحى.

ثم وجه الربعة التى فيها دار آل أبى عثمان حلفاء أزهر بن عبد عوف. ثم جعل للسكة

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۶۰

منفذا. ثم وجه دار التمارين، و كانت لمعاوية بن أبى سفيان، و قبله لسعيد بن عبد الرحمن بن يربوع.

فلما بلغ ابن هشام بالدار التمارين وقف، و جعل لها هنالك بابا عظيما يقابل المصلى.

و قال ابن شبة عقب قوله فيما تقدم «و جعل على الزوراء خاتم البلاط» ما لفظه: ثم مد الجدار حتى جاء به على طيقان دار القطران الأخرى الغربى، حتى جاء بها إلى دار ابن سباع بالمصلى التى هى اليوم لخالصة، فوضع ثم بابا أى بالمصلى.

قال: ثم بنى ذلك بيوتا؛ فجعل فيه الأسواق كلها، فكان الذى ولى ابن هشام أى على بنائها سعد بن عبد الرحمن الزرقى من الأنصار، فتم بناؤها إلا شيئا من بابها الذى بالمصلى.

و نقلت أبوابها إليها معمولة من الشام، و أكثرها من البلقاء، انتهى.

و قال ابن زبالة عقب كلامه السابق: و فعل ذلك فى بقيع الزبير، و ضرب عليه طاقات، و أكراها، و سد بها وجوه دورهم، و جعل للسكك منفذا يغلق.

قلت: و مراده أنه جعل فى فضاء بقيع الزبير دارا كدار السوق، و لا يتوهم من ذلك أن بقيع الزبير من جملة السوق؛ لما سيأتى فى ترجمته.

قال ابن زبالة: و جعل لدار السوق حوانيت فى أسفلها، و علالى تكرى للسكن، و حملت أبوابها من البلقاء، فمنها بقية بالمدينة مكتوب فيها البلقاء.

هدم الدار التى وضعت مكان السوق

قال: فبينا الناس لا يدرون بموت هشام إلى أن جاء ابن المكرم الثقفى من الشام بريدا بموته رسولا للوليد بن يزيد، و يبشرهم بالعطاء، فصاح حين دخل الثنية: ألا إن هشاما الأحول قد مات، فوثب الناس على الدار فهدموها، و على عين السوق فقطعوها.

و عبارة ابن شبة: فلم تزل- أى تلك الدار- على ذلك حياة هشام بن عبد الملك، و فيها التجار، فيؤخذ منهم الكراء، حتى توفى هشام، فقدم بوفاته ابن مكرم الثقفى، فلما أشرف على رأس ثنية الوداع صاح: مات الأحول، و استخلف أمير المؤمنين الوليد بن يزيد، فلما دخل دار هشام تلك صاح به الناس: ما تقول فى الدار؟ قال: اهدموها، فوقع الناس فهدموها، و انتهبت أبوابها و خشبها و جريدها، فلم يمض ثالثة حتى وضعت إلى الأرض.

فقال أبو معروف أحد بنى عمرو بن تميم:

ما كان فى هدم دار السوق إذ هدمت سوق المدينة من ظلم و لا حيف

قام الرجال عليها يضربون معا ضربا يفرق بين السور و التحف

ينحطّ منها و يهوى من مناكبها صخر تقلب فى الأسواق كالخلف

و ذكر ابن زبالة هذه الأبيات عن أبى معروف، إلا أنه زاد قبلها ثلاثة أخرى فقال:

و قال أبو معروف:

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۶۱

قل للوليد أبى العبّاس قد جمعت أيمان قومك بالتسليم فى الصحف

ما زلت ترمى و يرمى الناس عن هدف حتى وضعت نصال النبل فى الهدف

أعطاك ربّك طوعا من قلوبهم نصحا تبين قبل الظن و الحلف

ما كان فى هدم دار السوق إذ هدمت الأبيات المتقدمة

بيت أم كلاب

و روى ابن زبالة من طريق جعفر بن محمد عن أبيه قال: أمر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم برواية الخمر التى أهدى له الدوسى فأهريقت بالسوق عند بيت أم كلاب حيث يهراق الشراب اليوم، و سيأتى فى ترجمة أحجار الزيت قول ابن أبى فديك: أدركت

أحجار الزيت ثلاثة مواجهة بيت ابن أم كلاب، و هو اليوم يعرف ببيت بنى أسد، انتهى، و كأنه غير بيت ابن أم كلاب الذى له ذكر فى بنى زريق، فهذا السوق هو المراد بما ورد من أنه صلّى اللّه عليه و سلّم خرج بأسرى بنى قريظة إلى سوق المدينة فخندق بها خنادق، ثم ضرب أعناقهم فى تلك الخنادق، و يظهر مما قدمناه و مما سيأتى فى ترجمة الزوراء أن مقدم سوق المدينة مما يلى خاتمة البلاط و ما حول ذلك كان يسمى بالزوراء.

البطحاء

و روى ابن شبة عن بعضهم أنه قال: أدركت سوقا بالزوراء يقال له سوق الحرص، كان الناس ينزلون إليها بدرج.

قلت: و رأيت فى الأم للشافعى رضى اللّه تعالى عنه ما يقتضى تسمية سوق المدينة بالبطحاء؛ فإنه روى عن جعفر بن محمد عن أبيه قال: كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم يخطب يوم الجمعة، و كان لهم سوق يقال لها البطحاء، كانت بنو سليم يجلبون إليها الخيل و الإبل و الغنم و السمن، فقدموا فخرج إليهم الناس- الحديث.

بقيع الخيل

و روى ابن شبة من طريق عروة عن عائشة رضى اللّه عنها قالت فى حديث ساقه:

كان يقال لسوق المدينة بقيع الخيل، و هذا الحديث تقدم من رواية ابن زبالة فى ذكر دعائه صلّى اللّه عليه و سلّم للمدينة و سؤاله نقل و بائها، و فيه: ثم عمد إلى بقيع الخيل- و هو سوق المدينة- فقام فيه و وجهه إلى القبلة، فرفع يديه إلى اللّه فقال: اللهم حبّب إلينا المدينة- الحديث.

و البقيع هنا بالموحدة التحتية؛ فهو المراد بقول ابن عمر فى حديثه الذى رواه الأربعة و الحاكم: إنى أبيع الإبل بالبقيع بالدنانير، و آخذ مكانها الدراهم- الحديث و لما خفى هذا على كثير من الناس قال بعضهم: إن الظاهر أن المراد النقيع بالنون أى حمى النقيع، قال: لأنه أشبه بالبيع من البقيع الذى هو مدفن، و قال النووى: ليس كما قال، بل هو بقيع الغرقد-

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۶۲

بالباء- و لم يكن ذلك الوقت كثرت فيه القبور، انتهى، و لم يذكر أحد من مؤرخى المدينة أنه كان ببقيع الغرقد سوق، مع اعتنائهم بذكر أسواق المدينة فى الجاهلية و الإسلام؛ فالمعتمد ما قدمناه، و المسمى بالبقيع هنا ما يلى المصلى من سوق المدينة، و يسمى بقيع المصلى أيضا كما سيأتى، و لهذا روى أحمد و الطبرانى عن أبى بردة بن نيار قال: انطلقنا مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم إلى بقيع المصلى فأدخل يده فى طعام ثم أخرجها فإذا هو مغشوش، أو مختلف، فقال: ليس منا من غشنا، و رواه الطبرانى أيضا عن أبى موسى قال: انطلقت مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم إلى سوق البقيع، فأدخل يده فى غرارة، فأخرج طعاما- الحديث، فعبر عن بقيع المصلى بسوق البقيع.

و روى ابن زبالة أيضا فى ذكر سوق المدينة عن محمد بن طلحة قال: رأيت عثمان بن عبد الرحمن و إسماعيل بن أمية بن عمرو بن سعيد و محمد بن المنكدر، و زيد بن حصفة يقومون بفناء بركة السوق اليوم قبل أن تكون، يقومون مستقبلين فسألت عثمان بن عبد الرحمن عن ذلك، فقال: قد اختلف علينا فى ذلك؛ فقائل يقول: كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم يدعو هنالك، و قائل يقول: كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم يقول هنالك فينظر الناس، إذا انصرفوا من العيد، قال: و كان عامر بن عبد اللّه بن الزبير يقف عند التبانين فيدعو، و سيأتى فى ذكر المصلى ما رواه الشافعى فى الأم من طريق عبد الرحمن التيمى عن أبيه عن جده أنه رأى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم رجع من المصلى يوم عيد فسلك على التمارين من أسفل السوق، حتى إذا كان عند مسجد المصلى الذى هو عند

موضع الدار التى بالسوق قام فاستقبل فجّ أسلم فدعا ثم انصرف.

بركة السوق

قلت: و هذا بين أن بركة السوق فى شامى فج أسلم، و سيأتى فى منازل أسلم ما يبين أن منازلهم فى شامى الثنية التى عليها حصن أمير المدينة اليوم، و تقدم فى ذكر دار السوق حيث قال فيها فى جهة المغرب: و جعل لسكة أسلم بابا ما يبين ذلك، و حينئذ فبركة السوق هى المنهل الذى ينزل إليه بالدرج عند مشهد النفس الزكية من عين المدينة على يسار المار إلى ثنية الوداع، و فى كلام ابن زبالة ما يومئ أن الذى أحدث العين هناك إنما هو إبراهيم بن هشام، و سيأتى فى ترجمة أحجار الزيت أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم استسقى عند أحجار الزيت قريبا من الزوراء، و اللّه أعلم.

و روى ابن شبة عن أبى هريرة أنه كان يقول: لا يذهب الليل و النهار حتى يخسف برجل بصحن هذا السوق، قال ابن أبى فديك: و كنت أسمع من المشايخ أنه قال و الله أعلم: إن ذلك يكون على باب بيت البراذين، و يقال: هو بفناء دار ابن مسعود.

و عن عبد الرحمن بن الحارث بن عبيد عن جده قال: خرجت مع أبى هريرة حتى إذا

كنا عند دار ابن مسعود قال: يا أبا الحارث، إن حبى أبا القاسم صلّى اللّه عليه و سلّم أخبرنى أنه رب يمين بهذه البقعة لا يصعد إلى الله، قال: قلت له: أنّى ذلك يا أبا هريرة؟ قال: أما أنى أشهد ما كذبت، قلت: و أنا أشهد.

و روى ابن زبالة عن عبد الرحمن بن يعقوب أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم جاء السوق فرأى حنطة مصبرة فأدخل يده فيها، فناله بلل فى جوفها، فقال: ما هذا؟ لصاحب الطعام، قال:

أصابنى مطر فهو هذا البلل الذى ترى، قال: أ لا جعلته على رأس الطعام حتى يراه الناس؟

من غش فليس منى، من غش فليس منى، و أصل الحديث رواه أبو داود و غيره، و لفظه:

أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم مرّ برجل يبيع طعاما، فسأله كيف تبيع؟ فأخبره فأوحى إليه أن أدخل يدك فيه، فأدخل يده فإذا هو مبلول، فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم: ليس منا من غش.

و عن ابن المغيرة قال: مر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم برجل يبيع طعاما فى السوق بسعر هو أرفع من سعر السوق، فقال: تبيع فى سوقنا بسعر هو أرفع من سعرنا؟ قال: نعم يا رسول الله، قال: صبرا و احتسابا؟ قال: نعم يا رسول الله، قال: أبشروا فإن الجالب إلى سوقنا كالمجاهد فى سبيل الله، و إن المحتكر فى سوقنا كالملحد فى كتاب الله.

قلت: و قوله «بسعر هو أرفع» أى بزيادة فى المسعر و هو المبيع، و يدل لذلك ما رواه ابن شبة عن ابن عبد الرحمن بن حاطب بن أبى بلتعة قال: كان أبى و عثمان بن عفان شريكين يجلبان التمر من العالية إلى السوق، فمر بهم عمر بن الخطاب، فضرب الغرارة برجله و قال: يا ابن أبى بلتعة زد فى السعر و إلا فاخرج من سوقنا.

و روى ابن زبالة عن القاسم بن محمد أن عمر بن الخطاب مر بحاطب بن أبى بلتعة و هو بسوق المصلى و بين يديه غرارتان فيهما زبيب، فسأله عن سعره، فسعّر له مدّين بدرهم، فقال عمر: قد حدثت بعير مقبلة من الطائف تحمل زبيبا و هم إذا وضعوا إلى جنبك غدا اعتبروا بسعرك، فإما أن ترفع فى السعر، و إما أن تدخل زبيبك فى البيت فتبيعه كيف شئت، فلما رجع عمر حاسب نفسه فى الظهر، ثم خرج فأتى حاطبا فى منزله فقال: إن الذى قلت لك ليس بعزيمة منى و لا قضاء، و إنما هو شىء أردت به الخير فحيث شئت فبع.

الفصل السابع و الثلاثون فى منازل القبائل من المهاجرين، ثم اتخاذ السور على المدينة

منازل بنى غفار

قال عمر بن شبة: نزل بنو غفار بن مليل بن ضمرة بن بكر بن عبد مناف بن كنانة القطيعة التى قطع لهم النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، و هى ما بين دار كثير بن الصلت التى تعرف بدار الحجارة

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۶۴

السوق إلى زقاق ابن جبين إلى دار أبى سبرة إلى منازل آل الماجشون بن أبى سلة، و بهذه الخطة مسجد بنى غفار صلّى فيه النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و هو خارج من منزل أبى رهم بن الحصين الغفارى.

قلت: و دار كثير بن الصلت هذه تقدم بيانها فى غربى السوق مما يلى القبلة شامى المصلى، و أما زقاق ابن حبين، ففى غربى السوق أيضا مما يلى الشام بالقرب من حصن أمير المدينة، و ابن حبين كان مولى للعباس بن عبد المطلب. و أما دار أبى سبرة فلم أعرفها؛ فالظاهر أنها كانت فى جهة غربى سوق التمارين. و أما منازل آل الماجشون، فذكر هو فى موضع آخر أنها فى زقاق الجلادين، و سيأتى فى منازل بنى كعب أنه شارع على المصلى، و اللّه سبحانه و تعالى أعلم.

و اتخذ سباع بن عرفطة الغفارى خطة بالمصلى و هى الدار التى يقال لها دار عبد الملك بن مروان بالمصلى وجهها شارع قبالة الحجامين.

قلت: و ذلك فى شامى المصلى مما يلى السوق و المغرب لأن ابن شبة قال: إن أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب اتخذ دارا بالمصلى فى موضع الحجامين، ثم ابتاعها معاوية، فزادها فى مصلى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، ثم أدخلها بعد هشام بن عبد الملك فى داره التى أخذ بها السوق ثم هدمت.

و نزل سائر بنى غفار محلتهم و هى السائلة من جبل جهينة إلى بطحان و ما بين خط دار كثير بن الصلت ببطحان إلى بنى غفار؛ فنزلت بنو غفار منزلهم من خط دار كثير بن الصلت إلى أن يفضى إلى جهينة.

قلت: و جبل جهينة لم أعرفه، فإما أن يكون أراد به ما يلى جبيل سلع فى مقابلة المصلى و نسبه إلى جهينة لنزولهم عنده، و هناك سائلة تسيل من سلع إذا حصل المطر، و إما أن يكون أراد به أحد الجبلين اللذين فى غربى مساجد الفتح لما سيأتى فى منازل جهينة. و أما دار كثير بن الصلت ببطحان فقد ذكر فى موضع آخر ما يبين أنها كانت على شفير وادى بطحان بالعدوة الغربية، و أن عقبة بن أبى معيط لما جلده عثمان بن عفان فى الشراب حلف لا يساكنه إلا و بينهما بطن واد، فناقل كثير بن الصلت بداره هذه إلى دار الوليد بن عقبة التى فى قبلة مصلى العيد الذى يصلى به الإمام اليوم، و اللّه أعلم.

منازل بنى ليث بن بكر

و نزل بنو أبى عمرو بن نعيم بن مهان من بنى عبد اللّه بن غفار شامى و غربى بنى مبشر بن غفار، و معهم بنو خفاجة بن غفار.

و نزل بنو ليث بن بكر ما بين خط بنى مبشر بن غفار إلى خط بنى كعب بن عمرو بن خزاعة الذى يسلكك إلى دور الغطفانيين.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۶۵

قلت: يؤخذ مما سيأتى فى منازل بنى كعب أن منازل بنى ليث كانت فى قبلة خط بنى مبشر، و شامى بنى كعب؛ فتكون جهة منازل بنى ليث فى شامى التمارين و غربيهم، و لعل قول ابن زبالة فى دار السوق فى جهة المغرب قبل ذكر دار التمارين ثم جعل للسكة منفذا يريد به طريق بنى ليث و من يشركهم فى ذلك. و قد قال ابن شبة فى دور بنى مخزوم: و اتخذ أبو شريح الخزاعى حليف بنى مخزوم دارا غربيها شارع على بطحان، و شاميها شارع إلى الزقاق الذى يدعى زقاق بنى ليث، و اللّه أعلم.

و نزل بنو أحمر بن يعمر بن ليث ما بين مسجدهم إلى سوق التمارين، و اتخذوا المسجد الذى فى محلتهم يدعى مسجد بنى أحمر.

و نزل بنو عمر بن معمر بن ليث ما بين مسجدهم الذى يدعى مسجد بنى كدل إلى بطحان إلى منزل بنى مبشرين غفار إلى زقاق الجلادين الذى فيه دار الماجشون إلى دار أبى سبرة بن خلف إلى التمارين.

و نزل آل قسيط بن يعمر بن ليث ما بين شامى بنى كعب من منازل آل نضلة بن عبيد اللّه ابن خراش إلى خط كتاب النصر إلى الشارع إلى المصلى إلى بطحان.

و نزل بنو رجيل بن نعيم بطرف المصلى بين غربى دار كثير بن الصلت أى التى هى قبلة المصلى إلى دار آل قليع الأسديين الشارعة على بطحان.

و نزل بنو عتوارة بن ليث- و هم بنو عضيدة- ما بين طرف دار الوليد بن عقبة اليمانى ببطحان إلى الحرة إلى زقاق القاسم بن غنام من دار الوليد بن عقبة.

منازل بنى ضمرة بن بكر

و نزل بنو ضمرة بن بكر إلا بنى غفار محلتهم التى يقال لها بنو ضمرة، و هى شرقى ما بين دار عبد الرحمن بن طلحة بن عمر بن عبيد اللّه بن معمر بالثنية إلى محلة بنى الديل بن بكر إلى سوق الغنم الشارع إلى دار ابن أبى ذئب العامرى، و اتخذوا فى محلتهم مسجدا.

منازل بنى الديل

و نزل بنو الديل بن بكر فى محلتهم- و هى ما بين ضمرة إلى الدار التى يقال لها دار الخرق- حدها زقاق الحضارمة، و يدعى الخط العظيم لها بنى ضمرة، إلى جبل فى مربد أبى عمار بن عبيس من بنى الديل يقال له المستندر إلى دار الصلت بن نوفل النوفلى التى بالجبانة.

قلت: الجبل الذى ذكر أنه يسمى بالمستندر هو الجبل الصغير الذى فى شرقى مشهد النفس الزكية بمنزلة الحاج الشامى؛ لانطباق الوصف المذكور عليه، و اللّه أعلم.

و نزل أبو نمر بن عويف من بنى الحارث بن عبد مناف بن كنانة على بنى ليث بن بكر فاتخذوا الدار التى يقال لها دار أبى نمر، و هى فى خط بنى أحمر بن ليث المتقدم ذكره.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۶۶

منازل ابنى أفصى

منازل أسلم و مالك ابنى أفصى- نزل بنو أسلم و مالك ابنى أفصى بن حارثة بن عمرو بن عامر منزلين؛ فنزلت بنو مالك بن أفصى و أمية و سهم ابنى أسلم ما بين خط زقاق ابن حبين مولى العباس بن عبد المطلب الشامى من زاوية يقصان التى بالسوق إلى خط جهينة إلى شامى ثنية عثعث.

قلت: قد علم مما سبق فى دار السوق أن زقاق ابن حبين فى غربى سوق المدينة، و سيأتى فى ترجمة ثنية عثعث أنها منسوبة إلى جبل يقال له سليع عليه بيوت أسلم بن أفصى؛ فهى الثنية التى عند الجبيل الذى عليه حصن أمير المدينة اليوم، و المراد من بيوت أسلم منزل هؤلاء، و اللّه أعلم.

و نزلت سائر أسلم، و هم آل بريدة بن الخصيب و آل سفيان- ما بين زقاق الحضارمة إلى زقاق القنبلة.

قلت: و ذلك فى شرقى مؤخر سوق المدينة مما يلى الشام، و فى جهة زقاق الحضارمة اليوم حديقة تعرف بالحضرمية شامى سور

المدينة، و فى شاميها جهة زقاق القنبلة.

و نزلت هذيل بن مدركة ما بين شامى سائلة أشجع و زاوية دور يحيى بن عبد اللّه بن أبى مريم إلى دار حرام بن مزيلة بن أسد بن عبد العزى بالثنية زاويتها اليمانية، و ذلك مجتمعها و مجتمع أسلم.

منازل مزينة و من حل معها

منازل مزينة و من حل معها من قيس عيلان بن مضر- و نزل بنو هدبة بن لاطم بن عثمان بن عمرو، إلا بنى عامر بن نور بن لاطم بن عثمان، و عثمان نفسه الذى يقال له مزينة، و هى أمه- ما بين زاوية بيت القروى المطل على بطحان الغربية إلى زاوية بيت ابن هبار الأسدى الذى صار لبنى سمعان الشرقية إلى خط بنى زريق إلى دار الطائفى التى بشق بطحان الشرقى.

و نزل معها فى هذه المحلة بنو شيطان بن يربوع من بنى نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن ابن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس و بنو سليم بن منصور و عدوان بن عمرو بن قيس.

و عن شرقى خطة مزينة هذه سليم بن منصور إلى دار خلدة بن مخلد الزرقى، و أدنى دار أم عمرو بنت عثمان بن عفان إلى بيوت نفيس بن محمد مولى بنى المعلى فى بنى زريق من الأنصار، إلى أن تلقى بنى مازن بن عدى بن النجار؛ فهؤلاء الذين نزلوا مع مزينة، و دخل بعضهم فى بعض، و إنما نزلوا جميعا لأن دارهم فى البادية واحدة.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۶۷

قلت: فمنازل مزينة و من حل معها فى غربى مصلى العيد اليوم إلى عدوة بطحان الشرقية ثم فى قبلة الدور التى بالمصلى ثم فى قبلة بنى زريق إلى بنى مازن بن النجار.

و قد نزلت بنو ذكوان من بنى سليم مع أهل راتج من اليهود، ما بين دار قدامة إلى دار حسن بن زيد بالجبانة.

قلت: و دار قدامة هى المرادة بقول ابن شبة فى دور بنى جمح «و اتخذ قدامة بن مظعون الدار التى فيها المجزرة على فوهة سكة بنى ضمرة و دبر دار آل أبى ذئب على يمينك و أنت ذاهب إلى بنى ضمرة» و اللّه أعلم.

و نزل بنو أوس بن عثمان بن مزينة بطرف السورين، ما بين دار أم كلثوم بنت أبى بكر الصديق إلى مفضى السورين إلى الحمارين، الزقاق الذى فيه قصر بنى يوسف مولى آل عثمان إلى البقال.

قلت: و هذه الأمور بقرب البقيع، كما سيأتى فى تراجمها.

و نزل بنو عامر بن ثور بن ثعلبة بن هدبة بن لاطم ما بين بيت أم كلاب الذى فى خط بنى رزيق الشارع على المصلى إلى دار مدراقيس الطبيب إلى دار عمرو بن عبد الرحمن بن عوف و دار عبد الرحمن بن الحارث بن هشام و دار هشام بن العاص المخزومى.

قلت: و دار مدراقيس الطبيب لها ذكر فى دور بنى محارب بن فهر.

قال ابن شبة: و اتخذ معمر بن عبد اللّه بن عامر دارا فى بنى زريق بين الدار التى يقال لها دار مدراقيس الطبيب و دار أم حسان التى صارت لعمر بن عبد العزيز العمرى، و هذه الأماكن فى قبلة ما تقدم مما يلى الدور التى فى قبلة البلاط فى الميمنة و ما حولها، و لعل دار أم حسان المذكورة هى الموضع المعروف اليوم بدار حسان فى قبلة الدور التى بالبلاط الموالية لدرب سويقة، و اللّه أعلم.

منازل جهينة و بلى- و نزل جهينة بن زيد بن السود بن الحارث بن قضاعة و بلى بن عمرو بن إلحاف بن قضاعة ما بين خط أسلم الذى بين أسلم و جهينة، إلى دار حرام بن عثمان السلمى الأنصارى التى فى بنى سلمة إلى الجبل الذى يقال له جبل جهينة إلى يمانى ثنية عثعث التى عليها دار ابن أبى حكيم الطيب.

قلت: ذكر دار حرام بن عثمان فى بنى سلمة يرجح أن المراد بجبل جهينة أحد الجبلين اللذين فى غربى مساجد الفتح، و هناك منازل بنى حرام من بنى سلمة، و قد تقدم بيان ثنية عثعث، و أنها منسوبة إلى الجبل الذى عليه حصن أمير المدينة اليوم، و اللّه أعلم.

منازل قيس بن عيلان- نزلت أشجع بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس الشعب الذى يقال له شعب أشجع، و هو ما بين سائلة أشجع إلى ثنية الوداع إلى جوف شعب سلع، و خرج إليهم النبى صلّى اللّه عليه و سلّم بأحمال التمر فنثره لهم، و اتخذت أشجع فى محلتها مسجدا.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۶۸

قلت: و ما ذكره منطبق إما على شعب سلع الذى فى شرقيه، فتكون منازلهم بين خط أسلم الذى فى شامى ثنية عثعث و بين جبل سلع و هكذا إلى ثنية الوداع، و إما على شعب سلع الذى فى شاميه، و قال عروة بن الزبير: قدمت أشجع فى سبعمائة يقودهم مسعود بن رخيلة فنزلوا شعبهم، فخرج إليهم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم بأحمال التمر، فقال: يا معشر أشجع، ما جاء بكم؟ قالوا: يا رسول اللّه جئناك لقرب ديارنا منك، و كرهنا حربك، و كرهنا حرب قومنا لقلتنا فيهم؛ فأنزل اللّه تعالى: أَوْ جاؤُكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقاتِلُوكُمْ أَوْ يُقاتِلُوا قَوْمَهُمْ إلى قوله تعالى: سَبِيلًا [النساء: ۹۰].

و نقل ابن شبة فى تأديب عمر بن الخطاب الرعية فى أمر دينهم أن رجلا من أشجع يقال له بقيلة كان غازيا، فبلغه أن جعدة بن عبد اللّه السلمى يحدث النساء، و أن جوارى يخرجن إلى سلع فيحدثهن، ثم يعقل الجارية و يقول: قومى فى العقال فإنه لا يصبر على العقال إلا حصان، فتقوم ساعة ثم تسقط، فربما تكشفت، فكتب الأشجعى إلى عمر:

ألا أبلغ أبا حفص رسولا فدى لك من أخى ثقة إزارى

فما قلص تقمن معقّلات قفا سلع لمختلف النّجار

قلائص من بنى سعد بن بكر أو اسلم أو جهينة أو غفار

يعقّلهنّ جعدة من سليم معيدا يبتغى سقط العذارى

قلائصنا هداك اللّه إنا شغلنا عنهم زمن الحصار

يعقّلهن أبيض شيظمىّ فبئس معقّل الذود الطّوارى

فدعا عمر بجعدة فقال: أنت لعمرى كما وصف أبيض شيظمى، و سأله فأقرّ فضربه مائة معقولا، و غرّبه إلى الشام، فكلّم فيه، فأذن له على أن لا يدخل المدينة، ثم أذن له أن يجمع، ثم أذن له أن يدخل فى الجمعة مرتين.

و قال ابن إسحاق: الذى كتب بالشعر رجل من هوازن يدعى خيثمة.

منازل بنى جشم

و نزلت بنو جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس محلتها التى يقال لها بنو جشم، و هى ما بين الزقاق الذى يقال له زقاق سفين إلى الأساس الذى يقال له أساس إسماعيل بن الوليد إلى خوخة الأعراب إلى دور ذكوان مولى مروان بن الحكم.

قلت: و لم أعرف شيئا مما ذكره، غير أنه ذكر فى دور بنى جمح أن محمد بن حاطب اتخذ الدار التى تدعى دار قدامة فى بنى زريق شرقيها الدار التى يقال لها دار الأعراب، فلعل خوخة الأعراب و ما ذكر معها فى تلك الجهة، و اللّه أعلم.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى؛ ج۲؛ ص۲۶۹

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۶۹

و نزلت بنو مالك بن حماد و بنو زنيم و بنو سكين من فزارة بن ذبيان بن بغيض بن ذئب ابن غطفان المحلة التى يقال لها بنو فزارة، و هى إلى حمام الصعبة إلى سوق الحطابين الذى بالجبانة، و لم ينزلها أحد من بنى عدى بن فزارة.

قلت: و الذى علمنا جهته من ذلك سوق الحطابين بالجبانة قرب مسجد الراية و ثنية الوداع كما سيأتى فى ترجمة الجبانة، و اللّه أعلم.

منازل بنى كعب بن عمرو، و إخوتهم من بنى المصطلق

نزل بنو كعب بن عمرو بن عدى بن عامر ما بين يمانى بنى ليث بن بكر إلى دار شريح العدوى إلى موضع التمارين بالسوق إلى زقاق الجلادين الشارع على المصلى يمنة و يسرة إلى بطحان إلى زقاق كدام، و كدام: سقاط كان هناك، إلى دار ابن أبى سليم الشارعة على شامى المصلى.

و نزلت بنو المصطلق بن سعد بن عمرو و أخوه كعب بن عمرو رهط جويرية بنت الحارث زوج النبى صلّى اللّه عليه و سلّم ظاهرة حرة بنى عضدة إلى أدنى دار عمر بن عبد العزيز إلى الدار التى يقال لها دار الخرازين.

قلت: و ذلك بالحرة الغربية.

سعة المدينة فى عهد النبى

و من تأمل ما ذكر فى دور المهاجرين و منازل القبائل منهم- مع ما سبق فى منازل الأنصار- رأى أمرا عظيما فيما كان من عمارة المدينة و سعتها، و اتصال بعضها ببعض، و آثار ما كان من العمارة شاهد بذلك اليوم، و اسم المدينة صادق على ذلك كله، و سيأتى فى ترجمة قباء أنها كانت مدينة كبيرة متصلة بالمدينة الشريفة، أى بما بينها من النخيل، و لهذا لم تكن الجمعة تقام بغير المسجد النبوى، و لو كانت قباء و غيرها من القرى المنفصلة اليوم منفصلة فى زمنه صلّى اللّه عليه و سلّم و بها تلك القبائل من الناس لوجب إقامة الجمعة فى كل قرية بها أربعون كما تقرر فى موضعه، فقد كانت كلها فى حكم البلد الواحد، فسبحان من يرث الأرض و من عليها و هو خير الوارثين.

اتخاذ سور المدينة

و لما طرق المدينة الشريفة الخراب فى أطرافها جعلوا لها سورا، قال المجد الفيروزآبادى:

سور المدينة الشريفة بناه أولا عضد الدولة بن بويه بعد الستين و ثلاثمائة فى خلافة الطائع للّه بن المطيع للّه، ثم تهدم على طول الزمان و تخرب لخراب المدينة، و لم يبق إلا آثاره و رسمه.

و قال المطرى فى الكلام على مسجد جهينة: إن ناحية جهينة معروفة غربى حصن

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۷۰

صاحب المدينة و السور القديم، بينها و بين جبل سلع، و عندها أثر باب للمدينة معروف بدرب جهينة إلى تاريخ كتابه، و هو سنة ست و ستين و سبعمائة.

قلت: قد قدمنا ما يخالف ما ذكره فى ناحية جهينة؛ لأنا و إن لم نر الباب الذى أشار إليه، لكن رأينا آثار السور القديم قبلى جبل سلع، و قرب الحصن المذكور. و يظهر من حاله أن غالب منازل جهينة و غيرها من المنازل المتقدمة كانت فى جوفه، و أنه كان فى جهة المغرب على شفير بطحان بالعدوة الشرقية؛ لأن الأقشهرى نقل فى روضته عن صاحب سور الأقاليم أنه قال: المدينة أقل من نصف مكة، و هى فى حرة سبخة الأرض، و بها نخل كثير، و مياه نخيلهم و زرعهم من الآبار يسقى منها العبيد، و عليها سور، و المسجد فى نحو من وسطها. ثم ذكر صفة المسجد و القبر الشريف، ثم قال: و مصلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم الذى كان يصلى فيه الأعياد من غربى المدينة داخل الباب، انتهى. فكون المصلى داخل الباب شاهد لما ذكرنا، و قد صرح بنحوه الإمام أبو عبد اللّه الأسدى فإنه ذكر المساجد الخارجة عن المدينة، ثم ذكر المساجد التى بالمدينة فقال: و داخل المدينة مصلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم.

سور آل زنكى

و قال المطرى بعد ذكره لما تقدم من باب هذا السور القديم: و نقل ابن خلكان أن سور هذا الباب القديم بناه عضد الدولة بن بويه بعد الستين و ثلاثمائة من الهجرة فى أيام الطائع لله ابن المطيع، ثم تهدم على طول الزمان و خرب لخراب المدينة، و لم يبق إلا آثاره حتى جدد لها جمال الدين محمد بن أبى منصور- يعنى الجواد الأصبهانى وزير بنى زنكى- سورا محكما حول المسجد الشريف على رأس الأربعين و خمسمائة من الهجرة، ثم كثر الناس من خارج السور، و وصل السلطان الملك العادل نور الدين محمود بن زنكى فى سنة سبع و خمسين و خمسمائة إلى المدينة الشريفة بسبب رؤيا رآها، و ذكر ما قدمناه عنه فى خاتمة الفصل التاسع و العشرين.

ثم قال: إنه لما ركب متوجها إلى الشام صاح به من كان نازلا حول السور و استغاثوا و طلبوا أن يا بنى عليهم سورا يحفظ أبناءهم و ماشيتهم، فأمر ببناء هذا السور الموجود اليوم، فبنى فى سنة ثمان و خمسين و خمسمائة، و كتب اسمه على باب البقيع؛ فهو باق إلى تاريخ هذا الكتاب.

قلت: و هو باق على باب البقيع إلى أن كتبنا كتابنا هذا، و صورته فى صفحات الحديد المصفح بها الباب: هذا ما أمر بعمله العبد الفقير إلى اللّه تعالى محمود بن زنكى بن أقسنقر، غفر اللّه له، سنة ثمان و خمسين و خمسمائة. و هذا لا يدل على أنه أنشأ السور.

و عبارة البدر بن فرحون عند ذكره لمحاسن نور الدين الشهيد رحمه اللّه ما لفظه: و بنى

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۷۱

أيضا سور بعلبك، و كمل بناء سور المدينة، و هو سورها الموجود اليوم، و اسمه مكتوب على باب البقيع، و أما السور الذى داخل المدينة فإنما أحدثه الوزير جمال الدين محمد بن أبى منصور، و كان وزيرا لوالد الملك العادل يعنى زنكى ثم استوزره بعد زنكى ولده غازى بن زنكى يعنى أخا الملك العادل؛ فهذا يقتضى أن الملك العادل إنما كمل بناء السور الموجود اليوم فقط، و يبعده ما ذكره من بناء الجواد لسوره؛ فإنه لو كان السور المذكور موجودا لكان هو أكمله و لم ينشئ سورا غيره، و مدة بناء السورين المذكورين متقاربة كما يعلم مما قدمناه.

من مآثر الجواد الأصفهانى

و قال المجد: إن الشيخ شهاب الدين عبد الرحمن بن أبى شامة قال فى كتابه ما صورته:

و من أعظم الأعمال التى عملها نفعا- يعنى وزير الموصل جمال الدين الجواد- أنه بنى سورا على مدينة النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، فإنها كانت بغير سور ينهبها الأعراب، و كان أهلها فى ضنك و ضر معهم.

قال ابن الأثير: رأيت بالمدينة إنسانا يصلى الجمعة، فلما فرغ ترحم على جمال الدين و دعا له، فسألناه عن سبب ذلك، فقال: يجب على كل مسلم بالمدينة أن يدعو له؛ لأننا كنا فى ضر و ضيق و نكد عيش مع العرب، لا يتركون لأحدنا ما يواريه و يشبع جوعته، فبنى علينا سورا احتمينا به ممن يريدنا بسوء، فاستغنينا، فكيف لا ندعو له؟ قال عقبه: قلت:

و هذا السور الذى بناه جمال الدين هو السور الثانى، و السور الذى بناه الملك العادل نور الدين هو السور الثالث، أى بحسب الزمان، و على كل منهما اسم بانيه على الأبواب، و أما السور الأول الذى بناه عضد الدولة فلم يبق منه أثر يعرف به مكانه، انتهى. هكذا نقلته من تاريخ المجد. و بقوله انتهى ظهر أن قوله قلت إلى آخره من كلام ابن أبى شامة، و يحتمل أن يكون من كلام ابن الأثير.

و قال المجد عقبه: قال: و كان الخطيب بالمدينة يقول فى خطبته «اللهم صن حريم من صان حرم نبيك بالسور محمد بن على بن أبى منصور» فلو لم يكن له إلا هذه المكرمة لكفاه فخرا، فكيف و قد أصابت صدقته تخوم الأرض شرقا و غربا و برا و بحرا؟

و أما شدة عنايته بأهل المدينة فكانت عظيمة، قال ابن الأثير: حكى لى بعض الصوفية ممن كان يصحب الشيخ عمر التشاى شيخ شيوخ

الموصل قال: أحضرنى الشيخ فقال لى:

انطلق إلى مسجد الوزير بظاهر الموصل و اقعد هناك، فإذا أتاك شيء فاحفظه إلى أن أحضر عندك، ففعلت، فإذا قد أقبل جمع كثير من الحمالين يحملون أحمالا من النصافى و الخام، و إذا نائب جمال الدين قد جاء مع الشيخ و معهما قماش كثير و ثمانية عشر ألف دينار و عدة كثيرة من الجمال، فقال لى: تأخذ هذه و تسير إلى الرحبة و توصل هذه الرزمة و هذا الكتاب إلى

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۷۲

متوليها فلان، فإذا حضر لك فلان العربى فتوصل إليه هذه الرزمة الأخرى و هذا الكتاب و تسير معه، فإذا أوصلك إلى فلان العربى توصل إليه هذه الرزمة و هذا الكتاب، و هكذا إلى المدينة على ساكنها أفضل الصلاة و السلام فتوصل إلى وكيلى فلان هذه الأحمال، و هذه الكسوات و المال الذى عليه اسم المدينة ليخرجها بمقتضى هذه الجريدة، ثم تأخذ الباقى الذى عليه اسم مكة فتسير إليها فيتصدق به وكيلى بموجب الجريدة الأخرى، فسرنا بذلك إلى وادى القرى، فرأينا هناك جمالا كثيرة تحمل الطعام إلى المدينة، و قد منعهم خوف الطريق، فلما رأونا ساروا معنا إليها فوصلناها و الحنطة بها كل صاعين بديا نار مصرى، و الصاع- أى: فى ذلك الزمان- خمسة عشر رطلا بالبغدادى، فلما رأوا المال و الطعام اشتروا كل سبعة آصع بديا نار، فانقلبت المدينة بالدعاء له.

قلت: و قد قدمنا كيفية نقله إلى المدينة الشريفة بعد موته و دفنه بتربته التى برباطه المجاور للمسجد الشريف عند ذكر باب عثمان و هو باب جبريل لمقابلته له، و تقدم ذكره أيضا فى ترخيم الحجرة الشريفة.

و من أعماله الحسنة: تجديد مسجد الخيف، و إجراء عين عرفة، و بناء جدار الحجرة و ترخيمه، و تجديد باب الكعبة، و كان النعش الذى حمل فيه هو باب الكعبة القديم، و فيه يقول أبو المجد بن قسيم:

أغرّ تبصر منه الناس فى رجل و اللّيث فى بشر، و البدر فى غصن

سما بهمته فى المكرمات إلى علياء تقصر عنها همّة الزّمن

إلى أن قال فيه:

صان المدينة تسويرا و صوّرها فى الحسن غادة ملك الشام و اليمن

و صان بالمال أهليها فما بقيت هزلاء إلّا تشكّت كثرة السّمن

أبواب السور

اشارة

و لسور المدينة اليوم أربعة أبواب غير باب حصن أمير المدينة المعروف بباب السر، و هو باب عظيم كله من الحديد.

و أما الأبواب الأربعة:

فأحدها: [يعرف بدرب المصلى]

الباب الذى غربى المدينة فى جهة المصلى عند منزلة الحاج المصرى، و يعرف بدرب المصلى، و درب سويقة، و ذرع ما بينه و بين عتبة باب السلام ستمائة ذراع و خمسة و أربعون ذراعا، و كان عليه باب متقن أحرقه بعض صبيان الأمير ضغيم سنة عزله، فأخذ أمير المدينة باب الحوش الذى عمره الأمير ضغيم و جعله عليه، ثم عمل باب متقن كالأول فى عمارة المسجد المتجددة بعد الحريق الثانى.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۷۳

ثانيها: [يعرف بالدرب الصغير]

الباب الذى فى جهة المغرب أيضا عند رحبة حصن أمير المدينة يعرف بالدرب الصغير.

ثالثها: [يعرف بالدرب الكبير]

الباب المعروف بالدرب الكبير، و بالدرب الشامى.

رابعها: [يعرف بدرب البقيع]

الباب المعروف بدرب البقيع فى شرقى المدينة، و يعرف بدرب الجمعة، و عليه باب متقن مغشى بصفائح الحديد، و الظاهر أنه باق من زمن نور الدين الشهيد لما قدمناه من الكتابة عليه.

و ذرع ما بينه و بين عتبة باب المسجد المعروف بباب جبريل أربعمائة ذراع و ثلاثة و ثلاثون ذراعا.

و فى قبلة سور المدينة موضع باب مسدود اليوم، و كان يعرف بدرب السوارقية.

و لم يزل الملوك يهتمون بعمارة سور المدينة، و يصلحون ما و هى منه.

و قد ذكر الزين المراغى أنه جدّد فى سنة خمس و خمسين و سبعمائة فى أيام الملك الصالح صالح أحد أولاد الناصر محمد بن قلاوون.

و ذكر البدر بن فرحون أن الأمير سعد بن ثابت بن حماد ابتدأ فى سنة إحدى و خمسين و سبعمائة عمل الخندق الذى حول السور المذكور، و مات و لم يكمله، و أكمله الأمير فضل بن قاسم بن حماد فى ولايته بعده، و اللّه سبحانه و تعالى أعلم.

تم- بحمد اللّه تعالى و حوله- الجزء الثانى من كتاب «وفاء الوفا، بأخبار دار المصطفى» صلّى اللّه عليه و سلّم. و يليه- إن شاء الله- الجزء الثالث، و أوله «الباب الخامس، فى مصلى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم فى الأعياد» نسأله- جلت قدرته- أن يعين على إكماله، بمنه و فضله و تيسيره، إنه لا ييسر إلى الخير سواه.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۷۴

فهرس الجزء الثانى

الفصل الرابع الروايات فى حنين الجذع ۳

صانع المنبر ۵

موضع الجذع ۶

شهرة حديث حنين الجذع ۷

الموضع الذى دفن فيه الجذع ۷

بدعة اصطنعها الناس بسبب الجذع ۷

عود إلى الاختلاف فى صانع المنبر ۸

أراد معاوية أن ينقل المنبر إلى الشام ۱۰

رفع المنبر ست درجات ۱۰

عدد درجات المنبر ۱۱

مساحة المنبر ۱۲

كسوة المنبر ۲۰

ستور الأبواب كسوة الحجارة ۲۰

الفصل الخامس فى فضائل المسجد الشريف ۲۰

المسجد الذى أسس على التقوى ۲۱

فضل مسجد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم ۲۱

فضل الصلاة فى مسجد الرسول صلّى اللّه عليه و سلّم ۲۲

هل فضل الصلاة فى المساجد الثلاثة يختص بالفرض؟ ۲۶

مرجع مضاعفة فضل الصلاة ۲۷

هل يختص التضعيف بالصلاة؟ ۲۷

الفصل السادس فى فضل المنبر المنيف، و الروضة الشريفة ۲۹

معنى كون المنبر على الحوض ۳۱

معنى أن الروضة من رياض الجنة ۳۱

الفصل السابع فى الأساطين المنيفة ۳۸

الأسطوان المخلق ۳۸

أسطوان القرعة ۳۹

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۷۵

أسطوان التوبة ۴۰

أسطوان السرير ۴۴

أسطوان المحرس ۴۵

أسطوان الوفود ۴۵

أسطوان مربعة القبر ۴۶

أسطوان التهجد ۴۶

الفصل الثامن فى الصّفة و أهلها، و تعليق الأقناء لهم بالمسجد ۴۸

وصف الصفة و موضعها ۴۸

أهل الصفة ۴۹

مبدأ تعليق الأقناء ۵۱

الفصل التاسع فى الحجرة الشريفة، و بيان إحاطتها بالمسجد الشريف إلا من جهة المغرب ۵۲

المشربة ۵۵

الفصل العاشر فی حجرة فاطمة بنت النبی صلّی اللّه علیه و سلّم و رضی اللّه عنها ۵۷
الفصل الحادی عشر فی الأمر بسدّ الأبواب الشارعة فی المسجد الشریف ۶۰
الفصل الثانی عشر فی زیادة عمر بن الخطاب رضی اللّه عنه فی المسجد ۶۷
بین عمر و العباس ۶۸
الفصل الثالث عشر فی البطیحاء التی بناها عمر رضی اللّه عنه بناحیة المسجد، و منعه من إنشاد الشعر و رفع الصوت فیه، و ما جاء فی ذلک ۷۸
الفصل الرابع عشر فی زیادة عثمان بن عفان رضی اللّه عنه ۸۱
الفصل الخامس عشر فی المقصورة التی اتخذها عثمان رضی اللّه عنه فی المسجد و ما کان من أمرها بعده ۸۷
الفصل السادس عشر فی زیادة الولید بن عبد الملک علی ید عمر بن عبد العزیز ۸۹
الفصل السابع عشر فیما اتخذه عمر فی المسجد فی زیادة الولید من المحراب و الشّرفات و المنائر، و اتخاذ الحرس، و منعهم من الصلاة علی الجنائز فیه ۹۸
أول من أحدث المحراب و الشرفات ۹۸
عثمان أول من خلق المسجد و رزق المؤذنین ۱۰۲
اتخاذ حرس للمسجد ۱۰۲
الصلاة علی الجنائز فی المساجد ۱۰۲
الشیعة غیر الأشراف ۱۰۳
وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفی، ج۲، ص: ۲۷۶
الفصل الثامن عشر فی زیادة المهدی ۱۰۵
الفصل التاسع عشر فیما کانت علیه الحجرة الشریفة الحاویة للقبور المنیفة فی مبدأ الأمر ۱۰۸
أول من بنی جدارا علی بیت عائشة ۱۰۹
الفصل العشرون فیما حدث من عمارة الحجرة بعد ذلک، و الحائز الذی أدیر علیها ۱۱۱
الفصل الحادی و العشرون فیما روی من الاختلاف فی صفة القبور الشریفة، بالحجرة المنیفة ۱۱۵
روایة نافع فی وضع القبور ۱۱۵
روایة القاسم بن محمد ۱۱۶
روایة عثمان بن نسطاس ۱۱۷
روایة المنکدر بن محمد ۱۱۷
روایة عمرة عن عائشة ۱۱۸
روایة أخری عن القاسم بن محمد ۱۱۸
روایة عبد اللّه بن محمد بن عقیل ۱۱۹
بقی بعدها موضع قبر ۱۲۱
الملائکة یحفون بالقبر ۱۲۲
لا ینبغی رفع الصوت فی المسجد ۱۲۲

سنة أهل المدينة فى أعوام الجدب ۱۲۳

الفصل الثانى و العشرون فيما ذكروه من صفة الحجرة الشريفة، و الحائز المخمس الدائر عليها، و بيان ما شاهدناه مما يخالف ذلك ۱۲۳

الفصل الثالث و العشرون فى عمارة اتفقت بالحجرة الشريفة على ما نقله الأقشهرى عن ابن عاث، و ما وقع من الدخول إليها عند الحاجة له و تأزيرها بالرخام ۱۳۰

الفصل الرابع و العشرون فى الصندوق الذى فى جهة الرأس الشريف، و المسماة الفضة المواجه للوجه الشريف، و مقام جبريل من الحجرة الشريفة، و كسوتها، و تخليقها ۱۳۳

كسوة الحجرة النبوية ۱۳۸

الفصل الخامس و العشرون فى قناديل الذهب و الفضة التى تعلق حول الحجرة الشريفة، و غيرها من معاليقها ۱۴۰

القناديل ۱۴۰

حكم معاليق المسجد النبوى ۱۴۵

الفصل السادس و العشرون فى الحريق الأول القديم المستولى على تلك الزخارف المحدثة

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۷۷

بالحجرة الشريفة و المسجد و سقفهما، و ما أعيد من ذلك، و ما تجدد من توسعة المسقف القبلى بزيادة الرواقين فيه، و غير ذلك ۱۵۰

سبب الحريق و تاريخه ۱۵۰

حكمة اللّه فى الحريق ۱۵۱

الشروع فى العمارة بعد الحريق ۱۵۲

الفصل السابع و العشرون فى اتخاذ القبة الزرقاء التى جعلت على ما يحاذى سقف الحجرة الشريفة بأعلى سقف المسجد، تمييزا لها، و إبدالها بالقبة الخضراء و المقصورة الدائرة بالحجرة الشريفة ۱۵۷

القبة الزرقاء ۱۵۷

المقصورة الدائرة على الحجرة ۱۵۹

الفصل الثامن و العشرون فيما تجدد من عمارة الحجرة الشريفة فى زماننا على وجه لم يخطر قط بأذهاننا، و ما حصل بسببه من إزالة هدم الحريق الأول من ذلك المحل الشريف، و مشاهدة وضعه المنيف، و تصوير ما استقر عليه أمر الحجرة فى هذه العمارة ۱۶۴

الفصل التاسع و العشرون فى الحريق الحادث فى زماننا بعد العمارة السابقة و ما ترتب عليه ۱۷۵

خاتمة فيما نقل من عمل نور الدين الشهيد لخندق حول الحجرة الشريفة مملوء بالرصاص، و ذكر السبب فى ذلك، و ما ناسبه ۱۸۵

الفصل الثلاثون فى تحصيب المسجد الشريف و ذكر البزاق فيه، و تخليقه، و إجماره، و ذكر شىء من أحكامه ۱۹۰

أول تحصيب المسجد النبوى ۱۹۰

حكم البزاق فى المسجد ۱۹۱

مبدأ تخليق المسجد ۱۹۳

تخليق القبر ۱۹۵

تجمير المساجد ۱۹۵

فرش المساجد ۱۹۶

الحدث فی المسجد ۱۹۸

القراءة فی المصحف بالمسجد ۱۹۸

بعث المصاحف إلی بالمسجد ۱۹۹

مصاحف عثمان التی أرسلها إلی الآفاق ۲۰۰

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفی، ج۲، ص: ۲۷۸

تعلیق المصابیح فی المسجد وصف عام ۲۰۱

الفصل الحادی و الثلاثون فیما احتوی علیه المسجد من الأروقة و الأساطین و البالوعات و السقایات و الدروع، و غیر ذلک مما یتعلق به من الرسوم ۲۰۱

وصف عام ۲۰۱

جدران المسجد ۲۰۲

عدد أساطین المسجد ۲۰۳

عدد بالوعات المسجد ۲۰۶

سقایات المسجد ۲۰۶

حواصل المسجد ۲۰۸

قنادیل المسجد ۲۰۸

فی صحن المسجد نخیل مغروسة ۲۰۹

أئمة المسجد ۲۱۰

عرض جدر المسجد ۲۱۰

الفصل الثانی و الثلاثون فی أبواب المسجد و ما سد منها، و ما بقی، و ما یحاذیها من الدور قدیما و حدیثا ۲۱۲

أبواب المسجد ۲۱۲

باب النبی صلّی اللّه علیه و سلّم ۲۱۳

باب علی ۲۱۴

باب عثمان باب جبریل ۲۱۴

باب ریطة (باب النساء) ۲۱۶

باب سادس ۲۱۷

باب سابع ۲۱۷

باب ثامن ۲۱۸

أبواب المسجد الشامیة ۲۱۸

باب تاسع ۲۱۹

باب عاشر ۲۱۹

الباب الحادی عشر ۲۱۹

الباب الثانی عشر ۲۱۹

الباب الثالث عشر ۲۱۹

الباب الرابع عشر ۲۲۰

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۷۹

الباب الخامس عشر ۲۲۰

الباب السادس عشر ۲۲۰

باب عاتكة (باب السوق) (و باب الرحمة) ۲۲۰

باب زياد (باب القضاء) ۲۲۱

خوخة تجاه خوخة أبى بكر ۲۲۵

الفصل الثالث و الثلاثون فى خوخة آل عمر رضى اللّه تعالى عنه المتقدم ذكرها، و ما يتعين من سدّها فى زماننا ۲۲۷

تحديد موضع خوخة آل عمر ۲۲۷

اتخاذ بعض الناس بابا وسيلة للتدجيل ۲۲۸

حج السلطان قايتباى ۲۳۰

وقف السلطان قايتباى لأهل المدينة المنورة ۲۳۲

من آثار قايتباى بالحرمين الشريفين ۲۳۴

الفصل الرابع و الثلاثون فيما كان مطيفا بالمسجد الشريف من الدور، و ما كان من خبرها، و جلّ ذلك من منازل المهاجرين رضى اللّه تعالى عنهم ۲۳۵

رسول اللّه يخط دور المدينة ۲۳۵

دار آل عمر بن الخطاب ۲۳۵

بيت لأبى بكر الصديق صار لآل عمر ۲۳۶

دار مروان بن الحكم ۲۳۷

دار رباح و دار المقداد ۲۳۸

دار مطيع بن الأسود ۲۳۸

دار حكيم بن حزام ۲۳۹

دار عبد اللّه بن مكمل ۲۳۹

دار النحام ۲۴۰

دار جعفر بن يحيى ۲۴۰

دار نصير ۲۴۱

دار منيرة مولاة أم موسى ۲۴۱

حش طلحة ۲۴۱

أبيات خالصة ۲۴۲

دار حميد بن عبد الرحمن بن عوف ۲۴۲

دار موسى المخزومى ۲۴۳

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۸۰

أبيات الصوافى ۲۴۳

دار خالد بن الوليد ۲۴۴

دار أسماء بنت حسين ۲۴۴

دار ريطة ۲۴۵

دار عثمان بن عفان ۲۴۵

دار أبى أيوب الأنصارى ۲۴۶

دار جعفر الصادق ۲۴۶

دار حسن بن زيد ۲۴۶

دار فرج الخصى ۲۴۶

دار عامر بن الزبير بن العوام ۲۴۷

الفصل الخامس و الثلاثون فى البلاط، و بيان ما ظهر لنا مما كان حوله من منازل المهاجرين ۲۴۷

تحديد مكان البلاط ۲۴۷

حدود البلاط ۲۴۸

بيان الدور المطيفة بالبلاط ۲۵۱

الفصل السادس و الثلاثون فيما جاء فى سوق المدينة التى تصدق به النبى صلّى اللّه عليه و سلّم على المسلمين، و ذكر دار هشام ابن عبد الملك التى أخذ بها السوق ۲۵۶

الرسول ينشئ السوق ۲۵۶

أسواق المدينة فى الجاهلية ۲۵۶

هدم الدار التى وضعت مكان السوق ۲۶۰

بيت أم كلاب ۲۶۱

البطحاء ۲۶۱

بقيع الخيل ۲۶۱

بركة السوق ۲۶۲

الفصل السابع و الثلاثون فى منازل القبائل من المهاجرين، ثم اتخاذ السور على المدينة ۲۶۳

منازل بنى غفار ۲۶۳

منازل بنى ليث بن بكر ۲۶۴

منازل بنى ضمرة بن بكر ۲۶۵

منازل بنى الديل ۲۶۵

منازل ابنى أفصى ۲۶۶

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۸۱

منازل مزينة و من حل معها ۲۶۶

منازل بنى جشم ۲۶۸

منازل بنى كعب بن عمرو، و إخوتهم من بنى المصطلق ۲۶۹

سعة المدينة فى عهد النبى ۲۶۹

اتخاذ سور المدينة ۲۶۹
سور آل زنكى ۲۷۰
من مآثر الجواد الأصفهانى ۲۷۱
أبواب السور ۲۷۲

الجزء الثالث

اشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

الباب الخامس فى مصلّى النبى ص فى الأعياد، و غير ذلك من المساجد

اشارة

التى صلّى فيها النبى صلى اللّه عليه و سلم، مما علمت عينه أو جهته، بالمدينة و ما حولها، و ما جاء فى مقبرتها و من دفن بها، و المشاهد المعروفة، و فضل أحد و الشّهداء به. و فيه سبعة فصول:

الفصل الأول فى المصلّى فى الأعياد، و فيه أطراف

[الطرف] الأول: فى الأماكن التى صلّى فيها النبى ص العيد.

أول عيد صلاه النبى بالمصلى

قال الواقدىّ: أول عيد صلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بالمصلّى سنة اثنتين من مقدمه المدينة من مكة، و حملت له العنزة و هو يومئذ يصلى إليها فى الفضاء، و كانت العنزة للزبير بن العوام، أعطاه إياها النّجاشى فوهبها للنبى صلى اللّه عليه و سلم؛ فكان يخرج بها بين يديه يوم العيد، و هى اليوم بالمدينة عند المؤذنين، يعنى يخرجون بها بين يدى الأئمة فى زمانهم.
و روى ابن شبة عن جابر بن عبد الله قال: لما رجعنا من بنى قينقاع ضحينا أول أضحى فى ذى الحجة صبيحة عشر، فكان أول أضحى رآه المسلمون، و ذبح أهل اليسر من بنى سلمة، فعددت فى بنى سلمة سبع عشرة أضحية.

مكان مصلى العيد

و روى ابن زبالة و ابن شبة عن أبى هريرة قال: أول فطر و أضحى صلى فيه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم للناس بالمدينة بفناء دار حكيم بن العداء عند أصحاب المحامل.
و روى الثانى عن ابن أبى فروة أن النبى صلى اللّه عليه و سلم صلى فى ذلك المكان.
و روى الأول عنه ما يقتضيه؛ فإنه روى عن إبراهيم بن أبى أمية قال: أدركت مسجدًا فى زمان عثمان عند حرف زاوية أبى يسار عند أصحاب المحامل، و ليس ثم مسجد غيره، و ذلك المسجد هو الذى صلّى فيه النبى صلى اللّه عليه و سلم يوم أضحى، و ضحّى

هناك هو و أصحابه حتى احتملت ضحاياهم من عنده.

قال: و أخبرنى من رأى الأنصار يحملون ضحاياهم من هناك، ثم روى عن ابن أبى

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۴

فروة قال: إن النبى صلى اللّه عليه و سلم صلّى فى ذلك المسجد و هو خلف المجزرة التى بفناء دار العداء بن خالد، و يقال لها: دار أبى يسار.

قلت: فالروايات المذكورة متّفقة على الصلاة بالمحلّ المذكور، و دار حكيم بن العداء هى دار أبيه العداء بن خالد بن هوذة بن بكر بن هوازن؛ فلا مخالفة فى ذلك، و لم أعلم محل داره، غير أن الظاهر من قوله «عند أصحاب المحامل» أنه موضع بأعلى السوق مما يلى المصلى، و فى أول الروايات المذكورة بيان أن الصلاة فيه كانت فى أول الأمر.

تعدد موضع صلاة العيد

و روى ابن زبالة أيضا ما يخالف بالنسبة إلى الأولية عن إبراهيم بن أبى أمية عن شيخ من أهل السنّ و الثقة قال: أول عيد صلّاه رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم صلى فى حارة الدوس عند بيت ابن أبى الجنوب، ثم صلى العيد الثانى بفناء دار حكيم عند دار حفرة داخلا فى البيت الذى بفنائه المسجد، ثم صلى العيد الثالث عند دار عبد اللّه بن درة المزنى داخلا بين الدارين دار معاوية و دار كثير بن الصّلت، ثم صلى العيد الرابع عند أحجار كانت عند الحناطين بالمصلى، ثم صلى داخلا فى منزل محمد بن عبد اللّه بن كثير بن الصلت، ثم صلى حيث يصلى الناس اليوم.

و روى ابن شبة من طريق إبراهيم بن أبى أمية مولى بنى عامر بن لؤى قال: سمعت ابن باكية يقول: صلى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم العيد عند دار الشّفاء، ثم صلى فى حارة الدوس، ثم صلى فى المصلى؛ فثبت يصلّى فيه حتى توفاه اللّه تعالى.

و روى أيضا عن ابن شهاب قال: صلى النبى صلى اللّه عليه و سلم العيد فى موضع آل درة، و هم حى من مزينة، ثم صلى دون ذلك فى مكان أطم بنى زريق عند أذنه اليسرى.

قلت: قوله «ثم صلى فى المصلى فثبت يصلى فيه حتى توفاه اللّه تعالى» هو بمعنى قوله فى الرواية التى قبلها «ثم صلى حيث يصلى الناس اليوم» يعنى بالمسجد المعروف بمسجد المصلى.

بين مصلى العيد و باب السلام ألف ذراع

و قد نقل ابن شبة عن شيخه أبى غسّان و هو الكنانى من أصحاب مالك أنه قال: ذرع ما بين مسجد رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم الذى عنده دار مروان بن الحكم و بين المسجد الذى يصلى فيه العيد بالمصلى ألف ذراع.

قلت: و قد اختبرته فكان كذلك، و هذا المسجد هو المراد بقوله فى حديث ابن عباس فى الصحيح «إن النبى صلى اللّه عليه و سلم أتى فى يوم عيد إلى العلم الذى عند دار كثير بن الصلت الحديث» و كأنهم كانوا قبل اتخاذ المسجد بذلك المحل جعلوا الصلاة الشريف شيئا يعرف به، و هو المراد بالعلم بفتحتين.

و قال ابن سعد: كانت دار كثير بن الصلت قبلة المصلى فى العيد، و هى تطل على

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۵

بطحان الوادى فى وسط المدينة، انتهى. و ليس المراد أنها متصلة بوادى بطحان، بل بينهما بعد. و دار كثير هذه كانت قبله للوليد بن

عقبة، ثم اشتهرت بكثير بن الصلت، و هو من التابعين، ولد فى زمن النبى صلى اللّه عليه و سلم فوقع التعريف بداره ليقرب إلى ذهن السامع فهم ذلك، و ليس كثير بن الصلت هو الذى اختطها، خلافا لما وقع فى كلام الحافظ ابن حجر حيث قال: و إنما بنى كثير بن الصلت داره بعد النبى صلى اللّه عليه و سلم بمدة، لكنها لما كانت شهيرة فى تلك البقعة وصف المصلّى بمجاورتها، انتهى. و مأخذنا فيما قدمناه قول ابن شبة فى دور بنى عبد شمس و نوفل: و اتخذ الوليد بن عقبة بن أبى معيط الدار التى فى مصلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم التى صلى إليها العيد، و هى يصلى إليها اليوم لآل كثير بن الصلت الكندى، فجلد عثمان الوليد فى الشراب، فحلف لا يساكنه إلا- و بينهما بطن واد، فعارض كثير بن الصلت بداره هذه إلى دار كثير ببطحان التى يقال لها دار الوليد بن عقبة فى شفير الوادى، أى من العدوة الغربية كما بينه فى موضع آخر.

تحديد المواضع التى صلى فيها العيد

و أما الموضع المذكور لصلاة العيد أولا- عند أصحاب المحامل- و هم الذين يبيعون المحامل و يصنعونها- فيظهر أنه المسجد المعروف اليوم بمسجد على رضى الله تعالى عنه الآتى ذكره.

و أما الموضع المذكور فى الرواية الأخرى عند دار بن أبى الجنوب فلم أعلم محله، غير أن دار ابن أبى الجنوب كانت بالحرّة الغربية التى غربى وادى بطحان كما يؤخذ مما سيأتى فى الخندق و مسجد الشجرة و المغرس.

و أما الموضع المذكور فى قوله «عند دار عبد الله بن درة المزنى إلى آخره» فقد تقدم أن منازل مزينة كانت فى غربى المصلى و فى قبلتها. و تقدم أن دار كثير بن الصّلت كانت قبلة المصلى، و دار معاوية رضى الله تعالى عنه كانت فى مقابلتها، و سيأتى فى بيان طريقه صلى اللّه عليه و سلم إلى قباء أنه كان يمر على المصلى ثم يسلك فى موضع الزقاق بين الدارين المذكورتين؛ فيكون ذلك المحل فى قبلة المصلى اليوم: إما من المغرب، و إما من المشرق، و الأول هو الأقرب.

و أما بقية المواضع المذكورة فلم أعرف جهاتها، غير أن الذى يظهر أنها حول المصلى، و بعضها بسوق المدينة، لذكر الحناطين فيها، و سيأتى فى مشهد مالك بن سنان أنه بطرف الحناطين، و الظاهر أن من هذه المواضع المسجد المعروف اليوم بمسجد أبى بكر رضى الله تعالى عنه بالحديقة المعروفة بالعريضية، كما سيأتى عن المطرى.

و أما ما رواه الشيخان و أبو داود و الترمذى و النسائى من حديث البراء بن عازب رضى الله تعالى عنه قال: خرج رسول الله صلى اللّه عليه و سلم يوم أضحى إلى البقيع فصلى ركعتين ثم أقبل

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۶

علينا بوجهه و خطب و قال: إن أول ما نبدأ به فى يومنا هذا أن نصلى، ثم نرجع فننحر- الحديث؛ فظاهره أن المراد بقيع الغرقد، لكنى أستبعده؛ لأن المتقدمين من مؤرخى المدينة لم يذكروا ذلك مع اشتهار هذا الحديث، و كذلك المطرى و من تبعه. و أغرب الحافظ ابن حجر فقال فى الكلام على ترجمة البخارى للرجم بالمصلّى: المراد المكان الذى كان يصلى عنده العيد و الجنائز، و هو من ناحية بقيع الغرقد، اه.

و مأخذه فى ذلك ظاهر هذا الحديث، مع ما ورد من رواية أخرى من الرجم عند موضع الجنائز، و قد تقدم أن موضع الجنائز فى شرقى المسجد عند باب جبريل، و ليس هو من البقيع، و أما المصلى حيث أطلقت فإنما يراد بها الموضع المعروف الذى قدمناه فى غربى المدينة، و بقيع الغرقد فى شرقيها، و قد ذكره الحافظ ابن حجر فى موضع آخر على الصواب كما سيأتى عنه فى الطرف الثانى، و على تقدير أن يكون المراد من حديث البراء المتقدم بقيع الغرقد فهو من المواضع التى صلى فيها النبى صلى اللّه عليه و سلم فى بعض السنين، و ليس هو المراد إذا أطلق المصلى جزما.

و الذی یترجح عندی أن المراد بالبقیع فی حدیث البراء سوق المدینة؛ لما قدمناه فیه من أنه کان یسمی بقیع الجبل، و هو أحد الأماکن المتقدم ذکرها لصلاة العید، و کذلک هو المراد من حدیث ابن عمر «أنی أبیع الإبل بالبقیع بالدراهم و آخذ مکانها الدنانیر» کما قدمناه.

و قال الجمال المطری عقب نقله لما قدمناه عن ابن زبالة: و لا یعرف من المساجد التی ذکر لصلاة العید إلا هذا المسجد الذی یصلی فیه الیوم، و مسجد شمالیة وسط الحدیقة المعروفة بالعریضی المتصلة بقبة عین الأزرق، و یعرف الیوم بمسجد أبی بکر الصدیق رضی الله تعالی عنه، و لعله صلی فیه فی خلافته، و مسجد کبیر شمالی الحدیقة متصل بها یسمی مسجد علی بن أبی طالب رضی الله تعالی عنه، و لم یرد أنه رضی الله عنه صلی بالمدینة عیدا فی خلافته؛ فتکون هذه المساجد الموجودة الیوم من الأماکن التی صلی فیها رسول الله صلی اللّه علیه و سلم صلاة العید سنة بعد سنة و عیدا بعد عید؛ إذ لا یختص أبو بکر و علی رضی الله عنهما بمسجدین لأنفسهما و یترکان المسجد الذی صلی فیه النبی صلی اللّه علیه و سلم، انتهی.

قلت: ما ذکره من أنه لم یرد أن علیا رضی الله تعالی عنه صلی بالمدینة عیدا فی خلافته، أی فلا تظهر نسبة المسجد المذکور إلیه، و کأنه لم یقف علی ما رواه ابن شبة عن سعد بن عبید مولی ابن أزهر قال: صلیت العید مع علی رضی الله عنه و عثمان رضی الله عنه محصور؛ فصلی ثم خطب بعد الصلاة.

و روی أیضا عن الزهری قال: صلی سهل بن حنیف و عثمان محصور الجمعة، و صلی یوم العید علی بن أبی طالب؛ فالظاهر أنه صلی حینئذ بذلک المکان لکونه أحد المصلیات التی صلی فیها النبی صلی اللّه علیه و سلم، لا أنه ابتکر الصلاة فیه، و الله أعلم.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفی، ج۳، ص: ۷

مصلی العید بالصحراء

و لم یکن المصلی فی زمن النبی صلی اللّه علیه و سلم مسجّدا، بل کانت صحراء لا بناء بها، و نهی صلی اللّه علیه و سلم عن البناء بها کما سیأتی، و لهذا وقع الرجم بها. و ذهب بعض العلماء إلی أن المصلی یثبت لها حکم المسجد، و إن لم یوقف، و هو مردود؛ فإن من شاهد مصلا صلی اللّه علیه و سلم و ما ذکر من امتدادها إلی سوق المدینة کما قدمناه فیه و ما بها من الدور و الشوارع علم عدم صحة ذلک، و حمل الرجم المذکور فی الحدیث علی أنه وقع بالقرب منها خلاف مقتضی اللفظ و المسجد المتخذ بها الیوم إنما هو فی بعضها، و هو المحل الذی قام به النبی صلی اللّه علیه و سلم، و کذلک المسجدان الآخران، و الظاهر أن بناء الثلاثة کان فی زمن عمر بن عبد العزیز.

و قد قدمنا ذکر الأول منها، و هو المعروف الیوم بمسجد المصلی فیما نقله ابن شبة عن أبی غسان من الذّرع؛ لما بینه و بین المسجد النبوی.

و الثانی المنسوب إلی أبی بکر الصدیق رضی الله عنه بالحدیقة المذکورة عن یساره مخزن لدواب الحدیقة المذکورة، و مدخل الدواب من باب المسجد الذی فی شامیه، فیمتهنه أهل الحدیقة بمرور البهائم منه، و ربما حبسوها فیه، فدخلته مرة فوجدته کالمزبلة، و هو فی غایة الامتهان قد امتلأ بروث الدواب و بولها، و لم أجد موضعا للصلاة فیه فتکلمات مع شیخ الخدام الأمیر إینال الناظر علی الحدیقة المذکورة فی أن یغیر باب المخزن المذکور، و یجعله من خارج المسجد، فأمر فقیهه الفقیه الشهاب أحمد النوسی بالنظر فی ذلک، فجعل علی الموضع المسقف من المسجد المذکور الذی فیه المحراب جدارا فی شامیه یمنع من وصول البهائم إلیه، و کان فی جدار المسجد الغربی مما یلی القبلة هیئة بابا مشبک، فجعله باب لذلک المحل، و بقیت رحبة المسجد التی فی شامیه دهلیزا للدواب، فکلمته فی ذلک فذکر أنه قیل له: إن المسجد هو ذلک المسقف فقط، و جدران المسجد شاهدة بخلاف ذلک، فلیتنبه له.

و المسجد الثالث المنسوب لعلى رضى الله تعالى عنه كان قد تهدّم و دثر حتى صار بعض الحجاج يدفن فيه من يموت فى زمن الموسم، فإنه إلى جانب منزلة الحجاج، فجدد بناءه الأمير زين الدين ضغيم المنصورى أمير المدينة الشريفة سنة إحدى و ثمانين و ثمانمائة.

و أما المسجد الأول المعروف اليوم بمسجد المصلى فلم يزل مصونا، و كان بابه لا يزال مفتوحا فربما يقع له انتهاك، فأمر شيخ الخدام بغلقه، و عمارته الموجودة اليوم لا أدرى لمن تنسب، إلا أنى رأيت على بابه حجرا قد انمحى بعض الكتابة منه، و فيه «أمر بتجديد هذا المسجد المنسوب للنبى صلى اللّه عليه و سلم بعد خرابه و ذهاب عز الدين شيخ الحرم الشريف النبوى، و ذلك فى أيام السلطان الملك الناصر حسن بن السلطان محمد بن قلاون الصالحى» و ما بعد ذلك قد

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۸

انمحى. و ابتداء ولاية السلطان حسن المذكور فى سنة ثمان و أربعين، و استمر إلى أثناء سنة اثنتين و ستين و سبعمائة، و هذا المسجد بابه فى حائطه الشامى قريبا من محاذاة محرابه، و من خارج بابه على يمين الداخل منه درج يصعد إلى موضع لطيف على ميمنة الباب المذكور، و قد أصلح ما تشعّث من هذا المسجد الأمير بردبك المعمار سنة إحدى و ستين و ثمانمائة فى دولة الأشرف إينال، و أحدث لذلك الموضع المتقدم وصفه فى ميمنة الباب المذكور درجة أخرى يتوصل بها إليه من داخل المسجد، و ذلك الموضع هو الذى يقوم عليه الخطيب فى يوم العيد، و أحدث الأمير بردبك أيضا أمام ذلك الموضع من خارج المسجد مسقفا ليجلس عليه المبلغون أمام الخطيب، و فى يوم العيد يجتمع أهل السنة من أهل المدينة و أعيانهم بالمصلى المذكور، بحيث لا يبقى خارجه من أهل السنة إلا اليسير مع شيخ الخدام و جماعته، لأن العادة جرت بأن يكون صفهم أمام الخطيب فى الجمعة و العيد؛ لما ذكره البدر ابن فرحون من أن أول قاض ولى لأهل السنة القاضى الإمام العلامة السراج عمر بن أحمد الخضر سنة اثنتين و ثمانين و ستمائة فى دولة المنصور قلاوون الصالحى، و كان القضاة قبل ذلك من الشيعة آل سنان، و كانت الخطابة بأيديهم، فانتزع السلطان المشار إليه ذلك منهم للسراج، فكانوا يؤذونه أذى شديدا.

قال ابن فرحون: أدركت من أذاهم له أنهم كانوا يرجمونه بالحصباء و هو يخطب على المنبر، فلما كثر ذلك منهم تقدم الخدام و جلسوا بين أيديهم أمام المنبر، فذلك هو السبب فى إقامة صفّ الخدام قبالة الخطيب، و خلفهم غلمانهم و عبيدهم. اه.

و قد استمر ذلك إلى اليوم، فإذا صلى الإمام بأهل المسجد المذكور صلاة العيد انصرف، و خرج من بابه المذكور مخترقا للصفوف متخطّيا للرقاب إلى أن يصعد فى أعلى تلك الدرج، فيستدبر القبلة و يستقبل جهة الشام على عادة الخطباء، ثم يخطب هناك، فيصير جميع من فى المسجد خلف ظهره، ثم إن أهل المسجد يستدبرون القبلة و يستقبلون ظهره و غالب من يصلى خارج المسجد لا يشاهده أيضا لحيلولة المسقف المحدث أمام ذلك الموضع، و هذا كله مخالف للسنة، و لما ثبت من فعله صلى اللّه عليه و سلم فى هذا المحل من قيامه فى مصلاه مستقبلا للناس و هم على صفوفهم كما سنوضحه، و من زعم أن هذا الوضع فى محل قيام النبى صلى اللّه عليه و سلم و أنه صلى بذلك المحل على هذه الصفة الموجودة اليوم فقد أخطأ خطأ عظيما و أساء الأدب، فكيف يظن به صلى اللّه عليه و سلم أنه ينصرف عن أصحابه حتى يستدبرهم أو الكثير منهم ثم يخطب لهم؟ و تترك الصحابة رضى الله تعالى عنهم طلعته البهية و يرضون باستدباره صلى اللّه عليه و سلم مع قيامه لمخاطبتهم، و هم أعظم الناس أدبا و حرصا على رؤيته الشريفة، و كيف يتفق علماء الإسلام على أن السنة خلاف ذلك كما سيأتى؟ فالمتعين تغيير هذه الهيئة، و الله أعلم.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۹

الطرف الثانى: فيما جاء من أن النبى صلى اللّه عليه و سلم قام بالمصلى على غير منبر مستقبلا للناس.

كيف صلى الرسول العيد؟

قال البخارى فى صحيحه، باب الخروج إلى المصلى بغير منبر، ثم روى فيه حديث أبى سعيد الخدرى قال: كان النبى صلى اللّه عليه و سلم يخرج يوم الفطر و الأضحى إلى المصلى، فأول شىء يبدأ به الصلاة، ثم ينصرف فيقوم مقابل الناس و الناس جلوس على صفوفهم، فيعظهم و يوصيهم و يأمرهم، فإن كان يريد أن يقطع بعثا قطعه، أو يأمر بشىء أمر به، ثم ينصرف، فقال أبو سعيد: فلم يزل الناس على ذلك حتى خرجت مع مروان و هو أمير المدينة فى أضحى أو فطر، فلما أتينا المصلى إذا منبر بناه كثير بن الصلت، و إذا مروان يريد أن يرتقيه قبل أن يصلى، فجبذته بثوبه، فجبذنى، فارتفع فخطب قبل الصلاة فقلت له: غيرتم و اللّه، فقال:

أبا سعيد قد ذهب ما تعلم، فقلت: ما أعلم و اللّه خير مما لا أعلم، فقال: إن الناس لم يكونوا يجلسون لنا بعد الصلاة، فجعلتها قبل الصلاة، هذا لفظ رواية البخارى.

قال الحافظ ابن حجر: المراد بقوله إلى المصلى المصلى المعروف بالمدينة بينه و بين باب المسجد ألف ذراع، قاله عمر بن شبة عن أبى غسان صاحب مالك، و فى رواية ابن حبان من طريق داود: فينصرف إلى الناس قائما فى مصلاه.

قلت: و هذا معنى قوله فى رواية البخارى «ثم ينصرف فيقوم مقابل الناس» يعنى أنه يستدبر القبلة و يقف فى مصلاه، و قد ترجم البخارى لاستقبال الإمام الناس فى خطبة العيد، و أورد فيه طرفا من حديث أبى سعيد المذكور، و قد صرح الأئمة بأن ذلك هو السنة.

قال الزين ابن المنير: و إنما أعاد البخارى هذه الترجمة مع أنه قدم نظيرها فى الجمعة لدفع احتمال توهم أن العيد يخالف الجمعة فى ذلك، و أن استقبال الإمام فى الجمعة يكون ضروريا لكونه يخطب على منبر، بخلاف العيد فإنه يخطب فيه على رجليه لحديث أبى سعيد المذكور، فأراد أن يبين أن الاستقبال سنّة على كل حال.

من أحدث منبر المصلى العيد

قال الحافظ ابن حجر: و هذا يقتضى أنه لم يكن فى المصلّى فى زمان النبى صلى اللّه عليه و سلم منبر إلى أن اتخذ لمروان، و يدل عليه قول أبى سعيد «فلم يزل الناس إلى آخره». و وقع فى المدونة لمالك، و رواه ابن شبة عنه قال: أول من خطب الناس فى المصلى على منبر عثمان بن عفان، كلمهم على منبر من طين بناه كثير بن الصلت، و هذا معضل، و ما فى الصحيحين أصح؛ فقد رواه مسلم بنحو رواية البخارى، و يحتمل أن يكون عثمان فعل ذلك مرة ثم تركه حتى أعاده مروان، و لم يطلع على ذلك أبو سعيد، انتهى.

قلت: لكن روى أبو داود و غيره فى حديث ذكر أنه غريب و أن سنده جيد عن عائشة

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۱۰

رضى اللّه تعالى عنها قالت: شكا الناس إلى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم قحوط المطر، فأمر بمنبر فوضع له بالمصلى. و فى رواية للترمذى أن النبى صلى اللّه عليه و سلم خرج إلى الاستسقاء حتى أتى المصلى فرقى على المنبر؛ فهذا يقتضى أن النبى صلى اللّه عليه و سلم خطب فى الاستسقاء بالمصلى على منبر، و كأن ذلك هو المستند لمن أحدث المنبر فى خطبة العيد قياسا على الاستسقاء، و يحتمل أنه صلى اللّه عليه و سلم خصّ الاستسقاء بذلك لتيسر رؤيته لعامة الناس فيها، فيقتدون به فى تحويل الرداء عند تحويله، و فى كيفية رفع اليدين فى الدعاء، و نحو ذلك مما يختص بخطبة الاستسقاء.

قال الحافظ ابن حجر: و قول أبى سعيد «غيرتم و اللّه» صريح فى أنه هو المنكر و وقع فى رواية مسلم «فقام إليه رجل فقال: الصلاة قبل الخطبة، قال: قد ترك ما هنالك، فقال أبو سعيد: أما هذا فقد قضى ما عليه» فيحتمل أن يكون المنكر أبو مسعود الذى وقع فى رواية عبد الرزاق أنه كان معهما، و يحتمل أن يكون القصة تعددت، و يدل على ذلك المغايرة بين روايتى عياض و رجاء، ففى رواية عياض أن المنبر بنى له بالمصلى، و فى رواية رجاء أن مروان أخرج المنبر معه، و لأن إنكار أبى سعيد كان بينه و بينه، و إنكار الآخر

وقع على رءوس الناس.

و قوله: «إن الناس لم يكونوا يجلسون لنا بعد الصلاة» يشعر بأن ذلك باجتهاد من مروان.

أول من خطب قبل صلاة العيد

و قد اختلف فى أول من خطب قبل الصلاة، فرواية الصحيحين عن أبى سعيد مصرحة بأنه مروان.

و روى ابن المنذر بإسناد صحيح عن الحسن البصرى قال: أول من خطب قبل الصلاة عثمان، صلى بالناس ثم خطبهم، يعنى على العادة، فرأى ناسا لم يدركوا الصلاة، ففعل ذلك، أى صار يخطب قبل الصلاة. و هذه العلة غير التى اعتلّ بها مروان؛ لأن عثمان رضى الله تعالى عنه راعى مصلحة الجماعة فى إدراكهم للصلاة، و أما مروان فراعى مصلحتهم فى استماعهم الخطبة، لكن قيل: إنهم كانوا فى زمن مروان يتعمدون ترك سماع خطبته لما فيها من سبّ من لا يستحق السب، و الإفراط فى مدح بعض الناس، فعلى هذا إنما راعى مصلحة نفسه. و يحتمل أن يكون عثمان فعل ذلك أحيانا، بخلاف مروان فواظب عليه فلذلك نسب إليه.

و قد أوردنا بقية كلام الحافظ ابن حجر و غيره من الفوائد المتعلقة بذلك فى كتابنا الموسوم «بالوفا، بما يجب لحضرة المصطفى صلى اللّه عليه و سلم» و بينا فيه أن الدرج الموجودة التى يقوم عليها الخطيب اليوم ليست فى الموضع الذى بنى لمروان؛ لأن مروان و إن قدّم الخطبة على الصلاة

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۱۱

فلما له فى ذلك من المقصد. و أما جعله المنبر على خلاف السنة و جعله القوم أو بعضهم خلف ظهره فلا ثمرة له، و أيضا فيبعد إقرار من جاء بعده على ذلك، و أيضا لو كان ذلك من فعله لأنكر عليه كما أنكر عليه ما تقدم، و لو سلم أن تلك الدرج فى موضع منبر مروان فالسنة تغيير ذلك و اتباع ما صح من فعله صلى اللّه عليه و سلم، كما خولف فى أمر الخطبة و اتبع بها فعله صلى اللّه عليه و سلم حيث جعلت بعد الصلاة، و التشبث باستمرار أفعال الناس إنما يكون فى شىء لم يعلم حكمه من جهة الشرع، أما ما علم حكمه فالواجب اتباع الشرع فيه، و اعتقاد حدوث ما عليه الناس، و تقديره بأقرب زمان، و قد ذم الله تعالى قوما تمسكوا فى جحد الحق بفعل سلفهم حيث قال حكاية عنهم: إِنَّا وَجَدْنا آباءَنا عَلى أُمَّةٍ وَ إِنَّا عَلى آثارِهِمْ مُقْتَدُونَ [الزخرف: ۲۳] فمن الواجب تطهير هذا المحل الشريف المنسوب للمصطفى صلى اللّه عليه و سلم عن هذه البدعة الشنعاء، و لذلك بينا بعض الدرج عن يمين القائم فى محراب المسجد المذكور كما ذكر العلماء أنه السنة، و تكون مرتفعة بحيث يرى القائم عليها من خارج المسجد، و الذى يظهر أن تلك الدرج إنما جعلت للمبلغ، و أن الخطيب إنما كان يقوم فيه على الأرض؛ لأنه الثابت من فعله صلى اللّه عليه و سلم، فكأن بعض الخطباء قام عليها بعد ذلك فاستمر الأمر على ذلك، و الله أعلم.

الطرف الثالث:

فيما جاء فى فضل المصلى الشريف، و الدعاء به، و نهيه صلى اللّه عليه و سلم عن تضييقه و البناء به.

أورد ابن شبة فى ترجمة المصلى عن جناح النجار قال: خرجت مع عائشة بنت سعد بن أبى وقاص إلى مكة، فقالت لى: أين منزلك؟ فقلت لها: بالبلاط، فقالت لى: تمسك به فإنى سمعت أبى يقول: سمعت رسول الله صلى اللّه عليه و سلم يقول «ما بين مسجدى هذا المسجد و مصلاى روضة من رياض الجنة».

و قوله فى هذه الرواية: «ما بين مسجدى هذا المسجد- إلى آخره» يدفع تأويل من أوّل حديث الأوسط للطبرانى بلفظ «ما بين حجرتى و مصلّاى» و الحديث الذى رواه ابن زبالة من طريق عائشة بنت سعد عن أبيها بلفظ «ما بين منبرى و المصلى» بأن المراد مصلاه الذى

يصلى فيه فى المسجد؛ لأنه لا يصح أن يقال: ما بين هذا المسجد و المصلى الذى فيه، و لهذا استدلّت به عائشة بنت سعد على الحث على التمسك بالدور التى بالبلاط، يعنى الآخذة من باب السلام إلى المصلى؛ لأنها فيما بين المسجد و مصلى العيد، و إذا كان ما بين المسجدين المذكورين روضة فهما روضة من باب أولى؛ لأن ذلك الفضل إنما حصل لما بينهما بحصوله صلى اللّه عليه و سلم فى ذلك و تردده صلى اللّه عليه و سلم فيما بينهما، فكيف بمحلّ سجوده و موقفه الشريف؟

و روى ابن شبة عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال: كان النبى صلى اللّه عليه و سلم إذا قدم من سفر فمر بالمصلّى استقبل القبلة و وقف يدعو.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۱۲

و عن أبى عطاء عن أبيه قال: قال لى سعيد بن المسيب: يا أبا محمد، أ تعرف موضع دار كثير بن الصلت؟ قلت: نعم، قال: فإن النبى صلى اللّه عليه و سلم خرج حتى انتهى إلى ذلك الموضع فقام و صفّ أصحابه خلفه فصلى على النجاشى حين مات فى أرض الحبشة.

و عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم خرج إلى المصلى يستسقى، فبدأ بالخطبة، ثم صلى و كبر واحدة افتتح بها الصلاة و قال: هذا مجمعنا و مستمطرنا و مدعانا لعيدنا و لفطرنا و أضحانا؛ فلا يا بنى فيه لبنة على لبنة و لا جهة، و رواه ابن زبالة إلا أنه قال: ثم قال: هذا مجتمعنا و مستمطرنا و مدعانا لعيدنا لفطرنا و أضحانا، الحديث.

و روى يحيى عن داود بن أبى الفرات قال: خرج رسول الله صلى اللّه عليه و سلم إلى المصلى فقال: هذا مستمطرنا و مصلّانا لأضحانا و فطرنا، لا يضيق، و لا ينتقص منه شىء.

و سيأتى فى ترجمة أحجار الزيت أن النبى صلى اللّه عليه و سلم استسقى عندها قريبا من الزوراء.

[الطرف الرابع:] بيان طريقى ذهاب النبى للمصلى و رجوعه

الطرف الرابع: فيما جاء من أنه صلى اللّه عليه و سلم: كان يذهب إلى هذا المصلى الشريف من طريق و يرجع فى أخرى، و بيان كل من الطريقين.

روينا فى صحيح البخارى فى باب من خالف الطريق إذا رجع يوم العيد عن جابر رضى الله تعالى عنه قال: كان النبى صلى اللّه عليه و سلم إذا كان يوم عيد خالف الطريق.

و روى ابن شبة عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أن النبى صلى اللّه عليه و سلم أخذ يوم العيد فى طريق و رجع فى طريق آخر، و فى رواية «كان يأخذ يوم العيد فى طريق و يرجع فى طريق آخر».

و عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال: كان النبى صلى اللّه عليه و سلم إذا خرج إلى العيد فى طريق لم يرجع فيه.

و عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى اللّه عليه و سلم «كان إذا خرج إلى العيد رجع فى غير الطريق الذى أخذ فيه».

و عنه رضى الله تعالى عنه أنه قال: ركن باب دارى هذا أحبّ إلىّ من زنتها ذهبا، سلك رسول الله صلى اللّه عليه و سلم على دارى إلى العيد، فجعلها يسارا، فمر على عضادة دارى مرتين فى غداة واحدة.

قلت: و لا مخالفة بين هذا و بين الرواية الأولى لأن دار أبى هريرة كانت بالبلاط عند زقاق عبد الرحمن بن الحارث كما قدمناه فى الدور المحيطة بالبلاط الأعظم، و بعدها إلى جهة المصلى قريبا منها دار سعد بن أبى وقاص.

و قد روى ابن شبة عن يحيى بن عبد الرحمن عن أبيه أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم «كان يأتى العيد

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۱۳

ماشيا على باب سعد بن أبى وقاص، و يرجع إلى أبى هريرة» و حينئذ فيمر على دار أبى هريرة فى ذهابه ثم فى رجوعه؛ لأن الشافعى

روى فى الأم و منها نقلت عن المطلب بن حنطب أن النبى صلى اللّه عليه و سلم «كان يغدو يوم العيد إلى المصلى من الطريق الأعظم، فإذا رجع رجع من الطريق الأخرى على دار عمار بن ياسر».

و رواه ابن زبالة عن محمد بن عمار بلفظ «كان يخرج إلى المصلى من الطريق العظمى على أصحاب الفساطيط، و يرجع من الطريق الأخرى على دار عمار بن ياسر» و قد قدمنا أن دار عمار بن ياسر فى زقاق عبد الرحمن بن الحارث الذى يسلك إلى البلاط عند دار أبى هريرة بابها يقابل دار عبد الرحمن بن الحارث، و لها خوخة فى كتّاب عروة، فصحّ مروره صلى اللّه عليه و سلم عليها مرتين فى غداة واحدة مع ذهابه من طريق و رجوعه فى أخرى.

و سيأتى فى ذكر طريقه صلى اللّه عليه و سلم إلى قباء ذهابا و إيابا ما يصرح بأنه إذا رجع يمر على مسجد بنى زريق من كتّاب عروة حتى يخرج إلى البلاط، يعنى من الزقاق المذكور؛ لما قدمناه فى وصف البلاط.

و الطريق العظمى: - كما قال المطرى- هى طريق الناس اليوم من باب المدينة: أى الدرب المعروف بدرب سويقة إلى مسجد المصلى، و لم يتعرض لبيان الطريق الأخرى، و قد منّ الله سبحانه و تعالى ببيانه فله الحمد على ذلك. و هذه الطريق هى المرادة بما رواه ابن زبالة عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم «كان يذبح أضحيته بيده إذا انصرف من المصلى على ناحية الطريق التى كان ينصرف منها» و تلك الطريق أو المكان الذى كان يذبح فيه مقابل المغرب مما يلى طريق بنى زريق، أى أنه إذا انصرف من المصلّى أتى موضعا فى غربى طريق بنى زريق فذبح، ثم سلك فى تلك الطريق، و هى سالكة فى بنى زريق آخذة من قبلة المصلى إلى أن يمر بدار أبى هريرة كما تقدم، و لهذا روى الواقدى عن عائشة و ابن عمر و غيرهما أنه صلى اللّه عليه و سلم «كان يذبح عند طرف الزقاق عند دار معاوية» أى المتقدم ذكرها. و سور المدينة اليوم مانع من سلوك هذه الطريق فى الرجوع. و يستفاد من هذا أن المخالفة بين الطريقين لم تكن فى جميعهما، إلا أن يكون النبى صلى اللّه عليه و سلم كان إذا وصل إلى محل البلاط الذى عند دار أبى هريرة لم يسلك فى بقية الطريق العظمى، و هى الشارعة اليوم إلى باب السلام، بل يأخذ فى ميسرة البلاط إلى الشام؛ لأن الظاهر أن غالب تلك الأماكن كانت براحا ثم يعرج إلى جهة داره بعد ذلك. على أن ما ذكرناه فى وصف هذه الطريق مقتض لأن طريقه صلى اللّه عليه و سلم فى ذهابه أقصر من طريق رجوعه كما لا يخفى؛ فيعكر على القول بأن المستحب أن يذهب فى أطول الطريقين و يرجع فى أقصرهما.

و قد روى الشافعى رحمه الله تعالى فى الأم عقب ما قدمناه عنه وصف طريق أخرى

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۱۴

الرجوع فيها أبعد من الذهاب أيضا بكثير جدّا؛ فإنه روى عقب ذلك عن معاذ بن عبد الرحمن التيمى عن أبيه عن جده أنه رأى النبى صلى اللّه عليه و سلم رجع من المصلّى يوم عيد فسلك على التمارين من أسفل السوق، حتى إذا كان عند مسجد الأعرج الذى هو عند موضع البركة التى بالسوق قام فاستقبل فج أسلم فدعا ثم انصرف.

قال الشافعى عقبه: و أحبّ أن يصنع الإمام مثل هذا، و أن يقف فى موضع فيدعو الله مستقبل القبلة، و إن لم يفعل فلا كفارة و لا إعادة عليه، هذا لفظ الأم و منها نقلت.

و يؤيد هذا ما رواه يحيى عن محمد بن طلحة بن طويل قال: رأيت عثمان بن عبد الرحمن و محمد ابن المنكدر ينصرفان من العيد فيقومان عند البركة التى بأسفل السوق، قال:

و سألت عثمان بن عبد الرحمن عن ذلك فقال: كان رسول الله صلى اللّه عليه و سلم يقف عند ذلك المكان إذا انصرف من العيد.

و قد قدمنا عن ابن زبالة فى سوف المدينة أن محمد بن المنكدر و عثمان بن عبد الرحمن و جماعة كانوا يقومون بفناء بركة السوق مستقبلين، و أن عثمان بن عبد الرحمن قال: قد اختلف علينا فى ذلك؛ فقائل يقول: كان رسول الله صلى اللّه عليه و سلم يدعو هنالك، و قائل يقول: كان رسول الله صلى اللّه عليه و سلم يقوم هنالك فينظر إلى الناس إذا انصرفوا من العيد.

قلت: و قد بينت رواية الشافعي المذكور أنه كان يدعو هنالك إذا انصرف من العيد، و لا مانع من كونه مع ذلك ينظر إلى الناس المنصرفين من العيد أيضا فلا اختلاف. و قد بينا هناك ما يقتضي أنه كان يسلك على سوق التمارين، و هو في شامي المصلى مما يلي المغرب، و بينا أيضا أن منازل أسلم كانت في غربي سوق المدينة إلى الشام بعد التمارين، و ذلك عند حصن أمير المدينة و ما سفل منه إلى جهة الشام مما يلي غربي سوق الشاميين عند منزل الحاج الشامي بالموسم، و بينا بركة بركة السوق هي المنهل المدرج الذي على يسار المتوجه إلى ثنيّة الوداع عند مشهد النفس الزكية، و القائم عندها إذا استقبل فجّ أسلم كان مستقبلا للقبلة، و لعل مسجد الأعرج الذي أشار الشافعي في روايته إلى أنه عندها هو الموضع الذي هو قبلة مشهد النفس الزكية، فإنه مسجد، و هو عند موضع البركة، و ما علمت المرأة بالأعرج الذي نسب إليه المسجد المذكور.

و قد أنشأ قاضي الحرمين السيد الشريف العلامة محيي الدين عبد القادر الحنبلي الفاسي المكي مسجدًا بمنزلة الحاج الشامي بالقرب من المنهل المذكور في جهة قبلته.

إذا علمت ذلك فهذه الطريق تزيد على الطريق العظمى إلى المصلى بنحو ضعفها، و يمكن سلوكها اليوم في الرجوع من المصلى، بخلاف الطريق السابقة؛ لحيلولة السور.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۱۵

و أهل المدينة اليوم يذهبون من الطريق العظمى، و يرجعون في بعض تلك الطريق السابقة؛ لأنهم يأخذون من جهة قبلة المصلّى إلى المشرق خارج سور المدينة، فيدخلون من درب البقيع، و طريقهم هذه في الرجوع أطول من الذهاب أيضا، و لو سلكوا الطريق المذكورة في رواية الشافعي الثانية لكان أولى، و ليحصل الدعاء بذلك المحل الشريف اقتداء بالنبي صلى اللّه عليه و سلم و من تقدم ذكره من السلف الصالح.

و قد فعلت ذلك في عامنا هذا، فسلكت في الذهاب إلى المصلّى من الطريق العظمى، و رجعت من أسفل السوق إلى أن قمت بفناء بركته المذكورة، ثم انصرفت فدخلت المدينة من الباب الذي يلي حصن أمير المدينة، و الخير كله في الاتباع و مجانبة الابتداع، و أي بركة أعظم من ذهاب الإنسان إلى المصلى في ذلك اليوم السعيد في طريق ذهب منها النبيّ صلى اللّه عليه و سلم؟ ثم صلاته بمصلّاه الشريف، ثم رجوعه في طريقه التي رجع منها.

و قد قال المجد: و إذا ثبت بما رويناه- يعني من الأحاديث المتقدمة- أن المصلّى الموجود هو مصلى النبي صلى اللّه عليه و سلم في الأعياد، فالصلاة فيه تزداد فضلا و مزية على كل مصلى أيّ ازدياد، و يخص الفائزون بالصلاة فيه من الله تعالى بأسبغ نعم و أياد، و يمنح الحائزون فضل الحضور إليها فواضل قصرت عنها معالي معد و أيادي إياد.

قلت: و أخبرني جماعة من المشايخ منهم شيخنا الكمال أبو الفضل محمد ابن العلامة نجم الدين المرجاني و أخته المسندة أم كمال كماليه و المسندة أم حبيبة زينب ابنة الشهابي أحمد الشونكي و غيرهم إذنا عن المجد المشار إليه قال عقب ما تقدم عنه: أنشدني أبو عمر عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم الحموي كتابة عن أبي البركات أيمن بن محمد بن محمد بن محمد الغرناطي لنفسه:

إنّ عيدا بطيبة و صلاة بمصلّى الرسول في يوم عيد

نعم ضاق واسع الشكر عنها فهي بشرى لكل عبد سعيد

كم تمنيتها فنلت التمني آخر العمر من مكان بعيد

و إذا كان في البقيع ضريحي و توسّدت طيب ذاك الصعيد

فاشهدوا لي بكلّ خير و بشر عند ربي و مبدئي و معيدي

و المسئول من فضل الله تعالى أن يكمل لأهل هذا المصلى الشريف عظيم منته بجعل منبره المنيف على طريقته صلى اللّه عليه و سلم و سنته، بمنه و كرمه، آمين.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۱۶

الفصل الثانى فى مسجد قباء، و فضله، و خبر مسجد الضّرار

[مسجد قباء، و فضله]

تأسيس مسجد قباء

تقدم تأسيس النبى صلى اللّه عليه و سلم لمسجد قباء فى الفصل العاشر من الباب الثالث، عند مقدمه صلى اللّه عليه و سلم قباء، و بسطنا ذلك هناك، فراجعه و ذكرنا هناك ما جاء من أن النبى صلى اللّه عليه و سلم عمل فيه بنفسه، و أنه أسّسه و جبريل يؤمّ به البيت، و أنه كان يقال: إنه أقوم مسجد قبلة، و أنه صلى اللّه عليه و سلم أسسه ثانيا بعد تحويل القبلة، و قدمنا أيضا قول عروة فى الصحيح فى حديث الهجرة الطويل «فلبث فى بنى عمرو بن عوف بضع عشرة ليلة، و أسس المسجد الذى أسس على التقوى».

و فى رواية عبد الرزاق عنه قال «الذين بنى فيهم المسجد الذى أسس على التقوى هم بنو عمرو بن عوف» و كذا فى حديث ابن عباس عند ابن عابد و لفظه «و مكث فى بنى عمرو بن عوف ثلاث ليال، و اتخذ مكانه مسجدّا فكان يصلى فيه، ثم بناه بنو عمرو بن عوف، فهو الذى أسس على التقوى» و قدمنا أيضا أنه أول مسجد بناه النبى صلى اللّه عليه و سلم و صلى فيه بأصحابه جماعة ظاهرا.

قال الحافظ ابن حجر: اختلف فى المراد بقوله تعالى: لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ [التوبة: ۱۰۸] فالجمهور على أن المراد مسجد قباء، و هو ظاهر الآية، و تقدم فى فضل المسجد النبوى حديث مسلم المشتمل على أن أبا سعيد سأل النبى صلى اللّه عليه و سلم عن المسجد الذى أسس على التقوى فقال «هو مسجدكم هذا» و فى رواية لأحمد و الترمذى عنه: اختلف رجلان فى المسجد الذى أسس على التقوى، فقال أحدهما: هو مسجد المدينة، فسألاه عن ذلك، فقال: هو هذا، و فى ذلك- يعنى مسجد قباء- خير كثير، و قدمنا أيضا الجمع بأن كلا من المسجدين قد أسس على التقوى من أول يوم تأسيسه، و أنهما المراد من الآية، و أن السر فى اقتصاره صلى اللّه عليه و سلم على ذكر مسجد المدينة دفع توهم اختصاص ذلك بمسجد قباء، كما هو ظاهر ما فهمه السائل و تنويها بمزية مسجده الشريف.

قال الحافظ ابن حجر: و الحق أن كلا منهما أسس على التقوى، و قوله تعالى فى بقية الآية فِيهِ رِجالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا [التوبة: ۱۰۸] يؤيد كون المراد مسجد قباء.

و عند أبى داود بإسناد صحيح عن أبى هريرة عن النبى صلى اللّه عليه و سلم قال: نزلت فِيهِ رِجالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا فى أهل قباء، قال: كانوا يستنجون بالماء، فنزلت فيهم هذه الآية.

قال الحافظ ابن حجر: فالسر فى جوابه صلى اللّه عليه و سلم بما تقدم دفع توهم أن ذلك خاص بمسجد قباء.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۱۷

قال الداودى و غيره: ليس هذا اختلافا؛ لأن كلا منهما أسس على التقوى و كذا قال السهيلى و زاد أن قوله تعالى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ يقتضى مسجد قباء؛ لأن تأسيسه كان فى أول يوم حلّ النبى صلى اللّه عليه و سلم بدار الهجرة.

روى أحمد و ابن شبة، و اللفظ لأحمد، عن أبى هريرة قال: انطلقت إلى مسجد التقوى أنا و عبد الله بن عمر و سمرة بن جندب، فأتينا النبى صلى اللّه عليه و سلم فقالوا لنا: انطلق نحو مسجد التقوى، فانطلقنا نحوه، فاستقبلنا يداه على كاهلى أبى بكر و عمر، فثرنا فى وجهه فقال: من هؤلاء يا أبا بكر؟ فقال: عبد الله بن عمر، و أبو هريرة، و سمرة.

و روى ابن شبة من طرق ما حاصله أن الآية لما نزلت أتى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم أهل قباء، و فى رواية أهل ذلك المسجد، و

فی روایـة بنی عمرو بن عوف فقال رسول الله صـلی اللّه علیه و سـلم «إن الله قـد أحسن علیکم الثناء فی الطهور، فما بلغ من طهورکم؟ قالوا: نستنجی بالماء».

و ذکر أبو محمد المرجانی الجمع بأن کلا من المسجدین أسّس علی التقوی، ثم قال: فقد روی عن عبد الله بن بریدة فی قول الله عز و جل فِی بُیُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ قال: إنما هی أربعـة مساجـد، لم یبنهنّ إلا نبی: الکعبـة بناها إبراهیم و إسـماعیل علیهما السـلام، و بیت أریحاء بیت المقدس، بناه داود و سـلیمان، و مسـجد المدینة مسـجد قباء اللذین أسّـسا علی التقوی، بناهما رسول الله صـلی اللّه علیه و سلم.

قلت: و قال یحیی بن الحسـین فی أخبار المدینة: حدثنا بکر بن عبد الوهاب أنبأنا عیسـی بن عبد الله عن أبیه عن جده عن علی بن أبی طالب أن النبی صـلی اللّه علیه و سـلم قال «المسـجد الذی أسّـس علی التقوی من أول یوم هو مسـجد قباء، قال الله جل ثناءه فِیهِ رِجالٌ یُحِبُّونَ أَنْ یَتَطَهَّرُوا وَ اللَّهُ یُحِبُّ الْمُطَّهِّرِینَ [التوبة: ۱۰۸] و بکر بن عبد الوهاب هو ابن أخت الواقدی صدوق، و عیسی بن عبد الله یظهر لی أنه عیسـی بن عبـد الله بن مالک و هو مقبول؛ فیکون جـده حینئـذ عبد الله بن مالک، و هو شـیخ مقبول یروی عن علی و ابن عمر؛ فالحدیث حسن؛ فتعین الجمع بما تقدم، و الله أعلم.

ما جاء فی أن الصلاة فیه تعدل عمرة

روی الترمذی عن أسـید بن حضـیر الأنصاری عن النبی صـلی اللّه علیه و سـلم قال: «الصلاة فی مسجد قباء کعمرة» قال الترمذی: و فی الباب عن سهل بن حنیف، و حدیث أسید حدیث حسن غریب، و لا یعرف لأسید شیء یصح غیر هذا الحدیث.

قلت: و أخرجه البیهقی و ابن ماجه من طریق أبی بکر بن شیبة بإسناد الترمذی، و هو جید، بلفظ «الصلاة فی مسجد قباء کعمرة».

و أخرج ابن حبّان فی صحیحه عن ابن عمر رضی الله تعالی عنهما أنه شهد جنازة

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفی، ج۳، ص: ۱۸

بالأوسـاط فی دار سـعد بن عبـادة، فأقبـل ماشـیا إلی بنی عمرة بن عوف بفنـاء بنی الحـارث بن الخزرج، فقیـل له: أین تؤم یـا أبـا عبد الرحمن؟ قال: أهل هذا المسـجد فی بنی عمرو بن عوف؛ فإنی سمعت رسول الله صلی اللّه علیه و سلم یقول «من صلی فیه کان کعدل عمرة».

و رواه ابن زبالـة موقوفا، و لفظه أن عبـد الله بن عمر شـهد جنازة فی الأوساط من بنی الحارث بن الخزرج، ثم خرج یمشـی، فقالوا له: أین ترید یا أبا عبد الرحمن؟ قال: أرید مسجد رسول الله صلی اللّه علیه و سلم بقباء؛ أنه من صلی فیه رکعتین کان کعدل عمرة.

و أخرج ابن ماجه و عمر بن شـبة بسـند جیـد عن سـهل بن حنیف قال: قال رسول الله صـلی اللّه علیه و سـلم «من تطهر فی بیته ثم أتی مسجد قباء فصلی فیه صلاة کان له کأجر عمرة».

و رواه أحمد و الحاکم و قال: صحیح الإسناد.

و رواه یحیی من طریقین فیهما من لم أعرفه بلفظ «من توضأ فأسبغ الوضوء ثم جاء مسجد قباء فصلی فیه رکعتین کان له عدل عمرة».

و رواه الطبرانی فی الکبیر عن سـهل من طریق موسـی بن عبیدة- و هو ضـعیف- بلفظ «من توضأ فأحسن الوضوء ثم دخل مسـجد قباء فیرکع فیه أربع رکعات کان ذلک عدل رقبة».

و رواه ابن شـبة عن سـهل من طریق موسـی بن عبیـدة المـذکور بلفـظ «من توضـأ فـأحسن وضوءه ثم جـاء مسـجد قباء فرکع فیه أربع رکعات کان له عدل عمرة».

و رواه أیضـا بسـند فیه یوسف بن طهمـان- و هو ضـعیف- عن سـهل بن حنیف عن النبی صـلی اللّه علیه و سـلم أنه قال «ما من مؤمن

يخرج على طهر إلى مسجد قباء لا يريد غيره حتى يصلى فيه إلا كان بمنزلة عمرة».

و روى الطبرانى فى الكبير بسند فيه يزيد بن عبد الملك النوفلى- و هو ضعيف- عن كعب بن عجرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قال «من توضّأ فأسبغ الوضوء ثم عمد إلى مسجد قباء لا يريد غيره، و لا يحمله على الغدوّ إلا الصلاة فى مسجد قباء، فصلى فيه أربع ركعات يقرأ فى كل ركعة بأم القرآن كان له كأجر المعتمر إلى بيت الله».

و قال عمر بن شبة: حدثنا سويد بن سعيد قال: حدثنا أيوب بن صيام عن سعيد بن الرقيش الأسدى قال: جاءنا أنس بن مالك إلى مسجد قباء فصلى ركعتين إلى بعض هذه السوارى ثم سلم و جلس و جلسنا حوله، فقال: سبحان الله ما أعظم حقّ هذا المسجد، لو كان على مسيرة شهر كان أهلا أن يؤتى، من خرج من بيته يريده معتمدا إليه لصلّى فيه أربع ركعات أقلبه الله بأجر عمرة».

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۱۹

قال ابن شبة: قال أبو غسان: و مما يقوّى هذه الأخبار و يدل على تظاهرها فى العامة و الخاصة قول عبد الرحمن بن الحكم فى شعر له:

فإن أهلك فقد أقررت عينا من المتعمرات إلى قباء

من اللاتى سوالفهنّ غيد عليهنّ الملاحة بالبهاء

تفضيل الصلاة فى مسجد قباء على بيت المقدس

ما جاء فى تفضيل الصلاة فيه على بيت المقدس، و مغفرة ذنوب من صلى فيه مع المساجد الثلاثة.

روى ابن شبة بسند صحيح من طريق عائشة بنت سعد بن أبى وقاص قالت: سمعت أبى يقول: «لأن أصلّى فى مسجد قباء ركعتين أحبّ إلىّ من أن آتى بيت المقدس مرتين، لو يعلمون ما فى قباء لضربوا إليه أكباد الإبل».

و رواه الحاكم عن عامر بن سعد و عائشة بنت سعد سمعا أباهما يقول: لأن أصلى فى مسجد قباء أحبّ إلىّ من أن أصلى فى مسجد بيت المقدس، قال الحاكم: و إسناده صحيح على شرطهما. و هذا شاهد لما روى عن محمد بن مسلمة المالكى أنه قال: إن إتيان مسجد قباء يلزم بالنذر، و جمهور العلماء أن ذلك و إن كان قربة لا يلزم بالنذر.

و عن عاصم قال: أخبرنا أن من صلى فى المساجد الأربعة غفر له ذنبه، فقال له أبو أيوب: يا ابن أخى أدلّك على ما هو أيسر من ذلك، إنى سمعت رسول الله صلى اللّه عليه و سلم يقول «من توضأ كما أمر، و صلى كما أمر، غفر له ما تقدم من ذنبه» أخرجه أبو حاتم و قال: المساجد الأربعة: المسجد الحرام، و مسجد المدينة، و مسجد الأقصى، و مسجد قباء.

إتيان الرسول صلى اللّه عليه و سلم مسجد قباء

ما جاء فى إتيان النبى صلى اللّه عليه و سلم له راكبا و ماشيا، و صلاته فيه، و تعيين الأيام التى كان صلى اللّه عليه و سلم يأتى قباء فيها هو و غيره من الصحابة.

روينا فى الصحيحين عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال: كان النبى صلى اللّه عليه و سلم يزور قباء، أو يأتى قباء، راكبا و ماشيا.

زاد فى رواية لهما: فيصلى فيه ركعتين.

و روى ابن شبة عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أنه كان انطلق مع رسول الله صلى اللّه عليه و سلم إلى مسجد قباء، فصلى فيه، فجعلت الأنصار يأتون و هو يصلى، فيسلّمون عليه، فخرج علىّ صهيب فقلت: يا صهيب كيف كان رسول الله صلى اللّه عليه و سلم يردّ على من سلم؟ قال: يشير بيده.

و فی روایة للبخاری و النسائی أن رسول الله صلی اللّه علیه و سلم «کان یأتی مسجد قباء کل سبت راکبا و ماشیا» و کان عبد الله یفعله.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفی، ج۳، ص: ۲۰

و فی روایة لابن حبّان فی صحیحه «کل یوم سبت». و فیها رد علی من قال: إن المراد بالسبت الأسبوع.

و روی ابن شبة عن سعید بن عمرو بن سلیم مرسلا أن النبی صلی اللّه علیه و سلم «کان یطرح له علی حمار أنبجانیّ لکل سبت، ثم یرکب إلی قباء».

و رواه ابن زبالة بنحوه، و زاد «و یمشی حوله أصحابه».

و روی ابن شبة عن شریک بن عبد الله بن أبی نمر مرسلا أن النبی صلی اللّه علیه و سلم «کان یأتی قباء یوم الإثنین».

و عن محمد بن المنکدر مرسلا قال «کان النبی صلی اللّه علیه و سلم یأتی قباء صبیحة سبع عشرة من رمضان».

و رواه یحیی عن ابن المنکدر عن جابر متصلا. و فی کتاب رزین عن ابن المنکدر قال:

أدرکت الناس یأتون مسجد قباء صبیحة سبع عشرة من رمضان.

و روی یحیی عن ابن المنکدر نحوه أیضا.

و عن أبی غزیة قال: کان عمر بن الخطاب رضی الله تعالی عنه یأتی قباء یوم الإثنین و یوم الخمیس، فجاء یوما من تلک الأیام فلم یجد فیه أحدا من أهله، فقال: و الذی نفسی بیده لقد رأیت رسول الله صلی اللّه علیه و سلم و أبا بکر فی أصحابه ننقل حجارته علی بطوننا، یؤسّسه رسول الله صلی اللّه علیه و سلم بیده، و جبریل یؤم به البیت، و محلوف عمر بالله لو کان مسجدنا هذا بطرف من الأطراف لضربنا إلیه أکباد الإبل، ثم قال: اکسروا لی سعفه و اجتنبوا العواهن، أی ما یلی القلب من السّعف، فقطعوا السعفة، فأتی بها، فأخذ رزمة فربطها فمسحه، قالوا: نحن نکفیک یا أمیر المؤمنین، قال: لا تکفونیه.

و فی روایة لرزین عقب قوله: «و جبریل یؤم به البیت» ثم أخذ أی عمر رضی الله تعالی عنه جرائد فجعل یمسح جدرانه و سطحه، فقیل له: نکفیک یا أمیر المؤمنین، فقال: لا تکفونیه، أنا أرید أن أکفیکم أنتم مثل هذا، و إن شئتم اعملوا مثل ما أعمل.

و قد استشکل الزین المراغی قوله «و جبریل یؤم به البیت» بأن ذلک کان قبل تحویل القبلة، و قد أشرنا فیما تقدم لجوابه.

و أسند ابن زبالة عن شیخ من بنی عمرو بن عوف قال: أتانا عمر بن الخطاب بقباء فقال لخیاط بسدّة الباب: انطلق فأتنی بجریدة و إیاک و العواهن، فأتاه بجریدة، فقشرها و ترک لها رأسا فضرب به قبلة المسجد حتی نفض الغبار.

و رواه ابن شبة، إلا أنه قال: عن شیوخ من بنی عمرو بن عوف أن عمر رضی الله

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفی، ج۳، ص: ۲۱

تعالی عنه جاءهم بقباء نصف النهار، فدخل مسجد قباء، فأمر رجلا یأتیه بجریدة رطبة، الخبر بنحوه.

و روی ابن زبالة عن زید بن أسلم قال: الحمد لله الذی قرّب منا مسجد قباء، و لو کان بأفق من الآفاق لضربنا إلیه أکباد الإبل.

و فی صحیح البخاری: کان سالم مولی أبی حذیفة رضی الله تعالی عنهما یؤم المهاجرین الأولین من أصحاب النبی صلی اللّه علیه و سلم فی مسجد قباء، فیهم أبو بکر و عمر.

و رواه ابن شبة عن ابن عمر، و لفظه: و کان سالم مولی أبی حذیفة یؤم المهاجرین الأولین و أصحاب رسول الله صلی اللّه علیه و سلم من الأنصار فی مسجد قباء، فیهم أبو بکر و عمر و أبو سلمة و زید و عامر بن ربیعة رضوان الله علیهم.

و روی أیضا عن أبی هاشم قال: جاء تمیم بن زید الأنصاری إلی مسجد قباء و کان رسول الله صلی اللّه علیه و سلم أمر معاذا أن یصلی بهم، فجاء صلاة الفجر و قد أسفر فقال: ما یمنعکم أن تصلوا؟ ما لکم قد حبستم ملائکة اللیل و ملائکة النهار؟ قالوا: یمنعنا أنا ننتظر صاحبنا، قال: فما یمنعکم إذا احتبس أن یصلی أحدکم؟ قالوا: فأنت أحقّ من یصلی بنا، قال:

أ ترضون بذا؟ قالوا: نعم، فصلی بهم، فجاء معاذ فقال: ما حملک یا تمیم علی أن دخلت علیّ فی سربال سربلنیه رسول الله صلی اللّه

علیه و سلم؟ فقال: ما أنا بتارکک حتی أذهب بک إلی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم، فقال: یا رسول الله إن هذا تمیم دخل فی سربال سربلتنیه، فقال النبی صلی اللّه علیه و سلم: ما تقول یا تمیم؟ فقال مثل الذی قال لأهل المسجد، فقال النبی صلی اللّه علیه و سلم: هکذا فاصنعوا مثل الذی صنع تمیم بهم، إذا احتبس الإمام.

و روی ابن زبالة عن عویم بن ساعدة أن سعد بن عویم بن قیس بن النعمان کان یصلی فی مسجد قباء فی عهد رسول الله صلی اللّه علیه و سلم، و فی زمان عمر بن الخطاب فأمر عمر مجمع بن حارثة أن یصلی بهم بعد أن ردّه، و قال له: کنت إمام مسجد الضّرار، فقال یا أمیر المؤمنین کنت غلاما حدثا، و کنت أری أن أمرهم علی أحسن ذلک، و قدّمونی لما معی من القرآن، فأمره فصلّی بهم.

المکان الذی کان الرسول یصلی فیه بمسجد قباء

ما جاء فی تعیین مصلّاه صلی اللّه علیه و سلم منه، و صفته و ذرعه.

روی ابن زبالة أن النبی صلی اللّه علیه و سلم صلی إلی الأسطوان الثالثة فی مسجد قباء التی فی الرحبة.

و نقل ابن شبة عن الواقدی أنه قال: عن مجمع بن یعقوب عن سعید بن عبد الرحمن بن رقیش قال: کان المسجد فی موضع الأسطوان المخلّقة الخارجة فی رحبة المسجد.

و عن ابن رقیش قال: بنی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم مسجد قباء، و قدّم القبلة إلی موضعها الیوم،

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفی، ج۳، ص: ۲۲

و قال: جبریل یؤم بی البیت. قال ابن رقیش: فحدثنی نافع أن ابن عمر کان بعد إذا جاء مسجد قباء صلی إلی الأسطوان المخلّقة یقصد بذلک مسجد النبی صلی اللّه علیه و سلم الأول.

قال ابن شبة: قال أبو غسان: و أخبرنی من أثق به من الأنصار من أهل قباء أن موضع قبلة مسجد قباء قبل صرف القبلة أن القائم کان یقوم فی القبلة الشامیة فیکون موضع الأسطوان الشارعة فی رحبة مسجد قباء التی فی صف الأسطوان المخلقة المقدمة التی یقال لها إن مصلی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم إلی حرفها.

قال: و أخبرنی أیضا أن مصلی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم فی مسجد قباء بعد صرف القبلة کان إلی حرف الأسطوان المخلّق کثیر منها المقدمة إلی حرفها الشرقی، و هی دون محراب مسجد قباء عن یمین المصلی فیه.

و روی ابن زبالة عن عبد الملک بن بکر بن أبی لیلی عن أبیه أن رسول الله صلی اللّه علیه و سلم صلّی فی مسجد قباء إلی الأسطوان الثالثة فی الرحبة إذا دخلت من الباب الذی بفناء دار سعد بن خیثمة.

قلت: و الباب المذکور هو المسدود الیوم یظهر رسمه من خارج المسجد فی جهة المغرب، و کان شارعا فی الرواق الذی یلی الرحبة من المسقف القبلی؛ فالأسطوان الثالثة فی الرحبة هی الأسطوان التی عندها الیوم محراب فی رحبة المسجد؛ لانطباق الوصف المذکور علیها؛ فهی المراد بقول الواقدی «کان المسجد فی موضع الأسطوان المخلقة الخارجة فی رحبة المسجد و هی التی کان ابن عمر یصلی إلیها. و مقتضی ما تقدم عن أبی غسان أن هذه الأسطوانة عندها مصلّی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم الأول قبل تحویل القبلة، و أن مصلاه بعد التحویل کان إلی الأسطوانة التی فی صفّ هذه الأسطوانة مما یلی القبلة، و هی الثالثة من أسطوان الرحبة المذکورة؛ فإنها الموصوفة بما ذکره من کونها دون المحراب علی یمین المصلی فیه، و المصلی إلی حرفها الشرقی یکون محاذیا لمحراب المسجد؛ فالرواق القبلی مزید فی المسجد، و جعلوا المحراب به فی محاذاة المصلی الشریف من الأسطوان المذکورة. لکن قوله فی الروایة الأخری «و قدم القبلة إلی موضعها الیوم» یقتضی أنه لم یزد أحد فی جهة القبلة بعد النبی صلی اللّه علیه و سلم؛ فینبغی أن ینبرک بالصلاة عند محراب القبلة، و عند المحلین من الأسطوانتین المذکورتین.

و قد اقتصر يحيى فى بيان مصلى النبى صلى اللّه عليه و سلم على الأسطوان التى فى الرحبة؛ فذكر رواية ابن زبالة، ثم روى عن معاذ بن رفاعة قال: كان رسول الله صلى اللّه عليه و سلم يصلى إلى الأسطوان الخارجة، و هى فى صفّ المخلقة، و إنما كان موضعها يومئذ كهيئة العريش. ثم ذكر أن موسى بن سلمة حدثه أنه رأى أبا الحسن على بن موسى الرضى يصلى إلى هذه الأسطوانة

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۲۳

الخارجة. ثم قال يحيى: و رأيت غير واحد من أهل بيتى منهم عبد الله و إسحاق ابنا موسى بن جعفر و حسين بن عبد الله بن عبد الله بن حسين يصلون إلى هذه الأسطوانة الخارجة إذا جاءوا قباء، و يذكرون أنه مصلّى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم. قال: و رأيت من أهل بيتى من يأتى قباء فيصلى إليها ممن يقتدى به ممن لا أبالى أن لا أرى غيره فى الفقه و العلم، انتهى.

و عن يمين مستقبل الأسطوانة المذكورة هيئة محاريب فى رحبة المسجد لم أعلم أصلها، و بالرواق الذى يلى الرحبة قريبا من محاذاة محراب المسجد دكّة مرتفعة عن أرض المسجد يسيرا أمامها محراب فيه حجر منقوش فيه قوله تعالى: لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ [التوبة: ۱۰۸] الآية، و بعدها ما لفظه: هذا مقام النبى صلى اللّه عليه و سلم، جدّد هذا المسجد فى تاريخ سنة إحدى و سبعين و ستمائة، و لم يتبين اسم من جدد المسجد. و ظاهر حال من صنع ذلك فى هذا المحل أنه محلّ المصلّى الشريف، و فيما قدمناه ما يرده، و قد اغترّ المجد بذلك فجزم بأن تلك الدكة هى أول موضع صلّى فيه النبى صلى اللّه عليه و سلم، و كأنه حين ألّف كتابه كان غائبا عن المدينة، فوصف تلك الدكة بقوله: و فى صحنه مما يلى القبلة شبه محراب على مصطبة هو أول موضع ركع فيه النبى صلى اللّه عليه و سلم، و كأنه وصفها بأنها فى صحن المسجد ليجامع ما تقدم عن المؤرخين فى وصف المصلى الشريف. و لا يصح القول بأنها كانت أولا فى رحبة المسجد؛ لاحتمال أنه زيد بعده فى المسقف القبلى رواق؛ لما سنبينه من أن أروقة المسجد و رحبته كانت على ما هى عليه اليوم، لم يزد فيها شىء بعد ما ذكره المؤرخون.

ثم رأيت ما ذكره المجد بحدوثه فى رحلة ابن جبير، و كانت عام ثمان و سبعين و خمسمائة، فتلك الدكة التى يعنيها ابن جبير كانت فى صحن المسجد عند الأسطوانة التى إليها اليوم المحراب فى رحبة المسجد، فيوافق ما أطبق عليه الناس و كأنها دثرت على طول الزمان، ثم أعيدت فى غير محلها فإنه ذكر أنها بصحن المسجد مما يلى القبلة، و وصف أروقة المسجد بما هى عليه اليوم؛ فليست الدكة الموجودة اليوم لحدوثها بعده.

و أما الحظيرة التى بصحن المسجد فلم أر فى كلام المتقدمين تعرضا لذكرها، و الشائع على ألسنة أهل المدينة أنها مبرك ناقة النبى صلى اللّه عليه و سلم، و به جزم المجد تبعا لابن جبير فى رحلته؛ فقال: و فى وسط المسجد مبرك الناقة بالنبى صلى اللّه عليه و سلم، و عليه حظيرة قصيرة شبه روضة صغيرة يتبرك بالصلاة فيه، انتهى.

و هو محتمل؛ لأن أصل مسجد قباء كان مربدا لكلثوم بن الهدم، و عليه نزل النبى صلى اللّه عليه و سلم على ما أسلفناه، فأعطاه النبىّ صلى اللّه عليه و سلم فأسّسه مسجدّا. و قيل فيه غير هذا مما قدمناه.

و قال ابن زبالة: حدثنا عاصم بن سويد عن أبيه قال: و كان مسجد قباء على سبع أساطين، و كانت له درجة لها قبة يؤذن فيها يقال لها النعامة، حتى زاد فيه الوليد بن عبد الملك بن مروان بعد ذلك.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۲۴

قلت: و عدد كل صف من أساطينه اليوم بين المشرق و المغرب سبع أيضا.

و قال الزين المراغى عقب نقل ذلك عن ابن زبالة: فيحتمل أن هذه- يعنى الصفة المذكورة فى كلام ابن زبالة- صفة بناته عليه الصلاة و السلام، و يؤكده قولهم «و لم يزل مسجد قباء على ما بناه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم إلى أن بناه عمر بن عبد العزيز» أى زمن الوليد.

قلت: و ما أيد به الاحتمال المذكور لم أره فى كلام أحد من المؤرخين غير المطرى و من تبعه.

و قد روى ابن شبة ما يصرح بخلافه عن أبى سلمة بن عبد الرحمن، قال: إن ما بين الصومعة إلى القبلة زيادة زادها عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه.

قلت: و الصومعة هى المنارة التى فى ركنه الغربى مما يلى الشام، و سيأتى فى ترجمة غرة أنه اسم أطم لبنى عمرو بن عوف ابتنيت المنارة فى موضعه.

و قال ابن النجار: كان النبى صلى اللّه عليه و سلم نزل بقباء فى منزل كلثوم بن الهدم، و أخذ مربده فأسسه مسجدًا و صلى فيه، و لم يزل ذلك المسجد يزوره صلى اللّه عليه و سلم و يصلى فيه أهل قباء، فلما توفى صلى اللّه عليه و سلم لم تزل الصحابة تزوره و تعظمه.

تجديد مسجد قباء

و لما بنى عمر بن عبد العزيز مسجد النبى صلى اللّه عليه و سلم بنى مسجد قباء و وسّعه، و بناه بالحجارة و الجص، و أقام فيه الأساطين من الحجارة بينها عواميد الحديد و الرصاص، و نقشه بالفسيفساء، و عمل له منارة، و سقفه بالساج، و جعله أروقة، و فى وسطه رحبة، و تهدّم على طول الزمان حتى جدّد عمارته جمال الدين الأصفهانى وزير بنى زنكى الملوك ببلاد الموصل.

قلت: و كان تجديد الجواد لمسجد قباء فى سنة خمس و خمسين و خمسمائة، كما قاله المطرى.

و فيما قدمناه من صورة ما كتب فى محراب الدكة التى بالرواق الذى يلى الرحبة ما يقتضى أنه جدد بعد ذلك فى سنة إحدى و سبعين و ستمائة.

و بالمسجد منقوش أيضا ما يقتضى أن الناصر بن قلاوون جدّد فيه شيئا سنة ثلاث و ثلاثين و سبعمائة، و جدد غالب سقفه الموجود اليوم الأشرف برسباى على يد ابن قاسم المحلى أحد مشايخ الخدّام سنة أربعين و ثمانمائة.

و قد سقطت منارته سنة سبع و سبعين و ثمانمائة، فجدّدها متولى العمارة فى زماننا الجناب الخواجكى الشمسى بن الزمن- عامله الله بلطفه- فى سنة إحدى و ثمانين و ثمانمائة فى أثناء عمارته السابقة بالمسجد النبوى بعد هدمها إلى الأساس، و هدم الأسطوانة التى كانت لاصقة بها، و كانت تلك الأسطوانة محكمة بالرصاص، و أعيدت بغير رصاص،

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۲۵

و أبدلوا من أحجارها ما قدمنا أنهم أدخلوه فى أسطوان الصندوق التى فى جهة الرأس الشريف بالمسجد النبوى.

و هدم متولى العمارة أيضا ما يلى المنارة المذكورة من سور المسجد إلى آخر بابه الذى يليها فى المغرب، و أعاد بناء ذلك، و جدد بعض سقفه، و بنى السبيل و البركة المقابلين للمسجد فى المغرب بالحديقة المعروفة بالسراج العينى الموقوفة على قرابته، و قد كانت المنارة الأولى ألطف من هذه فزاد فى طولها؛ فإن ابن النجار قال: و طول منارته من سطحه إلى رأسها اثنان و عشرون ذراعا، و على رأسها قبة طولها نحو عشرة أذرع، قال: و عرض المنارة من جهة القبلة عشرة أذرع شافّة، و من المغرب ثمانية، و ذكر قبل ذلك أن ارتفاع المسجد فى السماء عشرون ذراعا؛ فيكون جملة طول المنارة الأولى اثنين و خمسين ذراعا من أعلاها إلى أسفل الأرض، و هو يقرب لما نقله ابن شبة فى وصف المنارة المذكورة، فإنه قال: و طول منارته خمسون ذراعا، و عرضها تسعة أذرع و شبر فى تسعة أذرع، انتهى. و ذرع هذه المنارة المجددة اليوم من الأرض الخارجة عن المسجد إلى أعلى قبتها أحد و ستون ذراعا، و عرضها تسعة أذرع فى المشرق و القبلة، و هناك بابها.

و نقل ابن شبة عن أبى غسان أن طول مسجد قباء و عرضه سواء، و هو ست و ستون ذراعا. قال: و طول ذرعه فى السماء تسعة عشر ذراعا، و طول رحبته التى فى جوفه- يعنى صحنه- خمسون ذراعا، و عرضها ستة و عشرون ذراعا. و ذكر ابن النجار نحوه، فقال: طول ثمانية و ستون ذراعا تشف قليلا، و عرضه كذلك.

قلت: و قد اختبرت ذلك فكان ذرع طوله من المشرق إلى المغرب مما يلى الشام ثمانية و ستين ذراعا و نصفا، و كان عرضه من القبلة إلى الشام تسعة و سبعين ذراعا، و ذرع طوله بين المشرق و المغرب مما يلى جدار القبلة أرجح من سبعين ذراعا بيسير، و طول ذرعه فى السماء من أرض المسجد إلى سقفه تسعة عشر ذراعا، و طوله من خارجه من البلاط الذى فى غربيه إلى أعلى شراريفه أربعة و عشرون ذراعا، و ذرع طول صحنه من المشرق إلى المغرب أحد و خمسون ذراعا، و عرض صحنه من القبلة إلى الشام ستة و عشرون ذراعا و ربع، و هذا الصحن هو الذى عبر عنه أبو غسان بالرحبة فى جوفه؛ فصح بذلك أن رحبة المسجد اليوم على ما كانت عليه فى زمن أبى غسان و غيره من المؤرخين الذين قدمنا كلامهم، و أن ما قدمناه فى بيان مصلّى النبى صلى اللّه عليه و سلم بكونه عند المحراب الذى بجانب الأسطوانة التى فى رحبة المسجد اليوم صحيح، و أن ما قاله المجد من كون تلك الدكة المتقدم و صفها بصحن المسجد غير صحيح.

و قال ابن جبير فى رحلته: إن مسجد قباء سبع بلاطات، يعنى أروقة كما هو فى

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۲۶

زماننا، و بيانه أن المسقف القبلى ثلاثة أروقة، و الشامى اثنان، و فى المغرب رواق واحد يلى باب المسجد اليوم، و فى المشرق فى مقابلته رواق واحد أيضا.

و ذكر ابن النجار فى عدد أساطينه ما يوافق كونه على سبعة أروقة أيضا؛ فقال: و فى المسجد تسعة و ثلاثون أسطوانا، بين كل أسطوان و أسطوان سبعة أذرع شافّة.

قلت: و عددها اليوم كذلك؛ لأن جهة القبلة ثلاثة صفوف كل صف سبعة أساطين بين المشرق و المغرب، و جهة الشام صفان كل صف سبعة أيضا، و فيما يلى الرحبة من المغرب أسطوانتان، و فيما يليها من المشرق أسطوانتان، و جملة ذلك ما ذكره.

و وقع فيما نقله ابن شبة عن ابن عساكر فى النسخة التى وقعنا عليها تصحيف فى عدد الأساطين، و ما قدمناه هو الصواب.

قال ابن النجار: و فى جدرانه طاقات نافذة إلى خارج فى كل جانب ثمان طاقات، إلا الجانب الذى يلى الشام فإن الثامنة فيها المنارة.

قلت: و لما أعادوا بناء ما هدموه مما حول المنارة المذكورة فى زماننا سدّوا من الجهة الشامية طاقة أخرى مما يلى المنارة المذكورة، و سدّوا مما يليها من جهة المغرب ثلاث طاقات أيضا، فإنهم جعلوا الجدار فى بنائهم مصمتا كله، و اللّه أعلم.

بيان ما ينبغى أن يزار بقباء من الآثار تتميما للفائدة دار سعد بن خيثمة

منها: دار سعد بن خيثمة، و قد تقدم أن باب مسجد قباء المسدود فى المغرب بفناء دار سعد بن خيثمة، و هى فى قبلة مسجد قباء، و الجانب الذى يلى هذا الباب المسدود منها يدخله الناس للزيارة و يسمونه مسجد على رضى اللّه تعالى عنه، و كأنه المراد بما سيأتى فى الفصل الرابع فى مسجد دار سعد بن خيثمة.

و روى ابن شبة عن أبى أمامة عن أبيه أن النبى صلى اللّه عليه و سلم «اضطجع فى البيت الذى فى دار سعد بن خيثمة بقباء» و عن ابن وقش أن النبى صلى اللّه عليه و سلم «دخل بيت سعد بن خيثمة بقباء، و جلس فيه» و روى ابن زبالة عنه أنه قال: يزعمون أن النبى صلى اللّه عليه و سلم توضأ من المهراس الذى يلى دار سعد بن خيثمة بقباء.

دار كلثوم بن الهدم

و منها: دار كلثوم بن الهدم، و هى إحدى الدور التى قبلى المسجد أيضا، يدخلها الناس للزيارة و التبرك. و قد قدمنا نزوله صلى اللّه

علیه و سلم علی کلثوم بن الهدم بداره لمّا قدم قباء، و کذلک أهله و أهل أبی بکر حین قدموا.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفی، ج۳، ص: ۲۷

بئر أریس

و منهـا بئر أریس، و سـیأتی مـا جاء فیها فی الآثار، قال ابن جبیر فی رحلته: و بإزائها دار عمر، و دار فاطمـهٔ، و دار أبی بکر، رضـی الله تعالی عنهم. و لعله یرید أماکن نزولهم قبل التحوّل إلی المدینهٔ، و الله أعلم.

ما جاء فی بیان طریقه صلی اللّه علیه و سلم إلی قباء ذاهبا و راجعا طریق النبی صلی اللّه علیه و سلم إلی قباء ذاهبا و راجعا

قال أبو غسان فیما نقله ابن شبهٔ: أخبرنی الحارث بن إسحاق قال: کان إسحاق بن أبی بکر بن إسحاق یحدث أن مبدأ رسول الله صلی اللّه علیه و سـلم فی مرکبه إلی قباء أن یمر علی المصـلی، ثم یسلک فی موضع الزقاق بین دار کثیر بن الصّلت و دار معاویهٔ بالمصلی، ثم یرجع راجعا علی طریق دار صفوان بن سلمهٔ التی عند سقیفهٔ محرق، ثم یمر علی مسجد بنی زریق من کتّاب عروهٔ حتی یخرج إلی البلاط، قال: فذکر إسحاق أنه رأی الولید بن عبد الملک سلک هذه الطریق علی هذه الصفهٔ فی مبدئه و رجعته من قباء.

قلت: و هو یقتضـی أن طریقه صـلی اللّه علیه و سـلم کانت من جهـهٔ الـدّرب المعروف الیوم بدرب سویقهٔ فی الذهاب و الرجوع؛ لأن المصـلی و مسـجد بنی زریق فی جهته، و قد سـبق فی المصـلی أن دار کثیر بن الصّـلت کان قبلهٔ المصـلی، و سبق ما یؤخذ منه أن دار معاویهٔ رضی الله عنه کانت مقابلها.

و قوله «حتی یخرج إلی البلاط» أی الآخذ من باب السـلام إلی جههٔ درب سویقهٔ؛ لما سـبق فی الکلام علی المصـلی من رجوعه صلی اللّه علیه و سـلم علی مسـجد بنی زریق من کتّاب عروهٔ حتی یخرج إلی البلاط من زقاق دار عبد الرحمن بن الحارث المتقدم بیانه فی الدور التی فی میمنهٔ البلاط المذکور، و کثیر من الناس الیوم یسلکون إلی قباء من طریق درب البقیع؛ لکونها أقصد یسیرا.

ذرع الطریق

و قد ذرعت الطریق من هذه الجههٔ فکان بین عتبهٔ باب المسجد النبوی المعروف بباب جبریل و عتبهٔ باب مسجد قباء سبعهٔ آلاف ذراع و مائتا ذراع بذراع الید المتقدم تحریره یشفّ یسیرا، و ذلک میلان و خمسا سبع میل. و سیأتی فی ترجمهٔ قباء ما وقع للناس من الخبط فی بیـان هـذه المسافـهٔ، فـإن أسـقطت حصـهٔ مـا بین بـاب جبریـل و بـاب درب البقیع من ذلک کانت المسافـهٔ بین باب سور المـدینهٔ المذکور و باب مسجد قباء میلین إلا مائتی ذراع و ثلاثا و ثلاثین ذراعا، و الله سبحانه و تعالی أعلم.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفی، ج۳، ص: ۲۸

[مسجد الضّرار]

ما جاء فی مسجد الضّرار مما ینوّه بقدر مسجد قباء بناهٔ مسجد الضرار

روى البيهقى فى الدلائل عن ابن عباس فى قوله تعالى: وَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِراراً [التوبة: ۱۰۷] هم أناس من الأنصار ابتنوا مسجدًا فقال لهم أبو عامر: ابنوا مسجدكم، و استعدوا بما استطعتم من قوة و من سلاح، فإنى ذاهب إلى قيصر ملك الروم فات بجند من الروم، فأخرج محمدا و أصحابه، فلما فرغوا من مسجدهم أتوا النبى صلى اللّه عليه و سلم فقالوا: إنا فرغنا من بناء مسجدنا فنحبّ أن تصلى فيه و تدعو بالبركة فأنزل الله عز و جل:

لا تَقُمْ فِيهِ أَبَداً لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ [التوبة: ۱۰۸] يعنى مسجد قباء أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ إلى قوله: عَلى شَفا جُرُفٍ هارٍ فَانْهارَ بِهِ فِى نارِ جَهَنَّمَ يعنى قواعده وَ اللَّهُ لا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ [التوبة: ۱۰۹].

و روى ابن شبة عن هشام بن عروة عن أبيه قال: كان موضع مسجد قباء لامرأة يقال لها ليلة، كانت تربط حمارا لها فيه، فابتنى سعد بن خيثمة مسجدًا، فقال أهل مسجد الضرار: أ نحن نصلى فى مربط حمار ليلة؟ لا، لعمر الله، لكنّا نبنى مسجدًا فنصلى فيه حتى يجئ أبو عامر فيؤمّنا فيه، و كان أبو عامر فرّ من الله و رسوله فلحق بمكة، ثم لحق بعد ذلك بالشام فتنصر فمات بها، فأنزل الله تعالى: وَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِراراً وَ كُفْراً الآيات.

و عن سعيد بن جبير أن بنى عمرو بن عوف ابتنوا مسجدًا، و أرسلوا إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فدعوه ليصلى فيه، ففعل فأتاهم فصلّى فيه، فحسدهم إخوتهم بنو فلان بن عمرو بن عوف، يشكّ، فقالوا: لا، نبنى نحن مسجدًا و ندعو النبىّ صلى اللّه عليه و سلم فيصلى فيه كما صلى فى مسجد إخوتنا، و لعل أبا عامر يصلى فيه، و كان بالشام، فابتنوا مسجدًا، و أرسلوا إلى النبى صلى اللّه عليه و سلم ليصلى، فقام ليأتيهم، و أنزل القرآن وَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِراراً وَ كُفْراً وَ تَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَ إِرْصاداً لِمَنْ حارَبَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَ لَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنا إِلَّا الْحُسْنى وَ اللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ ۱۰۷ لا تَقُمْ فِيهِ أَبَداً لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ۱۰۸ أَ فَمَنْ أَسَّسَ بُنْيانَهُ عَلى تَقْوى مِنَ اللَّهِ وَ رِضْوانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيانَهُ عَلى شَفا جُرُفٍ هارٍ فَانْهارَ بِهِ فِى نارِ جَهَنَّمَ وَ اللَّهُ لا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۱۰۹ لا يَزالُ بُنْيانُهُمُ الَّذِى بَنَوْا رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ [التوبة:

۱۰۷- ۱۱۰]، قال: قال عكرمة: إلى أن تقطع قلوبهم وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ [التوبة: ۱۱۰].

حرق مسجد الضرار

و أسند الطبرى فيما قاله ابن عطية عن ابن إسحاق عن الزهرى و غيره أن النبى صلى اللّه عليه و سلم «أقبل من غزوة تبوك حتى نزل بذى أوان بلد بينه و بين المدينة ساعة من نهار، و كان

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۲۹

أصحاب مسجد الضّرار قد كانوا أتوه و هو يتجهّز إلى تبوك فقالوا: يا رسول الله إنا قد بنينا مسجدًا لذى العلة و الحاجة و الليلة المطيرة، و إنا نحبّ أن تأتينا فتصلى لنا فيه، فقال: إنى على جناح سفر و حال شغل، و لو قدمنا إن شاء الله أتيناكم فصلينا لكم فيه، فلما قفل و نزل بذى أوان نزل عليه القرآن فى شأن مسجد الضرار، فدعا رسول الله صلى اللّه عليه و سلم مالك ابن الدخشم و معن بن عدى، أو أخا عاصم بن عدى، فقال: انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدماه و احرقاه، فانطلقا مسرعين ففعلا و حرقاه بنار فى سعف.

و فى رواية ذكرها البغوى أن الذين أمرهم النبى صلى اللّه عليه و سلم بهدمه و إحراقه انطلقوا سريعا حتى أتوا سالم بن عوف، و هم رهط مالك بن الدخشم فقال مالك: انظرونى حتى أخرج إليكم بنار من أهالى، فدخل أهله فأخذ سعفا من النخيل، فأشعل فيه نارا ثم خرجوا يشتدّون حتى دخلوا المسجد و فيه أهله فحرقوه و هدموه، و تفرق عنه أهله و أمر النبى صلى اللّه عليه و سلم أن يتخذ ذلك

كناسة تلقى فيها الجيف و النتن و القمامة.

و قال ابن النجار: هذا المسجد بناه المنافقون مضاهاة لمسجد قباء، و كانوا يجتمعون فيه و يعيبون النبى صلى اللّه عليه و سلم، و يستهزءون به.

أسماء بناة مسجد الضرار

قال ابن إسحاق: و كان الذين بنوه اثنى عشر رجلا: خدام بن خالد، و هو من بنى عبيد بن زيد بن مالك و من داره أخرجه، و ثعلبة بن حاطب من بنى أمية بن زيد أى أحد بنى عمرو بن عوف، و معتّب بن قشير من بنى ضبيعة بن زيد، و أبو حبيبة بن الأذعر، و عباد بن حنيف من بنى عمرو بن عوف، و جار بن عامر، و ابناه مجمع و زيد، و نبتل بن الحارث، و مخرج و مجاد بن عثمان، سبعتهم من بنى ضبيعة، و وديعة بن ثابت من بنى أمية بن زيد، انتهى.

و قال بعضهم: إن رجالا- من بنى غنم بن عوف و بنى سالم بن عوف كان فيهم نفاق حسدوا قومهم بنى عمرو بن عوف، و كان أبو عامر المعروف بالراهب- و سماه النبى صلى اللّه عليه و سلم بالفاسق- منهم.

قلت: و هو من بنى ضبيعة أحد بنى عمرو بن عوف من الأوس، و تقدم أن بنى غنم ابن عوف و بنى سالم بن عوف من الخزرج و ليسوا بقباء، ففى هذا القول نظر.

قال: فكتب أبو عامر و هو بالشام إلى المنافقين من قومه أن يبنوا مسجدّا مقاومة لمسجد قباء و تحقيرا له، فإنى سآتى بجيش أخرج به محمدا و أصحابه من المدينة فبنوه و قالوا: سيأتى أبو عامر و يصلى فيه، و نتخذه متعبدا، و ذلك هو المشار إليه بقوله تعالى وَ إِرْصاداً لِمَنْ حارَبَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ [التوبة: ۱۰۷].

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۳۰

و روى أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم لما نزلت لا تَقُمْ فِيهِ أَبَداً [التوبة: ۱۰۸] كان لا يمر بالطريق التى فيها المسجد، و هذا مما يؤيد ما قدمناه من أن المراد من قوله تعالى لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوى [التوبة: ۱۰۸] مسجد قباء.

و قال ابن عطية: روى عن ابن عمر أنه قال: المراد بالمسجد المؤسّس على التقوى هو مسجد رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، و المراد يعنى بقوله تعالى: أَ فَمَنْ أَسَّسَ بُنْيانَهُ عَلى تَقْوى مِنَ اللَّهِ وَ رِضْوانٍ [التوبة: ۱۰۹] هو مسجد قباء، و أما البنيان الذى أسّس على شفا جرف هار فهو مسجد الضّرار بالإجماع.

و قوله «فانهار به فى نار جهنم» قال ابن عطية: الظاهر منه و مما صح من خبرهم و هدم رسول الله صلى اللّه عليه و سلم مسجدهم أنه خارج مخرج المثل لهم: أى حالهم كمن ينهار بنيانه فى نار جهنم. و قيل: بل ذلك حقيقة، و أن ذلك المسجد بعينه انهار فى نار جهنم، قاله قتادة و ابن جريج. و روى عن جابر بن عبد الله و غيره أنه قال: رأيت الدخان يخرج منه على عهد رسول الله صلى اللّه عليه و سلم. و روى أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم رآه حين انهار حتى بلغ الأرض السابعة، ففزع لذلك رسول الله صلى اللّه عليه و سلم. و روى أنهم لم يصلّوا فيه أكثر من ثلاثة أيام، و انهار فى الرابع. قال ابن عطية: و هذا كله بإسناد لين، و الأول أصح.

و اسند الطبرى عن خلف بن يامين أنه قال: رأيت مسجد المنافقين الذين ذكر فى القرآن، و رأيت فيه مكانا يخرج منه الدخان، و ذلك فى زمن أبى جعفر المنصور.

و قيل: كان الرجل يدخل فيه سعفة فتخرج سوداء محترقة، و نقل عن ابن مسعود أنه قال: جهنم فى الأرض، ثم تلا فَانْهارَ بِهِ فِي نارِ جَهَنَّمَ [التوبة: ۱۰۹].

الخلاف فى موضع مسجد الضرار

قال الجمال المطرى: و أما مسجد الضّرار فلا أثر له، و لا يعرف له مكان فيما حول مسجد قباء، و لا غير ذلك.

قلت: و هو كذلك، لكن بالنسبة إلى زمنه و زمننا؛ فقد قال ابن جبير فى رحلته: و هذا المسجد مما يتقرب الناس إلى الله برجمه و هدمه و كان مكانه بقباء عارض به اليهود مسجد قباء.

و قوله «اليهود» صوابه المنافقون.

و قال ابن النجار: و هذا المسجد قريب من مسجد قباء، و هو كبير، و حيطانه عالية، و تؤخذ منه الحجارة، و قد كان بناؤه مليحا، انتهى.

و هذا يقتضى وجوده فى زمن ابن النجار على تلك الحالة، و قد قال المطرى: إنه و هم لا أصل له، و تعقبه المجد بأنه لا يلزم من وجوده زمان ابن النجار كذلك استمراره، و قد

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۳۱

تبع ابن النجار فى ذلك غيره إن لم يكن شاهده، فهذا البشارى يقول: و منها مسجد الضّرار يتطوّع العوام بهدمه، و تبعه ياقوت فى معجمه، و ابن جبير فى رحلته، انتهى.

و قال ابن النجار أيضا، فى ذكر المساجد المعروفة فى زمنه ما لفظه: و اعلم أن بالمدينة مساجد خرابا فيها المحاريب و بقايا الأساطين و تنقض و تؤخذ حجارتها: منها مسجد بقباء قريب من مسجد الضّرار فيه أسطوان قائمة.

قلت: و هذا غير معروف اليوم، و هو صريح فى اشتهار مسجد الضرار فى زمنه بقباء حتى عرف به المسجد المذكور.

و وقع فى كلام عياض فى المشارق، و تبعه المجد، ما يقتضى أن مسجد الضّرار بذى أوان؛ فإنه قال فى ذروان: إن روايته بلفظ ذى أوان و هم. قال: و هو موضع خر على ساعة من المدينة، هو الذى بنى فيه مسجد الضرار، هذا لفظه.

و لعل مراده هو الذى وقع ذكر بنائه به فى حديث مسجد الضرار؛ لما قدمناه من أن أصحابه جاءوا للنبى صلى اللّه عليه و سلم و هو بذى أوان، و أخبروه ببنائه، و الله أعلم.

الفصل الثالث فى بقية المساجد المعلومة العين فى زماننا بالمدينة الشريفة و ما حولها

اشارة

اعلم أن الاعتناء بهذا الغرض متعين؛ فقد قال البغوى من الشافعية: المساجد التى ثبت أن النبى صلى اللّه عليه و سلم صلى فيها لو نذر أحد الصلاة فى شىء منها تعين كما تتعين المساجد الثلاثة، و اعتناء السلف بتتبع آثار النبى صلى اللّه عليه و سلم معلوم- سيما ما جاء فى ذلك عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما- و قد استفرغنا الوسع فى تتبعها.

فمنها: مسجد الجمعة، و يقال «مسجد الوادى» قد تقدم فى الفصل الحادى عشر من الباب الثالث أن النبى صلى اللّه عليه و سلم لما خرج من قباء مقدمه المدينة أدركته الجمعة فى بنى سالم بن عوف فصلاها فى بطن الوادى، وادى ذى صلب- بضم أوله- و أن ابن إسحاق قال: إن الجمعة أدركته فى وادى رانونا، يعنى ببنى سالم، و كانت أول جمعة صلاها بالمدينة، و فى رواية لابن زبالة «فمر على بنى سالم فصلى فيهم الجمعة فى القبيب ببنى سالم، و هو المسجد الذى فى بطنى الوادى» و فى رواية له «صلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم أول جمعة بالناس فى القبيب» ببنى سالم فهو المسجد الذى بناه عبد الصمد».

و المراد أن موضع المسجد يسمى بالقبيب، و سيأتى فى أودية المدينة أن سيل ذى صلب و سيل رانونا يصلان إلى موضع مسجد الجمعة، فلا مخالفة بين هذه العبارات، و إن غلب اشتهار اسم رانونا على ذلك الموضع دون بقية الأسماء.

و روى ابن شبة عن كعب بن عجرة رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى اللّه عليه و سلم «جمّع فى أول

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۳۲

جمعة حين قدم المدينة فى مسجد بنى سالم فى مسجد عاتكة» و عن إسماعيل بن أبى فديك عن غير واحد ممن يثق به من أهل البلد أن أول جمعة جمعها النبى صلى اللّه عليه و سلم حين أقبل من قباء إلى المدينة فى مسجد بنى سالم الذى يقال له مسجد عاتكة.

و قال المطرى: فى شمالى هذا المسجد أطم خراب يقال له «المزدلف» أطم عتبان بن مالك، و المسجد فى بطن الوادى صغير جدّا، مبنى بحجارة قدر نصف القامة، و هو الذى كان يحول السبيل بينه و بين عتبان بن مالك إذا سال؛ لأن منازل بنى سالم بن عوف كانت غربىّ هذا الوادى على طرف الحرة، و آثارهم باقية هناك، فسأل عتبان رسول الله صلى اللّه عليه و سلم أن يصلى له فى بيته فى مكان يتخذه مصلى، ففعل صلى اللّه عليه و سلم.

قلت: قصة عتبان المشار إليها مروية فى الصحيح بلفظ أن عتبان أتى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فقال: يا رسول الله، قد أنكرت بصرى، و أنا أصلى لقومى، فإذا كانت الأمطار سال الوادى الذى بينى و بينهم لم أستطع أن آتى مسجدهم فأصلى بهم، الحديث.

و سيأتى فى المساجد التى لا تعلم عينها أن بنى سالم لهم مسجد آخر هو مسجدهم الأكبر؛ فالذى يظهر أنه المراد من حديث عتبان، و أما هذا فهو مسجدهم الأصغر و قد تهدم بناؤه الذى أشار إليه المطرى، فجرده بعض الأعاجم على هيئته اليوم، مقدّمه رواق مسقف فيه عقدان بينهما أسطوان، و خلفه رحبة، و طوله من القبلة إلى الشام عشرون ذراعا، و عرضه من الجدار الشرقى إلى الغربى مما يلى محرابه ستة عشر ذراعا و نصف، و كان سقفه قد خرب فجدده المرحوم الخواجا الرئيس الجواد المفضّل شمس الدين قاوان تغمده الله برحمته.

و مصلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فى بيت غسان ليس فى الأطم المذكور، بل عند أصله كما سيأتى.

مسجد الفضيخ

و منها: مسجد الفضيخ- بفتح الفاء و كسر المعجمة بعدها مثناة تحتية و خاء معجمة- قال المطرى: و يعرف اليوم بمسجد الشمس و هو شرقى مسجد قباء على شفير الوادى، على نشز من الأرض، مرضوم بحجارة سود، و هو مسجد صغير.

و روى ابن شبة و ابن زبالة و يحيى فى عدة أحاديث أن النبى صلى اللّه عليه و سلم «صلى بمسجد الفضيخ».

و روى الأولان- و اللفظ لابن شبة- عن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنهما قال:

حاصر النبىّ صلى اللّه عليه و سلم بنى النضير، فضرب قبته قريبا من مسجد الفضيخ، و كان يصلّى فى موضع مسجد الفضيخ ستّ ليال، فلما حرمت الخمر خرج الخبر إلى أبى أيوب فى نفر من الأنصار، و هم يشربون فيه فضيخا، فحلّوا وكاء السِّقاء فهراقوه فيه؛ فبذلك سمى مسجد الفضيخ.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۳۳

قال الزين المراغى: و ذلك قبل اتخاذ الموضع مسجدّا، أو كان الإعلام بنجاسة الخمر بعد ذلك لكن المشهور تحريم الخمر فى شوال سنة ثلاث، و يقال أربع، و عليه يتمشى؛ لأن غزوة بنى النّضير سنة أربع على الأصح.

قلت: الحديث إنما تضمّن صلاة النبى صلى اللّه عليه و سلم بذلك المحل فى حصار بنى النضير، و لا يلزم من ذلك اتخاذه مسجدّا حينئذ؛ فيجوز أن يكون بناؤه مسجدّا تأخر إلى أن حرّمت الخمر، على أن أحمد روى فى مسنده من حديث ابن عمر أن النبى صلى اللّه عليه و سلم يعنى أتى بفضيخ فى مسجد الفضيخ فشربه، فلذلك سمى مسجد الفضيخ.

و رواه أبو يعلى و لفظه: أتى بجر فضيخ ينشّ و هو فى مسجد الفضيخ فشربه، فلذلك سمى مسجد الفضيخ، و فيه عبد الله بن نافع مولى ابن عمر، ضعّفه الجمهور، و قيل فيه: يكتب حديثه، و هو أولى بالاعتماد فى سبب تسمية المسجد المذكور بذلك؛ لأن ابن زبالة

ضعيف، و أما ابن شبة فرواه من طريق عبد العزيز بن عمران و هو متروك، و لم أر فى كلام أحد من المتقدمين تسمية المسجد المذكور بمسجد الشمس.

و قال المجد: لا أدرى لم اشتهر بهذا الاسم، و لعله لكونه على مكان عال فى شرقى مسجد قباء أول ما تطلع الشمس عليه، قال: و لا يظن ظانّ أنه المكان الذى أعيدت الشمس فيه بعد الغروب لعلى رضى الله تعالى عنه؛ لأن ذلك إنما كان بالصّهباء من خيبر، قال عياض فى الشفاء: كان رأس النبى صلى اللّه عليه و سلم فى حجر على رضى الله تعالى عنه و هو يوحى إليه، فغربت الشمس و لم يكن علىّ صلى العصر، فقال النبى صلى اللّه عليه و سلم: أ صلّيت يا على؟ قال: لا، فقال: اللهم إنه كان فى طاعتك و طاعة رسولك، فاردد عليه الشمس، قالت أسماء:

فرأيتها غربت ثم رأيتها طلعت بعد ما غربت، و وقعت على الجبال و الأرض و ذلك بالصهباء فى خيبر، قال عياض: خرّجه الطحاوى فى مشكل الحديث، و قال: إن أحمد بن صالح كان يقول: لا ينبغى لمن سبيله العلم التخلف عن حفظ حديث أسماء؛ لأنه من علامات النبوة.

قال المجد: فهذا المكان أولى بتسميته بمسجد الشمس دون ما سواه، و صرح ابن حزم بأن الحديث موضوع، قال: و قصة ردّ الشمس على علىّ رضى الله تعالى عنه باطلة بإجماع العلماء و سفه قائله.

قلت: و الحديث رواه الطبرانى بأسانيد قال الحافظ نور الدين الهيتمى: رجال أحدها رجال الصحيح، غير إبراهيم بن حسن، و هو ثقة، و فاطمة بنت على بن أبى طالب لم أعرفها، انتهى.

و أخرجه ابن منده و ابن شاهين من حديث أسماء بنت عميس، و ابن مردويه من

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۳۴

حديث أبى هريرة، و إسنادهما حسن، و ممن صححه الطحاوى و غيره، و قال الحافظ ابن حجر فى فتح البارى، بعد ذكر رواية البيهقى له: و قد أخطأ ابن الجوزى بإيراده له فى الموضوعات، انتهى.

و هذا المسجد مربع ذرعه من المشرق إلى المغرب أحد عشر ذراعا، و من القبلة إلى الشام نحوها.

مسجد بنى قريظة

و منها: مسجد بنى قريظة، و هو شرقى مسجد الشمس، بعيد عنه، بالقرب من الحرّة الشرقية، على باب حديقة تعرف بحاجزة هى وقف للفقراء، قاله المطرى و قد قدمنا فى منازل يهود أن أطم الزبير بن باطا كان فى موضع مسجد بنى قريظة و عنده خراب أبيات من دور بنى قريظة شمالى باب الحديقة المذكورة، و بقربه ناس نزول من أهل العالية، و قد روى ابن شبة من طريق محمد بن عقبة بن مالك عن على بن رافع و أشياخ قومه أن النبى صلى اللّه عليه و سلم «صلّى فى بيت امرأة من الخضر، فأدخل ذلك البيت فى مسجد بنى قريظة» فذلك المكان الذى صلى فيه النبى صلى اللّه عليه و سلم شرقى بنى قريظة عند موضع المنارة التى هدمت، هذا لفظ ابن شبة؛ فينبغى الصلاة فى مسجد بنى قريظة مما يلى محل المنارة فى شرقى المسجد.

و قد روى ذلك ابن زبالة عن محمد بن عقبة، إلا أنه لم يعين المحل المذكور، بل قال:

فأدخل الوليد بن عبد الملك حين بنى المسجد ذلك البيت فى مسجد بنى قريظة، و يحتمل:

أنه صلى اللّه عليه و سلم صلى فى مقدم المسجد أيضا، و إلا لجعلوا ما عند المنارة مقدمة.

قلت: الظاهر أن هذا المسجد هو المذكور فى حديث الصحيحين عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى قال: نزل أهل قريظة على حكم سعد بن معاذ، فأرسل رسول الله صلى اللّه عليه و سلم إلى سعد، فأتى على حمار، فلما دنا قريبا من المسجد قال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم للأنصار «قوموا إلى سيّدكم أو خيركم» ثم قال «إن هؤلاء قد نزلوا على حكمك» فقال: تقتل مقاتلتهم و تسبى ذريتهم،

الحديث.

فقوله «قريبا من المسجد» ليس المراد به مسجد المدينة؛ لأن النبى صلى اللّه عليه و سلم لم يكن به حينئذ، و لذا قال الحافظ ابن حجر: و قوله «فلما بلغ قريبا من المسجد» أى الذى أعدّه النبى صلى اللّه عليه و سلم أيام محاصرته لبنى قريظة للصلاة فيه، و أخطأ من زعم أنه غلط من الراوى لظنه أنه أراد بالمسجد المسجد النبوى بالمدينة فقال: إن الصواب ما وقع عند أبى داود من طريق شعبة بإسناد الصحيح بلفظ «فلما دنا من النبى صلى اللّه عليه و سلم» انتهى. و إذا حمل على ما سبق لم يكن بين اللفظين اتفاق، و اللّه سبحانه و تعالى أعلم.

قال ابن النجار: و هذا المسجد اليوم باق بالعوالى، كبير، و فيه ست عشرة أسطوانة قد

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۳۵

سقط بعضها، و هو بلا سقف، و حيطانه مهدومة، و قد كان مبنيّا على شكل بناء مسجد قباء، و حوله بساتين و مزارع.

و ذكر فى ذرعه شيئا الظاهر أنه تحريف فإنه قال: طوله نحو العشرين ذراعا و عرضه كذلك، و هذا لا يطابق ما عليه المسجد اليوم و لا ما قدّمه هو من الوصف و لعله خمن أن ذرعه كذلك فى حال غيبته عنه، فقد قال المطرى: إن ذرعه نحو من خمسة و أربعين ذراعا، و عرضه كذلك.

قال: و كان فيه أساطين و عقود و منارة فى مثل موضع منارة قباء، فتهدّم على طول الزمان، و وقعت منارته، أثرها اليوم باق تعرف به، و أخذت أحجاره جميعا. قال المطرى:

و بقى أثره إلى العشر الأول بعد السبعمائة، فجدّد و بنى عليه حظير مقدار نصف قامة، و كان قد نسى فمن ذلك التاريخ عرف مكانه.

قلت: و هو اليوم على الهيئة التى ذكرها المطرى، و قد اختبرت ذرعه فكان من القبلة إلى الشام أربعة و أربعين ذراعا و ربعا، و من المشرق إلى المغرب ثلاثة و أربعين ذراعا، و قد جدّد بناء جداره الشجاعىّ شاهين الجمالى شيخ الحرم النبوى و ناظره عام ثلاث و تسعين و ثمانمائة.

مشربة أم إبراهيم

و منها: المسجد الذى يقال له «مشربة أم إبراهيم عليه السلام».

و روى ابن زبالة و يحيى من طريقه و ابن شبة من طريق أبى غسان عن ابن أبى يحيى عن يحيى بن محمد بن ثابت أن النبى صلى اللّه عليه و سلم «صلّى فى مشربة أم إبراهيم».

و روى ابن شبة فيما جاء فى صدقات النبى صلى اللّه عليه و سلم عن ابن شهاب أن تلك الصّدقات كانت أموالا لمخيريق، كما سيأتى، و عدّ منها مشربة أم إبراهيم، ثم قال: و أما مشربة أم إبراهيم فإذا خلفت بيت مدراس اليهود فجئت مال أبى عبيدة بن عبيد اللّه بن زمعة الأسدى فمشربة أم إبراهيم إلى جنبه، و إنما سميت مشربة أم إبراهيم لأن أم إبراهيم ابن النبى صلى اللّه عليه و سلم ولدته فيها، و تعلّقت حين ضربها المخاض بخشبة من خشب تلك المشربة، فتلك الخشبة اليوم معروفة، انتهى ما رواه ابن شبة عن ابن شهاب.

قال ابن النجار: و هذا الموضع بالعوالى من المدينة بين النخيل، و هو أكمة قد حوّط عليها بلبن، و المشربة: البستان، و أظنه قد كان بستانا لمارية القبطية أم إبراهيم ابن النبى صلى اللّه عليه و سلم.

قلت: قال فى الصحاح: المشربة بالكسر- أى: بكسر الميم- إناء يشرب فيه، و المشربة بالفتح: الغرفة، و كذلك المشربة بضم الراء، و المشارب: العلالى، و ليس فى كلامه إطلاق ذلك على البستان، و الظاهر أنها كانت علّيّة فى ذلك البستان، و هو أحد صدقات النبى صلى اللّه عليه و سلم، و هذا هو الذى يناسب ما تقدم من رواية ابن شبة فى سبب تسميتها بذلك.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۳۶

و قال ابن عبد البر فى الاستيعاب: ذكر الزبير أن مارية ولدت إبراهيم عليه السلام بالعالية فى الماء الذى يقال له اليوم مشربة أم إبراهيم بالقف.

و روت عمرة عن عائشة حديثا فيه ذكر غيرتها من مارية، و أنها كنت جميلة، قالت:

و أعجب بها رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، و كان أنزلها أول ما قدم بها فى بيت لحارثة بن النعمان، و كانت جارتنا، و كان رسول الله صلى اللّه عليه و سلم عامة النهار و الليل عندها، حتى قذعنا لها- و القذع الشتم- فحوّلها إلى العالية، و كان يختلف إليها هناك، فكان ذلك أشدّ، ثم رزقها الله الولد و حرمناه منه.

قال المجد: و المشربة المذكورة مسجد شمالىّ بنى قريظة قريب من الحرّة الشرقية فى موضع يعرف بالدشت، بين نخل تعرف بالأشراف القواسم، من بنى قاسم بن إدريس بن جعفر أخى الحسن العسكرى، قال: و ذرعته فكان طوله نحو عشرة أذرع و عرضه أقل من ذلك بنحو ذراع، و ليس عليه بناء و لا جدار، و إنما هو عريصة صغيرة على رويبية، و قد حوّط عليها برضم لطيف من الحجارة السود، قال: و على شمالى المشربة دار متهدّمة لم يبق من معالمها سوى بعض الجدران، يظن الناس أنه مكان دار أبى سيف القبر. و الذى يغلب على ظنى أن ذلك بقايا أطم بنى زعوراء، فإن الزبير بن بكار قال ما نصه: و كان بنو زعوراء عند مشربة أم إبراهيم، و لهم الأطم الذى عندها، و بنو زعوراء من قبائل اليهود.

قلت: دار أبى سيف القبر التى كان إبراهيم ابن النبى صلى اللّه عليه و سلم مسترضعا فيها إنما هى فى دار بنى مازن بن النجار كما سيأتى. و ما ذكره فى وصف المسجد المذكور قريب مما هو عليه اليوم لكنّ ذرعه من القبلة إلى الشام أحد عشر ذراعا، و من المشرق إلى المغرب أربعة عشر ذراعا راجحة، و فى جهة المشرق منه شقيفة لطيفة، و بالقرب منه فى جهة المغرب نخيل تعرف بالزبيريات و سيأتى أنها المال الذى كان للزبير بن العوّام فتصدق به، و فيه مسجده الآنى، و الله أعلم.

مسجد بنى ظفر

و منها: مسجد بنى ظفر من الأوس، و يعرف اليوم بمسجد البغلة، و هو بطرف الحرة الشرقية فى شرقى البقيع، طريقه من عند القبة المعروفة بفاطمة بنت أسد أمّ على رضى الله عنهما بأقصى البقيع، و قد روى يحيى عن جعفر بن محمود بن محمد بن مسلمة أن النبى صلى اللّه عليه و سلم «صلّى فى مسجد بنى معاوية» أى الآنى «و مسجد بنى ظفر».

و قال ابن زبالة: إن إبراهيم بن جعفر حدثه بذلك عن أبيه جعفر المذكور، و روى ابن شبة عن الحارث بن سعيد بن عبيد أن النبى صلى اللّه عليه و سلم «صلى فى مسجد بنى حارثة مسجد بنى ظفر».

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۳۷

و روى يحيى عن إدريس بن محمد بن يونس بن محمد الظفرى عن جده أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم «جلس على الحجر الذى فى مسجد بنى ظفر» و كان زياد بن عبيد الله أن أمر بقلعه حتى جاءته مشيخة بنى ظفر و أعلموه أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم جلس عليه، فرده، قال: فقلّ امرأة نزر ولدها تجلس عليه إلا حملت. قال يحيى عقبه: مسجد بنى ظفر دون مسجد بنى عبد الأشهل، قال: و أدركت الناس بالمدينة يذهبون بنسائهم حتى ربما ذهبوا بهنّ بالليل فيجلسن على هذا الحجر.

قلت: و لم أزل أتأمل فى سر ذلك حتى اتضح لى بما رواه الطبرانى برجال ثقات عن محمد بن فضالة الظفرى، و كان ممن صحب النبى صلى اللّه عليه و سلم، أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم «أتاهم فى مسجد بنى ظفر، فجلس على الصخرة التى فى مسجد بنى ظفر اليوم و معه عبد الله بن مسعود و معاذ بن جبل و أناس من أصحابه، و أمر النبى صلى اللّه عليه و سلم قارئا فقرأ حتى أتى على هذه الآية فَكَيْفَ إِذا جِئْنا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَ جِئْنا بِكَ عَلى هؤُلاءِ شَهِيداً [النساء: ۴۱] فبكى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم حتى اضطرب لحياه. فقال: «أى ربّ شهيد على من أنا بين ظهر أبيه، فكيف بمن لم أر»؟

قلت: و لم يزل الناس يصفون الجلوس على ذلك الحجر للمرأة التى لا تلد، و يقصدون ذلك المسجد لأجله، غير أنى لم أر فيه حجرا يصلح للجلوس عليه، إلا أن فى أسفل كتف بابه عن يسار الداخل حجرا مثبتا من داخله، فكأنه هو المراد، و الناس اليوم إنما يقصدون حجرا من تلك الصخور التى هى خارجة فى غربيه فيجلسون عليه، و هذا بعيد لأن الرواية المتقدمة مصرّحة بأنه فى المسجد.

و قال المطرى: و عند هذا المسجد آثار فى الحرة من جهة القبلة، يقال: إنها أثر حافر بغلة النبى صلى اللّه عليه و سلم، و فى غربيه أى غربى أثر الحافر أثر على حجر كأنه أثر مرفق يذكر أن النبى صلى اللّه عليه و سلم اتّكأ عليه، و وضع مرفقه الشريف عليه، و على حجر آخر أثر أصابع، و النای يتبركون بها.

قلت: و لم أقف فى ذلك على أصل، إلا أن ابن النجار قال فى المسجد التى أدركها خرابا ما لفظه: و مسجدان قريب البقيع، و ذكر ما سيأتى عنه فى مسجد الإجابة، ثم قال:

و آخر يعرف بمسجد البغلة فيه أسطوان واحد، و هو خراب، و حوله كثير من الحجارة فيها أثر يقولون: إنه أثر حافرى بغلة النبى صلى اللّه عليه و سلم، انتهى.

و قد بنى ما تهدّم منه بعد ابن النجار، إلا أنه لم يجعل له سقفا، فليس به شىء من الأساطين. و رأيت فيه حجر رخام عن يمين محرابه قد كتب فيه ما صورته: خلّد الله ملك الإمام أبى جعفر المنصور المستنصر بالله أمير المؤمنين. عمر سنة ثلاثين و ستمائة، و ذرعته

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۳۸

فكان مربعا، طوله من القبلة إلى الشام أحد و عشرون ذراعا، و من المشرق إلى المغرب مثل ذلك، و الله أعلم.

مسجد الإجابة

و منها: مسجد الإجابة، و هو مسجد بنى معاوية بن مالك بن عوف من الأوس، كما قدمناه فى المنازل مع بيان ما وقع للمطرى و من تبعه من الوهم فى جعلهم من بنى مالك بن النجار من الخزرج، و بيان منشأ الوهم، و ما ناقض المطرى به كلامه عند ذكره مسجد بنى جديلة، و هو مسجد أبىّ الآتى فى الفصل بعده.

و قد روينا فى صحيح مسلم من حديث عامر بن سعد عن أبيه أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم «أقبل ذات يوم من العالية، حتى إذا مر بمسجد بنى معاوية دخل فركع ركعتين، و صلينا معه، و دعا ربّه طويلا، ثم انصرف إلينا فقال: سألت ربى ثلاثا فأعطانى اثنتين، و منعنى واحدة، سألته أن لا يهلك أمتى بالسّنة فأعطانى، و سألته أن لا يهلك أمتى بالغرق فأعطانيها، فسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها، فهذا سبب تسمية هذا المسجد بمسجد الإجابة.

و روى ابن شبة بسند جيد، و هو فى الموطأ، عن عبد الله بن عبد الله بن جابر بن عتيك قال: جاءنا عبد الله بن عمر فى بنى معاوية، و هى قريبة من قرى الأنصار، فقال:

تدرون أين صلّى النبى صلى اللّه عليه و سلم فى مسجدكم هذا؟ فقلت: نعم، و أشرت له إلى ناحية منه، قال:

فهل تدرون ما الثلاث التى دعا بهن فيه؟ قلت: نعم، قال: فأخبرنى، قلت دعا أن لا يظهر عليهم عدو من غيرهم، و أن لا يهلكهم بالسنين، فأعطيهما، و دعا أن لا يجعل بأسهم بينهم، فمنعها، قال: صدقت، فلن يزال الهرج إلى يوم القيامة.

و عن سعد بن أبى وقاص أنه كان مع النبى صلى اللّه عليه و سلم فمرّ بمسجد بنى معاوية، فدخل فركع فيه ركعتين، ثم قام فناجى ربّه، ثم انصرف.

و نقل ابن شبة أيضا عن أبى غسان عن محمد بن طلحة أنه قال: بلغنى أن النبى صلى اللّه عليه و سلم صلّى فى مسجد بنى معاوية على يمين المحراب نحوا من ذراعين.

قلت: فينبغى أن يتحرّى بالصلاة ذلك المحل، و أن يكون الدعاء فيه قائما بعد الصلاة؛ للرواية المتقدمة.

و هذا المسجد هو المراد بقول ابن النجار فی المسجدین اللذین أدرکهما خرابا قریب البقیع أحدهما یعرف بمسجد الإجابة و فیه أسطوانات قائمة و محراب ملیح و باقیة خراب.

قلت: لیس به الیوم شیء من الأساطین، و قد رمّم ما تخرب منه، و هو فی شمالی البقیع علی یسار السالک إلی العریض، وسط تلول هی آثار قریة بنی معاویة، و ذرّعته فکان من المشرق إلی المغرب خمسة و عشرین ذراعا ینقص یسیرا، و کان من القبلة إلی الشام عشرین ذراعا ینقص یسیرا.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفی، ج۳، ص: ۳۹

مسجد الفتح

و منها: مسجد الفتح، و المساجد التی حوله فی قبلته، و تعرف الیوم کلها بمساجد الفتح، و الأول المرتفع علی قطعة من جبل سلع فی المغرب غربیه وادی بطحان، و هو المراد بمسجد الفتح حیث أطلقوه، و یقال له أیضا «مسجد الأحزاب» و «المسجد الأعلی».

و روینا فی مسند أحمد برجال ثقات عن جابر بن عبد الله أن النبی صلی اللّه علیه و سلم «دعا فی مسجد الفتح ثلاثا یوم الإثنین و یوم الثلاثاء و یوم الأربعاء، فاستجیب له یوم الأربعاء بین الصلاتین، فعرف البشر فی وجهه» قال جابر: فلم ینزل بی أمر مهمّ غلیظ إلا توخّیت تلک الساعة فأدعو فیها فأعرف الإجابة، و رواه ابن زبالة و البزار و غیرهما.

و روینا فی مسند أحمد أیضا بإسناد فیه رجل لم یسم عن جابر أیضا أن النبی صلی اللّه علیه و سلم «أتی مسجد یعنی، الأحزاب، فوضع رداءه و قام، و رفع یدیه مدا یدعو علیهم، و لم یصل، ثم جاء و دعا علیهم و صلی».

و روی ابن شبة عن جابر رضی الله تعالی عنه أن النبی صلی اللّه علیه و سلم «قعد علی موضع مسجد الفتح و حمد الله و دعا علیهم و عرض أصحابه و هو علیه».

و عن سعید مولی المهدیین قال: «أقبل النبی صلی اللّه علیه و سلم من الجرف، فأدرکته صلاة العصر فصلاها فی المسجد الأعلی».

و روی ابن زبالة و یحیی و ابن النجار من غیر طریقهما عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلی اللّه علیه و سلم «مرّ بمسجد الفتح الذی علی الجبل و قد حضرت صلاة العصر، فرقی فصلی فیه صلاة العصر».

و روی ابن زبالة عن المطلب مرسلا أن النبی صلی اللّه علیه و سلم «دعا فی مسجد الفتح یوم الأحزاب حتی ذهبت الظهر و ذهبت العصر و ذهبت المغرب، و لم یصل منهن شیئا، ثم صلاهن جمیعا بعد المغرب».

قلت: و فیه بیان الشغل الذی أخر لأجله تلک الصلاة؛ فإن المعروف تأخیرها أو تأخیر العصر فقط کما فی الصحیح من غیر بیان هذا السبب، و ذلک کان قبل مشروعیة صلاة الخوف.

و روی أیضا عن جعفر بن محمد عن أبیه أن النبی صلی اللّه علیه و سلم «دخل مسجد الفتح فخطا خطوة ثم الخطوة الثانیة، ثم قام و رفع یدیه إلی الله حتی رؤی بیاض إبطیه- و کان أعفر الإبطین فدعا حتی سقط رداؤه عن ظهره، فلم یرفعه حتی دعا و دعا کثیرا، ثم انصرف».

و عن جابر قال: «صلّی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم من وراء مسجد الفتح نحو المغرب».

و رواه ابن شبة عنه بلفظ «دعا النبی صلی اللّه علیه و سلم علی الجبل الذی علیه مسجد الفتح من ناحیة المغرب، و صلی من وراء المسجد» أی فی الرحبة.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفی، ج۳، ص: ۴۰

قال ابن شبة: قال أبو غسان: و سمعت غیر واحد ممن یوثق به یذکر أن الموضع الذی دعا علیه رسول الله صلی اللّه علیه و سلم من الجبل هو الیوم إلی الأسطوان الوسطی الشارعة فی رحبة المسجد.

قلت: و يستفاد منه: أن الصلاة و الدعاء هنالك يتحرّى بهما وسط المسجد فى الرحبة مما يلى سقفه، و مقتضى الرواية الأولى أن تكون أقرب إلى جهة المغرب، و إذا ضممت إلى ذلك الرواية المتقدمة من أن صلى اللّه عليه و سلم «خطا خطوة ثم الخطوة الثانية، ثم قام و رفع يديه» ظهر لك أن طريقه صلى اللّه عليه و سلم كانت من جهة الدرجة الشمالية.

و روى يحيى عن هارون بن كثير عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم «دعا يوم الخندق على الأحزاب فى موضع الأسطوانة الوسطى من مسجد الفتح» قال يحيى: فدخلت مع الحسين بن عبد الله مسجد الفتح، فلما بلغ الأسطوانة الوسطى من المسجد قال: هذا موضع مصلّى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم الذى دعا فيه على الأحزاب، و كان يصلى فيه إذا جاء مسجد الفتح.

و روى ابن شبة عن جابر قال: دعا النبى صلى اللّه عليه و سلم فى المسجد المرتفع، و رفع يديه مدا.

و عن سالم أبى النصر قال: دعا النبى صلى اللّه عليه و سلم يوم الخندق «اللّهمّ منزّل الكتاب، و منشئ السحاب، اهزمهم و انصرنا عليهم».

و روى ابن زبالة من طريق عمر بن الحكم بن ثوبان قال: أخبرنى من صلى وراء النبى صلى اللّه عليه و سلم فى مسجد الفتح ثم دعا فقال: «اللهم لك الحمد هديتنى من الضلالة، فلا مكرم لمن أهنت، و لا مهين لمن أكرمت، و لا معزّ لمن أذللت: و لا مذلّ لمن أعززت، و لا ناصر لمن خذلت، و لا خاذل لمن نصرت، و لا معطى لما منعت، و لا مانع لما أعطيت، و لا رازق لمن حرمت، و لا حارم لمن رزقت، و لا رافع لمن خفضت، و لا خافض لمن رفعت، و لا خارق لمن سترت، و لا ساتر لمن خرقت، و لا مقرب لما باعدت، و لا مباعد لما قربت».

و ذكر القرطبى دعاء آخر فى رواية يتضمن أن الدعاء وقع من النبى صلى اللّه عليه و سلم هناك فى الليلة التى أرسل الله فيها الريح على الأحزاب، و لا مانع من أن يكون النبى صلى اللّه عليه و سلم دعا فى تلك الليلة أيضا هناك، و لفظه: و لما اشتد الأمر على المسلمين و طال المقام فى الخندق قام عليه الصلاة و السلام على التلّ الذى عليه مسجد الفتح فى بعض الليالى و توقّع ما وعده الله من النصر. و قال: من يذهب ليأتينا بخبرهم؟ قال: فانطلق حذيفة بسلاحه، و رفع رسول الله صلى اللّه عليه و سلم يده يقول: «يا صريخ المكروبين، و يا مجيب المضطرين، و يا كاشف همى و غمى و كربى، فقد ترى حالى و حال أصحابى» فنزل جبريل فقال: إن الله سمع دعوتك و كفاك هول عدوك، فخرّ رسول الله صلى اللّه عليه و سلم على ركبتيه، و بسط يديه، و أرخى عينيه، و هو يقول: شكرا

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۴۱

كما رحمتنى و رحمت أصحابى، و أخبره جبريل بأن الله مرسل عليهم ريحا، فبشر أصحابه بذلك.

قلت: فينبغى أن يدعى بذلك كله هناك، فيقول: اللهم يا صريخ المستصرخين و المكروبين، و يا غياث المستغيثين، و يا مفرج كرب المكروبين، و يا مجيب دعوة المضطرين، صلّ على سيدنا محمد و آله و صحبه و سلم، و اكشف عنى كربى و غمى و حزنى و همى، كما كشفت عن حبيبك و رسولك صلى اللّه عليه و سلم كربه و حزنه و غمه و همه فى هذا المقام، و أنا أتشفع إليك به صلى اللّه عليه و سلم فى ذلك، يا حنان يا منان يا ذا الجود و الإحسان.

و يقدم عليه ما فى الصحيح من حديث ابن عمر أن النبى صلى اللّه عليه و سلم «كان يدعو عند الكرب لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله ربّ السموات و رب الأرضين رب العرش الكريم». و كذلك دعاء الشافعى رحمه الله تعالى الذى دعا به عند دخوله على الرشيد فى محنته فقد روى أبو نعيم بإسناد من طريق الشافعى أن النبى صلى اللّه عليه و سلم دعا به فى يوم الأحزاب، و رفعه غير صحيح كما قال البيهقى، لكنه دعاء عظيم، و فى ألفاظه اختلاف، و قد جمعت بينها و هو «شهد الله أنه لا إله إلا هو و الملائكة و أولو العلم قائما بالقسط، لا إله إلا هو العزيز الحكيم» ثم قال «و أنا أشهد بما شهد الله به، و أستودع الله هذه الشهادة، و هى وديعة لى عند الله يؤدّيها إلى يوم القيامة، اللهم إنى أعوذ بنور قدسك و عظمة طهارتك و بركة جلالك من كل آفة و عاهة و من طوارق الليل و النهار، و طارق الجن و الإنس، إلا طارقا يطرق بخير، اللهم أنت غياثى فبك أغوث، و أنت ملاذى فبك

ألوذ، و أنت عياذى فبك أعوذ، يا من ذلّت له رقاب الجبابرة، و خضعت له أعناق الفراعنة، أعوذ بجمال وجهك و كرم جلالك من خزيك و كشف سترك، و من نسيان ذكرك، و الاضراب عن شكرك، أنا فى حرزك و كنفك و كلاءتك فى ليلى و نهارى، و نومى و قرارى، و ظعنى و أسفارى، و حياتى و مماتى، ذكرك شعارى، و ثناؤك دثارى، لا إله إلا أنت سبحانك و بحمدك، تنزيها لاسمك و عظمتك، و تكريما لسبحات وجهك، أجرنى من خزيك و من شر عبادك، و اضرب علىّ سرادقات حفظك، و قنى سيئات عذابك، و جد على، وعدنى منك بخير يا أرحم الراحمين، و لا حول و لا قوة إلا بالله العلى العظيم الكريم، و الصلاة على النبى المرتضى محمد و آله و صحبه و سلم».

قلت: و مما يدل على اشتهار الاستجابة بهذا المسجد فى يوم الأربعاء و قصد السلف له فى ذلك اليوم حتى النساء ما حكاه الأديب شهاب الدين أبو الثناء محمود فى كتابه «منازل الأحباب» من رؤية عتبة بن الحباب بن المنذر بن الجموع امرأة ممن يزور هذا المسجد فى يوم الأربعاء مع نسوة المرة بعد الأخرى و ذكر قصته فى تزوجه بها، و إنشاده:

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۴۲

يا للرّجال ليوم الأربعاء أ ما ينفكّ يحدث لى بعد النهى طربا

ما إن يزال غزال فيه يظلمنى يهوى إلى مسجد الأحزاب منتقبا

يخبّر الناس أنّ الأجر همّته و ما أتى طالبا للأجر محتسبا

لو كان يبغى ثوابا ما أتى ظهرا مضمخا بفتيت المسك مختضبا

و فى كلام الزبير بن بكار ما يقتضى نسبة هذه الأبيات مع زيادة فيها لعبد الله بن مسلم بن جندب الهذلى، و أنه كان إمام المسجد المذكور فإنه قال: و لما ولى الحسن بن زيد المدينة منع عبد الله بن مسلم بن جندب الهذلى أن يؤمّ الناس فى مسجد الأحزاب، فقال له: أصلح الله الأمير لم منعتنى مقامى و مقام آبائى و أجدادى قبلى؟ قال: ما منعك منه إلا يوم الأربعاء، يريد قوله:

يا للرّجال ليوم الأربعاء

و ذكر الأبيات الأربعة المتقدمة و زاد عقبها أربعة أخرى، و هى:

فإن فيه لمن يبغى فواضله فضلا و للطالب المرتاد مطلبا

كم حرّة درّة قد كنت آلفها تسدّ من دونها الأبواب و الحجبا

قد ساغ فيه لها مشى النهار كما ساغ الشراق لعطشان إذا شربا

اخرجن فيه و لا ترعين ذا كذب قد أبطل الله فيه قول من كذبا

قال المجد: و أما تسميته يعنى المسجد الأعلى بمسجد الفتح فمحتمل أنه سمّى به لأنه أجيبت فيه دعوة النبى صلى اللّه عليه و سلم على الأحزاب، فكان فتحا على الإسلام أو أنزل الله عليه صلى اللّه عليه و سلم سورة الفتح هناك، انتهى.

قلت: و بالثانى جزم ابن جبير فى رحلته، لكن جاء فى خبر أن النبى صلى اللّه عليه و سلم «كان قد تقنّع بثوبه يوم الخندق و اضطجع لما أتاه أصحابه بخبر بنى قريظة، ثم إنه رفع رأسه فقال: بشروا بفتح الله و نصره» كما فى مغازى ابن عقبة، فلعل ذلك كان فى موضع هذا المسجد، فسمى بذلك لوقوع البشارة بالفتح فيه.

و أيضا فقد روى القرطبى ما يقتضى أن النبى صلى اللّه عليه و سلم لما أرسل حذيفة ليأتيه بخبر الأحزاب كان بمحل هذا المسجد.

و قد قال ابن عقبة: إن حذيفة لما رجع وجد النبى صلى اللّه عليه و سلم قائما يصلى، ثم انصرف إليه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فأخبره الخبر، فأصبح رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و المسلمون قد فتح الله عز و جل لهم و أقر أعينهم، اه.

و روى ابن شبة عن أسيد بن أبى أسيد عن أشياخهم أن النبى صلى اللّه عليه و سلم «دعا على الجبل الذى عليه مسجد الفتح، و صلّى فى المسجد الصغير الذى بأصل الجبل على الطريق حين يصعد الجبل». و روى ابن زبالة عن معاوية ابن عبد الله بن زيد، نحوه.

و عن معاذ بن سعد أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم «صلّى فى مسجد الفتح الذى على الجبل و فى المساجد التى حوله».

المساجد التى حول مسجد الفتح

قلت: و ظاهره أن المساجد حوله ثلاثة لأنه أقل الجمع، و هو ما صرح به ابن النجار فقال: إن مسجد الفتح على رأس جبل يصعد إليه بدرج، و قد عمر عمارة جديدة، أى عمارة ابن أبى الهيجاء الآتية فإنه أدركها.

قال: و عن يمينه فى الوادى نخل كثير، و يعرف ذلك الموضع بالسيحى، أى بالياء آخر الحروف. و مساجد حوله و هى ثلاثة- قبلة الأول منها خراب، و قد هدم و أخذت حجارته، و الآخران معموران بالحجارة و الجص، و هما فى الوادى عند النخل، انتهى.

و قال المطرى: إن المسجدين اللّذين فى قبلة مسجد الفتح تحته يعرف الأول منهما يعنى الذى يلى مسجد الفتح بمسجد سلمان الفارسى، و الثانى الذى يلى القبلة- يعنى فى قبلة مسجد سلمان- يعرف بمسجد أمير المؤمنين على بن أبى طالب، ثم ذكر ما تقدم عن ابن النجار من أنه كان معهما مسجد ثالث، ثم قال: و هذا لم يبق له أثر.

قلت: و فى قبلة المسجد المعروف بأمير المؤمنين جانحا إلى جهة المشرق يلحق طرف جبل سلع الذى فى قبلة المساجد رضم من حجارة رأينا الناس يتبركون بالصلاة بينها. و قد تأملتها فوجدت فى طرفها مما يلى المشرق حجرا من المقام الذى يجعل منه الأساطين، و هو مثبت فى الأرض بالجص، فترجح عندى أنه أثر أسطوان، و أن ذلك هو المسجد الذى يشير إليه ابن النجار، و ما ذكره المطرى من نسبة المسجدين المذكورين لسلمان و على رضى الله تعالى عنهما شائع على ألسنة الناس، و يزعمون أن الثالث الذى ذكر المطرى أنه لم يبق له أثر مسجد أبى بكر رضى الله تعالى عنه، و بعض العامة يسمى مسجد سلمان بمسجد أبى بكر رضى الله عنه، و لم أقف فى ذلك كله على أصل.

قال المطرى: و يصعد إلى مسجد الفتح بدرجتين شمالية و شرقية، و كان فيه ثلاث أسطوانات من بناء عمر بن عبد العزيز، فلذلك قال فى الحديث «موضع الأسطوانة الوسطى».

قلت: و المراد أنها ثلاث أساطين بين المشرق و المغرب فمسقفه رواق واحد فقط كما هو عليه اليوم، قال المطرى: لكنه تهدّم على طول الزمان فجدّده الأمير سيف الدين الحسين بن أبى الهيجاء أحد وزراء العبيديّين ملوك مصر فى سنة خمس و سبعين و خمسمائة، و كذلك جدد بناء المسجدين اللذين تحته من جهة القبلة فى سنة سبع و سبعين و خمسمائة.

قلت: و اسمه اليوم مرسوم على مسن فى أعلى قبلة مسجد الفتح، و فى أعلى قبلة المسجد الذى يليه. و فيه ذكر العمارة فى التاريخ المذكور.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۴۴

و أما المسجد الآخر- و هو الذى فى قبلتهما، المنسوب لأمير المؤمنين علىّ- فتهدّم بناؤه، فجدّده الأمير زين الدين ضغيم بن حشرم المنصورى أمير المدينة الشريفة فى سنة ست و سبعين و ثمانمائة، و كان سقفه عقدا، و فيه مسن عليه اسم ابن أبى الهيجاء كالمسجدين الآخرين، فجعل سقفه خشبا على أسطوان واحد، و سقف كل من مسجد الفتح و الذى فى قبلته رواق واحد مقبوّ قبوا محكما، و فى كل منهما ثلاث قناطر آخذة من المشرق إلى المغرب، و الظاهر أن الرحبة التى خف الرواق المذكور لم تغير عن حالها القديم. و ذرع المسجد الأعلى من القبلة إلى الشام عشرون ذراعا ينقص يسيرا، و من المشرق إلى المغرب مما يلى القبلة سبعة عشر ذراعا. و ذرع المسجد الأسفل المنسوب لسلمان رضى الله تعالى عنه من القبلة إلى الشام أربعة عشر ذراعا شافة، و من المشرق إلى المغرب مما يلى القبلة سبعة عشر ذراعا. و ذرع المسجد الذى يليه- و هو المنسوب لعلى رضى الله عنه- من القبلة إلى الشام ثلاثة عشر ذراعا شافة، و من المشرق إلى المغرب مما يلى القبلة ستة عشر ذراعا شافة.

مسجد بنى حرام الكبير

و ينبغى لقاصد مساجد الفتح أن يزور مسجد بنى حرام الكبير، و هو غير مسجدهم الصغير الآتى ذكره، و هذا المسجد هو الذى اتخذوه لشعبهم من سلع لما تحوّلوا إليه على ما قدمناه فى ذكر المنازل؛ لما فيه مما يقتضى أنهم تخلوا إليه بإذن النبى صلى اللّه عليه و سلم لهم.

و قد روى رزين عن يحيى بن قتادة بن أبى قتادة عن مشيخة من قومه أن النبى صلى اللّه عليه و سلم «كان يأتى دور الأنصار فيصلى فى مساجدهم».

و قدمنا هناك أيضا أن عمر بن عبد العزيز زاد فيه على بناء أهله له مدماكين من أعلاه، و طابق سقفه، و كان أولا بخشب و جريد، و جعل فيه زيت مسجد رسول الله صلى اللّه عليه و سلم؛ فهذا يقتضى أن النبى صلى اللّه عليه و سلم صلّى فيه، لكن تقدم أيضا ما يقتضى أن بنى حرام إنما انتقلوا للشعب المذكور فى زمن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه.

و روى ابن شبة فى ذكر المساجد التى يقال إن النبى صلى اللّه عليه و سلم صلّى فيها، و يقال إنه لم يصل فيها، عن حرام بن عثمان أن النبى صلى اللّه عليه و سلم لم يصلّ فى مسجد بنى حرام الأكبر، ثم روى ما قدمناه من الاختلاف فى وقت تحوّلهم إلى ذلك المحل.

فيتلخص من ذلك أنه مما اختلف فى صلاة النبى صلى اللّه عليه و سلم فيه، و لذلك لم يفرده بالذكر، و قد ظهر لى محله فى قرية بنى حرام بشعبهم غربى جبل سلع على يمين السالك إلى مساجد الفتح من الطريق القبلية، و على يسار السالك إلى المدينة من مساجد الفتح، فإذا جاوزت البطن الذى فيه مساجد الفتح و أنت قاصد المدينة يلقاك بعد ذلك بطن متسع من سلع فيه آثار قرية هى قرية بنى حرام، و ذلك شعبهم، و قد انهدم المسجد بأجمعه، و بقى أساسه و آثار

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۴۵

أساطينه من الخزر المكسر، و فيها آثار الرصاص و عمد الحديد و آثار الرمل بأرضه، و لعل الله تعالى يبعث له من يحييه.

كهف بنى حرام

و ينبغى لقاصد المسجد المذكور أن يزور كهف بنى حرام قرب شعبهم المذكور؛ لما سيأتى فى ذكر عين النبى صلى اللّه عليه و سلم عن عبد الملك بن جابر بن عتيك أن النبى صلى اللّه عليه و سلم «توضّأ من العيينة التى عند كهف بنى حرام» قال: و سمعت بعض مشيختنا يقول: قد دخل النبى صلى اللّه عليه و سلم ذلك الكهف.

و فى رواية أنهم كانوا- يعنى الصحابة- يخرجون مع النبى صلى اللّه عليه و سلم و يخافون البيات، فيدخلونه كهف بنى حرام فيبيت فيه، حتى إذا أصبح هبط، و إنه نقر العيينة التى عند الكهف.

و لما روى ابن شبة عن يحيى بن النصر الأنصارى أن النبى صلى اللّه عليه و سلم «جلس فى كهف سلع» و المراد به كف بنى حرام.

و لما روى الطبرانى فى الأوسط و الصغير عن أبى قتادة قال: خرج معاذ بن جبل فطلب النبى صلى اللّه عليه و سلم فلم يجده، فطلبه فى بيوته فلم يجده، فاتّبعه فى سكة سكة حتى دلّ عليه فى جبل ثواب، فخرج حتى رقى جبل ثواب فنظر يمينا و شمالا فبصر به فى الكهف الذى اتخذ الناس إليه طريقا إلى مسجد الفتح، قال معاذ: فإذا هو ساجد، فهبطت من رأس الجبل و هو ساجد فلم يرفع حتى أسأت به الظن، فظننته أنه قد قبضت روحه، فقال: جاءنى جبريل بهذا الموضع فقال: إن الله تبارك و تعالى يقرؤك السلام و يقول لك: ما تحبّ أن أصنع بأمتك؟ قلت: الله أعلم، فذهب ثم جاء إلى فقال: إنه يقول: لا أسوأك فى أمتك، فسجدت فأفضل ما تقرب به إلى الله عز و جل السجود.

قلت: و جبل ثواب لم أقف له على ذكر، و لكن يؤخذ من قوله فى هذا الكهف إنه الذى اتخذ الناس إليه طريقا إلى مسجد الفتح أنه جبل سلع، و المراد اتخذ الناس إلى الكهف طريقا إلى طريق مسجد الفتح، فهو كهف بنى حرام بقرينة ما سبق، و الكهف كما فى الصحاح: شبه البيت المنقور فى الجبل، و هذا الكهف يظهر أنه الذى على يمين المتوجّه من المدينة إلى مساجد الفتح من الطريق القبلية أيضا إذا قرب من البطن الذى هو شعب بنى حرام فى مقابلة الحديقة المعروفة اليوم بالنقيبية عن يساره.

و كذلك الحصن المعروف بحصن حمل يكون فى جهة يساره فهناك مجرى سائلة تسيل من سلع إلى بطحان، فإذا دخل فى تلك السائلة و صعد يسيرا من سلع طالبا جهة المشرق كان الكهف المذكور على يمينه، و عنده أثر نقر ممتد فى الجبل هو مجرى السائلة المذكورة، و إذا صعد

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۴۶

الإنسان من ذلك المجرى و كان فى أعلاه وجد كهفا آخر، لكنه صغير جدّا، و الأول أقرب إلى كونه المراد، و لعل ذلك النقر هو المراد فيما يتعلق بالعينة، و إذا حصل المطر بسلع سالت تلك السائلة، و يبقى هناك مواضع يتحصل فيها الماء ثم يجرى منها؛ فينبغى التبرك بها، و الله أعلم.

مسجد القبلتين

و منها: مسجد القبلتين، قال رزين: و هو مسجد بنى حرام بالقاع، و تبعه ابن النجار فمن بعده، و زاد المطرى و تبعه من بعده أنه الذى رأى النبى صلى اللّه عليه و سلم النخامة فى قبلته فحكّها بعرجون كان فى يده، ثم دعا بخلوق فجعله على راس العرجون ثم جعله فى موضع النخامة، فكان أوّل مسجد خلّق، و هذا كله مردود؛ لأن ابن زبالة قال كما قدمناه فى المنازل: إن بنى سواد بن غنم بن كعب نزلوا عند مسجد القبلتين، و لهم مسجد القبلتين و نزل بنو عبى بن عدى بن غنم بن كعب عند مسجد الخربة، و نزل بنو حرام بن كعب بن غنم بن كعب عند مسجد بنى حرام الصغير الذى بالقاع، و ابتنوا أطما يقال له جاعص كان فى السهل بين الأرض التى كانت لجابر بن عتيك و بين العين التى عملها معاوية بن أبى سفيان، و حينئذ فلا يصح كون مسجد بنى حرام الصغير هو مسجد القبلتين. و كان هؤلاء الجماعة فهموا من وصف مسجدهم هذا بالصغير أن مسجدهم الكبير هو مسجد القبلتين، و ليس كذلك؛ لما قدمناه من أن مسجدهم الكبير نقل أن النبى صلى اللّه عليه و سلم لم يصلّ فيه، و أنه الذى بشعب سلع، و أيضا فقد صرح ابن زبالة بأن مسجد القبلتين لبنى سواد، و أيضا فاسم القاع إنما يناسب ما قدمناه فى بيان منازل بنى حرام فى غربى مساجد الفتح، فمسجد بنى حرام هذا من المساجد التى لا تعلم اليوم عينها، و لكن تعلم جهتها. و مما يوضح المغايرة بين مسجد بنى حرام و بين مسجد القبلتين، و يصرح بخطإ ما ذهب إليه من جعلهما متحدين أن ابن شبة روى عن جابر أن النبى صلى اللّه عليه و سلم صلّى فى مسجد الخربة، و فى مسجد القبلتين، و فى مسجد بنى حرام الذى بالقاع. و رواه أيضا ابن زبالة عن جابر بلفظ «صلّى فى مسجد القبلتين و فى مسجد بنى حرام بالقاع» و لم يذكر مسجد الخربة؛ فاتّضح بذلك ما قلناه، و تعين اجتناب ما عداه، و ما ذكره المطرى من كون مسجد القبلتين أول مسجد خلّق أخذه من ورود ذلك فى مسجد بنى حرام لظنه اتحادهما؛ فاجتنبه.

و قال ابن زبالة: و حدثنى موسى بن إبراهيم عن غير واحد من مشيخة بنى سلمة أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم «صلّى فى مسجد القبلتين» و قد قدمناه فى الفصل الثالث من الباب الرابع الاختلاف فى تعيين المسجد الذى وقع فيه تحويل القبلة و سنته و الصلاة التى وقع ذلك فيها، و فى بعض تلك الروايات أن ذلك كان بمسجد القبلتين، و أن الواقدىّ قال: إن ذلك هو الثابت عنده.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۴۷

و روى يحيى عن عثمان بن محمد بن الأخنس قال: زار رسول الله صلى اللّه عليه و سلم امرأة- و هى أم بشر من بنى سلمة- فى بنى سلمة، فصنعت له طعاما، قالت أم بشر: فهم يأكلون من ذلك الطعام إلى أن سألوا رسول الله صلى اللّه عليه و سلم عن الأرواح، فذكر

حديثها فى أرواح المؤمنين و الكافرين، ثم قال: فجاءت الظهر فصلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بأصحابه فى مسجد القبلتين الظهر، فلما أن صلى ركعتين أمر أن يوجه إلى الكعبة، فاستدار رسول الله صلى اللّه عليه و سلم إلى الكعبة و استقبل الميزاب؛ فهى القبلة التى قال الله تعالى «فلنولينك قبلة ترضاها» فسمى ذلك المسجد مسجد القبلتين.

و فى رواية له: فلما صلى ركعتين أمر أن يولى وجهه إلى الكعبة، فاستدار رسول الله صلى اللّه عليه و سلم إلى الكعبة و المسجد مسجد القبلتين، و كان الظهر يومئذ أربعا منها اثنتان إلى بيت المقدس و ثنتان إلى الكعبة.

قلت: و هذا ما أشار إليه ابن سعد بقوله: و يقال إنه صلى اللّه عليه و سلم زار أم بشر بن البراء بن معرور فى بنى سلمة، فصنعت له طعاما و حانت الظهر، فصلى بأصحابه ركعتين، ثم أمر أن يوجّه إلى الكعبة، فاستداروا إلى الكعبة، فسمى المسجد مسجد القبلتين.

و تقدم ما قاله الزمخشرى من صرف القبلة فى هذا المسجد فى صلاة الظهر، و إنه صلى اللّه عليه و سلم الله عليه و سلم تحول فى الصلاة و حوّل الرجال مكان النساء و النساء مكان الرجال.

و روى ابن زبالة عن محمد بن جابر قال: صرفت القبلة و نفر من بنى سلمة يصلون الظهر فى المسجد الذى يقال له مسجد القبلتين، فأتاهم آت فأخبرهم و قد صلوا ركعتين فاستداروا حتى جعلوا وجوههم إلى الكعبة، فبذلك سمّى مسجد القبلتين.

قال المجد: فعلى هذا كان مسجد قباء أولى بهذه التسمية؛ لما ثبت فى الصحيحين من وقوع نحو ذلك به.

و قد أطنب المجد هنا فيما جاء فى تخليق القبلة لتوهمه أن مسجد القبلتين هو المراد، و ذلك و هم لما أسلفناه، و هذا المسجد- كما قال المطرى- بعيد من مساجد الفتح من جهة المغرب على رابية على شفير وادى العقيق، يعنى العقيق الصغير.

قلت: و هو مرتفع عن شفير وادى العقيق كثيرا، و كأنه أراد بذلك بيان مناسبة ما ادّعاه من تسمية موضعه بالقاع، و قد جدد سقف هذا المسجد و أصلحه الشجاعى شاهين الجمالى شيخ الخدامين عام ثلاث و تسعين و ثمانمائة، و الله أعلم.

مسجد السقيا

و منها: مسجد السقيا، سقيا سعد الآتى ذكرها فى الآبار، فى شامى البئر المذكورة

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۴۸

قريبا منها جانحا إلى المغرب يسيرا فى طريق المار إلى الرقيقين من طريق العقيق، و هذا المسجد ذكره أبو عبد الله الأسدى من المتقدمين فى منسكه فى المساجد التى تزار بالمدينة.

و روى ابن شبة فى ترجمة المواضع التى صلّى فيها النبى صلى اللّه عليه و سلم و مساجده عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه، قال: عرض النبىّ صلى اللّه عليه و سلم المسلمين بالسقيا التى بالحرة متوجها إلى بدر و صلّى بها.

و قد قدمنا فى الفصل الرابع من الباب الثانى ما رواه الترمذى و قال حسن صحيح عن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه قال: خرجنا مع رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، حتى إذا كنا بحرّة السقيا التى كانت لسعد بن أبى وقاص فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: ائتونى بوضوء، فتوضأ ثم قام فاستقبل القبلة فقال: اللهم إن إبراهيم كان عبدك و خليلك و دعاك لأهل مكة بالبركة، و أنا عبدك و رسولك أدعوك لأهل المدينة أن تبارك لهم فى مدّهم و صاعهم مثل ما باركت لأهل مكة مع البركة بركتين.

و قدمنا أيضا أن ابن شبة رواه بنحوه إلا أنه قال: حتى إذا كنا بالحرة بالسقيا التى كانت لسعد بن أبى وقاص رضى الله تعالى عنه قال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: ائتونى بوضوء، فلما توضأ قام فاستقبل القبلة ثم كبر ثم قال، الحديث بنحوه.

و تقدم أيضا رواية الطبرانى له بسند جيد، و أن أحمد روى برجال الصحيح عن أبى قتادة أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم «صلّى بأرض سعد بأصل الحرّة عند بيوت السقيا، ثم قال: إن إبراهيم خليلك و عبدك و نبيك دعاك لأهل مكة، و أنا محمد عبدك و رسولك أدعوك لأهل المدينة مثلى ما دعاك به إبراهيم لمكة، أن تبارك لهم فى صاعهم و مدّهم و ثمارهم، اللهم حبّب إلينا

المدينة كما حببت إلينا مكة، و اجعل ما بها من وباء بخم، اللهم إنى حرّمت ما بين لابتيها كما حرمت على لسان إبراهيم الحرم».

و قال الواقدى فى غزوة بدر: لما نزل رسول الله صلى اللّه عليه و سلم عند بيوت السّقيا، فحدثنى ابن أبى ذئب عن المقبرى عن عبد الله بن أبى قتادة عن أبيه قال: إن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم صلّى عند بيوت السّقيا و دعا يومئذ لأهل المدينة: اللهم إن إبراهيم عبدك و خليلك و نبيك، الحديث.

و روى أيضا عن سعد بن أبى وقّاص قال: خرجنا إلى بدر مع رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، و معنا سبعون بعيرا، و كانوا يتعاقبون الثلاثة و الأربعة و الاثنان على بعير، و كنت أنا من أعظم أصحاب النبى صلى اللّه عليه و سلم غنّى و أرجلهم رجلة و أرماهم بسهم لم أركب خطوة ذاهبا و لا راجعا.

و قال صلى اللّه عليه و سلم حين فصل من يثرب للسقيا: اللهم إنهم حفاة فاحملهم، و عراة فاكسهم، و جياع فأشبعهم، و عالة فأغنهم من فضلك، قال: فما رجع أحد منهم يريد أن يركب إلا وجد ظهرا للرجل البعير و البعيران، و اكتسى من كان عاريا، و أصابوا طعاما من أزوادهم، و أصابوا فداء الأسرى فأغنى به كل عائل.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۴۹

و روى ابن زبالة عن عمر بن عبد الله الديا ناري و عمار بن حفص أن النبى صلى اللّه عليه و سلم عرض جيش بدر بالسقيا، و صلّى فى مسجدها، و دعا هنالك لأهل المدينة أن يبارك لهم فى صاعهم و مدّهم، و أن يأتيهم بالرزق من‌ها و هنا. قال: و اسم البئر السقيا، و اسم أرضها الفلجان.

قلت: و لم يكن هذا المسجد معروفا، و لم يذكره المطرى، بل تردد فى البئر بين البئر التى فى المحل المذكور و بين البئر المعروفة بزمزم، و مال إلى ترجيح أنها التى فى المحل المذكور، فاتفق أنى جئت إلى ذلك المحل و تطلبت المسجد، فرأيت محله رضما، فأرسلت إليه بعض المعلمين و أمرته أن يتتبع الأساس بالحفر من داخله فظهر محراب المسجد و تربيعه و بناؤه بالحجارة المطابقة بالجص، و قد بقى منه فى الأرض أزيد من نصف ذراع فيه بياض المسجد بالقصّة بحيث يعلم الناظر أنه من البناء العمرى، و خرج الناس أفواجا لرؤيته و التبرك به، ثم بنى و لله الحمد على أساسه الأول، و هو مربع، مساحته نحو سبعة أذرع فى مثلها.

مسجد ذباب (الراية)

و منها: مسجد ذباب، و يعرف اليوم بمسجد الراية، و لما لم يعرفه المطرى قال: و ليس بالمدينة مسجد يعرف غير ما ذكر إلّا مسجدًا أعلى ثنية الوداع عن يسار الداخل إلى المدينة من طريق الشام، و مسجدًا آخر على طريق السافلة، و لم يرد فيهما نقل يعتمد عليه.

قال الزين المراغى فى بيان المسجد الأول: و كأنه يريد به المسجد المعروف بمسجد الراية.

قلت: هو مراده؛ لوجوده فى زمنه، و لم يعدّه فى المساجد و أطلق على محل ثنية الوداع لقربه منها، و هو مبنى بالحجارة المطابقة على صفة المساجد العمرية، و كان قد تهدم فجدده الأمير جانبك النيروزى رحمه الله تعالى سنة خمس أو ست و أربعين و ثمانمائة، و قد اتضح لنا ما جاء فى هذا المسجد بحمد الله تعالى لأن الإمام أبا عبد الله الأسدى فى المتقدمين لما عدد فى كتابه الأماكن التى تزار فى المدينة الشريفة قال: مسجد الفتح على الجبل، و مسجد ذباب على الجبل، انتهى. و ذباب: اسم الجبل الذى عليه المسجد المذكور كما سنوضحه.

و قد روى ابن زبالة و ابن شبة عن عبد الرحمن الأعرج أن النبى صلى اللّه عليه و سلم صلّى على ذباب.

و روى الثانى عن ربيع بن عبد الرحمن بن أبى سعيد الخدرى قال: ضرب النبى صلى اللّه عليه و سلم قبّته على ذباب.

و عن الحارث بن عبد الرحمن قال: بعثت عائشة رضى الله تعالى عنها إلى مروان بن الحكم حين قتل ذبابا و صلبه على ذباب تقول: موقف صلى عليه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و اتخذته مصلبا.

قال أبو غسان: و ذباب رجل من أهل اليمن عدا على رجل من الأنصار، و كان عاملا

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۵۰

لمروان على بعض مساعى اليمن، و كان الأنصارى عدا على رجل فأخذ منه بقرة ليست عليه، فتبع ذباب الأنصارىّ حتى قدم المدينة، ثم جلس له فى المسجد حتى قتله، فقال له مروان:

ما حملك على قتله؟ قال: ظلمنى بقرة لى، و كنت امرأ خبيث النفس فقتلته، فقتله مروان و صلبه على ذباب.

و تقدم من رواية ابن شبة فى اتخاذ المقصورة فى المسجد ما يقتضى أن الرجل الذى ظلمه ساعى مروان اسمه دب، و أنه إنما همّ بقتل مروان، فأخذه مروان، فذكر له السبب المتقدم و أنه حبسه ثم أمر به فقتل.

و قال ابن شبة: قال أبو غسان: و أخبرنى بعض مشايخنا أن السلاطين كانوا يصلبون على ذباب، فقال هشام بن عروة لزياد بن عبيد الله الحارثى: يا عجبا، يصلبون على مضرب قبة رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، فكفّ عن ذلك زياد و كفت الولاة بعده عنه.

قلت: و قد جعل المطرى فى الكلام على الخندق مضرب قبّة النبى صلى اللّه عليه و سلم هو محل مسجد الفتح من سلع؛ لظنه أن الخندق لم يكن إلا فى غربى سلع، و كأنه لم يطلع على ما هنا. و لم أر لما ذكره أصلا فى كلام غيره، و قد غاير أبو عبد الله الأسدى بين مسجد الفتح و مسجد ذباب كما قدمناه، و سيأتى ما يؤخذ منه أن الخندق كان شامى المدينة بين حرّتيها الشرقية و الغربية.

و فى اتخاذ المسجد على هذا الجبل رد لما أوّل به الطبرانى الصلاة عليه بالدعاء فإنه روى بسند فيه عبد المهيمن بن عباس بن سهل عن سهل بن سعد أن النبى صلى اللّه عليه و سلم صلى على ذباب، قال الطبرانى عقبه: بلغنى أن ذبابا جبل بالحجاز و قوله «صلى» أى: بارك عليه.

قلت: صرح ابن الأثير بأنه جبل بالمدينة، و فى الاكتفاء فى غزوة تبوك ما لفظه: فلما خرج رسول الله صلى اللّه عليه و سلم ضرب عسكره على ثنية الوداع و ضرب عبد الله بن أبى معه على حدة عسكره أسفل منه نحو ذباب.

و قد قال الكمال الدميرى: إن فى كتب الغريب أن النبى صلى اللّه عليه و سلم صلب رجلا على جبل يقال له ذباب، و إن البكرى قال: هو جبل بجبّانة المدينة.

و تقدم فى منازل بنى الديل حول ثنية الوداع ذكر الجبّانة، و كذا فى ذكر البلاط.

و قال الواقدى فى كتاب الحرة: إنهم لما اصطفّوا لقتال جيش الحرّة على الخندق، و كان يزيد بن هرمز فى موضع ذباب إلى مربد النّعم معه الدهم من الموالى، و هو يحمل رايتهم، و هو أميرهم، و قد صف أصحابه كراديس بعضها خلف بعض إلى رأس الثنية أى: ثنية الوداع.

و هذا كله صريح فى أن ذبابا هو الجبل المذكور، و لعل السبب فى اشتهار مسجده بمسجد الراية ما ذكره الواقدى من أن يزيد بن هرمز كان فى موضعه و معه راية الموالى.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۵۱

و قد تقدم فى منازل يهود قول ابن زبالة: و كان لأهل الشوط الأطم الذى يقال له السرعى، و هو الأطم الذى دون ذباب، و سيأتى فى ترجمة الشوط أنه قريب من منازل بنى ساعدة، و قد رأيت لذباب ذكرا فى أماكن كثيرة جدّا، و كلها متفقة على وصفه بما يدل على أنه الجبل الذى عليه مسجد الراية، بحيث زال الشك عندى فى ذلك.

و يؤخذ مما سيأتى فى ترجمة الخندق أن الصخرة- التى خرجت- من بطن الخندق و هم يحفرونه، و ضربها النبى صلى اللّه عليه و سلم بالمعول الحديث كانت تحته، لكنه سمى فى تلك الرواية ذو باب بزيادة واو، و الله أعلم.

مسجد القبيح

و منها: المسجد اللاصق بجبل أحد على يمينك و أنت ذاهب إلى الشعب الذى فيه المهراس، و هو صغير قد تهدم بناؤه.

قال الزين المراغى: و يقال: إنه يسمّى مسجد القبيح.

قلت: و هو مشهور بذلك اليوم، و يزعمون أن قوله تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجالِسِ الآية [المجادلة: ۱۱] نزلت فيه، و لم أقف على أصل لذلك.

و قال المطرى: يقال: إن النبى صلى اللّه عليه و سلم صلّى فيه الظهر و العصر يوم أحد، بعد انقضاء القتال، و كأنه لم يقف فيه على شىء.

و قد روى ابن شبة بسند جيد عن رافع بن خديج أن النبى صلى اللّه عليه و سلم صلّى فى المسجد الصغير الذى بأحد فى شعب الحرار على يمينك لازق بالجبل.

مسجد فى ركن جبل عينين

و منها: مسجد فى ركن جبل عينين الشرقى على قطعة منه، و هذا الجبل كان عليه الرّماة يوم أحد، و هو فى قبلة مشهد سيدنا حمزة رضى الله تعالى عنه، و قد تهدم غالب هذا المسجد.

قال المطرى: يقال: إنه هو الموضع الذى طعن فيه حمزة رضى الله تعالى عنه.

قلت: و كذا هو مشهور اليوم، و قد ذكر المجد هذا المسجد و الذى بعده و قال: ينبغى اغتنام الصلاة فيهما؛ لأنهما لم يبنيا إلا علما للزائرين، و مشهدا للقاصدين، و قول من قال إن الأول طعن مكانه حمزة و الثانى صرع فيه فوقع لم يثبت فيه أثر، و إنما هو قول مستفيض.

ثم قال: و يذكر بعض الناس أن المسجد الأول- يعنى هذا- كسر فى مكانه ثنيّة رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، و كان ما كان من ابتلاء الله تعالى صفيه و خليله عليه الصلاة و السلام، كل ذلك مقالات يذكرها أهل المدينة لم يرد بها نقل.

قلت: و كلامه و كلام المطرى صريح فى أنهما لم يقفا على ما جاء فيه.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۵۲

و سيأتى فى قبر حمزة رضى الله تعالى عنه ما رواه ابن شبة من أنه لما قتل أقام فى موضعه تحت جبل الرّماة و هو الجبل المذكور، ثم أمر به النبى صلى اللّه عليه و سلم فحمل عن بطن الوادى، و هذا هو محل المسجد الثانى.

و أما هذا المسجد فقد روى ابن شبة فيه عن جابر أن النبى صلى اللّه عليه و سلم صلّى الظهر يوم أحد على عينين الظرب الذى بأحد عند القنطرة، و كأنه يعنى بالقنطرة قنطرة العين التى كانت قديما هناك. و أشار إليها المطرى بقوله عقب ذكر هذا المسجد: و قد تجدّدت هناك عين ماء، جدّدها الأمير بدر الدين ودى بن جماز صاحب المدينة، مفيضها بالقرب من هذا المسجد، انتهى.

و العين اليوم دائرة، و قد تقدم فى غزوة أحد أن النبى صلى اللّه عليه و سلم فى ذهابه إلى أحد بات بالشيخان و أدلج فى السحر فانتهى إلى موضع القنطرة، فحانت الصلاة فصلّى بأصحابه الصبح صفوفا عليهم السلاح؛ فيحتمل: أن المراد بذلك هذا المسجد، و يحتمل- و هو الأظهر-: أن يراد به المسجد الآتى ذكره عقبه؛ لأن فى رواية ابن شبة ذكر صلاة الظهر و أن الموضع من نفس الجبل عند القنطرة، و فى هذه الرواية صلاة الصبح و أن ذلك فى موضع القنطرة، و الله أعلم.

مسجد العسكر

و منها: مسجد فى شمالى المسجد المذكور قبله قرب عينين أيضا، على شفير الوادى، قد تهدم أكثره، و كان مبنيا بالحجارة المنقوشة

المطابقة على هيئة البناء العمرى، و فيه بقايا آثار الأساطين، و لم أقف فيه على شيء سوى ما قدمته من الاحتمال الثانى فى الرواية المتقدمة.

و ذكر المطرى أنه يقال: إنه مصرع حمزة رضى الله تعالى عنه، و إنه مشى بطعنته من الموضع الأول إلى هناك فصرع رضى الله تعالى عنه.

و قد أشرنا فيما سبق إلى أصل ما جاء فى أن الموضع الثانى مكان مقتله، و إنما أثبتّه فى المساجد- مع ما قدمته من أنى لم أقف فيه على شيء صريح- لأن ابن شبة قال ما لفظه:

قال أبو غسان: و قال لى غير واحد من أهل العلم من أهل البلد: إن كل مسجد من مساجد المدينة و نواحيها مبنىّ بالحجارة المنقوشة المطابقة فقد صلى فيه النبى صلى اللّه عليه و سلم، و ذلك أن عمر بن عبد العزيز حين بنى مسجد النبى صلى اللّه عليه و سلم سأل و الناس يومئذ متوافرون عن المساجد التى صلّى فيها رسول الله صلى اللّه عليه و سلم ثم بناها بالحجارة المنقوشة المطابقة، انتهى.

و قد ذكر هذا المسجد أبو عبد الله الأسدى من المتقدمين، و سماه مسجد العسكر، فقال

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۵۳

فى تعديد المساجد: و مسجد العسكر، و مسجد يمين هذا فى أصل الجبل، انتهى؛ فيتأيد ذلك الاحتمال الثانى المذكور فى الرواية المتقدمة لتسميته بمسجد العسكر، على أنه قد ورد من حديث أبى هريرة أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم وقف على حمزة و قد قتل و مثّل به فلم ير منظرا كان أوجع لقبله منه، فقال: رحمك الله أى عمّ، فلقد كنت وصولا للرحم، فعولا للخيرات، فو الله لئن أظفرنى الله بالقوم لأمثّلنّ بسبعين منهم، فما برح حتى نزل: وَ إِنْ عاقَبْتُمْ فَعاقِبُوا بِمِثْلِ ما عُوقِبْتُمْ بِهِ وَ لَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ [النحل: ۱۲۶] فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: بلى نصبر. و روى أيضا أن النبى صلى اللّه عليه و سلم وقف على حمزة و صلّى عليه حينئذ.

قلت: فهذا ما جاء فى أن الموضع المذكور مقتل حمزة كاف فى إثباته فى المساجد، و سيأتى فى بيان المشاهد الخارجة عن البقيع عند ذكر مشهد حمزة رضى الله تعالى عنه بيان أن الحجر المثبت على قبره اليوم أخطأ واضعه، و أنه إنما نقل من هذا المسجد عند تهدّمه، و فيه مكتوب بعد البسملة إِنَّما يَعْمُرُ مَساجِدَ اللَّهِ [التوبة: ۱۸] الآية هذا مصرع حمزة بن عبد المطلب و مصلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، عمره حسين بن أبى الهيجاء سنة ثمانين و خمسمائة، و كأنه جدده فلما تهدم و سقط ذلك المسن نقل إلى المشهد المذكور كما سنوضحه.

و أما المسجد المقابل لمشهد سيدنا حمزة فى شرقيه و عند بابه فمحدث، لم يذكره المطرى و لا غيره، و ليس له أصل فى المساجد المنسوبة للنبى صلى اللّه عليه و سلم.

مسجد أبى ذر الغفارى

و منها: مسجد صغير جدّا طوله ثمانية أذرع فى ثمانية أذرع على يمين طريق السالك إلى أحد من طريق الأسواق، فإذا جاوز البقيع المعروف ببقيع الأسواق قليلا كان على يمينه طريق إذا مشى فيها يسيرا وجد هذا المسجد عند النخيل المعروفة بالبحير، و هو ثانى المسجدين اللذين ذكرهما المطرى بقوله: و ليس بالمدينة مسجد يعرف غير ما ذكر إلا مسجدّا على ثنية الوداع و مسجدّا آخر صغيرا جدّا على طريق السابلة، و هى الطريق اليمنى الشرقية إلى مشهد حمزة رضى الله تعالى عنه، يقال: إنه مسجد أبى ذرّ الغفارى رضى الله عنه، و لم يرد فيهما نقل يعتمد عليه.

قلت: روى البيهقى فى شعب الإيمان عن مولى لعبد الرحمن بن عوف قال: قال عبد الرحمن: كنت نائما فى رحبة المسجد، فرأيت رسول الله صلى اللّه عليه و سلم خارجا من الباب الذى يلى المقبرة، قال: فلبثت شيئا ثم خرجت على أثره فوجدته قد دخل حائطا من الأسواق، فتوضأ ثم صلى ركعتين فسجد سجدة أطال فيها، فلما تشهد تبدأت له، فقلت: بأبى و أمى حين سجدت أشفقت أن يكون الله

قد توفّاك من طولها، فقال: إن جبريل عليه السلام بشّرنى أنه من صلّى علىّ صلى الله عليه، و من سلم علىّ سلم الله عليه. قال البيهقى: و قد رويناه من

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۵۴

وجه آخر عن محمد بن جبير عن عبد الرحمن، و من وجه آخر عن عبد الواحد بن محمد بن عبد الرحمن بن عوف عن عبد الرحمن لم يذكر فيه الركعتين، بل ذكر السجود فقط، فزاد عبد الواحد فى حديثه: فسجدت لله شكرا. و رواه ابن زبالة بالطريق الأولى بلفظها، إلا أنه قال: فقلت بأبى و أمى لقد سجدت سجدة أشفقت إلى آخره. و رواه ابن أبى الدنيا و أبو يعلى و البزار، إلا أن فى روايتهم: فجئته و قد خرج، فاتبعته فدخل حائطا من حيطان الأسواق، فصلى فأطال السجود، فقلت: قبض الله روح رسوله صلى اللّه عليه و سلم لا أراه أبدا، فحزنت و بكيت، فرفع رأسه، فدعانى فقال: ما الذى بك؟ أو ما الذى وراءك؟ فقلت: يا رسول الله أطلت السجود فقلت قبض الله رسوله لا أراه أبدا، فحزنت و بكيت، قال: سجدت هذه السجدة شكرا لربى فيما أبلانى فى أمتى أنه قال: من صلّى عليك منهم صلاة كتب له عشر حسنات، و هذا اللفظ للبزار.

قلت: و الأسواق قريبة من موضع هذا المسجد جدّا، و يحتمل أن محل السجدة المذكورة، بل هو الظاهر؛ فلذلك أثبتناه. و حديث عبد الرحمن هذا أخرجه الإمام أحمد بلفظ: خرج رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فتوجّه نحو صدقته فدخل فاستقبل القبلة، فخر ساجدا فأطال السجود حتى ظننت أن الله قبض نفسه فيها، فدنوت منه، فرفع رأسه و قال: من هذا؟

قلت: عبد الرحمن، قال: ما شأنك؟ قلت: يا رسول الله سجدت سجدة ظننت أن يكون الله قد قبض نفسك فيها، فقال: إن جبريل أتانى فبشرنى فقال: إن الله عز و جل يقول: من صلّى عليك صليت عليه، و من سلم عليك سلمت عليه، قال البيهقى فى الخلافيات عن الحاكم قال: هذا صحيح، و لا أعلم فى سجدة الشكر أصح من هذا الحديث، انتهى.

و قوله «نحو صدقته» ينبغى حمله على الرواية المتقدمة، و لا يمتنع أن يكون بعض حوائط الأسواق كان من صدقة النبى صلى اللّه عليه و سلم، مع أن بالقرب منه موضعا يعرف قديما و حديثا بالصدقة، أو أن القصة متعددة، و الله أعلم.

مسجد أبىّ بن كعب (بنى جديلة) (البقيع)

و منها: مسجد على يمين الخارج من درب البقيع على ما ذكره البرهان بن فرحون فإنه قال عقب ذكر المسجد المتقدم قبل هذا: إنه لم يرد فيه شىء يعتمد، ثم قال: و كذلك المسجد فى أول البقيع على يمين الخارج من درب الجمعة، انتهى.

قلت: يعنى الموضع الذى فى غربى مشهد عقيل و أمهات المؤمنين، و به اليوم أسطوان قائمة، و بلغنى أنه كان به عقدان سقطا، و بقاياه شاهدة بأنه كان مبنيا بالحجارة المنقوشة

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۵۵

و القصّة كالبناء العمرى، و قد اتخذ بعض الأشراف الوحاحدة رحبته التى فى شامى الأسطوان مقبرة.

و قد ذكر المرجانى أيضا مسجدّا بالبقيع، و ذكر من عند نفسه أنه موضع مصلّى النبى صلى اللّه عليه و سلم العيد بالبقيع، و لعله يعنى هذا المسجد، و قد قدمنا فى ذكر المصلى ما يرده.

و الذى ظهر لى: أن هذا المسجد هو مسجد أبى بن كعب رضى الله عنه، و يقال له:

مسجد بنى جديلة؛ لأنا قدمنا فى منازل بنى النجار أن بنى جديلة ابتنوا اطما يقال له مشعط كان فى غربى مسجدهم الذى يقال له مسجد أبى، و فى موضع الأطم بيت يقال له بيت أبى نبيه، و سيأتى فى ذكر قبور أزواج النبى صلى اللّه عليه و سلم و ابنته الزهراء رضى الله تعالى عنهن بالبقيع ما يقتضى أن فى أوله مما يلى هذه الجهة زقاقا يعرف بزقاق نبيه، و خوخة تعرف بخوخة آل نبيه. و فى كلام ابن شبة ما يقتضى مجاورة البقيع لبنى جديلة و اتصالهم به؛ فنرجّح عندى أنه مسجد أبىّ رضى الله تعالى عنه، و سيأتى عن

المطرى ذكر مسجد أبى فيما علمت جهته و لم تعلم عينه من المساجد.

و روى عمر بن شبة عن يحيى بن سعيد قال: كان النبى صلى اللّه عليه و سلم يختلف إلى مسجد أبى فيصلى فيه غير مرة و لا مرتين، و قال: لو لا أن يميل الناس، إليه لأكثرت الصلاة فيه.

و عن أبى بكر بن يحيى بن النضر الأنصارى عن أبيه أن النبى صلى اللّه عليه و سلم لم يصلّ فى مسجد مما حوته المدينة إلا مسجد أبىّ بن كعب، ثم ذكر مساجد ستأتى.

و روى ابن زبالة عن يوسف الأعرج و ربيعة بن عثمان أن النبى صلى اللّه عليه و سلم صلّى فى مسجد بنى جديلة، و هو مسجد أبىّ بن كعب.

و فى شامى مشهد عقيل أسفل الكومة مسجد صغير طريقه من بين الترب التى هناك أسفل محرابه موجود، و لم يتعرض لذكره فى المساجد و ليس هو على هيئات البناء العمرى، و اللّه أعلم.

مساجد المصلى

و منها: مساجد المصلّى الثلاثة التى ذكرناها فى الفصل الأول فراجعه.

مسجد ذى الحليفة

و منها: مسجد ذى الحليفة ميقات أهل المدينة، و المسجد الذى فى قبلته، و سيأتيان فى المساجد التى صلى فيها النبى صلى اللّه عليه و سلم بين الحرمين مع بيان محلهما من وادى العقيق الكبير.

مسجد مقمل

و منها مسجد مقمل، ذكره المجد هنا، و الصواب ذكره فى المساجد الخارجة عن المدينة؛ لأنه كما سيأتى على يومين منها، و اللّه سبحانه و تعالى أعلم.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۵۶

الفصل الرابع فى المساجد التى علمت جهتها، و لم تعلم عينها بالمدينة الشريفة

مسجد أبىّ بن كعب

منها: مسجد أبىّ بن كعب ببنى جديلة، و يقال: مسجد بنى جديلة من بنى النجار، على ما تقدم فى المسجد الذى بالبقيع عن المطرى من أن هذا المسجد لا تعرف عينه، قال:

و منازل بنى جديلة عند بئر ماء شامى سور المدينة.

مسجد بنى حرام

و منها: مسجد بنى حرام من بنى سلمة من الخزرج، قد تقدم فى مسجد القبلتين توهيم من جعله إياه، و ما ورد من صلاة النبى صلى اللّه عليه و سلم بكل منهما. و روى ابن زبالة عن جابر بن عبد اللّه أن النبى صلى اللّه عليه و سلم صلّى فى مسجد بنى حرام الذى

بالقاع، و أنه رأى فى قبلته نخامة، و كان لا يفارقه عرجون ابن طاب يتخصّر به، فحكّه ثم دعا بخلوق فجعله على رأس العرجون، ثم جعله على موضع النخامة، فكان أول مسجد خلّق. و منازل بنى حرام بالقاع فى غربى مساجد الفتح و وادى بطحان عند جبل بنى عبيد و العين التى أجراها معاوية رضى الله تعالى عنه.

مسجد الخربة

و منها: مسجد الخربة لبنى عبيد من بنى سلمة، و تقدم أن منازلهم كانت عند مسجدهم هذا إلى الجبل الذى يقال له جبل الدويخل جبل بنى عبيد، و ذلك قرب منازل بنى حرام فى المغرب، و القاصد إلى مسجد القبلتين من جهة مساجد الفتح يمر بمنازلهما، و قد تقدم فى مسجد القبلتين ما روى من صلاته صلى اللّه عليه و سلم بهذا المسجد. و روى ابن زبالة عن يحيى بن عبد الله بن أبى قتادة عن مشيخته أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم كان يأتى السلافة أم البراء بن معرور فى المسجد الذى يقال له مسجد الخربة دبر القرصة، و صلى فيه مرارا.

قلت: و سيأتى أن هناك نخل جابر بن عبد الله المذكورة قصته فى قضاء دينه هناك، و لم يتعرض المطرى و من تبعه لذكر هذا المسجد. و قد روى يحيى بن الحسن فى كتابه خبر ابن زبالة المذكور، و رأيته فى النسخة التى رواها طاهر بن يحيى عن أبيه يحيى لفظ: دبر القرصة، ثم قال عقبة ما لفظه: قال لنا طاهر بن يحيى: هذا فى بنى حارثة، و كانت القرصة ضيعة، و هى عند بيت سعد بن معاذ، انتهى. و هو مخالف لما تقدم عن ابن زبالة فى المنازل، و الله أعلم.

مسجد جهينة

و منها: مسجد جهينة و بلى، و روى ابن شبة عن معاذ بن عبد الله بن أبى مريم الجهنى

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۵۷

و غيره أن النبى صلى اللّه عليه و سلم صلّى فى مسجد جهينة، و عن يحيى بن النضر الأنصارى أن النبى صلى اللّه عليه و سلم لم يصل فى مسجد مما حوته المدينة إلا مسجد أبىّ، ثم قال: و مسجد جهينة، إلى آخر ما ذكره، و عن جابر بن أسامة الجهنى قال: لقيت رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فى أصحابه بالسوق فقلت: أين تريدون و رسول الله صلى اللّه عليه و سلم؟ قالوا: نخطّ لقومك مسجدّا، فرجعت فإذا قومى قيام و إذا رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قد خطّ لهم مسجدّا و غرز فى القبلة خشبة أقامها فيها، و عنه أيضا قال:

خطّ النبى صلى اللّه عليه و سلم مسجد جهينة لبلّى. و روى ابن زبالة عن هشام بن عروة عن أبيه أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم خطّ المسجد الذى لجهينة و لمن هاجر من بلّى، و لم يصل فيه. و عن خارجة بن الحارث بن رافع بن مكيث الجهنى عن أبيه عن جده قال: جاء النبى صلى اللّه عليه و سلم يعود رجلا من أصحابه من جهينة من بنى الربعة يقال له أبو مريم، فعاده بين منزل بنى قيس العطار الذى فيه الأراكة و بين منزلهم الآخر الذى يلى دار الأنصار، فصلى فى ذلك المنزل، قال: فقال نفر من جهينة لأبى مريم: لو لحقت رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فسألته أن يخطّ لنا مسجدّا، فقال: احملونى، فحملوه فلحق النبى صلى اللّه عليه و سلم فقال: مالك يا أبا مريم؟ فقال: يا رسول الله لو خططت لقومى مسجدّا، قال: فجاء النبى صلى اللّه عليه و سلم مسجد جهينة، و فيه خيام لبلّى، فأخذ ضلعا أو محجنا فخطّ لهم، قال:

فالمنزل لبلّى، و الخطة لجهينة.

قال الجمال المطرى: و هذه الناحية اليوم معروفة غربى حصن صاحب المدينة، و السور القديم بينها و بين جبل سلع، و عنده آثار باب

من أبواب المدینة خراب، و یعرف علی تاریخه و هو سنة أربعین و سبعمائة- بدرب جهینة، و الناحیة من داخل السور بینه و بین حصن صاحب المدینة، انتهی.

قلت: قوله «من داخل السور» إن أراد به السور الموجود الیوم فلیس بصحیح؛ لأن ما کان داخل هذا السور فیما بینه و بین حصن صاحب المدینة فهو من السوق کما تقدم بیانه و منازل هؤلاء کانت فی غربی السوق قبلی ثنیة عثمث المنسوبة إلی سلیع- و هو الجبل الذی علیه حصن أمیر المدینة و یمتد فی جهة المغرب إلی بنی سلمة- و إن أراد أن الناحیة المذکورة من داخل السور القدیم فصحیح، غیر أن الداخل فیه بعضها لا کلها.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفی؛ ج۳؛ ص۵۷

مسجد بنی غفار

و منها: المسجد الذی عند بیوت المطرفی، و هو المتقدم ذکره فی منازل بنی غفار.

روی ابن زبالة عن أنس بن عیاض عن غیر واحد من أهل العلم أن رسول الله صلی اللّه علیه و سلم صلّی فی المسجد الذی عند بیوت المطرفی، عند خیام بنی غفار، و أن تلک المنازل کانت منازل آل أبی رهم کلثوم بن الحصین الغفاری صاحب رسول الله صلی اللّه علیه و سلم، قال المطری: و لیست الناحیة معروفة الیوم.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفی، ج۳، ص: ۵۸

قلت: عرف مما تقدم فی منازل بنی غفار و فی دار السوق أنها فی غربی سوق المدینة بالقرب من منزل جهینة الذی یلی ثنیة عثعث من جهة القبلة.

مسجد بنی زریق

و منها: مسجد بنی زریق- بتقدیم الزای کزبیر- من الخزرج.

روی ابن زبالة عن عمر بن حنظلة أن مسجد بنی زریق أول مسجد قرئ فیه القرآن، و أن رافع بن مالک الزّرقی لما لقی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم بالعقبة أعطاه رسول الله صلی اللّه علیه و سلم ما أنزل علیه فی العشر سنین التی خلت، قال: فقدم به رافع المدینة، ثم جمع قومه فقرأه علیهم فی موضعه، و هو یومئذ کوم، قال: و عجب النبی صلی اللّه علیه و سلم من اعتدال قبلته.

و عن مروان بن عثمان بن المعلی قال: أول مسجد قرئ فیه القرآن مسجد بنی زریق.

و عن یحیی بن عبد الله بن رفاعة قال: توضأ رسول الله صلی اللّه علیه و سلم فیه، و عجب من اعتدال قبلته، و لم یصل فیه.

و روی ابن شبة عن معاذ بن رفاعة الزّرقی أن رسول الله صلی اللّه علیه و سلم دخل فی مسجد بنی زریق، و توضأ فیه، و عجب من قبلته، و لم یصل فیه، و کان أول مسجد قرئ فیه القرآن.

قلت: تقدم فی المنازل أن محل قریة بنی زریق فی قبلة المصلی و ما والاها فی المشرق داخل السور و خارجه، و تقدم فی ذکر الدور المحیطة بالبلاط الممتدّ من باب المدینة المعروف بدرب سویقة إلی باب السلام ما یبین أن هذا المسجد کان فی قبلة الدور التی عن یمین السالک من درب سویقة المذکور قریبا منه و هو المذکور فی حدیث السباق بین الخیل التی لم تضمر، قال عیاض: و بینه و بین ثنیة الوداع میل أو نحوه.

قلت: و بین ثنیّة الوداع و بین الموضع الذی ذکرناه نحو المیل، و هو قریب من جهة محاذاة ثنیة الوداع فی جهة القبلة.

و قد حدث فی جهة قبلة المصلّی مما یلی المغرب مسجدان، أحدثهما شمس الدین محمد بن أحمد السلاوی بعد الخمسین و

ثمانمائة: الأول منهما على شفير وادى بطحن على عدوته الشرقية، و الثانى بعده فى جهة القبلة على رابية مرتفعة من الوادى أيضا فى غربيه فى مقابلة المطرية، و كان موضعه فى تلك الرابية فكان يطبخ فيه الآجرّ، و إنما نبهت على ذلك لئلا يتقادم العهد بهما فيظن أن أحدهما مسجد بنى زريق؛ لكون ذلك بالناحية المذكورة، و الله سبحانه و تعالى أعلم.

مسجدان لبنى ساعدة

و منها: مسجدان لبنى ساعدة من الخزرج، و سقيفتهم.

روى ابن شبة عن المطلب بن عبد الله أن النبى صلى اللّه عليه و سلم صلّى فى مسجد بنى ساعدة،

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۵۹

و جلس فى سقيفتهم القصوى. و عن العباس بن سهل أن النبى صلى اللّه عليه و سلم صلّى فى مسجد بنى ساعدة فى جوف المدينة. و عن سعد بن إسحاق بن كعب أن النبى صلى اللّه عليه و سلم صلّى فى مسجد بنى ساعدة الخارج من بيوت المدينة. و عن سهل بن سعد أن النبى صلى اللّه عليه و سلم جلس فى سقيفة بنى ساعدة القصوى. و عن عبد المنعم بن عباس عن أبيه عن جده أن النبى صلى اللّه عليه و سلم جلس فى السّقيفة التى فى بنى ساعدة، و سقاه سهل بن سعد فى قدح.

و روى ابن زبالة حديث سهل بن سعد المتقدم، ثم روى عن عبد المهيمن بن عباس بن سهل بن سعد عن أبيه عن جده قال: جلس رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فى سقيفته التى عند المسجد، ثم استسقانى فخضت له وطبة، فشرب ثم قال: زدنى، فخضت له أخرى فشرب، ثم قال:

كانت الأولى أطيب من الآخرة، فقلت: هما يا رسول الله من شىء واحد.

قوله: «فخضت له» كذا هو فى نسخة ابن زبالة. و رواه المطرى كذلك، و كذا كان فى خط الزين المراغى، ثم رأيته مصلحا «فمخضت له» و كأن الذى ألحق الميم أخذ ذلك من كون الوطب سقاء اللبن؛ فالمناسب له المخض، و لا مانع من إطلاق الخوض على المخض.

و قد تلخص من ذلك أن النبى صلى اللّه عليه و سلم صلّى فى مسجدى بنى ساعدة، و جلس فى سقيفتهم، و الجلوس فى سقيفتهم مذكور فى الصحيح، و هى السقيفة التى وقعت بيعة أبى بكر رضى الله تعالى عنه فيها، و الظاهر أنها كانت عند دار سعد بن عبادة، و يدل على ذلك ما فى الصحيح من حديث الجوينية- و هى العائذة- من حديث سهل بن سعد حيث ذكر دخول النبى صلى اللّه عليه و سلم عليها، و خروجه من عندها، ثم قال: فأقبل النبى صلى اللّه عليه و سلم يومئذ حتى جلس فى سقيفة بنى ساعدة هو و أصحابه، ثم قال: اسقنا يا سهل، فخرجت لهم بهذا القدح فسقيتهم فيه، الحديث. فطلبه صلى اللّه عليه و سلم من سهل بن سعد أن يسقيه و قد جلس فى سقيفتهم دالّ على قرب منزله منها، و يدل لذلك أيضا اجتماع الأنصار بها عند سعد رضى الله تعالى عنه يوم السقيفة، و كان سعد مريضا، و قد أسلفنا فى منازل بنى ساعدة أنهم افترقوا فى أربعة منازل؛ فمنزلهم الأول فى شرقى سوف المدينة و فيه بئر بضاعة هو المراد بحديث الصلاة فى مسجدهم الذى فى جوف المدينة.

و أما مسجدهم الخارج عن بيوت المدينة فيظهر أنه فى منزلهم الرابع، و أنه فى شامى ذباب الجبل الذى عليه مسجد الراية؛ لما سيأتى فى ترجمة الشوط من أن فى رواية لابن سعد أن الجوينية أنزلت بالشوط من وراء ذباب فى أطم. و فى رواية أخرى: «فنزلت فى أجم بنى ساعدة».

سقيفة بنى ساعدة

و أما سقيفة بنى ساعدة فيظهر أنها فى منزلهم الثالث، و هو منزل بنى أبى خزيمة بن

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۶۰

ثعلبة بن طريف؛ لأنهم رهط سعد، و لأن جراره التى كان يسقى فيها الماء بعد وفاة أمه كانت لها، و هو قريب من منزلهم الرابع، كما يؤخذ مما قدمناه فى المنازل، و ذلك فى شامى سوق المدينة قرب ذباب.

و قد ترجّح عندى الآن خطأ ما قدمته هناك من احتمال أن تكون جرار سعد عند الموضع المعروف اليوم بسقيفة بنى ساعدة قرب مقعد الأشراف الوحاحدة من سويقة. و قد قدمنا قول المطرى إن قرية بنى ساعدة عند بئر بضاعة، و البئر وسط بيوتهم، قال: و شمالى البئر اليوم إلى جهة المغرب بقية أطم من آطام المدينة نقل أنه فى دار أبى دجانة الصغرى التى عند بئر بضاعة، و أبو دجانة من بنى ساعدة، ذكر ذلك فى بيان مسجد بنى ساعدة و سقيفتهم مقتصرا على مسجد واحد، و قال: إنه مسجد بنى ساعدة رهط سعد بن عبادة، و ليس ما ذكره منزل رهط سعد؛ لما قدمناه.

و أغرب رزين العبدرى فزعم أن سقيفة بنى ساعدة معروفة بقباء، و هو وهم

و روى ابن زبالة عن هند ابنة زياد زوجة سهل بن سعد الساعدى قالت: لما دخلت على سهل رأيت المسجد فى وسط البيت فقلت: ألا إلى العريش أو إلى الجدار، فقال: إن النبى صلى اللّه عليه و سلم جلس هاهنا، و هو البيت الذى صار لابن حمران.

مسجد بنى خدارة

و منها: مسجد بنى خدارة إخوة بنى خدرة من الخزرج.

روى ابن شبة عن شيخ من الأنصار أن النبى صلى اللّه عليه و سلم صلّى فى مسجد بنى خدارة، و حلق رأسه فيه. و عن هشام بن عروة أنه صلى اللّه عليه و سلم صلّى به. و عن عمرو بن شرحبيل أن النبى صلى اللّه عليه و سلم وضع يده على الحجر الذى فى أجم سعد بن عبادة عند جرار سعد، و صلّى فى مسجد بنى خدارة.

قلت: قد تقدم ذكر جرار سعد فى منزل بنى ساعدة الثالث، و بيان أنها كانت حدّ سوق المدينة من جهة الشام قرب ثنية الوداع، و أن منازل بنى خدارة كانت بجرار سعد

و قال المطرى: هذه الدار قبلى دار بنى ساعدة و بئر بضاعة مما يلى سوق المدينة.

و إذا تأملت ما قدمناه فى منازل بنى ساعدة علمت أن هذه هى دارهم الثالثة التى بها رهط سعد، و عندها السقيفة، و ليس بها لبنى ساعدة مسجد، و ينبغى أن لا يغافل عما قدمناه من حدوث مسجد فى منزلة الحاج الشامى قبلىّ المنهل الذى عند مشهد النفس الزكية، أنشأه قاضى الحرمين العلامة محيى الدين الحنبلى هناك؛ فلا يتوّهم أنه أحد هذه المساجد، و اللّه أعلم.

مسجد راتج

و منها: مسجد راتج؛ لم يتعرض المطرى و من تبعه لذكره.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۶۱

و قد روى ابن شبة عن خالد بن رياح أن النبى صلى اللّه عليه و سلم صلّى فى مسجد راتج، و شرب من جاسوم، و هى بئر هناك.

و روى ابن زبالة صلاته صلى اللّه عليه و سلم فى مسجد راتج عن خالد بن رباح عن رجل من بنى حارثة. و سيأتى أن جاسوم بئر أبى الهيثم بن التيهان، و أن النبى صلى اللّه عليه و سلم صلّى فى حائطه. و راتج تقدم فى المنازل أنه أطم سميت به الناحية، و أن بنى الشطية كانوا إحدى قبائل راتج الثلاث، و أن ممن كان به بنى زعوراء إخوة بنى عبد الأشهل و منهم أبو الهيثم بن التّيهان؛ و لهذا نقل

الأقشهری عن المحب الطبری أنه ذکر المساجد التی کانوا یصلون فیها بأذان بلال فقال: و مسجد بنی راتج من بنی عبد الأشهل.

قلت: و صواب العبارة «مسجد راتج» و قد سبق ذکر راتج أیضا فی منازل مزینة من المهاجرین حیث قال فیها: و نزلت بنو ذکوان من بنی سلیم مع أهل راتج من الیهود ما بین دار قدامة إلی دار حسن بن زید بالجبانة. و سیأتی ذکر الجبانة فی ترجمة ذباب. و سیأتی لراتج ذکر فی ترجمة الخندق، و منه یؤخذ أنه کان فی شرقی ذباب الذی علیه مسجد الرایة جانحا إلی جهة الشام، و بعده فی المشرق منزل بنی عبد الأشهل.

و قال المطری: إن فی غربی وادی بطحان من جهة مساجد الفتح جبلین صغیرین:

أحدهما یقال له راتج، و یقال للذی إلی جنبه جبل أبی عبید.

قلت: و إن صحّ ما ذکره فلیس هو المراد هنا؛ لأن تلک الجهة لیست فی منازل بنی عبد الأشهل و إخوتهم المذکورین. و الذی صرح به ابن زبالة و غیره أنه اسم أطم کما قدمناه، فهو المعتمد و الله أعلم.

مسجد واقم

و منها: مسجد بنی عبد الأشهل من الأوس، و یقال له: مسجد واقم.

روی أبو داود و النسائی عن کعب بن عجرة أن النبی صلی اللّه علیه و سلم أتی مسجد بنی عبد الأشهل فصلّی فیه المغرب، فلما قضوا صلاتهم رآهم یسجدون بعدها، فقال: هذه صلاة البیوت، و إسناده جید، إلا أن فیه إسحاق بن کعب بن عجرة مجهول الحال.

و روی ابن شبهة عن محمود بن لبید قال: صلّی النبی صلی اللّه علیه و سلم صلاة المغرب فی مسجد بنی عبد الأشهل، فلما فرغ من صلاته قال: صلّوا هاتین الرکعتین فی بیوتکم، و محمود بن لبید من صغار الصحابة، و جلّ روایته عن الصحابة، و فی إسناده عنعنة ابن إسحاق، و رواه أحمد برجال ثقات، و لفظه: أتانا رسول الله صلی اللّه علیه و سلم فی مسجدنا فصلّی بنا المغرب، فلما سلّم منها قال: ارکعوا هاتین الرکعتین فی بیوتکم، للسبحة بعد المغرب، و رواه ابن ماجه عن محمود بن لبید عن رافع بن خدیج قال: أتانا رسول الله صلی اللّه علیه و سلم فی بنی عبد الأشهل، فصلّی بنا المغرب فی المسجد، الحدیث، و فی إسناده متروک.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفی، ج۳، ص: ۶۲

و روی ابن شبة و ابن ماجه عن عبد الله بن عبد الرحمن قال: جاءنا النبی صلی اللّه علیه و سلم فصلّی بنا فی بنی عبد الأشهل، فرأیته واضعا یدیه علی ثوبه إذا سجد و عبد الله بن عبد الرحمن لیست له صحبة، قال الذهبی: و صوابه عن أبیه عن جده.

و قد روی ابن ماجه عقبه عن عبد الله بن عبد الرحمن بن ثابت بن الصامت عن أبیه عن جده أن رسول الله صلی اللّه علیه و سلم صلّی فی بنی عبد الأشهل، و علیه کساء ملتف به یضع یدیه علیه یقیه برد الحصی.

و رواه ابن شبة بنحوه، و فی إسناد کل منهما ضعیف.

و روی ابن شبة عن إبراهیم بن إسماعیل بن أبی حبیبة- و هو ضعیف- عن أبیه معضلا قال: صلّی النبی صلی اللّه علیه و سلم و هو فی مسجد واقم فی بنی عبد الأشهل و علیه برنکان لم یفض بیدیه من البرنکان إلی الأرض.

و عن أمر عامر أنها رأت النبی صلی اللّه علیه و سلم و هو فی مسجد بنی عبد الأشهل أتی بعرق فتعرّقه، ثم صلی و لم یمسّ ماء.

و رواه ابن زبالة إلا أنه قال: إنها قالت: أتیت رسول الله صلی اللّه علیه و سلم بعرق فتعرقه و هو فی مسجد بنی عبد الأشهل، ثم قام فصلی و لم یتوضأ.

و روی یحیی عن بکر بن عبد الوهاب عن محمد بن عمر قال: قالوا: کان بالمدینة تسعة مساجد یسمعون فیها مؤذن النبی صلی اللّه علیه و سلم؛ فیصلون فی مساجدهم، و لا یأتون مسجد النبی صلی اللّه علیه و سلم، إلا یوم الجمعة فإنهم کانوا یجمعون فیه، و ربما خرج رسول الله صلی اللّه علیه و سلم إذا صلّی الظهر إلی مسجد بنی عبد الأشهل فیصلی العصر و المغرب فی مسجد بنی عبد الأشهل،

و لم تكن دار كان رسول الله صلى اللّه عليه و سلم أكثر لها غشيانا من دار بنى عبد الأشهل قبل وفاة سعد بن معاذ و بعد وفاته.

قلت: و الأخبار فى الصلاة فى هذا المسجد كثيرة، و هو غير معروف اليوم، و تقدم أن المطرى قال: إن دار بنى عبد الأشهل قبلى دار بنى ظفر مع طرف الحرة الشرقية المعروفة بحرّة واقم، و كأنه أخذه من قول يحيى فى مسجد بنى ظفر: إنه دون مسجد بنى الأشهل، و لا دلالة فى ذلك على ما قاله، و الصواب ما قدمناه فى منازلهم من أنها كانت فى شامى بنى ظفر بالحرّة المذكورة و ما والاها بين بنى ظفر و بنى حارثة، و سيأتى فى ترجمة الخندق ما يصرح بذلك. و يؤيده ما سيأتى فى مسجد القرصة من أنها ضيعة لسعد بن معاذ، و القرصة معروفة اليوم بالجهة التى ذكرناها. و بنو عبد الأشهل هم رهط سعد بن معاذ و أسيد بن حضير، و قد رأيت قرب القرصة آثار منازل كثيرة الظاهر أنها منازلهم، و يؤيده أن فيما نقله الواقدى عن كتاب مسرف بن عقبة إلى يزيد بعد مقتلة الحرّة «إنى فرقت أصحابى على أفواه

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۶۳

خنادقهم؛ فوليت الحصين بن نمر ناحية ذباب و ما والاها، و وجهت حبيش بن دلجة إلى ناحية بقيع الغرقد، و كنت و من معى من قواد أمير المؤمنين فى وجه بنى حارثة، فأدخلنا عليهم الخيل حين ارتفع النهار من ناحية بنى عبد الأشهل، فما صليت الظهر إلا- فى مسجدهم، و إنا أوقعنا بهم السيوف فقتلنا من أشرف لنا منهم، و تبعنا مدبرهم، و أجهزنا على جريحهم، و انتهبناها ثلاثا» انتهى.

و قد تقدم فى الفصل الخامس عشر من الباب الثانى أن بعض بنى حارثة فتح لأهل الشام طريقا من قبلهم، و أنهم أتوا من قبل بنى حارثة. و نقل الواقدىّ أن أول ما انتهبت و الحرب بعد لم تنقطع دار بنى عبد الأشهل، أى لأنها التى كانت تليهم بعد الدخول من بنى حارثة، و الله أعلم.

مسجد القرصة

و منها: مسجد القرصة، روى رزين عن يحيى بن قتادة عن مشيخة قومه أن النبى صلى اللّه عليه و سلم كان يأتى دور الأنصار فيصلى فى مساجدهم، فصلى فى مسجد القرصة، و القرصة: ضيعة لسعد بن معاذ، قال الزين المراغى: فلعلها القرصة المعروفة اليوم بطرف الحرة الشرقية من جهة الشمال؛ لأنها قريبة من منازل بنى عبد الأشهل رهط سعد، غير أن المسجد لا يعرف فيها اليوم.

قلت: رأيت بها قرب البئر على رابية أثر مسجد، و الله أعلم.

مسجد بنى حارثة

و منها: مسجد بنى حارثة من الأوس روى ابن شبة عن الحارث بن سعد بن عبيد الحارثى أن النبى صلى اللّه عليه و سلم صلّى فى مسجد بنى حارثة.

و روى ابن زبالة عن إبراهيم بن جعفر عن أبيه أن النبى صلى اللّه عليه و سلم صلّى فى مسجد بنى حارثة، و قضى فيه فى شأن عبد الرحمن بن سهل، يعنى المقتول بخيبر، أخى عبد الله بن سهل بنى عم حويصة و محيصة.

و تقدم فى المنازل أن بنى حارثة تحوّلوا قبل الإسلام من دار بنى عبد الأشهل إلى دارهم فى سند الحرّة التى بها الشيخان شامىّ بنى عبد الأشهل، خلاف ما ذكره المطرى من أن منازلهم بيثرب.

مسجد الشيخين (البدائع)

و منها: مسجد الشيخين، و يقال له: «مسجد البدائع».

روى ابن شبة عن المطلب بن عبد الله أن النبى صلى اللّه عليه و سلم صلّى فى المسجد الذى عند الشيخين، و بات فيه، و صلّى فيه الصبح يوم أحد، ثم غدا منه إلى أحد.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۶۴

و عن ابن عباس عن سعد أن النبى صلى اللّه عليه و سلم صلّى فى المسجد الذى عند البدائع عند الشيخين، و بات فيه حتى أصبح، و الشيخان: أطمان.

و عن أم سلمة رضى الله تعالى عنها قالت: أتيت رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فى مسجد البدائع بشواء، فأكله، ثم بات حتى غدا إلى أحد.

و روى ابن زبالة عن جعفر بن محمد عن أبيه أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم صلّى فى المسجد الذى عند الشيخين، و أنه عدل من ثمّ يوم أحد إلى أحد.

و رواه يحيى من طريق ابن زبالة، قال ابنه طاهر بن يحيى عقبه: و يعرف اليوم بمسجد العدوة.

و روى يحيى أيضا عن محمد بن طلحة قال: المسجد الذى صلى فيه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم يوم الجمعة حين راح أى إلى أحد من هاهنا هو المسجد الذى على يمينك إذا أردت قناة، أى وادى الشطاة، صلى فيه النبى صلى اللّه عليه و سلم العصر و العشاء و الصبح، ثم غدا إلى أحد يوم السبت.

و سيأتى فى الشيخين قول المطرى: إنه موضع بين المدينة و جبل أحد على الطريق الشرقية مع الحرّة إلى جبل أحد. و تقدم قول ابن زبالة: و كان لبعض من هناك من اليهود الأطمان اللذان يقال لهما الشيخان بمفضاهما المسجد الذى صلى فيه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم حين سار إلى أحد.

مسجد بنى دينار

و منها: مسجد بنى دينار بن النجار من الخزرج روى ابن شبة عن يحيى بن النضر الأنصارى أن النبى صلى اللّه عليه و سلم صلّى فى مسجد بنى دينار، و عن عبد الله بن عقبة بن عبد الملك أن النبى صلى اللّه عليه و سلم كان كثيرا ما يصلّى فى مسجد بنى دينار عند الغسالين.

و روى ابن زبالة عن أيوب بن صالح الديا نارى أن أبا بكر الصديق رضى الله تعالى عنه تزوّج امرأة منهم فاشتكى، فكان النبى صلى اللّه عليه و سلم يعوده، فكلّموه أن يصلى لهم فى مكان يصلون فيه، فصلى فى المسجد الذى يا بنى دينار عند الغسالين.

و تقدم فى المنازل عن المطرى أن دارهم بين دار بنى جديلة التى عند بيرحاء و بين دار بنى معاوية أهل مسجد الإجابة، و أن ابن زبالة صرح بخلافه، حيث قال: نزلوا دارهم التى خلف بطحان الذى فى شقه الغربى مما يلى الحرة.

قلت: و يؤيده ما سيأتى فى الخندق، أنهم خندقوا من مسجد القبلتين إلى دار ابن أبى الجنوب بالحرة، و ذلك لأن منازلهم فى تلك الجهة، و لأن ابن زبالة قال: إن بنى سواد من بنى سلمة نزلوا عن مسجد القبلتين إلى أرض ابن عبيد الديا نارى، و سيأتى أن نقب بنى دينار هو طريق العقيق بالحرة الغربية، و به السقيا كما قال الواقدى، فإنما كانوا بالحرة الغربية، و قد سمى الأسدى مسجدهم بمسجد الغسالين؛ لما تقدم من أنه كان عند الغسالين.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۶۵

و فى غربى وادى بطحان بالحرة موضع يعرف اليوم بالمغسلة، قال المجد: كان يغسل فيها، قال: و هى اليوم حديقة كثيرة النخيل من أقرب الحدائق إلى المدينة، انتهى. فلعل ذلك فى موضع منازلهم.

و قد رأيت هناك حجرا عليه كتابة كوفية فيها ما لفظه: مسجد رسول الله صلى اللّه عليه و سلم. و عنده آثار يظهر أنها من آثار

المسجد، و قد بنى صاحب المغسلة هناك مسجدًا فى تلك الآثار، و جعل الحجر فيه.

مسجد بنى عدى، و مسجد دار النابغة

و منها: مسجد بنى عدى بن النجار، و مسجد دار النابغة فى بنى عدى أيضا روى ابن شبة عن يحيى بن عمارة المازنى أن النبى صلى اللّه عليه و سلم صلّى فى دار النابغة، و اغتسل فى مسجد بنى عدى.

و عن يحيى بن النضر أن النبى صلى اللّه عليه و سلم صلّى فى مسجد دار النابغة و مسجد بنى عدى.

و عن هشام بن عروة أن النبى صلى اللّه عليه و سلم صلّى فى مسجد بنى عدى و فى بيت صرمة فى بنى عدى.

و رواه ابن زبالة عند بلفظ: أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم صلّى فى مسجد دار النابغة و فى مسجد بنى عدى.

و تقدم عن المطرى أن منازل بنى عدى غربى المسجد النبوى، و لم أر لغيره ما يوافقه و لا ما يخالفه، إلا أن النضر والد أنس خادم رسول الله صلى اللّه عليه و سلم كان منهم.

و سيأتى فى بئره ما يبين أن داره كانت شامى المسجد النبوى عند بنى جديلة.

و دار النابغة: هى المرادة بما رواه ابن شبة عن أبى زيد النجارى قال: قبر عبد الله بن عبد المطلب يعنى والد رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فى- دار النابغة قال عبد العزيز: و وصفه لى محمد بن عبد الله بن كريم فقال: تحت عتبة البيت الثانى على يسار من دخل دار النابغة.

و قال ابن عبد البر: توفى عبد الله والد رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بالمدينة، و قبره بها فى دار من دور عدى بن النجار، قال ابن الجوزى: هى دار النابغة.

مسجد بنى مازن

و منها: مسجد بنى مازن بن النجار- روى ابن زبالة عن يعقوب بن محمد أن النبى صلى اللّه عليه و سلم خطّ مسجد بنى مازن و لم يصل فيه.

و فى رواية عنه: وضع مسجد بنى مازن بيده، و صلّى فى بيت أم بردة فى بنى مازن.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۶۶

قلت: أم بردة هذه هى مرضعة إبراهيم ابن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، و توفى عندها، و حضر رسول الله صلى اللّه عليه و سلم وفاته فى بيتها، و ظاهر ما سيأتى فى بقيع الزبير من قول ابن شبة فى بعض دوره على يسارك إذا أردت بنى مازن، و كذا ما قدمناه عنه فى منازل مزينة و من حل معها أن منازل بنى مازن قرب منازل بنى زريق مما يلى القبلة و المشرق؛ لأنه قال بعد ذكر منازل بنى زريق ما لفظه: إلى أن يلقى بنى مازن بن عدى بن النجار، لكن قوله ابن عدى خطأ فى النسخة لأن مازنا هو ابن النجار نفسه، و عدى أخوه.

و تقدم عن المطرى أن منازل بنى مازن قبلى بئر البصة فى الناحية المسماة اليوم بأبى مازن، قال: و كان إبراهيم ابن النبى صلى اللّه عليه و سلم مسترضعا فيها عند امرأة أبى سيف العين.

مسجد بنى عمرو

و منها: مسجد بنى عمرو بن مبذول بن مالك بن النجار روى ابن زبالة و ابن شبة عن هشام بن عروة أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم صلّى فى مسجد بنى عمرو بن مبذول.

و روى ابن شبة عن يحيى بن النضر نحوه، و لم يذكر المطرى و من تبعه هذا المسجد، و لم يعد بنى مبذول فى بطون بنى النجار.
و تقدم فى المنازل أن منزلهم كان عند بقيع الزبير؛ فتؤخذ جهته من المسجد بعده.

مسجد بقيع الزبير

و منها: مسجد بقيع الزبير روى ابن زبالة عن عطاء بن يسار أن النبى صلى اللّه عليه و سلم صلّى الضحى فى بقيع الزبير ركعتين، فقال له أصحابه: إن هذه الصلاة ما كنت تصليها، قال: إنها صلاة رغب و رهب فلا تدعوها.
و سيأتى فى بقيع الزبير أنه فى شرقى بنى زريق، مجاور لدور بنى غنم إلى جانب البقال.

مسجد صدقة الزبير

و منها: مسجد صدقة الزبير ببنى محمم- روى ابن زبالة عن هشام بن عروة أن النبى صلى اللّه عليه و سلم صلّى فى المسجد الذى وضعه الزبير فى بنى محمم.
و رواه ابن شبة عنه بلفظ: فى صدقة الزبير فى بنى محمم.
قلت: و ذلك بالجزع المعروف بالزبيريات، غربى مشربة أم إبراهيم، و قبلتها بقرب خنافة و الأعواف، و هما من أموال بنى محمم.
و قال الشافعى رحمه الله: و صدقة النبى صلى اللّه عليه و سلم قائمة عندنا، و صدقة الزبير قريب منها.
وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۶۷
و نقل ابن شبة عن أبى غسان أن النبى صلى اللّه عليه و سلم أقطع الزبير ماله الذى يقال له بنو محمم من أموال بنى النضير، فابتاع إليه الزبير أشياء من أموال بنى محمم، فتصدق بها على ولده.
و فى سنن أبى داود عن أسماء بنت أبى بكر أن النبى صلى اللّه عليه و سلم أقطع الزبير نخلا.
و عن ابن عمر أن النبى صلى اللّه عليه و سلم أقطع الزبير حضر فرسه، فأجرى فرسه حتى قام، ثم رمى سوطه، فقال النبى صلى اللّه عليه و سلم: أعطوه حيث بلغ السوط.
و فى الصحيح قصة الرجل الذى نازع الزبير فى السقى بشراج الحرة، و سنبين أنها حرة بنى قريظة.
و روى الطبرانى أن ذلك الرجل من بنى أمية بن زيد، و منازلهم و أموالهم عند هذه الحرة.
و فى حديث أسماء فى قصة حملها النوى من أرض الزبير أنها كانت على ميلين من المدينة، و كله مؤيد لكونها الموضع المعروف اليوم بالزبيريات.
و يؤيده أيضا أن كثيرا منها بأيدى جماعة من ذرية الزبير بن العوام يعرفون اليوم بالكماة.

مسجد بنى خدرة

و منها: مسجد بنى خذرة إخوة بنى خدارة من الخزرج روى ابن زبالة عن هشام بن عروة أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم صلّى فى مسجد بنى خدرة.
و عن يعقوب بن محمد بن أبى صعصعة أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم صلّى فى بعض منازل بنى خدرة؛ فهو المسجد الصغير الذى فى بنى خدرة مقابل بيت الحية.
و روى ابن شبة عن ربيع بن عثمان أن النبى صلى اللّه عليه و سلم صلّى فى بيت إلى جنب مسجد بنى خدرة.

و روى هو و ابن زبالة عن ربيع بن عبد الرحمن بن أبى سعيد الخدرى عن أبيه أن النبى صلى اللّه عليه و سلم لم يصل فى مسجد بنى خدرة.

و تقدم فى المنازل أن بنى خدرة ابتنوا بدارهم أطما يقال له الأجرد، و يقال لبئره البصة، كان لجد أبى سعيد الخدرى، قال المطرى: و بعضه باق إلى اليوم

قلت: و هو الذى ابتنى عليه الزكوى بن صالح المنزل الذى عند بئر البصة التى اتخذ لها الدرجة الآتى ذكرها.

و قوله فى رواية ابن زبالة «مقابل بيت الحية» كأنه يشير إلى البيت الذى اتفقت به قصة الحية المذكورة فى صحيح مسلم عن أبى السائب أنه دخل على أبى سعيد الخدرى فى بيته، قال: فوجدته يصلى، فجلست أنتظره حتى يقضى صلاته، فسمعت تحريكا فى عراجين فى

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۶۸

ناحية البيت، فالتفتّ فإذا هى حية، فوثبت لأقتلها، فأشار إلىّ أن أجلس، فجلست، فلما انصرف أشار إلى بيت فى الدار فقال: أ ترى إلى هذا البيت؟ فقلت: نعم، قال: كان فتى منا حديث عهد بعرس، قال: فخرجنا مع رسول الله صلى اللّه عليه و سلم إلى الخندق؛ فكان ذلك الفتى يستأذن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بأنصاف النهار فيرجع إلى أهله، فاستأذنه يوما، فقال له رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: خذ عليك سلاحك فإنى أخشى عليك قريظة، فأخذ الرجل سلاحه ثم رجع، فإذا امرأته بين البابين قائمة فأهوى إليها الرمح ليطعنها به، و أصابته غيرة، فقالت له: اكفف عليك رمحك و ادخل البيت حتى تنظر ما الذى أخرجنى، فدخل فإذا بحية عظيمة منطوية على الفرش، فأهوى إليها بالرمح فانتظمها، ثم خرج فركزه فى الدار، فاضطربت عليه فما يدرى أيهما كان أسرع موتا الحية أم الفتى، قال: فجئنا إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فذكرنا ذلك له، و قلنا:

ادع الله يحيه لنا، فقال: استغفروا لصاحبكم، ثم قال: إن بالمدينة جنّا قد أسلموا، فإذا رأيتم منهم شيئا فاذنوه ثلاثة أيام، فإن بدا لكم بعد ذلك فاقتلوه فإنما هو شيطان.

مسجد بنى الحارث

و منها: مسجد بنى الحارث بن الخزرج، و مسجد السنح- روى ابن شبة عن هشام بن عروة أن النبى صلى اللّه عليه و سلم صلّى فى مسجد بنى خدارة و بالحبلى و بالحارث بن الخزرج و مسجد السنح، و رواه ابن زبالة بلفظ: مسجد بنى الحارث بن الخزرج و مسجد السنح.

قلت: تقدم أن منازل بنى الحارث شرقى بطحان و تربة صعيب، و يعرف اليوم بالحارث بإسقاط بنى، و بالقرب منه السنح، كان على ميل من المسجد النبوى، و هو منازل جشم و زيد ابنى الحارث بن الخزرج، و به منزل أبى بكر رضى الله تعالى عنه بزوجته بنت خارجة.

مسجد بنى الحبلى

و منها: مسجد بنى الحبلى رهط عبد الله بن أبىّ بن سلول من الخزرج- روى ابن زبالة و ابن شبة عن هشام بن عروة أن النبى صلى اللّه عليه و سلم صلّى فى مسجد بنى الحبلى. و رواه ابن شبة أيضا عن سعد بن إسحاق بن كعب.

و تقدم عن المطرى أن دارهم بين قباء و بين دار بنى الحارث التى فى شرقى بطحان، مع ما قاله ابن حزم فى منازلهم فراجعه.

مسجد بنى بياضة

و منها: مسجد بنى بياضة من الخزرج روى ابن شبة و يحيى عن سعيد بن إسحاق أن النبى صلى اللّه عليه و سلم صلّى فى مسجد بنى بياضة. و روى ابن زبالة عنه نحوه، و عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك قال: كنت أخرج أقود أبى بعد أن عمى إلى المسجد يوم الجمعة، قال:

فيسمع الأذان بالطريق، فإذا سمعه قال: يرحم الله أسعد بن زرارة، كان أول من جمّع بنا بهذه القرية، و نحن يومئذ أربعون فى هزمة من حرة بنى بياضة.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۶۹

و تقدم فى الفصل الثامن من الباب الثالث نحوه من رواية أبى داود.

و روى ابن زبالة أيضا عن ربيعة بن عثمان أن النبى صلى اللّه عليه و سلم صلى فى الحرة فى الرحابة.

و تقدم فى منازل بنى بياضة أن الرحابة مزرعة فى شاميها أطمهم المسمى بعقرب، و كانت لآل عاصم بن عطية بن عامر بن بياضة.

و ذكر ابن زبالة أطما آخر كان بين المزرعتين الرحابة و الحيرة.

و تقدم أيضا أن دار بنى بياضة شامى دار بنى سالم أهل مسجد الجمعة إلى وادى بطحان قبلى دار بنى مازن بن النجار، ممتدة فى تلك الحرة و بعضها فى السبخة.

و روى ابن زبالة عن إبراهيم بن عبد الله بن سعد عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: وقعت هذه الليلة رحمة؟ فيما بين بنى سالم و بنى بياضة، فقالت بنو سالم و بنو بياضة: أ ننتقل إليها؟ قال: لا، و لكن أقبروا فيها.

مسجد بنى خطمة

و منها: مسجد بنى خطمة من الأوس، و مسجد العجوز.

روى ابن زبالة عن الحارث بن الفضل و هشام بن عروة أن النبى صلى اللّه عليه و سلم صلّى فى مسجد بنى خطمة.

و رواه ابن شبة عن هشام و عبد الله بن الحارث، و روى أيضا عن مسلمة بن عيد الله الخطمى أن النبى صلى اللّه عليه و سلم صلّى فى مسجد العجوز فى بنى خطمة عند القبر، و مسجد العجوز الذى عند قبر البراء بن معرور، و كان ممن شهد العقبة، فتوفى قبل الهجرة، و أوصى للنبى صلى اللّه عليه و سلم بثلث ماله، و أمر بقبره أن يستقبل به الكعبة.

و روى ابن زبالة عن أفلح بن سعيد و غيره من أهل العلم أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم صلّى فى مسجد العجوز ببنى خطمة، و هى امرأة من بنى سليم ثم من بنى ظفر بن الحارث.

و سيأتى فى الآبار عن عبد الله بن الحارث أن النبى صلى اللّه عليه و سلم توضأ من ذرع بئر بنى خطمة التى بفناء مسجدهم، و صلى فى مسجدهم.

و تقدم عن المطرى أن الأظهر عنده أن منازلهم فى شرقى مسجد الشمس بالعوالى، و أن الأظهر عندنا أنهم كانوا بقرب الماجشونية؛ لقول ابن شبة فى سيل بطحان: إنه يصبّ فى جفاف، و يمر فيه حتى يفضى إلى فضاء بنى خطمة و الأغرس، و قوله فى مذينب: إنه يلتقى هو و سيل بنى قريظة بالمشارف فضاء بنى خطمة، و سيأتى أن ذلك عند تنور النورة الذى فى شامى الماجشونية، و قد رأيت آثار القرية و الآطام هناك.

مسجد بنى أمية الأوسى

و منها: مسجد بنى أمية بن زيد من الأوس- روى ابن شبة عن عمر بن قتادة أن النبى

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۷۰

صلى اللّه عليه و سلم صلّى فى مسجد لهم فى بنى أميۀ من الأنصار، و كان فى موضع الكبابين الخربتان عند مال نهيك، و عن محمد بن عبد الرحمن بن وائل أن النبى صلى اللّه عليه و سلم صلّى فى تلك الخربۀ، و كان قريبا من مصلّى النبى صلى اللّه عليه و سلم هناك أجم، فانهدم، فسقط على المكان الذى فيه، فترك و طرح عليه التراب حتى صار كباء.

و روى ابن زبالۀ عن سعيد بن عمران أن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم صلّى فى بنى أميۀ فى موضع الكباء عند مال نهيك بن أبى نهيك.

قال المطرى: و دارهم شرقى دار بنى الحارث بن الخزرج، و فيهم كان عمر بن الخطاب رضى اللّه تعالى عنه نازلا بامرأته الأنصارية حين كان يتناوب النزول إلى المدينۀ هو و جاره من الأنصار.

قلت: الذى يتحرر مما سبق فى المنازل أنهم كانوا قرب النواعم و بئر العهن، و هى من أموالهم كما سنبينه فى الآبار، و يمر سيل مذينب من بيوتهم ثم يسقى الأموال. و بالحرۀ الشرقيۀ قريبا من الموضع المذكور آثار قريۀ يمر بها سيل مذينب الظاهر أنها قريتهم. و يشهد لذلك أن ابن إسحاق ذكر فى مقتل كعب بن الأشرف- و كان فى بنى النضير- أن محمد بن مسلمۀ و من معه انتهوا إلى حصنه فى ليلۀ مقمرۀ فهتف به أبو نائلۀ، ثم ذكر قتله، و أن محمد بن مسلمۀ قال: فخرجنا حتى سلكنا على بنى أميۀ بن زيد، ثم على بنى قريظۀ، ثم على بعاث حتى أسندنا فى حرۀ العريض.

مسجد بنى وائل الأوسى

و منها: مسجد بنى وائل من الأوس- روى ابن زبالۀ عن الحارث بن الفضل أن النبى صلى اللّه عليه و سلم صلّى فى مسجد بنى وائل.

و روى ابن شبۀ عن سلمۀ بن عبد اللّه الخطمى أن النبى صلى اللّه عليه و سلم صلّى فى بيت القعدۀ عند مسجد بنى وائل، و عنه أن النبى صلى اللّه عليه و سلم صلّى فى مسجد بنى وائل بين العمودين المقدمين خلف الإمام بخمسۀ أذرع أو نحوها، قال: و ضربنا ثمّ وتدا.

قال المطرى: و الظاهر أن منازلهم كانت فى شرق مسجد الشمس.

قلت: الظاهر أنها بقباء، و أن هذا المسجد هو المراد بقول ابن النجار: إن بالمدينۀ عدۀ مساجد خراب فيها المحاريب و بقايا الأساطين و تنقض و تؤخذ حجارتها فيعمر بها الدور:

أحدها مسجد بقباء قريب من مسجد الضّرار فيه أسطوان قائمۀ، انتهى؛ فكأنه فيما بين زمان المطرى و زمانه نقضت بقيته بحيث لم يدرك له المطرى أثرا.

مسجد بنى واقف

و منها: مسجد بنى واقف من الأوس- روى ابن زبالۀ عن الحارث بن الفضل أن النبى

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۷۱

صلى اللّه عليه و سلم صلّى فى مسجد بنى واقف. قال المطرى و تبعه من بعده حتى المجد: مسجد بنى واقف موضع بالعوالى، كانت فيه منازل بنى واقف من الأوس رهط هلال بن أميۀ الواقفى أحد الثلاثۀ الذين تاب اللّه عليهم فى تخلفهم عن غزوۀ تبوك، و لا يعرف مكان دارهم اليوم، إلا أنها بالعوالى.

قلت: لا دار أعرف من دارهم؛ لما تقدم فى المنازل من أنهم نزلوا عند مسجد الفضيخ، و ابتنوا أطما كان موضعه فى قبلۀ مسجد

الفضيخ، و هذا من فوائد الاعتناء بذكر المنازل، و المطرى لم يعتن بها، لكن العجب من المجد فإنه ذكر ما قدمناه فى المنازل، ثم قلد المطرى عند ذكر المساجد.

مسجد بنى أنيف

و منها: مسجد بنى أنيف، تصغير أنف حى من بلى، و يقال: إنهم بقية من العماليق كما تقدم فى منازل اليهود، و بينا فى منازل بنى عمرو بن عوف من الأوس أنهم كانوا حلفاء لهم. و روى ابن زبالة عن عاصم بن سويد عن أبيه قال: سمعت مشيخة بنى أنيف يقولون: صلّى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فيما كان يعود طلحة بن البراء قريبا من أطمهم، قال عاصم:

قال أبى: فأدركتهم يرشّون ذلك المكان و يتعاهدونه ثم بنوه بعده؛ فهو مسجد بنى أنيف بقباء.

قلت: طلحة بن البراء منهم. و قال المتكلمون فى أسماء الصحابة: إنه من بلىّ و كان حليفا للأوس، و ذلك هو السبب كما قدمناه فيما وقع للمطرى و من تبعه من أن بنى أنيف بطن من الأوس، قال: و دارهم بين بنى عمرو بن عوف بقباء و بين العصبة.

قلت: المعتمد ما قدمناه، و دارهم بقباء عند المال المعروف اليوم بالقائم فى جهة قبلة مسجد قباء من جهة المغرب، و عند بئر عذق كما سبق.

مسجد دار سعد بن خيثمة

و منها: مسجد دار سعد بن خيثمة بقباء ذكر ابن زبالة فيما نقله المطرى أن النبى صلى اللّه عليه و سلم صلّى فى المسجد الذى فى دار سعد بن خيثمة رضى الله تعالى عنه بقباء، و جلس فيه، قال المطرى: و بيت سعد بن خيثمة أحد الدور التى قبلى مسجد قباء، يدخلها الناس إذا زاروا مسجد قباء و يصلون فيها.

و هناك أيضا دار كلثوم بن الهدم، و فى تلك العرصة كان رسول الله صلى اللّه عليه و سلم نازلا قبل خروجه إلى المدينة، و كذلك أهله صلى اللّه عليه و سلم و أهل أبى بكر رضى الله تعالى عنه حين قدم بهم على ابن أبى طالب رضى الله تعالى عنه بعد خروج رسول الله صلى اللّه عليه و سلم من مكة، و هن: سودة، و عائشة و أمّها، و أختها أسماء، و هى حامل بعبد الله بن الزبير، فولدته بقباء قبل نزولهم المدينة، فكان أول مولود ولد من المهاجرين بالمدينة، انتهى.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۷۲

قلت: و فى قوله «إن عليا قدم و معه من ذكر» نظر؛ فقد قدمنا أن عليا رضى الله تعالى عنه لحق النبى صلى اللّه عليه و سلم بقباء، و أنه صلى اللّه عليه و سلم بعث زيد بن حارثة و أبا رافع إلى مكة بعد ذلك فقدما عليه بأهله، و خرج معهم عبد الله بن أبى بكر بعيال أبى بكر. و حديث أسماء فى ولادتها عبد الله بن الزبير متفق عليه. و فيه أنه كان أول مولود ولد فى الإسلام، ففرحوا به؛ لأنه كان قد قيل لهم: إن اليهود سحرتكم فلا يولد لكم. و فيه دلالة على تأخر ولادته عن مقدم النبى صلى اللّه عليه و سلم بمدة. و قال الذهبى تبعا للواقدى: إن ولد فى سنة اثنتين، و قال الحافظ ابن حجر: المعتمد أنه ولد فى السنة الأولى؛ للحديث المتفق عليه، و سبق فى سنى الهجرة عن أبى حاتم ما يوافقه.

و تقدم فى ذكر مسجد قباء أن دار سعد بن خيثمة هى التى تلى المسجد فى قبلته.

مسجد التوبة

و منها: مسجد التوبة بالعصبة منازل بنى جحجبا من بنى عمرو بن عوف من الأوس- روى ابن زبالة عن أفلح بن سعد و غيره أن رسول

الله صلى اللّه عليه و سلم صلّى فى مسجد التوبة بالعصبة ببئر هجيم، قال المطرى: و ليست بمعروفة اليوم، يعنى البئر. و العصبة: فى غربى مسجد قباء فيها مزارع و آبار كثيرة.

قلت: يستفاد مما ذكرناه فى المنازل من أنهم ابتنوا أطما يقال له الهجيم عند المسجد الذى صلّى فيه النبى صلى اللّه عليه و سلم أن بئر هجيم مضافة للأطم المذكور؛ فيطلب المسجد عند ذلك، و ما علمت السبب فى تسميته بمسجد التوبة.

مسجد النور

و منها: مسجد النور- قال ابن زبالة: حدثنا محمد بن فضالة عن أبيه أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم صلّى فى موضع مسجد النور. قال المطرى: و لا يعلم اليوم مكانه.

قلت: و ما علمت سبب تسميته بذلك، و رأيت الأسدى فى منسكه ذكر فى المساجد التى تزار فى ناحية مسجد قباء مسجد النور، ثم ذكر فى المساجد التى تزار بناحية المدينة و ما حولها مسجد النور أيضا، و لعل هذا المسجد هو الموضع الذى انتهى إليه أسيد بن حضير و عباد بن بشر، و هما من بنى عبد الأشهل، و كانا عند النبى صلى اللّه عليه و سلم فى ليلة ظلماء، فتحدثا عنده حتى إذا خرجا أضاءت لهما عصا أحدهما، فمشيا على ضوئها، فلما تفرق بهما الطريق أضاءت لكل واحد منهما عصاه فمشى فى ضوئها، كما أخرجه البخارى؛ فيكون المسجد المذكور بدار بنى عبد الأشهل.

و روى أحمد برجال الصحيح حديث قتادة بن النعمان الظفرى فى إعطاء النبى صلى اللّه عليه و سلم له العرجون فى ليلة مظلمة فأضاء له من بين يديه عشرا و من خلفه عشرا- الحديث.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۷۳

و روى أبو نعيم عن أنس رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و عمر رضى الله تعالى عنه سهرا عند أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه يتحدثان عنده، حتى ذهب ثلث الليل، ثم خرجا و خرج أبو بكر رضى الله تعالى عنه معهما فى ليلة مظلمة و مع أحدهما عصا، فجعلت تضىء لهما و عليها نور حتى بلغوا المنزل.

مسجد عتبان بن مالك

و منها: مسجد عتبان بن مالك بأصل أطمه المسمى بالمزدلف بدار بنى سالم بن الخزرج روى ابن زبالة عن إبراهيم بن عبد الله بن سعد أن عتبان بن مالك قال: يا رسول الله إن السيل يحول بينى و بين الصلاة فى مسجد قومى، قال: فصلّى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فى بيته، فهو المسجد الذى بأصل المزدلف. و رواه يحيى و قال: فهو المسجد الذى بأصل المزدلف أطم مالك بن العجلان.

قلت: تقدّم فى مسجد الجمعة أن المزدلف هو الأطم الخراب الذى فى شامى مسجد الجمعة، عند عدوة الوادى الشرقية، و أن صلاته صلى اللّه عليه و سلم بدار عتبان فى الصحيح، و أن الظاهر أن مسجد قومه الذى يحول السيل بينه و بينهم هو مسجدهم الأكبر الذى كان بمنازلهم بالحرة فى عدوة الوادى الغربية.

و روى ابن شبة عن عتبان بن مالك أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم صلّى فى بيته سبحة الضحى، فقاموا وراءه فصلوا.

و عن سعد بن إسحاق أن النبى صلى اللّه عليه و سلم لم يصل فى مسجد بنى سالم الأكبر. و روى ابن زبالة نحوه عن كعب بن عجرة.

مسجد ميثب (صدقة النبى صلى اللّه عليه و سلم)

و منها: مسجد ميثب صدقة النبى صلى اللّه عليه و سلم- روى ابن زبالة و ابن شبة و يحيى عن محمد بن عقبة بن أبى مالك أن النبى

صلى اللّه عليه و سلم صلّى فى مسجد صدقته ميثب، و سيأتى فى الصدقات أن الميثب مجاور لبرقة و غيره من الصدقات الآتية.

مسجد المنارتين

و منها: مسجد المنارتين روى ابن زبالة و يحيى من طريقه عن حرام بن سعد بن محيصة أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم صلّى فى المسجد الذى بأصل المنارتين فى طريق العقيق الكبير، قال المطرى: و هذا المسجد لا يعرف، و هو يلى طريق العقيق كما ذكر.

قلت: روى ابن زبالة عن عبد الله بن البولا أن أربعة رهط من المهاجرين الأولين كلهم يخبره أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم «خرج إلى الجبل الأحمر الذى بين المنارتين، فإذا بشاة ميتة قد أنتنت، فأمسكوا على أنفهم، فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: ما ترون كرامة هذه الشاة على صاحبها؟

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۷۴

فقالوا: يا رسول الله ما تكرم هذه على أحد، فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: للدّنيا أهون على الله من هذه على صاحبها».

و عن إبراهيم بن محمد عن أبيه أن اسم الجبل الأنعام، و هو الجبل الذى بنى عليه المزنى و جابر بن على الزمعى ثم أورد قول الشاعر:

لمن الديار غشيتها بالأنعام

البيت الآتى فى الأنعام.

قلت: و هو الجبل الأحمر الذى على يسارك إذا مررت من أوائل الرقيقين قاصدا العقيق؛ لانطباق الوصف عليه، و لأنى خرجت إليه و صعدته فرأيت عليه أساس البناء الذى أشار إليه، و ظهر بذلك أن المنارتين بقربه عند الرقيقين؛ فهناك موضع هذا المسجد.

مسجد فيفاء الخبار

و منها: مسجد فيفاء الخبار قال ابن إسحاق فى غزوة العشيرة: إن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم سلك على نقب بنى دينار من بنى النجار، ثم على فيفاء الخبار، فنزل تحت شجرة ببطحاء ابن أزهر يقال لها «ذات الساق» فصلّى عندها فثمّ مسجد، و صنع له طعام عندها، فأكل منه و أكل الناس معه، فموضع آثاره فى البرمة معلوم هناك، و استسقى له من ماء يقال له المشيرب، انتهى. و المشيرب: تصغير مشرب ما بين جبال فى شامى ذات الجيش.

قال المطرى: و فيفاء الخبار غربى الجماوات، و هى أى الجماوات الأجبل التى فى غربى وادى العقيق، و توهم المجد أن الضمير فى قوله «و هى» لفيفاء الخبار فقال فيه: الصحيح أنه الأجبل التى فى غربى وادى العقيق، انتهى.

و سيأتى فى رابع فصول الباب السابع عن الهجرى أن جمّاء أم خالد فى مهبّ الشمال من جماء تضارع، و أن فيفاء الخبار من جماء أم خالد.

و نقل ابن سعد عن ابن عقبة أن فيفاء الخبار من وراء الجماء، و الخبار بفتح المعجمة و الموحدة كسحاب- ما لان من الأرض و استرخى، و الأرض ذات الجحرة و الحفائر. و الفيفاء بفاءين بينهما مثناة تحتية- هى الصخرة الملساء.

قال المطرى: و بهذا الموضع كانت ترعى إبل الصدقة و لقاح رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، و ذكر قصة العرنيين التى قدمناها فى محلها. و ينبغى لمن تيسر له الوصول إلى هذه الجهة أن يتبرك بالجماوات؛ لما سيأتى فيها، و كذلك جبل عظم لما سيأتى فيه أيضا.

مسجد بين الجثجاثة و بئر شداد

و منها: مسجد بين الجثجاثة و بئر شداد، بطرف وادى العقيق مما يلى البقيع؛ لأن ابن زبالة روى فى سياق ذلك عن عمر بن القاسم و

عبد الملک بن عمر قال: صلّی رسول الله

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفی، ج۳، ص: ۷۵

صلی اللّه علیه و سلم فی مسجد بین الجثجاثة و بین بئر شداد فی تلعة هناک، قال: و کان عبد الله بن سعد بن ثابت قد اقتطع قریبا منه و بناه.

و قال الهجری: الجثجاثة صدقة عباد بن حمزة بن عبد الله بن الزبیر، و بها قصور و میدا، و اقتضی کلامه أنها بین ثنیة الشرید و الحلیفة.

و هذا آخر ما وقفنا علیه فی مساجد المدینة التی لا تعلم بعینها فی زماننا، و عدتها نحو الأربعین.

الدور التی صلی بها الرسول صلی اللّه علیه و سلم

اشارة

تتمة- تقدم ذکر بعض الدور التی صلی فیها النبی صلی اللّه علیه و سلم، أو جلس و لم یتخذ محل لها، و لنذکر ما وقفنا علیه من بقیتها تتمیما للفائدة:

روی یحیی عن محمد بن طلحة بن طویل قال: سمعت غیر واحد ممن أدرکت یقول:

کان النبی صلی اللّه علیه و سلم إذا جاء مربده، و هو مربد الحکم بن أبی العاص، فکان إذا خرج منه وقف عند بابه، و دعا.

دار الشفاء

قال محمد بن طلحة: و أخبرنی محمد بن جعفر عن محمد بن سلیمان بن أبی حثمة أن النبی صلی اللّه علیه و سلم صلّی فی دار الشفاء فی البیت الذی علی یمین من دخل الدار.

دار الضمری

قال محمد: و صلّی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم فی دار عمرو بن أمیة الضمری عن یمین من دخل الدار.

دار بسرة

قال محمد: و صلّی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم فی دار بسرة بنت صفوان.

قلت: أما دار عمرو بن أمیة الضمری فتقدم ما یبین جهتها فی ذکر دار السوق و غیرها.

و أما دار الشفاء فقال ابن شبة فی دور بنی عدی بن کعب: و اتخذت الشفاء بنت عبد الله دارها التی فی الحکاکین الشارعة فی الخط، فخرجت طائفة من أیدی ولدها فصارت للفضل، و بقیت بأیدیهم منها طائفة، انتهی.

و روی أن النبی صلی اللّه علیه و سلم کان یأتی الشفاء هذه و یقیل عندها، و سبق فی مصلی الأعیاد أن النبی صلی اللّه علیه و سلم صلّی العید عند دار الشفاء؛ فالظاهر أنها کانت قرب سوق المدینة و المصلی. و دار بسرة لم أعرفها، و کذا المربد المذکور.

و تقدم فى ذكر البلاط ما جاء فى دار بنت الحارث.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۷۶

و أخرج أبو داود و النسائى و اللفظ له عن عبد الرحمن بن طارق عن أبيه أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم كان إذا جاز مكانا من دار يعلى استقبل القبلة و دعا، و لم أعرف جهة دار يعلى.

دار أم سليم

و فى صحيح البخارى عن ثمامة عن أنس أن أمّ سليم كانت تبسط لنبى الله صلى اللّه عليه و سلم نطعا فيقيل عندها على ذلك النّطع، قال فإذا قام صلى اللّه عليه و سلم أخذت من عرقه و شعره فجمعته فى قارورة ثم جمعته فى سك، و قال: فلما حضرت أنس بن مالك الوفاة أوصى أن يجعل فى حنوطه من ذلك السك، قال: فجعل فى حنوطه.

و فيه أيضا حديث أنس فى تكثير الطعام، و لفظه: قال أبو طلحة لأم سليم: لقد سمعت صوت رسول الله صلى اللّه عليه و سلم ضعيفا أعرف فيه الجوع، فهل عندك من شىء؟ قالت: نعم، فأخرجت أقراصا من شعير، ثم أخرجت خمارا لها فلفّت الخبز ببعضه، ثم دسته تحت يدى، و لاثتنى ببعضه، ثم أرسلتنى إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، قال: فذهبت به فوجدته فى المسجد و معه الناس، فقمت عليهم، فقال لى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: أرسلك أبو طلحة؟ فقلت: نعم، فقال لمن معه: قوموا، فانطلقوا و انطلقت بين أيديهم حتى جئنا إلى أبى طلحة، فأخبرته، قال أبو طلحة: يا أم سليم قد جاء رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بالناس، و ليس عندنا من نطعمهم، فقالت: الله و رسوله أعلم، فانطلق أبو طلحة حتى لقى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، فأقبل و أبو طلحة معه، فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: هلمى يا أم سليم ما عندك، فأتت بذلك الخبز، فأمر به رسول الله صلى اللّه عليه و سلم ففتّ و عصرت أم سليم عكّة فأدمته، ثم قال فيه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم ما شاء الله أن يقول، ثم قال: ائذن لعشرة، الحديث، و فى آخره: فأكل القوم كلهم و شبعوا، و القوم سبعون أو ثمانون رجلا.

قلت: و أم سليم والدة أنس و زوجة أبى طلحة، فذلك إما فى دار أنس و إما فى دار أبى طلحة، و كلاهما بجهة بنى جديلة.

دار أم حرام

و فى الصحيح من حديث أنس: كان رسول الله صلى اللّه عليه و سلم إذا ذهب إلى قباء يدخل على أم حرام بنت ملحان فتطعمه، و كانت تحت عبادة بن الصامت، فدخل يوما فأطعمته، فنام رسول الله صلى اللّه عليه و سلم ثم استيقظ يضحك، الحديث.

قلت: أم حرام هى خالة أنس أخت أم سليم المتقدم ذكرها، و زوجها عبادة بن الصامت، كان ببنى سالم؛ لأنه من بنى نوفل إخوة بنى سالم، و يدل لذلك قوله «إذا ذهب إلى قباء» فإن بنى سالم بطريق قباء، فيندفع ما توهمه بعضهم من أن دار أم سليم و أم حرام واحدة لكونهما أختين، و الله أعلم.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۷۷

الفصل الخامس: خروج النبى ص ليلا إلى البقيع

اشارة

فی فضل مقابرها، و إتیان النبی صلی اللّه علیه و سلم البقیع، و سلامه علی أهله و استغفاره لهم خروج النبی صلی اللّه علیه و سلم لیلا إلی البقیع.

روینا فی صحیح مسلم و النسائی عن عائشة رضی الله تعالی عنها قالت: لما کان لیلتی التی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم فیها عندی انفلت فوضع رداءه و خلع نعلیه فوضعهما عند رجلیه و بسط طرف إزاره علی فراشه فاضطجع، فلم یلبث إلا ریثما ظن أنی قد رقدت، فأخذ إزاره رویدا، و انتعل رویدا، و فتح الباب، فخرج، ثم أجافه رویدا، و جعلت درعی فی رأسی، و اختمرت، و تقنعت إزاری، ثم انطلقت علی أثره حتی جاء البقیع فأقام، فأطال القیام، ثم رفع یدیه ثلاث مرات، ثم انحرف فانحرفت، فأسرع فأسرعت، فهرول فهرولت، فأحضر فأحضرته، فسبقته، فدخلت، فلیس إلا أن اضطجعت فدخل فقال: مالک یا عائش حشیا رابیة، قلت: یا رسول الله بأبی أنت و أمی، فأخبرته، قال: فأنت السّواد الذی رأیت أمامی؟ قلت: نعم، فلهزنی فی صدری لهزة أوجعتنی، ثم قال: أظننت أن یحیف الله علیک و رسوله؟ قالت: مهما یکتم الناس یعلمه الله، قال: نعم، قال: فإن جبریل علیه السلام أتانی حین رأیت فنادانی فأخفاه منک فأخفیته منک، و لم یکن یدخل علیک و قد وضعت ثیابک، و ظننت أن قد رقدت فکرهت أن أوقظک، و خشیت أن تستوحشینی، فقال: إن ربک یأمرک أن تأتی أهل البقیع فتستغفر لهم، قال: قلت کیف أقول لهم یا رسول الله؟ قال: قولی السلام علیکم أهل الدیار من المؤمنین و المسلمین، و یرحم الله المستقدمین و المستأخرین.

و فی روایة له أیضا قالت: کان رسول الله صلی اللّه علیه و سلم کلما کانت لیلتی منه یخرج من آخر اللیل إلی البقیع فیقول: السلام علیکم دار قوم مؤمنین، و أتاکم ما توعدون، غدا مؤجلون، و إنا إن شاء الله بکم لاحقون، اللهم اغفر لأهل بقیع الغرقد.

و خرجه فی الموطأ بلفظ: قالت عائشة: قام رسول الله صلی اللّه علیه و سلم ذات لیلة، فلبس ثیابه، ثم خرج، فأمرت جاریتی بریرة تتبعه، فتبعته حتی جاء البقیع، فوقف فی أدناه ما شاء الله أن یقف، ثم انصرف فسبقته، فأخبرتنی، فلم أذکر شیئا حتی أصبح، ثم ذکرت له، فقال: إنی بعثت إلی أهل البقیع لأصلی علیهم.

و فی روایة للنسائی: السلام علیکم دار قوم مؤمنین، و إنا و إیاکم متواعدون غدا و مواکلون.

و فی روایة لابن شبة قالت: خرج رسول الله صلی اللّه علیه و سلم من عندی، فظننت أنه خرج إلی بعض نسائه، فتبعته، حتی جاء البقیع، فسلم و دعا ثم انصرف، فسألته: أین کنت؟ فقال:

إنی أمرت أن آتی أهل البقیع فأدعو لهم.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفی، ج۳، ص: ۷۸

و فی روایة له أنه قال فی دعائه: اللهم لا تحرمنا أجرهم، و لا تفتّنا بعدهم.

و فی روایة للبیهقی قالت: دخل علیّ رسول الله صلی اللّه علیه و سلم، فوضع عنه ثوبیه، ثم لم یستتم أن قام فلبسهما، فأخذتنی غیرة شدیدة ظننت أنه یأتی بعض صویحباتی، فخرجت أتبعه، فأدرکته بالبقیع بقیع الغرقد یستغفر للمؤمنین و المؤمنات و الشهداء، الحدیث، و فیه بیان أن ذلک کان فی لیلة النصف من شعبان

و فی جامع الترمذی عن ابن عباس رضی الله تعالی عنهما أن رسول الله صلی اللّه علیه و سلم مرّ بقبور أهل المدینة، فأقبل علیهم بوجهه فقال: السلام علیکم یا أهل القبور، و یغفر الله لنا و لکم، و أنتم لنا سلف و نحن بالأثر.

و روی ابن شبة عن أبی موهبة مولی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم قال: أهبّنی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم من جوف اللیل، فقال: إنی أمرت أن أستغفر لأهل البقیع فانطلق معی، فانطلقت معه، فلما وقف بین أظهرهم قال السلام علیکم یا أهل المقابر، لیهن لکم ما أصبحتم فیه مما أصبح الناس فیه، أقبلت الفتن کقطع اللیل المظلم یتبع آخرها أولها، الآخرة شر من الأولی، ثم استغفر لهم طویلا.

و فی روایة: ثم استغفر لهم، ثم قال: یا أبا موهبة إنی قد أوتیت مفاتیح خزائن الدنیا و الخلد فیها، فخیرات بین ذلک و بین لقاء ربی ثم الجنة، قلت: بأبی و أمی خذ مفاتیح خزائن الدنیا و الخلد فیها ثم الجنة، قال: لا و الله یا أبا موهبة، لقد اخترت لقاء ربی ثم الجنة، ثم

رجع رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فبدئ به وجعه الذى قبض فيه.

و عن عطاء بن يسار قال: أتى النبى صلى اللّه عليه و سلم البقيع فقال: السلام عليكم قوم موجلون، أتانا و أتاكم ما توعدون، اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد.

و عن الحسن قال: أتى النبى صلى اللّه عليه و سلم على بقيع الغرقد فقال: السلام عليكم يا أهل القبور، ثلاثا، لو تعلمون ما الذى نجاكم الله منه مما هو كائن بعدكم، قال: ثم التفت فقال: هؤلاء خير منكم، قالوا: يا رسول الله إنما هم إخواننا آمنّا كما آمنوا، و أنفقنا كما أنفقوا، و جاهدنا كما جاهدوا، و أتوا على أجلهم و نحن ننتظر، فقال: إن هؤلاء قد مضوا لم يأكلوا من أجورهم شيئا، و قد أكلتم من أجوركم، و لا أدرى كيف تصنعون بعدى.

و روى ابن زبالة عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم خرج إلى المقبرة فقال: السلام عليكم دار قوم مؤمنين، و إنا إن شاء الله بكم لاحقون، وددت أنى قد رأيت إخواننا، قالوا: يا رسول الله ألسنا إخوانك؟ قال: أنتم أصحابى، و إخواننا الذين لم يأتوا بعد، و أنا فرطهم على الحوض، قالوا: يا رسول الله كيف تعرف من يأتى بعدك من أمتك؟

قال: أ رأيت لو كان لرجل خيل غرّ محجلة فى خيل دهم بهم ألا يعرف خيله؟ قالوا: بلى،

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۷۹

قال: فإنهم يأتون يوم القيامة غرّا محجّلين من الوضوء، و أنا فرطهم على الحوض، و ليذادن رجال عن حوضى كما يذاد البعير الضال، فأناديهم: ألا هلم، ألا هلم، ألا هلمّ، فيقال:

إنهم قد بدّلوا، فأقول: فسحقا، فسحقا، فسحقا.

من فضل البقيع

و روى الطبرانى فى الكبير و محمد بن سنجر فى مسنده و ابن شبة فى أخبار المدينة من طريق نافع مولى حمنة عن أم قيس بنت محصن، و هى أخت عكّاشة، أنها خرجت مع النبى صلى اللّه عليه و سلم إلى البقيع، فقال: يحشر من هذه المقبرة سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب، و كأن وجوههم القمر ليلة البدر، فقام رجل فقال: يا رسول الله و أنا، فقال: و أنت، فقام آخر فقال: يا رسول الله و أنا، قال: سبقك بها عكّاشة، قال: قلت لها: لم لم يقل للآخر؟

فقالت: أراه كان منافقا.

و ذكر الهيثمى تخريج الطبرانى له و قال: فى إسناده من لم أعرفه.

و ذكره الحافظ ابن حجر فى شرح البخارى، و سكت عليه.

و دخول سبعين ألفا الجنة بغير حساب من هذه الأمة من غير تقييد بالبقيع موجود فى الصحيح، بل جاء أزيد منه.

فروى أحمد و البيهقى عن أبى هريرة مرفوعا: سألت ربى عز و جل، فوعدنى أن يدخل الجنة من أمتى، و ذكر نحو رواية الصحيح، و زاد: فاستزدت ربى، فزادنى مع كل ألف سبعين ألفا، قال الحافظ ابن حجر: و سنده جيد، قال: و فى الباب عن أبى أيوب عند الطبرانى، و عن حذيفة عند أحمد، و عن أنس عند البزار، و عن ثوبان عند أبى عاصم، قال:

فهذه طرق يقوى بعضها بعضا فى الزيادة المذكورة.

قال: و جاء فى أحاديث أخرى أكثر من ذلك أيضا، فأخرج الترمذى و حسّنه و الطبرانى و ابن حبان فى صحيحه عن أبى أمامة رفعه: وعدنى ربى أن يدخل الجنة من أمتى سبعين ألفا مع كل ألف سبعين ألفا، لا حساب عليهم و لا عذاب، و ثلاث حثيات من حثيات ربى.

و فى صحيح ابن حبان و الطبرانى بسند جيد نحوه.

ثم ذكر الحافظ ابن حجر ما يقتضى زيادة على ذلك أيضا، و أن مع كل واحد سبعين ألفا؛ فيتأيد بذلك رواية اختصاص البقيع بسبعين ألفا لا حساب عليهم؛ فالكرم عميم، و الجاه عظيم.

و روى ابن شبة عن ابن المنكدر رفعه مرسلا: يحشر من البقيع سبعين ألفا على صورة القمر ليلة البدر، كانوا لا يكتوون، و لا يتطيرون، و على ربهم يتوكلون.

قال: و كان أبى يخبرنا أن مصعب بن الزبير دخل المدينة من طريق البقيع و معه ابن رأس

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۸۰

الجالوت، فسمعه مصعب و هو خلفه حين رأى المقبرة يقول: هى هى، فدعاه مصعب فقال: ما ذا تقول؟ فقال: نجد هذه المقبرة فى التوراة بين حرّتين محفوفة بالنخل اسمها كفتة، يبعث الله منها سبعين ألفا على صورة القمر. و سيأتى من رواية ابن زبالة عن المقبرى نحوه.

و روى ابن زبالة عن جابر مرفوعا: يبعث من هذه المقبرة- و اسمها كفتة- مائة ألف كلهم على صورة القمر ليلة البدر، لا يسترقون، و لا يكتوون، و لا يتداوون، و على ربهم يتوكلون.

و عن المطلب بن حنطب رفعه مرسلا: يحشر من مقبرة المدينة- يعنى البقيع- سبعون ألفا لا حساب عليهم، تضىء وجوههم غمدان اليمن.

و جاء ما يقتضى أن هذا العدد يبعث من مقبرة بنى سلمة، و هى عند منزل بنى حرام منهم، فروى ابن شبة عن أبى سعيد المقبرى أن كعب الأحبار قال: نجد مكتوبا فى الكتاب أن مقبرة بغربى المدينة على حافة سيل يحشر منها سبعون ألفا ليس عليهم حساب.

و قال أبو سعيد المقبرى لابنه سعيد: إن أنا هلكت فادفنّى فى مقبرة بنى سلمة التى سمعت من كعب، و عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أنه قال: قال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: مقبرة بغربى المدينة يعترضها السيل يسارا يبعث منها كذا و كذا لا حساب عليهم، قال عبد العزيز بن مبشر: لا أحفظ العدد.

و عن عقبة بن عبد الرحمن بن جابر بن عبد الله، و عن ابن أبى عتيق و غيرهما من مشيخة بنى حرام أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قال: مقبرة ما بين سيلين غربية يضئ نورها يوم القيامة ما بين السماء إلى الأرض.

و روى ابن زبالة عن سهل عن أبيه عن جده قال: دفن قتلى من قتلى أحد فى مقبرة بنى سلمة.

و عن يحيى بن عبد الله بن أبى قتادة قال: أصيب أبو عمرة بن سكن يوم أحد، فأمر به رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فنقل، فكان أول من دفن فى مقبرة بنى حرام.

و فى الكبير للطبرانى- و فيه يعقوب بن محمد الزهرى فيه كلام كثير، و قد وثق- عن سعد بن خيثمة قال: قال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: رأيت كأن رحمة وقعت بين بنى سالم و بنى بياضة، قالوا: يا رسول الله أ فننتقل إلى موضعها، قال: لا، و لكن اقبروا فيها، فقبروا فيها موتاهم.

قلت: و هذه المقبرة لا تعرف اليوم، و كذا مقبرة بنى سلمة، لكن تعرف جهتهما مما تقدم فى المنازل.

و تقدم فى الحث على الموت بالمدينة حديث «ما على الأرض بقعة أحبّ إلى من أن يكون

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۸۱

قبرى بها منها» يعنى المدينة، يرجّعها ثلاث مرات، و حديث «من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها فإنى أشفع لمن يموت بها».

و فى رواية «فإنى أشهد لمن يموت بها». و فى أخرى «فإنه من مات بها كنت له شهيدا، أو شفيعا، يوم القيامة».

و رواه رزين بنحوه، و زاد «و إنى أول من تنشقّ عنه الأرض، ثم أبو بكر، ثم عمر، ثم آتى البقيع فيحشرون، ثم انتظر أهل مكة فأحشر بين الحرمين».

و فى رواية لابن النجار «فأخرج أنا و أبو بكر و عمر إلى البقيع فيبعثون، ثم يبعث أهل مكة.

و روى ابن شبة و ابن زبالة عن ابن كعب القرظى أن النبى صلى اللّه عليه و سلم قال «من دفن فى مقبرتنا هذه شفعنا له، أو شهدنا له» و سيأتى فى الفصل الأول من الباب الثامن قوله صلى اللّه عليه و سلم «و من مات فى أحد الحرمين بعث من الآمنين يوم القيامة».

و روى ابن زبالة عن أبى عبد الملك يرفعه قال: «مقبرتان يضيئان لأهل السماء كما تضىء الشمس و القمر لأهل الدنيا، مقبرتنا بالبقيع بقيع المدينة، و مقبرة بعسقلان».

و عن كعب الأحبار قال: نجدها فى التوراة كفتة محفوفة بالنخيل و موكل بها الملائكة، كلما امتلأت أخذوا بأطرافها فكفؤوها فى الجنة.

قال ابن النجار: يعنى البقيع.

و عن المقبرى قال: قدم مصعب بن الزبير حاجا أو معتمرا و معه ابن رأس الجالوت فدخل المدينة من نحو البقيع، فلما مر بالمقبرة قال ابن رأس الجالوت: إنها لهى، قال مصعب: و ما هى؟ قال: إنا نجد فى كتاب اللّه صفة مقبرة فى شرقيها نخل و فى غربيها بيوت يبعث منها سبعون ألفا كلهم على صورة القمر ليلة البدر، فطفت مقابر الأرض فلم أر تلك الصفة حتى رأيت هذه المقبرة.

و عن عبد الحميد بن جعفر عن أبيه قال: أقبل ابن رأس الجالوت فلما أشرف على البقيع قال: هذه التى نجدها فى كتاب اللّه كفتة، لا أطؤها، قال: فانصرف عنها إجلالا لها.

و فى كتاب الحرة للواقدى عن عثمان بن صفوان قال: لما حجّ مصعب بن الزبير و معه ابن رأس الجالوت فانتهى إلى حرّة بنى عبد الأشهل وقف ثم قال: بهذه الحرة مقبرة؟

فقالوا: نعم، فقال: هل من وراء المقبرة حرة أخرى سوى هذه الحرة؟ قالوا: نعم، قال:

إنا نجد فى كتاب اللّه أنها تسمى كفتة. قال الواقدى: يعنى تسرع البلى- و كفيتة، يبعث اللّه منها يوم القيامة سبعين ألفا كلهم وجوههم على صورة البدر ليلة أربع عشرة من الشهر.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۸۲

و روى ابن زبالة عن خالد بن عوسجة: كنت أدعو ليلة إلى زاوية دار عقيل بن أبى طالب التى تلى باب الدار، فمر بى جعفر بن محمد يريد العريض معه أهله، فقال لى: أ عن أثر وقفت هاهنا؟ قلت: لا، قال: هذا موقف نبى اللّه صلى اللّه عليه و سلم بالليل إذا جاء يستغفر لأهل البقيع.

قلت: و سيأتى أن من دار عقيل الموضع المعروف بمشهده، و أن به قبر ابن أخيه عبد اللّه بن جعفر على ما ذكره ابن النجار.

و قال عقب إيراد هذا الخبر: و دار عقيل الموضع الذى دفن فيه، قال الزين المراغى:

فينبغى الدعاء فيه. قال: و قد أخبرنى غير واحد أن الدعاء عند ذلك القبر مستجاب، و لعل هذا سببه. أو لأن عبد اللّه بن جعفر كان كثير الجود فأبقى اللّه قضاء الحوائج عند قبره.

و من غريب ما اتفق ما أخبرنى به من أثق بدينه أنه دعا فى هذا المكان، و تذاكر مع رفيق له ذلك، فرأى ورقة على الأرض مكتوبة، فأخذها تفاؤلا لذلك، فإذا فيها وَ قالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُمْ [غافر: ۶۰] من جهتيها، انتهى.

قلت: و لم أقف فى كلام المتقدمين على أصل فى دفن عبد اللّه بن جعفر هناك، بل اختلف فى أنه دفن بالمدينة أو بالأبواء، و المعتمد فى سبب الاستجابة هناك ما ذكر أولا، و لهذا يستحبّ الدعاء فى جميع الأماكن التى دعا بها النبىّ صلى اللّه عليه و سلم، و كلها مواطن إجابة.

الفصل السادس فى تعيين قبور بعض من دفن بالبقيع من الصحابة و أهل البيت، و المشاهد المعروفة بالمدينة.

قبر إبراهيم ابن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم

بيان قبر إبراهيم ابن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، و كونه عند قبر عثمان بن مظعون، و جاء فيهما، و من دفن عندهما.

روى ابن شبة بإسناد جيد عن البراء رضى الله تعالى عنه قال: مات إبراهيم- يعنى ابن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم- و هو ابن ستة عشر شهرا، فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: ادفنوه فى البقيع، فإن له مرضعة فى الجنة تتم رضاعه.

و عن مكحول قال: توفى إبراهيم عليه السلام، فلما وضع فى اللحد و رصف عليه اللبن بصر رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بفرجة من اللبن، فأخذ بيده مدرة فناولها رجلا فقال: ضعها فى تلك الفرجة، ثم قال: أما إنها لا تضر و لا تنفع، و لكنها تقر بعين الحى.

و عن محمد بن عمر أن النبى صلى اللّه عليه و سلم رشّ على قبر ابنه إبراهيم، و أنه أول من رش عليه، قال: و لا أعلم إلا أنه قال: و حثا عليه بيده من التراب، و قال حين فرغ من دفنه عند رأسه: السلام عليكم.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۸۳

و روى الشافعى عن جعفر بن محمد عن أبيه مرسلا أن النبىّ صلى اللّه عليه و سلم رشّ قبر ابنه إبراهيم و وضع عليه الحصى.

و روى أبو داود فى المراسيل و البيهقى و رجاله ثقات مع إرساله نحوه عن محمد بن عمر بن على، و زاد أنه أول قبر رش عليه، و قال بعد فراغه: سلام عليكم، و لا أعلمه إلا قال: حثا عليه بيده.

و روى ابن زبالة عن قدامة بن موسى أن أول من دفن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بالبقيع عثمان بن مظعون، فلما توفى ابنه إبراهيم قالوا: يا رسول الله أين نحفر له؟ قال: عند فرطنا عثمان بن مظعون.

و روى أبو غسان عن أبى سلمة بن عبد الرحمن عن أبيه قال: لما توفى إبراهيم ابن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم أمر أن يدفن عند عثمان بن مظعون، فرغب الناس فى البقيع، و قطعوا الشجر، فاختارت كل قبيلة ناحية، فمن هنالك عرفت كل قبيلة مقابرها.

و روى ابن شبة عن قدامة بن موسى قال: قال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم «ادفنوا عثمان بن مظعون بالبقيع يكون لنا سلفا، فنعم السلف سلفنا عثمان بن مظعون».

و عنه أيضا: كان البقيع غرقدا، فلما هلك عثمان بن مظعون دفن بالبقيع، و قطع الغرقد عنه، و قال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم للموضع الذى دفن فيه عثمان: هذه الرّوحاء، و ذلك كل ما حازت الطريق من دار محمد بن زيد إلى زاوية دار عقيل اليمانية، ثم قال النبى صلى اللّه عليه و سلم: هذه الروحاء، للناحية الأخرى، فذلك كل ما حازت الطريق من دار محمد بن زيد إلى أقصى البقيع يومئذ.

قلت: قد تلخص لنا أن دار عقيل كان بالمشهد المعروف به، و دار محمد بن زيد فى شرقيها و شرقى مشهد سيدنا إبراهيم؛ فالروحاء الأولى ما بين المشهدين و تمتد إلى شرقى مشهد سيدنا إبراهيم، و الثانية فى شرقى الأولى إلى أقصى البقيع، و الأولى هى المرادة بما سيأتى فى قبر أسعد بن زرارة من قول أبى غسان، و الروحاء: المقبرة التى وسط البقيع يحيط بها طرق مطرقة وسط البقيع، و كأنها اشتهرت بذلك دون ثانية لاقتصاره على الأولى.

و روى ابن زبالة عن عبيد الله بن أبى رافع قال: بلغنى أن إبراهيم ابن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم لما مات قالوا: يا رسول الله، أين ندفن إبراهيم؟ قال: عند فرطنا عثمان بن مظعون، و دفن عثمان بن مظعون عند كتاب بنى عمرو بن عثمان.

و روى ابن شبة عن محمد بن عبد الله بن سعيد بن جبير قال: دفن إبراهيم ابن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بالزوراء موضع السقاية التى على يسار من سلك البقيع مصعدا إلى جنب دار محمد بن زيد بن علىّ.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۸۴

و عن سعيد بن جبير قال: رأيت قبر إبراهيم ابن النبى صلى اللّه عليه و سلم فى الزوراء؛ فيستفاد منه تسمية ذلك الموضع بالزوراء أيضا.

و روى ابن زبالة عن سعيد بن محمد بن جبير أنه رأى قبر إبراهيم عند الزوراء.

قال عبد العزيز بن محمد: و هى الدار التى صارت لمحمد بن زيد بن على.

و عن جعفر بن محمد أن قبر إبراهيم و جاه دار سعيد بن عثمان التى يقال لها الزوراء بالبقيع، فهدمت مرتفعا عن الطريق.

و عن قدامة قال: دفن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم إبراهيم ابنه إلى جنب عثمان بن مظعون، و قبره حذاء زاوية دار عقيل بن أبى طالب من ناحية دار محمد بن زيد.

قبر عثمان بن مظعون

و روى ابن شبة عن سعد بن جبير بن مطعم قال: رأيت قبر عثمان بن مظعون عند دار محمد بن على بن الحنفية.

و عن محمد بن قدامة عن أبيه عن جده قال: لما دفن النبىّ صلى اللّه عليه و سلم عثمان بن مظعون أمر بحجر فوضع عند رأسه، قال قدامة: فلما صفق البقيع وجدنا ذلك الحجر، فعرفنا أنه قبر عثمان بن مظعون. قال عبد العزيز بن عمران: و سمعت بعض الناس يقول: كان عند رأس عثمان بن مظعون و رجليه حجران.

و عن شيخ من بنى محزوم يدعى عمر قال: كان عثمان بن مظعون أول من مات من المهاجرين، فقالوا: يا رسول الله أين ندفنه؟ قال: بالبقيع، قال: فلحد له رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، و فضل حجر من حجارة لحده، فحمله رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فوضعه عند رجليه، فلما ولى مروان بن الحكم المدينة مرّ على ذلك الحجر فأمر به فرمى به، و قال: و الله لا يكون على قبر عثمان بن مظعون حجر يعرف به، فأتته بنو أمية فقالوا: بئس ما صنعت، عمدت إلى حجر وضعه النبى صلى اللّه عليه و سلم فرميت به، بئس ما عملت، فمر به فليرد، فقال: أما و الله إذ رميت به فلا يرد.

و سيأتى فى قبر عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه من رواية ابن زبالة أن مروان جعل ذلك الحجر على قبر عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه.

و روى أبو داود بإسناد حسن عن المطلب بن عبد الله بن حنطب، و لم يسم الصحابى الذى حدثه، قال: لما مات عثمان بن مظعون أخرج بجنازته فدفن، فأمر النبى صلى اللّه عليه و سلم أن يأتى بحجر فلم يستطع حمله، فقام إليه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و حسر عن ذراعيه- قال المطلب: قال الذى يخبرنى: كأنى أنظر إلى بياض ذراعى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم حين حسر عنهما- ثم حمله فوضعه عند رأسه، و قال: أتعلم به قبر أخى، و أدفن إليه من مات من أهلى.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۸۵

و رواه ابن شبة و ابن ماجه و ابن عدى عن أنس و الحاكم عن أبى رافع.

و روى ابن زبالة عن عائشة بنت قدامة قالت: كان القائم يقوم عند قبر عثمان بن مظعون فيرى بيت النبى صلى اللّه عليه و سلم، ليس دونه حجاب.

قبر رقية بنت رسول الله صلى اللّه عليه و سلم

روى الطبرانى برجال ثقات، و فى بعضهم خلاف، عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى حديث قال فيه: فلما ماتت رقية بنت رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قال: الحقى بسلفنا عثمان بن مظعون.

و رواه ابن شبة، و لفظه: لما ماتت رقية بنت رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: الحقى بسلفنا الخير عثمان بن مظعون، قال: و بكى النساء، فجعل عمر يضربهن بسوطه، فأخذ النبى صلى اللّه عليه و سلم بيده و قال: دعهن يا عمر، و إياكن و نعيق الشيطان فإنه مهما يكن من العين و القلب فمن الله و من الرحمة، و مهما يكن من اللسان و من اليد فمن الشيطان، قال:

فبكت فاطمة رضى الله تعالى عنها على شفير القبر، فجعل النبى صلى اللّه عليه و سلم يمسح الدموع عن عينها بطرف ثوبه.

قال ابن شبة عقبه: و روى خلافه، أى من حيث حضوره صلى اللّه عليه و سلم لذلك، ثم روى عن عروة أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم خلّف عثمان بن عفان و أسامة بن زيد على رقية و هى وجعة أيام بدر.

و عن الزهرى أن يزيد بن حارثة جاء بشيرا بوقعة بدر، و عثمان قائم على قبر رقية يدفنها.

قلت: هذا هو المشهور، و الثابت فى الصحيح أنه صلى اللّه عليه و سلم حضر دفن ابنته أم كلثوم زوجة عثمان رضى الله تعالى عنه، فلعل الخبر الأول فيها، أو فى زينب أختها، فإنها توفيت سنة ثمان بالمدينة، و الظاهر أنهن جميعا عند عثمان بن مظعون؛ لما تقدم من قوله صلى اللّه عليه و سلم: «و أدفن إليه من مات من أهلى» و يحتمل أن بعضهن هى التى وجد قبرها عند حفر الدعامة التى أمام المصلى الشريف، كما سيأتى فى قبر فاطمة الزهراء، و حصل الوهم فى نسبته لفاطمة، و الله أعلم.

قبر فاطمة بنت أسد رضى الله تعالى عنها أم على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه

روى ابن زبالة عن محمد بن عمر بن على بن أبى طالب قال: دفن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فاطمة بنت أسد بن هاشم، و كانت مهاجرة مبايعة، بالرّوحاء مقابل حمام أبى قطيفة، قال:

و ثمّ قبر إبراهيم ابن النبى صلى اللّه عليه و سلم و قبر عثمان بن مظعون.

و سيأتى ما نقله ابن شبة فى قبر العباس من قول عبد العزيز بن عمران: إنه دفن عند قبر فاطمة بنت أسد بن هاشم فى أول مقابر بنى هاشم التى فى دار عقيل.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۸۶

قلت: و هذا كله صريح فى مخالفة ما عليه الناس اليوم من أن قبرها فى المشهد الآتى ذكره، و أول من ذكر أنها بذلك المشهد ابن النجار، و تبعه من بعده، و لم أقف له على مستند فى ذلك، و الأثبت عندى ما هنا؛ إذ يبعد أن يدفنها النبى صلى اللّه عليه و سلم بذلك الموضع القاصى و يترك ما قرب من عثمان بن مظعون و قد قال: «و أدفن إليه من مات من أهلى»، و أيضا فلا يظهر أن الموضع المعروف بمشهدها من البقيع؛ لأن مشهد عثمان كما سيأتى ليس من البقيع، و هذا المشهد بطرف زقاق فى شاميه إلى المشرق.

فإن قيل: النخيل التى تقابل هذا المشهد قال ابن النجار: إنها تعرف بالحمام، و قد قال فى الرواية الأولى «مقابل حمام أبى قطيفة».

قلت: الظاهر أن ذلك منشأ الوهم فى ذلك، و بقية الرواية المذكورة.

و ما نقله ابن شبة يدفع ذلك و يبين أن المراد موضع كان يعرف بحمام أبى قطيفة بجهة مشهد سيدنا إبراهيم، و كأن ابن النجار لم يقف إلا على صدر الرواية الأولى؛ فإنه قال: قبر فاطمة بنت أسد و عليها قبة فى آخر البقيع، ثم ذكر صدر الرواية الأولى إلى قوله: مقابل حمام أبى قطيفة، ثم قال: و اليوم يقابلها نخل يعرف بالحمام، انتهى.

على أن النخيل التى بقرب هذا المشهد هى التى تقابله من جهة المشرق و الشام، و إنما يعرف قديما و حديثا بالخضارى، و إنما يعرف بالحمام النخل الذى فى شامى مشهد سيدنا إبراهيم عند الكومة، و هو بعيد من المشهد المعروف بفاطمة، و إن كان فى جهة مقابلته من المغرب، و من تأمل ذلك علم أن التعريف به لما هو فى جهة مشهد سيدنا إبراهيم أقرب، فهو شاهد لنا، و أيضا فاسم الحمام مذكور لمواضع بالمدينة، و لهذا أضافه إلى أبى قطيفة.

و قد روى ابن زبالة أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم مر بموضع حمام عبيد الله بن حسين الذى اشترى محمد بن زيد، فقدمه إلى البقيع قليلا، فقال: نعم موضع الحمام.

القبور التى نزلها الرسول صلى اللّه عليه و سلم

و نقل ابن شبة عن عبد العزيز بن عمران ما حاصله أن النبى صلى اللّه عليه و سلم لم ينزل فى قبر أحد قط إلا خمسة قبور، ثلاث نسوة و رجلين، منها قبر خديجة بمكة، و أربع بالمدينة: قبر ابن خديجة كان فى حجر النبى صلى اللّه عليه و سلم و تربيته، و هو على قارعة الطريق بين زقاق عبد الدار و بين البقيع الذى يتدافن فيه بنو هاشم، و قبر عبد الله المزنى الذى يقال له ذو البجادين، و قبر أم رومان أم عائشة بنت أبى بكر، و قبر فاطمة بنت أسد أم علىّ، فأما ذو البجادين فإن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم لما أقبل مهاجرا و سلك ثنية الغابر و عرت عليه الطريق و غلظت، فأبصره ذو البجادين فقال لأبيه: دعنى أدلهم على الطريق، فأبى، فنزع ثيابه و تركه عريانا، فاتخذ عبد الله بجادا من شعر فطرحه على عورته، ثم عدا نحوهم، فأخذ بزمام راحلة رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، ثم ذكر قدومه مع رسول الله صلى اللّه عليه و سلم المدينة موته و دفنه.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۸۷

ثم قال: و أما قبر فاطمة بنت أسد أم علىّ بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهما فإن عبد العزيز حدث، و ذكر سنده إلى محمد بن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهما، قال: لما استقر بفاطمة و علم بذلك رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قال: إذا توفيت فأعلمونى، فلما توفيت خرج رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، فأمر بقبرها فحفر فى موضع المسجد الذى يقال له اليوم قبر فاطمة، ثم لحد لها لحدا، و لم يضرح لها ضريحا، فلما فرغ منه نزل فاضطجع فى اللحد، و قرأ فيه القرآن، ثم نزع قميصه فأمر أن تكفّن فيه، ثم صلى عليها عند قبرها، فكبر تسعا و قال: ما أعفى أحد من ضغطه القبر إلا فاطمة بنت أسد، قيل: يا رسول الله و لا القاسم؟ قال: و لا إبراهيم، و كان إبراهيم أصغر هما.

قلت: و قوله فى موضع المسجد إلى آخره يقتضى أنه كان على قبرها مسجد يعرف به فى ذلك الزمان.

و روى ابن شبة عن جابر بن عبد الله قال: بينا نحن جلوس مع رسول الله صلى اللّه عليه و سلم إذ أتاه آت فقال: يا رسول الله، إن أم على و جعفر و عقيل قد ماتت، فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: قوموا إلى أمى، فقمنا و كأن على رءوس من معه الطير، فلما انتهينا إلى الباب نزع قميصه فقال:

إذا غسلتموها فأشعروها إياه تحت أكفانها، فلما خرجوا بها جعل رسول الله صلى اللّه عليه و سلم مرة يحمل، و مرة يتقدم، و مرة يتأخر، حتى انتهينا إلى القبر فتمعّك فى اللحد ثم خرج فقال: ادخلوها باسم الله و على اسم الله، فلما أن دفنوها قام قائما فقال: جزاك الله من أم و ربيبة خيرا، فنعم الأم و نعم الربيبة كنت لى، قال: فقلنا له أو قيل له: يا رسول الله لقد صنعت شيئين ما رأيناك صنعت مثلهما قط، قال: ما هو؟ قلنا: نزعك قميصك و تمعككك فى اللحد، قال: أما قميصى فأريد أن لا تمسها النار أبدا إن شاء الله تعالى، و أما تمعكى فى اللحد فأردت أن يوسّع الله عليها فى قبرها.

و روى ابن عبد البر عن ابن عباس قال: لما ماتت فاطمة أمّ على بن أبى طالب ألبسها رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قميصه، و اضطجع معها فى قبرها، فقالوا: ما رأيناك صنعت ما صنعت بهذه فقال: إنه لم يكن أحد بعد أبى طالب أبرّ لى منها، إنما ألبستها قميصى لتكسى من حلل الجنة، و اضطجعت معها ليهون عليها.

و فى الكبير و الأوسط بسند فيه روح بن صلاح وثّقه ابن حبّان و الحاكم و فيه ضعف، و بقية رجاله رجال الصحيح، عن أنس بن مالك قال: لما ماتت فاطمة بنت أسد دخل عليها رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، فجلس عند رأسها، فقال: رحمك الله يا أمى بعد أمى، و ذكر ثناءه عليها و تكفينها ببرده، قال: ثم دعا رسول الله صلى اللّه عليه و سلم أسامة بن زيد و أبا أيوب الأنصارى و عمر بن الخطاب و غلاما أسود يحفرون، فحفروا قبرها، فلما بلغوا اللحد حفره رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بيده،

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۸۸

و أخرج ترابه بيده، فلما فرغ دخل رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فاضطجع فيه، ثم قال: الله الذى يحى و يميت و هو حى لا يموت، اغفر لأمى فاطمة بنت أسد، و وسّع عليها مدخلها بحق نبيك و الأنبياء الذين من قبلى، فإنك أرحم الراحمين، و كبر عليها أربعا، فأدخلها اللحد هو و العباس و أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنهم.

قبر عبد الرحمن بن عوف

روى ابن زبالة عن حميد بن عبد الرحمن قال: أرسلت عائشة إلى عبد الرحمن بن عوف حين نزل به الموت أن هلم إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و إلى أخويك، فقال: ما كنت مضيّقا عليك بيتك، إنى كنت عاهدت ابن مظعون أينا مات دفن إلى جانب صاحبه، قالت: فمروا به علىّ، فمروا به عليها فصلّت عليه.

و روى ابن شبة عن حفص بن عثمان بن عبد الرحمن نحوه.

و عن عبد الواحد بن محمد عن عبد الرحمن بن عوف أنه أوصى إن هلك بالمدينة أن يدفن إلى عثمان بن مظعون، فلما هلك حفر له عند زاوية دار عقيل الشرقية، فدفن هناك، عليه ثوب حبرة من العصب، أتمارى أن يكون فيه لحمة ذهب أولا.

قبر سعد بن أبى وقّاص

روى ابن شبة عن ابن دهقان قال: دعانى سعد بن أبى وقاص فخرجت معه إلى البقيع، و خرج بأوتاد، حتى إذا جاء من موضع زاوية عقيل الشرقية الشامية أمرنى فحفرت، حتى إذا بلغت باطن الأرض ضرب فيها الأوتاد ثم قال: إن هلكت فادللهم على هذا الموضع يدفنونى به، فلما هلك قلت ذلك لولده، فخرجنا حتى دللتهم على ذلك الموضع، فوجدوا الأوتاد، فحفروا له هناك و دفنوه.

قبر عبد الله بن مسعود

روى ابن سعد فى طبقاته عن أبى عبيدة بن عبد الله أن ابن مسعود قال: ادفنونى عند قبر عثمان بن مظعون.

و عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال: مات عبد الله بن مسعود بالمدينة، و دفن بالقيع، سنة اثنتين و ثلاثين.

قبر خنيس بن حذاقة السهمى

كان زوج حفصة بنت عمر قبل رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، و هو من المهاجرين الأولين أصحاب الهجرتين، نالته جراحة يوم أحد، فمات بسببها بالمدينة.

قال أبو عبد الله محمد بن يوسف الزرندى المدنى فى سيرته: توفى فى السنة الثالثة من الهجرة، و دفن عند عثمان بن مظعون، قال: و كان عثمان بن مظعون توفى قبله فى شعبان

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۸۹

من السنة المذكورة، و نقل ابن الجوزى أن عثمان توفى فى السنة الثانية، اه. و ما قدمناه من موت خنيس بعد أحد من جراحة نالته يوم أحد هو ما جزم به ابن عبد البر، و تبعه عليه الذهبى، و يشكل عليه ما سبق فى الفصل الثانى عشر من الباب الثالث من أن أحدا كانت فى شوال سنة ثلاث باتفاق الجمهور، و قيل: أربع، و أنه صلى اللّه عليه و سلم تزوج بحفصة بنت عمر فى شعبان من السنة الثالثة على الأصح، و قيل: فى الثانية؛ فلا يصح ما جزم به ابن عبد البر، إلا أن يكون خنيس قد طلقها كما أشار إليه الذهبى، لكن قد و هم الحفّاظ ابن عبد البر فى قوله «إن خنيسا استشهد بأحد بسبب تلك الجراحة» و إنما توفى قبلها بالمدينة، قال ابن سيد الناس: المعروف

أنه مات بالمدينة على رأس خمس و عشرين شهرا، و ذلك بعد رجوعه من بدر، اه.

قبر أسعد بن زرارة أحد بنى غنم بن مالك بن النجار

شهد العقبتين كما تقدم، و توفى فى الأولى من الهجرة و المسجد يا بنى

قال ابن شبة: قال أبو غسان: و أخبرنى بعض أصحابنا قال: لم أزل أسمع أن قبر عثمان بن مظعون و أسعد بن زرارة بالروحاء من البقيع، و الروحاء: المقبرة التى بوسط البقيع يحيط بها طرق مطرقة وسط البقيع.

قلت: فينبغى أن يسلّم على هؤلاء كلهم عند زيارة مشهد سيدنا إبراهيم بالبقيع.

قبر فاطمة بنت الرسول صلى اللّه عليه و سلم

بيان قبر فاطمة بنت رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، و بنيها، و من عرفت جهة قبره بالبقيع من بنى هاشم، و أمها المؤمنين، و غيرهم.

روى ابن شبة عن محمد بن على بن عمر أنه كان يقول: إن قبر فاطمة بنت رسول الله صلى اللّه عليه و سلم زاوية دار عقيل اليمانية الشارعة فى البقيع.

و عن منبوذ بن حويطب و الفضل بن أبى رافع أن قبرها و جاه زقاق نبيه، و أنه إلى زاوية دار عقيل أقرب.

و عن عمر بن علىّ بن حسين بن علىّ أن قبرها حذو الزقاق الذى يلى زاوية دار عقيل، قال غسان بن معاوية بن أبى مزرّد: إنه ذرع من حيث أشار له عمر بن على فوجده خمسة عشر ذراعا إلى القناة.

و عن عمر بن عبد الله مولى عفرة أن قبرها حذو زاوية دار عقيل مما يلى دار نبيه.

و عن عبد الله بن أبى رافع أن قبرها مخرج الزقاق الذى بين دار عقيل و دار أبى نبيه.

و ذكر إسماعيل راوية أنه ذرع الموضع الذى ذكر له أبوه فوجد بين القبر و بين القناة التى فى دار عقيل ثلاثة و عشرين ذراعا، و بين القناة الأخرى سبعة و ثلاثين ذراعا.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۹۰

قال أبو غسان: و أخبرنى مخبر ثقة قال: يقال: إن المسجد الذى يصلى إلى جنبه شرقيا على جنائز الصبيان كان خيمة لامرأة سوداء يقال لها رقية، جعلها هناك حسين بن على تبصر قبر فاطمة، و كان لا يعرف قبر فاطمة غيرها.

قال: و أخبرنى عبد العزيز بن عمران عن حماد بن عيسى عن جعفر بن محمد عن أبيه قال: دفن على فاطمة ليلا فى منزلها الذى دخل فى المسجد، فقبرها عند باب المسجد المواجه دار أسماء بنت حسين بن عبد الله، أى و هو الباب الذى كان فى شامى باب النساء فى المشرق كما تقدم.

قال ابن شبة عقبه: و أظن هذا الحديث غلطا؛ لأن الثبت جاء فى غيره.

ثم روى بسند جيد عن فائد مولى عبادل، و هو صدوق، أن عبيد الله بن على أخبره عمن مضى من أهل بيته أن الحسن بن علىّ قال: ادفنونى فى المقبرة إلى جنب أمى، فدفن فى المقبرة إلى جنب فاطمة مواجه الخوخة التى فى دار نبيه بن وهب، طريق الناس بين قبرها و بين خوخة نبيه، أظن الطريق سبعة أذرع.

قال فائد: و قال لى منقد الحفار: إن فى المقبرة قبرين مطابقين بالحجارة، قبر حسن بن على و قبر عائشة زوجة النبى صلى اللّه عليه و سلم، فنحن لا نحركها، فلما كان زمن حسن بن زيد و هو أمير على المدينة استعدى بنو محمد بن عمر بن على بن أبى طالب على آل عقيل فى قناتهم التى فى دورهم الخارجية فى المقبرة، و قالوا: إن فاطمة رضى الله تعالى عنها عند هذه القناة، فاختصموا إلى حسن،

فدعانی حسن فسألنی فأخبرته عن عبيد الله بن أبی رافع و من بقی من أهلی و عن حسن بن علی و قوله «ادفنونی إلی جنب أمی» ثم أخبرته عن منقد الحفار و عن قبر الحسن أنه رآه مطابقا، فقال حسن بن زيد: أنا علی ما تقول، و أقر قناة آل عقيل.

ثم ذكر ابن شبة أن أبا غسان حدثه عن عبد الله بن إبراهيم بن عبيد الله أن جعفر بن محمد كان يقول: قبر فاطمة فی بيتها الذی أدخله عمر بن عبد العزيز فی المسجد، قال:

و وجدت كتابا كتب عن أبی غسان فيه أن عبد العزيز بن عمران كان يقول: إنها دفنت فی بيتها، و صنع بها ما صنع برسول الله صلی اللّه عليه و سلم، إنها دفنت فی موضع فراشها، و يحتج بأنها دفنت ليلا، و لم يعلم بها كثير من الناس.

ثم أشار ابن شبة إلی رد ذلك بما حدثه أبو عاصم النبيل قال: حدثنا كهمس بن الحسن قال: حدثنی يزيد قال: كمدت فاطمة رضی الله تعالی عنها بعد وفاة أبيها صلی اللّه عليه و سلم سبعين بين يوم و ليلة، فقالت: إنی لأستحيی من جلالة جسمی إذا أخرجت علی الرجال غدا، و كانوا يحملون الرجال كما يحملون النساء فقالت أسماء بنت عميس أو أم سلمة: إنی رأيت شيئا يصنع بالحبشة، فصنعت النعش، فاتخذ بعد ذلك سنة.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفی، ج۳، ص: ۹۱

و سيأتی من رواية ابن عبد البر ما يؤيده.

و روی ابن شبة عن سلمی زوج أبی رافع قالت: اشتكت فاطمة بنت رسول الله صلی اللّه عليه و سلم، فأصبحت يوما كأمثل ما كانت تكون، و خرج علی فقالت: يا أمتاه اسكبی لی غسلا، ثم قامت فاغتسلت كأحسن ما كانت تغتسل ثم قالت: هات ثيابی الجدد، فأعطتها إياها، فلبستها ثم جاءت إلی البيت الذی كانت فيه فقالت: قدّمی الفراش إلی وسط البيت، فقدّمته فاضطجعت و استقبلت القبلة و وضعت يدها تحت خدها ثم قالت: يا أمتاه إنی مقبوضة الآن، و إنی قد اغتسلت فلا يكشفنی أحد، قال: فقبضت مكانها، و جاء علیّ فأخبرته فقال:

لا جرم و الله لا يكشفها أحد، فحملها بغسلها ذلك فدفنها.

ثم روی ابن شبة عقبه عن أسماء بنت عميس قالت: غسلت أنا و علی ابن أبی طالب بنت رسول الله صلی اللّه عليه و سلم.

و روی البيهقی بإسناد حسن عن أسماء بنت عميس أن فاطمة أوصت أن تغسلها هی و علی، فغسلاها.

ثم تعقبه بأن هذا فيه نظر؛ لأن أسماء فی هذا الوقت كانت عند أبی بكر الصديق، و قد ثبت أن أبا بكر لم يعلم بوفاة فاطمة؛ لما فی الصحيح أن عليا دفنها ليلا، و لم يعلم أبا بكر، فكيف يمكن أن تغسلها زوجته و هو لا يعلم؟

و أجاب فی الخلافيات باحتمال أن أبا بكر علم بذلك، و أحبّ أن لا يرد غرض علی فی كتمانه منه، قال الحافظ ابن حجر: و يمكن أن يجمع بأن أبا بكر علم بذلك و ظن أن عليا سيدعوه لحضور دفنها ليلا، و ظن علی أنه يحضر من غير استدعاء منه.

و قد احتج بحديث بنت عميس هذا أحمد و ابن المنذر، و فی جزمهما بذلك دليل علی صحته عندهما فيبطل ما روی أنها غسلت نفسها و أوصت أن لا يعاد غسلها.

و قد رواه أحمد، و أورده ابن الجوزی فی الموضوعات، و أفحش القول فی ابن إسحاق راويه.

و تولی ردّ ذلك عليه ابن عبد الهادی فی التنقيح.

قلت: و علی كل تقدير فحديث بنت عميس أرجح؛ للأدلة الدالة علی وجوب غسل الميت مطلقا، و ليس فی حديث الصحيح أن أبا بكر ما علم بوفاة فاطمة، بل أن عليا دفنها و لم يعلمه.

و قد روی ابن عبد البر خبر أسماء بأتمّ من ذلك، و فيه علم أبی بكر بموتها، و ذلك من طريق عون بن محمد بن علی بن أبی طالب عن أمه أم جعفر بنت محمد بن جعفر.

و عن عمارة بن المهاجر عن أم جعفر أن فاطمة بنت رسول الله صلی اللّه عليه و سلم قالت لأسماء بنت

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۹۲

عميس: يا أسماء، إنى قد استقبحت ما يصنع بالنساء إنه يطرح على المرأة الثوب فيصفها، قالت أسماء: يا ابنة رسول الله أ لا أريك شيئا رأيته بأرض الحبشة؟ فدعت بجرائد رطبة فحنتها ثم طرحت عليها ثوبها، فقالت فاطمة: ما أحسن هذا و أجمله؟ تعرف به المرأة من الرجل، فإذا أنا متّ فاغسلينى أنت و على، و لا تدخلى علىّ أحدا، فلما توفيت جاءت عائشة تدخل فقالت أسماء: لا تدخلى فشكت إلى أبى بكر قالت: إن هذه الخثعمية تحول بيننا و بين بنت رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، و قد جعلت لها مثل هودج العروس فجاء أبو بكر فوقف على الباب فقال: يا أسماء، ما حملك على أن منعت أزواج النبى صلى اللّه عليه و سلم أن يدخلن على بنت رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و جعلت لها مثل هودج العروس؟ فقالت: أمرتنى أن لا يدخل عليها أحد، و أريتها هذا الذى صنعت و هى حية فأمرتنى أن أصنع ذلك لها، قال أبو بكر: فاصنعى ما أمرتك، ثم انصرف، و غسلها على و أسماء رضى الله تعالى عنهما.

و قد خرّج الدولابى معنى ذلك مختصرا، و فيه أنها لما أرتها النعش تبسمت، و ما رؤيت متبسمة- يعنى بعد النبى صلى اللّه عليه و سلم- إلا يومئذ.

و خرج أيضا أن الوصية كانت إلى علىّ بأن يغسلها هو و أسماء، و يجوز أن تكون أوصت إلى كل منهما.

قال ابن عبد البر: فاطمة أول من غطى نعشها من النساء فى الإسلام على الصفة المذكورة فى الخبر المتقدم، ثم بعدها زينب بنت جحش صنع بها ذلك. و توفيت فاطمة يوم الثلاثاء لثلاث خلت من شهر رمضان سنة إحدى عشرة، و كانت أشارت على زوجها أن يدفنها ليلا.

قلت: لعلها أرادت بذلك المبالغة فى التستر، و هو السبب فى عدم إعلام أبى بكر رضى الله تعالى عنه. و يتأيد بذلك رواية دفنها بالبقيع، و هو مقتضى صنيع ابن زبالة فى إيراد الروايات الدالة على ذلك.

قبر بعض أبناء الإمام على بن أبى طالب

و قال المسعودى فى مروج الذهب: إن أبا عبد الله جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على رضى الله تعالى عنهم توفى سنة ثمان و أربعين و مائة، و دفن بالبقيع مع أبيه و جده، قال: و على قبورهم فى هذا الموضع من البقيع رخامة عليها مكتوب: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله مبيد الأمم، و محيى الرمم، هذا قبر فاطمة بنت رسول الله صلى اللّه عليه و سلم سيدة نساء العالمين، و قبر الحسن بن على، و على بن الحسين بن على، و قبر محمد بن على، و جعفر بن محمد، عليهم السلام، انتهى. و ذكر ما يقتضى أنه حين ذكر هذا كان فى سنة اثنتين و ثلاثين و ثلاثمائة.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۹۳

المتوكل يأمر بهدم قبر الحسين بن على

و إنما أوجب عدم العلم بعين قبر فاطمة رضى الله تعالى عنها و غيرها من السلف ما كانوا عليه من عدم البناء على القبور و تجصيصها، مع ما عرض لأهل البيت رضى الله تعالى عنهم من معاداة الولاة قديما و حديثا، حتى ذكر المسعودى أن المتوكل أمر فى سنة ست و ثلاثين و مائتين المعروف بالزبرج بالمسير إلى قبر الحسين بن على رضى الله تعالى عنهما و محو أرضه و هدمه و إزالة أثره، و أن يعاقب من وجد به، فبذل الرغائب لمن يقدم على ذلك، فكل خشى عقوبة الله فأحجم، فتناول الزبرج مسحاة و هدم أعالى قبر الحسين، فحينئذ أقدم الفعلة على العمل فيه، و انتهوا إلى الحفيرة و موضع اللحد فلم يجدوا فيه أثر رمّة و لا غيرها، و لم يزل الأمر على ذلك حتى استخلف المنتصر، انتهى.

و يتلخص مما تقدم أن المعتمد أن قبرها بالبقيع عند قبر الحسن، و قيل: فى بيتها، و يتفرع عليه قولان: أحدهما ما تقدم عن عبد العزيز من أن محله من المسجد ما يقابل الباب الذى يواجه دار أسماء بنت حسين، يعنى شامى باب النساء و هو بعيد جدّا، و ثانيهما حكاه العز بن جماعة و قال: إنه أظهر الأقوال، و هو أنه فى بيتها، و هو مكان المحراب الخشب الذى داخل مقصورة الحجرة الشريفة من خلفها، و قد رأيت خدّام الحجرة يجتنبون دوس ما بين المحراب المذكور و بين الموضع المزور من الحجرة الشريفة الشبيه بالمثلث، و يزعمون أنه قبر فاطمة رضى الله تعالى عنها.

و قد سبق فى الفصل التاسع و العشرين من الباب الرابع أنهم لما أسّسوا دعائم القبة الكبرى المحاذية لأعلى الحجرة الشريفة أسسوا أسطوانة هناك زادوها عند الصفحة الشرقية من الموضع الشبيه بالمثلث خلف الحجرة، فوجدوا قبرا بدا لحده و بعض عظامه، و حصل للناس فى ذلك اليوم أمر عظيم و مشقة زائدة فيما أخبرنى به شيخ الخدام السيفى قائم و غيره.

و حكى ابن جماعة فى قبر فاطمة رضى الله تعالى عنها قولين آخرين: أحدهما: أنه الصندوق الذى أمام مصلى الإمام بالروضة الشريفة، قال: و هو بعيد جدّا.

قلت: لم أقف له على أصل، و لعله اشتبه على قائله بالمحراب المتقدم ذكره فى بيتها؛ لأن عنده مصلى شبه حوض كالمصلى بالروضة، و أمامه صندوق هو المحراب المذكور، لكن سبق فى الفصل الثالث من الباب الرابع أنهم لما أسسوا فى محل الصندوق المحترق الدعامة التى بها محراب المصلى النبوى، و هو مصلى الإمام، وجدوا هناك قبرا بدا لحده مسدودا باللبن أخرجوا منه بعض العظام، و أن الأقدمين حرفوا أساس الأسطوانة التى عنده عنه، فالله أعلم.

و ثانيهما: أنه بالمسجد المنسوب إليها بالبقيع، يعنى الذى بالقرب من قبة العباس رضى الله تعالى عنه من جهة القبلة جانحا إلى المشرق.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۹۴

و قد ذكر الغزالى هذا المسجد فى زيارة البقيع فقال: و يستحب له أن يخرج كلّ يوم إلى البقيع بعد السلام على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، و ذكر القبور التى تزار، و قال عند ذكر قبر الحسن:

و يصلى فى مسجد فاطمة، و ذكره أيضا غيره.

و قال: إنه المعروف ببيت الحزن؛ لأن فاطمة رضى الله تعالى عنها أقامت به أيام حزنها على أبيها صلى اللّه عليه و سلم، و لم يذكر دفنها به، و القول بذلك من فروع القول بدفنها بالبقيع، لكنه بعيد من الروايات السابقة لبعده جدّا من دار عقيل و عن قبر الحسن.

و قال المحب الطبرى فى «ذخائر العقبى، فى فضائل ذوى القربى»: أخبرنى أخ لى فى الله أن الشيخ أبا العباس المرسى رحمه الله تعالى كان إذا زار البقيع وقف أمام قبلة قبة العباس و سلم على فاطمة عليها السلام، و يذكر أنه كشف له عن قبرها هناك.

قال الطبرى: فلم أزل أعتقد ذلك لاعتقادى صدق الشيخ، حتى وقفت على ما ذكره ابن عبد البر من أن الحسن لما توفى دفن إلى جنب أمه فاطمة رضى الله تعالى عنها، فازددت يقينا.

قلت: و هو أرجح الأقوال، و الله أعلم.

قبر ابنها الحسن بن على، و من معه

و ما روى من نقل بدن على و رأس الحسين إلى البقيع رضى الله تعالى عنهم.

و روى ابن شبة عن فائد مولى عبادل أن عبيد الله بن على أخبره عمن مضى من أهل بيته أن حسن بن على رضى الله تعالى عنهما أصابه بطن، فلما حزبه و عرف من نفسه الموت أرسل إلى عائشة رضى الله تعالى عنهما أن تأذن له أن يدفن مع رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، فقالت له:

نعم، ما كان بقى إلا موضع قبر واحد، فلما سمعت بذلك بنو أمية استلأموا هم و بنو هاشم للقتال، و قالت بنو أمية: و الله لا يدفن فيه أبدا، فبلغ ذلك حسن بن على رضى الله تعالى عنهما، فأرسل إلى أهله أما إذا كان هذا فلا حاجة لى به، ادفنونى فى المقبرة إلى جنب أمى فاطمة، فدفن فى المقبرة إلى جنب فاطمة رضى الله تعالى عنها.

و عن نوفل بن الفرات نحوه، و فيه أن الحسن قال للحسين: لعل القوم أن يمنعوك إذا أردت ذلك كما منعنا صاحبهم عثمان بن عفان، و مروان بن الحكم يومئذ أمير على المدينة، و قد كانوا أرادوا دفن عثمان فى البيت فمنعوهم، فإن فعلوا فلا تلاحهم فى ذلك و ادفنّى فى بقيع الغرقد، ثم ذكر منع مروان، و أن الحسين لما بلغه ذلك استلأم فى الحديد و استلأم مروان فى الحديد أيضا، فأتى رجل حسينا فقال: يا أبا عبد الله، أ تعصى أخاك فى نفسه قبل أن تدفنه؟ قال: فوضع سلاحه، و دفنه فى بقيع الغرقد.

و فى رواية لابن عبد البر أنهم لما استلأموا فى السلاح بلغ ذلك أبا هريرة رضى الله

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۹۵

تعالى عنه، فقال: و الله ما هو إلا- ظلم، يمنع الحسن أن يدفن مع أبيه؟ و الله إنه لابن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، ثم انطلق إلى الحسين و كلمه و ناشده الله و قال له: أ ليس قد قال أخوك إن خفت أن يكون قتال فردونى إلى مقبرة المسلمين؟ فلم يزل به حتى فعل.

تسمية من دفن مع الحسن

و ذكر ابن النجار أن مع الحسن رضى الله تعالى عنه فى قبره ابن أخيه زين العابدين على بن الحسين، و أبا جعفر الباقر محمد بن زين العابدين، و جعفرا الصادق ابن الباقر، رضوان الله عليهم أجمعين. و ذكر الغزالى نحوه.

دفن على بالبقيع

و روى الزبير بن بكار من طريق شريك بن عبد الله عن أبى روق قال: حمل الحسن بدن على بن أبى طالب فدفنه بالبقيع.

قلت: و قد اتفق فى سنة بضع و ستين و ثمانمائة حفر قبر بمشهد الحسن و العباس أمام قبلته، فوجدوا فسقية فيها تابوت من خشب مغشّى بشىء أحمر يشبه اللباد الأحمر مسمر بمسامير لها بريق و بياض لم تصدأ، و تعجب الناس لكونها لم تصدأ و لعدم بلاء ذلك الغشاء.

و أخبرنى جمع كثير ممن شاهد ذلك، و أن على مدخل تلك الفسقية أحجارا من المسن، فلعله بدن على رضى الله تعالى عنه.

دفن رأس الحسين بن على

و ذكر محمد بن سعيد أن يزيد بن معاوية بعث برأس الحسين رضى الله تعالى عنه إلى عمرو بن سعيد بن العاص، و كان عامله على المدينة، فكفنه و دفنه بالبقيع عند قبر أمه فاطمة بنت رسول الله صلى اللّه عليه و سلم. لكن ذكر ابن أبى الدنيا أنهم وجدوا فى خزانة ليزيد رأس الحسين فكفنوه و دفنوه بدمشق عند باب الفراديس. و قيل غير ذلك، و لا بأس بالسلام على هؤلاء كلهم عند زيارة هذا المشهد.

قبر العباس بن عبد المطلب رضى الله تعالى عنه

قال ابن شبة فيما نقله عن أبى غسان: قال عبد العزيز: دفن العباس بن عبد المطلب عند قبر فاطمة بنت أسد بن هاشم فى أول مقابر بنى

هاشم التی فی دال عقیل، فیقال: إن ذلک المسجد بنی قبالة قبره، قال: و قد سمعت من یقول: دفن فی موضع من البقیع متوسطا.

قبر صفیة بنت عبد المطلب رضی الله تعالی عنها

قال عبد العزیز فیما نقله ابن شبة: توفیت صفیة فدفنت فی آخر الزقاق الذی یخرج إلی البقیع عند باب الدار التی یقال لها دار المغیرة بن شعبة التی أقطعه عثمان بن عفان لازفا

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفی، ج۳، ص: ۹۶

بجدار الدار، قال عبد العزیز: فبلغنی أن الزبیر بن العوام اجتاز بالمغیرة و هو یا بنی داره، فقال: یا مغیرة ارفع مطمرک عن قبر أمی، فأدخل المغیرة جداره، فالجدار الیوم منحرف فیما بین ذلک الموضع و بین باب الدار.

قال عبد العزیز: و قد سمعت من یذکر أن المغیرة بن شعبة أبی أن یفعل ذلک مکانه من عثمان، فأخذ الزبیر السیف ثم قام علی البناء، فبلغ الخبر عثمان، فأرسل إلی المغیرة یأمره بالمصیر إلی ما أمره به الزبیر، ففعل.

و روی ابن زبالة عن محمد بن موسی بن أبی عبد الله قال: کان قبر صفیة بنت عبد المطلب عند زاویة دار المغیرة بن شعبة الوضوء علیه، فلما بنی المغیرة داره أراد أن یقیم المطمر علیه، قال: فقال الزبیر: لا، و الله لا تبنی علی قبر أمی، فکفّ عنه.

قلت: و المعروف أن ذلک هو المشهد الآتی ذکره خارج باب البقیع، و الله أعلم.

قبر أبی سفیان بن عبد المطلب

قبر أبی سفیان بن الحارث بن عبد المطلب، و ما قیل فی قبر عقیل و ابن أخیه عبد الله بن جعفر، رضی الله تعالی عنهم.

قال ابن شبة: قال عبد العزیز: بلغنی أن عقیل بن أبی طالب رأی أبا سفیان بن الحارث یجول بین المقابر، فقال: یا ابن عمّ مالی أراک هناک؟ قال: أطلب موضع قبر، فأدخله داره و أمر بقبر فحفر فی قاعتها، فقعد علیه أبو سفیان ساعة ثم انصرف، فلم یلبث إلا یومین حتی توفی فدفن فیه.

و قال الموفق بن قدامة: قیل عن أبی سفیان: إنه حفر قبره بنفسه قبل موته بثلاثة أیام، قال: و کان سبب موته أنه حجّ فلما حلق الحلاق رأسه قطع تؤلولا کان فی رأسه، فلم یزل مریضا حتی مات بعد مقدمه من الحج سنة عشرین، و دفن فی دار عقیل، و صلّی علیه عمر رضی الله تعالی عنهم.

قلت: و الظاهر أنه بالمشهد المنسوب الیوم لعقیل؛ لأن ابن زبالة و ابن شبة لم یذکرا قبر عقیل بالبقیع، و کذا الغزالی لما ذکر فی الإحیاء من یزار بالبقیع لم یذکره، بل المنقول الذی ذکره ابن قدامة و غیره أن عقیلا توفی بالشام فی خلافة معاویة، فکان سبب اشتهار ذلک المشهد به کون الدار التی هو بها له؛ و یحتمل علی بعد أنه نقل من الشام و دفن بذلک المحل أیضا، و أول من رأیته ذکر أنه بذلک المشهد ابن النجار، فقال: و قبر عقیل بن أبی طالب أخی علی رضی الله تعالی عنهما فی قبة أول البقیع، و معه فی القبر ابن أخیه عبد الله بن جعفر الطیار بن أبی طالب، و هو الجواد المشهور رضی الله تعالی عنه.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفی، ج۳، ص: ۹۷

قبر عبد اللّه بن جعفر الطیار

و قد ذکر أبو الیقظان أن عبد الله بن جعفر الجواد کان أجود العرب، و أنه توفی بالمدینة و قد کبر، و قال غیره: توفی و دفن بالأبواء سنة تسعین، و یقال: إنه کان ابن عشر سنین حین قبض رسول الله صلی اللّه علیه و سلم.

قبور أزواج النبى صلى اللّه عليه و سلم، و رضى الله تعالى عنهن

روى ابن زبالة عن محمد بن عبيد الله بن على قال: قبور أزواج النبى صلى اللّه عليه و سلم من خوخة نبيه إلى الزقاق الذى يخرج إلى البقال مستطيرة؛ و ترجم ابن شبة لقبر أم حبيبة زوج النبى صلى اللّه عليه و سلم، ثم روى عن زيد بن السائب قال: أخبرنى جدى قال: لما حفر عقيل بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه فى داره بئرا وقع على حجر منقوش مكتوب فيه «قبر أم حبيبة بنت صخر بن حرب» فدفن عقيل البئر، و بنى عليه بيتا، قال ابن السائب: فدخلت ذلك البيت فرأيت فيه ذلك القبر.

قلت: فهذا و ما قبله أصل فى زيارتهن بالمشهد المعروف بهن فى قبلة مشهد عقيل رضى الله عنه، و الظاهر أن خوخة نبيه فى غربى المشهد المذكور، و كذا الزقاق الذى يخرج إلى البقال؛ لما سيأتى فى ترجمته، فيكون بعضهن بقرب الحسن و العباس رضى الله تعالى عنهما، و لهذا روى ابن شبة عن محمد بن يحيى قال: سمعت من يذكر أن قبر أم سلمة رضى الله تعالى عنها بالبقيع حيث دفن محمد بن زيد علىّ قريبا من موضع فاطمة بنت رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، و أنه كان حفر فوجد على ثمانية أذرع حجرا مكسورا مكتوبا فى بعضه «أم سلمة زوج النبى صلى اللّه عليه و سلم» فبذلك عرف أنه قبرها.

و قد أمر محمد بن زيد بن على أهله أن يدفنوه فى ذلك القبر بعينه، و أن يحفروا له عمقا ثمانية أذرع، فحفر كذلك و دفن فيه.

و روى ابن زبالة عن إبراهيم بن على بن حسن الرافعى قال: حفر لسالم البانكى مولى محمد بن علىّ فأخرجوا حجرا طويلا فإذا فيه مكتوب «هذا قبر أم سلمة زوج النبى صلى اللّه عليه و سلم» و هو مقابل خوخة آل نبيه بن وهب، قال: فأهيل عليه التراب و حفر لسالم فى موضع آخر.

و عن حسن بن على بن عبيد الله بن محمد بن عمر بن علىّ أنه هدم منزله فى دار على بن أبى طالب، قال: فأخرجنا حجرا مكتوبا فيه «هذا قبر رملة بنت صخر» قال: فسألنا عنه فائدا مولى عبادل فقال: هذا قبر أم حبيبة ابنة أبى سفيان، و يخالفه ما تقدم من أن قبرها فى دار عقيل، و لعله تصحف بعلى.

و فى صحيح البخارى أن عائشة رضى الله تعالى عنها أوصت عبد الله بن الزبير لا تدفنى معهم، تعنى النبى صلى اللّه عليه و سلم و صاحبيه، و ادفنى مع صواحبى بالبقيع.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۹۸

و روى ابن زبالة عن فائد مولى عبادل قال: قال لى منقد الحفّار: فى المقبرة قبران مطابقان بالحجارة: قبر حسن بن على، و قبر عائشة زوج النبى صلى اللّه عليه و سلم؛ فنحن لا نحركهما.

قلت: و أمهات المؤمنين كلهن بالمدينة، إلا خديجة فبمكة، و إلا ميمونة فبسرف.

قبر أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه

و روى ابن شبة عن الزهرى قال: جاءت أمّ حبيبة بنت أبى سفيان رضى الله تعالى عنهما فوقفت على باب المسجد، فقالت: لتخلّنّ بينى و بين دفن هذا الرجل أو لأكشفنّ ستر رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، فخلوها، فلما أمسوا جاء جبير بن مطعم و حكيم بن حزام و عبد الله بن الزبير و أبو الجهم بن حذيفة و عبد الله بن حسل، فحملوه فانتهوا به إلى البقيع، فمنعهم من دفنه ابن بحرة، و يقال: ابن نحرة الساعدى، فانطلق به إلى حش كوكب، و هو بستان بالمدينة، فصلّى عليه جبير و دفنوه و انصرفوا.

و عن عروة بن الزبير قال: منعهم من دفن عثمان بالبقيع أسلم بن أوس بن بحرة الساعدى، فانطلقوا به إلى حش كوكب، فصلى عليه حكيم بن حزام، و أدخل بنو أمية حش كوكب فى البقيع.

و عن عثمان بن محمد الأخنسى عن أم حكيمة قالت: كنت مع الأربعة الذين دفنوا عثمان بن عفان: جبير بن مطعم، و حكيم بن حزام،

و أبو جهم بن حذيفة، و نيار بن مكرم الأسلمى، و حملوه على باب أسمع قرع رأسه على الباب كأنه دباة، و يقول: دب دب، حتى جاءوا به حش كوكب فدفن به، ثم هد عليه الجدار و صلّى عليه هناك.

قال: و حشّ كوكب: موضع فى أصل الحائط الذى فى شرقى البقيع الذى يقال له خضراء أبان، و هو أبان بن عثمان.

قلت: و لذلك تسمى تلك الناحية إلى اليوم بالحضارى.

و فى طبقات ابن سعد عن مالك بن أبى عامر قال. كان الناس يتوقّون أن يدفنوا موتاهم فى حشّ كوكب، فكان عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه يقول: يوشك أن يهلك رجل صالح فيدفن هناك فيأتسى الناس به، قال: فكان عثمان أول من دفن به.

و روى ابن شبة عن عبد الله بن فروج قال: كنا مع طلحة فقال لى و لابن أخيه عبد الرحمن بن عثمان بن عبيد الله: انطلقا فانظرا ما فعل الرجل، قال: فدخلنا فإذا هو مسجّى بثوب أبيض، فرجعنا إلى طلحة فأخبرناه، فقال: قوموا إلى صاحبكم فواروه، فانطلقنا فجمعنا عليه ثيابه كما يصنع بالشهيد، ثم أخرجناه ليصلى عليه، فقالت المصرية: و الله لا يصلّى عليه، فقال أبو الجهم بن حذيفة: و الله إن عليكم أن لا تصلوا عليه، قد صلّى الله عليه، فنغزوه ساعة بنعال سيوفهم حتى ظننت أن قد قتلوه، ثم أرادوا دفنه مع نبى الله

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۹۹

صلى اللّه عليه و سلم، و كان قد استوهب من عائشة رضى الله تعالى عنها موضع قبر فوهبت له، فأبوا، فدفن فى مقبرة كان قد اشتراها فزادها فى المقبرة، فكان أول من دفن فيها.

و قيل: إن عمرو بن عثمان صلّى عليه يومئذ.

و روى ابن زبالة عن ابن شهاب و غيره أن عثمان منع من البقيع، فدفن فى حش كوكب، و كان عثمان بن مظعون أول من دفن بالبقيع، فجعل رسول الله صلى اللّه عليه و سلم أسفل مهراس علامة على قبره ليدفن الناس حوله، و قال: لأجعلنّك للمتقين إماما، فلما استعمل معاوية مروان بن الحكم على المدينة فى ملكه أدخل الحش فى البقيع، و حمل المهراس فجعله على قبر عثمان، و قال: عثمان و عثمان، فدفن الناس حول عثمان رضى الله تعالى عنه.

قبر سعد بن معاذ الأشهلى رضى الله تعالى عنه

نقل ابن شبة عن عبد العزيز أنه أصيب يوم الخندق، فدعا فحبس الله عنه الدم، حتى حكم فى بنى قريظة، ثم انفجر كله؛ فمات فى منزله فى بنى عبد الأشهل، فصلى عليه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و دفنه فى طرف الزقاق الذى بلزق دار المقداد بن الأسود، و هو المقداد بن عمرو، و إنما تبنّاه الأسود بن عبد يغوث الزهرى، و هى الدار التى يقال لها دار ابن أفلح فى أقصى البقيع عليها جنبذة، انتهى. و هذا الوصف صادق بالمشهد المنسوب لفاطمة بنت أسد؛ لكونه بطرف زقاق فى أقصى البقيع: و فى شرقيه ناحية بنى ظفر و بنى عبد الأشهل، فلعله قبره، و لكن وقع الاشتباه فى نسبته لفاطمة رضى الله تعالى عنها لما قدمناه فى قبرها، و الله أعلم.

قبر أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه

و روى ابن شبة عن عبد الرحمن بن أبى سعيد الخدرى قال: قال لى أبى: يا بنى، إنى قد كبرت، و ذهب أصحابى و حان منى، فخذ بيدى، فأخذت بيده حتى جئت إلى البقيع، فجئت أقصى البقيع مكانا لا يدفن فيه، فقال: يا بنى، إذا هلكت فاحفر لى هاهنا، لا تبك علىّ باكية، و لا يضر بن علىّ فسطاط، و لا يمشى معى بنار، و لا تؤذنن أحدا، و اسلك بى زقاق عمقة، و ليكن مشيك بى خببا، و فى رواية ثم اتكأ على فأتى البقيع حيث لا يدفن أحد، فقال: إذا مت فادفنى هاهنا، و اسلك بى زقاق عمقه، و زاد: و لا تبك علىّ نائحة، و امشوا بى الخبب، و لا- تؤذنوا بى أحدا، قال: فيأتينى الناس متى يخرج، فأكره أن أخبرهم لما قال لى، فأخرجته فى صدر النهار،

فأتيت البقيع و قد ملئ ناسا.

بيان المشاهد المعروفة اليوم بالبقيع و غيره من المدينة الشريفة

اشارة

أعلم أن أكثر الصحابة رضى الله عنهم- كما قال المطرى- ممن توفى فى حياة النبى صلى اللّه عليه و سلم و بعد وفاته مدفنون بالبقيع، و كذلك سادات أهل بيت النبى صلى اللّه عليه و سلم و سادات التابعين.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۱۰۰

و فى مدارك عياض عن مالك أنه مات بالمدينة من الصحابة نحو عشرة آلاف، و باقيهم تفرقوا فى البلدان.

و قال المجد: لا شك أن مقبرة البقيع محشوة بالجماء الغفير من سادات الأمة، غير أن اجتناب السلف الصالح من المبالغة فى تعظيم القبور و تجصيصها أفضى إلى انطماس آثار أكثرهم، فلذلك لا يعرف قبر معينين منهم إلا أفرادا معدودة.

قلت: و قد ابتنى عليها مشاهد: منها مشهد على يمينك إذا خرجت من باب البقيع قبلى المشهد المنسوب لعقيل بن أبى طالب و أمهات المؤمنين، تحوى العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، و الحسن بن على، و من تقدم ذكره معه، و عليهم قبة شامخة فى الهواء، قال ابن النجار: و هى كبيرة عالية قديمة البناء و عليها بابان يفتح أحدهما فى كل يوم، و لم يذكر الذى بناها، و قال المطرى: بناها الخليفة الناصر أحمد بن المستضىء.

قلت: و فيه نظر؛ لأن الناصر هذا كان معاصرا لابن النجار؛ لأنه توفى سنة اثنتين و عشرين و ستمائة، و وفاة ابن النجار سنة ثلاث و أربعين و ستمائة، و قد قال ابن النجار: إن هذه القبة قديمة البناء، و وصفها بما هى عليه اليوم. و رأيت فى أعلى محراب هذا المشهد: أمر بعمله المنصور المستنصر بالله، و لم يذكر اسمه و لا تاريخ العمارة، فلعله المنصور الذى هو ثانى خلفاء بنى العباس، لكنه لا يلقب بالمستنصر بالله، و لم أر من جمع بين هذين اللقبين، و على ساح قبر العباس أن الآمر بعمله المسترشد بالله سنة تسع عشرة و خمسمائة، و لعل عمارة القبة قبله، و قبر العباس و قبر الحسن مرتفعان من الأرض متسعان مغشيان بألواح ملصقة أبدع إلصاق مصفحة بصفائح الصفر مكوكبة بمسامير على أبدع صفة و أجمل منظر.

و ينبغى أن يسلم زائرهما على من قدمنا ذكر دفنه عندهما فى قبر فاطمة و الحسن رضى الله تعالى عنهما، و هناك قبور كثيرة لأمراء المدينة و أقاربهم من الأشراف يدفنون بهذا المشهد.

و فى غربيه قبر ابن أبى الهيجاء وزير العبيديين، عليه بناء، و قبر آخر يعرف بابن أبى النصر عليه بناء أيضا.

و فى شرقى المشهد بعيدا منه حظيرتان فى إحداهما الأمير جوبان صاحب المدرسة الجوبانية، و فى الأخرى بعض الأعيان ممن نقل إلى المدينة، و إنما نبهت على ذلك خوفا من الالتباس على طول الزمان.

و منها: مشهد فى قبلة المشهد المنسوب لعقيل متصل به، قال المطرى: يقال: إن فيه قبور أزواج رسول الله صلى اللّه عليه و سلم.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۱۰۱

و قال ابن النجار- فى القبور المعروفة فى زمانه- ما لفظه: و قبور أزواج النبى صلى اللّه عليه و سلم و هن أربعة قبور ظاهرة، و لا يعلم تحقيق من فيها منهن.

قلت: باطن هذا المشهد كله أرض مستوية ليس فيها علامة قبور، و كان حظيرا مبنيّا بالحجارة كما ذكره المطرى، فابتنى عليه قبة الأمير بردبك المعمار سنة ثلاث و خمسين و ثمانمائة.

و منها: مشهد عقيل بن أبى طالب على ما ذكره ابن النجار، و تبعه من بعده، قال:

و معه فى القبر ابن أخيه عبد الله الجواد بن جعفر الطيار، كما قدمناه عنه فى قبر أبى سفيان بن الحارث، مع بيان أن ذلك المشهد من دار عقيل، و أن الذى نقل دفنه هناك إنما هو أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، و أن عقيلا مات بالشام خلاف قول المطرى إن المنقول دفنه فى داره، و جوزنا أن يكون نقل من الشام إليها، فينبغى السلام على الثلاثة المذكورين هناك، و تقدم استجابة الدعاء عند زاوية الدار المذكورة.

و منها: روضة بقرب مشهد عقيل، يقال: إن فيها ثلاثة من أولاد النبى صلى اللّه عليه و سلم، كذا قاله المجد، و جعله مما يعرف فى زمنه بالبقيع، و لم أره فى كلام غيره، و لو لا ذكره لمشهد سيدنا إبراهيم قبل ذلك لحملنا كلامه عليه، و ليس بقرب مشهد عقيل إلا القبة المتهدمة التى فى غربى مشهد أمهات المؤمنين، و لا يعرف من بها، فلعلها مراده، أو القبة الآتى ذكرها فى مشهد الإمام مالك رضى الله تعالى عنه فى ركنه الشرقى الشمالى، فإن كلا منهما يصح وصفها بالقرب من مشهد عقيل، ثم تبين أن مراده الأولى التى فى غربى مشهد أمهات المؤمنين، فإن ابن جبير ذكر فى رحلته روضة عقيل، ثم روضة أمهات المؤمنين، ثم قال:

و بإزائها روضة صغيرة فيها ثلاثة من أولاد النبى صلى اللّه عليه و سلم، و يليها روضة العباس بن عبد المطلب، إلى آخره، فهذا مأخذ المجد.

و منها: مشهد سيدنا إبراهيم بن سيدنا رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، و قبره على نعت قبر الحسن و العباس، و هو ملصق إلى جدار المشهد القبلى، و فى هذا الجدار شباك، قال المجد: و موضع تربته يعرف ببيت الحزن، يقال: إنه البيت الذى أوت إليه فاطمة رضى الله تعالى عنها، و التزمت الحزن فيه بعد وفاة أبيها سيد المرسلين صلى اللّه عليه و سلم، انتهى.

و المشهور ببيت الحزن إنما هو الموضع المعروف بمسجد فاطمة فى قبلة مشهد الحسن و العباس، و إليه أشار ابن جبير بقوله: و يلى القبة العباسية بيت لفاطمة بنت الرسول صلى اللّه عليه و سلم، و يعرف ببيت الحزن، يقال: إنه الذى أوت إليه و التزمت الحزن فيه عند وفاة أبيها صلى اللّه عليه و سلم، انتهى.

و فيه قبرها على أحد الأقوال كما قدمناه، و أظنه فى موضع بيت على بن أبى طالب الذى كان اتخذه بالبقيع، و فيه اليوم هيئة قبور.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۱۰۲

و فى شامى قبر سيدنا إبراهيم بمشهده صورة قبرين حادثين لم يذكرهما ابن النجار، و لا من تبعه، إنما ذكروا ما قدمناه من كونه إلى جانب عثمان بن مظعون و أن عبد الرحمن بن عوف أوصى أن يدفن هناك، و أنه ينبغى زيارتهما معه.

قلت: و كذا كل من قدمنا ذكر دفنه هناك.

و منها: مشهد صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، أم الزبير بن العوام، على يسارك عند ما تخرج من باب البقيع، و هو بناء من حجارة لا قبّة عليه، قال المطرى:

و أرادوا عقد قبة صغيرة عليه فلم يتفق ذلك.

و منها: مشهد أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه، و عليه قبة عالية ابتناها أسامة بن سنان الصالحى أحد أمراء السلطان السعيد صلاح الدين يوسف بن أيوب فى سنة إحدى و ستمائة، قاله المطرى، قال الزين المراغى: و نقل أبو شامة أن البانى لها عز الدين سلمة.

قلت: و لم يذكر ابن النجار هذه القبة، مع ذكره لقبة الحسن و العباس و سيدنا إبراهيم و غيرهما مما كان فى زمنه، و قد أدرك التاريخ الذى ذكره المطرى و بعده بكثير.

و بمشهد سيدنا عثمان قبر خلف قبره يقال: إنه قبر متولى عمارة القبة.

و قد حدث فى زماننا أمام المشهد فى المغرب بناء مربع عليه قبر فيه امرأة كانت أم ولد لبعض بنى الجيعان توفيت بالمدينة الشريفة، و

إلى جانبه حظيرة فيها امرأة لبعض الأتراك، و بين هذا البناء و بين المشهد أيضا حظيرة أخرى بها أخت صاحبنا قاضى الحرمين العلامة محيى الدين الحنبلى متع الله به.

و منها: مشهد فاطمة بنت أسد أم أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهما بأقصى البقيع، على ما فيه مما تقدم فى ذكر قبرها، و ينبغى أن يسلم هناك على سعد بن معاذ لما سبق.

مشهد مالك بن أنس الأصبحى

و منها: مشهد الإمام أبى عبد الله مالك بن أنس الأصبحى إمام دار الهجرة إذا خرجت من باب البقيع كان مواجها لك عليه قبة صغيرة و إلى جانبه فى المشرق و الشام قبة لطيفة أيضا، لم يتعرض لذكرها المطرى و من بعده، فيحتمل أن تكون حادثة، و يقال: إن بها نافعا مولى ابن عمر.

و فى كلام ابن جبير عند ذكر المشاهد المعروفة فى زمنه ما يؤخذ منه أن بين مشهد سيدنا إبراهيم عليه السلام و بين مشهد مالك تربة عن يمين مشهد سيدنا إبراهيم، و أنها تربة ابن لعمر رضى الله عنه اسمه عبد الرحمن الأوسط، قال: و هو المعروف بأبى شحمة، و هو الذى جلده أبو الحدّ فمرض و مات، و ما ذكره ينطبق على القبة المذكورة.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۱۰۳

مشهد إسماعيل بن جعفر الصادق

و منها: مشهد إسماعيل بن جعفر الصادق، و هو كبير يقابل مشهد العباس فى المغرب، و هو ركن سور المدينة اليوم من القبلة و المشرق، بنى قبل السور، فاتصل السور به، فصار بابه من داخل المدينة، قال المطرى: بناه بعض العبيديين من ملوك مصر.

قلت: على باب المشهد الأوسط الذى أمامه الرحبة التى بها البئر التى يتبرك بها حجر فيه أن حسين بن أبى الهيجاء عمره سنة ست و أربعين و خمسمائة، و لعله المطرى نسب ذلك لبعض العبيديين؛ لأن ابن أبى الهيجاء كان من ورائهم.

قال المطرى: و يقال إن عرصة هذا المشهد و ما حوله من جهة الشمال إلى الباب كانت دار زين العابدين، و بجانب المشهد الغربى مسجد صغير مهجور يقال: إنه مسجد زين العابدين.

قلت: على يمين الداخل إلى المشهد بين الباب الأوسط و الأخير حجر منقوش فيه وقف الحديقة التى بجانب المشهد فى المغرب على المشهد: وقفها إن أبى الهيجاء، و نسبة المسجد الذى بطرف الحديقة بجانب المشهد لزين العابدين، و أن عرصة المشهد داره، و أن بئره تلك يتداوى بها.

و يقال: إن ابنه جعفرا الباقر سقط بها و هو صغير، و زين العابدين يصلى، فلم يقطع صلاته.

و فى كلام ابن شبة ما يصلح أن يكون مستندا فى نسبة تلك العرصة لزين العابدين؛ لذكره دارا تقرب من وصفها، و نسبها لولده، فقال: و اتخذت صفية بنت حيى دار زيد بن على بن حسين بن على، و قد صارت دارين، و هما جميعا دار واحدة، بنى زيد بن على شقها الشرقى الذى يلى البقيع، و بنى آل أبى سويد الثقفى شقها الغربى الذى يلى دار السائب مولى زيد بن ثابت، فيحتمل أنه نسبها لولده لكونه بناها و كانت لأبيه، و قال أيضا: و اتخذ جعفر بن أبى طالب دارا بين دار أبى رافع مولى النبى صلى اللّه عليه و سلم بالبقيع و بين دار أسماء بنت عميس التى فى شامى دار أبى رافع تحت سقيفة محمد بن زيد بن على بن حسين. و بيّن ابن شبة أن دار أبى رافع ناقل بها سعد بن أبى وقاص أبا رافع فدفع لأبى رافع داره بالبقال.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى؛ ج۳؛ ص۱۰۳

قد تقدم ذكر الشارع الذى يخرج إلى البقال فى قبور أمهات المؤمنين، و أنه فى غربى المشهد المعروف بهن؛ لما سيأتى فى ترجمة البقال، و قد جدد مسجد زين العابدين سنة أربع و ثمانين و ثمانمائة.

و أما المشاهد المعرفة بالمدينة فى غير البقيع فثلاثة.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۱۰۴

مشهد حمزة

أحدها: مشهد سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب، عم رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و رضى الله تعالى عنه. و سيأتى ذكره مع شهداء أحد فى الفصل بعده، و عليه قبة عالية حسنة متقنة، و بابه مصفح كله بالحديد بنته أم الخليفة الناصر لدين الله أبى العباس أحمد بن المستضىء، كما قاله ابن النجار، و ذلك فى سنة تسعين و خمسمائة، قال: و جعلت على القبر ملبنا من ساج، و حوله حصباء، و باب المشهد من حديد، يفتح كل يوم خميس، و قريب منه مسجد يذكر أنه موضع مقتله، انتهى. و تبعه عليه من بعده. و وصفه القبر بأن عليه ملبن خشب، يعنى أنه كهيئة قبر سيدنا إبراهيم، فإنه عبر فيه بذلك أيضا، و قبر سيدنا إبراهيم على ذلك الوصف اليوم، و كذلك الحسن و العباس.

و أما قبر حمزة فإنه اليوم مبنى مجصّص بالقصّة لا خشب عليه، و فى أعلاه من ناحية رأسه حجر فيه بعد البسملة: إِنَّما يَعْمُرُ مَساجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ [التوبة: ۱۸] هذا مصرع حمزة بن عبد المطلب عليه السلام، و مصلى النبى صلى اللّه عليه و سلم، عمره العبد الفقير إلى رحمة ربه حسين بن أبى الهيجاء، غفر الله له و لوالديه سنة ثمانين و خمسمائة، انتهى.

و هذا قبل عمارة أم الناصر بعشر سنين، و ابن النجار إنما قدم المدينة بعد ذلك؛ لأنه ألّف كتابه سنة مجاورته بها، و مولده سنة ثمان و سبعين و خمسمائة، فمقتضى ذلك أن ابن النجار أدرك القبر و هو بهذه الهيئة من الكتابة، و قد صرح بخلافها، و أيضا فالتعبير فى تلك الكتابة بمصرع حمزة و تصديره بالآية دليل الخطأ فى إثبات ذلك المسن هناك، فالصواب أن ذلك المسن كان بالمسجد المعروف اليوم بالمصرع، و كأنه لما تهدّم نقل إلى المشهد لقربه منه، ثم لما تكسر الخشب الذى ذكر ابن النجار أنه كان على القبر بنوا القبر على هذه الهيئة، و ظنوا أن ذلك المسن لوضعه بالمشهد يتعلق به، فأثبتوه بالقبر. و يؤيد ذلك أن نسبة عمارة القبة لأم الخليفة فى التاريخ المذكور موجودة اليوم بالكتابة الكوفية نقشا فى جدار المشهد بالجص، و اقتلع الشجاعى شاهين شيخ الحرم المسنّ المذكور و أعاده إلى محله بالمصرع، و مقتضى ما سبق عن ابن النجار و من تبعه أن أم الخليفة الناصر لدين الله هى أول من اتخذ المشهد المذكور على سيدنا حمزة رضى الله تعالى عنه، و سيأتى فى الفصل بعده عند ذكر قبر حمزة رضى الله تعالى عنه عن عبد العزيز بن عمران أنه كان على قبر حمزة قديما مسجد، و ذلك فى المائة الثانية، فكأن أم الخليفة وسّعته و جعلته على هذه الهيئة الموجودة اليوم، و قد زاد فيه سلطان زماننا الأشرف فانتباى أعز الله نصره زيادة من جهة المغرب أدخل فيها البئر التى كانت خارجة فى غربيه، و اتخذ هناك أخلية لمن يريد الطهارة، و جعل بعضها بالسطح، فعمّ النفع بذلك،

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۱۰۵

و احتفر بئرا خارجه بجهة المغرب أيضا يرتفق بها المارة، و ذلك فى شهر جمادى الأولى سنة تسعين و ثمانمائة على يد الشجاعى شاهين الجمالى شيخ الحرم الشريف النبوى، و شاد عمائره، عظم الله شأنه.

و أعلم أن القبر الذى بالمشهد عند رجلى سيدنا حمزة رضى الله تعالى عنه قبر رجل تركى اسمه سنقر، كان متولى عمارة المشهد، و القبر الذى بصحن المسجد قبر بعض أمراء المدينة من الأشراف، فلا يظن أنهما من قبور الشهداء رضوان الله عليهم، و سيأتى فى قبر

حمزة رضى الله تعالى عنه أنه ينبغى أن يسلم معه على مصعب بن عمير و عبد الله بن جحش؛ لما سيأتى فيه.

مشهد مالك بن سنان الخدرى

ثانيها: مشهد مالك بن سنان، والد أبى سعيد الخدرى، فى غربى المدينة ملاصقا للسور، و سيأتى ما جاء فيه فى الفصل بعده، و عليه قبة قديمة البناء بها محراب، و عن يمينه باب خزانة صغيرة فيها بناء أصغر من صفة القبور يظن الناس أنه محل القبر، و الظاهر أن القبر بالقبة المذكورة، لما سيأتى فى ذكر من قيل إنه نقل من شهداء أحد من قول ابن أبى فديك إنه بالمسجد الذى عند أصحاب العباء فى طرف الحناطين، لكن فى رواية ابن زبالة أنه دفن عند مسجد أصحاب العباء: أى الذين يبيعون العبى، و ذلك المحل من سوق المدينة القديم.

مشهد النفس الزكية

ثالثها: المشهد المعروف بالنفس الزكية، و هو السيد الشريف الملقب بالمهدى محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب، رضوان الله تعالى عليهم، قتل فى أيام أبى جعفر المنصور، و هذا المشهد شرقى جبل سلع، و عليه بناء كبير بالحجارة السود، قصدوا أن يبنوا عليه قبة فلم يتفق، و هو داخل مسجد كبير مهجور، و فى قبلة المسجد منهل من عين الأزرق مدرج من شرقيه و غربيه. و العين تجرى فى وسطه، و تقدم فى سوق المدينة أن ابن زبالة عبر عن ذلك ببركة السوق، و لعل ذلك المسجد هو المنسوب إلى الأعرج كما تقدم فى مصلى العيد.

و ما ذكرناه من كون النفس الزكية بهذا المشهد ذكره المطرى و من تبعه، و هو المستفيض بين أهل المدينة، لكنه مخالف لما ذكره سبط ابن الجوزى فى رياض الأفهام، فإنه ذكر خروجه على المنصور بعد حبسه لأبيه و أقاربه، فبايعه كثير من الناس، قال: فجهز إليه المنصور عيسى بن موسى عم المنصور فى أربعة آلاف، فجاء و وقف على سلع و قال: يا محمد، لك الأمان، فصاح به: و الله ما تفوز، و الموت فى عزّ خير من الحياة فى ذل، فاغتسل هو و من

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۱۰۶

بقى من أصحابه و تحنّطوا و هم ثلاثمائة و بضعة عشر و حملوا على عيسى و أصحابه، فهزموا ثلاثا، ثم تكاثروا عليهم فقتلوهم، و أتوا عيسى بن موسى برأس محمد. و وارت أخته زينب و ابنته فاطمة جسده بالبقيع، و كان قتله عند أحجار الزيت، و كان معه ذو الفقار سيف علىّ رضى الله تعالى عنه، فأخذه عيسى بن موسى، ثم انتقل إلى الرشيد.

قال الأصمعى: أنا رأيته، و فيه ثمانى عشرة فقارة، اه

و قال محمد- أعنى النفس الزكية- فى يوم قتالهم لعبد الله بن عامر السلمى: تغشانا سحابة، فإن أمطرتنا ظفرنا، و إن تجاوزتنا إليهم فانظر إلى دمى عند أحجار الزيت. قال عبد الله: فو الله لقد أظلتنا سحابة فلم تمطرنا، و تجاوزتنا إلى عيسى بن موسى و أصحابه، فظفروا، و قتلوا محمدا، و رأيت دمه عند أحجار الزيت، و بسبب محمد هذا ضرب عيسى بن موسى الإمام مالك بن أنس رضى الله تعالى عنه، نقل ذلك المقريزى.

الفصل السابع فى فضل أحد و الشّهداء به

الأحاديث الواردة فى فضل أحد

روينا فى الصحيحين و غيرهما عن أنس رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى اللّه عليه و سلم قال لأحد لما بدا له: هذا جبل يحبنا و نحبه.

و فى رواية للبخارى بيان أن ذلك كان عند القدوم من خيبر، و لفظ رواية ابن شبة عنه أنه أقبل مع رسول الله صلى اللّه عليه و سلم من خيبر، فلما بدا لهم أحد قال، الحديث.

و فى رواية له عن سويد الأنصارى قال. قفلنا مع النبى صلى اللّه عليه و سلم من غزوة خيبر، فلما بدا له أحد قال: الله أكبر، جبل يحبنا و نحبه.

و رواه أحمد و الطبرانى برجال الصحيح إلا عقبة بن سويد، و قد ذكره ابن أبى حاتم و لم يذكر فيه جرحا.

و فى فضائل المدينة للجندى عن أنس أن النبى صلى اللّه عليه و سلم «طلع أحدا فقال: هذا جبل يحبنا و نحبه» و فى رواية له «طلع علينا أحدا» و فى رواية أخرى للبخارى أن ذلك كان فى رجوعه صلى اللّه عليه و سلم من الحج.

و فى رواية عن أبى حميد الساعدى قال: أقبلنا مع رسول الله صلى اللّه عليه و سلم من غزوة تبوك، فلما أشرفنا على المدينة قال: «هذه طابة، و هذا أحد، جبل يحبنا و نحبه» و رواه ابن شبة أيضا.

و فى رواية له قال: أقبلنا مع النبى صلى اللّه عليه و سلم من منزله، حتى إذا كنا بغرابات نظر إلى أحد فكبر ثم قال «جبل يحبنا و نحبه، جبل سائر ليس من جبال أرضنا».

و روى أيضا بإسناد جيد عن أبى قلابة قال: كان النبى صلى اللّه عليه و سلم إذا جاء من سفر فبدا له أحد قال: هذا جبل يحبنا و نحبه، ثم قال: آئبون نائبون ساجدون لربنا حامدون.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۱۰۷

و روى أيضا عن أبى هريرة قال: لما قدمنا مع النبى صلى اللّه عليه و سلم من غزوة خيبر بدا لنا أحد، فقال: هذا جبل يحبنا و نحبه، إن أحدا هذا لعلى باب من أبواب الجنة.

و روى الطبرانى فى الكبير و الأوسط عن أبى عبس بن جبر إن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قال لأحد: هذا جبل يحبنا و نحبه، على باب من أبواب الجنة، و هذا غير جبل يبغضنا و نبغضه، على باب من أبواب النار.

و فى الأوسط- و فيه كثير بن زيد: تكلم فيه، و وثّقه أحمد و غيره من حديث أنس بن مالك مرفوعا «أحد جبل يحبنا و نحبه، فإذا جئتموه فكلوا من شجره و لو من عضاهه» و رواه ابن شبة بلفظ «أحد على باب من أبواب الجنة، فإذا مررتم به فكلوا من شجره، و لو من عضاهه».

و روى أيضا عن زينب بنت نبيط، و كانت تحت أنس بن مالك، أنها كانت ترسل ولائدها فتقول: اذهبوا على أحد فأتونى من نباته، فإن لم تجدن إلا عضاها فأتنى به، فإن أنس بن مالك قال: سمعت رسول الله صلى اللّه عليه و سلم يقول «هذا جبل يحبنا و نحبه» قالت زينب:

فكلوا من نباته و لو من عضاهه، قال: فكانت تعطينا منه قليلا قليلا فنمضغه.

و عن رافع بن خديج قال: نهى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم أن يحتشّ أحد إلا يوما بيوم.

و عن داود بن الحصين مرفوعا «أحد على ركن من أركان الجنة، و عير على ركن من أركان النار».

و عن إسحاق بن يحيى بن طلحة مرسلا رفعه «أحد و ورقان و قدس و رضوى من جبال الجنة».

و روى أبو يعلى و الطبرانى فى الكبير عن سهل بن سعد مرفوعا «أحد ركن من أركان الجنة».

و فى الكبير أيضا عن عمرو بن عوف قال: قال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم «أربعة أجبال من أجبال الجنة، و أربعة أنهار من أنهار الجنة، و أربعة ملاحم من ملاحم الجنة، قيل: فما الأجبال؟ قال: أحد يحبنا و نحبه جبل من جبال الجنة، و ورقان جبل من جبال الجنة،

و الطور جبل من جبال الجنة، و لبنان جبل من جبال الجنة، و الأنهار الأربعة النيل و الفرات و سيحان و جيحان، و الملاحم بدر و أحد و الخندق و حنين».

و رواه ابن شبة مختصرا، و روى عن أبى هريرة نحوه، و قال فيه: و سكت عن الملاحم، و عن أبى هريرة أيضا قال: خير الجبال أحد و الأشعر و ورقان.

و نقل الحافظ ابن حجر اختلاف الروايات فى الأجبل التى بنى منها البيت الحرام، و فى بعضها أنه أسس من ستة أجبل: أبى قبيس، و الطور، و قدس، و ورقان، و رضوى، و أحد.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۱۰۸

و روى ابن شبة عن أنس بن مالك مرفوعا «لما تجلّى الله عز و جل للجبل طارت لعظمته ستة أجبل، فوقعت ثلاثة بالمدينة و ثلاثة بمكة، وقع بالمدينة أحد و ورقان و رضوى، و وقع بمكة حراء و ثبير و ثور».

موقع أحد من المدينة المنورة

قال أبو غسان راويه: فأما أحد فبناحية المدينة على ثلاثة أميال منها فى شاميها، و أما ورقان فبالروحاء من المدينة على أربعة برد، و أما رضوى فبينبع على مسيرة أربع ليال، و أما حراء فبمكة و جاه بئر ميمون، و ثور أسفل مكة هو الذى اختفى فيه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فى غاره.

قلت: و لم يبين ثبيرا، و ما ذكره من المسافة إلى أحد يقرب مما حررته، فإنى ذرعت ما بين عتبة باب المسجد النبوى المعروف بباب جبريل و بين المسجد الملاصق لجبل أحد المعروف بمسجد الفتح فكان ذلك ثلاثة أميال و زيادة خمسة و ثلاثين ذراعا، و أما ما بين باب المدينة المعروف بباب البقيع و بين أول جبل أحد فميلان و أربعة أسباع ميل يزيد يسيرا، و بين باب البقيع و مشهد سيدنا حمزة ميلان و ثلاثة أسباع ميل و خمس سبع ميل، و أذرع يسيرة، و قد علم بذلك التسامح الذى فى قول النووى فى تهذيبه: أحد بجنب المدينة على نحو ميلين، و كذا قول المطرى و من تبعه: بين مشهد حمزة و المدينة ثلاثة أميال و نصف أو ما يقاربه، و إلى جبل أحد نحو أربعة أميال، و قيل: دون الفرسخ، انتهى.

وجه تسمية أحد و حبه

و قال السهيلى: سمى هذا الجبل أحدا لتوحده و انقطاعه عن جبال أخرى هناك، و لما وقع من أهله من نصر التوحيد.

و للعلماء فى معنى قوله صلى اللّه عليه و سلم «يحبنا و نحبه» أقوال:

أحدها: أنه على حذف مضاف، أى أهل أحد، و هم الأنصار؛ لأنهم جيرانه.

ثانيها: أنه للمسرة بلسان الحال؛ لأنه كان يبشره إذا رآه عند القدوم بالقرب من أهله، و ذلك فعل المحب.

ثالثها: أن الحب من الجانبين على الحقيقة، و أنه وضع فيه الحبّ كما وضع فى الجبال المسبحة مع داود، و كما وضعت الخشية فى الحجارة التى قال الله فيها وَ إِنَّ مِنْها لَما يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ [البقرة: ۷۴] سيما و قد جاء أنه طار من الجبل الذى تجلى الله عز و جل له كما سبق، و هذا الثالث هو الذى صححه النووى، و قال الحافظ ابن حجر: إن الظاهر أن ذلك لكونه من جبال الجنة، كما ثبت فى حديث أبى عبس بن جبر مرفوعا «جبل أحد يحبنا و نحبه، و هو من جبال الجنة» أخرجه أحمد، و لا مانع فى جانب الجبل من إمكان المحبة،

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۱۰۹

كما جاز التسبيح منها، و قد خاطبه صلى اللّه عليه و سلم مخاطبة من يعقل فقال لما اضطرب «اسكن أحد» الحديث.

و قال الحافظ المنذرى: قال البغوى: الأولى إجراء الحديث على ظاهره، و لا ينكر وصف الجمادات بحب الأنبياء و أهل الطاعة كما حنّت الأسطوانة لمفارقته صلى اللّه عليه و سلم حتى سمع القوم حنينها، و كما أخبر أن حجرا كان يسلم عليه صلى اللّه عليه و سلم قبل الوحى؛ فلا ينكر أن يكون جبل أحد و جميع أجزاء المدينة تحبه و تحنّ إلى لقائه، قال المنذرى: و هو جيد.

قلت: و يرجحه قوله فى الحديث المتقدم «فإذا جئتموه فكلوا من شجره» فإن عيرا يجاوره أهل قباء، و يظهر للقادم من جهة مكة قبل أحد، بل ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

و قال السهيلى: كان النبى صلى اللّه عليه و سلم يحب الفأل الحسن، و الاسم الحسن، و لا اسم أحسن من اسم مشتق من الأحدية، و مع ذلك فحركاته الرفع، و ذلك مشعر بارتفاع دين الأحد، فتعلق الحب به من النبى صلى اللّه عليه و سلم لفظا و معنى، فخص بذلك.

و ليضف إليه أن المحبة لما تعلقت من الجانبين، و كان المرء مع من أحب، كان هذا الجبل معه صلى اللّه عليه و سلم فى الجنة إذا بسّت الجبال بسا.

و أيضا لما انقسم أهل المدينة إلى محب موحّد و هم المؤمنون و إلى منافق مبغض و هم الجاهلون الجاحدون كأبى عامر الراهب و غيره من المنافقين، و كانوا ثلث الناس يوم أحد رجعوا مع ابن أبى و لم يحضروا أحدا؛ انقسمت بقاع المدينة كذلك، فجعل الله تعالى هذا الجبل حبيبا محبوبا كمن حضر به، و جعله معه فى الجنة، و خصه بهذا الاسم، و جعل عيرا مبغوضا إن صح الحديث فيه، و جعل بجهته المنافقين من أهل مسجد الضرار فرجعوا من جهة أحد إلى جهته فكان معهم فى النار، و خصه باسم العير الذى هو الحمار المذموم أخلاقا و جهلا، و الله أعلم.

و روى ابن شبة كما سبق فى سكنى اليهود بالمدينة عن جابر بن عبد الله مرفوعا: خرج موسى و هارون عليهما السلام حاجّين أو معتمرين، حتى إذا قدما المدينة خافا اليهود فنزلا أحدا و هارون مريض، فحفر له موسى قبرا بأحد، و قال يا أخى ادخل فيه فإنك ميت، فدخل فيه، فلما دخل قبضه الله، فحثا موسى عليه التراب.

زعموا أن هارون مدفون بأحد

قلت: بأحد شعب يعرف بشعب هارون، يزعمون أن قبر هارون عليه السلام فى أعلاه، و هو بعيد حسا و معنى، و ليس ثم ما يصلح للحفر و إخراج التراب. و فى أعلى أحد بناء اتخذه بعض الفقراء قريبا و الناس يصعدون إليه، و لم يرد تعيين المحل الذى صعده النبى صلى اللّه عليه و سلم من أحد، نعم ورد صلاته بالمسجد الملاصق به المعروف بمسجد الفتح كما سبق فى المساجد.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۱۱۰

مزاعم فى مواضع من جبل أحد

و قال ابن النجار: و فى جبل أحد غار يذكرون أن النبى صلى اللّه عليه و سلم اختفى فيه، و مسجد يذكرون أنه صلى اللّه عليه و سلم فيه، و موضع فى الجبل أيضا منقور فى صخرة منه على قدر رأس الإنسان يذكرون أنه صلى اللّه عليه و سلم قعد- يعنى على الصخرة التى تحته- و أدخل رأسه هناك، كل هذا لم يرد به نقل فلا يعتمد عليه.

قلت: أما المسجد فقد ثبت النقل به من رواية ابن شبة كما سبق، لكن لم يقف عليه ابن النجار.

و أما الغار فقال المطرى: إنه فى شمالىّ هذا المسجد، و الموضع المنقور و الصخرة التى تحته بقرب المسجد، و روى ابن شبة عن المطلب بن عبد الله أن النبى صلى اللّه عليه و سلم لم يدخل الغار بأحد.

و سيأتى فى ترجمة المهراس قول ابن عباس: و لم يبلغوا حيث يقول الناس الغار، إنما كان تحت المهراس، و مقتضاه أن الغار بعد المهراس، و سيأتى فى ترجمة شعب أحد أن النبى صلى اللّه عليه و سلم انتهى يوم أحد إلى فم الشعب و أسند فيه.

قال ابن هشام: و بلغنى عن ابن عباس أن النبى صلى اللّه عليه و سلم لم يبلغ الدرجة المبتيّة فى الشعب، انتهى. و كأن من بناها ظن أن الصخرة التى نهض النبى صلى اللّه عليه و سلم ليعلوها، و جلس له طلحة بن عبيد الله كانت هناك، و لهذا أورده ابن هشام عند ذكرها.

شهادة الرسول صلى اللّه عليه و سلم لشهداء أحد

و روى يحيى أنه لما انكشف الناس يوم أحد وقف رسول الله صلى اللّه عليه و سلم على مصعب بن عمير فقال مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجالٌ إلى قوله وَ ما بَدَّلُوا تَبْدِيلًا [الأحزاب: ۲۳] اللهم إن عبدك و نبيك يشهد أن هؤلاء شهداء، فأتوهم و سلموا عليهم، فلن يسلم عليهم أحد ما قامت السموات و الأرض إلا ردّوا عليه، ثم وقف رسول الله صلى اللّه عليه و سلم موقفا آخر فقال: هؤلاء أصحابى الذين أشهد لهم يوم القيامة، فقال أبو بكر: فما نحن بأصحابك؟ فقال: بلى، و لكن لا أدرى كيف تكونون بعدى، إنهم خرجوا من الدنيا خماصا.

و رواه الثعلبى المفسر إلا أنه قال: لما انصرف رسول الله صلى اللّه عليه و سلم من أحد مرّ على مصعب بن عمير، فوقف عليه، و دعا له، ثم قرأ، و ذكر الآية و ما بعدها بنحوه، إلى قوله ثم وقف.

و روى أبو داود و الحاكم فى صحيحه حديث «لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم فى جوف طير خضر ترد أنهار الجنة تأكل من ثمارها، و تأوى إلى قناديل من ذهب معلقة فى ظل العرش، فلما وجدوا طيب مأكلهم و مشربهم و مقيلهم قالوا: من يبلغ إخواننا

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۱۱۱

عنا أنا أحياء فى الجنة نرزق لئلا يزهدوا فى الجهاد و لا يكلوا عن الحرب؟ فقال الله تعالى:

أنا أبلغهم عنكم، فأنزل الله عز و جل وَ لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتاً [آل عمران: ۱۶۹] الآية».

و فى صحيح البخارى حديث «صلّى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم على قتلى أحد بعد ثمان سنين كالمودّع للأحياء و الأموات، ثم طلع المنبر فقال: إنى بين أيديكم فرط، و أنا عليكم شهيد، و إن موعدكم الحوض».

و روى ابن شبة و أبو داود عن طلحة بن عبيد الله قال: خرجنا مع رسول الله صلى اللّه عليه و سلم نريد قبور الشهداء، حتى إذا أشرفنا على حرّة واقم، فلما تدلينا منها فإذا قبور بمحنية، فقلنا: يا رسول الله، أ قبور إخواننا هذه؟ قال: قبور أصحابنا، فلما جئنا قبور الشهداء قال: هذه قبور إخواننا.

زيارة النبى صلى اللّه عليه و سلم و خلفائه قبور الشهداء على رأس كل حول

و روى ابن شبة عن عباد بن أبى صالح أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم كان يأتى قبور الشهداء بأحد على رأس كل حول فيقول: سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار، قال: و جاءها أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، رضى الله تعالى عنهم، فلما قدم معاوية بن أبى سفيان حاجا جاءهم، قال: و كان النبى صلى اللّه عليه و سلم إذا واجه الشعب قال: سلام عليكم بما صبرتم فنعم أجر العاملين.

و عن أبى جعفر أن فاطمة بنت رسول الله صلى اللّه عليه و سلم كانت تزور قبر حمزة رضى الله تعالى عنه ترمّه و تصلحه، و قد تعلمته بحجر.

و روى رزين عنه أن فاطمة رضى الله تعالى عنها كانت تزور قبور الشهداء بين اليومين و الثلاثة.

و رواه يحيى بنحوه عن أبى جعفر عن أبيه على بن الحسين، و زاد: فتصلى هناك و تدعو و تبكى حتى ماتت.

و روى الحاكم عن على رضى الله تعالى عنه أن فاطمة كانت تزور قبر عمها حمزة كل جمعة فتصلى و تبكى عنده.

و روى ابن شبة عن ابن عمر أنه قال: من مر على هؤلاء الشهداء فسلّم عليهم لم يزالوا يردون عليه إلى يوم القيامة.

و روى يحيى عن العطاف بن خالد قال: حدثتنى خالة لى- و كانت من العوابد- قالت:

ركبت يوما معى غلام حتى جئت إلى قبر حمزة، فصليت ما شاء الله، و لا و الله ما فى الوادى داع و لا مجيب يتحرك، و غلامى قائم آخذ برأس دابتى، فلما فرغت من صلاتى قمت

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۱۱۲

فقلت: السلام عليكم، و أشرت بيدى فسمعت رد السلام علىّ من تحت الأرض، أعرفه كما أعرف أن الله خلقنى، و اقشعرت كل شعرى منى، فدعوت الغلام فقلت: هات دابتى، فركبت.

و روى البيهقى فى الدلائل من طريق العطاف بن خالد عن عبد الأعلى بن عبد الله بن أبى فروة عن أبيه أن النبى صلى اللّه عليه و سلم «زار قبور الشهداء بأحد، فقال: اللهم إن عبدك و نبيك يشهد أن هؤلاء شهداء، و أنهم من زارهم أو سلّم عليهم إلى يوم القيامة ردوا عليه».

و قال العطاف: و حدثتنى خالتى أنها زارت الشهداء فسلمت عليهم، فسمعت رد السلام، و قالوا: و الله إنا نعرفكم كما يعرف بعضنا بعضا، قالت: فاقشعررت.

و ذكر البيهقى أيضا رواية يحيى، و أن الواقدى قال: كانت فاطمة الخزاعية تقول: لقد رأيتنى و غابت الشمس بقبور الشهداء و معى أخت لى، فقلت لها: تعالى نسلم على قبر حمزة، فوقفنا على قبره، فقلنا: السلام عليكم يا عمّ رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، فسمعنا كلاما رد علينا:

و عليكم السلام و رحمة الله، قالت: و ما قربنا أحد من الناس.

ثم روى البيهقى عن هاشم بن محمد العمرى من ولد عمر بن علىّ قال: أخذنى أبى بالمدينة إلى زيارة قبور الشهداء فى يوم جمعة بين الفجر و الشمس، فكنت أمشى خلفه، فلما انتهى إلى المقابر رفع صوته فقال: سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار، قال: فأجيب و عليك السلام يا أبا عبد الله، فالتفت أبى إلىّ فقال: أنت المجيب؟ فقلت: لا، فجعلنى على يمينه، ثم أعاد السلام، ثم جعل كلما سلم يرد عليه، حتى فعل ذلك ثلاث مرات، فخرّ ساجدا شكرا لله تعالى.

تسمية شهداء أحد

و قد تقدم فى غزوة أحد أن الذين أكرمهم الله بالشهادة يومئذ سبعون رجلا، و قيل:

أكثر، و قيل: أقلّ، و قد سرد ابن النجار أسماءهم فتبعته ليسلّم عليهم من شاء بأسمائهم، فقال: حمزة بن عبد المطلب، و عبد الله بن جحش، و مصعب بن عمير، و شمّاس بن عثمان، هؤلاء الأربعة من المهاجرين.

و من الأنصار: عمرو بن معاذ بن النعمان، و الحارث بن أنس بن رافع، و عمارة بن زياد بن السكن، و سلمة بن ثابت بن وقش، و عمرو بن ثابت بن وقش، و ثابت بن وقش، و رفاعة بن وقش، و حسيل بن جابر، و هو اليمان أبو حذيفة، و صيفى بن قيظى بن عمرو، و الحباب بن قيظى، و عباد بن سهل، و الحارث بن أوس بن معاذ، و إياس بن أوس بن عتيك، و عبيد بن التيهان، و يقال عتيك، و حبيب بن زيد بن تيم، و يزيد بن حاطب بن أمية ابن رافع، و أبو سفيان بن الحارث بن قيس بن زيد، و أنيس بن قتادة، و حنظلة الغسيل ابن

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۱۱۳

أبى عامر، و أبو حبة بن عمرو بن ثابت أخو سعد بن خيثمة لأمه، و عبيد الله بن جبير بن النعمان و خيثمة أبو سعد بن خيثمة، و عبد الله

بن مسلمة، و سبيع بن حاطب بن الحارث، و عمرو بن قيس بن زيد، و ابنه قيس بن عمرو، و ثابت بن عمرو بن زيد، و عامر بن مخلد، و أبو هبيرة بن الحارث بن علقمة، و عمرو بن مطرف بن علقمة، و أوس بن ثابت بن المنذر أخو حسّان بن ثابت، و أنس بن النضر، و قيس بن مخلد، و كيسان مولى بنى النجار، و سليم بن الحارث، و نعمان بن عبد عمرو، و خارجة بن زيد، و سعد بن الربيع، و أوس بن الأرقم بن زيد، و مالك بن سنان والد أبى سعيد الخدرى، و سعد بن سويد بن قيس، و علبة بن ربيع بن رافع، و ثعلبة بن سعد بن مالك، و نقيب بن فروة بن البدن، و عبد الله بن عمرو بن وهب، و ضمرة الجهنى حليف لبنى طريف. و نوفل بن عبد الله، و عباس بن عبادة بن نضلة و نعمان بن مالك بن ثعلبة، و المحذر بن زياد، و عبادة بن الحسحاس، و رفاعة بن عمرو، و عبد الله بن عمرو بن حرام، و عمرو بن الجموح، و ابنه خلاد، و أبو أيمن مولاه، و عبيدة بن عمرو بن حديدة، و مولاه عنترة، و سهل بن قيس بن أبى كعب، و ذكوان بن عبد قيس، و عبيد بن المعلى بن لوذان، و مالك بن نميلة، و الحارث بن عدى بن خرشة، و مالك بن إياس، و إياس بن عدىّ، و عمرو ابن إياس.

فهؤلاء الشهداء السعداء الذين صدقوا القتال بين يدى النبى صلى اللّه عليه و سلم و قاتلوا و قتلوا، رضوان الله عليهم أجمعين.

و لنذكر ما علمناه من خبر قبورهم و تعيينها، فنقول:

سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب و مصرعه

قبر حمزة عم رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و من ذكر أنه معه...

أخرج البخارى أن وحشيّا قال فى خبر: فلما خرج الناس عام عينين، و عينين جبل بحيال أحد بينه و بينه واد، خرجت مع الناس إلى القتال، فلما أن اصطفوا للقتال خرج سباع فقال: هل من مبارز؟ قال: فخرج إليه حمزة بن عبد المطلب فقال: يا سباع يا ابن أم أنمار مقطعة البظور، أ تحادّ الله و رسوله صلى اللّه عليه و سلم؟ ثم شدّ عليه فكان كأمس الذاهب، قال: و كمنت لحمزة تحت صخرة، فلما دنا منى رميته بحربتى فأضعها بين ثدييه حتى خرجت من بين وركيه، فكان ذلك آخر العهد به، ثم ذكر مجيئه للنبى صلى اللّه عليه و سلم- يعنى لما أسلم- و قوله له: أنت قتلت حمزة؟ قال: قلت: قد كان من الأمر ما بلغك، قال: فهل تستطيع أن تغيّب وجهك عنى؟

و روى أن النبى صلى اللّه عليه و سلم وقف على حمزة رضى الله تعالى عنه، و قد مثل به، جدع أنفه و أذناه و بقر بطنه عن كبده، فقال صلى اللّه عليه و سلم: «لو لا أن تحزن صفية و يكون سنة من بعدى لتركته

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۱۱۴

حتى يكون فى بطون السباع و حواصل الطير، لن أصاب بمثلك أبدا، ما وقفت موقفا قط أغيظ إلىّ من هذا، ثم قال: جاءنى جبريل و أخبرنى أن حمزة مكتوب فى أهل السموات السّبع «حمزة بن عبد المطلب أسد الله و أسد رسوله: و أمر به النبىّ صلى اللّه عليه و سلم فسجّى ببردة ثم صلى عليه فكبّر عليه سبعين و دفنه.

و اختلاف الروايات فى الصلاة على شهداء أحد مشهور، و الذى فى الصحيح عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم «كان يجمع بين الرجلين من قتلى أحد فى الثوب الواحد، ثم يقول: أيهم أكثر أخذا للقرآن؟ فإذا أشير له إلى أحد قدّمه فى اللحد، و أمر بدفنهم بدمائهم، و لم يصلّ عليهم و لم يغسلوا.

و نقل ابن شبة عن عبد العزيز عن ابن سمعان عن الأعرج قال: لما قتل حمزة رضى الله تعالى عنه أقام فى موضعه تحت جبل الرّماة، و هو الجبل الصغير الذى ببطن الوادى الأحمر، ثم أمر به النبى صلى اللّه عليه و سلم فحمل عن بطن الوادى إلى الرّبوة التى هو بها اليوم، و كفنه فى بردة، و كفن مصعب بن عمير فى أخرى، و دفنهما فى قبر واحد.

قال عبد العزيز: و سمعت من يذكر أن عبد الله بن جحش بن رئاب قتل معهما، و دفن معهما فى قبر واحد، و هو ابن أخت حمزة أمّه أميمة بنت عبد المطلب.

قال عبد العزيز: و الغالب عندنا أن مصعب بن عمير و عبد الله بن جحش دفنا تحت المسجد الذى بنى على قبر حمزة، و أنه ليس مع حمزة أحد فى القبر.

قلت: ينبغى أن يسلم عليهما مع حمزة بمشهده؛ لأنهما إن لم يكونا معه فبقربه، و لعل المشهد اليوم أوسع من ذلك المسجد، و سبق فى المساجد ذكر المسجد الذى بمصرع حمزة رضى الله تعالى عنه، و المسجد الذى فى جهة قبلته بطرف جبل الرّماة، و ما جاء فيهما.

عمرو بن الجموح و عبد اللّه بن عمرو بن حرام

قبر عمرو بن الجموح و عبد الله بن عمرو بن حرام والد جابر بن عبد الله، و من ذكر معهما.

روى مالك بن أنس عن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى صعصعة أنه بلغه أن عمرو بن الجموح و عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاريين ثم السّلميين كانا فى قبر واحد، و كانا ممن استشهد يوم أحد، و كان قبرهما مما يلى السيل، فحفر عنهما ليغيرا عن مكانهما، فوجدا لم يتغيرا كأنما ماتا بالأمس، و كان أحدهما قد جرح فوضع يده على جرحه، فدفن و هو كذلك، فأميطت يده عن جرحه ثم أرسلت فرجعت كما كانت، و كان بين يوم أحد و يوم حفر عنهما ست و أربعون سنة.

و قال مالك: إن عمرو بن الجموع و عبد الله بن عمرو كفنا فى كفن واحد و قبر

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۱۱۵

واحد، رواه ابن شبة، ثم روى بسند جيد عن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنه قال:

دفن مع أبى رجل يوم أحد فى القبر فلم تطب نفسى حتى أخرجته فدفنته على حدة.

قلت: يحتمل أن سبب الإخراج ما تقدّم من أمر السيل، و وافق ذلك ما فى نفس جابر؛ فتكون القصة واحدة، لكن روى البخارى فى صحيحه خبر جابر مطولا، و فيه ما لفظه «قال: و دفنت معه آخر فى قبره، فلم تطب نفسى أن أتركه مع أحد، فاستخرجته بعد ستة أشهر، فإذا هو كيوم وضعته غير هنية عند أذنه».

فقوله: «بعد ستة أشهر» يقتضى أن ذلك ليس هو قصة أمر السيل؛ لأن المدة فى تلك ست و أربعون سنة.

و روى ابن شبة عن جابر أيضا قال: صرخ بنا إلى قتلانا يوم أحد حين أجرى معاوية العين، فأتيناهم فأخرجناهم رطابا تتثنّى أجسادهم، قال سعيد بن عامر أحد رواته: و بين الوقتين أربعون سنة.

و قال ابن إسحاق: حدثنى أبى عن رجال من بنى سلمة أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قال- حين أصيب عمرو بن الجموح و عبد الله بن عمرو يوم أحد- اجمعوا بينهما؛ فإنهما كانا متصافيين فى الدنيا، قال أبى: فحدثنى أشياخ من الأنصار قالوا: لما ضرب معاوية عينه التى مرت على قبور الشهداء استصرخنا عليهم، و قد انفجرت العين عليهما فى قبورهما، فجئنا فأخرجناهما و عليهما بردتان قد غطّى بهما وجوههما، و على أقدامهما شىء من نبات الأرض، فأخرجناهما يتثنيان تثنيا كأنهما دفنا بالأمس، نقله البيهقى فى دلائل النبوة.

و عن جابر من حديث طويل قال: فبينا أنا فى النظارين إذا جاءت عمّتى بأبى و خالتى عادلتهما على ناضح، فدخلت بهما المدينة لتدفنهما فى مقابرنا إذ لحق رجل ينادى أن النبى صلى اللّه عليه و سلم أمركم أن ترجعوا بالقتلى، فيدفنوا فى مصارعهم حيث قتلوا، فرجعناهما، فدفنّاهما حيث قتلا، فبينا أنا فى خلافة معاوية بن أبى سفيان إذ جاءنى رجل فقال: يا جابر، لقد أثار أباك عمال معاوية، فخرج طائفة منه، فأتيته فوجدته على النحو الذى دفنته لم يتغير إلا ما لم يدع القتل أو القتال، فواريته، الحديث، رواه أحمد برجال الصحيح خلا نبيح الغنوى و هو ثقة.

قلت: فهذه قصة ثالثة؛ فيؤخذ من مجموع ذلك أن جابرا حفر عن أبيه ثلاث مرات:

الأولى: لعدم طيب نفسه بدفنه مع غيره، و لعله استأذن النبى صلى اللّه عليه و سلم فى ذلك فأذن له؛ لما يترتب عليه من ظهور ما يشهد

لحياة الشهداء و سلامة أبدانهم، و كان دفنهم مجتمعين للضرورة و اتساع الوقت ففعله، و كأنه لما أخرجه دفنه بإزاء قبر صاحبه و صهره محافظة على القرب من مصرعه، فقد جاء الأمر بدفنهم فى مصارعهم.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۱۱۶

و الثانية: لما أجرى معاوية رضى الله تعالى عنه العين، و كان فى ذلك أيضا ظهور المعجزة بحياة الشهداء، فقد أسند ابن الجوزى فى مشكله عن جابر قال: صرخ بنا إلى قتلانا يوم أحد حين أجرى معاوية رضى الله تعالى عنه العين، فأخرجناهم بعد أربعين سنة تتثنّى أطرافهم لينة أجسادهم، و فى بعض طرقه: كأنهم نوّم، حتى أصابت المسحاة قدم حمزة بن عبد المطلب فانبعث دم.

و الثالث: لحفر السيل عنه و عن صاحبه.

و قد روى الواقدى أن قبرهما كان مما يلى السيل، فحفر عنهما و عليهما نمرتان، و عبد الله قد أصابه جرح فى يده فيده على جرحه فأميطت يده عن جرحه فانبعث الدم، فردت إلى مكانها فسكن الدم، قال جابر: فرأيت أبى فى حفرته فكأنه نائم، و بين ذلك ست و أربعون سنة.

قال: و يقال: إن معاوية لما أراد أن يجرى الكظامة نادى مناديه بالمدينة: من كان له قتيل بأحد فليشهد، فخرج الناس إلى قتلاهم، فوجدوهم رطابا يثنون، فأصابت المسحاة رجل رجل منهم فانبعث دم، فقال أبو سعيد الخدرى: لا ينكر بعد هذا منكر، و وجد عبد الله بن عمرو و عمرو بن الجموح فى قبر واحد فنقلا، و ذلك أن القناة كانت تمر على قبرهما، و لقد كانوا يجهزون التراب فحفروا ثره من تراب فاح عليهم ريح المسك.

قلت: و فيه مخالفة لما تقدم عن الصحيح؛ لاقتضائه بقائهما فى قبر واحد حتى كان إجراء العين، و فى ذلك كله ظهور المعجزة، و هو السر فى تكرر ذلك.

و روى ابن شبة عن أبى قتادة قال: أتى عمرو بن الجموح إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فقال:

يا رسول الله أ رأيت إن قاتلت حتى أقتل فى سبيل الله ترانى أمشى برجلى هذه فى الجنة؟

قال: نعم، و كانت عرجاء، فقتل يوم أحد هو و ابن أخيه، فمر النبى صلى اللّه عليه و سلم فقال: كأنى أراك تمشى برجلك هذه صحيحة فى الجنة، و أمر رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بهما و بمولاهما فجعلوا فى قبر واحد.

قال أبو غسان: قال الواقدى: مع عمرو فى القبر خارجة بن زيد، و سعد بن الربيع، و النعمان بن مالك، و عبد الله بن الحسحاس، قال أبو غسان: و قبرهم مما يلى المغرب من قبر حمزة رضى الله تعالى عنه نحو خمسمائة ذراع.

قال: و أما ما يعرف اليوم من قبور الشهداء فقبر حمزة بن عبد المطلب، و هو فى عدوة الوادى الشامية مما يلى الجبل، و قبر عبد الله بن حرام أبى جابر و معه عمرو بن الجموح أى فى الموضع المتقدم وصفه، و قبر سهل بن قيس بن أبى كعب بن القين بن كعب بن سواد من بنى سلمة و هو دبر قبر حمزة شاميا بينه و بين الجبل.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۱۱۷

قال: فأما القبور التى فى الحظار بالحجارة بين قبر حمزة و بين الجبل فإنه بلغنا أنها قبور أعراب أقحموا زمن خالد إذ كان على المدينة فماتوا هناك فدفنهم، سؤّال كانوا يسألون عند قبور الشهداء.

قال: و قال الواقدى: هم ماتوا زمن الرّمادة.

قلت: زمن الرمادة عام جدب مشهور، كان فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه.

و أما زمن خالد فيعنى به خالد بن عبد الملك بن الحارث، كان واليا لهشام بن عبد الملك فقحط المطر فى ولايته سبع سنين، و فيها جلا الناس من بادية الحجاز إلى الشام، و لا يعرف اليوم من قبور الشهداء غير قبر حمزة رضى الله تعالى عنه كما قاله ابن النجار.

قال: و أما بقية الشهداء فهناك حجارة مرصوصة يقال: إنها قبورهم.

قلت: ينبغى أن يسلم على بقيتهم عند قبر حمزة و فى غربيه و شاميه على النحو المتقدم.

و قال المطرى و متابعوه: و شمالى مشهد حمزة رضى الله تعالى عنه آرام من حجارة يقال:

إنها من قبور الشهداء، و لم يثبت ذلك بنقل صحيح.

و قد ورد فى بعض كتب المغازى أن هذه القبور قبور أناس ماتوا عام الرّمادة، و لا شك أن قبور الشهداء رضى الله تعالى عنهم حول قبر حمزة؛ إذ لا ضرورة أن يبعدوا عنه، انتهى.

قلت: قد تقدم النقل ببعد بعضهم عنه على نحو خمسمائة ذراع فى المغرب، و المقتضى للبعد الأمر بدفنهم فى مصارعهم، و القبور التى قيل إنها ليست قبورهم هى التى عليها حائز قصير من الأحجار قرب الجبل.

من دفن بالمدينة من قتلى أحد

ذكر قبور من قيل إنه نقل من شهداء أحد و دفن بقبره

قال ابن إسحاق: و كان ناس من المسلمين قد احتملوا قتلاهم إلى المدينة فدفنوهم بها، فنهى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم عن ذلك، و قال: ادفنوهم حيث صرعوا.

و تقدم فى فصل مقبرة بنى سلمة ما روى من دفن بعض قتلى أحد بها، منهم أبو عمرو بن سكن.

و تقدم فى فصل قبل هذا أن خنيس بن حذافة تأخرت وفاته فمات بالمدينة، و دفن عند عثمان بن مظعون.

و روى ابن شبة عن عبد الرحمن بن عمران عن أبيه قال: نقلنا عبد الله بن سلمة و المحذر بن زياد فدفناهما بقباء.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۱۱۸

و قال عبد العزيز: إن رافع بن مالك الزرقى قتل بأحد فدفن فى بنى زريق، قال:

و قيل: إن موضع قبره فى دار آل نوفل بن مساحق التى فى بنى زريق التى فى كتّاب عروة.

و عن أبى سعيد الخدرى قال أمر رسول الله صلى اللّه عليه و سلم من نقل من شهداء أحد إلى المدينة أن يدفنوا حيث أدركوا، فأدرك أبى مالك بن سنان عند أصحاب العباء فدفن، ثم قال ابن أبى فديك: فقبره فى المسجد الذى عند أصحاب العباء فى طرف الحناطين.

و رواه ابن زبالة بنحوه، إلا أنه قال: فوافوه بالسوق، فدفن مالك عند مسجد أصحاب العباء، و هناك أحجار الزيت.

قلت: و قد قدمنا بيان مشهده فى المشاهد، و لكن روى الترمذى و قال حسن صحيح عن جابر رضى الله تعالى عنه قال: كنا حملنا القتلى يوم أحد لندفنهم، فجاءنا منادى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، فأمرنا بدفن القتلى فى مصارعهم، فرددناهم، و ليحمل على من لم يبلغوا به المدينة، و الله سبحانه و تعالى أعلم.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۱۱۹

الباب السادس فى آبارها المباركات، و العين، و الغراس، و الصّدقات

اشارة

التى هى للنبى صلى اللّه عليه و سلم منسوبات، و ما يعزى إليه صلى اللّه عليه و سلم من المساجد، و المواضع التى صلّى فيها فى الأسفار و الغزوات، و فيه خمسة فصول:

الفصل الأول فى آبارها المباركات

اشارة

و رتبتها على حروف المعجم، معتمدا للأول فالأول من الاسم الذى تضاف إليه البئر، و ختمته بتتمة فى العين المنسوبة للنبى صلى اللّه عليه و سلم، و العين الموجودة اليوم، و غيرهما:

بئر أريس- بفتح الهمزة و كسر الراء و سكون المثناة التحتية و إهمال آخره- نسبة إلى رجل من يهود يقال له أريس، و معناه بلغة أهل الشام الفلّاح.

روينا فى صحيح مسلم عن أبى موسى الأشعرى رضى الله تعالى عنه أنه توضأ فى بيته، ثم خرج فقال: لألزمنّ رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، و لأكوننّ معه يومى هذا، فجاء إلى المسجد، فسأل عن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، فقالوا: خرج، وجّه هاهنا، قال: فخرجت على أثره أسأل عنه، حتى دخل بئر أريس، قال: فجلست عند الباب و بابها من جريد حتى قضى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم حاجته و توضأ، فقمت إليه فإذا هو قد جلس على بئر أريس و توسّط قفها و كشف عن ساقيه و دلّاهما فى البئر، قال: فسلمت عليه، ثم انصرفت فجلست عند الباب، فقلت:

لأكوننّ بواب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم اليوم، فجاء أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه فدفع الباب فقلت: من هذا؟ فقال: أبو بكر، فقلت: على رسلك، قال: ثم ذهبت فقلت يا رسول الله هذا أبو بكر يستأذن، فقال: ائذن له و بشره بالجنة، قال: فأقبلت حتى قلت لأبى بكر رضى الله تعالى عنه: ادخل و رسول الله صلى اللّه عليه و سلم يبشرك بالجنة، قال: فدخل أبو بكر و جلس عن يمين رسول الله صلى اللّه عليه و سلم معه فى القف و دلّى رجليه فى البئر كما صنع رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و كشف عن ساقيه، ثم رجعت فجلست و قد تركت أخى يتوضأ و يلحقنى، فقلت: إن يرد الله بفلان خيرا يأت به، فإذا إنسان يحرك الباب، فقلت: من هذا؟ فقال: عمر بن الخطاب، فقلت: على رسلك، ثم جئت النبى صلى اللّه عليه و سلم فسلمت عليه و قلت: هذا عمر يستأذن، فقال: ائذن له و بشره بالجنة، فجئت عمر فقلت: ادخل و يبشرك رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بالجنة، قال: فدخل فجلس مع رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فى القف عن يساره و دلّى رجليه فى البئر، ثم رجعت فجلست فقلت: إن يرد الله بفلان خيرا يعنى أخاه يأت به، فجاء إنسان فحرّك

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۱۲۰

الباب، فقلت: من هذا؟ فقال: عثمان بن عفان، فقلت: على رسلك، قال: و جئت النبىّ صلى اللّه عليه و سلم فأخبرته فقال: ائذن له و بشره بالجنة مع بلوى تصيبه، فجئت فقلت: ادخل و يبشرك رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بالجنة مع بلوى تصيبك، قال: فدخل فوجد القف قد ملئ، فجلس و جاههم من الشق الآخر، قال شريك: فقال سعيد بن المسيب: فأوّلتها قبورهم.

قلت: و سيأتى فى ترجمة الأسواق واقعة مثل هذه كان البواب فيها بلالا.

و روى أحمد و الطبرانى من وجوه عن عبد الله بن عمرو بن العاص قصة نحوها أيضا كان هو البواب فيها، و قال: بحشّ من حشان المدينة، و بعض أسانيدها رجاله رجال الصحيح، و لا مانع من تعدد ذلك.

و قد غاير رزين بين بئر أريس و بين البئر التى وقع الجلوس بقفها، فقال فى ذكر الآبار المعروفة بالمدينة: بئر أريس التى سقط فيها الخاتم، و بئر القف التى أدلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و أبو بكر و عمر أرجلهم فيها، و ذكر بقية الآبار.

و روينا فى صحيح البخارى من حديث أنس قال: كان خاتم رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فى يده و فى يد أبى بكر بعده و فى يد عمر بعد أبى بكر، قال فلما كان عثمان جلس على بئر أريس، فأخرج الخاتم، فجعل يعبث به، فسقط، فقال: فاختلفنا ثلاثة أيام مع عثمان، فنزح البئر فلم نجده، و فى مسند الحميدى عن ابن عمر أنه سقط مع معيقيب، و ثبت ذلك من روايته فى صحيح مسلم.

و رواه ابن زبالة عنه فى الشك، فقال: فهو الخاتم الذى سقط من عثمان أو من معيقيب فى بئر أريس.

و روى عنه النسائى و ابن شبة و اللفظ له حديث اتخاذ النبى صلى اللّه عليه و سلم خاتمه من الورق، و نقشه فيه «محمد رسول الله» و صيرورته فى يد عثمان سنين من عمله، ثم قال فيه: فلما كثرت عليه الكتب دفعه إلى رجل من الأنصار فكان يختم به، فخرج إلى قليب لعثمان فوقع فيها، فالتمس فلم يوجد، فأمر بخاتم من ورق فعمل عليه، و نقش «محمد رسول الله».

و معيقيب دوسى من أصحاب الهجرتين، لكن قد يوصف المهاجرى بالأنصارى بالمعنى الأعم، و الجمع بأن نسبة السقوط إلى عثمان رضى الله تعالى عنه محاذية لنيابة معيقيب عنه بعيد جدّا؛ لقوله فى رواية البخارى السابقة «فأخرج الخاتم فجعل يعبث به فسقط».

و كان سقوطه بعد ست سنين من خلافته، و كان فيه سر مما كان فى خاتم سليمان عليه الصلاة و السلام؛ لذهاب ملكه عند فقده، و لما فقد عثمان الخاتم انتقض عليه الأمر، و خرج عليه من خرج، و كان ذلك مبتدأ الفتنة المتصلة إلى آخر الزمان.

و روى ابن زبالة عن ابن كعب القرظى قال: سقط- يعنى الخاتم- من عثمان فى بئر

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۱۲۱

الخريف التى فى بئر أريس، فعلّق عليها اثنى عشر ناضحا فلم يقدر عليه حتى الساعة، فاقتضى أنه لم يكن فى بئر أريس نفسها، و لهذا نقل ابن شبة عن ابن غسان سقوط الخاتم فى بئر أريس و أنه قال: و قد سمعت من يقول: إنما سقط فى بئر فى صدقته يقال لها بئر خريف أى من آبار المال المسمى ببئر أريس؛ لأن ابن شبة قال أيضا: قال أبو غسان: ابتاع عثمان بئر أريس و فيها مال يقال له الدومة، ابتاعه من حى من الأنصار و فيه سهمه الذى أعطاه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم من أموال بنى النضير، و فيها كيدمة مال لعبد الرحمن بن عوف، ثم روى أن عبد الرحمن بن عوف باع كيدمة من عثمان بأربعين ألف دينار، و أمر عثمان عبد الله بن سعد بن أبى سرح فدفعها إليه، و أنه تصدق بها على أمهات المؤمنين و غيرهن.

و فى رواية أن عبد الرحمن أوصى بكيدمة لأمهات المؤمنين، فبعنها من عبد الله بن سعد بن أبى سرح.

ثم قال: قال أبو غسان: و أما أريس الذى نسب إليه المال فإن عبد العزيز بن عمران حدثنى عن عنبس العقبى قال: أريس رجل من يهود بنى محمم، و كان له ذلك المال، و فيه بئر عاضر التى يقول فيها اليهودى:

أمرت بلالا أن يعلق دلوه على الأعليين اليوم من بئر عاضر

فجمعها عثمان رضى الله تعالى عنه فى حظار واحد، و هى سبعة أموال، فتصدق بها، قال: فحدث عبد الرحمن بن أبى الزناد عن إبراهيم بن عبد الله بن فروخ عن أبيه عن جده قال: دخل علينا عثمان بئر أريس، و قد لفقنا له عذقا منها، فقال: ما هذا؟ فقلنا: لفقناه لك يا أمير المؤمنين، قال: إنما تصدّقت بها على ذوى القربى و الفقراء و اليتامى و المساكين و ابن السبيل، حتى العافية عافية الطير و السباع، قال: و قد كان لصدقة عثمان رضى الله تعالى عنه فيما بلغنى ذكر فى حجر منقوش على باب بئر أريس فطرحه بعض ولاة المدينة فى بئر من تلك الآبار، انتهى ما نقله ابن شبة عن أبى غسان ملخصا.

و سيأتى فى ترجمة كيدمة أنها سهم عبد الرحمن بن عوف من بنى النضير، و أن بقرب المشربة و الجرع المعروف بالحسينات موضع يعرف بكيادم بلفظ الجمع، و الدومة معروفة اليوم بالعالية قرب بنى قريظة، و بقربها موضع يعرف بالدويمة أيضا.

و هذا يشكل على ما هو معروف اليوم، و به صرح ابن النجار كالغزالى، و تبعه من بعده، من أن بئر أريس هى المقابلة لمسجد قباء فى غربيه، و يزيد الإشكال قوة أن بنى النضير و بنى محمم لم يكونوا بقباء، بل بجهة الدومة المذكورة و ما والاها، كما يعلم مما تقدم فى المنازل.

و كنت قد أجبت عن ذلك باحتمال أن يكون بعض أموالهم كان بقباء و أن يكون منها ما يسمى بالدومة و بكيدمة فى تلك الجهة ثم نسى تسميته بذلك.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۱۲۲

ثم رأيت فى كلام ابن زبالة ما يردّ ذلك، و يزيد الإشكال قوة فإنه قال فى صدقات النبى صلى اللّه عليه و سلم ما لفظه: و أما الدلال و

الصافية فإنهما يشربان من سرح عثمان بن عفان الذى يشقّ من مهزور فى أمواله، يأتى على أريس و أسفل منه حتى يتبطّن السورين، فصرفه- أى عثمان رضى الله تعالى عنه- مخافة على المسجد فى بئر أريس، ثم فى عقد أريم فى بلحارث بن الخزرج، ثم صرفه إلى بطحان، انتهى.

و الموضع المعروف بقباء لا يمكن وصول شىء من مهزور إليه، كما يعلم مما سيأتى فى وصف وادى مهزور، فالله أعلم.

من فضل بئر أريس

قال المجد: و مما يذكر فى فضل بئر أريس ما رويناه عن زيد بن خارجة أنه عاش بعد الموت و ذكر أمورا: منها ما يدل على فضل هذه البئر، و سياق الخبر عن النعمان بن بشير قال: لما توفى زيد بن خارجة انتظر به خروج عثمان، فكشف الثوب عن وجهه و قال: السلام عليكم، قال: و أنا أصلّى، فقلت: سبحان الله، فقال: أنصتوا أنصتوا، محمد رسول الله، كان ذلك فى الكتاب الأول، صدق صدق صدق، أبو بكر الصديق، ضعيف فى جسده قوى فى أمر الله كان ذلك فى الكتاب الأول، صدق صدق صدق، عمر بن الخطاب، قوى فى أمر الله كان ذلك فى الكتاب الأول، صدق صدق صدق، عثمان بن عفان، اثنتان و بقى أربع، و أبيحت إلا حمى بئر أريس و ماء بئر أريس.

و قد رويت هذه القصة من وجوه عن النعمان بن بشير، ذكره الذهبى فى التذهيب.

قلت: رواها ابن شبة بنحوه، إلا أنه قال فى آخرها: بئر أريس اختلف الناس، ارجعوا إلى خليفتكم فإنه مظلوم.

و قال فى رواية أخرى: ثم قال: أخذت بئر أريس، ثم خفت الصوت.

و روى البيهقى فى دلائل النبوة هذه القصة من وجوه، و قال فى بعضها: إسناده صحيح، و فسر قوله «اثنتان» بأن ذلك كان بعد مضى سنتين من خلافة عثمان، و الأربع البواقى من خلافته، و الأمر فى بئر أريس سقوط خاتم النبى صلى اللّه عليه و سلم فيها بعد ست سنين من خلافة عثمان، فعند ذلك تغيرت علمه، و ظهرت أسباب الفتن، انتهى.

قال المجد: و فى الإحياء للغزالى أن النبى صلى اللّه عليه و سلم «تفل فى بئر أريس» و لم أجد ذلك عند غيره، و أعاد المجد ذكر بئر أريس فى ترجمة قباء و قال: إنها التى تفل فيها النبىّ صلى اللّه عليه و سلم فعذبت بعد أن كان ماؤها أجاجا، و لم ينسبه للغزالى، و هو فى ذلك متابع لابن جبير فى رحلته.

و قال الحافظ العراقى فى تخريج أحاديث الإحياء: إنه لم يقف على أصل الحديث فى تفله صلى اللّه عليه و سلم فى بئر أريس.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۱۲۳

قلت: و من الغريب قول ابن جماعة فى مناسكه الكبرى فى باب الفضائل «فضل بئر أريس: قد صحّ أن سيدنا رسول الله صلى اللّه عليه و سلم تفل فيها، و أنه سقط فيها خاتمه» انتهى.

و خرج البيهقى من حديث إبراهيم بن طهمان عن يحيى بن سعيد أنه حدثه أن أنس بن مالك رضى الله عنه أتاهم بقباء يسأله عن بئر هناك، فدللته عليه، فقال: لقد كانت هذه و إنّ الرجل لينضح على حماره فتنزح فيستخرجها له، فجاء رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فأمر بذنوب فسقى، فإما أن يكون توضأ منه أو تفل فيه، ثم أمر به فأعيد فى البئر، فما نزحت بعد، فرأيته صلى اللّه عليه و سلم بال ثم جاء فتوضأ و مسح على خفّيه ثم صلّى، لكن سيأتى فى بئر غرس ما يبين أنها المرادة بذلك، و لم يعد ابن شبة و لا ابن زبالة بئر أريس فى الآبار التى كان استقى منها للنبى صلى اللّه عليه و سلم، و إنما ذكرها ابن شبة فى صدقة عثمان، و ذكر سقوط الخاتم فيها مع ما تقدم.

و هذه البئر المعروفة اليوم بقباء من أعذب آبار المدينة.

ذرع بئر أريس

و ذكر ابن النجار أنه ذرع طولها فكان أربعة عشر ذراعا و شبرا، منها ذراعان و نصف ماء، و عرضها خمسة أذرع، قال: و طول قفها الذى جلس عليه النبى صلى اللّه عليه و سلم و صاحباه ثلاثة أذرع تشف كفا، قال: و هى تحت أطم عال، خراب من جهة القبلة، و قد بنى فى أعلاه مسكن.

قال المطرى، عقب ذكره أن ذلك المسكن يسكنه من يقوم بالحديقة و يخدم مسجد قباء.

قلت: و هو اليوم بيد المتكلم على الحديقة صاحبنا الشيخ برهان الدين القطان، و وقع بينه و بين صاحبنا الفخر العينى مشاجرة بسببه و سبب البئر؛ لأن الفخر بيده قطعة تحت الحصن المذكور و قطعة أخرى فى مقابلة المسجد أنشأها بعض أقاربه هناك، ثم اصطلحا على السّقى بالبئر المذكورة و استمرار الحصن بيد البرهان، ثم رفعوا قف البئر عما أدركناه عليه نحو ثلاثة أذرع، و ذلك لما بنى متولى العمارة السبيل و البركة المقابلين لمسجد قباء المتقدم ذكرهما فيه، و ذلك ليتأتى وصول الماء إلى البركة، و صار طول هذه البئر اليوم على ما ذرعته تسع عشرة ذراعا و نصف ذراع، منها أربعة أذرع ماء، و ذلك بعد تبحيرها.

و لهذه البئر درجة ذكرها المطرى، فقال: و قد حدّد الشيخ صفى الدين أبو بكر بن أحمد السلامى لهذه البئر درجا ينزل إليها منه من يريد الوضوء و الشرب من الزوار سنة أربع عشرة و سبعمائة، انتهى. و هو مخالف لقول البدر ابن فرحون فى ترجمة نجم الدين يوسف الرومى وزير الأمير طفيل: إنه هو الذى أنشأ الدرجة الموجودة اليوم لبئر أريس بقباء عمرها فى سنة أربع عشرة و سبعمائة، قال: و كان الجماعة الحزازون قد ابتدءوا فى عمارتها فسألهم أن يتركوا ذلك له ليفوز بحسنتها، و كان الحامل لهم على ذلك أنهم كانوا إذا جاءوا إلى

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۱۲۴

مسجد قباء لا يجدون ما يتوضئون به، إلا من الحديقة الجعفرية، فكانوا يتحرّجون من دخولها لما سمعوا أنها مغصوبة من ملاكها، انتهى.

و جمع المجد بأنّ الظاهر أن نجم الدين المذكور أنشأ الدرجة و تشعثت، فأصلحها صفى الدين و جددها.

قلت: و يرده اتخاذ التاريخ كما سبق. و الذى يظهر: أن جماعة الخرازين- كما ترجمهم به البدر- كانوا يسعون فى عمارة المساجد و غيرها، و كانوا فقراء؛ فيعينهم الخدم، و أهل الخير، و كان صفى الدين له دنيا عظيمة فتخلى عنها، و له معروف فكأنه هو الممد للخرازين بما صرفوا على عمارة الدرج، و كان المطرى يصحب الجميع، فالظاهر أنه اطّلع على ذلك، ثم أتم نجم الدين عمارة تلك الدرجة و اللّه أعلم.

بئر الأعواف، أحد صدقات النبى صلى اللّه عليه و سلم الآتية

روى ابن شبة عن محمد بن عبد اللّه بن عمرو بن عثمان قال: توضأ رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم على شفة بئر الأعواف صدقته، و سال الماء فيها، و نبتت ثابتة على أثر وضوئه صلى اللّه عليه و سلم، و لم تزل فيها حتى الساعة.

و روى ابن زبالة عن عثمان بن كعب قال: طلب رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم سارقا، فهرب منه، فنكبه الحجر الذى وضع بين الأعواف صدقة النبى صلى اللّه عليه و سلم و بين الشطبية مال ابن عتبة، فوقع السارق، فأخذه رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم، و برّك رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم فى الحجر و مسّه و دعا له، فهو الحجر الذى فيما بين الأعواف و الشطبية يطلع طرفه يمسه الناس.

قلت: و الأعواف اليوم اسم لجرع كبير فى قبلة المربوع، و فى شاميه خنافة، و فيه آبار متعددة؛ فلا تعرف البئر المذكورة منها، و كذلك الحجر؛ لأن الشطبية غير معروفة اليوم، و لعلها الموضع المعروف بالعتبى؛ لقوله فى الرواية المتقدمة: مال ابن عتبة، و العتبى

بجنب الأعواف من المشرق، فإن كان هو الشطبية فبئر الأعواف هى البئر التى فيها يلى خنافة من جرع الأعواف، و هى اليوم معطلة لا ماء بها، و يستأنس لذلك بما نقله ابن زبالة من أن الأعواف كانت لخنافة اليهودى جد ريحانة رضى الله تعالى عنها.

و لم يذكر المطرى و من تبعه هذه البئر و لا الغلالة بعدها؛ لسكوت ابن النجار عنها.

بئر أنا: بضم الهمزة و تخفيف النون كهنا، و قيل: بالفتح و كسر النون المشددة بعدها مثناة تحتية، و قيل: بالفتح و التشديد كحتّى، و ضبطه فى النهاية بفتح الهمزة و تشديد الباء الموحدة كحتى، ذكره فى القاموس أيضا، و ذكره ياقوت فى المشترك له، و قال: كذا هو مضبوط بخط أبى الحسين بن الفرات، ثم قال: و ذكر آخرون أنها بئر أنا بضم الهمزة و النون الخفيفة.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۱۲۵

روى ابن زبالة عن عبد الحميد بن جعفر قال: ضرب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قبته حين حاصر بنى قريظة على بئر أنا، و صلّى فى المسجد الذى هناك، و شرب من البئر، و ربط دابته بالسّدرة التى فى أرض مريم ابنة عثمان.

و قال ابن إسحاق: لما أتى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بنى قريظة نزل على بئر من آبارها، و تلاحق به الناس، و هى بئر أنا.

قلت: و هى غير معروفة اليوم، و ناحية بنى قريظة عند مسجدهم

بئر أنس بن مالك بن النضر: و تضاف أيضا لأبيه.

و روى ابن زبالة عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم استسقى، فنزع له دلو من بئر دار أنس، فسكب على اللبن فأتى به فشرب، و عمر بين يديه و أبو بكر عن يساره، و أعرابى عن يمينه، الحديث، و هو فى الصحيح عن أنس بلفظ: أتانا رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فى دارنا هذه، فاستسقى. فحلبنا شاة لنا ثم شبته من بئرنا هذه فأعطيته، الحديث.

و روى ابن شبة عن أنس أن النبى صلى اللّه عليه و سلم شرب من بئر أنس التى فى دار أنس.

و خرج أبو نعيم عن أنس أن النبى صلى اللّه عليه و سلم بزق فى بئر داره، فلم يكن بالمدينة بئر أعذب منها، قال: و كانوا إذا حوصروا استعذب لهم منها، و كانت تسمى فى الجاهلية البرود.

قلت: و هى غير معروفة اليوم، لكن تقدم عن ابن شبة فى البلاط أنه كان له سرب يخرج عند دار أنس بن مالك فى بنى جديلة، و تقدم فى بيان المحلّ الذى ضرب منه اللبن للمسجد النبوى أن البئر المعروف اليوم بالرباطية وقف رباط اليمنة فى شامى الحديقة المعروفة بالرومية بقرب دار فحل يتبرك بها الفقراء، كما ذكره الزين المراغى، و قال: إنها تعرف ببئر أيوب، و كذلك البئر ذات الدرج التى فى شرقيها فى الحديقة المعروفة بأولاد الصفى تعرف ببئر أيوب أيضا.

قلت: و المعروف اليوم ببئر أيوب إنما هى الثانية، و الظاهر أنها بئر أبى أيوب الأنصارى، و أما الأولى فالظاهر أنها بئر أنس؛ لأنها فى جهة السرب الذى ذكره ابن شبة قرب منازل بنى جديلة، و لتبرك الناس بها قديما، و لأنها عذبة الماء بحيث يشرب منها كثير من أهل تلك الجهة أيام النقلة فى الصيف، و سيأتى فى بئر السقيا أنه كان يستعذب للنبى صلى اللّه عليه و سلم الماء من بئر مالك بن النضر والد أنس.

و روى ابن شبة عن أنس فى ذكر بئره قال: كان فى دارى بئر تدعى فى الجاهلية البرود، كان الناس إذا حوصروا شربوا منها.

و اعلم أن أنس بن مالك بن النضر بن عدى بن النجار قد روى أهل السير أن النبى صلى اللّه عليه و سلم لما بلغ من العمر ستّ سنين خرجت به أمه إلى طيبة تزيره أخواله من بنى عدى بن النجار، قال صلى اللّه عليه و سلم: فأحسنت العوم فى بئرهم.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۱۲۶

بئر إهاب: و فى نسخة لابن زبالة «بئر الهاب» و الأول هو الصواب الذى اعتمده المجد.

روى ابن زبالة عن محمد بن عبد الرحمن أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم أتى بئر إهاب بالحرة و هى يومئذ لسعد بن عثمان، فوجد ابنه عبادة بن سعد مربوطا بين القرنين يفتل، فانصرف رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، فلم يلبث سعد أن جاء فقال لابنه: هل جاءك

أحد؟ قال: نعم و وصف له صفة رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، فقال: ذاك رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فالحقه و حلّه، فخرج عبادة حتى لحق رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، فمسح رسول الله صلى اللّه عليه و سلم على رأس عبادة و برك فيه، قال: فمات و هو ابن ثمانين و ما شاب، قال: و بصق رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فى بئرها.

قال: و قال سعد بن عثمان لولده: لو أعلم أنكم لا تبيعونها لقبرت فيها، فاشترى نصفها إسماعيل بن الوليد بن هشام بن إسماعيل، و ابتنى عليها قصره الذى بالحرة مقابل حوض ابن هشام، و ابتاع نصفها الآخر إسماعيل بن أيوب بن سلمة، و تصدقا بما ابتاعا من ذلك.

قلت: و هى المذكورة فى حديث أحمد المتقدم فى بدء شأن المدينة و ما يؤول إليه أمرها، لقوله فيه «خرج حتى أتى بئر الإهاب، قال: يوشك أن يأتى البنيان هذا المكان».

و فى حديث عبادة الزرقى أنه يصيد القطا فيرقى بئر إهاب، و كانت لهم، الحديث المتقدم فى صيد الحرم، و هى بالحرة الغربية بئر، غير أنها لا تعرف اليوم بهذا الاسم، إلا أن حوض ابن هشام الذى فى مقابلتها كان عند فاطمة بنت الحسين التى رجّح المطرى أنها المسماة اليوم بزمزم كما سيأتى أيضا فى خبر بئر فاطمة المذكورة، فلما بنى إبراهيم بن هشام داره بالحرة بعد وفاة فاطمة و أراد نقل السوق إليها صنع فى حفرته التى بالحوض مثل ما صنعت فاطمة، فلقى جبلا، فسأل إبراهيم بن هشام بن عبد الله بن حسن بن حسن أن يبيعه دار فاطمة، فباعه إياها، أى من أجل البئر التى احتفرتها فاطمة فى دارها.

و قال المطرى: إن ابن زبالة ذكر عدة آبار أتاها النبى صلى اللّه عليه و سلم و شرب منها و توضأ، لا نعرف اليوم شيئا منها.

قال: و من جملة ما ذكر بئر بالحرة الغربية فى آخر منزلة النقاء، و ذكر ما سيأتى فى بئر السقيا.

ثم قال ما لفظه: و منها بئر أخرى إذا وقفت على هذه- يعنى بئر السقيا- و أنت على جادّة الطريق و هى- يعنى السقيا- على يسارك كانت هذه على يمينك، و لكنها بعيدة عن الطريق قليلا فى سند من الحرة قد حوّط حولها ببناء مجصّص، و كان على شفيرها حوض من حجارة تكسر، و لم يزل أهل المدينة قديما و حديثا يتبركون بها، و يشربون من مائها، و ينقل إلى الآفاق منها، كما ينقل من ماء زمزم، و يسمونها زمزم أيضا لبركتها.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۱۲۷

ثم قال: و لم أعلم أحدا ذكر فيها أثرا يعتمد عليه، و الله أعلم أيتهما هى السقيا؟ الأولى لقربها من الطريق، أم هذه لتواتر التبرك بها؟ أو لعلها البئر التى احتفرتها فاطمة ابنة الحسين حين أخرجت من بيت جدتها فاطمة الكبرى، و ذكر القصة الآتية فى حفرها لبئرها، ثم قال: إن الظاهر أن هذه هى بئر فاطمة، و الأولى هى السقيا.

قلت: قوله «إن الأولى هى السقيا» هو الصواب كما سيأتى، و أما قوله «إن الثانية هى بئر فاطمة» فعجيب؛ لأن مقتضى قوله و منها أنها من جملة الآبار التى ذكر ابن زبالة أن النبى صلى اللّه عليه و سلم أتاها و شرب منها، و بئر فاطمة بنت الحسين هى التى احتفرتها بعد النبى صلى اللّه عليه و سلم، و إنما ذكرها ابن زبالة فى خبر بناء المسجد، و ذكر فى آبار النبى صلى اللّه عليه و سلم ما قدمناه فى بئر إهاب مع بئر السقيا و غيرهما من الآبار، ثم أفردهما ثانيا فى سياق ما جاء فى الحرة الغربية، و أيضا فقد ذكر المطرى أن البئر المذكورة لم تزل يتبرك بها قديما و حديثا، و ينقل منها الماء إلى الآفاق، فكيف ترجّح أنها المنسوبة لابنة الحسين مع وجود بئر فى تلك الجهة ينسب إلى النبى صلى اللّه عليه و سلم إتيانها و البصق فيها؟ فالذى ترجّح عندى أن هذه البئر المعروفة بزمزم هى بئر إهاب، و قد رأيت عندها مع طرف الجدار الذى بجانبها الدائر على الحديقة آثار قصر قديم كان مبنيّا عليها الظاهر أنه قصر إسماعيل بن الوليد الذى ابتناه عليها، و فى شاميها بئر أخرى فى الحديقة المذكورة يحتمل أنها هى المنسوبة لابنة الحسين، و لعل حوض ابن هشام كان هناك، و الله أعلم.

بئر البصّة: - بضم الموحدة و فتح الصاد المشددة آخره هاء، كانها من بصّ الماء بصّا رشح، كذا قاله المجد- قال: و إن روى بالتخفيف فمن وبص يبص وبصا و بصة كوعد يعد وعدا و عدة إذا بلغ، أو من وبص لى من المال أى أعطانى.

قلت: المعروف بين أهل المدينة التخفيف.

و روى ابن زبالة و ابن عدى من طريقه عن أبى سعيد الخدرى قال: كان رسول الله صلى اللّه عليه و سلم يأتى الشهداء و أبناءهم، و يتعاهد عيالاتهم، قال: فجاء يوما أبا سعيد الخدرى فقال: هل عندك من سدر أغسل به رأسى فإن اليوم الجمعة؟ قال: نعم، فأخرج له سدرا، و خرج معه إلى البصة، فغسل رسول الله صلى اللّه عليه و سلم رأسه، فصب غسالة رأسه و مراقة شعره فى البصة.

قال ابن النجار: و هذه البئر قريبة من البقيع على طريق الماضى إلى قباء، و هى بين نخل، و قد هدمها السيل و طمّها، و فيها ماء أخضر، وقفت على قفّها، و ذرعت طولها، فكان أحد عشر ذراعا، منها ذراعان ماء، و عرضها سبعة أذرع، و هى مبنية بالحجارة، و لون مائها إذا انفصل منها أبيض، و طعمه حلو، إلا أن الأجون غلب عليه. و ذكر لى الثقة أن أهل المدينة كانوا يستقون منها قبل أن يطمّها السيل، اه.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۱۲۸

و قد أصلحت بعده، و لذا قال المطرى: إنها فى حديقة كبيرة محوط عليها محائط، و عندها فى الحديقة أيضا بئر أصغر منها، و الناس يختلفون فيهما أنهما بئر البصة، إلا أن ابن النجار قطع بأنها الكبرى القبلية، و ذكر ما تقدم عنه فى طولها و عرضها، ثم قال: و الصغرى عرضها ستة أذرع، و هى التى تلى أطم مالك بن سنان والد أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنهما. قال: و سمعت من أدركت من أكابر الخدام و غيرهم من أهل المدينة يقولون:

إنها الكبرى القبلية، و إن الفقيه الصالح القدوة أبا العباس أحمد بن موسى بن عجيل و غيره من صلحاء اليمن إذا جاءوا للتبرك بالبصة لا يقصدون إلا الكبرى القبلية.

قلت: الظاهر أن ذلك كله ناشئ عما ذكره ابن النجار فى وصفها، لكن يرجّح أنها الصغرى كونها إلى جانب الأطم المذكور، و قد قال فيه ابن زبالة كما تقدم فى المنازل: إنه المسمى بالأجرد، و إنه الذى يقال لبئره البصة، كان لمالك بن سنان، و الكبرى بعيدة عن الأطم المذكور.

و قد ابتنى قاضى المدينة زكى الدين بن أبى الفتح بن صالح تغمده الله برحمته على محلّ هذا الأطم منزلا حسنا، و جعل للبئر الصغرى درجا ينزل إليها منه، و عمر البئر الكبرى أيضا لما استأجر الحديقة لولده بعد أن أجرها هو و شريكه فى النظر فى الولاية السلطانية لغيره، و هى من جملة أوقاف الفقراء، وقفها شيخ الخدام عزيز الدولة ريحان البدرى الشهامى على الفقراء الواردين و الصادرين للزيارة على ما ذكره المطرى، قال: و ذلك بعد وفاته بعامين أو ثلاثة، و وفاته سنة سبع و تسعين و ستمائة، اه.

و فى غربى البئر الصغرى بجانب الحديقة من خارجها سبيل للدوابّ يملأ منها، و عليه موقوف قطعة نخل تعرف بالركبدارية شمالىّ سور المدينة.

بئر بضاعة: - بضم الموحدة على المشهور، و حكى كسرها، و بفتح الضاد المعجمة، و أهملها بعضهم، و بالعين المهملة، بعدها هاء- غربىّ برحاء إلى جهة الشمال، بينهما غلوة سهم سبقى.

روينا فى سنن أبى داود عن أبى سعيد الخدرى، قال: سمعت رسول الله صلى اللّه عليه و سلم- و هو يقال له: إنه يستفى لك من بئر بضاعة، و هى بئر تلقى فيها لحوم الكلاب و المحائض و عذر الناس- فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم «الماء طهور لا ينجّسه شىء».

و رواه أحمد، و صححه النسائى، و الترمذى و حسّنه، و الدار قطنى و قال فيه «من بئر بضاعة بئر بنى ساعدة» و ابن شبّة إلا أنه قال «و عذر النساء» بدل قوله «و عذر الناس» و ابن ماجه و زاد «لا ينجسه شىء إلا ما غلب عليه ريحه و طعمه و لونه».

و فى رواية للنسائى عن أبى سعيد قال: مررت بالنبى صلى اللّه عليه و سلم و هو يتوضأ من بئر بضاعة، فقلت: أ تتوضأ منها و هى يطرح فيها ما يكره من النتن؟ فقال «الماء لا ينجسه شىء».

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۱۲۹

و روى ابن شبة عن سهل بن سعد أن النبى صلى اللّه عليه و سلم «بصق فى بضاعة». و عنه أيضا سقيت النبيّ صلى اللّه عليه و سلم بيدى من بضاعة، و رواه الطبرانى فى الكبير و رجاله ثقات إلا أنه قال «من بئر بضاعة» و كذا رواه أحمد.

و روى ابن زبالة و أبو يعلى عن محمد بن أبى يحيى عن أمه قالت: دخلنا على سهل بن سعد فى نسوة فقال: لو أنى سقيتكن من بئر بضاعة لكرهت ذلك، و قد و اللّه سقيت رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم بيدى منها.

و فى الكبير للطبرانى عن سهل بن سعد أن النبى صلى اللّه عليه و سلم «برّك على بضاعة».

و رواه ابن زبالة عن أبى أسيد، لكن بلفظ «دعا لبئر بضاعة». و فى الكبير للطبرانى عن مالك بن حمزة بن أبى أسيد الساعدى عن أبيه عن جده أبى أسيد، و له بئر بالمدينة يقال لها بئر بضاعة، قد بصق فيها النبى صلى اللّه عليه و سلم فهى يتبشر بها و يتيمن بها.

قال: فلما قطع أبو أسيد ثمر حائطه جعله فى غرفة، فكانت الغول تخالفه إلى مشربته فتسرق ثمره و تفسده عليه، فشكا ذلك إلى النبى صلى اللّه عليه و سلم، فقال «تلك الغول يا أبا أسيد، فاستمع عليها، فإذا سمعت اقتحامها فقل: بسم اللّه، أجيبى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم، فقالت الغول: يا أبا أسيد، أعفنى أن تكلفنى أن أذهب إلى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم، و أعطيك موثقا من اللّه أن لا أخالفك إلى بيتك، و أن لا أسرق ثمرك، و أدلّك على آية تقرؤها على بيتك فلا يخالف إلى أهلك، و تقرؤها على إنائك فلا يكشف غطاؤه، فأعطته الموثق الذى رضى به منها، فقالت: الآية التى أدلّك عليها هى آية الكرسى، ثم حكت أسنانها تضرط، فأتى النبى صلى اللّه عليه و سلم فقصّ عليه القصة حيث دلته، فقال النبى صلى اللّه عليه و سلم: صدقت و هى كذوب» قال الحافظ الهيتمى: رجاله وثقوا كلهم، و فى بعضهم ضعف.

و قال المجد: و فى الخبر أن النبى صلى اللّه عليه و سلم «أتى بئر بضاعة، فتوضأ من الدّلو و ردّها إلى البئر، و بصق فيها، و شرب من مائها، و كان إذا مرض المريض فى أيامه يقول: اغسلونى من ماء بضاعة، فيغسل فكأنما ينشط من عقال».

و قالت أسماء بنت أبى بكر: كنا نغسل المرضى من بئر بضاعة ثلاثة أيام فيعافون، اه.

قال أبو داود فى سننه: سمعت قتيبة بن سعيد يقول: سألت قيّم بئر بضاعة عن عمقها أكثر ما يكون فيها الماء، قال: إلى القامة، قلت: و إذا نقص، قال: دون العورة، قال أبو داود عقبه: و قدّرت بئر بضاعة بردائى، مددته عليها ثم ذرعته فإذا عرضها ستة أذرع، و سألت الذى فتح باب البستان فأدخلنى إليه: هل غيّر بناؤها عما كانت عليه؟ فقال: لا، و رأيت فيها ماء متغير اللون.

و قال ابن النجار: هذا البئر اليوم فى بستان، و ماؤها عذب طيب، و لونها صاف

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۱۳۰

أبيض، و ريحها كذلك، و يستقى منها كثيرا، قال: و ذرعتها فكان طولها أحد عشر ذراعا و شبرا، منها ذراعان راجحة ماء، و الباقى بناء، و عرضها ستة أذرع كما ذكر أبو داود.

قلت: و ذرعتها فكان ذرعها كذلك لم يتغير، إلا أن قفّها مرتفع عن الأرض الأصلية ذراعا و نصفا راجحا، و هى- كما قال المطرى- فى جانب حديقة عند طرف الحديقة الشامى، و الحديقة فى قبلة البئر، و يستقى منها أهل حديقة أخرى شمالى البئر، و هى بينهما، و ماؤها عذب طيب مع تعطّلها فى زماننا و خراب قفّها، و هى المرادة بما فى صحيح البخارى عن سهل بن سعد «إن كنا لنفرح بيوم الجمعة، كانت لنا عجوز تأخذ من أصول الصلق» و فى رواية له» ترسل إلى بضاعة» قال ابن سلمة أى شيخ البخارى: محل بالمدينة، الحديث.

قال الإسماعيلى: فى هذا بيان أن بئر بضاعة بئر بستان؛ فيدل على أن قول أبى سعيد «كانت تلقى فيها الحيض و غيرها» أنها كانت تطرح فى البستان فيجريها المطر و نحوه إلى البئر.

قلت: و من شاهد بضاعة علم أنه كذلك لأنها فى وهدة، و حولها ارتفاع، سيما فى شاميها؛ إذا قدر اليوم هناك أقذار لسال بها المطر إليها، و تلقى الرياح فيها ما تلقى، و ادعى الطحاوى أنها كانت سيحا، و روى ذلك عن الواقدى، و إن صحّ فلعل المراد به أن الأرض

التى حولها كانت المياه تسيح فيها فتجرّ الأقذار إليها؛ لإطباق مؤرخى المدينة العالمين بأخبارها على تسميتها ببئر، لا كما قال بعض الحنفية: إنها كانت عينا جارية إلى بستانين، إذ المشاهدة تردّه كما قاله المجد، قال: و لو كان كذلك لما صلح أن يقول فيها المريض «اغسلونى من ماء بضاعة» لأن الجرية الأولى سارت ببصاق النبى صلى اللّه عليه و سلم، و أيضا فلو كانت قناة جارية و سدت لما خفى آثار مجاريها المنسدة، و المشاهدة مع الإطباق على أنها البئر المذكورة كافية فى الرد.

و قال المجد: بضاعة دار بنى ساعدة، و بها هذه البئر، و نقله الحافظ ابن حجر عن بعضهم، و مقتضى كلام شيخ البخارى المتقدم أنها اسم للبستان الذى فيه البئر، و الظاهر إطلاقها على الثلاثة، و اللّه أعلم.

بئر جاسوم: و يقال جاسم- بالجيم و السين المهملة- لم يذكرها و التى بعدها ابن النجار و من بعده، و تقدم فى مسجد راتج من رواية ابن شبة أن النبى صلى اللّه عليه و سلم صلّى فى مسجد راتج، و شرب من جاسوم، و هى بئر هناك.

و روى هو و ابن زبالة أيضا عن خالد بن رباح أن النبى صلى اللّه عليه و سلم «شرب من جاسوم بئر أبى الهيثم بن التيهان».

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۱۳۱

و عن زيد بن سعد قال: جاء النبى صلى اللّه عليه و سلم معه أبو بكر و عمر رضى اللّه تعالى عنهما إلى أبى الهيثم بن التيهان رضى اللّه تعالى عنه فى جاسوم، فشرب من جاسوم، و هى بئر أبى الهيثم، و صلّى فى غائطه.

و روى الواقدى عن الهيثم بن نصر الأسلمى قال: خدمت النبى صلى اللّه عليه و سلم و لزمت بابه، فكنت آتيه بالماء من بئر جاسم، و هى بئر أبى الهيثم بن التيهان، و كان ماؤها طيبا، و لقد دخل يوما صائما و معه أبو بكر على أبى الهيثم، فقال: هل من ماء بارد؟ فأتاه بشجب فيه ماء كأنه الثلج، فصبّ منه على لبن عنز له و سقاه ثم قال له: إن لنا عريشا باردا، فقل فيه يا رسول اللّه عندنا، فدخله و أبو بكر، و أتى أبو الهيثم بألوان من الرّطب، الحديث، و أشار الحافظ ابن حجر إلى أنه يؤخذ منه أن هذه القصة هى التى فى الصحيح عن جابر أن النبى صلى اللّه عليه و سلم دخل على رجل من الأنصار و معه صاحب له، فقال له النبى صلى اللّه عليه و سلم: إن كان عندك ماء بائت هذه الليلة فى شجب و إلا كرعنا، قال: و الرجل يحول الماء فى حائطه، فقال الرجل:

يا رسول اللّه عندنا ماء بائت، فانطلق إلى العريش، قال: فانطلق بهما فسكب فى قدح ثم حلب عليه من داجن له، فشرب رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم، ثم شرب الرجل الذى جاء معه.

قلت: و هذه البئر غير معروفة اليوم، و تقدم بيان جهتها فى مسجد راتج.

بئر جمل: بلفظ الجمل من الإبل- روى ابن زبالة عن ابن عبد اللّه بن رواحة و أسامة بن زيد قالا: ذهب رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم إلى بئر جمل، و ذهبنا معه، فدخل رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم، و دخل معه بلال، فقلنا: لا نتوضأ حتى نسأل بلالا كيف توضأ رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم، قالا: فسألناه، فقال: توضأ رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم و مسح على الخفين و الخمار، و فى صحيح البخارى حديث «أقبل النبى صلى اللّه عليه و سلم من نحو بئر جمل، فلقيه رجل، فسلم عليه- الحديث».

و فى رواية للدار قطنى «أقبل رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم من الغائط، فلقيه رجل عند بئر جمل».

و فى أخرى له أن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم «ذهب نحو بئر جمل ليقضى حاجته، فلقيه رجل مقبل فسلّم عليه».

و فى رواية النسائى «أقبل من نحو بئر الجمل» و هو من العقيق، قاله المجد، قال: و هى بئر معروفة بناحية الجرف بآخر العقيق، و عليها مال من أموال أهل المدينة، قال: و يحتمل أنها سميت بجمل مات فيها، أو برجل اسمه جمل حفرها.

قلت: و هى غير معروفة اليوم، و لم أر من سبق المجد لكونها بالجرف غير ياقوت.

و قوله «و هو من العقيق» لم أره فى السنن الصغرى للنسائى، و يبعده سوق الروايات السابقة لقوله «ذهب نحو بئر جمل ليقضى حاجته» و فى أخرى أن الرجل توارى فى السكة، و المعروف بقضاء الحاجة إنما هو ناحية بقيع الحجبة، و هو ناحية بئر أبى أيوب، و هناك

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۱۳۲

الموضع المعروف بالمناصع، و تقدم بيان زقاق المناصع شرقى المسجد فيما يلى الشام، و سبق فى الفصل الحادى عشر من الباب الثالث أن ناقته صلى اللّه عليه و سلم بركت بين أظهر بنى النجار، أى شرقى المسجد النبوى، ثم نهضت حتى أتت زقاق الحبشى ببئر جمل فبركت، الحديث، و هو مؤيد لما قدمناه على أن عند مؤخر المسجد زقاقا يعرف اليوم بخرق الجمل، و بقرب درب سويقة بئر صغيرة فى زقاق ضيق زعم أهل تلك الناحية أنها هى، و أظنه غلطا.

و قال المطرى عقب ذكر الآبار التى اقتصر عليها ابن النجار: إنها ست، و السابعة لا تعرف اليوم، إلا ما يسمع من قول العامة إنها بئر جمل، و لم تعلم أين هى، و لا من ذكرها غير ما ورد فى حديث البخارى، و ذكر ما قدمناه.

ثم قال: و لم يذكر بئر جمل فى السبع المشهورة، و كأنه لم يقف على ذكر ابن زبالة لها فى الآبار و روايته لما تقدم.

بيرحاء: - روينا فى صحيح البخارى عن أنس قال: كان أبو طلحة أكثر أنصارى بالمدينة مالا من نخل، و كان أحب أمواله إليه ببرحاء، و كانت مستقبلة المسجد، و كان رسول الله صلى اللّه عليه و سلم يدخلها و يشرب من ماء فيها طيب، قال أنس: فلما نزلت هذه الآية لَنْ تَنالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ [آل عمران: ۹۲] قام أبو طلحة إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فقال:

يا رسول الله، إن الله عز و جل يقول: لَنْ تَنالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ و إن أحبّ أموالى إلىّ ببرحاء، و إنها صدقة لله أرجو برّها و ذخرها عند الله، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله، فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم «بخ، ذلك مال رايح، و قد سمعت ما قلت، و إنى أرى أن تجعلها فى الأقربين» قال أبو طلحة: أفعل يا رسول الله فقسّمها أبو طلحة فى أقاربه و بنى عمه، و فى رواية له «فجعلها لأبىّ و حسان» و كانا أقرب إليه منّى، و فى رواية له أيضا عقب قوله «و إن أحب أموالى إلىّ ببرحاء» قال: و كانت حديقة، كان رسول الله صلى اللّه عليه و سلم يدخلها، و يستظل فيها، و يشرب من مائها، قال: فهى إلى الله و إلى رسوله أرجو بره و ذخره، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله، فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم «بخ يا أبا طلحة ذلك مال رايح، قد قبلناه منك، و رددناه عليك، فاجعله فى الأقربين» فتصدّق به أبو طلحة على ذوى قربى رحمه، قال: و كان منهم أبىّ و حسان، قال: فباع حسان حصته منه من معاوية، فقيل له: تبيع صدقة أبى طلحة؟ فقال: أ لا أبيع صاعا من تمر بصاع من دراهم؟ و كانت تلك الحديقة فى موضع قصر بنى جديلة الذى بناه معاوية.

قال الحافظ ابن حجر: و زاد ابن عبد البر فى روايته: و كانت دار أبى جعفر و الدار التى تليها إلى قصر بنى جديلة حائطا لأبى طلحة يقال له ببرحاء، قال: و مراده بدار أبى جعفر الدار التى صارت إليه و عرفت به، و هو أبو جعفر المنصور الخليفة العباسى. و قصر بنى

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۱۳۳

جديلة هى حصّة حسان، بنى فيها معاوية بن أبى سفيان هذا القصر، و أغرب الكرمانى فزعم أن معاوية الذى بنى القصر المذكور هو معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار أحد أجداد أبى طلحة.

قلت: منشأ و همه إضافة القصر إلى بنى جديلة، و جديلة لقب معاوية المذكور و هو مردود، بل إضافته إليهم لكونه بمنازلهم.

قال ابن شبة: و أما قصر بنى جديلة فإن معاوية بن أبى سفيان بناه ليكون حصنا، و له بابان: باب شارع على خط بنى جديلة، و باب فى الزاوية الشرقية اليمانية عند دار محمد بن طلحة التّيمى، و هو اليوم لعبد الله بن مالك الخزاعى قطيعة، و كان الذى ولى بناءه لمعاوية الطفيل بن أبى كعب الأنصارى، و فى وسطه ببرحاء.

ثم روى عقبه عن العطاف بن خالد قال: كان حسان يجلس فى أجمة فارع، و يجلس معه أصحاب له، و يضع لهم بساطا يجلسون عليه، فقال يوما و هو يرى كثرة من يأتى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم من العرب يسلمون:

أرى الجلابيب قد عزّوا و قد كثروا و ابن العريفة أمسى بيضة البلد

فبلغ ذلك رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فقال: من لى من أصحاب البساط؟ فقال صفوان بن المعطل:

أنا لك يا رسول الله منهم، فخرج إليهم و اخترط سيفه، فلما رأوه مقبلا عرفوا فى وجهه الشر، ففرّوا و تبدّدوا، و أدرك حسان داخلا

بيته، فضربه، فعلق ثنّته، فبلغنى أن النبى صلى اللّه عليه و سلم عوّضه و أعطاه حائطا، فباعه من معاوية بن أبى سفيان بعد ذلك بمال كثير، فبناه معاوية بن أبى سفيان قصرا.

و روى أيضا فى خبر الإفك عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التّيمى قصة ضرب صفوان لحسان، و أن النبى صلى اللّه عليه و سلم قال: أحسن يا حسان فى الذى أصابك، قال: هى لك يا رسول الله، فأعطاه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم عوضا منها بيرحاء، و هى قصر بنى جديلة اليوم بالمدينة، كانت مالا لأبى طلحة بن سهل تصدّق بها إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، فأعطاها حسان فى ضربته شيرين أمة قبطية.

و روى ابن زبالة عن أبى بكر بن حزم أن أبا طلحة تصدّق بمال له كان موضعه قصر بنى جديلة، فدفعه إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، فردّه على أقاربه أبىّ بن كعب و حسان بن ثابت و ثبيط بن جابر و شداد بن أوس أو أبيه أوس بن ثابت يعنى أخا حسّان بن ثابت، فتقاوموه، فصار لحسان بن ثابت، فباعه من معاوية بن أبى سفيان بمائة ألف درهم، قال: و كان معاوية قد بنى قصر خل ليكون حصنا لما كان يتحدّث أنه نصيب بنى أمية، و ذكر ما سيأتى فى قصر خل، ثم قال: فلما اشترى بيرحاء بنى قصر بنى جديلة فى موضعها للذى كان يخاف من ذلك.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۱۳۴

و قال الحافظ ابن حجر: و بيع حسان لحصته من معاوية دليل على أن أبا طلحة ملّكهم الحديقة المذكورة، و لم يقفها عليهم، و يحتمل أنه وقفها و شرط أن من احتاج إلى بيع حصته جاز له كما قال بجوازه على و غيره.

قلت: و قد اشترط على فى صدقته كما حكاه ابن شبة عن نسخة كتاب الصدقة

قال ابن النجار: و بيرحاء اليوم فى وسط حديقة صغيرة جدّا، فيها نخيلات و يزرع حولها، و عندها بيت مبنى على علو من الأرض، و هى قريبة من سور المدينة، و هى لبعض أهلها، و ماؤها عذب حلو.

و قال المطرى: و هى شمالى سور المدينة بينهما الطريق، و تعرف الآن بالنورية اشتراها بعض النساء النوريين و وقفها على الفقراء و المساكين فنسبت إليها، قال ابن النجار: و ذرعتها فكان طولها عشرين ذراعا، منها أحد عشر ذراعا ماء، و الباقى بنيان، و عرضها ثلاثة أذرع و شبر.

قلت: و هى اليوم على هذا النعت، و فى قبلتها مسجد ليس من بناء الأقدمين لم يذكره ابن النجار و لا المطرى، و كأنه لما حدث بعدهما. و ذكره المجد فقال: و فى بيرحاء بير قريبة الرشاء ضيقة القنا طيبة الماء، و أمامها إلى القبلة مسجد صغير فى وسط الحديقة.

قلت: و قوله فى حديث الصحيح «و كانت مستقبلة المسجد» معناه أن المسجد فى جهة قبلتها، فلا ينافى بعدها عنه على هذه المسافة الموجودة اليوم، و الظاهر أن بعض أرضها كان داخل سور المدينة؛ لما تقدم من قسمتها و ابتناء القصر فى بعضها، و لم أر للفقراء أثرا هناك.

و قد تقدم أن حش أبى طلحة الذى فى شامى المسجد منسوب إلى أبى طلحة صاحبها، فربما كانت أمواله ممتدة إلى هناك. و أما دار محمد بن طلحة التيمى التى ذكر ابن شبة أنه أحد بانى القصر المبنى عليها عنده فيظهر أنها غير دار إبراهيم بن محمد بن طلحة التى هى من دار جده طلحة المتقدم ذكرها فى الدور المطيفة بالمسجد، لنسبتها لإبراهيم بن محمد، و نسبة هذه لأبيه؛ فلا يقدح ذلك فى كون بيرحاء هى المعروفة اليوم، و اللّه أعلم.

ضبط بيرحاء

تنبيه: فى ضبط بيرحاء، و قد أفرد له بعضهم مصنفا ذكر المجد ملخصه، و قد اختلف الناس فى ضبطه، قال صاحب النهاية: بيرحاء بفتح الباء و كسرها، و بفتح الراء و ضمها، و بالمد فيهما، و بفتحهما و القصر، قال الزمخشرى: بيرحاء اسم أرض كانت لأبى طلحة، و

كأنها فيعلى من البراح، و هى الأرض المنكشفة الظاهرة، و قال مرة: رأيت محدّثى مكة يقولون بيرحاء على الإضافة، و حاء: من اسم القبائل، و قيل: اسم رجل، و على هذا يكون منونا، قال ياقوت: بيرحا بوزن خيزلى، و قيل لى بيرحاء مضاف إليه ممدود، قال: و رواية

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۱۳۵

المغاربة قاطبة الإضافة، و إعراب الراء بالرفع و الجر و النصب، و حاء على لفظ الحاء من حروف المعجم.

و قال أبو عبيد البكرى: حاء- على وزن حرف الهجاء- بالمدينة، مستقبلة المسجد، إليها ينسب بيرحاء، فالاسم مركب.

قال الحافظ ابن حجر: اختلف فى حاء هل هو رجل أو امرأة أو مكان أضيف إليه البير، أو هى كلمة زجر للإبل، و كانت الإبل ترعى هناك و تزجر بهذه اللفظة فأضيفت البير إلى اللفظة، قال الباجى: أنكر أبو بكر الأصم الإعراب فى الراء، و قال: إنما هو بفتح الراء على كل حال، قال: و عليه أدركت أهل العلم بالمشرق.

و قال أبو عبد الله الصورى: إنما هو بفتح الباء و الراء فى كل حال، بمعنى أنه كلمة واحدة، قال عياض: و على رواية الأندلسيين ضبطنا هذا الحرف عن أبى جعفر فى كتاب مسلم بكسر الباء و فتح الراء، و بكسر الراء و بفتح الباء و القصر، ضبطناه فى الموطأ عن أبى عنان و غيره، و بضم الراء و فتحها معا قيدناه عن الأصيلى، و قد رواه من طريق حماد بن سلمة بريحا، هكذا ضبطناه عن شيوخنا فيما قيدوه عن البدرى و غيره، و لم أسمع فيه خلافا، إلا أنى وجدت الحميدى ذكر فى اختصاره عن حماد بن سلمة بيرحا، كما قال الصورى، و رواية الرازى فى مسلم فى حديث مالك بريحا، و هو وهم، و إنما هذا فى حديث حماد، و إنما لمالك بيرحا كما قيد الجميع على اختلافهم. و ذكر أبو داود فى مصنفه هذا الحديث بخلاف ما تقدم فقال: جعلت أرضى باريحا، و هذا كله يدل على أنها ليست ببئر، انتهى كلام عياض.

قال الحافظ ابن حجر: قول أبى داود باريحا بإشباع الموحدة، و وهم من ضبطه بكسر الموحدة و فتح الهمزة فإن أريحاء من الأرض المقدسة، و يحتمل إن كان محفوظا أن تكون سميت باسمها.

و أما قوله صلى اللّه عليه و سلم «ذلك ما رابح، أو قال رايح» فالأول بالموحدة أى ذو ربح، و الثانى بالمثناة التحتيّة، أى يروح نفعه لقربه، أى يصل إليك فى الرواح، و لا يعزب، قال شاعر:

سأطلب مالا بالمدينة؛ إننى إلى عازب الأموال قلت فوضله

بئر حلوة: - بالحاء المهملة- لم يذكرها و التى بعدها ابن النجار و من بعده، و ذكرها ابن زبالة، فروى عن عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر عن أبيه قال: نحر رسول الله صلى اللّه عليه و سلم جزورا، فبعث إلى بعض نسائه منها بالكتف، فتكلمت فى ذلك بكلام، فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «أنتنّ أهون على الله من ذلك» و هجرهن، و كان يقيل تحت أراكة على حلوة بئر كانت فى الزقاق الذى فيه دار آمنة بنت سعد، و به سمى الزقاق زقاق حلوة، و يبيت فى مشربة

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۱۳۶

له، فلما مضت تسع و عشرون ليلة دخل رسول الله صلى اللّه عليه و سلم على عائشة، فقالت: يا رسول الله، إنك آليت شهرا، قال: إن الشهر تسع و عشرون.

قلت: و هذه البئر غير معروفة اليوم بعينها، و تقدم بيان جملتها فى الدور التى فى ميسرة البلاط عند ذكر دار حويطب بن عبد العزى.

بئر ذرع: - بالذال المعجمة- و هى بئر بنى خطمة، و روى ابن زبالة حديث «أتى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بنى خطمة فصلى فى بيت العجوز، ثم خرج منه فصلى فى مسجد بنى خطمة، ثم مضى إلى بئرهم ذرع فجلس فى قفّها، فتوضأ و بصق فيها».

و روى ابن شبة عن الحارث بن الفضل أن النبى صلى اللّه عليه و سلم «توضّأ من ذرع بئر بنى خطمة التى بفناء مسجدهم»، و فى رواية: «و صلى فى مسجدهم».

و فى رواية عن رجل من الأنصار أن النبى صلى اللّه عليه و سلم «بصق فى ذرع بئر بنى خطمة».

قلت: و هذه البئر غير معروفة اليوم، و يؤخذ بيان جهتها مما تقدم فى مسجد بنى خطمة.

بئر رومة: - بضم الراء، و سكون الواو، و فتح الميم، بعدها هاء، و قيل رؤمة بعد الراء همزة ساكنة- روى ابن زبالة حديث: «نعم القليب قليب المزنى فاشترها يا عثمان، فتصدق بها» و حديث أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قال: «نعم الحفيرة حفيرة المزنى» يعنى رومة، فلما سمع ذلك عثمان بن عفان ابتاع نصفها بمائة بكرة، و تصدّق بها، فجعل الناس يسقون منها، فلما رأى صاحبها أن قد امتنع منه ما كان يصيب عليها باع من عثمان النصف الثانى بشىء يسير فتصدق بها كلها.

و روى ابن شبة عن عدى بن ثابت قال: أصاب رجل من مزينة بئرا يقال لها رومة، فذكرت لعثمان بن عفان و هو خليفة، فابتاعها بثلاثين ألف درهم من مال المسلمين، و تصدّق بها عليهم.

قلت: فى سنده متروك، و لذا قال الزبير بن بكار بعد روايته فى عتيقة: و ليس هذا بشىء، و ثبت عندنا أن عثمان اشتراها بماله و تصدق بها على عهد رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، انتهى.

و قال ابن أبى الزناد: أخبرنى أبى أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قال: «نعم الصدقة صدقة عثمان» يريد رومة.

و قال محمد بن يحيى: أخبرنى غير واحد من أهل البلد أن النبى صلى اللّه عليه و سلم قال: «نعم القليب قليب المزنى».

و روى ابن شبة أيضا عن أبى قلابة قال: لما كانوا بباب عثمان و أرادوا قتلة أشرف عليهم، فذكر أشياء، ثم ناشدهم الله فأعظم النّشدة: هل تعلمون أن رومة كان لفلان

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۱۳۷

اليهودى لا- يسقى منها أحدا قطرة إلا- بثمن، فاشتريتها بمالى بأربعين ألفا، فجعلت شربى فيها و شرب رجل من المسلمين سواء، ما استأثرتها عليهم؟ قالوا: قد علمنا ذلك.

و عن الزهرى أن النبى صلى اللّه عليه و سلم قال: من يشترى رومة بشرب رواء فى الجنة؟ فاشتراها عثمان رضى الله تعالى عنه من ماله فتصدق بها.

و عن عبد الرحمن بن حبيب السلمى قال: قال عثمان رضى الله تعالى عنه:

أنشدكم الله، أ تعلمون أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قال: من اشترى بئر رومة فله مثلها من الجنة، و كان الناس لا يشربون منها إلا بثمن، فاشتريتها بمالى فجعلتها للفقير و الغنى و ابن السبيل؟

فقال الناس: نعم.

و عن أسامة الليثى قال: لما حصر عثمان رضى الله تعالى عنه أرسل إلى عمّار بن ياسر يطلب أن يدخل عليه روايا ماء، فطلب له ذلك عمار من طلحة، فأبى عليه، فقال عمار:

سبحان الله اشترى عثمان هذه البئر- يعنى رومة- بكذا و كذا ألفا، فتصدق به على الناس، و هؤلاء يمنعونه أن يشرب منها

و روى النسائى و الترمذى و حسّنه عن عثمان أنه قال: أنشدكم بالله و الإسلام هل تعلمون أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قدم المدينة و ليس بها ماء يستعذب غير بئر رومة، فقال: من يشرى بئر رومة يجعل دلوه مع دلاء المسلمين- الحديث.

و فى صحيح البخارى عن عبد الرحمن السلمى أن عثمان حيث حوصر أشرف عليهم و قال: أنشدكم بالله، و لا أنشد إلا أصحاب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم تعلمون أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قال من حفر بئر رومة فله الجنة؟ فحفرتها- الحديث، و فيه: و صدّقوه بما قال.

و للنسائى من طريق الأحنف بن قيس أن الذين صدقوه بذلك على بن أبى طالب و طلحة و الزبير و سعد بن أبى وقاص. و رواه ابن شبة من حديث الأحنف إلا أنه قال:

أنشدكم الله الذى لا إله إلا هو، هل تعلمون أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قال: من يبتاع بئر رومة غفر الله له، فابتعتها بكذا و كذا،

فأتيت رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فقلت: إن ابتعت بئر رومة، فقال:

اجعلها سقاية للمسلمين، و آخرها لك؟ قالوا: نعم.

و قال ابن بطال فى الكلام على رواية البخارى قوله: «فحفرها عثمان» و هم فى بعض الروايات، و المعروف أن عثمان اشتراها، لا أنه حفرها، قال الحافظ ابن حجر عقبه:

المشهور فى الروايات كما قال، لكن لا يتعين الوهم؛ فقد روى البغوى فى الصحابة من طريق بشر بن بشير الأسلمى عن أبيه قال: لما قدم المهاجرون المدينة استنكروا الماء، و كانت لرجل من بنى غفار عين يقال لها رومة، و كان يبيع منها القربة بمد، فقال له رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: بعينها بعين فى الجنة، فقال يا رسول الله ليس لى و عيالى غيرها، و لا أستطيع ذلك،

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۱۳۸

فبلغ ذلك عثمان، فاشتراها بخمسة و ثلاثين ألف درهم، ثم أتى النبى صلى اللّه عليه و سلم فقال: أ تجعل لى مثل الذى جعلت له عينا فى الجنة إن اشتريتها؟ قال: نعم، قال: قد اشتريتها و جعلتها للمسلمين، قال الحافظ ابن حجر: و إذا كانت أولا عينا فلا مانع أن يحفر فيها عثمان بئرا، و لعل العين كانت تجرى إلى بئر فوسّعها أو طولها فنسب حفرها إليه، انتهى.

قلت: الإشكال ليس فى ذكر وقوع حفر عثمان لها فقط، بل فى كون الترغيب فيها بلفظ «من حفر» إلى آخره؛ فطريق الجمع أن يكون صلى اللّه عليه و سلم قال أولا: «من اشترى بئر رومة» فاشتراها عثمان، ثم احتاجت إلى الحفر فقال: «من حفر بئر رومة» فحفرها، و تسميتها فى هذه الرواية عينا غريب جدّا، و لعله لاشتمال البئر على ما ينبع فيها مقابلة لها بعين فى الجنة.

و قال المجد: قال أبو عبد الله بن منده: رومة الغفارى صاحب بئر رومة، و روى حديثه، و ساق السند إلى بشر بن بشير الأسلمى عن أبيه قال: لما قدم المهاجرون، و ساق الحديث المتقدم، ثم قال المجد: كذا قال رومة الغفارى، ثم قال: عين يقال لها رومة.

و قال أبو بكر الحازمى أيضا: هذه البئر تنسب إلى رومة الغفارى، و لم يسمها عينا، و الجمع بين هذا و بين قوله فى الحديث المتقدم «نعم الحفير حفيرة المزنى» يعنى رومة أن الذى احتفرها كان من مزينة ثم ملكها رومة الغفارى، و ذكر ابن عبد البر أنها كانت ركية ليهودى يبيع ماءها من المسلمين، فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: من يشترى رومة فيجعلها للمسلمين يضرب بدلوه فى دلائهم و له بها شرب فى الجنة؟ فأتى عثمان اليهودىّ فساومه بها، فأبى أن يبيعها كلها، فاشترى عثمان نصفها باثنى عشر ألف درهم، فجعله للمسلمين، فقال له عثمان: إن شئت جعلت لنصيبى قربين، و إن شئت فلى يوم و لك يوم، فقال: بل لك يوم ولى يوم، فكان إذا كان يوم عثمان استقى المسلمون ما يكفيهم يومين، فلما رأى اليهودى ذلك قال:

أفسدت على ركيتى، فاشتر النصف الآخر، فاشتراه بثمانية آلاف درهم.

قلت: و هى بئر قديمة جاهلية؛ لما رواه ابن زبالة عن غير واحد من أهل العلم أن تبّعا اليمانى لما قدم المدينة كان منزله بقناة، و احتفر البئر التى يقال لها بئر الملك، و به سميت، فاستوبأ بئره تلك، فدخلت عليه امرأة من بنى زريق يقال لها فكهة، فشكا إليها وباء بئره، فانطلقت فأخذت حمارين أعرابيين، فاستقت له من بئر رومة، ثم جاءته به، فشرب فأعجبه و قال: زيدينى من هذا الماء، فكانت تصير إليه به مقامه، فلما خرج قال لها: يا فكهة إنه ليس معنا من الصفراء و البيضاء شىء، و لكن لك ما تركنا من أزوادنا و متاعنا، فلما خرج نقلت ما بقى من أزوادهم و متاعهم، فيقال: إنها كانت لم تزل هى و ولدها أكثر بنى زريق مالا حتى جاء الإسلام.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۱۳۹

و هذه البئر فى أسفل وادى العقيق، قريبة من مجتمع الأسيال، فى براح واسع من الأرض، و عندها بناء عال بالحجارة و الجص قد تهدم.

قال ابن النجار: قيل: إنه كان دارا لليهودى، و حولها مزارع و آبار كثيرة، و هى قبلى الجرف و شمالى مسجد القبلتين بعيدة منه، قال ابن النجار: و قد انقضت خرزتها و أعلامها، إلا أنها بئر مليحة جدّا، مبنية بالحجارة الموجّهة، قال: و ذرعتها فكان طولها ثمانية عشر

ذراعا، منها ذراعان ماء و باقيها مطموم بالرمل الذى تسفيه الرياح فيها، و عرضها ثمانية أذرع، و ماؤها طاف، و طعمه حلو، إلا أن الأجون غلب عليه.

و قال المطرى: و قد خرجت، و نقضت حجارتها، و انطمّت، و لم يبق منها اليوم إلا أثرها.

قال الزين المراغى: و قد جددت بعد ذلك، و رفع بناؤها عن الأرض نحو نصف قامة، و نزحت فكثر ماؤها، أحياها كذلك القاضى شهاب الدين أحمد بن محمد بن محمد بن المحب الطبرى قاضى مكة المشرفة فى حدود الخمسين و سبعمائة، قال: فتناوله إن شاء الله تعالى عموم حديث «من حفر بئر رومة فله الجنة» انتهى.

و من الغريب قول عياض فى مشارقه: بئر رومة بضم الراء بئران مشهوران بالمدينة، انتهى، و لم أقف له على أصل.

بئر السقيا: - بضم السين المهملة، و سكون القاف، من سقاه الغيث و أسقاه- تقدم ذكرها فى مسجد السقيا فى حديث ابن زبالة أن النبى صلى اللّه عليه و سلم عرض جيش بدر بالسقيا، و صلّى فى مسجدها، و دعا هناك، الحديث، و فيه و اسم البئر السقيا، و اسم أرضها الفلجان.

و روى ابن شبة عن جابر بن عبد الله قال: قال أبى: يا بنى إنا اعترضنا هاهنا بالسقيا، حين قاتلنا اليهود بحسيكة، فظفرنا بهم، و نحن نرجو أن نظفر، ثم عرضنا النبىّ صلى اللّه عليه و سلم بها متوجها إلى بدر، فإن سلمت و رجعت ابتعتها و إن قتلت فلا تفوتنك، قال: فخرجت أبتاعها، فوجدتها لذكوان بن عبد قيس، و وجدت سعد بن أبى وقّاص قد ابتاعها و سبق إليها، و كان اسم الأرض الفلجان، و اسم البئر السقيا.

قال ابن شبة: قال محمد بن يحيى: و سألت عبد العزيز بن عمران عن حسيكة، و ذكر ما سيأتى فيها، ثم قال: قال أبو غسان: و أخبرنى عبد العزيز بن عمران عن راشد بن حفص عن أبيه قال: كان اسم أرض السقيا الفلج، و اسم بئرها السقيا، و كانت لذكوان بن عبد قيس الزرقى، فابتاعها منه سعد بن أبى وقاص ببعيرين.

و روى أيضا عن عائشة رضى الله تعالى عنها أن النبى صلى اللّه عليه و سلم «كان يستقى له الماء العذب من بئر السقيا» و فى رواية «من بيوت السقيا» و رواه أبو داود بهذا اللفظ، و سنده جيد، و صححه الحاكم.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۱۴۰

و روى الواقدى من حديث سلمة امرأة أبى رافع قالت: كان أبو أيوب- حين نزل عنده النبى صلى اللّه عليه و سلم- يستعذب له الماء من بئر مالك بن النضر والد أنس، ثم كان أنس و هند و حارثة أبناء أسماء يحملون الماء إلى بيوت نسائه من بيوت السقيا، و كان رباح الأسود عنده صلى اللّه عليه و سلم يستقى له من بئر غرس مرة و من بيوت السقيا مرة.

و تقدم فى رابع فصول الباب الثانى ما رواه الترمذى و قال حسن صحيح عن على بن أبى طالب قال: خرجنا مع رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، حتى إذا كنا بحرة السقيا التى كانت لسعد بن أبى وقاص، فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: ائتونى بوضوء، فتوضأ فقام ثم قام فاستقبل القبلة، الحديث.

و تقدم أيضا حديث أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم «صلّى بأرض سعد بأرض الحرة عند بيوت السقيا- الحديث».

قلت: و بئر السقيا هذه هى التى ذكر المطرى أنها فى آخر منزلة النقاء على يسار السالك إلى بئر علىّ بالحرم، قال: و هى بئر مليحة، كبيرة، متنورة فى الجبل، و قد تعطلت و خربت، و على جانبها الشمالى- يعنى من جهة المغرب- بناء مستطيل مجصص.

قلت: و الظاهر أنه كان حوضا أو بركة لورود الحجاج، كانوا ينزلون بها أيام عمارة المدينة، و لهذا سمى المطرى محلها منزلة النقاء، و ما سيأتى عنه فى النقاء مصرّح بذلك، و كان بعض فقراء العجم قد جدّدها و عمرها فى سنة ثمان و سبعين و سبعمائة فصارت تعرف ببئر الأعجام، كما رأيته بخط الزين المراغى.

قلت: و قد تهدمت و تشعّثت بعد ذلك، فجددها الجناب الخواجكى البدرى بدر الدين بن عليبة سنة ست و ثمانين و ثمانمائة، تقبل

الله منه و أثابه الجنة بمنه و كرمه.

و تقدم فى بئر إهاب أن المطرى تردّد فى أن هذه السقيا لقربها من الطريق أم هى البئر المعروفة اليوم بزمزم؛ لتواتر التبرك بها، ثم قال: إن الظاهر أن السقيا هى الأولى.

قلت: و هو الصواب؛ لزوال التردد بما منّ الله به من الظّفر بمسجد السقيا عندها، كما تقدم فيه، و الظاهر أنها المرادة بقول الغزالى فى آداب الزائر: و ليغتسل من بئر الحرة، انتهى، و ذلك لكونها على جادّة الطريق، و كانت مجاورة لأول بيوت المدينة أيام عمارتها.

و قال أبو داود عقب روايته لحديث استعذاب الماء من بيوت السقيا: قال قتيبة: السقيا عين بينها و بين المدينة يومان.

قلت: و ما ذكره صحيح كما سيأتى فى ترجمتها، إلا أنها ليست المرادة هنا، و كأنه لم يطلع على أن بالمدينة بئرا تسمى بذلك، و قد اغترّ به المجد فقال: السقيا قريبة جامعة من عمل الفرع، ثم أورد حديث أبى داود، و قول صاحب النهاية: السقيا منزل بين مكة و المدينة، قيل: على يومين، و منه حديث «كان يستعذب له الماء من بيوت السقيا» ثم قال:

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۱۴۱

و قول أبى بكر بن موسى «السقيا بئر بالمدينة منها كان يستقى لرسول الله صلى اللّه عليه و سلم» محمول على هذا؛ لأن الفرع من عمل المدينة، ثم قال: و أما البئر التى على باب المدينة بينها و بين ثنيّة الوداع أى المدرج بها كما سيأتى عنه فيظنها أهل المدينة أنها هى السقيا المذكورة فى الحديث، قال: و الظاهر أنه وهم، قال: و مما يؤكد ذلك قوله فى الحديث «من بيوت السقيا» و لم يكن عند هذا البئر بيوت فى وقت، و لم ينقل ذلك، و أيضا إنما استعذب له صلى اللّه عليه و سلم الماء من السقيا لما استوخموا مياه آبار المدينة، قال: و هذه البئر التى ذكرناها- أى التى بين المدينة و المدرج- كانت لسعد بن أبى وقاص فيما حكاه المطرى، قال يعنى المطرى: و نقل أن النبى صلى اللّه عليه و سلم عرض جيش بدر بالسقيا التى كانت لسعد، و صلى فى مسجدها، و دعا هنالك لأهل المدينة، و شرب صلى اللّه عليه و سلم من بئرها، و يقال لأرضها «الفلجان» بضم الفاء و الجيم، و هى اليوم معطّلة، و كانت مطمومة فأصلمها بعض فقراء العجم، اه.

قلت: حمله لكلام أبى بكر بن موسى على ما ذكره و نقله ما جاء فى السقيا المذكورة عن المطرى يقتضى أنه لم يقف على ما قدمناه عن ابن زبالة و ابن شبة، و أنه لا يرى أن بالمدينة نفسها بئرا تسمى بالسقيا، و هو وهم مردود، مع أن المعتمد عندى أن السقيا التى جاء حديث الاستعذاب منها إنما هى سقيا المدينة، و ذلك لوجوه:

الأول: إيراد ابن شبة للحديث فى ترجمة آبار المدينة التى كان يستقى له صلى اللّه عليه و سلم منها.

الثانى: قرنه لذلك بحديث عرض جيش بدر بها، و إيراد ابن زبالة فى سياق آبار المدينة، و السقيا التى من عمل الفرع ليست من طريق النبى صلى اللّه عليه و سلم إلى بدر؛ لأن تلك الطريق معروفة، و السقيا المذكورة معروفة أيضا، و ليست فى جهتها كما سيأتى فى بيان محلها، و أيضا ففى حديث جابر المتقدم أنهم اعترضوا بالسقيا عند قتال اليهود بحسيكة مع بيان أن حسيكة بالمدينة نفسها إلى الجرف.

الثالث: ما تقدم أيضا من أنها كانت لبعض بنى زريق من الأنصار، و تحريض والد جابر له على شرائها، و أن سعدا سبقه لذلك.

الرابع: ما تقدم فى رواية الواقدى من أنه كان يستقى له صلى اللّه عليه و سلم منها مرة و من بئر غرس مرة، و يبعد كلّ البعد قرن السقيا التى هى على يومين بل أيام من المدينة كما سيأتى ببئر غرس التى هى بالمدينة.

الخامس: ما فى رواية الواقدى أيضا من أن المتعاطى لذلك أبناء أسماء أنس و هند و حارثة، و مثل هؤلاء إنما يستقون من المدينة و ما حولها؛ لأن سقيا الفرع تحتاج إلى جمال و رجال.

السادس: ما قدمناه فى مسجد السقيا من إيراد الأسدى له فى المساجد التى تزار بالمدينة، ثم ذكر فى المساجد التى بين الحرمين مسجد السقيا التى هى من عمل الفرع.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۱۴۲

السابع: ما قدمناه من الظفر بمسجد بئر السقيا بالمدينة.

الثامن: أن المجد نقل عن الواقدى فى ترجمة بقع أنه بضم الموحدة من السقيا التى بنقب بنى دينار، و سنبين فى نقب بنى دينار أنه الطريق التى فى الحرة الغربية إلى العقيق.

و أما قول المجد «إنه لم يكن عند هذه البئر بيوت فى وقت، و لم ينقل ذلك» فمن العجائب؛ إذ من تأمل ما حول البئر المذكورة و ما قرب منها علم أنه كان هناك قرى كثيرة متصلة، فضلا عن بيوت، كما يشهد به آثار الأساسات و نقض العمارات، و ليت شعرى أين هو من مسجد السقيا الذى أهمله تبعا لغيره و منّ الله بوجوده بسبب التأمل فى تلك الأساسات و آثار العمارات؟ و لما كشف التراب عن محله وجدنا من بنائه و محرابه نحو نصف ذراع، و هو مجاور لهذه البئر كما سبق، و ما ذكره من أن الاستعذاب من السقيا إنما كان لما استوخموا آبار المدينة فمردود، بل هو طلب الماء العذب، و أيضا أنهم لم يستوخموا كل آبارها.

و فى الصحيح فى قصة مجيئه صلى اللّه عليه و سلم إلى أبى الهيثم بن التيهان قول زوجته «خرج يستعذب لنا الماء» و رواية الواقدى المتقدمة مصرّحة بوقوع الاستعذاب من بئر مالك بن النضر والد أنس، و كانت بدار أنس كما تقدم بيانه، كما سيأتى فى بئر غرس الاستعذاب منها أيضا. ثم لو سلمنا أن المراد من حديث أبى داود فى الاستعذاب العين التى ذكرها قتيبة فهو محمول على أنه كان يستعذب له صلى اللّه عليه و سلم منها، إذا نزل قربها فى سفر حجه و نحوه، أما استعذابه منها إلى المدينة فلا أراه وقع أصلا، و الله أعلم.

بئر العقبة: - بالعين المهملة، ثم القاف- قال المجد: ذكرها رزين العبدرى فى آبار المدينة، و قال: هى التى أدلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و أبو بكر و عمر أرجلهم فيها، و لم يعين لها موضعا، و المعروف أن هذه القصة إنما كانت فى بئر أريس، اه.

و الذى رأيته فى كتاب رزين فى تعداد الآبار المعروفة بالمدينة ما لفظه: و بئر العين سقط فيها الخاتم، و بئر القف التى أدلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و أبو بكر و عمر أرجلهم فيها، انتهى. و قد قدمنا فى بئر أريس ما يقتضى تعدد الواقعة.

بئر أبى عتبة: - بلفظ واحد العنب- قال ابن سيد الناس فى خبر نقله عن ابن سعد فى غزوة بدر، ما لفظه: و ضرب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم عسكره على بئر أبى عنبة، و هى على ميل من المدينة، فعرض أصحابه، و ردّ من استصغره، اه.

و هذا مستند ما نقله المطرى فى الكلام على بئر السقيا حيث قال بعد ذكر عرض جيش بدر بالسقيا: و نقل الحافظ ابن عبد الغنى المقدسى أنه عرض جيشه على بئر أبى عنبة بالحرة فوق هذه البئر أى السقيا، إلى المغرب، و نقل أنها على ميل من المدينة.

قلت: و لعل العرض وقع أولا عند مرورهم بالسقيا، ثم لما ضرب عسكره على هذه

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۱۴۳

البئر أعاد العرض لرد من استصغر، و لعل هذه البئر هى المعروفة اليوم ببئر ودى؛ لانطباق الوصف المتقدم عليها، و لأنها أعذب بئر هناك.

و قد روى ابن زبالة عن إبراهيم بن محمد قال: خرجنا نشيع ابن جريج حين خرج إلى مكة، فلما كنا عند بئر أبى عنبة قال: ما اسم هذا المكان؟ فأخبرناه، فقال: إن عندى فيه لحديثا، ثم ذكر حديث عاصم بن عمر حين اختصم فيه عمر و جدّته إلى أبى بكر، فقال عمر: يا خليفة رسول الله، ابنى و يستقى لى من بئر أبى عنبة، فدل على أن الماء كان يستعذب منها، قال المجد: و قد جاء ذكر هذه البئر فى غير ما حديث.

بئر العهن: - بكسر العين المهملة، و سكون الهاء، و نون- ذكر المطرى الآبار التى ذكرها ابن النجار- و هى: أريس، و البصّة، و بضاعة، و رومة، و الغرس، و بيرحاء- ثم قال: و الآبار المذكورة ست، و السابعة لا تعرف اليوم، ثم ذكر ما تقدم عنه فى بئر جمل.

ثم قال: إلا أنى رأيت حاشية بخط الشيخ أمين الدين بن عساكر على نسخة من «الدرة الثمينة، فى أخبار المدينة» للشيخ محب الدين

بن النجار ما مثاله: العدد ينقص عن المشهور بئرا واحدة؛ لأن المثبت ست، و المأثور المشهور سبع، و السابعة اسمها «بئر العهن» بالعالية، يزرع عليها اليوم، و عندها سدرة، و لها اسم آخر مشهورة به.

قال المطرطى عقبه: و بئر العهن هذه معروفة بالعوالى، و هى بئر مليحة جدّا، منقورة فى الجبل، و عندها سدرة كما ذكر، و لا تكاد تعرف أبدا، و قال الزين المراغى عقب نقله، و السدرة مقطوعة اليوم.

قلت: و لم يذكروا شيئا يتمسك به فى فضلها و نسبتها إلى النبى صلى اللّه عليه و سلم، لكن لم يزل الناس يتبركون بها. و الذى ظهر لى بعد التأمل أنها بئر اليسرة الآتى ذكرها، و أن النبى صلى اللّه عليه و سلم نزل عليها و توضأ و بصق فيها؛ لأن اليسرة بئر بنى أمية من الأنصار بمنازلهم كما سيأتى، و بئر العهن عند منازلهم، و قد أشار ابن عساكر إلى تسميتها باسم آخر، فأظنه الاسم المذكور، و اللّه أعلم.

بئر غرس: - بضم الغين المعجمة كما رأيته فى خط الزين المراغى، و هو الدائر على ألسنة أهل المدينة، و يقال «الأغرس» كما يؤخذ مما سيأتى فى وادى بطحان أول الفصل الخامس، و قال المجد: بئر الغرس بفتح الغين و سكون الراء و سين مهملة، و الغرس: الفسيل، أو الشجر الذى يغرس لينبت، مصدر غرس الشجر، قال: و ضبطه بعض الناس بالتحريك مثال سحر، و سمعت كثيرا من أهل المدينة يضمون الغين، قال: و الصواب الذى لا محيد عنه ما قدمته، أى من الفتح- و هى بئر بقباء فى شرقى مسجدها، على نصف ميل إلى جهة الشمال، و هى بين النخيل، و يعرف مكانها اليوم و ما حولها بالغرس، قال: و حولها مقابر بنى حنظلة.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۱۴۴

قلت: و أظنه تصحيفا، و المذكور فى جهتها بنو خطمة، و قد تقدم فى بئر السقيا أن رباحا الأسود عبد النبى صلى اللّه عليه و سلم كان يستقى له من بئر غرس مرة و من بيوت السقيا مرة.

و روى ابن حبان فى الثقات عن أنس رضى الله تعالى عنه أنه قال: ائتونى بماء من بئر غرس؛ فإنى رأيت رسول الله صلى اللّه عليه و سلم يشرب منها و يتوضأ.

و فى سنن ابن ماجه بسند جيد عن على رضى الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم «إذا أنا متّ فاغسلونى بسبع قرب من بئرى بئر غرس» و كانت بقباء، و كان يشرب منها.

و رواه يحيى عن علىّ بلفظ: أمرنى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فقال «يا على، إذا أنا متّ فاغسلنى من بئرى بئر غرس بسبع قرب لم تحلل أوكيتهنّ».

و روى ابن سعد فى طبقاته برجال الصحيح عن أبى جعفر الباقر محمد بن على بن الحسين رضى الله تعالى عنهم قال: غسل النبى صلى اللّه عليه و سلم ثلاث غسلات بماء و سدر، و غسل فى قميص، و غسل من بئر يقال لها الغرس لسعد بن خيثمة بقباء، و كان يشرب منها.

و روى ابن شبة بسند صحيح عنه أيضا أن النبى صلى اللّه عليه و سلم غسل من بئر سعد بن خيثمة بئر كان يستعذب له منها، و فى رواية: من بئر سعد بن خيثمة بئر يقال لها الغرس بقباء كان يشرب منها.

و روى أيضا عن سعيد بن رقيش أن النبى صلى اللّه عليه و سلم توضأ من بئر الأغرس، و أهراق بقية وضوئه فيها.

و روى ابن زبالة عن سعيد بن عبد الرحمن بن رقيش قال: جاءنا أنس بن مالك بقباء فقال: أين بئركم هذه؟ يعنى بئر غرس، فدللناه عليها، قال: رأيت النبى صلى اللّه عليه و سلم جاءها، و إنها لتسنى على حمار، بسحر، فدعا النبى صلى اللّه عليه و سلم بدلو من مائها، فتوضّأ منه ثم سكبه فيها، فما نزفت بعد.

و عن إبراهيم بن إسماعيل بن مجمع مرسلا قال: قال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: إنى رأيت الليلة أنى أصبحت على بئر من الجنة، فأصبح على بئر غرس، فتوضأ منها، و بزق فيها، و أهدى له عسل فصبه فيها، و غسل منها حين توفى.

و رواه ابن النجار من طريق ابن زبالة، دون قوله «و أهدى له من عسل إلى آخره».

و قال المجد: و فى حديث ابن عمر: قال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و هو قاعد على شفير غرس:

رأيت الليلة كأنى جالس على عين من عيون الجنة، يعنى بئر غرس.

قال: و عن عاصم بن سويد عن أبيه أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم أتى بعسل فشرب منه، و أخذ منه شيئا فقال: هذا لبئرى بئر غرس، ثم صبّه فيها، ثم إنه بصق فيها، و غسل منها حين توفى.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۱۴۵

قلت: و سبق فى أوائل الفصل العاشر من الباب الرابع ما يقتضى أن هذه البئر عند مسجد قباء، و أن النبى صلى اللّه عليه و سلم أول مقدمه قباء أناخ على غدة عندها، و قدمنا أن الظاهر أن تصحيف؛ لمخالفته لما هو المعروف فى محل هذه البئر.

و قال ابن النجار: هذه البئر بينها و بين مسجد قباء نحو نصف ميل، هى فى وسط الصحراء، و قد حربها السيل و طمّها، و فيها ماء أخضر، إلا أنه عذب طيب، و ريحه الغالب عليه الأجون.

قال: و ذرعتها فكان طولها سبعة أذرع شافة منها ذراعان ماء و عرضها عشرة أذرع.

قال المطرى: و هى اليوم ملك لبعض أهل المدينة، و كانت قد خربت فجددت بعد السبعمائة، و هى كثيرة الماء، و عرضها عشرة أذرع، و طولها يزيد على ذلك، و ماؤها يغلب عليه الخضرة، و هو طيب عذب.

قلت: و قد خربت بعد ذلك، فابتاعها و ما حولها صاحبنا الشيخ العلامة المقيد خواجا حسين بن الجواد المحسن الخواجكى الشيخ شهاب الدين أحمد القاوانى، أثابه الله تعالى، و عمرها و حوط عليها حديقة، و جعل لها درجة ينزل إليها منها من داخل الحديقة و خارجها، و أنشأ بجانبها مسجدّا لطيفا، و وقفها، تقبّل الله منه، و ذلك فى سنة اثنتين و ثمانين و ثمانمائة.

بئر القراصة: لم يذكرها و ما بعدها ابن النجار و من بعده، و لم أر من ضبطها، و لعلها بالقاف و بالراء كما فى بعض النسخ، و فى بعضها بالعين بدل القاف.

و روى ابن زبالة عن جابر بن عبد الله قال: لما استشهد أبى عبد الله بن عمرو بن حرام عرضت على غرمائه القراصة، و كانت له، أصلها و ثمرها بما عليه من الدين، فأبوا أن يقبلوا ذلك منه، إلا أن يقوّموها قيمة و يرجعوا عليه بما بقى من الدين، قال: فشكا ذلك إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، فقال: دعهم، حتى إذا كان جدادها فجدّها فى أصولها، ثم ائتنى فأعلمنى، فلما حان جدادها جدّها فى أصولها ثم جاء رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فأعلمه، فخرج رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فى نفر من أصحابه، فبصق فى بئرها، و دعا الله أن يؤدى عن عبد الله بن عمرو، و قال: اذهب يا جابر إلى غرماء أبيك فشارطهم على سعر و ائت بهم فأوفهم، فخرج جابر فشارطهم على سعر، و قال: انطلقوا حتى أوفيكم حقوقكم، و كان أكبرهم اليهود، قال: فقال بعضهم لبعض: أ ما تعجبون من صاحب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و ابن صاحبه، عرض أصله و ثمره فأبينا، و يزعم أنه يوفينا من ثمره، قال: فجاء بهم حتى أوفاهم حقوقهم، و فضل منها مثل ما كانوا يجدون كل سنة.

قلت: و هذه البئر غير معروفة اليوم، إلا أن جهتها جهة مسجد الخربة، و هى فى غربى

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۱۴۶

مساجد الفتح؛ لما تقدم فيه من أنه دبر القراصة، و يؤيده أن أصل حديث جابر فى أرضه مذكور فى الصحيح بطرق و فى بعضها: و كانت لجابر الأرض التى بطريق رومة، و هذه الجهة بطريق رومة.

و روى أحمد عن جابر قال: قلت: يا رسول الله، إن أبى ترك دينا ليهودى فقال:

يأتيك يوم السبت إن شاء الله تعالى، و ذلك فى زمن التمر مع استجداد النخل، فلما كان صبيحة يوم السبت جاءنى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، فلما دخل علىّ فى مالى أتى الربيع فتوضّأ منه ثم قام إلى المسجد فصلى ركعتين، ثم دنوت به إلى خيمة لى فبسطت

له بجادا من شعر، الحديث، و الله أعلم.

بئر القريصة: لم أر من ضبطها، و أظنها بالقاف و الصاد المهملة مصغرة.

روى ابن زبالة عن سعد بن حرام و الحارث بن عبيد الله قالا: توضأ رسول الله صلى اللّه عليه و سلم من بئر فى القريصة بئر حارثة، أو شرب، و بصق فيها، و سقط فيها خاتمة فنزع.

ثم روى عقبة سقوط الخاتم فى بئر أريس.

قلت: و هذه البئر لا تعرف اليوم، إلا أن فى شرقى المدينة بقرب القراصة المتقدمة فى مسجد القراصة بئرا تعرف بالقريصة مصغر القرصة، فإن صح الضبط المتقدم فهى المرادة.

بئر اليسرة: من اليسر ضد العسر.

روى ابن زبالة عن سعيد بن عمرو قال: جاء رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بنى أمية بن زيد، فوقف على بئر لهم فقال: ما اسمها؟ قالوا: عسرة، قال: لا، و لكن اسمها اليسرة، قال: فبصق فيها و برّك فيها.

و روى ابن شبة عن محمد بن حارثة الأنصارى عن أبيه أن النبى صلى اللّه عليه و سلم سمّى بئر بنى أمية من الأنصار اليسرة، و ترّك عليها و توضأ و بصق فيها.

و روى ابن سعد فى طبقاته عن عمر بن سلمة أن أبا سلمة بن عبد الأسد لما مات غسل من اليسرة، بئر بنى أمية بن زيد بالعالية، و كان ينزل هناك حين تحوّل من قباء، غسل بين قرنى البئر، و كان اسمها فى الجاهلية العسرة، فسماها رسول الله صلى اللّه عليه و سلم اليسرة.

قلت: و هذه لبئر غير معروفة اليوم بهذا الاسم، و الذى يظهر أنها بئر العهن؛ لما قدمناه فيها.

و قد استقصينا هذا الغرض فبلغ كما ترى نحو عشرين بئرا، و ما اقتضاه كلام بعضهم من انحصار المأثور من ذلك فى سبع مردود؛ لكن الذى اشتهر من ذلك سبع، و لهذا قال فى الإحياء: و لذلك تقصد الآبار التى كان رسول الله صلى اللّه عليه و سلم يتوضأ منها و يغتسل و يشرب، و هى سبعة آبار، طلبا للشفاء، و تبركا به صلى اللّه عليه و سلم، انتهى.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۱۴۷

قال الحافظ العراقى فى تخريج أحاديث الإحياء: و هى أى السبعة المشار إليها: بئر أريس، و بيرحاء، و بئر رومة، و بئر غرس، و بئر بضاعة، و بئر البصة، و بئر السقيا، أو بئر العهن، أو بئر جمل؛ فجعل السابعة مترددة بين الآبار الثلاث، ثم ذكر نحو ما قدمناه فى فضائل هذه الآبار إلا العهن فلم يذكر فيها شيئا؛ لأن الوارد فيها إنما هو باسمها الآخر و لم يشتهر. ثم قال: و المشهور أن الآبار بالمدينة سبعة.

و قد روى الدارمى من حديث عائشة رضى الله تعالى عنها أن النبى صلى اللّه عليه و سلم قال فى مرضه ضبّوا علىّ سبع قرب من آبار شتى، و هو عند البخارى دون قوله «من آبار شتى» انتهى.

قلت: و من ذلك فلا دلالة فيه على أن تلك الآبار السبعة هى المرادة بذلك، و المشهور عند أهل المدينة أن السابعة هى العهن، و لهذا قال أبو اليمن ابن الزين المراغى فيما أنشدنيه عنه أخوه شيخنا العلامة أبو الفرج ناصر الدين المراغى:

إذا رمت آبار النبىّ بطيبة فعدّتها سبع مقالا بلا وهن

أريس، و غرس، رومة، و بضاعة كذا بصّة، قل بيرحاء مع العهن

تتمة فى العين المنسوبة للنبى ص

اشارة

، و ما يتصل بها من العين الموجودة فى زماننا، و غيرها من العيون.

عين كهف بنى حرام

روى ابن شبة عن عبد الملك بن جابر بن عتيك أن النبى صلى اللّه عليه و سلم توضأ من العين التى عند كهف بنى حرام، قال: و سمعت بعض مشيختنا يقول: قد دخل النبى صلى اللّه عليه و سلم ذلك الكهف.

و ترجم ابن النجار لذكر عين النبى صلى اللّه عليه و سلم، ثم روى من طريق محمد بن الحسن و هو عن ابن زبالة عن موسى بن إبراهيم بن بشير عن طلحة بن حراش قال: كانوا أيام الخندق يخرجون برسول الله صلى اللّه عليه و سلم، و يخافون البيات، فيدخلونه كهف بنى حرام، فيبيت فيه، حتى إذا أصبح هبط، قال: و بقر رسول الله صلى اللّه عليه و سلم العيينة التى عند الكهف، فلم تزل تجرى حتى اليوم.

قلت: و هو فى كتاب ابن زبالة، إلا أنه قال فيه: عن طلحة بن حراش عن جابر بن عبد الله، قال ابن النجار عقبه: و هذه العين فى ظاهر المدينة، و عليها بناء، و هى فى مقابلة المصلى.

قال المطرى عقبه: أما الكهف الذى ذكره فمعروف فى غربى جبل سلع، على يمين السالك إلى مسجد الفتح من الطريق القبلية، و على يسار المتوجه إلى المدينة مستقبل القبلة، يقابله نخل تعرف بالغنيمة، أى المعروفة اليوم بالنقيبة فى بطن وادى بطحان غربى جبل

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۱۴۸

سلع، قال: و فى الوادى عين تأتى من عوالى المدينة تسقى ما حول المساجد من المزارع و تعرف بعين الخيف خيف شامى، و تعرف تلك الناحية بالسيح.

قلت: و قد تقدم فى مساجد الفتح إيضاح هذا الكهف، و أن عنده آثار نقر فى الجبل، و ليست عين الخيف التى ذكرها المطرى بجارية فى زماننا، بل هى منقطعة، و مجراها معلوم.

و بيّن ابن النجار بما يأتى عنه فى الخندق أنها تأتى من قباء، و أصلها فيما يقال معلوم غربى قباء، و قد شرع فى إجرائها متولّى العمارة الجناب الشمسى ابن الزمن، فتتبع قناتها إلى أن آل إلى الموضع الذى يقال إنه أصلها، ثم بالغوا فى تنظيفه فلم يجر.

قال المطرى: فأما العين التى ذكر ابن النجار أنها مقابلة المصلى فهى عين الأزرق، و هو مروان بن الحكم، أجراها بأمر معاوية رضى الله تعالى عنه، و هو واليه على المدينة، و أصلها من قباء المعروف من بئر كبيرة غربى مسجد قباء فى حديقة نخل، و تجرى إلى المصلى، و عليها فى المصلى قبة كبيرة مقسومة نصفين، يخرج الماء منها فى وجهين مدرجين قبلى و شمالى، و تخرج العين من جهة المشرق، ثم تأخذ إلى جهة الشمال.

قال: و أما عين النبى صلى اللّه عليه و سلم التى ذكر ابن النجار فليست تعرف اليوم، و إن كانت كما قال عند الكهف المذكور فقد دثرت، و عفا أثرها.

قلت: مراد ابن النجار أن أصلها عند الكهف، و أنها تجرى إلى الموضع الذى عليه البناء فى مقابلة المصلى، و قد وافق ابن النجار على ذلك ابن جبير فى رحلته، فقال: و قبل وصولك سور المدينة من جهة المغرب بمقدار غلوة تلقى الخندق، و بينه و بين المدينة عن يمين الطريق العين المنسوبة إلى النبى صلى اللّه عليه و سلم، و عليها حلق عظيم، و مستدير، و منبع العين وسط ذلك الحلق كأنه الحوض المستطيل، و تحته سقايات مستطيلات باستطالة الحلق، و قد ضرب بين كل سقاية و بين الحوض بجدارين، و هو يمدّ السقايتين، و يهبط إليها على أدراج نحو الخمس و العشرين درجة، و هما لتطهير الناس و استقائهم و غسل أثوابهم، و الحوض المذكور لا يتناول منه لغير الاستسقاء خاصة صونا له، انتهى.

قال المجد: و بشبه أنه اشتبه عليه عين الأزرق بعين النبى صلى اللّه عليه و سلم.

قلت: اتفاقه هو و ابن النجار على ذلك يبعد الاشتباه، بل يحتمل أن عين النبى صلى اللّه عليه و سلم كانت تحرى إلى هذا الموضع، و كذا عين الأزرق، ثم انقطعت الأولى و بقيت الثانية التى هى عين الأزرق.

قال المطرى: و قد أخذ الأمير سيف الدين الحسين ابن أبى الهيجاء فى حدود الستين و خمسمائة منها شعبة من عند مخرجها من القبة، فساقها إلى باب المدينة من باب المصلى، ثم أوصلها إلى الرحبة التى عند مسجد النبى صلى اللّه عليه و سلم من جهة باب السلام، أى المقابلة لباب المدرسة الزمنية، و بها سوق المدينة اليوم.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۱۴۹

قال: و بنى لها هناك منهلا بدرج من تحت الدور، يستقى منه أهل المدينة، و جعل لها مصرفا من تحت الأرض بشق وسط المدينة على الموضع المعروف بالبلاط، أى سوق العطارين اليوم، و ما والاه من منازل الأشراف أمراء المدينة، يخرج إلى ظاهر المدينة من جهة الشمال شرقى الحصن الذى يسكنه أمير المدينة.

قال: و قد كان جعل منها شعبة صغيرة تدخل إلى صحن المسجد، و جعل لها منهلا بدرج عليه عقد يخرج الماء إليه من فوّارة يتوضأ منها من يحتاج إلى الوضوء، و حصل فى ذلك انتهاك حرمة المسجد من كشف العورات و الاستنجاء فى المسجد، فسدّت لذلك.

قلت: و قد سبق فى الفصل الحادى و الثلاثين من الباب الخامس عن ابن النجار فى ذكر السقايات التى بالمسجد أن الذى عمل هذا المنهل بعض أمراء الشام و اسمه شامة.

ثم ذكر المطرى وصف مسير العين من القبة التى بالمصلّى إلى جهة الشام فقال: و إذا خرجت العين من القبة التى فى المصلّى سارت إلى جهة الشمال، حتى تصل إلى سور المدينة فتدخل تحته إلى منهل آخر بوجهين مدرجين: أى و هو الذى عند رحبة حصن الأمير، ثم تخرج إلى خارج المدينة فتصل إلى منهل آخر بوجهين مدرجين عند قبر النفس الزكية، ثم تخرج من هناك و تجتمع هى و ما يتحصّل من مصلها فى قناة واحدة إلى البركة التى ينزلها الحجاج، يعنى حجاج الشام، و هى التى تقدم عنه فى الباب الأول فى أثرب أن الحجاج يسمونها عيون حمزة، أى لظنهم أنها عين الشهداء، و أنها تأتى من جهة مشهد سيدنا حمزة، و ليس كذلك، إنما تأتى كما قال من قباء من البئر التى فى الحديقة المعروفة بالجعفرية، و إذا جاوزت مشهد النفس الزكية و ثنيّة الوداع مرّت من شامى سلع على المسجد المعروف بمسجد الراية، و لها هناك منهل آخر، ثم تسير فى جهة المغرب فتمر فى غربى الجبلين اللذين فى غربى مساجد الفتح، و هكذا حتى تصل إلى مغيضها، و هو الموضع المسمى بالبركة، و قد زرع عليها هناك نخيل كثيرة هى اليوم بيد أمراء المدينة، و فقر قناتها ظاهرة فى الأماكن التى أشرنا إليها، و لا مرور لها بالشهداء أصلا فعين الشهداء غير هذه العين، و هى المراد بما سبق فى سابع فصول الباب الخامس فى ذكر قبور الشهداء بأحد من قول جابر: صرخ بنا إلى قتلانا يوم أحد حين أجرى معاوية العين، و غيره من الأخبار المذكورة هناك، و حينئذ فكل من العينين المذكورتين تنسب إلى معاوية: عين الشهداء، و هى دائرة اليوم، و يحتمل: أنها التى كان مغيضها عند المسجد المعروف بمصرع حمزة رضى الله تعالى عنه المتقدم ذكرها فى المساجد، و أن الأمير وديا كان قد جدّدها ثم دثرت، لكن أصلها من جهة العالية، و بعض قطرها ظاهر يشهد بذلك.

و قال البدر بن فرحون فى ترجمة نور الدين الشهيد: إنه أجرى العين التى تحت جبل

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۱۵۰

أحد، قال: و أظنها عين الشهداء، فإن العين التى أجراها معاوية رضى الله تعالى عنه مستبطنة الوادى و قد دثرت، و رسومها موجودة إلى اليوم، انتهى.

و العين الموجودة اليوم المعروفة بعين الأزرق، و تسميها العامة الزرقاء، سميت بذلك لأن مروان الذى أجراها بأمر معاوية كان أزرق العينين فلذلك لقب بالأزرق.

و من الغرائب العجيبة ما ذكره المنورقى فى جزء ألّفه فى فضائل الطائف عن الفقيه أبى محمد عبد الله بن حمو البخارى عن شيخ الخدام بالحرم النبوى بدر الشهابى أنه بلغه أن ميضأة وقعت فى عين الأزرق بالطائف، فخرجت فى عين الأزرق بالمدينة.

و يذكر أنه كان بالمدينة و ما حولها عيون كثيرة تجددت بعد النبى صلى اللّه عليه و سلم، و كان لمعاوية رضى الله تعالى عنه اهتمام بهذا الباب، و لهذا كثرت فى أيامه الغلال بأراضى المدينة، فقد نقل الواقدى فى كتاب الحرّة أنه كان بالمدينة على زمن معاوية صوافى كثيرة، و أن معاوية كان يجدّ بالمدينة و أعراضها مائة ألف وسق و خمسين ألف وسق، و يحصد مائة ألف و سق حنطة.

الفصل الثانى فى صدقاته صلى اللّه عليه و سلم، و ما غرسه بيده الشريفة

أصل صدقات الرسول صلى اللّه عليه و سلم

روى ابن شبة فيما جاء فى أمواله صلى اللّه عليه و سلم و صدقاته عن ابن شهاب قال: كانت صدقات رسول الله صلى اللّه عليه و سلم أموالا لمخيريق اليهودى، أى بالخاء المعجمة و القاف مصغرا.

قال عبد العزيز- يعنى ابن عمران- بلغنى أنه كان من بقايا بنى قينقاع، ثم رجّح حديث ابن شهاب قال: و أوصى مخيريق بأمواله للنبى صلى اللّه عليه و سلم، و شهد أحدا فقتل به، فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: مخيريق سابق يهود، و سلمان سابق فارس، و بلال سابق الحبشة.

أسماء صدقات الرسول صلى اللّه عليه و سلم و مواضعها

قال: و أسماء أموال مخيريق التى صارت للنبى صلى اللّه عليه و سلم: الدلال، و برقة، و الأعواف، و الصافية، و الميثب، و حسنى، و مشربة أم إبراهيم.

فأما الصافية و برقة و الدلال و الميثب فمجاورات لأعلى الصورين من خلف قصر مروان بن الحكم، و يسقيها مهزور.

و أما مشربة أم إبراهيم فيسقيها مهزور، فإذا بلغت بيت مدراس اليهود فحيث مال أبى عبيدة بن عبد الله بن زمعة الأسدى فمشربة أم إبراهيم إلى جنبه، و ذكر ما قدمناه عنه فى المساجد فى سبب تسميتها بمشربة أم إبراهيم.

ثم قال: و أما حسنى فيسقيها مهزور، و هى من ناحية القف.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۱۵۱

و أما الأعواف فيسقيها مهزور، و هى من أموال بنى محمم.

ثم قال: قال أبو غسان: و قد اختلف فى الصدقات فقال بعض الناس: هى أموال بنى قريظة و النضير.

و روى عن جعفر بن محمد عن أبيه قال: كانت الدلال لامرأة من بنى النضير، و كان لها سلمان الفارسى، فكاتبته على أن يحييها لها، ثم هو حر، فأعلم بذلك النبىّ صلى اللّه عليه و سلم، فخرج إليها فجلس على فقير، ثم جعل يحمل إليه الودىّ فيضعه بيده، فما عدت منها ودية أن طلعت. قال: ثم أفاءها الله على رسوله صلى اللّه عليه و سلم، قال: و الذى يظهر عندنا: أنها من أموال بنى النضير، و مما يدل على ذلك أن مهزورا يسقيها، و لم يزل يسمع أنه لا يسقى إلا أموال بنى النضير.

قلت: فيه نظر؛ إذ المعروف ببنى النضير إنما هو مذينب، و مهزور لبنى قريظة.

ثم قال: و قد سمعنا بعض أهل العلم يقول: إن برقة و الميثب للزبير بن باطا، و هما اللتان غرس سلمان، و هما مما أفاء الله من أموال بنى قريظة. و الأعواف: كانت لخنافة اليهودى من بنى قريظة، و الله أعلم ما هو الحق من ذلك.

وقف الرسول صلى اللّه عليه و سلم أمواله

ثم قال: قال الواقدى: وقف النبى صلى اللّه عليه و سلم الأعواف و برقة و ميثب و الدلال و حسنى و الصافية و مشربة أم إبراهيم سنة سبع من الهجرة، قال: و قال الواقدى عن الضحاك بن عثمان عن الزهرى قال: هذه الحوائط السبعة من أموال بنى النّضير: قال: و قال بسنده لعبد الله بن كعب بن مالك قال: قال مخيريق يوم أحد: إن أصبت فأموالى لمحمد يضعها حيث أراد الله، فهى عامة صدقات رسول الله صلى اللّه عليه و سلم. قال: و قال عن أيوب بن أبى أيوب عن عثمان بن وثاب قال: ما هى إلا من أموال بنى النضير، لقد رجع رسول الله صلى اللّه عليه و سلم من أحد ففرّق أموال مخيريق، اه ما أورده ابن شبة.

و قال المجد: قال الواقدى: كان مخيريق أحد بنى النضير حبرا عالما، فآمن بالنبى صلى اللّه عليه و سلم، و جعل ماله و هو سبع حوائط لرسول الله صلى اللّه عليه و سلم، و ذكر الحوائط المتقدمة، و نقل الذهبى عن الواقدى سوى ذكر الحوائط، لكن فى أوقاف الخصاف: قال الواقدى: مخيريق لم يسلم، و لكنه قاتل و هو يهودى، فلما مات دفن فى ناحية من مقبرة المسلمين، و لم يصل عليه.

و روى ابن زبالة عن محمد بن كعب أن صدقات رسول الله صلى اللّه عليه و سلم كانت أموالا لمخيريق اليهودى، فلما كان يوم أحد قال لليهود: أ لا تنصرون محمدا صلى اللّه عليه و سلم؟ فو الله إنكم لتعلمون أن نصرته حق، قالوا: اليوم السبت، قال: فلا سبت لكم، و أخذ سيفه فمضى مع النبى صلى اللّه عليه و سلم فقاتل حتى أثبتته الجراح، فلما حضرته الوفاة قال: أموالى إلى محمد يضعها حيث يشاء.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۱۵۲

قال محمد بن طلحة راويه: قال عبد الحميد: و كان ذا مال كثير، فهى عامة صدقات النبى صلى اللّه عليه و سلم، قال: و قال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: مخيريق خير اليهود، قال: و هى الدلال، و ذكر الحوائط المتقدمة، إلا أنه قال: و العواف بدل الأعواف.

و روى أيضا عن بكر بن أبى ليلى عن مشيخة الأنصار قالوا: كانت أموال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم من أموال بنى النضير حشاشين و مزارع و إبلا، فغرسها الأمراء بعد، و عملوها، و هى سبعة أموال، و ذكر الحوائط المتقدمة.

و عن عثمان بن كعب قال: اختلف الناس فى صدقات النبى صلى اللّه عليه و سلم، فقال بعضهم:

كانت من أموال بنى قريظة و النضير، قال عثمان بن كعب: و ليس فيها من أموال بنى النضير شىء، إنما صارت أموال بنى النضير للمهاجرين نفلا، قال: و كانت برقة و الميثب للزبير بن بطا.

و قال بعضهم: كانت الدلال من أموال بنى ثعلبة من يهود، و كانت مشربة أم إبراهيم من أموال بنى قريظة، و كانت الأعواف لخنافة جد ريحانة، قال: و يقال: كانت الأعواف من أموال بنى النضير.

و روى أيضا عن جعفر بن محمد عن أبيه أن سلمان الفارسى كان لناس من بنى النضير، فكاتبوه على أن يغرس لهم كذا و كذا وديّة حتى تبلغ عشر سعفات، فقال النبى صلى اللّه عليه و سلم: ضع عند كل فقير وديّة، ثم غدا إلى النبى صلى اللّه عليه و سلم فوضعه بيده، و دعا له، فما عطبت منها وديّة، ثم أفاءوها الله على نبيه صلى اللّه عليه و سلم فهى الميثب صدقة النبى صلى اللّه عليه و سلم بالمدينة.

قلت: يتحصّل من مجموع ما تقدم أن نخل سلمان الذى غرسه صلى اللّه عليه و سلم هو الدلال، و قيل: برقة و الميثب، و قيل: الميثب.

و روى أحمد و الطبرانى برجال الصحيح إلا ابن إسحاق و قد صرح بالسماع عن سلمان الفارسى حديثه الطويل، و فيه ما يقتضى أنه بالفقير، و أنه أثمر من عامه، و أنه ذكر فيه عن سلمان أن يهوديا من بنى قريظة ابتاعه من ابن عم له بوادى القرى، قال: فاحتملنى إلى المدينة، ثم ذكر خبر إسلامه، و قال: ثم قال لى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: كاتب، فكاتبت صاحبى على ثلاثمائة نخلة أحييها له بالفقير و أربعين أوقية، فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: أعينوا أخاكم، فأعانونى بالنخل، و يعين الرجل بقدر ما عنده، حتى اجتمعت لى ثلاثمائة وديّة، فقال لى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: اذهب يا سلمان ففقّر لها، فإذا فرغت فائتنى أكن أنا أضعها بيدى،

قال:

ففقّرت و أعاننى أصحابى، حتى إذا فرغت جئته فأخبرته، فخرج رسول الله صلى اللّه عليه و سلم معى إليها، فجعلنا نقرب إليه الوديّ و يضعه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بيده حتى فرغنا، فو الذى نفس سلمان بيدى ما ماتت منها وديهٔ واحدهٔ، قال: فأدّيت النخل و بقى على المال، و ذكر خبره فيه.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۱۵۳

و ذكر ابن عبد البر فى خبر سلمان أن النبى صلى اللّه عليه و سلم اشتراه من قوم من اليهود بكذا و كذا درهما، و على أن يغرس لهم كذا و كذا من النخل، يعمل فيها سلمان حتى يدرك، فغرس رسول الله صلى اللّه عليه و سلم النخل كله إلا نخلهٔ غرسها عمر فأطعم النخل كله إلا- تلك النخلهٔ، فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم من غرسها؟ قالوا: عمر، فقلعها رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و غرسها فأطعمت من عامها، و فى روايهٔ أن تلك الوديهٔ التى لم تثمر غرسها سلمان.

قلت: و الفقير اسم الحديقهٔ بالعاليهٔ قرب بنى قريظهٔ، و قد خفى ذلك على بعضهم فقال كما نقله ابن سيد الناس: قوله «بالفقير» الوجه إنما هو بالعفير، انتهى. و الصواب أنه اسم لموضع، و ليس هو من صدقات النبى صلى اللّه عليه و سلم، فقد ذكر ابن شبهٔ فى كتاب صدقهٔ على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه الذى كان بيد الحسن بن زيد ما لفظه: و الفقير لى كما قد علمتم صدقهٔ فى سبيل الله، لكنه سماه قبل ذلك فى أخبار صدقاته بالفقيرين، مثّنى، فقال: و كان لى صدقات بالمدينهٔ الفقيرين بالعاليهٔ و بئر الملك بقناهٔ، فالظاهر أنه يسمى بكل من اسمين، و أهل المدينهٔ اليوم ينطقون به مفردا بضم الفاء تصغير الفقير ضد الغنى.

و قد ذكره ابن زبالهٔ مفردا فيما رواه عن محمد بن كعب القرظى قال: كانت بئر غاضر و البرزتان قبضها رسول الله صلى اللّه عليه و سلم لأضيافه، و كانت لكعب بن أسد، و كان الفقير لعمر بن سعد، و صار لعلى بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه.

قال: و سمعت من يقول: كانت بئر غاضر و البرزتان من طعم أزواج النبى صلى اللّه عليه و سلم من أموال بنى النضير.

قلت: و بئر غاضر اليوم غير معروفهٔ، و أما البرزتان فحديقتان بالعاليهٔ متجاورتان يقال لإحداهما البرزهٔ و للأخرى البريزهٔ مصغرهٔ، و وقع فى النسخهٔ التى وقفت عليها من كتاب ابن شبهٔ: قال أبو غسان سمعت من يقول: كانت بئر غاضر و النويرتين من طعمه أزواج النبى صلى اللّه عليه و سلم، و هما من أموال بنى قريظهٔ بعاليهٔ المدينهٔ، و قد قيل فى ذلك إن بئر غاضر مما دخلت فى صدقهٔ عثمان فى بئر أريس، انتهى. و أظن قوله «النويرتين» تصحيفا، و صوابه البرزتان كما فى كتاب ابن زبالهٔ لما قدمناه.

تحديد مواضع الصدقات و المعروف منها

و أما بيان مواضع صدقات النبى صلى اللّه عليه و سلم المذكورهٔ فقد تقدم أن الصافيهٔ و برقهٔ و الدلال و الميثب متجاورات بأعلى الصورين؛ فالصافيهٔ معروفهٔ هناك اليوم، قال الزين المراغى: هى فى شرقى المدينهٔ الشريفهٔ بجزع زهرهٔ، و رأيته ضبط بخطه زهيرهٔ بضم الزاى مصغرهٔ زهرهٔ لاشتهاره فى زمنه بذلك، و إنما هو زهرهٔ مكبر لما سيأتى فى ترجمتها، و برقهٔ معروفهٔ أيضا فى قبلهٔ المدينهٔ مما يلى المشرق، و لناحيتها شهرهٔ بها كما قال المراغى.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۱۵۴

و الدلال: جزع معروف أيضا قبلى الصافهٔ بقرب المليكى، وقف فقهاء المدرسهٔ الشهابيهٔ كما قاله الزين المراغى أيضا.

و الميثب: غير معروف اليوم، و يؤخذ من وصف هذه الأربعهٔ بكونها متجاورات قربها من الأماكن المذكورهٔ، و لعله بقرب برقهٔ لما سبق من أنهما اللذان غرسهما سلمان، و كانا لشخص واحد.

و الأعواف: جزع معروف بالعاليهٔ بقرب المربوع، كما تقدم بيانه فى بئر الأعواف من الفصل قبله.

و مشربهٔ أم إبراهيم: معروفهٔ بالعاليهٔ كما تقدم بيانه فى المساجد.

و حسنى- ضبطها الزين المراغى كما فى خطه بالقلم بضم الحاء و سكون السين المهملتين ثم نون مفتوحة- قال: و روايته كذلك فى ابن زبالة بالسين بعد الحاء، قال: و لا يعرف اليوم، و لعله تصحيف من الحناء بالنون بعد الحاء، و هو معروف اليوم.

قلت: حمل ذلك على التصحيف المذكور متعذر؛ لأنى رأيته بحاء ثم سين ثم نون فى عدة مواضع من كتاب ابن شبة و من كتاب ابن زبالة و غيرهما، و إن أراد أن أهل زمانه صحّفوه بالحناء فلا يصح أيضا؛ لأن الموضع المعروف اليوم بالحناء فى شرقى الماجشونية، لا يشرب بمهزور، و قد تقدم أن حسنى يسقيها مهزور، و أنها بالقف، و سيأتى فى بيان القف ما يقتضى أنه ليس بجهة الحناء. و الذى يظهر أن حسنى هو الموضع المعروف اليوم بالحسينيات بقرب الدلال، فإنه بجهة القف، و يشرب بمهزور، و سيأتى فى القف ما يؤيده.

و هذه الأماكن السبعة هى صدقاته صلى اللّه عليه و سلم، و لم أقف على أصل ما قاله رزين العبدرى من أن الموضع المعروف بالبويرة بقباء صدقة النبى صلى اللّه عليه و سلم من النخل، قال: و لم تزل معروفة للمساكين، محبوسة عليهم، و على من مرّ بها إلى عهد قريب من تاريخ الخمسمائة كالعشرين سنة و نحوها، فتغلّب عليها بعض ولاة المدينة لنفسه، قال: و بها حصن النضير و حصون قريظة، انتهى.

و هو مردود من وجهين:

أحدهما: أن الأئمة المتقدم ذكرهم مع اعتنائهم بهذا الباب لم يذكروا هذا الموضع فى صدقاته صلى اللّه عليه و سلم.

و الثانى: أن ما ذكره من أن بهذا الموضع حصون قريظة و النضير مردود بما قدمناه فى منازلهما، و الموضع الذى ذكره فى جهة قبلة المسجد إلى جهة المغرب من منازلهما، و سنبين فى ترجمة البويرة أن هذا الموضع ليس هو البويرة المنسوبة لبنى النضير، و كأن منشأ ما وقع له تسمية هذا الموضع بالبويرة، و أن صدقة النبى صلى اللّه عليه و سلم من أموال النضير أو قريظة، على ما سبق من الخلاف، و ظن أنه المراد.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۱۵۵

طلب فاطمة من أبى بكر صدقات أبيها

و هذه الصدقات مما طلبته فاطمة رضى الله تعالى عنها من أبى بكر رضى الله تعالى عنه، و كذلك سهمه صلى اللّه عليه و سلم بخيبر و فدك.

و فى الصحيح عن عروة بن الزبير أن عائشة أمّ المؤمنين رضى الله تعالى عنها أخبرته أن فاطمة ابنة رسول الله صلى اللّه عليه و سلم سألت أبا بكر الصديق بعد وفاة رسول الله صلى اللّه عليه و سلم أن يقسم لها ميراثها مما ترك رسول الله صلى اللّه عليه و سلم مما أفاء الله عليه، فقال لها أبو بكر رضى الله تعالى عنه: إن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قال «لا نورث، ما تركنا صدقة» فغضبت فاطمة، فهجرت أبا بكر، فلم تزل مهاجرته حتى توفيت، و عاشت بعد رسول الله صلى اللّه عليه و سلم ستة أشهر، قال: و كانت فاطمة تسأل أبا بكر نصيبها مما ترك رسول الله صلى اللّه عليه و سلم من خيبر و فدك و صدقته بالمدينة، فأبى أبو بكر عليها ذلك. و قال: لست تاركا شيئا كان رسول الله صلى اللّه عليه و سلم يعمل به إلا إذا عملت به، فإنى أخشى إن تركت شيئا من أمره أن أزيغ، فأما صدقته بالمدينة فدفعها عمر إلى على و عباس، و أما خيبر و فدك فأمسكهما عمر، و قال: هما صدقة رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، و كانتا لحقوقه التى تعروه.

و رواه ابن شبة، و لفظه: أن فاطمة رضى الله تعالى عنها أرسلت إلى أبى بكر تسأله ميراثها من رسول الله صلى اللّه عليه و سلم مما أفاء الله على رسوله، و فاطمة حينئذ تطلب صدقة النبى صلى اللّه عليه و سلم بالمدينة و فدك و ما بقى من خمس خيبر، فقال أبو بكر: إن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قال: «لا نورث، ما تركنا صدقة، إنما يأكل آل محمد من هذا المال» و إنى و الله لا أغير شيئا من صدقات رسول الله صلى اللّه عليه و سلم عن حالها التى كانت عليها فى عهد رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، و لأعملنّ فيها بما عمل رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة منها شيئا، فوجدت فاطمة على أبى بكر فى ذلك، فهجرته فلم

تكلمه حتى توفيت، و عاشت بعد رسول الله صلى اللّه عليه و سلم ستة أشهر، فلما توفيت دفنها على ليلا، و لم يؤذن بها أبا بكر، رضى الله تعالى عنهم.

و فى روايـة له أن فاطمة و العباس أتيا أبا بكر، و ذكره مختصـرا كما فى روايـة الصـحيح أيضا، و قال فيه: فهجرته فاطمة فلم تكلمه فى ذلـك المـال حتى مـاتت، و كـذا نقـل الترمـذى عن بعض مشـايخه أن معنى قول فاطمـة لأبـى بكر و عمر «لاـ أكلمكما» أى فى هـذا الميراث، و لا يرده قوله «فهجرته» إذ ليس المراد الهجر الحرام، بل تركها للقائه، و المدة قصـيرة، و قد اشتغلت فيها بحزنها ثم بمرضها، و يؤيد ذلك ما رواه البيهقى بإسـناد صحيح إلى الشعبى مرسلا أن أبا بكر عاد فاطمة فقال لها على: هذا أبو بكر يستأذن عليك، قالت: أ تحبّ أن آذن له؟ قال: نعم، فأذنت له، فدخل عليها فرضّاها حتى رضيت عليه.

أما سبب غضـبها مع احتجاج أبى بكر بما سـبق فلاعتقادها تأويله، قال الحافظ ابن حجر: كأنها اعتقـدت تخصـيص العموم فى قوله «لا نورث» و رأت أن المنافع لكل ما خلفه

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۱۵۶

من أرض و عقار لا يمنع أن يورث، و تمسك أبو بكر بالعموم، فلما صمم على ذلك انقطعت عنه.

قلت: بقى لـذلك تتمـة، و هى أنها فهمت من قوله «ما تركنا صدقة» الوقف و رأت أن حق النظر على الوقف و قبض نمائه و التصـرف فيه يورث، و لهذا طالبت بنصـيبها من صدقته بالمدينة، فكانت ترى أن الحق فى الاستيلاء عليها لها و للعباس رضى الله تعالى عنهما، و كـان العباس و على رضـى الله تعالى عنهما يعتقـدان ما ذهبت إليه، و أبو بكر يرى الأمر فى ذلك إنما هو للإمام، و الـدليل على ذلك أن عليا و العباس جاءا إلى عمر يطلبان منه ما طلبت فاطمة من أبى بكر، مع اعترافهما له بأنّ النبى صـلى اللّه عليه و سلم قال «لا نورث، مـا تركنا صدقـة» لما فى الصـحيح من قصـة دخولهما على عمر يختصـمان فيما أفاء الله على رسوله صـلى اللّه عليه و سـلم من مال بنى النضـير، و قـد دفع إليهما ذلك ليعملا فيه بما كان رسول الله صـلى اللّه عليه و سـلم يعمل به و أبو بكر بعده، و ذلك بحضور عثمان و عبد الرحمن بن عوف و سعد و الزبير، قال فى الصحيح: فقال الرّهط عثمان و أصحابه: يا أمير المؤمنين اقص بينهما و أرح أحدهما من الآخر، فقال عمر: على تيدكم، أنشدكم الله الذى بإذنه تقوم السـماء و الأرض، هل تعلمون أن رسول الله صـلى اللّه عليه و سلم قال «لا نورث، ما تركنا صدقة» يعنى نفسه؟ فقال الرهط: قد قال ذلك، فأقبل عمر على العباس و على علىّ فقال: أنشد كما بالله هل تعلمان أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قد قال ذلك؟ قالا:

قد قال ذلك، قال عمر: فإنى أحدثكم عن هذا الأمر، إن الله عز و جلّ قد خصّ رسوله صـلى اللّه عليه و سـلم فى هذا الفىء بشـىء لم يعطه أحدا غيره، ثم قرأ وَ ما أَفاءَ اللَّهُ عَلى رَسُولِهِ إلى قوله قَدِيرٌ [الحشـر: ۶] فكانت هذه خاصة لرسول الله صـلى اللّه عليه و سلم، و الله ما احتازها دونكم و لا اسـتأثرها عليكم، قـد أعطاكموها و بثها فيكم حتى بقى منها هـذا المال، فكان رسول الله صـلى اللّه عليه و سـلم ينفق على أهله نفقـة سـنتهم من هـذا المـال، ثم يأخـذ مـا بقى فيجعله مجعـل مال الله، فعمل به رسول الله صـلى اللّه عليه و سـلم ذلك حياته، أنشدكم بالله هل تعلمون ذلك؟ قالوا: نعم، ثم قال لعلى و عباس: أنشدكما بالله هل تعلمان ذلك؟ قالا: نعم، قال عمر: ثم توفى الله نبيه صـلى اللّه عليه و سـلم فقـال أبو بكر: أنا ولىّ رسول الله صـلى اللّه عليه و سـلم، فقبضـها أبو بكر، فعمل فيها بما عمل رسول الله صلى اللّه عليه و سـلم، و الله يعلم إنه فيها لصادق بارّ راشد تابع للحق، ثم توفى الله أبا بكر فكنت أنا ولىّ أبى بكر فقبضـتها سـنتين من إمـارتى، و الله يعلم إنى فيهـا لصـادق بـار راشـد تـابع للحق، ثم جئتمانى تكلمانى و كلمتكما وحـدة و أمركما واحـد، جئتنى يا عباس تسألنى نصـيبك من ابن أخيك و جاءنى هـذا- يريد عليا- يسألنى نصـيب امرأته من أبيها، فقلت لكما: إن رسول الله صـلى اللّه عليه و سلم قـال «لاـ نورث، مـا تركنـا صدقـة» فلمـا بـدا لى أن أدفعه إليكمـا قلت: إن شـئتما دفعتهـا إليكما على أن عليكما عهـد الله و ميثاقه لتعملان فيها بما عمل فيها رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و بما عمل فيها

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۱۵۷

أبو بكر و بما عملت فيها منذ وليتها، فقلتما: ادفعها إلينا، فبذلك دفعتها إليكما، فأنشدكم بالله هل دفعتها إليهما بذلك؟ قال الرهط: نعم، الحديث من رواية مالك بن أوس، و هو صريح فى مطالبتهما مع اعترافهما بحديث «لا نورث» فليس محله إلا ما تقدم من أنهما فهما أن ذلك من قبيل الوقف، و أن ورثة الواقف أولى بالنظر على الموقوف، سيما و ما قبضاه من أموال بنى النضير هو صدقة النبى صلى اللّه عليه و سلم بالمدينة، و لهذا زاد شعيب فى آخر الحديث المذكور:

قال ابن شهاب: فحدثت بهذا الحديث عروة، فقال: صدق مالك بن أوس، أنا سمعت عائشة رضى الله تعالى عنها تقول، فذكر حديثها، قال: و كانت هذه الصدقة بيد على منعها العباس فغلبه عليها، ثم كانت بيد الحسن، ثم بيد الحسين، ثم بيد على بن حسين و الحسن بن الحسن، ثم بيد زيد بن الحسن، و هى صدقة رسول الله صلى اللّه عليه و سلم حقا.

و روى عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى مثله، و زاد: قال معمر: ثم كانت بيد عبد الله بن حسن حتى ولى هؤلاء، يعنى بنى العباس، فقبضوها، و زاد إسماعيل القاضى أن إعراض العباس عنها كان فى خلافة عثمان.

و فى سنن أبى داود عن رجل من أصحاب النبى صلى اللّه عليه و سلم، فذكر قصة بنى النضير، و قال فى آخرها: فكانت نخل بنى النضير لرسول الله صلى اللّه عليه و سلم خاصة، أعطاها الله إياه، فقال وَ ما أَفاءَ اللَّهُ عَلى رَسُولِهِ مِنْهُمْ [الحشر: ۶] الآية، قال: فأعطى أكثرها للمهاجرين، و بقى منها صدقة رسول الله صلى اللّه عليه و سلم التى فى أيدى بنى فاطمة.

و قال ابن شبة: قال أبو غسان: صدقات النبى صلى اللّه عليه و سلم اليوم بيد الخليفة: يولى عليها، و يعزل عنها، و يقسم ثمرها و غلتها فى أهل الحاجة من أهل المدينة على قدر ما يرى من هى فى يده.

قال الحافظ ابن حجر، بعد نقل نحو ذلك عنه: و كان ذلك على رأس المائتين، ثم تغيرت الأمور، و الله المستعان.

قلت: قال الشافعى فيما نقله البيهقى: و صدقه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم- بأبى هو و أمى- قائمة عندنا، و صدقة الزبير قريب منها، و صدقة عمر بن الخطاب قائمة، و صدقة عثمان، و صدقة علىّ، و صدقة فاطمة بنت رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، و صدقة من لا أحصى من أصحاب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بالمدينة و أعراضها.

و ذكر المجد فى ترجمة فدك ما يقتضى أن الذى دفعه عمر إلى على و العباس رضى الله تعالى عنهم و وقعت الخصومة فيه هو فدك، فإنه قال فيها: و هى التى قالت فاطمة رضى الله تعالى عنها: إن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم نحلنيها، فقال أبو بكر رضى الله تعالى عنه: أريد بذلك شهودا، فشهد لها علىّ، فطلب شاهدا آخر، فشهدت لها أم يمن، فقال: قد علمت يا بنت

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۱۵۸

رسول الله صلى اللّه عليه و سلم أنه لا يجوز إلا شهادة رجل و امرأتين، و انصرفت، ثم أدّى اجتهاد عمر لما ولى و فتحت الفتوح، و كان على يقول: إن النبى صلى اللّه عليه و سلم جعلها فى حياته لفاطمة، و كان العباس يأبى ذلك، فكانا يختصمان إلى عمر، فيأبى أن يحكم بينهما، و يقول: أنتما أعرف بشأنكما، فلما ولى عمر بن عبد العزيز الخلافة كتب إلى عامله بالمدينة يأمره برد فدك إلى ولد فاطمة، فكانت فى أيديهم أيامه، فلما ولى يزيد بن عبد الملك قبضها، فلم تزل فى بنى أمية حتى ولى أبو العباس السفاح الخلافة، فدفعها إلى الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب، فكان هو القيم عليها يفرقها فى ولد على، فلما ولى المنصور و خرج عليه بنو حسن قبضها عنهم، فلما ولى ابنه المهدى أعادها عليهم، ثم قبضها موسى بن الهادى و من بعده إلى أيام المأمون، فجاءه رسول بنى علىّ فطالب بها، فأمر أن يسجّل لهم بها، فكتب السجل و قرئ على المأمون، فقام دعبل و أنشد:

أصبح وجه الزمان قد ضحكا بردّ مأمون هاشم فدكا

قلت: و رواية الصحيح السابقة عن عائشة ترد ما ذكره من دفع عمر فدك لعلى و عباس و اختصامهما فيها؛ لقول عائشة رضى الله تعالى عنها: و أما خيبر و فدك فأمسكهما عمر، و كذلك ما ذكره من أن عمر بن عبد العزيز رد فدك إلى ولد فاطمة موافق لما نقله هو عن ياقوت من أن عمر بن عبد العزيز لما ولى خطب الناس، و قص قصة فدك و خلوصها لرسول الله صلى اللّه عليه و سلم، و إنفاقه منها و

وضع الفضل فى أبناء السبيل، و أن أبا بكر و عمر و عثمان و عليّا رضوان الله عليهم فعلوا كفعله، فلما ولى معاوية أقطعها مروان بن الحكم، و أن مروان وهبها لعبد العزيز و عبد الملك ابنيه، قال: ثم صارت لى و للوليد و سليمان، و أنه لما ولى الوليد سألته فوهبها لى و سألت سليمان حصّته فوهبها لى، فاستجمعتها، و أنه ما كان لى مال أحبّ إلىّ منها، و إنى أشهدكم أنى رددتها على ما كانت فى أيام النبى صلى اللّه عليه و سلم و الأربعة بعده، فكان يأخذ مالها هو و من بعده فيخرجه فى أبناء السبيل.

قلت: و قيل إن الذى أقطع فدك لمروان عثمان رضى الله تعالى عنه، قال الحافظ ابن حجر: إنما أقطع عثمان فدك لمروان؛ لأنه تأول أن الذى يختص بالنبى صلى اللّه عليه و سلم يكون للخليفة بعده، فاستغنى عثمان عنها بأمواله، فوصل بها بعض قرابته.

و أما ما ذكره المجد من أن فاطمة رضى الله تعالى عنها ادّعت نحل فدك فروى ابن شبة ما يشهد له عن النمير بن حسان قال: قلت لزيد بن على و أنا أريد أن أهجّن أمر أبى بكر:

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى؛ ج۳؛ ص۱۵۸

أبا بكر انتزع من فاطمة رضى الله تعالى عنها فدك فقال: إن أبا بكر رضى الله تعالى عنه كان رجلا رحيما، و كان يكره أن يغير شيئا تركه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، فأتته فاطمة رضى الله تعالى عنها فقالت: إن رسول الله أعطانى فدك، فقال لها: هل لك على هذا بينة؟ فجاءت

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۱۵۹

بعلى رضى الله تعالى عنه، فشهد لها، ثم جاءت بأم أيمن، فقالت: أ ليس تشهد أنى من أهل الجنة؟ قال: بلى، قالت: فأشهد أن النبى صلى اللّه عليه و سلم أعطاها فدك: فقال أبو بكر: فبرجل و امرأة تستحقينها أو تستحقين لها القضية؟ قال زيد بن على: و أيم الله لو رجع لى الأمر لقضيت فيها بقضاء أبى بكر رضى الله تعالى عنه.

و روى ابن شبة أيضا عن كثير النواء قال: قلت لأبى جعفر: جعلنى الله فداءك أ رأيت أبا بكر و عمر رضى الله تعالى عنهما هل ظلماكم من حقكم شيئا أو ذهبا به؟ قال: لا و الذى أنزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا ما ظلمانا من حقنا مثقال حبة من خردل، قال: جعلت فداءك فأتولاهما؟ قال: نعم، ويحك! تولهما فى الدنيا و الآخرة، و ما أصابك ففى عنقى، ثم قال: فعل الله بالمغيرة و بكيان فإنهما كذبا علينا أهل البيت.

قلت: و بذلك الكذب تعلقت الرّوافض، و لم يفهموا الأحاديث المتقدمة على وجهها، و الله أعلم.

الفصل الثالث فيما ينسب إليه ص من المساجد التى بين مكة و المدينة،

اشارة

بالطريق التى كان يسلكها صلى اللّه عليه و سلم، و هى طريق الأنبياء عليهم الصلاة و السلام و هى تفارق طريق الناس اليوم من قرب مسجد الغزالة كما سيأتى، فلا تمر بالخيف و لا بالصفراء، بل تمر بالحى و ثنية هرشى ثم الجحفة كما سيتضح لك، و يكون طريق الناس اليوم على يمين السالك فى هذا الطريق، فتمر على رابغ أسفل من الجحفة، ثم تلتقى مع هذه الطريق فوق الجحفة قرب طريق قديد.

و فى الأخبار أن من أدب الزائر إلى المساجد التى بين الحرمين أن يصلى فيها، و هى عشرون موضعا.

قلت: و هذا بالنسبة إلى هذه الطريق، مع أن أبا عبد الله الأسدى قد ذكر فيها أزيد من ذلك، و قد أضفنا إليه ما وجدناه فى كلام غيره، و أوردناها على ترتيبها من المدينة إلى مكة، زادهما الله شرفا.

مسجد الشجرة (ذى الحليفة)

فمنها مسجد الشّجرة، و يعرف بمسجد ذى الحليفة أيضا، و الحليفة: الميقات المدنى، و يعرف اليوم ببئر على.

روينا فى صحيح مسلم عن ابن عمر قال: بات رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بذى الحليفة مبدأه، و صلى فى مسجدها.

و روى يحيى عنه أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم كان إذا خرج إلى مكة صلّى فى مسجد الشجرة.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۱۶۰

و روى ابن زبالة عنه أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم كان ينزل بذى الحليفة حين يعتمر، و فى حجته حين حج، تحت سمرة فى موضع المسجد الذى بذى الحليفة.

و عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال: صلّى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فى مسجد الشجرة إلى الأسطوانة الوسطى، استقبلها، و كانت موضع الشجرة التى كان النبى صلى اللّه عليه و سلم يصلى إليها.

و عن أنس بن مالك قال: صليت مع رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بالمدينة الظهر أربعا، و العصر بذى الحليفة ركعتين.

و عن ابن عمر أيضا أن النبى صلى اللّه عليه و سلم أناخ بالبطحاء التى بذى الحليفة و صلى بها.

قلت: المعنىّ بذلك موضع المسجد المذكور، فإنه كان موضع نزوله صلى اللّه عليه و سلم، و بنى فى موضع الشجرة التى كانت هناك، و بها سمى «مسجد الشجرة» و هى السّمرة التى ذكر فى حديث ابن عمر أن النبى صلى اللّه عليه و سلم كان ينزل تحتها بذى الحليفة كما فى الصحيح.

و فى صحيح مسلم عن ابن عمر أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم كان إذا استوت به راحلته قائمة عند مسجد ذى الحليفة أهلّ فقال: لبّيك اللهم لبيك، الحديث.

و فى رواية له: كان رسول الله صلى اللّه عليه و سلم يركع بذى الحليفة ركعتين، ثم إذا استوت به الناقة قائمة عند مسجد ذى الحليفة أهلّ بهؤلاء الكلمات.

و يتحصل من صحيح الروايات أنه صلى اللّه عليه و سلم خرج لحجته نهارا، و بات بذى الحليفة، و أحرم فى اليوم الثانى من عند المسجد، فيظهر أن صلواته صلى اللّه عليه و سلم فى تلك المدة كانت كلها به، و لم أقف على اغتساله صلى اللّه عليه و سلم لإحرامه بذى الحليفة.

و فى باب «ما يلبس المحرم» من البخارى عن ابن عباس قال: انطلق النبى صلى اللّه عليه و سلم من المدينة بعد ما ترجّل و ادّهن و لبس إزاره و رداءه هو و أصحابه الحديث، و ليس فيه تصريح بالاغتسال، لكن فى طبقات ابن سعد أنه صلى اللّه عليه و سلم خرج فى حجة الوداع من المدينة مغتسلا متدهنا مترجّلا متجرّدا فى ثوبين سحاريين إزار و رداء، و ذلك يوم السبت لخمس ليال بقين من ذى القعدة.

و فى كتاب التنبيهات للقاضى عياض: ظاهر المذهب أن المستحب الاغتسال بالمدينة، ثم يسير من فوره، و بذلك فسّره سحنون و ابن الماجشون، و هو الذى فعله النبى صلى اللّه عليه و سلم، كما استحب أن يلبس حينئذ ثياب إحرامه، و كذلك فعل عليه الصلاة و السلام، انتهى.

قلت: و لم يتعرض أصحابنا لذلك، لكن قالوا: إن من اغتسل فى التنعيم فى الإحرام أجزأه عن الغسل لدخول مكة للقرب، فيؤخذ منه اعتبار القرب، و هو مناف لظاهر ما نقل عنه صلى اللّه عليه و سلم، إذ لم يحرم من ذى الحليفة إلا فى اليوم الثانى، فيحتمل أنه أعاد الغسل حينئذ بذى الحليفة. أما لو كان الإحرام عقب الوضوء إلى ذى الحليفة و نحوه فلا يبعد القول به عندنا، كما ذكروا فى الغسل للجمعة من الفجر، و عدم اشتراطهم لاتصاله بالرّواح.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۱۶۱

قال المطرى، و تبعه من بعده، بعد بيان إحرامه صلى اللّه عليه و سلم عند ما انبعثت به راحلته من عند المسجد: فينبغى للحاج إذا وصل إلى ذى الحليفة أن لا يتعدى فى زاوية المسجد المذكور و ما حوله من القبلة و المغرب و الشام، بحيث لا يبعد عما حول المسجد، و إن كثيرا من الحجاج يتجاوزون ما حول المسجد إلى جهة المغرب، و يصعدون إلى البيداء، فيتجاوزون الميقات بيقين.

قلت: لم يبين نهاية ذى الحليفة. و قوله «حول المسجد» لا- ضابط له، و لا يلزم من نزوله صلى اللّه عليه و سلم بالمسجد و ما حوله انحصار ذى الحليفة فى ذلك، و سنشير إلى زيادة فى ذلك فى ترجمة ذى الحليفة، مع بيان المسافة التى بينها و بين المدينة.

قال المطرى: و هذا المسجد هو المسجد الكبير الذى هناك، و كان فيه عقود فى قبلته، و منارة فى ركنه الغربى الشمالى، فتهدمت على طول الزمان.

قال المجد: و لم يبق منه إلا بعض الجدران و حجارة متراكمة.

قلت: جدد المقر الزينى زين الدين الاستدار بالمملكة المصرية تغمده الله برحمته هذا الجدار الدائر عليه اليوم، لما كان بالمدينة معزولا عام أحد و ستين و ثمانمائة، و بناه على أساسه القديم، و موضع المنارة فى الركن الغربى باق على حاله، و جعل له ثلاث درجات من المشرق و المغرب و الشام، فى كل جهة منها درجة مرتفعة، حفظا له عن الدواب، و لم يوجد لمحرابه الأول أثر لانهدامه، فجعل المحراب فى وسط جدار القبلة، و لعله كان كذلك، و اتخذ أيضا الدرج التى للآبار التى هناك ينزل عليها من يريد الاستقاء.

و طول هذا المسجد من القبلة إلى الشام اثنان و خمسون ذراعا، و من المشرق إلى المغرب مثل ذلك.

مسجد آخر بذى الحليفة

قال المطرى: و فى قبلته مسجد آخر أصغر منه، و لا يبعد أن يكون النبى صلى اللّه عليه و سلم صلّى فيه أيضا، بينهما مقدار رمية سهم أو أكثر قليلا، انتهى.

قلت: و يؤخذ مما سيأتى عن الأسدى أنه مسجد المعرّس، و الله أعلم.

مسجد المعرس

و منها: مسجد المعرس- قال أبو عبد الله الأسدى فى كتابة و هو من المتقدّمين يؤخذ من كلامه أنه كان فى المائة الثالثة بذى الحليفة عدة آبار و مسجدان لرسول الله صلى اللّه عليه و سلم، فالمسجد الكبير الذى يحرم الناس منه، و الآخر مسجد المعرّس، و هو دون مصعد البيداء ناحية عن هذا المسجد، و فيه عرّس رسول الله صلى اللّه عليه و سلم منصرفه من مكة.

قلت: ليس هناك غير المسجد المتقدم ذكره فى قبلة مسجد ذى الحليفة على نحو رمية سهم سبقى منه، و هو قديم البناء بالقصّة و الحجارة المطابقة؛ فهو المراد.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۱۶۲

و فى صحيح البخارى فى باب المساجد التى على طريق المدينة و المواضع التى صلّى فيها النبى صلى اللّه عليه و سلم عن نافع أن عبد الله أخبره أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم «كان ينزل بذى الحليفة» حين يعتمر، و فى حجته حين حج» - تحت سمرة فى موضع المسجد الذى بذى الحليفة، و كان إذا رجع من غزو كان فى تلك الطريق أو حجّ أو عمرة هبط بطن واد، فإذا ظهر من بطن واد أناخ بالبطحاء التى على شفير الوادى الشرقية فعرّس ثمّ حتى يصبح» ليس عند المسجد الذى بحجارة و لا على الأكمة التى عليها المسجد، و كان ثم خليج يصلى عبد الله عنده فى بطنه كثب كان رسول الله صلى اللّه عليه و سلم ثم يصلى فدحا فيه السيل بالبطحاء، حتى دفن ذلك المكان الذى كان عبد الله يصلى فيه.

قال الحافظ ابن حجر: قوله «بطن واد» أى وادى العقيق.

قلت: و رواه ابن زبالة بلفظ «هبط بطن الوادى، فإذا ظهر من بطن الوادى أناخ بالبطحاء التى على شفير الوادى الشرقية».

و رواه المطرى من غير عزو، و قال فيه «هبط بطن الوادى وادى العقيق» و أظنه من الرواية بالمعنى، و هو يقتضى أن يكون المعرّس فى شرقى وادى العقيق فلا يكون بذى الحليفة، فيتعين أن يكون المارد بطن واد فى وادى العقيق؛ إذ المعرس ذو الحليفة.

ففى الحج من صحيح البخارى عن ابن عمر أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم «كان يخرج من طريق الشجرة، و يدخل من طريق المعرس» و أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم «كان إذا خرج إلى مكة يصلى فى مسجد الشجرة، و إذا رجع صلّى بذى الحليفة ببطن الوادى و بات حتى يصبح».

و فيه أيضا من طريق عقبة عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه عن النبى صلى اللّه عليه و سلم أنه أرى و هو فى معرّسه بذى الحليفة ببطن الوادى قيل له: إنك ببطحاء مباركة، و قد أناخ بنا سالم يتوخّى المناخ الذى كان عبد الله ينيخ يتحرّى معرّس رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، و هو أسفل من المسجد الذى ببطن الوادى، بينه و بين الطريق وسطا من ذلك.

قلت: و المسجد المتقدم ذكره ببطن الوادى، فلعله المراد، و يكون المعرس بقربه من المشرق.

و روى يحيى عن ابن عمر أن النبى صلى اللّه عليه و سلم قيل له و هو بالمعرس نائم يعنى معرس الشجرة:

إنك ببطحاء مباركة.

قلت: فيتأيد به ما تقدم لإضافته المعرس إلى الشجرة، و لا يشكل ذلك ببعد هذا المسجد عن الطريق التى تسلك اليوم إلى المدينة؛ لما تقدم من رواية ابن عمر فى اختلاف طريق الشجرة و طريق المعرّس.

و روى البزار بسند جيد عن أبى هريرة نحوه، فقال: إن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم «كان يخرج من طريق الشجرة، و يدخل من طريق المعرس».

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۱۶۳

و فى صحيح أبى عوانة حديث «كان النبى صلى اللّه عليه و سلم يخرج من طريق الشجرة إلى مكة، و إذا رجع رجع من طريق المعرس».

و روى بعضهم عن نافع أنه انقطع عن ابن عمر حتى سبقه إلى المعرّس، ثم جاء إليه فقال: ما حبسك عنى؟ فأخبره، فقال: إنى ظننت أنك أخذت الطريق الأخرى، و لو فعلت لأوجعتك ضربا، و هذا لحرصه على الاتباع فى النزول هناك، و قد أميتت هذه السنة.

و روى ابن زبالة عن عبد الأعلى بن عبد الله بن أبى فروة أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم «كان إذا خرج إلى مكة يسلك على دار جبر بن على، ثم على منازل بنى عطاء، ثم فى بطحان، ثم فى زقاق البيت، حتى يخرج عند موضع دار ابن أبى الجنوب بالحرة».

قلت: و هذه الأماكن غير معروفة بأعيانها، و الله أعلم.

مسجد شرف الروحاء

و منها: مسجد شرف الرّوحاء- قال البخارى عقب ما تقدم من رواية نافع و أن عبد الله حدّثه أن النبى صلى اللّه عليه و سلم «صلّى حيث المسجد الصغير الذى دون المسجد الذى بشرف الرّوحاء».

و قد كان عبد الله يعلم المكان الذى فيه صلّى النبى صلى اللّه عليه و سلم، يقول: ثم عن يمينك حين تقوم فى المسجد تصلى، و ذلك على حافة الطريق اليمنى و أنت ذاهب إلى مكة، بينه و بين المسجد الأكبر رمية بحجر أو نحو ذلك.

و رواه يحيى بلفظ: أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم «صلّى إلى جانب المسجد الصغير الذى دون المسجد الذى بشرف الرّوحاء» و قد كان عبد الله يعلم المكان الذى صلّى فيه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بعواسج، يكون عن يمينك حين تقوم فى المسجد، و باقيه

كلفظ البخارى.

و روى ابن زبالة عن ابن عمر قال: صلّى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بشرف الروحاء على يمين الطريق و أنت ذاهب إلى مكة، و إلى يسارها و أنت مقبل من مكة.

قلت: و هذا المسجد هو المعنى بقول الأسدى: و على ميلين من السيالة مسجد رسول الله صلى اللّه عليه و سلم يقال له مسجد الشرف، قال: و بين السيالة و الرّوحاء أحد عشر ميلا و بينها و بين ملل سبعة أميال، و هى لولد الحسين بن على بن أبى طالب و لقوم من قريش، و على ميل منها عين تعرف بسويقية لولد عبد الله بن حسن، كثيرة الماء عذبة، و هى ناحية عن الطريق، قال: و الجبل الأحمر الذى يسرة الطريق حين يخرج من السيالة يقال له ورقان، يسكنه قوم من جهينة يقال: إنه متصل إلى مكة لا ينقطع، و ذكر آبارا كثيرة بالسيالة.

و قوله «و على ميلين من السيالة» أراد من أولها، و لهذا قال المطرى: شرف الروحاء هو آخر السيالة و أنت متوجه إلى مكة، و أول السيالة إذا قطعت شرف ملل، و كانت الصخيرات صخيرات التمام عن يمينك، و قد هبطت من ملل ثم رجعت عن يسارك و استقبلت القبلة،

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۱۶۴

فهذه السيالة و كانت قد تجدد فيها بعد النبى صلى اللّه عليه و سلم عيون و سكان، و كان لها وال من جهة والى المدينة و لأهلها أخبار و أشعار، و بها آثار البناء و أسواق، و آخرها الشرف المذكور، و المسجد عنده، و عنده قبور قديمة كانت مدفن أهل السيالة، ثم تهبط فى وادى الروحاء مستقبل القبلة، و يعرف اليوم بوادى بنى سالم، بطن من حرب عرب الحجاز؛ ثم ذكر ما سيأتى.

قلت: و تلك القبور التى عند المسجد مشهورة بقبور الشهداء، و لعله لكون بعضهم دفن فيها ممن قتل ظلما من الأشراف الذين كانوا بالسيالة و بسويقة، كما يؤخذ مما سنشير إليه فى ترجمة سويقة.

مسجد عرق الظبية

و منها مسجد عرق الظّبية- قال المطرى عقب قوله «ثم يهبط فى وادى الروحاء مستقبل القبلة» ما لفظه: فتمشى مستقبل القبلة و شعب على يسارك، إلى أن تدور الطريق بك إلى المغرب و أنت مع أصل الجبل الذى على يمينك، فأول ما يلقاك مسجد على يمينك كان فيه قبر كبير فى قبلته فتهدم على طول الزمان، صلّى فيه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، و يعرف ذلك المكان بعرق الظبية، و يبقى جبل ورقان على يسارك، قال: و فى المسجد الآن حجر قد نقش عليه بالخط الكوفى عند عمارته الميل الفلانى من البريد الفلانى، انتهى.

و قال الأسدى: و على تسعة أميال- يعنى من السيالة- و أنت ذاهب إلى الرّوحاء مسجد للنبى صلى اللّه عليه و سلم يقال له مسجد الظبية، فيه كانت مشاورة رسول الله صلى اللّه عليه و سلم لقتال أهل بدر، و هو دون الروحاء بميلين، انتهى.

و قال المجد فى ترجمة الشرف: إن فى حديث عائشة رضى الله تعالى عنها «أصبح رسول الله صلى اللّه عليه و سلم يوم الأحد بملل على ليلة من المدينة، ثم راح فتعشى بشرف السيالة، و صلّى الصبح بعرق الظبية».

و روى ابن زبالة عن عمرو بن عوف المزنى قال: أول غزوة غزاها النبى صلى اللّه عليه و سلم و أنا معه غزوة الأبواء، حتى إذا كان بالرّوحاء عند عرق الظبية قال: هل تدرون ما اسم هذا الجبل؟

يعنى ورقان، قالوا: الله و رسوله أعلم، قال: هذا حمت جبل من جبال الجنة، اللهم بارك لنا فيه، و بارك لأهله فيه، تدرون ما اسم هذا الوادى؟ يعنى وادى الروحاء، هذا سجاسج، لقد صلّى فى هذا المسجد قبلى سبعون نبيا، و لقد مرّ بها- يعنى الروحاء- موسى بن عمران فى سبعين ألفا من بنى إسرائيل عليه عباءتان قطوانيتان على ناقة له ورقاء، و لا تقوم الساعة حتى يمر بها عيسى بن مريم حاجا

أو معتمرا، أن يجمع الله له ذلك.

و رواه الطبرانى، و فيه كثير بن عبد الله حسّن الترمذى حديثه، و بقية رجاله ثقات، إلا أنه قال فيه عقب قوله «و بارك لأهله فيه» و قال للروحاء هو سجاسج و هذا واد من أودية

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۱۶۵

الجنة، لقد صلّى فى هذا الوادى قبلى سبعون نبيا، و لقد مر به موسى عليه السلام عليه عباءتان قطوانيتان على ناقة ورقاء فى سبعين ألفا من بنى إسرائيل حاجين البيت العتيق، و لا تقوم الساعة حتى يمر بها عيسى بن مريم عبد الله و رسوله. و رواه يحيى بنحوه، إلا أنه قال: لقد صلّى قبلى فى هذا الموضع سبعون نبيا، و رواه الترمذى بلفظ: أن النبى صلى اللّه عليه و سلم صلّى فى وادى الروحاء، و قال: لقد صلّى فى هذا المسجد سبعون نبيا.

قلت: و آثار هذا المسجد موجودة هناك.

مسجد آخر بالروحاء

و منها: مسجد بالروحاء، ذكره الأسدى، و غاير ما بينه و بين ما قبله و ما بعده.

و قال الواقدى فى غزوة بدر: ثم سار رسول الله صلى اللّه عليه و سلم حتى أتى الروحاء ليلة الأربعاء النصف من شهر رمضان، فصلى عند بئر الروحاء.

و سيأتى فى ترجمة الروحاء أنه كان بها آبار متعددة، فلم يبق منها اليوم سوى بئر واحدة، و الله أعلم.

مسجد المنصرف (الغزالة)

و منها: مسجد المنصرف، و يعرف اليوم بمسجد الغزالة، و هو آخر وادى الروحاء مع طرف الجبل، على يسارك و أنت ذاهب إلى مكة.

قال المطرى: و لم يبق منه اليوم إلا عقد الباب.

قلت: و قد تهدم أيضا، و لم يبق إلا رسومه.

و قال الأسدى: و على ثلاثة أميال من الروحاء، يعنى و أنت قاصد مكة، مسجد لرسول الله صلى اللّه عليه و سلم فى سند الجبل، يقال له مسجد المنصرف، جبل على يسارك تنصرف منه فى الطريق، انتهى.

و قال البخارى: عقب ما قدمناه فى مسجد الشرف من رواية نافع: و أن ابن عمر كان يصلى إلى العرق الذى عند منصرف الروحاء، و ذلك العرق انتهاء طرفه على حافة الطريق دون المسجد الذى بينه و بين المنصرف و أنت ذاهب إلى مكة، و قد ابتنى ثمّ مسجد فلم يكن عبد الله يصلى فى ذلك المسجد، كان يتركه عن يساره و وراءه و يصلى أمامه إلى العرق نفسه.

قلت: توهّم بعضهم أن المراد عرق الظبية، و ليس كذلك؛ لتغاير المحلين، و رأيت بخط بعضهم هنا: العرق جبل صغير.

و روى ابن زبالة عن ابن عمر قال: صلّى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بشرف الروحاء، و بالمنصرف عند العرق من الروحاء.

و فى رواية ليحيى عن ابن عمر أنه كان يصلى إلى العرق الذى عند منصرف الروحاء،

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۱۶۶

و ذلك العرق أثناء طريقه على حافة الطريق، دون السبيل الذى دون ثنية المنصرف و أنت ذاهب إلى مكة، قال نافع: كان عبد الله يروح من الروحاء فلا يصلى الظهر حتى يأتى ذلك المكان فيصلى فيه الظهر.

و قال المطرى عقب ما تقدم عنه فى هذا المسجد: إن عن يمين الطريق إذا كنت بهذا المسجد و أنت مستقبل البادية موضعا كان عبد الله بن عمر ينزل فيه، و يقول: هذا منزل رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، و كان ثمّ شجرة كان ابن عمر إذا نزل هذا المنزل و توضأ صبّ فضل وضوئه فى أصل الشجرة، و يقول: هكذا رأيت رسول الله صلى اللّه عليه و سلم يفعل، و ودّ أنه كان يدور بالشجرة أيضا ثم يصبّ الماء فى أصلها، اتباعا للسنة، و إذا كان الإنسان عند هذا المسجد المعروف بمسجد الغزالة كانت طريق النبى صلى اللّه عليه و سلم إلى مكة على يساره مستقبل القبلة، و هى الطريق المعهودة قديما، ثم السقيا، ثم ثنية هرشى، و هى طريق الأنبياء عليهم الصلاة و السلام، قال: و ليس بهذا الطريق اليوم مسجد يعرف غير هذا الثلاثة مساجد، يعنى سوى مسجد ذى الحليفة.

قلت: سببه هجران الحجّاج لهذا الطريق، و أخذهم من طرف الروحاء على البادية إلى مضيق الصفراء ثم إلى بدر، و ذكر لى بعض الناس ممن سلك تلك الطريق أن كثيرا من مساجدها موجود، و سيأتى أنى ظفرت برؤية مسجد طرف قديد الآتى ذكره، و الله أعلم.

مسجد الرويثة

و منها: مسجد الرويثة- قال البخارى عقب ما تقدم عنه من حديث نافع: و أن عبد الله حدثه أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم كان ينزل تحت سرحة ضخمة دون الرويثة عن يمين الطريق و وجاه الطريق فى مكان بطح سهل حتى يفضى من أكمة دوين بريد الرويثة بميلين، و قد انكسر أعلاها، و انثنى فى جوفها، و هى قائمة على ساق، و فى ساقها كثب كثيرة.

و قوله «بريد الرويثة» أى: الموضع الذى ينتهى إليه البريد بالرويثة، و ينزل فيه، و قيل:

البريد سكة الطريق، و رواه ابن زبالة بنحوه، و فى رواية له «صلى دون الرويثة عند موضع السرحة».

و قال الأسدى: و فى أول الرويثة مسجد رسول الله صلى اللّه عليه و سلم. قال: و بين الرّوحاء و الرويثة ثلاثة عشر ميلا، و قال فى موضع آخر: ستة عشر ميلا و نصف، و وصف ما بالرويثة من الآبار و الحياض، قال: و يقال للجبل المشرف عليها المقابل لبيوتها «الحمراء» و للذى فى دبرها عن يسارها قبل المشرق «الحسناء».

مسجد ثنية ركوبة

و منها: مسجد ثنية ركوبة كما سيأتى من رواية ابن زبالة فى مسجد مدلجة تعهن أنه صلى اللّه عليه و سلم

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۱۶۷

«صلّى فى ثنية ركوبة، و بنى بها مسجدا». و سيأتى أن ركوبة ثنية قبل العرج للمتوجه من المدينة على يمين ثنية العابر و ثنية العابر هى عقبة العرج، و العرج بعدها بثلاثة أميال كما سيأتى، و لم يذكر الأسدى هذا المسجد.

مسجد الأثاية

و منها: مسجد الأثاية- بالمثلثة و المثناة التحتية- كالنواية على الراجح.

روى ابن زبالة عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم «صلّى عند بئر الإثابة ركعتين فى إزار ملتحفا به».

قال المطرى: الأثاية ليست معروفة.

قلت: عرفها الأسدى فقال، فى وصف طريق الذاهب لمكة: إن من الرويثة إلى الحى أربعة أميال، ثم قال: و عقبة العرج على أحد عشر ميلا من الرويثة، و يقال لها: المدارج، بينها و بين العرج ثلاثة أميال، و بها أبيات، و بئر عند العقبة، و قبل العرج بميلين قبل أن ينزل الوادى مسجد رسول الله صلى اللّه عليه و سلم يعرف بمسجد الأثاية، و عند المسجد بئر تعرف بالأثاية، انتهى.

و قال المجد: الأثايـة موضع فى طريق الجحفـة، بينه و بين المدينـة خمسـة و عشـرون فرسـخا، و فيه بئر، و عليها المسـجد المذكور، و عندها أبيات و شجر أراك، و هو منتهى حد الحجاز، انتهى.

و هو موافق لما ذكره الأسدى؛ فإن منتهى حد الحجاز مدارج العرج، و هى بقربها.

و روى أحمـد برجـال الصـحيح عن عمير بن سـلمة الضـمرى أن رسول الله صـلى اللّه عليه و سـلم «مرّ بالعرج فإذا هو بحمار عقير، فلم يلبث أن جاء رجل بهر، فقال: يا رسول الله، هذا رميتى فشأنكم فيها، فأمر رسول الله صـلى اللّه عليه و سـلم أبا بكر رضـى الله تعالى عنه يقسمه بين الرفاق، ثم سار حتى أتى عقبة الأثاية فإذا بظبى فيه سهم و هو حاقف فى ظل صخرة، فأمر النبى صلى اللّه عليه و سلم رجلا من أصحابه فقال: قف هاهنا حتى يمر الرفاق لا يرميه أحد بشىء». و مقتضى ما سبق من صنيع الأسدى أن يكون هذا فى رجوعه صلى اللّه عليه و سلم من مكة، خلاف ما اقتضاه صنيع الهيتمى حيث ترجم عليه بجواز أكل لحم الصيد للمحرم إذا لم يصده أو يصد له.

مسجد العرج

و منها مسـجد العرج- روى ابن زبالـة عن صـخر بن مالك بن إياس عن أبيه عن جـده أن رسول الله صـلى اللّه عليه و سـلم «صـلّى فى مسـجد العرج، و قال فيه» يعنى من القيولـة، و أسـقط المطرى هـذا المسـجد، و جعله المجـد الـذى بعده، و هو مردود، و لم يتعرض له الأسدى.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۱۶۸

مسجد المنبجس

و منها: مسـجد بطرف تلعـة من وراء العرج، و وقع فى نسـخة المجـد و خط الزين المراغى «بطريق تلعـة» و هو تصـحيف لأن الذى فى صحيح البخارى و كتاب ابن زبالة طرف بالفاء.

قال البخارى، عقب ما تقدم عنه فى مسـجد الرويثة من رواية نافع، و أن عبد الله حدثه أن النبى صـلى اللّه عليه و سـلم صـلى فى طرف تلعـة من وراء العرج، و أنت ذاهب إلى هضـبة، و عند ذلك المسـجد قبران أو ثلاثة، و على القبور رضم من حجارة عن يمين الطريق، عنـد سـلمات الطريـق، بين أولئـك السـلمات كـان عبـد الله يروح من العرج بعـد أن تميـل الشـمس بالهـاجرة فيصـلى الظهر فى ذلك المسجد.

و رواه ابن زبالة إلا أنه قال فيه: من وراء العرج و أنت ذاهب إلى رأس خمسة أميال من العرج فى مسجد إلى هضبة.

و قال الأسدى: و على ثلاثة أميال من العرج قبل المشرق مسجد لرسول الله صلى اللّه عليه و سلم يقال له مسجد المنبجس قبل الوادى، و المنبجس: وادى العرج، و على ثمانية أميال من العرج حوضان على عين تعرف بالمنبجس، انتهى. و لعله المسجد المذكور.

مسجد لحى جمل

و منها: مسـجد لحى جمل- قال الأسدى: و على ميل من الطلوب مسـجد رسول الله صـلى اللّه عليه و سلم بموضع يقال له «لحى جمل» قال: و الطلوب بئر غليظة الماء بعد العرج بأحد عشـر ميلا، و السـقيا بعد الطلوب بستة أميال، قال: و قبل السقيا بنحو ميل وادى العاند، و يقال له وادى القاحة، و ينسب إلى بنى غفار، اه.

فتلخص أن هذا المسجد قبل السقيا و القاحة و بعد العرج بالمسافة المذكورة.

و يؤيده أن ابن زبالة روى فى سياق هذه المساجد حديث أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم «احتجم بمكان يدعى لحى جمل بطريق

مكة و هو محرم».

و فى روايـة له «احتجم بالقاحة و هو صائم محرم» ففيه بيان قرب ذلك من القاحة، و لكن رأيت يحيى ختم كتابه بحديث ابن عمر فى هذه المساجد و بآخر النسخة ما صورته:

نقل من خط أحمـد بن محمـد بن يونس الإسـكاف فى آخر الجزء: قلت: إنه لم يـذكر فى هـذا الحـديث المسـجد الذى بين السـقيا و الأبواء الذى يقال له مسجد لحى جمل، انتهى.

و هو يقتضى أنه بعد السقيا بينها و بين الأبواء، و يوافقه قول عياض: قال ابن وضاح:

لحى جمل فى عقبة الجحفة. و قال غيره: على سبعة أميال من السقيا.

و رواه بعض رواة البخارى «لحيى جمل» أى بالتثنية، و فسره فيه بأنه ما يقال له لحيى جمل أى فى حديث «احتجم النبى صلى اللّه عليه و سلم بلحيى جمل».

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۱۶۹

و قال المجد: هى عقبة على سبعة أميال من السقيا.

و فى كتاب مسلم أنه ماء.

مسجد السقيا

و منها: مسـجد السـقيا- روى ابن زبالة فى سـياق المساجد التى بطريق مكة من حديث عوف بن مسـكين بن الوليد البلوى عن أبيه عن جده أن النبى صلى اللّه عليه و سلم «صلّى فى مسجد بالسقيا».

و قال الأسدى، بعد ما تقدم عنه فى المسافة بين الطلوب و السـقيا: و بالسقيا مسجد لرسول الله صلى اللّه عليه و سلم إلى الجبل، و عنده عين عذبـة، ثم ذكر أن بالسـقيا أزيـد من عشـر آبـار، و أن عنـد بعضـها بركـة. ثم قال: و فيها عين غزيرة الماء، و مصـبها فى بركـة فى المنزل، و هى تجرى إلى صـدقات الحسن بن زيـد، عليها نخل و شـجر كثير، و كانت قد انقطعت ثم عادت فى سـنة ثلاث و أربعين و مائتين ثم انقطعت فى سـنة ثلاث و خمسين و مائتين، قال: و على ميل من المنزل موضع فيه نخل و زرع و صدقات للحسن بن زيد فيها من الآبار التى يزرع عليها ثلاثون بئرا، و فيها ما أحدث فى أيام المتوكل خمسون بئرا، و ماؤهن عذب، و طول رشائهن قامة و بسطة، و أقل و أكثر.

ثم وصف ما بعد السقيا فقال: و على ثلاثة أميال من السقيا عين يقال لها تعهن انتهى.

و فى حديث أبى قتادة فى الصـحيح بركة بتعهن، و هو مقابل السـقيا، و سـيأتى فى ترجمة تعهن ما قيل من أنها قبل السقيا، مع بيان أن المعروف اليوم أنها بعدها.

مسجد مدلجة تعهن

و منها: مسـجد مدلجة عهن- روى ابن زبالة عن صـخر بن مالك بن إياس عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم «صلّى بمدلجة تعهن، و بنى بها مسجدّا، و صلّى فى ثنية ركوبة، و بنى بها مسجدّا».

قلت: لم يذكره إلا الأسدى، و قد سبق عنه أن تعهن بعد السقيا بثلاثة أميال.

مسجد الرمادة

و منها: مسجد الرمادة- قال الأسدی: و دون الأبواء بمیلین مسجد للنبی صلی اللّه علیه و سلم یقال له «مسجد الرّمادة» و ذکر ما حاصله أن الأبواء بعد السقیا لجهة مکة بأحد و عشرین میلا و أن فی الوسط بینهما عین القشیری، و هی عین کثیرة الماء، و یقال للجبل المشرف علیها الأیسر «قدس» و أوله فی العرج، و آخره وراء هذه العین، و الجبل الذی یقابلها یمنة یقال له «باقل» و یقال للوادی الذی بین هذین الجبلین «وادی الأبواء» انتهی.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفی، ج۳، ص: ۱۷۰

مسجد الأبواء

و منها: مسجد الأبواء- قال الأسدی بعد ما تقدم فی وصف ما بین الأبواء و الجحفة:

إن الجحفة بعد الأبواء بثلاثة عشر میلا، قال: و فی وسط الأبواء مسجد لرسول الله صلی اللّه علیه و سلم، و ذکر بها آبارا و برکا، منها برکة بقرب القصر، قال: و إذا جزت وادی الأبواء بمیلین کان علی یسارک شعاب تسمی «نلعان الیمن» و ذکر أن ودّان ناحیة عن الطریق بنحو ثمانیة أمیال، ینزل به من لا ینزل إلا الأبواء، فمن أراده رحل من السقیا إلیه، و به عیون غزیرة علیها سبعة مشارع و برکة قدیمة، ثم یرحل منه فیخرج عند ثنیة هرشی بینها و بین ودّان خمسة أمیال، و قد عمل لهذه الطریق أعلام و أمیال أمر بها المتوکل.

قلت: وکلا الطریقین عن یسار طریق الناس الیوم بأسفل ودّان و هی معطشة لا ماء بها إلا ما یحمل من بدر إلی رابغ.

مسجد البیضة

و منها: مسجد یسمی بالبیضة- قال الأسدی: و علی خمسة أمیال و شیء من الأبواء مسجد لرسول الله صلی اللّه علیه و سلم یقال له البیضة.

مسجد عقبة هرشی

و منها: مسجد عقبة هرشی- قال الأسدی: و علی ثمانیة أمیال من الأبواء عقبة هرشی، و علم منتصف الطریق ما بین مکة و المدینة دون العقبة بمیل، و فی أصل العقبة مسجد للنبی صلی اللّه علیه و سلم حد المیل الذی مکتوب علیه سبعة أمیال من البرید، انتهی.

قال البخاری، عقب ما تقدم عنه فی المسجد الذی بطرف تلعة من روایة نافع: و أن عبد الله حدثه أن رسول الله صلی اللّه علیه و سلم نزل عند سرحات عن یسار الطریق فی مسیل دون هرشی، ذلک المسیل لاصق بکراع هرشی، بینه و بین الطریق قریب من غلوة، و کان عبد الله بن عمر یصلی إلی سرحة هی أقبل السرحات إلی الطریق، و هی أطولهن.

مسجد الجحفة

و منها: مسجدان بالجحفة- قال الأسدی، فی وصف ما بین الجحفة و قدید، بعد ذکر ما بالجحفة من الآبار و البرک و العیون: و فی أول الجحفة مسجد لرسول الله صلی اللّه علیه و سلم یقال له غورث، و فی آخرها عند العلمین مسجد لرسول الله صلی اللّه علیه و سلم یقال له مسجد الأئمة.

مسجد غدیر خم

و منها: مسجد بعد الجحفة، و أظنه مسجد غدير خم- قال الأسدى، بعد ما تقدم عنه: و على ثلاثة أميال من الجحفة بسرة عن الطريق حذاء العين مسجد لرسول الله صلى اللّه عليه و سلم، و بينهما الغيضة، و هى غدير خم، و هى على أربعة أميال من الجحفة، انتهى.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۱۷۱

و قال عياض: غدير خم تصب فيه عين، و بين الغدير و العين مسجد للنبى صلى اللّه عليه و سلم، انتهى.

و أخبرنى مخبر أنه رأى هذا المسجد على نحو هذه المسافة من الجحفة، و قد هدم السيل بعضه.

و فى مسند أحمد عن البراء بن عازب رضى الله تعالى عنه قال: كنا عند النبى صلى اللّه عليه و سلم فنزلنا بغدير خم، فنودى فينا الصّلاة جامعة، و كسح لرسول الله صلى اللّه عليه و سلم تحت شجرة فصلى الظهر، و أخذ بيد على و قال: أ لستم تعلمون أنى أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى، قال: فأخذ بيد على و قال: اللهم من كنت مولاه فعلىّ مولاه، اللهم وال من والاه و عاد من عاداه، قال: فلقيه عمر بعد ذلك فقال: هنيئا يا ابن أبى طالب، أصبحت و أمسيت مولى كل مؤمن و مؤمنة، و عن زيد بن أرقم مثله.

مسجد طرف قديد

و منها: مسجد ذكر الأسدى أنه قبل قديد بثلاثة أمثال، و ذكر أن خيمتى أمّ معبد الخزاعية و موضع مناة الطاغية فى الجاهلية على نحو هذه المسافة.

قلت: و قد عثرت فى مسيرى إلى مكة على مسجد قديم قرب طرف قديد، و هو مرتفع عن يمين الطريق، مبنى بالأحجار و القصّة، يظهر أنه هذا المسجد.

مسجد عند حرة خليص

و منها: مسجد عند حرة عقبة خليص قال الأسدى: من قديد إلى عين ابن بزيع و هى خليص على ثمانية أميال و شىء، و ذكر آبارا كثيرة بقديد، قال: و عقبة خليص بينها و بين خليص ثلاثة أميال، و هى عقبة تقطع حرّة تعترض الطريق يقال لها ظاهرة البركة، و الشجر ينبت فى تلك الحرة، و عند الحرة مسجد لرسول الله صلى اللّه عليه و سلم.

مسجد خليص

و منها: مسجد خليص قال الأسدى: خليص عين غزيرة كثيرة الماء، و عليها نخل كثير، و بركة، و مشارع، و مسجد لرسول الله صلى اللّه عليه و سلم.

مسجد بطن مر الظهران

و منها: مسجد بطن مرّ الظّهران قال البخارى، عقب ما تقدم عنه فى مسجد عقبة هرشى من رواية نافع: و أن عبد الله بن عمر حدثه أن النبى صلى اللّه عليه و سلم «كان ينزل فى المسيل الذى فى أدنى مرّ الظّهران قبل المدينة، حين يهبط من الصفراوات، ينزل فى بطن ذلك المسيل عن يسار الطريق و أنت ذاهب إلى مكة، ليس بين منزل رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و بين الطريق إلا رمية بحجر».

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۱۷۲

قال المطرى، فى وصف هذا المسجد: إنه بوادى مرّ الظهران حين يهبط من الصفراوات عن يسار الطريق و أنت ذاهب إلى مكة، قال: و مر الظهران هو بطن مرّ المعروف، و ليس المسجد بمعروف اليوم، انتهى.

و قال الزين المراغى: و يقال: إنه المسجد المعروف بمسجد الفتح، انتهى.

و قال التقى الفاسى: المسجد الذى يقال له مسجد الفتح بالقرب من الجموم من وادى مر الظهران، يقال: إنه من المساجد التى صلّى فيها رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، ثم ذكر ما قاله المراغى.

ثم قال: و ممن عمر هذا المسجد على ما بلغنى أى جدد عمارته أبو على صاحب مكة، و ممن عمره بعد ذلك الشريف حياش، قال: و بيضه فى عصرنا و رفع أبوابه صونا له الشريف حسن بن عجلان، انتهى.

و هذا المسجد ينظره الذاهب من الجموم إلى مكة عن يساره عند المسيل.

و قال الأسدى: بين مكة و بطن مر سبعة عشر ميلا، و ببطن مر مسجد لرسول الله صلى اللّه عليه و سلم، و بركة للسيل طولها ثلاثون ذراعا، و ربما ملئت هذه البركة من عين يقال لها العقيق، قال: و بحضرة هذه البركة بئران.

مسجد سرف

و منها: مسجد سرف- بفتح السين المهملة، و كسر الراء- و هذا المسجد به قبر ميمونة رضى الله تعالى عنها، شاهدته و زرته؛ إذ المروىّ أنها دفنت بسرف، بالموضع الذى بنى عليها النبى صلى اللّه عليه و سلم فيه.

و فى حديث أنس أنه صلى اللّه عليه و سلم «كان لا ينزل منزلا إلا ودّعه بركعتين» و قال الأسدى ما لفظه: و مسجد سرف على سبعة أميال من مر، و قبر ميمونة زوج النبى صلى اللّه عليه و سلم دون سرف، اه. و المعروف ما قدمناه.

قال التقى الفاسى: من القبور التى ينبغى زيارتها قبر أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث الهلالية، و هو معروف بطريق وادى مر، قال: و لا أعلم بمكة و لا فيما قرب منها قبر واحد ممن صحب النبى صلى اللّه عليه و سلم سوى هذا القبر؛ لأن الخلف تأثر ذلك عن السلف.

مسجد التنعيم

و منها: مسجد بالتنعيم قال الأسدى: و التنعيم وراء قبر ميمونة بثلاثة أميال، و هو موضع الشجرة، و فيه مسجد لرسول الله صلى اللّه عليه و سلم، و فيه آبار، و من هذا الموضع يحرم من أراد أن يعتمر. ثم قال: ميقات أهل مكة بالإحرام مسجد عائشة، و هو بعد الشجرة بميلين، و هو دون مكة بأربعة أميال، و بينه و بين أنصاب الحرم غلوة، اه.

قلت: و بالتنعيم عدّة مساجد: اثنان منها اختلف فى المنسوب منهما لعائشة رضى الله تعالى عنها، و لم يذكر التقى و لا غيره بالتنعيم مسجدًا للنبى صلى اللّه عليه و سلم.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۱۷۳

قال التقى فى ذكر مسجد عائشة: و هذا المسجد اختلف فيه، فقيل: هو المسجد الذى يقال له مسجد الهليلجة، لشجرة هليلجة كانت فيه و سقطت من قريب، و هو المتعارف عند أهل مكة على ما ذكره سليمان بن خليل، و فيه حجارة مكتوب فيها ما يؤيد ذلك، و قيل: هو المسجد الذى بقربه بئر، و هو بين هذا المسجد و بين المسجد الذى يقال له «مسجد على» بطريق وادى مر الظهران، و فى هذا أيضا حجارة مكتوب فيها ما يشهد لذلك، و رجّح المحبّ الطبرى أنه المسجد الذى بقربه البئر، و هو الذى يقتضيه كلام إسحاق الخزاعى و غيره، قال: إن بين مسجد الهليلجة و أول الأعلام سبعمائة ذراع و أربعة عشر ذراعا بذراع الحديد، و ذرع ما بينه و بين المسجد الآخر ثمانمائة ذراع و اثنان و سبعون ذراعا بالذراع المذكور، اه.

و الأقرب لكلام الأسدى أن مسجد عائشة رضى الله تعالى عنها هو مسجد الهليلجة؛ لكونه أقرب إلى أعلام الحرم من الثانى، و لعل المنسوب للنبى صلى اللّه عليه و سلم هو مسجد علىّ أو المسجد الثانى.

عمرات الرسول صلى اللّه عليه و سلم

و رأيت عن بعضهم: روى ابن عباس أن النبى صلى اللّه عليه و سلم اعتمر أربع عمر: عمرة الحديبية، و عمرة القضاء، و عمرة التنعيم، و عمرة الجعرانة.

قلت: و ذكر التنعيم غير معروف، و المعروف فى الرابعة أنها التى مع حجّته، فلعل المراد من نسبتها إلى التنعيم أن النبى صلى اللّه عليه و سلم دخل مكة فيها من جهته.

مسجد ذى طوى

و منها: مسجد ذى طوى- قال البخارى، عقب ما تقدم عنه فى مسجد بطن مرّ من رواية نافع: و أن عبد الله حدثه أن النبى صلى اللّه عليه و سلم «كان ينزل بذى طوى، و يبيت حتى يصبح يصلى الصبح حين يقدم مكة» و مصلّى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم ذلك على أكمة غليظة ليس فى المسجد الذى بنى ثم، و لكن أسفل من ذلك، على أكمة غليظة، و أن عبد الله حدثه أن النبى صلى اللّه عليه و سلم «استقبل فرضتى الجبل الذى بينه و بين الجبل الطويل نحو الكعبة فجعل المسجد الذى بنى ثم يسار المسجد بطرف الأكمة، و مصلى النبى صلى اللّه عليه و سلم أسفل منه على الأكمة السوداء، تدع من الأكمة عشرة أذرع أو نحوها، ثم تستقبل الفرضتين من الجبل الذى بينك و بين الكعبة، انتهى.

قال المطرى، و تبعه من بعده: وادى ذى طوى هو المعروف بمكة بين الثنيتين.

قلت: و يعرف عند أهل مكة اليوم كما قال التقى بما بين الحجونين، و هو موافق لقول الأزرقى: بطن ذى طوى ما بين مهبط ثنية المقبرة التى بالمعلى إلى الثنية القصوى التى يقال لها الخضراء تهبط على قبور المهاجرين، انتهى.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۱۷۴

و قال الأسدى، فى وصف ما بين مسجد عائشة رضى الله تعالى عنها و مكة: فج بعد مسجد عائشة رضى الله تعالى عنها بنحو ميلين، و عقبة المذنبين بعد فج بميل يسرة عن الطريق، و طريق ذى طوى إلى المسجد نحوا من نصف ميل، و قال فى موضع آخر: يستحب الصلاة بمسجد ذى طوى، و هو بين مسجد ثنية المذنبين المشرفة على مقابر مكة و بين الثنية التى تهبط على الحصحاص، و ذلك المسجد ثنية زبيدة، انتهى.

الفصل الرابع فى بقية المساجد التى بين مكة و المدينة

اشارة

بطريق الحاج فى زماننا، و بطريق المشبان، و ما قرب من ذلك، و ما حل صلى اللّه عليه و سلم به من المواضع، و إن لم يبن مسجدًا

دبّة المستعجلة

فمنها: موضع بدبّة المستعجلة- بفتح الدال المهملة و تشديد الموحدة- و هو الكثيب من الرمل.

روى ابن زبالة عن محمد بن فضالة أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم نزل بالدّبّة دبة المستعجلة من المضيق، و استقى له من بئر الشعبة الصابّة أسفل من الدبة، فهو لا يفارقها أبدا

قال المطرى: و المستعجلة هى المضيق الذى يصعد إليه الحاج إذا قطع النازية و هو متوجه إلى الصفراء، يعنى من أعلى فركان خيف

بنى سالم.

شعب سير

قال: و ذكر ابن إسحاق أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم نزل بشعب سير و هو الشعب الذى بين المستعجلة و الصفراء- و قسم به غنائم أهل بدر، و لا يزال فيه الماء غالبا، انتهى.

قلت: الذى قاله ابن إسحاق كما فى تهذيب ابن هشام: ثم أقبل رسول الله صلى اللّه عليه و سلم من بدر حتى إذا خرج من مضيق الصفراء نزل على كثيب بين المضيق و بين النازية يقال له سير إلى سرحة، و قسم هناك النّفل.

قلت: و هو صريح فى أن سير بعد مضيق الصفراء للجائى من بدر، و بعده النازية، فإن كانت المستعجلة هى مضيق الصفراء فهو يقتضى أن سير بينها و بين النازية، فهو مخالف لما ذكره المطرى من أنه بين المستعجلة و الصفراء، فليحمل مضيق الصفراء على غير المضيق الذى هو المستعجلة، و يكون مضيق الصفراء هنا من ناحية أسفل الخيف؛ لأن الذى ذكره المطرى فى شعب سير هو المعروف اليوم، و لأنى رأيت فى أوراق لم أعرف مؤلفها أن شعب سير هو النزلة التى كانت للحاج إذا رجع عن المستعجلة و نزل فى فركان الخيف.

قال: و هناك بركة قديمة، و هو الشعب بين جبلين يعرف بجبال المضيق علو الصفراء، و بينه و بين المستعجلة نحو نصف فرسخ، انتهى. و البركة و الموضع معروفان كما وصف،

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۱۷۵

و لعل سير هذا هو المعبر عنه فى رواية ابن زبالة بالدبة؛ لأنها مجتمع الرمل، و قد سماه ابن إسحاق كثيبا، و يؤخذ منه أن الخيف كله أعلاه، و أسفله هو مضيق الصفراء.

ذكر عدة مساجد

و منها: مسجد بذات أجدال، و مسجد بالجيزتين من المضيق، و مسجد بذفران، و موضع بذنب ذفران المقبل.

و روى ابن زبالة عن ابن فضالة قال: صلّى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بمسجد بذات أجدال من مضيق الصفراء، و مسجد بالجيزتين من المضيق، و مسجد بذفران المدبر من البناء، و صلّى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بذنب ذفران المقبل الذى يصبّ فى الصفراء، قال: فحفرت بئر هنالك يقال: إنها فى موضع جبهة النبى صلى اللّه عليه و سلم، فلها فضل فى العذوبة على ما حواليها.

قلت: مضيق الصفراء تقدمت الإشارة إليه قريبا، و ذفران: واد معروف قبل الصفراء بيسير، يصب سيله فيها، و يسلكه الحاج المصرى فى رجوعه من المدينة إلى ينبع، فيأخذ ذات اليمين و يترك الصفراء يسارا.

قال ابن إسحاق، فى وصف مسيره صلى اللّه عليه و سلم إلى بدر: فلما كان بالمنصرف- أى عند مسجد الغزالة- ترك طريق مكة بيسار، و سلك ذات اليمين على النازية يريد بدرا، فسلك فى ناحية منها حتى جزع- أى قطع- واديا يقال له رجفان بين النازية و بين مضيق الصفراء ثم على المضيق، ثم انصب حتى إذا كان قريبا من الصفراء، ثم ذكر أنه بعث من يتجسس له الأخبار.

قال: ثم ارتحل، فلما استقبل الصفراء- و هى قرية بين جبلين- سأل عن جبليها: ما أسماؤهما؟ فقالوا: يقال لأحدهما المسلح، و قالوا للآخر: هذا مجرى، و سأل عن أهلهما فقيل: بنو النار و بنو حراق، بطنان من بنى غفار، فكرههما صلى اللّه عليه و سلم و المرور بينهما، و تفاءل بأسمائهما و أسماء أهلهما، فترك الصفراء يسارا، و سلك ذات اليمين على واد يقال له ذفران.

مسجد ذفران

قلت: و بذفران اليوم مسجد يتبرك به على يسار من سلكه إلى ينبع، فأظنه مسجد ذفران، و رأيت قبل الوصول إلى طرف ذفران الذى يلى الصفراء على يمين السالك فى طريق مكة يريد الصفراء، رأيت عليها مسجدًا مبنيا بالجص مرتفعا عن الطريق يسيرا، يتبرك الناس بالصلاة فيه، و ليس بقربه مساكن؛ فالظاهر أنه أحد المساجد المذكورة، و رأيت أمام محرابه قبرا قديما محكم البناء، و لعله قبر عبيدة بن الحارث بن المطلب، فقد ذكر ابن إسحاق و غيره أنه مات بالصفراء من جراحته التى أصابته فى المبارزة ببدر، و لم يذكروا محل دفنه، إلا أن

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۱۷۶

ابن عبد البر قال عقبه: و يروى أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم لما نزل مع أصحابه بالنازيين قال له أصحابه: إنا نجد ريح مسك، فقال: و ما يمنعكم و هاهنا قبر أبى معاوية؟ يعنى عبيدة بن الحارث، انتهى. و النازيين غير معروف اليوم.

و قال المطرى، عقب ذكر وفاة عبيدة بالصفراء: فدفنه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بها، و كان أسنّ بنى عبد مناف يومئذ، و أظن مستنده فى ذكر الدفن بها موته بها مع قول هند بنت أثاثة فى رثائه على ما نقله ابن إسحاق:

لقد ضمّن الصّفراء مجدًا و سوددا و حلما أصيلا وافر اللّبّ و العقل

عبيدة، فابكيه لأضياف غربة و أرملة تهوى لأشعث كالجدل

و قال الزين المراغى: إنه مات بالصفراء من جراحته، فإن قبره بذفران، هكذا رأيته بخطه، و لم أقف على مستنده فى ذلك، و النبىّ صلى اللّه عليه و سلم لم يسلك ذفران فى رجوعه من بدر؛ لأنه رجع على الصفراء، لكنه مرّ بطرف ذفران الذى يصب فيها.

مسجد الصفراء

و منها: مسجد بالصفراء روى ابن زبالة عن طلحة بن أبى جدير أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم صلّى فى مسجد الصفراء.

قلت: ذكر لى بعض الناس أن هذا المسجد معروف بالصفراء يتبرك به.

مسجد ثنية مبرك

و منها: مسجد بثنية مبرك- روى ابن زبالة عن الأصبغ بن مسلم و عيسى بن معن أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم صلّى مطلعه من ثنية مبرك، فى مسجد هناك بينه و بين دعان ستة أميال أو خمسة.

قلت: ثنية مبرك: معروفة تسلك إلى ينبع فى المغرب من جهة أسفل خيف بنى سالم من ذات اليمين، و طريق الصفراء ذات اليسار.

مسجد بدر

و منها: مسجد بدر- كان العريش الذى بنى لرسول الله صلى اللّه عليه و سلم يوم بدر عنده، و هذا المسجد معروف اليوم بقرب بطن الوادى بين النخيل، و العين قريبة منه، و بقربه فى جهة القبلة مسجد آخر يسميه أهل بدر، مسجد النصر، و لم أقف فيه على شىء.

مسجد العشيرة

و منها: مسجد العشيرة- معروف ببطن ينبع، و هو مسجد القرية التى ينزلها الحاج المصرى ينبع، فى ورده و صدره.

روى ابن زبالة عن علىّ بن أبى طالب أن النبى صلى اللّه عليه و سلم صلّى فى مسجد ينبع بعين بولا.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۱۷۷

قلت: و العين اليوم جارية عنده، لكن لا تعرف بهذا الاسم.

قال المجد: و هذا المسجد اليوم من المساجد المقصودة المشهورة، و المعابد المشهودة المذكورة، تحمل إليه النذور، و يتقرب إلى الله بالزيارة له و الحضور، و لا يخفى على النفس المؤمنة روح ظاهرة على ذلك المكان، و أنس يشهد له بأنه حضرة سيد الإنس و الجان.

مساجد الفرع

و منها: مساجد ثلاثة بالفرع- بضم الفاء- يمر بها من سلك طريقها إلى مكة.

روى ابن زبالة عن أبى بكر بن الحجاج و غيره أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم نزل الأكمة من الفرع، فقال فى مسجدها الأعلى، و نام فيه، ثم راح فصلى الظهر فى المسجد الأسفل من الأكمة، ثم استقبل الفرع فبرّك فيها، و كان عبد الله بن عمر ينزل المسجد الأعلى فيقيل فيه، فيأتيه بعض نساء أسلم بالفراش، فيقول: لا، حتى أضع جنبى حيث وضع رسول الله صلى اللّه عليه و سلم جنبه، و أن سالم بن عبد الله كان يفعل ذلك، و روى أيضا عن عبد الله بن مكرم الأسلمى عن مشيخته أن النبى صلى اللّه عليه و سلم نزل فى موضع المسجد بالبرود من مضيق الفرع، و صلّى فيه.

مسجد الضيقة

و منها: مسجد بالضيقة و كهف أعشار- روى ابن زبالة عن أبى بكر بن الحجاج و سليمان بن عاصم عن أبيه أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم صلّى فى مسجد فى الضيقة مخرجه من ذات حماط. و ذكر الزبير ذات الحماط فى الأودية التى تصبّ فى وادى العقيق فى القبلة مما يلى المغرب قرب البقيع، ثم روى هذا الحديث. و ذكر أيضا فى هذه الأودية كهف أعشار، كما سيأتى عنه، ثم روى عن أبى بكر بن الحجاج و سليمان بن عاصم عن أبيه أن النبى صلى اللّه عليه و سلم فى غزوة بنى المصطلق نزل فى كهف أعشار و صلى فيه.

مسجد مقمل

و منها: مسجد مقمل، بوسط النقيع حمى النبى صلى اللّه عليه و سلم، على يومين من المدينة فى جهة درب المشبان.

روى ابن زبالة عن محمد بن هيصم المزنى عن أبيه عن جده أن النبى صلى اللّه عليه و سلم أشرف على مقمل ظرب وسط النقيع، و صلّى عليه، فمسجده هنالك.

قال أبو هيصم المدنى: و كان أبو البحترى وهب بن وهب فى سلطانه على المدينة بعث إلىّ بثمانين درهما فعمرته بها.

قال أبو على الهجرى: إن مقملا على ظرب صغير، على غلوة من برام، عليه المسجد المذكور، و وهم المجد فعدّه فى مساجد المدينة.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۱۷۸

الفصل الخامس فى بقية المساجد و المواضع المتعلقة به ص

مسجد العصر

فمنها: مسجد العصر، و عصر سيأتى أنه على مرحلة من المدينة.

قال ابن إسحاق: إن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم حين خرج من المدينة إلى خيبر سلك على عصر، فبنى له فيها مسجد، ثم على الصهباء.

قال المطرى: مسجد عصر من مشهورى المساجد التى صلّى فيها النبى صلى اللّه عليه و سلم عند خروجه إلى خيبر.

مسجد الصهباء

و منها: مسجد بالصهباء، و هى على روحة من خيبر.

روى مالك عن سويد بن النعمان رضى الله تعالى عنه أنه خرج مع النبى صلى اللّه عليه و سلم عام خيبر، حتى إذا كانوا بالصهباء- و هى من أدنى خيبر- نزل فصلى العصر، ثم دعا بالأزواد، فلم يؤت إلا- بالسويق، فأكل و أكلنا، ثم قام إلى المغرب فمضمض و مضمضنا، ثم صلى و لم يتوضأ، قال المطرى: و المسجد بها معروف.

قلت: و قد قدمنا قصة رد الشمس عنا عند ذكر مسجد الفضيخ من مساجد المدينة.

مسجدان قرب خيبر

و منها: مسجدان بقرب خيبر أيضا قال الأقشهرى، و من خطه نقلت و بنى له صلى اللّه عليه و سلم مسجد بالحجارة حين انتهى إلى موضع بقرب خيبر يقال له المنزلة، عرّس بها ساعة من الليل فصلى فيها نافلة، فعادت راحلته تجرّ زمامها، فأدركت لترد فقال: دعوها فإنها مأمورة، فلما انتهت إلى موضع الصخرة بركت عندها، فتحوّل رسول الله صلى اللّه عليه و سلم إلى الصخرة، و تحوّل الناس إليها، و ابتنى هنالك مسجدًا، فهو مسجدهم اليوم.

مسجد بين الشق و نطاة

و منها: مسجد بين الشق و النطاة من خيبر روى ابن زبالة عن حسن بن ثابت بن ظهير أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم «أتى خيبر، و دليله رجل من أشجع، فسلك به صدور الأودية، فأدركته الصلاة بالقرقرة، فلم يصل حتى خرج منها، فنزل بين أهل الشق و أهل النطاة، و صلّى على عوسجة هناك، و جعل حولها الحجارة.

مسجد شمران

و منها: مسجد بشمران- روى ابن زبالة عن إبراهيم بن جعفر عن أبيه قال: صلّى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم على رأس جبل بخيبر يقال له شمران، فثم مسجده من ناحية سهم بنى النذار، قال المطرى: و يعرف هذا الجبل اليوم بشمران.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۱۷۹

مساجد تبوک

و منها: مساجد غزوة تبوک- قال ابن رشد، فى بيانه: بنى النبىّ صلى اللّه عليه و سلم بين تبوک و المدينة نحو ستة عشر مسجدًا، أولها بتبوک و آخرها بذى خشب، و ذكر ابن زبالة نحو هذه العدة، و قال ابن إسحاق: كانت المساجد معلومة مسماة، و سردها أربعة عشر مسجدًا، و خالف فى تعيين بعض مواضعها لما ذكره ابن زبالة، و ذكرها الحافظ عبد الغنى و زاد عن الحاكم مسجدًا.

و قد اجتمع لنا من مجموع ذلك عشرون مسجدًا:

فالأول: بتبوك، قال ابن زبالة: و يقال له مسجد التوبة، قال المطرى: و هو من المساجد التى بناها عمر بن عبد العزيز، قال المجد: دخلته غير مرة، و هو عقود مبنية بالحجارة.

الثانى: بثنية مدران- بفتح الميم و كسر الدال المهملة- تلقاء تبوك.

الثالث: بذات الزراب- بكسر الزاى- على مرحلتين من تبوك.

الرابع: بالأخضر، على أربع مراحل من تبوك.

الخامس: بذات الخطمى، كذا فى تهذيب ابن هشام، و مشى عليه المجد، و فى كتاب المطرى «بذات الخطم» بفتح الخاء المعجمة ثم طاء مهملة على خمس مراحل من تبوك.

السادس: ببألى- بالموحدة المفتوحة، ثم همزة و لام مفتوحتين- على خمس مراحل أيضا منها، قاله المطرى، و كذا هو فى تهذيب ابن هشام، و فى نسخة ابن ربالة بنقيع بولا.

السابع: بطرف البتراء، تأنيث أبتر، قال ابن إسحاق: من ذنب كواكب و قال أبو عبيدة البكرى: إنما هو كوكب جبل هناك ببلاد بنى الحارث بن كعب.

الثامن: بشق تاراء- بالمثناة الفوقية و الراء- زاد ابن زبالة: من جويرة.

التاسع: بذى الحليفة، قاله ابن زبالة و غيره أيضا، و هو غريب لم يذكره أصحاب البلدان.

العاشر: بذى الخليفة، لم أر من جمعه مع الذى قبله إلا المجد، و قال: إنه بكسر الخاء المعجمة، و قيل بفتحها، و قيل بجيم مكسورة، و قيل بحاء مهملة مفتوحة، و اقتصر فى أسماء البقاع على كسر الجيم، و الذى فى تهذيب ابن هشام ذكر هذا المسجد بدل الذى قبله، و عكس ابن زبالة.

الحادى عشر: بالشوشق، قاله الحافظ عبد الغنى عن الحاكم، قال المجد: و كأنه تصحيف.

الثانى عشر: بصدر حوضى- بالحاء المهملة، و الضاد المعجمة، مقصور كما وجد بخط ابن الفرات، و اقتصر عليه المطرى، و قال المجد- مع ذكره لذلك فى أسماء البقاع: إنه بفتح

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۱۸۰

الحاء و المد موضع بين وادى القرى و تبوك قال: و هناك مسجده صلى اللّه عليه و سلم، انتهى. و هو مخالف لما ذكره هناك من المغايرة بين مسجد ذى الحليفة و بين مسجد صدر حوضى فى ذنب حوضى و مسجد آخر فى ذى الحليفة من صدر حوضى، و المغايرة هى التى فى تهذيب ابن هشام، و لعله صدر حوضى هو المعبر عنه بسمنة فى رواية ابن زبالة، فإنه كما سيأتى ماء قرب وادى القرى، و فى نسخة المجد فى حكاية روايته: و مسجد بذنب حويضى بدل قوله بسمنة.

الثالث عشر: بالحجر، و ذكر ابن زبالة بدله العلاء، و كلاهما بوادى القرى.

الرابع عشر: بالصعيد صعيد قزح.

الخامس عشر: بوادى القرى، و قال الحافظ عبد الغنى، فى مسجد الصعيد: و هو اليوم مسجد وادى القرى.

قلت: فهذا و الذى قبله بوادى القرى، و فى رواية ابن زبالة: و مسجدان بوادى القرى أحدهما فى سوقها و الآخر فى قرية بنى عذرة، فلعل هذا هو الذى بقرية بنى عذرة، و الذى قبله هو الذى بالسوق، لكن المجد غاير بين الثلاثة أخذا بظاهر العبارة، و لأن فى رواية أخرى لابن زبالة «صلّى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فى المسجد الذى بصعيد قزح من الوادى، و تعلمنا مصلاه بأحجار و عظم، فهو المسجد الذى يجتمع فيه أهل الوادى».

السادس عشر: بقرية بنى عذرة، لم يذكره ابن إسحاق، و ذكره ابن زبالة كما تقدم.

السابع عشر: بالرقعة، على لفظ رقعة الثوب، قال أبو عبيد البكرى: أخشى أن يكون بالرقمة- بالميم- من الشقة شقة بنى عذرة، و قال ابن زبالة بدله: بالسقيا، قال المجد فى أسماء البقاع: و السقيا من بلاد عذرة قريبة من وادى القرى.

الثامن عشر: بذى المروة، قال المطرى: و هو على ثمانية برد من المدينة، كان بها عيون و مزارع و بساتين أثرها باق إلى اليوم.

قلت: و سيأتى فى ترجمتها ما جاء فى نزوله صلى اللّه عليه و سلم بها.

التاسع عشر: بالفيفاء فيفاء الفحلتين، قاله المطرى، كان بها عيون و بساتين لجماعة من أولاد الصحابة و غيرهم.

قلت: و سيأتى فى ترجمة الفحلتين أنهما قنتان تحتهما صخر على يوم من المدينة.

العشرون: بذى خشب على مرحلة من المدينة، و لفظ رواية ابن زبالة أن النبى صلى اللّه عليه و سلم صلّى تحت الدومة التى فى حائط عبيد الله بن مروان بذى خشب، فهنالك يجتمعون.

و فى سنن أبى داود أن النبى صلى اللّه عليه و سلم نزل فى موضع المسجد تحت دومة، فأقام ثلاثا، ثم خرج إلى تبوك، و إن جهينة لحقوه بالرحبة، فقال لهم: من أهل ذى المروة؟ قالوا: بنو رفاعة من جهينة، فقال: قد قطعتها لبنى رفاعة، فاقتسموها، فمنهم من باع و منهم من أمسك فعمل.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۱۸۱

و سنتكلم على هذه الأماكن بأوفى من هذا فى محلها إن شاء الله تعالى.

مسجد الكديد

و منها: موضع مصلّاه بنخل، و مسجد على ميل من الكديد- روى ابن زبالة أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم نزل بنخل تحت أثلة لرجل من أشجع من بنى نعيم فى مزرعة له فى وسطها نخل، و صلى تحتها، فأضرّ الناس بتلك المزرعة، فقطع صاحب المزرعة تلك الأثلة، قال: ثم أصعد رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فى بطن نخل حتى جاوز الكديد بميل، فنزل تحت سرحة و صلّى تحتها، فموضع مسجده اليوم معروف، و أنه صلى اللّه عليه و سلم صلّى بالجبل من بلاد أشجع.

قلت: نخل موضع بنجد كما سيأتى فى محله، و الكديد: موضع بقربه، لا الكديد الذى بين خليص و عسفان، و ذكر الأسدى هذا المسجد فى وصف الطريق بين فيد و المدينة، فقال بعد ذكر ذى أمر: إن الكديد واد، و الطريق يقطعه، فلما يفارقه ماء عذب مستنقع، و فيه مسجد لرسول الله صلى اللّه عليه و سلم، و به خيام أعراب من بنى كنانة، و النخيل قريب منها، و ذكر أن بين النخيل و بئر السائب اثنين و أربعين ميلا؛ فعبر عن نخل بالنخيل مصغرا، و ذلك هو المعروف اليوم قرب الكديد.

مسجد الشجرة بالحديبية

و منها: مسجد بالحديبية يقال له مسجد الشجرة- و هو غير معروف، بل قال المطرى:

لم أر فى أرض مكة من يعرف اليوم الحديبية إلا الناحية لا غير، انتهى. و هو الموضع الذى نزل به النبى صلى اللّه عليه و سلم فى عمرة الحديبية يريد مكة فعاقه المشركون.

قال ابن شبة، فيما نقل عن ابن شهاب: الحديبية واد قريب من بلدح، و قال صاحب المطالع: هى قرية ليست بالكبيرة، سميت ببئر هناك عند مسجد الشجرة، و قال التقى الفاسى: يقال إن الحديبية الموضع الذى فيه البئر المعرف ببئر شميس بطريق جدة.

مسجد ذات عرق

و منها: مسجد دون ذات عرق بميلين و نصف- قال الأسدى فى وصف طريق ذات عرق من جهة نجد و العراق: إن بركة أو طاس يسرة عن الطريق بائنة عن المحجة، و بعدها مسجد يقال إن النبى صلى اللّه عليه و سلم فيه، و دون ذات عرق بملين و نصف مسجد رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، و هو ميقات الإحرام، و هو أول تهامة، فإذا صرت عند الميل الثامن رأيت هناك بيوتا فى الجبل خرابا يمنة عن الطريق، يقال: إنها ذات عرق الجاهلية، و أهل ذات عرق يقولون: الجبل كله ذات عرق، و بعض أهل العلم كان يحب أن يحرم من ذات عرق الجاهلية.

مسجد الجعرانة

و منها: مسجد بالجعرانة- عن محرس الكعبى رضى الله عنه أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم خرج من الجعرانة ليلا معتمرا، و جاء مكة ليلا، فقضى عمرته، ثم خرج من ليلته و أصبح فى

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۱۸۲

الجعرانة كبائت، فلما زالت الشمس من الغد خرج فى بطن شرف حتى جامع الطريق، فمن أجل ذلك خفيت عمرته على الناس، رواه أحمد و الترمذى و حسّنه.

و ذكر الواقدى أن إحرامه صلى اللّه عليه و سلم من الجعرانة كان ليلة الأربعاء لاثنتى عشرة ليلة بقيت من ذى القعدة، و أنه أحرم من المسجد الأقصى الذى تحت الوادى بالعدوة القصوى، و كان مصلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم إذا كان بالجعرانة به، فأما الأدنى فبناه رجل من قريش، و اتخذ الحائط عنده، و لم يجز رسول الله صلى اللّه عليه و سلم الوادى إلا محرما.

و عن مجاهد أن النبى صلى اللّه عليه و سلم أحرم من الجعرانة من وراء الوادى حيث الحجارة المنصوبة، و إنى لا أعرف من اتخذ هذا المسجد على الأكمة، بناه رجل من قريش، و اشترى مالا عنده و نخلا. و بيّن فى رواية أخرى أن المسجد الأقصى الذى من وراء الوادى بالعدوة القصوى مصلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم ما كان بالجعرانة، و أن المسجد الأدنى بناء رجل من قريش، رواه الأزرق.

مسجد لية

و منها: مسجد لية، و بين وادى لية و وادى الطائف نحو ثمانية أميال.

قال ابن إسحاق: سلك رسول الله صلى اللّه عليه و سلم حين فرغ من حنين متوجها إلى الطائف على نخلة اليمانية، ثم على قرن و هو مهلّ أهل نجد، ثم على المليح، ثم على بحرة الرّغا من لية، فابتنى بها مسجدًا و صلى فيه.

قال المطرى: و هو معروف اليوم وسط وادى لية، رأيته و عنده أثر فى حجر يقال به أثر خف ناقة رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، قال ابن إسحاق عن حديث عمرو بن شعيب له: إنه صلى اللّه عليه و سلم أقاد يومئذ ببحرة الرّغا، و حين نزلها ندم، و هو أول دم أقيد به فى الإسلام، رجل من بنى ليث قتل رجلا من هذيل، فقتله به.

مسجد الطائف

و منها: مسجد بالطائف- قال ابن إسحاق بعد ما تقدم عنه: ثم سلك صلى اللّه عليه و سلم فى طريق يقال له الضيقة، و سأل عن اسمها فقيل: الضيقة، فقال بل هى اليسرى، ثم خرج منها على نخب- و هى عقبة فى الجبل- حتى نزل تحت سدرة يقال لها الصادرة، قريبا من مال رجل من ثقيف، ثم مضى حتى نزل قريبا من الطائف، فقتل ناس من أصحابه بالنبل لاقتراب عسكره من حائط الطائف، فوضع

عسكره عند مسجده الذى بالطائف اليوم، فحاصرهم بضعا و عشرين ليلة، و معه امرأتان من نسائه إحداهما أمّ سلمة، فضرب لهما قبّتين، ثم صلّى بين القبتين، فلما أسلمت ثقيف بنى على مصلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم عمرو بن أميّة بن وهب مسجدًا، و كانت فى ذلك المسجد سارية فيما يزعمون لا تطلع الشمس عليها يوما من الدهر إلا سمع لها نقيض، انتهى.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۱۸۳

و ذكر الواقدى بناء عمرو بن أميّة للمسجد على مصلّى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، قال: و كان فيه سارية لا تطلع الشمس عليها يوما من الدهر إلا يسمع لها نقيض أكثر من عشر مرار، فكانوا يرون أن ذلك تسبيح.

قال المطرى: و هو جامع كبير، فيه منبر عال عمل فى أيام الناصر أحمد بن المستضىء، و فى ركنه الأيمن القبلى قبر عبد الله بن عباس بن عبد المطلب فى قبة عالية، و مسجد رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فى صحن هذا الجامع بين قبتين صغيرتين يقال: أنهما بنيتا فى موضع قبتى زوجتيه عائشة و أم سلمة رضى الله تعالى عنهما.

قلت: قال التقى الفاسى: إن المسجد الذى ينسب للنبى صلى اللّه عليه و سلم هناك فى مؤخر المسجد الذى فيه قبر عبد الله بن عباس؛ لأن فى جداره القبلى من خارجه حجرا فيه: أمرت أمّ جعفر بنت أبى الفضل أمّ ولاة عهد المسلمين بعمارة مسجد رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بالطائف. و فيه أن ذلك سنة اثنتين و سبعين و مائة، قال: و المسجد الذى فيه قبر ابن عباس أظن أن المستعين العباسى عمره مع ضريح ابن عباس، انتهى. فإن كان المسجد الذى ذكر الفاسى أنه فى مؤخر الجامع المذكور فى صحنه فلا مخالفة فيه لما ذكره المطرى، و إلّا فيخالفه.

قال المطرى: و رأيت بالطائف شجرات من شجر السّدر يذكر أنهن من عهد رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، ينقل ذلك خلف أهل الطائف عن سلفهم، فمنهن واحدة دور جذرها خمسة و أربعون شبرا، و أخرى أزيد على الأربعين، فأخرى سبعة و ثلاثون، و أخرى يذكر أن النبى صلى اللّه عليه و سلم مر بها و هو على راحلته فانفرق جذرها نصفين، و أن ناقته دخلت من بينهما و هو ناعس، قال: رأيتها قائمة كذلك سنة ست و تسعين، و أكلت من ثمرها، و حملت منه للبركة، ثم فى سنة تسع و عشرين و سبعمائة رأيتها وقعت و يبست و جذرها ملقى لا يغيره أحد لحرمته بينهم، انتهى.

و كأنه بقى منها بقية؛ فإن التقى الفاسى ذكرها، و قال: إنها انفرجت للنبى صلى اللّه عليه و سلم نصفين لما اعترضته و هو سائر و سنان ليلا- فى غزوة الطائف و ثقيف على ساقين، على ما ذكر ابن فورك فيما حكى عنه عياض فى الشفاء، و بعض هذه السّدرة باق إلى الآن، و الناس يتبركون به، انتهى.

و قال المرجانى: و رأيت بوجّ من قرى الطائف سدرة محاذية للجبر قريبة أيضا يذكر أن النبى صلى اللّه عليه و سلم جلس تحتها حين أتاه عديس بالطبق العنب و أسلم، و قالوا: سحره محمد، و القصة مشهورة، قال: و رأيت فى جبل هناك عند آخر الحبرة تحته العين يذكر أنه صلى اللّه عليه و سلم جلس فيه، انتهى.

و عن الزبير قال: أقبلنا مع رسول الله صلى اللّه عليه و سلم من بلية- قال الحميدى: مكان بالطائف-

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۱۸۴

حتى إذا كنا فى السدرة وقف رسول الله صلى اللّه عليه و سلم عند طرف القرن الأسود عندها، فاستقبل نخبا قال الحميدى: مكان بالطائف ببصره، ثم وقف حتى اتفق الناس، ثم قال: إن صيدوج و عضاهه حرم محرم لله عز و جل، و ذلك قبل نزوله الطائف و حصاره ثقيفا، كذا فى نسخة العيسوى عن الحميدى و مسند أحمد و سنن أبى داود أيضا، و ضعفه النووى.

و ختم ابن زبالة الكلام على المساجد بحديث عائشة رضى الله تعالى عنها مرفوعا «من بنى لله مسجدًا بنى الله له بيتا فى الجنة، و لو مثل مفحص القطاة» قالت: فقلت: يا رسول الله و المساجد التى بين مكة و المدينة؟ قال: نعم، و رواه البزار. و فيه كثير بن عبد الرحمن، ضعفه العقيلى، و ذكره ابن حبان فى الثقات، و لفظه «من بنى لله مسجدًا بنى الله له بيتا فى الجنة، قلت: و هذه المساجد التى فى طريق

مكـة؟ قال: و تلك، و الحديث فى الصـحيح عن عثمان بدون هذه الرواية، و لفظه «من بنى مسـجدًا يبتغى به وجه الله بنى الله له بيتا فى الجنة».

قلت: فينبغى الاعتناء بما دمر من المساجد التى بالمدينة و غيرها و عمارتها، و الله الموفق.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۱۸۵

الباب السابع فى أوديتها، و أحمائها، و بقاعها، و جبالها، و أعمالها، و مضافاتها،

اشارة

و مشهور ما فى ذلك من المياه و الأودية، و ضبط أسماء الأماكن المتعلقة بذلك، و فيه ثمانية فصول

الفصل الأول فى فضل وادى العقيق، و عرصته، و حدوده

اشارة

ما ورد من الأحاديث فى فضل وادى العقيق روينا فى الصـحيح عن ابن عمر قال: سـمعت رسول الله صـلى اللّه عليه و سلم يقول بوادى العقيق:

«أتانى الليلة آت فقال: صلّ فى هذا الوادى المبارك، و قل عمرة فى حجة».

و تقدم فى مسجد المعرس فى رواية له «أرى و هو فى معرّسه بذى الحليفة ببطن الوادى قيل له: إنك ببطحاء مباركة».

و روى ابن شبة عن عمر رضى الله تعالى عنه مرفوعا «العقيق واد مبارك».

و عن هشام بن عروة قال: اضطجع النبىّ صلى اللّه عليه و سلم بالعقيق، فقيل له: إنك فى واد مبارك.

و روى ابن زبالة عن عامر بن سعد بن أبى وقّاص أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم «نام بالعقيق، فقام رجل من أصحابه يوقظه، فحال بينه و بينه رجل من أصـحابه آخر، و قال: لا توقظه فإن الصـلاة لم تفته، فتدارآ حتى أصاب بعض أحدهما رسول الله صـلى اللّه عليه و سلم فـأيقظه، فقلن: ما لكما؟ فأخبراه. فقال: لقـد أيقظتمانى و إنى لأرانى بالوادى المبارك» و عن زكريا بن إبراهيم بن مطيع قال: بات رجلان بالعقيق، ثم أتيا رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فقال: أين بتما؟ فقالا:

بالعقيق، فقال: لقد بتّما بواد مبارك.

و تقـدم أن عمر رضـى الله تعـالى عنه قـال: احصـبوا هـذا المسـجد- يعنى مسـجد المدينـة- من هـذا الوادى المبارك، و رواه صاحب الفردوس مرفوعا.

و قال أبو غسان: أخبرنى غير واحد من ثقات أهل المدينة أن عمر رضى الله تعالى عنه كان إذا انتهى إليه أن وادى العقيق قد سال قال: اذهبوا بنا إلى هذا الوادى المبارك، و إلى الماء الذى لو جاءنا جاء من حيث جاء لتمسّحنا به.

و روى ابن زبالة عن عامر بن سـعد أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم «ركب إلى العقيق، ثم رجع فقال: يا عائشة جئنا من هذا العقيق، فما ألين موطأه، و أعذب ماءه، قالت: فقلت: يا رسول الله أ فلا ننتقل إليه؟ قال: و كيف و قد ابتنى الناس؟».

و عن خالد العدوانى أن النبى صلى اللّه عليه و سلم قال فى عرصة العقيق «نعم المنزل العرصة لو لا كثرة الهوام».

و عن محمد بن إبراهيم التيمى أن رسول الله صـلى اللّه عليه و سـلم «خرج فى بعض مغازيه، فأخذ على الشارعة حتى إذا كان بالعرصة قال: هى المنزل لو لا كثرة الهوام».

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۱۸۶

و روى السيد أبو العباس العراقى فى ذيله على ابن النجار عن أنس رضى الله تعالى عنه قال: خرجنا مع رسول الله صلى اللّه عليه و سلم إلى وادى العقيق، فقال: يا أنس خذ هذه المطهرة املأها من هذا الوادى فإنه يحبنا و نحبه، فأخذتها فملأتها، الحديث.

و روى ابن شبة عن سلمة بن الأكوع قال: كنت أصيد الوحش و أهدى لحومها إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، ففقدنى فقال: يا سلمة أين كنت تصيد الوحش؟ فقلت: يا رسول الله تباعد الصيد فأنا أصيد بصدور قناة نحو ثيب، فقال: لو كنت تصيد بالعقيق لشيّعتك إذا خرجت و تلقيتك إذا جئت، إنى أحب العقيق، و رواه الطبرانى بنحوه، قال الهيتمى:

و إسناده حسن.

و روى ابن زبالة عن جابر قال: كان سلمة يصيد الظباء فيهدى لحومها لرسول الله صلى اللّه عليه و سلم جفيفا و طريّا، فافتقده رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، فقال: يا سلمة مالك لا تأتى بما كنت تأتى به؟

فقال: رسول الله تباعد علينا الصيد فإنما نصيد بثيب و صدور قناة، فقال: أما إنك لو كنت تصيد بالعقيق لشيعتك إذا ذهبت و نلفيتك إذا جئت، فإنى أحب العقيق.

قلت: و محمله إن صح على ما قبل تحريم المدينة، أو أن المراد من الصيد بالعقيق طرفه الخارج عن الحرم، جمعا بين الأدلة.

حد العقيق

و نقل ابن زبالة و الزبير بن بكار عن هشام بن عروة أنه كان يقول: العقيق ما بين قصر المراجل فهلم صعدا إلى النقيع، و ما أسفل من ذلك- أى من قصر المراجل- فمن زغابة.

و عن المنذر بن عبد الله الحمرانى أنه سمع من أهل العلم أن الجرف ما بين محجة الشام إلى القصاصين، أى أصحاب القصة، و أن و طيف الحمار ما بين سقاية سليمان إلى الزغابة، و أن العرصة ما بين محجة بين إلى محجة الشام، و أن العقيق من محجة بين فاذهب به صعدا إلى النقيع.

قلت: محجة بين تباين آخر الجروف، أى طريقها، و أظنها طريق درب العصرة، و من سلكها مغربا كانت الجماوات عن يساره.

قال: و حدثنى آخرون أن العقيق من العرصة أبدا إلى النقيع.

قال الزبير: و لم أزل أسمع أهل العلم و السنن يقولون: إن العقيق الكبير مما يلى الحرة ما بين أرض عروة بن الزبير إلى قصر المراجل، و مما يلى الجماء ما بين قصور عبد العزيز بن عبد الله العثمانى إلى قصر المراجل، ثم اذهب بالعقيق صعدا إلى منتهى النقيع، و يقولون لما أسفل من المراجل إلى منتهى العرصة العقيق الصغير، فأعلى أودية العقيق النقيع.

و قالت الخنساء بنت عمرو بن الحارث بن الشّريد السّلمية تبكى أخاها صخر بن عمرو و قد مات بالنقيع من جراحة فدفن فيه على رأس برام:

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۱۸۷

أفيقى من دموعك و استفيقى و صبرا إن أطقت، و لن تطيقى

و قولى: إن خير بنى سليم و غيرهم ببطحاء العقيق

و روى بنقعاء العقيق.

و نقل أبو على الهجرى أن النقيع يبتدئ أوله من برام، و العقيق يبتدئ أوله من حضير إلى آخر منتهاه من العقيق الصغير، ثم يصب فى زغابة.

و نقل أيضا أن حضيرا آخر النقيع و أول العقيق، و آخر العقيق زغابة، قال: و زغابة مجتمع السيول غربى قبر حمزة رضى الله تعالى عنه، و هو أعلى وادى إضم.

قلت: فهى منتهى العقيق و العرصة، و مبتدؤه حضير، و هى مزارع معروفة بقرب النقيع على أزيد من يوم عن المدينة.

و قال عياض: النقيع صدر العقيق، و العقيق واد عليه أموال أهل المدينة، قيل: على ميلين منها، و قيل: على ثلاثة، و قيل: ستة أو سبعة، و هما عقيقان، أدناهما عقيق المدينة، و هو أصغر و أكبر، فالأصغر فيه بئر رومة، و الأكبر فيه بئر عروة. و العقيق الآخر على مقربة منه، و هو من بلاد مزينة، و هو الذى أقطعه النبى صلى اللّه عليه و سلم بلال بن الحارث، و أقطعه عمر الناس، فعلى هذا تحمل المسافات لا على الخلاف. و العقيق الذى جاء فيه «إنك بواد مبارك» هو الذى ببطن وادى ذى الحليفة، و هو الأقرب منهما- أى من العقيقين- المنقسم أحدهما إلى الكبير و الصغير فلا ينافى كون ما يلى الحرة من العقيق أقرب. على أنه سيأتى ما يقتضى أن النبى صلى اللّه عليه و سلم أقطع بلال بن الحارث كلّ العقيق بعيده و قريبه، و أن الذى أقطعه عمر الناس هو الأدنى من المدينة، و هو المنقسم إلى كبير و صغير، و كلام الزبير و غيره صريح فيّ ذلك، و الصواب أن مهبط الثنية المعروفة بالمدرج أول شاطئ وادى العقيق، على ميلين من المدينة أيام عمارتها، كما اقتضاه اختبارى لمساحة ما بين المسجد النبوى و مسجد ذى الحليفة، و به صرح الأسدى من المتقدمين، فقال: إن العقيق على ميلين من المدينة، الميل الأول خلف أبيات المدينة، و الثانى حين ينحدر من العقبة فى آخره يعنى المدرج، و كأنّ من عبّر بالثلاثة اعتبر المسافة من المسجد النبوى إلى أول بطن الوادى بعد القصر المعروف بحصن أبى هشام، و من عبر بالستة اعتبرها إلى طرفه الأبعد و هو الذى به ذو الحليفة، فأدخل بطن الوادى فى المسافة، أو هو مفرع على القول بأن الميل ألفا ذراع، و الراجح الموافق لاختبارنا أنه ثلاثة آلاف و خمسمائة ذراع.

و قال المطرى: وادى العقيق أصل مسيله من النقيع قبلى المدينة الشريفة على طريق المشبان، و بينه و بين قباء يوم و نصف، و يصل إلى بئر علىّ العليا المعروفة بالخليفة- بالقاف و الخاء المعجمة- ثم يأتى على غربى جبل عير، و يصل إلى بئر على بذى الحليفة المحرم، ثم

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۱۸۸

يأتى مشرقا إلى قريب الحمراء التى يطلع منها إلى المدينة، ثم يعرج يسارا، و من بئر المحرم يسمى العقيق، فينتهى إلى غربى بئر رومة، انتهى.

و قوله: «و من بئر المحرم يسمى العقيق» أى فى زمنه كزماننا، و هو العقيق الأدنى فى كلام عياض.

و قال عقب قوله «و العقيق الذى جاء فيه إنك بواد مبارك هو الذى ببطن وادى ذى الحليفة و هو الأقرب منهما» ما لفظه: و هو الذى جاء فيه أنه مهلّ أهل العراق من ذات عرق، اه. و هو خطأ، إلا أن يحمل على ما ذكره بعضهم من أن عقيق ذات عرق يتصل واديه بعقيق المدينة، و المعروف قديما امتداده إلى النقيع كما سبق، قال الزبير: سألت سليمان بن عياش السعدى: لم سمّى العقيق عقيقا؟ قال: لأن سيله عق فى الحرة، و كان سليمان من أفقه من رأيت فى كلام العرب.

و قوله «عق» أى شقّ و قطع فى الحرة، و لما شخص تبّع عن منزله بقناة و مر بالعرصة و كانت تسمى السليل قال: هذه عرصة الأرض، فسميت العرصة، و مر بالعقيق فقال: هذا عقيق الأرض، فسمى العقيق، و قيل: سمى بذلك لحمرة موضعه.

الفصل الثانى فى أقطاعه، و ابتناء القصور به، و طريف أخبارها

رسول اللّه ص يقطع بلالا العقيق

روى ابن زبالة أن النبى صلى اللّه عليه و سلم أقطع بلال بن الحارث العقيق كلّه، فلما ولى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قال: إن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم لم يقطعكه لتحجره، و أقطعه عمر الناس.

و قال ابن شبة: حدثنا محمد بن يحيى قال: حدثنا من نثق به من آل حزم و غيرهم أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم أقطع بلال بن الحارث المزنى العقيق، و كتب له فيه كتابا نسخته: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أعطى محمد رسول الله بلال بن الحارث، أعطاه

من العقيق ما أصلح فيه معتملا. و كتب معاوية، قال: فلم يعمل بلال فى العقيق شيئا، فقال له عمر فى ولايته: إن قويت على ما أعطاك رسول الله صلى اللّه عليه و سلم من معتمل العقيق فاعتمله، فما اعتملت فهو لك كما أعطاكه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، فإن لم تعتمله أقطعته بين الناس و لم تحجره عليهم، فقال بلال: تأخذ منى ما أعطانى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم؟ فقال: إن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قد اشترط عليك فيه شرطا، فأقطعه عمر رضى تعالى عنه بين الناس، و لم يعمل فيه بلال شيئا؛ فلذلك أخذه عمر رضى الله تعالى عنه، و رواه الزبير بن بكار، و أسند نسخة القطيعة المذكورة عن هشام بن عروة.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۱۸۹

و روى عن محمد بن سلمة المخزومى قال: أقطع رسول الله صلى اللّه عليه و سلم لبلال بن الحارث المزنى معادن القبلية و العقيق، فبلغنا أنه باع رومة من عثمان بن عفان، و انتزع منه عمر بقية العقيق و أقطعه للناس، و قال: إنما أعطاك رسول الله صلى اللّه عليه و سلم تعمر و لم يعطك تحجر.

و عن هشام بن عروة و غيره أن النبى صلى اللّه عليه و سلم أقطع لبلال بن الحارث العقيق، فلم يزل على ذلك حتى ولى عمر فدعا بلالا- فقال: قد علمت أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم لم يكن يمنع شيئا سأله، و إنك سألته أن يعطيك العقيق فأعطاكه، فالناس يومئذ قليل لا حاجة لهم، و قد كثر أهل الإسلام و احتاجوا إليه، فانظر ما ظننت أنك تقوى عليه فأمسكه و اردد إلينا ما بقى نقطعه، فأبى بلال، فترك عمر بيد بلال بعضه و أقطع ما بقى للناس.

و ذكر فى رواية مع العقيق «معادن القبلية و حيث يصلح الزرع من قدس» و هى فى سنن أبى داود بدون ذكر العقيق.

و روى ابن شبة عن عبد الله بن أبى بكر أن عمر لما ولى قال: يا بلال، إنك استقطعت رسول الله صلى اللّه عليه و سلم أرضا طويلة عريضة، فأقطعها لك، و إن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم لم يكن يمنع شيئا سأله، و إنك لا تطيق ما فى يدك، فقال: أجل، فقال: فانظر ما قويت عليه منها فأمسكه، و ما لم تطق فادفعه إلينا نقسمه، فأبى، فقال عمر: و الله لنفعلنّ، فأخذ منه ما عجز عن عمارته فقسمه بين المسلمين.

خبر قصر عروة، و بئره

عن عروة بن الزبير قال: لما أخذ عمر بن الخطاب من بلال بن الحارث ما أخذ من العقيق وقف فى موضع بئر عروة بن الزبير التى عليها سقايته، و قال: أين المستقطعون؟

فنعم موضع الحفيرة، فاستقطعه ذلك خوّات بن جبير الأنصارى، ففعل، قال مصعب بن عثمان: فقرأت كتاب قطيعته أرض عروة بن الزبير بالعقيق فى كتب عروة ما بين حرة الوبرة إلى ضفيرة المغيرة بن الأخنس.

و عن هشام بن عروة عن أبيه قال: لما أقطع عمر العقيق فدنا من موضع قصر عروة و قال: أين المستقطعون منذ اليوم؟ فو الله ما مررت بقطيعة شبه هذه القطيعة، فسألها خوّات، فأقطعها له، و كان يقال لموضعها «خيف حرة الوبرة» فلما كانت سنة أحد و أربعين أقطع مروان بن الحكم عبد الله بن عياش بن علقمة ما بين الميل الرابع من المدينة إلى ضفيرة أرض المغيرة بن الأخنس بالعقيق إلى الجبل الأحمر الذى يطلعك على قباء، قال هشام:

فاشترى عروة موضع قصره و أرضه و بثاره من عبد الله بن عياش، و ابتنى و احتفر و حجر و ضفر، و قيل له: إنك لست بموضع مدر، فقال: يأتى الله به من النقيع، فجاء سيل فدخل فى مزارعه فكساها من خليج كان خلجه، و كان بناه جنابذ- أى جمع جنبذ بضم الجيم،

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۱۹۰

و هو ما ارتفع و استدار كالقبة- قال: و كان لعبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان الناحية الأخرى المراجل و قصر أمية و المنيف و الآبار التى هناك و المزارع، فاستفتى عبد الله عبد الله ابن عبد الله بن عمرو على عروة و قال: إنه حمل على حق السلطان، فهدم عمر بن

عبد العزيز جنابذه و ضفائره، و سد بئاره، فقدم رجل من آل خالد بن أسيد بن أبى العيص بن أمية يريد الوليد، فسأل عن عروة، فأخبر قصته، فقدم على الوليد فسأله عن عروة و حاله، فأخبره، فكتب إلى عمر بن عبد العزيز ما عروة ممن يتّهم فدعه و ما انتقص من حق السلطان، فبعث إليه عمر و قال: كتبت فىّ إلى أمير المؤمنين؟ فقال: ما فعلت، فقال:

اذهب فاصنع ما بدا لك فقال عروة: جزعوا من جنابذ نبنيها، و الله لأبنينه بناء لا يبلغونه إلا بشقّ الأنفس، فبنى قصره هذا البناء، و هيل بئاره، فقال له ابنه عبد الله: يا أبتاه لو تبدّلت بئارا فاحتفرتها لكان أهون فى العزم، فقال: لا و الله إلا هى بأعيانها و أنشأ عروة يقول:

بنيناه فأحسنّا بناه بحمد الله فى خير العقيق

نراهم ينظرون إليه شزرا يلوح لهم على وضح الطّريق

فساء الكاشحين و كان غيظا لأعدائى و سرّ به صديقى

يراه كلّ مرتفق و سار و معتمر إلى بيت العقيق

و عن مصعب بن عثمان قال: لما كتب الوليد إلى عمر بن عبد العزيز فى ذلك ولى عروة عمر بن عبد الله بن عروة بناء قصره، فلما كثرت النفقة فيه لقيه عمه يحيى بن عروة فقال:

يا ابن أخى، كم أنفقت فى القصر؟ قال: كذا و كذا، قال: هذه نفقة كثيرة لو علم أبى بها لاقتصر فى بنائه، فأخبره بذلك، فأخبر عمر جده، فقال: لقيك يحيى؟ قال: نعم، قال:

إنما أراد أن يعوق علىّ بنائى، أنفق و لا تحسب، فأنفق و لم يحسب حتى فرغ، و حفر بئارا إحداهن بئر السقاية، و بئر يدعى العسيلة، و بئر القصر.

و قال مصعب: و سبب هدم عمر بن عبد العزيز و تهوره البئر أن عروة أراد أن يرفع فى رأس عينه محلا- فمنعه عبد الله بن عمرو بن عثمان إلا أن يسأله ذلك، و كان له حقيق به، فقال عروة: مثلى يكلّف ذلك؟ و تركها، فلما بنى عبد الله قصره المراجل و عمل مزارعه عمل له خليجا، فلما بلغ به مزارع عروة حال بينه و بين ذلك، فاستفتى عبد الله بن عبد الله عمر بن عبد العزيز على عروة، و قال: بنى و حفر فى غير حقه، و كانت جنابذه سبعا، و كانت الركبان ينزلون على بئر مروان، فلما حفر عروة بئره و أعذب اختاروا السهل و العذوبة فتركوا النزول على بئر مروان و كان فى نفس عمر بن عبد العزيز شىء من ذلك، مع ما كان فى نفسه على جميع بنى الزبير.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۱۹۱

و عن ابن أبى ربيعة أنه مرّ بعروة و هو يبنى قصره بالعقيق فقال: أردت الحرب يا أبا عبد الله؟ قال: لا، و لكن ذكر لى أنه سيصيبها عذاب، يعنى المدينة، فقلت: إن أصابها كنت منتحيا عنها.

و عن عروة مرفوعا: يكون فى آخر أمتى خسف و قذف و مسخ، و ذلك عند ظهور عمل قوم لوط، قال عروة: فبلغنى أنه قد ظهر شىء منه، فتنحّيت عنها، و خشيت أن يقع و أنا بها، و بلغنى أنه لا يصيب إلا أهل القصبة قصبة المدينة، و فى نسخة المجد «القصيبة» مصغرا، فأوردوه فى ترجمة القصيبة، و هو وهم.

و عن هشام قال: لما اتخذ عروة قصره قال له الناس: قد جفوت مسجد رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، قال: إنى رأيت مساجدهم لاهية، و أسواقهم لاغية، و الفاحشة فى فجاجهم عالية، فكان فيما هناك عما هم فيه عافية.

و تصدق عروة بقصره و أرضه و بئره على المسلمين، و أوصى بذلك إلى الوليد بن عبد الملك، فولاه ابنيه يحيى و عبد الله، ثم توفى يحيى و أقام عبد الله فى القصر نحوا من أربعين سنة، ثم توفى عبد الله، ثم وليها هشام بن عروة بالسن، ثم عبد الله بن عروة، و قيل له: مالك تركت المدينة؟ قال: لأنى بين رجلين حاسد لنعمة أو شامت بمصيبة، و هو القائل:

لو كان يدرى الشيخ عذرى بالسحر نحو السقاية الّتى كان احتفر

لفتية مثل الدّنانير غرر وقاهم الله النّفاق و الضّجر

بين أبى بكر و زيد و عمر ثمّ الحوارىّ لهم جدّ أغر

فهم عليها بالعشىّ و البكر يسقون من جاء و لا يؤذوا بشر

لزاد فى الشّكر و كان قد شكر

و لما ولى إبراهيم بن هشام المدينة لهشام بن عبد الملك أراد أن يدخل فى حقوق بنى عروة بالفرع، فحال عبد الله و يحيى بينه و بين ذلك فهدم قصر عروة و شعّثه، و طرح فى بئر عروة جملا مطليا بقطران، فكتب عبد الله إلى هشام بن عبد الملك بذلك، فكتب إلى ابن أبى عطاء عامله على ديوان المدينة أن يردّ ذلك على ما كان حتى يضع الوتد فى موضعه، فكان غرم ذلك ألف دينار و ثلاثين ألف درهم.

و كان عبد الله يتحيّن ركوب ابن هشام، فإذا أشرف على الحرّة قال للناس: كبروا و لكم جزور، فيفعلون، فينحرها، فيغيظ بذلك ابن هشام و يبلغ منه.

و قال فى ذلك يحيى بن عروة أبياتا منها:

ألا أبلغ مغلغلة بريدا و أبلغ إن عرضت أبا سعيد

و أبلغ معشرا كانت إليهم وصايا ما أريد بنى الوليد

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۱۹۲

فإن لا نعتنى قربای منكم فودّى غير ذى الطمع الكدود

و لما قدم الوليد بن يزيد فى خلافة هشام بن عبد الملك ليدفع بالناس فى الموسم و أقام عبد الله بن عروة بالعقيق، حتى قيل: هذا ولى العهد قد ركع فى بركة مكة؟ فلقيه عبد الله و هو على ظهر الحرة، فلما نظر الوليد إلى قصور بنى أمية عنبسة بن سعيد و مروان بن سعيد بن العاص و عبد الله بن عامر جعل يقول لعبد الله بن عروة: لمن هذا؟ فيخبره، فلما نظر إلى قصر عروة قال: لمن هذا؟ قال: هذا قصر عروة، قال: عامر بن صالح فى قصر عروة و بئره:

حبّذا القصر ذو الظّلال و ذو البئر ببطن العقيق ذات السّقاة

ماء مزن لم يبغ عروة فيها غير تقوى الإله فى المفظعات

بمكان من العقيق أنيس بارد الظل طيّب الغدوات

و قال أيضا:

يا حبّذا القصر لذى الإملاق ذو البئر بالوادى عليها الساقى

و قال أيضا:

و لقصر عروة ذو الظلال و بئره بشقا العقيق البارد الأفياء

أشهى إلىّ من العيون و أهلها و الدور من فحلين و الفرعاء

و قال جابر الزمعى فى بئر عروة:

يعرضها الآنى من الناس أهله و يجعله زادا له حين يذهب

و قال الزبير بن بكار: رأيت الخرّاج من المدينة إلى مكة و غيرها ممن يمر بالعقيق يخففون من الماء حتى يتزودوه من بئر عروة، و إذا قدموا منها بماء يقدمون به على أهلهم يشربونه فى منازلهم عند مقدمهم.

و قال: و رأيت أبى يأمر به فيغلى، ثم يجعل فى القوارير ثم يهديه إلى أمير المؤمنين هارون بالرقة.

و عن نوفل بن عمارة قال: لما بنت أمى قصرها أرسل إليها هشام بن عروة يقول: إنك نزلت بين الطيبين بئر عروة و بئر المغيرة بن الأخنس، فأسألك برحمى إلا جعلت شرابك من بئر عروة و وضوءك من بئر المغيرة، فكانت أمى لا تشرب إلا من بئر عروة، و لا

تتوضأ إلا من بئر المغيرة، حتى لقيت الله تعالى.

و عن مرزوق بن والاة أنه قال لهشام بن عروة: رأيت أن عينا من الجنة تصب فى بئر عروة.

و قال السّرىّ بن عبد الرحمن الأنصارى:

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۱۹۳

كفنونى إن متّ فى درع أروى و استقوا لى من بئر عروة مائى

سخنة فى الشتاء باردة الصيف سراج فى الليلة الظلماء و قال على بن الجهم:

هضا العقيق فعدّ أى دى العيس عن غلوئها

و إذا أصفت ببئر عر وة فاسقنى من مائها

إنا و عيشك ما ذمم نا العيش فى أفنائها

قال المجد: إنه لم يجد من يعرف هذه البئر من أهل المدينة.

قلت: سيأتى فى قصر عاصم أن جماء تضارع مشرفة على قصر عروة، و تسيل إلى بئره.

و قال الأسدى: إن الميل الثالث من المدينة وراء بئر عروة بقليل؛ فيظهر أنها البئر المطمومة اليوم على يمينك و أنت متوجه إلى ذى الحليفة إذا جاوزت الحصن المعروف بأبى هاشم بنحو ثلث ميل و قريب من الجماء.

قصر عاصم بن عمرو بن عمر بن عثمان بن عفان، و هو فى قبل الجماء جماء تضارع المشرفة على قصر عروة و على الوادى يواجه بئر عروة بن الزبير، و الجماء تسيل على قصر عاصم و على بئر عروة.

و كان عبد الله الجعفرى و عمر بن عبد الله بن عروة تعاونا فى هجاء قصر عاصم، فقالا:

ألا يا قصر عاصم لو تبين فتستعدى أمير المؤمنين

فتذكر ما لقيت من البلايا فقد لاقيت حزنا بعد حين

بنيت على طريق الناس طرا يسبّك كل ذى حسب و دين

و لم توضع على غمض فتخفى و لم توضع على سهل و لين

يرى فيك الدخان لغير شىء فقد سميت خدّاع العيون

فى أبيات آخرها:

قبيح الوجه منعقد الأواسى خبيث الخلق مطرود بطين

فاشترى عاصم قصة فطرّه بها و غرم فيه ألفى درهم، و قال يرد عليهما:

بنوا و بنيت و اتخذوا قصورا فما ساووا بذلك ما بنيت

بنيت على القرار و جانبوه إلى رأس الشواهق و استويت

على أفعالهم و على بناهم علوت و كان مجدّا قد حويت

و تلك صلاصل قد فلستهم و ذاك وديهم فيها يموت

فليس لعامل فيها طعام و ليس لضيفهم فيها مبيت

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۱۹۴

و قيل: البيتان الأخيران لزيد بن عاصم، قال الزبير: و هو أشبه.

و صلاصل: أرض كانت لعروة بحرة بطحان، ثم صارت لابنه يحيى، فوقفها فى بنيه، و كان يقال لها المقتربة، فكانت فتاتان لبعض نساء بنيه تختصمان بها عند اجتناء الرطب، و تضرب إحداهما الأخرى، فغلب عليها اسم صلاصل لكثرة صلاصلهما بالخصومة، و فيها

يقول عروة:

مآثر أخوالى عدىّ و مازن تخيرتها، و الله يعطى الرغائبا

فمن قال فيها قيل صدق فلم يقل و من قال فيها غيره كان كاذبا

و مر ابن أبى البداح- و كان أعلم الناس بالنخيل- على عروة و هو يغرسها ألوانا، فقال له: إن كنت و لا بد غارسا فعليك بعذق ابن عامر، فإنه ليس عذق أحسن للتنزه و لا أصبر على المالح منه.

قصر المغيرة

قصر أبى هاشم المغيرة بن أبى العاص و بئره- روى عنه الزبير: أنه قال: لما أردت أن أبنى قصرا بالعقيق قلت: أبنيه بيتين، ثم مضيت للنزهة العشرة الأيام و ما أشبهها، قال:

فدخلت على مولاة لى فقالت: يا أبا هاشم، أردت بناء قصر بالعقيق؟ فقلت لها: نعم، فقالت: ابنه على أنه لم يبن بالعقيق مغيرى غيرك، فبنيته هذا البناء، و غرمت فيه غرما كبيرا، قال: و هو القصر الذى يعرف بقصر بنت المرازقى.

و عن عبد الله بن ذكوان قال: كانت بنو أمية تجرى فى الديوان ورقا على من يقوم على حوض مروان بن الحكم بالعقيق، فى مصلحته و فيما يصلح بئر المغيرة من علقها و دلائها.

قال: و مر هشام بن عبد الملك و هو يريد المدينة بحر هشام بن إسماعيل بالرابع فقيل له: يا أمير المؤمنين، جر جدك هشام، فأمر بمصلحتها و ما يقيمها من بيت المال، فكانت توضع هنالك جرار أربع يسقى منهن الناس، و سيأتى ذكر الرابع فى شعر فى القصر الآتى.

قصر عنبسة بن عثمان بن عفان

قصر عنبسة بن عمرو بن عثمان بن عفان، و هو إلى جنب الجمّاء بعد أن تجاوز المصعد تريد البطحاء، و هو الذى قيل فيه:

يا قصر عنبسة الذى بالرابع لا زلت تؤهل بالحيا المتتابع

فلقد بنيت على الوطاء، و بنيت تلك القصور على ربا و رفائع

يا رب نعمة ليلة قد بتها بفنائك الحسن المنيف الواسع

و قال شاعرهم:

خذل ابن عنبسة بن عمرو وعده و كذبت حين أقول ما لم يفعل

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۱۹۵

و بنى قصيرا بالعقيق ملعنا لا بالكريم و لا جميل المدخل

و دعا المهندس فاختفى فى جوفه بئرا فأنبطها كطعم الحنظل

قصر عنبسة بن سعيد بن العاص

قصر عنبسة بن سعيد بن العاص: بالعقيق الصغير- ركب هشام بن عبد الملك و معه عنبسة بن سعيد، فمر بموضع قصر عنبسة، فقال: نعم موضع القصر يا أبا خالد، قد أقطعته لك، قال: يا أمير المؤمنين من يقوى على هذا؟ قال: فإنى أعينك فيه بعشرين ألف دينار، فدفعها عنبسة إلى ابنه عبد الله و قال: إنك أنزلت بين الأشياخ، فانظر كيف تبنى؟

و كان أول من قارب بين القصور، و نزل إلى جنب عبد الله بن عامر، فلما فرغ من القصر بنى ضفائره بالآجر المطبق، فقال له عنبسة: أ ما علمت أن متنزهى أهل المدينة يدقون عليه العظام، ابنه بالحجارة المطابقة، ففعل، و بعث إليه هشام بأربعين بختيا، فكان ينضح عليها فى مزارعه و صهريجه.

قلت: و لعل الموضع المعروف اليوم بالعنابس مزارع عنبسة هذا.

و عن بعض ولد عنبسة قال: بينا عبد الله بن عنبسة نائم فى قاعة القصر، و عنده خصى يذبّ عنه، و كان له غلام صغدى يسقيهم الماء، فدخل فرآه نائما، فنزع القربة و شد عليه بخنجر كان معه، و ثار الخصى يحول بينهما، فقتل الخصى، و انتبه عبد الله و اتقاه بوسادة، و تداعى عليه أهل القصر و أخذوه، و أمر به عبد الله فقتل و صلب بفناء القصر.

و كان قصر عنبسة فيما أخذ من أموال بنى أمية، ثم رد على ابن عنبسة.

و كان جعفر بن سليمان إذ كان واليا بالمدينة نزله، و ابتنى إليه أرباضا، و أسكنها حشمه، ثم تحول منه إلى العرصة فابتنى بها و سكنها حتى عزل فخرج منها، و لذلك يقول ابن المزكى:

أوحشت الجماء من جعفر و طالما كانت به تعمر

كم صارخ يدعو و ذى كربة يا جعفر الخيرات يا جعفر

أنت الذى أحييت بذل الندى و كان قد مات فلا يذكر

ثم لعباس وصىّ الهدى و من به فى المحل يستمطر

و قال شاعر:

إنى مررت على العقيق و أهله يشكون من مطر الربيع نزورا

ما ضركم أن كان جعفر جاركم أن لا يكون عقيقكم ممطورا

و قال محمد بن الضحاك: خرج أبى و ابن عبد الله بن عنبسة فى جماعة من لمتهم إلى قصر عنبسة بالعقيق الصغير، و خرج بى أبى معهم و أنا حدث السن، و نحروا جزورا،

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۱۹۶

فجعلوا يمزحون به فيما بينهم، يقول هذا بيتا و هذا بيتا، فكان مما حفظت من ذلك قول أحدهم:

حبذا ثم حبذا فى قصر ابن عنبسة

و لمات تجمعوا و جزور مكردسه

و التواليد عندنا كالرباط المورّسة

قصر أبى بكر الزبيرى المعروف بالمستقر

قصر أبى بكر بن عبد الله بن مصعب الزبيرى الذى يعرف بالمستقر اشتراه و هو بيت أو بيتان، فهدم ذلك، و بناه قصرا، ففيه يقول القائل:

يا قصر لو كان خالدا أحد بالجود و المجد كان مولاكا

و لو تفدى المنون ذا كرم كان أبو بكر الندى ذا كا

و فيه يقول أيضا حين بيع فى تركة أبى بكر:

أوحش المستقرّ بعد أبى بكر فأضحى ينوح فى كل حين

بعد عز و بهجة و بهاء تاه يوما به على الثقلين

فاعذروه يا هؤلاء؛ إن ذا ال شجو ليجرى دموعه من معين

قصر عبد الله بن أبى بكر العثمانى

قصر عبد الله بن أبى بكر بن عمرو بن عثمان بن عفان- قال محمد بن معاوية: كنت أنا و محمد بن عبد الله البكرى- و كان قاضيا على المدينة- متنزهين بالعقيق فى قصر ابن بكير، فكتب محمد بن عبد الله فى الجدار:

أين أهل العقيق أين قريش أين عبد العزيز و ابن بكير

و لو أنّ الزمان خلد حيا

ثم كتب تحته: من أتم هذا النصف فله سبق، قال: فتنزه عمر بن عبد الله بن نافع فى قصر ابن بكير، فقرأ الكتابة، فأتم النصف، فكتب:

كان فيه يخلد ابن الزبير

قال محمد بن معاوية: فعاد محمد بن عبد الله للنزهة، فوجد البيت قد أتم، فسأل من أتمه، فقلت له: عمر بن عبد الله، فقال: لو كنت أكلمه وفيت له بسبقه، أحسن و صدق.

و كان عمر بن عبد الله له هاجرا.

و ستأتى قصور أخرى فى الجمّاوات، قال أبو على الهجرى: إن سيل الوادى يفضى إلى الشجرة التى بها محرم رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، ثم يلى ذلك مزارع أبى هريرة رضى الله تعالى، ثم تتابع القصور يمنة و يسرة بها منازل الأشراف فيها يبتدئون، منها منازل عن يمين الجائى من مكة بسفح عير.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۱۹۷

جملة من القصور و الآبار

و منها قصر لإسحاق بن أيوب المخزومى، و قصر لإبراهيم بن هشام، و قصر لآل طلحة بن عمر بن عبيد الله، و منازل أسفل منها عن يمين الطريق أيضا لآل سفيان بن عاصم بن عبد العزيز بن مروان، و وجاه ذلك فى قبالة جماء تضارع منازل لعبد العزيز بن عبد الله بن عمرو بن عثمان، ثم يليها منازل لعبد الله بن بكير بن عمرو بن عثمان، و هو قصر طاهر بن يحيى و منازل ولده.

و وجاهها فى صير حرة الوبرة مزارع عروة بن الزبير و بئره، و أسفل منها البئر التى تعرف ببئر المغيرة بن أبى العاص، و أسفل منها بئر زياد بن عبد الله المدانى و حوضها، و ضفائر قصر مراجل و الزبينى قصر سكينة بنت حسين، و قصور فوق الزبينى لإسحاق بن أيوب متتابعة، و فوقها قصور كثيرة لغير واحد، ثم قصور ابنة المرازقى الزهرية، ثم منازل جعفر بن إبراهيم الجعفرى، ثم يفضى إلى بئر رومة، و قصور كثيرة يمنة و يسرة منها قصور عبد الله بن سعيد بن العاص، و ببطن الوادى بئار لعبد الله بن على بن عبد الله بن العباس و القصور يمنة و يسرة.

ثم ذكر ما بالعرصة من القصور، و قال: ثم يفضى ذلك إلى الجرف، و فيه سقاية سليمان بن عبد الملك، و هى على ميمنة من خرج إلى السلام يعسكر بها الخارج من المدينة إليها، ثم الزغابة و بها مزارع و قصور أيضا، انتهى.

الفصل الثالث فى العرصة و قصورها، و شىء مما قيل فيها و فى العقيق من الشعر

قصر خارجة: روى ابن زبالة أن بنى أمية كانوا يمنعون البناء فى العرصة حيالها، و أن سلطان المدينة لم يقطع فيها قطيعة إلا بإذن الخليفة حتى خرج خارجة بن حمزة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن العوام إلى الوليد بن عبد الملك، فسأله أن يقطعه موضع قصر فيها،

فكتب إلى عامله بالمدينة أن أقطعه موضع قصر فيها و ألحقه بالسواد، أى الحرة، فلم يزل بأيديهم حتى صار ليحيى بن عبد الله بن حسين بن على بن حسين.

قصر عبد الله بن عامر برومة: قال الواقدى: إنه بناه هناك من أول ما بنى بذلك العقيق إلا قصرا بعرصة البقل، و لما قتل أهل الحرة و عسكر مشرف بالجرف أمر بالعسكر، فحول إلى عرصة البقل، و أمر بالأسرى فحبسوا هناك.

و قال ابن أبى عوف: إنه بعد أن نهب المدينة خرج إلى قصر ابن عامر، و قتل من قتل.

قصر مروان بن الحكم: روى الزبير أن مروان ابتنى بعرصة البقل، و احتفر و ضرب لها عينا فازدرع.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۱۹۸

قصر سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية: أحد مشاهير الأجواد ابتنى سعيد بالعرصة قصرا فى سرتها، و احتفر بها، و غرس النخل و البساتين، و كان نخلها أبكر شىء بالمدينة، و كانت تسمى عرصة الماء.

و عن يحيى بن كعب مولى سعيد قال: كان نخل سعيد بالعرصة لا يطير حمامها، و كانت فيها بئار ثلاث، العليا منهن اليمانية تدعى الشمردلية، و التى تليها أسفل منها تدعى الواسطية، قال: و أنسيت السفلى، و بنى بالعرصة عند نخلة قصره الذى يقول فيه أبو قطيفة عمر بن الوليد بن عقبة:

و القصر ذو النخل فالجمّاء بينهما أشهى إلى النفس من أبواب جيرون

و قال الهجرى: ثم يفضى- يعنى سيل العقيق- إلى العرصة عرصة البقل، و عرصة الماء، و عرصة جعفر بن سليمان بقبل الجماء العاقر مرتفعة فى حصن الجبل. و بالعرصة الكبرى قصرى سعيد بن العاص الذى امتدحه الشاعر بقوله، و ذكر البيت المتقدم.

و الذى ذكره الزبير و غيره أن قصر سعيد بعرصة الماء- و هى العرصة الصغرى- لأنهم قالوا: و فى عرصة الماء يقول داود بن سلم:

أبرزتها كالقمر الزاهر فى عصفر كالشرر الطائر

بالعرصة الصغرى إلى موعد بين خليج الواد و الظاهر

قالوا: إنما قال لها العرصة الصغرى لأن العقيق الكبير ينيفها من أحد جانبيها، و ينيفها عرصة البقل من الجانب الآخر، و تختلط عرصة البقل بالجرف فيتسع، و الخليج الذى ذكر خليج سعيد بن العاص، انتهى؛ فالعرصة الكبرى هى عرصة البقل، و الصغرى هى عرصة الماء، فهى عرصة سعيد بن العاص، و أظنها التى فيها البناء المعروف اليوم بعقد الأرقطية، و لعله قصر سعيد بن العاص و موضع آباره و بستانه فيما يليه، و يلى ذلك عرصة البقل لجهة بئر رومة.

و قال فضالة بن عثمان: لما حضر سعيد الموت قال لابنه عمرو و هو الأشدق: أوصيك بثلاث: علىّ دين عظيم، فأكثر فيه مالى حتى تؤديه، و انظر إخوانى فإن فقدوا وجهى فلا يفقدوا معروفى، و لا تزوج بناتى إلا فى الأكفاء، ثم مات، فركب عمرو إلى معاوية، فقال الحاجب له: عمرو بالباب، فقال معاوية: هلك و الله سعيد، فأدخله، فنعى له سعيدا و أخبره بوصيته، فقال: نحن قاضون عنه الدين قال: إنما أوصى إلىّ أن يكون من صلب ماله، فقال: يعنى بعض ضياعه، و إنى أكره إحن صدر مروان و ذويه من قريش بقضاء دين أبيك، فباعه العرصة بألف ألف، فقالت قريش: أ يخدع معاوية نفسه أو يكيدنا؟ و قال مروان: يا أمير المؤمنين ما دون الله يد تحجرك عن هواك، و لنحن أهون عليك فيما تريد،

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۱۹۹

فعلام تخدع نحلك و تكيدها؟ هلا جعلت ما أعطيت عمرا صلة؟ فقال: إنك عاديت سعيدا حيّا و ميتا، و ما بلغ من إثمانى لضيعته مكيدة قريش، و لقد علمت قريش أنى أحفظ الميت فى الحى و أصل الحى للميت، و لهو خير لكم أن أكون كذلك، فأخذ عمرو المال، فأتى به المدينة فقضى دين أبيه، ثم أمر بأخوال أبيه فدخلوا عليه، فوصلهم، ثم أدخل إخوانه، فوقع الشر بينه و بين مروان و مروان خاله، فقال:

يكايدنا معاوية بن حرب و لسنا جاهلين بما يكيد

فى أبيات بلغت معاوية، فأنشد:

ألا لله درّ غواة فهر أريد سوى الذى فهر تريد

أرانى كلما أخلقت ضغنا أتانى منهم ضغن جديد

فى أبيات، قال الزبير: و لم يصح عندى الشعران.

و روى عن سعيد أنه قال لابنه: إن منزلى هذا بالعرصة ليس من العقد، إنما هو منزل نزهة، فبعه من معاوية، و اقض دينى و مواعيدى، و لا تقبل من معاوية قضاء دينى.

و عن نوفل بن عمارة أن سعيدا قال لابنه: إنى موصيك بأربع، لا تنقلنى من موضعى يعنى قصره- حتى أموت فيه؛ فإنه أحب المواضع إلىّ، و قليل لى من قومى فى برى بهم أن يحملونى على رقابهم إلى موضع قبرى، و ذكر الوصايا الثلاث المتقدمة؛ فلما توفى حمله رجال قريش حتى دفنوه بالبقيع، و قصره على ثلاثة أميال من المدينة، ثم رحل ابنه إلى معاوية، فدخل و هو أشعث، فقال له معاوية: ما بالك؟ قال: هلك أبو عثمان، فترحّم عليه، ثم قال: حاجتك فذكر وصاياه، فسأله عن دينه، فقال: ثلاثة آلاف ألف، قال: هو علىّ، قال: إنه أمرنى أن لا يكون إلا من صلب ماله، قال: فبعنى، قال: بعتك العرصة، قال: قد أخذت القصر بألف ألف، و النخيل بألف ألف، و المزارع بألف ألف، ثم قال: يا أهل الشام، اكتبوا عليه لئلا يندم، و فى رواية أنه قال: أمرنى أن أبيع فى دينه ما استباع من أمواله، قال معاوية: فعرضنى ما شئت قال: أنفسها و أحبها إلينا منزله بالعرصة، فقال:

هيهات لا- يبيعونه، انظر غيره، قال: تحب تعجيل قضاء دينه؟ قال: قد أخذته بثلاثمائة ألف، قال: اجعلها بالوافية يعنى الدرهم زنة المثقال، قال: قد فعلت، قال: و تحملها إلى المدينة قال: و نفعل، فقدم عمرو فجعل يفرقها فى الديوان، و يحاسبهم بما بين الدراهم الوافية و هى البغلية و الدراهم الجواز، حتى أتاه فتى من قريش بذكر حق له من أديم فيه عشرون ألف درهم بخط مولى لسعيد و شهادة سعيد على نفسه، فعرف الخط و أنكر أن يكون لذلك الفتى الصعلوك ذلك، فقال: ما سبب مالك؟ قال: رأيته و هو معزول و هو يمشى وحده، فمشيت معه لباب داره، فوقف و قال: هل لك حاجة؟ قلت: رأيتك تمشى وحدك

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى؛ ج۳؛ ص ۲۰۰

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۲۰۰

فأحببت أن أصل جناحك، فقال: وصلتك رحم، يعنى قطعة أديم، فأتيته بهذه القطعة، فكتب غلامه هذا الكتاب و فيه شهادته، ثم قال: يا ابن أخى، ليس عندنا اليوم شىء، فخذ هذا الكتاب، فقال عمرو: لا جرم لا يأخذها إلا وافية، و دفعها إليه بغلية.

و لما أضعت العرصتان عن بنى أمية استقطع خنجر- و هو كثير بن العباس بن محمد- عرصة سعيد بن العاص، فأقطعه إياها أبو العباس المنصور، فقال زياد بن عبد الله الحارثى و كان واليا على المدينة بخ بخ يا خنجر، صارت لك عرصة سعيد، فقال: و ما ينكر من ذلك؟ فأعجب منه دار معاوية بن سفيان بالبلاط لزياد بن أم زياد، و اقتطع السلطان فى سلطان بنى هاشم فى العرصة، و ابتنوا عرصة الماء، و فى ذلك يقول ذؤيب الأسلمى:

قد أقر الله عينى بغزال يا ابن عون

طاف من وادى دجيل بفتى طلق اليدين

بين أعلى عرصة الما أ إلى قصر زبين

فقضانى فى منامى كل موعود و دين

و فيها يقول أبو الأبيض سهل بن أبى كثير:

قلت من أنت فقالت بكرة من بكرات

ترتعى نبت الخزامى تحت تلك الشجرات

حبذا العرصة ليلا فى ليال مقمرات

طاب ذاك العيش عيشا و حديث الفتيات

ذاك عيشى أشتهيه و حديثى مع لمات

و فيها يقول بعض المدنيين:

و بالعرصة البيضاء إن زرت أهلها مها مهملات ما عليهن سائس

يدرن إذا ما الشمس لم يخش حرها خلال بساتين خلاهن يابس

إذا الحر آذاهن لذن ببحرة كما لاذ بالظل الظباء الكواس

و قال عامر بن صالح فى العرصتين:

أهوى البلاط فجانبيه كليهما فالعرصتين إلى نخيل قباء

و قال حكيم بن عكرمة الديلى فيهما و فى العقيق و جوانب المدينة:

لعمرك للبلاط و جانباه و حرة واقم ذات المنار

فجماء العقيق فعرصتاه فمفضى السيل من تلك الحرار

إلى أحد مدى حرض فمبنى قباب الحى من كنفى صرار

أحبّ إلى من ريح و بصرى بلا شك على و لا تمارى

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۲۰۱

و من قريات حمص و بعلبك لو أنّى كنت أجعل بالخيار

و فيهما و فى العقيق يقول الوليد بن زيد:

لم أنس بالعرصتين مجلسنا بالسفح بين العقيق و السند

و قال عبد الله بن مصعب فى ذلك و فى الصلصل:

أشرف على ظهر القديمة هل ترى برقا سرى فى عارض متهلل

نضح العقيق فبطن طيبة موهنا ثم استمر يؤم فضل الصلصل

فكأنما ولعت مخائل برقه بمعالم الأحباب ليست تأتلى

فالعرصتين فسفح عير فالربا من بطن خاخ ذى المحل الأشهل

و قال سعيد المساحقى فى ذلك و هو ببغداد، و ذكر أنه ابتلى بعد أخيه بمحادثة غلامه زاهر:

أرى زاهرا لما رأى من توحّشى و أن ليس لى من أهل ودى زائر

فظل يعاطينى الحديث و إننا لمختلفان حين تبلى السرائر

يحدثنى مما يجمّع عقله أحاديث منها مستقيم و جائر

و ما كنت أخشى أن أرانى راضيا يعلّلنى بعد الأحبة زاهر

و بعد المصلى و البلاط و أهله و بعد العقيق حيث يحلو التزاور

إذا اعشوشبت قريانه و تزينت عراص بها نبت أنيق و زاهر

و قال أيضا:

ألا قل لعبد الله إما لقيته و قل لابن صفوان على النأى و البعد

أ لم تعلما أن المصلى مكانه و أن العقيق ذا الظلال و ذا الورد

و أن رياض العرصتين تزينت بنوارها المصفر و الأشكل الوردى

و أن بها لو تعلمان أصائلا و ليلا رقيقا مثل حاشية البرد

و أن غدير اللابتين مكانه و أن طريق المسجدين على العهد

فهل منكما مستأذن فمسلم على وطن أو جاذب لذوى الود

فما العيش إلا ما يسر به الفتى إذا لم يجد يوما سبيل ذوى الرشد

فأجابه عبد الأعلى بن عبد الله بن محمد بن صفوان:

أتانى كتاب من سعيد فشاقنى و زاد غرام القلب جهدا على جهد

و أذرى دموع العين حتى كأنما بها رمد عنه المراود لا تجدى

بأن رياض العرصتين تزينت و أن المصلى و البلاط على العهد

و أن غدير اللابتين و نبته له أرج كالمسك فى عنبر الهند

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۲۰۲

فكدت لما أضمرت من لاعج الهوى و وجد بما قد قال أقضى من الوجد

و قال إبراهيم بن موسى الزبيرى:

ليت شعرى هل العقيق فسلع فقصور الجماء فالعرصتان

فإلى مسجد الرسول فما حا ز المصلى فجانبا بطحان

فبنو مازن على العهد أم ليس كعندى فى سالف الأزمان و أنشد عبد السلام بن يوسف و هو فى غاية العذوبة:

على ساكنى بطن العقيق سلام و إن أسهرونى بالفراق و ناموا

حظرتم علىّ النوم و هو محلل و حللتم التعذيب و هو حرام

إذا بنتم عن حاجر و حجرتم على السمع أن يدنو إليه كلام

فلا ميّلت ريح الصبا فرع بانة و لا سجعت فوق الغصون حمام

و لا قهقهت فيه الرعود، و لا بكى على حافتيه بالعشىّ غمام

فمالى و ما للربع قد بان أهله و قد قوضت من ساكنيه خيام

ألا ليت شعرى هل إلى الرمل عودة و هل لى بتلك البانتين لمام

و هل نهلة من بئر عروة عذبة أداوى بها قلبا براه أوام

ألا يا حمامات الأراك إليكم فما لى فى تغريد كن مرام

فوجدى و شوقى مسعد و مؤانس و نوحى و دمعى مطرب و مدام

و قال أعرابى:

أيا سرحتى و أدى العقيق سقيتما حيا غضة الأنفاس طيبة الورد

ترويكما مج الثرى، و تغلغلت عروقكما تحت الندى فى ثرى جعد

و لا يهنين ظلاكما أن تباعدت بى الدار من يرجو ظلالكما بعدى

و عن محمد الزهرى قال: ركب عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز و عبد الله بن حسن بن حسن و محمد بن جعفر بن محمد على بغلات لهم، حتى إذا كانوا بالعقيق أصابهم المطر، و هنالك سرحة عظيمة، فدخلوا تحتها، فقال عبد العزيز بن عمر:

خبرينا يا سرح خصصت بالغيث بصدق فالصدق فيه شفاء

هل يموت المحب من لاعج الحب و يشفى من الحبيب اللقاء

ثم إن السماء أقلعت، فساروا ساعة، ثم رجعوا للسّرحة فإذا فى أصلها كتاب فيه:

إن جهلا سؤالك السرح عما ليس يوما به عليك خفاء

فاستمع تخبر اليقين و هل يشفى من الشك نفسك الأنباء

ليس للعاشق المحب من الحب سوى رؤية الحبيب شفاء

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۲۰۳

و عن رجل من الأنصار أنه كان نازلا- تحت سرحة ببطن العقيق إذ وقف عليه ابن عمر، فسلم، ثم قال: من دلّك عليها؟ قال: الذى دلّك عليها، قال ابن عمر: فهل تدرى لم يستحب ظلال السرح: قال الرجل: إنه ظليل، و ليس له شوك، قال ابن عمر: و لغيره، أ رأيت إذا كنت بين الأخشبين من منى فإن بينك و بين مطلع الشمس واديا يقال له وادى سرر، سرّ به سبعون نبيا، و قد سر نبى منهم تحت سرحة فدعا للسرح، فهى لا تقيل كما يقيل الشجر.

و عن محمد بن معن الغفارى قال: أراد محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان أن يخرج إلى مكة، فذكر ذلك لعبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز، قال له عبد العزيز: هل لك أن تقيل عندى أنت و أصحابك ثم تروحون من عندنا و هو بالبطحان فى قصر عمر بن عبد العزيز؟ فقال محمد: نعم، فهيأ لهم نزلا، فقال محمد: ما بقى شىء يبر به أحد أحدا إلا و قد أنزلتناه إلا طعام البادية، قال: و ما هو؟ قال: التمر و الزبد، قال: أما الغنم فإنها لعاصم بنت سفيان بن عاصم بن عبد العزيز، يعنى امرأته، و لست مقدما على شىء منها إلا بإذنها، و لكنى سأستطعمها لكم، و كتب إليها:

إن عندى فدتك نفسى ضيوفا واجب حقّهم كهولا و مردا

عمدوا جارك الذى كان قدما لا يرى من كرامة الضيف بدا

فلديه أضيافه قد قراهم و همو يشتهون تمرا و زبدا

فلهذا جرى الحديث، و لكن قد جعلنا بعض المزاحة جدّا

فقال له محمد: ما زال هذا العيش بينكما، قال: نعم و الله ما مسست غيرها، و لا احتلمت بغيرها قط، و لا خالفتها فى شىء هويته قط، فبعثت إليهم بتمر و زبد.

و عن عبد العزيز بن أبى حازم قال: كان عروة بن الزبير قائما بفناء قصره نصف النهار، إذ أقبل شيخ من أهل المدينة معه حمام، فوقف عند الميل، فمسح حمامه، و سوّى ريشه ثم أرسله، ثم أقبل على بئر عروة فشرب من مائها، فقال له عروة: جئت فى مثل هذه الساعة كأنك صبى، فأرسلت حماما، و قد قال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم «شيطان يتبعه شيطان» فقال الشيخ:

يا خليلى لا تكلم ليس فيه من ملام

و عن عبد العزيز بن عبد الله قال: بينا أنا بالعقيق إذ أقبل رجل له موضع يحمل حماما، فقلت له: مثلك يحمل هذا الحمام؟ و لا أراك إلا قد راهنت به، قال: أجل، و ما فى ذلك؟

قلت: إنه حرام، قال: فهذه الخيل يراهن بها، قلت: تلك سنة، قال: و هذه رعلة، ثم انصرف، انتهى.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۲۰۴

و الرعلة: نوع من تمر المدينة، و كذا السنة، فحمل السنة على ذلك.

الفصل الرابع فى جماواته، و أرض الشجرة، و ثنية الشريد و غيرها من جهاته

اشارة

نقل ابن زبالة و غيره أن الجماوات ثلاثة:

الأولى: جماء تضارع التى تسيل على قصر عاصم و بئر عروة، و قال الهجرى: أول الجماوات جماء تضارع التى تسيل على قصر عاصم و هو منزل أبى القاسم طاهر بن يحيى و ولده، و فيها يقول أحيحة بن الجلاح:

إنى و المشعر الحرام و ما حجّت قريش له و ما نحروا

لا آخذ الخطة الدنيّة ما دام يرى من تضارع حجر

و تحته المكيمن مكيمن الجماء.

و عن محمد بن إبراهيم مرفوعا: إذا سألت تضارع فهو عام ربيع.

و روى ابن شبة حديث «لا تسيل تضارع إلا عام ربيع» قال: و تضارع الجبل الذى بسفحه قصر ابن بكير العثمانى، و قصور عبد العزيز بن عبد الله العثمانى على ثلاثة أميال من المدينة، على يمين الذاهب إلى مكة.

قلت: هذا الجبل هو الذى يقابلك و أنت بالمدرج تريد مكة، فإذا استبطنت العقيق صار عن يمينك، و الجبل المعروف بمكيمن الجماء متصل به، آخذ منه على يمين الذاهب أيضا.

جماء أم خالد

الثانية: جماء أم خالد التى تسيل على قصر محمد بن عيسى الجعفرى و ما والاه، و فى أصلها بيوت الأشعث، و قصر يزيد بن عبد الملك بن المغيرة النوفلى، و فيفاء الخبار من جماء أم خالد، قاله الزبير.

و نقل ابن شبة عن عبد العزيز بن عمران نحوه، إلا أنه قال: فى أصلها بيوت الأشعث و فيفاء الخبار، و بينها و بين جماء العاقر طريق من ناحية بئر رومة و فيفاء الخبار من جماء أم خالد فى مهبّ الشمال من الأولى مما يلى مسيل وادى العقيق منحدرا، و فيفاء الخبار منهما.

و قال المجد: فى أصل جماء أم خالد جبل يقال له سفر كما سيأتى فى ترجمته.

روى الزبير عن موسى بن محمد عن أبيه قال: وجد قبر آدمى على رأس جماء أم خالد مكتوب فيه: أنا أسود بن سوادة رسول رسول الله عيسى بن مريم إلى أهل هذه القرية.

و عن ابن شهاب قال: وجد قبر على جماء أم خالد أربعون ذراعا فى أربعين ذراعا، مكتوب فى حجر فيه: أنا عبد الله من أل نينوى رسول رسول الله عيسى بن مريم عليه السلام إلى أهل هذه القرية، فأدركنى الموت، فأوصيت أن أدفن فى جماء أم خالد.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۲۰۵

قال عبد العزيز بن عمران: نينوى موضعان: أحدهما من أرض السواد بالطف حيث قتل الحسين رضى الله تعالى عنه. و الآخر قرية بالموصل، و هى التى فيها يونس النبى صلى اللّه عليه و سلم، و لسنا ندرى أى الموضعين عنى. و تقدم فى أوائل الباب الثالث روايتان جاءتا فى ذلك قال فى إحداهما: فإذا فيه «أنا عبد الله الأسود رسول رسول الله عيسى بن مريم عليه السلام إلى أهل قرى عرينة» و قال فى الأخرى» و إذا فيه أنا عبد الله رسول نبى الله سليمان بن داود إلى أهل يثرب، و أنا يومئذ على الشمال».

جماء العاقر (العاقل)

الثالثة: جماء العاقر- بالراء كما فى كتاب ابن شبة و غيره، و فى بعض نسخ ابن زبالة و الهجرى و معارف العقيق للزبير باللام- قال ابن شبة، عقب ما تقدم عنه: و جماء العاقر الجبل الذى خلفه المشاش، و إليه قصور جعفر بن سليمان بن على بالعرصة، و قال الهجرى:

الثالثة جماء العاقل، فيها طريق إلى جماء أم خالد، تسيل على قصور جعفر بن سليمان، خلفها المشاش و هو واد يصبّ فى العرصة، و قال الزبير: جماء العاقل طريق بينها و بين جماء أم خالد خلفها المشاش.

و فى المشاش يقول عروة بن أذينة:

إذ جرى شعب المشاش بهم و مضيف تلمة الرحمة

و من البطحاء قد نزلوا دار زيد فوقها العجمة

و أورد ابن زبالة هنا حديث «لا تقوم الساعة حتى يقتل رجلان موضع فسطاطيها فى قبل الجماء» و حديث «نعم الجماء المنزل لو لا كثرة الأساود». و قد قدمنا فى الفصل الأول نحوه فى العرصة، و قدمنا ما جاء فى ذى الحليفة و بطحانها و المعرس و مسجد الشجرة، و روى البيهقى فى المعرفة عن الشافعى قال: كان سعيد بن زيد و أبو هريرة يكونان بالسحر على أقل من ستة أميال فيشهدان الجمعة و يدعانها.

و روى الزبير عن نافع أنه لما استصرخ على سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل يوم الجمعة بعد ما ارتفع الضحى أتاه ابن عمر بالعقيق، و ترك الجمعة.

و عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه أن أروى بنت أويس أسعدت مروان بن الحكم على سعيد بن زيد فى أرضه بالشجرة، فقالت: إنه أدخل ضفيرتى فى أرضه، فقال: كيف أظلمها و قد سمعت رسول الله صلى اللّه عليه و سلم يقول «من اقتطع شبرا من الأرض طوّقه من سبع أرضين يوم القيامة»؟ و ترك لها سعيد ما أدّعت، و قال: اللهم إن كانت أروى ظلمتنى فأعم بصرها، و اجعل قبرها فى بئرها، فعميت أروى، و جاء سيل فأبدى عن ضفيرتها خارجا عن حق سعيد، فأقسم سعيد على مروان ليركبنّ معه و ينظر إلى ضفيرتها، فركب و الناس حتى نظروا إليها، ثم إن أروى خرجت لبعض حاجتها فوقعت فى البئر فماتت.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۲۰۶

و فى رواية أنها سألت سعيدا أن يدعو لها، و قالت: إنى ظلمتك، فقال: لا أردّ على الله شيئا أعطانيه.

قال إبراهيم بن حمزة: و كان أهل المدينة يدعو بعضهم على بعض فيقول: أعماك الله كما أعمى أروى، يريدونها، ثم صار الجهال يقولون: أعماك الله كما أعمى الأروى، يعنى أروى الجبل، يظنونها شديدة العمى.

و فى رواية أن سعيدا قال: اللهم إن كانت أروى كاذبة فلا تخرجها من الدنيا حتى تعمى، و تجعل منيتها فى بئرها، فعميت، فكانت لها جارية تخرج بها تقودها، فتقول لها:

أخبرينى ما يعمل العمال، فتخبرها، فتقول لهم: أنتم تفعلون كذا و كذا، و تصيح عليهم، فغفلت الجارية عنها يوما، فخرجت إلى العمال فوقعت فى بئرها فماتت، فلذلك يقولون:

عمى أروى.

و عن يحيى بن موسى قال: كان أبو هريرة نزل الشجرة قبل أن تكون مزدرعا، فمرّ به مروان و قد استعمله معاوية على المدينة فقال: مالى أراك هاهنا؟ قال: نزلت هذه البرية مع أبى أصلى فى مسجد رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بذى الحليفة، فأقطعه مروان أرضه و ضفرها له، فتصدق بها أبو هريرة على ولده، و لم يزل العقيق نخلا حتى عملت العيون.

ثنية الشريد

و نقل ابن زبالة أن ثنية الشريد كانت لرجل من بنى سليم كان بقية أهل بيته، فقيل له:

الشريد، و كانت أعنابا و نخلا- لم ير مثلها، فقدم معاوية المدينة، فطلبها منه، فأبى، ثم ركب يوما فوجد عماله فى الشمس، فقال: مالكم؟ فقالوا: نسجم البئار، فركب إلى معاوية فقال: يا أمير المؤمنين إنه لم يزل فى نفسى منعى إياك ما طلبت منى، فهو لك بما

أردت، فكتب إلى ابن أبى أحمد أن يدفع إليه الثمن، قال: و سمعتهم يكثرونه جدّا، فقال له ابن أبى أحمد: إن أمير المؤمنين لم يسمك بها و هى على هذه الحال، فقال: إنى رجوت حين صار أمرى إليك التيسير على، فدفع إليه الثمن.

و مزارع ثنية الشريد من أرض المحرمين إلى أرض المنصور بن إبراهيم، و قال الهجرى:

إن سيل العقيق يفضى إلى ثنية الشريد، و منها منازل و بئار كثيرة، و هى ذات عضاه و آكام، تنبت ضروبا من الكلأ، صالحة للمال، تحف الثنية شرقى عير الوادى و غربى جبل يقال له الفراء، ثم يفضى إلى الشجرة التى بها المحرم و المعرس.

و قال ابن النجار عن أهل السير: إن النبى صلى اللّه عليه و سلم ولى العقيق لرجل اسمه هيصم المزنى، و أن ولاة المدينة لم يزالوا يولّون عليه، حتى كان داود بن عيسى فتركه فى سنة ثمان و تسعين و مائة.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۲۰۷

قلت: هذا إنما ذكره ابن زبالة و الزبير فى حمى النقيع كما سيأتى.

و روى ابن زبالة عن يحيى بن سعيد أن رجلا كان لا يعرف والده كان يوما بالعقيق، فنهاه عمر بن عبد العزيز.

و فى رواية: كان يصلى لهم الجمعة بالشجرة، فنهاه عمر بن عبد العزيز أن يؤمهم لأنه لا يعرف له أب، و هو يقتضى أن الجمعة كانت تقام بالعقيق، فآثار أبنية مكان العقيق موجودة إلى اليوم، و هى دالة على ما كان به من القصور الفائقة، و المناظر الرائقة، و الآبار العذبة إحسان، و الحدائق الملتفّة الأغصان، دثرت على طول الزمان، و تكرر الحدثان، و بقى هناك بعض الآبار، و بقايا الآثار، فترتاح النفوس برؤيتها، و تنتعش الأرواح بانتشاق نسمتها، فهى كما قال حبيب بن أوس:

ما ربع ميّة معمورا يطيف به غيلان أبهى ربا من ربعها الخرب

و لا الخدود و إن أدمين من نظر أشهى إلى ناظر من خدها الترب

و قال أعرابى:

ألا أيها الركب المحنّون هل لكم بأهل عقيق و المنازل من علم

فقالوا: نعم تلك الطلول كعهدها تلوح، و ما يغنى سؤالك عن علم

خاتمة فى سرد ما يدفع فى العقيق من الأودية، و ما به من الغدران

قال فى جزيرة العرب لأبى عبيدة رواية أبى عبد الله المازنى عنه ما لفظه: و العقيق يشق من قبل الطائف، ثم يمر بالمدينة، ثم يلقى فى إضم البحر، انتهى.

و سيأتى فى وادى قناة أنه من وجّ الطائف أيضا، و لكن قال الزبير و غيره: أعلى أودية العقيق النقيع، ثم ذو العش، ثم ذو الضرورة، ثم ذو القرى، ثم ذو الميت، ثم ذو المكبر، ثم ذات القطب، ثم حد المولى، ثم حد الأبانى، ثم ذو تنقية، ثم القويع، ثم ذو الصوابر، ثم الفلجة، ثم الوشيحة، ثم مخايل الوغائر، ثم مخايل الرمضة، و كلاهما يصب فى حصين، ثم ذو العشيرة، ثم الرتاحة، ثم ذو سمر، ثم مرخى الحرة اليمانى و الشامى محتذيان جميعا، ثم يجتمع ذو سمر و مرخان فيقال لمجتمعهن: المجتمعة، ثم ذات السليم، ثم ذو الغصين، ثم شوظى، ثم خاخ، ثم المناصفة، ثم شعاب الحمرى و الفراء و عيرين.

و قال الزبير: و أوديته مما يلى القبلة فى المغرب أعلاها ذات الرابوقة ثم نفعا.

و عن مشيخة مربية أن صدور العقيق ما يبلغ فى النقيع من قدس و ما قبل من الحرة و ما دبر من النقيع و ثنية عمق، فهو يصب فى الفرع، و ما قبل من الحرة مما يدفع فى العقيق يقال له بطاويح، قال: ثم فرش موزد، ثم راية الأعمى، ثم راية الغراب، ثم الخانع، ثم ذو

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۲۰۸

عاصم، ثم بلغة السرح، ثم بلغة برام، ثم بلغة رماد، ثم بلغة المعيرا، ثم بلغة الرمس، ثم نبعة العشرة، ثم نبعة الطوى، ثم الحنينة، ثم

النبعة، ثم ضاف، ثم بلغة التمر، ثم نبع الأضاة، ثم الأتمة أتمة عبد الله بن الزبير، ثم ذات الحماط، و فى حديث تقدم أنه صلى اللّه عليه و سلم «صلّى فى مسجد بالضيقة مخرجه من ذات الحماط» ثم هاوان، ثم فريقان، ثم الساهية، ثم أعشار، و تقدم فى حديث نزوله صلى اللّه عليه و سلم بكهف أعشار و صلاته فيه، ثم ريم، ثم لاى، ثم ذو سلم النظيم، ثم ذو بدوم، ثم حفية، ثم قسبان، ثم الصهوة، ثم بقرة، ثم ذو سنية، و سنية:

قوم من مزينة، ثم الرمامية، ثم الموقية، ثم ضبع، ثم مهر، ثم الملحاء، ثم المليحة، ثم النخيل، ثم الرديهة، ثم أنفة، ثم المنتقبة، ثم مراح الصحرة، ثم سائلة أبى يسار التى تسيل على قصر المخرمى، ثم شعاب الفراء، ثم ذات الجيش، و تقدم حديث الأعلام فى حرم المدينة على شرف ذات الجيش، ثم وادى أبى كبير بن سعيد بن وهب بن عبد بن قصى، و ذات الجيش يدفع فيه، و به قصر الرماد لآل أبى كبير، و كانت لهم بئر بطرف الفراء يوردون عليها سبعين أو ثمانين بعيرا لهم، قال الزبير: و أنا رأيت بئر أحد طرف الفراء مكبوسة، و ما قبل من الصلصلين يدفع إلى بئر أبى عاصية، ثم يدفع فى ذات الجيش، ثم يدفع فى وادى أبى كبير، و ما دبر منهما يدفع فى البطحاء، فطرف عظيم الغربى يدفع فى ذات الجيش، و طرفه الشامى يدفع فى البطحاء بين الجبلين فى وادى العقيق، ثم الجماوات ثلاث، و تفصيل مسائلها كما قدمناه فيها.

ثم ذكر مجتمع سيول المدينة بزغابة، و ذلك أعلى وادى إضم، قال: و أعلى غدر مسيلات العقيق التى فى درج الوادى مما يلى الحرة موكلان من أعلى ذى العش، ثم غدير سليم، ثم ذو التحاميم، ثم الأعوج، ثم غدير الجبال، ثم يماحم، ثم غدير الذباب، ثم غدير الحمير، ثم غدير فليج الأعلى، ثم غدير فليج الأسفل، و هذه الثلاثة تعرف بمنحنيات فليج الزبيرى، ثم غدير السيالة، ثم الطويل، و يعد من منحنيات فليج أيضا، ثم غدير البيوت بيوت عبد الله العمرى، ثم غدير رتيجة، ثم بكين، ثم غدير سلافة، ثم غدير الرعاء، ثم غدير الأحمى مقصورا و الأحمى: طرب العدس فى أصله، ثم غدير حصير، ثم الندبة من أسفل حصير، ثم العرابة على أعلى مرج، ثم مرج، ثم غدير السدر، ثم غدير الخم، ثم المستوجبة، ثم حليف، ثم حليف، ثم الحقن، ثم ذو الطفيتين، ثم ذو اللحيين، ثم ذو الابنة، ثم غدير مريم، ثم غدير المجاز، ثم غدير المرس، ثم رابوع، و قلما يفارقه ماء و إذا قل ماؤه احتسى، و هو أسفل شىء من غدران درج العقيق إلا غدير أسفل منه يقال له غدير السيالة، هذا كلام الزبير.

و نقل ابن شبة أن سيل العقيق يأتى من موضع يقال له بطاويح، و هو حرس من الحرة،

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۲۰۹

و غربى شطاى حتى مضيا جميعا فى النقيع و هو قاع كبير الدر، و هو من المدينة على أربعة برد فى يمانيها، ثم يصب فى غدير يلبن و برام، و يدفع فيه وادى البقاع، و يصب فيه نقعا فيلتقين جميعا بأسفل من موضع يقال له نقع، ثم يذهب السيل مشرقا فيصب على رواوتين يعترضهما يسارا، و يدفع عليه واد يقال له هلوان، ثم يستجمعن فيلقاهن بوادى دبر بأسفل الحليفة العليا، ثم يصب على الأتمة و على الجام، ثم يفضى إلى وادى الحميراء فيستبطن واديها و يدفع عليه الحرتان شرقيا و غربيا حتى ينتهى إلى ثنية الشريد إلى أن يفضى إلى الوادى فيأخذ فى ذى الحليفة حتى يصب بين أرض أبى هريرة رضى الله تعالى عنه و بين أرض عاصم بن عدى بن العجلان، ثم يستبطن الوادى فيصب عليه شعاب الجماء و نمير حتى يفضى إلى أرض عروة بن الزبير و بئره، ثم يستبطن بطن الوادى فيأخذ منه شطيب إلى خليج عثمان بن عفان الذى حفر إلى أسفل العرصة التى يقال لها خليج بنات نائلة و هن بنات عثمان منها، و كان عثمان ساقه إلى أرض اعتملها بالعرصة، ثم يفترش سيل العقيق إذا خرج من حوافر عبد الله بن عنبسة بن سعيد يمنة و يسرة، و يقطعه نهر الوادى، ثم يستجمع حتى يصب فى زغابة، انتهى.

و نقل الهجرى أن سيل العقيق إذا أفضى من النقيع أفضى إلى قراره أسفل قاع لا شجر فيه، و أسفل منه حصير، ثم يفضى إلى مرج، ثم إلى المستوجبة، ثم إلى غدير يقال له ديوا الضرس، ثم إلى غدير المجاز، ثم إلى غدير يقال له رواوة، ثم إلى غدير الطفيتين، ثم الابنة، ثم أسفل من ذلك رابوع، ثم يلقاه وادى بريم فإذا التقيا دفعا فى الحليفة حليفة عبد الله بن أبى أحمد بن جحش، ثم سطح

سیول النقیع و الصحرة و مراج و أنفة عند جبل یقال له واسطة المسطح، ثم یفضی إلی الجبخانة صدقة عباد الزبیری، و له دوافع من الحرة مشهورة منها شوظی و روضة الجام، ثم یفضی إلی حمراء الأسد، ثم إلی ثنیة الشرید، ثم إلی الشجرة التی بها المحرم، اه.

الفصل الخامس فی بقیة أودیة المدینة، و صدورها، و مجتمعها، و مغایضها

وادی بطحاء

فمنها وادی بطحان- روی ابن شبة و البزار عن عائشة رضی الله تعالی عنها قالت:

سمعت رسول الله صلی اللّه علیه و سلم یقول «إن بطحان علی ترعة من ترع الجنة» قال ابن شبة: و أما سیل بطحان- و هو الوادی المتوسط بیوت المدینة، أی فی زمنه- فإنه یأخذ من ذی الحدر، و الحدر قرارة فی الحرة یمانیة من حلبات الحرة العلیا حرة معصم، و هو سیل یفترش فی الحرة حتی یصب علی شرقی ابن الزبیر و علی جفاف و مرفیة و الحساة حتی یفضی إلی فضاء بنی خطمة و الأعرس، ثم یستنّ حتی یرد الجسر، ثم یستبطن وادی بطحان حتی یصب فی زغابة.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفی، ج۳، ص: ۲۱۰

و سیأتی فی مذینب من روایة ابن زبالة أن بطحان یأتی من الحلابین حلابی مصعب علی سبعة أمیال من المدینة أو نحو ذلک، و فی روایة له أن بطحان یأتی من صدر جفاف.

فیتلخص أنه یأتی من الحلابین فیصل أولا إلی وادی جفاف، ثم إلی بطحان، و لهذا استغنی ابن زبالة و غیره ببطحان عن إفراد جفاف بالذکر، و جعل المطری و من تبعه الترجمة لجفاف، قالوا: و وادی جفاف علی موضع فی العوالی شرقی مسجد قباء، اه.

و یفهم من أطراف کلام ابن شبة: أن ابتداء وادی بطحان من جسر بطحان، و ذلک بقرب الماجشونیة و آخره فی غربی مساجد الفتح، و یشارکه رانونا فی المجری من الموضع الذی فی غربی المصلی و ما والاه من القبلة، لأنها تصبّ فیه کما سیأتی، و الذی یقتضیه کلام غیره أن الماجشونیة و تربة صعیب من بطحان.

وادی رانونا

و منها: رانونا، و یقال: رانون- قال ابن شبة: و أما سیل رانون فإنه یأتی من مقمة فی جبل فی یمانی عیر و من حرس شرقی الحرة، ثم یصب علی قرین صریحه ثم سد عبد الله بن عمرو بن عثمان، ثم یفترق فی الصفاصف فیصب فی أرض إسماعیل و محمد ابنی الولید بالقصبة، ثم یستبطن القصبة حتی یعترض قباء یمینا، ثم یدخل غوسا ثم بطن ذی خصب، ثم یجتمع ما جاء من الحرة و ما جاء من ذی خصب، ثم یقترن بذی صلب، ثم یستبطن السرارة حتی یمر علی قعر البرکة ثم یفترق فرقتین؛ فتمر فرقة علی بئر جشم تصب علی سکة الخلیج حتی تفرغ فی وادی بطحان، و تصب الأخری فی وادی بطحان، اه.

و فی روایة لابن زبالة عن عبد الله بن السائب قال: رانونا تأتی من بین سد عبد الله بن عمرو بن عثمان و بین الحرة و تلقی هی و واد آخر عند الجبل الذی یقال له مقمن أو مکمن.

و قال ابن زبالة: و أما ذو صلب فیأتی من السد، و أما ذو ریش فیأتی من جوف الحرة، ثم قال فی روایة أخری: إن صدر سیل ذی صلب من رانونا، و صدر رانونا یأتی من التجنیب، ثم یسکب ذو صلب و رانونا فی سد عبد الله بن عمرو بن عثمان، ثم فی ساخطة و أموال العصبة، ثم فی غوسا، ثم فی بطحان، ثم یلتقی هو و بطحان عند دار الشواترة، و هی عداد بنی زریق، و یزعمون أنهم من عاملة، اه.

و السد موجود فی تلک الجهة، و لکنه لا یضاف الیوم لعبد الله المذکور، قال المراغی:

و السد لا يعرف اليوم بهذا الاسم، و لعله المعروف بسد عنتر؛ لانطباق الوصف عليه، و ساخطة لا تعرف، و لعلها مزرعة السد، و غوسا غير معروفة، و لعله أراد حوسا- بالحاء المهملة- و هى معروفة بقباء، و يشرب من رانونا، و وقع فى الاسم تغيير، اه. و قال نصر:

عوسا قريب قباء.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۲۱۱

قلت: و قرين صريحه ينطبق وصفه على القرين المعروف اليوم بقرين الصرطة، و قال المطرى: إن رانونا ينتهى إلى مسجد الجمعة ببنى سالم، ثم يصب فى بطحان. قال المراغى:

الذى رواه ابن زبالة أنه صلى اللّه عليه و سلم صلّى ببنى سالم فى ذى صلب، لا رانونا، و أن كلام ابن زبالة السابق يدل على المغايرة بينهما.

قلت: هما و إن افترقا فى بعض الأماكن فينتهيان إلى مجتمع واحد، و لذا قال ابن شبة:

ثم يقترن بذى صلب، كما سبق، فيسمى برانونا لمرورها عليه، و لذا قال ابن إسحاق فى أمر الجمعة: فأدركته فى بنى سالم بن عوف فصلاها فى المسجد الذى فى بطن الوادى وادى رانونا، فعبر به عن ذى صلب، بل فيما تقدم عن ابن زبالة أنه يأتى من جوف الحرة، فلعله المعنىّ بقول ابن شبة: ثم يجتمع ما جاء من الحرة- و يعنى بالحرة حرة بنى بياضة لما تقدم فى منازلهم من أن حبيب بن عبد حارثة بن مالك بن عضب بن جشم ابتنى الأطم الذى فى أدنى بيوت بنى بياضة الذى دونه الجسر الذى عند ذى ريش.

و أما السرارة المذكورة فى كلام ابن شبة فتقدم ذكرها أيضا فى منازل بنى بياضة، فليست هى الحديقة المعروفة اليوم بالسرارة.

و أما بئر جشم فغير معروفة اليوم، و لعلها مضافة إلى جشم بن الخزرج الأكبر، كما حدثنى مالك بن عضب، و هم ببنى بياضة، و سأتى ما يرجّحه، و يحتمل أن تكون مضافة إلى جشم بن الحارث، و منازلهم بالسنح، و هو بعيد.

وادى قناة

و منها: وادى قناة سمى بذلك لأن تبّعا لما غزا المدينة نزل به، فلما شخص عن منزله قال: هذه قناة الأرض، فسميت قناة، و تسمى الشظاة، و فى القاموس أن هذا الوادى عند المدينة، أى ما حاذاها منه تسمى قناة، و من أعلى منها عند السد أى الذى أحدثته نار الحرة تسمى بالشظاة.

و قال ابن شبة: وادى قناة يأتى من وج أى وج الطائف.

و عن شريح بن هانئ الشيبانى أنه قدم على عمر بن الخطاب و معه امرأته أم الغمر فأسلمت، ففرق بينهما عمر، فقال: يا أمير المؤمنين اردد علىّ زوجتى، فقال: إنها لا تحل لك إلا أن تسلم، فنزل شريح بقناة و قال:

ألا يا صاحبىّ ببطن وجّ روادف لا أرى لكم مقاما

أ لا تريان أم الغمر أمست قريبا لا أطيق لها كلاما

فجعل بطن قناة بطن وج لأن السيل يأتى منه.

و قال المدائنى: قناة واد يأتى من الطائف، و يصب فى الأرخصية و قرقرة الكدر، ثم يأتى بئر معاوية، ثم يمر على طرق القدوم فى أصل قبور الشهداء بأحد.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۲۱۲

و قال ابن زبالة: إن سيول قناة إذا استجمعت تأتى من الطائف، قالوا: و محول أودية العرب قناة و إضم، أى اللاتى فى مجتمع السيول و وادى نخلة، و إنما سميت محولا- لبعد صدورها و كثرة دوافعها، و يأتى وادى قناة من المشرق حتى يصل السد الذى أحدثته نار الحجاز المتقدم ذكرها آخر الباب الثانى، و تقدم هناك أن هذا الوادى كان قد انقطع بسبب ذلك، و انحبس السيل حتى صار بحرا

مدّ البصر عرضا و طولا، كأنه نيل مصر عند زيادته، قال المطرطى: شاهدته كذلك سنة سبع و عشرين و سبعمائة، و تقدم أنه انخرق من تحته سنة تسعين و ستمائة، فجرى الوادى سنة، فملأ ما بين الجانبين، و سنة أخرى دون ذلك، ثم انخرق بعد السبعمائة فجرى سنة أو أزيد، ثم انخرق سنة أربع و ثلاثين و سبعمائة بعد تواتر الأمطار فكثر الماء و جاء سيل لا يوصف كثرة، و مجراه على مشهد سيدنا حمزة، و حفر واديا آخر قبلى الوادى و المشهد. و قبلى حبل عينين فى وسط السيل، و مكثا نحو أربعة أشهر لا يقدر أحد على الوصول إليهما إلا بمشقة، و لو زاد مقدار ذراع فى الارتفاع وصل إلى المدينة، ثم استقر فى الواديين القبلى و الشمالى قريبا من سنة، و كشف عن عين قديمة قبلى الوادى جدّدها الأمير ودى، و هذا الوادى هو المراد بقوله فى حديث الاستنشاق من رواية الصحيح «و سال وادى قناة شهرا» و ينتهى سيل قناة إلى مجتمع السيول ترعا أيضا.

وادى مذينب

و منها: وادى مذينب، و يقال: مذينيب- قال ابن زبالة عن غير واحد من الأنصار:

مذينب شعبة من سيل بطحان، يأتى مذينب إلى الروضة روضة بنى أمية، ثم ينشعب من الروضة نحوا من خمسة عشر جزءا فى أموال بنى أمية، ثم يخرج من أموالهم حتى يدخل بطحان و صدير، مذينب و بطحان يأتيان من الحلابين حلابى صعب على سبعة أميال من المدينة أو نحو ذلك، و مصبهما فى زغابة حيث تلتقى السيول، اه.

و قوله «من سيل بطحان» يعنى من أصله من الحلابين كما بينه أخيرا، و سبق بيان منازل بنى أمية و أن من أموالهم بئر العهن.

و سيأتى عن ابن شبة ما ظاهره المخالفة لهذا، حيث قال فى مهزور: حتى حلاة بنى قريظة، ثم يسلك منه شعيب فيأخذ على بنى أمية بن زيد بين البيوت فى واد يقال له مذينب، ثم يلتقى هو و سيل بنى قريظة بالمشارف فضاء بنى خطمة، ثم يجتمع الواديان مهزور و مذينب، فمقتضاه أن مذينب من أصل مهزور، و لهذا قال المجد: قال أحمد بن جابر: و من مهزور إلى مذينب شعبة تصبّ فيه.

قلت: لكن أعلى صدر سيل بطحان و مذينب و مهزور من حرة واحدة، فيصح تشعب مذينب من كل منهما.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۲۱۳

و لهذا نقل المجد عن أبى عبيدة أن اليهود لما نزلوا المدينة نزلوا بالسافلة، فاستوبئوها، فبعثوا رائدا إلى العالية، فرأى بطحان و مهزورا يهبطان من حرة ينصبّ منها مياه عذبة، فرجع فقال: وجدت بلدا طيبا و أودية تنصب إلى حرة عذبة، فتحولوا؛ فنزل بنو النضير على بطحان، و قريظة على مهزور، اه. مع أن الذى تقدم فى المنازل أن بنى النضير نزلوا بمذينب، و منازلهم النواعم، فمن أطلق نزولهم على بطحان راعى اتحاد الأصل و أن مذينب يصب فى بطحان أيضا، كان فى زماننا يشق فى الحرة الشرقية قبلى بنى قريظة، و يمر فى وسط قرية قديمة كانت شرق العهن و النواعم، و يتشعب فى تلك الأموال، و يخرج ما فضل منه من الموضع المعروف بنقيع الرديدى و من الناصرية، فيصب فى الوادى الذى يأتى من ضفاف شرقى مسجد الفضيخ، حتى يأتى الفضاء الذى عند بؤور النورة خلف الماجشونية فتلقاه هناك شعبة من مهزور، ثم يصبان جميعا فى بطحان.

و قال المطرى: مذينب شرقى جفاف، يلتقى هو و جفاف فوق مسجد الشمس، ثم يصبان فى بطحان، و يلتقيان مع رانونا ببطحان، فيمران بالمدينة غربى المصلى، اه. و مراده جفاف أصل مسيل بطحان.

وادى مهزور

و منها: مهزور- نقل ابن زبالة أنه يأتى من بنى قريظة، ثم قال فى هذه الرواية ما لفظه: و أما معجب فيأتى سيله، و كان يمر فى مسجد النبى صلى اللّه عليه و سلم، و قالت الأنصار: إنما الذى يمر فى المسجد مهزور، و لم يبين أصل سيل معجب، و كذا ابن شبة، فقال: و

أما بطن مهزور فهو الذى يتخوف منه الغرق على أهل المدينة فيما حدثنا به بعض أهل العلم، ثم ذكر رواية ابن زبالة السابقة.

و قال ابن زبالة عقب ما تقدم عنه فى مذينب، ما لفظه: و سيل مهزور و صدره من حرة سوران، و هو يصب فى أموال بنى قريظة، ثم يأتى بالمدينة فيسقيها، و هو السيل الذى يمر فى مسجد رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، ثم يسكب فى زغابة، و يلتقى هو و بطحان بزغابة حيث تلتقى السيول، اه.

و اجتماعه فى بطحان بزغابة من مجرى قناة، و لهذا قال ابن شبة: و سيل مهزور يأخذ من الحرة من شرقيها و من هكر، و حرة صفة، حتى يأتى أعلى حلاة بنى قريظة، ثم يسلك منه شعيب فيأخذ على بنى أمية بن زيد بين البيوت فى واد يقال له مذينب، ثم يلتقى و سيل بنى قريظة بفضاء بنى خطمة، ثم يجتمع الواديان جميعا مهزور و مذينب فيتفرقان فى الأموال و يدخلان فى صدقات رسول الله صلى اللّه عليه و سلم كلها إلا مشربة أم إبراهيم، ثم يفضى إلى السورين على قصر مروان بن الحكم، ثم يأخذ بطن الوادى على قصر بنى يوسف، ثم يأخذ فى البقيع

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۲۱۴

حتى يخرج على بنى حديلة، و المسجد ببطن مهزور، و آخره كومة أبى الحمرة، ثم يمضى فيصبّ فى وادى قناة، انتهى.

و مقتضاه أن الشعبة التى تجتمع من مهزور بمذينب بالفضاء المذكور تسقى بعد ذلك، فكأنها صرفت عن جهة الصدقات إلى بطحان، أو أن كلامه مؤوّل؛ لأن المعروف اليوم أن الشعبة التى تلق مذينب من مهزور تصبّ بعد اجتماعهما فى بطحان كما سبق، و الذى يسقى ما ذكر من الصدقات و يمر بالبقيع إنما هو شعبة أخرى من مهزور، و لا تجتمع بمذينب، بل تمر على الصافية و ما يليها من الصدقات، ثم تغشى بقيع الغرقد و النخيل التى حوله خصوصا الجزع المعروف بالحضارى، فاتخذ لذلك شيخ الحرم الزينى مرجان التقوى حفظه الله تعالى طريقا إلى بطحان، و حفر له مجرى من ناحية الصدقات، فصارت الشعبة المذكورة تصب أيضا فى بطحان، و لا تمر بالبقيع، و لم يتعرض ابن شبة للشعبة التى تشق من مهزور إلى العريض و هو معظمه بسبب السد المبنى هناك، و قد اقتصر عليها المطرى فقال:

مهزور شرقى العوالى، شمالى مذينب، و يشق فى الحرة الشرقية إلى العريض، ثم يصب فى وادى الشظاة.

قال الزين المراغى عقب نقله: و كأن حرّة شوران أى المذكورة فى كلام ابن زبالة هى الحرة الشرقية.

و قال ابن شبة: و كان مهزور سال فى ولاية عثمان رضى الله تعالى عنه سيلا عظيما على المدينة خيف على المدينة منه الغرق، فعمل عثمان الردم الذى عند بئر مدرى ليرد به السيل عن المسجد و عن المدينة.

و ذكره ابن زبالة فقال: و أما الدلال و الصافية فيشربان من سرح عثمان بن عفان الذى يقال له مدرى الذى يشق من مهزور فى أمواله و يأتى على أريس و أسفل منه حتى يتبطن الصورين، فصرفه مخالفة على المسجد فى بئر أريس، ثم فى عقد أريم ثم فى بلحارث بن الخزرج، ثم صرفه إلى بطحان، انتهى.

و قال ابن شبة عقب ما تقدم: ثم سال و عبد الصمد بن على وال على المدينة فى خلافة المنصور سنة ست و خمسين و مائة، فخيف منه على المسجد فبعث إليه عبد الصمد عبيد الله بن أبى سلمة العمرى، و هو على قضائه، و ندب الناس فخرجوا إليه بعد العصر- و قد طغى و ملأ صدقات النبى صلى اللّه عليه و سلم- فدلوا على مصرفه، فحفروا فى برقة صدقة النبى صلى اللّه عليه و سلم، فأبدوا عن حجارة منقوشة ففتحوها فانصرف الماء فيها و غاض إلى بطحان. دلهم على ذلك عجوز مسنة من أهل العالية، قالت: إنى كنت أسمع الناس يقولون: إذا خيف على القبر من سيل مهزور فاهدموا من هذه الناحية، و أشارت إلى القبلة، فهدمها الناس فأبدوا عن تلك الحجارة، انتهى.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۲۱۵

و ذكره ابن زبالة مع مخالفة فى التاريخ فقال: و فى ليلة الأربعاء هلال المحرم سنة ثمان و خمسين و مائة فى إمارة عبد الصمد لما

أصيب المسجد بتلك الغرقة استغاث الناس على سيل مهزور مخافة على القبر، فعمل الناس بالمساحى و المكاتل و الماء فى برقة إلى أنصاف النخل، فطلعت عجوز من أهل العالية فقالت: أدركت الناس يقولون: إذا خيف على القبر فاهدموا من هذه الناحية، يعنى القبلة، فدار الناس إليها فهدموا و أبدوا عن حجارة منقوشة، فعدل الماء إلى هذا الموضع اليوم و أمنوا، و هى الليلة التى هدمت فيها بيوت بطحان و بنى جشم، انتهى.

و نقله المراغى إلا أنه قال كما رأيته بخطه: و أبدوا حجارة منقوشة، و ضبط الباء بالتشديد، و الذى فى كلام ابن زبالة و ابن شبة ما قدمته، قال المراغى عقبه: و بنو جشم لا تعرف، و إنما المعروف دشم- بالدال- بستان شامى مسجد الفعلة على نحو رميتى سهم منه، فلعلها منازلهم، و وقع فى الاسم تغيير.

قلت: و الظاهر أن المراد منازل بنى جشم بن الحارث بالسنح لقربها من بطحان، فطغى الماء إليها لما صرفوه.

تتمة فيما قضى به النبى صلى اللّه عليه و سلم فى هذه الأودية

قضاؤه بين رجل من الأنصار و الزبير

روينا فى الصحيحين و غيرهما عن عبد الله بن الزبير أن رجلا من الأنصار خاصم الزبير فى شراج الحرة التى يسقون بها النخل، فقال الأنصارى: سرح الماء يمر، فأبى عليه، فاختصما عند النبى صلى اللّه عليه و سلم، فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم للزبير: اسق يا زبير ثم أرسل الماء إلى جارك، فغضب الأنصارىّ، فقال: أن كان ابن عمتك؟ فتلوّن وجه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم ثم قال: اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر.

و فى رواية للبخارى: حتى يرجع الماء إلى الجدر، فكان ذلك إلى الكعبين، و فى أخرى له: كان النبى صلى اللّه عليه و سلم أشار على الزبير برأى فيه سعة، فلما أحفظ الأنصارى النبىّ صلى اللّه عليه و سلم- أى أغضبه- استوفى للزبير حقه فى صريح الحكم.

و الجدر قيل: أصل الشجرة، و قيل: جدور المشارب التى يجتمع فيها الماء فى أصول النخل، و قيل: المسحاء و هو ما وقع حول المزرعة كالجدار، و قال ابن شهاب: قدرت الأنصار و الناس ما قال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فكان ذلك إلى الكعبين.

و فى سنن أبى داود عن ثعلبة بن أبى مالك أنه سمع كبراءهم يذكرون أن رجلا من قريش كان له سهم من بنى قريظة، فخاصم إلى النبى صلى اللّه عليه و سلم فى مهزور السيل الذى يقسمون ماءه، فقضى بينهم رسول الله صلى اللّه عليه و سلم أن الماء إلى الكعبين لا يحبس الأعلى على الأسفل.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۲۱۶

و فى رواية له: قضى فى السيل المهزور أن يمسك حتى يبلغ الكعبين، ثم يرسل الأعلى على الأسفل، كذا قال فى «السيل المهزور» و المشهور كما قال السبكى «فى سيل المهزور».

و فى الموطأ أن النبى صلى اللّه عليه و سلم قال فى سيل مهزور و مذينب: يمسك حتى الكعبين، ثم يرسل الأعلى على الأسفل.

و روى ابن شبة: قضى فى سيل مهزور أن يمسك الأعلى على الأسفل حتى يبلغ الكعبين و الجدر، ثم يرسل الأعلى على الأسفل، و كان يسقى الحوائط.

و عن جعفر قال: قضى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فى سيل مهزور أن لأهل النخيل إلى العقيق، و لأهل الزرع إلى الشراكين، ثم يرسلون الماء إلى من هو أسفل منهم.

و هو صريح فيما قاله المتولى و الماوردى من أن التقدير بالكعبين ليس على عموم الأزمان و البلدان و الزرع و الشجر؛ لأن الحاجة

تختلف، و لم يقف السبكى على هذه الرواية فقال:

و هو قوى، و الحديث واقعة حال، و لو لا هيبة الحديث لكنت أختاره.

خاتمة فى مجتمع الأودية و مغائضها

مجتمع سيول العالية

اشارة

قال الزبير: ثم يلتقى سيل العقيق و رانونا بواد آخر و ذى صلب و ذى ريش و بطحان و معجف و مهزور و قناة بزغابة، و سيول العوالى هذه يلتقى بعضها ببعض قبل أن يلتقى العقيق ثم يجتمع، فيلتقى العقيق بزغابة.

قلت: و الحاصل أن سيول العالية ترجع إلى بطحان و قناة، ثم تجتمع مع العقيق بزغابة عند أرض سعد بن أبى وقاص كما صرح ابن زبالة.

قال الزبير: و ذلك أعلى وادى إضم، و فيه يقول إسحاق الأعرج:

غشيت ديارا بأعلى إضم محاها البلى و اختلاف الدّيم

قال الهجرى: سمى إضم لانضمام السيول به و اجتماعها فيه، و قال ابن شبة: تجتمع هذه الأودية بزغابة، و هو بطرف وادى إضم، سمى بإضم لانضمام السيول به.

قلت: و يسمى اليوم بالضيقة، و يسمى زغابة بمجتمع السيول، و لهذا أورد الزبير هنا حديث أن النبى صلى اللّه عليه و سلم «ركب إلى مجتمع السيول فقال: أ لا أخبركم بمنزل الدجال من المدينة»؟

الحديث.

قال الزبير: ثم تمضى هذه السيول إذا اجتمعت فتنحدر على عين أبى زياد و الصورين فى أدنى الغابة، ثم تلتقى هذه السيول فى وادى نقمى و وادى نعمان أسفل من عين زياد، ثم تنحدر هذه السيول فتلقاها سيول الشعاب من كنفيها، ثم يلقاها وادى ملك بذى خشب

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۲۱۷

و ظلم و الجنينة، ثم يلقاها وادى ذى أوان و دوافعه من الشرق، و يلقاها من الغرب واد يقال له بواط و الحزار، و يلقاها من الشرق وادى الأئمة، ثم تمضى فى وادى إضم حتى يلقاها وادى برمة الذى يقال له ذو البيضة من الشام، و يلقاها وادى ترعة من القبلة، ثم يلتقى هو و وادى العيص من القبلة، ثم يلقاه دوافع واد يقال له حجر و وادى الجزل الذى به السقيا و الرحبة فى نخيل ذى المروة مغربا، ثم يلقاه وادى عمودان فى أسفل ذى المروة، ثم يلقاه واد يقال له سفيان حين يفضى إلى البحر عند جبل يقال له أراك، ثم يدفع فى البحر من ثلاثة أودية يقال لها اليعبوب و النتيجة و حقيب، و ذكر ابن شبة نحوه، و كذا الهجرى.

و قال المطرى: إن السيول تجتمع بدومة سيل بطحان و العقيق و الزغابة النقمى و سيل غراب من جهة الغابة فيصير سيلا واحدا و يأخذ فى وادى الضيقة إلى إضم جبل معروف، ثم إلى كرى من طريق مصر و يصب فى البحر، انتهى.

و فيه أمور:

[الأمر] الأول:

جعله مجتمع السيول برومة، و إنما مجتمعها بزغابة كما سبق، و ذلك أسفل من رومة غربى مشهد سيدنا حمزة كما قاله الهجرى، و هو

أعلى وادى إضم، و مأخذ المطرى قول ابن إسحاق فى غزوة الخندق: أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع السيول من رومة بين الجرف و زغابة، و هو مخالف لما سبق.

الثانى:

جعله لزغابة سيلا ينصب لرومة، و رومة هى التى تنصب إلى زغابة.

الثالث:

جعله النقمى مما يجتمع مع السيول برومة، مع أنه المعبر عنه فيما سبق بنقمى، و إنه يجتمع مع السيول بالغابة.

الرابع:

جعله لغراب سيلا يجتمع برومة، و لم أقف له على مستند، و غراب جبل فى تلك الجهة على طريق الشام.

الخامس:

جعله إضم اسم جبل، و مغايرته بينه و بين وادى الضيقة، خلاف ما تقدم، و اختلف اللغويون فى أن إضم اسم لموضع أو جبل هناك، و الظاهر أنه اسم للجبل و واديه.

الفصل السادس فيما سمى من الأحماء، و من حماها، و شرح حال حمى النبى ص

معنى الحمى

و الحمى، لغة: الموضع الذى فيه كلأ يحمى ممن يرعاه، و شرعا: موضع من الموات يمنع من التعرض له ليتوفر فيه الكلأ فترعاه مواش مخصوصة. و هو بالقصر، و قد يمد، و يكتب المقصور بالألف و الياء، قال الأصمعى: الحما حميان: حمى ضريّة، و حمى الربذة، و كأنه أراد المشهور من الحمى بنجد، قال صاحب المعجم: و وجدت أنا حمى فيد، و حمى النير، و حمى ذى الشرى، و حمى النقيع.
وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۲۱۸

حمى النقيع

قلت: و هى عدا النقيع بنجد، و هى متقاربة، بل سيأتى ما يؤخذ منه دخول النير فى حمى ضرية. و النقيع بالنون المفتوحة و القاف المكسورة و الياء التحتية الساكنة و العين المهملة على الصحيح المشهور، و هو كل موضع يستنقع فيه الماء، و به سمى هذا الوادى. و حكى عياض عن أبى عبيد البكرى أنه بالباء كبقيع الغرقد، قال: و متى ذكر دون إضافة فهو هذا.
قلت: الذى نقله السهيلى عن أبى عبيد أنه بالنون، قال عياض: و أما الحمى الذى حماه النبى صلى اللّه عليه و سلم ثم الخلفاء الأربعة فهو الذى يضاف إليه غور النقيع، و فى حديث آخر «أتى بقدح لبن من النقيع». و حمى النقيع على عشرين فرسخا من المدينة، و هو صدر وادى العقيق، و هو أخصب موضع هناك، و هو ميل فى بريد، فيه شجر، و يستأجم حتى يغيب فيه الراكب، فاختلف الرواة و أهل المعرفة فى ضبطه: فوقع عند أكثر رواة البخارى بالنون، و ذكر نحو ما تقدم، و هو موافق فى ذكر المسافة لأبى على الهجرى، و قد تقدم عنه أنه ينتهى إلى حضير، و أن العقيق يبتدئ من حضير، و لعل المراد من رواية ابن شبة فى أن النقيع على أربعة برد من المدينة

طرفه الأقرب إليها، و مراد الهجرى طرفه الأقصى.

و قال نصر: النقيع قرب المدينة كان لرسول الله صلى اللّه عليه و سلم، حماه، و هو من ديار مزينة، و هو غير نقيع الخضمات، و كلاهما بالنون، و أما الباء فيهما فخطأ صراح.

و قال الهجرى: الطريق إلى الفرع و سيارة و سنانة و الصابرة و القرنين جند و الأكحل و أموال تهامة؛ تعترض النقيع يسارا للخارج من المدينة، و بعض الناس يجعلها إلى مكة، و هى طريق التهمة.

و نقل أيضا أن أول الأحماء و أفضلها و أشرفها ما أحمى النبى صلى اللّه عليه و سلم من النقيع، أحماه لخيل المسلمين و ركابهم، فلما صلّى الصبح أمر رجلا صيّتا فأوفى على عسيب و صاح بأعلى صوته، فكان مدى صوته بريدا، ثم جعل ذلك حمى طوله بريد و عرضه الميل فى بعض ذلك و أقل، و ذلك فى قاع مدر طيب ينبت أحرار البقل و الطرائف و يستأجم- أى: يستأصل أصله و يغلظ نبته حتى يعود كالأجمة- يغيب فيه الراكب إذا أحيا، و فيه مع ذلك كثير من العضاه و الغرقد و السّدر و السّيال و السّلم و الطّلح و السّمر و العوسج، و يحف ذلك القاع الحرة حرة بنى سليم شرقا، و فيها رياض و قيعان، و يحف ذلك القاع من غربيه الصخرة، و فى غربيه أيضا أعلام مشهورة مذكورة: منها برام، و الوائدة، و ضاف، و الشقراء، و ببطن قاع النقيع فى صير الجبل غدر تضيف، فأعلاها يراحم، ثم ألبن، و بعضهم يقول: يلبن، و هو أعظمهما و أذكرهما.

و فى سنن أبى داود بسند حسن عن الصّعب بن جثامة أن النبى صلى اللّه عليه و سلم حمى النقيع و قال «لا حمى إلا الله».

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۲۱۹

و فى رواية له: «لا حمى إلا لله و لرسوله صلى اللّه عليه و سلم» من غير ذكر حمى النقيع كما فى الصحيح، و رواه الزبير بلفظ الرواية، و زاد «و لرسوله» و سنده حسن.

و روى أحمد بسند فيه عبد الله العمرى- و هو ثقة، و إن ضعّفه جماعة، و قال الذهبى:

إنه حسن الحديث- عن ابن عمر أن النبى صلى اللّه عليه و سلم حمى النقيع للخيل، فقلت له: لخيله؟ قال:

لخيل المسلمين.

و فى رواية لابن شبة عنه أن النبى صلى اللّه عليه و سلم حمى قاع النقيع لخيل المسلمين.

و فى رواية أخرى أن النبى صلى اللّه عليه و سلم حمى النقيع للخيل، و حمى الربذة للصدقة، و فى الكبير للطبرانى برجال الصحيح عن ابن عمر قال: حمى النبى صلى اللّه عليه و سلم الربذة لإبل الصدقة.

و روى ابن شبة فى ترجمة ما جاء فى النقيع بسند جيد عن رجاء بن جميل أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم حمى وادى نخيل للخيل المضمّرة، و هى تقضى أن النقيع تسمى بذلك، و لم أر من صرح به، نعم تقدم فى الفصل الثالث قول ذؤيب الأسلمى فى عرصة العقيق:

طاف من وادى دجيل

الأبيات و هو بالدال فى عدة نسخ، و الذى فى نسخة ابن شبة بالباء بدل الدال، و لعله تصحيف، فيكون ذلك اسما للنقيع، و يؤيده قول مصعب الزبيرى بتشوق إلى رومة من العقيق فى أبيات:

أعرنى نظرة بقرى دجيل نخائلها ظلاما أو نهارا

فقال: أرى برومة أو بسلع منازلها معطّلة قفارا

و روى الزبير بن بكار عن مراوح المزنى قال: نزل رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بالنقيع على مقمل و صليب، و قال فى حمى النقيع: «نعم مرتفع الأفراس، يحمى لهن، و يجاهد بهن فى سبيل الله» و حماه، و استعملنى عليه.

و عن غير واحد من الثقات عن النبى صلى اللّه عليه و سلم أنه «صلّى على مقمل، و حماه و ما حوله من قاع النقيع لخيول المسلمين» ثم

زادت بنو أمية بعد و الأمراء أضعاف ما حمى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بالنقيع.

و عن محمد بن هيصم المزنى عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم «أشرف على مقمل طرف وسط النقيع، فصلى عليه، فمسجده هنالك».

قال ابن هيصم عن أبيه: فدعا رسول الله صلى اللّه عليه و سلم أبى، و قال: إنى مستعملك فى هذا الوادى، فما جاء من هاهنا و هاهنا- يشير نحو مطلع الشمس و مغربها- فامنعه، فقال: إنى رجل ليس لى إلا بنات، و ليس معى أحد يعاوننى، قال: فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم «إن الله عز و جل سيرزقك ولدا، و يجعل لك وليا» قال: فعمل عليه، و كان له بعد ذلك ولد، فلم تزل

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۲۲۰

الولاة يولون عليه واليا منذ عهد رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، يستعمله والى المدينة، حتى كان داود بن عيسى فنزله سنة ثمان و تسعين و مائة، و إنما تركه داود لأن الناس جلوا عنه للخوف ذلك الزمان، فلم يبق فيه أحد يستعمله عليه، قال الزبير: و ربما كتب إلى عبد الله بن القاسم و هو فى ماله بنعف النقيع يقول لى: إن ناسا عندنا بالنقيع قد عاثوا فى حمى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، فكلم الأمير يكتب فى التشديد فيه.

و فى رواية أنه صلى اللّه عليه و سلم «صلّى فى موضع مسجده على موضع مقمل ثم بعده إلى ما بينه و بين يلبن من قاع النقيع».

و قال: فحمى لأفراس تغدو و تروح فى سبيل الله، و مد رسول الله صلى اللّه عليه و سلم يديه، و قارب بينهما، و لم يضمهما، و حماه، و استعمل عليه جد أبى الحليس، فقال: يا رسول الله، أولادى النساء، و ليس معى غناء، قال: فقم بهن معك فاردد ما جاء من الحرة فى الحرة، و اردد ما جاء من الصحرة فى الصحرة، قال يعقوب المزنى: ثم تزايد الناس بعد فى الحمى، فحموا ما بين تراجم إلى يلبن، و اتخذوا المرابد يحبسون فيها ما رعى الحمى من الإبل، حتى رأيت بعضها يأكل دبر بعض، قال الزبير: و قال لى: لقد رأيت لأبيك أكثر من ثلاثة آلاف شاة بالنقيع، و هو إذ ذاك أمير المدينة، ما يرعى رعاؤه منها شيئا فى الحمى، حتى يكتمل العشب و يبلغ نهايته، فيرسل عامل الحمى صائحا يصيح فى الناس يؤذنهم باليوم الذى يأذن لهم يرعون الحمى، فيسرع فيه رعاء أبيك و الناس بدأ واحدة كفرسى رهان.

حكم الحمى

قلت: مقتضاه جواز رعى الحمى للناس إذا استووا فيه، و هو مخالف لمذهبنا؛ إذ لا يدخله سوى العاجز عن النّجعة من الناس.

قال الشافعى: قوله صلى اللّه عليه و سلم: «لا حمى إلا لله و رسوله» يحتمل معنيين:

أحدهما: ليس لأحد أن يحمى للمسلمين غير ما حمى صلى اللّه عليه و سلم؛ فلا يكون لوال أن يحمى.

و الثانى: أنه لا يحمى إلا على مثل ما حمى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فللخليفة أن يحمى على مثل ما حمى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم.

و الثانى هو أظهر القولين، و هو قول الأزهرى، و قال: يعنى للخيل التى تركب فى سبيل الله، و قيل: معناه ليس لأحد أن يحمى لنفسه إلا النبى صلى اللّه عليه و سلم، فإن ذلك من خصائصه، و إن لم يقع منه، و لو وقع لكان من مصالح المسلمين؛ لأن مصلحته مصلحتهم.

و قال فى الأم: كان الرجل العزيز من العرب إذا استنجع بلدا مخصبا أوفى بكلب على جبل إن كان أو نشز إن لم يكن جبل، ثم استعواه و وقف له من يسمع منتهى صوته، فحيث بلغ صوته حماه من كل ناحية، و يرعى من العامة فيما سواه، و يمنع هذا من غيره لضعفى

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۲۲۱

سائمته، و ما أراد قربه منها؛ فيرى أن قوله صلى اللّه عليه و سلم و الله أعلم «لا حمى إلا لله و لرسوله» لا حمى على هذا المعنى الخاص، و رسول الله صلى اللّه عليه و سلم إنما كان يحمى إن شاء لمصالح عامة المسلمين، لا لما حمى له غيره من خاصة نفسه، و ذلك أنه لم يملك إلا ما لا غنى به و بعياله عنه، و صير ما ملكه الله من خمس الخمس مردودا فى مصلحتهم، و ماله و نفسه كان مفرغا فى طاعة الله.

حمى أبى بكر و عمر

قال: و قد حمى بعده عمر رضى الله تعالى عنه أرضا لم يعلم أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم حماها، و قال غيره: حمى أبو بكر رضى الله تعالى عنه، و حمى عمر الشرف، قيل: و الربذة، و قيل:

حماها أبو بكر، و قيل: النبى صلى اللّه عليه و سلم، و لعله حمى بعضها ثم زاد كل منهما بعده فيها شيئا.

و سيأتى عن الهجرى أن عمر أول ما أحمى بضرية، و أن عثمان زاد فيه.

و ما حماه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم لا يجوز تغييره بحال، بل ينسحب عليه حكم الحمى و إن زالت معالمه على الأصح، بخلاف حمى سائر الأئمة، قال الشافعى: و يكره أن يقطع الشجر بالمدينة، و كذا بوجّ من الطائف، و كذا بكل موضع حماه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، و الموضع الذى حماه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم لا شك فيه بالنقيع، و أما الصيد فلا يكره فيه، انتهى.

و المراد بالكراهة هنا كراهة التحريم.

و روى ابن عبد البر أن عمر رضى الله تعالى عنه بلغه عن يعلى بن أمية و يقال: أمينة، و كان عاملا على اليمن أنه حمى لنفسه فأمره أن يمشى على رجليه إلى المدينة، فمشى أياما إلى صعدة، فبلغه موت عمر، فركب.

و روى الشافعى و غيره أن عمر استعمل مولاه هنيا على الحمى، فقال له: يا هنى ضم جناحك للناس، و اتّق دعوة المظلوم فإن دعوة المظلوم مجابة، و أدخل رب الصريمة و الغنيمة، و إياك و نعم ابن عفان و ابن عوف، فإنهما إن تهلك ماشيتهما يرجعا إلى نخل و زرع، و إن رب الغنيمة يأتينى بعياله فيقول: يا أمير المؤمنين، يا أمير المؤمنين، أ فتاركهم أنا لا أبا لك؟

فالماء و الكلأ أهون علىّ من الدنانير و الدراهم، ألا و أيم الله لعلىّ ذلك، إنهم ليرون أنى قد ظلمتهم، إنها لبلادهم قاتلوا عليها فى الجاهلية و أسلموا عليها فى الإسلام، و لو لا المال الذى أحمل عليه فى سبيل الله ما حميت على المسلمين من بلادهم شبرا.

قال الشافعى: و إنما نسب الحمى إلى المال الذى يحمل عليه فى سبيل الله لأنه كان أكثر ما عنده مما يحتاج إلى الحمى.

و عن مولى لعثمان بن عفان أنه كان معه فى ماله بالعالية فى يوم صائف، إذ رأى رجلا يسوق بكرين، و على الأرض مثل الفراش من الحر، فقال: ما على هذا لو أقام بالمدينة حتى يبرد ثم يروح، انظروا من هذا، فنظرت فإذا عمر بن الخطاب، فقلت: هذا أمير المؤمنين،

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۲۲۲

فقام عثمان فأخرج رأسه من الباب، فإذا لفح السّموم، فأعاد رأسه حتى حاذاه فقال: ما أخرجك هذه الساعة؟ فقال: بكران من إبل الصّدقة تخلفا فأردت ألحقهما بالحمى، و خشيت أن يضيعا فيسألنى الله عنهما، فقال عثمان: هلمّ إلى الماء و الظل و نكفيك، فقال: عد إلى ظلك، و مضى، فقال عثمان: من أحبّ أن ينظر إلى القوى الأمين فلينظر إلى هذا، فعاد إلينا فألقى نفسه.

و فى الموطأ عن يحيى بن سعيد أن عمر رضى الله تعالى عنه كان يحمل فى العام الواحد على أربعين ألف بعير، يحمل الرجل إلى الشام على بعير، و يحمل الرجلين إلى العراق على بعير.

و عن مالك قال: بلغنا أن الخيل التى أعدّها عمر رضى الله تعالى عنه ليحمل عليها فى الجهاد و من لا مركوب له عدتها أربعون ألفا.

و روى بعضهم أن عمر رضى الله تعالى عنه رأى فى روث فرسه شعيرا فى عام الرّمادة، فقال: لأجعلن له من عرر النقيع ما يكفيه.

و فى رواية «المسلمون لا يشبعون و الشعير فى روثك، لتعالجن عرر النقيع» قال الخطابى: العرر نبت ينبته الثمام.

و قال عبد الرحمن بن حسان فى قاع النقيع:

أرقت لبرق مستطير كأنه مصابيح تخبو ساعة ثم تلمح

يضئ سناه لى سرورا و ودقه بقاع النقيع أو سنا البرق أبرح

و قال كثير بن عبد الرحمن:

فهل أرين كما قد رأيت لعزّة بالنعف يوما حمولا

بقاع النقيع بصحن الحمى يباهين بالرقم غيما مخيلا

و قال عبد العزيز بن وديعة المزنى:

و لنا بقدس فالنقيع إلى اللّوى رجع إذا لهث السبىّ الواقع

واد قرارة ماؤه و نباته يرعى المخاض به و واد فارع

سعد يحرر أهلنا بفروعه فيه لنا حرز و عيش رافع

و قال أبو سلمى:

لنا منزلان مؤلف الماء مونق كريم، و واد يحدر الماء قارع

و داران دار يرعد الرعد تحتها و دار بها ذات السلم فرابع

و هذا و ما قبله يشير إلى ما سبق فى العقيق من أن صدوره ما دفع فى النقيع من قدس و ما قبل من الحرة و ما دبر، فهو يصب فى الفرع.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۲۲۳

و قال أبو قطيفة:

ليت شعرى و أين منى ليت أعلى العهد يلبن فبرام

أم كعهدى النقيع أم غيّرته بعدنا المعصرات و الأيام

و قال عبد الله بن قيس الرقيات:

أزجرت الفؤاد منك الطروبا أم تصابيت إذ رأيت المشيبا

أم تذكرت آل سلمة إذ حلّوا رياضا من النقيع ولوبا

ثم لم يتركوا على ماء عمق للرجال الورّاد منهم قلوبا

الفصل السابع فى شرح حال بقية الأحماء، و أخبارها

حمى الشرف

منها: الشرف، حماه عمر رضى الله تعالى عنه، و ليس هو شرف الروحاء، بل موضع بكبد نجد.

قال نصر: الشرف كبد نجد، و قيل: واد عظيم تكتنفه جبال حمى ضرية و الظاهر أنه مراد من غاير بينه و بين حمى ضرية و الربذة.

قال الأصمعى: الشرف كبد نجد، و كانت منازل بنى آكل المرار، و فيها اليوم حمى ضرية، و فى أول الشرف الرّبذة، و هى الحمى الأيمن، و الشريف إلى جنبه يفصل بينهما السرير، فما كان مشرقا فهو الشريف، و ما كان مغربا فهو الشرف، انتهى.

و يحتمل: أن المراد بقولهم «حمى الشرف و الربذة» حمى ضرية و الربذة لما سيأتى فى حمى ضريّة أنه كان يقال لعامله عامل الشرف، و لم يفرد الهجرى فى أحماء نجد الشرف، و لم يبين له محلا، و إنما ذكر الربذة و ضرية مع ما سيأتى فيهما.

و قال الأصمعى: كان يقال: من تصيّف الشرف، و تربّع الحزم، و شتّى الصمّان؛ فقد أصاب المرعى.

حمى الربذة

و منها: حمى الرّبـذة قرية بنجد من عمل المدينة، على ثلاثة أيام منها، قاله المجد، و فى كلام الأسدى ما يقتضـى أنها على أربعة أيام، قال المجد: و كان أبو ذر الغفارى خرج إليها مغاضبا لعثمان رضـى الله تعالى عنهما، فأقام بها إلى أن مات، و تقدم قول الأصمعى إنها فى

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۲۲۴

الشرف و إنها الحمى الأيمن، و قال نصر: هى من منازل الحاج بين السليلة و العقيق، أى الذى بذات عرق.

و فى تاريـخ عبيـد الله الأهوازى أنها خربت فى سـنة تسع عشـرة و ثلاثمائـة؛ لاتصال الحروب بين أهلها و أهل ضـريـة ثم اسـتأمن أهل ضرّية إلى القرامطة، فاستنجدوهم عليهم، فارتحل أهل الرّبذة عنها فخربت، و كان أحسن منزل بطريق مكة.

و قـال الأسـدى: الرّبـذة لقوم من ولـد الزبير، و كـانت لسـعد بن بكر من فزارة، و وصف مـا بهـا من البرك و الآثار، و قال: إن بها بئرا تعرف ببئر المسجد بئر أبى ذر الغفارى.

و تقدم أن النبى صلى اللّه عليه و سلم حمى الربذة لإبل الصدقة، و قيل: أبو بكر، و قيل: عمر، و هو المشهور.

و روى ابن أبى شـيبة بإسـناد صـحيح عن ابن عمر رضـى الله تعالى عنهما أن عمر حمى الربـذة لنعم الصدقـة، و لهذا نقل الهجرى عن جماعـة أن أول من أحمى الحمى بالربـذة عمر بن الخطاب لقصاص الصدقـة، و أن سـعة حماه الـذى أحمى بريد فى بريد، و أن سـرّة حمى الربـذة كانت الحرة، ثم زاد الولاة بعد فى الحمى، و آخر من أحماه أبو بكر الزبيرى لنعمه، و كان يرعى فيه أهل المدينة، و كان جعفر بن سـليمان فى عمله الأخير على المدينة أحماه لظهره بعد ما أبيحت الأحماء فى ولاية المهدى، ثم لم يحمه أحد منذ عزل بكار الزبير.

و أول أعلامه رحرحان جبل غربى الزبدة على أربعة و عشرين ميلا منها فى أرض بنى ثعلبة بن سعد كثير القنان، و أقرب المياه منه ماء يقال له الكديـد حفائر عاديـة عـذاب، ثم أروم جبل عن يسار المصـعد، و يدعى الجندورة فى أرض بنى سـليم، و أقرب المياه منه ماء لبنى سليم يدعى ذنوب داخل فى الحمى على اثنى عشر ميلا من الربذة، ثم اليعملة، و بها مياه كثيرة، بينها و بين الربذة ثلاثة عشر ميلا، ثم عن يسار المصـعد هضـبات حمر يـدعين فوافى بأرض بنى سـليم، على اثنى عشـر ميلا من الربـذة، ثم عمود المحـدث، و هو عمود أحمر فى أرض محارب، بأصله مياه تدعى الأقعسية، على أربعة عشر ميلا من الربذة، و هو بلد واسع.

حمى ضرية

و منها: حمى ضـريـة قرية سـميت باسم بئر يقال لها ضـريـة، و قال ابن الكلبى: سميت ضرية بضريـة بنت نزار، و هى أم حلوان بن عمران بن إلحاف بن قضاعة، و قال الأصمعى:

و يقال ضريـة بنت ربيعة بن نزار، و قال نصر: ضريـة صقع واسع بنجد، ينسب إليه حمى ضريـة، يليه أمير المدينة، و ينزل به حاج البصرة، قال أبو عبيد البكرى: ضـريـة إلى عامل المدينة، و قال غيره: و هى قرية عامرة قديمة فى طريق مكة من البصـرة، و هى إلى مكة أقرب، غير أنها من أعمال المدينة يحكم عليها و إليها.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۲۲۵

و ذكر الأسدى فى وصف طريق البصـرة ما يقتضـى أن ضريـة على نحو عشرة أيام من مكة، و أخبرنى أهل المعرفة بها أنها من المدينة على نحو سبع مراحل، و أنها إلى المدينة أقرب.

و قال ابن سـعد: سـرية محمد بن مسـلمة إلى القرطاء بطن من أبى بكر كانوا ينزلون البكرات بناحية ضريـة، و بين ضريـة و المدينة سبع

ليال، انتهى.

و تقدم قول الأصمعى فى الشرف إن به حمى ضريۀ، قال: و ضريۀ: بئر ماؤها عذب طيب، قال الشاعر:

ألا يا حبذا لبن الخلايا بماء ضريّۀ العذب الزلال

و نقل المجد أن أشهر الأحماء و أسيرها ذكرا حمى ضريۀ، و كان حمى كليب بن وائل فيما يزعم بعض باديۀ طيئ، قال: و ذلك مشهور عندنا بالباديۀ يرويه كابر عن كابر، و فى ناحيۀ منه قبر كليب معروف إلى الآن.

قلت: و أخبرنى بذلك رئيس أهل نجد و رأسها سلطان البحرين و العطيف فريد الوصف و النعت فى جنسه صلاحا و إفضالا و حسن عقيدۀ أبو الجود أجود بن جبر أيده الله تعالى و سدده، و قال: إن قبر كليب هناك معروف عند العرب يقصدونه، قال: و دلنى عليه بعضهم لأقصده، فقلت: و هو واحد من الجاهليۀ.

و نقل الهجرى أن أول من أحمى الحمى بضريۀ عمر بن الخطاب، أحماه لإبل الصدقۀ و ظهران الغزاۀ، و أن سروح الغنم العاديۀ من ضريۀ ترعى على وجوهها ثم تؤوب بضريۀ، و ذلك ستۀ أميال من كل ناحيۀ، و ضريۀ فى وسط الحمى؛ فكان على ذلك حياۀ عمر و صدرا من ولايۀ عثمان، ثم كثر النعم حتى بلغ أربعين ألف بعير، فضاق عنه الحمى، فأمر عثمان أن يزاد ما يسع إبل الصدقۀ و ظهران الغزاۀ، فزاد زيادۀ لم يحددوها، إلا أن عثمان رضى الله تعالى عنه اشترى ماء من مياه بنى ضبيعۀ كان أدنى مياه غنى إلى ضريۀ يقال له البكرۀ عند هضبات يقال لها البكرات على نحو عشرۀ أميال من ضريۀ يذكرون أن البكرۀ دخلت فى حمى عثمان، ثم لم تزل الولاۀ تزيد فيه، و اتخذوه مأكلۀ، و من أشدهم فيه انبساطا و منعا إبراهيم بن هشام المخزومى، زاد فيه و ضيّق على أهله، و اتخذ فيه من كل لون من ألوان الإبل ألف بعير، و لم تزل حواط الحمى يقاتلون عليه أشدّ القتال، و يكون فيه الدماء، و قاتل مرۀ حواط بن هشام و رعيان أهل المدينۀ و هم أكثر من مائتى رجل ناسا من غنى على ماء لغنى يقال له الساه قتالا شديدا، فظفر الغنويون، فقتلوا منهم اثنى عشر رجلا، ثم صالحوهم على العقل، لكل واحد مائۀ من الإبل، فقال بعض الغنويين:

يا لغنى إنه عقل النّعم و ليس بالنّوم و ترجيل اللّمم

و كان ناس من الضباب قدموا على ولد عثمان، فاستسقوهم بالبكرۀ فأسقوهم، فلم تزل بأيديهم.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۲۲۶

و حفر عثمان عينا فى ناحيۀ أرض غنى خارجۀ عن الحمى بناحيۀ الماء الذى يقال له نفى على نحو خمسۀ عشر ميلا من أضاخ، و فقرت لها بها فقر كبيرۀ، و ابتنى عماله عندها قصرا أثره بين قرب واردات مقبل، و لم تجر، فتركها العمال، فلم يحرك ذلك السيح إلى اليوم.

و دفنت غنى فى فتنۀ ابن الزبير عنصر العين و تلك الفقر، فنسيت عيونه و كل ما سلف من أضاخ فى شرقيها تميمى.

و أدنى مياه بنى تميم إلى أضاخ ماء يقال له أضيح لبنى الهجيم، و قد دفن منذ دهر، فقال ناس من بنى عبد الله بن عامر لأصهار لهم من بنى الهجيم: نحن نستسقى لكم آل عثمان فنسقى، فرغبوا فى ذلك، فأجابهم آل عثمان، فاستظعن الهجيميون قومهم إليه، فلقيهم رعاء غنى، فسألوهم، فقالوا: إن بنى عثمان ولّونا أمره، و بلغ الخبر من بينهم من غنى، فتواعدوا أن ينزلوا أدنى منازلهم من بقى، فاجتمع منهم جمع كثيف، و علم بنو الهجيم أنهم إن ثبتوا يعظم البلاء، فظعنوا ليلا إلى بلادهم، و خاف بعضهم أن يدرك فتركوا به الرحال و ما ثقل و بهما فى أرباقه يعنى العرى التى يشد بها البهم، فغضب أصهار الهجيميين، و استغضبوا آل عثمان، فلما قدم الحسن بن زيد المدينۀ و معه بعض أصهار الهجيميين فقالوا لآل عثمان: نجئ لكم بخيار تميم و مشايخ أضاخ يشهدون لكم، فاستعدى آل عثمان الحسن بن زيد على غنى، و سألوه المحاكمۀ بأضاخ لقربها من بنى تميم، و كلم آل عثمان عبد الله بن عمرو بن عبسۀ العثمانى، فاجتمعوا عند أبى مطرف عامل الجيش بأضاخ، و ولى الخصومۀ من غنى الحصين بن ثعلبۀ أحد بنى عمرو الذين امتدحهم ابن عرندس بالأبيات الآتيۀ، فصار كلما جاء العثمانى بشاهد من تميم جاءه الغنوى بشاهدين يخرجانه من قيس، فلحق العثمانى بأهله، فلم

يزل بقى مواتا. و هذه الخصومة فى سنة خمسين أو إحدى و خمسين و مائة.

و احتفر عبد الله بن مطيع حفيرة هى فى أيدى الضباب على بريد من ضرية على طريق أضاخ للمدينة فى ناحية شعبى، و كان الكنديّون يسقون، و ماؤهم يسمى الثريا، و منهم العباس بن يزيد الذى هجاه جرير بقوله:

أعبدا حلّ فى شعبى غريبا أ لؤما لا أبا لك و اغترابا

إذا حلّ الحجيج على قنيع يبيت الليل يسترق العتابا

و قنيع: ماء للعباس الكندى على ظهر محجّة أهل البصرة فى داره من دارات الحمى يقال لها دارة عسعس، فلما أجلى الكنديون عن قنيع تنازعت بنو أبى بكر بن كلاب و بنو جعفر، فقالت أبو بكر: نحن أحق بماء حلفائنا، و قال الجعفريون: هو عند بيوتنا فنحن

أحق به، فجمع بعضهم لبعض بملتقى قنيع، و كان سيد بنى جعفر عبود بن خالد، و رأس أبى بكر معروف بن عبد الكريم و أخته زوجة عبود أم ولده طفيل، و كان طفيل من أشد بنى جعفر على أخواله، فخرجت أمّه ليلا لقومها، فقالت: أشد بنى جعفر لكم عداوة ابن أختكم، فإنه معلم بحبه حرمر، فليكن أول قتيل، ثم تداعى القوم للصلح على تحكيم سلمة ابن عمرو العريقى، و كتبوا بذلك و أشهدوا و تواعدوا أن يتوافوا عنده بأربعين من كل بطن، ثم نزلوا بسلمة عند الأجل، فأقام أياما ينحر لهم كل يوم جزورا، و يعطف بعضه على بعض، و يزهدهم فى قنيع، فقالوا: إنا لم نجئ لتنحر لنا إبلك، فقال: حياكم الله يا بنى كلاب، أتيتمونى فى أمر عار ذكره و أهجن، و لست بحاكم حتى أعقد لنفسى أن لا تردّوا أنتم و لا من وراء كم حكمى، فأخذ عليهم الطلاق و العتاق و المواثيق، ثم قال: أراكم يا بنى كلاب كلكم ظالم، تقطعون أرحامكم فى غير مائكم، لا أرى لأحد منكم فيه حقا، فرضوا جميعا، فامتدحه شعراؤهم، و كان شريفا حسن العلم بالسنن.

قال عقيل بن عرندس الكلابى يمدحه و أهل بيته بنى عمرو بقصيدة منها:

يا أيها الرجل المعنى شبيبته تبكى على ذات خلخال و أسوار

خيرتنا و بنى عمرو فإنهم ذوو فضول و أحلام و أنظار

هينون لينون أيسار بنو يسر سوّاس مكرمة أبناء أيسار

من تلق منهم فقد لاقيت سيدهم مثل النجوم سرى فى ضوئها السارى

و قال فيه و فى أخيه جامع أحد بنى بكر:

إذا ما غنى فأخرتها قبيلة فإن غنيّا فى ذرى المجد أفخر

و كم فيهم من سيد و ابن سيد و من فارس يوم الكريهة مسعر

هم رتقوا الفتق الذى كان باديا و قاموا بأفق الحق، و الحقّ أنور

فرحنا جميعا طائعين لحكمه و هل يدفع الحكم الجليل المنور

و احتفر بعض بنى حسن بن على بالحمى، و اتخذ إلى جنب حفرته عينا ساحت ثم خرجت فى غربى طخفة بشاطئ الريان على ثلاثة عشر ميلا من ضرية، و هى بيد ناس من بنى جعفر ثم من بنى ملاعب الأسنة من جهة بنى أختهم الحسنيين.

و كان لبنى الأردم- و هم من بنى تميم بن لؤى- ماء قديم على طريق أهل ضرية إلى المدينة على ثمانية عشر ميلا من ضرية يسمى الجفر، و معهم نفر من بنى عامر بن لؤى، فاحتفر سعيد بن سليمان الساحقى العارى عينا و أساحها و غرس عليها نخلا كثيرا على ميل أو نحوه من حفر بنى الأدرم بدارة الأسود جبل عظيم أسود، و هى عامرة كثيرة النخل.

و لما ولى إبراهيم بن هشام المدينة احتفر بالحمى حفيرة لهضب اليمنى على ستة أميال من

ضرية على طريق البكرة إلى ضرية، سماها النامية، و أخرى بناحية شعبى بين ضرية و حفر بنى الأدرم على سبعة أميال من ضرية بواد يقال له فاضحة لأنه انفضاح أى انفراج و اتساع بين جبال.

و لما هلك ابن هشام احتفر جعفر بن مصعب بن الزبير حفيرة إلى جنب حفيرة ابن هشام بفاضحة، و نزلها بولده حتى مات، فأقام ابنه محمد بمنزلة أبيه حتى خرج محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن حسن فخرج مع محمد، فلما قتل هرب إلى البصرة، ثم رجع إلى فاضحة، و تزوج من بنى جعفر ثم بنى الطفيل فأولد عبد الله فزوّجه ابنة القاسم بن جندب الفزارى، و كان علما من أعلام العرب ينزل باللواء، و كان القاسم لا يسير أبدا، و لم يكن حج قط، و لا يكاد يقدم ضرية، و أولاد عبد الله من ابنته فى بقية من أموالهم بفاضحة.

و احتفر عبد الله حفيرة إلى جنب حفيرة جده، و دفن حفيرة ابن هشام، و أخفى مكانها.

و احتفر جرش مولى ابن هشام حفيرة على ميلين أو ثلاثة من حفر بنى الأدرم و حفرة المساحقى سماها الجرشية، ثم اشتراها ناس من ولد رافع بن خديج من الأنصار، و أحدثوا بقربها حفيرة بقطيعة السلطان، فنازعهم محمد بن جعفر بن مصعب بحق بنى الأدرم، و كان من أشد الرجال، فقاتلهم وحده، فاجتمعوا فأصابه رجلان منهم بفرعين خفيفين فى رأسه، فأخذهما أسرى حتى أقدمهما ضرية، و استعدى عليهما الحسن بن زيد بالمدينة، فضربهما بالسياط، ثم عفا عنهما، و اختصموا فى الجرشية و الحفيرة حتى قضى لبنى الأدرم و المساحقى، فكلمهم الناس فسبقوهم بهما، و كان الأنصاريون أهل عمود و ماشية، فلما كانت الفتنة أكلتهم لصوص قيس من كلاب و فزارة، فلحقوا بطيئ و ناسبوهم، فأمنوا مدة، ثم غارت عليهم لصوص طيئ فتفرقوا و تركوا البادية، و كانت بنو الأدرم و بنو بجير القرشيون قد كثروا بالحفر، ثم وقع بينهم شر، و كان جيرانهم من قيس يكرمونهم، فلما تفاسدوا جعل بعضهم يهيج اللصوص على بعض، فنهبهم بنو كلاب و فزارة، و قتلوا بعض رجالهم، فلحقوا بالمدينة، و تفرقوا، و قال عبد الجبار المساحقى لبنى فزارة فيما فعلوا بالقرشيين:

مهلا فزارة مهلا لا أبا لكم مهلا فقد طال إعذارى و إنذارى

فى أبيات:

و كانت ضرية من مياه الضباب فى الجاهلية لذى الجوشن الضبابى والد شمر قاتل الحسين بن على رضى الله تعالى عنهما، و كانت مسلمة الضباب يروون أن ذا الجوشن قال فى الجاهلية:

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۲۲۹

دعوت الله إذ سغبت عيالى ليجعل لى لدى وسط طعاما

فأعطانى ضريّة خير بئر تمجّ الماء و الحب التؤاما

و وسط: جبل على ستة أميال من ضرية يطأ الحاج المصعد خيشومه، و بناحيته اليسرى دارة سعتها ثلاثة أميال أو أربعة، و قنيع فى أعلاها، و هى بين وسط و عسعس و يقال لها أيضا: دارة عسعس، و عسعس: جبل أحمر مجتمع فى السماء بهيئة رجل جالس له رأس و منكبان.

و أما عين ضرية و سيحها فيقال: إنه كان لعثمان بن عنبسة بن أبى سفيان، و هو الذى حفرها و اغترس النخل و ضفر بها ضفيرة بالصخر لينحبس الماء، و هو سد يعترض الوادى فيقطع ماءه و ينحبس زمانا ليكون أغزر للعين، فلما قام أبو العباس كان ذلك فيما قبضوا، ففى آخر ولاية أبى العباس و كانت تحته أم سلمة المخزومية من بنى جعفر بن كلاب و قد أحالها معروف بن عبد الله عليه فأكرمه فسأله أن يقطعه عين ضرية فأقطعه، و كان بدويا ذا زرع، فلما أرطب نخلها نزلها بأهله، و كانت نعمه ترد عليه، و سأله ناس من ضريّة أن يعريهم من نخله، فأعراهم، و صار يجنى للضيفان من الرطب، و يحلب لهم من إبله، فمكث نحو شهرين، فأتاه ضيفان بعد ما ولى الرطب، فأرسل فلم يؤت إلا بقليل، و قال له الرسول: ذهب الرطب إلا ما ترى، فقال: يسوؤنى أن أعود على ضيفانى من نخلكم، و كان قيمه على العين زرع قثاء و بطيخا، فأتاه بشىء منه، فقال: قبح الله ما جئت به، احذر أن يراه عيالى، و كره النخل، و أراد بيعه،

فاشتراه منه عبد الله الهاشمى عامل اليمامة بألفى دينار، ثم ولاه جعفر بن سليمان إذ سأله إياه، فأحدث بسوق ضرية حوانيت جعلها سماطين داخلين فى سماطى ضرية الأولين فيهما نيف و ثمانون حانوتا، فربما جمعت غلة الحوانيت و النخل و الزرع ثمانية آلاف درهم فى السنة، و كان شأن الحمى عند ولاة المدينة عظيما، كانوا يستعملون عاملا وحده، و كانت إصابته فيه عظيمة، و كان لحواطه سلطان عظيم، و حواط كل ناحية: سادة القوم و أشرافهم، و كان يقال لعامل الحمى: عامل الشرف.

و أقرب أجبل الحمى للمصعد- أى أقرب ما ترى من جباله- جبل الستار على طريق البصرة، أحمر مستطيل فيه ثنايا تسلك، و منه طريق البصرة، بينه و بين أمرة خمسة أميال، و هو فى دار غنى فى ناحية هضب الأشق، و بالأشق مياه: منها الريان فى أصل جبل أحمر طويل، و من هضب الأشق هضبة فى ناحية عرفج يقال لها الشيماء، و فى غربى الأشق سواج الطريق تطأ خيشومه.

و متالع: جبل أحمر عظيم عن يمين أمرة، على ثلاثة أميال منها البثاءة بينها من أكرم أعلام العرب موضعا.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۲۳۰

و لما ولى أبو خليد العبسى خال الوليد عمل ضرية نزلها و حفر فى جوف النّتاءة فى حق غنى فقيره، فلما ولى بنو العباس هدمت غنى تلك الحفرة و سوّوها بالأرض.

و لبنى عبس ماء فى شعب يقال له الأسودة، و لهم بالحمى ماء يقال له ضحح فى إبط رميلة الحسى حسى بن حصبة، و لهم الحاء بها نخل كثير، و لهم مياه أخرى، ثم الأقعس، ثم تليه هضبات تدعى قطبيات فى إقبال البئر، ثم يليها هضبات يقال لها العرائس فى بلد كريم من الوضح فى إقبال البئر أيضا، و بين العرائس جبل يقال له عمود الكور.

شعر: جبل عظيم فى ناحية الوضح، و عنده ماء يقال له الشطون، أكثر الشعراء من ذكره، قال الخضرى:

سقى الله الشطون شطون شعر و ما بين الكواكب و الغدير

و عن يسار العرائس بالوضح جبال بينهن آبار صغار سود علاهن الرمل مشرفات على مهزول، و هو واد فى إقبال البئر، و هن تسمين العثاعث، ذكرهن ابن شوذب فى شعر مدح به السرى، فقال من أبيات:

بربا العثاعث حيث واجهت الربا سند العروس و قابلت مهزولا

ثم يلى العثاعث ذو عشث واد يصبّ فى التسرير، و يصب فيه وادى مرعى و هو بناحية الحمى، ثم يليه نضاد، و هو بطرف البئر الشرقى فى حقوق عنى، و يلى البئر جبال كثيرة سود بعضها إلى بعض، و منها تخرج سيول التسرير، و بنضاد و ذى عشث تلتقى سيولها، و الحثحاث و البقر بأقبال نضاد، و هما المعنيان بالحمى، ثم بلى الأقعس عن يسار المصعد هضب اليلبين، و أقرب المياه إليه ماء يقال له اليلبين، و بين هضب اليلبين و الربذة نيف و عشرون ميلا، ثم يلى هضب اليلبين عن يسار المصعد الجمارة قنان سود بينها و بين الربذة خمسة عشر ميلا، فى مهب الشمال عن الربذة، و بينهما هضب يقال لها سنام، ثم يلى الجمارة جبال سود تدعى الهاربية، بينها و بين الربذة أربعة عشر ميلا، ثم هضب المنحر، ثم رحرحان.

انتهى ما لخصته مما نقله الهجرى، و قد أكثر الشعراء و غيرهم من ذكر هذا الحمى و أعلامه و أخباره.

و حكى ابن جنى فى النوادر الممتعة عن المفضل بن إسحاق قال هو أو قال بعض المشيخة: لقيت أعرابيا فقلت: ممن الرجل؟ فقال: من بنى أسد، فقلت: فمن أين أقبلت؟

قال: من هذه البادية، قلت: فأين مسكنك منها؟ قال: مساقط الحمى حمى ضرية بأرضها لعمر الله ما نريد بها بدلا و لا عنها حولا، قد نصحتها الغدوات، و حفتها الفلوات، فلا يملولح ترابها، و لا يمعر جنابها، ليس فيها أذى و لا قذى، و لا وعك، و لا موم، و لا

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۲۳۱

حمى، فنحن فيها بأرفه عيش و أرغد معيشة قلت: و ما طعامكم؟ قال: بخ بخ، عيشنا و الله عيش يعلل حاديه، و طعامنا أطيب طعام و أمرؤه و أهنؤه: الفثّ و الهبيد و الفطس و الصليب و العنكث و العلهز و الذآنين و الطراثيث و الحسلة و الضباب، و ربما و الله أكلنا

القد، و اشتوينا الجلد، فما نرى أن أحدا أحسن منا حالا، و لا أخصب جنابا، و لا أرخى بالا، فالحمد لله على ما بسط علينا من النعمة، و رزق من حسن الدّعة، أو ما سمعت قائلنا يقول:

إذا ما أصبنا كلّ يوم مذيقة و خمس تميرات صغار كوانز

فنحن ملوك الناس شرقا و مغربا و نحن أسود الناس عند الهزاهز

و كم متمنّ عيشنا لا يناله و لو ناله أضحى به جدّ فائز

قلت: فما أقدمك هذه البلدة؟ قال: بغية ليه، قلت: و ما بغيتك؟ قال: بكرات أضللتهن، قلت: و ما بكراتك؟ قال: أبقات عرصات هبصات أرنات أواب، عيط عوائط، كوم فواسج، أعزبتهن قفا الرحبة رحبة الخرجا، ضجعن منى فحمة العشاء الأولى، فما شعرت بهن إلى أن ترجل الضحى، فقفوتهن شهرا ما أحسّ لهن أثرا، فهل عندك جالية عين أو جابية خبر؟ لقيت المراشد و كفيت المفاسد.

الموم- بالضم- البرسان. و الفث- بالفاء ثم المثلاثة- حب يعالج و يطحن و يؤكل فى الجدب.

و الهبيد: حب الحنظل ينقع فى الماء و يعالج حتى يحلو. و الفطس- بالسكون- حب الآس. و الصليب- آخره موحدة- الودك. و العنكث- بالمثلاثة- نبت خشن شائك يعالجه الضب بذنبه حتى يتحات و يلين ثم يأكله. و العلهز: دم و وبر يلبك ليؤكل فى الجدب.

و الذآنين- بالمعجمة- جمع ذؤنون، نبت معروف، و الطراثيث- بالطاء المهملة و مثلثتين بينهما مثناة تحتية- جمع طرثوث نبت أحمر.

و الحسلة- كقردة- جمع حسل، و هو ولد الضب، و العرص و الهبص و الأرن: النشاط، أواب: جمع آبية، و هى التى ضربت فلم تلقح، عيط عوائط: بمعناه و كوم فواسج: سمان. و أعزبتهن: بيت بهن عازبا عن الحى. قفا الرحبة:

خلفها الخرجا: موضع به حجارة فيها سواد و بياض. و ضجعن: عدلن و ملن؛ و جابية خبر: أى طريق خارقة.

حمى فيد

و منها: حمى فيد- بالفاء ثم المثناة التحتية- منزل بنجد فى طريق الحاج العراقى، فيه سوق و برك و نخيل و عيون، قيل: سميت بفيد بن حام؛ لأنه أول من سكنها.

و قال ابن جبير: إنه خرج من المدينة النبوية يوم السبت صحبة الركب العراقى فوصلوا فيدا صبيحة الأحد التاسع من خروجهم، و قال الأسدى: فيد بطيئ لبنى نبهان، و به أخلاط

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۲۳۲

من أسد و همدان و غيرهم، و به ثلاث عيون: عين النخل احتفرها عثمان بن عفان، و الأخرى تعرف بالحارة فى وسط الحصن و السوق احتفرها المنصور، و الثالثة تعرف بالباردة على الطريق خارج المنزل حفرها المهدى، و بفيد آبار كثيرة قصيرة الرشا، انتهى.

و قال الهجرى: و أما حمى فيد و صفته فلم أجد أحدا عنده علم ممن كان أول من أحماه، و لا كم كانت منعته أول ما أحمى، إلا أن فيدا كان موضعه الذى هو به اليوم فلاة من الأرض بين بنى أسد و طيئ، و كانت إلى جبل طيئ أقرب، فذكر أهل العلم ممن لقيت من أهله أنه التقطت به ركبتان كانتا جاهليتين، التقطهما أناس من بنى أبى سلام و معهم نفر من طيئ و هم يرعون هناك فى ولاية بنى مروان، و أن أول من حفر به حفرا فى الإسلام أبو الديلم مولى لفزارة، فاحتفر العين التى هى اليوم قائمة و أساحها و غرس عليها، و كانت فى يده حتى قام بنو العباس فقبضوها، فهى اليوم فى أيديهم.

قلت: و كأنه لم يقف عل ما ذكره الأسدى من عين عثمان رضى الله تعالى عنه، و لعله أول من أحماه.

قال الهجرى: و أما أجبل حمى فيد فأولها على طريق الكوفة بين فيد و الأجفر جبل يقال له الجبيل أحمر عظيم، على ستة عشر ميلا من فيد فى أرض بنى أسد، ليس بين فيد و الكوفة جبل غيره، ثم يليه الغمر جبل أحمر طويل على عشرين ميلا من فيد، عن يسار المصعد لمكة، و إلى جنبه ماء يقال له الرخيمة، و ماء يقال له الثعلبية، و كل ذلك فى الحمى، ثم عن يسار المصعد قبة سوداء تدعى أذنة،

على ستة عشر ميلا من فيد، فى أرض بنى أسد، و فى ناحيتها فى الحمى مياه يقال لها الوراقة، ثم عن يسار المصعد هضب الوراق لبنى أسد، و فى ناحيته مياه يقال لها أفعى، و مياه يقال لها الوراقة، ثم جبلان أسودان يدعيان القرنين فى أرض بنى أسد، على ستة عشر ميلا من فيد، و الطريق إلى مكة تتوسطهما، ثم عن يمين الطريق للمصعد جبل أسود يقال له الأحول فى أرض طيئ، على ستة عشر ميلا من فيد، و أقرب مياهه أبضة فى حرة سوداء، ثم عن يمين المصعد جبل يقال له دخنان بأرض طيئ، على اثنى عشر ميلا من فيد، ثم جبل يقال له الغبر، ثم جبلان يقال لهما جاش و جلذية لطيئ، على أكثر من ثلاثين ميلا من فيد، و هاهنا اتسع الحمى و كرم، ثم الصدر على سبعة أميال و ثلاثين ميلا من فيد، ثم صحراء ليس بها جبل يقال لها صحراء الخلة، عن يمين الأجفر، على ستة و ثلاثين ميلا من فيد و أقرب مياهها الجثجاثة.

ثم يليها على المحجة أكمة مشرفة على الأجفر. ثم سويقة هضبة حمراء طويلة فى السماء، و هى فى الحمى فى أرض الضباب، على ثلاثين ميلا أو أكثر من ضرية، و هى التى عنت جمل بنت الأسود الضبابية، و ذلك أنها جاورت بنى الهدر فى أعلى بلاد الضباب،

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۲۳۳

و هى متعالية لهم واد رغاث يقال له كراء فى علياء دار بنى هلال على ليلتين من الطائف، و كانت بنو هلال ينهضون على أهله، حتى جمعت لهم الضباب جمعا و قتلوا منهم و سبوا، و جاءوا ببعضهم إلى الحمى فهابوهم.

و للضباب ملك آخر يقال له العرّى بناحية بيشة قرب تبالة، فجاورت جمل بنى الهدر فى تلك الناحية، و أغارت لصوصهم على عكرة لها يوم الأضحى، و اغتنموا تشاغل الناس بالعيد، فقالت جمل و كان بليغة:

بنى الهدر ما ذا تأمرون بعكرة قلائد لم تخلط بخبث نصابها

تظل لأبناء السبيل مناخة على الماء يعطى درّها و رقابها

أقول و قد ولّوا بهيت كأنه مناكب حوضى رملها و هضابها

ألهف على يوم كيوم سويقة شفى غل أكباد فساغ شرابها

بنى الهدر لو كنتم كراما و فيتم لجارتكم حتى يحين انقلابها

و لكنما أنتم حمير حساءة مجدّعة الأذناب غلب رقابها

فأشارت بقولها «كيوم سويقة» إلى وقعة كانت للضباب مع عامل ضرية مهروب الهمدانى من قبل زياد بن عبيد الله الحارثى، و ذلك أن عاملا له مع حواط الحمى وجدوا نعما للضباب فى الحمى بناحية سويقة فطردوها أقبح الطرد، فركبوا فى أثره، فأصابوه بضرب، و عقروا راحلته، فأتى عامل ضرية، فخرج بجنده و سخر رجالا معه من أهل ضرية كرها حتى لقى نعما للضباب فيها بعضهم، فأسر نفرا منهم، فبلغ الضباب، فأدركوه بسويقة فكر عليهم، فنادوا: يا أهل ضرية، أنتم مكرهون فاعتزلوا، و نادوه أن خل سبيل أصحابنا و ما أصيب منا بالذى أصبنا منك، فتراموا بالنبل حتى فنيت، ثم اقتتلوا فانهزم، و أدركوه فقطعوه بالسيوف، و قتلوا نفرا من أصحابه، و رجعوا بالأسرى.

ثم يلى سويقة جبل ذو قنان كثيرة، ليس بالحمى أكبر منه إلا أن يكون شعبى، و هو جبل أسود، فى أرض الضباب، كثير المعادن من التبر، كان به معدن يقال له النجادى، كان لابن أبى بحّاد، لم يعلم فى الأرض مثله؛ فعن شيخ من موالى خزاعة أنه خرج منه ما لم يسمع بمثله، و رخص الذهب بالعراق و الحجاز لما أن كثر حتى قل نيله لغلبة الماء عليه قربه به قرية عظيمة، و كان له عامل مفرد يخرج من المدينة.

كبد منى

ثم كبد منى: قنة عظيمة مفردة شرقى منى، و هو جبل يشرف على ما حوله ينظر إليه الحجاج حين يصدرون عن مرة، و بين حليت و

منى جبل يقال له قادم، و إلى جنبه قويدم، و بهما مياه يقال لها القادمة من أطيب ماء بالحمى و أرقه، يضرب بها المثل فى العذوبة، بينها

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۲۳۴

و بين منى دارة الفهيدة التى عقرت لها ناقة المنسرح و عقر لها ما عقر، و ذلك أنه كان تمثالا لا يكاد يبين، و له صريمة يحلب عقيلتها لأمه، فكانت حياتها لأن الناس أشتوا، فبينا هو بدارة الفهيدة فى ولاية ابن هشام إذ دخلت الحمى فتركها فباتت فرآها بعض الحواط من الموالى، فطرد الصريمة أقبح الطرد، فعرض له المنسرح ليكفه، و لا سلاح معه، فطعن الناقة التى يحلبها المنسرح لأمه فى ضرعها فاختلط لبنها بدمها، فحلف لا يسكن الحمى و لا يمس رأسه دهن حتى يعقر إبل من عقر ناقته، فتوجه إلى قومه، فأخبرهم خبره، و طلب سيفا قاطعا لا يقع فى شىء إلا خرج منه، فأعطوه إياه، فأتى إبلا للمولى مهارى، فقال للراعى:

أنا رسول مولاكم و هو بضرية يأمركم أن تعقلوا خيار إبلكم فإنه نصيحكم لأمر حدث، و أخرج لهم عقلا، فصدقوه و حلبوا له ناقة، فوضع الإناء، فقالوا: أ لا تغتبق، قال: دعوه حتى يبرد، قال: و إنما كرهت أن أشرب اللبن و أعقر إبله.

فلما غفلوا عنه أهراقه، و عقلوا من خيار الإبل نحو ثلاثين، فلما ناموا استلّ سيفه و ضرب ناقة على حقيبتها فمضى حتى فلق ضرعها، و تواثبت الإبل، فطفق فى المعقلة عقرا حتى أتى عليها، و قطع بعضها العقل فتبعها فما أدرك بعيرا إلا عقره، و فطن الرعاء فرأوا ما يعمل السيف، فولوا هربا، ثم دفن سيفه بالحمى، و كان أعز عليه من نفسه، و أرسل يخبر أهله، و ركب صاحب الإبل فى الناس حتى نظروا إليها، و قال الرّعاء لا نعرفه إلا أنه بمقام، فعرف أنه المنسرح، فأمر ابن هشام بطلبه، و أخذ إخوته و أهل بيته فحبسوا، فسمع، فجاء إلى العامل فقال: حلّ هؤلاء فأنا بغيتك، فحبسه و خلّاهم، و رفعه فى وثاق إلى ابن هشام، و خرج معه بعض أهل بيته، قالوا: فلما قدمنا المدينة جعل يأتينا الرجل الشريف فيسألنا عن السيف، و يقول: أ رأيتم إن خلّصت صاحبكم و ضمنت عنه تأتونى بالسيف، فننكر و لا نقر بشىء من أمر السيف، فتوعّده ابن هشام و سأله أن يقر، فأبى، و كلم أصحابه نفر من بنى مخزوم فى أن يؤخذ صاحبهم بالبينة أو يحلف، فسأل ابن هشام خصمه البينة، فلم يقمها، فأمر بيمينه عند المنبر الشريف.

فلما قرب من المنبر و ذكر له ما يحلف عليه، و اندفع يحلف، شرح الله لسانه فقال:

أحلف بالله لأنا عقرت إبل فلان بيدى، و لقد برئ منها غيرى، فردوه إلى ابن هشام، و ابتدرته قريش كل يقول: علىّ الإبل، طمعا فى السيف، ثم اختلف علماء غنى؛ فقال بعضهم: احتمل ذلك رجل من قريش، و خلى سبيله، و خرج معه رسول للسيف، فطلبه فلم يقدر عليه، و انطلق لسانه من يومئذ فسمى المنسرح.

ثم يلى كبد منى هضب الأشق. هذا آخر ما لخصته من كتاب الهجرى.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۲۳۵

قد تم- بحول الله تعالى، و قوته، و معونته- الجزء الثالث من كتاب «وفاء الوفا، بأخبار دار المصطفى» للعلامة السمهودى، و يليه- إن شاء الله سبحانه- الجزء الرابع، و هو نهاية الكتاب، و مطلعه «الفصل الثامن، فى بقاع المدينة، و أعراضها، و أعمالها، و مضافاتها، و أنديتها، و جبالها، و تلاعها» نسأل الذى لا يعين على الخير سواه أن يمن علينا بإكماله، و يوفقنا بفضله إلى إتمامه؛ إنه ولى ذلك كله، و هو حسبنا و نعم الوكيل.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۲۳۶

فهرس الجزء الثالث

الباب الخامس فى مصلى النبى صلى اللّه عليه و سلم فى الأعياد و غير ذلك من المساجد التى صلى فيها، و فيه سبعة فصول ۳

الفصل الأول فى المصلّى فى الأعياد، و فيه أطراف ۳

أول عيد صلاه النبى بالمصلى ۳

مكان مصلى العيد ۳

تعدد موضع صلاة العيد ۴

المسافة بين مصلى العيد و باب السلام ألف ذراع ۴

تحديد المواضع التى صلى فيها العيد ۵

مصلى العيد بالصحراء ۷

كيف صلى الرسول صلى اللّه عليه و سلم العيد؟ ۹

ذكر من أحدث منبر فى مصلى العيد ۹

أول من خطب قبل صلاة العيد ۱۰

بيان طريقى ذهاب النبى للمصلى و رجوعه ۱۲

الفصل الثانى فى مسجد قباء، و فضله، و خبر مسجد الضّرار ۱۶

تأسيس مسجد قباء ۱۶

ما جاء فى أن الصلاة فيه تعدل عمرة ۱۷

تفضيل الصلاة فى مسجد قباء على بيت المقدس ۱۹

إتيان الرسول صلى اللّه عليه و سلم مسجد قباء ۱۹

المكان الذى كان الرسول يصلى فيه بمسجد قباء ۲۱

تجديد مسجد قباء ۲۴

بيان ما ينبغى أن يزار بقباء من الآثار تتميما للفائدة دار سعد بن خيثمة ۲۶

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۲۳۷

دار كلثوم بن الهدم ۲۶

ما جاء فى بيان طريقه صلى اللّه عليه و سلم إلى قباء ذاهبا و راجعا طريق النبى صلى اللّه عليه و سلم إلى قباء ذاهبا و راجعا ۲۷

ذرع الطريق ۲۷

ما جاء فى مسجد الضّرار مما ينوّه بقدر مسجد قباء بناة مسجد الضرار ۲۸

حرق مسجد الضرار ۲۸

أسماء بناة مسجد الضرار ۲۹

الخلاف فى موضع مسجد الضرار ۳۰

الفصل الثالث فى بقية المساجد المعلومة العين فى زماننا بالمدينة الشريفة و ما حولها ۳۱

مسجد الفضيخ ۳۲

مسجد بنى قريظة ۳۴

مشربة أم إبراهيم ۳۵

مسجد بنى ظفر ۳۶

مسجد الإجابة ۳۸

مسجد الفتح ۳۹

المساجد التى حول مسجد الفتح ۴۳
مسجد بنى حرام الكبير ۴۴
كهف بنى حرام ۴۵
مسجد القبلتين ۴۶
مسجد السقيا ۴۷
مسجد ذباب (الراية) ۴۹
مسجد القبيح ۵۱
مسجد فى ركن جبل عينين ۵۱
مسجد العسكر ۵۲
مسجد أبى ذر الغفارى ۵۳
مسجد أبى بن كعب (بنى جديلة) (البقيع) ۵۴
وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۲۳۸
مساجد المصلى ۵۵
مسجد ذى الحليفة ۵۵
مسجد مقمل ۵۵
الفصل الرابع فى المساجد التى علمت جهتها، و لم تعلم عينها بالمدينة الشريفة مسجد أبى بن كعب ۵۶
مسجد بنى حرام ۵۶
مسجد الخربة ۵۶
مسجد جهينة ۵۶
مسجد بن غفار ۵۷
مسجد بنى زريق ۵۸
مسجدان لبنى ساعدة ۵۸
سقيفة بنى ساعدة ۵۹
مسجد بنى خدارة ۶۰
مسجد راتج ۶۰
مسجد واقم ۶۱
مسجد القرصة ۶۳
مسجد بنى حارثة ۶۳
مسجد الشيخين (البدائع) ۶۳
مسجد بنى دينار ۶۴
مسجد بنى عدى، و مسجد دار النابغة ۶۵
مسجد بنى مازن ۶۵
مسجد بنى عمرو ۶۶

مسجد بقيع الزبير ۶۶

مسجد صدقة الزبير ۶۶

مسجد بنى خدرة ۶۷

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۲۳۹

مسجد بنى الحارث ۶۸

مسجد بنى الحبلى ۶۸

مسجد بنى بياضة ۶۸

مسجد بنى خطمة ۶۹

مسجد بنى أميّة الأوسى ۶۹

مسجد بنى وائل الأوسى ۷۰

مسجد بنى واقف ۷۰

مسجد بن أنيف ۷۱

مسجد دار سعد بن خيثمة ۷۱

مسجد التوبة ۷۲

مسجد النور ۷۲

مسجد عتبان بن مالك ۷۳

مسجد ميثب (صدقة النبى صلى اللّه عليه و سلم) ۷۳

مسجد المنارتين ۷۳

مسجد فيفاء الخبار ۷۴

مسجد بين الجثجاثة و بئر شداد ۷۴

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى؛ ج۳؛ ص۲۳۹

دور التى صلى بها الرسول صلى اللّه عليه و سلم ۷۵

دار الشفاء ۷۵

دار الضمرى ۷۵

دار بسرة ۷۵

دار أم سليم ۷۶

دار أم حرام ۷۶

الفصل الخامس خروج النبى صلى اللّه عليه و سلم ليلا إلى البقيع ۷۷

من فضل البقيع ۷۹

الفصل السادس قبر إبراهيم ابن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم ۸۲

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۲۴۰

قبر عثمان بن مظعون ۸۴

قبر رقية بنت رسول الله صلى اللّه عليه و سلم ۸۵

قبر فاطمة بنت أسد رضى الله تعالى عنها أم على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه ۸۵
القبور التى نزلها الرسول صلى اللّه عليه و سلم ۸۶
قبر عبد الرحمن بن عوف ۸۸
قبر سعد بن أبى وقّاص ۸۸
قبر عبد الله بن مسعود ۸۸
قبر خنيس بن حذاقة السهمى ۸۸
قبر أسعد بن زرارة أحد بنى غنم بن مالك بن النجار ۸۹
قبر فاطمة بنت الرسول صلى اللّه عليه و سلم ۸۹
قبر بعض أبناء الإمام على بن أبى طالب ۹۲
المتوكل يأمر بهدم قبر الحسين بن على ۹۳
قبر ابنها الحسن بن على، و من معه ۹۴
تسمية من دفن مع الحسن ۹۵
دفن على بالبقيع ۹۵
دفن رأس الحسين بن على ۹۵
قبر العباس بن عبد المطلب رضى الله تعالى عنه ۹۵
قبر صفية بنت عبد المطلب رضى الله تعالى عنها ۹۵
قبر أبى سفيان بن عبد المطلب ۹۶
قبر عبد اللّه بن جعفر الطيار ۹۷
قبور أزواج النبى صلى اللّه عليه و سلم، و رضى الله تعالى عنهن ۹۷
قبر أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه ۹۸
قبر سعد بن معاذ الأشهلى رضى الله تعالى عنه ۹۹
قبر أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه ۹۹
بيان المشاهد المعروفة اليوم بالبقيع و غيره من المدينة الشريفة ۹۹
وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۲۴۱
مشهد مالك بن أنس الأصبحى ۱۰۲
مشهد إسماعيل بن جعفر الصادق ۱۰۳
مشهد حمزة ۱۰۴
مشهد مالك بن سنان الخدرى ۱۰۵
مشهد النفس الزكية ۱۰۵
الفصل السابع فى فضل أحد و الشّهداء به ۱۰۶
الأحاديث الواردة فى فضل أحد ۱۰۶
موقع أحد من المدينة المنورة ۱۰۸
وجه تسمية أحد و حبه ۱۰۸

زعموا أن هارون مدفون بأحد ۱۰۹

مزاعم فی مواضع من جبل أحد ۱۱۰

شهادة الرسول صلی اللّه علیه و سلم لشهداء أحد ۱۱۰

زیارة النبی صلی اللّه علیه و سلم و خلفائه قبور الشهداء علی رأس کل حول ۱۱۱

تسمیة شهداء أحد ۱۱۲

سید الشهداء حمزة بن عبد المطلب و مصرعه ۱۱۳

عمرو بن الجموع و عبد اللّه بن عمرو بن حرام ۱۱۴

من دفن بالمدینة من قتلی أحد ۱۱۷

الباب السادس، فی آبارها المبارکات، و فیه خمسة فصول ۱۱۹

الفصل الأول فی آبارها المبارکات ۱۱۹

من فضل بئر أریس ۱۲۲

ذرع بئر أریس ۱۲۳

بئر الأعواف، أحد صدقات النبی صلی اللّه علیه و سلم الآتیة ۱۲۴

ضبط بیرحاء ۱۳۴

تتمة ۱۴۷

عین کهف بنی حرام ۱۴۷

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفی، ج۳، ص: ۲۴۲

الفصل الثانی فی صدقاته صلی اللّه علیه و سلم، و ما غرسه بیده الشریفة ۱۵۰

أصل صدقات الرسول صلی اللّه علیه و سلم ۱۵۰

أسماء صدقات الرسول صلی اللّه علیه و سلم و مواضعها ۱۵۰

وقف الرسول صلی اللّه علیه و سلم أمواله ۱۵۱

تحدید مواضع الصدقات و المعروف منها ۱۵۳

طلب فاطمة من أبی بکر صدقات أبیها ۱۵۵

الفصل الثالث فیما ینسب إلیه صلی اللّه علیه و سلم من المساجد التی بین مکة و المدینة، بالطریق التی کان یسلکها صلی اللّه علیه و سلم، و هی طریق الأنبیاء علیهم الصلاة و السلام ۱۵۹

مسجد الشجرة (ذی الحلیفة) ۱۵۹

مسجد آخر بذی الحلیفة ۱۶۱

مسجد المعرس ۱۶۱

مسجد شرف الروحاء ۱۶۳

مسجد عرق الظبیة ۱۶۴

مسجد آخر بالروحاء ۱۶۵

مسجد المنصرف (الغزالة) ۱۶۵

مسجد الرویثة ۱۶۶

مسجد ثنية ركوبة ۱۶۶

مسجد الأثاية ۱۶۷

مسجد العرج ۱۶۷

مسجد المنبجس ۱۶۸

مسجد لحى جمل ۱۶۸

مسجد السقيا ۱۶۹

مسجد مدلجة تعهن ۱۶۹

مسجد الرمادة ۱۶۹

مسجد الأبواء ۱۷۰

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۲۴۳

مسجد البيضة ۱۷۰

مسجد عقبة هرشى ۱۷۰

مسجد الجحفة ۱۷۰

مسجد غدير خم ۱۷۰

مسجد طرف قديد ۱۷۱

مسجد عند حرة خليص ۱۷۱

مسجد خليص ۱۷۱

مسجد بطن مر الظهران ۱۷۱

مسجد سرف ۱۷۲

مسجد التنعيم ۱۷۲

عمرات الرسول صلى اللّه عليه و سلم ۱۷۳

مسجد ذى طوى ۱۷۳

الفصل الرابع، فى بقية المساجد التى بين مكة و المدينة ۱۷۴

دية المستعجلة ۱۷۴

شعب سير ۱۷۴

ذكر عدة مساجد ۱۷۵

مسجد ذفران ۱۷۵

مسجد الصفراء ۱۷۶

مسجد ثنية مبرك ۱۷۶

مسجد بدر ۱۷۶

مسجد العشيرة ۱۷۶

مساجد الفرع ۱۷۷

مسجد الضيقة ۱۷۷

مسجد مقمل ۱۷۷

الفصل الخامس فى بقية المساجد و المواضع المتعلقة به صلى اللّه عليه و سلم ۱۷۸

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۲۴۴

مسجد العصر ۱۷۸

مسجد الصهباء ۱۷۸

مسجدان قرب خيبر ۱۷۸

مسجد بين الشق و نطاة ۱۷۸

مسجد شمران ۱۷۸

مساجد تبوك ۱۷۹

مسجد الكديد ۱۸۱

مسجد الشجرة بالحديبية ۱۸۱

مسجد ذات عرق ۱۸۱

مسجد الجعرانة ۱۸۱

مسجد لية ۱۸۲

مسجد الطائف ۱۸۲

الباب السابع فى أوديتها، و أحمائها، و بقاعها، و جبالها، و أعمالها، و مضافاتها، و مشهور ما فى ذلك من المياه و الأودية، و ضبط أسماء الأماكن المتعلقة بذلك، و فيه ثمانية فصول ۱۸۵

الفصل الأول فى فضل وادى العقيق، و عرصته، و حدوده ما ورد من الأحاديث فى فضل وادى العقيق ۱۸۵

حد العقيق ۱۸۶

الفصل الثامن فى أقطاعه، و ابتناء القصور به، و طريف أخبارها ۱۸۸

رسول الله صلى اللّه عليه و سلم يقطع بلالا العقيق ۱۸۸

خبر قصر عروة، و بئره ۱۸۹

قصر المغيرة ۱۹۴

قصر عنبسة بن عثمان بن عفان ۱۹۴

قصر عنبسة بن سعيد بن العاص ۱۹۵

قصر أبى بكر الزبيرى المعروف بالمستقر ۱۹۶

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۲۴۵

قصر عبد اللّه بن أبى بكر العثمانى ۱۹۶

جملة من القصور و الآبار ۱۹۷

الفصل الثالث فى العرصة و قصورها، و شىء مما قيل فيها و فى العقيق من الشعر ۱۹۷

الفصل الرابع فى جماواته، و أرض الشجرة، و ثنية الشريد و غيرها من جهاته ۲۰۴

جماء أم خالد ۲۰۴

جماء العاقر (العاقل) ۲۰۵

ثنية الشريد ۲۰۶
خاتمة فى سرد ما يدفع فى العقيق من الأودية، و ما به من الغدران ۲۰۷
الفصل الخامس فى بقية أودية المدينة، و صدورها، و مجتمعها، و مغايضها ۲۰۹
وادى بطحاء ۲۰۹
وادى رانونا ۲۱۰
وادى قناة ۲۱۱
وادى مذينب ۲۱۲
وادى مهزور ۲۱۳
تتمة فيما قضى به النبى صلى اللّه عليه و سلم فى هذه الأودية ۲۱۵
قضاؤه بين رجل من الأنصار و الزبير ۲۱۵
خاتمة فى مجتمع الأودية و مغائضها ۲۱۶
مجتمع سيول العالية ۲۱۶
الفصل السادس فيما سمى من الأحماء، و من حماها، و شرح حال حمى النبى صلى اللّه عليه و سلم ۲۱۷
معنى الحمى ۲۱۷
حمى النقيع ۲۱۸
حكم الحمى ۲۲۰
حمى أبى بكر و عمر ۲۲۱
الفصل السابع فى شرح حال بقية الأحماء، و أخبارها ۲۲۳
حمى الشرف ۲۲۳
وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۳، ص: ۲۴۶
حمى الربذة ۲۲۳
حمى ضرية ۲۲۴
حمى فيد ۲۳۱
كبد منى ۲۳۳

الجزء الرابع

اشارة

وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى صلى اللّه عليه و سلم تأليف الشّيخ العلّامة نور الدّين على بن أحمد السّمهودى المتوفى ۹۱۱ ه اعتنى به و وضع حواشيه خالد عبد الغنى محفوظ الجزء الرّابع

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۳

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

الحمد للّه الذى اختار رسوله محمدا صلى اللّه عليه و سلم من أطيب الأرومات، و الصلاة و السلام الأتمّان الأكملان على أشرف

الكائنات، و على آله و صحبه الذين فدوه بالأنفس و الأموال و بالآباء و الأمهات، و على من اتبعه و اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۵

[تتمة الباب السابع فى أودية المدينة و أحمائها و بقاعها]

الفصل الثامن فى بقاع المدينة، و أعراضها، و أعمالها

اشارة

، و مضافاتها، و أنديتها، و جبالها، و تلاعها، و مشهور ما فى ذلك من الآبار، و المياه، و الأودية، و ضبط أسماء الأماكن المتعلّقة بذلك و بالمساجد و الآطام و الغزوات، و شرح حال ما يتعلق بجهات المدينة و أعمالها من ذلك، على ترتيب حروف الهجاء الأول فالأول، و ربما اعتبرت فى المركّب المضاف إليه لشهرته، و هذا مما لا يستغنى عنه لعظم نفعه خصوصا للمشتغل بالحديث و اللغة، و قد اعتنى به المجد فى كتابه «المغانم» و لخصت كلامه، مع حذف ما لا تدعو الحاجة إليه، و زيادة ما هو أولى، و ميّزت ما زدته من الأسماء برقم (ز) على ذلك الاسم، فنقول:

حرف الألف

آرام:

جبل بنواحى الرّبذة، كأنه جمع إرم، و هى حجارة تنصب كالعلم، و فيه يقول شاعر:

ألا ليت شعرى هل تغيّر بعدنا أروم فارام فشابه فالحضر

و هل تركت أبلى سواد جبالها و هل زال بعدى عن قنينته الحجر

و جبل آخر بين مكة و المدينة، و ذو آرام: حزم به آرام جمعتها عاد على عهدها، قاله ياقوت، و قال أبو زيد: من جبال الضّباب ذات آرام قنّة سوداء فيها يقول القائل:

تحلت ذات آرام و لم تخل عن مصر

آرة:

جبل كبير لمزينة فوق رأس قدس مما يلى الفرع، قال مزرد لكعب بن زهير بن أبى سلمى يعزوه إلى مزينة و يذكر مكانه من بنى عبد الله بن غطفان:

و أنت امرؤ من أهل قدس و آرة أحلّك عبد الله أكناف مبهل

و مبهل لعبد الله بن غطفان.

و قال عرّام: و آرة يقابل قدسا الأسود من أشمخ الجبال، تخر من جوانبه عيون على كل عين قرية، فمنها الفرع قرية كبيرة، و أم العيال صدقة فاطمة الزهراء، و المضيق قرية قريبة

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۶

كبيرة أيضا، و المحضة و الوبرة و الخضرة و الفعوة، و فى كلها نخيل و مزارع، و أوديتها تصبّ فى الأبواء ثم فى ودّان، و يسمى وادى آرة حقيل و به قرية يقال لها و بعان، و خلف آرة واد فيه قرى، انتهى.

آنقة:

تقدم فيما يدفع فى العقيق من الأودية.

أبار، و أبير:

بالضم، و الثانى مصغر- من أودية الأجرد، يصبان فى ينبع.

أبرق خترب:

بحمى ضريّة به معدن فضة كثير النيل.

أبرق الداث:

بالحمى أيضا، و سيأتى شاهده فى جبلة، و الداث واد عظيم بين أعلاه و بين ضرية نحو ثمانية أميال.

أبرق العزّاف:

بعين مهملة ثم زاى مشددة آخره فاء، بين المدينة و الرّبذة على عشرين ميلا منها، به آبار قديمة غليظة الماء، و سيأتى فى العزّاف أنه سمى بذلك لأنه كان يسمع به عزيف الجن، أى صوتهم.

و روى ابن إسحاق أن خريم بن فاتك قال لعمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه: أ لا أخبرك ببدء إسلامى؟ بينا أنا فى طلب نعم لى و مضى الليل بأبرق العزاف، فناديت بأعلى صوتى: أعوذ بعزيز هذا الوادى من سفهائه، و إذا هاتف يهتف بى:

عذ يا فتى بالله ذى الجلال و المجد و النّعماء و الإفضال

و اقرأ بآيات من الأنفال و وحّد الله و لا تبال

فرعت من ذلك روعا شديدا، فلما رجعت إلى نفسى قلت:

يا أيها الهاتف ما تقول أرشد عندك أم تضليل

بيّن لنا هديت ما السّبيل

قال فقال:

هذا رسول الله ذى الخيرات يدعو إلى الخيرات و النجاة

يأمر بالصّوم و بالصّلاة و نزع الناس عن الهناة

ثم ذكر شعرا آخر و مجيئه إلى النبى صلى اللّه عليه و سلم و إسلامه.

و الأبارق كثيرة، و هو لغة: الموضع المرتفع ذو الحجارة و الرمل و الطين.

أبلى:

كحبلى، قال عرّام بعد ذكر الحجر و الرحضية: ثم يمضى نحو مكة مصعدا فيميل إلى واد يقال له عريفطان حذاء جبال يقال لها أبلى، ثم ذكر مياهها الآتية و أنها لبنى سليم.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۷

قلت: هى معروفة اليوم بين السّوارقية و الرحضية، على نحو أربعة أيام من المدينة.

و عن الزهرى: بعث رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم قبل أرض بنى سليم، و هو يومئذ ببئر معاوية بجرف أبلى، و أبلى بين الأرحضية و قران، كذا ضبطه أبو نعيم.

الأبواء:

بالموحدة كحلواء ممدود، تقدم بيانه فى مسجد الرّمادة و مسجد الأبواء.

و سئل كثير عزة: لم سميت الأبواء؟ قال: لأنهم تبوؤها منزلا، و قيل: لأن السيول تبوأتها، و قال المجد: هى قرية من عمل الفرع، بينها و بين الجحفة مما يلى المدينة ثلاثة و عشرون ميلا؛ فتكون على خمسة أيام من المدينة، و قيل: الأبواء جبل عن يمين آرة و يمين الطريق للمصعد إلى مكة، و هناك بلد تنسب إلى ذلك الجبل، و هو بمعنى قول الحافظ ابن حجر: الأبواء جبل من عمل الفرع سمى به لوبائه على القلب، و قيل: لأن السيول تتبوأه أى تحلّه.

قلت: و يجمع بأنه اسم للجبل و الوادى و قريته، و له ذكر فى حديث الصّعب بن جثّامة و غيره، و به قبر أم رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم، و ذلك أن أباه صلى اللّه عليه و سلم خرج إلى المدينة يمتار تمرا فمات بها، فكانت زوجته آمنة تخرج كل عام تزور قبره، فلما أتى لرسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم ستّ سنين خرجت به و معها عبد المطلب و قيل: أبو طالب- و أم أيمن، فماتت فى منصرفها بالأبواء، و فى رواية أن قبرها بمكة.

و قال النووى: إن الأول أصح.

الأتمة:

أتمة عبد اللّه بن الزبير، تقدمت فى أودية العقيق، قال الهجرى: الأتمة بساط واسع ينبت عصما للمال، تدفع على حضير، و بها بئر تعرف بابن الزبير، كان الأشعث المدنى يلزمها و يتخذ بها المال، فاقتنى ماشية كثيرة.

أثال:

بالضم آخره لام، واد يصب فى وادى الستارة المعروف بقديد، يسيل فى وادى خيمتى أم معبد، قاله ياقوت.

الأثايۀ:

مثلث الهمزۀ، و بالمثناۀ التحتيۀ قبل الهاء، و اقتصر المجد هنا كعياض على ضم الهمزۀ و كسرها، و رجح فى فضل المساجد الفتح كما تقدم مع بيانه فى مسجد الأثايۀ.

و تقدم فى الفضائل حديث أن النبى صلى اللّه عليه و سلم «كان إذا اقبل من مكۀ فكان بالأثايۀ طرح رداءه و قال: هذه أرواح طيبۀ» و فى الموطأ فى حديث خروجه صلى اللّه عليه و سلم إلى مكۀ «ثم مضى حتى إذا كان بالأثايۀ بين الرويثۀ و العرج إذا ظبى حاقف فى ظل، فيه سهم، فأمر رجلا أن يقف عنده لا يريبه أحد من الناس حتى يجاوزه».

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۸

الأثبۀ:

محركۀ- واحدۀ الأثب للشجر المعروف، و تقدم فى غدران لعقيق ذو الأثبۀ، و فيه يقول أبو وجزۀ:

قصدن رياض ذى أثب مقيلا و هنّ روائح عين العقيق

و قال الهجرى فى حمى النقيع: و فى شرقى الحرۀ مثلثان نقى ماؤهما، و هما أثب و أثيب، و قال فى ترتيب مجراه و غدرانه ما لفظه: ثم الأثبۀ، و بها غدير يسمى الأثبۀ، و به سميت، و به مال لعبد الله بن حمزۀ الزبيرى، و نخل ليحيى الزبيرى.

الأثيفيۀ:

بضم أوله و فتح ثانيۀ و سكون المثناۀ التحتيۀ و كسر الفاء بعدها مثناۀ تحتيۀ مخففۀ موضع بعقيق المدينۀ، قاله الصّغانى، و تقدم فى أوديته ذو أثيفيۀ.

الأثيل:

تصغير الأثل موضع بين بدر و الصفراء، به عين لآل جعفر بن أبى طالب، و يقال: ذو أثيل، قال ابن السكيت: إنه بتشديد الياء، قتل عنده النبىّ صلى اللّه عليه و سلم النّضر بن الحارث بن كلدۀ منصرفه عن بدر، فقالت بنته قتيلۀ ترثيه و تمدح النبى صلى اللّه عليه و سلم:

يا راكبا إنّ الأثيل مظنّۀ من صبح خامسۀ و أنت موفّق

بلّغ به ميتا هناك تحيۀ ما إن تزال بها الركائب تخفق

ظلت سيوف بنى أبيه تنوشه لله أرحام هناك تشقّق

أ محمد و لأنت نجل نجيبۀ فى قومها و الفحل فحل معرق

ما كان ضرّك لو مننت و ربّما منّ الفتى و هو المغيظ المحنق

فلما سمع رسول الله صلى اللّه عليه و سلم شعرها رقّ لها و قال: لو سمعته قبل قتله لوهبته لها.

قال الواقدى: و يقال صلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم مرجعه من بدر العصر بالأثيل، فلما صلى ركعۀ تبسم، فلما سئل عن ذلك

قال: مرّ بى ميكائيل عليه السلام و على جناحه النقع، فتبسم إلىّ و قال: إنى كنت فى طلب القوم.

و الأثيل:

موضع آخر فى ذلك الصقع أكثره لبنى ضمرة من كنانه.

ذات أجدال:

موضع بمضيق الصفراء.

الأجرد:

أطم لبنى خدرة عند البصة، و جبل لجهينة شامى بواط الجلسى يأتى مع الأشعر، و الأجرد جبل آخر، و موضع قبل مدلجة تعهن.

أجش:

بفتح الهمزة و الجيم و تشديد الشين المعجمة أطم لبنى أنيف بقباء.

الأجفر:

بفتح الهمزة و الفاء، موضع بين الخزيمية و فيد.

أجم بنى ساعدة

بضم أوله و ثانيه، أطم كان لهم قرب ذباب، و آجام المدينة و آطامها:

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۹

حصونها، و قال ابن السكيت: أجم حصن بناه أهل المدينة، و كل بيت مربع مسطح أجم.

أحامر:

بضم أوله، قال عرّام: و حذاء أبلى جبل يقال له ذو الموقعة من شرقيها، و هو جبل معدن بنى سليم، و حذاءه عن يمينه قبل القبلة جبل يقال له أحامر، و قال ياقوت فى كتابه المشترك: أحامر البغيبغة جبل أحمر من جبال حمى ضرية.

أحباب:

جمع حبيب، بلد فى جنب السوارقية.

أحجار الزيت:

عند الزوراء، قال ياقوت: هو موضع كان فيه أحجار علت عليها الطريق فاندفنت.

و قال ابن جبير: هو حجر موجود يزار، يقال: إن الزيت رشح للنبى صلى اللّه عليه و سلم منه، و هو موضع صلاة الاستسقاء، و سبق فيمن ذكر أنه نقل من شهداء أحد أن مالك بن سنان دفن عند أصحاب العباء.

قال ابن زبالة فى روايته: و هناك كانت أحجار الزيت و مشهد، مالك بن سنان معروف؛ فأحجار الزيت عنده كما يعلم من أطراف كلام ابن شبة بالزوراء من سوق المدينة.

قال: و حدثنا محمد بن يحيى عن ابن أبى فديك قال: أدركت أحجار الزيت ثلاثة مواجهة بيت أم كلاب، قال: و تعرف اليوم ببيت بنى أسد، فعلا الكبس الحجارة فاندفنت.

و عن هلال بن طلحة العمرى أن حبيب بن سلمة كتب إليه أن كعبا سألنى أن أكتب له إلى رجل من قومى عالم بالأرض، فلما قدم كعب المدينة جاءنى بكافية، فقال: أ عالم أنت بالأرض؟ قلت: نعم، قال: إذا كان بالغداة فاغد علىّ، فجئته حين أصبحت، فقال: أ تعرف موضع أحجار الزيت؟ قلت: نعم، و كانت أحجارا بالزّوراء يضع عليها الزياتون رواياهم، فأقبلت حتى جئتها، فقلت: هذه أحجار الزيت، فقال كعب: لا، و اللّه ما هذه صفتها فى كتاب اللّه، انطلق أمامى فإنك أهدى بالطريق منى، فانطلقنا حتى جئنا بنى عبد الأشهل، فقال: إنى أجد أحجار الزيت فى كتاب اللّه هنا، فسل القوم عنها، فسألتهم عنها، و قال: إنها ستكون بالمدينة ملحمة عندها.

قلت: فأحجار الزيت موضعان؛ فالأول هو المراد بحديث أبى داود و اللفظ له و الترمذى و الحاكم و ابن حبان فى صحيحه عن عمير مولى آبى اللحم أنه رأى النبى صلى اللّه عليه و سلم يستسقى عند أحجار الزيت قريبا من الزوراء، قائما يدعو يستسقى رافعا يديه قبل وجهه، و فى رواية عن محمد بن إبراهيم أخبرنى من رأى النبى صلى اللّه عليه و سلم يدعو عند أحجار الزيت باسطا

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۱۰

كفيه، و الموضع الثانى الذى عنى كعب الأحبار بمنازل بنى عبد الأشهل بالحرة، و به كانت واقعة الحرة، و لعله المراد بحديث: يا أبا ذر، كيف بك إذا رأيت أحجار الزيت قد غرقت فى الدم؟ قال: قلت: ما خار اللّه و رسوله، قال: عليك بمن أنت معه، و فى رواية لأبى داود: عليك بمن أنت منه، و فى رواية لابن ماجة: كيف أنت.

و قيل: يصلب الناس حتى تغرق أحجار الزيت بالدم، و يحتمل أن يكون المراد من ذلك الموضع الأول، و هو مقتضى قول بعضهم عقب إيراد الحديث المذكور: إن ذلك وقع فى مقتل محمد الملقب بالنفس الزكية عند أحجار الزيت كما سبقت الإشارة إليه فى ذكر مشهده، و قال المرجانى: إن بالحرة قطعة تسمى أحجار الزيت لسواد أحجارها كأنها طليت بالزيت، و هو موضع كان يستسقى فيه رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم، انتهى.

قلت: اشتبه عليه أحد الموضعين بالآخر؛ لأن الاستسقاء إنما كان بالموضع الذى بقرب الزوراء كما سبق.

أحجار المراء:

بقباء، قاله المجد، و سبق ذكره فى منازل بنى عمرو بن عوف، و فى نهاية ابن الأثير فيه أنه صلى اللّه عليه و سلم كان يلقى جبريل بأحجار المراء قال مجاهد: هى قباء.

أحد:

بضمتين، تقدم مع فضائله فى سابع فصول الباب الخامس.

الأحياء:

جمع حى من أحياء العرب، اسم ماء أسفل من ثنية المرة برابغ، به سرية عبيدة بن الحارث بن المطلب.

الأخارج:

من جبال بنى كلاب بجهة ضرية.

أخزم:

بالزاى كأحمد- جبل بين ملل و الروحاء، و يعرف اليوم بخزيم، قال ابن هرمة:

بأخزم أو بالمنحنى من سويقة ألا ربّما قد ذكر الشوق أخزم

الأخضر:

بالفتح و الضاد المعجمة، منزل قرب تبوك نزله رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فى مسيره إليها.

أدية

قنّة سوداء على ستة عشر ميلا من فيد.

أذاخر:

جمع إذخر، من أودية المدينة كما تقدم فى الفصل الخامس، و موضع قرب مكة ينسب إليه نبت أذاخر.

أذبل:

كأحمد، أطم ابتناه سالم و غنم عند الأراكة بدار بنى سالم.

أرابن:

بالضم ثم الفتح و كسر الموحدة ثم نون، منزل على قفا مبرك، ينحدر من جبل جهينة على مضيق الصفراء، قال كثير:

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۱۱

و ذكرت عزّة إذ تصاقب دارها برحيّب فأرابن فنخال

أراك:

جبل يفضى عنده سيول إضم إلى البحر.

أرثد:

بالمثلاثة و الدال المهملة كأحمد واد فى الأبواء، قال كثير:

و إن شفائى نظرة إن نظرتها إلى ثافل يوما و خلفى شنائك

و أن تبرز الخيمات من بطن أرثد لنا و جبال المرختين الدكادك

و قال آخر:

أ لم تسأل الخيمات من بطن أرثد إلى النخل من ودّان ما فعلت نعم

تشوّقنى بالعرج منها منازل و بالخبت من أعلى منازلهم رسم

أرجام:

بالفتح ثم السكون و بالجيم، جبل قرب المدينة.

الأرحضية:

بحاء مهملة و ضاد معجمة و مثناة تحتية مشددة، قرية للأنصار و بنى سليم، بها آبار و مزارع كثيرة، و حذاءها قرية يقال لها الحجر، قاله عرام، و منه أخذ المجد قربها من أبلى لما تقدم فيها، و تعرف اليوم بالرحضية بضم الراء و كذا هو فى نسخة لعرّام، و كذا أعادها المجد فى الراء كما سيأتى، و ذكر الأسدى أنها فى وسط الطريق بين المدينة و معدن بنى سليم على نحو خمسين ميلا من كل منهما، و أن الرشيد كان يسلك هذه الطريق فى رجوعه من المدينة، و سماها الأرحضية.

أرض جابر:

التى عرض على غرمائه، بطريق رومة، تقدمت فى بئر القرّاصة.

أروى:

جمع أروية لأنثى الوعول، اسم ماء لفزارة قرب العقيق عند الحاج، قال شاعرهم:
و إن بأروى معدنا لو حفرته لأصبحت غنيانا كثير الدراهم

أروم:

جبل سبق فى حمى الربذة، و شاهده فى أراك.

أريكة:

كجهينة، موضع غربى حمى ضرية، كان مصدّق المدينة أول ما ينزل عليه.

أسقف:

جبل بطرف رابوع، و شاهده خاخ.

الأسواف:

بالفتح آخره فاء، موضع شامى البقيع، سبق فى مساجد المدينة، قال ابن عبد البر: به صدقة زيد بن ثابت، و فى طبقات ابن سعد عن خارجة بن زيد عن أبيه زيد بن ثابت أن عمر بن الخطاب كان يستخلفه على المدينة، فقلّ سفر يرجع إلا أقطع له حديقة من نخل، قال أبو الزياد: فكنا نتحدث أن الأساويف مما كان عمر أقطعه له.
قلت: و بعض الأسواف بيد طائفة من العرب بالتوارث يعرفون بالزيود، فلعلهم ذرية زيد بن ثابت.
وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۱۲
و فى الأوسط للطبرانى عن جابر قال: خرج رسول الله صلى اللّه عليه و سلم زائرا لسعد بن الربيع الأنصارى، و منزله بالأسواف، فبسطت امرأته لرسول الله صلى اللّه عليه و سلم تحت سور من نخل، فجلس و جلسنا معه، فقال لى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: يطلع الآن عليكم رجل من أهل الجنة، فطلع أبو بكر، ثم قال: يطلع عليكم رجل من أهل الجنة، فطلع عمر، ثم قال: يطلع عليكم رجل من أهل الجنة، فطلع عثمان.
و عن أبى سعيد الخدرى أن النبى صلى اللّه عليه و سلم جلس على بئر بالأسواف، و أدلى رجليه فيها، و ذكر مجيء أبى بكر ثم عمر

ثم عثمان، كما فى حديث بئر أريس، و أنه صلى اللّه عليه و سلم أمر بلالا أن يؤذن لكل منهم، و يبشره بالجنة.

و روى الواقدى عن جابر أن امرأة سعد بن الربيع بعد أن قتل بأحد و قبض أخوه ماله قبل نزول الفرائض كانت بالأسواف، فصنعت طعاما، ثم دعت رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، و أنه صلى اللّه عليه و سلم قال: قوموا بنا، فقمنا معه و نحن عشرون رجلا، انتهينا إلى الأسواف، فدخل رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و دخلنا معه، فنجدها قد رشّت ما بين سورين و طرحت خفعة، قال جابر: ما ثمّ وسادة و لا بساط، و إن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قال: يطلع عليكم رجل من أهل الجنة، فتراءينا من يطلع، فطلع أبو بكر، فقمنا فبشّرناه ثم سلم فردّوا عليه، ثم جلس، ثم قال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: يطلع عليكم رجل من أهل الجنة، فتراءينا من خلال السّعف من يطلع، فطلع عمر، فقمنا فبشرناه، فسلم ثم جلس، ثم قال: يطلع عليكم رجل من أهل الجنة، فنظرنا من خلال السّعف فإذا على بن أبى طالب قد طلع، فبشرناه بالجنة، ثم جاء فجلس، ثم أتى بالطعام، فأتى بقدر ما يأكل رجل واحد أو اثنان، فوضع رسول الله صلى اللّه عليه و سلم يده فيه فقال: كلوا باسم الله، فأكلنا منها حتى نهلنا و ما أرانا حركنا منها شيئا، ثم قال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: ارفعوا هذا الطعام، فرفعوه، ثم أتينا برطب فى طبق باكورة قليل، فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: باسم الله كلوا، فأكلنا حتى نهلنا و إنى لأرى فى الطبق نحوا مما أتى به، و جاءت الظهر فصلى بنا رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و لم يمس ماء، ثم رجع إلىّ فتحدث، ثم جاءت العصر فأتى ببقية الطعام نتتبّع به، فقام النبى صلى اللّه عليه و سلم فصلى بنا العصر و لم يمس ماء، ثم قامت امرأة سعد بن الربيع فقالت: يا رسول الله إن سعد بن الربيع قتل بأحد، و ذكر قصتها فى أخذ أخيه لماله، و نزول الفرائض بعد ذلك، و أن ابنة سعد بن الربيع كانت زوج زيد بن ثابت، و هى أم ابنه خارجة بن زيد، و كانت يومئذ حاملا.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۱۳

أشاقر:

جبال بين مكة و المدينة.

الأشعر:

جبل جهينة، ينحدر على ينبع، قال الهجرى: وجدت صفة الجبلين الأشعر و الأجرد جبلى جهينة و من أخذ من قريش بذلك أرضا، فنقلته للحديث الذى جاء فيهما عن النبى صلى اللّه عليه و سلم فى الأمان من الفتن.

و قال الأشعرى: يحده من شقه اليمانى وادى الروحاء، و يحده من شقه الشامى بواطان، و تقدم فى فضل أحد حديث «خير الجبال أحد و الأشعر و ورقان»

الأشنف:

أطم يواجه مسجد الخربة.

الأشيق:

بمشاة تحتية يضاف إليه هضب الأشيق، و العقيليون يقولون: الشفيق، تقدم فى حمى فيد، و هو بلد سهل كأن ترابه الكافور الأبيض، و أفضل مياهه الريان ثم عرفجا.

أضاة بنى غفار:

بالضاد المعجمة و القصر كحصاة، مستنقع الماء، قال فى المشارق:

هو موضع بالمدينة، و فيه حديث أن جبريل عليه السلام لقى النبىّ صلى اللّه عليه و سلم عند أضاة بنى غفار، انتهى. و لعله فيما تقدم من منازل بنى غفار، لكن سيأتى فى تناضب ما يقتضى أنه بقرب مكة.

أضاخ:

كغراب، آخره معجمة، و قد تبدل همزته واوا، سوق على ليلة من عرفجا.

أضافر:

جمع ضفيرة، و هى الحقف من الرمل، اسم ثنايا سلكها النى صلى اللّه عليه و سلم بعد ارتحاله من ذفران يريد بدرا، و ذو الأضافر: هضبات على ميلين من هرشى، و يقال لهن الأضافر أيضا.

إضم:

جمع صفيرة، و هى الحقف من الرمل، اسم ثنايا سلكها النبى صلى اللّه عليه و سلم بعد ارتحاله من ذفران يريد بدرا، و ذو الأضافر: هضبات على ميلبن من هرشى، و يقال لهن الأضافر أيضا.

إضم:

كعنب، قال المجد: اسم الوادى الذى فيه المدينة، و الصواب فيه ما تقدم فى خاتمة الفصل الخامس فى الأودية، و يوافقه قول الهجرى: أول إضم مجتمع الأسيال، و إياه عنى الأحوص بقوله:

يا واقد النار بالعلياء من إضم أوقد فقد هجت شوقا غير منصرم

قال: و بإضم أموال زعاب على عيون، و إنما سمى إضما لانضمام السيول به.

قلت: و يسمى اليوم بالضيقة، و بهذا الوادى جبل يسمى بإضم كما تقدمت الإشارة إليه، و فى قاموس المجد: إضم جبل، و الوادى الذى فيه المدينة النبوية عند المدينة يسمى قناة، و من أعلى منها عند السد الشّظاة، ثم ما كان أسفل من ذلك يسمى إضما، انتهى.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۱۴

و عبارة ياقوت فى المستدرك له: إضم واد فى المدينة، و يسمى عند المدينة القناة، إلى آخره.

و روى البيهقى خبرا فى مصارعته صلى اللّه عليه و سلم ركانة يتضمّن أن ركانة كان يرعى غنما له فى واد يقال له إضم، فخرج النبى صلى اللّه عليه و سلم من بيت عائشة رضى الله تعالى عنها إلى ذلك الوادى، و ذكر قصة المصارعة به.

و بطن إضم كما فى طبقات ابن سعد فى سرية أبى قتادة إلى بطن إضم: ما بين ذى خشب و ذى المروة، بينها و بين المدينة ثلاثة برد.

الأطول:

أطم بمنازل بنى عبيد عند مسجد الخربة من القبلة.

أعشار:

من أودية العقيق، و تقدم نزوله صلى اللّه عليه و سلم بكهف أعشار فيه.

أعظم:

بضم الظاء المعجمة، جمع عظم، جبل كبير شمالى ذات الجيش، قاله المجد، و فى خط المراغى بفتح الهمزة و الظاء معا، و يقال فيه عظم بفتحتين- و هو المعروف بين أهل المدينة، و الموجود فى كلام الزبير، قال: و فيه يقول عامر الزبيرى:

قل للذى رام هذا الحىّ من أسد رمت الشّوامخ من عير و من عظم

و فى أبيات الهمزة فى كتاب الهجرى عن محمد بن قليع عن أشياخه قالوا: ما برقت السماء قط على عظم إلا استهلت. و كانوا يقولون: إن على ظهره قبر نبى أو رجل صالح، قال: و أنا أقول: إن عظم من منزلى إذا بدوت فى ضيعتىّ بالتثنية- بحيث يناله دعائى، فقلما أصابنا مطر إلا كان عظم أسعد جبالنا به و أوفرها حظا.

أعماد:

أربعة آطام بين المذاد و الدّويخل، جبل بنى عبيد، بعضها لبنى عبيد، و بعضها لبنى حرام من بنى سلمة.

الأعواف:

و يقال العواف، إحدى صدقات النبى صلى اللّه عليه و سلم و آباره المتقدمة.

الأعوص:

بالعين و الصاد المهملتين، موضع شرقى المدينة بطرف الطريق بين بئر السائب و بئر المطلب، به أبيات و آبار، سمى بذلك لأن رجلا من بنى أمية أراد أن يستخرج به بئرا، فاعتاصت عليه، و كان يسكنه إسماعيل بن عمرو بن سعيد الأشدق، و إياه عنى عمر بن عبد

العزيز بقوله: لو كان لى أن أعهد ما عدوت أحد الرجلين: صاحب الأعوص أو أعمش بنى تميم، يعنى القاسم بن محمد.

الأغلب:

بالغين المعجمة، أطم لبنى سواد، تقدم فى منازلهم.
وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۱۵

أفاعية:

كمجاهدة بعين مهملة مكسورة، منهل لسليم فى الطريق النجدى إلى مكة، على ستة و عشرين ميلا و نصف من معدن بنى سليم، و ذكر الأسدى ما فيها من البركة، و الآبار، قال: و هى لقوم من ولد الصديق و ولد الزبير رضى الله تعالى عنهما و قوم من قيس.

الأفراق:

قال فى المشارق: بفتح الهمزة و بالفاء عند كافة شيوخنا كأنه جمع فرق، و ضبطه بعضهم بالكسر، موضع من أموال المدينة و حوائطها، و بالفتح ذكره البكرى.

الأفلس:

قال الهجرى: إذا أفضى سيل العقيق من قاع البقيع خرج إلى قرادة أفلس قاع لا شجر فيه، و أرضه بيضاء كالمرآة، لها حس تحت الحافر.

الأقعس:

جبل تقدم بحمى ضرية.

الأكحل:

ذكره صاحب «المسالك و الممالك» فى توابع المدينة و تخاليفها، فكان به مال لعاصم بن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنهما، و سبق فى الفصل السادس أن الطريق إلى سنانة و إلى القرينين جند و الأكحل يعترض حمى النقيع يسارا للخارج من المدينة إلى ذلك.

ألاب:

كسراب، قال المجد: شعبة واسعة من ديار مزينة.

قلت: هو واد معروف عده الهجرى فى أودية الأشعر، و قال: يلتقى مع مضيق الصفراء أسفل من عين العلا.

ألبن:

بالفتح ثم السكون و بموحدة مفتوحة على الأفصح، كما سيأتى فى يلبن بإبدال الهمزة مثناة تحتية.

ألهان:

بالفتح و سكون اللام، موضع كان لبنى قريظة.

أم العيال:

سبق فى آرة، عن عرام أنها صدقة فاطمة الزهراء رضى الله تعالى عنها، و أنها عين عليها قرية هناك، و قال ابن حزم، هى عين لجعفر بن طلحة بن عبيد الله التيمى، أنفق عليها مائتى ألف دينار، و كانت تسقى أزيد من عشرين ألف نخلة.

أمج:

بالجيم و فتحتين، بلد من أعراض المدينة، قاله المجد، قال: و قال أبو المنذر بن محمد: أمج و عران واديان يأخذان من حرة بنى سليم، و يفرغان فى البحر.

قلت: ذكر الأسدى أن أمج بعد خليص بجهة مكة بميلين، قال: و بعده بميل وادى الأزرق، و يعرف بعران، و أمج لخزاعة، و به نحو عشرين بئرا يزرع عليها. انتهى. و هو موافق لما سبق فى تاسع فصول الباب الثالث لاقتضائه أنه بين عسفان و قديد.

و قال الوليد بن العباس القرشى: خرجت إلى مكة فى طلب عبد آبق لى، فسرت سيرا

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۱۶

شديدا حتى وردت أمج فى اليوم الثالث غدوة، فتعبت، فحططت رحلى، و استلقيت على ظهرى، و اندفعت أغنى:

يا من على الأرض من غاد و مدّ لج اقر السّلام على الأبيات من أمج

اقر السّلام على ظبى كلفت به فيها أغنّ غضيض الطّرف من دعج

من لا يبلّغه عنى تحيته ذاق الحمام و عاش الدهر فى حرج

قال: فلم أدر إلا و شيخ على عصا يهدج إلىّ، فقال: يا فتى أنشدك الله إلا رددت إلىّ الشعر، فقلت: بلحنه؟ قال: بلحنه، ففعلت، فجعل يتطرب، فلما فرغت قال: أ تدرى من قائله؟ قلت: لا، قال: أنا و الله قائله من ثمانين سنة، و إذا هو من أهل أمج، و منهم حميد الأمجى الذى يقول:

شربت المدام فلم أقلع و عوتبت فيها فلم أسمع

حميد الذى أمج داره أخو الخمر ذو الشيبة الأصلع

علاه المشيب على حبها و كان كريما فلم ينزع

حكى أن عمر بن عبد العزيز قال له: أنت القائل حميد الذى أمج داره البيتين؟ قال:

نعم، قال عمر: ما أرانى إلا حادك، أقررت بشربها، و أنك لم تنزع عنها، قال: أ لم تسمع الله يقول (وَ الشُّعَراءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغاوُونَ) إلى (وَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ ما لا يَفْعَلُونَ) فقال عمر: ما أراك إلا قد أفلتّ، ويحك يا حميد كان أبوك رجلا صالحا و أنت رجل سوء، قال: أصلحك الله و أين من يشبه أباه كان أبوك رجل سوء و أنت رجل صالح.

و قال: جعفر الزبيرى:

هل بادّكار الحبيب من حرج أم هل لهمّ الفؤاد من فرج؟

و لست أنسى مسيرنا ظهرا حين حللنا بالسفح من أمج

ذو أمر:

بفتحتين، واد بطريق فيد إلى المدينة على نحو ثلاث مراحل من المدينة بقرية النخيل، قاله الأسدى، و ظاهر كلام غيره أنه الذى بقرية نخل؛ لما سيأتى فيها، و قال ابن حزم: إن النبى صلى اللّه عليه و سلم عقد لعوسجة الجهنى على ألف من جهينة و أقطعه ذا أمر، و إن بعض ولد عبد الله بن الزبير اعتزل بأمر من بطن إضم فى بعض الفتن.

إمّرة:

كإمّعة، و بفتح الهمزة و الميم، موضع بشق حمى ضرية قرب جبل المنار، و هو من منازل الحاج العراقى، به آبار كثيرة طيبة، سمى باسم الصغير من ولد الضأن.

إنسان:

جبل فى وسطه ماء يقال له: إنسان، قال الهجرى فى حمى فيد: و بشرقى الرخام ماء يقال له إنسان لكعب بن سعد الغنوى الشاعر، و هو عن يمين الجبل و الرملة التى تدعى برملة إنسان.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۱۷

الأنعام:

بضم العين، موضع بالعالية، و قال نصر: جبل بالمدينة عليه بعض بيوتها، قال جرير:

حىّ الديار بعاقل فالأنعام

كذا قال المجد، و الصواب أن الذى عناه جرير جبل ببطن عاقل قرب حمى ضرية، و قال المجد: إنه بفتح العين، و غاير بينه و بين هذا فى الترجمة، و قال: إنه ببطن عاقل بين اليمامة و المدينة، و إنه الذى بنى عليه المزنى و جابر بن عبد الله الربعى، و فيه يقول الشاعر:

لمن الديار غشيتها بالأنعام درست و عهد جديدها لم يقدم

و قوله «إنه الـذى بنى عليه المزنى إلى آخره» إنما هو فى الأنعام الـذى قال نصـر فيه: إنه بالمدينـة، كما تقدم عن ابن زبالة فى مسـجد المنـارتين بطريـق العقيـق، و إنه الجبـل الـذى على يسـار المـارّ أول الرقيقين للعقيـق، مع أن المجـد ذكر فى الأنعـام الـذى ببطن عـاقل الحـديث المتقـدم أيضـا فى خروجه صـلى اللّه عليه و سـلم إلى الجبـل الأـحمر الـذى بين المنارتين، و اسـمه الأنعام، و لعل الخلل من النساخ.

إهاب:

ككتاب، فى حديث مسـلم «تبلغ المساكن إهاب أو يهاب» قال عياض: كذا جاءت الروايـة على الشك «أو يهاب» بكسر الياء المثناة من تحت عند كافة شـيوخنا الأسدى و الصدفى، و عند التميمى كذلك، و قال: و بالنون معا، و لم أجد هذا الحرف فى غير هذا الحديث، و لا من ذكره، و هو موضع قرب المدينة، انتهى.

و تبعه المجد، و قد سبق من روايـة أحمد أنه صلى اللّه عليه و سلم «خرج حتى أتى بئر الإهاب، قال:

يوشـك البنيان أن يأتى هـذا المكان» و تقـدم فى صـيد الحرم عن عباد الزرقى أنه كان يصـيد العصافير فى بئر إهاب، و هـذه البئر هى المتقدمة فى الآبار المباركات أول الباب السادس مع ما جاء فيها، و بيّنا أنها فى الحرة الغربية، و أن الظاهر أنها المعروفة اليوم بزمزم.

ذو أوان:

بلفظ الأوان للحين، موضع على ساعة من المدينة، قال ابن إسـحاق: إن رسول الله صـلى اللّه عليه و سلم لما قفل من تبوك و نزل بذى أوان بلد بينه و بين المدينة ساعة من نهار، أتاه خبر مسجد الضرار.

الأوساط:

تقدم فى حديث فى مسجد قباء «شهد جنازة بالأوساط بدار سعد بن عبادة» و رأيته بخط العلامة أبى الفتح المراغى و كان منقبا مجرّدا عن النقط، فلعله بالسين

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۱۸

و الطاء المهملتين، و يؤخـذ منه أنه بمنازل بنى ساعدة، و يخالفه قوله فى الروايـة الأخرى «من بلحارث بن الخزرج» إلا أن يراد من كان بدار سعد من بلحارث، على ما سبق فى المنازل.

أيد:

بلفظ الأيد للقوة و الاشتداد من آد يئيد أيدا، موضع على مقربة من المدينة.

حرف الباء

بئر أرمى:

بفتح الهمزة و سكون الراء و ميم ثم ألف مقصورة، بئر كان عندها غزوة ذات الرقاع، على ثلاثة أميال من المدينة، كذا قاله المجد، و مأخذه ما سيأتى عن الواقدى فى نخل، و سنبين أن صوابه ثلاثة أيام.

بئر أليلة:

بلفظ أليلة الشاة، فى حرم بنى عوال، على نيف و أربعين ميلا من المدينة، و قيل: أليلة واد بفسح الحيا، و الفسح: واد بجانب عرنة، و عرنة: روضة بواد مما كان يحمى للخيول فى الجاهلية و الإسلام بأسفلها، انتهى.

بئر جشم:

بضم الجيم و فتح الشين المعجمة، تقدم ذكرها فى وادى رانونا من الفصل الخامس، و أن الظاهر أنها مضافة إلى جشم بن الخزرج جدّ بنى مالك بن عصب، و منزلهم ببنى بياضة غربى رانونا.

و فى الموطأ عن عمرو بن سليم الزّرقى قال: قيل لعمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه، إن هنا غلاما يافعا لم يحتلم من غسان و وريثه بالشام، و هو ذو مال، و ليس له هنا إلا ابنه عم، فقال: فليوص لها، فأوصى لها بمال يقال له «بئر جشم» فبيع ذلك المال بثلاثين ألف درهم، و ابنة عمه التى أوصى لها أم عمرو بن سليم الزرقى.

و سبق آخر الكلام فى منازل بنى بياضة أن عبد الله بن حبيب بن عبد حارثة بن مالك ابن عصب بن جشم والد أبى جبلة الغسانى ملك غسّان بالشام، فيتأيد به ما سبق، و قال المجد تبعا لياقوت فى الجرف: إن بئر جشم به، فإن صح فهى غير المذكورة فى مسيل رانونا.

بئر الحرة:

ذكر الغزالى أن القادم للزيارة يغتسل منها، و لعلها بئر السّقيا، لما سبق فيها.

بئر خارجة:

بالخاء المعجمة و كسر الراء و فتح الجيم، فى حديث أبى هريرة عند مسلم «كنا قعودا حول رسول الله صلى اللّه عليه و سلم معنا أبو بكر و عمر فى نفر، فقام رسول الله صلى اللّه عليه و سلم من بين أظهرنا، فأبطأ علينا، و خشينا أن يقتطع دوننا، و فزعنا، و قمنا فكنت أول من فزع، فخرجت أبتغى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، حتى أتيت حائطا للأنصار لبنى النجار فدرت به علّ أجد

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۱۹

له بابا، فلم أجد، فإذا ربيع يدخل فى جوف حائط من بئر خارجة، فاحتفرت، فدخلت على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، يروى «خارجه» أى: خارج البستان، و «خارجة» على النعت، و الصواب الأول، و هو الإضافة، صرح به صاحب التحرز، قال: و خارجة رجل

أضيفت إليه البئر، قاله النووى.

بئر خريف:

تقدم فى بئر أريس أن عثمان رضى الله تعالى عنه أدخلها فى صدقته ببئر أريس و سقوط الخاتم بها فى روايۀ.

بئر الخصى:

ستأتى فى الخاء المعجمۀ.

بئر خطمۀ:

هى بئر ذرع المتقدمۀ أول الباب السادس.

بئر الدّريک:

تصغير درک، و يقال فيها: بئر الزريق، قاله المجد، و فى منازل بنى خطمۀ أنهم ابتنوا أطما كان على بئر الدرک، فهى المرادۀ. و قال قيس بن الخطيم:

كأنا و قد أخلوا لنا عن نسائهم أسود لها فى غيل بيشۀ أشبل

ببئر دريک فاستعدّوا لمثلها و أصغوا لها آذانكم و تأملوا

بئر ذروان:

بفتح الذال المعجمۀ و سكون الراء عند رواۀ البخارى كافۀ، و كذا روى عن ابن الحذاء، و فى كتاب الدعوات من البخارى فى حديث عائشۀ رضى الله تعالى عنها: و ذروان بئر فى بنى زريق، قال الجرجانى: رواۀ مسلم كافۀ بئر ذى أروان، و وقع عند الأصيلى بئر ذى أوان، بغير راء، قال عياض و تبعه المجد: هو و هم، فإن ذا أوان موضع آخر على ساعۀ من المدينۀ، و هو الذى بنى فيه مسجد الضرار.

قلت: الصواب أن خبر مسجد الضرار أتى النبى صلى اللّه عليه و سلم و هو بذى أوان كما سبق لأنه بنى به.

و قال الحافظ ابن حجر: كأن روايۀ الأصيلى كانت بئر ذى أروان، فسقطت الراء، قال: و يجمع بين روايۀ ذروان و ذى أروان بأن الأصل ذى أروان ثم سهلت الهمزۀ لكثرۀ الاستعمال، فصار ذروان، و يؤيده أن أبا عبيد البكرى صوّب أن اسم البئر أروان، و أن الذى قال ذروان أخطأ، و ق ظهر أنه ليس بخطإ، و وقع فى روايۀ كما قال البكرى بئر أروان بإسقاط ذى.

قلت: فمن قال ذروان فقد تصرف فى أصل الكلمۀ، و لذلک قال عياض: قال الأصمعى: و بعضهم يخطئ فيقول: بئر ذروان، و الذى صححه ابن قتيبۀ ذو أروان بالتحريک.

و حديث هذه البئر فى الصحيحين و غيرهما فى سحر لبيد بن الأعصم، و فى روايۀ أنه

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۲۰

أعصم السحولى، و فى أخرى رجل من بنى زريق حليف ليهود و كان منافقا، سحر فى السنة الثامنة كما سبق رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فى مشط و مشاطة و جف طلعة ذكر و وضعه تحت راعوفة هذه البئر، فأثر السحر فيه صلى اللّه عليه و سلم، ثم أريه فى نومه و دلّ عليه فيها، فأرسل إليها، و كأن ماؤها نقاعة الحناء، و كأن نخلها رءوس الشياطين، فاستخرج السحر و حل.

و فى رواية فى الصحيح أيضا «فذهب النبى صلى اللّه عليه و سلم فى أناس من أصحابه إلى البئر، فنظر إليها و قال: هذه البئر التى أريتها، فرجع إلى عائشة، قالت: فقلت: يا رسول الله أ فلا أخرجته، و فى أخرى: أ فلا أحرقته، قال: لا، أما أنا فقد عافانى الله، و كرهت أن أثير على الناس شرا، فأمرت بها فدفنت».

و فى رواية لابن سعد: فقلت يا رسول الله فأخرجه للناس، فقال: أما أنا فقد عافانى الله.

فظهر أن الذى امتنع منه إنما هو إخراجه للناس، لا إخراجه من البئر، جمعا بين الروايات.

و عند النسائى: سحر النبى صلى اللّه عليه و سلم رجل من اليهود، فاشتكى لذلك أياما، فأتاه جبريل فقال: إن رجلا من اليهود سحرك، عقد لك عقدا فى بئر كذا و كذا، فأرسل رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فاستخرجها فحلّها، فقام كأنما نشط من عقال، فما ذكر ذلك لذلك اليهودى و لا رآه فى وجهه قط.

و فى رواية لابن سعد أن لبيد بن الأعصم سحر النبى صلى اللّه عليه و سلم، ثم إن جبريل و ميكائيل عليهما السلام أخبراه، فأخذه، فاعترف، فاستخرج السحر فحله، فكشف عن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و عفا عنه.

و فى رواية له: أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم.

و قال عكرمة: ثم كان يراه بعد عفوه فيعرض عنه، قال الواقدى: و هذا أثبت عندنا ممن روى أنه قتله.

و فى رواية له: لما رجع رسول الله صلى اللّه عليه و سلم من الحديبية و دخل المحرم جاءت رؤساء يهود الذين بقوا بالمدينة ممن يظهر الإسلام و هو منافق إلى لبيد بن الأعصم- و كان حليفا فى بنى زريق، و كان ساحرا قد علمت يهود أنه أعلمهم بالسحر- فقالوا: يا أبا الأعصم، أنت أسحرنا، و قد سحرنا محمدا فلم نصنع شيئا، و أنت ترى أثره فينا، و نحن نجعل لك على ذلك جعلا، فجعلوا له ثلاثة دنانير على أن يسحر رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، فعمد إلى مشط و ما يمشط من الرأس من الشعر فعقد فيه عقدا و تفل فيه تفلا، و جعله فى جف طلعة ذكر،

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۲۱

ثم جعله تحت أرعوفة البئر؛ فوجد رسول الله صلى اللّه عليه و سلم أمرا أنكره بصره حتى دله الله عليه، فدعا جبير بن إياس الزرقى فدلّه على موضع فى بئر ذروان تحت أرعوفة البئر، ثم أرسل إلى لبيد بن الأعصم، فقال له: ما حملك على ما صنعت فقد دلنى الله على سحرك؟

فقال: حبّ الدنانير.

قال إسحاق بن عبد الله: فأخبرت عبد الرحمن بن كعب بن مالك بهذا، فقال: إنما سحره بنات أعصم أخوات لبيد، و كنّ أسحر منه و أخبث، و كان لبيد هو الذى أدخله تحت أرعوفة البئر.

و قال الحارث بن قيس: يا رسول الله، أ لا نهور البئر، فأعرض عنه، فهوّرها الحارث و أصحابه، و كان يستعذب منها.

قال: و حفروا بئر أخرى فأعانهم رسول الله صلى اللّه عليه و سلم على حفرها حتى استنبطوا ماءها، ثم تهورت بعد، و يقال: إن الذى أخرج السحر بأمر رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قيس بن محصن.

و فى رواية لابن سعد أيضا: فبعث نبىّ الله صلى اللّه عليه و سلم إلى على و عمار فأمر هما أن يأتيا الركى فيفعلا الذى سمع، يعنى من الملكين، فأتياها و ماؤها كأنه قد خضب بالحناء، فنزلاها ثم رفعا الصخرة، فأخرجا طلعة فإذا فيها إحدى عشرة عقدة، و نزلت هاتان

السورتان (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ) و (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ) فجعل رسول الله صلى اللّه عليه و سلم كلما قرأ آية انحلّت عقدة حتى انحلت العقد.

بئر رئاب:

بكسر الراء ثم همزة و ألف و آخره موحدة، بئر بالمدينة لها شاهد فى مخيض.

بئر ركانة:

على عشرة أميال من المدينة بطريق العراق، و بها حوض، و هناك آخر عمل الطرف و أول عمل المدينة. و وراءها بميلين بئر بنى المطلب، قاله الأسدى.

بئر زمزم:

بزايين معجمتين، تقدمت فى بئر إهاب أول الباب السادس، سميت بذلك لكثرة التبرك بمائها و نقله إلى الآفاق كبئر زمزم.

بئر زياد:

لها ذكر فيما سيأتى فى عيون الحسين.

بئر السائب:

بالطريق النجدى على أربعة و عشرين ميلا من المدينة، و بينها و بين الشقرة مثل ذلك، و بها قصر و عمائر و سوق، و سميت بذلك لأن عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه حفرها للناس، و يقال لواديها العرنية، سيله يمضى منها فيدفع فى الأعواض، ثم
وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۲۲
فى قناة، و الجبل المشرف على بئر السائب يقال له شباع، ذكر بعض أهل البادية أن إبراهيم صلى اللّه عليه و سلم كان قد نزل فى أعلاه، قاله الأسدى.

بئر سميحة:

ستأتى فى السين.

بئر شداد:

بناحية الحثحاثة.

بئر عائشة:

رجل من بنى واقف، و هو عائشة بن نمير بن واقف، كان له أطم عليها، و منازلهم فى جهة قبلة مسجد الفضيخ.

بئر عذق:

بفتح العين و سكون الذال المعجمة بلفظ العذق للنخلة، معروفة بقباء، و هى المتقدمة فى منازل بنى أنيف.

بئر عروة بن الزبير:

تقدمت مع قصره بالعقيق، و كانت شهيرة ثم دثرت، حتى قال المجد: إنه لم يجد من يعرفها.

بئر ذات العلم:

بفتحتين، تجاه الروحاء، يقال: إن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه قاتل الجنّ بها، و هى بئر متناهية بعد هر شى، يكاد لا يلحق قعرها، قاله المجد.

بئر غامر:

أدخلها عثمان رضى الله تعالى عنه فى صدقته بئر أريس، و فى رواية أنها كانت من طعم أمهات المؤمنين كما تقدم فى الصدقات.

بئر غدق:

بفتحتين و الدال مهملة بعدها قاف، من قولهم غدقت العين فهى غدقة أى غزيرة، و ماء غدق غزير، و هى بئر بالمدينة عندها أطم البلويين الذى بالقاع كما قال المجد، و لم أقف له على أصل إلا ما تقدم فى منازل اليهود من أن بنى أنيف من بلى، و كانوا بقباء، و لهم أطم عند بئر غدق، لكنه لا يسمى بالقاع، و تلك البئر معروفة اليوم بالعين المهملة و الذال المعجمة كما سبق، و المجد لم يذكرها فإن كانت مراده فقد خالف ما هو المعروف فى أسمائها.

بئر فاطمة:

بنت الحسين رضى الله تعالى عنهما تقدم فى زيادة الوليد ما رواه ابن زبالة عن منصور مولى الحسين فى خروجها من بيت جدتها فاطمة الزهراء عند إدخالها فى المسجد، قال: و انتقلت إلى موضع دارها بالحرة فابتنتها، و هى يومئذ براح، و موضعها بين دار ذكوان و بناء إبراهيم بن هشام، قال: فلما بنت قالت: مالى بدّ من بئر للوضوء و غير ذلك من الحاجة، فصلّت فى موضع بئر دارها ركعتين، ثم دعت الله و أخذت المسحاة فاحتفرت بئرها، و أمرت العمال فعملوا، فما لقيت حصاة حتى أماهت، فلما بنى إبراهيم بن هشام داره بالحرة بعد وفاة فاطمة ابنة الحسين و أراد نقل السوق إليها صنع فى حفرته التى بالحوض مثل ما صنعت فاطمة، فلقى جبلا أو قل عليه و عظم غرمه فيه، فسأل

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۲۳

إبراهيم بن هشام عبد الله بن حسن بن حسن أى ابن فاطمة ابنة حسين أن يبيعه دار فاطمة، فباعه إياها بثلاثة آلاف دينار، فقال: يا أبا محمد تجوّز عنا بدنانير لنا أصابها حريق، قال:

نعم، فأخذها و قد انضمّ بعضها إلى بعض، فقيل له: إن كسرتها غرمت فيها كثيرا و صارت تبرا، و إن بعثت بها إلى الشام ضربت دنانير و عادت على حالها، فبعث بها فضربت له.

فكان غرمه بضعة و أربعين دينارا، و وقع تجوزه بها من ابن هشام موقعا حسنا.

و تقدم فى بئر إهاب ترجيح المطرى لأن هذه البئر هى المعروفة اليوم بزمزم بطرف الحديقة المعروفة بزمزم من جهة القبلة، و أن الراجح عندنا أن تلك بئر إهاب، فإن بئر فاطمة بقربها، و لعلها التى فى شاميها بالحديقة المذكورة.

بئر فجّار:

بتشديد الجيم، و ستأتى مع شاهدها فى الشطبية.

بئر مدرى:

بكسر الميم و سكون الدال المهملة بلفظ المدرى الذى يحك به قال المجد: هى من آبار المدينة المعروفة بالغزارة و الطيب، قال الزبير: خطب رجل من بنى قريظة امرأة من بلحارث بن الخزرج، فقالت: أله مال على بئر مدرى أو هامات أو ذى و شيع أو على بئر فجار، و هى فى بئر أريس.

قلت: هذا الخبر إنما سبق فى ذكر الشطبية كما سيأتى فيها بلفظه فقوله «و هى بئر أريس» إن أراد ما سيق الخبر له فهو الشطبية لا بئر مدرى، و تقدم حينئذ فيما عليه الناس من أن بئر أريس بقباء، و كذا إن أراد جميع هذه الآبار إذ منها الشطبية و هى بجانب الأعواف كما سبق فى بئر الأعواف و إن أراد به بئر فجار فهى غير معروفة، و تقدم فى سيل مهزور أن عثمان رضى الله تعالى عنه عمل الردم الذى عند بئر مدرى ليرد به سيل مهزور عن المسجد.

قال ابن زبالة: إن سرح عثمان الذى يقال له مدرى يشق من مهزور فى أمواله حتى يأتى على أريس، إلى آخر ما سبق عنه.

بئر مرق:

بفتح الميم و الراء و قد تسكن الراء أيضا، لغتان مشهورتان، آخره قاف، بئر بالمدينة لها ذكر فى حديث الهجرة، قاله فى النهاية.

قلت: هى المذكورة فى سابع فصول الباب الثالث، و فى رواية البيهقى أن أسعد بن زرارة خرج لمصعب بن عمير يوما إلى دار بنى عبد الأشهل، فدخل به حائطا من حوائط بنى ظفر، و هى قرية لبنى ظفر دون قرية بنى عبد الأشهل، و كانا ابنى عم، يقال له بئر مرق، و يؤخذ منه قربها من دار بنى ظفر و بنى عبد الأشهل، و هناك بناحية مسجد الإجابة نخيل تعرف بالمرقية، فالظاهر أنها منسوبة لها.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۲۴

بئر مطلب:

بضم الميم و فتح الطاء المشددة و كسر اللام، على سبعة أميال من المدينة، منسوبة إلى المطلب بن عبد الله بن حنطب المخزومى، قاله المجد، و ذكرها الأسدى فى الطريق النجدى، و قال: إنها على خمسة أميال من المدينة، و الميل السادس على حرة واقم المشرفة على المدينة، و لعلها بئر بنى المطلب المتقدمة فيما نقلناه عنه فى بئر ركانة، و إن خالف ما هنا فى المسافة.

قال المجد: قدم صخر بن الجعد المحاربى المدينة، فأتى تاجرا يقال له سيار، فابتاع منه برّا و عطرا، و قال له: تأتينى غدوة فأقضيك، و ركب من تحت ليلته إلى البادية، فسأل عنه سيار لما أصبح، فركب فى أثره فى جماعة حتى أتوا بئر مطّلب على سبعة أميال من المدينة و قد جهدوا من الحر، فنزلوا عليها، و أكلوا تمرا كان معهم، و أراحوا دوابهم، ثم انصرفوا راجعين فقال أبياتا منها:

حين استغاثوا بألوى بئر مطلب و قد تحرّق منهم كلّ تمّار

و قال أولهم نصحا لآخرهم ألا ارجعوا أدركوا الأعراب فى النار

بئر معرونة:

بفتح الميم و ضم العين ثم واو ثم نون مفتوحة و هاء، و قد يتصحف ببئر معاوية التى بين عسفان و مكة بلفظ معاوية بن أبى سفيان، و ليست بها؛ فإن هذه بالنون و هى بين جبال يقال لها أبلى فى طريق المصعد من المدينة إلى مكة، و هى لبنى سليم، قاله المجد أخذا من قول عرّام عقب ما سيأتى عنه فى النازية: و فى أبلى مياه منها بئر معونة و ذو ساعدة و ذو جماجم أو حماحم و الوسباء و هذه لبنى سليم، و هى قناة متصلة بعضها ببعض، و تقدم بيان أبلى، و أنها بين السوارقية و الرحضية، و يؤيده أن معونة بالنون واد معروف هناك كما أخبرنى به أمير المدينة الشريفة السيد الشريف فسيطل.

و يوافقه قول النووى فى تهذيبه: بئر معونة قبل نجد، بين أرض بنى عامر و حرة بنى سليم.

و يوافقه أيضا ما تقدم عن الزهرى فى أبلى، لكن صرح عياض فى المشارق بخلافه، و جعلها التى بين عسفان و مكة، و تبعه فى ذلك جماعة من آخرهم الحافظ ابن حجر.

و نقل المجد عن الواقدى أن بئر معونة فى أرض بنى سليم و أرض بنى كلاب، و أن عندها كانت قصة الرجيع، و فيه ترجيح لكلام عياض؛ لأن الرجيع موضع كانت قربه قصة سرية عاصم بن ثابت و حبيب فى عشرة، و قد ترجم البخارى لها بغزوة الرجيع، ثم روى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال: بعث النبى صلى اللّه عليه و سلم سرية عينا، و أمّر عليهم عاصم بن ثابت، فانطلقوا حتى إذا كانوا بين عسفان و مكة ذكروا لحى من هذيل، فتبعوهم بقريب من

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۲۵

مائة رام، فاقتصّوا آثارهم، حتى أتوا منزلا نزلوه، فوجدوا فيه نوى تمر تزودوه من المدينة، و ذكر القصة، و بين أبو معشر فى مغازيه أن ذلك المنزل هو الرجيع، فقال: فنزلوا بالرجيع سحرا، فأكلوا تمر عجوة، فسقطت نواة بالأرض، و كانوا يسيرون بالليل و يكمنون النهار،

فصاحت امرأة من هذيل: أتيتم، فجاؤوا فى طلبهم، فوجدوهم قد كمنوا فى الجبل.

و فى روايـة للبخارى: حتى إذا كانوا بالهدأة، بدل قوله «بين عسـفان و مكة» و عند ابن إسـحاق «الهدة» بتشديد الدال بغير همز، قال: و هى على تسعة أميال من عسفان.

ثم ذكر البخارى فى باب غزوة الرجيع قصة أهل بئر معونة، ففيه إشارة لما ذكره الواقدى من اتحاد الموضع، مع إفادة أنه بين عسـفان و مكـة، لكن يشـهد لما ذكره المجـد صـنيع ابن إسـحاق فإنه قال فى غزوة الرجيع: حتى إذا كانوا على الرجيع ماء لهـذيل بناحية الحجاز على صدور الهدة غدروا بهم.

و قال فى غزوة معونـة: إن أبا براء عامر بن مالك ملاعب الأسـنّة قال: يا محمـد، لو بعثت رجالا من أصـحابك إلى أهل نجد فدعوهم إلى أمرك، ثم ذكر بعث القراء، ثم قال:

فساروا حتى نزلوا بئر معونة، و هى بين أرض بنى عامر و حرة بنى سليم، كلا البلدين منها قريب، و هى إلى حرة بنى سليم أقرب، فهو صريح فى المغايرة، و أبلى تحدّ به فى شرقى المدينة، فما ذكره المجد موافق لكلام ابن إسحاق.

بئر الملك:

بكسر اللام- و هو تبع اليمانى، حفرها بمنزله بقناة، لما قدم المدينة، و به سميت، فاستوبأها، فاستقى له من بئر رومة كما سبق فيها.

و نقل ابن شبة أن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه كان من صدقاته بالمدينة بئر الملك بقناة.

بئر الهجيم:

بـالجيم، ثم الياء المثناة تحت كما فى كتاب ابن زبالـة و يحيى منسوبـة إلى الأطم الـذى يقال له الهجيم بالعصـبة، تقـدمت فى مسـجد التوبـة بالعصـبة من المساجـد التى لا تعرف عينها، و قال فيها المطرى: بئر هجم، و فى خط المراغى على الهاء فتحـة، وعد ابن شـبة فى آبار المدينة بئرا يقال لها الهجير- بالراء بدل الميم- و قال: إنها بالحرة فوق قصر ابن ماه.

بألى: بفتحات ثلاث- يقدم أيضا فى مساجد تبوك.

البتراء:

تقدمت فيها، و لعلها غير البتراء التى على نحو مرحلة من المدينة، سلكها النبى صلى اللّه عليه و سلم فى غزاة بنى لحيان موريا بأنه يريد الشام، فسلك على غراب، ثم على مخيض،

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۲۶

ثم إلى البتراء، ثم أخذ ذات اليسار، ثم خرج على بين، ثم على صخيرات الثمام، ثم استقام به الطريق على المحجة.

البجرات:

بفتح الباء و الجيم و يقال البجيرات بالتصغير، مياه من مياه السماء فى جبل شوران.

بجدان:

جبل على ليلة من المدينة، ذكره صاحب النهاية، و فيه حديث «سيروا هذا بجدان سبق المفردون» كذا روى الأزهرى، و الأكثرون رواه جمدان بالجيم و الميم، كما سيأتى فيه.

بحران:

بالضم و سكون الحاء المهملة ثم راء فألف فنون، و قيده ابن الفرات بفتح الباء قال ابن إسحاق، فى سرية عبد الله بن جحش: فسلك على طريق الحجار حتى إذا كان بمعدن فوق الفرع يقال له بحران.

و قال بعد غزاة ذى أمر: ثم غزا صلى اللّه عليه و سلم يريد قريشا، حتى بلغ بحران معدنا بالحجاز من ناحية الفرع، فأقام به شهر ربيع الآخر و جمادى الأولى ثم رجع و لم يلق كيدا

و قال ابن سعد: إنه صلى اللّه عليه و سلم خرج فى ثلاثمائة رجل من أصحابه حتى ورد بحران، فوجد جمع بنى سليم قد تفرقوا فى مياههم، و كانت غيبته عشر ليال.

بخرج: أطم بقباء لبنى عمرو بن عوف.

بدا:

بالفتح و تخفيف الدال موضع قرب وادى القرى، كان به منزل على ابن عبد الله بن العباس و أولاده.

البدائع:

تقدم فى مسجد الشيخين مما لا تعرف اليوم عينه بالمدينة.

بدر:

بالفتح ثم السكون- بئر احتفرها رجل من غفار اسمه بدر بن قريش بن مخلد بن النضر بن كنانة، و قيل: بدر رجل من بنى ضمرة سكن ذلك الموضع فنسب إليه، ثم غلب اسمه عليه، و قال الزبير: قريش بن الحارث بن مخلد، و يقال: مخلد بن النضر به سميت قريش قريشا لأنه كان دليلها و صاحب ميرتها، و كانوا يقولون: جاء عير قريش، و ابنه بدر ابن قريش، به سميت بدر التى كانت بها الوقعة المباركة، لأنه كان احتفرها، و يقال: بدر اسم البئر التى بها سميت بذلك لاستدارتها، أو لصفاء مائها، فكان البدر يرى فيها، و حكى الواقدى إنكار ذلك كله عن غير واحد من شيوخ بنى غفار، قالوا: إنما هى مأوانا و منازلنا و ما ملكها أحد قط يقال له بدر، و إنما هو علم عليها كغيرها من البلاد، و بدر الموعد، و بدر القتال، و بدر الأولى، و بدر الثانية، و بدر الثالثة، كله موضع واحد، و استشهد من المسلمين بوقعة بدر التى أعز الله بها الإسلام أربعة عشر رجلا، منهم أبو

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۲۷

عبيدة بن الحارث تأخرت وفاته حتى وصل الصفراء، و يظهر من كلام أهل السّير أن بقيتهم دفنوا ببدر، و بها مسجد العمامة المتقدم.

و رأيت بأوراق فى منازل الحاج، ما لفظه: و من بدر إلى الدخول نحو نصف فرسخ، و هو الغار الذى دخل النبى صلى اللّه عليه و سلم فيه، انتهى. و هذا الغار على يمين المصعد من بدر، و رأيت الحجاج يتبركون بالصلاة فيه، و لم أقف فيه على غير ما تقدم.

و قال المرجانى: شهد رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بدرا بسيفه الذى يدعى العضب، و ضربت فيها طبلخانة النصر، فهى تضرب إلى قيام الساعة، انتهى. و يقال: إنها تسمع بالموضع المذكور، و هو على أربع مراحل من المدينة، به عين و نخيل.

براق:

بكسر أوله يضاف لبدر المتقدم فى قول كثير:

فقلت و قد جعلن براق بدر يمينا و العنابة عن شمالى

براق حورة:

- بكسر أوله، و فتح الحاء المهملة و الراء- موضع من أودية الأشعر، بناحية القبلة، قال الأحوص:

فذو السّرح أقوى فالبراق كأنّها بحورة لم يحلل بهنّ عريب

براق خبت:

بفتح الخاء المعجمة، و سكون الموحدة، بعدها مثناة صحراء يمر بها المصعد من بدر إلى مكة، و قيل: خبت ماء لكلب، قال بشر:

فأودية اللّوى فبراق خبت عفتها العاصفات من الرّياح

برام:

بفتح أوله، و بكسره- جبل كأنه فسطاط، يبتدئ منه البقيع، و هو من أعلامه فى المغرب، و يقابله عسيب فى المشرق، و فيه يقول المحرق المزنى:

و إنى لأهوى من هوى بعض أهله برام و أجراعا بهنّ برام

برثان:

بالفتح واد بين ملل و أولات الجيش، سلك عليه النبى صلى اللّه عليه و سلم إلى بدر، و لعله تصحيف تربان التى فى التاء المثناة، قاله المجد، و هو كما ظن لما سيأتى.

برج:

بفتح الباء و الراء، أطم لبنى النضير.

البريان:

كانتا من طعم أزواج النبى صلى اللّه عليه و سلم و أظنهما المعروفتين بالبررة و البريرة بالعالية.

برق:

بلفظ البرق اللامع من السحاب، قرية بقرب خيبر، و يوم برق من أيامهم.

برقة:

بالضم، و روى بالفتح من صدقاته صلى اللّه عليه و سلم كما تقدم، و أما برقة العبرات بفتح العين المهملة و المثناة التحتية فبرقة واسعة حسنة جدا، بين ضرية و البستان، على أقل من نصف ميل منها، و هى التى فى شعر امرئ القيس الآنى فى حليت.
وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۲۸

برک:

بالكسر، واد بحذاء شواحط، بناحية السوارقية، كثير السّلم و العروط، و فيه مياه، و سيأتى فى مبرك أنه يسمى ببرك أيضا.

البركة:

مغيض عين الأزرق، بها نخيل حسنة بيد الأمراء.

برمة:

بكسر أوله، من أعراض المدينة، قرب بلاكث، بين خيبر و وادى القرى، به عيون و نخل لقريش، و يقال له «ذو البيضة» كما سبق فى مجتمع أودية المدينة و مغايضها.

البرود:

بالفتح و ضم الراء موضع بين طرف جبل جهينة يعنى الأشعر، و موضع آخر بطرف حرة النار.

بزرة:

بالضم، و سكون الزاى، و فتح الراء، ثم هاء ناحية على ثلاثة أيام من المدينة، بينها و بين الرويثة، عن نصر، قاله المجد، و فيه نظر؛ لما سيأتى فى الرويثة، و قال ياقوت عن ابن السكيت: بزرتان أى بالتثنية- شعبتان قريبتان من الرويثة، يصبان فى درج المضيق، من بليل، و قد ذكره الشعراء، و كان فيه يوم لهم، قال عبد الله بن جذل الطّعان:

فداء لهم نفسى، و أمّى لهم فدى ببزرة إذ نحصيهم بالسّنابك

البزواء:

بلدة بيضاء مرتفعة من الساحل، بين الجار و ودان و غيقة، من أشد بلاد الله حرّا، سكانها بنو ضمره من بكر ثم من كنانة، و هم رهط عزّة صاحبة كثير، قال كثير يهجوهم:

و لا بأس بالبزواء أرضا لو أنّها تطهّر من آثارهم فتطيب

بصة:

يضاف إليها بئر البصة المتقدمة أول الباب السادس.

البضيع:

بالضم و فتح الضاد المعجمة مصغرا قاله ياقوت، و نقل عن ابن السكيت أنه طرف عن يسار الحال أسفل من عين الغفاريين فى قول كثير:

تلوح بأكناف البضيع كأنها كتاب زبور خطّ لدنا عسيبها

قلت: و الظاهر أنه الآتى فى النون.

البطحاء:

يدفع فيها طرف عظم الشامى، و ما دبر من الصلصلين، و تدفع هى من بين الجبلين فى العقيق كما سبق، و لعلها بطحاء ابن أزهر.

بطحان:

بالضم ثم السكون كذا يقوله المحدثون، و حكى أهل اللغة فتح أوله و كسر ثانية، قال أبو على القالى: لا يجوز غيره، قال المجد: و

قرأت بخط أبى الطيب أحمد بن أحمد بن أحمد الشافعى و خطه حجة بطحان بفتح أوله و سكون ثانية.

قلت: و نقل بعضهم عن أبى عبيد القاسم بن سلام أنه قال: هو بضم الباء و سكون

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۲۹

الطاء، سمى بذلك لسعته و انبساطه، من البطح و هو البسط، و تقدم فى الفصل الخامس فى الأودية، قال الشاعر:

يا سعد إنى لم أزل بعد كم فى كرب للشّوق تغشانى

كم مجلس ولّى بلذّاته لم يهننى إذ غاب ندمانى

سقيا لسلع و لساحاته و العيش فى أكناف بطحان

أمسيت من شوقى إلى أهلها أدفع أحزانا بأحزان

و قال بعضهم: بطحان من مياه الضباب، فهو موضع آخر

بطن إضم:

تقدم فى إضم.

بطن ذى صلب:

تقدم فى الفصل الخامس.

بطن نخل:

جمع نخلة، قرية قريبة من المدينة على طريق البصرة، بينهما الطرف، و هو بحذاء برق العراف لقاصد المدينة، قاله المجد، و قال الأسدى فى وصف طريق فيد:

إن من بطن نخل إلى الطرف عشرين ميلا، و من الطرف إلى المدينة خمسة و عشرون ميلا، قال: و بطن نخل لبنى فزارة من قيس، و بها أكثر من ثلاثمائة بئر كلها طيبة، و بها يلتقى طريق الربذة، و هى من الربذة على خمسة و أربعين ميلا، اه. و سيأتى فى الجموم عن ابن سعد أنها بناحية بطن نخل، عن يسارها، قال: و بطن نخل من المدينة على أربعة برد، اه.

و ذكر الفقهاء فى صلاة الخوف ببطن نخل أنه موضع من نجد فى أرض غطفان، و تقدم فى زيادة عثمان أن القصّة كانت تحمل من بطن نخل، و بخط المراغى عند ذكره لذلك: بطن نخل موضع على أربعة أميال من المدينة، فإن صح فهو غير ما تقدم، و لعله ذو القصّة، و سيأتى أنه على خمسة أميال من المدينة فى طريق الربذة، و تسميته بذى القصة و هى الحصن شاهد لذلك.

البطيحان:

تصغير بطحان، تقدم فى زيادة عمر بن الخطاب.

بعاث:

أوله بالحركات الثلاث، و قال عياض: أوله بالضم لا غير، و آخره ثاء مثلاثة، من ضواحى المدينة، كانت به وقائع فى الجاهلية بين الأوس و الخزرج، و حكاه صاحب العين و هو الخليل- على ما نقله أبو عبيد البكرى بالغين المعجمة، و لم يسمع من غيره، و قال أبو أحمد السكرى: هو تصحيف، و حكى السكرى أن بعضهم رواه عن الخليل و صحفه بالمعجمة، و ذكر الأزهرى أن الذى صحفه الليث الراوى عن الخليل، و قال فى

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۳۰

المطالع و المشارق بعاث بضم أوله و عين مهملة على المشهور، و قيده الأصيلى بالوجهين، و هو عند القابسى بالغين المعجمة، قال الحافظ ابن حجر: و يقال: إن أبا عبيدة ذكره بالمعجمة أيضا، و هو مكان، و يقال: حصن، و يقال: مزرعة عند بنى قريظة على ميلين من المدينة، و قال الزركشى: هو حصن للأوس، و قال بعضهم: هو من أموال بنى قريظة، به مزرعة يقال لها قورى، و قال رزين: هو موضع عند أعلى القرورا.

قلت: لعله تصحيف قورى، قال قيس بن الخطيم:

نحن هزمنا جمعهم بكتيبة تضاءل منها حرز قورى وقاعها

تركنا بعاثا يوم ذلك منهم و قورى على رغم شباعا سباعها

و قال أيضا:

و يوم بعاث أسلمتنا سيوفنا إلى نسب من جذم غسّان ثاقب

و قال كثير:

كأن حدائج أظعاننا بغيقة لما هبطنا البراثا

نواعم عمّ على ميثب عظام الجذوع أحلّت بعاثا

و ميثب:

حائط تقدم فى الصدقات أنه مجاور للدلال و الصافية، و أسفل الدلال نخل يسمى قوران، الظاهر أنه قورى كما سيأتى فيها، فبعاث بتلك الجهة، و يشهد له ما نقل ابن إسحاق عن محمد بن مسلمة فى قتل كعب بن الأشرف، قال: فخرجنا يعنى بعد قتله حتى سلكنا على بنى أمية بن زيد، ثم على بنى قريظة، ثم على بعاث، حتى أسندنا فى حرة العريض؛ و به يعلم ضعف قول عياض و من تبعه: إنه موضع على ليلتين من المدينة.

بعبع:

بالضم و إهمال العينين، أطم بمنازل بنى عمرو بن عوف بقباء.

بغيبغة:

بإعجام الغينين تصغير البغبغ و هى البئر القريبة الرشاء، و روى ابن شبة أن ينبع لما صارت لعلى رضى الله تعالى عنه كان أول شىء عمله فيها البغيبغة، و أنه لما بشر بها حين صارت له قال: تسرّ الوارث، ثم قال: هى صدقة على المساكين و ابن السبيل و ذوى الحاجة الأقرب، و فى رواية للواقدى أن جدادها بلغ فى زمن على رضى الله تعالى عنه ألف وسق.

و قال محمد بن يحيى: عمل على بينبع البغيبغات، و هى عيون منها عين يقال لها خيف الأراك، و منها عين يقال لها خيف ليلى، و منها عين يقال لها خيف بسطاس، قال:

و كانت البغيبغات مما عمل على و تصدق به، فلم يزل فى صدقاته حتى أعطاها حسين بن على عبد الله بن جعفر بن أبى طالب يأكل ثمرها و يستعين بها على دينه و مئونته، على أن

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۳۱

لا يزوج ابنته من يزيد بن معاوية، فباع عبد الله تلك العيون من معاوية، ثم قبضت حين ملك بنو هاشم الصوافى، فكلم فيها عبد الله بن حسن بن حسن أبا العباس و هو خليفة فردها فى صدقة على، فأقامت فى صدقته حتى قبضها أبو جعفر فى خلافته، و كلم فيها الحسن بن زيد المهدى حين استخلف، و أخبره خبرها، فردها مع صدقات على.

قلت: و هى معروفة اليوم بينبع، و لكن فى يد أقوام يدّعون ملكها.

و قال المبرد: روى أن عليا لما أوصى إلى الحسن وقف عين أبى نيزر البغيبغة، و هى قرية بالمدينة، و قيل: عين كثيرة النخل غزيرة الماء.

و ذكر أهل السير أن معاوية كتب إلى مروان: أما بعد، فإن أمير المؤمنين أحبّ أن يرد الألفة، و يزيل السّخيمة، و يصل الرحم، فاخطب إلى عبد الله بن جعفر ابنته أمّ كلثوم على ابن أمير المؤمنين، و أرغب له فى الصداق، فوجه مروان إلى عبد الله فقرأ عليه الكتاب و عرّفه ما فى الألفة، فقال: إن خالها الحسين بينبع، و ليس ممن يفتات عليه، فأنظرنى إلى حين يقدم، فلما قدم ذكر له ذلك، فقام و دخل على الجارية و قال: إن ابن عمك القاسم بن محمد بن جعفر أحقّ بك، و لعلك ترغبين فى الصداق، و قد نحلك البغيبغات، فلما حضر القوم للإملاك تكلم مروان، فذكر معاوية و ما قصده، فتكلم الحسين و زوّجها من القاسم، فقال له مروان: أ غدرا يا حسين؟ فقال: أنت بدأت، خطب الحسن بن على عائشة بنت عثمان بن عفان، و اجتمعنا لذلك، فتكلمات أنت و زوجتها من عبد الله بن الزبير، فقال مروان: ما كان ذاك، فالتفت الحسين إلى محمد بن حاطب و قال: أنشدك الله أ كان ذلك؟

فقال: اللهم فنعم.

فلم تزل هذه الضّيعة فى يد بنى عبد الله من ناحية أم كلثوم يتوارثونها، حتى استخلف المأمون، فذكر له، فقال: كلا هذا وقف علىّ، فانتزعها، و عوضهم عنها، و ردها إلى ما كانت عليه.

البقال:

بالفتح و تشديد القاف، قال الزبير فى ذكر طلحة من بنى البحترى: و داره بالمدينة إلى جنب بقيع الزبير بالبقال، و تقدم فى قبور أمهات المؤمنين أنها من خوخة بيته إلى الزقاق الذى يخرج على البقال، و أن دار أبى رافع التى أخذها من سعد بالبقال مجاورة لسقيفه محمد بن زيد بن على بن حسين بالبقيع، و تقدم فى مشهد إسماعيل بن جعفر أنه دار زين العابدين على بن حسين، فالبقال هناك.

بقعاء:

بالمد و فتح أوله بمعنى المجدب من الأرض، موضع على أربعة و عشرين ميلا من المدينة، خرج إليه أبو بكر لتجهيز المسلمين لقتال أهل الردة، و يقال: بقعاء ذى

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۳۲

القصة كما قاله ياقوت.

بقع:

بالضم، اسم بئر بالمدينة، و قال الواقدى: البقع بالضم هى السقيا التى بنقب بنى دينار، و قال ياقوت فى المشترك له: البقع اسم بئر بالمدينة قبلى نقى السقيا التى ينقب بنى دينار.

بقيع بطحان:

مضاف إلى وادى بطحان المتقدم، و فى الصحيح عن أبى موسى:

كنت أنا و أصحابى الذى قدموا معى فى السفينة نزولا فى بقيع بطحان.

بقيع الخبجبة:

بفتح الخاء المعجمة ثم باء موحدة و فتح الجيم و الباء ثم هاء، قال المجد: كذا ذكره أبو داود فى سننه، و الخبجبة: شجر عرف به هذا الموضع، قال السهيلى: و هو غريب، و سائر الرواة ذكروه بجيمين، انتهى. و ليس فى السنن ضبط، بل ذكره قبل الجنائز بباب قصة المقداد حين وجد به الدنانير، و لم يذكر ضبطا، فلعل المراد أن الرواية فيها بهذا الضبط، لكن ضبطه ابن الأثير فى نهايته بخاءين معجمتين بينهما موحدة، و فى القاموس: الخبجبة أى بالخاء المعجمة شجر عن السهيلى، و منه بقيع الخبجبة بالمدينة؛ لأنه كان منبتها، أو هو بجيمين، انتهى. و رأيته بخط الأقشهرى بجيمين أولاهما مضمومة، و تقدم بيانه عند ذكر اتخاذ اللّبن للمسجد النبوى به.

و روى ابن أبى شبة قصة المقداد عن ضباعة بنت الزبير، و كانت تحت المقداد، قالت: كان الناس إنما يذهبون لحاجتهم قرب اليومين و الثلاثة، فيبعرون كما تبعر الإبل، فلما كان ذات يوم خرج المقداد لحاجته حتى بلغ الخبجبة، و هى ببقيع الغرقد، فدخل خربة لحاجته، فبينا هو جالس إذ أخرج جرذ من حجر دينارا، فلم يزل يخرج دينارا دينارا حتى بلغ سبعة عشر دينارا، قال: فخرجت بها، حتى إذا جئت بها إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فأخبرته خبرها، فقال: هل اتبعت يدك الجحر؟ فقلت: لا و الذى بعثك بالحق، فقال: لا صدقة عليك فيها بارك الله لك فيها، قالت ضباعة: فما فنى آخرها حتى رأيت غرائر الورق فى بيت المقداد.

بقيع الخيل:

موضع شرقىّ المدينة المجاور للمصلى، و هو المراد بقول أبى قطيفة:

ألا ليت شعرى هل تغيّر بعدنا بقيع المصلّى أم كعهدى القرائن

بقيع الزبير:

يجاور منازل بنى غنم، و شرقى منازل بنى زريق، و إلى جانبه فى المشرق البقال، و لعل الرحبة التى بحارة الخدم بطريق بقيع الغرقد منه.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۳۳

روى ابن شبة عقب قصة كعب بن الأشرف المتقدمة فى سوق المدينة لما أراد النبى صلى اللّه عليه و سلم أن يتخذ موضع بقيع الزبير سوقا أنه لما قتل كعب استقطع الزبير النبى صلى اللّه عليه و سلم البقيع فقطعه، فهو بقيع الزبير، ففيه من الدور للزبير دار عروة، ثم فى شرقيها دار للمنذر بن الزبير إلى زقاق عروة، و فيه دار مصعب بن الزبير التى على يسارك إذا أردت بنى مازن، و فيه دار آل عكاشة بن مصعب على باب الزقاق الذى يخرج بك إلى دار نفيس بن محمد، يعنى مولى بنى المعلى فى بنى زريق، و فيه دار آل عبد الله بن الزبير ممدودة إلى دار أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنهما، و فيه بيت نافع الزبيرى الذى بمفترق الطرق، و كل هذا صدقة من الزبير على ولده.

و ذكر أيضا أن عباس بن ربيعة اتخذ داره فى بنى غنم بين دار أم كلثوم بنت الصديق و بين الخط الذى يخرجك إلى بقيع الزبير، و سبق لهذه الدار ذكر مع البقال فى منازل بنى أوس من مزينة.

و قال عامر بن صالح بن عبد الله بن عروة الزبيرى:

ليت شعرى و لليالى صروف هل أرى مرّة بقيع الزبير

ذاك مغنى أحبّه و قطين تشتهى النفس أن ينال بخير

بقيع الغرقد:

و هو كبار العوسج، كان نابتا بالبقيع، مقبرة أهل المدينة، فقطع عند اتخاذها مقبرة، كما سبق مع ما جاء فى فضلها، و البقيع: كل موضع فيه أروم الشجر من ضروب شتى.

و قال عمرو بن النعمان البياضى يرثى من قتل من قومه الذين أغلقوا عليهم حديقة، و اقتتلوا حتى لم يبق منهم أحد كما سبق:

خلت الديار فسدت غير مسوّد و من العناء تفرّدى بالسؤدد

أين الذى عهدتهم فى غبطة بين العقيق إلى بقيع الغرقد

كانت لهم أنهاب كل قبيلة و سلاح كل مدرّب مستنجد

نفسى الفداء لفتية من عامر شربوا المنية فى مقام أنكد

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى؛ ج۴؛ ص۳۳

قوم هم سفكوا دماء سراتهم بعض ببعض فعل من لم يرشد

و نسبه الحماسىّ لرجل من خثعم بزيادة فى أوله.

البكرات:

تقدمت بحمى ضرية و شاهدها فى حليت.

البلاط:

تقدم مستوفى.

بلاكث:

بالفتح و كسر الكاف ثم مثلاثة، بجانب برمة، و قال يعقوب: بلكثة قارة

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۳۴

عظيمة ببطن إضم بين ذى خشب و ذى المروة، و قال كثير:

نظرت و قد حالت بلاكث دونهم و بطنان وادى برمة و ظهورها

و قال:

بينما نحن بالبلاكث فالقا ع سراعا و العيس تهوى هويّا

خطرت خطرة على القلب من ذكك راكك و هنا فما استطعت مضيا

بلحان:

بالفتح ثم السكون، أطم كعب بن أسد القرظى بالمال الذى يقال له الشجرة، و يعرف اليوم بالشجيرة مصغرا.

بلدود:

بضم أوله و قد يفتح، و ضبطه الصغانى بفتحتين، موضع من نواحى المدينة، قال ابن هرمة:

هل ما مضى منك يا أسماء مردود أم هل تقضّت مع الوصل المواعيد

أم هل لياليك ذات البين عائدة أيام تجمعنا خلص فبلدود

البلدة و البليدة:

تصغير الأول، معروفان بأسفل نخل من أودية الأشعر قرب الفقيرة التى تحمل منها الرياضية إلى المدينة، قال الهجرى: و ذكر كثير البليد فقال:

و قد حال من حزم الحماتين دونهم و أعرض من وادى البليد شجون

و تأتيك عير الحى لما تقاذفت ظهور لها من ينبع و بطون

و قال المجد: بليد كزبير واد قرب المدينة، يدفع فى ينبع، ثم أورد شعر كثير المتقدم، و فى النهاية: بليد بضم الباء و فتح اللام- قرية لآل على بواد قريب من ينبع، انتهى. و أظنه البليد مصغرا، و هو المتقدم ذكره؛ لأن ياقوتا قال: البليد تصغير بلد موضعان:

الأول: ناحية قرب المدينة فى واد يدفع فى ينبع لآل على رضى الله تعالى عنهم.

و الثانى: ناحية لآل سعيد بن عنبسة بن سعيد بن العاص بالحجاز.

بواطان:

قال الهجرى: هو فى الأشعر، و يحده من شقه الشامى بواطان الغورى و الجلسى، و هما جبلان مفترقا الرأسين، و أصلهما واحد، و بينهما ثنية تسلكها المحامل، سلكها النبى صلى اللّه عليه و سلم فى غزوة ذى العشيرة، و أهل بواط الجلسى بنو ذبيان و بنو الربعة من جهينة، و هو يلى ملحتين، و قال عياض: بواط بضم أوله و تخفيف ثانيه آخره طاء مهملة، و رويناه من طريق الأصيلى و غيره بفتح الباء و الضم هو المعروف، و هو من جبال جهينة، و سبق ذكر وادى بواط فى مجتمع أودية المدينة و مغائضها، و به غزوة بواط خرج رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فى مائتين إلى ناحية رضوى يريد تجارة قريش حتى بلغ بواطا فى السنة الثانية.

البويرمة:

بئر لبنى الحارث بن الخزرج، كما فى النسخة التى وقعت لنا من كتاب

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۳۵

ابن شبة، و لعلها البويرة لما سيأتى.

بويرة:

تصغير البئر التى يسقى منها، و فى الصحيح: حرّق نخل النضير، و هى البويرة، قال المجد: البويرة موضع منازل بنى النضير، و ذكره المرجانى ثم قال: و قيل:

اسم موضع مخصوص من مواضعهم.

قلت: و يرجح الأول قول جمل بن جوال التغلبى من أبيات:

و أقفرت البويرة من سلام وسعية و ابن أخطب فهى بور

و قد كانوا ببلدتهم بعولا كما نقلت بميطان الصخور

و اعتمد الثانى الحافظ ابن حجر، قال: و يقال لها البويلة باللام بدل الراء- و قال ابن سيد الناس فى قوله:

حريق بالبويرة مستطير

و يروى بالبويلة قال: و ذكر ابن سعد أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم أعطى الزبير بن العوام و أبا سلمة البويلة من أرض بنى النضير، و تقدم أن البويلة أطم لبنى النضير بمنازلهم، قال ابن زبالة: كان لحى منهم لحقوا باليمن، فلعله كان بقرب البويرة فسميت به أيضا.

و قلد الحافظ ابن حجر رزينا و من تبعه فى أن البويرة الموضع المعروف بهذا الاسم فى قبلة مسجد قباء من جهة المغرب، قال رزين: و به منازل النضير و قريظة و حصنهم، و إنه صدقة النبى صلى اللّه عليه و سلم، و قد تقدم مع رده فى الفصل الثانى فى الصدقات، مع بيان منشأ الوهم فيه، و ذكر ابن زبالة فى مساجد المدينة و مقاماته صلى اللّه عليه و سلم حديث تربة صعيب المعروف اليوم عند ركن الحديقة الماجشونية فى قبلة ديار بنى الحارث، ثم قال: و صعيب عند نخلة المرجئة على الطريق فى بناء من البويرة.

و روى أيضا فى فضل دور الأنصار أن النبى صلى اللّه عليه و سلم وقف على السيرة التى على الطريق حذو البويرة فقال: إن خير نساء و رجال فى هذه الدور، و أشار إلى دار بنى سالم و دار بلحبلى و دار بلحارث بن الخزرج، و هذا الوصف لا يطابق الموضع الذى فى قبلة مسجد قباء لبعده جدّا.

و الذى يتحرر أن البويرة المتعلقة ببنى النضير التى وقع بها التحريق و هى المذكورة فى شعر حسان ليست البويرة التى بقباء، بل بمنازل بنى النضير المتقدمة فى محلها، و سبق أن بعض منازلهم كانت بناحية الغرس، فيطابق أنها بقرب تربة صعيب و بلحارث.

البيداء:

قال المطرى فمن تبعه، هى التى إذا رحل الحجاج من ذى الحليفة

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۳۶

استقبلوها مصعدين إلى المغرب.

و قال الحافظ ابن حجر: البيداء فوق علمى ذى الحليفة لمن صعد من الوادى، قاله أبو عبيد البكرى و غيره، انتهى. فأول البيداء عند آخر ذى الحليفة، و كان هناك علمان للتمييز بينهما، و لذا قال الأسدى فى تعداد أعلام الطريق: إن على مخرج المدينة علمين، و على مدخل ذى الحليفة علمين، و على مخرج ذى الحليفة علمين، و قال فى موضع آخر:

و البيداء فوق علمى ذى الحليفة إذا صعدت من الوادى، و فى أول البيداء بئر، انتهى. و كأن البيداء ما بين ذى الحليفة و ذات الجيش.

و فى حديث عائشة فى نزول آية التيمم «حتى إذا كنا بالبيداء، أو بذات الجيش» و فى الحديث «إن قوما يغزون البيت، فإذا نزلوا بالبيداء بعث الله تعالى جبريل عليه السلام فيقول يا بيداء أبيديهم» و فى رواية لابن شبة عن أم سلمة مرفوعا «يتابع الرجل بين الركن و المقام عدة أهل بدر، فتأتيه صعائب أهل العراق و أبدال أهل الشام فيغزوهم جيش من أهل الشام، فإذا كانوا بالبيداء خسف بهم، ثم يغزوهم رجل من قريش أخواله كلب فيلتقون فيهزمهم الله، فالخائب من خاب من غنيمة كلب» و فى رواية له «جيش من أمتى من قبل الشام يؤمّون البيت لرجل منعه الله منهم، حتى إذا علوا البيداء من ذى الحليفة خسف بهم، و مصادرهم شتى. قلت: بأبى أنت و أمى يا رسول الله، كيف يخسف بهم جميعا و مصادرهم شتى؟ قال: إن منهم من جبر» و عن ابن عمر «إذا خسف بالجيش بالبيداء فهو علامة خروج المهدى» و عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه «يجئ جيش من قبل الشام حتى يدخل المدينة، فيقتلون المقاتلة و يبقرون بطون النساء، و يقولون للحبلى فى البطن: اقتلوا صبابة الشر، فإذا علوا البيداء من ذى الحليفة خسف بهم، فلا يدرك أسفلهم أعلاهم و لا أعلاهم أسفلهم» قال أبو الهرم: فلما: جاء جيش ابن دبحة قلنا هو فلم يكونوا هم، يعنى جيش مسرف.

بيسان:

بالفتح و سكون المثناة تحت ثم سين مهملة و ألف و نون، بين خيبر و المدينة، و فى الحديث أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم «نزل فى غزوة ذى قرد على ماء يقال له بيسان، فسأل عن اسمه، فقالوا: اسمه بيسان، و هو ملح، فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: بل هو نعمان، و هو طيب» و غير رسول الله صلى اللّه عليه و سلم الاسم، و غير الله الماء، فاشتراه طلحة و نصدق به، و جاء إلى النبى صلى اللّه عليه و سلم فأخبره به، فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: ما أنت يا طلحة إلا فياض، فسمى طلحة الفياض.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۳۷

حرف التاء

تاراء:

بالمد، سبق فى مساجد تبوك، قال نصر: و هو موضع بالشام.

تبوك:

كصبور، موضع بين وادى القرى و الشام، على اثنتى عشرة مرحلة من المدينة، قيل: اسم بركة هناك، و قال أبو زياد: تبوك بين الحجر و أول الشام، على أربع مراحل من الحجر نحو نصف طريق الشام، و هو حصن به عين و نخل و حائط تنسب للنبى صلى اللّه عليه و سلم، و يقال: إن أصحاب الأيكة الذين بعث إليهم شعيب كانوا به، و لم يكن شعيب منهم بل من مدين، و مدين على بحر القلزم على نحو ست مراحل من تبوك.

و قال أهل السير: توجّه النبى صلى اللّه عليه و سلم سنة تسع إلى تبوك، و هى آخر غزواته، لغزو من انتهى إليه أنه قد تجمع من الروم و عاملة و لخم و جذام، فوجدهم قد تفرقوا، فلم يلق كيدا، و نزلوا على عين، فأمرهم صلى اللّه عليه و سلم أن لا يمس أحد من مائها، فسبق رجلان و هى تبض بشىء من ماء، فجعلا يدخلان فيها سهمين ليكثر ماؤها، فقال لهم رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: ما زلتما تبوكانها منذ اليوم، أى يحركانها بما أدخلاه، و بذلك سميت تبوك، و ركز النبى صلى اللّه عليه و سلم عنزته فيها ثلاث ركزات، فجاءت ثلاث أعين، فهى ترمى بالماء إلى الآن.

و حديث عين تبوك فى صحيح مسلم، و فيه أنه صلى اللّه عليه و سلم «غسل وجهه و يده بشىء من مائها ثم أعاده فيها، فجرت العين بماء كثير» الحديث، و فى رواية ابن إسحاق «فانخرق من الماء ماله حس كحس الصواعق» ثم قال «يوشك يا معاذ إن طالت بك حياة أن ترى ما هاهنا قد ملئ جنانا» و أقام صلى اللّه عليه و سلم بتبوك أياما حتى صالحه أهلها، و انتدب خالد بن الوليد إلى دومة الجندل.

قال المجد: و ذكرنا لتبوك ليس من شرط الكتاب لبعده من المدينة، لكن لكثرة ذكره فى الأحاديث زاع القلم بذكره.

قلت: سيأتى فى السين المهملة ذكر المجد لسرع، و أنها بوادى تبوك على ثلاث عشرة مرحلة من المدينة، و أنها آخر عمل المدينة، و هى بعد تبوك، و سيأتى فى مدين أنها من أعراض المدينة، و هى فى محاذاة تبوك.

و قال صاحب المسالك و الممالك، كما فى خط الأقشهرى: و كانت قريظة و النضير ملوكا على المدينة على الأوس و الخزرج، و كان على المدينة و تهامة فى الجاهلية عامل من جهة مرزبان البادية، يجبى إليه خراجها.

ثم قال: و من توابع المدينة و مخاليفها و قراها تيماء، و بها حصنها الأبلق الفرد، و منها دومة الجندل، و هى من المدينة على ثلاث عشرة مرحلة، و حصنها المارد. انتهى.

تختم:

بضم النون و كسرها، و قيل: بتاءين الثانية تكسر و تضم، جبل بالمدينة.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۳۸

تربان:

بالضم ثم السكون، واد بين أولات الجيش و ملل، قاله أبو زياد، و قال ابن هشام فى المسير إلى بدر: قال ابن إسحاق: فسلك على نقب المدينة، ثم على العقيق، ثم على ذى الحليفة، ثم على أولات الجيش، قال ابن هشام: ذات الجيش، ثم مر على تربان، ثم على ملل، هكذا فى أصل معتمد، و تقدم فى حدود الحرم أن ذات الجيش نقب ثنية الحفيرة، قال الأسدى: بين الحفيرة أى التى تنسب الثنية لها و بين ملل ستة أميال، انتهى؛ فتربان فيما بين ذلك، و بينه و بين ثنية مفرح موضع يقال له سمهان، قال كثير:

رأيت جمالها تعلو الثنايا كأن ذرى هوادجها البروج

و قد مرّت على تربان تحدى لها بالجزع من ملل و سيج

ترعة:

واد يلقى إضم من القبلة كما سبق، قال الزبيرى عقبه: و فى ترعة يقول بشر السلمى:

أرى إبلى أمست تحن لقاحها بترعة ترجو أن أحل بها أبلى

و ذكر ابن شبة فى صدقات على رضى الله تعالى عنه واديا يقال له ترعة بناحية فدك بين لابتى حرة.

ترن:

كزفر، ناحية بين مكة و المدينة.

تريم:

كحذيم، واد بين المضايق و وادى ينبع.

تسرير:

واد بحمى ضرية بين ضلعيها، و قال بعضهم فيه السرير بلفظ السرير الذى يجلس عليه، و هو خطأ، أنشد أبو زياد الكلابى:

إذا يقولون: ما يشفيك؟ قلت لهم: دخان رمث من التسرير يشفينى

تضارع:

بضم أوله و ضم الراء، و لا نظير له، و روى بكسر الراء أيضا، و يقال بفتح أوله و ضم الراء، اسم لحمى تضارع المتقدمة فى العقيق، و تضارع و تضرع أيضا: جبلان لبنى كنانة بتهامه أو بنجد.

تعار:

بالكسر و إهمال العين، و روى إعجامها، قال عرام، فيما بجهة أبلى ما لفظه:

و من قبل القبلة جبل يقال له يرمرم، و جبل يقال له تعار، و هما عاليان لا ينبتان شيئا فيهما النمران كثيرة، قال لبيد:

عشت دهرا و لا يعيش مع الأيام إلا يرمرم و تعار

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۳۹

التعانيق:

بالفتح و بعد الألف نون مكسورة و ياء ساكنة وقاف، موضع بشق العالية، قال زهير:

صحا القلب عن سلمى و قد كان لا يسلو و أقفر من سلمى التّعانيق فالثقل

تعهن:

بكسر أوله و ثالثه، و روى بفتحهما، و حكى أبو ذر الهروى أنه سمعه من العرب بذلك المكان بفتح ثالثه، قال: و منهم من يضم أوله و يفتح العين و يكسر الهاء، و أغرب أبو موسى المزينى فضبطه بضم أوله و ثانيه و تشديد الهاء، و وقع فى رواية الإسماعيلى «دعهن» بالدال المهملة بدل المثناة، و يقال فيه «تعاهن» بالضم و كسر الهاء، و تقدم فى المساجد عن الأسدى أن تعهن بعد السقيا التى بطريق مكة بثلاثة أميال لجهة مكة، و قال إنها عين ماء خربة، و كان عندها امرأة يقال لها أم عقى، يقال: إن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم مرّ بها فاستسقاها ماء، فأبت، فدعا عليها فمسخت صخرة، و ذكر قوم أنها كانت تدعى أم حبيب الراعية، و اختلفوا فى اسمها و خبرها، انتهى.

و قال السهيلى: و بتعهن صخرة يقال لها أم عقى، روى أن امرأة كانت تسكن تعهن يقال لها أم عقى، فحين مر بها النبى صلى اللّه عليه و سلم يعنى فى سفر الهجرة استسقاها، فأبت، و ذكر ما تقدم، قال: و مدلجة تعهن عند السقيا و هى المذكورة فى سفر الهجرة، حيث قالوا:

سلك بذى سلم من بطن أعداء مدلجة تعهن، ثم أجاز القاحة، و قال عياض: تعهن عين ماء سمى به الموضع، و هى على ثلاث أميال من السقيا، و قال المجد: هى بين القاحة و السقيا، و هو مخالف لما سبق؛ لأن القاحة قبل السقيا، بميل فقط إلى جهة المدينة كما سيأتى عنه، و تعهن على ثلاثة أميال من السقيا، فكيف يكون بين القاحة و السقيا، لكن فى و تعهن على ثلاثة أميال من السقيا، فكيف يكون بين القاحة و السقيا، لكن فى حديث أبى قتادة فى سؤاله الغفارى عن النبى صلى اللّه عليه و سلم فى حجة الوداع، فقال: تركته بتعهن، و هو قائل السقيا، و ذلك بعد أن صاد أبو قتادة الحمار الوحشى بالقاحة؛ لأنه لم يكن أحرم كما فى الصحيح.

فقوله: «و هو قائل السقيا» إن كان من القيلولة فالمراد أنه تركه بتعهن و هو يريد أن يقيل بالسقيا، فتِعهِن بين القاحة و السقيا كما قاله المجد، و كذا إن كان من القول، أى و هو قائل: اقصدوا السقيا، مع أنى سألت بعض العارفين بهذه الأماكن، فقال: هى معروفة اليوم: القاحة مما يلى المدينة، ثم السقيا إلى جهة مكة، ثم تعهن بعدها، ثم سألت

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۴۰

جماعة عن ذلك و كلهم أخبرنى بذلك، و هو مخالف لظاهر الحديث، نعم روى «و هو قابل السقيا» بالباء الموحدة و الضمير لتعهن

كما نقله الحافظ ابن حجر، فلا تعرض فيه لكيفية ترتيب الموضعين، و أما ما رواه الإسماعيلى «و هو قائم بالسقيا» فهو أشكل، إلا أن يكون الضمير للغفارى، و يكون ذلك من كلام أبى قتادة، و انتهى كلام الغفارى بقوله تركته بتعهن، و هو بعيد جدا، و قال ابن قيس الرقيات:

أقفرت بعد عبد شمس كداء فكدى فالرّكن فالبطحاء

موحشات إلى تعاهن فالسق يا قفار من عبد شمس خلاء

تمنى:

بفتحتين و تشديد النون المكسورة، أرض يطؤها المنحدر من ثنية هرشى يريد المدينة، و بها جبال تسمى البيض.

تناضب:

بضم أوله و كسر الضاد المعجمة، شعبة من شعب الدّوداء، و هو واد يدفع فى العقيق، و أما التناضب بالفتح و ضم الضاد المعجمة و كسرها فموضع آخر فى حديث عمر، قال: لما أردت الهجرة إلى المدينة أنا و عياش بن أبى ربيعة و هشام بن العاص أبعدت أنا و هما، التناضب من أضاة بنى غفار فوق سرف، و قلنا: أينا لم يصبح عندها فقد حبس فليمض صاحباه، فأصبحت أنا و عياش عند التناضب و حبس هشام و فتن فأفتن و قدمنا المدينة.

تهمل:

بفتح التاء و الميم، موضع قرب المدينة، و يروى بالمثلاثة.

تيدد:

بفتح أوله و سكون المثناة التحتية ثم دالين مهملتين، تقدم فى أسماء المدينة، و هو اسم موضع آخر من أودية الأجرد جبل جهينة، يلى وادى الحاضر به عيون صغار خيرها عين يقال لها أذينة، و عين يقال لها الطليل، و عيون تيدد كلها تدفع فى أسنان الجبل فإذا أسهل بغراسها لم ينجب زرعها، و ذلك أن صاحبها- و كان من جهينة- ذمها، و قال:

هى فى الجبل، فقال النبى صلى اللّه عليه و سلم «لا أسهلت تيدد» فما أسهل منها فلا خير فيه، نقله الهجرى، و قال رجل من مزينة فى شىء وقع بينهم و بين جهينة فى الجاهلية:

فإن تشبعوا منا سباع رواوة فإن لها أكناف تيدد مرتعا

تيس:

بلفظ فحل المعز، أطم لبنى عنان من بنى ساعدة بمنازلهم.

تيم:

بفتحتين، عبر به ابن النجار و من تبعه عن ثيت جبل شرقى المدينة، كما فى حدود الحرم.

تيماء:

بالفتح و المد، بلدة على ثمان مراحل من المدينة، بينها و بين الشام، و سبق فى تبوك أنها من توابع المدينة.
وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۴۱

حرف الثاء

الثاجة:

بالجيم المشددة، ماء يثج بحرض و بحراض ناحية أخرى.

ثافل:

الأصغر و ثافل الأكبر بالفاء، جبلان بعدوة غيقة اليسرى، عن يسار المصعد من الشام إلى مكة، و يمين المصعد من المدينة، بينهما ثنية لا تكون رمية سهم، و هما لضمرة و هم أصحاب غلال و يسار، و بينهما و بين رضوى و غرور ليلتان، قاله عرام.
و قال الأسدى: الجبل الذى يقابل عين القشيرى يمنة يقال له: ثافل، و هو يعاود الطريق مع العين التى تقابل الأثاية دون العرج بميلين.

ثبار:

ككتاب آخره راء، موضع على ستة أميال من خيبر، به قتل عبد الله بن أنيس أسير بن رزام اليهودى، و يروى بفتح أوله، و ليس بشىء.

ثجل:

بالضم، موضع بشق العالية، تقدم شاهده فى التعانيق.

ثرا:

بالكسر و القصر، موضع بين الرويثة و الصفراء، أسفل وادى الجىّ.

ثريا:

بلفظ اسم النجم الذى فى السماء، من مياه الضباب بحمى ضرية، و مياه لمحارب فى جبل شعبى، قاله ياقوت.

ثعال:

كغراب، شعبة بين الروحاء و الرويثة.

ثغرة:

بالضم و الغين المعجمة ثم راء و هاء، ناحية من أعراض المدينة.

الثمام:

بالضم و التخفيف، و يقال الثمامة بلفظ واحدة الثمام للنبت المعروف، يضاف إليه صخيرات الثمام، و رواه المغاربة بالياء آخر الحروف بدل المثلاثة، و هو الموضع المعروف اليوم بالصخيرات، قال ابن إسحاق فى المسير إلى بدر: مرّ على تربان، ثم على ملل، ثم على عميس الحمائم من مرتين، ثم على صخيرات اليمام، ثم على السيالة.

ثمغ:

بالفتح و الغين المعجمة، مال بخيبر لعمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه، قاله المجد؛ لحديث الدار قطنى أن عمر أصاب أرضا بخيبر يقال لها ثمغ، فسأل النبى صلى اللّه عليه و سلم، فقال له: احبس أصلها و تصدق بثمرتها، و فى البخارى أن عمر تصدق بمال يقال له ثمغ، و كان نخلا، الحديث، لكن تقدم فى منازل يهود أن بنى مزانة كانوا فى شامى بنى حارثة، و أن من آطامهم هناك الأطم الذى يقال له الشعبان فى ثمغ صدقة عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه، قاله ابن زبالة، و فى بعض طرق حديث صدقة عمر من رواية ابن شبة أن عمر رضى الله تعالى عنه أصاب أرضا من يهود بنى حارثة يقال لها ثمغ.

و ذكر الواقدى اصطفاف أهل المدينة على الخندق فى وقعة الحرة، ثم ذكر مبارزة وقعت يومئذ فى جهة ذباب إلى كومة أبى الحمراء، ثم قال: كومة أبى الحمراء قرية من ثمغ.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۴۲

و قال أبو عبيد البكرى: ثمغ أرض تلقاء المدينة كانت لعمر، و ذكره ابن شبة فى صدقات عمر بالمدينة، و غاير بينه و بين صدقته بخيبر، و أورد لفظ كتاب صدقته، و فيه:

ثمغ بالمدينة و سهمه من خيبر، و روى عن عمرو بن سعيد بن معاذ قال: سألنا عن أول من حبس فى الإسلام، فقال قائل: صدقة رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، و هذا قول الأنصار، و قال المهاجرون: صدقة عمر، و ذلك أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم أول ما قدم المدينة وجد أرضا واسعة بزهرة لأهل رابح و حسيكة، و قد كانوا أجلوا عن المدينة قبل مقدم النبى صلى اللّه عليه و سلم، و تركوا

أرضا واسعة منها براح و منها ما فيه واد لا يسقى يقال له الحشاشين، و أعطى عمر منها ثمغا، و اشترى عمر إلى ذلك من قوم من يهود، فكان مالا معجبا، فسأل رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فقال:

إن لى مالا، و إنى أحبه، فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: احبس أصله و سبّل ثمره.

فهذا كله صريح فى كونه بالمدينة فى شاميها، فكأن ما فى رواية الدار قطنى من تصرف بعض الرواة، و أن كلا من صدقتيه يسمى ثمغا.

و عن ابن عمر قال: ثمغ أول ما تصدق به فى الإسلام.

و عن ابن كعب: أول صدقة فى الإسلام وقف رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، قال المسور: فقلت:

فإن الناس يقولون: صدقة عمر، فقال: إن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قبض ما أوصى له به مخيريق من أمواله على رأس اثنين و عشرين شهرا من الهجرة و تصدق بها، و إنما تصدق عمر بثمغ حين رجع من خيبر سنة سبع، و رواه ابن شبة أيضا.

ثنية البول:

بالباء الموحدة، بين ذى خشب و المدينة.

ثنية الحوض:

روى الطبرانى عن سلمة بن الأكوع قال: أقبلت مع رسول الله صلى اللّه عليه و سلم من العقيق، حتى إذا كنا على الثنية التى يقال لها ثنية الحوض التى بالعقيق أومأ بيده قبل المشرق الحديث، و كأنها أضيفت إلى حوض مروان المتقدم فى قصر أبى هاشم بن المغيرة بالعقيق، و أظنها ثنية المدرج.

ثنية الشريد:

تقدمت فى الفصل الرابع.

ثنية العائر:

بمثناة تحتية قبل الراء، و يقال بالغين المعجمة، و الإهمال هو الأشهر، و هى عن يمين ركوبة، سلكها النبى صلى اللّه عليه و سلم فى الهجرة.

ثنية عثعث:

منسوبة إلى جبل يقال له سليع، كما سيأتى فى عثعث، و يؤخذ من كلام ابن شبة أنها الثنية التى بقرب الجبيل الذى عليه حصن أمير المدينة، بينه و بين سلع، فذلك الجبيل هو سليع.

ثنية مدران:

بكسر الميم، تقدمت فى مساجد تبوك.
وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۴۳

ثنية المرّة:

بالكسر و تشديد الراء، قرب ماء يدعى الأحياء من رابغ، لقى بها أبو عبيدة بن الحارث فى سريته جمع المشركين، و قال ياقوت: ثنية المرة بتخفيف الراء يشبه تخفيف المرة من النساء، فى حديث الهجرة أن دليلهما يسلك بهما الخ، ثم ثنية المرة، ثم لقفا، و هو أيضا فى حديث سرية عبيدة بن الحارث، انتهى.

و أما ثنية المرار:

فبضم الميم أو كسرها، كما ذكره مسلم على الشك، و فتحها بعضهم، قال عياض: أراها بجهة أحد.
قلت: الصواب ما قاله النووى من أنها عند الحديبية، قال ابن إسحاق: هى مهبط الحديبية، انتهى.

ثنية الوداع:

بفتح الواو، تقدم فى أمكنة المدينة و حفظها من الوباء عن جابر أنه كان لا يدخل أحد المدينة إلا من ثنية الوداع، فإن لم يعشر بها مات قبل أن يخرج، فإذا وقف على الثنية قيل: قد ودع، فسميت ثنية الوداع، حتى قدم حروة بن الورد فلم يعشر، ثم دخل فقال: يا معشر يهود مالكم و للتعشير؟ قالوا: لا يدخلها أحد من غير أهلها فلم يعشر بها إلا مات، و لا يدخلها أحد من غير ثنية الوداع إلا قتله الهزال، فلما ترك عروة التعشير تركه الناس، و دخلوا من كل ناحية.
و روى ابن شبة عنه أيضا قال: إنما سميت ثنية الوداع لأن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم أقبل من خيبر و معه المسلمون قد نكحوا النساء نكاح المتعة، فلما كان بالمدينة قال لهم: دعوا ما فى أيديكم من نساء المتعة، فأرسلوهن، فسميت ثنية الوداع.
و فى الأوسط عنه قال: خرجنا و معنا النساء اللاتى استمتعنا بهن، حتى أتينا ثنية الركاب، فقلنا: يا رسول الله هؤلاء النسوة اللاتى استمتعنا بهن، فقال: هن حرام إلى يوم القيامة، فودعناهن عند ذلك، فسميت بذلك ثنية الوداع، و ما كانت قبل إلا ثنية الركاب.
و أخرجه البخارى بلفظ: خرجنا مع رسول الله صلى اللّه عليه و سلم إلى غزوة تبوك حتى إذا كنا عند العقبة مما يلى الشام جاء نسوة كنا تمتعنا بهن يطفن برحالنا فجاء رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، فذكرنا ذلك له، فغضب و قام خطيبا و أثنى على الله و نهى عن المتعة، فتوادعنا يومئذ، فسميت ثنية الوداع.
و روى أبو يعلى و ابن حبان عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال: خرجنا مع رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فى غزوة تبوك، فنزلنا ثنية الوداع، فرأى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم مصابيح، و رأى نساء تبكين تمتع منهن، فقال: حرم، أو قال: هذا المتعة و النكاح و الطلاق و العدة و الميراث.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۴۴

و قال ابن إسحاق فى غزوة تبوك: فلما خرج رسول الله صلى اللّه عليه و سلم ضرب عسكره على ثنية الوداع، و ضرب عبد الله بن أبى معه على جدة عسكره أسفل منه نحو ذباب، و قال ابن سعد فى سرية مؤتة دون دمشق: و خرج النبى صلى اللّه عليه و سلم مشيعا لهم حتى بلغ ثنية الوداع، فوقف و ودعهم، و عسكروا بالجرف.

و فى البخارى عن السائب بن يزيد قال: أذكر أنى خرجت مع الصبيان نتلقّى النبىّ صلى اللّه عليه و سلم إلى ثنية الوداع مقدمه من غزوة تبوك، و كل هذه الروايات متظاهرة على أن هذه الثنية هى المعروفة بذلك اليوم فى شامى المدينة بين مسجد الراية الذى على ذباب و مشهد النفس الزكية، يمر فيها المار بين صدين مرتفعين قرب سلع.

و من تأمل كلام ابن شبة فى المنازل و غيرها لم يرتب فى ذلك، و سوق المدينة كانت هناك.

و تقدم فى الدار التى أحدثها ابن هشام هناك بسوق المدينة ما يشهد لذلك، و أن ابن مكدم لما قدم من الشام و أشرف على ثنية الوداع صاح: مات الأحول، و أن الناس سألوه عن دار السوق، فقال: اهدموها، فابتدرها الناس.

و يوضحه أيضا ما رواه ابن إسحاق فى غزوة العالية حيث قال: أول من نذر بهم سلمة، غدا و معه قوسه و هو يريد الغابة، فلما أشرف على ثنية الوداع نظر إلى الجبل، فعلا فى سلع ثم صرخ: وا صباحاه، انتهى.

و أحد صدى هذه الثنية المعروفة اليوم متصل بسلع.

و فى خبر رواه البيهقى عن أبى قتادة أنه أسرج فرسه، ثم نهض حتى أتى الزوراء، فلقيه رجل، فقال: يا أبا قتادة، تشوط دابتك و قد أخذت اللقاح، و قد ذهب النبى صلى اللّه عليه و سلم فى طلبها و أصحابه، فقال: أين؟ فأشار له نحو الثنية، فإذا بالنبى صلى اللّه عليه و سلم فى نفر من أصحابه جلوسا عند ديار، و ذكر قصته فى غزوة الغابة.

و الزوراء: فى قبلة هذه الثنية، و ذباب: فى شاميها.

و قال الحافظ ابن حجر فى حديث الهجرة: أخرج ابن سعد فى شرف المصطفى و روينا فى فوائد الخلعى بسند معضل عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت: لما دخل النبى صلى اللّه عليه و سلم المدينة جعل الولائد يقلن:

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع

وجب الشكر علينا ما دعا لله داعى

قال: و لعل ذلك كان فى قدومه من غزوة تبوك.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۴۵

قلت: و ذلك لأن ثنية الوداع ليست من جهة طريق مكة، على أنى أقول: إن ذلك لا يمنع من كونه فى الهجرة عند القدوم من قباء؛ لأنه صلى اللّه عليه و سلم ركب ناقته، و أرخى لها زمامها، و قال: دعوها فإنها مأمورة، و مر بدور الأنصار كما سبق، حتى مر ببنى ساعدة، و دارهم فى شامىّ المدينة قرب ثنية الوداع، فلم يدخل باطن المدينة إلا من تلك الناحية حتى أتى منزله بها، و قد عرج النبى صلى اللّه عليه و سلم فى رجوعه من بدر إلى ثنية الوداع؛ لما فى مغازى ابن عقبة أنه صلى اللّه عليه و سلم سلك حين خرج إلى بدر حتى ثقب بنى دينار، و رجع حين رجع من ثنية الوداع.

و ذكر البيهقى فى الدلائل فى القدوم من غزوة تبوك الخبر فى قول النساء و الصبيان و الولائد طلع البدر علينا إلى آخره، ثم قال: و هذا يذكره علماؤها عند مقدمه المدينة من مكة، و قد ذكرناه عنده، إلا أنه إنما قدم المدينة من ثنية الوداع عند مقدمه من تبوك، انتهى. و قد تقدم ما يوضح ذلك.

و قال عياض: ثنية الوداع موضع بالمدينة على طريق مكة، سمى بذلك لأن الخارج منها يودعه مشيعه، و قيل: لوداع النبى صلى اللّه عليه و سلم بعض المسلمين المقيمين بالمدينة فى بعض خرجاته، و قيل: ودّع فيها بعض أمراء سراياه، و قيل: الوداع واد بمكة كذا قاله

المظفر فى كتابه، و حكى أن إماء أهل مكة قلنه فى رجزهم عند لقاء النبى صلى اللّه عليه و سلم يوم الفتح، خلاف ما قاله غيره من أن نساء أهل المدينة قلنه عند دخوله صلى اللّه عليه و سلم المدينة و الأول أصح؛ لذكر الأنصار ذلك مقدم النبى صلى اللّه عليه و سلم المدينة، فدل على أنه اسم قديم لها، اه.

و قال الحافظ ابن حجر فى خبر السائب بن يزيد المتقدم: إن الداودى أنكره، و تبعه ابن القيم، و قال: ثنية الوداع من جهة مكة، لا من جهة تبوك، بل هى فى مقابلها كالمشرق من المغرب، إلا أن يكون هناك ثنية أخرى فى تلك الجهة، قال ابن حجر عقبه:

و لا يمنع كونها من جهة مكة أن يكون الخارج إلى جهة الشام من جهتها.

ثم ذكر رواية الخليعات فى قول النسوة، و قال: قيل كان ذلك عند قدوم الهجرة، و قيل: عند القدوم من غزوة تبوك، اه.

و مراد الداودى حيث وصف الثنية بما ذكره أنها موضع لا يسلكها الخارج إلى جهة الشام، فكيف يجاب بهذا؟ و سيأتى فى المدرج أنه الثنية المشرفة على العقيق و المدينة، و أنها ثنية الوداع عند من ذهب إلى أنها من جهة مكة، فهى كما قال الداودى و قد تبعه المجد فصرح به فى ترجمة المدرج، و قال هنا: هى ثنية مشرفة على المدينة، يطؤها من يريد مكة، و قيل: من يريد الشام، و اختلف فى تسميتها بذلك فقيل: لأنها موضع وداع المسافرين من المدينة إلى مكة، و قيل: لأن النبى صلى اللّه عليه و سلم ودّع بعض من خلفه بالمدينة فى آخر

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۴۶

خرجاته، و قيل: فى بعض سراياه المبعوثة عنه، و قيل: الوداع اسم واد بمكة، و الصحيح أنه اسم قديم جاهلى، سمى به لتوديع المسافرين، و هكذا قال أهل السير و التاريخ و أصحاب المسالك إنها من جهة مكة، و أهل المدينة اليوم يظنونها من جهة الشام، و كأنهم اعتمدوا قول ابن قيم الجوزية فى هديه فإنه قال: من جهة الشام ثنيات الوداع، و لا يطؤها القادم من مكة البتة، و وجه الجمع أن كلتا الثنيتين تسمى بثنية الوداع، اه كلام المجد.

و الظاهر أن مستند من جعلها من جهة مكة ما سبق من قول النسوة، و أن ذلك عند القدوم من الهجرة، مع الغافلة عما قدمناه فى توجيهه، و هو فى الحقيقة حجّة لمن ذكرها فى جهة الشام، و لم أر لثنية الوداع ذكرا فى سفر من الأسفار التى بجهة مكة، و ما نقله المجد عن ابن القيم هو الموجود فى هديه، فإنه قال فى ذكر القدوم من تبوك ما لفظه:

فلما دنا رسول الله صلى اللّه عليه و سلم من المدينة خرج الناس لتلقيه، و خرج النساء و الصبيان و الولائد يقلن:

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع

وجب الشكر علينا ما دعا لله داعى

و بعض الرواة و هم فى هذا و يقول: إنما كان ذلك عند مقدمه المدينة من مكة، و هو و هم ظاهر؛ لأن ثنيات الوداع إنما هى من ناحية الشام لا يراها القادم من مكة إلى المدينة، و لا يمر بها إلا إذا توجه إلى الشام، اه.

و هو مخالف لما نقله عند الحافظ ابن حجر، و إن سلم الجمع الذى ذكره المجد من أن كلا من الثنيتين يسمى بذلك فالمراد من الأخبار المتقدمة كلها الموضع المتقدم بيانه فى شامى المدينة، و كذلك من حديث السباق فى أمد الخيل المضمرة أنه من الغابة أو الخفيا إلى ثنية الوداع إلى مسجد بنى زريق؛ لانطباق المسافة المذكورة فى ذلك على الموضع المتقدم، كما سبق فى مسجد بنى زريق، و كما سيأتى فى الخفيا، مع أن ما بين بنى زريق و ثنية المدرج لا يصلح للسباق أصلا، و هو على نحو ضعفى ما ذكروه فى المسافة.

ثور:

بلفظ فحل البقر، تقدم مستوفى فى حدود الحرم.

ثيب:

تقدم فى حدود الحرم أيضا.

حرف الجيم

الجار:

قريـة كثيرة الأهل و القصور، بساحل المدينـة، ترد السـفن إليها، قاله فى المشارق، و قال ياقوت: الجار مدينـة على ساحل بحر اليمن، و هى فرضة المدينة، بينها و بين المدينة يوم و ليلة، ينسب إليها عبد الملك الجارى مولى مروان بن الحكم، و سيأتى

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۴۷

عن المجد فى السـرير أنه بقرب الجار، و هى فرضة أهل السفن الواردة من مصر و الحبشة إلى المدينة، قال المجد عقبه: و الجار بينه و بين المدينة يوم و ليلة، انتهى. و مقتضاه أن الفرضة السرير، لا الجار، و سيأتى عنه فى عدينة أن الجار بلد على البحر قرب المدينة.

جاعس:

بكسر العين ثم سنى مهملتين، أطم بمنازل بنى حرام، غربى مساجد الفتح.

جبار:

بالفتح و تخفيف الموحدة آخره راء، موضع بجهة الحباب من أرض غطفان.

الجبّانة:

كندمانة، أصـله المقبرة، و هو موضع شامى المدينة، و سيأتى فى ذباب عن البكرى أنه بالجبانة، و سبق ذكرها فى منازل القبائل، بمنزل بنى الـديل و بنى ذكوان و بنى مالك بن حمار، و كـذا فى أسـراب البلاط، و كـذا فى حديث عمر لما زاد فى المسـجد من شاميه، ثم قال: لو زدنا فيه حتى نبلغ به الجبانة كان مسجد رسول الله صلى اللّه عليه و سلم.

جبل بنى عبيد:

بمنازلهم غربى مساجد الفتح.

جبل جهينة:

تقدم فى منازلهم.

الجبوب:

بالفتح و موحدتين من تحت بينهما واو، الأرض الغليظة، و جبوب المصلى: بالمدينة فى قول أبى قطيفة:

جبوب المصلّى أم كعهدى القرائن

قاله ياقوت:

الجثا:

بالضم و تخفيف الثاء المثلاثة و القصر، أصله الحجارة المجتمعة، و هو موضع بين فدك و خيبر.

الجثجاثة:

تقدم بيانها فى آخر مساجد المدينة و أن سيل العقيق يفضى إليها، ثم إلى حمراء الأسد، و الجثجاثة أيضا: ماء لغنى بحمى فيد، و قال: بقرب حمى ضرية، و رأيته فى كتابه بإسقاط الجيم الثانية، و لعله غلط من الناسخ، و قال: إنه أيضا بادية من بوادى المدينة.

جحاف:

بالفتح و تشديد الحاء المهملة، مال بالعالية، بجانب سميحة، و يقال له قديما: مال جحفاف، كان به أطم لبعض من كان هناك من اليهود.

الجحفة:

بالضم و سكون الحاء المهملة، أحد المواقيت، قرية كانت كبيرة ذات منبر، على نحو خمس مراحل و ثلثى مرحلة من المدينة، و على نحو أربع مراحل و نصف من مكة، و كانت تسمى أولا «مهيعة» كما سيأتى.

الجداجد:

بجيمين و دالين مهملتين، جمع جديد، و هى الأرض المستوية، و فى سفر

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۴۸

الهجرة: سلك بطن ذى كشب، ثم على الجداجد، ثم على الأجرد، قال المجد: و كأنها آبار؛ لقوله فى الحديث «أتينا على بئر جدجد» قال أبو عبيد: الصواب بئر جد، يعنى قديمة، و يقال «بئر جدجد» أيضا.

جد الأثافى:

بالضم و التشديد، البئر القديمة، و الأثافى: جمع أثفية، و هى الحجارة التى يوضع عليها القدر، و هو موضع بالعقيق.

جد الموالى:

بالعقيق أيضا، قاله المجد، و تقدم فى أودية العقيق: جد الموالى، ثم جد الأثافى، ثم ذو أثيفية.

ذو الجدر:

بسكون الدال، لغة فى الجدار، مسرح على ستة أميال من المدينة بناحية قباء، كانت به اللقاح التى أغير عليها، و سيل بطحان يأخذ من ذى الجدار كما سبق عن ابن شبة، قال: و الجدر قرارة فى الحرة يمانية من حليات الحرة العليا حرة معصم و هو جبل.

جذمان:

كعثمان و الذال معجمة، موضع به أطم من آطام المدينة، قطع تبّع نخله لما غزاهم، و الجذم، القطع، قاله المجد. و تقدم أن تبعا أمر بحرق نخل أحيحة بن الجلاح الجحجبى لما تحصن بحصنه، و هو من الأوس، و تقدم قول بعض الخزرج مفتخرا عليهم:

هلم إلى الجلاح إذ رقّ عظمهم و إذ أصلحوا مالا بجذمان ضائعا

و قال قيس بن الخطيم لما ظهروا على الخزرج ببعاث:

كان رءوس الخزرجيين إذ بدت كتائبنا تترى مع الصبح حنظل

فلا تقربوا جذمان إنّ حراره و جنته تأذى بكل فتحملوا

و أذى يأذى بمعنى تأذى يتأذى.

الجراديح:

بالفتح و الدال المهملة آخره حاء، ثنيات سود بين سويقية و مثعر، و شاهدها فى مثعر.

الجرف:

بالضم ثم السكون، قاله المجد، و هو تابع لياقوت فى ذلك، و الذى قاله أبو بكر الحازى و أبو عبيد البكرى: إنه بضم أوله و ثانيه.

و قال عياض: هو بضم الجيم و الراء، موضع بالمدينة، فيه أموال من أموالها، و به كان مال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه، و هو على ثلاثة أميال من المدينة من جهة الشام.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۴۹

و فى طبقات ابن سعد: مات المقداد بالجرف، على ثلاثة أميال من المدينة، فحمل على رقاب الرجال حتى دفن بالبقيع، و سبق فى حدود العقيق أن الجرف ما بين محجّة الشام إلى القصاصين، و تقدم أن العرصة الكبرى التى بها بئر رومة تختلط بالجرف فتتسع، قالوا: سمى الجرف لأن تبعا مر به لما شخص من منزله بقناة فقال: هذا جرف الأرض، و كان يسمى قبل ذلك العرض. قال كعب بن مالك يوم أحد:

فلما هبطنا العرض قال سراتنا علام إذا لم نمنع العرض نزرع

و روى ابن زبالة أن تبعا بعث رائدا ينظر إلى مزارع المدينة، فأتاه فقال: قد نظرت، فأما قناة فحب و لا تبن، و أما الجرار فلا حب و لا تبن، و أما الجرف فالحب و التبن، و سيأتى فى الزاى أن الزين مزرعة فى الجرف ازدرعها النبى صلى اللّه عليه و سلم.

و فى طبقات ابن سعد أن أبا بكر أقطع الزبير الجرف، و روى المجد أن عثمان رضى الله تعالى عنه خلج خليجا حتى صبّه فى باطن بلد من الجرف، و جعله لبناته من نائلة بنت الفرافصة، و أنه استعمل فيه ثلاثة آلاف من سبى بعض الأعاجم، و ذكر أن من أموال الجرف بئر جشم و بئر جمل.

جرّ هشام:

سقاية لهشام بن إسماعيل، تقدمت فى قصر أبى هاشم بالعقيق.

الجزل:

بالفتح و سكون الزاى، لغة الحطب اليابس، يضاف إليه واد يلقى إضم بذى المروة، و يضاف إليه سقيا الجزل، و به قبر طويس المخنّث المغنّى.

جزيرة العرب:

تقدم فى أسماء المدينة على رأى، و قال الأعرابى: هى من حفر أبى موسى على خمس مراحل من البصرة إلى حضرموت إلى العذيب و من جدة و سواحل اليمن إلى أطراف الشام، و قال الأصمعى: هى من العذيب إلى عدن أبين فى الطول، و العرض من الأيلة إلى جدة، و هى أربعة أقسام: اليمن، و نجد، و الحجاز، و الغور، و هو تهامة. و قيل: سميت بذلك لإحاطة البحار بها من أقطارها، يعنى بحر الحبشة و الفرس و دجلة و الفرات، و قيل: هى كل بلد لم يملكه الروم و لا فارس، و نسب للأصمعى، و الذى رأيته فى جزيرة العرب له ما تقدم.

جسر بطحان:

كان عنده سوق بنى قينقاع، و تقدم فى بطحان أن سيله حين يأتى يفضى إلى فضاء بنى خطمة و الأعرس، ثم يسير حتى يرد الجسر، ثم يستبطن وادى بطحان؛ فالجسر عند أعلى بطحان بناحية الموضع المعروف اليوم بزقاق البيض.

جفاف:

بالكسر و فاءين بينهما ألف، معروف بالعالية، به حدائق حسنة.

الجفر:

ما بلغ أربعة أشهر من أولاد الشاء، و البئر إذا لم تطو أو طوى بعضها، و هو

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۵۰

اسم عين بناحية صريّة، و بقرب فرش ملل ماء يعرف اليوم بالجفر، و أظنه المعنى بقول الهجرى عقب ما سيأتى عنه فى معلاوين: و بمعلى الحرومة ماء يقال له جفر الرغباء، كان لطلق بن أسعد، ثم صار لعبد الله بن حسن.

الجلسى:

بالفتح، أرض نجد، و الجلسى من أرض القبلية: ما ارتفع منها، و الغورى: ما انهبط.

جلية:

تصغير الجلى و هو الواضح و زيادة هاء التأنيث، موضع قرب وادى القرى.

جماوات:

جمع جماء، بالفتح و تشديد الميم و المد، و هن ثلاث تقدمن فى الفصل الرابع، و جعلهن المجد واحدة، فقال: الجماء جبل بالمدينة على ثلاثة أميال من ناحية العقيق إلى الجرف، قال الزمخشرى: الجماء جبيل بالمدينة، سميت بذلك لأن هناك جبلين هى أقصرهما، فكأنها جماء، و قال أبو الحسن المهلبى: هما جماوان، و هما هضبتان على يمين الطريق، ثم حكى المجد تعددها على نحو ما قدمناه، و سبق شاهد الجماء فى قصر سعيد بن العاص.

جمدان:

بالضم ثم السكون و إهمال الدال، من منازل أسلم، بين قديد و عسفان، قاله عياض، و عن أبى بكر بن موسى أنه جبل بين ينبع و العيص على ليلة من المدينة، و قيل: واد بين ثنية عرال و أمج.

و قال الأسدى: و خلف أمج بميل وادى الأزرق، و فى الوادى عين، و بين العين و الوادى جبل يقال له جمدان، على يمين الطرق، و فى الحديث «مرّ رسول الله صلى اللّه عليه و سلم على جمدان، فقال: سيروا، هذا جمدان، سبق المفردون» و قال الأزهرى: مرّ النبى صلى اللّه عليه و سلم فى طريق مكة على جبل يقال له بجدان، هكذا عنده بالباء الموحدة، و عند غيره جمدان تثنية جمد، و كأنه صلى اللّه عليه و سلم لما رآه ذكر قول زيد بن عمرو العدوى أو ورقة بن نوفل:

سبحان ذى العرش سبحانا يدوم له و قبلنا سبّح الجوديّ و الجمد

فذكر أصحابه بتسبيح الجمد الذى هذا تلبيته فى القديم، مع كونه جمادا، فإنه جبل لبنى نصر بجهة نجد، و يذكر الجاهلية لذلك، و إن ذكر الله سبب السبق و التقدم، و يحتمل أنه لما كان الذكر مطلوبا فى الصعود و هبوط الأودية قارن رؤية جمدان أحد الأمرين فذكرهم بذلك، أى هذا جمدان صعدتم ثنيته أو هبطتم واديه فاذكروا الله، أو هو سبب السبق، و يحتمل أيضا أنه صلى اللّه عليه و سلم تذكر برؤيته تلبية موسى عليه السلام عنده؛ لما فى الصحيح أن النبى صلى اللّه عليه و سلم مرّ بوادى الأزرق فقال: كأنى أنظر إلى موسى هابطا من الثنية له جؤار، و جمدان بوادى الأزرق؛ فاتضح ما أشكل على ياقوت حيث قال: لا أدرى ما الجامع بين

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۵۱

سبق المفردين و رؤية جمدان، و معلوم أن الذاكر سابق، قال: و لم أر أحدا ذكر فى ذلك شيئا.

الجموح:

بالفتح، ما بين قباء و مران على جهة طريق البصرة، و ذكر أبو عبيدة الجموح و عرفة، يعنى الذى بمكة، ثم قال: و الجموح الذى دون قباء، انتهى، و ليس المراد قباء المدينة كما ستأتى الإشارة إليه، قال المجد: و الجموح أيضا أرض لبنى سليم، و بها كانت إحدى غزوات النبى صلى اللّه عليه و سلم، و بعث زيد بن حارثة إلى بنى سليم فسار حتى ورد الجموح ناحية بطن نخل عن يسارها.

قلت: و الذى يظهر أنها المذكورة أولا.

الجمة:

بالفتح و تشديد الميم، قال الكمال الدميرى: عين بأحد أودية خيبر، سماها النبى صلى اللّه عليه و سلم قسمة الملائكة، يذهب ثلثا مائها فى فلج، و الثلث الآخر فى فلج الآخر و المسلك واحد، و قد اعتبرت من زمان النبى صلى اللّه عليه و سلم إلى اليوم يطرح فيها ثلاث خشبات أو تمرات تذهب اثنتان فى الفلج الذى له الثلثان و واحدة فى الآخر، و لا يقدر أحد أن يأخذ من ذلك الفلج أكثر من الثلث، و من قام فى الفلج الذى يأخذ الثلثين ليردّ الماء إلى الآخر غلبه الماء و فاض و لم يرجع إلى الفلج الآخر شىء يزيد على الثلث، قاله البكرى و غيره، و الفلج: النهر الصغير، اه.

الجناب:

بالكسر، موضع بعراض خيبر، و قيل: من منازل بنى مازن، و قال نصر:

الجناب من ديار بنى فزارة، بين المدينة و فيد، و فى طبقات ابن سعد: الجناب أرض عذرة و بلى، و قال سحيم الرياحى:

تحمل من وادى الجناب فناشنى بأجماد جوّ من وراء الخضارم

جنفاء:

بالتحريك و المد و القصر، و قد يضم أوله أيضا فى الحالتين، قال ابن سعد:

كان ينزل بها أبو الشموس البلوى الصحابى. و عن ابن شهاب: كانت بنو فزارة ممن قدم على أهل خيبر ليعينوهم، فراسلهم النبى صلى اللّه عليه و سلم أن لا يعينوهم، و أن يخرجوا عنهم، و لهم من خيبر كذا و كذا، فأبوا، فلما فتح الله خيبر قالوا: حظنا و الذى وعدتنا، فقال لهم رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: حظكم أو قال «لكم» ذو الرقيبة بجبل من جبال خيبر، فقالوا: إذا نقاتلك، فقال: موعدكم جنفاء، فخرجوا هاربين، و فى بعض طرقه: جنفاء ماء من مياه بنى فزارة، و جنفاء أيضا: موضع بين خيبر و فيد، قال ياقوت: و هو الذى وقع ذكره فى غزوة خيبر، و ضلع الجنفاء: موضع بين الربذة و ضرية، من ديار محارب، على جادة اليمامة إلى المدينة.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۵۲

الجنينة:

تصغير جنة للبستان، تقدمت فى أودية العقيق، ثم ماء يدفع فى إضم، و هو عقدة بين ظلم و ملحتين، و الجنينة أيضا: قرب وادى القرى، و وجه الجنينة: بين ضربة و حزن بنى يربوع.

الجواء:

بالكسر و المد، ماء بحمى ضرية.

الجوانية:

بالفتح و تشديد الواو و كسر النون و ياء مشددة و حكى تخفيفها، موضع، و قيل: قرية قرب المدينة، إليها ينتسب بنو الجوانى العليون، قاله المجد، و قال عياض:

قال البكرى: كأنها نسبت إلى جوان، و هى أرض من عمل المدينة من جهة الفرع، انتهى.

و الصواب قول النووى: إنها موضع قرب أحد، فى شامى المدينة، لذكرها فى منازل يهود بالمدينة، و سبق أنه كان لهم بها من الآطام صرار و الريان، و صارا لبنى حارثة و سبقا فى منازلهم، فالجوانية هناك بطرف الحرة الشرقية مما يلى الشام، و فى حديث معاوية بن الحكم السلمى عند أبى داود قال: قالت جارية لى كانت ترعى غنيمات قبل أحد و الجوانية، الحديث.

الجبار:

ككتاب، موضع من أرض خيبر.

ذات الجيش:

بالفتح و سكون التحتية، و يقال: أولات الجيش، تقدمت فى الحرم، و أنها على ستة أميال من ذى الحليفة و عن ابن وهب أنها على ستة أميال من العقيق، و كأنه أراد من طرفه الذى بذى الحليفة، و يقرب منه قول ابن وضاح: هى على سبعة أميال من العقيق، و قال ابن القاسم: بينها و بين العقيق عشرة أميال، و عن الثعلبى اثنا عشر ميلا، و قيل: بينهما ميلان، و يقال: إن قبر نزار بن معد و قبر ابنه ربيعة بن نزار بذات الجيش، و هى أحد منازل رسول الله صلى اللّه عليه و سلم إلى بدر، و فى غزاة بنى المصطلق، و هناك نزلت آية التيمم و هى ممر طريق مكة، و قد ذكرها الشعراء، قال عروة بن أذينة:

كاد الهوى يوم ذات الجيش يقتلنى لمنزل لم يهج للشوق من صقب

و قال جعفر بن الزبير:

لمن ربع بذات الجى ش أمسى دارسا خلفا

كلفت بهم غداة البى ن مرّت عيسهم حزقا

تنكّر بعد ساكنه فأمسى أهله فرقا

علونا ظاهر البيدا ء المحزون من قلقا

ذو الجيفة:

بالكسر، بين المدينة و تبوك، و كذا اقتصر عليه المجد هنا، مع ذكره لما سبق عنه فى مساجد تبوك.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۵۳

الجى:

بالكسر و تشديد الياء، تقدم فى مساجد طريق مكة، قال الأسدى: و به منازل و بئران عذبتا الماء، انتهى. و هو فى سفح الجبل الذى سال بأهله و هم نيام، و ينتهى عنده ورقان.

حرف الحاء

حاجر:

موضع غربى النقا إلى منتهى حرة الوبرة، من وادى العقيق، فمنه المدح و ما والاه، و هذا هو المذكور فى الأشعار، لا الذى هو فى منازل الحاج بالبيداء، و حاجر الثنيا معروف بطريق مكة.

حاطب:

بكسر الطاء، طريق بين المدينة و خيبر، سيأتى حديثه فى مرحب

حالة: واحدة الحال، موضع عند حرة الرجلاء.

حائط بنى المداش:

بفتح الميم و الدال المهملة و ألف و شين معجمة، موضع بوادى القرى، أقطعهم إياه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، فنسب إليهم.

حبرة:

بالكسر، أطم بالمدينة، قاله الصغانى، و قال ابن زبالة: إن بنى قينقاع كان لهم أطمان عند الحشاشين، عند المال الذى يقال له خيبر.

قلت: و أظنه بالحاء ثم الموحدة.

حبس:

بالضم ثم السكون، جبل لبنى مرة، قاله الزمخشرى، و قال غيره: هو بين حرة بنى سليم و السوارقية، و فى الحديث «تخرج نار من حبس سيل» قال نصر: حبس سيل بالفتح إحدى حرتى بنى سليم، و هما حرتان، فيهما فضاء، كلتاهما أقل من ميلين، و قال الأصمعى: الحبس جبل مشرف على الثلما، لو انقلب لوقع على أهلها، و هم بنو قرة، و أنشد:

سقى الحبس و سمىّ السحاب و لا يزل عليه روايا المزن و الدّيم الهطل

و السد الذى أحدثته النار يسمى اليوم بالحبس.

الحبيش:

بالضم مصغرا آخره شين معجمة، أطم لبنى عبيد بمنازلهم، غربى مساجد الفتح، عند جبل بنى عبيد.

الحت:

بالضم و المثناة من فوق، من جبال القبلية لبنى عرك من جهينة.

حثاث:

بالكسر و ثاءين مثلثتين، عرض من أعراض المدينة.

الحجاز:

بالكسر، مكة و المدينة و اليمامة و مخاليفها، قاله الشافعي، و قال عياض:

هو ما بين نجد و السّراة، قال الأصمعي: سميت بذلك لأنها حجزت بالحرار الخمس.

قلت: الذى فى جزيرة العرب له بعد التقسيم السابق فيها أن ما ارتفع عن بطن الرمة

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۵۴

فهو نجد إلى ثنايا ذات عرق، و ما احترمت به الحرار حرة سوران و حرة ليلى و حرة واقم و حرة النار و عامة منازل بنى سليم إلى المدينة فذلك الشق كله حجاز، و ما بين ذات عرق إلى البحر غور تهامة، و طرف تهامة من قبل الحجاز مدارج العرج، فكأنه الخامسة حرة بنى سليم، أخذ من قوله عامة منازل بنى سليم، و عليه فالمدينة حجازية بخلاف مكة، و لهذا قال بعده: و الحجاز اثنتا عشرة دارا: المدينة، و خيبر، و فدك و المروة، و دار بلى، و دار أشجع، و دار مزينة، و دار جهينة، و نفر من هوازن، و جل سليم، و جل هلال، و ظهر حرة ليلى. ثم قال: و مما يلى الشام شغب و بدا اللذين يقول فيهما جميل:

لعمرى قد حبّبت شغبا إلى بدا إلىّ، و أوطانى بلاد سواهما

و الحد الثالث مما يلى تهامة بدر و السقيا و رهاط و عكاظ، و الرابع شانه و ودان، ثم ينعرج إلى الحد الأول بطن نجد، و قال فى موضع آخر و أظنه تتمة كلام عن غيره ما لفظه:

و الحجاز من تخوم صنعا من الغيلا و تبالة إلى تخوم الشام، و إنما سمى حجازا لأنه حجز بين تهامة و نجد؛ فمكة تهامية، و المدينة حجازية. ثم قال: و قال عمارة: ما سال من حرة بنى سليم و حرة ليلى فهو الغور حتى يقطعه البحر، و ما سال من ذات عرق مغربا فهو الحجاز إلى أن تقطعه تهامة، و هو حجارة سود تحجز بين نجد و تهامة، و ما سال من ذات عرق مقبلا فهو نجد إلى أن يقطعه العراق.

و قال الأصمعي: إنما سميت الحجاز حجازا لأنها احتجزت الجبال.

فدل على أن ما تقدم من كلام غيره على ما ذكر الأصمعي يكون الحجاز بمعنى المحجوز، و على ما تقدم عن غيره يكون بمعنى الحاجز، و حكاهما الدميرى بقوله: سمى الحجاز حجازا لأنه حجز بين تهامة و نجد، و قيل: لاحتجازه بالحرار الخمس، و هى حرة واقم، و حرة راجل بالراء و الجيم، و حرة ليلى، و حرة بنى سليم، و حرة النار، و حرة و برة، انتهى.

و قال أبو المنذر: الحجاز ما بين جبلى طيئ إلى طريق العراق لمن يريد مكة، سمى حجازا لأنه حجز بين تهامة و نجد، و قيل لأنه حجز بين نجد و السراة، و قيل: لأنه حجز بين الغور و الشام، و بين تهامة و نجد، و قال بعضهم: جبل السّراة أعظم جبال العرب حجزا، و هو الحد بين تهامة و نجد، و قال بعضهم: جبل السّراة أعظم جبال العرب حجزا، و هو الحد بين تهامة و نجد، و ذلك أنه أقبل من قعر اليمن حتى بلغ أطراف الشام، فسمته العرب حجازا؛ لأنه حجز بين الغور و هو هابط و بين نجد و هو ظاهر، و أما ما انحاز إلى شرقيه فهو الحجاز.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۵۵

و قسم بعضهم جزيرة العرب خمسة أقسام: تهامة، و الحجاز، و نجد، و العروض، و اليمن، و قال عرّام: الحجاز من معدن البصرة إلى المدينة، فنصف المدينة حجازى، و نصفها تهامى، و من القرى الحجازية بطن نخل، و نجد أنخل جبل يقال له الأسود نصفه حجازى و نصفه نجدى، انتهى.

و قال ابن شبة: المدينة حجازية، و قال الحرقى: إن تبوك و فلسطين من الحجاز، و تقدم فى ظهور نار الحجاز أن الشافعى نصّ على أن المدينة و مكة يمانيتان، مع الحديث الوارد فى بيان الشام من اليمن، و أن النووى قال: المدينة ليست شامية و لا يمانية، بل حجازية، و تقدم فى العروض من أسمائها أنها نجدية، و كأن بعض. الأسماء يطلق على بعض بحسب الاعتبار، و قد أكثر الشعراء من ذكر الحجاز، قال أشجع بن عمرو الأسلمى:

بأكناف الحجاز هوى دفين يؤرّقنى إذا هدت العيون

أحنّ إلى الحجاز و ساكنيه حنين الإلف فارقه القرين

و أبكى حين ترقد كلّ عين بكاء بين زفرته أنين

و قال أعرابى:

كفى حزنا أنى ببغداد نازل و قلبى بأكناف الحجاز رهين

إذا عنّ ذكر للحجاز استفزّنى إلى من بأكناف الحجاز حنين

حجر:

بالكسر و سكون الجيم بعدها راء، و عوام المدينة يفتحون الحاء، و الصواب الكسر، قال عرّام عند ذكر نواحى المدينة و ذكر الأرحضية، ثم قال: و حذاءها قرية يقال لها حجر، و بها آبار و عيون لبنى سليم خاصة، و حذاءها جبل يقال له قبة الحجر، قاله المجد ظنا منه أن عرّاما أراد القرية المعروفة اليوم قرب الفرع بحجر بالفتح كحجر الإنسان، و عرّام لم يردها؛ إذ ليست بجهة الأرحضية، و بقرب الأرحضية اليوم موضع يعرف بالحجرية بالكسر، فيه آبار و مزارع، فهو الذى أراد عرّام و كذا ياقوت حيث قال:

حجر بالكسر و يروى بالفتح أيضا قرية من ديار بنى سليم بالقرب من قلهى و ذى رولان، انتهى.

و الحجر بالكسر أيضا: قرية على يوم من وادى القرى، بين جبال، بها كانت منازل ثمود، و بيوتها فى أضعاف جبال تسمى الأثالث، و هناك بئر ثمود.

حديلة:

كجهينة و الدال مهملة، يضاف إليها منازل بنى حديلة من بنى النجار، و كان بها دار لعبد الملك بن مروان.

حراض:

بالضم آخره ضاد معجمة، واد من أودية الأشعر، فى شامى حورة، ليس به إلا ماء سيح يقال له الثاجية.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۵۶

حربى:

كان اسما لما بين مسجد القبلتين إلى المذاد، فغيره النبى صلى اللّه عليه و سلم و سماه صلحة، كما سيأتى فى الصاد، قاله المجد هنا و خالفه فى قاموسه فذكرها فى الخاء المعجمة، و قال: سماها صالحة، و سنذكره فى الخاء المعجمة لأنه الأظهر، و رأيته كذلك فى خط المراغى، و قال: فسماها طلحة، و كذا هو فى نسخة ابن زبالة.

حرض:

بضمتين و ضاد معجمة، واد عند أحد، و قد تفتح راؤه، و الأول أرجح؛ لأنه لغة الأشنان، و هو كثير النبات بذلك الوادى، و يقال له: «ذو حرض» من أجل ذلك، و قال حكيم بن عكرمة يتشوق إلى المدينة:

إلى أحد فذى حرض فمبنى قباب الحى من كنفى صرار

و به أوقع أبو جبيلة بيهود فقالت سارة القرظية:

بأهلى رمة لم تغن شيئا بذى حرض تعفيها الرياح

و قال كثير:

أربع فحيّ معارف الأطلال بالجزع من حرض فهن بوال

قال ابن السكيت: حرض هنا واد من أودية قناة بالمدينة على ميلين، أى و هو المتقدم، قال: و ذو حرض واد على خمسة أميال من معدن البصرة لبنى عبد الله بن غطفان، له ذكر فى شعر زهير.

حرة أشجع:

ستأتى فى حرة النار.

حرة حقل:

بوادى آرة.

حرة الحوض:

بين المدينة و العقيق، يقال لها: حرة حوض زياد بن أبى سفيان، قاله ياقوت.

حرة راجل:

فى بلاد بنى عبس، نقله ياقوت عن أحمد بن فارس، قال النابغة:

تؤم بربعيّ كأن زهاءه إذا هبط الضّحراء حرة راجل

حرة الرّجلى:

بديار بنى القين، بين المدينة و الشام، سميت بذلك لأنه يترجل فيها و يصعب المشى، و فى الصحاح: حرة رجلى أرض مستوية، كثيرة الحجارة، يصعب المشى فيها، و فى القاموس: و حرة رجلى كسكرى و يمد، حرة خشنة يترجّل فيها، أو كثيرة الحجارة، و قال ابن شبة فى صدقات على: و له بحرة الرّجلاء من ناحية شعب زيد واد يدعى الأحمر شطره فى الصدقة و شطره بأيدى آل مناع و بنى عدى

منحة من على، و له أيضا بحرة الرّجلى واد يقال له البيضاء فيه مزارع و عفا، و هو فى الصدقة، ثم قال: و له بناحية فدك بأعلى حرة الرجلى مال يقال له القصيبة، و سيأتى فى روضة الأجداد أن وادى القصيبة قبلى خيبر و شرقى وادى عصر، و قال الراعى من أبيات:

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۵۷

و قلت و الحرة الرّجلاء دونهم و بطن لجان لما اعتادنى ذكرى

صلى على عزّة الرحمن و ابنتها ليلى و صلى على جاراتها الآخر

حرة رماح:

بضم الراء و الحاء المهملة، و بالدهناء. قالت امرأة من العرب:

سلام الذى قد ظنّ أن ليس رائيا رماحا و لا من حرتيه ذرى خضرا

حرة زهرة:

بضم الزاى، من حرة واقم.

حرة بنى سليم:

تحت قاع النقيع يعنى الحمى شرقيا، و فيها رياض و قيعان، و يدفع ذلك فى قاع البقيع كما نقله الهجرى.

حرة شوران:

تأتى فى الشين المعجمة، و هى صدر مهزور كما سبق.

حرة عباد:

حرة دون المدينة. قال عبيد الله بن ربيع:

أبيت كأنى من حذار قضائه بحرة عباد سليم الأساود

حرة بنى العضيدة:

بضم العين و فتح الضاد المعجمة، غربى وادى بطحان كما سبق فى منازل القبائل.

حرة قباء:

قبل المدينة، لها ذكر فى الحديث.

حرة ليلى:

مرة بن عوف بن سعد من غطفان، يطؤها الحاجّ الشامى فى طريقه إلى المدينة، و عن بعضهم أنها من وراء وادى القرى من جهة المدينة، فيها نخل و عيون، و قال بعضهم: هى فى بلاد لبنى كلاب، قال الرماح المرى و قد أمره عبد الملك بالمقام:

ألا ليت شعرى هل أبيتنّ ليلة بحرّة ليلى حيث زيننى أهلى

بلاد بها نيطت علىّ تمائمى و قطّعن عنّى حين أدركنى عقلى

حرة معصم:

هى الحرة العليا التى بها ذو الجدر، منها يأخذ سيل بطحان.

حرة ميطان:

و هو جبل شرقى بنى قريظة.

حرة النار:

بلفظ النار المحرقة، قرب حرة ليلى، و قيل: حرة لبنى سليم، و قيل:

بمنازل جذام و يلى و عذرة، و فى القاموس: هى قرب خيبر، و قال عياض: حرة النار فى حديث عمر من بلاد بنى سليم بناحية خيبر، و قال نصر: حرة النار بين وادى القرى و تيماء من ديار غطفان و بها معدن. و ذكر الأصمعى حرة فدك فى تحديد بعض الأودية، ثم قال:

و حرة النار فدك، و فدك قرية بها نخيل و صوافى، فاقتضى أنها بفدك، و هى التى سالت منها النار التى أطفأها خالد بن سنان عن قومه، لما سبق فى نار الحجاز أن قومه سالت عليهم نار من حرة النار فى ناحية خيبر، تأتى من ناحيتين جميعا، و فى رواية: تخرج من جبل من حرة أشجع، و فى رواية: أنهم طلبوا منه إسالة الحرة نارا ليؤمنوا به، فدعا الله

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۵۸

فسالت عليهم، قال الراوى: فرأيتنا نعشى الإبل على ضوء نارها ضلعا الربذة، و بين ذلك ثلاث ليال، و فى رواية: أن نار الحديان خرجت بحرة النار حتى كانت الإبل تعشى بضوئها مسيرة إحدى عشرة ليلة.

و فى الحديث أن رجلا أتى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه، فقال عمر: ما اسمك؟ قال: جمرة، قال: ابن من؟ قال: ابن شهاب، قال: ممن أنت؟ قال: من الحرقة، قال: أين مسكنك؟ قال: حرة النار، قال: بأيها؟ قال: بذات اللظى، فقال عمر:

أدرك الحى لا يحترقوا و فى رواية «فقد احترقوا» قيل: إنه رجع إلى أهله فوجد النار قد أحاطت بهم.

و لها ذكر فى شعر النابغة، و سماها أم صبار، و قال أبو المهند الفزازى:

كانت لنا أجبال حسمى فاللوى و حرة النار فهذا المستوى

و من تميم قد لقينا باللوى يوم النّسار و سقيناهم روى

حرة واقم:

و هى حرة المدينة الشرقية، سميت برجل من العمالقة نزل بها، قاله المجد، و سبق قوله ابن زبالة عقب ذكر واقم أنه أطم بنى عبد الأشهل، و به سميت تلك الناحية واقما، و له يقول شاعرهم:

نحن بنينا واقما بالحرّة بلازب الطين و بالأصرّه

و تسمى أيضا حرة بنى قريظة؛ لأنهم كانوا بطرفها القبلى، و حرة زهرة؛ لمجاورتها لها كما سيأتى، و كان بها مقتلة الحرة كما سبق، و تقدم حديث «يقتل بحرة زهرة خيار أمتى» و فى رواية «فلما وقفت بحرة زهرة وقف و استرجع».

و فى كتاب الحرة عن عبد الله بن سلام أنه وقف بحرة زهرة زمن معاوية، فقال:

هاهنا أجد صفة فى كتاب يهوذا الذى لم يغير و لم يبدّل، مقتلة تقتل فى هذه الحرة، قوم يقومون يوم القيامة واضعى سيوفهم على رقابهم حتى يأتوا الرحمن تبارك و تعالى فيقفوا بين يديه فيقولون: قتلنا فيك.

و روى ابن زبالة أن السماء أمطرت على عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه، فقال لأصحابه: هل لكم فى هذا الماء الحديث العهد بالعرش لنتبرك به، و لنشرب منه، فلو جاء من مجيئه ركب لتمسّحنا به، فخرجوا حتى أتوا حرة واقم و شراجها تطرد، فشربوا منها و توضئوا، فقال كعب: أما و الله يا أمير المؤمنين لتسيلنّ هذه الشّراج بدماء الناس كما تسيل بهذا الماء، فقال عمر: إيها الآن دعنا من أحاديثك، فدنا منه ابن الزبير فقال: يا أبا إسحاق و متى ذلك؟ فقال: إياك يا عبيس أن تكون على رجلك أو يدك.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۵۹

و قال عبد الرحمن بن سعيد الذى أبوه أحد العشرة، و كان ممن حضر وقعة الحرة.

فإن تقتلونا يوم حرّة واقم فنحن على الإسلام أول من قتل

الأبيات المتقدمة، قاله المطرى، و نسبها المجد لمحمد بن وجرة الساعدى.

حرة بنى بياضة:

و أما الحرة الغربية فحرة بنى بياضة و ما اتصل بها، و بها كان رجم ماعز كما يوضحه رواية ابن سعد فى قصته.

حرة الوبرة:

محركة، و جوّز بعضهم سكون الموحدة، و هى على ثلاثة أميال من المدينة، و لها ذكر فى حديث أهبان، كذا قاله المجد هنا، و سيأتى حديث أهبان فى الوبرة، و أن المجد ذكر فيها ما يقتضى بعدها عن المدينة، و المعتمد ما هنا، لما سبق فى قصر عروة بالعقيق أنه كان يقال لموضعه «خيف حرة الوبرة» و قال الهجرى: مزارع عروة و قصره فى حرة الوبرة.

و سبق فى حاجر أنه غربى النقا إلى منتهى حرة الوبرة، فهى المشرفة على وادى العقيق، و لهذا صح فى مسلم عن عائشة رضى الله

تعالى عنها قالت: خرج رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قبل بدر، فلما كان بحرة الوبرة أدركه رجل قد كان يذكر عنه جرأة و نجدة، ففرح أصحاب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم حين رأوه، فلما أدركه قال: يا رسول الله جئت لأتبعك و أصيب معك، قال له رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: تؤمن بالله و رسوله؟ قال: لا، قال: فارجع فلن أستعين بمشرك، قالت: ثم مضى حتى إذا كنا بالشجرة أى بذى الحليفة أدركه الرجل، فقال له كما قال أول مرة، فقال النبى صلى اللّه عليه و سلم كما قال أول مرة. قال: لا، قال: فارجع فلن أستعين بمشرك، قال: ثم رجع فأدركه بالبيداء، فقال له كما قال أول مرة: تؤمن بالله و رسوله؟ قال: نعم، قال له رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: فانطلق.

حزرة:

بالفتح و سكون الزاى، من أودية الأشعر، يفرغ فى القفارة، سكانه بنو عبد الله بن الحصين الأسلميون، و به المليحة، و بأسفلها العين التى تدعى سويقة.

حزم بنى عوال:

بقرب الطرف، و أحد مياهه بئر ألية المتقدمة، و قال ياقوت: السد ما سماه فى حزم بنى عوال جبيل لغطفان فى أعمال المدينة.

حزن:

ضد السهل، اسم لطريق بين المدينة و خيبر، امتنع النبى صلى اللّه عليه و سلم من سلوكه، و سلك مرحبا، كما سيأتى، و حزن بنى يربوع من أكرم مراتع العرب، فيه رياض و قيعان، و هو المراد بقولهم «من تربّع الحزن و شتّى الضّمان و تقيظ الشرف فقد أخصب».

حسنى:

بالفتح ثم السكون و آخره ألف مقصورة قبلها نون، جبل قرب ينبع، قاله ابن حبيب، و حسنى أيضا: صحراء بين العذيبة و الجار.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۶۰

قلت: و حسنى أيضا: أحد صدقات النبى صلى اللّه عليه و سلم المتقدمة، لكن ضبطها المراغى بالضم ثم السكون.

حسيكة:

تصغير حسكة لواحد حسك السّعدان، موضع بطرف ذباب، كان به ناس من يهود، قاله الواقدى، و قال أبو الفتح الإسكندرى: هو موضع بين ذباب و مساجد الفتح، و له ذكر فى شعر كعب بن مالك، و قال ابن شبة: قال محمد بن يحيى: سألت عبد العزيز بن عمران: أين حسيكة؟ فقال: ناحية أرض ابن ماقية إلى قصر ابن أبى عمرو الرابض إلى قصر ابن الشمعل إلى أدانى الجرف كله، و فيها يقول الشاعر:

صفحناهم بالسّفح يوم حسيكة صفائح بصرى و الردينية السّمرا
فما قام منهم قائم لقراعنا و لا ناهبونا يوم نزجرهم زجرا

الحشا:

بلفظ الحشا الذى تنضم عليه الضلوع، موضع عن يمين آرة، قال أبو جندب الهذلى:
بغيتهم ما بين حدّاء و الحشا و أوردتهم ماء الأثيل فعاصما
و قال أبو الفتح الإسكندرى: الحشا واد بالحجاز، و الحشا جبل الأبواء.

حشان:

بالكسر جمع حشّ بالفتح و هو البستان، اسم أطم ليهود على يمين الطريق من شهداء أحد، و الحشاشين بصيغة الجمع أيضا بمنازل بنى قينقاع.

حش طلحة:

بن أبى طلحة الأنصارى نقدم فى الدور المطيفة فى المسجد من الشام، و فى البلاط الذى فى شامى المسجد، و تلخص منه أنه موضع الدور التى فى شامى المسجد، و ما يلى المشرق منه كان لعبد الرحمن، لما سبق عن ابن سعد أول الفصل الثالث و الثلاثين من الباب الرابع.

حصن:

خل بفتح الخاء المعجمة، هو قصر خل الآنى.

حضوة:

بالكسر و سكون الضاد المعجمة و فتح الواو، موضع قرب المدينة و قيل:
على ثلاث مراحل منها، كان اسمه عفوة فسماه النبى صلى اللّه عليه و سلم حضوة، و فى الحديث شكا قوم من أهل حضوة إلى عمر و باء أرضهم، فقال: لو تركتموها، فقالوا: معاشنا و معاش آبائنا و وطننا، فقال للحارث بن كلدة: ما عندك فى هذا؟ فقال: البلاد الوبيئة ذات الأدغال و البعوض، و هى عش الوباء، و لكن ليخرج أهلها إلى ما يقاربها من الأرض العذبة إلى مرتبع النجم، و ليأكلوا البصل و الكراث، و يباكروا السمن العربى فيشربوه، و ليمسكوا الطيب، و لا يمشوا حفاة، و لا يناموا بالنهار، فإن فعلوا أرجو أن يسلموا، فأمر عمر بذلك.
وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۶۱

حضير:

كأمير، قاع فيه آبار و مزارع، إليه ينتهى النقيع و يبتدئ العقيق.

حفياء:

بالفتح ثم السكون ثم مثناة تحتية و ألف ممدودة، موضع قرب المدينة، منه أجريت الخيل المضمرة إلى ثنية الوداع، قاله الحازمى، و رواه غيره بالقصر، و ضبطه بعضهم بالضم و القصر، و أخطأ، و رواه بعضهم حيفاء بتقديم الياء على الفاء، قال البخارى: قال سفيان: من الحفياء إلى الثنية خمسة أميال أو ستة، و قال ابن عقبة: ستة أو سبعة، قال المجد: و هى على مقربة من البركة فيما يغلب على الظن.
قلت: هى شامى البركة مغيض العين؛ لأن الهجرى قال بعد ذكر مجتمع السيول بزغابة: ثم يفضى إلى سافلة المدينة و عين الصورين بالغابة، و بها الحفياء صدقة الحسن بن زيد بن على، و عبارة الزبير: فينحدر على عين أبى زياد و الصورين فى أدنى الغابة، فالحفياء التى عبر عنها الهجرى بالحيفاء بأدنى الغابة، و لهذا جاء فى حديث السباق: من الغابة إلى موضع كذا.

حفير:

كأمير، فعيل من الحفر، موضع بين مكة و المدينة، و حفر: موضع آخر بجنبه، قاله المجد، و قال ياقوت: الحفر بفتح الحاء و سكون الفاء من مياه على بطن واد يقال له مهزول، انتهى. و المعروف بالحفر اليوم منزل الأشراف من آل زبان و به آبار و مزارع، و ليس هو الحفر المذكور فى حدود جزيرة العرب؛ لأن ذاك محرك، و هو بقرب البصرة، و الحفير مصغر: منزل بين ذى الحليفة و ملل، فيسلكه الحاج، قاله ياقوت.
قلت: و هو المعبر عنه فيما سبق فى الألفاظ الواقعة فى بيان حدود الحرم بالحفيرة.

حقل:

بالفتح و سكون القاف، يضاف إليه آرة حقل.

الحلاءة:

بالكسر و المد و يفتح واحدها حلاة، قال عرّام بعد ذكر ميطان و معاليه لشوران ما لفظه: و بحذائه جبل يقال له: سن، و جبال كبار شواهق يقال لها الحلاءة لا تنبت شيئا و لا ينتفع بها إلا ما يقطع للأرحاء و البناء ينقل إلى المدينة و ما حولها.
و أنشد الزمخشرى لعدى بن الرقاع:
كانت تحلّ إذا ما الغيث أصبحها بطن الحلاءة فالأمراء فالسررا

حلائى صعب:

واديان أو جبلان على سبعة أميال من المدينة أو نحوها، قاله المجد، و تقدم أن سيل بطحان يأتى من حلائى صعب، و الظاهر أنهما من الحلاءة المتقدمة؛ لاتحاد الجهة و المسافة.

الحلائق:

كأنه جمع حليقة، قال ابن إسحاق: ثم ارتحل رسول الله صلى اللّه عليه و سلم عن بطحاء ابن أزهر فنزل الحلائق يسارا، و رواها بعضهم الخلائق بالخاء المعجمة، قاله المجد، و هو المرجح عندى؛ لما سيأتى فى الخلائق بالخاء المعجمة.
وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۶۲

حلّيت:

بالكسر كسكين، تقدم فى حمى فيد، و قال امرؤ القيس:
ألا يا ديار الحى بالبكرات فعارمة فبرقة العيرات
فغول فحلّيت فنفى فمنعج إلى عاقل فالجب ذى الأمرات

الحليف:

مصغر الحلف، منزل بنجد ينزله مصدق بنى كلاب إذا خرج من المدينة.

الحليفة:

كجهينة تصغير الحلفة بفتحات واحد الحلفاء و هو النبات المعروف، قال المجد: هى قرية بينها و بين المدينة ستة أميال، و هى ذو الحليفة، و ميقات أهل المدينة، و هو من مياه بنى جشم بالجيم و الشين المعجمة، بينهم و بين بنى خفاجة من عقيل، انتهى.
و هو تابع لعياض فى ذلك، و زاد كونها قرية، و قد سبق أول الباب عند ذكر حدود وادى العقيق عن عياض أن بطن وادى ذى الحليفة من العقيق و أن العقيق من بلاد مزينة، و هذا هو المعروف، و ما ذكره هنا من نسبة ذى الحليفة إلى بنى جشم إلى آخره غير معروف، و لعله اشتبه عليه بالحليفة التى من تهامة، و ما ذكره من المسافة موافق لتصحيح النووى كالغزالى أنها على ستة أميال، و يشهد له قول الشافعى كما فى المعرفة: قد كان سعيد بن زيد و أبو هريرة يكونان بالشجرة على أقل من ستة أميال فيشهدان الجمعة و يدعانها، و المراد بالشجرة ذو الحليفة، لما سبق فى مسجد الشجرة بها، و بها أيضا مسجد المعرس.
و فى سنن أبى داود: سمعت محمد بن إسحاق المدينى قال: المعرس على ستة أميال من المدينة.
و سبق أن المعرس دون مصعد البيداء، فهو بأواخر الحليفة، فلا يخالف ما سبق عن الشافعى، و عليه يحمل ما رواه أحمد و الطبرانى و البزار و اللفظ له عن أبى أروى قال: كنت أصلى مع النبى صلى اللّه عليه و سلم صلاة العصر بالمدينة ثم آتى ذا الحليفة قبل أن تغيب

الشمس و هى على قدر فرسخين، و قال الرافعى كابن الصلاح: ذو الحليفة على ميل من المدينة، و هو مردود تدفعه المشاهدة، و لعلهما اعتبرا المسافة مما يلى قصور العقيق؛ لأنها عمارات ملحقة بالمدينة، و قال الأسنوى: الصواب المعروف المشاهد أنها على فرسخ، و هو ثلاثة أميال أو نزيد قليلا، انتهى.

و ذكر ابن حزم أنها على أربعة أميال من المدينة، و قد اختبرت ذلك بالمساحة فكان من عتبة باب المسجد النبوى المعروف بباب السلام إلى عتبة باب مسجد الشجرة بذى الحليفة تسعة عشر ألف ذراع و سبعمائة ذراع و اثنين و ثلاثين ذراعا و نصف ذراع بذراع اليد

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۶۳

المتقدم تحديده فى حدود الحرم، و ذلك خمسة أميال و ثلثا ميل ينقص مائة ذراع، و كان المسجد ليس أول ذى الحليفة؛ لأن أبا عبد الله الأسدى من المتقدمين قال: الرحلة من المدينة إلى ذى الحليفة و هى الشجرة و منها يحرم أهل المدينة و هى على خمسة أميال و نصف مكتوب على الميل الذى وراءها قريب من العالمين: ستة أميال من البريد، و من هذا الميل أهلّ رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، انتهى؛ فالميل المذكور عند المسجد لأنه محل إهلاله صلى اللّه عليه و سلم، و أول ذى الحليفة قبله بنصف ميل.

و قوله «قريب من العالمين» يحتمل أن يريد علمى مدخل ذى الحليفة لقوله فى تعداد الأعلام «و على مدخل ذى الحليفة علمان» فيفيد ما تقدم من عدم التعرض لانتهاء الحليفة، لكنه ذكر كما سبق فى البيداء أن على مخرج ذى الحليفة علمين آخرين، و أن البيداء فوق علمى الحليفة إذا صعدت من الوادى، فيحتمل أن يريد بقوله «قريب من العالمين» علمى مخرج الحليفة، فيفيد أن المسجد قرب آخر الحليفة، و هو الظاهر؛ لأن البيداء هى الموضع المشرف على ذى الحليفة و ذلك على نحو غلوة سهم من مسجدها. و الأعلام المذكورة غير موجودة اليوم.

و قال العز بن جماعة: و بذى الحليفة البئر التى تسميها العوام بئر على، و ينسبونها إلى على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه؛ لظنهم أنه قاتل الجن بها، و هو كذب، و نسبتها إليه غير معروفة عند أهل العلم، و لا يرمى بها حجر و لا غيره كما يفعل بعض الجهلة، انتهى.

و سبق فى مسجد ذى الحليفة ذكر اتخاذ الدرج لآبارها، و سبق فى خاتمة الفصل الرابع عن ابن شبة أن فوق ذى الحليفة التى هى الحرم فى القبلة قبل حمراء الأسد موضعا من أعلى العقيق سمى بالحليفة العليا، فيكون المحرم الحليفة السفلى، و لم أره فى كلام غيره و لعله الخليقة بالخاء المعجمة و القاف لما سيأتى فيها. و أما ذو الحليفة المحرم فهى أيضا من وادى العقيق، و لذا روى أبو حنيفة كما فى جامع مسانيده عن ابن عمر قال: قام رجل فقال: يا رسول الله، من أين المهل؟ فقال: يهلّ أهل المدينة من العقيق، و يهلّ أهل الشام من الجحفة، و يهلّ أهل نجد من قرن، فأطلق على ذى الحليفة اسم العقيق.

و ذو الحليفة أيضا: موضع بين حاذة و ذات عرق، و منه حديث رافع بن خديج قال:

كنا مع رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بذى الحليفة من تهامة فأصبنا نهب غنم، و تقدم فى مساجد تبوك ما يقتضى أن ذا الحليفة أيضا موضع آخر بين المدينة و تبوك.

الحماتان:

موضع قرب البليدة، يضاف إليه حرم الحماتين، و سبق شاهده فى البلدة و البليدة.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۶۴

حمام:

بالضم و التخفيف، و ذات الحمام: موضع بين مكة و المدينة، و عميس الحمام: موضع بين الفرش و ملل كما سيأتى فى العين المهملة.

ذات الحمّاط:

تقدم فى أودية العقيق و المساجد، و شاهده فى المرابد، بالضم و تشديد الميم، حائط تقدم فى منازل بنى بياضة.

حمت:

بالفتح ثم السكون، اسم لجبل ورقان كما فى الحديث الآتى فيه؛ و قال عرّام: و يقطع بين قدس الأبيض و قدس الأسود عقبة يقال لها حمت، و سيأتى فى شاهد ريم ذكر حمت، قال الزبير: حمت و صورى من صدور أتمة ابن الزبير

حمراء الأسد:

بالمد و الإضافة، و الأسد الليث، موضع على ثمانية أميال من المدينة، إليه انتهى رسول الله صلى الله و سلم مرجعه من أحد فى طلب المشركين و أقام به ثلاثة أيام، و كان المسلمون يوقدون كل ليلة أكثر من خمسمائة نار لترى من المكان البعيد، و سبق فى العقيق ما يقتضى أن حمراء الأسد فوق ثنية الشريد

قال الهجرى: و بها قصور لغير واحد من القرشيين، قال: و هى ترى من العقيق نحو طريق مكة، أى عن يسارها، قال: و فى شق الحمراء الأيسر منشد، و فى شقها الأيمن شرقيا خاخ.

قلت: و على يسار المصعد من ذى الحليفة جبل يعرف بحمراء نملة، و الظاهر أنه منشد، و ليس هو حمراء على ما سنوضحه فى النون، و الحمراء: اسم لمواضع أخرى:

منها موضع فيه نخل كثير قبيل الصفراء.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى؛ ج۴؛ ص۶۴

الحميراء:

تصغير حمراء، موضع ذو نخل بنواحى المدينة، قال ابن هرمة:

كأن لم تجاورنا بأكناف مثعر و أخزم أو خيف الحميراء ذى النخل

و لعله الحمراء التى بقرب الصفراء، و لكن صغرها.

الحمى:

تقدم مبسوطا فى الفصل السادس و السابع.

الحمية:

ذكرها صاحب «المسالك و الممالك» فى توابع المدينة و مخاليفها.

الحنان:

بالفتح و التخفيف، لغة الرحمة، اسم كثيب كبير كالجبل، قاله الزمخشرى، و قال نصر: الحنان بالفتح و التشديد رمل قرب بدر، و هو كثيب عظيم كالجبل. و قال ابن إسحاق فى مسير النبى صلى اللّه عليه و سلم إلى بدر بعد سلوكه لذفران: ثم ارتحل منه فسلك على ثنايا يقال لها الأصافر، ثم انحط إلى بلد يقال له الدبة، و ترك الحنان بيمين، و هو كثيب الجبل عظيم، انتهى.

قلت: و إليه يضاف «أبرق الحنان» و هو لبنى فزارة، قال كثير:

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۶۵

لمن الديار بأبرق الحنان

و قال ياقوت: إنه غير الحنان السابق ذكره.

حنذ:

بالفتح و إعجام الذال، قرية لأحيحة بن الجلاح من أعراض المدينة فيها نخل، أنشد ابن السكيت لأحيحة يصف نخلها فإنه يتأبر منها دون أن يؤبر:

تأبّرى يا خيرة الفسيل تأبرى من حنذ و شولى

إن ضنّ أهل النخل بالفحول

حورتان:

اليمانية و الشامية، و يعرفان اليوم بحورة و حويرة، و هما من أدية الأشعر، و سيأتى لهما ذكر آخر الحروف فى يين.

قال الهجرى: و هما لبنى كلب و بنى ذهل من عوف ثم من جهينة، قال: و بحورة اليمانية واد يقال له ذو الهدى؛ لأن شداد بن أمية الذهلى قدم على النبى صلى اللّه عليه و سلم بعسل شاره منه، فقال له: من أين شرته؟ قال: من واد يقال له ذو الضلالة، فقال: لا، بل ذو الهدى، انتهى.

و سيأتى فى خضرة عن أبى داود ما يشهد لأصل ذلك.

و حورة اليمانية معروفة، و الوادى غير معروف، و يحمل منها إلى المدينة العسل و الحنطة الرياضية التى تأتى من ناحية الفغرة، و بها موضع يقال له المخاضة يستخرج منه الشب، و يقال له ذو الشب.

و حورة الشامية لبنى دينار مولى كلب بن كبير الجهنى، و كان طبيبا لعبد الملك بن مروان، و من ولده عرارة الخياط صاحب القيان بالمدينة، و كان عبد الملك قد اتخذ بحورة الشامية بقاعا و منزلا يقال له ذو الحماط.

حوضی:

تقدم فی مساجد تبوک.

حوض عمرو:

بالمدینة، منسوب إلی عمرو بن الزبیر بن العوام.

حوض مروان:

تقدم مع بئر المغیرة فی قصر أبی هاشم المغیرة بن أبی العاص بالعقیق.

حوض ابن هاشم:

بالحرة الغربیة، تقدم فی بئر إهاب و بئر فاطمة.

حیفاء:

لغة فی الحفیاء کما تقدم فیها.

حرف الخاء

خاخ:

بخاءین، و یقال: روضة خاخ، قال الهجری: و فی شق حمراء الأسد الأیمن خاخ، بلد به منازل لمحمد بن جعفر بن محمد و علی بن موسی الرضی و غیرهما، و بئر

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفی، ج۴، ص: ۶۶

محمد بن جعفر و علی بن موسی و مزارعهما تعرف بالحضر، و خاخ تقدمت فی أودیة العقیق، و لهذا ذکرها ابن الفقیه فی حدوده، و قال: هی بین شوظا و الناصفة.

و قال الواقدی: روضة خاخ بقرب ذی الحلیفة، علی برید من المدینة، و فی حدیث علی: بعثنی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم و الزبیر و المقداد، فقال: انطلقوا حتی تأتوا روضة خاخ، فإن بها ظعینة معها کتاب، الحدیث، و رواه بعضهم عن حاطب بن عبد الرحمن، و بین فیه أن المکان علی قریب من اثنی عشر میلا من المدینة، و یقرب خاخ من خلیقة عبد الله بن أبی أحمد، جاء فی روایة ابن إسحاق: فأدرکوها بالخلیقة خلیقة ابن أبی أحمد.

و قد أكثر الشعراء من ذكر خاخ، قال الأحوص:

طربت و كيف تطرب أم تصابى و رأسك قد توشّع بالقتير

لغانية تحلّ هضاب خاخ فأسقف فالدوافع من حضير

و قال أيضا:

يا موقد النار بالعلياء من إضم أوقد فقد هجت شوقا غير مضطرم

يا موقد النار أوقدها فإن لها سنا يهيج فؤاد العاشق السدم

نار يضئ سناها إذ تشب لنا سعدية ذكرها يشفى من السقم

و ما طربت لشجو أنت نائله و لا تنورت تلك النار من إضم

ليست لياليك فى خاخ بعائدة كما عهدت و لا أيام ذى سلم

فغنى فيه معبد، و شاع الشعر، فأنشد لسكينة بنت الحسين رضى الله تعالى عنهما، و قيل: عائشة بنت سعد بن أبى وقاص، فقالت: قد أكثر الشعراء فى خاخ، لا و الله ما انتهى حتى أنظر إليه، فبعثت إلى مولاها فند، فحملته على بغلة و ألبسته ثياب خز من ثيابها، و قالت: امض بنا نقف على خاخ، فمضى بها، فلما رأته قالت: ما هو إلا ما أرى؟

قال: ما هذا إلا هذا، فقالت: و الله لا أريم حتى أوتى بمن يهجوه، فجعلوا يتذكرون شاعرا قريبا إلى أن قال فند: أنا و الله أهجوه، قالت: قل، فقال: خاخ خاخ خاخ أخ، ثم تفل عليه كأنه تنخّع، فقالت: هجوته و رب الكعبة، لك البغلة و ما عليك من الثياب.

خاص:

واد بخيبر، فيه الأموال القصوى الوحيدة و سلالم و الكثيبة و الوطيح.

خبء:

بالفتح و سكون الموحدة بعدها همزة، واد بالمدينة إلى جنب قباء، و قيل:

هو بالضم واد ينحدر من الكاثب، ثم يأخذ ظهر حرة كشب، ثم يسير إلى قاع أسفل من قباء، و الخبء أيضا: موضع بنجد.

الخبار:

كسحاب، تقدم فى مسجد فيفاء الخبار من مساجد المدينة، و يقال: فيف

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۶۷

الخبار، و فى القاموس: الخبار مالان من الأرض و استرخى، و جحرة الجرذان و فى المثل «من تجنّب الخبار، أمن من العثار» و فيفاء أو فيف الخبار: موضع بنواحى عقيق المدينة، انتهى.

و قال ابن شهاب: كان قدم على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم نفر من عرينة كانوا مجهودين مضرورين، فأنزلهم عنده، فسألوه أن نيجيهم من المدينة، فأخرجهم إلى لقاح له بكتف الخبار وراء الحمى، و قال ابن إسحاق: و فى جمادى الأولى غزا رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قريشا، فسلك على نقب بنى دينار من بنى النجار، ثم على فيفاء الخبار، قال الحارثى: وجد به مضبوطا مقيدا بخط ابن

الفرات بالحاء المهملة و الباء المشددة، و الصواب المشهور الأول.

خبان:

كعثمان، جبل بين معدن النقرة و فدك.

خبراء العذق:

بكسر العين المهملة و فتح الذال المعجمة ثم قاف، قاع بناحية الصمّان، و فى القاموس: أنه موضع بناحية الصمان كثير السّدر و الماء.

خبراء صائف:

بين مكة و المدينة، قال شاعر:

ففدفد عبود فخبراء صائف فذو الجفر أقوى منهم ففدافده

خبزة:

بلفظ واحدة الخبز المأكول، حصن من أعمال ينبع.

الخزّار:

بالفتح ثم التشديد من أودية المدينة، و قيل: ماء بالمدينة، و قيل: موضع بخيبر، و قيل: بالحجاز، و قيل: بالجحفة، و فى شامى مثعر غدير يقال له الخرار، و سبق ذكر بواط و الخرار فيما يلقى سيل إضم، و الخرار فى سفر الهجرة الظاهر أنه بالجحفة، و قال ابن إسحاق: و فى سنة واحد، و قيل سنة اثنتين، بعث رسول الله صلى اللّه عليه و سلم سعد بن أبى وقاص فى ثمانية رهط من المهاجرين، فخرج حتى بلغ الخرار من أرض الحجاز، فرجع و لم يلق كيدا.

خربى:

كحبلى منزلة لبنى سلمة فيما بين مسجد القبلتين إلى المذاد، غيرها صلى اللّه عليه و سلم و سماها صالحة تفاؤلا بالخرب، قاله المجد فى القاموس، خلاف ما سبق عنه فى الحاء المهملة، و لعل الصواب ما هنا.

الخرماء:

تأنيث الأخرم للمشقوق الشفة، عين بوادى الصفراء.

خريق:

كأمير، واد عند الجار يتصل بينبع.

خريم:

كزبير، ثنية بين جبلين بين المدينة و الجار، و قيل: بين المدينة و الروحاء، كان عليها طريق رسول الله صلى اللّه عليه و سلم منصرفه من بدر، قال كثير:

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۶۸

فأجمعن بينا عاجلا و تركننى بفيفا خريم قائما أتبلّد

الخزيمية:

بالضم و فتح الزاى، منزلة للحاج العراقى بين الأجفر و الثعلبية.

خشاش:

كسحاب، و هما خشاشان، و هما جبلان من الفرع قرب العمق، و له شاهد فى العمق.

خشب:

بضمتين آخره باء موحدة، واد على ليلة من المدينة، له ذكر فى الحديث و المغازى، و هو ذو خشب المتقدم فى الأودية التى تصبّ فى إضم، و فى مساجد تبوك، و كان به قصر لمروان بن الحكم و منازل لغير واحد، و به نزل بنو أمية لما أخرجوا إلى الشام قبيل وقعة الحرة حتى تلاحقوا به، ثم أرسل إليهم عبد الله بن حنظلة، فأخرجوا منه أقبح الإخراج، و قال شاعر:

أبت عينى بذى خشب تنام و أبكتها المنازل و الخيام

و أرّقنى حمام بات يدعو على فنن يجاوبه حمام

الخشرمة: واد قرب ينبع، يصب فى البحر.

خشين:

تصغير خشن، جبل، قال ابن إسحاق: غزا زيد بن حارثة جذام من أرض خشين، و فى المثل «إن خشينا من خشن» و هما جبلان

أحدهما أصغر من الآخر.

الخصى:

فعيل من خصاه نزع خصيته، أطم كان شرقى مسجد قباء، على فم بئر الخصى لبنى السلم، و الخصى أيضا: اطم فى منازل بنى حارثة.

خضرة:

بفتح أوله و كسر ثانية، من القرى المتقدمة فى آرة، و أرض لمحارب بنجد، و قيل: تهامة، و قال ابن سعد: كان بها سرية أبى قتادة إلى خضرة، و هى أرض محارب بنجد، و قال أبو داود: غير رسول الله صلى اللّه عليه و سلم أرضا تسمى عفرة سماها خضرة، و شعب الضلالة سماها شعب الهدى، و بنى الزنية سماهم بنى الرشدة، قال الخطابى: عفرة بفتح العين و كسر الفاء نقب، الأرض التى لا تنبت شيئا، فسماها خضرة على معنى التفاؤل حتى تخضر.

الخطمى:

تقدم فى مساجد تبوك.

خفينن:

بفتح أوله و ثانيه ثم مثناة تحتية ساكنة و نونين الأولى مفتوحة، واد و قيل:
قرية- بين ينبع و المدينة، و قيل: شعبتان واحدة تدفع فى ينبع و الأخرى تدفع فى الخشرمة، قال كثير:
و هاج الهوى أظعان عزّة غدوة و قد جعلت أقرانهنّ تبين
وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۶۹
تأطّرن بالميثاء ثم تركنه و قد لاح من أثقالهن شجون
فأتبعتهم عينىّ حتى تلاحمت عليها قنان من خفينن جون

خفيّة:

بفتح أوله و كسر ثانيه ثم مثناة تحتية مشددة، موضع بعقيق المدينة، قاله المجد أخذا من ابن الفقيه المتقدم عن الزبير عده فى أودية مسيله.

الخلائق:

أرض بنواحى المدينة، كانت لعبد الله بن أحمد بن جحش، قاله المجد، و هو جمع الخليقة الآتية، قال الهجرى: سيل العقيق بعد خروجه من النقيع يلقاه وادى ريم، و هما إذا اجتمعا دفعا فى الخليقة خليقة عبد الله بن أبى أحمد بن جحش، و بها مزارع و قصور و نخيل لغير واحد من آل الزبير و آل أبى أحمد، انتهى، و سيأتى عن المجد أنها على اثنى عشر ميلا من المدينة، و سبق عن المطرى أن سيل النقيع يصل إلى بئر علىّ العليا المعروفة بالخليقة.

قلت: هى معروفة اليوم فى درب المشيان، و هى خليقة عبد الله المذكورة، و سيأتى فى نقب مياسير أنه حد الخلائق خلائق الأحمديين، و أن الخلائق آبار، فالبئر المذكورة إحداها، و فى تهذيب ابن هشام عن ابن إسحاق فى غزوة العشيرة أن النبى صلى اللّه عليه و سلم سلك على نقب بنى دينار، ثم على فيفاء الخبار، فنزل تحت شجرة ببطحاء ابن أزهر، ثم ارتحل فنزل الخلائق بيسار، و سلك شعبة يقال لها شعبة عبد الله، و ذلك اسمها، ثم ضرب الماء حتى دخل بليل فنزل بمجتمعه و مجتمع الضّبوعة، ثم سلك الفرش فرش ملل حتى لقى الطريق بصحيرات اليمام، ثم اعتدل به الطريق.

و قوله: «الخلائق» بالخاء المعجمة فى نسخة معتمدة، و قال صخر بن الجعد:

أ تنسين أياما لنا بسويقة و أيامنا بالجزع جزع الخلائق

و قال الحزين الديلى:

لا تزرعنّ من الخلائق جدولا هيهات إن رتعت و إن لم ترتع

خلائق:

و الخلائق أيضا: فلاة بذروة الصمان تمسك ماء السماء فى صفاة خلقها الله فيها و أخواتها حريقة، قاله الأزهرى.

خلائل:

بالضم، موضع بالمدينة، قال ابن هرمة:

احبس على طلل و رسم منازل أقوين بين شواحط و خلائل

خلص:

بالفتح و سكون اللام و صاد مهملة، تقدم فى آرة أنه واد فيه قرى، و عن حكيم بن حزام قال: لقد رأيت يوم بدر و قد وقع بوادى خلص بجاد من السماء قد سدّ الأفق، فإذا الوادى يسيل نملا، فوقع فى نفسى أن هذا شىء من السماء أيد به محمد صلى اللّه عليه و سلم، فما كانت إلا الهزيمة و هى الملائكة.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۷۰

خل:

موضع بين مكة و المدينة قرب مرجح، و سيأتى شاهده فيه. و خل المضاف إليه قصر خل بالمدينة سيأتى أنه الطريق التى عنده فى

الحرة.

خليقة

بالقاف كسكينة، هى المتقدمة فى الخلائق، و قال المجد: هى منزل على اثنى عشر ميلا من المدينة، بينها و بين ديار سليم.

خم

بالضم، اسم رجل شجاع أضيف إليه الغدير الذى بقرب الجحفة، أو اسم واد هناك، و قال النووى: اسم لغيضة على ثلاثة أميال من الجحفة عندها غدير مشهور يضاف إليها، و قال الحافظ المنذرى: إنه لا يولد بهذه الغيضة أحد فيعيش إلى أن يحتلم إلا أن يرحل عنها لشدة ما بها من الوباء و الحمى بدعوة النبى صلى اللّه عليه و سلم فى نقل حمى المدينة إليها، و تقدم عن الأسدى أن على ثلاثة أميال من الجحفة يسرة عن الطريق حذاء العين المسجد المتقدم ذكره، قال: و يليها العيضة، و هى غدير خم، و هى على أربعة أميال من الجحفة، و كأن العين التى أشار إليها عين خم التى يتقى شرب مائها، فيقال: إنه ما شرب منه أحد إلا حمّ، و قال عرّام: و دون الجحفة على ميل غدير خم، و واديه يصب فى البحر، لا ينبت غير المرخ و العشر، و الغدير من نحو مطلع الشمس لا يفارقه ماء أبدا من ماء المطر و به أناس من خزاعة و كنانة غير كثير.

الخندق:

قال المطرى، و تبعه من بعده: حفر النبى صلى اللّه عليه و سلم الخندق طولا من أعلى وادى بطحان غربى الوادى مع الحرة إلى غربى مصلى العيد ثم إلى مسجد الفتح ثم إلى الجبلين الصغيرين اللذين فى غربى الوادى، و جعل المسلمون ظهورهم إلى جبل سلع، و ضرب النبى صلى اللّه عليه و سلم قبّته على القرن الذى فى غربى سلع فى موضع مسجد الفتح اليوم، و الخندق بينهم و بين المشركين و فرغ من حفره بعد ستة أيام، و تجمع فيه جميع المسلمين، و هم يومئذ ثلاثة آلاف، انتهى. و كأنه أخذه من قول ابن النجار، و الخندق اليوم باق، و فيه قناة تأتى من عين بقباء، تأتى إلى النخل الذى بأسفل المدينة بالسيح حوالى مسجد الفتح، قال: و فى الخندق نخل أيضا، و قد انطم أكثره و تهدمت حيطانه، انتهى.

و الموضع الذى ذكره من الخندق، لا أنه منحصر فيه؛ فقد روى الطبرانى عن عمرو بن عوف المزنى أن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم خطّ الخندق من أجمة الشيخين طرف بنى حارثة عام حزّب الأحزاب حتى بلغ المداحج فقطع لكل عشرة أربعين ذراعا، و احتج المهاجرون و الأنصار فى سلمان الفارسى، و كان رجلا قويا، فقال المهاجرون: سلمان منا، و قالت الأنصار: منا، فقال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم: سلمان منا أهل البيت.

و سيأتى أن الشيخين أطمان شامى المدينة بالحرة الشرقية، و أما المداحج فلا ذكر لها

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۷۱

فى بقاع المدينة، و قد روى البيهقى فى دلائل النبوة حديث عمرو بن عوف بلفظ: خط رسول صلى اللّه عليه و سلم الخندق عام الأحزاب من أجم السمر طرف بنى حارثة حتى بلغ المداد، ثم قطع أربعين ذراعا بين كل عشرة، و ذكر نحو ما سبق فى الاحتجاج فى سلمان، و المذاد:

بطرف منازل بنى سلمة مما يلى مساجد الفتح و جبل بنى عبيد. و لمنازلهم ذكر فى الخندق من جهة الحرة الغربية.

قال ابن سعد: و لما أمر رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بحفر الخندق وكّل بكل جانب منه قوما، و كان المهاجرون من ناحية راتج إلى ذباب، و كانت الأنصار يحفرون من ذباب إلى جبل بنى عبيد، و كان سائر المدينة مشككا بالبنيان فهى كالحصن، و خندقت بنو دينار من عند خربى إلى موضع دار ابن أبى الجنوب اليوم، و خندقت قبلهم بنو عبد الأشهل مما يلى راتجا إلى خلفها أى خلف بنى عبد الأشهل، و هو طرف بنى حارثة، قال: حتى جاء الخندق وراء المسجد، و فرغوا من حفره فى ستة أيام، انتهى.

و قد أوضح ذلك الواقدى فى كتاب الحرة، فنقل أنه لما دنا عسكر يزيد تشاور أهل المدينة فى الخندق، و اختلفوا أياما، ثم عزموا على الخندق خندق رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، و شكوا المدينة بالبنيان من كل ناحية.

قال حنظلة بن قيس الزرقى: عملنا فى الخندق- أى عام الحرة- خمسة عشر يوما، و كان لقريش ما بين راتج إلى مسجد الأحزاب، و للأنصار ما بين مسجد الأحزاب إلى بنى سلمة، و للموالى ما بين راتج إلى بنى عبد الأشهل، ثم ذكر فتح بعض بنى حارثة طريقا فى الخندق من قبلهم لأهل الشام كما سبق.

فتلخص أن الخندق كان شامى المدينة من طرف الحرة الشرقية على طرف الحرة الغربية؛ لأن منازل بنى سلمة لسند الحرة الغربية كما سبق.

و قوله فى رواية ابن سعد «و خندقت بنو دينار من عند خربى» أى منازل بنى سلمة «إلى موضع دار ابن أبى الجنوب» أى التى فى غربى بطحان قرب المصلى، فهو خندق آخر غير الأول، و لهذا قال كعب بن مالك رضى الله تعالى عنه من الباب فيما قبل فى الخندق من الشعر على ما ذكره ابن إسحاق:

بباب الخندقين كأن أسدا شوابكهن تحمين العرينا

فوارسنا إذا بكروا و راحوا على الأعداء شوسا معلمينا

لننصر أحمدا و الله حتى نكون عباد صدق مخلصينا

و قال ابن إسحاق: و كان الذى أشار على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بالخندق سلمان الفارسى،

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۷۲

و كان أول مشهد شهده مع رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، و هو يومئذ حر، فقال: يا رسول الله، إنا كنا بفارس إذا حصرنا خندقنا علينا، فعمل فيه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و المسلمون حتى أحكموه، و كان أحد جانبى المدينة عورة، و سائر جوانبها مشككة بالبنيان و النخيل لا يتمكن العدوّ منها، انتهى.

فهذا الجانب هو الذى تقدم بيانه، و المراد بجعل ظهورهم إلى سلع من جهة الشام و المغرب، و ما ذكره المطرى فى مضرب القبة مردود كما بيناه فى مسجد ذباب، و كأنه ظن لحصره الخندق فيما ذكره أن موضع مسجد الفتح هو المسمى بذباب؛ لأن الوارد أنه صلى اللّه عليه و سلم ضرب قبته على ذباب.

و فى تفسير الثعلبى عن عبد الله بن عمرو بن عوف قال: خط رسول الله صلى اللّه عليه و سلم الخندق عام الأحزاب، ثم قطع لكل عشرة أربعين ذراعا، و استعاروا من بنى قريظة مثل المعاول و الفؤوس و غير ذلك، و عمل رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بيده ترغيبا للمسلمين، و ربما كان يحفر حتى يعيا ثم يجلس حتى يستريح، و جعل أصحابه يقولون: يا رسول الله نحن نكفيك، فيقول:

أريد مشاركتكم فى الأجر، و ذكر ما تقدم فى الاحتجاج فى سلمان، ثم قال: و كنت، أنا و سلمان و حذيفة و النعمان بن مقرن المزنى فى ستة من الأنصار فى أربعين ذراعا، فحفرنا حتى إذا كنا تحت ذى ناب فأخرج الله من بطن الخندق صخرة مرو كسرت حديدنا و شقت علينا، فقلنا: يا سلمان أرق إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و أخبره خبر هذه الصخرة، فإما أن نعدل عنها فإن المعدل قريب و إما أن يأمرنا فيها بأمر فإنا لا نحب أن نجاوز خطه، فرقى سلمان إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و هو ضارب عليه قبة تركية

فقال له ذلك، فهبط مع سلمان الخندق فأخذ المعول من سلمان فضربها ضربة صدعها، و برق منها برق أضاء ما بين لابتيها يعنى المدينة- حتى لكأنّ مصباحا فى جوف بيت مظلم، فكبر النبى صلى اللّه عليه و سلم تكبير فتح، ثم ضربها الثانية، و ذكر مثل ما تقدم، ثم ضربها الثالثة فكسرها، و برق منها برق، و ذكر مثل ما تقدم، قال: فأخذ بيد سلمان و رقى، فقال سلمان: بأبى أنت و أمى يا رسول الله لقد رأيت شيئا ما رأيت مثله قط، فالتفت رسول الله صلى اللّه عليه و سلم إلى القوم فقال: أ رأيتم ما يقول سلمان؟

فقالوا: نعم يا رسول الله، قال: ضربت ضربتى الأولى فبرق الذى رأيتم أضاءت لى منها قصور الحيرة و مدائن كسرى كأنها أنياب الكلاب، و أخبرنى جبريل أن أمتى ظاهرة عليها، ثم ضربت الثانية فبرق الذى رأيتم أضاءت لى منها القصور الحمر من أرض الروم كأنها أنياب الكلاب، فأخبرنى جبريل أن أمتى ظاهرة عليها، ثم ضربت الثالثة فبرق الذى رأيتم أضاءت لى منها قصور صنعاء كأنها أنياب الكلاب، و أخبرنى جبريل أن أمتى ظاهرة عليها،

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۷۳

فأبشروا، فاستبشر المسلمون و قالوا: الحمد لله وعد صدق وعدنا النصر بعد الحصر، فقال المنافقون: أ لا تعجبون يمنيكم و يعدكم الباطل، و يخبركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة و مدائن كسرى و أنها تفتح لكم، و أنتم إنما تحفرون الخندق من الفرق لا تستطيعون أن تبرزوا، فنزل القرآن وَ إِذْ يَقُولُ الْمُنافِقُونَ وَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ما وَعَدَنَا اللَّهُ وَ رَسُولُهُ إِلَّا غُرُوراً [الأحزاب: ۱۲] و أنزل الله فى هذه القصة قُلِ اللَّهُمَّ مالِكَ الْمُلْكِ [آل عمران:

۲۶] انتهى.

و قوله «ذو باب» كذا هو بالواو بعد الذال، فإن صحت الرواية به فهو اسم لذباب أيضا؛ لأنه مضرب القبة فى الخندق، و لم أر من ذكر ذو باب فى بقاع المدينة.

و روى الواقدى فى سيرته أن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه كان يضرب يوم الخندق بالمعول، فصادف حجرا صلدا، فأخذ رسول الله صلى اللّه عليه و سلم المعول و هو عند جبل بنى عبيد، فضرب ضربة فذهبت أولها برقة إلى اليمن، ثم ضرب أخرى فذهبت أخرى إلى الشام، ثم ضرب أخرى فذهبت برقة نحو المشرق، و كسر الحجر عند الثالثة، فكان عمر رضى الله تعالى عنه يقول: و الذى بعثه بالحق لصار كأنه سهلة، و كان كلما ضرب ضربة يتبعه سلمان ببصره فيبصر عند كل ضربة برقة، فقال سلمان: رأيت المعول كلما ضربت به أضاء ما تحته، فقال: أ ليس قد رأيت ذلك؟ قال: نعم، قال النبى صلى اللّه عليه و سلم: إنى رأيت فى الأولى قصور اليمن، ثم رأيت فى الثانية قصور الشام، و رأيت فى الثالثة قصر كسرى الأبيض بالمدائن، و جعل يصفه لسلمان، فقال: صدقت و الذى بعثك بالحق إن هذه لصفته، فأشهد أنك رسول الله، فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: هذه فتوح يفتحها الله عليكم بعدى يا سلمان، ليفتحن الشام و يهرب هرقل إلى أقصى مملكته و تظهرون على الشام فلا ينازعكم أحد، و لتفتحن اليمن، و لتفتحن هذا المشرق و يقتل كسرى فلا يكون كسرى بعده، قال سلمان رضى الله تعالى عنه: فكلّ هذا قد رأيت.

و ما تقدم من فراغ الخندق فى ستة أيام هو المعروف، لكن قال الحافظ ابن حجر: إن فى مغازى ابن عقبة أنهم أقاموا فى عمله قريبا من عشرين ليلة، و عند الواقدى أربعا و عشرين، و فى الروضة للنووى خمسة عشر يوما، و فى الهدى لابن القيم: أقاموا شهرا، انتهى. و الذى فى الهدى: و أقام المشركون شهرا يحاصرون، و كذا ما نقله عن الروضة إنما هو فى الحصار، و كذا ابن عقبة إنما ذكر ذلك فى الحصار كما سبق فى السنة الخامسة، لكن نقل ابن سيد الناس عن ابن سعد أن المدة فى عمل الخندق ستة أيام، ثم قال: و غيره يقول: بضع عشرة ليلة، و قيل: أربعا و عشرين.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۷۴

خويفة:

ذكرها صاحب «المسالك و الممالك» فى توابع المدينة و مخاليفها.

خيبر:

اسم ولاية مشتملة على حصون و مزارع و نخل كثير، و الخيبر بلسان اليهود:

الحصن، و لذلك سميت بخيابر أيضا، لكثرة حصونها.

و قال أبو القاسم الزجاجى: سميت بخيبر أخى يثرب ابنى قانئة بن مهليل بن إرم بن عبيل، و عبيل: أخو عاد، و عم الربذة و زرود و السفرة، و كان أول من نزل بها، و هى على ثلاثة أيام من المدينة، على يسار حاج الشام، نزلها النبى صلى اللّه عليه و سلم قريبا من شهر، و افتتحها حصنا حصنا، فأول ما افتتح حصن ناعم، ثم العموص حصن ابن أبى الحقيق، و اختار سبايا منهن صفية، ثم جعل بيدنا الحصون و الأموال حتى انتهى إلى الوطيح و السلالم فكانا آخر ما فتح، فحاصرهم بضع عشرة ليلة، حتى إذا أيقنوا بالهلكة صالحوه على حقن دمائهم و ترك الذرية، على أن يخلوا بين المسلمين و بين الأرض و الصفراء و البيضاء و البزة إلا ما كان منها على الأجساد، و أن لا يكتموه شيئا، فإن فعلوا فلا ذمة لهم فغيبوا مسكا كان لحيى بن أخطب فيه حليهم، فقال النبى صلى اللّه عليه و سلم: حتى نظفر بالمسك، فقتل ابن أبى الحقيق و سبى نساءهم و ذراريهم، و أراد أن يجلى أهل خيبر فقالوا: دعنا نعمل فى هذه الأرض فإن لنا بذلك علما، فأقرهم و عاملهم على الشّطر من التمر و الحب، و قال: نقركم على ذلك ما شئنا أو ما شاء اللّه، فكانوا بها حتى أجلاهم عمر بعد ذلك.

و روى ابن شبة عن حسيل بن خارجة أن أهل الوطيح و سلالم صالحوا عليهما النبى صلى اللّه عليه و سلم، فكان ذلك له خاصة، و خرجت الكثيبة فى الخمس، و هى مما يلى الوطيح و سلالم، فجمعت شيئا واحدا؛ فكانت مما ترك رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم من صدقاته، و هو يقتضى أن بعض خيبر فتح عنوة و بعضها صلحا، و به يجمع بين الروايات المختلفة فى ذلك، و هو الذى رواه ابن وهب عن مالك عن ابن شهاب قال: فتح بعضها عنوة و بعضها صلحا، و الكثيبة أكثرها عنوة، و فيها صلح، قلت لمالك: و ما الكثيبة؟ قال: أرض خيبر، و هى أربعون ألف عذق.

قلت: المراد أن الكثيبة بخيبر، لا أنها كل أرضها، لما سبق.

و روى ابن زبالة حديث «ميلان فى ميل من خيبر مقدس» و حديث «خيبر مقدسة، و السوارقية مؤتفكة» و حديث «نعم القرية فى ستيات المسيح خيبر» يعنى زمان الدجال.

و توصف خيبر بكثرة التمر و النخل، قال حسان بن ثابت رضى اللّه تعالى عنه:

أ تفخر بالكتان لما لبسته و قد لبس الأنباط ريطا مقصرا

و إنا و من يهدى القصائد نحونا كمستبضع تمرا إلى أرض خيبرا

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۷۵

و توصف أيضا بكثرة الحمى، قدمها أعرابى بعياله فقال:

قلت لحمّى خيبر استعدّى هاك عيالى فاجهدى و جدّى

و باكرى بصالب و ورد أعانك اللّه على ذا الجند

فحم و مات و بقى عياله.

خيط:

بلفظ واحد الخيوط، أطم كان لبنى سواد على شرف الحرة شرقى مسجد القبلتين.

الخيل:

بلفظ الخيل التى تركب، يضاف إليه بقيع الخيل المتقدم فى سوق المدينة عند دار زيد بن ثابت، و الخيل أيضا: جبل بين مجنب و صرار، له ذكر فى المغازى، و روضة الخيل: بأرض نجد.

حرف الدال

دار القضاء:

تقدمت فى باب زيادة أبواب المسجد.

دار ابن مكمل:

تقدمت فى الدور المطيفة بالمسجد.

دار النابغة:

تقدمت فى مسجد دار النابغة.

دار نخلة:

مضافة إلى واحدة النخل، تقدمت فى سوق المدينة.

الدبة:

بفتح أوله و تشديد ثانيه كدبة الدهن، و قد تخفف، موضع بمضيق الصفراء يقال له «دبة المستعجلة» قال نصر: كذا يقوله المحدثون بالتخفيف، و الصواب الأول؛ لأن معناه مجتمع الرمل، و الدبة أيضا: موضع بين أضافر و بدر اجتاز به النبى صلى اللّه عليه و سلم بعد ارتحاله من ذفران يريد بدرا، و فى القاموس: الدبة بالضم موضع قرب بدر.

در:

بالفتح و تشديد الراء، غدير بأسفل حرة بنى سليم على النقيع، سقى ماله الربيع كله.

درک:

بفتحتين، موضع كانت فيه وقعة بين الأوس و الخزرج فى الجاهلين، و يروى بسكون الراء، أظنه الذى سبق فى بئر دريک مصغرا.

دعان:

بالفتح، بين المدينة و ينبع، و إياه عنى معاوية رضى الله تعالى عنه بقوله «اللاتى فى الغابة، و أما دعان فنهانى عن نفسه» و يأتى شاهده فى ضأس.

الدف:

بلفظ الدف الذى ينقر به، موضع فى حدان بناحية عسفان.

الدماخ:

بالكسر و آخره خاء معجمة، جبال ضخام بحمى ضرية، و دمخ الدماخ:
جبل هو أعظمها.

دهماء مرضوض:

موضع بنواحى حمى البقيع لمزينة، قال ابن معن بن أوس المزنى:
وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۷۶
فدهماء مرضوض كأن عراصها بها نضو محذوف جميل محافده

الدهناء:

بفتح أوله و سكون ثانيه و نون و ألف ممدودة و تقصر، موضع بين المدينة و ينبع، و الدهناء أيضا: سبعة أحبل بالحاء المهملة- من الرمل بديار تميم، بين كل حبلين شقيقة، من أكثر بلاد الله كلأ مع قلة مياه، و إذا أخصبت وسعت العرب كلهم لسعتها و كثرة شجرها، و ساكنها لا يعرف الحمّى لطيب تربتها و هوائها، و يصب واديها فى منعج ثم فى الدومة.

الدوداء:

بالمد، موضع قرب ورقان.

دوران:

كحوران، واد عند طرف قديد مما يلى الجحفة.

الدومة:

بالفتح، تقدمت فى بئر أريس، المعروف اليوم بذلك حديقة قرب بنى قريظة، و إلى جانبها الدويمة مصغرة.

دومة الجندل:

بضم أوله و فتحه، و أنكر ابن دريد الفتح، و فى رواية «دوما الجندل» وعدها ابن الفقيه من أعمال المدينة، سميت بدوما بن إسماعيل عليه السلام، و قال الزجاجى: دومان بن إسماعيل، و قال ابن الكلبى: دوما بن إسماعيل. قال: و لما كثر ولد إسماعيل بتهامة خرج دوما حتى نزل موضعه دومة، و بنى به حصنا فقيل «دوما» و نسب الحصن إليه، و قال أبو عبيد: دومة الجندل حصن و قرى بين الشام و المدينة قرب جبل طيء.

قال: و دومة من القريات من وادى القرى، و ذكر أن عليها حصنا حصينا يقال له «مارد» و هو حصن أكيدر الملك، و كان النبى صلى اللّه عليه و سلم وجّه إليه خالد بن الوليد من تبوك، و قال له: ستلقاه يصيد الوحش، و جاءت بقرة وحشية فحكت قرونها بحصنه، فنزل إليها ليلا ليصيدها، فهجم عليه خالد فأسره و قتل حسانا أخاه، و افتتح دومة عنوة، و قدم بأكيدر معه على النبى صلى اللّه عليه و سلم، فقال بجير الطائى:

تبارك سائق البقرات إنى رأيت الله يهدى كل هاد

فمن يك حائدا عن ذى تبوك فإنا قد أمرنا بالجهاد

ثم صالحه النبى صلى اللّه عليه و سلم على دومة الجندل، و أقره على الجزية، و كان نصرانيا، و نقض أكيدر الصلح بعد، فأجلاه عمر إلى الحيرة، فنزل بقرب عين التمر، و بنى منازل سماها دومة باسم حصنه بوادى القرى، قاله المجد، و فيه نظر؛ لما سيأتى فى وادى القرى.

و قال ابن سعد: دومة الجندل طرف من الشام، و بينها و بين دمشق خمس ليال، و بينها و بين المدينة خمس عشرة أو ست عشرة ليلة، و ذكر أن النبى صلى اللّه عليه و سلم غزاها و نزل بساحة أهلها، فلم يلق أحدا، فأقام بها أياما و بث السرايا.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۷۷

و قال ابن هشام فى غزوة دومة: إن النبى صلى اللّه عليه و سلم رجع قبل أن يصلحها، و قيل: كان منزل أكيدر أولا دومة الحيرة، و كان يزور أخواله من كلب فخرج معهم للصيد، فرفعت لهم مدينة متهدمة لم يبق إلا حيطانها مبنية بالجندل، فأعادوا بناءها، و غرسوا الزيتون و غيره فيها، و سموها دومة الجندل، فرقا بينها و بين دومة الحيرة، و كان أكيدر يتردد بينهما.

و زعم بعضهم: أن تحكيم الحكمين كان بدومة الجندل، و فى كتاب الخوارج عن عبد الرحمن بن أبى ليلى قال: مررت مع أبى

موسى بدومة الجندل، فقال: حدثنى صلى اللّه عليه و سلم أنه حكم فى بنى إسرائيل فى هذا الموضع حكمان بالجور، و أنه يحكم فى أمتى حكمان بالجور فى هذا الموضع، قال: فذهبت الأيام حتى حكم هو و عمرو بن العاص فيما حكما، قال: فلقيته فقلت: يا أبا موسى قد حدثتنى عن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، فقال: فالله المستعان، كذا أورده المجد.

الدويخل:

بالضم مصغرا، جبل بنى عبيد، قال المطرى: هو أحد الجبلين الصغيرين غربى وادى بطحان و مساجد الفتح.

حرف الذال

ذات أجدال:

بالجيم بمضيق الصفراء

ذات القطب:

من أودية العقيق كما سبق.

ذات النّصب:

بضم النون و الصاد المهملة و باء موحدة، موضع بمعدن القبلية أقطعه النبى صلى اللّه عليه و سلم بلال بن الحارث المزنى، و فى الموطأ أن ابن عمر ركب إلى ذات النصب فقصر الصلاة، قال مالك: و بين ذات النصب و المدينة أربع برد.

ذباب:

كغراب و كتاب لغتان، قال البكرى: ذباب جبل بجبانة المدينة، و سبق فى المساجد بيان أنه الجبل الذى عليه مسجد الراية، و تقدم فى الخندق ما يقتضى أن اسمه ذو باب أيضا.

ذرع:

اسم بئر بنى خطمة المتقدمة.

ذروان:

بمنازل بنى زريق قبلى الدور التى فى جهة قبلة المسجد، و ما و الى ذلك، يضاف إليه بئر ذروان المتقدمة.

ذفران:

بفتح أوله و كسر ثانيه ثم راء و آخره نون، واد تقدم بيانه فى مساجد طريق مكة اليوم.

ذو حده:

قال البيضاوى فى قوله تعالى: لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ [التوبة:

۴۸] إن ابن أبى و أصحابه تخلفوا عن تبوك بعد ما خرجوا مع رسول الله صلى اللّه عليه و سلم إلى ذى حدة أسفل من ثنية الوداع، و عن ابن إسحاق أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم ضرب عسكره يومئذ على ثنية الوداع، و ضرب عبد الله بن أبى معه على حدة عسكره أسفل منه نحو ذباب، كذا فى تهذيب ابن هشام، و فى دلائل النبوة للبيهقى عن ابن إسحاق: فلما خرج رسول الله صلى اللّه عليه و سلم ضرب عسكره على ثنية الوداع و معه زيادة على ثلاثين ألفا من الناس، و ضرب عبد الله بن أبى على ذى حدة أسفل منه.

ذهبان:

بفتحات و باء موحدة و نون، جبل لجهينة أسفل من ذى المروة، بينه و بين السقيا، و قرية بين حدة و بين قديد، قاله ابن السكيت.

حرف الراء

رائع:

بهمزة بعد الألف، يقال: فرس رائع أى جواد، و شىء رائع، أى حسن، كأنه يروع لحسنه أى يبهت، و هو فناء من أفنية المدينة قاله ياقوت، كذا قال المجد، و الذى رأيته فى المشترك لياقوت أنه بياء بعد الألف غير مهموزة، و سبق ذكره فى قصر عنبسة بن عمرو بالعقيق، و فى جر هشام بن إسماعيل.

رابغ:

بموحدة بعد الألف ثم غين معجمة، واد من الجحفة، و رابغ أيضا قال الهجرى: فلق بطرف أسقف به غدير، و اسمه القديم رابوغ كما سبق فى غدران العقيق عن الزبير، قال: و قلما يفارقه ماء، إذا قل ماؤه احتسى، و هو أسفل شىء من غدير العقيق، إلا غدير السيالة، انتهى. و لعله المعروف اليوم هناك بالحسى.

راتج:

بالمثناة الفوقية بعد الألف ثم جيم، أطم سميت به الناحية، و كان ليهود، ثم صار لبنى الجذماء ثم صار لأهل راتج خلفاء بنى عبد الأشهل كما سبق عن ابن زبالة آخر المنازل، و أن ابن حزم قال: أهل راتج بنو رغورا بن جشم أخى عبد الأشهل أبناء الحارث بن الخزرج الأصغر، قال ابن حبيب: الشرعبى و راتج و مزاحم آطام بالمدينة، و هو لبنى جشم بن الحارث بن الخزرج أى الأصغر، و سبق فى مسجد راتج أنه فى شرقى ذباب جانحا إلى الشام، و لهذا خندقت بنو عبد الأشهل منه إلى طرف حرتهم، و هو طرف بنى حارثة كما سبق فى الخندق، و لم يعرج المطرى على ما ذكرناه، بل قال: عن الجبل الذى إلى جنب جبل بنى عبيد غربى بطحان يقال له راتج، و قال بعضهم فى جبال المدينة:

ذباب، و سلع، و راتج، و جبل بنى عبيد.

راذان:

قرية بنواحى المدينة، قاله المجد، و راذان أيضا: من سواد العراق قريتان عليا و سفلى، و فى حديث ابن مسعود «لا تتخذوا الضيعة» قال عبد الله: براذان ما براذان،

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۷۹

أربعا، و بالمدينة ما بالمدينة، أى لا سيما إن اتخذتم الضيعة براذان أو بالمدينة، خصهما لنفاستهما و كثرة الرغبة فيهما، قال ياقوت: راذان من نواحى المدينة لها ذكر فى حديث ابن مسعود، انتهى.

رامة:

منزل بطريق الحاج العراقى على مرحلة من أمرة، و سماه أبو عبيدة رامتان، فقال فى منازل طريق الحاج: و أما رامتان فهما زبيتان مثل ثدى المرأة، ثم ذكر أمرة.

رانوناء:

بنونين ممدودة كعاشوراء، و يقال رانون كما سبق فى الفصل الخامس.

راية الأعمى:

من أودية العقيق.

راية الغراب:

من أوديته أيضا.

رباب:

كسحاب، جبل بطريق فيد للمدينة، يقابله جبل يقال له حولة، و هما عن يمين الطريق و يساره.

الربا:

بالضم ثم الفتح مخففا مقصورا، جمع ربوة، بين الأبواء و السقيا بطريق مكة.

الربذة:

بالتحريك و إعجام الذال، تقدمت فى الفصل السابع.

الربيع:

بلفظ ربيع الأزمنة، موضع بنواحى المدينة، و يوم الربيع: من أيام الأوس و الخزرج، قال قيس بن الخطيم:
و نحن الفوارس يوم الربيع و قد علموا كيف فرساننا

الرجام:

ككتاب، جبل مستطيل أحمر على ثلاثة عشر ميلا من ضرية على طريق أهل أضاخ، و فى غربيه ماء عذب يقال له الرجام، و ليس بينه و بين طخفة إلا طريق ثنية، و فى أعراضه نزل جيش أبى بكر أيام الردة.

الرجلاء:

تقدم فى حرة الرجلاء.

الرجيع:

كأمير، واد قرب خيبر، قال ابن إسحاق فى غزوة خيبر: ثم أقبل حتى نزل بواد يقال له الرجيع، فنزل بينهم و بين غطفان ليحيل بينهم و بين أن يمدوا أهل خيبر، فعسكر به، و كان يراوح القتال منه، و يخالف الثقل و النساء و الجرحى بالرجيع، و الرجيع أيضا: بين مكة و الطائف به سرية عاصم حميّ الدّبر كما سبق فى بئر معونة.

الرحابة:

كغمامة، موضع بالحرة الغربية ببنى بياضة كما تقدم فى مساجد بنى بياضة.

الرحبة:

كرقبة، بلاد عذرة قرب وادى القرى و سقيا الجزل، و ذكرها صاحب المسالك و الممالك فى توابع المدينة و مضافاتها.

رحرحان:

بحاءين مهملتين بينهما راء، تقدم فى حمى الربذة.

الرحضية:

بالكسر كالزنجية و الضاد معجمة، هى الأرحضية كما سبق فيها، قال

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۸۰

الصغانى: الرحضية قرية للأنصار، و حذاءها قرية يقال لها الحجر، و قال المجد: هى للأنصار و بنى سليم، بها آبار و عليها مزارع كثيرة و نخيل.

رحقان:

بالضم ثم السكون و القاف آخره نون، واد عن يمين المتوجه من النازية إلى المستعجلة وسيله يصب عن يسار المستعجلة فى خيف بنى سالم، و لهذا قال ابن إسحاق فى السير إلى بدر كما سبق فى مسجد مضيق الصفراء: فسلك فى ناحية منها، يعنى النازية، حتى جزع واديا يقال له رحقان بين النازية و بين مضيق الصفراء، أى قطع طرف الوادى المذكور مما يلى المستعجلة، و هى أول مضيق الصفراء.

الرديهة:

من أودية مسيل العقيق.

رحيب:

بالضم كنفير تصغير رحب، جبل معروف قرب أراين، سبق شاهده فيه.

رحيۀ:

تصغير رحا، بئر بين المدينۀ و الجحفۀ.

الرس:

بالفتح و تشديد السين، من أوديۀ القبليۀ، قاله الزمخشرى، و قال غيره: هو ماء لبنى منقد من بنى أسد بنجد، و قال ابن دريد: الرس و الرسيس واديان بنجد أو موضعان، و الرس الذى فى التنزيل: واد قبل وادى أذربيجان، و هو واد عجيب فيه رمان لم ير مثله، و زبيبه يجفف فى التنانير؛ لأنه لا شمس عندهم لكثرۀ الضباب، و كان عليه ألف مدينۀ، فبعث الله إليهم نبيا فكذبوه، فدعا عليهم، فحول الله جبلين عظيمين كانا بالطائف فأرسلهما عليهم فهم تحتهما.

رشاد:

من أوديۀ الأجرد، و كان اسمه غوى، و هو لبنى عنان من جهينۀ، فسماه النبى صلى اللّه عليه و سلم رشادا، و قال لهم: أنتم بنو رشدان.

ذات الرّضم:

محركۀ و تسكن، موضع على ستۀ أميال من وادى القرى، قال عمرو بن الأهيم:

قفا نبك من ذكرى حبيب و أطلال بذى الرضم فالرمانتين فأوعال

الرضمۀ:

محركۀ و تسكن، من نواحى المدينۀ، قال ابن هرمۀ:

سلكوا على صفر كأن حمولهم بالرضمتين ذرى سفين عوم

رضوى:

بالفتح كسكرى، جبل قرب ينبع، ذو شعاب و أوديۀ، و به مياه و أشجار، و منه يقطع أحجار المسانّ، قال ابن السكيت: رضوى قفاه حجاز و بطنه غور، و هو لجهينۀ. و قال عرام: هو أول جبال تهامۀ، على مسيرۀ يوم من ينبع، و على سبع مراحل

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۸۱

من المدينۀ، ميامنه طريق مكۀ، و سبق آخر الباب الخامس عند ذكر فضل أحد أن رضوى مما وقع بالمدينۀ من الجبل الذى تجلّى الله

تعالى له، و صار لهيبته ستة أجبل، و أن أبا غسان قال: أما رضوى فبينبع على مسيرة أربع ليال من المدينة، و هذا هو المعروف فى المسافة بينهما.

و سبق هناك أيضا أن رضوى من جبال الجنة، و فى رواية أنه من الجبال التى بنى منها البيت، و فى حديث «رضوى رضى الله عنه، و قدس قدسه الله، و أحد جبل يحبنا» و تزعم الكيسانية أن محمد بن الحنفية مقيم برضوى يرزق.

الرّعل:

بالكسر و سكون العين المهملة، أطم بمنازل بنى عبد الأشهل، و لما أجلاهم عنها بنو حارثة كما سبق قال حضير بن سماك يوما: ارفعونى أنظر إلى الرعل، فقال أساف بن عدى الحارثى:

فلا و بنات خالك لا تراه سجيس الدهر ما نطق الحمام

فإنّ الرعل إذ اسلمتوه و ساحة واقم منكم حرام

ذات الرقاع:

بالكسر، جمع رقعة، قال الواقدى: هى قرب نخل، على ثلاثة أميال من المدينة، و هى بئر جاهلية، و إنما سميت بذلك لأن تلك الأرض بها بقع بيض و حمر و سود، و قيل: ذات الرقاع جبل فيه سواد و بياض و حمرة، فكأنها رقاع فى الجبل، كذا نقله المجد، و الذى نقله الحافظ ابن حجر عن الواقدى أن الغزوة سميت ذات الرقاع باسم نخيل هناك فيه نقع.

و سيأتى فى ترجمة نخل أن غزوة ذات الرقاع كانت به، مع ما نقل عن الواقدى فى ذلك، و قال ابن هشام و غيره: سميت بذلك لأنهم رقعوا راياتهم، و قال الداودى: لأن صلاة الخوف كانت بها فسميت بذلك لترقيع الصلاة فيها، و قال أبو موسى الأشعرى: سميت بذلك لما لفوا فى أرجلهم من الخرق كما فى صحيح مسلم، و قيل: سميت باسم شجرة هناك يقال لها ذات الرقاع، و قيل: لأن خيلهم كان بها سواد و بياض.

الرقعة:

بالفتح ثم السكون، موضع قرب وادى القرى من الشقة شقة بنى عذرة، فيه مسجد للنبى صلى اللّه عليه و سلم كذا قاله المجد، و هو مخالف لما سبق عن المطرى فى مساجد تبوك من أنه على لفظ رقعة الثوب، و أن البكرى قال: أخشى أن يكون بالرقمة من الشقة شقة بنى عذرة، فما ذكره المجد إنما يصح فى الرقمة بالميم.

الرقمتان:

بحرة المدينة الغربية، و هما نهدان من أنهادها لونهما أحمر إلى الصفرة، و تلك الحرة سوداء، فسميا بذلك، و قد يقال فيهما الرقمة بالإفراد- قال الأصمعى:

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۸۲

الرقمتان إحداهما قرب المدينة و الأخرى بقرب البصرة، و قال العمرانى: إحداهما بالبصرة و الأخرى بنجد، و أما التى فى شعر زهير:

و دار لها بالرقمتين كأنها مراجع و شم فى نواشر معصم

فبأرض بنى أسد.

رقم:

محرّك، و قد يسكّن، بالمدينة ينسب إليه السهام الرقميات، و قال نصر: الرقم جبال بدار غطفان، و ماء عندها، و السهام الرقميات منسوبة إلى هذا الموضع.

و روى أبو نعيم خبر عامر بن الطفيل و أربد بن صيفى فى همهما بقتل النبى صلى اللّه عليه و سلم بالمدينة، و أن أربد لما وضع يده على السيف يبست على قائمه، فلم يستطع سلّه، فخرجا حتى إذا كانا بحرة واقم نزقا فخرج إليهما سعد بن معاذ و أسد بن حضير فقال: اشخصا يا عدوى الله، لعنكما الله، فخرجا حتى إذا كانا بالرقم أرسل الله على أربد صاعقة فقتلته، و خرج عامر حتى إذا كان بالحريث أرسل الله عليه قرحة، و ذكر موته بها.

الرقيبة:

تصغير رقبة، و قال نصر: إنه بفتح أوله كسفينة، جبل مطل على خيبر له ذكر فى قصة عيينة بن حصن فى فتح خيبر.

الركابية:

بالكسر منسوبة إلى الركاب و هى الإبل، موضع على عشرة أميال من المدينة.

ركنان:

بالتحريك، قرب وادى القرى.

ركوبة:

بالفتح كحلوبة بالباء الموحدة، ثنية بين مكة و المدينة عند العرج، على ثلاثة أميال منه لجهة المدينة، كما سيأتى فى المدارج.

قال ابن إسحاق فى سفر الهجرة: ثم خرج بهما دليلهما من العرج فسلك بهما ثنية الغاير عن يمين ركوبة.

و قال المجد: ركوبة ثنية شاقة يضرب بصعوبتها المثل، سلكها النبى صلى اللّه عليه و سلم عند مهاجره إلى المدينة، قرب جبل ورقان و قدس الأبيض، و كان معه ذو البجادين، فحدا به و جعل يقول:

تعرّضى مدارجا و سومى تعرّض الجوزاء للنجوم

هذا أبو القاسم فاستقيمى

و مأخذه قول الأصمعى فى تفسير قول بشر بن أبى خازم:

و لكن كرّا فى ركوبة أعسر

ركوبة عند العرج سلكها النبى صلى اللّه عليه و سلم، و كان دليله إليها عبد الله ذو البجادين، انتهى.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۸۳

و كل من ركوبة و ثنية الغاير بعقبة العرج، و العقبة هى المدارج كما سيأتى، و أغرب الحافظ ابن حجر فقال فى الكلام على نار الحجاز: ركوبة ثنية صعبة المرتقى فى طريق المدينة إلى الشام، مر بها النبى صلى اللّه عليه و سلم فى غزوة تبوك، ذكرها البكرى، انتهى. فإن صح فهى غير هذه، و سيأتى عن عرام فى ورقان أنه ينقاد إلى الحى بين العرج و الرويثة، و يغلق بينه و بين قدس الأبيض عقبة يقال لها ركوبة.

الرمة:

بالضم و يكسر، قاع عظيم بنجد، قاله فى القاموس، و قال الأصمعى: الرمة تخفف و تثقل، و بين أسفلها و أعلاها سبع ليال من الحرة حرة فدك إلى القصيم، و قال غيره: بطن الرمة ببلاد غطفان فى طريق فيد إلى المدينة.

رواوة:

بالضم كزرارة، قال ابن السكيت، رواوة و المبيضى و ذو السلاسل أودية بين الفرع و المدينة، و انتهى، و سبق عن الهجرى أن سيل العقيق يقضى إلى غدير يقال له رواوة، قال أبو الحسن: رواوة يدفع فى خليقة ابن أبى أحمد، و سبق عن ابن شبة أن سيل العقيق يصبّ فى غدير يلبن، ثم على رواوتين يعترضهما يسارا، فثناه، و أورد المجد شاهد الإفراد، و سبق نحوه فى تيدد و شاهد التثنية، و سيأتى فى لأى.

الروحاء:

بالفتح ثم السكون و الحاء المهملة، قال المجد: موضع من عمل الفرع على نحو أربعين ميلا من المدينة، و فى صحيح مسلم: على ست و ثلاثين ميلا، و فى كتاب ابن شبة: على ثلاثين ميلا، و قال أبو غسان: إن ورقان بالروحاء من المدينة على أربعة برد و قال أبو عبيد البكرى: قبر مضر بن نزار بالروحاء على ليلتين من المدينة بينهما أحد و أربعون ميلا، و ذكر الأسدى فى موضع أنها على خمسة أو ستة و ثلاثين ميلا، و قال فى موضع: اثنين و أربعين ميلا، قال: و على مدخل الروحاء علمان، و على مخرجها علمان؛ فالجمع بين ذلك أن الروحاء اسم للوادى، و فى أثنائه منزلة الحجاج، فيحمل أقل المسافات على إرادة أوله مما يلى المدينة، و أكثرها على آخره، و متوسطها على وسطه.

قال ابن الكلبى: لما رجع تبّع من قتال أهل المدينة نزل بالروحاء، و أقام بها و أراح، فسماها الروحاء. و سئل كثير: لم سميت الروحاء؟ قال: لانفتاحها و روحها، و يقال: بقعة روحاء، طيبة ذات راحة.

و سبق فى مسجد شرف الروحاء أن من الشرف يهبط فى وادى الروحاء، و أن النبى صلى اللّه عليه و سلم قال: هذا واد من أودية الجنة، يعنى وادى الروحاء، و أن اسمه سجاسج، و أن موسى بن عمران عليه السلام مرّ بالروحاء فى سبعين ألفا، و أنه صلى بذلك

الوادى سبعون نبيا.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۸۴

و قال ابن إسحاق فى مسيره صلى اللّه عليه و سلم إلى بدر: و نزل سجسج، و هى بئر الروحاء، و قال الأسدى: و بالروحاء آثار لرسول الله صلى اللّه عليه و سلم، و بها قصران و آبار كثيرة منها بئر تعرف بمروان عندها بركة للرشيد، و بئر لعثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه عليها سانية، و سيل مائها إلى بركتها، و بئر تعرف بعمر بن عبد العزيز فى وسط السوق يسنى منها فى إحدى البركتين، و بئر تعرف بالواثق، و هى شر آبار المنزل طول رشائها ستون ذراعا، انتهى. و بها اليوم بركة تملأ للحاج تعرف ببركة طار، و لعله جددها و جعل لها معلوما و وقفا. و قال ابن الرضية:

إذا اغرورقت عيناى قال صحابتى لقد أولعت عيناك بالهملان

ألا فاحملانى بارك الله فيكما إلى حاضر الروحاء ثم دعانى

و يؤخذ مما سلف فى فضائل بقيع الغرقد تسمية المقبرة التى بوسطه و فيها مشهد سيدنا إبراهيم عليه السلام بالروحاء.

روضة الأجاول:

بالجيم، بنواحى ودّان، منازل نصيب الشاعر.

روضة الأجداد:

قرية ببلاد غطفان من وادى القصيبة قبلى خيبر و شرقى وادى عصيرة، قال الهيثم بن عدى: خرج عروة الصعاليك و أصحابه إلى خيبر يمتارون منها، فعشروا أى نهقوا كالحمير- يرون أنه يصرف عنهم الوباء، و امتنع عروة أن يعشر، و أنشد:

و قالوا اجث و انهق لا تضرك خيبر و ذلك من دين اليهود ولوع

لعمرى لئن عشرت من خشية الردى نهاق حمير إننى لجزوع

فلا وألت تلك النفوس و لا أتت على روضة الأجداد و هى جميع

قال: و دخلوا و امتاروا و رجعوا، فلما بلغوا روضة الأجداد ماتوا إلا عروة.

روضة ألجام:

بفتح الألف و سكون اللام و الجيم و ألف و ميم، و يقال روضة آجام، نحو النقيع، قاله ابن السكيت فى قول كثير:

فروضة ألجام تهيج لى البكا و روضات شوظى عهدهن قديم

وعدها الهجرى من دوافع وادى العقيق المشهورة التى من الحرة.

روضة خاخ:

بخاءين معجمتين، و تقدمت فى خاخ.

روضة الخرج:

بضم الخاء و سكون الراء ثم جيم، من نواحى المدينة.

روضة الخرجين:

تثنية الذى قبله، و لعله هو، قال:

بروضة الخرجين من مهجور تربعت فى غارب نضير

و مهجور: ماء بنواحى المدينة.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۸۵

روضة الخزرج:

بلفظ القبيلة من الأنصار، بنواحى المدينة، قال حفص الأموى:

فالمح بطرفك هل ترى أظعانهم بالبارقية أو بروض الخزرج

روضة الحماط:

هى روضة ذات الحماط، و ذات الحماط: من أودية العقيق.

روضة ذى الغصن:

بلفظ غصن الشجرة مضافة إلى ذى الغصن أحد أودية العقيق.

روضة الصها:

بضم الصاد المهملة، شمالى المدينة على ثلاثة أيام، و الصّها: جمع صهوة، و هى أجبال هناك، و ربما قالوا رياض الصها.

روضة عرينة:

كجهينة، واد ناحية الرحضية، كان يحمى للخيول و فى الجاهلية و الإسلام، بأسفلها قلهى، و هو ماء لبنى جذيمة بن مالك.

روضة العقيق:

عقيق المدينة، أنشد الزبير:

عج بنا يا أنيس قبل الشروق نلتمسها على رياض العقيق

روضة الفلاج:

بكسر الفاء آخره جيم، يأتى فى الفلجة أحد أودية العقيق.

روضة مرخ:

بالتحريك و الخاء المعجمة، بالمدينة، قال ابن المولى المدنى:

هل تذكرين بجنب الروض من مرخ يا أملح الناس وعدا شفنى كمدا

روض نسر:

بفتح النون و سكون السين المهملة آخره راء، يأتى فى النون.

ذو رولان:

واد قرب الرحضية لبنى سليم به قلهى.

الرويثة:

بالضم و فتح الواو و سكون المثناة تحت و فتح المثلاثة آخره هاء، قال ابن السكيت: منهل بين مكة و المدينة، و لما رجع تبع من قتال أهل المدينة نزل الرويثة و قد أبطأ فى مسيره، فسماها الرويثة من راث إذا أبطأ، و هى على ليلة من المدينة، كذا قال المجد، و صوابه ليلتين؛ لأنها بعد وادى الروحاء ببضعة عشر ميلا، و لذا قال الأسدى:

إنها على ستين ميلا من المدينة.

رهاط:

كغراب و الطاء مهملة، موضع بأرض ينبع، اتخذ به هذيل سواعا، قاله ابن الكلبى، و عن راشد بن عبد ربه قال: كان سواع بالمعلاة من رهاط يدين لها هذيل و بنو ظفر من سليم، و ذكر ما سمعه من الهاتف من بطن سواع و غيره من الأصنام بنبوة محمد صلى اللّه عليه و

سلم، و أنه رأى ثعلبين يلحسان ما حول سواع و يأكلان ما يهدى إليه، ثم يبولان عليه، فأنشد:

أربّ يبول الثّعلبان برأسه لقد ذل من بالت عليه الثعالب

و ذكر خروجه إلى النبى صلى اللّه عليه و سلم ليقطعه قطيعة برهاط، فأقطعه بالمعلاة من رهاط شأو

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۸۶

الفرس و رميته ثلاث مرات بحجر، و أعطاه إداوة مملوءة من ماء و تفل فيها، و قال له:

فرغها فى أنحاء القطيعة، و لا تمنع الناس فضولها، ففعل، فجعل الماء يغبّ فجمه فغرس عليها النخل و صارت رهاط كلها تشرب منه، و سماها الناس ماء الرسول صلى اللّه عليه و سلم، و أهل رهاط يغتسلون منها و يستشفون بها.

و قال عرام: فيما يطيف بجبل شمنصير قرية يقال لها رهاط بقرب مكة على طريق المدينة، و بقربها الحديبية، و هى مواضع بنى سعد و بنى مسروح الذين نشأ فيهم رسول الله صلى اللّه عليه و سلم.

و قال صاحب المسالك و الممالك فيما نقله الأقشهرى: و من توابع المدينة و مخاليفها ساية و رهاط و عران.

الرّيّان:

ضد العطشان، أطم لبنى حارثة، و أطم لبنى زريق، و ماء بحمى ضرية فى أصل جبل أحمر طويل، قال جرير:

يا حبذا جبل الريان من جبل و حبذا ساكن الريان من كانا

و الريان أيضا: واد هناك، و جبل ببلاد بنى عامر، و موضع بمعدن بنى سليم به قصر كان الرشيد ينزله إذا حج.

ريدان:

بالفتح و سكون المثناة تحت و دال مهملة، أطم بالمدينة لآل حارثة بن سهل بن الأوس، نقله ياقوت، ثم قال: و لا أعرف بطنا من الأنصار يقال لهم ذلك.

قلت: الذى ذكره ابن زبالة أن بنى واقف بن امرئ القيس بن مالك بن الأوس ابتنوا أطما يقال له الريدان كان موضعه فى قبلة مسجد الفضيخ، و له يقول قيس بن رفاعة:

و كيف أرجو مزيد العيش بعدهم و بعد ما قد مضى من أهل ريدان

ريم:

بالكسر و سكون الياء غير مهموز، قاله عياض، و ضعفه المجد، و قال: إنه بهمزة ساكنة واد لمزينة يصب فيه ورقان، و سبق أنه من أودية العقيق يلقاه ثم يدفع فى خليقة ابن أبى أحمد، و فى الموطأ عن ابن عمر أنه ركب إلى ريم فقصر الصلاة فى سيره ذلك، قال يحيى: قال مالك: و ذلك نحو أربعة برد، قال عياض: و فى مصنف عبد الرزاق ثلاثين ميلا، و نقل المجد ما يخالف ما سبق عن مالك و مصنف عبد الرزاق، و فى طبقات ابن سعد: كان عبد الله بن بحينة رضى الله تعالى عنه ينزل بطن ريم على ثلاثين ميلا من المدينة؛ فلا يخفى وجه الجمع، و فى سفر الهجرة: و سار حتى هبط بطن ريم، ثم قدم قباء. و قال حسان بن ثابت رضى الله تعالى عنه:

لسنا بريم و لا حمت و لا صورى لكن بمرج من الجولان مغروس

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۸۷

و الجولان: قرية بدمشق.

ريمة:

كديمة، واد لبنى شيبة قرب المدينة بأعلى نخل.

ذو ريش:

بلفظ ريش الطائر، تقدم فى أودية المدينة.

حرف الزاى

زبالة الزج:

شمالى المدينة، بينها و بين يثرب، كان لأهلها أطمان، و هما اللذان عند كومة أبى الحمراء كما سبق، و زبالة أيضا: موضع بطريق العراق، ليس من عمل المدينة.

الزج:

بالضم و تشديد الجيم، قاله المجد، و قال ابن سيد الناس: بالخاء المعجمة، موضع بناحية ضرية، بعث رسول الله صلى اللّه عليه و سلم الأصيد بن سلمة بن قرط مع الضحاك الكلابى إلى القرطاء، و هم قرط و قريط و قريط من أبى بكر بن كلاب، يدعوهم إلى الإسلام، فقاتلوهم فهزموهم، فلحق الأصيد أباه سلمة بزج بناحية ضربة، و الزج أيضا: ما أقطعه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم العدّاء بن خالد من بنى ربيعة بن عامر.

الزراب:

ككتاب، و يقال: ذات الزراب، تقدم فى مساجد تبوك.

زرود:

بالفتح ثم الضم آخره دال مهملة، موضع بقرب أبرق العزاف كما يؤخذ مما سيأتى عن الصحاح فى العزاف، و سبق فى ترجمة خيبر ما يؤخذ منه أنه اسم لأول من سكن به من أولاد إخوة عاد.

زريق:

مصغر، و يقال: قرية بنى زريق، و مسجد بنى زريق، تقدّما.

زغابة:

كسحابة و الغين معجمة، مجتمع السيول آخر العقيق غربى قبر حمزة رضى الله تعالى عنه، و هى أعلى إضم كما سبق عن الهجرى و غيره، و أن ابن إسحاق قال: نزلت قريش بمجتمع الأسيال من رومة بين الجرف و زغابة، قال أبو عبيد البكرى فى ضبطه: زعابة بالضم و إهمال العين، و قال محمد بن جرير: الرواية الجيدة بين الجرف و الغابة؛ لأن زعابة لا تعرف، قال ياقوت: ليس كذلك، فإن فى الحديث أنه صلى اللّه عليه و سلم قال:

«أ لا تعجبون لهذا الأعرابى؟ أهدى إلىّ ناقتى أعرفها بعينى، ذهبت منى يوم زعابة، و قد كافأته بست- أى بست بكرات- فسخط» و جاء ذكر زعابة فى حديث آخر، فكيف لا يكون يعرف؟.

زمزم:

اسم للبئر التى على يمين الذاهب للعقيق، بعيدة من الجادة كما سبق فى الآبار، سميت بذلك لكثرة التبرك بمائها و نقله إلى الآفاق.

زور:

بالفتح آخره راء، جبل بالحجاز، أو واد قرب السوارقية، شاهده فى منور.

الزوراء:

بالفتح ثم السكون، تقدم فى البلاط و سوق المدينة، و قال ابن شبة فى دور

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۸۸

العباس: منها الدار التى بالزوراء سوق المدينة عند أحجار الزيت، و سبق أن أحجار الزيت عند مشهد مالك بن سنان، لما فى رواية ابن زبالة أنهم دفنوه بالسوق فدفن عند مسجد أصحاب العباء، و هناك كانت أحجار الزيت، فالزوراء ذلك المحل من سوق المدينة، و قيل: الزوراء اسم لسوق المدينة.

و فى صحيح مسلم عن أنس «أن نبى الله صلى اللّه عليه و سلم و أصحابه كانوا بالزوراء، و الزوراء بالمدينة عند السوق».

و فى البخارى «أن عثمان رضى الله تعالى عنه زاد النداء الثالث على الزوراء» قال البخارى: الزوراء موضع بالسوق، و فى رواية له «النداء الثانى».

و قوله: «الثالث» لجعله الإقامة نداء، و لفظ ابن ماجه «على دار فى السوق يقال لها الزوراء» و يؤخذ من وصف دار السوق التى أخذها ابن هشام أن لعثمان بالسوق دارا تسمى الزوراء، و لذا قال ابن شبة: و اتخذ عثمان الدار التى يقال لها الزوراء، اه. فهى التى أحدث

النداء عليها، و كأنها سميت باسم موضعها من السوق، قال الحافظ ابن حجر: جزم ابن بطال بأن الزوراء حجر عند باب المسجد، و فيه نظر؛ لما فى رواية ابن إسحاق عن الزهرى عند ابن خزيمة و ابن ماجه «زاد النداء الثالث على دار فى السوق يقال لها الزوراء» و قال ابن حجر أيضا فى حديث أنس فى تكثير الماء: قوله «بالزوراء» هو مكان معروف بالمدينة عند السوق، و زعم الداودى أنه كان مرتفعا كالمغارة، و كأنه أخذه من أمر عثمان بالتأذين عليه، و ذلك كان بالزوراء أى الذى يؤذن عليه، لا أنه الزوراء نفسها، اه. و فى العتبيّة ما يشعر بأنه كان بالزوراء من سوق المدينة منارة، و لعلها من الدار التى كان يؤذن عليها؛ لأنه ترجم لتواضع العلماء و جلوسهم فى الأسواق، و عند أصحاب العباء أى الذين يبيعون البعاء، ثم أورد عن مالك عن يحيى بن سعيد قال: ما أحدث أحاديث كثيرة عن سعيد بن المسيب إلا من عند أصحاب العباء فى السوق، و ما أحدث عن سالم بن عبد الله أحاديث إلا فى ظل المنارة التى فى السوق، كان يقعد فى ظلها و سعيد عند أصحاب العباء، اه.

و تؤخذ مما تقدم فى فضل بقيع الغرقد أن الزوراء أيضا: اسم للموضع الذى دفن به سيدنا إبراهيم عليه السلام.

و قال البرهان بن فرحون: قال ابن حبيب: كان النبى صلى اللّه عليه و سلم إذا رقى المنبر جلس ثم أذن المؤذنون، و كانوا ثلاثة يؤذنون على المنائر واحدا بعد واحد، فإذا فرغ الثالث قام فخطب، ثم استمر ذلك، فلما كان عثمان و كثر الناس أمر أن يؤذن بالزوراء عند الزوال و هو موضع

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۸۹

بالسوق، ليرتبع الناس منه، و هو إلى ناحية البقيع، فإذا جلس على المنبر أذن المؤذنون على المنار، ثم نقل هشام بن عبد الملك الأذان الذى كان بالزوراء إلى المسجد فجعله واحدا يؤذن عند الزوال على المنار، فإذا خرج هشام أذن المؤذنون كلهم بين يديه، اه.

و قوله: «فى ناحية البقيع» محمول على بقيع الخيل سوق المدينة، لا بقيع الغرقد؛ لأن سوق المدينة لم يكن فى ناحيته.

زهرة:

بالضم ثم السكون، قال ابن زبالة: هى ثبرة أى: بمثلاثة ثم موحدة و هى الأرض السهلة بين الحرة و السافلة مما يلى القف، و كان من أعظم قرى المدينة، و كان فى قريتها ثلاثمائة صائغ، و كانت لهم الأطمان اللذان على طريق العرض حين يهبط من الحرة، و المراد الحرة الشرقية، فإنها تعرف بحرة زهرة كما سبق، و مقتضاه أن زهرة مما يلى طرف العالية، و ما نزل عنها فهو السافلة، و أدنى العالية ميل من المسجد كما سيأتى، و يرجحه قوله «مما يلى القف» لما سيأتى فيه أنه بقرب صدقات النبى صلى اللّه عليه و سلم، و أن المشربة به، و سبق فى الصدقات أن الظاهر أن حسنى و هى بالقف هى الحسنيات بقرب الدلال و الصافية فتكون زهرة بقرب ذلك، و يؤيده ما سبق فى الصدقات عن المراغى أنه يقال لجزع الصافية «جزع زهيرة» مصغر زهرة المذكورة، و يؤيده أيضا ما سبق أول الباب الثانى أنه بقى من صعل و فالج امرأة تعرف بزهرة، و كانت تسكن بها، و أنه لما غشيها الدود قالت: رب جسد مصون، و مال مدفون، بين زهرة و رانون.

و فى كتاب الحرة للواقدى: أقبل نفر من أهل الشام على خيولهم يطيفون فيما بين زهرة إلى البقيع، فيصادفون نفرا من الأنصار على أقدامهم.

الزين:

بلفظ ضد الشين، مزرعة بالجرف. روى ابن زبالة أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم ازدرع المزرعة التى يقال لها الزين بالجرف.

حرف السين

سائر:

كصابر، من نواحى المدينة، قال:

عفا مثعر من أهله فثقيب فسفح اللوى من سائر فجريب

وعد صاحب «المسالك و الممالك» من توابع المدينة و مخاليفها السائر.

السافلة:

تقابل العالية، و أدنى العالية كما سيأتى فيها السنح على ميل من المسجد، فما نزل عنه فهو السافلة، و يحتمل أن يكون بينهما واسطة، و ربما أومأ إليه ما سبق فى زهرة أنها بين الحرة و السافلة، و الناس اليوم يطلقونها على ما كان فى شامى المدينة، و العالية على ما كان فى قبلتها، و يؤيد الأول ما رواه ابن إسحاق من أن النبى صلى اللّه عليه و سلم لما

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۹۰

انتصر ببدر أرسل ابن رواحة بشيرا إلى أهل العالية و زيد بن حارثة لأهل السافلة، قال أسامة بن زيد: فأتانا الخبر حين سوّينا التراب على رقية ابنة رسول الله صلى اللّه عليه و سلم أن زيد بن حارثة قدم، فجئته و هو واقف بالمصلّى قد غشيه الناس، فظاهره الانقسام إلى السافلة و العالية فقط، و أن المعروف بالمدينة اليوم من السافلة لإتيان بشير السافلة إلى المصلى.

الساهية:

تقدمت فى أودية العقيق.

سايۀ:

كغاية، قال المجد: واد من أعمال المدينة لم يزل واليه من قبل صاحبها، إلا فى زماننا، و انفرد عن حكمها كسائر أعراض المدينة، و فى سايۀ نخل و مزارع و موز و رمان و عنب، و أصلها لولد على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهم و فيها من أفناء الناس، و يطلع عليها جبل السّراة دون عسفان، قاله عرام، و قال ابن جنى: شمنصير جبل سايۀ واد عظيم به أكثر من سبعين عينا، و هو وادى ألج.

سبر:

بالفتح و تشديد الموحدة المكسورة، كثيب بين بدر و المدينة، قسم به رسول الله صلى اللّه عليه و سلم غنائم بدر، نقله المجد عن نصر، و ذكر فى سير بالمثناة التحتية ما سيأتى من أن القسم به فيرجع إلى الاختلاف فى ضبط اللفظ، و الراجح ما سيأتى.

السّتار:

بالكسر و المثناة فوق ثم ألف وراء، جبل بحمى ضرية، و جبل آخر بالعالية فى ديار سليم، و أجبل سود على ثلاثة أيام من ينبع.

سجاسج:

اسم وادى الرّوحاء، قال ابن شبة: و السجسج الهواء الذى لا حرّ فيه و لا برد.

السد:

بالضم، سد عبد الله بن عمرو بن عثمان يأتى منه رانوناء فيها، و هناك سد بقرب عير يعرف اليوم بسد عنتر، و قال عرام: السد هو ماء سماء جبل شوران مطل عليه، أمر رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بسده، و من السد قناة إلى قباء اه.

و كأنه يريد السد المتقدم، لما اقتضاه كلامه فى شوران أنه جبل عير كما سيأتى، و قال بعضهم: السد موضع بالمدينة كان يجلس فيه إسماعيل بن عبد الرحمن السدى، فنسب إليه.

و قال الحارثى: السد ماء سماء فى حزم بنى عوال، و لعله يعنى السد الذى فى الطريق التى كان الرشيد يسلكها من المدينة إلى معدن بنى سليم بين المدينة و الرحضية على عشرين ميلا من المدينة، قاله الأسدى، قال: و به ماء كثير فى شعب كان معاوية رضى الله تعالى عنه عمل له سدا يحبس فيه الماء شبيها بالبركة، انتهى.

و أخبرنى بعض أمراء المدينة أنه معروف دون هكر.

و فى البخارى فى حديث رجوعه صلى اللّه عليه و سلم من خيبر بصفية: فخرج بها حتى بلغنا سد

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۹۱

الروحاء حلت، و كنت أستشكله، لأن صفية حلت بالصهباء، و ليست الروحاء بطريق خيبر، و لهذا قال الكرمانى: قيل الصواب سد الصهباء و قد ثبت فى رواية أخرى للبخارى:

فخرج بها حتى بلغنا سد الصهباء، و صوبها الحافظ ابن حجر، و هى رواية أبى داود و غيره، و بين ابن سعد فى خيبر رواية أن الموضع الذى وقع البناء بصفية فيه على ستة أميال من خيبر.

و قال عياض: سد الروحاء جبلها، يقال بالضم و الفتح، و سد الصهباء مثله، و السد:

الردم أيضا، و قال: السد بالضم خلقة، و بالفتح فعل الإنسان، و قال الكسائى: هما واحد، انتهى. و يؤخذ من كلام ياقوت أن الموضع المعروف بالحبس فى زمامنا بأعلى وادى قناة يسمى بالسد أيضا.

السراة:

بالفتح و تخفيف الراء، تقدم فى الحجاز.

ذو السرح:

بفتح السين و سكون الراء ثم حاء مهملة، واد قرب ملل.

السر:

بالكسر ضد الجهر، موضع بنجد لبنى أسد، و موضع فى بلاد بنى تميم، و السّرّ بالضم- موضع بالحجاز فى ديار مزينة.

السّرّارة:

بالفتح و تشديد الراء الأولى، تقدمت فى منازل بنى بياضة، و فى رانوناء من أودية المدينة، و هى غير الحديقة المعروفة اليوم بالسرارة عند قباء.

سرع:

بالفتح و إعجام الغين، قرية بوادى تبوك على ثلاث عشرة مرحلة من المدينة، و هى آخر أعمال المدينة، قاله المجد.

السّرير:

كزبير، واد قرب المدينة، قال كثير:

و سرير البضيع ذات الشمال

و سرير أيضا: موضع بقرب الجار، و هى فرضة أهل السفن الواردة من الحبشة على المدينة، قاله المجد، و الظاهر أنهما واحد، لإضافة الأول فى شعر كثير إلى البضيع، ثم ظفرت بالإشارة إلى ذلك فى كلام ياقوت، فإنه ذكر ما قاله المجد، ثم قال: و لا يبعد أن يكون الثانى هو الأول، و السرير أيضا: الوادى الأدنى بخيبر، و به الشق و النطاة، نزل به النبى صلى اللّه عليه و سلم أولا فشدّ أهله لقتاله فهزمهم الله.

السعد:

بالفتح و سكون العين ثم دال مهملتين، موضع كان بقربه غزوة ذات الرقاع، و قال نصر: هو جبل على ثلاثين ميلا من الكديد، عنده منازل و سوق و ماء عذب بطريق فيد، و ربه يعلم خطأ من قال: إنه على ثلاثة أميال من المدينة.

سفا:

بالفاء كقفا، موضع من نواحى المدينة.

سفان:

تثنية الذى قبله، واد يلقى وادى إضم عند البحر كما سبق.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۹۲

سفوان:

بفتحات، واد من ناحية بدر، إليه انتهى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فى بدر الأولى طالبا لكرز الفهرى الذى أغار على سرح المدينة، و قال وداك بن ثميل المازنى:

رويد بنى شيبان بعض وعيدكم تلاقوا غدا خبلى على سفوان

تلاقوا جيادا لا تحيد عن الوغى إذا ما بدت فى المأزق المتدانى

عليها الكماة العزّ من آل مازن أولات طعان عند كل طعان

سقاية سليمان:

بن عبد الملك بالجرف على محجة من خرج إلى الشام، يعسكر بها الخارج من المدينة إلى الشام، و كذا من خرج إلى مصر قديما.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى؛ ج۴؛ ص۹۲

السقيا:

بالضم ثم السكون، سقيا سعد بالحرة الغربية كما سبق فى الآبار، و قرية جامعة من عمل الفرع بطريق الحاج القديمة، قال السهيلى: سميت السقيا بآبار كثيرة فيها و برك. و سئل كثير: لم سمّيت بذلك؟ فقال لأنهم سقوا بها ماء عذبا، و قال ابن الفقيه:

لما رجع تبع من المدينة نزل السقيا و قد عطش، فأصابه بها مطر، فسماها السقيا، و قال الخوارزمى: السقيا قرية عظيمة قريبة من البحر، على مسيرة يوم و ليلة، و قال المجد: هى على يومين من المدينة، و مأخذه قول أبى داود عقب حديث الاستعذاب من السقيا، قال قتيبة: هى عين بينها و بين المدينة يومان، و تقدم أن حديث الاستعذاب إنما هو فى سقيا سعد بالمدينة، و مع ذلك فهو مخالف لقول المجد فى القاحة: إنها قبل السقيا بميل، على ثلاث مراحل من المدينة، بل قال: إن الأبواء على نحو خمسة أيام من المدينة، و سبق أنها بعد السقيا بأحد عشر ميلا، فالسقيا على نحو أربعة أيام من المدينة، و به صرح الأسدى، فإنه ذكر ما حاصله أن بينهما مائة ميل إلا أربعة أميال، و السقيا اليوم معروفة على نحو هذه المسافة، و يوافقه قول المجد: الفرع عن يسار السقيا على ثمانية برد من المدينة، و قول عياض: بين السقيا و بين الفرع مما يلى الجحفة سبعة عشر ميلا، و السقيا أيضا: موضع بوادى الجزل ببلاد عذرة قرب وادى القرى، و ذكر الأسدى أنها على نحو سبع مراحل من المدينة، و على نحو مرحلتين من ذى المروة، و أنه كان يلتقى بها من يريد المدينة الشريفة على غير طريق الساحل مع من يصل من الشام.

سقيفة بنى ساعدة:

تقدمت بمنازلهم و مساجدهم، و قال الأزهرى: السقيفة كل بناء سقف به صفة أو شبه صفة مما يكون بارزا، و قال المجد: سقيفة بنى ساعدة ظلّة كانوا يجلسون تحتها عند بئر بضاعة، و لعله يريد قربها من جهة بئر بضاعة، لما سبق من أنها بمنزل رهط سعد، و هو القائل يوم بيعة أبى بكر بها: منا أمير و منكم أمير، و لم يبايع أبا بكر و لا غيره، و قتلته الجن بحوران فيما يقال.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۹۳

سكاب:

كقطام، جبل من جبال القبلية.

سلاح:

كقطام، موضع أسفل خيبر، عنده لقى بشير بن سعد الأنصارى جمع غطفان فى سريته إلى يمن و جبار، كذا قال المجد، و ضبطه ابن سيد الناس بكسر أوله، و سلاح أيضا: ماء لبنى كلاب ملح لا يشرب أحد منه إلا سلح.

السلاسل:

بلفظ جمع السلسلة، ماء بأرض جذام، على عشرة أيام من المدينة، خلف وادى القرى، به سميت الغزوة، قال ابن إسحاق: الماء سلسل، و به سميت ذات السلاسل.

السلالم:

بضم أوله، كان آخر حصون خيبر فتحا.

ذو السلائل:

واد بين الفرع و المدينة.

سلع:

بالفتح ثم السكون آخره عين مهملة، جبل معروف بالمدينة.

و فى صحيح البخارى أن جارية لكعب بن مالك كانت ترعى غنما لهم بالجبيل الذى بالسوق، و هو سلع، و سبق فى مساجد الفتح أن به كهف بنى حرام، دخله النبى صلى اللّه عليه و سلم و بات به مع ما يقتضى أنه يسمى بجبل بواب أيضا.

قال الأصمعي: غنت حبابة جارية يزيد بن عبد الملك، و كانت من أحسن الناس وجها و مسموعا، و كان شديد الكلف بها، و نشأت بسلع:

لعمرك إنني لأحبّ سلعا لرؤيته و من أكناف سلع

تقر بقربه عيني، و إني لأخشى أن يكون يريد فجعي

فتنفست الصعداء، فقال لها: لم تنفسين؟ و الله لو أردته لنقلته إليك حجرا حجرا، فقالت: و ما أصنع به؟ إنما أردت ساكنيه.

ذو سلم:

بالتحريك، موضع من بطن مدلجة تعهن، له ذكر في سفر الهجرة، و ذو سلم النظيم: تقدم في أودية مسيل العقيق، و له شاهد في لأى.

سليع:

تصغير سلع، جبل بالمدينة عليه بيوت أسلم بن أفصى، نقله ياقوت، و يؤخذ مما سبق في منازلهم أنه الجبيل الذي يقابل سلعا، عليه حصن أمير المدينة اليوم، و الذي ابتناه عليه الأمير ابن شيخة أيام إمرته، و ابتداؤها قبل السبعين و ستمائة، ابتناه ليتحصن به، و يكشف منه نواحي المدينة، و كان حصن الأمراء قبله الحصن العتيق المجاور لباب السلام، و هو اليوم المدرسة الأشرفية كما يؤخذ من كلام البدر ابن فرحون.

السليل:

كأمير، اسم عرصة العقيق كما سبق.

السليلة:

موضع من الربذة.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۹۴

السليم:

مصغر سلم، و ذات السليم: من أودية العقيق كما سبق.

سمران:

جبل بخيبر، و العامة تقول له مسمران، و ضبطه بعضهم بالشين المعجمة.

روى ابن زبالة أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم «صلّى على رأس جبل بخيبر يقال له سمران».

ذو سمر:

من أودية العقيق.

سميحة:

مصغر سمحة بالحاء المهملة، بئر بالمدينة معروفة، قال نصر: هى بئر قديمة غزيرة الماء بالمدينة، قال كثير:

كأنّى أكف و قد أمعنت بها من سميحة غربا سجيلا

و قال يعقوب: سميحة بئر بالمدينة عليها نخل لعبيد الله بن موسى، قال كثير:

كأن دموع العين لما تخللت مخارم بيضا من تمنّى جمالها

قبلن غروبا من سميحة أ نزعت بهنّ السّوانى و استدار محالها

القابل: الذى يتلقى الدلو حين يخرج من البئر و يصبها فى الحوض، و قد غرس بعض أهل المدينة اليوم على سميحة هذه حديقة.

سنام:

مصبّ قرب الربذة.

السنح:

بالضم ثم السكون كما قاله المجد، أطم لجشم و زيد ابنى الحارث، سميت الناحية به، و سبق أنه على ميل من المسجد النبوى، و كان بالسّنح منزل أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه بزوجته الأنصارية، و بلغه وفاة النبى صلى اللّه عليه و سلم و هو به.

و قال ابن عساكر فى تحفته: السنح بضم السين و النون، و قيل بسكونها موضع بعوالى المدينة فيه منازل بنى الحارث، و ذكر شيخنا أبو عبد الله- يعنى ابن النجار- أن السنح هو الموضع الذى فيه مساجد الفتح.

قلت: و هو و هم على ابن النجار، لما سيأتى فى السيح بالمثناة التحتية و كسر السين، و كأن المراغى اغتر بذلك فقال ما سيأتى عنه فيه من أنه سمى باسم أطم جشم و زيد.

سنحة:

بالفتح ثم السكون و حاء مهملة، موضع بالمدينة.

سن:

بالكسر، جبل حذاء شوران أو ميطان كما يؤخذ مما سبق فى الحلاء.

سواج:

بالضم آخره جيم، من جبال ضرية تأويه الجن، و يقال له سواج طخفة.

سوارق:

واد قرب السوارقية، يستعذبون منه الماء.

السوارقية:

بفتح أوله و ضمه و بعد الراء قاف و ياء النسبة، و يقال السويرقية مصغرة، قرية أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه، و كانت لبنى سليم، و قال عرام: هى قرية غناء كبيرة، فيها مسجد و منبر و سوق. يأتيها النجار من الأقطار و لكل بنى سليم فيها شىء،

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۹۵

و لهم مزارع و نخيل كثيرة و موز و عنب و تين و رمان و سفرجل و خوخ، و لهم إبل و خيل و شاء وقى حواليهم و يميرون طريق الحجاز و نجد فى طريق الحاج.

سوق أهوى:

كأحوى، بالربذة.

سوق بنى قينقاع:

بقافين بينهما مثناة تحتية ثم نون و آخره عين مهملة، كان سوقا عظيما فى الجاهلية عند جسر بطحان، يقوم فى السنة مرارا، و يتفاخر الناس به، و يتناشدون الأشعار.

و ذكر ابن شبة خبرا فى اجتماع حسان بن ثابت رضى الله تعالى عنه بنابغة بنى ذبيان بهذه السوق، و أن النابغة لما قدمها نزل عن راحلته و جثا على ركبتيه و اعتمد على يديه، و أنشد:

عرفت منازلا بعد الثنايا بأعلى الجزع بالخيف المتن

قال حسان: فقلت فى نفسى: هلك الشيخ، ركب قافية صعبة، قال: فو الله ما زال حتى أتى على آخرها، ثم نادى: أ لا رجل ينشد، فتقدم قيس بن الخطيم بين يديه فأنشد:

أ تعرف رسما كالطراز المذهّب لعمرة وحشا غير موقف راكب

حتى أتى على آخرها، فقال له النابغة: أنت أشعر الناس يا ابن أخى، قال حسان:

فدخلنى بعض الفرق، و إنى لأجد على ذلك فى نفسى قوة، فجلست بين يديه، فقال:

أنشد فو الله إنك لشاعر قبل أن تتكلم، فأنشدته:

أ سألت ربع الدار أم لم تسأل

فقال: حسبك يا ابن أخى.

و فى القاموس: حباشة أى بالحاء المهملة ثم الموحدة و شين معجمة بعد الألف، كثمامة سوق و كانت لبنى قينقاع.

السويداء:

تصغير سوداء، موضع بعد ذى خشب على ليلتين من المدينة.

سويد:

أطم أسود بمنازل بنى بياضة شامى الحماضة.

سويقة:

تصغير ساق، هضبة حمراء طويلة على ثلاثين ميلا أو أكثر من ضرية،

و سويقة أيضا:

عين عذبة كثيرة بالماء بأسفل حزرة على ميل من السيالة ناحية عن الطريق يمين المتوجه إلى مكة، لولد عبد الله بن حسن.

قال المجد: هى موضع قرب المدينة يسكنه آل على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه، و كان محمد بن صالح بن عبد الله بن موسى الحسنى خرج على المتوكل فأنفذ إليه أبا

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۹۶

الساج فى جيش ضخم، فظفر به و بجماعة من أهله فأخذهم و قيدهم و قتل بعضهم، و أخرب سويقة، و عقر بها نخلا كثيرا، و خرب منازلهم، و ما أفلحت سويقة بعد ذلك، و كانت من جملة صدقات على بن أبى طالب، ثم قال: و سويقة أيضا قرب السيالة، انتهى.

قلت: هى التى قبلها، و تبع المجد فى المغايرة بينهما كلام ياقوت، و سويقة أيضا:

جبيل بين ينبع و المدينة، نقله ياقوت عن ابن السكيت، و تعرف اليوم بالسويق منازل بنى إبراهيم أخى النفس الزكية، قال ياقوت: و جوّ سويقة: موضع آخر ذكرته الشعراء، و قال فى حرف الجيم: الجو عند العرب كل مكان اتسع بين الأودية، و جو سويقة: من نواحى المدينة لآل على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه.

قلت: فهو الذى بقرب السيالة لما سبق.

السّيّ:

بالكسر، على خمس ليال من المدينة ناحية ركية من وراء المعدن كان إليها سرية شجاع بن وهب الأسدى لجمع من هوازن.

السيالة:

مخففة كسحابة، سبقت فى مسجد شرف الروحاء. قال ابن السكيت: مرّ تبّع بالسيالة بعد رجوعه من المدينة، و بها واد يسيل، فسماها السيالة، و آخر السيالة شرف الروحاء، و هى على ثلاثين ميلا من المدينة.

السيح:

بالكسر و سكون المثناة التحتية، مصدر ساح يسيح سيحا، اسم للموضع الذى فى غربى مساجد الفتح.

قال ابن النجار: و فى الخندق قناة تأتى إلى النخل الذى بأسفل المدينة بالسيح حوالى مسجد الفتح، انتهى.

و ذكره المطرى، و زاد ضبطه كما سبق، و كذا الزبن المراغى، و زاد ابن زبالة نقل أن تلك الناحية إنما سميت بذلك لأن جشما و أخاه زيدا سكنا فيه، و ابتنيا أطما يقال له السيح، فسميت به الناحية. انتهى.

و هذا ما نقله ابن زبالة فى السنح بالنون كما سبق، و لهذا أورده المجد و غيره فيه، و القناة التى ذكرها ابن النجار هى قناة العين التى تقدم أنها هناك فى تتمة الفصل الأول من الباب السادس.

سير:

بفتح أوله و المثناة التحتية كجبل، كثيب بين المدينة و بدر، يقال: إن قسمة غنائم بدر كانت به، قاله المجد، قال: و قال أبو بكر بن موسى: و قد يخالف فى لفظه.

قلت: كأنه يشير إلى ما سبق فى سبر بالموحدة من أن القسم وقع به، على أن أبا بكر هو الحارثى، و فى تهذيب النووى بعد ذكر القسم بشعب من شعاب الصفراء أن الحارثى

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۹۷

قال: و أما شير بفتح الشين المعجمة بعدها ياء مثناة من تحت مشددة مكسورة- فكثيب بين المدينة و بدر، يقال: هناك قسم النبىّ صلى اللّه عليه و سلم غنائم بدر، قال: و قد يخالف فى لفظه، انتهى.

و ما ذكره المجد من الضبط أقرب إلى الصواب؛ لأنى رأيته كذلك فى نسخة معتمدة من تهذيب ابن هشام، و لفظه: حتى خرج من مضيق الصفراء نزل على كثيب بين المضيق و بين النازية يقال له سير، فقسم هناك النفل، و بين النازية و الصفراء علو خيف بنى سالم موضع يعرف اليوم عند العرب بشعب سير كما ضبطه المجد، و رأيت فى أوراق لبعضهم وصفه بما هو عليه اليوم، فقال: شعب سير هو المنزلة القديمة للحاج إذا رحل من المستعجلة و نزل فى فركات الخيف و هناك بركة قديمة، قال: و هذا الشعب بين جبلين يعرف بجبال المضيق علو الصفراء بينه و بين المستعجلة نحو نصف فرسخ.

حرف الشين

شابة:

بباء موحدة مخففة، جبل بين الربذة و السليلة.

شاس:

أطم برحبة مسجد قباء، على يسارك مستقبل القبلة، كان لشاس أخى بنى عطية بن زيد.

الشبا:

كالعصا، واد بالأثيل بناحية الصفراء، فيه عين تسمى خيف الشبا لبنى جعفر بن أبى طالب.

شباع:

ككتاب، سبق فى بئر السائب أنه الجبل المشرف عليها.

الشباك:

كالجبال، جمع شبكة، موضع من بلاد غنى، بين المدينة و أبرق العزاف، و موضع آخر قرب سفوان، و شاك بنى الكذاب: من نواحى المدينة.

الشبعان:

بلفظ ضد الجيعان، أطم بالمدينة، كان فى ثمغ صدقة عمر رضى الله تعالى عنه.

الشبكة:

مفرد الشباك، موضع بوادى إضم، به مال يسمى الشبكة بعد ذى خشب.

الشجرة:

بلفظ واحدة الشجر، يضاف إليها مسجد ذى الحليفة كما سبق فيه، و هى سمرة كان النبى صلى اللّه عليه و سلم ينزل تحتها هناك فعرف الموضع بها، و الشجرة أيضا: مال فيه أطم لبنى قريظة؛ و لعله المعروف اليوم هناك بالشجيرة مصغرا.

شدخ:

بسكون الدال المهملة و خاء معجمة، واد به الموضع المسمى بنخل كما سيأتى.

الشراة:

جبل مرتفع فى السماء تأويه القردة، لبنى ليث و بعض بنى سليم، دون عسفان عن يسارها، و فيه عقبة تذهب إلى ناحية الحجاز تسمى الخريطة.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۹۸

الشربة:

بثلاث فتحات و الباء موحدة مشددة، كل أرض معشبة لا شجر بها، و هى اسم موضع بين السليلة و الربذة، و قيل: إذا جاوزت البقرة و ماوان تريد مكة وقعت فى الشربة، و هى أشد بلاد نجد قرا، و قيل: هى فيما بين نخل و معدن بنى سليم، و معنى هذا الأقوال واحد.

شرج:

بالفتح ثم السكون آخره جيم، موضع قرب المدينة يعرف بشرج العجوز، له ذكر فى حديث كعب بن الأشرف، و شرج أيضا: ماء بنجد، و ماء أو واد لفزارة به بئر.

الشرعبى:

بالفتح ثم السكون و فتح العين المهملة و كسر الموحدة آخره ياء النسبة، أطم دون ذباب، كان لأهل الشوط من يهود، ثم صار لبنى جشم من الأوس.

الشرف:

محرك، الموضع العالى، و هو شرف الروحاء، و شرف السيالة لكونه آخر السيالة و أول وادى الروحاء، و الشرف أيضا: كبد نجد، و فيه الربذة و حمى ضرية كما سبق فى حمى الشرف.

شريق:

تصغير شرق، موضع بوادى العقيق، قال أبو وجرة:

إذا تربعت ما بين الشريق إلى روض الفلاج أولات الشرج و العنب

أى عنب الثعلب و روى «الشريف» بالفاء.

الشطان:

بالضم و سكون الطاء المهملة، من أودية المدينة.

شطمان:

مال فى بنى قريظة.

الشطون:

بئر بناحية شعر.

الشطيبة:

مال ابن عتبة بجنب الأعواف، و لعلها المعروف هناك بالعتبى، قال ابن زبالة: و فى الشطيبة يقول رجل من بنى قريظة و خطب امرأة من بلحارث بن الخزرج، فقالت: أله مال على بئر مدرى أو هامات أو ذى و شيع أو الشطيبة أو بئر فجار؟ و هى فى بئر أريس، فقال القرظى:

تكلفنى مخارق بئر مدرى و هامات و أعذق ذى و شيع

فما حازت شطيبة من سواد إلى الفجار من عذق الرجيع

الشظاة:

بالفتح، اسم لوادى قناة، تقدم فى إضم عن القاموس أنه اسم ما يلى السد من الوادى، و فى تهذيب ابن هشام فيما قيل فى بنى النضير من الشعر قول عباس بن مرداس أخى بنى سليم من أبيات:

و إنك عمرى هل أريك ظعائنا سلكن على ركن الشظاة فتيأبا

عليهن عين من ظباء تبالة أوانس تصبين الحليم المجربا

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۹۹

شعب:

بالضم، علم لواد يصبّ فى الصفراء، نقله النووى عن الحازمى، و سيأتى فى نخال أنه اسمه، و الشعب بالكسر واحد الشعاب للطريق بين الجبلين أو ما انفجر بينهما أو مسيل الماء فى بطن و أرض. و شعر أحد: هو الذى نهض المسلمون برسول الله صلى اللّه عليه و سلم إليه يوم أحد، و أسندوا إليه، قال ابن إسحاق: فلما انتهى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم إلى فم الشعب خرج على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه حتى ملأ درقته من المهراس. و شعب العجوز: بظاهر المدينة، قتل عنده كعب بن الأشرف، و يذكر بد له شرج العجوز، و قد سبق، و فى السير أنه لما هتف أبو نائلة بكعب بن الأشرف و هو فى حصنه ببنى النضير ليلة قتله، فنزل لأبى نائلة و أصحابه، فقالوا: هل لك يا ابن الأشرف أن تتماشى إلى شعب العجوز فنبحث بقية ليلتنا هذه؟ فقال: إن شئتم، فمشوا ساعة حتى استمكنوا منه و قتلوه.

شعبى:

بالضم و فتح العين و الموحدة مقصورة، جبل، و قيل: جبال منيعة بحمى ضرية.

شعب المشاش:

تقدم فى العقيق، و هو خلف جماء العاقل.

شعب شوكة:

يأتى فى شوكة أنه المعروف بشعب على قرب الشرف.

شعبة:

بالضم ثم السكون، واحدة الشّعب، و هى الطائفة من الشيء، و من الجبال رءوسها، و من الشجر أغصانها، و شعبة: اسم عين قرب بليل، و شعبة عبد الله: تقدمت فى الخلائق، و شعبة عاصم: ستأتى فى عاصم، و وادى شعبة: من أودية أبلى.

شعث:

بالضم ثم السكون آخره مثلاثة جمع أشعث، موضع بين السوارقية و معدن بنى سليم.

شعر:

بلفظ شعر الرأس، جبل ضخم مشرف على معدن الماوان، قبل الربذة بأميال، قاله المجد، و قال الهجرى: هو من ناحية الوضح، و قد أكثر الشعراء من ذكره، قال حكيم الخضرى:

سقى الله الشطون شطون شعر و ما بين الكواكب و الغدير

شغبى:

بالفتح و سكون الغين المعجمة و فتح الموحدة كسكرى، قرية بين المدينة و أيلة، و كذا بدا قرية أخرى، قال كثير:

و أنت التى حبّبت شغبى إلى بدا إلىّ، و أوطانى بلاد سواهما

حللت بهذا حلّة، ثم حلة بهذا، فطاب الواديان كلاهما

شفر: كزفر جمع شفير الوادى، جبل بأصل حمى أم خالد، يهبط إلى بطن العقيق، كان يرعى به سرح المدينة يوم أغار عمرو بن جابر الفهرى، فخرج النبى صلى اللّه عليه و سلم فى طلبه حتى

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۱۰۰

ورد بدرا.

شقر: بالقاف كزفر، ماء بالربذة عند سنام جبل مشرف على معدن الماوان.

الشقراء: تأنيث الأشقر، فى الحديث: وفد عمرو بن سلمة الكلابى على النبى صلى اللّه عليه و سلم، و استقطعه حمى بين الشقراء و السعدية، و هما ما آن فى البادية، قاله ياقوت.

الشقراة: جبيل انصب فى غربى النقيع.

الشقرة: بالضم ثم السكون، موضع بطريق فيد، بين جبال حمر، على نحو ثمانية عشر ميلا- من النخيل، و على يوم من بئر السائب و يومين من المدينة، انتهى إليه بعض المنهزمين يوم أحد، كما رواه البيهقى، و منه قطع كثير من خشب الدوم لعمارة المسجد النبوى بعد الحريق.

شق: بالفتح عن الزمخشرى، و قيل: بالكسر، من حصون خيبر، و قرية من قرى فدك يعمل فيها اللجم.

و روى الواقدى أن النبى صلى اللّه عليه و سلم تحوّل إلى أهل الشق، و به حصون ذوات عدد، يعنى بعد فراغه من النطاة، فذكر فتح أول حصونه، و أن أهله هربوا إلى حصن البزار بالشق أيضا، و أنهم كانوا أشد أهل الشق رميا للمسلمين بالنبل و الحجارة، و أن النبى صلى اللّه عليه و سلم أخذ كفّا من حصباء فحصب به حصنهم، فرجف بهم ثم ساخ فى الأرض، فأخذه المسلمون أهله.

شقة بنى عذرة

تقدمت فى مساجد تبوك.

شقة بنى عذرة شلول

شلول:

بلامين كصبور، موضع بنواحى المدينة، قال ابن هرمة:

أ تذكر عهد ذى العهد المحيل و عصرك بالأعارف و الشّلول
و تعريج المطية يوم شوظى على العرصات و الدمن الحلول

الشماء:

بالتشديد و المد، هضبة عالية فى حمى ضرية، قاله المجد، و سماها الهجرى الشيماء بالمثناة التحتية و قال: إنها من هضب الشق بناحية عرفجا، سميت بذلك لأنها حمراء و فى ناحيتها سواد.

الشماخ:

بالفتح و التشديد و إعجام الخاء، أطم فى قبلة بيوت بنى سالم خارجها.

شمنصير:

بفتحتين ثم نون ساكنة و صاد مهملة مكسورة ثم مثناة تحتية وراء، جبل سايۀ.

شناصير:

من نواحى المدينۀ، قال ابن هرمۀ:
لو عاج صحبك شيئا من رواحلهم بذى شناصير أو بالنعف من عظم
وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۱۰۱

شنوكۀ:

بالفتح ثم الضم ثم السكون و فتح الكاف بعدها، جبل بعد شرف الروحاء بقليل، يقابل الشعب المعروف بشعب على، و هو شعب شنوكۀ على ثلاثۀ أميال من مسجد شرف الروحاء، قاله الأسدى، قال ابن إسحاق فى المسير لبدر: مر على فج الروحاء، ثم على شنوكۀ حتى إذا كان بعرق الظبيۀ، و قال ابن سعد: شنوكۀ فيما بين السيالۀ و ملل، و عندها هرب سهيل بن عمرو، و كان أسره ابن الدخشم يوم بدر، فقال له عند ما كانوا بها:
خل سبيلى للغائط، فهرب و ظفر به النبى صلى اللّه عليه و سلم.

الشنيف:

كزبير، أطم لبنى ضبيعۀ بقرب أحجار المراء، و سبق ذكره فى مقدمه صلى اللّه عليه و سلم قباء، قال كعب بن مالك:

فلا تتهدّد بالوعيد سفاهة و أوعد شنيفا إن غضبت و واقما

شواحط:

بالضم و بعد الألف حاء مهملة مكسورة و طاء مهملة، جبل قرب السوارقية كثير النمور و الأراوى، و يوم شواحط: من أيام العرب.

شوران:

بالفتح، جبل يضاف إليه حرة شوران التى تقدم أن صدر مهزور منها، و لعله المعروف اليوم هناك بشوطان.

و قال عرام: و يحيط بالمدينة عير، ثم قال: و عير جبلان أحمران من عن يمينك و أنت ببطن العقيق تريد مكة، و من عن يسارك شوران، و هو جبل مطل على السد كبير مرتفع.

ثم ذكر الصادر فى قبلة المدينة، ثم قال: و ليس على شىء من هذه الجبال نبت و لا ماء، غير شوران فإن فيه مياه سماء كثيرة يقال لها: البجيرات، و كرم، و عين، و أمعاء، و هو ماء يكون السنين الكثيرة، و فى كلها سمك أسود مقدار الذراع و ما دون ذلك أطيب سمك يكون، انتهى.

فقوله «من عن يمينك و أنت ببطن العقيق» يقتضى أن الجبل المعروف بعير هو شوران، و هو مشرف على السد كما سبق، و كان بناحيته بالعقيق كرم ثنية شريد، لكن ابن زبالة و الزبير و الهجرى كلهم سموه عيرا، و ليس عليه ماء، فتناول كلامه بأن المتوجه إلى مكة من قبلة المدينة إذا صار ببعض أودية العقيق التى تصب فيه هناك كان فى جهة يمينه عير الصادر، و عير الوارد فى المغرب، و عن يساره شوران فى المشرق، و يؤيده أن ما ذكره بعد ذلك كله فى شرقى المدينة من ناحية القبلة، و قال: ثم يمضى نحو مكة مصعدا، و ذكر ما سبق فى أبلى، و لأنه قال: إن ميطان حذاء شوران، و ميطان فى المشرق من جهة القبلة. فيكون السد المشرف عليه شوران غير السد الذى بقرب عير.

و قال نصر: شوران واد فى ديار سليم يفرغ فى الغابة؛ و هى من المدينة على ثلاثة أميال، و كأنه أطلق وادى شوران على ما ينحدر من حرته إلى المدينة.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۱۰۲

و روى الزبير عن محمد بن عبد الرحمن قال: رأى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم إبلا فى السوق، فأعجبه سمنها، فقال: أين كانت ترعى هذه؟ قال: بحرة شوران، فقال: بارك الله فى شوران.

و كانت البغوم صاحبة ريحان الخضرى نذرت أن تمشى فى شوران حتى تدخل من أبواب المسجد كلها مزمومة بزمام من ذهب، فقال:

يا ليتنى كنت فيهم يوم صبّحهم من نقب شوران ذو قرطين مزموم

تمشى على نجش يدمى أناملها و حولها القبطريات العياهيم

فبات أهل بقيع الدار يفعمهم مسك ذكى و يمشى بينهم ريم

شوط:

بالفتح ثم السكون و طاء مهملة، كان لأهله الأطم الذى يقال له الشرعبى دون ذباب، و تقدم أن بعض بنى الحارث سكن الشوط و كرم الكومة التى يقال لها كومة أبى الحمراء، فهو فى شامى ذباب قرب منازل بنى ساعدة و الكومة المذكورة.

و قال ابن إسحاق فى مخرجه صلى اللّه عليه و سلم إلى أحد: حتى إذا كان بالشوط بين المدينة و أحد انخذل عبد الله بن أبى، و رجع إلى المدينة.

و روى البيهقى فى الدلائل عن ابن شهاب أنه قال فى خروج النبى صلى اللّه عليه و سلم إلى أحد: حتى إذا كان بالشوط من الجبانة انخذل عبد الله بن أبى، و سبق فى ذباب أنه بالجبانة، و فى الصحيح فى حديث العابدة: خرجنا مع النبى صلى اللّه عليه و سلم حتى انطلقنا إلى حائط يقال له الشوط، و ذكر نزول الجونية هناك فى بيت لبعض بنى ساعدة، و دخوله صلى اللّه عليه و سلم عليها.

و فى رواية ابن سعد عن أبى أسيد قال: تزوج رسول الله صلى اللّه عليه و سلم امرأة من بنى الجون، فأمرنى أن آتيه بها، فأتيته بها، فأنزلتها بالشوط من وراء ذباب فى أطم و فى رواية له:

فأنزلتها فى بنى ساعدة، و فى أخرى. فنزلت فى أجم بنى ساعدة، فخرج إليها رسول الله صلى اللّه عليه و سلم حتى جاءها، و قال النضر بن شميل: الشوط مكان بين شرفين من الأرض، يأخذ فيه الماء و الناس كأنه طريق، و دخوله فى الأرض أن يوارى البعير و راكبه، و لا يكون إلا فى سهول الأرض، انتهى، و سبق فى سيل مهزور أن آخره كومة أبى الحمراء، ثم يصب فى قناة.

شوطى:

بحروف الذى قبله مقصور كسكرى، قال الهجرى: و للعقيق دوافع من الحرة مشهورة ذكرتها الشعراء، منها شوطى و روضة ألجام، قال ابن أذينة:

جاد الربيع بشوطى رسم منزلة أحبّ من حبها شوطى فألجاما

فبطن خاخ فأجزاع العقيق لها نهوى، و من جونتى عيرين أهضاما

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۱۰۳

و قال المجد: شوطى موضع بعقيق المدينة فيها يقول المزنى لغلام اشتراه بالمدينة:

تروّح يا يسار فإن شوطى و تربانين بعد غد مقيل

بلاد لا يحس الموت فيها و لكن الغذاء بها قليل

و شوطى أيضا: بحرة بنى سليم.

قلت: و أظنه الذى قبله.

شيخان:

بلفظ تثنية شيخ، أطمان بجهة الوالج، قال ابن زبالة: بفضائهما المسجد الذى صلى فيه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم حين سار إلى أحد.

و قال المجد: هو موضع يقال له ثنية شيخان، عسكر به رسول الله صلى اللّه عليه و سلم ليلة خرج لأحد، و هناك عرض الناس فأجاز من رأى و ردّ من رأى، قال أبو سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه: كنت ممن ردّ من الشيخين يوم أحد، و قيل: هما أطمان، سميا به لأن شيخا و شيخة كانا يتحدثان هناك، و قال المطرى: هو موضع بين المدينة و جبل أحد على الطريق الشرقية مع الحرة إلى جبل أحد

قال: خرج النبى صلى اللّه عليه و سلم هو و أصحابه لأحد على الحرة الشرقية حرة واقم، و بات بالشيخين، و غدا صبح يوم السبت إلى أحد.

حرف الصاد

صاحة:

كرامة، الأرض التى لا تنبت أصلا، و هو اسم هضبات خمس لباهلة قرب عقيق المدينة، قاله المجد، و كأن الوليد بن عقبة جمعها حيث قال:

و لو لا علىّ كان جلّ مقالهم كضرطة عير بالصحاصح من إضم

صارة:

جبل بين تيماء و وادى القرى، قال:

سقى الله حيّا بين صارة و الحمى حمى فيد صوب المدجنات المواطر

صارى:

بكسر الراء و تخفيف الياء، جبل فى قبلة المدينة.

صائف:

موضع بنواحى المدينة.

صبح:

بالضم ثم السكون بلفظ أول النهار، قال ياقوت: صبح و صباح ما آن حيال نملى لبنى قريظة، و قال الأصمعى: و فى حيال نملى صباح و صبح ما آن، قالت امرأة تزوجها رجل فحنت إلى وطنها:

ألا ليت لى من وطب أمى شربة تشاب بماء من صبيح فأبضع

أى أروى، و الباضع: الريان، انتهى، و أما قول أعرابى:

ألا هل إلى أجبال صبح بذى الغضى غضى الأثل من قبل الممات معاد

فالظاهر: أنها جبال صبح التى عن يسار المتوجه إلى مكة ببدر و ما حولها، و لهذا قال

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۱۰۴

المجد: اجتزت بها فی مسیری علی المدینة من مکة، فذکر بعض العرب أن علی متن جبال صبح نخیلا کثیرة و مزارع، انتهی. و لیست هی فی جهة نملی؛ لما سیأتی فیها.

الصحرة:

بالضم و إسکان الحاء المهملة لغة جوبة تنجاب فی الحرة، و هی اسم أرض تحف قاع النقیع من غربیه، و أعراب تلک الجهة یسمونها الیوم السحرة بضم السین المهملة بدل الصاد.

صحن:

بلفظ صحن الدار، جبل فوق السوارقیة، فیه ماء عذب یزرع علیه، قال شاعرهم:

جلبنا من جنوب الصحن جردا عتاقا سرها نسلا لنسل

فوافینا بها یومی حنین رسول الله جدا غیر هزل

صخیرات الثمام:

تقدم فی الثاء المثلاثة.

صدار:

کغراب، موضع بنواحی المدینة.

قلت: لعله المعروف بالصدارة بوادی الروحاء.

صرار:

ککتاب، و روی بالضاد المعجمة، و هو وهم، قال الخطابی: هی بئر قدیمة علی ثلاثة أمیال من المدینة علی طریق العراق، قال عیاض: و یدل لکونها اسم موضع غیر بئر لکن بها بئار قول الشاعر:

لعل صرارا أن تجیش بئارها

قلت: سبق فی منازل یهود أن أناسا منهم کانوا بالجوانیة، و کان لهم بها الأطم الذی یقال له صرار، و به سمیت تلک الناحیة صرارا، و لهم الریان أیضا، و صارا لبنی حارثة، قال ابن زبالة: و له یقول نهیک بن سیاف:

لعل صرارا أن تجیش بثاره و یسمع بالریان تبنی مسار به

فصرار: أطم شامی المدینة من ناحیة الحرة و منازل بنی حارثة، و سبق أنهم کانوا مع بنی عبد الأشهل فی دارهم، ثم أجلوهم إلی خیبر، ثم رق لهم حضیر بن سماک الأشهلی لما عناه خفاف بن ندبة بقوله:

فإن حضيرا و الذى قد أرادها حضير كرائى حفته و هو شاربه

لعل صرارا أن تغور بئاره و يسمع بالريان تعوى ثعالبه

فإن يهلكوا تهلك، و إن تدن دارهم تكون حبا خير أصابك خاصبه

فقال: إن هذا لهكذا، إنى و الله إن هلكت هلكت بنو حارثة، و إن يهلكوا نهلك، و لا مانع أن يكون فى طريق العراق ماء يسمى بصرار أيضا، و يدل له قول نصر: صرار ماء

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۱۰۵

بقرب المدينة محتفر جاهلى، له ذكر كثير على سمت العراق و قال ياقوت: صرار اسم جبل من جبال القبلية قرب المدينة، قال جرير:

إن الفرزدق لا يزايل لؤمه حتى تزول عن الطريق صرار

قال: و صرار أيضا موضع على ثلاثة أميال من المدينة على طريق العراق، انتهى.

و قال العمرانى: صرار اسم جبل، و أنشدنى جار الله العلامة للأفطس العلوى، و فى الأغانى أنه لأيمن بن خريم:

كأن بنى أمية حين راحوا و عرّى من منازلهم صرار

و قال: هو من جبال القبلية، قال: و صرار أيضا بئر قديمة على ثلاثة أميال من المدينة، على طريق العراق، و قيل: موضع بالمدينة، و فى غزوة عرفدة الكدر أنهم اقتسموا غنائمهم بصرار على ثلاثة أميال من المدينة، قاله ابن سعد.

قلت: و المراد من حديث أمره صلى اللّه عليه و سلم بنحر بقرة لما قدم صرارا إنما هو صرار الذى بالمدينة، و لهذا قال البخارى: صرار موضع ناحية بالمدينة، و ترجم عليه «باب اتخاذ الطعام عند القدوم» و توضحه الرواية الأخرى أن النبى صلى اللّه عليه و سلم لما قدم المدينة نحر جزورا أو بقرة.

الصعبية:

بالفتح ثم السكون، آبار عذبة يزرع عليها، لبنى خفاف من بنى سليم قرب أبلى.

صعيب:

تصغير صعب، و قيل: صعين بالنون تصغير صعن، تقدم مستوفى فى الاستشفاء بتراب المدينة، و له ذكر فى البويرة.

الصّفاح:

بالكسر و الحاء المهملة، موضع بالروحاء.

صفاصف:

موضع بين سد عبد الله بن عمرو بن عثمان و بين الصعبية.

الصفراء:

تأنيث الأصفر، واد كثير النخل و العيون و الزروع، سبق ذكره فى المساجد، و أن النبى صلى اللّه عليه و سلم عدل عنه إلى ذفران فى المسير إلى بدر الكبرى، و سلكه فى رجوعه، و قال المجد: سلكه النبى صلى اللّه عليه و سلم غير مرة.

صفر:

بلفظ الشهر الذى يلى المحرم، جبل أحمر بفرش ملل، يقابل عبودا، الطريق بينهما، و به بناء كان للحسن بن زيد، و بقفاه ردهة يقال لها ردهة العجوزين، و العجوزين:

هضبات هناك كان يسكنها أبو عبيدة بن عبد الله بن زمعة بن الأسود بن المطلب الزمعى جد ولد عبد الله بن حسن بن حسن بن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهم لأمهم، و قال بعضهم فى رثائه:

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۱۰۶

إذا ما ابن زاد الركب لم يسر ليلة ففى صفر لم يقرب الفرش زائر

و قال عمر بن عائذ الهذلى:

أرى صفرا قد شاب قبل لداته و شابة أيضا شاب منه العواقر

و شابت قناة بالعجوزين لم تكن تشيب و شاب العرفط المتجاور

الصفة:

بالضم و فتح الفاء المشددة، تقدمت فى الفصل الثامن من الباب الرابع.

صفنة:

بالفتح كجفنة بالنون، منزلة بنى عطية بن زيد، و به أطمهم شاس برحبة مسجد قباء.

صفينة:

كسفينة، موضع بين بنى سالم و قباء.

ذو صلب:

بالضم، تقدم فى أودية المدينة.

صلحة:

بالضم ثم السكون، اسم دار بنى سلمة، سماها بذلك النبى صلى اللّه عليه و سلم كما سبق عن المجد فى حربى، و أن الذى فى نسخة ابن زبالة و خط المراغى طلحة بالطاء المهملة.

صلصل:

بالضم ثم السكون و التكرير، موضع على سبعة أميال من المدينة، قاله المجد، و سبق فى أودية العقيق أن ما أقبل من الصلصلين يدفع فى بئر أبى عاصية، و ما دبر منهما يدفع فى البطحاء، و البطحاء تدفع من بئر الجبلين فى العقيق، و قال ابن سعد: خرج النبى صلى اللّه عليه و سلم فى غزوة الفتح من المدينة يوم الأربعاء لعشر خلون من رمضان بعد العصر، فلما انتهى إلى الصلصل قدم أمامه الزبير بن العوام فى مائتين من المسلمين، و نادى مناديه: من أحبّ أن يفطر فليفطر، و من أحبّ أن يصوم فليصم، و له شاهد بالإفراد، فما قيل فى العقيق من الشعر فهو بالتثنية كما يأتى، و هو جبل معروف اليوم فى أثناء البيداء على يمين المتوجه إلى مكة شرقى عظم إلى القبلة.

صلاصل:

أرض بحرة وادى بطحان، تقدمت فى قصر عاصم بالعقيق، قال أبو معروف أخو بنى عمرو بن تميم:

أحبّ الصلصلين فبطن خاخ إلى مفضى البلاط إلى النقيع

إلى قبر النبى فجانبيه إلى الفيفاء أو أدنى مطيع

إلى وادى صلاصل فالمصلّى إلى أكناف أعذق ذى و شيع

فتلك إذا تشاجرت النّواصى ولج الناس فى الخلق البديع

منازل غبطة و بلاد أمن تكفّ عن المفاقر و القنوع

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۱۰۷

الصمد:

بسكون الميم و إهمال الدال، ماء قرب المدينة، له يوم مشهور، قاله المجد. و الصمد: موضع بقباء، و جمعه كعب بن مالك فى شعره فقال:

ألا أبلغ قريشا أن سلعا و ما بين العريض إلى الصماد

نواضح فى الحروب مدربات و حوص نقيب من عهد عاد

الصمغة:

بالغين المعجمة، موضع بقرب قناة، ذكر ابن هشام نزول قريش بعينين على شفير وادى قناة، ثم ذكر تسريحهم الظّهر و الكراع فى زرع

كانت بالصمغة من قناة.

الصمان:

بالفتح و تشديد الميم و ألف و نون، جبل أحمر ينقاد ثلاثة أيام، و ليس له ارتفاع، يجاور الدهناء، و قيل: قرب رمل عالج، قاله ياقوت.
قلت: و المراد من الدهناء التى هى سبعة أحبل بالحاء المهملة- من الرمل بديار تميم. و الظاهر أنها رمل عالج، فالمراد من العبارتين واحد، و لذا قال فى القاموس:
الصمان كل أرض صلبة ذات حجارة إلى جنب رمل، و موضع بعالج.

صوار:

بالضم و واو و ألف وراء، موضع بالمدينة، قال الشاعر:
فمحيص فواقم فصوار فإلى ما يلى حجاج غراب

صورى:

كجمزى، قال ابن الأعرابى: واد فى بلاد مزينة قرب المدينة.
قلت: هو بجهة النقيع، يعرف اليوم بصورية بزيادة هاء، و قد أورد الزبير شاهد ريم المتقدم، و فيه ذكره، ثم قال: و صورى من صدور أتمة ابن الزبير.

الصّوران:

تثنية صور بالفتح ثم السكون، النخل المجتمع الصغار، موضع بأقصى البقيع مما يلى طريق بنى قريظة، قال مالك: كنت آتى نافعا مولى ابن عمر نصف النهار ما يظلنى شىء من الشمس، و كان منزله بالبقيع بالصورين، و فى السير: لما توجه النبى صلى اللّه عليه و سلم إلى بنى قريظة مر فى طريقه بنفر من أصحابه بالصورين، و تقدم أن الصافية و ما معها من الصدقات متجاورات بأعلى الصورين قصر مروان، و أن سيل مهزور يسقيها، ثم يفضى إلى الصورين قصر مروان، ثم يأخذ بطن الوادى على قصر بنى يوسف، ثم يصب فى النقيع، و الصوران أيضا: فى أدنى الغابة.

ذو صوير:

كزبير، من أودية العقيق بقرب صورى.

صهىّ:

بالضم، جمع صهوة، قلل فى جبل تقدمت فى روضة الصها.

الصهباء:

بلفظ اسم الخمر، من أدنى خيبر، بها مسجد، و بها كان رد الشمس كما سبق، و هى على بريد من خيبر فيما قاله ابن سعد.

الصهوة:

من أودية العقيق، قال ابن شبة: و تصدّق عبد الله بن عباس رضى الله

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۱۰۸

تعالى عنهما بماله بالصّهوة، و هو موضع بين بين و بين حورة، على ليلة من المدينة، و تلك الصدقة بيد الخليفة توكل بها.

الصياصى:

أربعة عشر أطما كانت بقباء يتعاطى أهلها النيران بينهم من قربها.

الصيصة: أطم بقباء.

حرف الضاد

ضاحك:

اسم فاعل من ضحك، جبل بفرش ملل، بينه و بين ضويحك واد يقال له بين.

ضأس: كفأس، موضع بين المدينة و ينبع، قال كثير:

بعينك تلك العير حى تغيبت و حتى أتى من دونها الخبت أجمع

و حتى أجازت بطن ضأس و دونها دعان فهضبا ذى النخيل فينبع

ضاف:

واد غربى لنقيع، من أوديته، تحفه الجبال، و قدس فى غربيه، و أرضه مستوية يخالطها حمرة مهبط ثنية تبع من أتمة ابن الزبير، قال عروة بن أذينة:

لسعدى بضاف منزل متأبد عفا ليس مأهولا كما كنت تعهد

ضبع:

بسكون الباء الموحدة و ضمها، من أودية العقيق، فيه يقول أبو وجرة:

فما بغرة فالأجراع من ضبع فالموفيات فذات الغيض فالسند

و الضبع أيضا: موضع بحرة بنى سليم، بينها و بين أفاعية.

ضبوعة:

بالفتح كحلوبة، منزل عند بليل، بين مشيرب و بين الحلائق، و مشيرب:

شامى ذات الجيش، و سبق فى الخلائق نزوله صلى اللّه عليه و سلم بمجتمع بليل و مجتمع الضبوعة، و استقى له من بئر الضبوعة، و فى بعض النسخ «الصبوغة» بالصاد المهملة و الغين المعجمة.

ضجنان:

بالفتح و سكون الجيم و نونين بينهما ألف، قال أبو موسى: موضع أو جبل بين الحرمين، و قال البكرى: بين قديد و ضجنان يوم، و فى القاموس أنه على خمسة و عشرين ميلا من مكة.

ضحيان:

بالفتح و سكون الحاء المهملة و بالمثناة تحت، أطم بالعصبة لأحيحة بن الجلاح، و قال ياقوت: شاده بأرضه التى يقال لها قنان، و له يقول:

إنى بنيت واقما و الضحيان و المستظل قبله بأزمان

ضرعاء:

قرية قرب جبل شمنصير.

ضرية:

تقدمت فى حمى ضرية.

ضرى:

كسمى، بئر من حفر عاد بضرية.

ضع ذرع:

أطم شبه الحصن، كان عند بئر بنى خطمة المسماة بذرع.
وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۱۰۹

ضغاضغ:

بضادين و غينين معجمات، جبل قرب شمنصير، عنده قرى لبنى سعد بن بكر أصهار النبى صلى اللّه عليه و سلم.

ضغن:

بالكسر و سكون الغين المعجمة ثم نون، ماء لفزارة، بين خيبر و فيد.

ضفيرة:

بالفتح و كسر الفاء، الحقف من الرمل، و المسناة المستطيلة فى الأرض و ما بعقد بعضه على بعض ليحبس السيل و نحوه، قال المجد: هى اسم أرض بالعقيق للمغيرة بن الأخنس، قال الزبير: أقطع مروان عبد الله العامرى ما بين الميل الرابع من المدينة إلى ضفيرة أرض المغيرة بن الأخنس التى بالعقيق كما سبق.
قلت: هذا لا يقتضى أنها اسم لأرضه، بل مضافة لأرضه، و كأنها بناء يفصلها من غيرها و يحبس السيل، و سبق بالعقيق بناء الضفيرة به فى غير موضع و أن أروى زعمت أن سعيد بن زيد أدخل ضفيرتها فى أرضه، ثم أبدى السيل عن ضفيرتها خارجة عن أرضه، و قال الهجرى: إن عثمان بن عنبسة ضفر بعين ضرية ضفيرة بالصحراء، و جعلها تحبس الماء.

ضلع:

بنى الشيصبان و ضلع بنى مالك جبلان بحمى ضرية، بينهما وادى التسرير مسيرة يوم، و بنو مالك: بطن من الجن مسلمون، و بنو الشيصبان: بطن من الجن كفار، و لم يزل الناس يذكرون إسلام هؤلاء و كفر هؤلاء، و يقع بينهما القتال، و فى ذلك خبر غريب نقله المجد، قال: و ضلع بنى مالك يحل به الناس و يرعون و يصيدون، بخلاف ضلع بنى الشيصبان، و ربما مر به من لا يعرف فيرعى الكلأ فأصابه شر، و لغنى ماء إلى جنب ضلع بنى مالك.

ضويحك:

جبل يناوح ضاحكا، بينهما وادى بين.

الضيقة:

بقرب ذات خماط، بها مسجد تقدم فى الفصل الرابع من الباب السادس، و الضيقة أيضا: يسمى بها اليوم أعلى وادى إضم.

حرف الطاء

طاشا:

بالشين المعجمة، من أودية الأشعر الغورية، يصب على وادى الصفراء.

طخفه:

بالكسر و سكون الخاء المعجمة، جبل أحمر طويل حذاء منهل و آبار، سبق ذكره فى حمى ضرية.

الطرف:

بفتح الراء و بالفاء، قال المجد: إنه على ستة و ثلاثين ميلا من المدينة، قال الواقدى: هو ماء دون النخيل، و قال ابن إسحاق: هو من ناحية العراق، و قال الأسدى فى

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۱۱۰

وصف طريق العراق: إنه على خمسة و عشرين ميلا من المدينة، و على عشرين ميلا من بطن نخل، و ذكر فيه آبارا و بركا، قال: و آخر أعلى الطرف بئر أبى ركانة على عشرة أميال من المدينة.

ذو الطّفيتين:

بالضم و سكون الفاء، من غدران مسيل العقيق، و اسمه اليوم أبو الطفا، قال الهجرى: و هو فى رضراضة غليظة من أعذب ماء شرب، ما شرب منه أحد إلا بال الدم.

طفيل:

قال عرام: إنه جبيل صغير متوسط للخبت، و الخبت: يمين هرشى فى المغرب، و هو غير طفيل المذكور فى شعر بلال.

طويلع:

تصغير طالع، فى ألسنة العامة أنه موضع بالمدينة، و ليس كذلك، إنما هو موضع بنجد، و قيل: لبنى تميم.

طيخة:

بسكون المثناة تحت و إعجام الخاء و قيل: مهملة- و يقال فيه «طيخ» بغير هاء، موضع بأسفل ذى المروة.

حرف الظاء

الظاهرة:

بناحية النقا و المدرج من الحرة الغربية، و سبق أواخر الفصل الحادى عشر من الباب الثالث قول الطائفتين من الأنصار: موعدكم الظاهرة، و هى الحرة، فخرجوا إليها، و بلغ رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، و خرج إليهم فيمن عنده من المهاجرين.

ظبية:

بلفظ واحدة الظباء، موضع بديار جهينة، و فى حديث عمرو بن حزم: كتب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: هذا ما أعطى محمد النبى صلى اللّه عليه و سلم عوسجة بن حرملة الجهنى من ذى المروة إلى الظبية إلى الجعلات إلى جبل القبلية، و ظبية أيضا: موضع بين ينبع و غيقة بساحل البحر، و ماء بنجد.

ظبية:

بالضم ثم السكون، علم مرتجل يضاف إليه عرق الظبية المتقدم فى مساجد طريق مكة بوادى الروحاء، و قال السهيلى: الظبية شجرة تشبه القتادة يستظل بها، و بهذا الموضع قتل عقبة بن أبى معيط صبرا منصرفهم من بدر، فقوله فى حديث الصحيح رأيتهم صرعى ببدر» معناه أكثرهم، و لأن عمارة بن الوليد أيضا كان عند النجاشى، فاتهمه فى حرمه، و كان جميلا، فنفخ فى إحليله شجرا فهام مع الوحش فى بعض جزائر الحبشة فهلك.

ظلم:

بالفتح ثم الكسر ككتف، من أودية القبلية، و عدّه الهجرى فى أودية الأشعر،

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۱۱۱

و قال نصر: ظلم جبل بين إضم و جبل جهينة، و ظلم أيضا كما قال الأصمعى جبل أسود لعمرو بن كلاب، و هو أحد الجبال لثلاثة التى تكتنف الطرق فيما قاله عرام.

الظهار:

ككتاب، حصن بخيبر.

حرف العين

عابد:

بكسر الباء الموحدة و دال مهملة، و عبّود- بالفتح و تشديد الموحدة- و عبيد بالضم مصغرا، ثلاثة أجبل ذكرها الهجرى فيما نقله من وصف فرش ملل، و عبود فى الوسط، و هو الأكبر، و هو بين مدفع مر بين و بين ملل مما يلى السيالة، و قيل: عنده البريد الثانى من المدينة، و بطرفه عين لحسن بن زيد، على الطريق منقطعة، فيها يقول ابن معقل الليثى:

قد ظهرت عين الأمير مظهرا بسفح عبود أتته من مرا

عارمة:

كفاطمة، ردهة بين هضبات تدعين عوارم بوسط حمى ضرية، و شاهدها فى حليت.

عاص و عويص:

واديان عظيمان بين مكة و المدينة.

عاصم:

كصاحب، أطم لبنى عبد الأشهل، كان على الفقارة فى أدنى بيوت بنى النجار، و أطم آخر لبعض يهود بقباء، و فيه البئر التى يقال لها قباء، و ذو عاصم: من أودية العقيق، سمى بذلك لأن الأوس لما جلوا عن المدينة و نزلوا النقيع حالفوا مزينة، و عقد الحلف بينهم عاصم بن عدى بن العجلان، فسميت الشعبة التى وقع فيها الحلف: شعبة عاصم.

عاقل:

بكسر القاف، جبل يناوح منعجا، و كان يسكنه الحارث بن آكل المرار جدّ امرئ القيس بحمى ضرية.

العالية:

تأنيث العالى، قال عياض: العالية و عوالى المدينة كل ما كان من جهة نجد من المدينة من قراها و عمائرها إلى تهامة، و ما كان دون ذلك من جهة تهامة فهى السافلة.

قلت: هذا مسمى العالية من حيث هى لا عالية المدينة؛ إذ مقتضاه أن المدينة و ما حولها عالية لما سبق فى الحجاز عن الأصمعى، و إن قلنا برأى عرام من أن المدينة نصفها حجازى و نصفها تهامى فلا تصدق العالية على شىء منها، أو على نصفها الذى يلى المشرق فقط، و استعمال عالية المدينة فى الأحاديث و غيرها يخالفه لتصريح الأحاديث بأن قباء من العالية، و لما عدد ابن زبالة أودية العالية لم يعد قناة، و هى فى شرقى المدينة، وعد رانوناء و هى فى غربيها للقبلة، و المعروف أن ما كان من جهة قبلة المدينة على ميل

أو ميلين فأكثر من المسجد النبوى فهو عالية المدينة كما سنوضحه، و قال المجد عقب ما سبق عن عياض: و قال قوم: العالية ما جاوز الرمة إلى مكة، و قال أبو منصور: عالية الحجاز أعلاها بلدا و أشرفها موضعا، و هى بلاد واسعة، انتهى، و به يعلم أن هذا كله فى مطلق العالية، لا فى عالية المدينة، و قال عياض: و العوالى من المدينة على أربعة أميال، و قيل: ثلاثة، و هذا حد أدناها، و أبعدها ثمانية أميال، انتهى، و يرده أنه قال فى السنح: إنه منازل بنى الحارث بن الخزرج بعوالى المدينة، بينه و بين منزل النبى صلى الله عليه السلام ميل، و ذكره ابن حزم أيضا، و نقله الحافظ ابن حجر عن أبى عبيد البكرى، و فى العتبية عن مالك: أقصى العالية على ثلاثة أميال، يعنى من المسجد النبوى، و يؤيده ما فى الصحيح عن أنس من طريق الزهرى «كان رسول الله صلى اللّه عليه و سلم يصلى العصر و الشمس مرتفعة حية، فيذهب الذاهب إلى العوالى فيأتيهم و الشمس مرتفعة، و بعض العوالى من المدينة على أربعة أميال أو نحوها» و لفظ البيهقى «و بعد العوالى» بضم الموحدة، و فى رواية له «و بعد العوالى أربعة أميال أو ثلاثة» و لفظ أبى داود «العوالى على ثلاثة أميال» و وقع عند الدار قطنى «على ستة أميال» و عند عبد الرزاق «على ميلين أو ثلاثة».

و قوله «و العوالى» إلى آخره مدرج من كلام الزهرى كما بينه عبد الرزاق و طريق الجمع أن أدنى العوالى من لمدينة على ميل أو ميلين، و أقصاها عمارة على ثلاثة أو أربعة أميال، و أقصاها مطلقا ثمانية أميال.

عائد: بكسر النون و دال مهملة، واد بجنب السقيا من عمل الفرع، و يروى «عايذ» بالياء و الذال المعجمة، قاله المجد، و قال الأسدى: وادى العائد قبل السقيا يميل، و يقال له: وادى القاحة.

عائذ:

بالذال المعجمة، قرب الربذة.

عاير:

يضاف إليه ثنية العائر، عن يمين ركوبة، و يقال بالغين المعجمة أيضا، و الأول أشهر.

عبابيد:

موضع قرب تعهن، و روى عبابيب بثلاث باءات موحدات بعد الثانية مثناة تحتية، و يروى العثيانية بمثلاثة ثم مثناة تحت ثم ألف و نون، جاء ذكره فى سفر الهجرة.

عباثر:

جمع عبيثران للنبات المعروف، واد من الأشعر بين نخل و بواط، به نقب يؤدى إلى ينبع، و هو لبطن من جهينة، ابتاع موسى بن عبد الله الحسينى منهم أسفله، و عالج به عينا.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۱۱۳

العبلاء:

بالفتح ثم السكون ممدود، موضع من أعمال المدينة، و يقال لها: عبلاء الهرودة، نبت يصبغ به، و عبلاء البياض: موضع آخر.

عبود:

بالفتح ثم الضم مشددا، تقدم فى عابد.

العتر:

بالكسر و سكون المثناة الفوقية ثم راء، جبل بالمدينة فى قبلتها. يقال له:

المستندر الأقصى، قال زهير:

كمنصب العتر إذ فى رأسه النسك

قالوا: أراد بمنصب العتر صنما كان يقرب له عتر، أى ذبيحة، و العتر بالفتح: الذبح، قاله المجد.

عثاعث:

جبال صغار سود بحمى ضرية مشرفات على مهزور.

عثعث:

بمثلثتين كربرب، الجبل الذى يقال له سليع بالمدينة، عليه بيوت أسلم.

العجمتان:

تثنية عجمة، بجانب البطحاء بالعقيق.

عدنة:

بالنون محركا، موضع من الشربة و هضبة بالفريش كان بها منزل داود بن عبد الله بن أبى الكرام و بنى جعفر بن إبراهيم.

عدينة:

مصغر عدنة، أطم بالعصبة بين الصفاصف و الوادى، سمى باسم امرأة كانت تسكنه.

عذق:

بالفتح ثم السكون، أطم لبنى أمية بن زيد، و بئر عذق: تقدمت فى الآبار.

عذيبة:

تصغير عذبة ماء بين الينبع و الجار، و يقال فيها العذيب بغير هاء، قال كثير:

خليلىّ إن أمّ الحكيم تحملت و أخلت لخيمات العذيب ظلالها

فلا تسقيانى من تهامة بعدها بلالا، و إن صرب الربيع أسالها

عراقيب:

قرية ضخمة، و معدن بحمى ضرية.

عرّى:

كغرّى، اسم وادى نقمى كما سيأتى فى النون، قال سالم بن زهير الخضرى:

إذا ما الصبا هبت و قد نام صبيتى بأخيال عرّى لم يرعنا حثيثها

عرب:

بكسر الراء ككتف، ناحية قرب المدينة أقطعها عبد الملك كثيرا الشاعر، و أما عرم بوزنه إلا أن آخره ميم فواد ينحدر من ينبع إلى البحر، و جيل لعله بالوادى المذكور، و إياه عنى كثير بقوله:

سحت بماء الفلاة من عرم

العرج:

بالفتح ثم السكون، قرية جامعة تقدمت فى مساجد طريق مكة.

قال المجد: هى ثمانون ميلا إلى ميلين من المدينة، قيل: لما رجع تبع من المدينة

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۱۱۴

رأى هنا دوابّ تعرج فسماها العرج، و قيل لكثير: لم سميت بذلك؟ قال: لأنها يعرج بها عن الطريق، قال ابن الفقيه: يقال إن جبلها يمتد إلى الشام حتى يصل بلبنان، ثم إلى جبال أنطاكية و شمساط، و تسمى هناك اللكام، ثم إلى ملطية و قالى قلا إلى بحر الخزر، و فيه الباب و يتصل ببلاد الدان، و طوله خمسمائة فرسخ، و فيه اثنان و سبعون لسانا.

العرصة:

بالفتح ثم السكون و إهمال الصاد، كل جوبة متسعة لا بناء فيها لاعتراص الصبيان فيها، أى لعبهم، و عرصة العقيق: تقدمت فى الفصل الثالث، و تنقسم إلى كبرى و صغرى كما سبق.

العرض:

بالكسر، اسم للجرف كما سبق فيه، قال المطرى: إن حول مسجد القبلتين آبارا و مزارع تعرف بالعرض، فى قبلة مزارع الجرف، قال شمر: و أعراض المدينة بطون سوادها حيث الزرع، و قال الأصمعى: أعراضها قراها التى فى أوديتها، و قيل: كل واد فيه شجر فهو عرض، و قيل: كل واد عرض، و يقال للرساتيق بأرض الحجاز:

الأعراض، و قال يحيى بن أبى طالب:

و لست أرى عيشا يطيب مع النوى و لكنه بالعرض كان يطيب

عرفات:

بلفظ عرفات مكة، تل مرتفع فى قبل مسجد قباء، سمى بذلك لأن النبى صلى اللّه عليه و سلم كان يقف يوم عرفة عليه، فيرى منه عرفات، كذا قاله ابن جبير فى رحلته.

عرفجاء:

أحد مياه الأشق.

عرفة:

بالضم و سكون الراء و فتح الفاء، لغة: المتين المرتفع من الأرض فينبت الشجر، و يقال لمواضع متعددة منها: عرفة الأجبال، أجبال صبح فى ديار فزارة بها ثنايا يقال لها المهادر، و عرفة الحمى حمى ضرية، و عرفة منعج.

عرق الظبية:

تقدم فى الظاء المعجمة.

عريان:

بلفظ ضد المكتسى، أطم لآل النضر رهط أنس بن مالك من بنى النجار، كما فى صقع القبلة، كذا قاله المجد.

عريض:

تصغير عرض، واد بالمدينة، قاله الهمدانى، و هو معروف شامى المدينة قرب قناة، و تقدم حديث «أصح المدينة من الحمى ما بين حرة بنى قريظة إلى العريض» و فى السير أن أبا سفيان أحرق صورا من صيران نخل العريض، ثم انطلق هاربا.

عريفطان:

تصغير عرفطان تثنية عرفط، واد سبق فى أبلى.

عرينة:

كجهينة، قرى بنواحى المدينة فى طريق الشام، و عن معاذ بن جبل قال:
بعثنى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم على قرى عرينة، فأمرنى أن آخذ خط الأرض، رواه أحمد و الطبرانى
وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۱۱۵
فى الكبرى، و قال الزهرى: قال عمر وَ ما أَفاءَ اللَّهُ عَلى رَسُولِهِ [الحشر: ۶] الآية: هذه لرسول الله صلى اللّه عليه و سلم خاصة قرى عرينة: فدك و كذا و كذا.
و وجد على حجر بالحمى كما سبق: أنا عبد الله الأسود رسول عيسى بن مريم إلى أهل قرى عرينة.

العزاف:

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى؛ ج۴؛ ص۱۱۵
لفتح و تشديد الزاى آخره فاء، جبل بالدهناء، قاله المجد، و سيأتى شاهده فى المحيصر، و قال المجد هناك: و من العزاف إلى

المدينة اثنا عشر ميلا، و قال فى القاموس: إنه بوزن شدّاد و سحاب فيه عزيف الرعد، و رمل لبنى سعد، أو جبل بالدهناء على اثنى عشر ميلا من المدينة، سمى بذلك لأنه كان يسمع به عزيف الجن، و أبرق

العزاف:

ماء لبنى أسد يجاء من حومانة الدرّاج إليه، و منه إلى بطن نخل، ثم الطرف، ثم المدينة، انتهى. و فى الصحاح العزاف: رمل لبنى سعد، و يسمى أبرق العزاف، و هو قريب من زرود، و فى النهاية عزيف الجن جرس أصواتها، و قيل: هو صوت يسمع بالليل كالطبل، و قيل: إنه صوت الرياح فى الجو فيتوهمه أهل البادية صوت الجن، و عزيف الرياح: ما يسمع من دويها.

عزوزى:

بزايين معجمتين، موضع بين الحرمين، و فى سنن أبى داود «خرجنا مع رسول الله صلى اللّه عليه و سلم من مكة نريد المدينة، حتى إذا كنا قريبا من عزوزى نزل، ثم رفع يديه فدعا الله ساعة ثم خرّ ساجدا» الحديث.

عسعس:

كفر قد، جبل بحمى ضرية تضاف إليه دارة عسعس.

عسفان:

بالضم ثم السكون و بالفاء، كانت قرية جامعة بين مكة و المدينة، على نحو يومين من مكة، سميت بذلك لعسف السيول فيها، و ذكر الأسدى بها آبارا و برك و عينا تعرف بالعولاء.

عسيب:

جبل يقابل براما، فى شرقى النقيع، و هو أول أعلامه من أعلاه، و نقل الهجرى عن بعضهم أن عليه مسجدا للنبى صلى اللّه عليه و سلم، و المعروف بذلك إنما هو مقمل، قال:

و فيه يقول صخر، و نسبه المجد إلى امرئ القيس:

أجارتنا إن الخطوب تنوب و إنى مقيم ما أقام عسيب

قال المجد: و هو جبل بعالية نجد لهذيل.

عسيلة:

بالفتح كدنية، موضع بناحية معدن القبلية، و يروى بالغين و الشين المعجمتين.

العش:

بالضم للغراب و غيره، و ذو العش: من أودية العقيق.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۱۱۶

العشيرة:

تصغير عشرة من العدد، و ذو العشيرة: من أودية العقيق، قال عروة بن أذينة:

يا ذا العشيرة هيّجت الغداة لنا شوقا، و ذكرتنا أيامنا الأولا

ما كان أحسن فيك العيش مرتبعا غضّا و أطيب فى آصالك الأصلا

و ذو العشيرة أيضا: تقدم فى حدود الحرم شرقى الحفياء، و قال المطرى: نقب بالحفياء من الغابة، و ذو العشيرة أيضا: موضع بالصّمّان ينسب إلى عشرة فيه نابتة، قال الأزهرى: و ذو العشيرة أيضا: حصن صغير بين ينبع و ذى المروة يفضل تمره على سائر تمر الحجاز إلا الصيحانى بخيبر و البرنى و العجوة بالمدينة، قاله أبو زيد، و تقدم فى المساجد ذو العشيرة بينبع، و تقدمت غزوتها، و فى المغازى «باب غزوة العشيرة، أو العسيرة» بالشك بين إعجام الشين و إهمالها، و عند أبى ذر «ذو العشيرة» بالمعجمة من غير شك، و نقل عياض عن الأصيلى «العشيرة، أو العسير» بفتح العين و كسر السين المهملة، و عند القابسى فى الأول «العشير» كالأول إلا أنه بغير هاء «أو العسر» كما للأصيلى فى الثانى، و قيل: العشيرة أو العشير، بالشين المعجمة، بلفظ التصغير، ثم أضيف إليها «ذات» قال ابن إسحاق: ذات العشيرة من أرض بنى مدلج، أى الغزوة، و قال فيها: حتى نزل العشيرة من بطن ينبع، قال الحافظ ابن حجر: و مكانها عند منزل الحاج بينبع، ليس بينها و بين البلد إلا الطريق.

العصبة:

بإسكان الصاد المهملة، و اختلف فى أوله فقيل: بالضم، و قيل: بالفتح، و ضبطه بعضهم بفتح العين و الصاد معا، و يروى المعصّب كمحمد، منزل بنى جحجبى، غربى مسجد قباء، و فى البخارى عن ابن عمر: لما قدم المهاجرون الأولون العصبة موضع بقباء قبل مقدم النبى صلى اللّه عليه و سلم كان يؤمهم سالم مولى أبى حذيفة، و كان أكثر قرآنا، ثم أورده فى الأحكام، و زاد: و فيهم أبو بكر و عمر و أبو سلمة و زيد بن حارثة و عامر بن ربيعة، و استشكل ذكر أبى بكر، و أجاب البيهقى باستمرار إمامته حتى قدم أبو بكر فأمّهم أيضا.

عصر:

بالكسر ثم السكون، و يروى بفتحتين، جبل سلك عليه النبى صلى اللّه عليه و سلم لما خرج لخيبر، كما سبق فى المساجد، و قال ابن الأشرف فى حديث خيبر «سلك رسول الله صلى اللّه عليه و سلم إليها على عصر»: هو بفتحتين جبل بين المدينة و وادى الفرع، و عنده

مسجد صلى به النبى صلى اللّه عليه و سلم، انتهى، و فيه نظر.

عظم:

بفتحتين، تقدم فى أعظم، و أما ذو عظم بضمتين فمن أعراض خيبر، فيه عيون و نخيل، قال ابن هرمة:

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۱۱۷

أهاج صحبك شيئا من رواحلهم بذى شناصير أو بالنعف من عظم

و يروى عظم بالتحريك.

عقرب:

بلفظ عقرب الحشرات، أطم شامى الروحاء، به بنو بياضة.

العقيان:

بالكسر ثم قاف و مثناة تحت، أطم ببنى بياضة، شامى أرض فراس مما يلى السبخة.

عقيربا:

مصغر عقرب، مال كان لخالد بن عقبة شامى بنى حارثة.

العقيق:

بالفتح ثم الكسر و قافين بينهما مثناة تحتية ساكنة، تقدم أول الباب.

العلاء:

بالفتح و المد بمعنى الرفعة، أطم أو موضع بالمدينة، و العلا بالضم و القصر بناحية وادى القرى، تقدم فى مساجد تبوك.

العلم:

بالتحريك، جبل فرد شرقى الحاجر يقال له أبان، فيه نخل، و فيه واد لو دخله مائة أهل بيت بعد أن يملكوا عليهم المدخل لم يقدر عليهم أبدا، و فيه مياه و زروع، قاله ياقوت، و كأن المراد بالحاجر حاجر الثنيا بطريق مكة، و هذا الوصف مشهور عن جبل هناك

لصبح.

العمق:

بالفتح ثم السكون آخره قاف، واد يصب فى الفرع، و يسمى عمقين، لبعض ولد الحسين بن على رضى الله تعالى عنهما، و قيل: هو عين بوادى الفرع، و سبق فى أودية العقيق أن ما دبر من ثنية عمق يصب فى الفرع، و العمق أيضا: منزل للحاج بين السليلة و معدن بنى شريد، و فى القاموس أنه كصرد، و بضمتين، أو بضمتين خطأ: منزل بين ذات عذق و معدن بنى سليم.

العميس:

بالفتح ثم الكسر و سكون المثناة تحت و سين مهملة، واد بين الفرش و ملل، قال ابن إسحاق فى المسير إلى بدر: ثم مر على تربان، ثم على ملل، ثم على عميس الحمام من مريين، ثم على صخيرات الثمام، قال المجد: هكذا ضبطه ابن الفرات، و عليه المحققون، و قيل: إنه بالغين المعجمة.

عتاب:

بالضم و فتح النون آخره موحدة، اسم الطريق المطروقة بين المدينة و فيد، و قيل: جبل، قال جرير:

أنكرت عهدك غير أنك عارف طللا بألوية العناب محيلا

العنابس:

بالفتح و كسر الموحدة، مزارع فى جهة قبلة مسجد القبلتين.

العنابة:

بلفظ عناب بزيادة هاء، قارة سوداء أسفل من الرويثة إلى المدينة، و ماءة فى ديار بنى كلاب على طريق كانت تسلك إلى المدينة، كان زين العابدين بن الحسين

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۱۱۸

رضى الله تعالى عنهما يسكنها، و المحدثون يشددون، و العنابة أيضا: بركة و مكان قرب سميراء.

العناقة:

بالقاف كسحابة، موضع لغنى قرب ضريبة، و فى القاموس أنها ماءة لهم.

العواقر:

هضبات بالفرش شاهدها فی ضفر.

عوال:

بالضم و التخفيف، أحد الأجبل الثلاثة التی تكتنف الطريق، علی يوم و ليلة من المدينة، و الآخران ظلم و اللعباء، قاله المجد، و عبارة عرام: الطرف يكتنفه ثلاثة أجبال: ظلم، و حزم بنی عوال، و هما لغطفان، و فی عوال آبار منها بئر ليلة، ثم قال:
و السد ماء سماء، و اللعباء ماء سماء، فليس فيه أن اللعباء الجبل الثالث، و ظاهره أن حزم بنی عوال جبلان، أو فی النسخة خلل، و نقل ياقوت عن عرام أن حزم بنی عوال جبل لغطفان علی طريق القاصد إلی المدينة فيه مياه آبار، ثم قال: و عوال ناحية يمانية عن الحازمی.

العوالی:

تقدمت فی العالية.

عوسا:

تقدمت فی وادی رانوناء.

العويقل:

تصغير العاقل، نقب بحزرة.

عير:

بالفتح و سكون المثناة تحت آخره راء حمار الوحش، اسم للجبل الذی فی قبلة المدينة شرقی العقيق، سبق فی حدود الحرم، و فوقه جبل آخر يسمی باسمه، و يقال له عير الصادر، و للأول عير الوارد، و لهذا قال الزبير فی أودية العقيق: ثم شعار الحمراء و الفراة و عيرين، قال: و فی عيرين يقول الأحوص:
أقوت رواوة من أسماء فالجمد فالنعف فالسفح من عيرين فالسند
قال الهجری: إن سيل العقيق يفضی لثنية الشريد، ثم قال: و يحف الثنية شرقيا عير الوارد، و غربيا جبل يقال له الفراة، ثم يفضی إلی الشجرة التی بها المحرم، و سبق فی شوران قوله إن عرارا و عيرا جبلان أحمران، و ذكر ابن أذينة أيضا عيرين فی شعر تقد فی شوظا،

و قال عامر بن صالح الزبيرى فيما نقله الزبير:

قل للذى رام هذا الحى من أسد رمت الشوامخ من عير و من عظم

و نقل أيضا عن عمه مصعب الزبيرى من أبيات:

و على عير فما جاز الفرا وابل مار عليه و اكتسح

و هذا يقدح فيما سبق فى حدود الحرم عن عياض أن مصعبا الزبيرى قال: لا يعرف بالمدينة جبل يقال له عير و لا ثور، و تقدم فى فضل أحد حديث «أحد على ركن من أركان

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۱۱۹

الجنة، و عير على ركن من أركان النار». و فى رواية لابن ماجه بإسناد واه «إن أحدا جبل يحبنا و نحبه و هو على ترعة من ترع الجنة، و عير على ترعة من ترع النار».

العيص:

بالكسر ثم السكون و إهمال الصاد، من الأودية التى تجتمع مع إضم، و فى غزوة ودّان: و بعث النبى صلى اللّه عليه و سلم حمزة بن عبد المطلب إلى سيف البحر من ناحية العيص، و فى حديث أبى بصير: خرج حتى نزل بالعيص من ناحية ذى المروة على ساحل البحر بطريق قريش إلى الشام، و قال ابن سعد: سرية زيد بن حارثة إلى العيص على أربع ليال من المدينة و على ليلة من ذى المروة.

عينان:

تثنية العين كما فى المشارق و النهاية و القاموس، و نقل عن الصغانى و ضبطه أولهم بكسر أوله، قال المجد: و ليس بثبت، و ضبطه المطرى بالفتح ثم السكون و كسر النون الأولى، و سيأتى مستنده فى عينين، و هو الجبل الذى كان عليه الرماة يوم أحد، و فى ركنه الشرقى مسجد نبوى كما سبق فى مساجد المدينة و كانت قنطرة العين التى هناك عنده، و لعل عين الشهداء كانت هناك أيضا فسمى عينان، و قيل: إن إبليس قام عليه يوم أحد و نادى أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قتل.

و قال ابن إسحاق: و أقبلوا يعنى المشركين حتى نزلوا بعينين جبل ببطن السبخة من قناة على شفير الوادى مقابل المدينة.

عين إبراهيم:

بن هشام بفرش ملل.

عين أبى زياد:

فى أدنى الغابة، كما فى خاتمة أودية المدينة.

عين أبى نيزر:

بفتح النون و سكون المثناة تحت و فتح الزاى ثم راء، بينبع من صدقة على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه.

قال ابن شبة فيما نقل فى صدقته: و كانت أمواله متفرقة بينبع، و منها عين يقال لها:

عين البحير، و عين يقال لها: عين أبى نيزر، و عين يقال لها: نولا، و هى التى يقال: إن عليّا رضى الله تعالى عنه عمل فيها بيده، و فيها مسجد النبى صلى اللّه عليه و سلم و هو متوجه إلى ذى العشيرة، و عمل على أيضا بينبع البغيبغات، و فى كتاب صدقته أن ما كان لى بينبع من ماء يعرف لى فيها و ما حوله صدقة وقفتها غير أن رباحا و أبا نيزر و جبيرا أعتقناهم و هم ى عاملون فى الماء خمس حجج، و فيه نفقتهم و رزقهم، انتهى، و أبو نيزر: مولى على الذى تنسب إليه العين، كان ابنا للنجاشى الذى هاجر إليه المسلمون، اشتراه على و أعتقه مكافأة لأبيه.

و ذكروا أن الحبشة مرج أمرها بعد النجاشى، و أرسلوا إلى أبى نيزر ليملكوه، فأبى

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۱۲۰

و قال: ما كنت أطلب الملك بعد ما منّ الله علىّ بالإسلام، و كان من أطول الناس قامة و أحسنهم وجها.

و قال ابن هشام: صح عندى أن أبا نيزر من ولد النجاشى، فرغب فى الإسلام صغيرا، فأتى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و صار مع فاطمة و ولدها.

قال أبو نيزر: جاءنى علىّ و أنا أقوم على الضيعتين عين أبى نيزر و البغيبغة فقال: هل عندك من طعام؟ و ذكر قصة أكله و شربه، قال: ثم أخذ المعول و انحدر فجعل يضرب، و أبطأ عليه الماء، فخرج و قد تصبّب جبينه عرقا، فانتكف العرق عن جبينه، ثم أخذ المعول و عاد إلى العين، فأقبل يضرب فيها و جعل يهمهم، فسالت كأنها عنق جزور، فخرج مسرعا، و قال: أشهد الله أنها صدقة، علىّ بدواة و صحيفة، قال: فجئت بهما إليه، فكتب و ذكر الصدقة بالضيعتين البغيبغة و عين أبى نيزر، على فقراء أهل المدينة و ابن السبيل، لا يباعان و لا يوهبان، إلا أن يحتاج لهما الحسن أو الحسين فهما طلق لهما، و ليس ذلك لغيرهما.

قال ابن هشام: فركب الحسين رضى الله تعالى عنه دين فحمل إليه معاوية بعين أبى نيزر مائتى ألف دينار، فأبى أن يبيع.

عين الأزرق:

و تسميها العامة العين الزرقاء، تقدمت فى تتمة الفصل الأول من الباب السادس.

عين تحنّس:

بضم المثناة فوق و فتح الحاء المهملة و كسر النون المشددة و سين مهملة، كانت بالمدينة للحسين بن على رضى الله تعالى عنهما، استنبطها غلام له يقال له تحنس، و باعها على بن الحسين رضى الله تعالى عنهما من الوليد بن عقبة بن أبى سفيان بسبعين ألف دينار، قضى بها دين أبيه الحسين إذ قتل و عليه هذا القدر.

عين الحديد:

بإضم.

عيون الحسين:

بن زيد بن على بن الحسين و هى ثلاث بأعمال المدينة: إحداهما بالمضيق، و الأخرى بذى المروة، و الثالثة بالسقيا.

روى أبو الفرج النهروانى عنه أنه نشأ فى حجر أبى عبد الله جعفر الصادق، فلما بلغ قال له: ما يمنعك أن تتزوج من فتيات قومك؟ قال: فأعرضت عن ذلك، فأعاد، فقلت:

من ترى؟ فقال: كلثوم بنت محمد بن عبد الله الأرقط، فإنها ذات جمال و مال، فأرسلت إليها، فضحكت من رسولى و تعجّبت من جرأتى على ذلك، فأخبرت أبا عبد الله، فألبسنى ثوبين يمنيين معلمين، ثم قال: تعرض أن تمر بمنزلها و احرص على أن تعلم

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۱۲۱

بمكانك، فوقفت ببابها، فأشرفت فنظرت إلىّ و قالت: تسمع بالمعيدىّ خير من أن تراه، فأخبرت أبا عبد الله فقال: إذا شئت فتغيّب عن المدينة أياما، فغبت أتصيد، ثم نزلت المدينة فإذا مولاة لها أتتنى فقالت: نحن نريدك للفرش و أنت تطلب الصيد؟ قد جئتك غير مرة من سيدتى، بعثت معى ألف دينار و عشرة أثواب و تقول لك: تقدم إذا شئت فاخطبنى و امهر بها فإن لك عشرة جميلة، فغدوت فملكتها و أمرتها بالتهيؤ، ثم أخبرت أبا عبد الله، فقال: تهيأ للسفر، و إذا كان ليلة الخميس فادخل المسجد و سلّم على جدك، و نحن ننتظرك ببئر زياد بن عبيد الله، ففعلت، فأتيته، فأمر لى بثياب السفر، و قال: استشعر تقوى الله، و أحدث لكل ذنب توبة، امض فقد كتبت لك إلى معن بن زائدة، و غيبتك ثلاثة أشهر إن شاء الله، فإذا جئت صنعا فانزل منزلا وات معنا؟ ففعلت ما أمرنى به، و دخلت على معن بإذن عام، فإذا به قاعدا و الناس سماطان قياما، فسلمت فردّ و قال: من أنت؟ فأخبرته، فصاح: لا و الله، ما أريد أن تأتونى، باب أمير المؤمنين أعود عليكم من بابى، فقلت: أستغفر الله من حسن الظن بك، و انصرفت، فأدركنى رجل فقال: قد عوّضك الله خيرا مما فاتك، و آتانى ثلاثة آلاف دينار، و سألنى عما أحتاج إليه من الكسوة، فكتبتها له، فلما كان بعد العشاء دخل علىّ معن بن زائدة و أكبّ على رأسى و يدى و قال: يا ابن سيدى و سادتى اعذرنى فإنى أعرف ما أدارى، و أعطيته كتاب أبى عبد الله، فقبله و قرأه، ثم أمر لى بعشرة آلاف دينار، ثم قال: أىّ شىء أقدمك، فأخبرته خبرى، فأمر لى بعشرة آلاف دينار أخرى و ثلاث نجائب برحالها، و كسانى ثلاثين ثوبا و غيرها، ثم ودّعنى، فقضيت حوائجى و قدمت مكة موافيا لعمرة رمضان، فوافيت أبا عبد الله قدم مكة، و سلمت عليه، فقال: أصبت من معن بعد ما جبهك عشرين ألف دينار سوى ما أصبت من غيره؟ قلت: نعم، قال: فإن معنا جماعة كانوا يدعون الله لك، فمر لهم شىء، فقلت: ذاك إليك، قال: كم فى نفسك أن تعطيهم؟ قلت: ألف دينار، قال:

إذا تجحف بنفسك، و لكن فرق عليهم خمسمائة دينار و خمسمائة لمن يعتريك بالمدينة، ففعلت، و قدمت المدينة و استخرج عينا بالمروة و عينا بالمضيق و عينا بالسقيا، و بنيت منازل بالبقيع، فترونى أؤدى شكر أبى عبد الله و ولده أبدا؟.

عين الخيف:

تأتى من عوالى المدينة فتسقى ما حول مساجد الفتح، و هى متقطعة، و فقرها ظاهرة تسمى اليوم بشبشب.

عين رسول الله صلى الله عليه و سلم:

تقدمت فى تتمة الفصل الأول من الباب السادس.

عين الشهداء:

التى تقدم أن معاوية رضى الله تعالى عنه أجراها، و كانت تسمى
وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۱۲۲
الكاظمة، غير معروفة، و بقرب عينين مجرى عين فوقها ثنية تأتى من العالية، و الظاهر أنها غير عين الشهداء.

عين الغوار:

بالغين المعجمة، بإضم.

عين فاطمة:

سبق لها ذكر فى منازل يهود، و أنها حيث كان يطبخ اللبن للمسجد النبوى، و بالحرة الغربية قرب بطحان آرام كانت فى مطابخ للآجر قديما، كما يظهر من رؤيتها، و هناك بئر طويلة على هيئة قصب العين.

عين القشيرى:

بطريق مكة، بين السقيا و الأبواء، كثيرة الماء، لها مشارع، يشرب منها الحاج، و عليها نخل كثير، كانت لعبد الله بن الحسن العلوى.

عين مروان:

بإضم، و كذا اليسرى.

عينين:

قال المجد: هو تثنية عين، و تقدم آنفا فى عينان، لكن بعضهم يتلفظ به على هذه الصيغة فى جميع أحواله، فإن الأزهرى ذكره مبتدئا فقال: عينين بفتحتين جبل بأحد، انتهى.
و كذا صنع عياض فى المشارع، و هو يقتضى أن بفتح العين و النون الأولى، و إنما خالف ما سبق فى لزومه لذلك، لكن المطرى ضبطه بفتح العين و كسر النون الأولى، فلعله كذلك فى كلام الأزهرى، فلا يكون تثنية عين، قال المجد: و ضبطه بعضهم بكسر العين و فتح النون الأولى، و ليس بثبت.

حرف الغين

الغابة:

قال فى المشارق: بالموحدة، مال من أموال عوالى المدينة، و هو المذكور فى السباق: من الغابة إلى كذا، و من أثل الغابة حتى يأتى أحدا من الغابة، و فى تركة الزبير منها الغابة، فقد صحف قديما كثير هذا الحرف فى حديث السباق، فقال: الغاية أى بالمثناة تحت فرده عليه مالك، انتهى.

و قال الحافظ ابن حجر تبعا له: الغابة عن عوالى المدينة، و زاد أنها فى جهة الشام، انتهى. و الغابة إنما هى فى أسفل سافلة المدينة، لا يختلف فيه اثنان، و لهذا قال: إنها فى جهة الشام، و كيف تكون من عوالى المدينة و هى مغيض مياه أوديتها كما سبق فى خاتمة الفصل الخامس؟

و قال الهجرى: ثم تفضى يعنى سيول المدينة إلى سافلة المدينة و عين الصورين بالغابة، انتهى.

و هى معروفة اليوم فى سافلة المدينة، و كان بها أملاك لأهلها استولى عليها الخراب،

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۱۲۳

و كان الزبير بن العوام رضى الله تعالى عنه قد اشتراها بمائة و سبعين ألفا، و بيعت فى تركته بألف ألف و ستمائة ألف.

و روى الزبير بن بكار عن عبيد الله بن الحسن العلوى قال: قال معاوية بن أبى سفيان لعبد الرحمن بن أبى أحمد بن جحش، و كان وكيله بضياعه بالمدينة، يعنى أودية اشتراها و اعتملها، فلبث ثم جاء فقال: قد وجدت لك أودية بجهة، قال: قل، قال: البلدة، قال: لا حاجة لى بها، قال: النخيل، قال: لا حاجة لى به، قال: رعان، قال: لا حاجة لى به، قال: الغابة، قال: اشترها لى، فقال له ابن أبى أحمد: ذكرت لك أودية لا تعرفها فكرهتها، و ذكرت لك واديا لا تعرفه فقلت اشتره، فقال: ذكرت البلدة فبلدت علىّ و النخيل و كان مصغرا ورعان فنهتنى عن نفسها و الغابة فدلتنى على كثرة مائها، و قد قال الأول:

إن كنت تبغى العلم أو مثله أو شاهدا يخبر عن غائب

فاختبر الأرض بأسمائها و اعتبر الصاحب بالصاحب

قلت: أخذ من لفظ الغابة كثرة مائها لأنها لغة ذات الشجر المتكاثف، فتغيب ما فيها، و ذلك لكثرة الماء، و عن محمد بن الضحاك أن العباس رضى الله تعالى عنه كان يقف على سلع فينادى غلمانه و هم بالغابة فيسمعهم، و ذاك من آخر الليل، و بينهما ثمانية أميال.

و قال المجد: الغابة على نحو بريد، و قيل: ثمانية أميال من المدينة.

قلت: يحمل البريد على أقصاها، و ما بعده على أثنائها، و أما أدناها فقد سبق فى الحفياء.

و قال ياقوت: إن السباع وفدت على النبى صلى اللّه عليه و سلم بالغابة تسأله أن يفرض لها ما تأكله، و روى ابن زبالة حديث أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قصر الصلاة بالغابة فى غزوة ذى قرد.

ذات الغار:

بئر عذبة كثيرة الماء على ثلاثة فراسخ من السوارقية، و غار الآتى فى شاهد مثعر هو من الصدارة نحو شرف السيالة شرقا، و الغار بأحد فوق المهراس، لما سيأتى فى المهراس.

الغبيب:

بالضم تصغير غب، اسم موضع مسجد الجمعة.

ذو غشث:

كصرد بمثلثتين، جبل بحمى ضرية.

غدير الأشطاط:

بالفتح و شين معجمة و طاءين، على ثلاثة أميال من عسفان مما يلى مكة.
وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۱۲۴

غدير خم:

سبق فى الخاء المعجمة.

غراب:

بلفظ الطائر المعروف، جبل شامى المدينة، بينها و بين مخيض، و سبق عن المطرى فيما يجتمع مع السيول برومة.
و قال ابن زبالة فى المنازل: كان قوم من الأمم فيما بين مخيض إلى غراب الضائلة إلى القصاصين إلى طرف أحد.
و قال ابن إسحاق: خرج النبى صلى اللّه عليه و سلم من المدينة فسلك على غراب جبل بناحية المدينة على طريق الشام، ثم على مخيض، و يقال فيه: غرابات بصيغة الجمع، و منه الحديث:
حتى إذا كنا بغرابات نظر إلى أحد، و يسمى اليوم غريبات بالتصغير قال المجد: و إياه أراد معن بن أوس بقوله:
فمندفع الغلان من جنب منشد فنعف الغراب خطبه و أساوده
قلت: قال الزبير فى أودية العقيق: ثم راية الغراب، و فيها يقول معن بن أوس، و ذكر البيت، و ظاهره بعده عن هذا، و غراب أيضا: غدير فى طريق الرحضية على يوم من المدينة.

غران:

بالضم و التخفيف، اسم وادى الأزرق، خلف أمج بميل، كما سبق إليه.
و قال المجد: هو علم مرتجل لوادى ضخم وراء وادى ساية، و يقال له أيضا:
رهاط.
قاب ابن إسحاق: غران واد بين نخل و عسفان إلى بلد يقال له سايۀ، و غران: منازل بنى لحيان، و سبق فى رهاط عن صاحب المسالك و الممالك عدّه فى توابع المدينة و مخاليفها.

ذو الغراء:

بالفتح ممدودا، بعقيق المدينة، له ذكر فى شعر أبى وجرة.

غرة:

بالضم و التشديد، بلفظ غرة الفرس لبياض بجهته، اسم أطم موضعه منارة مسجد قباء، و كأنه يروى بالعين المهملة أيضا؛ لأن المجد ذكره فيهما.

غزة:

بالفتح و تشديد الزاى، منزل بنى خطمة عند مسجدهم، شبهوها بغزة الشام لكثرة أهلها.

غزال:

بلفظ واحد الظباء، واد يأتى من ناحية شمنصير سكانه خزاعة.

غشية: بالفتح و كسر المعجمة و تشديد المثناة تحت، موضع بناحية معدن القبلية، و روى بمهملتين.

ذو الغصن:

بلفظ غصن الشجرة، من أودية العقيق.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۱۲۵

غضور:

كجعفر و الضاد معجمة آخره راء، موضع بين المدينة و بلاد خزاعة و كنانة، و قال ياقوت: هى بين مكة و المدينة بديار خزاعة.

ذو الغضوين:

محرك بلفظ تثنية الغضى، قال ابن إسحاق فى سفر الهجرة: ثم تبطّن بهما الدليل مرجحا من ذى الغضوين، و يقال: من ذى العصوين بالمهملتين.

غمرة:

بالفتح ثم السكون ما يغمر الشيء و يعمه، اسم موضع بطريق نجد، أغزاه النبى صلى اللّه عليه و سلم عكّاشة بن محصن، و سماه ابن سعد «غمر مرزوق» بغير هاء، قال: و هو ماء لبنى أسد.

الغموض:

بلفظ الغموض بالضم و الضاد المعجمة، حصن بنى الحقيق بخيبر، و قيل: هو قموص- بالقاف و الصاد المهملة- و هو أقرب.

غميس:

كأمير و السين مهملة، تقدم فى العين المهملة.

الغميم:

بالفتح، موضع بين رابغ و الجحفة، قاله نصر، سمى برجل اسمه الغميم، أقطعه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم أوفى بن موالية، و شرط عليه إطعام ابن السبيل و المنقطع، و كتب له كتابا فى أديم، قاله المجد هنا، و أحال عليه فى «كراع الغميم» لكن الأسدى ذكر كراع الغميم فيما بين عسفان و مر الظهران، و قال عياض: إن الغميم واد بعد عسفان بثمانية أميال، و الكراع: جبل أسود بطرف الحرة يمتد لهذا الوادى.

قلت: و يؤيده قول ابن هشام: الغميم بين عسفان و ضجنان.

الغور:

بالفتح ثم السكون، كل ما انحدر مغربا عن تهامة و ما بين ذات عرق إلى البحر، و سمى الغور الأعظم، و موضع بديار بنى سليم، و ما سال من أرض القبلية إلى ينبع.

غول:

كجول، جبل غربى حلّيت، سبق شاهده فيه، و به نخل ليس بالقليل.

غيقة:

بالفتح ثم السكون ثم قاف و هاء، موضع بساحل البحر قرب الجار، يصب فيها وادى ينبع و رضوى، قاله عرام.

و قال السكونى: هو ماء لبنى غفار.

و قال ابن السكيت: غيقة: أحساء على شاطئ البحر فوق العذيبة، و غيقة أيضا: بظهر حرة النار لبنى ثعلبة بن سعد، أو سرّة واد لهم.

حرف الفاء

فارع:

بالراء و العين المهملتين كصاحب، أطم كان فى موضع دار جعفر بن يحيى بباب الرحمة، و جاء جلوس النبى صلى اللّه عليه و سلم فى ظله، و فارع أيضا: قرية بأعلى سايۀ بها نخيل و عيون.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۱۲۶

فاضجۀ:

بكسر الضاد المعجمة و فتح الجيم، مال بالعالية معروف اليوم بناحية جفاف، كان به أطم لبنى النضير عامة، و فاضجة أيضا: واد من شعبى إلى ضرية، قاله الهجرى، و فاضجۀ: انفضاج أى انفراج من الأرض بين جبلين أو جبال.

فاضح:

بكسر الضاد ثم حاء مهملة، جبل قرب ريم، و واد فى الشريف من بلاد بنى العير.

فج الروحاء:

بالفتح ثم الجيم، بعد السيالة، مرّ به النبى صلى اللّه عليه و سلم غير مرة.

فحلان بلفظ تثنية الفحل، موضع بحبل أحد، و فى القاموس فحلان- بالكسر- موضع فى أحد.

الفحلتان:

قنتان مرتفعتان على يوم من المدينة، بينها و بين ذى المروة عند صحراء يقال لها: فيفاء الفحلين، لها ذكر فى مساجد تبوك، و غزاة زيد بن حارثة لبنى جذام.

فدک:

بالفتح و إهمال الدال ثم كاف، تقدمت فى الصدقات، قال عياض: هى على يومين- و قيل: ثلاثة- من المدينة، و اقتصر المجد على

الأول، و استغرب عدم معرفة أهل المدينة لها اليوم، و كنت أيضا أستغربه لشهرتها و قربها، حتى رأيت كلام ابن سعد فى سرية على رضى الله تعالى عنه إلى بنى سعد بن بكر بفدك، فنقل أنه بلغ رسول الله صلى اللّه عليه و سلم أن لهم جمعا يريدون أن يمدوا يهود خيبر، فبعث إليهم عليا رضى الله تعالى عنه فى مائة رجل، فسار الليل و كمن النهار حتى انتهى إلى العجم و هو ما بين خيبر و فدك، و بين فدك و المدينة ست ليال، فوجد به رجلا فسألوه عن القوم، فقال: أخبركم على أن تؤمنونى، فأمنوه، فدلّهم، فأغاروا عليهم، و أخذوا خمسمائة بعير و ألفى شاة، و هربت بنو سعد بالظعن، انتهى.

و سبق قول الأصمعى: حرة النار فدك، انتهى.

و كان أهلها يهود، فلما فتحت خيبر طلبوا من النبى صلى اللّه عليه و سلم الأمان على أن يتركوا له البلد، فكانت له خاصة، لأنها مما لم يوجف عليه بخيل و لا ركاب، و فى رواية: أنهم صالحوه على النصف، و أن عمر رضى الله تعالى عنه لما أجلاهم بعث من قوّمها و عوّضهم من نصفها، و يجمع بأن الصلح وقع عليها كلها و استعملهم النبى صلى اللّه عليه و سلم فيها بشطر ثمارها كخيبر، فمن روى الصلح على الشطر نظر لما استقر عليه الأمر فى الثمار.

قيل: و سميت بفدك بن حام؛ لأنه أول من نزلها.

الفراء:

بالراء و المد كالغرب، و جاء فى الشعر مقصورا، جبل غربى عير الوارد، بينهما ثنية الشريد، و سبق شاهده، و فى القاموس: ذو الفراء موضع عند عقيق المدينة.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۱۲۷

فرش ملل:

و الفريش مصغره معروفان قرب ملل، يفصل بينهما بطن واد يقال له مثعر، كان بهما منازل و عمائر، كان كثير بن العباس ينزل فرش ملل على اثنين و عشرين ميلا من المدينة.

الفرع:

بضم أوله و سكون ثانيه ثم عين مهملة، و قال السهيلى: هو بضمتين، قاله المجد، و الثانى هو الذى اقتصر عليه فى المشارق، و قال فى التنبيهات: كذا قيده ابن سيد الناس، و كذا رويناه، و ذكر عبد الحق عن الأجدل أنه بإسكان الراء، و لم يذكره غيره، انتهى. و اقتضى ترجيح ما نقله المجد عن السهيلى، لكن قال ابن سيد الناس فى غزوة نجران: قال ابن إسحاق: ثم غزا يريد قريشا حتى بلغ نجران معدنا بالحجاز من ناحية الفرع، قال: و الفرع بفتح الفاء و الراء قيده السهيلى، انتهى. فاقتضى أنه عند السهيلى محرك بالفتح، و المحرك بالفتح من أودية الأشعر قرب سويقة، بينها و بين مثعر، على مرحلة من المدينة، و هو فرع المسور بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى على ما نقله الهجرى، و أما الفرع الذى هو بضمتين أو بضمة و سكون و نجران من ناحيته فيما يظهر فهو كما قال عياض عمل من أعمال المدينة، واسع به مساجد للنبى صلى اللّه عليه و سلم و منابر و قرى كثيرة.

و قال المجد: الفرع عن يسار السقيا على ثمانية برد من المدينة، و بها منبر و نخل و مياه كثيرة، و هى قرية غنّاء كبيرة، و أجل عيونها

عينان غزيرتان: إحداهما الربض، و الأخرى النجف، يسقيان عشرين ألف نخلة، و هى كالكورة، فيها عدة قرى، سبقت فى آره.
قال السهيلى: يقال: هى أول قرية مارت إسماعيل و أمه التمر بمكة.

فريقات:

بلفظ جمع مصغر فرقة، من أودية العقيق، و هن عقد يدفعن فى هلوان.

الفضاء:

بفتح الفاء و الضاد المعجمة بالمد، و قال الصغانى: بالقصر، موضع بالمدينة، قاله المجد، و فضاء بنى خطمة تقدم فى منازلهم، و يفضى إليه سيل بطحان و به يلتقى سيل مهزور و مذينب، و هو بقرب الماجشونية.

فعرى:

بسكون العين المهملة كسكرى، و قيل: بكسر الفاء، جبل يصب فى وادى الصفراء.

الفغوة:

بسكون الغين المعجمة، قرية بلحف جبل آرة.

الفقار:

تقدم ذكره فى حرزة بالحاء المهملة، و أظنه المعروف اليوم بالفقرة.

الفقير:

ضد الغنى، اسم موضعين قرب المدينة يقال لهما: الفقيران، و عن جعفر
وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۱۲۸
الصادق رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى اللّه عليه و سلم أقطع عليّا رضى الله تعالى عنه أربع أرضين:
الفقيرين، و بئر قيس، و الشجرة، و قيل: الفقير اسم بئر بعينها، قاله المجد، و بعالية المدينة حديقة تعرف بالفقير بالضم تصغير الفقير بالفتح، و نقل ابن شبة فى صدقة على رضى الله تعالى عنه أن منها الفقيرين بالعالية، و أنه ذكر أن حسنا أو حسينا باع ذلك، فتلك الأموال متفرقة فى أيدى الناس. ثم حكى كتاب الصدقة نصا، و لفظه: و الفقير لى كما قد علمتم صدقة فى سبيل الله. ثم ذكر تسويغ البيع لكل من الحسن و الحسين دون غيرهما، و سبق فى الصدقات مكاتبة سلمان سيده القرظى على أن يحيى له ذلك النخل بالفقير،

فالظاهر أنه المعروف اليوم بالفقير قرب بنى قريظة، و إن كان أصله مكبرا فقد صغروه كما صغروا الشجرة فيقولون فيها «الشجيرة» كما سبق.

الفلجان:

بالضم ثم السكون ثم جيم، اسم أرض سقيا سعد بالحرة الغربية.

فلجة:

بالفتح ثم السكون و فتح الجيم، من أودية العقيق كما سبق، قال الزبير:

و فيها يقول أبو وجرة السعدى:

إذا تربعت ما بين الشريق إلى روض الفلاج أولات السّرج و العنب

و احتلّت الجوّ فالأجراع من مرج فما لها من ملاحات و لا طلب

فعلم أن المراد بالفلاج جمع فلجة المذكور بعد حذف تائه، و به صرح ياقوت، فقال: فلجة موضع بعقيق المدينة بعد الصوبر سماها أبو وجرة الفلاج، انتهى. و غاير المجد بينهما و استشهد للفلاج، و قال: هى ككتاب رياض بنواحى المدينة جامعة للناس أيام الربيع، و بها مسائل تجتمع فيها مياه المطر، و منها غدير يقال له المختبى، قال: و مرج واد بين فدك و الوابشة.

قلت: فى غدران العقيق مرج، لكنه بالزاى. و لعله المراد فى شعر أبى وجرة و بالعقيق مختبيات فليج الثلاثة، لكن ذكر عرام السوارقية و قبة الحجر ثم قال: و هناك واد يقال له ذو رولان لبنى سليم فيه قرى، ثم قال: و بأعلى هذا الوادى رياض تسمى الفلاج، و ذكر ما قاله المجد، إلا أنه لم يستشهد بالشعر.

فليج:

كزبير تصغير فلج بالكسر أو الفتح، من العيون التى تجتمع فيها فيوض أودية المدينة، قال هلال بن سعد المازنى:

أقول و قد جاوزت نقمى و ناقتى تحنّ إلى جنبى فليج مع الفجر

و هو يقتضى أنه بالضم.

فنيق:

بالفتح و كسر النون ثم مثناة تحتية و قاف، موضع قرب المدينة.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۱۲۹

فويرع:

أطم بمنازل بنى غنم من بنى النجار.

فيفاء الخبار:

تقدم فى الخبار من الخاء المعجمة.

فيفاء الفحلين: فى الفحلتين.

حرف القاف

القائم:

كصاحب، مال لبنى أنيف، معروف فى قبلة قباء من المغرب.

القار:

قرية من قرى المدينة كما فى العباب.

القاحة:

بفتح الحاء المهملة ثم هاء، على ثلاث مراحل من المدينة كما فى البخارى، و هى قبل السقيا لجهة المدينة بنحو ميل، قاله المجد، قال الحافظ ابن حجر و غيره: و يقال لواديها: وادى العباديد، و تقدم عن الأسدى أنه يقال له: وادى العائد، و هو لبنى غفار، و قال عياض: القاحة واد بالعباديد، رواه الناس بالقاف إلا القابسى و الهمدانى فبالفاء و هو تصحيف، و فى حديث الهجرة: أجاز القاحة، قال المجد: الأشهر فيه القاف، و روى بالفاء، و قال عرام: و فى ثافل الأصغر ماء فى دارة فى جوفه يقال له القاحة، و ظاهر إيراد المجد له هنا أنه بالقاف، و الذى رأيته فى نسختين من كتاب عرام بالفاء و الجيم.

القاع:

موضع مسجد بنى حرام غربى مساجد الفتح، و قال المجد: هو أطم البلويين، عنده بئر عذق، و ما علمت مأخذه فيه، و القاع أيضا: بطريق مكة، وقاع النقيع:

بديار سليم.

قباء:

بالضم و القصر و قد تمد، و أنكر البكرى القصر؛ و قال النووى: المشهور الفصيح فيه المد و التذكير و الصرف، و قال الخليل: هو مقصور قرية بعوالى المدينة و قال ابن جبير: مدينة كبيرة كانت متصلة بالمدينة المقدسة، و الطريق إليها من حدائق النخل، و فى الأحاديث ما يقتضى أن منها العصبة و بئر غرس، فيظهر أن ذلك حدها من المغرب و المشرق، و آبار عماراتها كثيرة ممتدة فى جهة قبلة مسجدها، و لم أقف على شىء فى حدها الشامى مما يلى المدينة إلا ما سيأتى فى المسافة بينهما، و فى منازل بنى عمرو بن عوف من الأوس، قال المجد تبعا للمشارق: و هى فى الأصل اسم بئر هناك عرفت القرية بها، و مأخذه قول ابن زبالة: كان بقباء شخص من يهود له أطم بها يقال له عاصم، كان فى دار ثوبة بن حسين بن السائب ابن أبى لبابة، و فيه البئر التى يقال لها قباء، و قال المراغى و من خطه نقلت: و إنما سميت قباء ببئر كانت بها تسمى هبارا، فتطيروا منها فسموها قباء كما نقله ابن زبالة، انتهى. و لعله سقط من النسخة التى وقفت عليها من كتاب ابن زبالة لأنى رأيته بخط الأقشهرى: قال ابن زبالة: حدثنى عبد الرحمن بن عمرو

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۱۳۰

العجلانى قال: إنما سميت قباء ببئر كانت بها يقال لها قباء، فتطيروا منها، فسموها قباء، و كانت البئر فى دار ثوبة بن حسين بن أبى لبابة، انتهى. و قتار فى خط المراغى بالمثناة فوق، و فى خط الأقشهرى بالباء الموحدة، قال المجد: و هى على ميلين من المدينة، و هو قول الباجى، و نقله النووى عن العلماء، و عبر بمنازل بنى عمرو بن عوف، و فى مشارق عياض: هى قرية بالمدينة على ثلاثة أميال منها، و عبر عنه الحافظ ابن حجر بقوله: هى على فرسخ من المسجد النبوى بالمدينة.

قلت: و قد اختبرته من عتبة باب المسجد النبوى المعروف بباب جبريل إلى عتبة مسجد قباء، فكانت مساحة ذلك بذراع اليد المتقدم وصفه فى حدود الحرم سبعة آلاف ذراع و مائتى ذراع، تزيد يسيرا، و ذلك ميلان و خمسا سبع ميل على المعتمد من أن الميل ثلاثة آلاف ذراع، فالأصوب هو الأول، و إن صحح المطرى الثانى، و نسب إلى عياض الأول.

و فضائل قباء و مآثرها تقدمت فى مسجدها.

و قباء أيضا:

قرية كبيرة لمحارب و عامر بن ربيعة و غيرهم، بها آبار و مزارع و نخيل، ذكرها عرام فى ناحية أفاعية و مران، و ذكرها الأسدى فى طريق ضرية إلى مكة على نحو أربع مراحل من ذات عرق، و ذلك بجهة الموضع المعروف اليوم بكشب.

قباب:

كغراب، من آطام المدينة، قاله الصغانى، و قال ياقوت: هو قبابة كصبابة.

القبلية:

بفتحتين مثال عربية، كأنه نسبة إلى القبل محركا، و هو النشر من الأرض يستقبلك، و فى القاموس أنها بالكسر و التحريك و إليها تضاف معادن القبلية، قال عياض و تبعه المجد: هى من نواحى الفرع، و فى النهاية: هى ناحية من ساحل البحر بينها و بين المدينة خمسة أيام، و قيل: هى من ناحية الفرع، و هو موضع بين نخلة و المدينة، انتهى.

و قال الزمخشرى: القبلية سراة فيما بين المدينة و ينبع، ما سال منها إلى ينبع سمى بالغور، و ما سال منها إلى المدينة سمى بالقبلية،

وحدها من الشام ما بين الخبء و هو من جبال بنى عراك من جهينة و ما بين شرف السيالة، أرض يطؤها الحاج، و فيها جبال و أودية، انتهى. و يؤيده أن ما يذكر أنه بالقبلية ما هو معروف اليوم أنه بهذه الجهة، فالفرع الذى عمل فيه قرى ليست القبلية منه، و بالجهة التى ذكرها الزمخشرى فرع المسور بفتحتين كما سبق، فالظاهر أنه المراد، و يؤيده أن الزبير نقل عن محمد بن المسور أنه كان بفرع المسور بن إبراهيم، قال: فرأى فراس المزنى جبلا فيه عروق مرو، فقال: إن هذا المعدن فلو علمته، قال محمد بن المسور: فقلت: مالك و له؟ إنما هو ابتعنا مياهه و قطع لنا سائره

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۱۳۱

أبان بن عثمان فى إمارته، فقال المزنى: عندى أحق من ذلك قطيعة من رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، و قال محمد: فرجعت إلى إبراهيم فذكرت له ذلك، فقال: صدق إن يكن معدنا فهو لهم، قطع لهم رسول الله صلى اللّه عليه و سلم معادن القبلية غوريها و جلسيها، يشير إلى حديث «أقطع بلال بن الحارث المزنى معادن القبلية غوريها و جلسيها، و ذات النصب و حيث صلح الزرع من قدس» و فى رواية «و ثنايا عمق» و فى رواية عقب و جلسيها: عشبة و ذات النصب و حيث صلح الزرع من قدس إن كان صادقا.

قلت: و الجلسى نسبة إلى الجلس، و هو أرض نجد، يقال لكل مرتفع من الأرض جلس، و الغور: ما انهبط من الأرض، فالمراد أنه أقطعه جميع تلك الأرض نجدها و غورها.

قدس:

بالضم و سكون الدال المهملة، قال الهجرى: جبال قدس غربى ضاف من البقيع، و قدس: جبال متصلة عظيمة كثيرة الخير تنبت العرعر و الخزم، و بهاتين و فواكه و فراع، و فيها بستان و منازل كثيرة من مزينة، و سبق أن صدور العقيق ما دفع فى النقيع من قدس، و ذكر الأسدى أن الجبل الأيسر المشرف على عين القشيرى يقال له قدس، أوله فى العرج و آخره وراء هذه العين، و قال عرام: ورقان ينقاد إلى الجىّ بين العرج و الرويثة، و يفلق بينه و بين قدس الأبيض ثنية بل عقبة يقال لها ركوبة، و قدس هذا ينقاد إلى المتعشى بين الفرع و السقيا، ثم يقطع بينه و بين قدس الأسود عقبة يقال لها حمت، و القدسان جميعا لمزينة.

القدوم:

كصبور، جبل قال المدائنى: قناة واد يمرّ على طرف القدوم فى أصل قبور الشهداء بأحد، قال الزمخشرى: و قدوم أيضا ثنية بالسّراة، و موضع من نعمان، و اسم مختتن إبراهيم الخليل عليه الصلاة و السلام، قال عياض: و أما طرف القدوم فى حديث الفريعة فلم يختلف فى فتح القاف فيه، و قالوه بتخفيف الدال و تشديدها، قال ابن وضاح:

هو جبل بالمدينة، و أما الذى فى حديث أبى هريرة «قدوم ضان» مفتوحا مخففا فثنية من جبل ببلاد دوس.

قديد:

كزبير، قرية جامعة بين مكة و المدينة كثيرة المياه، قاله البكرى، و المسلك الذى كان به شاه الطاغية ثنية مشرفة عليه، و يضاف إليه طرف قديد بطريق مكة.

قديمة:

بالضم ثم الفتح كجهينة، جبل بالمدينة، شاهده سبق فيما قيل فى العقيق من الشعر.

قراضم:

بالضم و كسر الضاد المعجمة، موضع بنواحى المدينة، قال ابن هرمة:

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۱۳۲

فأجزاع كفت فاللّوى فقراضم تناجى بليل أهله فتحملوا

قراقر:

بالفتح و قافين، موضع من أعراض المدينة لآل حسين بن على بن أبى طالب.

القرائن:

ثلاث دور اتخذها عبد الرحمن بن عوف رضى الله تعالى عنه، فدخلت فى المسجد، و قيل: ثلاث جنابذ له.

قران:

بالضم و تشديد الراء، واد بين مكة و المدينة إلى جنب أبلى.

قرح:

بالضم ثم السكون، سوق وادى القرى، يضاف إليه صعيد قرح، قاله المجد، و مقتضاه أن يكون بالراء، لكنه بخط المراغى فى مساجد تبوك بفتح الزاى، و كان به سوق فى الجاهلية، و قيل: بهذه القرية كان هلاك عاد قوم هود عليه الصلاة و السلام، و قال عبد الله بن رواحة:

جلبنا الخيل من آجام قرح تغرّ من الحشيش لها العكوم

قرد:

بفتحتين، و ذو قرد: ما انتهى إليه المسلمون فى غزاة الغابة، و لهذا أضيفت الغزوة إليه أيضا، قال ابن الأثير: هو بين المدينة و خيبر، على يومين من المدينة، و قال عياض: هو على نحو يوم من المدينة مما يلى بلاد غطفان، و قال أبان بن عثمان صاحب المغازى: ذو قرد ماء

لطلحة بن عبيد الله اشتراه فتصدق به على مارة الطريق، قاله المجد، و الذى سبق فى بيسان و رواه المجد فيه أن النبى صلى اللّه عليه و سلم مر فى غزاة ذى قرد على ماء يقال له بيسان، و ذكر ما سبق فيه، و شراه طلحة و تصدق به.

قردة:

كسجدة، و يقال بالفاء: ماء من مياه نجد، كان به سرية زيد بن حارثة، و مات بها زيد الخيل، قاله مغلطاى.

القرصة:

محركة و الصاد المهملة، ضيعة لسعد بن معاذ، تقدمت فى مساجد المدينة.

قرقرة الكديد:

ستأتى فى الكاف، و القرقرة أيضا: بخيبر، سلك بهم الدليل يوم خيبر صدور الأودية فأدركتهم الصلاة بالقرقرة، فلم يصل رسول الله صلى اللّه عليه و سلم حتى نزل بين الشق و نطاة، و فى مغازى ابن عقبة فى قتل ابن رزام اليهودى: فلما بلغوا قرقرة تياز و هى من خيبر على ستة أميال، و ذكر قتله مع أصحابه.

القرية:

مصغر كسميّة، موضع قرب المدينة، قال ابن هرمة:

انظر لعلك أن ترى بسويقة أو بالقريّة دون مغنى عاقل

القرى:

جمع قرية يضاف إليها وادى القرى الآتى، و سبق فى العين قرى عرينة.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۱۳۳

قسيان:

كعثمان بمثناة تحتية، و قسيّان مصغرة: من أودية العقيق.

قشام:

كغراب بالشين المعجمة، جبل على أيام من المدينة، قال جبيهاء لزوجته فى قصة طلبها سكنى المدينة:

إن المدينة لا مدينة فالزمى حقف الستار و فيئة لقشام

قصر إسماعيل بن الوليد:

على بئر إهاب، سبق فيها.

قصر إبراهيم بن هشام:

دون بنى أمية بن زيد، و لعله بالناعمة التى له.

قصر بنى حديلة:

بضم الحاء المهملة، تقدم فى بيرحاء.

قصر خارجة:

بن حمزة بالعرصة، و سائر قصور العقيق تقدمت فيه.

قصر خل:

بالخاء المعجمة، و يعرف اليوم بحصن خل، غربى بطحان.

قال ابن شبة: و أما قصر خل الذى بظاهر الحرة على طريق رومة فإن معاوية أمر النعمان بن بشير ببنائه ليكون حصنا لأهل المدينة، و يقال: بل أمر به معاوية مروان بن الحكم و هو بالمدينة، فولاه مروان النعمان بن بشير، و فيه حجر منقوش فيه: لعبد الله معاوية أمير المؤمنين مما عمل النعمان بن بشير، و إنما سمى قصر خل لأنه على الطريق، و كل طريق فى حرة أو رمل يقال له: خل، انتهى.

و روى ابن زبالة فى بيرحاء عن أبى بكر بن حزم أن معاوية رضى الله تعالى عنه بنى قصر خل ليكون حصنا، لما كان يحدث أنه يصيب بنى أمية، و إنما سمى قصر خل لأنه بنى على خل من الحرة فقيل له: لو كان كوزماء ما بلغوه حتى يقتطعوا دونه، فلما شرى بيرحاء بنى قصر بنى حديلة فى موضعها؛ للذى كان يخاف من ذلك، و كان قصر خل فى بعض السنين سجنا.

قصر ابن عراك:

بجهة مقبرة بنى عبد الأشهل بطريق أحد.

قصر ابن عوان:

كان بالمدينة، و كان ينزل فى شقه اليمانى بنو الجذماء من اليمن قبل الأوس و الخزرج، قاله ياقوت عن نصر.

قلت: و هو الـذى قبله، إلاـ أن النسـخة التى وقعت لنـا من كتاب ابن زبالـة «ابن عراك» و لفظه: كان بنو الجـذماء ما بين مقبرة بنى عبد الأشهل و بين قصر ابن عراك، انتهى.

قصر ابن ماه:

أسفل من بئر هجيم.

قصر مروان:

بن الحكم قرب الصورين و الصدقات النبوية، و فى تلك الجهة مواضع تعرف بالقصور، كل حائط منها يضاف لمسالكه.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۱۳۴

قصر نفيس:

بفتح النون و كسر الفاء رجل من موالى الأنصار، و قصره بحرة واقم على ميلين من المدينة.

قصر بنى يوسف:

موالى آل عثمان أسفل من قصر مروان مما يلى النقال و النقيع.

ذو القصة:

بالفتح و تشديد الصاد، موضع على بريد من المدينة تلقاء نجد، خرج إليه أبو بكر رضى الله تعالى عنه فقطع الجنود و عقد الألوية، قاله المجد، و قال الأسدى:

إنه على خمسة أميال من المدينة، و قال نصـر: أربعة و عشـرين ميلا، و قال ابن سعد: سرية محمد بن مسلمة إلى بنى ثعلبة و بنى عوال، و هم بـذى القصـة، بينه و بين المدينـة أربعـة و عشـرون ميلا، على طريق الربـذة، و ذو القصـة أيضا: موضع بين زبالة و الشـقوق، دون الشقوق بميلين، فيه قلب للأعراب يدخلها ماء السماء، و ليس هو من عمل المدينة، فإنه قبل فيد بأيام بجهة العراق.

القصيبة:

بالضم و فتح المهملة و سكون المثناة تحت و فتح الموحدة، واد بين المدينة و خيبر، و سيأتى فى وادى الدوم.

ذو القطب:

بالضم و سكون الطاء المهملة، من أودية العقيق.

القف:

بالضم و التشديد، أصله ما ارتفع من الأرض و غلظ، و كان فيه إشراف على ما حوله و أحجار كالإبل البروك، و قد تكون فيه رياض و قيعان، و هو علم لواد من أودية المدينة فيه أموال لأهلها، و سبق له ذكر فى زهرة، و كان بنو ماسكة مما يلى صدقة النبى صلى اللّه عليه و سلم لهم الأطمان اللذان فى القف فى القرية، كما سبق، و سبق أن حسناء أحد الصدقات بالقف تشرب بمهزور، و أن الظاهر أنها الموضع المعروف بالحسينيات، و يؤيده أن الحسينيات فى شامى المشربة بقربها، و هى من القف، قال الزبير فيما نقله ابن عبد البر: إن مارية ولدت إبراهيم عليه السلام بالعالية فى المال الذى يقال له اليوم مشربة أم إبراهيم بالقف، و أسند أن النبى صلى اللّه عليه و سلم كان له قطعة غنم ترعى بالقفّ تروح على مارية.

و روى أبو داود عن ابن عمر: أن نفرا من اليهود دعوا رسول الله صلى اللّه عليه و سلم إلى القف، فأتاهم فى بيت المدراس، و قد سبق بيان بيت المدراس فى مسجد المشربة.

و فى الموطأ: أن رجلا من الأنصار كان يصلّى فى حائط بالقف، وادى من أودية المدينة فى زمان التمر و النخل، قد ذللت فهى مطوقة بتمرها، فنظر إليها فأعجبه ما رأى ممن تمرها، ثم رجع إلى صلاته فإذا هو لا يدرى كم صلى، فقال: لقد أصابنى فى مالى هذا فتنة، فجاء عثمان و هو خليفة، فذكر له ذلك، فقال: هو صدقة فاجعله فى صدقة الخير، فباعه عثمان بخمسين ألفا، فسمى ذلك المال «الخمسين».

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۱۳۵

و بقرب الحسينيات مال يعرف بالثمين، بمعنى كثير الثمن، فلعله هو فغير اسمه.

القلادة:

بلفظ قلادة العنق، جبل من جبال القبلية.

قلهىّ:

بفتحتين و كسر الهاء و بالياء المشددة، حفيرة قرب المدينة لسعد بن أبى وقاص، اعتزل بها بعد قتل عثمان، و أمر أن لا يحدّث بشىء من أخبار الناس حتى يصطلحوا.

و قال ابن السكيت: قلهىّ مكان به ماء لبنى سليم، و فى أبنية كتاب سيبويه قلهيا و برديا، قالوا فى تفسيره: قلهيا حفيرة لسعد بن أبى وقاص، و قال كثير:

و لكن سقى صوب الربيع إذا أتى إلى قلهيا الدار و المتخيما

قلهى:

بفتحات كجمزى، و حكى بعضهم سكون لامه، قرية بوادى ذى رولان لبنى سليم، قاطبة، و هى التى عنى ابن السكيت، و أنشد لزهير:

إلى قلهى تكون الدار منا إلى أكناف دومة و الحجون

بأودية أسافلهن روض و أعلاها إذا خفنا حصون

و قال ياقوت: و أما قلهى بسكون اللام فقال عرام: بالمدينة وادى ذى رولان به قرى منها قلهى، و هى كثيرة، و قلهى فى قول زهير:

إلى قلهى تكون الدار منا إلى أكناف مكة و الحجون

فإنى أظنه موضعا آخر، انتهى.

القموص:

كصبور بالصاد المهملة، جبل بخيبر، كذا فى العباب، و قيل: حصن، و قيل: جبل عليه حصن لبنى الحقيق اليهودى، و هو أصوب، و قيل: الحصن بالغين و الضاد المعجمتين، و ذكر موسى بن عقبة فى غزوة خيبر أن اليهود دخلوا حصنا لهم منيعا يقال له القموص، فحاصرهم رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قريبا من عشرين ليلة، ثم ذكر خروج مرحب و إعطاء الراية لعلى و قتل مرحب.

قناة:

أحد أودية المدينة المتقدمة.

قنيع:

بالضم و فتح النون ثم مثناة تحتية، تقدم فى حمى ضرية.

القواقل:

بقافين، أطم بطرف منازل بنى سليم مما يلى العصبة.

القويع:

بالفتح و الموحدة، من أودية العقيق.

قوران:

واد يصب فى الحرة، يبطنه قرية تسمى الملحاء من قرى السوارقية فيه مياه آبار كثيرة عذاب و نخل.

قورى:

كسكرى، تقدم فى بعاث، و الظاهر أنه الحائط المعروف اليوم بقوران شرقى المدينة أسفل الدلال، لما سبق فى بعاث.
وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۱۳۶

قينقاع:

بالفتح ثم سكون المثناة تحت و ضم النون و كسرها و فتحها ثم قاف و ألف و عين مهملة، شعب من يهود يضاف إليهم سوق بنى قينقاع لأنه كان بمنازلهم كما سبق.

حرف الكاف

كاظمة:

بالظاء المعجمة، قال ابن مرزوق فى شرح البردة: رأيت و لا أتحقق الآن محله أن كاظمة موضع بقرب المدينة المشرفة، و قال الأصمعى: يخرج أى مريد مكة من البصرة إلى كاظمة فيسير ثلاثا، و ماؤها ملح صلب، انتهى. و قال ياقوت بعد ذكر ما قاله الأصمعى: و كاظمة أيضا موضع ذكره أبو زياد.
قلت: و لعله الذى عناه ابن مرزوق.

كبا:

بالفتح و التشديد مقصور كحّتى، موضع ببطحان، قال الكلبى: كان بالمدينة مخنث يقال له البغاشى، فقيل لمروان: إنه لا يقرأ من القرآن شيئا، فاستقرأه أم القرآن، فقال: و الله ما أقرأ بتاتها، فكيف الأم؟ فقال مروان: أ تهزأ بالقرآن؟ و أمر به فضربت عنقه بموضع يقال له كبا فى بطحان.

كنانة:

بالضم ثم مثناة فوقية و ألف و نون مفتوحة و هاء، عين بين الصفراء و الأثيل لبنى جعفر بن أبى طالب.

كتيبة:

بلفظ كتيبة الجيش، و قال أبو عبيد: بالثاء المثلاثة، حصن بخيبر، كان خمس الله و سهم رسوله صلى اللّه عليه و سلم و ذوى القربى و اليتامى و المساكين و طعم أزواج النبى صلى اللّه عليه و سلم و طعم رجال مشوا بين رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و بين أهل فدك فى الصلح.

و قال الواقدى بعد ذكر فتح الشق و النطاة: ثم إن النبى صلى اللّه عليه و سلم تحول إلى الكتيبة بالوطيخ و السلالم، حصن ابن أبى الحقيق الذى كانوا فيه فتحصنوا أشد التحصن، و جاءهم كل فلّ انهزم من النطاة و الشق فتحصنوا معهم فى القبوص و هو فى الكتيبة، و كان حصنا منيعا فى الوطيخ و السلالم، و ذكر محاصرة النبى صلى اللّه عليه و سلم لهم أربعة عشر يوما، و همه بنصب المنجنيق، و سؤالهم الصلح على حقن دماء من فى حصونهم و ترك الذرية لهم، و يخلون مالهم من مال و أرض و الصفراء و البيضاء و الكراع و الحلقة و البز إلا ثوبا على ظهر إنسان.

كدر:

بالضم جمع أكدر يضاف إليه «قرقرة الكدر» و القرقرة: أرض ملساء، و الكدر:

طير فى لونه كدرة، يسمى بذلك موضع بناحية المعدن قرب الرحضية.

و فى طبقات ابن سعد: قرقرة الكدر، و يقال: قرارة الكدرة بناحية معدن بنى سليم قريب من الأرحضية، وراء سد معاوية، خرج إليها رسول الله صلى اللّه عليه و سلم لجمع من سليم، فوجد

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۱۳۷

الحى خلوفا، فاستاق النعم، و لم يلق كيدا، و بلغها رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فى غزوة السويق يطلب أبا سفيان، و كان سلك النجدية بعد أن أحرق صورا بالعريض.

و قال ابن إسحاق فى غزوة بنى سليم: فبلغ صلى اللّه عليه و سلم ماء من مياههم يقال له الكدر، فأقام عليه ثلاث ليال.

و قال عرام: فى حرم بنى عوال مياه آبار، منها بئر الكدر، و ذلك بجهة الطرف، قال كثير:

سقى الكدر فاللعباء فالبرق فالحمى فكود الحصى من يعملين فأظلما

الكديد:

بالفتح و دالين مهملتين بينهما مثناة تحت ساكنة، واد قرب النخيل يقطعه الطريق من فيد إلى المدينة، على ميل منه مسجد تقدم، و قال بعضهم: هو قرب نخل، و المعروف اليوم ما سبق. و الكديد أيضا: عين بعد خليص بثمانية أميال لجهة مكة يمنة الطريق.

كراع الغميم:

فى الغين المعجمة.

الكر:

بالضم، جزيرة على البحر المالح على ستة أميال من الجحفة.

كشب:

بالمعجمة ككتب، جبل أسود تعرف به ناحيته، و بها ينزل أمراء المدينة أحيانا.

الكفاف:

بالكسر، موضع قرب وادى القرى.

كفت:

بالفتح ثم السكون، من نواحى المدينة، شاهده فى قرى إضم.

كفتة:

بزيادة هاء فى آخره، اسم لمقبرة بقيع الغرقد؛ لأنها تسرع البلى كما سبق عن الواقدى فى الفصل الخامس من الباب الخامس، و قال المجد: سميت به لأنها تكفت الموتى، أى تحفظهم و تحرزهم.

الكلاب:

بالضم مخففا آخره موحدة. ماء بناحية حمى ضرية، قال الفرزدق:

ملوك منهم عمرو بن عمرو و سفيان الذى ورد الكلابا

أى سفيان بن مجاشع، كان يوم الكلاب أول الناس ورده.

كلاف:

بالضم آخره فاء، واد من أعمال المدينة.

كلب:

أطم من آطام المدينة، و رأس الكلب: جبل.

كليّة:

تصغير كلية، قرية بطريق مكة، و قال الأسدى: و على اثنى عشر ميلا من الجحفة إلى القاع بها بئر مالحة يقال لها كلية، فتحها ذراعان و عندها حوانيت.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۱۳۸

كملى:

ككسرى، اسم بئر ذروان، قال ابن الكلبى فى رواية قصة السحر عن ابن عباس: تحت صخرة فى بئر كملى، قاله المجد.

كنس حصين:

بالفتح و سكون النون و إهمال السين، و حصين: تصغير حصن، أطم كان عند المهراس بقباء.

كواكب:

بضم الكاف الأولى و قد تفتح، و كسر الثانية، جبل بين المدينة و تبوك، سبق فى مساجدها، و قال أبو زياد الكلابى: الكواكب جبال عدة فى بلاد أبى بكر بن كلاب.

كوث:

جبل بين المدينة و الشام و قرية بالطائف، و كان الحجاج الثقفى معلما بها.

كومة:

أبى الحمراء الرابض كومة تراب كأنها آطام قريبة من ثمغ فى شامى المدينة، و آخر بطن مهزور كومة أبى الحمراء، ثم تصب فى قناة كما سبق، و لعلها كومة المدر.

كوير:

كزبير، جبل بضرية.

الكويرة:

كالذى قبله بزيادة هاء، من جبال القبلية.

كيدمة:

بالفتح و سكون المثناة تحت و فتح الدال المهملة و الميم ثم هاء، سهم عبد الرحمن بن عوف رضى الله تعالى عنه من أموال بنى النضير، تقدمت فى بئر أريس، فى الأوسط للطبرانى بإسناد حسن أن عبد الرحمن بن عوف باع كيدمة من عثمان بأربعين ألف، و أنه قسم ذلك بين بنى زهرة و فقراء المسلمين و أزواج النبى صلى اللّه عليه و سلم.

حرف اللام

لأى:

بوزن لعا، من نواحى المدينة، قال ابن هرمة:

حىّ الديار بمسند فالمنتضى فالهضب هضب رواوتين إلى لأى

اللابتان

تثنية لابة و هى الحرة، و هما حرتا المدينة الشرقية و الغربية، و قال الأصمعى: اللابة الأرض التى ألبست الحجارة السود.

لأى:

كلحى بهمزة ساكنة ثم ياء، من أودية العقيق، و قال المجد: موضع بالعقيق، و هو غير لأى المذكورة أولا، قال معن بن أوس:

تغير لأى بعدنا فعتائده فذو سلم أنشاجه فسواعده

لحيا جمل:

بالفتح ثم السكون تثنية لحى و هما العظمان اللذان فيهما الأسنان السفلى، و جمل: بالجيم للبعير، و روى «لحى جمل» بالإفراد، و روى بكسر اللام، و الفتح أشهر، و سبق بيانه فى مسجد «لحى جمل» من مساجد طريق مكة، و لحيا جمل أيضا:

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۱۳۹

جبل بطريق فيد على ستة أميال من الأحرجة، قال الأسدى: سميا بذلك لأنهما نشرا و امتدا و اقترب ملتقاهما، فشبها باللحيين، و قال المجد فى جمل: و لحى جمل أيضا بين المدينة و فيد على عشرة فراسخ من فيد، و لحى جمل أيضا: موضع بحران و تثليث، و لحيا

جمل بالتثنية: جبلان بالمدينة فى ديار قشير.

لظى:

بالقصر و الفتح من أسماء النار، و ذات لظى: منزل ببلاد جهينة فى جهة خيبر، و يقال «ذات اللظى» أيضا.

اللعباء:

بالموحدة ممدودا، موضع كثير الحجارة بحزم بنى عوال، قاله فى القاموس، و سبق فى عوال ما يخالف، و قال ياقوت: لعباء ماء سماء فى حزم بنى عوال، جبل لغطفان فى أكناف الحجاز، و اللعباء: أرض غليظة بأعلى الحمى لبنى زنباع من بنى أبى بكر بن كلاب.

لعلع:

بعينين مهملتين، جبل قرب المدينة، و جبل بمكة، و ماء بالبادية، و منزل بين البصرة و الكوفة.

لفت:

بالفتح، و قيل: بالكسر، و قيل: بالتحريك، ثنية بطريق مكة إلى المدينة أقرب، و قيل: واد بجنب هرشى.

لقف:

بالكسر و سكون القاف ثم فاء، آبار عذبة ليس عليها مزارع و لا نخل، بأعلى قوران واد بناحية السوارقية، و فى لقف و لفت وقع الخلاف فى حديث الهجرة، و كلاهما صحيح، هذا موضع و ذاك آخر، قاله المجد، و الصحة من حيث وجود الموضعين مسلمة، لكن ناحية السوارقية ليست فى طريق الهجرة.

اللوى:

بالكسر و القصر كإلى، أطم ببنى بياضة، و واد بمنازل بنى سليم، و موضع بين رملة الدملول و بين الجريب على أربعين ميلا من ضرية، و سبق له شاهد فى حرة النار، و قال بعضهم:

لقد هاج لى شوقا بكاء حمامة ببطن اللوى ورقاء تصرخ بالفجر

هتوف تبكى ساق حرّ و لا ترى لها عبرة يوما على خدها تحرى

حرف الميم

المابة:

مال لبنى أنيف بقباء، كان بينه و بين القائم أطمان لهم.

الماجشونية:

نسبة إلى الماجشون، علم معرب، مال بوادى بطحان بقربه تربة صعيب.

المثب:

مهموز كمنبر و الثاء مثلاثة، فى اللغة: ما ارتفع من الأرض، و كذا الأرض

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۱۴۰

السهلة، و هو اسم لإحدى صدقات النبى صلى اللّه عليه و سلم، كما سبق فيها، و فى القاموس: هو جبل أو موضع كان به صدقة النبى صلى اللّه عليه و سلم.

قلت: و وقع فى كتاب يحيى ميثم بميم فى آخره بدل الموحدة و الأول أصوب.

و قال ياقوت: إنه بكسر الميم و الياء الساكنة و المثلاثة و الباء الموحدة، و مقتضى كلامه أنه غير مهموز، فإنه أورده أواخر الحرف فى الميم مع الياء المثناة تحت.

المأثول:

بضم المثلاثة آخره لام، من نواحى المدينة.

مبرک:

كمقعد، مكان بركت فيه راحلة النبى صلى اللّه عليه و سلم ببنى غنم عند مسجده، و هو معروف اليوم بالمدرسة الشهابية التى بنيت فى موضع دار أبى أيوب كما سبق فى الفصل الحادى عشر من الباب الثالث، و مبرك أيضا: نقب يخرج من ينبع إلى المدينة، عرضه نحو أربعة أميال أو خمسة، تنسب إليه ثنية مبرك، و هو معروف اليوم، و إياه عنى كثير بقوله:

فقد جعلت أشجان برك يمينها

قال المجد: الأشجان المسائل، و برك هاهنا: نقب يخرج إلى المدينة، و ذكر ما تقدم، قال: و كان يسمى مبركا، فدعا له النبى صلى اللّه عليه و سلم، و قال ابن السكيت فى قول كثير:

إليك ابن ليلى تمتطى العيس صحبتى ترامى بنا من مبركين المثاقل

أراد مبركا و مناخا فثنى، و هما نقبان ينحدر أحدهما على ينبع بين مضيق يلبل و فيه طريق المدينة، و مناخ على قفا الأشعر.

مبضعة:

بالضاد المعجمة، بين الجى و الرويثة، قال ابن عاديا:

و لم أر غيرهن مجلجلات كأن ببطن مبضعة كلابا

متابع:

بالضم و المثناة فوق، جبل عن يمين أمرة بحمى ضرية، و قال ياقوت: متالع بضم الميم و كسر اللام: ماء شرقى الظهران عند الفوارة فى جبل القنان، و الظهران: جبل فى أطراف القنان، و هو غير الوادى الذى قرب مكة.

مثعر:

بالمثلاثة و العين المهملة كمقعد، و يروى بالغين المعجمة، من أودية القبلية بين الثاجة و حورة، و يدفع فيما بين الفرش و الفريش، قال ابن أذينة:

عفا بعدنا ذات السليم فمثعر ففرق فما حول الجراديج مقفر

مثقب:

بالكسر ثم السكون و فتح القاف ثم موحدة، اسم الطريق التى بين المدينة و مكة، قيل: سمى باسم رجل من أشراف حمير، بعثه بعض ملوكها على جيش فسلكه، و مثقب أيضا: طريق مكة إلى الكوفة، و عن الأصمعى فتح ميمه.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۱۴۱

المجتهر:

تقدم فى حدود الحرم.

المجدل:

أطم بمزرعة تقابل سقاية سليمان بن عبد الملك، و قال ياقوت: هو بالفتح ثم السكون و فتح الدال المهملة منزل لهذيل.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى؛ ج۴؛ ص۱۴۱

مجر:

بالفتح ثم السكون ثم راء، غدير كبير بين هضبات ببطن قوران حول الملحاء بناحية السوارقية، و يقال للهضبات: ذو مجر.

المحضة:

بالحاء المهملة من المحض للخالص، قرية بلحف جبل آرة.

محنب:

بالضم ثم الفتح و كسر النون المشددة ثم موحدة، بئر و أرض بناحية طريق العراق.

المحيصر:

تصغير المحصر من الحصار، موضع قرب المدينة، قال جرير:

بين المحيصر و العزاف منزلة كالوحى من عهد موسى فى القراطيس

محيص:

بالفتح ثم الكسر و الصاد المهملة كمليك، موضع بالمدينة، قال الشاعر:

اسل عمّن سلا و صالك عمدا و تصابى و ما به من تصاب

نم لا تنسها على ذاك حتى يسكن الحى عند بئر رئاب

فإلى ما يلى العقيق إلى الجم ا و سلع و مسجد الأحزاب

فمحيص فواقم فصؤار فإلى ما يلى حجاج غراب

المخاضة:

بالخاء المعجمة، بقاع فى حوزة اليمانية.

مخايل:

بالضم و كسر المثناة تحت آخره لام، من أودية العقيق، و قال الخلصى:

مخايل ثلاث عقد، فالعلياء تصب فى أفلس، و الثنتان على حضير، قال نمير مولى عمر:

ألا قالت أثيلة إذ رأتنى و حلو العيش يذكر فى السنين

سكنت مخايلا و تركت سلعا شقاء فى المعيشة بعد لين

المختبى:

غـدير بالفلاـج من وادى ذى رولاـن، سـمى بـذلك لأنه بين عضاه و سـلم و سـدر و جلاف، و إنما يؤتى من طرفه دون جنبيه، لأن له حرفين لا يقدر عليه من جهتهما، قاله عرام، و مختبيات فليح: تقدمت فى غدر العقيق.

مخرى:

بالضم ثم الفتح و كسر الراء المشددة اسم فاعل من خرّاه إذا أسلحه، اسم لأحد جبلى الصفراء، و اسم الآخر مسلح، و لذلك كره النبى صلى اللّه عليه و سلم المرور بينهما كما سبق و سبب تسميتهما بذلك أن عبد الغفار كان يرعى بهما غنما فرجع يوما من المراعى فقال له سيده: لم رجعت؟ فقال: هذا الجبل مسلح للغنم، و هذا مخرى لها.

مخيض:

بلفظ مخيض اللبن، جبل سلك عليه النبى صلى اللّه عليه و سلم ثم على غراب، و سبق فى حدود الحرم.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۱۴۲

المدارج:

عقبـة العرج، قبله بثلاثـة أميال مما يلى المدينـة، قاله الأسدى، و بها ثنية الغاير و ركوبة، و قال الأصـمعى: طرف تهامة من جهة الحجاز مدارج العرج، و إذا تصوبت من ثنايا العرج فقد أاهمت، و قال ذو البجادين فى رجزه و قد سلكها مع النبى صلى اللّه عليه و سلم.

تعرضى مدارجا و سومى تعرّض الجوزاء للنجوم

هذا أبو القاسم فاستقيمى

مدجج:

بالضم و تشديـد الجيم المكسورة كما فى النهايـة، من «دجّج» إذا لبس السـلاح، واد بطريق مكة، زعموا أن دليل رسول الله صـلى اللّه عليه و سلم سلكه فى سفر الهجرة.

مدران:

يضاف إليه «ثنية مدران» فى مساجد تبوك، ذكره المجد هنا على الصواب، ثم أعاده فى مردان بتقديم الراء على الدال، و قال: إنه اسم للموضع المذكور.

المدرج:

بفتح الراء المشددة من «درّجه» إذا رفعه درجة بعد أخرى، اسم محدث لثنية الوداع، قاله المجد بناء منه على أنها من جهة طريق مكة، فجعلها الثنية التى تنحدر على العقيق.

مدعى:

بالكسر ثم السكون و العين مهملة مقصورة، و قيل: الذال معجمة، ماء لبنى جعفر بن كلاب بناحية ضرية، و قال الهجرى: وادى مدعى يصبّ فى ذى عثث، و ذو عثث من أكرم مياه الحمى، و قال العامرى: مدعى ورقا ما آن لغنى بينهما ضحوة، و بمدعى بئر لبنى جعفر، قال الشاعر:

فلن تردى مدعى، و لن تردى رقا و لا النقر إلا أن تخلى الأمانيا

و لن تسمعى صوت المهيب عشية بذى عثث يدعو القلاص الشواليا

مدين:

نقل المقريزى عن محمد بن أسهل الأحول أنها من أعراض المدينة مثل فدك و الفرع و رهاط، قال المقريزى: و مدين على بحر القلزم تحاذى تبوك على نحو ست مراحل، و هى أكبر من تبوك، و بها البئر التى استقى منها موسى عليه الصلاة و السلام لسائمة شعيب و عمل عليها بيتا، انتهى.

المذاد:

بالفتح ثم ذال معجمة و آخره مهملة من «ذاده» إذا طرده، اسم أطم لبنى حرام من بنى سلمة غربى مسجد الفتح، به سميت الناحية، و عنده مزرعة تسمى بالمذاد، قال كعب بن مالك يوم الخندق:

من سرّه ضرب يرعبل بعضه بعضا كمعمعة الآباء المحرق

فليأت مأسدة نسل سيوفها بين المذاد و بين جزع الخندق

المذاهب: موضع بنواحى المدينة.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۱۴۳

مذينب:

تصغير مذنب، تقدم فى الأودية.

المرابد:

جمع مربد، موضع بعقيق المدينة، قال معن بن أوس:

فذات الحماط خرجها و طلوعها فبطن العقيق قاعه فمرابده

كذا أورده المجد، و الذى فى كتاب الزبير:

فبطن النقيع قاعه فمرابده

مراخ:

بالضم آخره خاء معجمة، سبق فى أودية العقيق مما يلى القبلة فى المغرب، و يقال له «مراخ الصحرة» و بئر معروف اليوم.

المراض:

كسحاب، موضع بناحية الطرف على ستة و ثلاثين ميلا من المدينة، قاله ابن سعد، و يضاف إليه «روضات المراض» و يروى بكسر الميم.

مران:

بالفتح و تشديد الراء آخره نون، و حكى ضم أوله، موضع على ثمانية عشر ميلا من المدينة، كذا قال عياض، و قال المجد: مران فى كتاب مكة، يعنى «مرّ الظهران» المتقدم فى مساجد طريق مكة بقربها، فإنه يقال فيه «مران» فكأنه ينكر مقالة عياض، لكن فى عمل المدينة مران أيضا، و إن لم يكن على المسافة التى ذكرها عياض، فقد سبق فى الجموم أنه بين قباء و مران، و ليست قباء التى بالمدينة، بل بجهة أفاعية قرب معدن بنى سليم، قال عرام: مران قرية غناء كبيرة كثيرة العيون و الآبار و النخل و المزارع على طريق البصرة لبنى هلال و جزء لبنى ماعز، و بها حصن و منبر، و فيها يقول الشاعر:

مررنا على مران يوما فلم نعج على أهل آجام به و نخيل

ثم ذكر قباء.

قلت: و هى بالجهة المعروفة اليوم بكشب.

المرواح:

بالفتح جمع مروح، أطم بقباء كان لثابت من بنى ضبيعة.

المربد:

بالكسر ثم السكون ثم موحدة مفتوحة و دال مهملة، تقدم فى بناء المسجد النبوى أنه كان مربدا، و كذا مسجد قباء، و المرابد كثيرة

بالمدينة.

مربد النعم:

تيمم ابن عمر عنده كما فى البخارى، و ترجم عليه بالتيمم فى الحضر، و رواه الشافعى بسند صحيح بلفظ أن ابن عمر أقبل من الجرف حتى إذا كان بالمربد تيمم و صلى العصر، فقيل له: أ تتيمم و جدران المدينة تنظر إليك؟ فقال: أو أحيا حتى أدخلها؟

ثم دخل المدينة و الشمس حية مرتفعة و لم يعد الصلاة.

و قال الهجرى: مربد النعم على ميلين من المدينة، و قال غيره: على ميل، و هو الأقرب، قال الواقدى فى الاصطفاف فى وقعة الحرة على أفواه الخنادق: كان يزيد بن

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۱۴۴

هرمز فى موضع ذباب إلى مربد النعم معه الدّهم من الموالى و هو يحمل رايتهم، قال الواقدى: و مربد النعم كانت النعم تحبس فيه زمن عمر بن الخطاب.

مربع:

كمنبر، أطم فى بنى حارثة.

مرتج:

بالفتح ثم السكون و كسر المثناة فوق آخره جيم، واد قرب المدينة لحسن بن علىّ رضى الله تعالى عنهما، و قيل: موضع قرب ودان.

مرجح:

بجيم مفتوحة ثم حاء مهملة، موضع بطريق مكة، و قال ابن إسحاق فى سفر الهجرة: ثم سلك بهما الدليل مرجح مجاج، ثم تبطّن بهما مرجحا من ذى العضوين، ثم بطن كشد، ثم على الجداجد، ثم ذكر الأجرد و ذا سلم و تعهن.

و كان المنذر بن ماء السماء الملك نزل على مراد مراغما لأخيه عمرو بن هند، فتجبر عليهم فقلته المكشوح المرادى، و قال:

نحن قتلنا الكبش إذ ثرنا به بالخل من مرجح قمنا به

و قال قيس بن مكشوح لعمرو بن معدى كرب:

و أعمامى فوارس يوم لحج و مرجح إن شككت و يوم شام

مرحب:

بالحاء المهملة كمقعد، طريق سلكه النبى صلى اللّه عليه و سلم لخيبر، و كان الدليل انتهى به إلى موضع و قال: إن لها طرقا تؤتى منها

كلها، فقال: سمّها لی، فقال: طریق یقال لها حزن، قال: لا تسلکها، قال: طریق یقال لها شاش، قال: لا تسلکها، قال: طریق یقال لها حاطب، قال: لا تسلکها، ما رأیت کاللیلة أسماء أقبح، قال: لها طریق واحدة لم یبق لها غیرها اسمها مرحب فقال: نعم اسلکها.

ذو المرخ:

بالخاء المعجمة و سکون الراء، موضع قرب ینبع بساحل البحر.

ذو مرخ:

بفتحتین و قد تسکن الراء، واد بین فدک و الوابشیة، قال الحطیئة:

ما ذا تقول لأفراخ بذی مرخ زغب الحواصل لا ماء و لا شجر

و أورد المجد هنا شاهد فلجة المتقدم فیها، و الظاهر أن الذی فیه إنما هو مزج الآتی غیر أنه حرک الزای، لکن قال یاقوت: ذو مرخ بفتح الراء و الخاء المعجمة بالعقیق، قال الزبیر: مرخ و ذو مرخ فی العقیق، و أنشد لأبی وجزة:

و احتلت الجو فالأجراع من مرخ

و أنشد لابن المولی المدنی:

هل تذکرین بجنب الروض من مرخ یا أملح الناس وعدا شفنی کمدا

مروان:

تثنیة مرو للحجارة البیض البراقة، جبل بأکناف الربذة، و قیل: حصن.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفی، ج۴، ص: ۱۴۵

ذو المروة:

بلفظ أخت الصفا، علی ثمانیة برد من المدینة کما سبق فی مساجد تبوک، و قال المجد: هی قریة بوادی القری، و هو مأخوذ من قول یاقوت: ذو المروة قریة بوادی القری، علی لیلة من أعمال المدینة، ثم قال المجد: و قیل: بین ذی خشب و وادی القری.

قلت: کونها بین ذی خشب و وادی القری المشهور هو المعروف، لکن أهل المدینة الیوم یسمون القری التی بوادی ذی خشب «وادی القری» فلعله مراد یاقوت.

و ذکر الأسدی ما یقتضی أن ذا المروة بعد وادی القری بنحو ثلاث مراحل لجهة المدینة الشریفة، و روی ابن زبالة أن النبی صلی اللّه علیه و سلم نزل بذی المروة و صلّی بها الفجر، و مکث لا یکلمهم حتی تعالی النهار، ثم خرج حتی أتی المروة فأسند إلیها ظهره ملصقا، ثم دعا حتی ذرّ قرن الشمس شرقا یدعو، و یقول فی آخر دعائه: اللهم بارک فیها من بلاد، و اصرف عنهم الوباء، و أطعمهم من الجنی، اللهم اسقهم الغیث، و اللهم سلمهم من الحاج، و سلم الحاج منهم، و فی روایة أنه نزل بذی المروة فاجتمعت إلیه جهینة من السهل و الجبل یشکون إلیه نزول الناس بهم، و قهر الناس لهم عند المیاه، فدعا أقواما فأقطعهم، و أشهد بعضهم علی بعض بأبی قد

أقطعتهم، و أمرت أن لا يضاموا، و دعوت لكم، و أمرنى حبيبى جبريل أن أعدكم حلفاء، و سبق فى آخر مساجد تبوك ذكر إقطاعها لبنى رفاعة من جهينة.

مريح:

بالحاء المهملة تصغير مرح و هو الفرح، أطم كان لبنى قينقاع، عند منقطع جسر بطحان، يمين قاصد المدينة.

مريخ:

بالخاء المعجمة تصغير مرخ للشجر المعروف، قرن أسود قرب ينبع، بين برك و رعان.

مريسيع:

بالضم ثم الفتح و سكون المثناة تحت و سين مهملة مكسورة ثم مثناة تحت و عين مهملة فى أصح الروايات و أشهرها، و ضبط بالغين المعجمة، و هو بناحية قديد إلى الساحل، قاله ابن إسحاق، و فى حديث للطبرانى: هو ماء لخزاعة بينه و بين الفرع نحو يوم، و قال المجد: الفرع على ساعة من المريسيع، و به غزو بنى المصطلق و سبيهم.

مزاحم:

بالضم و كسر الحاء المهملة، أطم كان بين ظهرانى بيوت بنى الحبلى، و كان بزقاق ابن حيين سوق يقوم فى الجاهلية و أول الإسلام يقال لموضعها مزاحم كما سبق فى سوق المدينة.

مزج:

بالضم ثم السكون ثم جيم، من غدر العقيق، يفضى السيل من حضير إليه،

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۱۴۶

و هو فى شق بين صدمتين، يعنى حجابين من الحرة يمر به السيل فيحفره لضيق مسلكه و لا يفارقه الماء.

المزدلف:

بالضم ثم السكون و فتح الدال المهملة و كسر اللام ثم فاء، أطم مالك بن العجلان والد عتبان، عند مسجد الجمعة.

المستظل:

اسم فاعل من قولك «استظلّ بالظل» أطم كان عند بئر غرس لأحيحة بن الجلاح، ثم صار لبنى عبد المنذر فى دية جدهم.

المستعجلة:

و هى المضيق الذى يصعد إليه من قطع النازية قاصدا الخيف و الصفراء.

المستنذر:

جبل سبق فى منازل بنى الديل من القبائل، و المستنذر الأقصى: تقدم فى العير.

المسير:

بالضم ثم الفتح و سكون المثناة تحت، أطم بنى عبد الأشهل، كان لبنى حارثة.

المسكبة:

بالفتح من السكب و هو الصّبّ، موضع شرقى مسجد قباء، كان به أطم يقال له واقم.

المسلح:

بالفتح ثم السكون ثم لام مفتوحة و حاء مهملة، موضع من أعمال المدينة.

مسلح:

بالضم ثم السكون و كسر اللام، أحد جبلى الصفراء كما سبق فى مخرّى.

المشاش:

واد يصب فى عرصة العقيق.

مسروح:

بالفتح ثم السكون وراء و حاء مهملة، موضع بنواحى المدينة.

مشعط:

كمرفق، أطم لبنى حديلة غربى مسجد أبى بن كعب، و فى موضعه بيت أبى نبيه، و يؤخذ مما سبق فى قبور أمهات المؤمنين و فاطمة الزهراء رضى الله تعالى عنهن أنه فى غربى البقيع لذكر خوخة أبى نبيه هناك، و سبق حديث «إن كان الوباء فى شىء فهو فى ظل مشعط» و فى الحديث الآخر «و ما بقى منه فاجعله تحت ذنب مشعط».

مشعل:

كمنبر، موضع بين مكة و المدينة.

المشفق:

واد بين المدينة و تبوك.

قال ابن إسحاق فى منصرفه صلى اللّه عليه و سلم من تبوك إلى المدينة: و كان فى الطريق ماء يخرج من و شل ما يروى الراكب و الراكبين و الثلاثة بواد يقال له وادى المشفق، فقال النبى صلى اللّه عليه و سلم:

من سبقنا إلى ذلك الوادى فلا يسقين منه شيئا حتى نأتيه، فسبقه نفر من المنافقين فاستقوا ما فيه، فلما أتاه لم ير شيئا، فقال: أ لم أنههم، ثم لعنهم و دعا، ثم وضع يده تحت الوشل، فجعل يصب من يده ما شاء الله، ثم نضحه به و مسحه بيده و دعا بما شاء الله،

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۱۴۷

فانخرق من الماء كما يقول من سمعه أن له حسا كحس الصواعق، فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم:

لئن بقيتم أو من بقى منكم ليسمعن بهذا الوادى و هو أخصب ما بين يده و ما خلفه.

و ذكره الواقدى بنحوه، إلا أنه قال: و أقبل رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قافلا، حتى إذا كان بين تبوك و واد يقال له وادى الناقة و كان فيه و شل.

المشيرب:

تصغير مشرب موضع الشرب، سبق فى حدود الحرم.

مصرّ:

بفتحتين و تشديد الراء، واد بأعلى حمى ضرية.

مصلوق:

ماء من مياه بنى عمرو بن كلاب يصدقهم المصدق عليها بعد مدعى، قال ابن هرمة:

لم ينس ركبك يوم ذاك مطيهم من ذى الحليف فصبحوا مصلوقا

المصلّى:

بالضم ثم الفتح و تشديد اللام، مصلى العيد بالمدينة، و موضع بعينه فى عقيق المدينة، قال المجد منشدا يقول ابن هرمة:

ليت شعرى هل العقيق فسلع

الأبيات المتقدمة فى العقيق، و ليس المراد منها إلا مصلى العيد.

المضيح:

بالضم و فتح الضاد المعجمة و تشديد المثناة تحت و إهمال آخره، جبل لهوازن، و ماء لمحارب بن خصفة، و ماء لبنى الأضبط بن كلاب، و جبل بنجد على شط وادى الحريب كان معقلا فى الجاهلية فى رواية محصن قاله ياقوت.

المضيق:

بالفتح و كسر الضاد المعجمة و مثناة تحت وقاف، قرية تقدمت مع الفرع فى آرة، و بها إحدى عيون الحسين بن زيد، و مضيق الصفراء: هو المستعجلة فما بعدها على ما سبق فى المساجد.

مطلوب:

بئر بعيد القعر قرب المدينة فى شاميها، و ماء بنملى، و ماء كان لخثعم، و اتخذ عليه عبد الملك ضيعة من أحسن ضياع بنى أمية.

مظعن:

بالضم و سكون الظاء المعجمة و كسر العين المهملة، واد بين السقيا و الأبواء.

معجب:

و فى بعض النسخ «معجف» بالفاء بدل الموحدة، أحد أودية المدينة المتقدمة، و معجف: اسم حائط كان لعبد الله بن رواحة جعله لله و رسوله فى غزوة مؤتة.

معدن الأحسن:

و يقال «معدن الحسن» موضع أو قرية من أعمال المدينة لبنى كلاب، و قيل: هو من قرى اليمامة.

معدن بنى سليم:

بضم السين، و يقال له: «معدن قران» به قرية كبيرة بطريق نجد بها آبار و برك على مائة ميل من المدينة، و قال ابن سعد: على ثمانية برد.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۱۴۸

معدن المأمون:

سيأتى فى مغيث.

معدن النقرة:

على يومين من بطن نخل.

المعرس:

بالضم ثم الفتح و تشديد الراء المفتوحة و سين مهملة، سبق فى مسجد المعرس، و التعريس: نومة المسافر وقت السحر بعد إدلاجه.

المعرض:

أطم بنى قريظة الذى كانوا يلجئون إليه إذا فزعوا، كان فيما بين الدوحة التى فى بقيع بنى قريظة إلى النخيل التى يخرج منها السيل. و معرض أيضا: أطم لبنى عمرو و بنى ثعلبة من بنى ساعدة بدار سويد المواجهة لمسجدهم.

المعرقة:

بالضم ثم السكون ثم الكسر و بالقاف، طريق كانت قريش تسلكها إذا سارت إلى الشام، تأخذ على ساحل البحر، و فيها سلكت عير قريش حين كانت وقعة بدر، و قال عمر لسلمان رضى الله تعالى عنهما: أين تأخذ أعلى المعرقة أم على المدينة؟

المعصب:

بوزن المعرس و الصاد مهملة، اسم منازل بنى جحجبى كما سبق فى العصبة.

المغسلة:

بالغين المعجمة، قال المجد: هى بكسر السين المهملة كمنزلة: جبّانة بطرف المدينة يغسل فيها، كذا ذكره أصحاب التاريخ، و هى اليوم حديقة كبيرة من أقرب الحدائق الكبار إلى المدينة، انتهى. و هى غربى بطحان، لكنها معروفة اليوم بالمغسلة بفتح السين كمرحلة، و سبق أن مسجد بنى دينار يعرف بمسجد الغسالين لأنه كان عند الغسالين و أن الظاهر أنه كان بها.

مغلاوان:

بالضم ثم الفتح، مغلى الموارد، و مغلى، الحرومة يلتقيان من المعرس،

و الحرومة:

هضبة عظيمة هى على عين ابن هشام، و قال كثير:

فليت مغلاوين لم يك فيهما طريق يعديه من الناس راكب

مغيث:

اسم فاعل من «أغاثه» واد بين معدن النقرة و الربذة، يعرف بمغيث ماوان، قاله المجد، و سماه الأسدى «مغيثة الماوان» بزيادة هاء، و ذكر بها آبارا و بركا، قال: و على ميل و نصف منها معدن الماوان، و يقال للجبل المشرف على المعدن: مشقر.

مغوثة:

بضم الغين المعجمة و فتح الثاء المثلاثة، موضع قرب المدينة.

مفحل:

بالضم و سكون الفاء و كسر الحاء، من نواحى المدينة، قال ابن هرمة:

فكيف إذا حلت بأكناف مفحل و حل بوعساء الحليف تبيعها

مقاریب:

الفتح و بعد الألف راء ثم مثناة تحت و باء موحدة، من نواحی المدینة.

المقاعد:

جمع مقعد، موضع عند باب المدینة، و قیل: مساقف حولها، و قال الداودی: هی الدرج، و قیل: دکاکین عند دار عثمان بن عفان، قاله المجد و عبارة

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفی، ج۴، ص: ۱۴۹

عیاض: قیل: هو موضع عند باب المسجد، و قیل: مساطب حوله، و قال ابن حبیب عن مالک: هی دکاکین عند دار عثمان، انتهی. و دار عثمان عند باب المسجد فی المشرق، فیوافق قول الباجی و غیره: هو موضع عند باب المسجد

و فی صحیح البخاری عن حمران قال: أتیت عثمان بطهور و هو جالس علی المقاعد، فتوضأ فأحسن الوضوء، ثم قال: رأیت النبی صلی اللّه علیه و سلم توضأ و هو فی هذا المجلس، الحدیث.

و لأبی داود: لما مات إبراهیم ابن النبی صلی اللّه علیه و سلم صلی علیه فی المقاعد.

و فی خبر حکاه أبو الفرج النهروانی أن أبا بکر رضی الله تعالی عنه استأذن النبی صلی اللّه علیه و سلم و هو فی المسجد أن ینشد رجل جاء به شعرا، قاله فی الله و رسوله، و أن رسول الله صلی اللّه علیه و سلم قال: قوموا بنا إلی المقاعد، فلما آتوا المقاعد أنشد شعره.

المقشعر:

اسم فاعل من القشعریرة من جبال القبلیة.

مقمل:

بفتح القاف و المیم المشددة، ظرب صغیر علی غلوة من برام بحمی النقیع، علیه مسجد مقمل المتقدم فی المساجد.

المکرعة:

بالفتح، موضع بقباء قرب بئر عذق.

المکسر:

اسم مفعول من کسّره تکسیرا، و ذو المکسر: من أودیة العقیق.

مكيمن:

تصغير مكمن، و يقال: مكيمن الجماء، و هو الجبل المتصل بجماء تضارع ببطن العقيق، و فى أخبار مكة لابن شبة أنه كان بجماء العاقر بعقيق المدينة صنم يقال له المكيمن، فلعله سبب التسمية لقرب جماء العاقر منه، و قد ردّه إلى مكبره سعيد بن عبد الرحمن بن ثابت فقال:

عفا مكمن الجماء من أم عامر فسلع عفا منها فحرّة واقم

ملتذ:

بالضم ثم السكون ثم فتح المثناة فوق و ذال معجمة، موضع بعقيق المدينة، قال عروة بن أذينة:

فروضه ملتذ فجنبا منيرة فوادى العقيق انساح فيهن وابله

الملحاء:

بالحاء المهملة ممدود، من أودية العقيق، قال ابن أذينة:

مباعدة بعد أزمامها بملحاء ريم و أمهارها

الملحة:

أطم لبنى قريظة دبر مال ابن أبى جديس، و فى أسفل بنى قريظة مزرعة إلى جانب ركية و ضربة يقال لها «ملحة» بكسر الميم، و بها أطم، فلعله هو.

ملحتان:

تثنية ملحة للقطعة من الملح، من أودية القبلية بالأشعر مما يلى ظلم من شقه الشامى، و هما ملحة الرمث و ملحة الحريض، و بها شعب ضيق بحرض الإبل.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۱۵۰

ملل:

بلامين محرّكا، واد بطريق مكة، على أحد و عشرين ميلا من المدينة، و عن ابن وضاح اثنين و عشرين ميلا، و قيل: ثمانية عشر ميلا، و قيل على ليلتين منها، و فى الموطأ أن عثمان بن عفان صلى الجمعة بالمدينة و صلى العصر بملل قال مالك: و ذلك للتهجير و سرعة

السير، قال بعضهم: ملل واد ينحدر من ورقان جبل مزينة حتى يصب فى فرش سويقة، و يقال: فرش ملل، ثم ينحدر من الفرش حتى يصب فى إضم، و سبق أنه يلقى إضم بذى خشب، فذلك مراد القائل بأنه على ليلتين من المدينة، و يضاف إليه الفرش و الفريش، و جمعه كثير فى قوله:

إذ نحن بالهضبات من أملال

قال ابن الكلبى: لما صدر تبّع عن المدينة نزل ملل و قد أعيا و ملّ، فسماه ملل، و قيل لكثير: لم سمى بذلك؟ قال: لأن ساكنه ملّ المقام به، و قيل: سمى به لأن الماشى من المدينة لا يبلغه إلا بعد جهد و ملل.

و قال كثير بن عبد الرحمن الخزاعى، و قيل: جعفر الزبيرى:

أجزنا على ماء العشيرة و الهوى على ملل بالهف نفسى على ملل

و فى كتاب النوادر لابن جنى أن رجلا من أهل العراق نزل بملل، فسأل عنه، فأخبر باسمه، فقال: قبح الذى يقول:

على ملل يا لهف نفسى على ملل

أى شىء كان يتشوق إليه من هذه؟ و إنما هى حرة سوداء، فقالت له صبية كانت تلقط النوى: بأبى أنت و أمى إنه كان و الله له بها شجن ليس لك.

المناصع:

متبرز النساء بالمدينة ليلا، قبل اتخاذ الكنف بالبيوت، على مذاهب العرب، و هو ناحية بئر أبى أيوب، و لعلها المعروفة اليوم ببئر أيوب شرقى سور المدينة شامى بقيع الغرقد، و زقاق المناصع: تقدم فى الدور المطيفة بالمسجد من جهة المشرق.

المناقب:

جبل قرب المدينة، فيه ثنايا طرق إلى اليمن و إلى اليمامة و إلى أعالى نجد، قاله المجد، و استشهد بأبيات فيها ذكره و ذكر العقيق. و الذى يفهمه كلام الأصمعى أنه بنجد قرب ذات عرق، فليس المراد عقيق المدينة، لأن الأصمعى ذكر قرنا و نخلة اليمانية، ثم قال: ثم يجلس إلى نجد بطلع المناقب، و وصف ثناياه بما سبق، و قال: و إلى أعالى نجد إلى الطائف، قال: و فيه ثلاث مناقب: إحداها عقبة يقال لها الزلالة، بها صخرة، و هى التى أقحم فيها العقيلى ناقته فاقتحمت من شق فيها، و ذاك أنهم خاطروه على ذلك.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۱۵۱

المنبجس:

بالضم ثم السكون ثم موحدة ثم جيم مكسورة ثم سين مهملة، وادى العرج.

منتخر:

بالضم ثم السكون ثم مثناة فوق و خاء معجمة مكسورة، موضع بفرش ملل بجنب مثعر.

المنحنى:

بالضم ثم السكون و فتح الحاء و النون الثانية، موضع له ذكر فى الغزل بأماكن المدينة، و أهلها اليوم يقولون: إنه بقرب المصلى شرقى بطحان، و لهذا قال الشيخ شمس الدين الذهبى:

تولى شبابى كأن لم يكن و أقبل شيب علينا تولى

و من عاين المنحنى و النقا فما بعد هذين إلى المصلى

منشد:

بالضم ثم السكون و كسر الشين المعجمة ثم دال مهملة، جبل فى الشق الأيسر من حمراء الأسد كما قال الهجرى، و لعله المعروف اليوم بحمراء نملة كما سبق، و فيه يقول الأحوص:

نظرت رجا بالموقران، و قد أرى أكاديس يحتلون خاخا فمنشدا

و قال المجد: هو على ثمانية أميال من حمراء المدينة بطريق الفرع، و منشد أيضا:

موضع بين رضوى و الساحل، و بلد لتميم، قال زيد الخيل:

سقى الله ما بين العقيق فطابة فما دون أزمام فما فوق منشد

منعج:

بالفتح ثم السكون و كسر العين المهملة و روى بفتحها، و سماه الهجرى منجع بتقديم الجيم على العين، واد فيه أملاك لغنى، بين أضاخ و أمرة، بناحية حمى ضرية، و قال المجد: هو موضع بحمى ضرية، و واد لبنى أسد كثير المياه.

المنقى:

اسم مفعول من نقاه، قال المجد: هو اسم للأرض التى بين أحد و المدينة، قال ابن إسحاق: و قد كان الناس انهزموا عن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم يوم أحد حتى انتهى بعضهم إلى المنقى دون الأعراض.

قلت: فالمنقى ليس اسما لما ذكر المجد لما سبق فى الأعوص، بل هو معروف شرقى المدينة فى طريق العراق، و المجد ظن أن الانهزام لم يكن إلا للمدينة، و ليس كذلك، لما سبق فى الشقرة، و فى معارف ابن قتيبة فى ترجمة بعضهم أنه انهزم على مسيرة ثلاثة أيام.

منكثة:

من نكث ينكث إذا نقض، من أودية القبلية، يسيل من الأجرد جبل جهينة فى الجلس، و يلقى بوطا.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۱۵۲

منور:

كمقعد آخره راء، جبل قرب المدينة، و فى القاموس هو موضع أو جبل بظهر حرة بنى سليم، قال أبو هريرة: أيكم يعرف دور و منور؟ فقال رجل من مزينة: أنا، قال:

نعم المنزل ما بين دور و منور لأنها مقانب الخيل، أما و الله لوددت أن حظى من دنياكم مسجد بين دور و منور أعبد الله فيه حتى يأتينى اليقين، و منور أيضا: أطم لبنى النضير كان فى دار ابن طهمان.

منيع:

فعيل، موضع أطم لبنى سواد يمانى مسجد القبلتين على ظهر الحرة.

منيف:

اسم فاعل من أناف، أطم لبنى دينار بن النجار عند مسجدهم.

مهايع:

قرية غنّاء كبيرة، بها منبر، قرب سايه، و إليها كان من قبل أمير المدينة.

مهجور:

ماء بنواحى المدينة.

مهراس:

بالكسر ثم السكون آخره سين مهملة، ماء بجبل أحد، قاله المبرد، و هو معروف أقصى شعب أحد، يجتمع من المطر فى نقر كبار و صغار هناك، و المهراس: اسم لتلك النقر.

روى أن النبى صلى اللّه عليه و سلم عطش يوم أحد فجاءه على فى درقته بماء من المهراس، فوجد له ريحا فعافه و غسل به الدم عن وجهه و صبّ على رأسه، و فى رواية لأحمد «وجال المسلمون جولة نحو الجبل، و لم يبلغوا حيث يقول الناس الغار، إنما كان تحت المهراس» ثم ذكر إقبال النبى صلى اللّه عليه و سلم إليهم.

و فى مغازى ابن عقبة أن الناس أصعدوا فى الشعب، و ثبت الله نبيه و هو يدعوهم فى أخراهم إلى قريب من المهراس فى الشعب، ثم

ذكر إصعاد النبى صلى اللّه عليه و سلم فى الشعب يدعوهم.

مهروز:

بضم الراء و آخره زاى، موضع سوق المدينة كما فى معارف ابن قتيبة و الفائق.

مهزور:

بالفتح ثم السكون و ضم الزاى و آخره راء، تقدم فى أودية المدينة.

مهزول:

آخره لام، واد فى أقبال البئر بحمى ضرية، و قال الزمخشرى: إنه فى أصل جبل يقال له تنوف.

مهيعة:

كمعيشة بالمثناة تحت، و يقال «مهيعة» كمرحلة، اسم للجحفة، قال الحافظ المندرى: لما أخرج العماليق بنى عبيل أخى عاد من يثرب نزلوها، فجاءهم سيل الجحاف بضم الجيم- فجحفهم و ذهب بهم، فسميت حينئذ الجحفة، انتهى. و قال عياض: سميت الجحفة لأن السيول أجحفتها و حملت أهلها، و قيل: إنما سميت بذلك من سنة سيل الجحاف سنة ثمانين لذهاب السيل بالحاج و أمتعتهم.
وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۱۵۳

الموجا:

بالفتح و الجيم، أطم لبنى وابل بن زيد كان موضع مسجدهم.

مياسر:

موضع بين الرحبة و سقيا الجزل ببلاد عذرة، قرب وادى القرى.

ذو الميثب:

بالكسر ثم السكون ثم مثلاثة، من أودية العقيق.

ميطان:

بالفتح ثم السكون و طاء مهملة و ألف و نون، جبل شرقى بنى قريظة و هو المذكور فى شعرهم فى مسلم، و قال عرام: هو حذاء شوران، به ماء بئر يقال لها صعة، و ليس به نبات، و هو لسليم و مزينة، و بحذائه جبل يقال له سن، و جبال شواهق يقال لها الحلاء واحدها حلاة، و قال فى النهاية: و فى حديث بنى قريظة و النضير.

وفد كانوا ببلدتهم ثقالا كما ثقلت بميطان الصخور

و هو- بكسر الميم- موضع فى بلاد بنى مزينة بالحجاز، انتهى، و المعروف ما سبق.

المنفعة:

بالكسر ثم السكون و فاء و عين مهملة، موضع بناحية نجد وراء بطن نخل على النقرة قليلا، على ثمانية برد من المدينة، إليه كانت سرية غالب بن عبد الله الليثى.

حرف النون

نابع:

كصاحب من نبع الماء إذا ظهر، موضع قرب المدينة.

ناجية:

بالجيم و المثناة التحتية، موضع قرب المدينة على طريق البصرة، قاله المجد، و قال الأصمعى: ماء ببلاد بنى أسد أسفل من الحبس.

النازية:

بالزاى و تخفيف المثناة تحت، موضع واسع به عضاه و مرخ بين المستعجلة و هو مضيق الصفراء و بين مسجد المنصرف و هو مسجد الغزالة، و جعله عياض اسم عين هناك، فقال: هى عين كانت ترد على طريق الآخذ من مكة قرب الصفراء، و هى إلى المدينة أقرب قبل مضيق الصفراء، سدت بعد حروب جرت فيها، انتهى. و تبعه المجد، و قال عرام بعد ذكر الرحضية: ثم يميل نحو مكة مصعدا إلى واد يقال له عريفطان، و حذاءه جبال يقال لها أبلى، و قنة يقال لها السودة لبنى حقاق من بنى سليم، و ماؤهم الضبعية و هى آبار عذاب يزرع عليها، و أرض واسعة، و كانت بها عين يقال لها النازية بين بنى حقاف و بين الأنصار، فتضاروا فيها فسدّوها، و هى عين ماؤها عذب كثير، و قد قتل فيها أناس كثيرون بذلك السبب، و طلبها سلطان البلد مرارا بالثمن الكثير فأبوا، ثم ذكر مياه أبلى، و قال: و إذا جاوزت عين النازية وردت ماء يقال له الهدينة، ثم ينتهى إلى السوارقية على ثلاثة أميال منها، انتهى؛ فالنازية التى هى عين وقع فيها حروب ليست فيما بين مضيق الصفراء و المدينة، بل فى جهة أبلى و الرحضية و السوارقية، و لكن اتفقا فى الاسم.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۱۵۴

النازيين:

موضع مرتفع به قبر عبد الله بن الحارث كما سبق فى مسجد مضيق الصفراء.

الناصفة:

بكسر الصاد المهملة، من أودية العقيق، و عدّه الزمخشرى فى أودية القبلية.

ناعم:

كصاحب، من حصون خيبر، قتل عنده محمود بن مسلمة يوم خيبر ألقوا عليه رحا و ناعم: موضع آخر.

الناعمة:

حديقة غنّاء بالعوالى، و إلى جنبها النويعمة، و يعرف الموضع بالنواعم.

النباع:

بالكسر و عين مهملة، موضع بين ينبع و المدينة، و فى أودية العقيق نبعة العشرة، ثم نبعة الطوى، ثم الحيثية، ثم النبعة، قال الزبير عقبه:
و فى النباع يقول خفاف بن ندبة:
عشقت ديارا ببطن النباع
فاقتضى أن النباع ما ذكر.

نبيع:

كزبير من نبع الماء، موضع قرب المدينة.

النبى:

بلفظ النبى صلى اللّه عليه و سلم، اسم جبل قرب المدينة، و اسم أماكن أخرى، و قيل: رمل بعينه.

نجد:

ما بين جرش إلى سواد الكوفة، وحده مما يلى المغرب الحجاز، و عن يسار القبلة اليمن، و نجد كلها من عمل اليمامة، قاله عياض، و الصواب أن الذى من عمل اليمامة موضع مخصوص من نجد لا كله.

النجير:

بالضم و فتح الجيم آخره راء، ماء حذاء صفينة، قاله عرام.

النجيل:

بالجيم تصغير النجل، من أعراض المدينة قرب ينبع، قال كثير:

و حتى أجازت بطن ضاس و دونها رعان فهضبا ذى النجيل فينبع

و فى القاموس: النجيل كزبير موضع بالمدينة أو من أعراض ينبع.

نخال:

بالضم، علم مرتجل لواد يصب فى الصفراء يقال له شعب، و شاهده فى أرابن.

نخل:

بلفظ اسم جنس النخلة، من منازل بنى ثعلبة بنجد، على يومين من المدينة، قال ابن إسحاق: و غزا النبى صلى اللّه عليه و سلم نجدا يريد بنى محارب و بنى ثعلبة بن غطفان حتى نزل نخلا و هى غزوة ذات الرقاع، و قال الحافظ ابن حجر فى غزوة ذات الرقاع: قوله «فنزل نخلا» هو مكان على يومين من المدينة بواد، يقال له شدخ، و بالوادى طوائف من قيس

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۱۵۵

و فزارة و أشجع و أنمار ذكره أبو عبيد البكرى، و ذكر الواقدى فى سبب غزوة ذات الرقاع ما يقتضى إيجادها مع غزوة أنمار، و نقل البيهقى فى الدلائل عن الواقدى أنه قال: ذات الرقاع قريبة من النخيل بين السعد و الشقراء و بئر أرما، على ثلاثة أميال من المدينة، انتهى و صوابه ثلاثة أيام لقوله بين السعد و الشقراء.

نخلى:

كجمزى و نسكى، من أودية الأشعر الغورية، تصب فى ينبع، و بأسفله عيون لحسن بن على بن حسن منها ذات الأسيل، و بأسفله البلدة و البليدة.

نخيل:

تصغير نخل، عين على خمسة أميال من المدينة، قاله المجد، و قال الأسدى: إنه منزل فى طريق فيد به مياه و سوق قرية الكديد، و به عيون كانت للحسين بن على المقتول بفخ، و ذكر ما يقتضى أنه على نيف و ستين ميلا من المدينة و أن بالكديد مسجد رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، و أن الوادى الذى به الطريق ذو أمر.

و إذا تأملت ذلك مع ما سبق فى مساجد الغزوات علمت أن الذى عبر عنه بالنخيل هو نخل؛ لقوله فى خبر المسجد «نزل بنخل، ثم أصعد فى بطن نخل حتى جاز الكديد بميل» و يؤيده ما سبق فى نخل عن الواقدى من تعبيره فى ذات الرقاع بالنخيل مصغرا، لكن الأسدى غاير بين بطن نخل و بين النخيل، و النخيل معروف اليوم بقرب الكديد فوق الشقرة.

النسار:

ككتاب، جبل بحمى ضرية، و قيل: هما نسران جمعا و جعلا موضعا واحدا، و قيل: هو جبل يقال له «نسر» فجمع، و قال أبو عبيد: النسار أجبل متجاورة يقال لها الأنسر و هى النسار.

نسر:

بلفظ الطائر المعروف، موضع بنواحى المدينة، قال أبو وجزة السعدى:

بأجماد العقيق إلى مراخ فنعف سويقة فرياض نسر

نسع:

بالكسر ثم السكون و عين مهملة، موضع حماه النبى صلى اللّه عليه و سلم و الخلفاء بعده، و هو صدر وادى العقيق، قاله المجد، و كأنه اسم لحمى البقيع؛ إذ هو صدر العقيق.

النصب:

بالضم ثم السكون و صاد مهملة و باء موحدة، موضع قرب المدينة، و قيل:

من معادن القبلية.

و عن مالك أن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما ركب إلى ذات النصب فقصر الصلاة، و النصب بالضم و بالضمتين- الأصنام المنصوبة، قاله المجد، و سبق فى ذات النصب أنها بضمتين من معادن القبلية، و هو الذى قاله عياض.

النصع:

بالكسر و إهمال الصاد و العين، جبال سود بين الصفراء و ينبع، و النصيع مصغرا: جبل قرب العذيبة.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۱۵۶

نضاد:

بالفتح و ضاد معجمة و آخره دال مهملة، و الحجازيون يقولون نضاد كقطام، و تميم تنزله منزلة ما لا ينصرف، و هو جبل لغنى بحمى ضرية، و كان سراقة السليمى أصاب دما فى قومه فانحاز لغنى فقال:

حللت إلى غنىّ فى نضاد بخير محلة و بخير حال

النضير:

بالفتح ثم الكسر ثم مثناة تحت ثم راء، قبيل من يهود تقدموا فى منازلهم.

نطاة:

كقطاة، حصن من حصون خيبر، و قيل: كل أرض خيبر، و قيل: عين ماء و بيئة هناك، و الذى يقتضيه كلام الواقدى أنه ناحية من خيبر، و أن النبى صلى اللّه عليه و سلم لما افتتح حصن ناعم و غيره من حصونه تحوّل أهلها إلى قلعة الزبير، و هو حصن منيع فى رأس قلّة، قال: فجاء رجل من يهود للنبى صلى اللّه عليه و سلم، فقال: تؤمننى على أن أدلك على ما تستريح من أهل النطاة و تخرج إلى أهل الشق؟ فامنه، فقال: إنك لو أقمت شهرا ما بالوا، إن لهم دبولا تحت الأرض يشربون منها، فقطع دبولهم، قال: و كان هذا آخر حصون النّطاة فتحا، ثم تحوّل إلى أهل الشق.

نعمان:

بالضم و العين المهملة، واد بالمدينة يلقى سيول المدينة هو و نقمى أسفل عين أبى زياد بالغابة، و فى دلائل النبوة للبيهقى عن ابن إسحاق أن المشركين فى غزوة الخندق نزلوا باب نعمان إلى جانب أحد، و فى الاكتفاء عن ابن إسحاق أن عيينة بن حصن فى غطفان نزلوا إلى جانب أحد بباب نعمان، و الذى فى تهذيب ابن هشام عن ابن إسحاق نزولهم بنقمى.

نعيم:

كزبير، موضع قرب المدينة، و جمعه بعضهم فى شعره فقال نعائم.

نعف مناسير:

قال ابن السكيت: نعف هنا ما بين الدوداء و بين المدينة، و هو حد الخلائق خلائق الأحمديين، و الخلائق: آبار، و سبق شاهد النعف فى حمى النقيع فيما قيل فيه من الشعر، و سبق أيضا ذكر نعف النقيع، و مقتضى إثبات المجد له هنا أن يكون بالغين المعجمة، و إلا لقدمه على ما قبله، و لم يتعرض لذلك فى القاموس، بل قال فى النعف بالعين المهملة: إنه ما انحدر من حزونة الجبل و ارتفع عن منحدر الوادى، و من الرملة مقدمها و ما استدق. و فى الصحاح فى مادة العين المهملة أيضا: النعف ما انحدر من حزونة الجبل و ارتفع عن منحدر الوادى، فما بينهما نعف و سرو و حنف، و الجمع نعاف، انتهى، فالظاهر أن ما سبق كله بالعين المهملة الساكنة مع فتح أوله.

النفاع:

بالفتح و تشديد الفاء، أطم بمنازل بنى خطمة، كان على بئر عمارة.

ذو نفر:

بالتحريك و قد تسكن الفاء، موضع خلف الربذة، على ثلاثة أيام من السليلة.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۱۵۷

نفيس:

بالفتح ثم الكسر يضاف إليه قصر نفيس المتقدم.

النقاب:

بلفظ نقاب المرأة، من أعمال المدينة، يتشعب منه طريقان إلى وادى القرى و وادى المياه.

النقا:

بالفتح و التخفيف مقصور، ما بين وادى بطحان و المنزلة التى بها السقيا المعروفة ببئر الأعجام، قال المطرى: النقا المذكور فى الأشعار غربى المصلى إلى منزلة الحاج غربى وادى بطحان، و الوادى يفصل بين المصلى و النقا، و لمجاورة المكانين قال بعضهم موريا عن الشيب و مصلى الجنائز:

ألا يا ساريا فى قعر عمرو يكاد و فى السرى و عرا و سهلا

بلغت نقا المشيب و جزت عنه و ما بعد النقا إلا المصلى

نقب بنى دينار:

بن النجار- و يقال «نقب المدينة» هو طريق العقيق بالحرة الغربية، و به السقيا كما سبق عن الواقدى فى بقع، و قال ابن إسحاق فى المسير إلى بدر: فسلك طريق مكة على نقب المدينة، ثم على العقيق، و قال فى موضع آخر: غزا قريشا فسلك على نقب بنى دينار، ثم على فيفاء الخبار.

نقعاء:

كحمراء بالعين المهملة، موضع خلف حمى النقيع من ديار مزينة، نزله النبى صلى اللّه عليه و سلم فى غزوة بنى المصطلق، و هو من أودية العقيق، و لهذا روى فى شعر الخنساء كما سبق:

و قولى إن خير بنى سليم و غيرهم بنقعاء العقيق

و سمى كثير مرج راهط نقعاء راهط.

و فى سير الواقدى ذكر إسراعهم السير فى الرجوع من المريسيع، و أنه صلى اللّه عليه و سلم نزل فى اليوم الثالث ماء يقال له نقعاء فوق النقيع، و سرح الناس ظهورهم، فأخذهم ريح شديدة حتى أشفق الناس منها، ثم ذكر إخبار النبى صلى اللّه عليه و سلم بأن الريح عصفت لموت منافق عظيم النفاق بالمدينة، و كان موته للمنافقين غيظا شديدا، و هو زيد بن رفاعة بن التابوت، مات ذلك اليوم، و لما قدموا المدينة ذكر لهم أهلها أنهم وجدوا مثل ذلك من شدة الريح، حتى دفن عدو الله فسكنت الريح.

نقمى:

قال المجد: هو مثال نسكى و جمزى موضع بقرب أحد، كان لأبى طالب، قال ابن إسحاق: و أقبلت غطفان يوم الخندق و من تبعها من أهل نجد حتى نزلوا بذنب نقمى إلى جانب أحد و روى نقم، اه. و سبق فى مجتمع الأودية أن وادى نقمى يلقاها أسفل من عين أبى زياد بالغابة، و روى الزبير عقبه عن عمر بن عبيد الله بن معمر أن اسم

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۱۵۸

نقمى ليس نقمى، و إنما هو نقمان، أى بالتثنية، و أن اسمه أولا كان عرى فخرج رجلان من العرب لقومهما فرجعا فلم يحمدا فقيل نقمان، أى بالتثنية، فسميا بذلك السبب نقما، انتهى. و مقتضاه أن يكون بكسر القاف.

النقيع:

بالفتح ثم الكسر و سكون المثناة تحت و عين مهملة، تقدم فى حمى النقيع.

نقيع الخضمات:

بفتح الخاء و كسر الضاد المعجمتين، قال المجد: نقيع الحمى غير نقيع الخضمات. و كلاهما بالنون، و أما الباء فيهما فخطأ صراح، و الخضمة: النبات الناعم الأخضر و الأرض الناعمة النبات، كأنهم جمعوها على خضمات تخفيفا، و نقيع الخضمات: موضع قرب المدينة

حماه عمر رضى الله تعالى عنه لحيل المسلمين، و هو من أودية الحجاز، يدفع سيله إلى المدينة، و حمى النقيع على عشرين فرسخا، انتهى.

و ذكر ابن سيد الناس حديث أبى داود عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك: حدثنى سلمة قال: كان أبى إذا سمع الأذان للجمعة استغفر لأسعد بن زرارة، فسألته، فقال: كان أول من جمّع بنا فى هزم النبيت من حرة بنى بياضة فى نقيع يقال له نقيع الخضمات، ثم قال: نقيع الخضمات وقع فى هذه الرواية بالتاء، و قيده البكرى بالنون، و قال: هزم النبيت جبل على بريد من المدينة.

قلت: هو مردود بقوله فى الحديث من حرة بنى بياضة؛ لأنها موضع قريتهم من الحرة الغربية، و لهذا قال ابن زبالة فى روايته: كان أول من جمّع بنا فى هذه القرية فى هزمة من حرة بنى بياضة، فالصواب قول النووى فى تهذيبه: نقيع الخضمان بالنون كما قيده الحارثى و غيره، و هى قرية بقرب المدينة على ميل من منازل بنى سلمة، قاله الإمام أحمد كما نقله الشيخ أبو حامد، اه. و قرية بنى بياضة على نحو الميل من بنى سلمة، فهى المراد، و رأيت بين منازلهم بالحرة أماكن منخفضة يستنقع فيها ماء السيل، و الهزم لغة: النقر و الحفر، و يحتمل أن يراد به محل الهزيمة؛ فإن النبيت اسم لقبائل من الأوس، و قد وقع بينهم و بين بنى بياضة من الخزرج حروب كان الظفر فى أكثرهم قبل بعاث للخزرج.

نمرة:

كعطرة، موضع بقديد، ذكرها صاحب المسالك و الممالك فى توابع المدينة و مخاليفها.

نملى:

كجمزى و قلبى و نسكى، عن الجرمىّ أنه ماء بقرب المدينة، و يقال نملاء كحمراء، كأنه سمى به لكثرة النمل عنده، و قال الأصمعى عن العامرى: نملى جبال حواليها جبال متصلة فيها سواد و ليست بطوال. و من مياه نملى الحنجرة و الودكاء، قال:

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۱۵۹

و لأهل نملى ماء آخر بواد يقال له مهزور، و مقتضاه أنه بناحية حمى ضرية، قال: و سمع هاتف فى جوف الليل من الجن يقول:

و فى ذات آرام حبوب كثيرة و فى نملى لو تعلمون الغنائم

نهبان:

بالفتح ثم السكون، نهب الأسفل و نهب الأعلى، و هما جبلان شامخان لمزينة و بنى ليث يقابلان القدسين يمين طريق المصعد، يفرق الطريق بينهما و بين القدسين و ورقان، و فى نهب الأعلى ماء فى دوار من الأرض و بئر كبيرة غزيرة الماء عليها مباطح و بقول و نخلات يقال لها ذو خيما.

النواحان:

أطمان لبنى أنيف بقباء.

النواعم:

سبقت فى الناعمة، و هى منازل بنى النضير فى العالية.

نوبة:

بالضم ثم السكون و باء موحدة، موضع على ثلاثة أميال من المدينة، له ذكر فى المغازى، قاله ياقوت، و نوبة أيضا: هضبة حمراء بأرض بنى أبى بكر ابن كلاب.

نيار:

بالكسر آخره راء، أطم أو شخص أضيف إليه أطم نيار بمنازل بنى مخدعة من بنى حارثة.

النير:

بالكسر، جبال تقدم ذكرها فى حمى ضرية، و قال الأصمعى: النير جبل بأعلى نجد، شرقية لغنى، و غربية لفاخرة.

نيق العقاب:

بالكسر و ضم العين، موضع قرب الجحفة، لقى به رسول الله صلى اللّه عليه و سلم أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب و عبد الله بن المغيرة مهاجرين عام الفتح، و فى الاستيعاب أنهما لقياه بين السقيا و العرج، و قيل: بالأبواء.

حرف الهاء

الهدبية:

بفتح أوله و ثانيه و كسر الموحدة و تشديد المثناة تحت ثم هاء، ثلاث آبار لبنى جفاف ليس عليهن مزارع و لا نخل، بقاع واسع بين حرتين سوداوين، على ثلاثة أميال من السوارقية.

هجر:

المذكور فى حديث القلّتين، قال النووى: هى بفتح الهاء و الجيم قرية قرب المدينة النبوية عملت فيها تلك القلال أولا، و ليست هى هجر البحرين المدينة المعروفة، اه. قال الزركشى: و قيل هجر البحرين، و به قال الأزهرى، و هو الأسدّ.

قلت: و لذا لم يذكرها المجد.

الهجيم:

بالضم و فتح الجيم، أطم بالعصبة، تقدم فى بئر هجيم.

الهدار:

بالفتح و تشديد الدال المهملة آخره راء مشددا، حساء من أحساء مغار قرب السوارقية، قاله ياقوت، و الهدار أيضا: منزل مسيلمة الكذاب من ناحية اليمامة.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۱۶۰

الهدن:

بضمتين و إهمال الدال، ماء وراء وادى القرى.

هرشى:

كسكرى و الشين معجمة، ينسب إليها ثنية هرشى، و يقال: عقبة هرشى.

و علم منتصف طريق مكة دون عقبة هرشى بميل كما سبق فى مسجدها.

قال عرام: هرشى هضبة ململمة بأرض مستوية لا تنبت شيئا، أسفلها و دان على ميلين مما يلى مغيب الشمس، يقطعها المصعدون من حجّاج المدينة، و يتصل بها عن يمينها، بينها و بين البحر خبت و هو رمل لا ينبت غير الأرطى، و هرشى على ملتقى طريق الشام و طريق المدينة، قال المجد: أراد بطريق الشام طريق مصر اليوم.

قلت: و هى طريق حجاج المدينة اليوم، لكن يكون هرشى على يسارهم؛ لأنهم يسيرون فى الخبت، و ودان أسفل منها إلى رابغ، فإنما كانت ملتقى الطريق قديما، و لها طريقان، و كلّ من سلك واحدا منهما أفضى به إلى موضع واحد، و لذلك قيل:

خذا أنف هرشى أو قفاها؛ فإنما كلا جانبى هرشى لهن طريق

و حكى أن عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه استقرأ عقيل بن علقمة، فقرأ الزلزلة حتى بلغ آخرها فقرأ (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ، وَ مَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ) فقال عمر: أ لم أقل إنك لا تحسن أن تقرأ؟ إن الله قدم الخير و أنت قدمت الشر، فقال:

خذا أنف هرشى

البيت المتقدم فضحك القوم.

هلوان: من أودية العقيق، قال مصعب الزبيرى:

و ما حسنت من رحلة مثل رحلة بهلوان لما هيجتها المحاصر

هكر:

بالفتح ثم السكون ثم راء، موضع معروف، به ماء، على أربعين ميلا من المدينة، ينزله أمراؤها أحيانا، له ذكر فى شعر امرئ القيس.

هكران:

محرك، جبل حذاء قباء التى بالناحية المعروفة بكشب.

همج:

محرك، ماء عيون عليه نخل من ناحية وادى القرى.

هيفاء:

بمثناة تحت وفاء، موضع على ميل من بئر المطلب، و فى سرية أبى عبيدة إلى ذى القصة أن سرح المدينة كانت ترعى بهيفاء على سبعة أميال من المدينة.

حرف الواو

وابل:

كصاحب، المطر الشديد الوقع، و هو موضع فى أعالى المدينة.

الواتدة:

قرن منتصب شارع على أعلى نقيع الحمى بمدفع شجوى، و رواه الخلصى «الوتدة» بغير ألف، نقله الهجرى.
وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۱۶۱

وادى:

معرفة غير مضاف، علم للوادى الذى به فج الروحاء، و تقدم فى مفرش قول ابن عمر: هبطت بطن واد فإذا ظهر من بطن واد مع بيان المزية.

وادى أبى كبير:

فوق المخرم و المعرس و صدر الحفيرة.

وادى أحيليين:

بضم الهمزة و سكون الحاء المهملة ثم مثناة تحتية ثم لام و مثناتين كذلك، تقدم فى نار الحجاز.

وادى الأزرق:

بسكون الزاى ثم راء، سبق فى جمدان أنه بعد أمج بميل و فى الصحيح أن النبى صلى اللّه عليه و سلم مر بوادى الأزرق فقال: كأنى أنظر إلى موسى هابطا من الثنية له جؤار إلى الله بالتلبية، ثم أتى على ثنية هرشى فقال:

«كأنى أنظر إلى يونس بن متّى»، الحديث.

و قوله: «ثم أتى» يعنى فى الرجوع إلى المدينة.

وادى بطحان:

و غيره من الأودية التى بالمدينة سبقت فى الفصل الخامس و ما قبله.

وادى الجزل:

بالجيم و الزاى، الوادى الذى به الرحبة، و سقيا لجزل قرب وادى القرى، و يلقى وادى إضم فى نخيل ذى المروة.

وادى دحيل:

سبق فى حمى النقيع.

وادى الدوم:

معترض فى شمالى خيبر إلى قبلتها، أوله من الشمال غمرة، و من القبلة القصيبة، و هو فاصل بين خيبر و العراص.

وادى السمك:

بفتح السين المهملة ثم السكون، بناحية الصفراء، يسلكه الحاج أحيانا، ذكره المجد فى السين.

وادى القرى:

واد كثير القرى، بين المدينة و الشام، و قال الحافظ ابن حجر: هى مدينة قديمة بين المدينة و الشام، و أغرب ابن قرقول فقال: إنها من أعمال المدينة، انتهى.

و لا إغراب فيه لتصريح صاحب المسالك به كما سبق فى تبوك، و سبق أن دومة الجندل من أعمال المدينة، و أنها بوادى القرى، بل يظهر أنها أبعد منه لأنها على خمس عشرة أو ست عشرة ليلة من المدينة، و أما وادى القرى ففى طبقات ابن سعد أن أسامة بن زيد لما رجع من غزوة الروم أجدّ السير، فورد وادى القرى فى سبع ليال، ثم قصد يعدو فى السير فسار إلى المدينة ستا، و سبق أن حجر ثمود على يوم من وادى القرى، و أن العلا بناحية وادى القرى.

و روى البيهقى: من طريق الواقدى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال: خرجنا مع رسول الله صلى اللّه عليه و سلم من خيبر إلى وادى القرى، فلما نزلنا إلى وادى القرى انتهينا إلى يهود

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۱۶۲

و قد ثوى إليها ناس من العرب، و ذكر استقبال يهود لهم بالرمى و هم يصيحون فى آطامهم و قتالهم حتى أمسوا، قال: و غدا عليهم النبى صلى اللّه عليه و سلم، فلم ترتفع الشمس قيد رمح حتى أعطوا بأيديهم. و فتحها عنوة، و غنمه الله أموالهم، أصابوا أثاثا و متاعا كثيرا، فأقام رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بوادى القرى أربعة أيام، و قسم ما أصاب، و ترك الأرض و النخل بأيدى يهود، و عاملهم عليها، فلما بلغ يهود تيماء ما وطئ به رسول الله صلى اللّه عليه و سلم خيبر و فدك و وادى القرى صالحوه على الجزية، و أقاموا بأيديهم أموالهم فلما كان عمر أخرج يهود خيبر و فدك، و لم يخرج أهل تيماء و وادى القرى؛ لأنهما داخلتان فى أرض الشام و يروى أن ما دون وادى القرى إلى المدينة حجاز، و أن ما وراء ذلك من الشام فانصرف رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بعد أن ترفع من خيبر و من وادى القرى، و قال أحمد بن جابر: قيل: إن عمر أجلى يهود وادى القرى، و قيل: لم يجلهم.

و سبق فى ذى المروة أن بعضهم عده من وادى القرى، و أنه إن ثبت فهو غير وادى القرى المذكور، و سبق فى بلاكث و برمة ما يؤيده، و عليه أهل المدينة اليوم؛ لأنهم يسمون ناحية ذى المروة و ناحية ذى خشب وادى القرى، و لعلها قرى عرينة.

واردات:

هضبات صغار بحمى ضرية، فيها يقول الأخطل:

إذا ما قلت قد صالحت بكرا أبى الأضغان و النسب البعيد

و مهراق الدماء بواردات تبيد لمجريات و لا تبيد

واسط:

أطم لبنى خدرة، و أطم آخر لبنى خزيمة رهط سعد بن عبادة، و آخر لبنى مازن بن النجار، و موضع بين ينبع و بدر، و جبل تنتطح سيول العقيق عنده ثم يفضى إلى الجثجاثة، و فيه يقول كثير:

أقاموا، فأما آل عزة غدوة فبانوا، و أما واسط فمقيم

واقم:

كصاحب، أطم بنى عبد الأشهل، نسبت إليه حرّتهم، و له يقول شاعرهم:
نحن بنينا واقما بالحره بلازب الطين و بالأصرّه

و واقم أيضا:

أطم بالمسكبة شرقى مسجد قباء لأبى عويم بن ساعدة، و أطم آخر فى موضع الدار التى يقال لها واقم بقباء كان لأحيحة قبل تحوله للعصبة.

الوالج:

كان به الشيخان، و هما أطمان كما سبق، و بطرفه مما يلى قناة أطم يقال له الأزرق.

الوبرة:

بسكون الموحدة، قرية على عين من جبال آرة، و جاء ذكرها فى حديث
وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۱۶۳
أهبان الأسلمى أنه كان يسكن بين و هى من بلاد أسلم: بينا هو يرعى بحرة الوبرة عدا الذئب على غنمه، الحديث، قاله المجد تبعا لياقوت، و هو و هم؛ لأن الوبرة هذه بالفرع كما يؤخذ مما سبق فى آرة، على أربعة أيام من المدينة و بين على بريد من المدينة كما سيأتى، و تقدم عن المجد فى حرة الوبرة ما يخالف المذكور هنا، و هو الصواب، و قد وقع الموضعان كذلك فى كلام ياقوت فتبعه المجد.

و بعان:

بالفتح ثم الكسر و إهمال العين آخره نون، و يقال باللام بدل الباء، قرية على أكناف آرة، قاله المجد.

وجمة:

بالفتح و سكون الجيم، جبل يدفع سيله فى عنقه.

الوحيدة:

مؤنث الوحيد للمنفرد، من أعراض المدينة بينها و بين مكة.

ودّان:

بالفتح و دال مهملة مشددة آخره نون، قرية من نواحى الفرع لضمرة و غفار و كنانة، على ثمانية أميال من الأبواء، أكثر نصيب من ذكرها قال:

أقول لركب قافلين عشية قفا ذات أوشال و مولاك قارب

قفوا أخبرونى عن سليمان إننى لمعروفه من أهل ودّان راغب

فعاجوا فأثنوا بالذى أنت أهله و لو سكتوا أثنت عليك الحقائب

و قال أبو زيد: ودّان من الجحفة على مرحلة، بينها و بين الأبواء ستة أميال و بها كان أيام مقامى بالحجاز رئيس لبنى جعفر بن أبى طالب، و لهم بالفرع و سايۀ ضياع و عشيرة، و بينهم و بين الحسنيين حروب، و لم يزل كذلك حتى استولت طائفة من اليمن تعرف ببنى حرب على ضياعهم.

ودعان:

بالفتح ثم السكون و عين مهملة آخره نون، موضع بينبع.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى؛ ج۴؛ ص۱۶۳

هضب الوراق

جبل تقدم فى حمى ضرية.

ورقان:

بالفتح ثم الكسر و قد تسكن و بالقاف، جبل عظيم أسود على يسار المصعد من المدينة، و ينقاد من سيالة إلى الجى بين العرج و الرويثة، و بسفحه عن يمينه سيالة ثم الروحاء ثم الرويثة ثم الجى، و فى ورقان أنواع الشجر المثمر و غير المثمر و القرظ و السماق، و فيه أوشال و عيون، سكانه بنو أوس من مزينة قوم صدق أهل عمود، قاله عرام.

و قال الأسدى: إنه على يسار الطريق حين يخرج من السيالة، و يقال: إنه يتصل إلى مكة، انتهى.

و ذكر عرام أن الذى يليه عند الجى القدسان، يفصل بينه و بينهما عقبة ركوبة، و سبق

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۱۶۴

فى فضل أحد من حديث الطبرانى أن ورقان من جبال الجنة، و حديث «خير الجبال أحد و الأشعر و ورقان» و أنه أحد الأجبل التى

وقعت بالمدينة من الجبل الذى تجلى الله تعالى له، و فى رواية أنه أحد الأجبل التى بنيت الكعبة منها، و سبق فى مسجد عرق الظبية قوله صلى اللّه عليه و سلم «هل تدرون ما اسم هذا الجبل» يعنى ورقان «هذا حمت، جبل من جبال الجنة، اللهم بارك فيه و بارك لأهله» ثم قال «هذا سجاسج للروحاء، هذا واد من أودية الجنة» قال ابن شبة: يقال يوم حمت؛ إذا كان شد الحر: أى هو قوى شديد.

الوسباء:

بالفتح و سكون السين المهملة ثم باء موحدة و بالمد، ماء لبنى سليم بلحف أبلى.

وسط:

بل بحمى ضرية، ينسب إليه دارة وسط بناحيته اليسرى.

وسوس:

من الوسواس من أودية القبلية، يصب من الأجرد على الحاضرة و النكباء، و هما فرعان بهما نخل لجهينة و غيرهم، و الحاضرة عين لبنى عبد العزيز بن عمر فى صدر الحرار.

الوشيحة:

بالفتح و كسر الشين المعجمة ثم مثناة تحت و جيم و هاء، من أودية العقيق ذو وشيع بالفتح ثم الكسر آخره عين مهملة، من أموال المدينة.

الوطيح:

بالفتح و كسر الطاء المهملة و ياء و حاء مهملة، من أعظم حصون خيبر، سمى بوطيح بن مازن رجل من ثمود، و فى كتاب أبى عبيدة «الوطيحة» بزيادة هاء.

وظيف الحمار:

بالظاء المعجمة و المثناة تحت و الفاء، ستدق الذراع و الساق من الحمار و نحوه، هو من العقيق ما بين سقاية سليمان بن عبد الملك إلى زغابة.

و فى طبقات ابن سعد فى قصة ما عز: أنه لما مسّته الحجارة فر يعدو قبل العقيق فأدرك بالمكيمن، و كان الذى أدركه عبد الله بن أنيس بوظيف الحمار، فلم يزل يضربه حتى قتله، انتهى. و المكيمن: بالعقيق، لكنه بعيد من الموضع المذكور

وعيرة:

بالفتح و كسر العين المهملة و سكون المثناة تحت و فتح الراء ثم هاء، جبل شرقى ثور، أكبر منه و أصغر من أحد.

و لعان:

لغة فى وبعان كما سبق.

حرف الياء

يتيب:

بالفتح ثم كسر المثناة فوق ثم مثناة تحت ثم موحدة، جبل له ذكر فى حدود الحرم، و فى نزول أبى سفيان به حين حرق صورا من صيران العريص كذا قاله المجد، و سبق فى حدود الحرم ما يخالفه فى الضبط.
وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۱۶۵

يثرب:

تقدم فى أسماء المدينة، و قال ابن زبالة: يثرب أم قرى المدينة، و هى ما بين طرف قناة إلى طرف الجرف، أى هذا حدها من المشرق و المغرب و ما بين المال الذى يقال له البرنى إلى زبالة أى من الشام و القبلية، و فى شامى الموضع المعروف اليوم بيثرب نخل يعرف بالمال، و زبالة تقدم بيانها.

ذو يدوم:

من أودية العقيق.

يديع:

بالفتح و كسر الدال المهملة و مثناة تحتية ثم عين مهملة، ناحية بين فدك و خيبر، بها مياه و عيون لفزارة و غيرهم.

يراجم:

غدير ببطن قاع النقيع فى صير الجبل نصيف روى الزبير أن النبى صلى اللّه عليه و سلم توضأ من غدير يراجم بالنقيع و قال: إنكم ببقعة

مباركة، و قال تبع الملك:

و لقد شربت على يراجم شربة كادت بباقية الحياة تذيع

يرعة:

محركة و العين مهملة، فى ديار فزارة، بين ثوابة و الحراضة.

يلبن:

بالفتح ثم السكون ثم موحدة مفتوحة ثم نون، غدير بنقيع الحمى فى صير، و قال ابن السكيت: هو قلت عظيم بالنقيع من حرة سليم، قال الهجرى: و يقول الفصحاء فيه «ألبن» بهمزة بدال الياء و «يلبن» بالياء، و قال المجد: هو جبل قرب المدينة، و قيل: غدير بها.

اليسيرة:

بئر بنى أمية بن زيد، تقدمت فى الآبار.

يليل:

بياءين مفتوحتين بينهما لام و آخره لام، واد بناحية ينبع و الصفراء، يصب فى البحر، و به عين كبيرة تخرج من جوف رمل من أغزر ما يكون من العيون، و تجرى فى الرمل فلا يستطيعون الزراعة عليها إلا فى أحياء الرمل، و بها نخل و بقول، و تسمى النجير، و يتلوها الجار، و هو على شاطئ من النجير، قاله عرام.

و فى غزوة بدر أن قريشا نزلت بالعدوة القصوى من الوادى خلف العقنقل و يليل بين بدر و بين العقنقل، فيليل هذا غير يليل السابق ذكره فى الخلائق؛ لأن ذاك عند الضبوعة، و من مجتمعها تخرج إلى فرش ملل.

و روى برجال وثقوا عن سبرة بن معبد قال: رأى أصحاب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم سحابة، فقالوا: يا رسول الله كنا نرجو أن تمطرنا هذه السحابة، فقال: إن هذه أمرت أن تمطر بيليل، يعنى واديا يقال له يليل.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۱۶۶

ينبع:

بالفتح ثم السكون و ضم الموحدة و إهمال العين مضارع «نبع الماء» أى:

ظهر، من نواحى المدينة على أربعة أيام منها، و إنما أفردت عنها فى الأعصر الأخيرة، سميت به لكثرة ينابيعها، قال بعضهم: عددت بها مائة و سبعين عينا.

و لما أشرف عليها على رضى الله تعالى عنه و نظر إلى جبالها قال: لقد وضعت على نقى من الماء عظيم، و سكانها جهينة و بنو ليث و

الأنصار، و هى اليوم لبنى حسن العلويين.

و روى ابن شبة أن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه أقطع عليا بينبع، ثم اشترى علىّ إلى قطيعة عمر شيئا.

و روى أيضا عن كشد بن مالك الجهنى قال: نزل طلحة بن عبيد الله و سعيد بن زيد بن علىّ بالمنحار و هو موضع بين حوزة السفلى و بين منحوين على طريق تجار الشام يرقبان عير أبى سفيان، فأجازهما كشد، فلما أخذ رسول الله صلى اللّه عليه و سلم ينبع أقطعها لكشد، فقال: إنى كبير، و لكن أقطعها لابن أخى، فأقطعها له، فابتاعها منه عبد الرحمن بن سعد الأنصارى بثلاثين ألف درهم، فخرج عبد الرحمن إليها و أصابه صافيها و ربحها، فقدرها، و أقبل راجعا، فلحق على ابن أبى طالب رضى الله تعالى عنه دون ينبع، فقال: من أين جئت؟ فقال: من ينبع، و قد سئمتها، فهل لك أن تبتاعها؟ قال على: قد أخذتها بالثمن، قال: هى لك، فكان أول شىء عمله على فيها البغيبغة.

و عن عمار بن ياسر قال: أقطع النبى صلى اللّه عليه و سلم عليّا بذى العشيرة من ينبع، ثم أقطعه عمر بعد ما استخلف قطيعة، و اشترى علىّ إليها قطيعة، و كانت أموال على بينبع عيونا متفرقة تصدق بها.

و روى أحمد بن الضحاك أن أبا فضالة خرج عائدا لعلى بينبع، و كان مريضا، فقال له: ما يسكنك هذا المنزل؟ لو هلكت لم يلك إلا الأعراب أعراب جهينة، فاحتمل إلى المدينة فإن أصابك قدر وليك أصحابك، فقال على: إنى لست بميت من وجعى هذا، إن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم عهد إلىّ أن لا أموت حتى أضرب ثم تخضب هذه يعنى لحيته من هذه، يعنى هامته.

يهيق:

موضع قرب المدينة، قال المجد: لم أر من تعرض له، و فى الحديث «ليوشكن أن يبلغ بنيانهم سيفا» يعنى أهل المدينة.

يين:

بياءين مفتوحة ثم ساكنة ثم نون، و ليس فى كلامهم ما فاؤه و عينه ياء غيره، و ضبطه الصغانى بفتح الياءين.

قال نصر: يين واد به عين من أعراض المدينة، على بريد منها، و هى منازل أسلم من خزاعة.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۱۶۷

و قال الزمخشرى: يين عين بواد يقال له حورتان، لبنى زيد الموسوى من بنى الحسن.

و فى سر الصناعة: يين واد بين ضاحك و ضويحك، جبلان بأسفل الفرش.

قلت: و سيلهما يصب فى حورتين، فلا تخالف، و أثر العين و القرية اليوم موجود هناك، و كان بها فواكه كثيرة، حتى نقل الهجرى أن يين بلد فاكهة المدينة، و كانت تعرف من قريب بقرية بنى زيد، فوقع بينهم و بين بنى يزيد حروب، فجلا بنو زيد عنها إلى الصفراء، و بنو يزيد إلى الفرع، فخربت، و كانت منازل بنى أسلم قديما.

و عن أسماء بن خارجة الأسلمى قال: دخلت على النبى صلى اللّه عليه و سلم يوم عاشوراء، فقال:

أصمت اليوم يا أسماء؟ فقلت: لا، قال: فصم، قلت: قد تغديت، قال: صم ما بقى من يومك، و أمر قومك يصومونه، قال: فأخذت نعلى بيدى فما دخلت رجلى حتى وردت يين على قومى، فقلت: إن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم يأمركم أن تصوموا بقية يومكم.

و فى حديث أهبان الأسلمى ثم الخزاعى أنه كان يسكن يين، فبينما هو يرعى بحرة الوبرة عدا الذئب على غنمه، الحديث.

و قال ابن هرمة:

أدار سليمى بين يين فمثعر أبينى، فما استخبرت إلا لتخبرى

و محجة يين طريق درب الفقرة التى فى شامى الجمّاوات: لأن يين على يمين طريق مكة قرب ملل، و قال الهجرى: قال أبو الحسن: عبود جبل بين مدفع مريين و بين ملل و مريين طريق، أى يسلك هناك و يريد مريين بطريق عبود. و قال ابن إسحاق، فى المسير إلى بدر: ثم مر على تربان، ثم على ملل، ثم على عميس الحمام من مريين ثم على صخيرات الثمام، و يين أيضا: بئر بوادى بوادى عياش، و الله سبحانه و تعالى أعلم.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۱۶۸

الباب الثامن فى زيارة النبى ص

اشارة

و فيه أربعة فصول

الفصل الأول فى الأحاديث الواردة فى الزيارة نصّا

الحديث الأول

روى الدار قطنى و البيهقى و غيرهما، قال الدار قطنى: حدثنا القاضى المحاملى، حدثنا عبيد بن محمد الوراق، حدثنا موسى بن هلال العبدى، عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم «من زار قبرى وجبت له شفاعتى».

قال السبكى: كذا فى عدة نسخ معتمدة من سنن الدار قطنى عبيد الله مصغرا، و كذلك الدار قطنى فى غير السنن، و اتفقت رواياته من طريق محمد بن أحمد بن محمد و محمد بن عبد الملك بن بشران و أبى النعمان تراب بن عبيد كلهم عن الدار قطنى عن المحاملى على عبيد الله مصغرا، و رواه غير الدار قطنى عن غير المحاملى كما رواه البيهقى من طريق محمد بن رنجويه القشيرى، قال: حدثنا عبيد بن محمد بن القاسم بن أبى مريم الوراق، حدثنا موسى بن هلال العبدى، عن عبيد الله بن عمر، عن نافع عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما، الحديث؛ فثبت عن عبيد بن محمد و هو ثقة روايته على التصغير، و رواه جماعة غيره عن موسى بن هلال منهم جعفر بن محمد البزورى حدثنا محمد بن هلال البصرى عن عبيد الله مصغرا رواه العقيلى و منهم محمد بن إسماعيل بن سمرة الأحمسى، و اختلف عليه؛ فروى عنه مصغرا كغيره، و روى عنه مكبرا، و مرّض ذلك الحافظ يحيى بن على القرشى، و صوب التصغير، و فى تاريخ ابن عساكر بخط البرزالى: لمحفوظ عن ابن سمرة «عبيد الله» و فى كامل ابن عدى «عبد الله أصح» قال السبكى: و فيه نظر، و الذى يترجح «عبيد الله» لتضافر روايات عبيد بن محمد كلها و بعض روايات ابن سمرة، و لما سيأتى فى الحديث الثالث من متابعة مسلمة الجهنى لموسى بن هلال، و يحتمل أن موسى سمع الحديث من عبيد الله و عبد الله جميعا، و حدث به عن هذا تارة و عن هذا أخرى. و ممن رواه عن موسى عن عبد الله مكبرا الفضل بن سهل؛ فإن صح حمل على أنه عنهما، إذ لا منافاة، على أن المكبر روى له مسلم مقرونا بغيره، و قال

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۱۶۹

أحمد: صالح، و قال أبو حاتم: رأيت أحمد بن حنبل يحسن الثناء عليه، و قال يحيى بن معين: ليس به بأس، يكتب حديثه، و قال: إنه فى نافع صالح، و قال ابن عدى: لا بأس به، صدوق. و قال ابن حبان ما حاصله: إن الكلام عليه لكثرة غلطه لغلبة الصلاح عليه، حتى غلب عن ضبط الأخبار.

قال السبكى: و هذا الحديث ليس فى مظنة الالتباس عليه، لا سندا و لا متنا؛ لأنه فى نافع، و هو خصيص به، و متنه فى غاية القصر و الوضوح، و الرواة إلى موسى بن هلال ثقات، و موسى قال ابن عدى: أرجو أنه لا بأس به، و قد روى عنه ستة منهم الإمام أحمد، و لم يكن يروى إلا عن ثقة، فلا يضره قول أبى حاتم الرازى: إنه مجهول، و قول العقيلى: لا يتابع عليه، و قول البيهقى: سواء قال عبيد الله أم عبد الله فهو منكر عن نافع، لم يأت به غيره، فهذا و شبهه يدلك على أنه لا علة لهذا الحديث إلا تفرد موسى به، و أنهم لم يحتملوه له لخفاء حاله، و إلا فكم من ثقة ينفرد بأشياء و تقبل منه.

قلت: و لهذا قال بعض الحفاظ ممن هو فى طبقة ابن منده: هذا الخبر رواه عن موسى بن هلال محمد بن إسماعيل بن سمرة الأحمسى، و محمد بن جابر المحاربى، و يوسف بن موسى القطان، و هرون بن سفيان، و الفضل بن سهل، و العباس بن الفضل، و عبيد بن محمد الوراق، و بعض هؤلاء قال فى حديثه: عن عبيد الله بن عمر، ذكرناه بأسانيده فى الكتاب الكبير، و لا نعلم رواه عن نافع إلا العمرى، و لا عنه إلا موسى بن هلال العبدى، تفرد به، انتهى.

قال السبكى عقب ما تقدم: و أما بعد قول ابن عدى فى موسى ما قال و وجود متابع فإنه يتعين قبوله، و لذلك ذكره عبد الحق فى الأحكام الوسطى و الصغرى، و سكت عليه مع قوله فى الصغرى «إنه تخيرها صحيحة الإسناد، معروفة عند النقاد» و قد نقلها الأثبات، و تداولها الثقات، و ذكر نحوه فى الوسطى المعروفة اليوم بالكبرى، و سبقه ابن السكن إلى تصحيح الحديث الثالث كما سيأتى، و هو متضمن لمعنى هذا، و أقل درجات هذا الحديث الحسن إن نوزع فى صحته لما سيأتى من شواهده، و تضافر الأحاديث يزيدها قوة، حتى إن الحسن قد يترقى بذلك إلى درجة الصحيح.

و قال الذهبى: طرق هذا الحديث كلها لينة يقوى بعضها بعضا؛ لأنه ما فى رواتها متهم بالكذب، قال: و من أجودها إسنادا حديث حاطب «من رآنى بعد موتى فكأنما رآنى فى حياتى» أخرجه ابن عساكر و غيره، انتهى.

و معنى قوله «وجبت» أنها ثابتة لا بد منها بالوعد الصادق.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۱۷۰

و قوله «له» إما أن يراد بخصوصه فيخص الزائر بشفاعة لا تحصل لغيره، و إما أن يراد أنه تفرد بشفاعة مما يحصل لغيره، و الإفراد للتشريف و التنويه بسبب الزيارة، و إما أن يراد أنه بعدم تركه الزيارة يجب دخوله فيمن تناله الشفاعة؛ فهو بشرى بموته مسلما، فيجرى على عمومه، و لا يضم فيه شرط الوفاة على الإسلام، بخلافه على الأولين.

و قوله «شفاعتى» فى هذه الإضافة تشريف، فإن الملائكة و الأنبياء و المؤمنين يشفعون، و الزائر له نسبة خاصة فيشفع هو فيه بنفسه، و الشفاعة تعظم بعظم الشافع.

الحديث الثانى

روى البزار من طريق عبد الله بن إبراهيم الغفارى: حدثنا عن عبد الرحمن بن زيد عن أبيه عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما عن النبى صلى اللّه عليه و سلم قال «من زار قبرى حلّت له شفاعتى».

قال البزار: عبد الله بن إبراهيم حدث بأحاديث لم يتابع عليها، و إنما يكتب من حديثه ما لا يحفظ إلا عنه، و قال أبو داود: إنه منكر الحديث.

قال السبكى: و هذا الحديث هو الأول، و لذلك عزاه عبد الحق للدار قطنى و البزار، إلا أن فى الأول «وجبت» و فى هذا «حلت» فلذلك أفردته، و القصد تقوية الأول به، فلا يضره ما قيل فى الغفارى، و كذا ما قيل فى عبد الرحمن بن زيد، إذ ليس راجعا إلى تهمة كذب و لا فسق، و مثله يحتمل فى المتابعات و الشواهد، و قد روى الترمذى و ابن ماجه لعبد الرحمن بن زيد، و قال ابن عدى: إن له أحاديث حسانا، و إنه ممن احتمله الناس و صدقه بعضهم، و إنه ممن يكتب حديثه، و صحح الحاكم حديثا من جهته فى التوسل

بالنبى صلى اللّه عليه و سلم.

الحديث الثالث

روى الطبرانى فى الكبير و الأوسط، و الدار قطنى فى أماليه، و أبو بكر بن المقرئ فى معجمه، من رواية مسلمة بن سالم الجهنى قال: حدثنى عبيد الله بن عمر عن نافع عن سالم عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «من جاءنى زائرا لا تحمله حاجة إلا زيارتى كان حقّا علىّ أن أكون له شفيعا يوم القيامة» و فى معجم ابن المقرئ عن مسلمة عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن سالم عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم «من جاءنى زائرا كان له حقا على الله عز و جل أن أكون له شفيعا يوم القيامة» فقد تابع مسلمة الجهنى موسى بن هلال فى شيخه عبيد الله العمرى، و الطرق كلها فى روايته متفقة على عبيد الله المصغر الثقة، إلا أن مسلمة بن حاتم

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۱۷۱

الأنصارى رواه عن مسلمة عن عبد الله مكبرا، و أورد الحافظ ابن السكن هذا الحديث فى باب «ثواب من زار قبر النبى صلى اللّه عليه و سلم» من كتابه المسمى بالسنن الصحاح المأثورة عن النبى صلى الله تعالى عليه و سلم، و هو إمام حافظ ثقة مات بمصر سنة ثلاث و خمسين و ثلاثمائة، و كتابه هذا محذوف الأسانيد، و مقتضى ما شرطه فى خطبته أن يكون هذا الحديث مما أجمع على صحته.

قلت: و لهذا نقل عنه جماعة منهم الحافظ زين الدين العراقى أنه صححه، فإما أن يكون ثبت عنده من غير طريق مسلمة أو أنه ارتقى إلى ذلك بكثرة الطرق، و تبويبه دال على أنه فهم من هذا الحديث الزيارة بعد الموت، أو أن ما بعد الموت داخل فى العموم، قال السبكى: و هو صحيح.

الحديث الرابع

روى الدار قطنى، و الطبرانى فى الكبير و الأوسط، و غيرهما من طريق حفص بن داود القارئ عن ليث عن مجاهد عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما، قال: قال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم «من حجّ فزار قبرى بعد وفاتى كان كمن زارنى فى حياتى».

و رواه ابن الجوزى فى «مثير الغرام الساكن» من طريق الحسن بن الطيب: حدثنا على بن حجر حدثنا حفص بن سليمان عن ليث عن مجاهد عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما، قال: قال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم «من حج فزار قبرى بعد موتى كان كمن زارنى فى حياتى و صحبه» قال أبو اليمن بن عساكر: تفرد بقوله «و صحبتى» الحسن بن الطيب عن على بن حجر، و فيه نظر، و هى زيادة منكرة، قال السبكى: و لم ينفرد بها ابن الطيب؛ فقد رواه كذلك ابن عدى فى كامله من طريق الحسن بن سفيان عن على بن حجر بالسند المتقدم، و رواه أبو يعلى من طريق حفص بن سليمان عن كثير بن شنطير عن ليث بن أبى سليم عن مجاهد عن ابن عمر بدون قوله «و صحبنى».

قلت: و التشبيه بمن صحبنى لا يقتضى التشبيه به من كل وجه حتى يناقضه قوله «لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا الحديث» كما زعمه بعضهم.

و روى بعض الحفاظ المعاصرين لابن منده هذا الحديث من طريق حفص بن سليمان عن ليث بلفظ «من حج فزارنى فى حياتى» قال السبكى: و حفص بن أبى داود وثّقه أحمد، ثم روى ذلك عنه من طريقين، قال: و ذلك مقدم على من روى عنه تضعيفه، و ضعفه جماعة، و هم حفص بن سليمان القارئ الغاضرى على ما قاله البخارى و ابن أبى حاتم و ابن عدى و ابن حبان و غيرهم، و هو لم ينفرد بهذا الحديث، و دعوى البيهقى انفراده به

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۱۷۲

بحسب اطلاعه؛ فقد جاء فى الكبير و الأوسط للطبرانى متابعته؛ فإنه رواه من طريق عائشة بنت يونس امرأة الليث عن ليث بن أبى سليم عن مجاهد عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم «من زار قبرى بعد موتى كان كمن زارنى فى حياتى» قال الهيتمى: فيه عائشة بنت يونس، و لم أجد من ترجمها.

الحديث الخامس

روى ابن عدى فى الكامل من طريق محمد بن محمد بن النعمان حدثنى جدى قال:

حدثنى مالك عن نافع عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم «من حج البيت و لم يزرنى فقد جفانى» قاله ابن عدى: و لا أعلم رواه عن مالك غير النعمان بن شبل، و لم أر فى أحاديثه حديثا غريبا قد جاوز الحد فأذكره، و روى فى صدر ترجمته عن عمران بن موسى أنه وثقه و عن موسى بن هارون أنه متهم، قال السبكى: هذه التهمة غير مفسدة، فالحكم بالتوثيق مقدم عليها، و الحديث ذكره الدار قطنى فى غرائب مالك بالسند المتقدم و قال: تفرد به هذا الشيخ و هو منكر، و الظاهر أن ذلك بحسب تفرده، و عدم احتماله له بالنسبة إلى الإسناد المذكور، و لا يلزم أن يكون المتن فى نفسه منكرا و لا موضوعا، و ذكر ابن الجوزى له فى الموضوعات سرف منه.

الحديث السادس

روى الدار قطنى فى السنن فى الكلام على حديث ابن عمر رضى الله تعالى عنهما «من استطاع أن يموت فى المدينة فليفعل» من طريق موسى بن هارون عن محمد بن الحسن الجيلى عن عبد الرحمن بن المبارك عن عون بن موسى عن أيوب عن نافع عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما، قال: قال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم «من زارنى إلى المدينة كنت له شهيدا و شفيعا» قيل للجيلى: إنما هو سفيان بن موسى، قال: اجعلوه على بن موسى. قال موسى بن هارون: و رواه إبراهيم بن الحجاج عن وهيب عن أيوب عن نافع مرسلا عن النبى صلى اللّه عليه و سلم، فلا أدرى أسمعه إبراهيم بن الحجاج أولا؟

قلت: و الصواب أنه من رواية سفيان بن موسى، و قد ذكره ابن حبان فى الثقات.

قيل: و أخطأ راويه فى متنه، و المعروف من حديث ابن عمر رضى الله تعالى عنهما «من استطاع منكم أن يموت بالمدينة- الحديث» و فيه نظر.

الحديث السابع

روى أبو داود الطيالسى قال: حدثنا سوار بن ميمون أبو الجراح العبدى قال: حدثنى رجل من آل عمر، عن عمر رضى الله تعالى عنهما قال: سمعت رسول الله صلى اللّه عليه و سلم يقول «من

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۱۷۳

زار قبرى أو قال من زارنى- كنت له شفيعا، أو شهيدا، و من مات فى أحد الحرمين بعثه الله عز و جلّ فى الآمنين يوم القيامة».

قال السبكى: سوّار بن ميمون روى عنه شعبة، فدل على ثقته عنده، فلم يبق من ينظر فيه إلا الرجل الذى من آل عمر، و الأمر فيه قريب، لا سيما فى هذه الطبقة التى هى طبقة التابعين.

الحديث الثامن

روى أبو جعفر العقيلى من روايـة سوّار بن ميمون المتقـدم عن رجـل من آل الخطاب عن النبى صـلى اللّه عليه و سـلم قال «من زارنى متعمـدا كـان فى جوارى يوم القيامـة، و من مـات فى أحـد الحرمين بعثه الله فى الآمنين يوم القيامـة» و فى روايـة أخرى عن هارون بن قزعـة عن رجل من آل الخطاب مرفوعا نحوه، و زاد عقب قوله فى جوارى يوم القيامة «و من سـكن المدينة و صبر على بلائها كنت له شهيدا، أو شفيعا، يوم القيامة» و قال فى آخره «من الآمنين يوم القيامة» بدل «فى الآمنين». و هارون بن قزعة ذكره ابن حبان فى الثقات، و العقيلى لم يذكر فيه أكثر من قول البخارى: إنه لا يتابع عليه، فلم يبق فيه إلا الرجل المبهم و إرساله.

و قوله فيه «من آل الخطاب» يوافق قوله فى روايـة الطيالسـى «من آل عمر» و قـد أسـنده الطيالسـى عن عمر رضـى الله تعالى عنه، لكن البخـارى لمـا ذكره فى التاريـخ قـال: هـارون بن قزعـة عن رجـل من ولـد حـاطب عن النبى صـلى اللّه عليه و سـلم «من مات فى أحد الحرمين» روى عنه ميمون بن سوار لا يتابع عليه، و قال ابن حبان: إن هارون بن قزعة روى عن رجل من ولد حاطب المراسـيل، و على كلا التقديرين فهو مرسل جيد، و سيأتى عن هارون بن قزعة أيضا مسندا بلفظ خر فى الحديث التاسع، قاله السبكى.

الحديث التاسع

روى الـدار قطنى و غيره من طريق هارون بن قزعة عن رجل من آل حاطب عن حاطب رضـى الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صـلى اللّه عليه و سـلم «من زارنى بعـد موتى فكأنمـا زارنى فى حيـاتى، و من مـات بأحـد الحرمين بعث من الآـمنين يوم القيامـة» و فى روايـة أحمـد بن مروان صاحب المجالسة عن هارون بن أبى قزعة مولى حاطب عن حاطب، و الروايـة «عن رجل عن حاطب» كما سبق أولى الصواب.

الحديث العاشر

روى أبو الفتح الأزدى فى الثانى من فوائده من طريق عمار بن محمد: حدثنى خالى سفيان عن منصور عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله رضى الله عنه قال: قال رسول الله

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۱۷۴

صلى اللّه عليه و سـلم «من حـج حجة الإسـلام، و زار قبرى، و غزا غزوة، و صـلى فى بيت المقدس، لم يسأله الله عز و جل فيما افترض عليه».

قال السبكى: و عمار هو ابن أخت سفيان، روى له مسلم و الحسن بن عثمان الزيادى، و وثقه الخطيب، و الراوى عنه ما علمت من حاله شيئا. و صاحب الخبر أبو الفتح من أهل العلم و الفضل، و كان حافظا، ذكره الخطيب و ابن السـمعانى. و أثنى عليه محمد بن جعفر بن علان، و قال أبو النجيب الأرموى: رأيت أهل الموصل يوهّنونه جدا، و سئل البرقانى عنه، فأشار إلى أنه كان ضعيفا، و ذكر غيره كلاما أشد من هذا الحديث.

الحديث الحادى عشر

روى أبو الفتوح سـعيد بن محمد اليعقوبى فى جزئه روايـة إسـماعيل المشهور بابن الأنباطى عنه قال فيه من طريق خالد بن يزيد: حدثنا عبد الله بن عمر العمرى قال:

سمعت سعيدا المقبرى يقول: سمعت أبا هريرة رضى الله تعالى عنه يقول: قال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم «من زارنى بعد موتى فكأنما زارنى و أنا حيّ، و من زارنى كنت له شهيدا، أو شفيعا، يوم القيامة».

و خالد بن يزيد إن كان العمرى فقد قال ابن حبان: إنه منكر الحديث.

الحديث الثانى عشر

روى ابن أبى الدنيا من طريق إسماعيل بن أبى فديك عن سليمان بن يزيد الكعبى عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قال «من زارنى بالمدينة كنت له شفيعا و شهيدا يوم القيامة» و فى رواية «كنت له شهيدا أو شفيعا يوم القيامة» و رواه البيهقى بهذا الطريق، و لفظه «من مات فى أحد الحرمين بعث من الآمنين يوم القيامة، و من زارنى محتسبا إلى المدينة كان فى جوارى يوم القيامة».

و إسماعيل مجمع عليه، و سليمان ذكره ابن حبان فى الثقات، و قال أبو حاتم: إنه منكر الحديث ليس بقوى.

قلت: و زعم ابن عبد الهادى أن روايته عن أنس منقطعة، و أنه لم يدركه، فإنه إنما يروى عن التابعين و أتباعهم.

الحديث الثالث عشر

روى ابن النجار فى أخبار المدينة له، قال: أنبأنا أبو محمد بن على أخبرنا أبو يعلى الأزدى أخبرنا أخبرنا أبو إسحاق البجلى أخبرنا أبو سعيد بن أبى سعيد النيسابورى أخبرنا إبراهيم بن محمد المؤدب حدثنا محمد بن محمد حدثنا محمد بن مقاتل حدثنا جعفر بن

هارون حدثنا سمعان بن المهدى عن أنس رضى الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم «من زارنى ميتا فكأنما زارنى حيا، و من زار قبرى وجبت له شفاعتى يوم القيامة، و ما من أحد من أمتى له سعة ثم لم يزرنى فليس له عذر».

قلت: لم يتكلم عليه السبكى، و قال الذهبى: سمعان بن مهدى عن أنس لا يعرف، ألصقت به نسخة مكذوبة، رأيتها، قبح الله من وضعها، انتهى.

قال الحافظ ابن حجر: و هى من رواية محمد بن مقاتل عن جعفر بن هارون الواسطى عن سمعان، و هى أكثر من ثلاثمائة حديث، أكثر متونها موضوعة، انتهى.

الحديث الرابع عشر

روى أبو جعفر العقيلى فى الضعفاء فى ترجمة فضالة بن سعيد بن زميل المازنى من طريقه عن محمد بن يحيى المازنى عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم «من زارنى فى مماتى كان كمن زارنى فى حياتى، و من زارنى حتى ينتهى إلى قبرى كنت له يوم القيامة شهيدا، أو قال شفيعا» و ذكره ابن عساكر من جهته بإسناده إلا أنه قال «من رآنى فى المنام كان كمن رآنى فى حياتى» و الباقى سواء.

و فضالة قال العقيلى: حديثه غير محفوظ، لا يعرف إلا به، قال السبكى: كذا رأيته فى كتاب العقيلى. و نقل ابن عساكر عنه أنه قال: لا يتابع على حديثه من جهة تثبت، و لا يعرف إلا به. و محمد بن يحيى المازنى قال ابن عدى: أحاديثه مظلمة منكرة، و لم يذكر ابن عدى هذا الحديث فى أحاديثه، و لم يذكر فيه و لا العقيلى فى فضالة شيئا من الجرح سوى التفرد و النكارة.

الحديث الخامس عشر

روى بعض الحفاظ فى زمن ابن منده قال: حدثنا أبو الحسن حامد بن حماد بن المبارك بسرّمن‌رأى بنصيبين حدثنا أبو أيوب إسحاق بن يسار بن محمد النصيبى حدثنا أسيد بن زيد حدثنا عيسى بن بشير عن محمد بن عمرو بن عطاء عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم «من حج إلى مكة ثم قصدنى فى مسجدى كتبت له حجتان مبرورتان» و هو فى مسند الفردوس، و لم يذكره السبكى.

و أسيد بن زيد هو الجمال، قال الحافظ ابن حجر: هو ضعيف، أفرط ابن معين فكذبه، و له فى البخارى حديث واحد معروف بغيره، انتهى، فهو ممن يستشهد به.

و عيسى بن بشير: مجهول، و من بعده ثقة.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۱۷۶

الحديث السادس عشر

روى يحيى بن الحسن بن جعفر الحسينى فى أخبار المدينة له من طريق النعمان بن شبل قال: حدثنا محمد بن الفضل مدينى سنة ست و سبعين عن جابر عن محمد بن على عن على رضى الله تعالى عنه، قال: قال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم «من زار قبرى بعد موتى فكأنما زارنى فى حياتى، و من لم يزرنى فقد جفانى» و لم يتكلم السبكى عليه.

و النعمان بن شبل: تقدم الكلام عليه فى الحديث الخامس، و عن محمد بن الفضل قال: إنه مدينى، فهو غير محمد بن الفضل بن عطية الذى كذبوه، خلاف قول ابن عبد الهادى إنه هو؛ لأن ذاك كوفى، و يقال: مروزى نزل بخارى. و جابر إن كان الجعفى كما قال ابن عبد الهادى فهو ضعيف، فيه كلام كثير و ثقة شعبة و الثورى. و محمد بن على إن كان أبا جعفر الباقر فالسند منقطع؛ لأنه لم يدرك جده على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه، و إن كان ابن الحنفية فقد أدرك أباه عليا، و قد قال أبو سعيد عبد الملك بن محمد بن إبراهيم النيسابورى الجركوسى فى شرف المصطفى صلى الله تعالى عليه و سلم: روى عن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه و سلم «من زار قبرى بعد موتى فكأنما زارنى فى حياتى، و من لم يزر قبرى فقد جفانى». و عبد الملك هذا توفى سنة ست و أربعمائة بنيسابور، و قبره فيها مشهور يزار، قاله السبكى، قال: و قد روى حديث على من طريق أخرى ليس فيها تصريح بالرفع، ذكرها ابن عساكر من طريق عبد الملك بن هرون بن عنترة عن أبيه عن جده عن على رضى الله تعالى عنه قال: من سأل لرسول الله صلى اللّه عليه و سلم الدرجة و الوسيلة حلت له شفاعته يوم القيامة، و من زار قبر رسول الله صلى اللّه عليه و سلم كان فى جوار رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، و عبد الملك بن هارون بن عنترة فيه كلام كثير، رماه يحيى بن معين و ابن حبان، و قال البخارى: منكر الحديث، و قال أحمد:

ضعيف الحديث، اه.

قلت: و قد رأيت فى نسخة من كتاب يحيى رواية ابنه طاهر بن يحيى عنه عقب حديث علىّ المتقدم ما لفظه: حدثنا أبو يحيى محمد بن الفصل بن نباتة النميرى قال:

حدثنا الجمالى قال: حدثنا الثورى عن عبد الله بن السائب عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه عن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، مثله، اه. و لم أر ذلك فى النسخة التى هى رواية ابن ابنه الحسين بن محمد بن يحيى عن جده يحيى.

الحديث السابع عشر

روى يحيى أيضا قال: حدثنا محمد بن يعقوب حدثنا عبد الله بن وهب عن رجل عن

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۱۷۷

بكر بن عبد الله رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى اللّه عليه و سلم قال «من أتى المدينة زائرا لى وجبت له شفاعتى يوم القيامة، و من مات فى أحد الحرمين بعث آمنا» و لم يتكلم عليه السبكى.

و محمد بن يعقوب هو أبو عمر الزبيرى المدنى، صدوق. و عبد الله بن وهب ثقة، ففيه الرجل المبهم. و بكر بن عبد الله إن كان المزنى فهو تابعى جليل؛ فيكون مرسلا، و إن كان هو بكر بن عبد الله بن الربيع الأنصارى فهو صحابى.

الفصل الثانى فى بقية أدلة الزيارة، و إن لم تتضمّن لفظ الزيارة نصّا

و بيان تأكد مشروعيتها و قربها من درجة الوجوب، حتى أطلقه بعضهم عليها، و بيان حياة النبى صلى اللّه عليه و سلم فى قبره، و مشروعية شدّ الرحال إليه، و صحة نذر زيارته صلى اللّه عليه و سلم، و الاستئجار للسلام عليه.

روى أبو داود بسند صحيح كما قال السبكى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قال: «ما من أحد يسلم علىّ إلا ردّ الله علىّ روحى حتى أرد عليه السلام» و قد صدّر به البيهقى باب زيارة قبر النبى صلى الله تعالى عليه و سلم، و اعتمد عليه جماعة من الأئمة فيها منهم الإمام أحمد، قال السبكى: و هو اعتماد صحيح؛ لتضمنه فضيلة رد النبى صلى الله تعالى عليه و سلم، و هى عظيمة.

و ذكر ابن قدامة الحديث من رواية أحمد بلفظ «ما من أحد يسلّم علىّ عند قبرى» فإن ثبت فهو صريح فى تخصيص هذه الفضيلة بالمسلم عند القبر، و إلا فالمسلّم عند القبر امتاز بالمواجهة بالخطاب ابتداء و جوابا، ففيه فضيلة زائدة على الرد على الغائب، مع أن السلام عليه صلى الله تعالى عليه و سلم على نوعين: الأول ما يقصد الدعاء منا بالتسليم عليه من الله، سواء كان بلفظ الغيبة أو الحضور، كقولنا: صلى الله تعالى عليه و سلم، و الصلاة و السلام عليك يا رسول الله، سواء كان من الغائب عنه أو الحاضر عنده، و هذا هو الذى قيل باختصاصه به صلى اللّه عليه و سلم عن الأمة، حتى لا يسلم على غيره من الأمة إلا تبعا كالصلاة عليه، فلا يقال: فلان عليه السلام. الثانى: ما يقصد به التحية كسلام الزائر إذا وصل إلى قبره، و هو غير مختص، بل يعم الأمة، و هو مبتدع للرد على المسلم بنفسه أو برسوله فيحصل ذلك منه عليه السلام. و أما الأول فالله أعلم، فإن ثبت امتاز الثانى بالقرب و الخطاب، و إلا فقد حرم من لم يزر هذه الفضيلة، و هو مقتضى ما فسر به الحديث الإمام الجليل أبو عبد الرحمن عبد الله بن زيد المقبرى أحد أكابر شيوخ البخارى، حيث قال فى قوله «ما من أحد يسلم علىّ الحديث: "هذا فى الزيارة إذا زارنى فسلّم علىّ رد الله علىّ

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۱۷۸

روحى حتى أرد عليه، و أما حديث «أتانى ملك فقال يا محمد أ ما يرضيك أن لا يصلى عليه أحد من أمتك إلا صليت عليه عشرا، أو لا يسلم عليك إلا سلمت عليه عشرا؛ فالظاهر أنه فى السلام بالنوع الأول.

و روى النسائى و إسماعيل القاضى بسند صحيح عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه مرفوعا إن لله ملائكة سيّاحين فى الأرض يبلّغون من أمتى السلام، و جاءت أحاديث أخرى فى عرض الملك لصلاة الأمة و سلامها على النبى صلى اللّه عليه و سلم، و هذا فى حق الغائب. و أما الحاضر عند القبر، فهل يكون كذلك أو يسمعه صلى الله تعالى عليه و سلم بلا واسطة؟

فيه حديثان: أحدهما: «من صلى علىّ عند قبرى سمعته، و من صلى على نائيا بلّغته» رواه جماعة عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه مرفوعا من طريق أبى عبد الرحمن محمد بن مروان السدى الصغير، و هو ضعيف. قال الطيالسى: حدثنا العلاء بن محمود حدثنا أبو عبد الرحمن قال البيهقى: أبو عبد الرحمن هذا هو محمد بن مروان السدى فيما أرى و فيه نظر، انتهى. قلت: و روى نحوه أبو محمد عبد الرحمن بن حمدان بن عبد الرحمن بن المرزبان الخلال من طريق أبى البحترى، و هو ضعيف جدا، عن عبيد الله بن عمر عن نافع

عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه و سلم «من صلى علىّ عند قبرى رددت عليه، و من صلى على فى مكان آخر بلغونيه».

و الحديث الثانى و هو أضعف من الأول عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أيضا «من صلى على عند قبرى وكّل الله بها ملكا يبلغنى، و كفى أمر آخرته، و كنت له شهيدا و شفيعا» و فى رواية «ما من عبد يسلم على عند قبرى إلا وكل الله بها ملكا يبلغنى، و كفى أمر آخرته و دنياه، و كنت له شهيدا و شفيعا يوم القيامة» فإن ثبت الأول فكفى بذلك شرفا، و إلا فهو مرجو، فينبغى الحرص عليه، قال السبكى: و سيأتى ما يدل على أنه صلى الله تعالى عليه و سلم يسمع من يسلم عليه عند قبره و يرد عليه عالما بحضوره عند قبره. و كفى بهذا فضلا حقيقا بأن ينفق فيه ملك الدنيا حتى يتوصل إليه من أقطار الأرض.

قلت: روى عبد الحق فى الأحكام الصغرى و قال: إسناده صحيح عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه و سلم «ما من أحد يمر بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه فيسلم عليه إلا عرفه، ورد عليه السلام» و رواه ابن عبد البر و صححه كما نقله ابن تيمية، لكن بلفظ «ما من رجل يمر بقبر الرجل كان يعرفه فى الدنيا فيسلم عليه إلا ردّ الله عليه روحه حتى يرد عليه السلام» و قال عبد الحق فى كتاب العاقبة:

و يروى من حديث عائشة رضى الله تعالى عنها «ما من رجل يزور قبر أخيه فيجلس عنده

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۱۷۹

إلا استأنس به حتى يقوم» و روى ابن أبى الدنيا عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال:

إذا مر الرجل بقبر يعرفه فسلم عليه رد عليه السلام و عرفه، و إذا مر بقبر لا يعرفه فسلم عليه رد عليه السلام.

و الآثار فى هذا المعنى كثيرة، و قد ذكر ابن تيمية فى اقتضاء الصراط المستقيم- كما نقه ابن عبد الهادى- أن الشهداء بل كل المؤمنين إذا زارهم المسلم و سلّم عليهم عرفوا به، وردوا عليه السلام، فإذا كان هذا فى آحاد المؤمنين فكيف بسيد المرسلين صلى اللّه عليه و سلم؟

و ذكر البارزى فى «توثيق عرى الإيمان» عن سليمان بن سحيم قال: رأيت النبى صلى اللّه عليه و سلم فى النوم فقلت: يا رسول الله هؤلاء الذين يأتونك فيسلمون عليك أتفقه سلامهم؟ قال:

و أرد عليهم.

و روى ابن النجار عن إبراهيم بن بشار، قال: حججت فى بعض السنين، فجئت المدينة فتقدمت إلى قبر رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فسلمت عليه، فسمعت من داخل الحجرة: و عليك السلام، و قد نقل مثل ذلك عن جماعة من الأولياء و الصالحين.

و لا شك فى حياته صلى الله تعالى عليه و سلم بعد وفاته، و كذا سائر الأنبياء عليهم الصلاة و السلام أحياء فى قبورهم حياة أكمل من حياة الشهداء التى أخبر الله تعالى بها فى كتابه العزيز، و نبيّنا صلى الله تعالى عليه و سلم سيد الشهداء، و أعمال الشهداء فى ميزانه، و قد قال صلى الله تعالى عليه و سلم «علمى بعد وفاتى كعلمى فى حياتى» رواه الحافظ المنذرى.

و روى ابن عدى فى كامله عن ثابت عن أنس رضى الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم «الأنبياء أحياء فى قبورهم يصلون» و رواه أبو يعلى برجال ثقات، و رواه البيهقى و صححه، و روى من طريق ابن أبى ليلى و هو سيئ الحفظ- عن ثابت عن أنس رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله تعالى عليه و سلم قال «إن الأنبياء لا يتركون فى قبورهم بعد أربعين ليلة، و لكن يصلون بين يدى الله حتى ينفخ فى الصور» قال البيهقى:

و إن صح بهذا اللفظ فالمراد و الله أعلم- لا يتركون لا يصلون إلا هذا المقدار، ثم يكونوا مصلين فيما بين يدى الله تعالى.

قال البيهقى: و لحياة الأنبياء صلوات الله و سلامه عليهم- بعد موتهم شواهد من الأحاديث الصحيحة، ثم ذكر حديث «مررت بموسى و هو قائم يصلى فى قبره» و غيره من أحاديث لقاء النبى صلى الله تعالى عليه و سلم الأنبياء و صلاته بهم، و حديث الصحيحين «فإذا

موسى باطش بجانب العرش، فلا أدرى أ كان فيمن صعق فأفاق قبلى أم كان ممن

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۱۸۰

استثنى الله عز و جل» قال البيهقى: و هذا إنما يصح على أن الله عز و جل يردّ على الأنبياء صلوات الله و سلامه عليهم أرواحهم، فهم أحياء عند ربهم كالشهداء، فإذا نفخ فى الصور النفخة الأولى صعقوا فيمن صعق، ثم لا يكون ذلك موتا فى جميع معانيه، إلا فى ذهاب الاستشعار فى تلك الحالة. و يقال: إن الشهداء ممن استثنى الله عز و جل بقوله: (إِلَّا مَنْ شاءَ اللَّهُ) قال: و روينا فى ذلك خبرا مرفوعا، و ذكر أيضا حديث أوس بن أوس مرفوعا «أفضل أيامكم يوم الجمعة، فيه خلق آدم، و فيه قبض، و فيه النفخة، و فيه الصعقة، فأكثروا علىّ من الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضة على» قالوا: و كيف تعرض صلاتنا عليك و قد أرمت؟ يقولون بليت، فقال «إن الله حرّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء» أخرجه أبو داود و ابن ماجه و ابن حبان فى صحيحه و الحاكم و صححه، و ذكر البيهقى له شواهد، ثم ذكر حديث «إن لله ملائكة سيّاحين يبلغون عن أمتى السلام» و غيره.

و روى ابن ماجه بإسناد جيد- كما قال المنذرى- عن أبى الدرداء قال: قال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم «أكثروا الصلاة علىّ يوم الجمعة فإنه مشهود تشهده الملائكة، و إن أحد يصلّى على إلا عرضت علىّ صلاته حين يفرغ منها» قال: قلت: و بعد الموت؟ قال «و بعد الموت، إن الله حرم علىّ الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء عليهم الصلاة و السلام» فنبى الله صلى اللّه عليه و سلم حى يرزق، هذا لفظ ابن ماجه، قال السبكى: و فى إسناده زيد بن أيمن عن عبادة بن نسئ، إلا أنه بتقوى باعتضاده بغيره.

و روى البزار برجال الصحيح عن عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى اللّه عليه و سلم قال «إن لله ملائكة سيّاحين يبلغونّى عن أمتى» قال: و قال رسول الله صلى الله تعالى عليه و سلم «حياتى خير لكم، تحدثون و يحدث لكم، و وفاتى خير لكم، تعرض على أعمالكم، فما رأيت من خير حمدت الله عليه، و ما رأيت من شر استغفرت الله لكم».

و قال الأستاذ أبو منصور البغدادى فى أجوبة مسائل الجاجرميين: قال المتكلمون المحققون من أصحابنا: إن نبينا محمدا صلى اللّه عليه و سلم حى بعد وفاته، يسرّ بطاعات أمته، و إن الأنبياء صلوات الله و سلامه عليهم لا يبلون، و سيأتى فى الفصل الثالث قول ابن حبيب: فإنه صلى اللّه عليه و سلم يسمع و يعلم وقوفك بين يديه.

و قال البيهقى فى كتاب الاعتقاد: الأنبياء عليهم الصلاة و السلام بعد ما قبضوا ردّت إليهم أرواحهم؛ فهم أحياء عند ربهم كالشهداء، و قد رأى نبيّنا صلى الله تعالى عليه و سلم ليلة المعراج جماعة منهم، قال: و قد أفردنا لإثبات حياتهم كتابا.

قلت: و يؤيد ذلك حديث «إن عيسى ابن مريم عليه السلام مار بالمدينة حاجا أو معتمرا، و إن سلم علىّ لأردّنّ عليه».

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۱۸۱

فإن قيل: قوله فى الحديث المصدر به هذا الفصل «إلا رد الله علىّ روحى حتى أرد عليه» دال على عدم استمرار الحياة.

فالجواب من وجوه: الأول: أن البيهقى استدل به على حياة الأنبياء، قال: و إنما أراد و الله أعلم إلا و قد رد الله علىّ روحى حتى أرد عليه، الثانى: أن السبكى قال: يحتمل:

أن يكون ردّا معنويا، و أن تكون روحه الشريفة مشتغلة بشهود الحضرة و الملأ الأعلى عن هذا العالم؛ فإذا سلم عليه أقبلت روحه على هذا العالم لتدارك السلام و ترد على المسلّم، يعنى أن رد روحه الشريفة التفات روحانى، و تنزّل إلى دوائر البشرية من الاستغراق فى الحضرة العلية. الثالث: قال بعضهم: هو خطاب على مقدار فهم المخاطبين فى الخارج من الدنيا أنه لا بد من عود روحه حتى يسمع و يجيب، فكأنه قال: أنا أجيب ذلك تمام الإجابة، و أسمعه تمام السماع، مع دلالته على رد الروح عند سلام أول مسلّم، و قبضها بعد لم يرد، و لا قائل بتكرر ذلك، إذ يفضى ذلك إلى توالى موتات لا تحصر، مع أننا نعتقد ثبوت الإدراكات كالعلم و السماع لسائر الموتى، فضلا عن الأنبياء، و يقطع بعود الحياة لكل ميت فى قبره، كما ثبت فى السنة، و لم يثبت أنه يموت بعد ذلك موتة ثانية، بل ثبت نعيم القبر و عذابه، و إدراك ذلك من الأعراض المشروطة بالحياة، لكن يكفى فيه حياة جزء يقع به الإدراك، فلا يتوقف على

البنية كما زعم المعتزلة.

و أما أدلّة حياة الأنبياء فمقتضاها حياة الأبدان كحالة الدنيا، مع الاستغناء عن الغذاء، و مع قوة النفوذ فى العالم، و قد أوضحنا المسألة فى كتابنا المسمى «بالوفا، لما يجب لحضرة المصطفى» صلى الله تعالى عليه و سلم.

و قال أبو محمد عبد الله بن عبد الملك المرجانى فى أخبار المدينة له: قال صاحب الدر المنظم: إن النبى صلى الله تعالى عليه و سلم لما مات ترك فى أمته رحمة لهم، روى عنه عليه الصلاة و السلام أنه قال: ما من نبى دفن إلا و قد رفع بعد ثلاث غيرى، فإنى سألت الله عز و جل أن أكون بينكم إلى يوم القيامة، اه و قال الحافظ ابن حجر: إن حديث «أنا أكرم على ربى من أن يتركنى فى قبرى بعد ثلاث» ذكره الغزالى لا أصل له، اه.

و روى عبد الرزاق أن سعيد بن المسيب رأى قوما يسلمون على النبى صلى الله تعالى عليه و سلم فقال: ما مكث نبى فى الأرض أكثر من أربعين، ثم روى عبد الرزاق إلىّ حديث «مررت بموسى ليلة أسرى بى و هو قائم يصلى فى قبره» كأنه أراد ردّ ما روى عن ابن المسيب، و هو رد صحيح، و لو صح قول ابن المسيب لم يقدح فى مشروعية زيارة القبر؛ لشرفه بنسبته إليه صلى الله تعالى عليه و سلم، و علاقته به، و ابن المسيب لم ينكر

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۱۸۲

التسليم، و إنما أفاد تلك الفائدة، مع أنا قد قطعنا بوضع النبى صلى الله تعالى عليه و سلم فى قبره الشريف، و الأصل استمراره؛ فيستمر على ذلك حتى يقوم قاطع على خلافه، مع أنه جاء عن غير ابن المسيب ما يقتضى الاستمرار، فعن عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه أنه لما حصر أشار بعض الصحابة عليه أن يلحق بالشام، فقال: لن أفارق دار هجرتى و مجاورة رسول الله صلى الله تعالى عليه و سلم فيها، و قصة سعيد بن المسيب فى سماعه الأذان و الإقامة من القبر الشريف أيام الحرة مشهورة.

و قال يحيى: حدثنا هرون بن عبد الملك ابن الماجشون أن خالد بن الوليد بن الحارث بن الحكم بن العاص و هو ابن مطيرة قام على منبر رسول الله صلى اللّه عليه و سلم يوم جمعة فقال: لقد استعمل رسول الله صلى اللّه عليه و سلم على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه و هو يعلم أنه خائن، و لكن شفعت له ابنته فاطمة رضى الله تعالى عنها، و داود بن قيس فى الروضة، فقام فقال: أس، أى بسكته، قال: فمزق الناس قميصا كان عليه شقائق حتى و تروه، و أجلسوه حذرا عليه منه، و قال: رأيت كفّا خرجت من القبر قبر رسول الله صلى الله تعالى عليه و سلم و هو يقول: كذبت يا عدوّ الله، كذبت يا كافر، مرارا.

و ممن سافر إلى زيارة النبى صلى الله تعالى عليه و سلم من الشام إلى قبره عليه السلام بالمدينة بلال بن رباح مؤذن رسول الله صلى الله تعالى عليه و سلم، كما رواه ابن عساكر بسند جيد عن أبى الدرداء رضى الله تعالى عنه، قال: لما رحل عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه من فتح بيت المقدس فصار إلى جابية، سأله بلال أن يقره بالشام، ففعل، و ذكر قصة فى نزوله بداريا، قال: ثم إن بلالا رأى فى منامه النبى صلى الله تعالى عليه و سلم و هو يقول: ما هذه الجفوة يا بلال؟ أ ما آن لك أن تزورنى يا بلال؟ فانتبه حزينا وجلا خائفا، فركب راحلته و قصد المدينة فأتى قبر النبى صلى الله تعالى عليه و سلم، فجعل يبكى عنده و يمرغ وجهه عليه، فأقبل الحسن و الحسين رضى الله تعالى عنهما، فجعل يضمهما و يقبلهما، فقالا له: يا بلال، نشتهى أن نسمع أذانك الذى كنت تؤذن به لرسول الله صلى الله تعالى عليه و سلم فى المسجد، ففعل، فعلا سطح المسجد، فوقف موقفه الذى كان يقف فيه، فلما أن قال «الله أكبر الله أكبر» ارتجّت المدينة، فلما أن قال:

«أشهد أن لا إله إلا الله» ازدادت رجتها، فلما أن قال «أشهد أن محمدا رسول الله» خرجت العواتق من خدورهن، و قالوا: بعث رسول الله صلى الله تعالى عليه و سلم، فما رؤى يوم أكثر باكيا و لا باكية بالمدينة بعد رسول الله صلى الله تعالى عليه و سلم من ذلك اليوم، كذا ذكر ابن عساكر فيما نقل السبكى، فقال الحافظ عبد الغنى و غيره فى ترجمة

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۱۸۳

بلال: و لم يؤذن بعد النبى صلى الله تعالى عليه و سلم فيما روى إلا مرة واحدة فى قدومه المدينة لزيارة قبر النبى صلى الله تعالى عليه و سلم، و قد طلب إليه الصحابة ذلك، فأذن و لم يتم الأذان، و قيل: إنه أذن لأبى بكر رضى الله تعالى عنه فى خلافته، قال السبكى: ليس اعتمادنا يعنى فى الأخذ بذلك فى السفر للزيارة على رؤيا المنام فقط، بل على فعل بلال، سيما فى خلافة عمر رضى الله تعالى عنه، و الصحابة متوافرون و لا تخفى عنهم هذه القصة، و رؤيا بلال النبى صلى الله تعالى عليه و سلم مؤكدة لذلك.

و قد استفاض عن عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه أنه كان يبرد البريد من الشام يقول: سلم لى على رسول الله صلى الله تعالى عليه و سلم، و ذلك فى زمن صدر التابعين.

و ممن ذكره عنه الإمام أبو بكر بن عمرو بن عاصم النبيل، و وفاته فى المائة الثالثة، قال فى مناسكه له «ألتزم له الثبوت» و كان عمر بن عبد العزيز يبعث بالرسول قاصدا من الشام إلى المدينة ليقرئ النبى صلى الله تعالى عليه و سلم السلام ثم يرجع، انتهى.

و فى فتوح الشام أن عمر رضى الله تعالى عنه لما صالح أهل بيت المقدس و قدم عليه كعب الأحبار و أسلم و فرح بإسلامه قال له: هل لك أن تسير معى إلى المدينة و تزور قبر النبى صلى اللّه عليه و سلم و تتمتع بزيارته؟ فقال: نعم يا أمير المؤمنين أنا أفعل ذلك، و لما قدم عمر المدينة كان أول ما بدأ بالمسجد و سلم على رسول الله صلى الله تعالى عليه و سلم.

و روى عبد الرزاق بإسناد صحيح أن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما كان إذا قدم من سفر أتى قبر النبى صلى اللّه عليه و سلم فقال: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا أبا بكر، السلام عليك يا أبتاه.

و فى الموطأ رواية يحيى بن يحيى أن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما كان يقف على قبر النبى صلى الله تعالى عليه و سلم فيصلى على النبى صلى الله تعالى عليه و سلم، و على أبى بكر و عمر رضى الله تعالى عنهما، و عند ابن القاسم و القعنبى: و يدعو لأبى بكر و عمر رضى الله تعالى عنهما.

و عن ابن عون قال: سأل رجل نافعا: هل كان ابن عمر رضى الله تعالى عنهما يسلم على القبر؟ قال: نعم، لقد رأيته مائة مرة أو أكثر من مائة، كان يأتى القبر فيقوم عنده فيقول: السلام على النبى، السلام على أبى بكر، السلام على أبى.

و فى مسند أبى حنيفة عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال: من السنة أن تأتى قبر النبى صلى الله تعالى عليه و سلم من قبل القبلة، و تجعل ظهرك إلى القبلة، و تستقبل القبر

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۱۸۴

بوجهك، ثم تقول: السلام عليك أيها النبى و رحمة الله و بركاته، أخرجه الحافظ طلحة بن محمد فى مسنده عن صالح بن أحمد عن عثمان بن سعيد عن أبى عبد الرحمن المقرئ عن أبى حنيفة عن نافع عن ابن عمر.

قلت: و قد تقرر أن قول الصحابى «من السنة كذا» محمول على سنته صلى الله تعالى عليه و سلم؛ فله حكم المرفوع.

و روى أحمد بسند حسن كما رأيته بخط الحافظ أبى الفتح المراغى المدنى قال:

حدثنا عبد الملك بن عمرو قال: حدثنا كثير بن زيد عن داود بن أبى صالح قال: أقبل مروان يوما، فوجد رجلا واضعا وجهه على القبر، فأخذ مروان برقبته ثم قال: هل تدرى ما تصنع؟ فأقبل عليه، فقال: نعم إنى لم آت الحجر، إنما جئت رسول الله صلى الله تعالى عليه و سلم و لم آت الحجر، سمعت رسول الله صلى اللّه عليه و سلم يقول: لا تبكوا على الدين إذا وليه أهله، و لكن ابكوا على الدين إذا وليه غير أهله، قال الهيتمى: رواه أحمد و الطبرانى فى الكبير و الأوسط، و فيه كثير بن زيد، و ثقة جماعة و ضعفه النسائى و غيره.

قلت: هو كما قال فى التقريب- صدوق يخطئ، و سيأتى فى الفصل بعده أن يحيى رواه من طريقه، و أن السبكى اعتمد توثيقه.

و ذكر المؤرّخون و المحدّثون منهم ابن عبد البر و أحمد بن يحيى البلاذرى و ابن عبد ربه أن زياد بن أبيه أراد الحج، فأتاه أبو بكرة و هو لا يكلمه، فأخذ ابنه فأجلسه فى حجره ليخاطبه و يسمع زيادا، فقال: إن أباك فعل و فعل، و إنه يريد الحج، و أم حبيبة زوج النبى صلى الله تعالى عليه و سلم هناك، فإن أذنت له فأعظم بها مصيبة و خيانة لرسول الله صلى الله تعالى عليه و سلم و إن هى حجبته

فأعظم بها حجّة عليه، فقال زياد: ما تدع النصيحة لأخيك، و ترك الحج تلك السنة فيما قاله البلاذرى.

و حكى ابن عبد البر ثلاثة أقوال: أحدها أنه حج و لم يزر من أجل قول أبى بكرة.

و الثانى أنه دخل المدينة و أراد الدخول على أم حبيبة رضى الله تعالى عنها فذكر قول أبى بكرة فانصرف. و الثالث أن أم حبيبة رضى الله تعالى عنها حجبته.

قال السبكى: و القصة على كل تقدير تشهد لأن زيارة الحاج كانت معهودة من ذلك الوقت، و إلا فكان زياد يمكنه الحج من غير طريق المدينة، بل هى أقرب إليه؛ لأنه كان بالعراق، و لكن كان إتيان المدينة عندهم أمرا لا يترك.

و تقدم فى سابع فصول الباب الثانى عند ذكر الخاصة الثمانين اختلاف السلف فى أن الأفضل البداءة بالمدينة قبل مكة أو بمكة قبل المدينة، و أن ممن اختار البداءة بالمدينة

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۱۸۵

علقمة و الأسود و عمرو بن ميمون من التابعين، و لعل سببه عندهم كما قال السبكى إيثار الزيارة، و ممن اختار البداءة بمكة ثم إتيان المدينة و القبر الإمام أبو حنيفة رضى الله تعالى عنه، ففى فتاوى أبى اللّيث السّمرقندى: روى الحسن بن زياد عن أبى حنيفة أنه قال: الأحسن للحاج أن يبدأ بمكة، فإذا قضى نسكه مر بالمدينة، و إن بدأ بها جاز، فيأتى قريبا من قبر رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، فيقوم بين القبر و القبلة.

و قد أوضح السبكى أمر الإجماع على الزيارة قولا و فعلا، و سرد كلام الأئمة فى ذلك، و بين أنها قربة بالكتاب، و السنة، و الإجماع، و القياس.

أما الكتاب فقوله تعالى: وَ لَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُكَ [النساء: ۶۴] الآية دالة على الحث بالمجيء إلى الرسول صلى اللّه عليه و سلم، و الاستغفار عنده، و استغفار لهم و هذه رتبة لا تنقطع بموته صلى الله تعالى عليه و سلم، و قد حصل استغفاره لجميع المؤمنين؛ لقوله تعالى وَ اسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِناتِ [محمد: ۱۹] فإذا وجد مجيئهم فاستغفارهم تكملت الأمور الثلاثة الموجبة لتوبة الله و لرحمته. و قوله: (اسْتَغْفَرَ لَهُمُ) معطوف على قوله: (جاؤُكَ) فلا يقتضى أن يكون استغفار الرسول بعد استغفارهم مع أنا لا نسلم أنه لا يستغفر بعد الموت؛ لما سبق من حياته و من استغفاره لأمته بعد الموت عند عرض أعمالهم عليه، و يعلم من كمال رحمته أنه لا يترك ذلك لمن جاءه مستغفرا ربه.

و العلماء فهموا من الآية العموم لحالتى الموت و الحياة، و استحبوا لمن أتى القبر أن يتلوها و يستغفر الله تعالى، و حكاية الأعرابى فى ذلك نقلها جماعة من الأئمة عن العتبى، و اسمه محمد بن عبيد الله بن عمرو، أدرك ابن عيينة و روى عنه، و هى مشهورة حكاها المصنفون فى المناسك من جميع المذاهب، و استحسنوها، و رأوها من أدب الزائر، و ذكرها ابن عساكر فى تاريخه، و ابن الجوزى فى مثير الغرام الساكن، و غيرهما بأسانيدهم إلى محمد بن حرب الهلالى، قال: دخلت المدينة، فأتيت قبر النبى صلى اللّه عليه و سلم، فزرته و جلست بحذائه، فجاء أعرابى فزاره، ثم قال: يا خير الرسل إن الله أنزل عليك كتابا صادقا قال فيه وَ لَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ إلى قوله رَحِيماً و إنى جئتك مستغفرا ربك من ذنوبى، متشفعا بك، و فى رواية: و قد جئتك مستغفرا من ذنبى مستشفعا بك إلى ربى، ثم بكى و أنشأ يقول:

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه فطاب من طيبهن القاع و الأكم

نفسى الفداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف و فيه الجود و الكرم

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۱۸۶

ثم استغفر و انصرف، قال: فرقدت فرأيت النبى صلى اللّه عليه و سلم فى نومى و هو يقول: الحق الرجل و بشّره بأن الله غفر له بشفاعتى، فاستيقظت فخرجت أطلبه فلم أجده.

قلت: بل قال الحافظ أبو عبد الله محمد بن موسى بن النعمان فى كتابه مصباح الظلام: إن الحافظ أبا سعيد السمعانى ذكر فيما روينا عنه عن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه قال: قدم علينا أعرابى بعد ما دفنا رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بثلاثة أيام، فرمى بنفسه على قبر النبى صلى اللّه عليه و سلم، و حثا من ترابه على رأسه، و قال: يا رسول الله، قلت فسمعنا قولك، و وعيت عن الله سبحانه و ما وعينا عنك، و كان فيما أنزل عليك وَ لَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ [النساء: ۶۴] الآية، و قد ظلمت و جئتك تستغفر لى، فنودى من القبر: إنه قد غفر لك، انتهى.

و روى ذلك أبو الحسن على بن إبراهيم بن عبد الله الكرخى عن على ابن محمد بن على، قال: حدثنا أحمد بن محمد بن الهيثم الطائى قال: حدثنى أبى عن أبيه عن سلمة بن كهيل عن ابن صادق عن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه، فذكره.

و أما السنة فما سبق من الأحاديث فى زيارة قبره صلى اللّه عليه و سلم بخصوصه و قد جاء فى السنة الصحيحة المتفق عليها الأمر بزيارة القبور، و قبر النبى صلى اللّه عليه و سلم سيد القبور و داخل فى عموم ذلك.

و أما الإجماع فقال عياض رحمه الله تعالى: زيارة قبره صلى اللّه عليه و سلم سنة بين المسلمين مجمع عليها، و فضيلة مرغب فيها، انتهى.

و أجمع العلماء على استحباب زيارة القبور للرجال كما حكاه النووى، بل قال بعض الظاهرية بوجوبها.

و قد اختلفوا فى النساء، و قد امتاز القبر الشريف بالأدلة الخاصة به كما سبق، قال السبكى: و لهذا أقول: إنه لا فرق فى زيارته صلى الله تعالى عليه و سلم بين الرجال و النساء، و قال الجمال الريمى فى التقفية: يستثنى أى من محل الخلاف- قبر النبى صلى اللّه عليه و سلم و صاحبيه، فإن زيارتهم مستحبة للنساء بلا نزاع، كما اقتضاه قولهم فى الحج: يستحب لمن حج أن يزور قبر النبى صلى اللّه عليه و سلم، و حينئذ فيقال معاياة: قبور يستحب زيارتها للنساء بالاتفاق، و قد ذكر ذلك بعض المتأخرين و هو الدمنهورى الكبير، و أضاف إليه قبور الأولياء و الصالحين و الشهداء، انتهى.

و أما القياس فعلى ما ثبت من زيارته صلى اللّه عليه و سلم لأهل البقيع و شهداء أحد، و إذا استحب زيارة قبر غيره فقبره صلى اللّه عليه و سلم أولى؛ لما له من الحق و وجوب التعظيم، و ليست زيارته إلا

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۱۸۷

لتعظيمه و التبرك به، و لتنالنا الرحمة بصلاتنا و سلامنا عليه عند قبره بحضرة الملائكة الحافين به، و ذلك من الدعاء المشروع له.

و الزيارة قد تكون لمجرد تذكر الآخرة، و هو مستحب؛ لحديث «زوروا القبور فإنها تذكركم الآخرة». و قد تكون للدعاء لأهل القبور كما ثبت من زيارة أهل البقيع، و قد تكون للتبرك بأهلها إذا كانوا من أهل الصلاح، و قال أبو محمد الشارمساحى المالكى: إن قصد الانتفاع بالميت بدعة إلا فى زيارة المصطفى صلى الله تعالى عليه و سلم و قبور الأنبياء و المرسلين صلوات الله و سلامه عليهم أجمعين، قال السبكى: و هذا الاستثناء صحيح، و حكمه فى غيرهم بالبدعة فيه نظر.

قلت: قد ذكر هذا الاستثناء ابن العربى أيضا، فقال: و لا يقصد يعنى زائر القبر الانتفاع بالميت فإنها بدعة، و ليس لأحد على وجه الأرض إلا لمحمد صلى الله تعالى عليه و سلم، نقل ذلك عنه الحافظ زين الدين الحسينى الدمياطى، ثم تعقبه بأن زيارة قبور الأنبياء و الصحابة و التابعين و العلماء و سائر المرسلين للبركة أثر معروف.

و قد قال حجة الإسلام الغزالى: كلّ من يتبرك بمشاهدته فى حياته يتبرك بزيارته بعد موته، و يجوز شد الرحال لهذا الغرض، انتهى.

و قد تكون الزيارة لأداء حق أهل القبور، و قد روى عن النبى صلى اللّه عليه و سلم أنه قال «آنس ما يكون الميت فى قبره إذا زاره من كان يحبه فى دار الدنيا» و سبق عن ابن عباس مرفوعا «ما من أحد يمر بقبر أخيه المؤمن يعرفه فى الدنيا فسلم عليه إلا عرفه ورد عليه السلام» و رأيت بخط الأقشهرى: روى بقىّ بن مخلد بسنده إلى محمد بن النعمان عن أبيه مرفوعا «من زار قبر أبويه فى كل جمعة أو أحدهما كتب بارا و إن كان فى الدنيا قبل ذلك بهما عاقا».

قال السبكى: و زيارة قبره صلى اللّه عليه و سلم فيها هذه المعانى الأربعة فلا يقوم غيرها مقامها.

و قد قال عبد الحق الصقلى عن أبى عمران المالكى، قال: إنما كره مالك أن يقال «زرنا قبر النبى صلى الله تعالى عليه و سلم» لأن الزيارة من شاء فعلها و من شاء تركها، و زيارة قبر النبى صلى الله تعالى عليه و سلم واجبة، قال عبد الحق: يعنى من السنن الواجبة، انتهى.

و اختار عياض أن كراهة مالك لذلك لإضافة الزيارة إلى القبر، و أنه لو قال «زرنا النبى صلى الله تعالى عليه و سلم» لم يكره؛ لحديث «اللهم لا تجعل قبرى وثنا يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» فحمى إضافة هذا اللفظ إلى القبر قطعا للذريعة.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۱۸۸

قال السبكى: و يشكل عليه حديث «من زار قبرى» إلا أن يكون لم يبلغ مالكا، أو لعله يقول: المحذور فى قول غيره صلى الله تعالى عليه و سلم، مع أن ابن رشد نقل عن مالك أنه قال: و أكره ما يقول الناس زرت النبى صلى الله تعالى عليه و سلم، و أعظم ذلك أن يكون النبى صلى الله تعالى عليه و سلم يزار.

قال ابن رشد: ما كره مالك هذا إلا من وجه أن كلمة أعلى من كلمة، فلما كانت الزيارة تستعمل فى الموتى و قد وقع من الكراهة ما وقع كره أن يذكر مثل ذلك فى النبى صلى الله تعالى عليه و سلم، و قيل: كرهه لأن المضى إلى قبره ليس ليصله بذلك و لا لينفعه، و إنما هو رغبة فى الثواب، انتهى ملخصا.

و الأخير هو المختار فى تأويل كلام مالك كما قاله السبكى، قال: و المختار عندنا أنه لا يكره إطلاق هذا اللفظ.

و يستدل أيضا بقوله تعالى: وَ لَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ الآية، على مشروعية السفر للزيارة و شدّ الرحال إليها، على ما سبق تقريره بشموله المجيء من قرب و من بعد، و بعموم قوله «من زار قبرى» و قوله فى الحديث الذى صححه ابن السكن «من جاءنى زائرا» و إذا ثبت أن الزيارة قربة فالسفر إليها كذلك، و قد ثبت خروج النبى صلى الله تعالى عليه و سلم من المدينة لزيارة قبور الشهداء، فإذا جاز الخروج للقريب جاز للبعيد، و حينئذ فقبره صلى الله تعالى عليه و سلم أولى، و قد انعقد الإجماع على ذلك؛ لإطباق السلف و الخلف عليه. و أما حديث «لا تشدوا الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد» فمعناه لا تشدوا الرحال إلى مسجد إلا إلى المساجد الثلاثة، إذ شدّ الرحال إلى عرفة لقضاء النسك واجب بالإجماع، و كذلك سفر الجهاد و الهجرة من دار الكفر بشرطه، و غير ذلك، و أجمعوا على جواز شد الرحال للتجارة و مصالح الدنيا.

و قد روى ابن شبة بسند حسن أن أبا سعيد يعنى الخدرى رضى الله تعالى عنه- ذكر عنده الصلاة فى الطور، فقال: قال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «لا ينبغى للمطىّ أن تشدّ رحالها إلى مسجد يبتغى فيه الصلاة غير المسجد الحرام و مسجدى هذا و المسجد الأقصى» فهذا الحديث صريح فيما ذكرناه، على أن فى شدّ الرحال لما سوى هذه المساجد الثلاثة مذاهب: نقل إمام الحرمين عن شيخه أنه أفتى بالمنع، قال: و ربما كان يقول: يكره، و ربما كان يقول: يحرم، و قال الشيخ أبو على: لا يكره و لا يحرم، و إنما أبان النبى صلى الله تعالى عليه و سلم أن القربة المقصودة فى قصد المساجد الثلاثة، و ما عداها ليس قربة.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۱۸۹

قال السبكى: و يمكن أن يقال: إن قصد بذلك التعظيم فالحق ما قاله الشيخ أبو محمد؛ لأنه تعظيم لما لم يعظمه الشرع، و إن لم يقصد مع عينه أمر آخر فهذا قريب من العبث؛ فيترجح ما قاله أبو على.

و ذهب الداودى إلى أن ما قرب من المساجد الفاضلة من المصر فلا بأس بإتيانه مشيا و ركوبا، استدل بمسجد قباء لأن شد الرحال لا يكون لما قرب غالبا، و نقل عياض أنه إنما يمنع إعمال المطىّ للناذر، و مذهبنا و مذهب الجمهور أنه لا يصح نذر ما سوى المساجد الثلاثة، و مذهب ليث بن سعد صحة ذلك مطلقا، و قال بعضهم: يلزم ما لم يكن شد رحل كمسجد قباء و هو قول محمد بن مسلمة المالكى.

و روى مالك عن عبد الله بن أبى بكر بن حزم أن عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهما سئل عمن جعل على نفسه مشيا إلى مسجد قباء و هو بالمدينة، فألزمه ذلك، و أمره أن يمشى، قال ابن حبيب فى الواضحة: فكذلك من نذر أن يمشى إلى مسجده الذى يصلى فيه مكتوبته، و ليس بلازمه فيما نأى عنه من المساجد لا ماشيا و لا راكبا. قال السبكى: هذا كله فى قصد المكان لعينه، أو قصد عبادة فيه تمكن فى غيره، أما قصده بغير نذر لغرض فيه كالزيارة و شبهها فلا يقول أحد فيه بتحريم و لا كراهة، مع أن السفر بقصد زيارة النبى صلى اللّه عليه و سلم غايته مسجد المدينة؛ لأنها إنما تكون فيه لمجاورته القبر الشريف، و غرض الزائر التبرك بالحلول فى ذلك المحل، و التسليم على من بذلك القبر الشريف، و تعظيم من فيه كما لو كان حيا بالحياة المألوفة فسافر إليه، و ليس القصد تعظيم بقعة القبر لعينها.

و قال الماوردى: قال أصحابنا عند ذكر من يلى أمر الحج: فإذا قضى الناس حجهم أمهلهم الأيام التى جرت عادتهم بها، فإذا رجعوا سار بهم على طريق مدينة رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، رعاية لحرمته، و قياما بحقوق طاعته، و ذلك و إن لم يكن من فروض الحج فهو من مندوبات الشرع المستحبة، و عبادات الحجيج المستحسنة، و قال القاضى الحسين: إذا فرغ من الحج فالسنة أن يقف بالملتزم و يدعو، قال: ثم يأتى المدينة، و يزور قبر النبى صلى الله تعالى عليه و سلم. و قال القاضى أبو الطيب: و يستحب أن يزور النبى صلى الله تعالى عليه و سلم بعد أن يحج و يعتمر، و قال المحاملى فى التجريد: و يستحب للحاج إذا فرغ من مكة أن يزور قبر النبى صلى اللّه عليه و سلم، و تقدم قول أبى حنيفة رضى الله تعالى عنه: الأحسن للحاج أن يبدأ بمكة، فإذا قضى نسكه مر بالمدينة إلى آخره.

و الحنفية قالوا: إن زيارة قبر النبى صلى الله تعالى عليه و سلم من أفضل المندوبات

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۱۹۰

و المستحبات، بل تقرب من درجة الواجبات، و كذلك نص عليه المالكية و الحنابلة، و أوضح السبكى نقولهم و سردها فى كتابه فى الزيارة، و لا حاجة إلى تتبع ذلك مع الإجماع عليه.

فإن قيل: روى عبد الرزاق أن الحسن بن الحسن بن على رضى الله تعالى عنهم رأى قوما عند القبر، فنهاهم، و قال: إن النبى صلى الله تعالى عليه و سلم قال «لا تتخذوا قبرى عيدا، و لا تتخذوا بيوتكم قبورا، و صلوا علىّ حيثما كنتم؛ فإن صلاتكم تبلغنى» و روى أبو يعلى عن على بن الحسين رضى الله تعالى عنهما، أنه رأى رجلا- يجئ إلى فرجة كانت عند قبر النبى صلى الله تعالى عليه و سلم فيدخل فيها فيدعوه، فنهاه، فقال: أ لا أحدثكم حديثا سمعته من أبى عن جدى عن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قال «لا تتخذوا قبرى عيدا، و لا بيوتكم قبورا، فإن تسليمكم يبلغنى أينما كنتم» و روى القاضى إسماعيل فى الصلاة على النبى صلى الله تعالى عليه و سلم عن سهل بن أبى سهيل قال: جئت أسلّم على النبى صلى اللّه عليه و سلم و حسن بن حسن رضى الله تعالى عنهما يتعشى، و بيته عند بيت النبى صلى الله تعالى عليه و سلم و فى رواية: رآنى الحسن بن الحسن رضى الله تعالى عنهما عند القبر، و هو فى بيت فاطمة رضى الله تعالى عنها يتعشى فقال: هلمّ إلى العشاء، فقلت: لا أريده، فقال:

مالى رأيتك عند القبر؟ و فى رواية: مالى رأيتك وقفت؟ قلت: وقفت أسلّم على النبى صلى اللّه عليه و سلم، فقال: إذا دخلت فسلم عليه و فى رواية «إذا دخلت المسجد فسلم عليه» ثم قال: إن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قال «لا تتخذوا بيتى عيدا، و لا بيوتكم مقابر الحديث» ثم قال: ما أنتم و من بالأندلس إلا سواء.

قلنا: روى القاضى إسماعيل أيضا فى فضل الصلاة على النبى صلى اللّه عليه و سلم بسنده إلى علىّ بن الحسين بن على رضى الله تعالى عنهم أن رجلا كان يأتى كل غداة؛ فيزور قبر النبى صلى الله تعالى عليه و سلم، و يصلى عليه، و يصنع من ذلك ما انتهره عليه على بن الحسين، فقال له على بن الحسين رضى الله تعالى عنهما: ما يحملك على هذا؟ قال:

أحب التسليم على النبى صلى الله تعالى عليه و سلم، فقال له على بن الحسين رضى الله تعالى عنهما، هل لك أن أحدثك حديثا عن

أبى؟ قال: نعم، قال له على بن الحسين رضى تعالى عنهما: أخبرنى أبى عن جدى أنه قال: قال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم «لا تجعلوا قبرى عيدا الحديث».

فهذا يبين أن ذلك الرجل زاد فى الحد، فيكون على بن الحسين رضى الله تعالى عنهما موافقا لما سيأتى عن مالك من كراهة الإكثار من الوقوف بالقبر، و ليس إنكارا

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۱۹۱

لأصل الزيارة، أو أنه أراد تعليمه أن السلام يبلغه مع الغيبة لما رآه يتكلف الإكثار من الحضور.

و على ما ذكرناه يحمل ما ورد عن حسن بن حسن رضى الله تعالى عنه، بدليل قوله «إذا دخلت فسلم عليه» و لأن يحيى الحسينى روى فى كتابه عن جعفر بن محمد بن علىّ بن الحسين عن أبيه عن جده أنه كان إذا جاء يسلم على النبى صلى الله تعالى عليه و سلم وقف عند الأسطوانة التى تلى الروضة، ثم يسلم، ثم يقول: هاهنا رأس رسول الله صلى اللّه عليه و سلم.

قال المطرى و غيره: و هذا موقف السلف قبل إدخال الحجر فى المسجد. و سبق فى الكلام على المسمار المواجه للوجه الشريف بيان الموضع الذى كان يقف عنده على بن الحسين من جهة الوجه الشريف أيضا، و قال يحيى فى أخبار المدينة له: حدثنا هرون بن موسى الفروى قال: سمعت جدى أبا علقمة يسأل: كيف كان الناس يسلّمون على النبى صلى الله تعالى عليه و سلم قبل أن يدخل البيت فى المسجد؟ فقال: كان يقف الناس على باب البيت يسلمون عليه، و كان الباب ليس عليه غلق، حتى هلكت عائشة رضى الله تعالى عنها.

قلت: و كيف يتخيل فى أحد من السلف المنع من زيارة المصطفى صلى الله تعالى عليه و سلم، و هم مجمعون على زيارة سائر الموتى، فضلا عن زيارته صلى الله تعالى عليه و سلم؟ و ما روى عن إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى أنه قال «ما رأيت أبى قط يأتى قبر النبى صلى الله تعالى عليه و سلم، و كان يكره إتيانه» محمول على تقدير صحته على ما سيأتى عن مالك من كراهة الوقوف بالقبر لمن لم يقدم من سفر.

و قوله صلى اللّه عليه و سلم: «لا تجعلوا قبرى عيدا» قال الحافظ المنذرى: يحتمل أن يكون المراد به الحث على كثرة زيارة قبره صلى الله تعالى عليه و سلم، و أن لا يهمل حتى لا يزار إلا فى بعض الأوقات كالعيد الذى لا يأتى فى العام إلا مرتين، قال: و يؤيده قوله «لا تجعلوا بيوتكم قبورا» أى لا- تتركوا الصلاة فيها حتى تجعلوها كالقبور التى لا يصلى فيها، قال السبكى: و يحتمل أن يكون المراد لا تتخذوا له وقتا مخصوصا لا تكون الزيارة إلا فيه، و يحتمل أيضا أن يراد لا تتخذوه كالعيد فى العكوف عليه و إظهار الزينة و الاجتماع و غير ذلك مما يعمل فى الأعياد، بل لا يأتى إلا للزيارة و السلام و الدعاء ثم ينصرف عنه.

قلت: و قد كانت الصحابة رضى الله تعالى عنهم يقصدون النبى صلى اللّه عليه و سلم قبل وفاته للزيارة، و هو صلى الله تعالى عليه و سلم حى الدارين، بل روى أحمد بإسنادين أحدهما

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۱۹۲

برجال الصحيح عن يعلى بن مرة من حديث قال فيه: ثم سرنا فنزلنا منزلا، فنام النبى صلى الله تعالى عليه و سلم، فجاءت شجرة تشق الأرض حتى غشيته ثم رجعت إلى مكانها، فلما استيقظ ذكرت له، فقال: هى شجرة استأذنت ربها عز و جل أن تسلم على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فأذن لها. فإذا كان هذا حال شجرة فكيف بالمؤمن المأمور بتعظيم هذا النبى الكريم صلى الله تعالى عليه و سلم الممتلئ بالشوق إليه؟ و حديث حنين الجذع تقدم ذكره فى محله. و قال القاضى ابن كج من أصحابنا: إذا نذر أن يزور قبر النبى صلى الله تعالى عليه و سلم فعندى يلزمه الوفاء وجها واحدا، و إذا نذر أن يزور قبر غيره ففيه وجهان. قال السبكى: لم ير لغيره من أصحابنا خلافه، و القطع بذلك هو الحق؛ للأدلة الخاصة فى ذلك، و من يشترط فى النذر أن يكون مما وجب جنسه بالشرع و يقول «إن الاعتكاف كذلك؛ لوجوب الوقوف» فقد يقول: إن زيارة رسول الله صلى اللّه عليه و سلم وجب جنسها و هى الهجرة إليه فى حياته.

و وجه الخلاف فى قبر غيره تشبيهه بزيارة القادمين و إفساد السلام و نحو ذلك مما لم يوضع قربة مقصودة و إن كان قربة من حيث ترغيب الشرع فيه لعموم فائدته، و على هذا يكون الأصح لزومه بالنذر كما فى تلك المسائل.

و قال العبدى من المالكية فى شرح الرسالة: و أما النذر للمشى إلى المسجد لحرام و المشى إلى مكة فله أصل فى الشرع و هو الحج و العمرة، و المشى إلى المدينة لزيارة قبر النبى صلى اللّه عليه و سلم أفضل من الكعبة و من بيت المقدس، و ليس عنده حج و لا عمرة، فإذا نذر المشى إلى هذه الثلاثة لزمه، فالكعبة متفق عليها، و يختلف أصحابنا و غيرهم فى المسجدين الآخرين، قال السبكى: و الخلاف الذى أشار إليه فى نذر إتيان المسجدين الآخرين لا فى الزيارة.

و فى كتاب تهذيب الطالب لعبد الحق: رأيت فى بعض المسائل التى سئل عنها الشيخ أبو محمد بن أبى زيد، قيل له فى رجل استؤجر بمال ليحج به و شرطوا عليه الزيارة، فلم يستطع تلك السنة أن يزور لعذر منعه من ذلك. قال: يردّ من الأجرة بقدر مسافة الزيارة، قال الحاكى لذلك عنه: و قال غيره من شيوخنا: عليه أن يرجع ثانية حتى يزور، و قال ابن عبد الحق: انظر، إن استؤجر للحج لسنة بعينها فهاهنا يسقط من الأجرة ما يخص الزيارة، و إن استؤجر على حجة مضمونة فى ذمته فهاهنا يرجع و يزور، و قد اتفق النقلان، قال السبكى: و هذا فرع حسن، و الذى ذكره أصحابنا أن الاستئجار على الزيارة لا يصح؛ لأنه عمل غير مضبوط و لا مقدر بشرع، و الجعالة إن وقعت على نفس الوقوف لم يصح أيضا؛

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۱۹۳

لأن ذلك مما لا يصح فيه النيابة عن الغير، و إن وقعت الجعالة على الدعاء عند قبر النبى صلى اللّه عليه و سلم كانت صحيحة؛ لأن الدعاء مما يصح النيابة فيه، و الجهل بالدعاء فيه لا يبطلها، قاله الماوردى فى الحاوى.

قال السبكى: و بقى قسم ثالث لم يذكره، و هو إبلاغ السلام، و لا شك فى جواز الإجارة و الجعالة عليه كما كان عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه يفعل، و أن الظاهر أن مراد المالكية هذا، و إلا فمجرد الوقوف من الأجير لا يحصل للمستأجر غرضا، انتهى.

و ذكر الديلمى فى التقفية: أن حاصل ما فى مسألة الاستئجار للزيارة ثلاثة أوجه للأصحاب: أصحها فيما حكاه ابن سراقة فى مختصره جواز ذلك، و اختاروه الإمام محمد بن أبى بكر الأصبحى صاحب الإيضاح و المفتاح و أفتى به، و الثانى لا يجوز، و به قطع الماوردى، قال: لأنه عمل غير مضبوط، و الثالث و به قال الإمام علىّ بن قاسم الحكمى، و اختاره صاحب الأصبحى أنه يا بنى على ما إذا حلف لا يكلم فلانا فكاتبه أو راسله، و الصحيح عند الأكثرين أنه لا يحنث، فلا يصح الاستئجار، و إن قلنا يحنث صح الاستئجار.

قلت: و هذا البناء ضعيف؛ لأن مبنى الأيمان على العرف، و أما ذلك فقربة مقصودة كما أن المكاتبة و المراسلة يحصل بهما التودد و الصّلة، و إن لم يسم كلاما، و الله سبحانه و تعالى أعلم.

الفصل الثالث فى توسّل الزائر،

اشارة

و تشفعه به صلى الله تعالى عليه و سلم إلى ربه تعالى، و استقباله صلى اللّه عليه و سلم فى سلامه و توسله و دعائه.

اعلم أن الاستغاثة و التشفع بالنبى صلى اللّه عليه و سلم و بجاهه و بركته إلى ربه تعالى من فعل الأنبياء و المرسلين، و سير السلف الصالحين، واقع فى كل حال، قبل خلقه صلى الله تعالى عليه و سلم و بعد خلقه، فى حياته الدنيوية و مدة البرزخ و عرصات القيامة.

الحال الأول:

ورد فيه آثار عن الأنبياء صلوات الله و سلامه عليهم، و لنقتصر على ما رواه جماعة منهم الحاكم و صحح إسناده عن عمر بن الخطاب

رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم «لما اقترف آدم الخطيئة قال: يا رب أسألك بحق محمد لما غفرت لى، فقال الله: يا آدم و كيف عرفت محمدا و لم أخلقه؟ قال: يا رب لأنك لما خلقتنى بيدك و نفخت فيّ من روحك رفعت رأسى فرأيت على قوائم العرش مكتوبا: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، فعرفت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحبّ الخلق إليك، فقال الله

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۱۹۴

تعالى: صدقت يا آدم إنه لأحبّ الخلق إلىّ، إذ سألتنى بحقه فقد غفرت لك، و لو لا محمد ما خلقتك» رواه الطبرانى و زاد «و هو آخر الأنبياء من ذريتك».

قال السبكى: و إذا جاز السؤال بالأعمال كما فى حديث الغاز الصحيح و هى مخلوقة فالسؤال بالنبى صلى الله تعالى عليه و سلم أولى، و فى العادة أن من له عند شخص قدر فتوسل به إليه فى غيبته فإنه يجيب إكراما للمتوسّل به، و قد يكون ذكر المحبوب أو المعظم سببا للإجابة، و لا فرق فى هذا بين التعبير بالتوسل أو الاستغاثة أو التشفع أو التوجه، و معناه التوجه به فى الحاجة، و قد يتوسل بمن له جاء إلى من هو أعلى منه.

الحال الثانى:

التوسل به صلى اللّه عليه و سلم بعد خلقه فى مدة حياته فى الدنيا. منه ما رواه جماعة منهم النسائى و الترمذى فى الدعوات من جامعه عن عثمان بن حنيف أن رجلا ضرير البصر أتى النبى صلى الله تعالى عليه و سلم فقال: ادع الله لى أن يعافينى، قال: إن شئت دعوت و إن شئت صبرت فهو خير لك، قال: فادعه، فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه و يدعو بهذا الدعاء: اللهم إنى أسألك و أتوجه إليك بنبيك محمد نبى الرحمة، يا محمد إنى توجهت بك إلى ربى فى حاجتى لتقضى لى، اللهم شفعه فيّ. قال الترمذى. حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، و صححه البيهقى، و زاد: فقام و قد أبصر، و فى رواية: ففعل الرجل فبرأ.

الحال الثالث:

التوسل به صلى الله تعالى عليه و سلم بعد وفاته، روى الطبرانى فى الكبير عن عثمان بن حنيف المتقدم أن رجلا كان يختلف إلى عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه فى حاجة له، و كان لا يلتفت إليه و لا ينظر فى حاجته، فلقى ابن حنيف فشكا إليه ذلك، فقال له ابن حنيف: ائت الميضأة فتوضأ، ثم ائت المسجد فصل ركعتين، ثم قل: اللهم إنى أسألك و أتوجه إليك بنبينا محمد صلى الله تعالى عليه و سلم نبى الرحمة، يا محمد إنى أتوجه بك إلى ربك أن تقضى حاجتى، و تذكر حاجتك، فانطلق الرجل فصنع ما قال، ثم أتى باب عثمان، فجاءه البواب حتى أخذ بيده، فأدخل على عثمان رضى الله تعالى عنه، فأجلسه معه على الطّنفسة، فقال: حاجتك، فذكر حاجته و قضاها له ثم قال له: ما ذكرت حاجتك حتى كانت الساعة، و قال: ما كانت لك من حاجة فاذكرها، ثم إن الرجل خرج من عنده فلقى ابن حنيف فقال له: جزاك الله خيرا، ما كان ينظر فى حاجتى و لا يلتفت إلى حتى كلمته فيّ، فقال ابن حنيف: و الله ما كلمته و لكن شهدت رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و أتاه ضرير فشكا إليه ذهاب بصره، فقال له النبى صلى اللّه عليه و سلم: إن شئت دعوت أو تصبر، فقال: يا رسول الله إنه ليس لى قائد و قد شق علىّ، فقال له النبى صلى الله تعالى عليه

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۱۹۵

و سلم: ائت الميضأة فتوضأ، ثم صل ركعتين، ثم ادع بهذه الدعوات، قال ابن حنيف فو الله ما تفرقنا، و طال بنا الحديث حتى دخل علينا الرجل كأنه لم يكن به ضر قط، و رواه البيهقى من طريقين بنحوه.

قال السبكى: و الاحتجاج من هذا الأثر بفهم عثمان و من حضره الذين هم كانوا أعلم بالله و رسوله و بفعلهم.

قلت: و قد سبق فى قبر فاطمة بنت أسد رضى الله تعالى عنها قوله صلى الله تعالى عليه و سلم فى دعائه إليها «بحق نبيك و الأنبياء الذين من قبلى» و أن فى سنده روح بن صلاح وثقه ابن حبان و الحاكم و فيه ضعف، و بقية رجاله رجال الصحيح، و فيه دلالة ظاهرة للحال الثانى بالنسبة إليه صلى الله تعالى عليه و سلم، و كذا للحال الثالث، لقوله صلى اللّه عليه و سلم «الأنبياء الذين من قبلى».

و قد يكون التوسل به صلى اللّه عليه و سلم بعد الوفاة بمعنى طلب أن يدعو كما كان فى حياته، و ذلك فيما رواه البيهقى من طريق الأعمش عن أبى صالح عن مالك الدار، و رواه ابن أبى شيبة بسند صحيح عن مالك الدار، قال: أصاب الناس قحط فى زمان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه، فجاء رجل إلى قبر النبى صلى الله تعالى عليه و سلم فقال: يا رسول الله، استسق الله لأمتك فإنهم قد هلكوا، فأتاه رسول الله صلى الله تعالى عليه و سلم فى المنام فقال: ائت عمر فاقرئه السلام و أخبره أنهم مسقون، و قل له: عليك الكيس الكيس، فأتى الرجل عمر رضى الله تعالى عنه فأخبره، فبكى عمر رضى الله تعالى عنه ثم قال: يا رب ما آلو إلا ما عجزت عنه.

و روى سيف فى الفتوح أن الذى رأى المنام المذكور بلال بن الحارث المزنى أحد الصحابة رضى الله تعالى عنهم.

و محل الاستشهاد طلب الاستسقاء منه صلى الله تعالى عليه و سلم و هو فى البرزخ و دعاؤه لربه فى هذه الحالة غير ممتنع، و علمه بسؤال من يسأله قد ورد، فلا مانع من سؤال الاستسقاء و غيره منه كما كان فى الدنيا.

و سبق فى الفصل الحادى و العشرين من الباب الرابع ما رواه أبو الجوزاء قال: قحط أهل المدينة قحطا شديدا فشكوا إلى عائشة رضى الله تعالى عنها، فقالت: فانظروا إلى قبر النبى صلى الله تعالى عليه و سلم، فاجعلوا بينه كوّة إلى السماء حتى لا يكون بينه و بين السماء سقف، ففعلوا، فمطروا الخبر المتقدم.

و قد يكون التوسل به صلى الله تعالى عليه و سلم بطلب ذلك الأمر منه، بمعنى أنه

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۱۹۶

صلى الله تعالى عليه و سلم قادر على التسبب فيه بسؤاله و شفاعته إلى ربه فيعود إلى طلب دعائه و إن اختلفت العبارة. و منه قول القائل له: أسألك مرافقتك فى الجنة الحديث، و لا يقصد به إلا كونه صلى الله تعالى عليه و سلم سببا و شافعا.

الحال الرابع:

التوسل به صلى الله تعالى عليه و سلم فى عرصات القيامة فيشفع إلى ربه تعالى، و ذلك مما قام الإجماع عليه و تواردت به الأخبار. و روى الحاكم و صححه عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال: أوحى الله إلى عيسى: يا عيسى آمن بمحمد و أمر من أدركته من أمتك أن يؤمنوا به، فلولا- محمد ما خلقت آدم، و لو لا- أنى خلقت محمدا ما خلقت الجنة و النار، و لقد خلقت العرش على الماء فاضطرب، فكتبت عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله فسكن.

قلت: فكيف لا يستشفع، و لا يتوسل بمن له هذا المقام و الجاه عند مولاه؟ بل يجوز التوسل بسائر الصالحين كما قاله السبكى، و إن نقل بعضهم عن ابن عبد السلام ما يقتضى أن سؤال الله بعظيم من خلقه ينبغى أن يكون مقصورا على نبينا صلى الله تعالى عليه و سلم.

و قد روى ابن النعمان فى مصباح الظلام قصة استسقاء عمر رضى الله تعالى عنه بالعباس عم رسول الله صلى الله عليه و تعالى و سلم نحو ما فى الصحيح، و أن الحافظ أبا القاسم هبة الله بن الحسن رواها من طرق، و فى بعضها عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه قال: كان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه إذا قحط استسقى بالعباس بن عبد المطلب رضى الله تعالى عنه، و يقول: اللهم إنا كنا إذا قحطنا توسلنا إليك بنبينا فتسقينا، و إنا نتوسل إليك بعم نبينا صلى الله تعالى عليه و سلم فاسقنا، قال: فيسقون.

و فى رواية له عن ابن عباس أن عمر رضى الله تعالى عنهم قال: اللهم إنا نستسقيك بعم نبيك صلى اللّه عليه و سلم، و نستشفع إليك بشيبته، فسقوا و فى ذلك يقول عباس بن عتبة بن أبى لهب:

بعمى سقى الله الحجاز و أهله عشية يستسقى بشيبته عمر

و روى أن العباس رضى الله تعالى عنه قال فى دعائه: و قد توجه بى القوم إليك لمكانى من نبيك صلى الله تعالى عليه و سلم.

و قال عياض فى الشفاء بسند جيد عن ابن حميد أحد الرواة عن مالك فيما يظهر قال:

ناظر أبو جعفر أمير المؤمنين مالكا فى مسجد رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، فقال مالك: يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك فى هذا المسجد فإن الله تعالى أدّب قوما فقال: لا تَرْفَعُوا أَصْواتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِي [الحجرات: ۲] الآية، و مدح قوما فقال: إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۱۹۷

أَصْواتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ [الحجرات: ۳] الآية، و ذم قوما فقال: (إِنَّ الَّذِينَ يُنادُونَكَ مِنْ وَراءِ الْحُجُراتِ) الآية، و إن حرمته ميتا كحرمته حيا، فاستكان لها أبو جعفر، فقال: يا أبا عبد الله أستقبل القبلة و أدعو أم أستقبل رسول الله صلى الله تعالى و سلم؟ فقال: لم تصرف وجهك عنه و هو وسيلتك و وسيلة أبيك آدم عليه السلام إلى الله يوم القيامة؟ بل استقبله و استشفع به، فيشفعك الله تعالى قال الله تعالى: وَ لَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ [النساء: ۶۴] الآية.

فانظر هذا الكلام من مالك، و ما اشتمل عليه من أمر الزيارة و التوسل بالنبى صلى اللّه عليه و سلم و استقباله عند الدعاء، و حسن الأدب التام معه.

و قال أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن الحسين السامرى الحنبلى فى المستوعب:

باب زيارة قبر النبى صلى الله تعالى عليه و سلم، و ذكر آداب الزيارة، و قال: ثم يأتى حائط القبر فيقف ناحيته، و يجعل القبر تلقاء وجهه، و القبلة خلف ظهره، و المنبر عن يساره، و ذكر كيفية السلام و الدعاء. منه: اللهم إنك قلت فى كتابك لنبيك عليه السلام وَ لَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُكَ الآية، و إنى قد أتيت نبيك مستغفرا، فأسألك أن توجب لى المغفرة كما أوجبتها لمن أتاه فى حياته، اللهم إنى أتوجه إليك بنبيك صلى اللّه عليه و سلم، و ذكر دعاء طويلا.

و قال أبو منصور الكرمانى من الحنفية: إن كان أحد أوصاك بتبليغ التسليم تقول:

السلام عليك يا رسول الله من فلان بن فلان، يستشفع بك إلى ربك بالرحمة و المغفرة فاشفع له.

و قال عياض: قال مالك فى رواية ابن وهب: إذا سلم على النبى صلى اللّه عليه و سلم و دعا يقف و وجهه إلى القبر لا إلى القبلة، و يدنو، و يسلم و لا يمس القبر بيده، و فى رواية نقلها عياض عن المبسوط أنه قال: لا أرى أن يقف عند القبر يدعو، لكن يسلم و يمضى.

قلت: و هى مخالفة أيضا لما تقدم فى مناظرة المنصور لمالك، و كذا لما نقله ابن المواز فى الحج فيما جاء فى الوداع، فإنه قال: قيل لمالك: فالذى يلتزم أ ترى له أن يتعلق بأستار الكعبة عند الوداع؟ قال: لا، و لكن يقف و يدعو، قيل له: و كذلك عند قبر النبى صلى الله تعالى عليه و سلم؟ قال: نعم، انتهى. و حمل بعضهم رواية المبسوط على من لم يؤمن منه سوء الأدب فى دعائه عند القبر.

نقل ابن يونس المالكى عن ابن حبيب فى باب فرائض الحج و دخول المدينة أنه قال:

ثم اقصد إذا قضيت ركعتيك إلى القبر من وجاه القبلة، فادن منه و سلم على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، و أثن عليه و عليك السكينة و الوقار، فإنه صلى اللّه عليه و سلم يسمع و يعلم وقوفك بين يديه، و تسلم على أبى بكر و عمر و تدعو لهما.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۱۹۸

و قال النووى فى رءوس المسائل: عن الحافظ أبى موسى الأصبهانى أنه روى عن مالك أنه قال: إذا أراد الرجل أن يأتى قبر النبى صلى اللّه عليه و سلم فيستدبر القبلة، و يستقبل النبى صلى اللّه عليه و سلم، و يصلى عليه و يدعو.

و قال إبراهيم الحربى فى مناسكه: تولى ظهرك القبلة، و تستقبل وسطه- يعنى القبر-.

و روى أبو القاسم طلحة بن محمد فى مسند أبى حنيفة بسنده عن أبى حنيفة قال: جاء أيوب السختيانى فدنا من قبر النبى صلى الله تعالى عليه و سلم، فاستدبر القبلة، و أقبل بوجهه إلى القبر، و بكى بكاء غير متباك.

و قال المجد اللغوى: روى عن الإمام الجليل أبى عبد الرحمن عبد الله بن المبارك قال: سمعت أبا حنيفة يقول: قدم أيوب السختيانى و أنا بالمدينة فقلت: لأنظرنّ ما يصنع، فجعل ظهره مما يلى القبلة و وجهه مما يلى وجه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، و بكى غير متباك، فقام مقام رجل فقيه.

قلت: فهذا يخالف ما ذكره أبو الليث السمرقندى فى الفتاوى عطفا على حكاية حكاها الحسن بن زياد عن أبى حنيفة من أن المسلّم على النبى صلى الله تعالى عليه و سلم يستقبل القبلة، و قال السروجى الحنفى: يقف عندنا مستقبل القبلة، قال الكرمانى الحنفى منهم: و يقف عند رأسه و يكون وقوفه بين المنبر و القبر مستقبل القبلة.

و عن أصحاب الشافعى و غيره: يقف و ظهره إلى القبلة و وجهه إلى الحظيرة، و هو قول ابن حنبل، انتهى.

و قال محقق الحنفية الكمال بن الهمام: إن ما نقل عن أبى الليث من أنه يقف مستقبل القبلة مردود بما روى أبو حنيفة فى مسنده عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما، قال: من السنة أن تأتى قبر رسول الله صلى الله تعالى عليه و سلم من قبل القبلة، و تجعل ظهرك إلى القبلة، و تستقبل القبر بوجهك، ثم تقول: السلام عليك أيها النبى الكريم و رحمة الله و بركاته.

و قال ابن جماعة فى منسكه الكبير: و مذهب الحنفية أنه يقف للسلام و الصلاة عليه صلى اللّه عليه و سلم عند الرأس المقدس بحيث يكون عن يساره، و يبعد عن الجدار قدر أربعة أذرع، ثم يدور إلى أن يقف قبالة الوجه المقدس مستدبر القبلة، فيسلم و يصلى عليه صلى اللّه عليه و سلم. و شذ الكرمانى من الحنفية فقال: إنه يقف للسلام عليه صلى اللّه عليه و سلم مستدبر القبر المقدس مستقبل القبلة، و تبعه بعضهم، و ليس بشىء، فاعتمد على ما نقلته، انتهى.

و اعتمد السبكى ما تقدم من نسبة ما قاله الكرمانى للحنفية، قال: و استدلوا بأن ذلك

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۱۹۹

جمع بين العبارتين، قال: و قول أكثر العلماء هو الأحسن: فإن الميت يعامل معاملة الحى، و الحى يسلم عليه مستقبلا، فكذلك الميت، و هذا لا ينبغى أن يتردد فيه، انتهى.

و ذكر المطرى أن السلف كانوا إذا أرادوا السلام على النبى صلى الله تعالى عليه و سلم قبل إدخال الحجرات فى المسجد وقفوا فى الروضة مستقبلين السارية التى فيها الصندوق الخشب، أى لكونها فى جهة الرأس الشريف، مستدبرين الروضة و أسطوان التوبة. و تقدم من رواية يحيى عن زين العابدين على بن الحسين أنه كان يفعل نحو ذلك، و روى يحيى بسند جيد عن أبى علقمة الغروى الكبير قال: كان الناس قبل أن يدخل البيت فى المسجد يقفون على باب البيت يسلمون.

قلت: و ذلك لتعذر استقبال الوجه الشريف حينئذ، و لذا قال المطرى: فلما أدخل بيت رسول الله صلى الله تعالى عليه و سلم فى المسجد و أدخلت حجرات أزواجه رضوان الله عليهن وقف الناس مما يلى وجه النبى صلى الله تعالى عليه و سلم، و استدبروا القبلة للسلام عليه، فاستدبار القبلة فى الحالة مستحب كما فى خطبة الجمعة و العيدين و سائر الخطب المشروعة كما قاله ابن عساكر فى التحفة.

و روى ابن زبالة عن سلمة بن وردان قال: رأيت أنس بن مالك رضى الله تعالى عنهما إذا سلم على النبى صلى الله تعالى عليه و سلم يأتى فيقوم أمامه. و فى كلام أصحابنا أن الزائر يستقبل الوجه الشريف فى السلام و الدعاء و التوسل، ثم يقف بعد ذلك مستقبل القبلة و القبر عن يسار و المنبر عن يمينه فيدعو أيضا كما سنشير إليه.

خاتمة: فى نبذ مما وقع لمن استغاث بالنبى ص أو طلب منه شيئا عند قبره،

فأعطى مطلوبه و نال مرغوبه، مما ذكره الإمام محمد بن موسى بن النعمان فى كتابة «مصباح الظلام، فى المستغيثين بخير الأنام».

فمن ذلك ما قال: اتفق الجماعة من علماء سلف هذه الأمة من أئمة المحدّثين و الصوفية و العلماء بالله المحققين، قال محمد بن

المنكدر: أودع رجل أبى ثمانين دينارا و خرج للجهاد، و قال لأبى: إن احتجت أنفقها إلى أن أعود، و أصاب الناس جهد من الغلاء، فأنفق أبى الدنانير، فقدم الرجل و طلب ماله، فقال له أبى: عد إلىّ غدا، و بات فى المسجد يلوذ بقبر النبى صلى الله تعالى عليه و سلم مرة و بمنبره مرة، حتى كاد أن يصبح، يستغيث بقبر النبى صلى الله تعالى عليه و سلم، فبينما هو كذلك و إذا بشخص فى الظلام يقول: دونكها يا أبا محمد، فمد أبى يده فإذا هو بصرّة فيها ثمانون دينارا، فلما أصبح جاء الرجل فدفعها إليه.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۲۰۰

و قال الإمام أبو بكر بن المقرئ: كنت أنا و الطبرانى و أبو الشيخ فى حرم رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، و كنا على حالة، و أثّر فينا الجوع، و واصلنا ذلك اليوم، فلما كان وقت العشاء حضرت قبر النبى صلى الله تعالى عليه و سلم فقلت: يا رسول الله الجوع، و انصرفت، فقال لى أبو القاسم: اجلس، فإما أن يكون الرزق أو الموت، قال أبو بكر: فقمت أنا و أبو الشيخ و الطبرانى جالس ينظر فى شىء، فحضر بالباب علوى، فدقّ ففتحنا له، فإذا معه غلامان مع كل واحد زنبيل فيه شىء كثير، فجلسنا و أكلنا و ظننا أن الباقى يأخذه الغلام، فولى و ترك عندنا الباقى، فلما فرغنا من الطعام قال العلوى: يا قوم أ شكوتم إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه و سلم؟ فإنى رأيت رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فى المنام فأمرين أن أحمل بشىء إليكم.

و قال ابن الجلاد: دخلت مدينة النبى صلى الله تعالى عليه و سلم و بى ناقة، فتقدمت إلى القبر و قلت: ضيفك، فغفوت فرأيت النبى صلى الله تعالى عليه و سلم، فأعطانى رغيفا، فأكلت نصفه، و انتبهت و بيدى النصف الآخر.

و قال أبو الخير الأقطع: دخلت مدينة النبى صلى الله تعالى عليه و سلم و أنا بفاقة، فأقمت خمسة أيام ما ذقت ذواقا، فتقدمت إلى القبر، و سلمت على النبى صلى الله تعالى عليه و سلم و على أبى بكر و عمر، و قلت: أنا ضيفك يا رسول الله، و تنحّيت و نمت خلف القبر، فرأيت فى المنام النبى صلى الله تعالى عليه و سلم و أبو بكر عن يمينه و عمر عن شماله و على بن أبى طالب بين يديه، فحركنى علىّ و قال: قم، قد جاء رسول الله صلى الله تعالى عليه و سلم، فقمت إليه و قبلت بين عينيه، فدفع إلىّ رغيفا، فأكلت نصفه، و انتبهت فإذا فى يدى نصف رغيف.

و قال أبو عبد الله محمد بن أبى زرعة الصوفى: سافرت مع أبى و مع أبى عبد الله بن خفيف إلى مكة، فأصابتنا فاقة شديدة، فدخلنا مدينة الرسول صلى الله تعالى عليه و سلم، و بتنا طاوين، و كنت دون البلوغ، فكنت أجئ إلى أبى غير دفعة و أقول: أنا جائع، فأتى أبى الحظيرة و قال: يا رسول الله أنا ضيفك الليلة، و جلس على المراقبة، فلما كان بعد ساعة رفع رأسه و كان يبكى ساعة و يضحك ساعة، فسئل عنه فقال: رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه و سلم فوضع فى يدى دراهم، و فتح يده، فإذا فيها دراهم، و بارك الله فيها إلى أن رجعنا إلى شيراز، و كنا ننفق منها.

و قال أحمد بن محمد الصوفى: تهت فى البادية ثلاثة أشهر، فانسلخ جلدى، فدخلت المدينة، و جئت إلى النبى صلى اللّه عليه و سلم فسلمت عليه و على صاحبيه ثم نمت فرأيته صلى اللّه عليه و سلم فى النوم

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۲۰۱

فقال لى: يا أحمد، جئت؟ قلت: نعم، و أنا جائع و أنا فى ضيافتك، قال: افتح كفيك، ففتحتهما فملأهما دراهم، فانتهت و هما مملوءتان، و قمت فاشتريت خبزا حواريا و فالوذجا، و أكلت، و قمت للوقت و دخلت البادية.

و ذكر الحافظ أبو القاسم بن عساكر فى تاريخه بسنده إلى أبى القاسم ثابت بن أحمد البغدادى، قال: إنه رأى رجلا بمدينة النبى صلى اللّه عليه و سلم أذن للصبح عند قبر النبى صلى اللّه عليه و سلم، فقال فيه:

الصلاة خير من النوم، فجاءه خادم من خدم المسجد فلطمه حين سمع ذلك، فبكى الرجل، و قال: يا رسول الله فى حضرتك يفعل بى هذا الفعل؟ ففلج الخادم، و حمل إلى داره فمكث ثلاثة أيام و مات.

قلت: و الواقعة التى نقلها ابن النعمان عن أبى بكر المقرئ رواها ابن الجوزى فى كتابه الوفاء بإسناده إلى أبى بكر المقرى، و بقية

الوقائع المذكورة ذكرها غيره أيضا.

و من ذلك ما ذكر ابن النعمان أنه سمعه ممن وقع له أو عنه بواسطة فقال: سمعت أبا إسحاق إبراهيم بن سعيد يقول: كنت بمدينة النبى صلى اللّه عليه و سلم و معى ثلاثة من الفقراء فأصابتنا فاقة، فجئت إلى النبى صلى اللّه عليه و سلم، فقلت: يا رسول الله ليس لنا شىء، و يكفينا ثلاثة أمداد من أى شىء كان، فتلقانى رجل فدفع إلىّ ثلاثة أمداد من التمر الطيب.

و سمعت الشريف أبا محمد عبد السلام بن عبد الرحمن الحسينى الفاسى يقول:

أقمت بمدينة النبى صلى اللّه عليه و سلم ثلاثة أيام لم أستطعم فيها، فأتيت عند منبره صلى اللّه عليه و سلم فركعت ركعتين و قلت: يا جدى جعت و أتمنى عليك ثردة، ثم غلبتنى عينى فنمت، فبينا أنا نائم و إذا برجل يوقظنى، فانتبهت فرأيت معه قدحا من خشب و فيه ثريد و سمن و لحم و أفاويه، فقال لى: كل، فقلت له: من أين هذا؟ فقال: إن صغارى لهم ثلاثة أيام يتمنون هذا الطعام، فلما كان اليوم فتح الله لى بشىء عملت به هذا، ثم نمت فرأيت رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فى النوم و هو يقول: إن أحد إخوانك تمنى على هذا الطعام فأطعمه منه.

و سمعت الشيخ أبا عبد الله محمد بن أبى الأمان يقول: كنت بمدينة النبى صلى اللّه عليه و سلم خلف محراب فاطمة رضى الله تعالى عنها، و كان الشريف مكثر القاسمى قائما خلف المحراب المذكور، فانتبه فجاء إلى النبى صلى اللّه عليه و سلم و عاد علينا متبسما، فقال له شمس الدين صواب خادم الضريح النبوى: فيم تبسمت؟ فقال: كانت بى فاقة، فخرجت من بيتى فأتيت بيت فاطمة رضى الله تعالى عنها، فاستغثت بالنبى صلى اللّه عليه و سلم و قلت: إنى جائع، فنمت فرأيت النبى صلى اللّه عليه و سلم فأعطانى قدح لبن فشربت حتى رويت، و هذا هو فبصق اللبن من فيه فى كفى، و شاهدناه من فيه.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۲۰۲

و سمعت عبد الله بن الحسن الدمياطى يقول: حكى لى الشيخ الصالح عبد القادر التنيسى بثغر دمياط قال: كنت أمشى على قاعدة الفقير، فدخلت إلى مدينة النبى صلى الله تعالى عليه و سلم، و سلمت على النبى صلى اللّه عليه و سلم، و شكوت له ضررى من الجوع، و اشتهيت عليه الطعام من البر و اللحم و التمر، و تقدمت بعد الزيارة للروضة فصليت فيها، و بت فيها، فإذا شخص يوقظنى من النوم، فانتبهت و مضيت معه، و كان شابا جميلا خلقا و خلقا، فقدم إلى جفنة ترید و عليها شاة و أطباق من أنواع التمر صيحانى و غيره و خبزا كثيرا من جملته خبز أقراص سويق النبق، فأكلت فملأ لى جرابى لحما و خبزا و تمرا، و قال:

كنت نائما بعد صلاة الضحى فرأيت النبى صلى الله تعالى عليه و سلم فى المنام و أمرنى أن أفعل لك هذا، و دلّنى عليك، و عرفنى مكانك بالروضة، و قال لى: إنك اشتهيت هذا و أردته.

و سمعت صديقى على بن إبراهيم البوصيرى يقول: سمعت عبد السلام بن أبى القاسم الصقلى يقول: حدثنى رجل ثقة نسى اسمه، قال: كنت بمدينة النبى صلى اللّه عليه و سلم، و لم يكن لى شىء، فضعفت، فأتيت إلى الحجرة و قلت: يا سيد الأولين و الآخرين، أنا رجل من أهل مصر ولى خمسة أشهر فى جوارك، و قد ضعفت، فقلت: أسأل الله و أسألك يا رسول الله أن يسخر لى من يشبعنى أو يخرجنى، ثم دعوت عند الحجرة بدعوات، و جلست عند المنبر فإذا برجل قد دخل الحجرة فوقف يتكلم بكلام، و يقول: يا جداه يا جداه، ثم جاء إلى و قبض على يدى و قال لى: قم، فقمت و صحبته، فخرج بى من باب جبريل، وعدا إلى البقيع و خرج منه فإذا بخيمة مضروبة و جارية و عبد، فقال لهما: قوما فاصنعا لضيفكما عيشه فقام العبد و جمع الحطب و أوقد النار، و قامت الجارية و طحنت و صنعت ملة، و شاغلنى بالحديث حتى أتت الجارية بالملة فقسمها نصفين و أتت الجارية بعكّة فيهما سمن فصبّ على الملة و أتت بتمر صيحانى فصنعها جيدا، و قال لى: كل، فأكلت شيئا قليلا، فصدرت، فقال لى: كل، فأكلت، ثم قال لى: كل، فقلت: يا سيدى لى أشهر لم آكل فيها حنطه، و لا أريد شيئا، فأخذ النصف الثانى و ضم ما فضل منى من الملة و أتى بمزود و صاعين من تمر فوضعهما فى المزود، و قال لى: ما اسمك؟ فقلت:

فلان، فقال: بالله عليك لا تعد تشكو إلى جدى فإنه يعز عليه ذلك، و من الساعة متى جعت يأتيك رزقك حتى يسبب الله لك من يخرجك، و قال للغلام: خذه و أوصله إلى حجرة جدى، فغدوت مع الغلام إلى البقيع، فقلت له: ارجع قد وصلت، فقال: يا سيدى الله الأحد ما أقدر أفارقك حتى أوصلك إلى الحجرة لئلا يعلم النبى صلى الله

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۲۰۳

تعالى عليه و سلم سيدى بذلك، فأوصلنى إلى الحجرة، و ودعنى و رجع، فمكثت آكل من الذى أعطانى أربعة أيام، ثم جعت بعد ذلك، فإذا بالغلام قد أتانى بطعام، ثم لم أزل كذلك كلما جعت أتانى بطعام حتى سبب الله لى جماعة خرجت معهم إلى ينبع.

و روى ابن النعمان أيضا بسنده إلى أبى العباس بن نفيس المقرئ الضرير قال: جعت بالمدينة ثلاثة أيام، فجئت إلى القبر و قلت: يا رسول الله، جعت، ثم نمت ضعيفا، فركضتنى جارية برجلها، فقمت إليها فقالت: أعزم، فقمت معها إلى دارها، فقدمت إلى خبز برّ و تمرا و سمنا و قالت: كل يا أبا العباس، قد أمرنى بهذا جدى صلى اللّه عليه و سلم، و متى جعت فأت إلينا.

قال أبو سليمان داود فى مصنفه فى الزيارة بعد روايته لذلك كله: إنه قد وقع فى كثير مما ذكر و أمثاله أن الذى يأمره صلى اللّه عليه و سلم فى ذلك إنما يكون من الذرية الشريفة، لا- سيما إذا كان المتناول طعاما؛ لأن من تمام جميل أخلاق الكرام إذا سئلوا القرى البداءة بأنفسهم، ثم بمن يكون منهم، فاقتضى خلقه الكريم أن إعطاء سائل القرى يكون منه و من ذريته الكريمة.

قلت: و الحكايات فى هذا الباب كثيرة، بل وقع لى شىء منها: أنى كنت بالمسجد النبوى عند قدوم الحاج المصرى للزيارة، و فى يدى مفتاح الخلوة التى فيها كتبى بالمسجد: فمر بى بعض علماء المصريين ممن كان يقرأ على بعض مشايخى، فسلمت عليه، فسألنى أن أمشى معه إلى الروضة الشريفة و أقف معه بين يدى النبى صلى الله تعالى عليه و سلم، ففعلت، ثم رجعت فلم أجد المفتاح، و تطلبته فى الأماكن التى مشيت إليها فلم أجده، و شق على ذهابه فى ذلك الوقت الضيق مع حاجتى إليه، فجئت إلى النبى صلى اللّه عليه و سلم و قلت: يا سيدى يا رسول الله، ذهب مفتاح الخلوة، و أنا محتاج إليه و أريده من بابك، ثم رجعت فرأيت شخصا قاصدا الخلوة، فظننته بعض من أعرفه، فمشيت إليه، فلم أجده إياه، و وجدت صغيرا لا أعرفه بقرب الخلوة بيده المفتاح، فقلت له: من أين لك هذا؟ فقال: وجدته عند الوجه الشريف، فأخذته منه.

و من هذا النوع ما اتفق لى فى سكناى تلك الخلوة فى ابتداء الأمر و غير ذلك مما يطول ذكره.

و أنشدت مرة بين يديه صلى اللّه عليه و سلم فى قضية أوذيت فيها قصيدة أولها:

يضام بحيكم يا عرب رامه نزيل أنتم صرتم مرامه

و يعدو من أعاديه عليه عداة صار قصدهم اهتضامه

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۲۰۴

و أنتم عز من ينمى إليكم و من أبوابكم حاز احترامه

و فى حرم بساحتكم مقيم فلا يبغى العراق و لا شامه

و حبكم تحكم فى حشاه و حبكم لذا أضحى غرامه

و ليس له ملاذ أو نصير يجرد دون نصرته حسامه

سواكم آل غالب الموالى حماة الجار إن لحقته ضامه

ليوث الحرب إن مدت حراب غيوث المحل إن يخلب غمامه

بحقكم و ذاك أجل حقّ له انتصروا فأنتم من تهامه

كرام مكرمون بخير رسل عظيم الجار موفيه ذمامه

و هى طويلة تزيد على ستين بيتا، و منها:

له حرم به كرم مفاض لساكنه فقد حاز الكرامة

به قد صار عندكم نزيلا و يرجو نصركم فيما أضامه

جواركم عدت فيه الأعادى عليه إذ رأوا منه الإقامة

بحضرتكم فلا يبغى انتقالا و لكن قد أطال لها التزامه

و كادوه بما لم يخف عنكم ليقصوا عن عراصكم خيامه

فأنجز لى رسول الله نصرى لتهنأ لى بذا الحرم الإقامه

و يكبت من عداتى شامتوهم و تعظم فى قلوبهم الندامة

فقد أملت جاهك يا ملاذى لذا و لكل هول فى القيامة

و حاشا أن تخيب لى رجاء و أنت الغوث من عرب برامه

كريم إن أضيم له نزيل فنصر الله يقدمه أمامه

و من عاداته نصرى و جبرى و عادة مثله أبدا مدامه

فرأيت عقب ذلك مناما يؤذن بالنصر العظيم، ثم رأيته فى اليقظة، و لله الحمد و المنة.

و قال الفقيه أبو محمد الإشبيلى فى مؤلفه فى فضل الحج: إنه نزل برجل من أهل غرناطة علة عجز عنها الأطباء و أيسوا من برتها، فكتب عنه الوزير أبو عبد الله محمد بن أبى الخصال كتابا إلى النبى صلى الله تعالى عليه و سلم يسأله فيه الشفاء لدائه و البرء مما نزل به، و ضمنه شعرا، و هو:

كتاب و قيذ من زمانة مستشف بقبر رسول الله أحمد يستشفى

لقد قدم قد قيّد الدهر خطوها فلم يستطع إلا الإشارة بالكف

و لما رأى الزوار يبتدرونه و قد عاقه عن ظعنه عائق الضعف

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۲۰۵

بكى أسفا و استودع الركب إذ غدا تحية صدق تفعم الركب بالعرف

فيا خاتم الرسل الشفيع لربه دعاء مهيض خاشع القلب و الطرف

عتيقك عبد الله ناداك ضارعا و قد أخلص النجوى و أيقن بالعطف

رجاك لضر أعجز الناس كشفه ليصدر داعيه بما جاء من كشف

لرجل رمى فيها الزمان فقصرت خطاه عن الصف المقدم فى الزحف

و إنى لأرجو أن تعود سوية بقدرة من يحيى العظام و من يشفى

فأنت الذى نرجو حيا و ميتا لصرف خطوب لا تريم إلى صرف

عليك سلام الله عدة خلقه و ما يقتضيه من مزيد و من ضعف

قال: فما هو إلا أن وصل الركب إلى المدينة، و قرئ على قبر النبى صلى الله تعالى عليه و سلم هذا الشعر، و برأ الرجل فى مكانه، فلما قدم الذى استودعه إياه وجده كأنه لم يصبه ضر قط.

الفصل الرابع فى آداب الزيارة و المجاورة، و هى كثيرة

منها الآداب المتعلقة بسفرها، و هى كما فى سائر الأسفار: من الاستخارة، و تجديد التوبة، و الخروج من المظالم، و استحلال المعاملين، و التوصية، و إرضاء من يتوجه إرضاؤه، و إطابة النفقة، و التوسعة فى الزاد على نفسه و رفيقه و جماله، و عدم المشاركة

فيه، و توديع الأهل و الإخوان و التماس أدعيتهم، و توديع المنزل بركعتين، و يقرأ بعد السلام آية الكرسى و لإيلاف قريش، ثم يدعو و يسأل الإعانة و التوفيق فى سائر أموره، و يقول:

اللهم أنت الصاحب فى السفر و الخليفة فى الأهل، اللهم إنى أعوذ بك من وعثاء السفر و كآبة المنظر و سوء المنقلب، اللهم اقبض لنا الأرض و هون علينا السفر، فإذا نهض من جلوسه قال: اللهم بك انتشرت، و إليك توجهت، و بك اعتصمت، اللهم أنت ثقتى و أنت رجائى، اللهم اكفنى ما أهمنى، و ما أهتم له، و ما أنت أعلم به منى، اللهم زودنى التقوى، و اغفر لى ذنبى، و وجهنى للخير حيثما توجهت.

و يستحب أن يتصدق عند الخروج من منزله بشىء و إن قل، و أن يحرص على رفيق موافق، راغب فى الخير، كاره للشر، إن نسى ذكره، و إن ذكر أعانه، إلى غير ذلك من آداب السفر.

و منها: إخلاص النية، و خلوص الطوية، فإنما الأعمال بالنيات، فينوى التقرب إلى الله تعالى بزيارة رسول الله صلى الله تعالى عليه و سلم.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۲۰۶

و يستحب أن ينوى مع ذلك التقرب بالمسافرة إلى مسجده صلى الله تعالى عليه و سلم، و شد الرحل إليه، و الصلاة فيه، كما قاله أصحابنا منهم ابن الصلاح و النووى، قال ابن الصلاح: و لا يلزم من هذا خلل فى زيارته على ما لا يخفى.

و نقل شيخ الحنفية الكمال بن الهمام من مشايخهم أنه ينوى مع زيارة القبر زيارة المسجد، ثم قال: إن الأولى عنده تجريد النية لزيارة قبره صلى اللّه عليه و سلم، ثم إن حصل له إذا قدم زيارة المسجد أو يستفتح فضل الله فى مرة أخرى ينويهما فيها؛ لأن ذلك زيادة تعظيمه و إجلاله صلى الله تعالى عليه و سلم، و ليوافق ظاهر قوله صلى الله تعالى عليه و سلم «لا تحمله حاجة إلا زيارتى» انتهى.

و فيه نظر؛ لأنه صلى اللّه عليه و سلم حث أيضا على قصد مسجده، ففى امتثاله تعظيمه أيضا.

و قوله «لا تحمله حاجة» أى لم يحث الشرع عليها، و قد لا يسمح له الزمان بزيارة المسجد، فليغتنم قصد ذلك مع الزيارة، بل ينوى أيضا الاعتكاف فيه و لو ساعة، و أن يعلّم فيه خيرا أو يتعلمه، و أن يذكر الله فيه و يذكر به.

و يستحب إكثار الصلاة و التسليم على النبى صلى اللّه عليه و سلم، و ختم القرآن إن تيسر، و الصدقة على جيرانه صلى اللّه عليه و سلم، و غير ذلك مما يستحب للزائر فعله؛ فينوى به التقرب أولا- ليثاب على القصد، فنية المؤمن خير من عمله، و ينوى اجتناب المعاصى و المكروهات حياء من الله و رسوله صلى الله تعالى عليه و سلم.

و منها: أن يكون دائم الأشواق إلى زيارة الحبيب الشفيع كل عام بالوصول إلى ذلك الجناب الرفيع؛ فالشوق إلى لقائه و طلب الوصول إلى فنائه من أظهر علامات الإيمان.

و أكثر وسائل الفوز يوم الفزع الأكبر بالأمن و الأمان، و ليزدد شوقا و صبابة و توقا، و كلما ازداد دنوا ازداد غراما و حنوا.

و منها: أن يقول إذا خرج من بيته: بسم الله، و توكلت على الله، و لا حول و لا قوة إلا بالله، اللهم إليك خرجت و أنت أخرجتنى، اللهم سلمنى و سلم منى، و ردّنى سالما فى دينى كما أخرجتنى، اللهم إنى أعوذ بك أن أضل أو أضلّ، أو أزل أو أزل، أو أظلم أو أظلم، أو أجهل أو يجهل علىّ، عزّ جارك و جل ثناؤك و تبارك اسمك و لا إله غيرك، و كذا يقول الدعاء المستحب لقاصد المسجد.

و منها: الإكثار فى المسير من الصلاة و التسليم على النبى صلى الله تعالى عليه و سلم، بل يستغرق أوقات فراغه فى ذلك و غيره من القربات.

و منها: أن يتتبع ما فى طريقه من المساجد و الآثار المنسوبة إلى النبى صلى الله تعالى عليه و سلم، فيحييها بالزيارة، و يتبرك بالصلاة فيها، و قد استقصيناها فيما سبق.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۲۰۷

و منها: إذا دنا من حرم المدينة و شاهد أعلامها و رباها و آكامها فليستحضر وظائف الخضوع و الخشوع مستبشرا بالهنا و بلوغ المنى، و إن كان على دابة حرّكها أو بعير أوضعه تباشرا بالمدينة، و لله در القائل:

قرب الديار يزيد شوق الواله لا سيما إن لاح نور جماله

أو بشّر الحادى بأن لاح النّقا و بدت على بعد رءوس جباله

فهناك عيل الصّبر من ذى صبوة و بدا الذى يخفيه من أحواله

و ليجتهد حينئذ فى مزيد الصلاة و السلام، و ترديد ذلك كلما دنا من الربا و الأعلام.

و لا بأس بالترجّل و المشى عند رؤية ذلك المحلّ الشريف و القرب منه، كما يفعله بعضهم؛ لأن وفد عبد القيس لما رأوا النبى صلى اللّه عليه و سلم نزلوا عن الرواحل، و لم ينكر عليهم، و تعظيمه بعد الوفاة كتعظيمه فى الحياة.

و قال أبو سليمان داود المالكى فى الانتصار: إن ذلك يتأكد فعله لمن أمكنه من الرجال، و إنه يستحب تواضعا لله تعالى و إجلالا لنبيه صلى الله تعالى عليه و سلم.

و حكى عياض فى الشفاء أن أبا الفضل الجوهرى لما ورد المدينة زائرا و قرب من بيوتها ترجّل باكيا منشدا:

و لمّا رأينا رسم من لم يدع لنا فؤادا لعرفان الرسوم و لا لبّا

نزلنا عن الأكوار نمشى كرامة لمن بان عنه أن نلمّ به ركبا

و منها: إذا بلغ حرم المدينة الشريفة فليقل بعد الصلاة و التسليم: اللهم هذا حرم رسول الله صلى الله تعالى عليه و سلم الذى حرمته على لسانه، و دعاك أن تجعل فيه من الخير و البركة مثلى ما هو فى حرم البيت الحرام، فحرمنى على النار، و آمنّى من عذابك يوم تبعث عبادك، و ارزقنى من بركاته ما رزقته أولياءك و أهل طاعتك، و وفقنى لحسن الأدب و فعل الخيرات و ترك المنكرات. ثم تشتغل بالصلاة و التسليم. و إن كان طريقه على ذى الحليفة فلا يجاوز المعرس حتى ينيخ به، و هو مستحب، كما قاله أبو بكر الخفاف فى كتاب الأقسام و الخصال و النووى و غيرهما.

و قال صاحب الطراز من المالكية: من آداب الزائر الغسل، و لباس أنظف الثياب.

و قال أبو عبد الله السامرى الحنبلى فى باب الزيارة من المستوعب: و إذا قدم مدينة الرسول صلى الله تعالى عليه و سلم استحبّ له أن يغتسل لدخولها.

و قال فى الإحياء: و ليغتسل قبل الدخول من بئر الحرة، و ليتطيب، و ليلبس أحسن ثيابه.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۲۰۸

و قال الكرمانى من الحنفية: فإن لم يغتسل خارج المدينة فليغتسل بعد دخولها.

و فى حديث قيس بن عاصم أنه لما قدم مع وفده أسرعوا هم بالدخول، و ثبت هو حتى أزال مهنته و آثار سفره و لبس ثيابه، و جاء على تؤدة و وقار، ثم أتى النبى صلى الله تعالى عليه و سلم، فرضى له ذلك و أثنى عليه بقوله «إن فيك لخصلتين يحبهما الله: الحلم، و الأناة».

و فى حديث المنذر بن ساوى التميمى أنه وفد من البحرين مع أناس، فذهبوا مع سلاحهم فسلموا على رسول الله صلى الله تعالى عليه و سلم، و وضع المنذر سلاحه و لبس ثيابا كانت معه و مسح لحيته بدهن، فأتى نبى الله صلى اللّه عليه و سلم الحديث.

و يتجنب ما يفعله بعض الجهلة، من التجرد عن المخيط تشبها بحال الإحرام.

و منها: إذا شاهد القبة المنيفة، و شارف المدينة الشريفة، فيلزم الخشوع و الخضوع مستحضرا عظمتها، و أنها البقعة التى اختارها الله تعالى لنبيه صلى الله تعالى عليه و سلم و حبيبه و صفيه، و يمثل فى نفسه مواقع أقدام رسول الله صلى الله تعالى عليه و سلم عند ترداده فيها، و أنه ما من موضع يطؤه إلا- و هو موضع قدمه العزيزة، فلا يضع قدمه عليه إلا مع الهيبة و السكينة، متصوّرا خشوعه صلى الله

تعالى عليه و سلم و سكينته فى المشى و تعظيم الله عز و جل له حتى قرن ذكره بذكره و أحبط عمل من انتهك شيئا من حرمته، و لو برفع صوته فوق صوته، و يتأسف على فوت رؤيته فى الدنيا، و أنه من رؤيته فى الآخرة على خطر لسوء صنعه و قبح فعله، ثم يستغفر لذنوبه، و يلتزم سلوك سبيله، ليفوز بالإقبال عند اللقاء و يحظى بتحية المقبول من ذوى البقاء.

و منها: أن لا يخل بشىء مما أمكنه من الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر و الغضب عند انتهاك حرمة من حرمه أو تضييع شىء من حقوقه صلى الله تعالى عليه و سلم، فإن من علامات المحبة غيرة المحبّ لمحبوبه، و أقوى الناس ديانة أعظمهم غيرة، و إذا خلا القلب من الغيرة فهو من المحبة أخلى، و إن زعم المحبة فهو كاذب.

و منها: أن يقول عند دخوله من باب البلد: بسم الله، ما شاء الله، لا قوة إلا بالله، رب أدخلنى مدخل صدق و أخرجنى مخرج صدق، و اجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا، حسبى الله، آمنت بالله، توكلت على الله، لا حول و لا قوة إلا بالله، اللهم إنى أسألك بحق السائلين عليك، و بحق ممشاى هذا إليك، فإنى لم أخرج بطرا و لا أشرا و لا رياء و لا سمعة، خرجت اتقاء سخطك، و ابتغاء مرضاتك، أسألك أن تنقذنى من النار، و أن تغفر لى ذنوبى؛ إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۲۰۹

و ليحرص على ذلك كلما قصد المسجد؛ ففى حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه مرفوعا أن من قال ذلك فى مسيره إلى المسجد وكّل الله به سبعين ألف ملك يستغفرون له، و يقبل الله عليه بوجهه. ثم ليقو فى قلبه شرف المدينة و أنها حوت أفضل بقاع الأرض بالإجماع، و أن بعض العلماء قال: إن المدينة أفضل أمكنة الدنيا.

أرض مشى جبريل فى عرصاتها و الله شرّف أرضها و سماءها

و منها: أن يقدم صدقة بين يدى نجواه، و يبدأ بالمسجد الشريف قبل أن يقدم على أمر من الأمور، أو شىء هو إلى مباشرته فى ذلك الوقت غير مضطر أو مضرور؛ فإذا شاهد المسجد النبوى و الحرم الشريف المحمدى فليستحضر أنه آت مهبط أبى الفتوح جبريل، و منزل أبى الغنائم ميكائيل، و الموضع الذى خصه الله بالوحى و التنزيل، فليزدد خضوعا و خشوعا يليق بهذا المقام، و يقتضيه هذا المحلّ الذى ترتعد دونه الأقدام، و يجتهد فى أن يوفى للمقام حقه من التعظيم و القيام.

و منها: ما قاله القاضى فضل الدين بن النصير الغورى من أن دخول الزائر من باب جبريل أفضل أيضا، أى لما سبق فيه عند ذكر الأبواب، و جرت عادة القادمين من ناحية باب السلام بالدخول منه، فإذا أراد الدخول فليفرغ قلبه، و ليصف ضميره، و يقدم رجله اليمنى، و يقول: أعوذ بالله العظيم، و بوجهه الكريم، و بنوره القديم، من الشيطان الرجيم، بسم الله، و الحمد لله، و لا حول و لا قوة إلا بالله، ما شاء الله، لا قوة إلا بالله، اللهم صل على سيدنا محمد عبدك و رسولك و على آله و صحبه و سلم تسليما كثيرا، اللهم اغفر لى ذنوبى، و افتح لى أبواب رحمتك، رب وفّقنى و سددنى و أصلحنى و أعنّى على ما يرضيك عنى، و منّ علىّ بحسن الأدب فى هذه الحضرة الشريفة، السلام عليك أيها النبى و رحمة الله تعالى و بركاته، السلام علينا و على عباد الله الصالحين. و لا يترك ذلك كلما دخل المسجد أو خرج منه، إلا أنه يقول عند خروجه: و افتح لى أبواب فضلك، بدل قوله «أبواب رحمتك».

و منها: إذا صار فى المسجد فلينو الاعتكاف مدة لبثه به و إن قلّ على مذهب الشافعى؛ ليحوز ما فيه من الفضل، ثم ليتوجه إلى الروضة المقدسة، و إن دخل من باب جبريل فليقصدها من خلف الحجرة الشريفة مع ملازمة الهيبة و الوقار، و ملابسة الخشية و الانكسار، و الخضوع و الافتقار، ثم ليقف فى مصلّى النبى صلى الله تعالى عليه و سلم إن كان خاليا، و إلا ففيما يلى المنبر من الروضة و إلا ففى غيرهما، فيصلى تحية المسجد ركعتين خفيفتين، قال الكرمانى: يقرأ فى الأولى بعد الفاتحة قُلْ يا أَيُّهَا الْكافِرُونَ و فى

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۲۱۰

الثانية الإخلاص، فإن أقيمت مكتوبة أو خاف فوتها بدأ بها، و حصلت التحية بها، فإذا فرغ حمد الله، و أثنى عليه على ما منحه من هذه النعمة العظيمة، و المنة الجسيمة.

قال الكرمانى و صاحب الاختيار من الحنفية: إنه يسجد بعد الركعتين شكرا لله تعالى، و يبتهل إليه فى أن يتمم له ما قصد من الزيارة مع القبول، و أن يهب له من مهمات الدارين نهاية السّول.

و نقل الزين المراغى عن بعض مشايخه أن محل تقديم التحية على الزيارة إذا لم يكن مروره قبالة الوجه الشريف، فإن كان ذلك استحبت الزيارة أولا، مع أن بعض المالكية رخّص فى تقديم الزيارة على الصلاة، و قال: كل ذلك واسع.

و الحجة فى استحباب تقديم التحية ما نقله البرهان ابن فرحون عن ابن حبيب أنه قال فى كتاب الصلاة: حدثنى مطرف عن مالك عن يحيى بن سعيد عن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنهما قال: قدمت من سفر، فجئت رسول الله صلى الله تعالى عليه و سلم أسلم عليه و هو بفناء المسجد، فقال: أدخلت المسجد فصليت فيه؟ قلت: لا، قال: فاذهب فادخل المسجد وصل فيه ثم ائت فسلم على.

و قال اللخمى فى التبصرة فى باب من جاء مكة ليلا: و يبتدئ فى مسجد النبى صلى اللّه عليه و سلم بتحية المسجد قبل أن يأتى القبر و يسلم، هذا قول مالك. و قال ابن حبيب: يقول إذا دخل: بسم الله، و السلام على رسول الله، يريد أن يبتدئ بالسلام من موضعه، ثم يركع، و لو كان دخوله من الباب الذى بناحية القبر و مروره عليه فوقف فسلم ثم عاد إلى موضع يصلى فيه لم يكن ضيقا، انتهى.

قلت: و ليس فى كلام ابن حبيب مخالفة لما ذكره مالك؛ إذ مراده أن الداخل من باب المسجد يستحب له الصلاة عليه؛ لما روى ابن خزيمة فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه مرفوعا «إذا دخل أحدكم المسجد فليسلم على النبى صلى الله تعالى عليه و سلم، و ليصل، و ليقل: اللهم أجرنى من الشيطان الرجيم» و لأن ابن حبيب ذكر بعد ذلك صلاة التحية، ثم الوقوف بالقبر، و السلام، و الله تعالى أعلم.

و منها: أن يتوجه بعد ذلك إلى القبر الكريم، مستعينا بالله تعالى فى رعاية الأدب فى هذا الموقف العظيم، فيقف بخشوع و خضوع تامين تجاه مسمار الفضة الذى بجدار الحجرة المتقدم بيانه فى محله لجعله فى موضع محاذاة الوجه الشريف، و ربما منع باب المقصورة التى حول الحجرة الشريفة الواقف للزيارة خارجها من مشاهدة ذلك المسمار إلا بتأمل يشغل القلب و يذهب الخشوع فليقصد المصرعة الثانية من باب المقصورة القبلى

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۲۱۱

الذى على يمين مستقبل القبر الشريف، فإذا استقبلها كان محاذيا له، و الزيارة من داخل المقصورة أولى؛ لأنه موقف السلف.

و المنقول أن الزائر يقف على نحو أربعة أذرع من رأس القبر، و قال ابن عبد السلام:

على نحو ثلاثة أذرع، و على كل حال فذلك من داخل المقصورة بلا شك. و قال ابن حبيب فى الواضحة: و اقصد القبر الشريف من وجاه القبلة و ادن منه. و قال فى الإحياء بعد بيان موقف الزائر بنحو ما قدمناه: فينبغى أن تقف بين يديه كما وصفنا، و تزوره ميتا كما كنت تزوره حيا، و لا تقرب من قبره إلا ما كنت تقرب من شخصه الكريم لو كان حيا، اه.

و لينظر الزائر فى حال وقوفه إلى أسفل ما يتقبل من جدار الحجرة الشريفة، ملتزما للحياء و الأدب التام فى ظاهره و باطنه، قال الكرمانى من الحنفية: و يضع يمينه على شماله كما فى الصلاة.

و قال فى الإحياء: و اعلم أنه صلى اللّه عليه و سلم عالم بحضورك و قيامك و زيارتك، و أنه يبلغه سلامك و صلاتك، فمثل صورته الكريمة فى خيالك، و أخطر عظيم رتبته فى قلبك؛ فقد روى عنه صلى الله تعالى عليه و سلم أن الله تعالى وكّل بقبره ملكا يبلغه السلام ممن يسلم عليه من أمته، هذا فى حق من لم يحضر قبره، فكيف بمن فارق الوطن و قطع البوادى شوقا إليه و اكتفى بمشاهدة مشهده الكريم إذ فاته مشاهدة غرته الكريمة؟ انتهى.

ثم يسلم الزائر، و لا يرفع صوته و لا يخفيه، بل يقتصد فيقول: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا نبى الله، السلام عليك يا خيرة الله، السلام عليك يا حبيب الله، السلام عليك يا سيد المرسلين و خاتم النبيين، السلام عليك يا خير الخلائق أجمعين، السلام عليك يا قائد الغر المحجلين، السلام عليك و على آلك و أهل بيتك و أزواجك و أصحابك أجمعين، السلام عليك و على سائر

الأنبياء و المرسلين و جميع عباد الله الصالحين، جزى لك الله عنا يا رسول الله أفضل ما جزى به نبيا و رسولا عن أمته، و صلّى عليك كلما ذكرك الذاكرون و غفل عن ذكرك الغافلون أفضل و أكمل ما صلى على أحد من الخلق أجمعين، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، و أشهد أنك عبده و رسوله و خيرته من خلقه، و أشهد أنك بلغت الرسالة، و أديت الأمانة، و نصحت الأمة، و كشفت الغمّة، و جاهدت فى الله حق جهاده، اللهم آته الوسيلة و الفضيلة و ابعثه مقاما محمودا الذى وعدته و آته نهاية ما ينبغى أن يسأله السائلون، اللهم صلّ على سيدنا محمد نبيك و رسولك النبى الأمى و على آل سيدنا محمد و أزواجه و ذريته كما صليت على إبراهيم

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۲۱۲

و على آل إبراهيم، و بارك على سيدنا محمد النبى الأمى و على آل محمد كما باركت على إبراهيم و على آل إبراهيم فى العالمين إنك حميد مجيد.

و من عجز عن حفظ هذا أو ضاق الوقت عنه اقتصر على بعضه كما قاله النووى، قال: و أقله السلام عليك يا رسول الله صلى الله عليك و سلم، و جاء عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما و غيره من السلف الاقتصار جدا، و عن مالك «يقول: السلام عليك أيها النبى و رحمة الله و بركاته».

و نقل البرهان ابن فرحون عن أبى سعيد الهندى من المالكية قال فيمن وقف بالقبر:

و لا يقف عنده طويلا، ثم ذكر سلام ابن عمر رضى الله تعالى عنهما، ثم قال: و هذه طريقة ابن عمر، و تبعه مالك فى ترك تطويل القيام، و اختار بعضهم التطويل فى السلام، و عليه الأكثرون.

و قال ابن حبيب فيما نقل عياض: ثم تقف بالقبر متواضعا متوافرا، فتصلى عليه صلى الله تعالى عليه و سلم، و تثنى بما يحضرك، قال ابن فرحون: و قال ابن حبيب: يقول السلام عليك أيها النبى و رحمة الله و بركاته، صلى الله عليك و سلم يا رسول الله أفضل و أزكى و أعلى و أنمى صلاة صلاها على أحد من أنبيائه و أصفيائه أشهد يا رسول الله أنك قد بلغت ما أرسلت به، و نصحت الأمة، و عبدت ربك حتى أتاك اليقين، و كنت كما نعتك الله فى كتابه حيث قال لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ ما عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ [التوبة: ۱۲۸] فصلوات الله و ملائكته و جميع خلقه فى سماواته و أرضه عليك يا رسول الله، السلام عليكما يا صاحبى رسول الله صلى الله تعالى عليه و سلم يا أبا بكر و يا عمر، جزاكما الله عن الإسلام و أهله أفضل ما جزى وزيرى نبى على وزارته فى حياته و على حسن خلافته إياه فى أمته بعد وفاته؛ فقد كنتما لرسول الله صلى اللّه عليه و سلم وزيرى صدق فى حياته، و خلفتماه بالعدل و الإحسان فى أمته بعد وفاته، فجزاكما الله على ذلك مرافقته فى جنته و إيانا معكم برحمته، انتهى.

و ذكر المطرى و المجد تسليما يشتمل على أوصاف كثيرة، و أوصافه صلى الله تعالى عليه و سلم غير منحصرة، و هى شهيرة، و الحال يضيق عن الاستقصاء؛ فلذلك اقتصرنا على ما قدمناه.

و قال النووى عقب ما تقدم عنه: ثم إن كان قد أوصاه أحد بالسلام على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فليقل: السلام عليك يا رسول الله من فلان بن فلان، أو فلان بن فلان يسلم عليك يا رسول الله، و نحوه من العبارات، ثم يتأخر إلى صوب يمينه قدر ذراع فيصير تجاه أبى بكر

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۲۱۳

رضى الله تعالى عنه فيقول: السلام عليك يا أبا بكر صفىّ رسول الله صلى الله تعالى عليه و سلم، و ثانيه فى الغار، و رفيقه فى الأسفار، جزى لك الله عن أمة رسول الله صلى الله تعالى عليه و سلم خير الجزاء، ثم يتأخر إلى صوب يمينه قدر ذراع فيقول: السلام عليك يا عمر الفاروق، الذى أعز الله به الإسلام، جزاك الله عن أمة محمد صلى اللّه عليه و سلم خير الجزاء.

هذا ما ذكره النووى و غيره من أصحابنا و غيرهم. و لعل ابن حبيب- حيث ذكر التسليم على النبى صلى اللّه عليه و سلم، و على

ضجيعيه جملة يرى اصطفاف القبور سواء كما هو إحدى الروايات المتقدمة.

قال النووى و غيره: ثم يرجع الزائر إلى موقفه الأول قبالة وجه رسول الله صلى الله تعالى عليه و سلم، فيتوسل به فى حق نفسه، و يستشفع إلى ربه سبحانه و تعالى. قال: و من أحسن ما يقول ما حكاه أصحابنا عن العتبى مستحسنين له، و سبق له ذكر فى الفصل الثانى.

قلت: و ليجدد التوبة فى ذلك الموقف، و يسأل الله تعالى أن يجعلها توبة نصوحا، و يستشفع به صلى الله تعالى عليه و سلم إلى ربه فى قبولها، و يكثر الاستغفار و التضرع بعد تلاوة قوله تعالى: وَ لَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ إلى قوله رَحِيماً [النساء: ۶۴] مع ما سبق فى حكاية العتبى، و يقول: نحن و فدك يا رسول الله و زوّارك، جئناك لقضاء حقك، و التبرك بزيارتك، و الاستشفاع بك إلى ربك تعالى، فإن الخطايا قد أثقلت ظهورنا، و أنت الشافع المشفع الموعود بالشفاعة العظمى و المقام المحمود، و قد جئناك ظالمين لأنفسنا، مستغفرين لذنوبنا، سائلين منك أن تستغفر لنا إلى ربك، فأنت نبينا و شفيعنا فاشفع لنا إلى ربك، و اسأله أن يميتنا على سنتك و محبتك، و يحشرنا فى زمرتك، و أن يوردنا حوضك غير خزايا و لا نادمين.

و روى يحيى الحسينى و غيره عن ابن أبى فديك قال: سمعت بعض من أدركت يقول: بلغنا أنه من وقف عند قبر النبى صلى الله عليه و سلم فقال: إِنَّ اللَّهَ وَ مَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَ سَلِّمُوا تَسْلِيماً [الأحزاب: ۵۶] صلى الله تعالى على محمد و سلم، و فى رواية: صلى الله عليك يا محمد، يقولها سبعين مرة، ناداه ملك، صلى الله عليك يا فلان، لم تسقط لك اليوم حاجة.

قلت: فينبغى تقديم ذلك على الدعاء و التوسل، قال بعضهم: لكن الأولى أن يقول:

صلى الله و سلم عليك يا رسول الله، و إن كانت الرواية «يا محمد» تأدبا؛ أى لأن من خصائصه صلى الله تعالى عليه و سلم أن لا ينادى باسمه، بل يقال: يا رسول الله، يا نبى الله، و نحوه، و الذى يظهر أن هذا فى نداء لا يقترن به الصلاة و السلام.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۲۱۴

قال المجد: و روينا عن الأصمعى قال: وقف أعرابى مقابل قبر النبى صلى الله تعالى عليه و سلم فقال: اللهم إن هذا حبيبك و أنا عبدك و الشيطان عدوك، فإن غفرت لى سرّ حبيبك و فاز عبدك و غضب عدوك، و إن لم تغفر لى غضب حبيبك و رضى عدوك و هلك عبدك، و أنت أكرم من أن تغضب حبيبك و ترضى عدوك و تهلك عبدك، اللهم إن العرب الكرام إذا مات فيهم سيد أعتقوا على قبره، و إن هذا سيد العالمين فأعتقنى على قبره، قال الأصمعى فقلت: يا أخا العرب إن الله قد غفر لك و أعتقك بحسن هذا السؤال.

قال المجد: و يجلس إن طال القيام به، فيكثر من الصلاة و التسليم.

و نقل فى شرح المهذب عن كتاب آداب زيارة القبور لأبى موسى الأصفهانى أن الزائر بالخيار، إن شاء زار قائما، و إن شاء قعد كما يزور الرجل أخاه فى الحياة، فربما جلس عنده و ربما زار قائما و مارا، انتهى.

قال المجد: و يأتى بأتم أنواع الصلاة و أكمل كيفياتها، و الاختلاف فى ذلك مشهور، قال: و الذى اختاره لنفسى: اللهم صل على سيدنا محمد و آله و صحبه و أزواجه، الصلاة المأثورة، أى التى أخبر بها السائل عن كيفية الصلاة عليه: عدد ما خلقت و عدد ما أنت خالق، وزنة ما خلقت وزنة ما أنت خالق، و ملء ما خلقت و ملء ما أنت خالق، و ملء سماواتك و ملء أرضك، و مثل ذلك، و أضعاف ذلك، و عدد خلقك، وزنة عرشك، و منتهى رحمتك، و مداد كلماتك، و مبلغ رضاك، و حتى ترضى، و عدد ما ذكرك به خلقك فى جميع ما مضى، و عدد ما هم ذاكروك فيما بقى فى كل سنة و شهر و جمعة و يوم و ليلة و ساعة من الساعات و نسم و نفس و لمحة و طرفة من الأبد إلى الأبد أبد الدنيا و الآخرة و أكثر من ذلك، لا ينقطع أوله و لا ينفد آخره، ثم يقول ذلك مرة أو ثلاث مرات، ثم يقول: اللهم صل على سيدنا محمد و على آل سيدنا محمد كذلك، ثم يتلو بين يدى سيدنا رسول الله صلى الله تعالى

علیه و سلم ما تیسر من القرآن المجید، و یقصد الآی و السور الجامعة لصفات الإیمان و لمعانی التوحید، انتهی.

و قال النووی عقب ما تقدم عنه: ثم یتقدم یعنی بعد فراغ الدعاء و التوسل قبالة الوجه الشریف إلی رأس القبر، فیقف بین القبر و الأسطوانة التی هناک، و یستقبل القبلة، و یحمد الله تعالی و یمجده، و یدعو لنفسه بما أهمه و ما أحبه، و لوالدیه، و لمن شاء من أقاربه و أشیاخه و إخوانه و سائر المسلمین. و فی کتب الحنفیة و غیرهم نحو هذا.

و قال العز بن جماعة: و ما ذکروه من العود إلی قبالة الوجه الشریف و من التقدم إلی رأس القبر المقدس للدعاء عقب الزیارة لم ینقل عن فعل الصحابة رضی الله تعالی عنهم و التابعین رحمهم الله تعالی.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفی، ج۴، ص: ۲۱۵

قلت: أما الدعاء و التوسل هناک فله أصل عنهم، و الذی لم ینقل إنما هو هذا الترتیب المخصوص و الظاهر أن المراد بذلک تأخیر الدعاء عن السلام علی الشیخین و الجمع بین موقفی السلف: الأول الذی کان قبل إدخال الحجر، و الثانی الذی کان بعده، و هو حسن، بل سبق أوائل سادس فصول الباب الخامس من روایة ابن شبة أن النبی صلی الله تعالی علیه و سلم حین فرغ من دفن ابنه إبراهیم قال عند رأسه: السلام علیکم، و هو ظاهر فی السلام من جهة الرأس.

و منها: أن یأتی المنبر الشریف، و یقف عنده، و یدعو الله تعالی، و یحمده علی ما یسّر له، و یصلی علی رسوله صلی اللّه علیه و سلم، و یسأل الله سبحانه و تعالی من الخیر أجمع، و یستعیذ به، کما قاله ابن عساکر، زاد الأقشهری عقبه: کما کانت الصحابة تفعل. یشیر إلی ما رواه عن یزید بن عبد الله بن قسیط قال: رأیت رجالا من أصحاب رسول الله صلی اللّه علیه و سلم إذا خلا المسجد یأخذون برمانة المنبر الصلعاء التی کان رسول الله صلی اللّه علیه و سلم یمسکها بیده، ثم یستقبلون القبلة و یدعون.

و فی الشفاء لعیاض عن أبی قسیط و العتبی رحمهما الله: کان أصحاب رسول الله صلی الله تعالی علیه و سلم و رضی الله تعالی عنهم إذا خلا المسجد حبسوا رمانة المنبر التی تلی القبر بمیامنهم، ثم استقبلوا القبلة یدعون.

و قال النووی عقب ما تقدم عنه: ثم یأتی الروضة فیکثر فیها من الدعاء و الصلاة، و یقف عند القبر و یدعو.

قلت: و یقف أیضا و یدعو عند أسطوان المهاجرین، و یتبرک بالصلاة عندها و کذا أسطوان أبی لبابة، و أسطوان المحرس، و أسطوان الوفود، و أسطوان التهجد بعد أن یسلم علی فاطمة الزهراء رضی الله تعالی عنها عند المحراب الذی فی بیتها داخل المقصورة؛ للقول بدفنها هناک کما سبق.

و منها: أن یجتنب لمس الجدار، و تقبیله، و الطواف به، و الصلاة إلیه، قال النووی:

لا یجوز أن یطاف بقبره صلی الله تعالی علیه و سلم، و یکره إلصاق البطن و الظهر بجدار القبر، قاله الحلیمی و غیره، قال: و یکره مسحه بالید و تقبیله، بل الأدب أن یبعد منه کما یبعد منه لو حضر فی حیاته، هذا هو الصواب، و هو الذی قاله العلماء و أطبقوا علیه، و من خطر بباله أن المسح بالید و نحوه أبلغ فی البرکة فهو من جهالته و غفلته؛ لأن البرکة إنما هی فیما وافق الشرع و أقوال العلماء، انتهی.

و فی الإحیاء: مسّ المشاهد و تقبیلها عادة النصاری و الیهود، و قال الأقشهری: قال الزعفرانی فی کتابه: وضع الید علی القبر و مسّه و تقبیله من البدع التی تنکر شرعا.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفی، ج۴، ص: ۲۱۶

و روی أن أنس بن مالک رضی الله تعالی عنه رأی رجلا وضع یده علی قبر النبی صلی الله تعالی علیه و سلم، فنهاه، و قال: ما کنا نعرف هذا علی عهد رسول الله صلی اللّه علیه و سلم، و قد أنکره مالک و الشافعی و أحمد أشدّ الإنکار.

و قال بعض العلماء: إنه إن قصد بوضع الید مصافحة المیت یرجی أن لا یکون به حرج، و متابعة الجمهور أحق، انتهی.

و فی تحفة ابن عساکر: لیس من السنة أن یمس جدار القبر المقدس، و لا أن یقبّله، و لا یطوف به کما یفعله الجهال، بل یکره ذلک،

و لا يجوز، و الوقوف من بعد أقرب إلى الاحترام، ثم روى من طريق أبى نعيم قال: أنبأنا عبد الله بن جعفر بن فارس حدثنا أبو جعفر محمد بن عاصم حدثنا أبو أسامة عن عبيد الله بن نافع أن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما كان يكره أن يكثر مس قبر النبى صلى الله تعالى عليه و سلم.

قال البرهان بن فرحون بعد ذكره: و هذا تقييد لما تقدم، و هو عن ابن عمر فى القبر نفسه، فالجدر الظاهرة أخف، إذا لم يكثر منه، قال: و هو دال على قرب موقف الزائر، و يفسر معنى الدنو الذى عبر به مالك، انتهى.

و قال أبو بكر الأثرم: قلت لأبى عبد الله يعنى أحمد بن حنبل- قبر النبى صلى الله تعالى عليه و سلم يلمس و يتمسح به؟ قال: لا أعرف هذا، قلت: فالمنبر، قال: أما المنبر فنعم، قد جاء فيه شىء يروونه عن ابن أبى فديك عن ابن أبى ذئب عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أنه مسح المنبر، و يروونه عن سعيد بن المسيب فى الرمانة، أى رمانة المنبر قبل احتراقه.

و يروى عن يحيى بن سعيد شيخ مالك أنه حيث أراد الخروج إلى العراق جاء إلى المنبر فمسحه و دعا، فرأيته استحسن ذلك، قلت لأبى عبد الله: إنهم يلصقون بطونهم بجدار القبر، و قلت له: و رأيت أهل العلم من أهل المدينة لا- يمسونه، و يقومون ناحيته، و يسلمون، فقال أبو عبد الله: نعم، و هكذا كان ابن عمر رضى الله تعالى عنهما يفعل ذلك، نقله ابن عبد الهادى عن تأليف ابن تيمية.

و قال العز بن جماعة بعد ذكر ما سبق عن النووى: و قال السروجى الحنفى: لا يلصق بطنه بالجدار، و لا يمسه بيده، و قال عياض فى الشفاء: و من كتاب أحمد بن سعيد الهندى فيمن وقف بالقبر: لا- يلصق به و لا يمسه و لا يقف عنده طويلا، و قال ابن قدامة من الحنابلة فى المغنى: و لا يستحب التمسح بحائط قبر النبى صلى الله تعالى عليه و سلم، و لا يقبله، قال أحمد: ما أعرف هذا، قال الأثرم: رأيت أهل العلم من أهل المدينة لا

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۲۱۷

يمسون قبر النبى صلى اللّه عليه و سلم، بل يقومون من ناحيته فيسلمون، قال أبو عبد الله: و كان ابن عمر رضى الله تعالى عنهما يفعل ذلك، انتهى. قال العز: فى كتاب العلل و السؤالات لعبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه رواية أبى على بن الصوف عنه، قال عبد الله: سألت أبى عن الرجل يمسّ منبر رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، و يتبرك بمسه، و يقبله، و يفعل بالقبر مثل ذلك رجاء ثواب الله تعالى، قال: لا بأس به، قال العز بن جماعة: و هذا يبطل ما نقل عن النووى من الإجماع.

قلت: النووى لم يصرح بنقل الإجماع، لكن قوة كلامه تفهمه.

و قال السبكى فى الرد على ابن تيمية فى مسألة الزيارة: إن عدم التمسّح بالقبر ليس مما قام الإجماع عليه؛ فقد روى أبو الحسين يحيى بن الحسين بن جعفر بن عبيد الله الحسينى فى أخبار المدينة قال: حدثنى عمر بن خالد حدثنا أبو نباتة عن كثير بن زيد عن المطلب بن عبد الله بن حنطب قال: أقبل مروان بن الحكم. فإذا رجل ملتزم القبر، فأخذ مروان برقبته ثم قال: هل تدرى ما تصنع؟ فأقبل عليه فقال: نعم، إنى لم آت الحجر، و لم آت اللّبن، إنما جئت رسول الله صلى الله تعالى عليه و سلم، لا تبكوا على الدين إذا وليه أهله، و لكن ابكوا عليه إذا وليه غير أهله، قال المطلب: و ذلك الرجل أبو أيوب الأنصارى. قال السبكى: و أبو نباتة يونس بن يحيى، و من فوقه ثقات، و عمر بن خالد لم أعرفه، فإن صح هذا الإسناد لم يكره مس جدار القبر، و إنما أردنا بذكره القدح فى القطع بكراهة ذلك، انتهى.

قلت: سبق فى الفصل قبله أن أحمد رواه بأتم من ذلك عن عبد الملك بن عمرو و هو ثقة عن كثير بن زيد، و قد حكم السبكى بتوثيقه، فإنه الذى فوق أبى نباتة فى إسناد يحيى، و قد وثقه جماعة، لكن ضعفه النسائى كما سبق.

و تقدم أيضا أن بلالا رضى الله تعالى عنه لما قدم من الشام لزيارة النبى صلى الله تعالى عليه و سلم أتى القبر، فجعل يبكى عنده، و يمرغ وجهه عليه، و إسناده جيد كما سبق.

و فى تحفة ابن عساكر من طريق طاهر بن يحيى الحسينى قال: حدثنى أبى عن جدى عن جعفر بن محمد عن أبيه عن على رضى الله

تعالى عنه قال: لما رمس رسول الله صلى الله تعالى عليه و سلم جاءت فاطمة رضى الله تعالى عنها، فوقفت على قبره صلى الله تعالى عليه و سلم، و أخذت قبضة من تراب القبر و وضعت على عينيها و بكت، و أنشأت تقول:

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۲۱۸

ما ذا على من شمّ تربة أحمد أن لا يشمّ مدى الزمان غواليا

صبّت عليّ مصائب لو أنها صبّت على الأيام عدن لياليا

ذكر الخطيب بن حملة أنّ ابن عمر رضى الله تعالى عنهما كان يضع يده اليمنى على القبر الشريف، و أن بلالا رضى الله تعالى عنه وضع خديه عليه أيضا، ثم قال: و رأيت فى كتاب السؤالات لعبد الله بن الإمام أحمد، و ذكر ما تقدم عن ابن جماعة نقله عنه، ثم قال: و لا شك أن الاستغراق فى المحبة يحمل على الإذن فى ذلك، و المقصود من ذلك كله الاحترام و التعظيم، و الناس تختلف مراتبهم فى ذلك كما كانت تختلف فى حياته، فأناس حين يرونه لا يملكون أنفسهم بل يبادرون إليه، و أناس فيهم أنة يتأخرون، و الكل محل خير، انتهى.

و قال الحافظ ابن حجر: استنبط بعضهم من مشروعية تقبيل الحجر الأسود جواز تقبيل كل من يستحق التعظيم من آدمى و غيره، فأما تقبيل يد الآدمى فسبق فى الأدب، و أما غيره فنقل عن أحمد أنه سئل عن تقبيل منبر النبى صلى الله تعالى عليه و سلم و قبره، فلم ير به بأسا، و استبعد بعض أتباعه صحته عنه. و نقل عن ابن أبى الصيف اليمانى أحد علماء مكة من الشافعية جواز تقبيل المصحف و أجزاء الحديث و قبور الصالحين.

و نقل الطيب الناشرى عن المحب الطبرى أنه يجوز تقبيل القبر و مسه؟ قال: و عليه عمل العلماء الصالحين، و أنشد:

لو رأينا لسليمى أثرا لسجدنا ألف ألف للأثر

و قال آخر:

أمرّ على الديار ديار ليلى أقبل ذا الجدار و ذا الجدارا

و ما حب الديار شغفن قلبى و لكن حب من سكن الديارا

و نقل بعضهم عن أبى خيثمة قال: حدثنا مصعب بن عبد الله حدثنا إسماعيل بن يعقوب التيمى قال: كان ابن المنكدر يجلس مع أصحابه، قال: و كان يصيبه الصمات، فكان يقوم كما هو يضع خده على قبر النبى صلى اللّه عليه و سلم ثم يرجع، فعوتب فى ذلك، فقال: إنه يصيبنى خطرة، فإذا وجدت ذلك استشفيت بقبر النبى صلى الله تعالى عليه و سلم، و كان يأتى موضعا من المسجد فى الصحن فيتمرغ فيه و يضطجع، فقبل له فى ذلك، فقال: إنى رأيت النبى صلى الله تعالى عليه و سلم فى هذا الموضع، أراه قال «فى النوم» انتهى.

و منها: اجتناب الانحناء للقبر عند التسليم، قال ابن جماعة: قال بعض العلماء: إنه من البدع، و يظن من لا علم له أنه من شعار التعظيم، و أقبح منه تقبيل الأرض للقبر، لم

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۲۱۹

يفعله السلف الصالح، و الخير كله فى اتباعه، و من خطر بباله أن تقبيل الأرض أبلغ فى البركة فهو من جهالته و غفلته؛ لأن البركة إنما هى فيما وافق الشرع و أقوال السلف و عملهم، قال: و ليس عجبى ممن جهل ذلك فارتكبه، بل عجبى ممن أفتى بتحسينه مع علمه بقبحه و مخالفته لعمل السلف، و استشهد لذلك بالشعر، انتهى.

قلت: و قد شاهدت بعض جهال القضاة فعل ذلك بحضرة الملأ، و زاد عليه وضع الجبهة كهيئة الساجد، فتبعه العوام، و لا قوة إلا بالله.

و منها: أن لا يمر بقبر النبى صلى اللّه عليه و سلم حتى يقف و يسلم عليه، سواء مر من داخل المسجد أو من خارجه، و يكثر من قصده و زيارته.

روى الأقشهرى بسنده لابن أبى الدنيا قال: حدثنى الحسين بن عبد العزيز قال:

حدثنا الحارث بن سليمان قال: أنبأنا ابن وهب قال: أنبأنا عبد الرحمن بن زيد أن أبا حازم حدثه أن رجلا أتاه فحدثه أنه رأى النبى صلى اللّه عليه و سلم يقول لأبى حازم: أنت المارّ بى معرضا لا تقف تسلم علىّ؟ فلم يدع ذلك أبو حازم منذ بلغته هذه الرؤيا.

و فى كتاب الجامع من البيان لابن رشد شرح العتبية، ما لفظه: و سئل- يعنى مالكا عن المار بقبر النبى صلى اللّه عليه و سلم أ ترى أن يسلم كلما مر؟ قال: نعم، أرى ذلك، عليه أن يسلم كلما مر به، و قد أكثر الناس من ذلك، فإذا لم يمر به فلا أرى ذلك، و ذكر حديث «اللهم لا تجعل قبرى وثنا» الحديث.

قال: فقد أكثر الناس من هذا، فإذا لم يمر عليه فهو فى سعة من ذلك، قال: و سئل عن الغريب يأتى قبر النبى صلى اللّه عليه و سلم كل يوم، فقال: ما هذا من الأمر، و لكن إذا أراد الخروج، قال ابن رشد: المعنى فى ذلك أنه يلزمه أن يسلم عليه كلما مر به متى ما مر، و ليس عليه أن يأتى ليسلم عليه إلا- للوداع عند الخروج، و يكره أن يكثر المرور به، و السلام عليه، و الإتيان كل يوم إليه؛ لئلا يجعل القبر بفعله ذلك كالمسجد الذى يؤتى كل يوم للصلاة فيه، و قد نهى صلى الله تعالى عليه و سلم عن ذلك بقوله «اللهم لا تجعل قبرى وثنا» الحديث.

و قال عياض فى الشفاء: قال مالك فى كتاب محمد: و يسلم على النبى صلى الله تعالى عليه و سلم إذا دخل و خرج، يعنى فى المدينة، و فيما بين ذلك، و قال مالك فى المبسوط: و ليس يلزم من دخل المسجد و خرج منه من أهل المدينة الوقوف بالقبر، و إنما ذلك للغرباء، و قال فيه أيضا: لا بأس لمن قدم من سفر أو خرج إلى سفر أن يقف على قبر النبى صلى الله تعالى عليه و سلم، فيصلى عليه، و يدعو له و لأبى بكر و عمر رضى الله

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۲۲۰

تعالى عنهما، فقيل له: إن ناسا من أهل المدينة لا يقدمون من سفر و لا يريدونه و يفعلون ذلك فى اليوم مرة أو أكثر، و ربما وقفوا فى الجمعة أو فى الأيام المرة أو المرتين أو أكثر عند القبر فيسلمون و يدعون ساعة، فقال: لم يبلغنى هذا عن أحد من أهل الفقه ببلدنا، و تركه واسع، و لا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها، و لم يبلغنى عن أول هذه الأمة و صدرها أنهم كانوا يفعلون ذلك، و يكره إلا لمن جاء من سفر أو أراده.

قال الباجى: ففرق بين أهل المدينة و الغرباء؛ لأن الغرباء قصدوا لذلك، و أهل المدينة مقيمون بها لم يقصدوها من أجل القبر و التسليم.

قال السبكى: و المتلخّص من مذهب مالك أن الزيارة قربة، و لكنه على عادته فى سد الذرائع يكره منها الإكثار الذى قد يفضى إلى محذور، و المذاهب الثلاثة يقولون باستحبابها و استحباب الإكثار منها؛ لأن الإكثار من الخير خير.

و قال النووى فى زيارة القبور من الأذكار: و يستحب الإكثار من الزيارة، و أن يكثر الوقوف عند قبور أهل الخير و الفضل. و سبق فى الفصل العشرين من الباب الرابع قول عبد الله بن محمد بن عقيل بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه فى خبر هدم جدار الحجرة: كنت أخرج كل ليلة من آخر الليل حتى آتى المسجد فأبدأ بالنبى صلى الله تعالى عليه و سلم فأسلم عليه، ثم آتى مصلاى فأجلس به حتى أصلى الصبح.

و روى ابن زبالة عن عبد العزيز بن محمد قال: رأيت رجلا من أهل المدينة يقال له محمد بن كيسان يأتى إذا صلّى العصر من يوم الجمعة- و نحن جلوس مع ربيعة بن أبى عبد الرحمن فيقوم عند القبر فيسلم على النبى صلى الله تعالى عليه و سلم، و يدعو حتى يمسى، فيقول جلساء ربيعة: انظروا إلى ما يصنع هذا؟ فيقول: دعوه فإنما للمرء ما نوى.

و قال ابن عبد الحكم: سمعت الشافعى يقول: قال ابن عجلان لبعض الأمراء: إنك تطيل ثيابك، و تطيل الخطبة، و تكثر المجىء إلى قبر رسول الله صلى الله تعالى عليه و سلم، فلو كان فيه العجلان ما أتيته.

و منها: إكثار الصلاة و التسليم على النبى صلى الله تعالى عليه و سلم، و إيثار ذلك على سائر الأذكار، ما دام هناك.

و منها: اغتنام ما أمكن من الصيام و لو يسيرا من الأيام.

و منها: الحرص على فعل الصلوات الخمس بالمسجد النبوى فى الجماعة، و الإكثار من النافلة فيه، مع تحرى المسجد الذى كان فى زمنه صلى الله تعالى عليه و سلم، إلا أن يكون الصفّ الأول خارجه فهو أولى، و إن أمكنه ملازمة المسجد، و أن لا يفارقه إلا

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۲۲۱

لضرورة، أو مصلحة راجحة، فليغتنم ذلك، و كلما دخله فليجدد نية الاعتكاف، و لله در القائل:

تمتع إن ظفرت بنيل قرب و حصّل ما استطعت من ادخار

قال ابن عساكر: و ليحرص على المبيت فى المسجد و لو ليلة يحييها بالذكر و الدعاء و تلاوة القرآن و التضرّع إلى الله تعالى و الحمد و الشكر على ما أعطاه، و على أن يختم القرآن العزيز فى المسجد لأثر فيه، اه.

و قال أبو مخلد: كانوا يحبون لمن أتى المساجد الثلاثة أن يختم فيها القرآن قبل أن يخرج: المسجد الحرام، و مسجد الرسول صلى اللّه عليه و سلم، و مسجد بيت المقدس، و أخرجه سعيد بن منصور.

و منها: أن لا يستدبر القبر المقدس فى صلاة و لا فى غيرها من الأحوال، و يلتزم الآداب شريعة و حقيقة فى الأقوال و الأفعال.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى؛ ج۴؛ ص۲۲۱

ل الشيخ عز الدين بن عبد السلام: و إذا أردت صلاة فلا تجعل حجرته صلى الله تعالى عليه و سلم وراء ظهرك، و لا بين يديك، قال: و الأدب معه صلى الله تعالى عليه و سلم بعد وفاته مثله فى حياته، فما كنت صانعه فى حياته فاصنعه بعد وفاته: من احترامه، و الإطراق بين يديه، و ترك الخصام، و ترك الخوض فيما لا ينبغى أن يخوض فيه فى مجلسه، فإن أبيت فانصرافك خير من بقائك.

و منها: أن يجتنب ما يفعله جهلة العوام من التقرب بأكل التمر الصيحانى فى المسجد و إلقاء النوى به.

قال النووى و غيره: من جهالات العمة و بدعتهم تقر بهم بأكل التمر الصيحانى فى الروضة الكريمة، و قطعهم شعورهم، و رميها فى القنديل الكبير، و هذا من المنكرات المستشنعة.

و منها: إدامة النظر إلى الحجرة الشريفة؛ فإنه عبادة قياسا على الكعبة المعظمة كما قاله المجد، قال: فينبغى لمن كان بالمدينة إدامة ذلك إذا كان فى المسجد: و إدامة النظر إلى القبة الشريفة إذا كان خارجا مع المهابة و الحضور.

و منها: ما قاله النووى أنه يستحب الخروج كل يوم إلى البقيع، و يكون ذلك بعد السلام على رسول الله صلى الله تعالى عليه و سلم، فإذا انتهى إلى البقيع قال: السلام عليكم دار قوم مؤمنين، أنتم السابقون و إنا إن شاء الله بكم لاحقون، اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد، اللهم لا تحرمنا أجرهم، و لا تفتنا بعدهم، و اغفر لنا و لهم، هذا محصل ما

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۲۲۲

ورد، زاد القاضى حسين: اللهم رب هذه الأجساد البالية و العظام النّخرة التى خرجت من الدنيا و هى بك مؤمنة، أدخل عليها روحا منك و سلاما منى، اللهم برد مضاجعهم عليهم و اغفر لهم. ثم يزور قبور السّلف الظاهرة بالبقيع، كقبر إبراهيم ابن رسول الله صلى الله تعالى عليه و سلم و عثمان و العباس و الحسن بن على و على بن الحسين و محمد بن على و جعفر بن محمد و غيرهم، رضى تعالى عنهم، و يختم بصفية عمة رسول الله صلى الله تعالى عليه و سلم، انتهى.

و قال العلامة فضل الدين بن القاضى نصير الدين الغورى: و إذا أراد زيارة البقيع يخرج من باب البلد، و يأتى قبة العباس بن عبد المطلب و الحسن بن على رضى الله تعالى عنهم، و ذكر بعده إتيان بقية القبور، ثم قال: ثم يختم زيارة البقيع بالسلام على صفية بنت عبد المطلب عمة النبى صلى الله تعالى عليه و سلم.

فاقتضى سياقه البداءة بسيدنا العباس و من عنده من الحسن و غيره رضى الله تعالى عنهم، و لعله لكون مشهدهم أول المشاهد التى

يلقاها الخارج من البلد، فإنه يكون على يمينه، فمجاوزتهم من غير سلام عليهم جفوة، فإذا سلك تلك الطريق سلم على من يمر به بعدهم، فيكون مروره على صفية رضى الله تعالى عنها فى رجوعه فيختم بها.

و قال البرهان بن فرحون: أول المشاهد و أولاها بالتقديم مشهد سيدنا أمير المؤمنين عثمان بن عفان؛ لأنه أفضل الناس بعد أبى بكر و عمر رضى الله تعالى عنهم، قال:

و اختار بعضهم البداءة بقبر إبراهيم ابن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، انتهى.

فتلخّص فيمن يبدأ به ثلاثة آراء، و سبق أن مشهد سيدنا إسماعيل بن جعفر الصادق غربى مشهد العباس، إلا أنه صار داخل سور المدينة، و مشاهد البقيع كلها خارج السور، فليختم الزائر به إذا رجع، و يذهب إلى زيارة مشهد سيدنا مالك بن سنان و مشهد النفس الزكية فإنهما ليسا بالبقيع كما سبق.

و منها: أنه يستحب أن يأتى قبور الشهداء بأحد، قال النووى و غيره: و أفضلها يوم الخميس.

قلت: و لم يظهر لى وجه تخصيصه، ثم رأيت الغزالى فى الإحياء فى زيارة القبور قال: كان محمد بن واسع يزور يوم الجمعة، فقيل له: لو أخرت إلى يوم الإثنين، فقال:

بلغنى أن الموتى يعلمون بزوارهم يوم الجمعة و يوما قبله و يوما بعده، انتهى. فلما كان المطلوب فى يوم الجمعة التبكير للجمعة و قبور الشهداء بعيدة، و المطلوب فى يوم السبت الذهاب لمسجد قباء كما سيأتى، فاختص الخميس بذلك، و يبدأ بحمزة عم رسول الله

صلى الله تعالى عليه و سلم، و يبكر بعد صلاة الصبح فى مسجد رسول الله صلى الله تعالى عليه و سلم حتى يعود و يدرك جماعة الظهر فيه، قال الكمال بن الهمام محقق الحنفية: و يزور جبل أحد نفسه؛ ففى الصحيح «أحد جبل يحبنا و نحبه».

و منها: أنه يستحب استحبابا متأكدا كما قال النووى- أن يأتى مسجد قباء، و فى يوم السبت أولى، ناويا التقرب بزيارته و الصلاة فيه، و إذا قصد إتيانه توضأ و ذهب، و لا يؤخر الوضوء حتى يصل إليه.

و منها: أن يأتى بقية المساجد و الآثار المنسوبة للنبى صلى الله تعالى عليه و سلم بالمدينة مما علمت عينه أو جهته، و كذا الآبار التى شرب منها صلى الله تعالى عليه و سلم أو توضأ أو اغتسل، فيتبرك بمائها، صرح جماعة من الشافعية و غيرهم باستحباب ذلك كله، و قد كان ابن عمر رضى الله تعالى عنهما يتحرّى الصلاة و النزول و المرور حيث حل النبى صلى الله تعالى عليه و سلم و نزل و غير ذلك.

و مأخذ ما نقل عن مالك مما يخالف هذا سدّا للذريعة، تبعا لعمر رضى الله تعالى عنهما، ما رواه سعيد بن منصور فى سننه عن المعرور بن سويد أنه خرج مع عمر رضى الله تعالى عنه فى حجة حجها، فلما رجع من حجّته رأى الناس ابتدروا المسجد، فقال: ما هذا؟ فقالوا: مسجد صلّى فيه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، فقال: هكذا أهل الكتاب قبلكم اتخذوا آثار الأنبياء بيعا، من عرضت له منكم الصلاة فيه فليصل، و من لم تعرض له فليمض.

و قال عياض فى الشفاء: و من إعظامه صلى الله تعالى عليه و سلم و إكباره إعظام جميع أشيائه، و إكرام جميع مشاهده و أمكنته و معاهده، و ما لمسه صلى الله تعالى عليه و سلم بيده أو عرف به، انتهى.

قلت: ذلك بزيارة تلك المشاهد و التبرك بها، و لله در القائل:

خليلىّ هذا ربع عزة فاعقلا قلوصيكما، ثم انزلا حيث حلّت

و مسّا ترابا طال ما مسّ جلدها و ظلّا و بيتا حيث باتت و ظلّت

و لا تيأسا أن يمحو الله عنكما ذنوبا إذا صلّيتما حيث صلّت

و ذكر خليل المالكى فى منسكه استحباب زيارة البقيع، و مسجد قباء، و غير ذلك، ثم قال: و هذا إنما يكون فيمن كثرت إقامته

بالمدينة، و إلا فالمقام عنده عليه الصلاة و السلام أحسن؛ ليغتنم مشاهداته صلى الله تعالى عليه و سلم، و قد قال ابن أبى جمرة: لما دخلت مسجد المدينة ما جلست إلا الجلوس فى الصلاة، و ما زلت واقفا هناك حتى رحل

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۲۲۴

الركب، و لم أخرج إلى بقيع و لا غيره، و لم أر غيره صلى الله تعالى عليه و سلم، و قد كان خطر لى أن أخرج إلى البقيع، فقلت: إلى أين أذهب؟ هذا باب الله تعالى مفتوح للسائلين و المتضرعين، و ليس ثمّ من يقصد مثله.

قلت: و الحق أن من منح دوام الحضور و الشهود و عدم الملل فاستمراره هناك أولى و أعلى، و إلا فتنقّله فى تلك البقاع أولى، و به يستجلب النشاط و دفع الملل، و لذلك نوّع الله لعباده الطاعات، و الله أعلم.

و منها: أن يلاحظ بعقله مدة إقامته بالمدينة جلالتها، و أنها البلدة التى اختارها الله لنبيه صلى الله تعالى عليه و سلم فى الحياة و بعد الوفاة، و يستحضر تردّده صلى الله تعالى عليه و سلم فيها، و مشيه فى بقاعها، و محبته لها، و تردد جبرائيل عليه السلام فيها بالوحى، فيحبها و سائر منازلها و أوديتها و جبالها، سيما ما أثبت له صلى الله تعالى عليه و سلم المحبة من ذلك.

و منها: أن لا يركب بها دابة مهما قدر على المشى، بل يؤثره على الركوب، كما رأى ذلك مالك رحمه الله تعالى؛ فإنه كان لا يركب بها دابة، و يقول: أخشى أن يقع حافرها فى محل مشى فيه رسول الله صلى الله تعالى عليه و سلم.

و فى رواية عن الشافعى رحمه الله تعالى قال: رأيت على باب مالك كراعا من أفراس خراسان و بغال مصر، ما رأيت أحسن منها، فقلت له: ما أحسنها فقال: هو هدية منى إليك يا أبا عبد الله، فقلت: دع لنفسك منها دابة تركبها، فقال: أستحيى من الله أن أطأ تربة رسول الله صلى الله تعالى عليه و سلم بحافر دابة.

و منها: محبة أهل المدينة و سكانها، و محبة مجاوريها و قطّانها، و تعظيمهم، سيما العلماء و الصلحاء و الأشراف و الفقراء و سدنة الحجرة و خدّامها، قال المجد: و هلم جرا إلى عوامها و خواصها، و كبارها و صغارها، و زراعها و جرافها، و باديتها و حاضرتها، كل منهم على حسب حاله و رتبته و قرابته و دنوه من قبر رسول الله صلى الله تعالى عليه و سلم و تربته، و تعظيمه لشعار دينه و شريعته، و قيامه بمصالح أمته و مناحج ملته، إلى من لا يبقى له مزية سوى كونه فى هذا المحل العظيم، و جارا لهذا النبى الكريم، صلى الله تعالى عليه و سلم، و أخلق بها مزية أن يجلّ صاحبها، قال: و هؤلاء يثبت لهم حق الجوار، و إن عظمت إساءتهم فلا يسلب عنهم اسم الجار، و قد عمّم صلى اللّه عليه و سلم فى قوله «ما زال يوصينى جبرائيل بالجار» و لم يخصص جارا دون جار، قال: و كل ما احتج به محتج من رمى عوامهم بالابتداع و ترك الاتباع فإنه إذا ثبت فى شخص مثلا لا يترك إكرامه، فإنه لا يخرج

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۲۲۵

إكرامه عن حكم الجار و لو جار، و لا يزول عنه شرف مساكنته فى الدار كيف دار، بل يرجى له أن يختم له بالحسنى، و يمنح ببركة هذا القرب الصورىّ قرب المعنى.

فيا ساكنى أكناف طيبة كلّكم إلى القلب من أجل الحبيب حبيب

و منها: أن يتصدق عليهم بما أمكنه، فإنه مستحب كما ذكره النووى و ابن عساكر و غيرهما، و سبق ما يقتضى مضاعفة الصدقة بالمدينة، قال النووى فى شرح المهذب:

و يخص أقاربه صلى اللّه عليه و سلم بمزيد؛ لحديث زيد بن أرقم رضى الله تعالى عنهما أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قال: «أذكّركم الله فى أهل بيتى» رواه مسلم، و عن أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه موقوفا عليه قال: ارقبوا محمدا صلى اللّه عليه و سلم فى أهل بيته، رواه البخارى.

و منها: المجاورة بها فإنها مستحبة لمن قدر مع رعاية الأدب كما تقدم فى ثانى فصول الباب الثانى عن النووى.

و منها: انشراح الصدر و دوام السرور و استمرار الفرح بمجاورة هذا النبى الكريم و الحلول بحضرته الشريفة، و الإكثار من الدعاء

بالتوفيق بشكر هذه النعمة، مع قرنها بحسن الأدب اللائق بتلك الحضرة، و الرغبة إلى الله تعالى فى جبر التقصير عن القيام بواجب حقها، و الاعتراف بالقصور عن حال السلف الماضين، و كثرة التفكر فى حالهم و مناقبهم و آدابهم.

و منها: أن يزمّ نفسه مدة مقامه فى ذلك المحل الشريف بزمام الخشية و التعزيز و التعظيم، و يخفض جناحه و يغض من صوته فى ذلك الموطن الشريف العظيم، و يلحظ قول الله عز و علا إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْواتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ أَجْرٌ عَظِيمٌ [الحجرات: ۳] و فى صحيح مسلم عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه قال لما نزلت يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْواتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِ إلى قوله: وَ أَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ [الحجرات: ۲] قال ثابت بن قيس: أنا و الله كنت أرفع صوتى عند رسول الله صلى الله تعالى عليه و سلم، و إنى أخشى أن يكون الله تبارك و تعالى قد غضب علىّ، قال: فحزن و اصفر، قال: ففقده رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، فسأل عنه، فقيل: يا نبى الله إنه يقول: أخشى أن أكون من أهل النار، قال: فكنا نراه يمشى بين أظهرنا رجلا من أهل الجنة.

و فى حديث أبى بكر الصديق رضى الله عنه: لما نزل قوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْواتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ قال أبو بكر: آليت أن لا أكلّم رسول الله صلى الله تعالى عليه و سلم إلا كأخى السرار.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۲۲۶

و قد تقدم قول مالك رضى الله تعالى عنه فى مناظرة المنصور، و أن حرمته صلى الله تعالى عليه و سلم ميتا كحرمته حيا.

و منها: الحرص على فعل أنواع الخيرات بحسب الإمكان فى ذلك المكان، من عيادة مريض، و تشييع جنازة، و معونة ضعيف، و إغاثة ملهوف، و الإحسان إلى المقيمين و الواردين، و إكرام الزائرين، و مواسة فقرائهم و لو بلقمة أو تمرة أو سقى الماء إن أمكنه، إلى غير ذلك من أنواع الخير و المعروف.

و منها: أن لا يضيق على من بها من الفقراء و المحتاجين، بسكنى الأربطة و الأخذ من الصدقات، إلا أن يحتاج لذلك فيقتصر على قدر الحاجة، قاله الأقشهرى، و هو حسن، قال: و لا ينتحل نحلة صورتها صورة عبادة و محصولها فائدة دنيوية كإمامة و أذان و تدريس و قراءة ختمة أو خدمة فى الحرم، إلا أن يخلص النية فى ذلك، أو يكون عاجزا عن قوته، فيأخذ من الصدقات قوته، و ما لا بد منه، من غير تعرض لها و لا إشراف نفس.

و منها: أنه متى اختار الرجوع، و عزم على النهوض إلى وطنه أو غيره، فالمستحب كما قاله النووى و غيره- أن يودع المسجد الشريف بركعتين، و يكون ذلك فى المصلى الشريف النبوى، أو ما قرب منه من الروضة الشريفة، ثم يحمد الله تعالى، و يصلى على نبيه صلى الله تعالى عليه و سلم، و يدعو بما أحب، و يقول: اللهم إنا نسألك فى سفرنا هذا البرّ و التقوى، و من العمل ما تحب و ترضى. اللهم كن لنا صاحبا فى سفرنا، و خليفة على أهلنا. اللهم ذلّل لنا صعوبة سفرنا، و اطو عنا بعده. اللهم إنا نعوذ بك من وعثاء السفر، و كآبة المنظر، و سوء المنقلب فى الأهل و المال. اللهم اصحبنا بنصح، و اقبلنا بذمة. اللهم اكفنا ما أهمّنا و ما لا نهتم له، و ارجعنا سالمين مع القبول و المغفرة و الرضوان، و لا تجعله آخر العهد بهذا المحل الشريف، و يعيد السلام و الدعاء المتقدم فى الزيارة، و يقول بعده اللهم لا تجعل هذا آخر العهد بحرم رسولك صلى الله تعالى عليه و سلم و حضرته الشريفة، و يسّر لى للعود إلى الحرمين سبيلا سهلة، و ارزقنى العفو و العافية فى الدنيا و الآخرة.

و قال الكرمانى من الحنفية: إذا اختار الرجوع يستحب له أن يأتى القبر الشريف و يقول بعد السلام و الدعاء: ودّعناك يا رسول الله غير مودّع و لا- سامحين بفرقتك، نسألك أن تسأل الله تعالى أن لا يقطع آثارنا من زيارة حرمك، و أن يعيدنا سالمين غانمين إلى أوطاننا، و أن يبارك لنا فيما وهب لنا، و أن يرزقنا الشكر على ذلك. اللهم لا تجعل هذا

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۲۲۷

آخر العهد من زيارة قبر نبيك صلى الله تعالى عليه و سلم. قال: ثم يتوجه إلى الروضة، و يصلى ركعتين عند الخروج، و يسأل الله

العود مع السلامة و العافية.

قلت: و هو صريح فى تقديم وداع النبى صلى اللّه عليه و سلم على توديع المسجد بالركعتين، و مقتضى كلام النووى و غيره ما قدمناه، و ممن صرح بمقتضاه فى تقديم الصلاة على توديعه صلى الله تعالى عليه و سلم أبو سليمان داود الشاذلى من المالكية فى كتابه النيات و الانتصار، و الأصل فى ذلك كما أشار إليه ابن عساكر حديث أنس رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله تعالى عليه و سلم «كان لا ينزل منزلا إلا ودّعه بركعتين».

و منها: أن ينصرف عقب ذلك تلقاء وجهه، و لا يمشى القهقرى إلى خلفه، و يكون متألما متحزنا على فراق الحضرة النبوية، متأسفا على ما يفوته من تركه ملازمتها، و هناك تظهر من المحبين سوابق العبرات، و يتصعد من بواطنهم لقوة الوجد لواحق الزفرات.

و أنشد أبو الفضل الجوهرى فى توديعه النبى صلى الله تعالى عليه و سلم:

لو كنت ساعة بيننا ما بيننا و شهدت كيف نكرر التوديعا

لعلمت أن من الدموع محدّثا و علمت أن من الحديث دموعا

و قال العز بن جماعة: أنشدنى والدى يعنى البدر بن جماعة- لنفسه و هو يبكى عند وداعه لسفره من المدينة الشريفة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة و السلام:

أحنّ إلى زيارة حىّ ليلى و عهدى من زيارتها قريب

و كنت أظن قرب الدار يطفى لهيب الشوق فازداد اللهيب

و لله در القائل:

أرسلت أعينى دموعا غزارا و حوت أضلعى لهيبا و نارا

و تناآى صبرى و هل بعد بعد يجد الصب سلوة و اصطبارا

يا ديار الأحباب كان اختيارى أن أراك المساء و الأبكارا

ذاك لو يسمح الزمان، و لكن ليس لى أن أعارض الأقدارا

ليس نأيى رضى و عن طيب نفس إنما كان بالقضاء اضطرارا

و اختيارى أن لا أفارقك الده ر و لكن لا أملك الاختيارا

فعسى الله أن يمن بعود فعساه يطفى لهيبا و نارا

و منها: أن يستصحب منه هدية ليدخل بها السرور على أهله و معارفه، من غير أن يتكلفها، سيما ثمار المدينة و مياه آبارها النبوية، و لا يستصحب شيئا من تراب حرم المدينة و لا من الأكر المعمولة منه، قال النووى: و كذا الأباريق و الكيزان و غير ذلك من التراب و الأحجار فإنه لا يجوز.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۲۲۸

قلت: و قد سبق واضحا فى الحرم، و استدلوا لاستحباب استصحاب الهدية بحديث ضعيف رواه الدار قطنى عن عائشة رضى الله تعالى عنها أن النبى صلى الله تعالى عليه و سلم قال «إذا سافر أحدكم فليهد لأهله، و ليطرفهم و لو كانت حجارة» و ذكر الغزالى فى الإحياء سببا لذلك، و هو تشوف النفوس إلى ذلك، خصوصا الأولاد و نحوهم.

و منها: أن يتصدق بشىء مع خروجه من المدينة الشريفة، و ينوى حينئذ ملازمة التقوى، و الاستعداد للقاء الله و رسوله صلى الله تعالى عليه و سلم فى يوم الميعاد، و ليحذر كل الحذر بعد ذلك من مقارفة الذنوب، فإن النّكسة أشد من المرض، و ليحافظ على الوفاء بما عاهد الله تبارك و تعالى عليه، و لا يكون خوّانا أثيما فمن نكث فإنما ينكث على نفسه، و من أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما.

و منها: أن يكون مع ذلك دائم الأشواق لـذلك المزار، و مشاهدة عظيم تلك الآثار، متعلق القلب بالعود إلى تلك الديار، ينمى شوقه بتأمل ما نقل فى ذلك من الأخبار و الآثار، و ما نظم فيه من نفائس الأشعار.

و من أعـذبها و أعجبها قصـيدة الإمام الولى العارف بالله أبى محمـد البكرى، و قـد أخبرنى بها جماعـة من المشايخ الأجلّاء المسـندين منهم شيخنا الشيخ الإمام العلامة شيخ المحدثين بالمسجد النبوى ناصر الدين أبو الفرج محمد ابن الإمام العلامة قاضى طيبة زين الدين أبى بكر بن الحسين العثمانى المراغى سماعا عليه بالروضة الشريفة النبوية، قال:

أخبرنى والدى إذنا إن لم يكن سـماعا قال: أخبرنى شـيخنا الحافظ أبو السـيادة عبد الله عفيف الدين بن محمد بن أحمد المطرى قراءة عليه، قال: أخبرنى الشيخ الإمام العارف أبو محمد عبد الله بن عمر بن موسى البكرى سماعا غير مرة، قال:

دار الحبيب أحقّ أن تهواها و تحنّ من طرب إلى ذكراها

و على الجفون متى هممت بزورة يا ابن الكرام عليك أن تغشاها

فلأنت أنت إذا حللت بطيبة و ظللت ترتع فى ظلال رباها

مغنى الجمال منى الخواطر و التى سلبت عقول العاشقين حلاها

لا تحسب المسك الذكى كتربها هيهات أين المسك من ريّاها

طابت فإن تبغى التطيب يا فتى فأدم على الساعات لثم ثراها

و ابشر ففى الخبر الصحيح مقررا أن الإله بطابة سماها

و اختصها بالطيبين لطيبها و اختارها و دعا إلى سكناها

لا كالمدينة منزل، و كفى لها شرفا حلول محمد بفناها

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۲۲۹

حظيت بهجرة خير من وطئ الثرى و أجلهم قدرا، فكيف ثراها؟

كل البلاد إذا ذكرت كأحرف فى اسم المدينة لا خلت معناها

حاشى مسمى القدس فهى قريبة منها، و مكة إنها إياها

لا غرو إلا أن تم لطيفة مهما بدت يجلو الظلام سناها

جزم الجميع بأن خير الأرض ما قد حاط ذات المصطفى و حواها

و نعم، لقد صدقوا، بساكنها علت كالنفس حين زكت زكى مأواها

و بهذه ظهرت مزية طيبة فغدت و كل الفضل فى معناها

حتى لقد خصت بروضة جنة الله شرفها بها و حباها

ما بين قبر للنبى و منبر حيا الإله رسوله و سقاها

هذى محاسنها فهل من عاشق كلف شحيح باخل بنواها

إنى لأرهب من توقّع بينها فيظل قلبى موجعا أوّاها

و لقلما أبصرت حال مودّع إلا رثت نفسى له و شجاها

فلكم أراكم غافلين جماعة فى إثر أخرى طالبين هواها

قسما لقد أذكى فؤادى بينكم نارا، و فجر مقلتىّ مياها

إن كان مزعجكم طلاب معيشة فالخير كل الخير فى مثواها

أو خفتم ضرا بها فتأملوا بركات بلغتها فما أزكاها

إلا إذا يبغى الكثير لشهوة و رفاهة لم يدر ما عقباها

و العيش ما يكفى، و ليس هو الذى يطغى النفوس و لا خسيس مناها

يا رب أسأل منك فضل قناعة بيسيرها و تحببا لحماها

و رضاك عنى دائما، و لزومها حتى توافى مهجتى أخراها

فأنا الذى أعطيت نفسى سؤلها و قبلت دعوتها، فيا بشراها

بجوار أوفى العالمين بذمة و أعز من بالقرب منه يباهى

من جاء بالآيات و النور الذى داوى القلوب من العمى فشفاها

أولى الأنام بخطة الشرف التى تدعى الوسيلة خير من يعطاها

إنسان عين الكون، سر وجوده يس إكسير المحامد طه

حسبى، فلست أ فى بذكر صفاته و لو أن لى عدد الحصا أفواها

كثرت محاسنه فأعجز حصرها و غدت و ما نلفى لها أشباها

إنى اهتديت من الكتاب بآية فعلمت أن علاه ليس يضاهى

و رأيت فضل العالمين محددا و فضائل المختار لا تتناهى

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۲۳۰

كيف التقصى و الوصول لمدح من قال الإله له و حسبك جاها

(إِنَّ الَّذِينَ يُبايِعُونَكَ إِنَّما) فيما يقول (يُبايِعُونَ اللَّهَ)

هذا الفخار فهل سمعت بمثله واها لنشأته الكريمة واها

صلوا عليه و سلموا؛ فبذلكم تهدى النفوس لرشدها و غناها

صلى عليه الله غير مقيد و عليه من بركاته أنماها

و على الأكابر آله سرج الهدى أحبب بعترته و من والاها

و كذا السلام عليه، ثم عليهم و على عصابته التى زكاها

أعنى الكرام أولى النهى أصحابه فئة التقى و من اهتدى بهداها

و الحمد لله الكريم، و هذه نجزت و ظنى أنه يرضاها

قال البدر بن فرحون أحد أصحاب ناظمها سيدى أبى محمد البكرى: إن بعض الصالحين رأى النبى صلى الله تعالى عليه و سلم فى المنام، قال البدر: و أشك هل كان هو الشيخ أو غيره، و أنشد هذه القصيدة، فلما بلغ آخرها قال النبى صلى الله تعالى عليه و سلم «رضيناها رضيناها».

قلت: فلذلك ختمت بها كتابى هذا عسى أن يكون مرضيا عند سيدنا رسول الله صلى الله تعالى عليه و سلم؛ فيلحظه بعين القبول، لأنال منه من الرضوان غاية المأمول، و لله در القائل:

إذا رضيت عنّى كرام عشيرتى فلا زال غضبانا علىّ لئامها

اللهم جد علينا برضوانك، و اجعلنا فى حرزك و أمانك، و تفضل علينا بجودك و إحسانك، بمجاورة حبيبك المصطفى فى الدارين، و الفوز من اتباع سنته بما تقربه العين، و ثبت قلوبنا على الهدى، و سلمها من الزيغ و الرّدى، و نجنا من الفتن و البلوى، و خلصنا من كدورات هذه الحياة الدنيا، و وفقنا للقيام بما أمرتنا قولا و فعلا، و تب علينا إنك أنت التواب الرحيم، و سامحنا بجودك و كرمك إنك أنت الجواد الكريم، و افعل ذلك بوالدينا و مشايخنا و أحبابنا و جميع المسلمين، سيما من اشتغل بهذا الكتاب، و رغب

فيه من الطلاب، جعله الله خالصا لوجهه الكريم، موصّلا للفوز بجنات النعيم، و حفظه من الحاسدين، بالكرام الكاتبين، و حماه من السراق، كما من بسلامته من الاحتراق.

و قد سلكت فيه إيضاح العبارات، مع سلامتها من الركّة و الغرابات، ليسهل تناوله، و تورد على العموم مناهله، و حذفت الأسانيد من أحاديثه اكتفاء بتخريجها، و الكلام على ما يحتاج إلى الكلام عليه منها.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۲۳۱

و كأنى بمن لا يميل طبعه المنحرف إلى الفقيهات، قد عاب علينا بما أوردناه فيه، من أحكام الحرم و غيره، و كذا ما ذكرناه من منازل المهاجرين و الأنصار و الدور المباركات، و أسماء البقاع و الجهات البعيدات، و إن كانت من التوابع و المضافات، و ما درى موقع ذلك عند ذوى العنايات، و الهمم العاليات، و من جهل شيئا عاداه، و الحمد لله على ما أولاه.

قال مؤلفه رحمه الله تعالى: فرغت من تأليفه فى اليوم المبارك الرابع و العشرين من جمادى الآخرة عام ست و ثمانين و ثمانمائة بالمدينة الشريفة، ثم بلغنى بعد الرحلة إلى مكة المشرفة فى شهر رمضان منها ما أصيب به المسلمون من حريق المسجد فألحقته فى محله، و سأتبعه بما يتعلق به من العمارة المتوقعة إن شاء الله تعالى.

قال مؤلفه: و كان الفراغ من تبييضه على يد مؤلفه بالمسجد الحرام المكى تجاه الكعبة المعظمة فى سلخ شوال المبارك، عام ست و ثمانين و ثمانمائة، ثم ألحقت فيه ما سبق ذكره من العمارة المتجددة، و ما ترتب عليها فى محالها بعد رجوعى إلى المدينة الشريفة سنة ثمان و ثمانين و ثمانمائة، و الحمد لله وحده، و صلى الله و سلم على من لا نبى بعده، و على آله الطيبين الطاهرين، و صحابته الأكرمين، رضوان الله عليهم أجمعين.

و قد تم بحمد ذى القدرة و الجبروت، الذى بيده ملكوت السموات و الأرض- تحقيق هذا الكتاب المبارك إن شاء الله فى شهر رمضان المعظم من سنة ۱۳۷۴ ه، و الله سبحانه ولى التوفيق و السداد، و كان من عجائب المصادفات أن شرعت حكومة المملكة العربية السعودية بأمر كريم صدر من جلالة الملك المعظم سعود بن عبد العزيز آل سعود، فى ترميم بعض مواطن من حرم النبى صلى اللّه عليه و سلم و عظم و بارك و كرم و توسعته، فأحببنا أن نضيف تفصيل ذلك إلى هذا الكتاب كما أضاف المؤلف تفاصيل العمارة التى حدثت فى زمانه، و جعلنا إضافتنا فى أخريات الكتاب؛ لأننا لا نرى من حقنا أن نضيف فى أثناء الكتاب ما ليس من عمل صاحبه، و الله يتقبل منا و يجزينا بما هو أهله من الكرم و الجود و الإحسان، و صلى الله و سلم على سيدنا محمد و آله و صحبه.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۲۳۲

فهرس الجزء الرابع

الفصل الثامن ۳

حرف الألف ۳

حرف الباء ۱۶

حرف التاء ۳۴

حرف الثاء ۳۹

حرف الجيم ۴۴

حرف الحاء ۵۱

حرف الخاء ۶۳

حرف الدال ۷۳

حرف الذال ۷۵
حرف الراء ۷۶
حرف الزای ۸۵
حرف السین ۸۷
حرف الشین ۹۵
حرف الصاد ۱۰۱
حرف الضاد ۱۰۶
حرف الطاء ۱۰۷
حرف الظاء ۱۰۸
حرف العین ۱۰۹
حرف الغین ۱۲۰
حرف الفاء ۱۲۳
وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفی، ج۴، ص: ۲۳۳
حرف القاف ۱۲۷
حرف الکاف ۱۳۴
حرف اللام ۱۳۶
حرف المیم ۱۳۷
حرف النون ۱۵۱
حرف الهاء ۱۵۷
حرف الواو ۱۵۸
حرف الیاء ۱۶۲
الباب الثامن: فی زیارة النبی صلی اللّه علیه و سلم و فیه أربعة فصول ۱۶۶
الفصل الأول: فی الأحادیث الواردة فی الزیارة نصا ۱۶۶
الحدیث الأول ۱۶۶
الحدیث الثانی ۱۶۸
الحدیث الثالث ۱۶۸
الحدیث الرابع ۱۶۹
الحدیث الخامس ۱۷۰
الحدیث السادس ۱۷۰
الحدیث السابع ۱۷۰
الحدیث الثامن ۱۷۱
الحدیث التاسع ۱۷۱
الحدیث العاشر ۱۷۱

الحديث الحادى عشر ۱۷۲
الحديث الثانى عشر ۱۷۲
الحديث الثالث عشر ۱۷۲
الحديث الرابع عشر ۱۷۳
الحديث الخامس عشر ۱۷۳
وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۴، ص: ۲۳۴
الحديث السادس عشر ۱۷۴
الحديث السابع عشر ۱۷۴
الفصل الثانى: فى بقية أدلة الزيارة، و إن لم تتضمن لفظ الزيارة نصا ۱۷۵
الفصل الثالث: فى توسل الزائر ۱۹۱
الفصل الرابع: فى آداب الزيارة و المجاورة، و هى كثيرة ۲۰۳

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).
قالَ الإمامُ علىّ بْنُ موسَى الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... َ يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فى تلخيص بحار الأنوار، للعلاّمة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).
مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافيّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذى" – رَحِمَهُ اللهُ – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذى قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَيت النبىّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علىّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فى سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.
مركز "القائميّة" للتحرِّى الحاسوبىّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإماميّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجى الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالاتٍ شتّى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...
الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشّباب و عموم الناس إلى التّحَرِّى الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فى المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلاّب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِج العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرة فى الجامعة، و...
– مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التى يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ– فى آكناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فى أنحاء العالَم – مِن جِهةٍ اُخرَى.
– من الأنشطة الواسعة للمركز:
الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبيّة، قابلة للتشغيل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّـلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتی "القائميّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخـرَ

ه) إنتاج المُنتـَجات العرضيّة، الخـَطابات و... للعرض فی القنوات القمريّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسيم النظام التلقائیّ و اليدویّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع "ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّی (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَة

المكتب الرّئيسیّ: إيران/أصبهان/ شارع"مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائی/"بناية"القائميّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونی: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتی: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التـّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهـذا المركز، شـَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتـُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنـّها لا تـُوافِی الحجمَ المتزايد و المتـّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثـّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّی هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّی بالقائميّة) و مع ذلک، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفـّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم – فی حدّ التـّمكـّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فی هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالی؛ و اللهُ ولیّ التوفيق.

مرکز القائمیة للبحوث والتخریبات الکمبیوتریة
اصبهان
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹